(فهرست الجزء الحادي عشر من تفسير الامام ابن جرير الطبري)

(تم فهرست الجزء الحادي عشر من تفسير ابن جرير الطبري)

Alexandria Library (GOAL)

﴿فهرست الجزء الحادى عشر من تفسير النيسابورى الموضوع بهامش الجزء الحادى عشر من تفسير ابن جرير﴾

﴿تم فهرست الجزء الحادى عشر من تفسير النيسابورى﴾

الجـــزء الحـادى عشر

من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن تأليف
الامام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت
الأمة على تقدمه في التفسير أبي جعفر
محمد بن جرير الطبرى المتوفى
سنة ٣١٠ هجرية رحمه
الله وأثابه رضاه
آمـين

﴿ وبهامشه تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين
الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى قدست أسراره ﴾

« في كشف الظنون » قال الامام جلال الدين السيوطى في الاتقان وكتابه « أى الطبرى » أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفاسير الأقدمين * وقال النووى أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبرى * وعن أبي حامد الاسفرايينى أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اهـ

﴿ تنبيـــه ﴾

طبعت هذه النسخة بعد تصحيحها على الاصول الموجودة في خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبى الشهير بمصر ونجله
حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

﴿ الطبعـة الأولى ﴾

بالمطبعة الكبرى الأميريه ببولاق مصر المحميه
سـنة ١٣٢٧ هجريه

(بسم الله الرحمن الرحيم)

القول فى تأويل قوله ﴿ انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون ﴾ يقول تعالى ذكره ما السبيل بالعقوبة على أهل العذر يا محمد ولكنها على الذين يستأذنونك فى التخلف خلافك وترك الجهاد معك وهم أهل غنى وقوة وطاقة للجهاد والغزو نفاقا وشكا فى وعد الله ووعيده رضوا بأن يكونوا مع الخوالف يقول رضوا بأن يجلسوا بعدك مع النساء وهن الخوالف خلف الرجال فى البيوت ويتركوا الغزو معك وطبع الله على قلوبهم يقول وختم الله على قلوبهم بما كسبوا من الذنوب فهم لا يعلمون سوء عاقبتهم بتخلفهم عنك وتركهم الجهاد معك وما عليهم من قبيح الثناء فى الدنيا وعظيم البلاء فى الآخرة القول فى تأويل قوله ﴿ يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ يقول تعالى ذكره يعتذر اليكم أيها المؤمنون بالله هؤلاء المتخلفون خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم التاركون جهاد المشركين معكم من المنافقين بالاباطيل والكذب اذا رجعتم اليهم من سفركم وجهادكم قل لهم يا محمد لا تعتذروا لن نؤمن لكم يقول لن نصدقكم على ما تقولون قد نبأنا الله من أخباركم يقول قد أخبرنا الله من أخباركم وأعلمنا من أمركم ما قد علمنا به كذبكم وسيرى الله عملكم ورسوله يقول وسيرى الله ورسوله فيما بعد عملكم أتتوبون من نفاقكم أم تقيمون عليه ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة يقول ثم ترجعون بعد مماتكم الى عالم الغيب والشهادة يعنى الذى يعلم السر والعلانية الذى لا يخفى عليه بواطن أموركم وظواهرها فينبئكم بما كنتم تعملون فيخبركم بأعمالكم كلها سيئها وحسنها فيجازيكم بها الحسن منها بالحسن والسيئ منها بالسيئ القول فى تأويل قوله ﴿ سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم

فأعرضوا

﴿ وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول الا أنها قربة لهم سيدخلهم الله

فى رحمته ان الله غفور رحيم ﴾ ﴿القرا آت﴾ المعذرون من الاعذار قتيبة ويعقوب الباقون بالتشديد دائرة السوء بضم السين وكذلك فى الفتح أبو عمرو وابن كثير الآخرون بفتحها قربة بضم الراء نافع غير قالون الباقون باسكانها وكلاهما بمعنى ﴿الوقوف﴾ ورسوله ط أليم ه لله ورسوله ط من سبيل ط رحيم ه لا للعطف ماينفقون ه أغنياء ج لاحتمال (٣) ان يكون رضوا مستأنفا أو وصفا مع الخوالف لا لأن الواو اما للعطف أو الحال لايعلمون ه اليهم ط من أخباركم ط تعملون ه لتعرضوا عنهم ط عنهم ط رجس ز لاختلاف الجملتين مع شدة اتصال المعنى فى اتمام الوعيد جهنم ج لان جزاء يصلح أن يكون مفعولا له أو مفعولا مطلقا لمحذوف أى يجزون جزاء يكسبون ه لترضوا عنهم ط لابتداء الشرط مع فاء التعقيب الفاسقين ه على رسوله ط حكيم ه الدوائر ط دائرة السوء ط عليم ه الرسول ط لهم ط فى رحمته ط رحيم ه ﴿التفسير﴾ لما شرح أحوال منافقى المدينة شرع فى أحوال المنافقين من أهل البدو فقال ﴿وجاء المعذرون﴾ من قرأ بالتخفيف فهو من أعذر اذا اجتهد فى العذر وبالغ فيه ومنه قولهم من أنذر فقد أعذر فكأنه تعالى فصل بين أصحاب العذر وبين الكافرين فالمعذرون هم الذين أتوا بالعذر وهم أسد وغطفان قالوا ان لنا أتباعا وعيالا وان بنا جهدا فأذن لنا فى التخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك أغارت أعراب طىء على أهالينا ومواشينا فقال صلى الله عليه وآله سيغنينى الله عنكم وعن مجاهد نفر من غفار ومن قرأ بالتشديد ففيه وجهان الاول أن يكون من التعذير وهو التقصير فى الامر والتوانى فيه وحقيقته أن يوهم أن له عذرا فيما يفعل ولا عذر له الثانى وقد ذكره الفراء والزجاج وابن الانبارى انه من الاعتذار والاصل فيه المعتذرون أدغمت التاء فى الدال بعد نقل حركتها الى العين والاعتذار قد يكون بالكذب كقوله تعالى يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لاتعتذروا وقد يكون صحيحا كقول القائل * ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر * أى جاء بعذر صحيح واذا أخذنا بقراءة التخفيف كان المعذرون صادقين واذا أخذنا بقراءة التشديد وفسرناها بالمعتذرين احتمل الامران ومن

فأعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون﴾ يقول تعالى ذكره سيحلف أيها المؤمنون بالله لكم هؤلاء المنافقون الذين فرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله اذا انقلبتم اليهم يعنى اذا انصرفتم اليهم من غزوكم لتعرضوا عنهم فلا تؤنبوهم فأعرضوا عنهم يقول جل ثناؤه للمؤمنين فدعوا تأنيبهم وخلوهم وما اختار والأنفسهم من الكفر والنفاق انهم رجس ومأواهم جهنم يقول انهم نجس ومأواهم جهنم يقول ومصيرهم الى جهنم وهى مسكنهم الذى يأوونه فى الآخرة جزاء بما كانوا يعملون يقول ثوابا بأعمالهم التى كانوا يعملونها فى الدنيا من معاصى الله وذكر أن هذه الآية نزلت فى رجلين من المنافقين قالا ما حدثنا به محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا الى بما كانوا يكسبون وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له ألا تغزو بنى الاصفر لعلك أن تصيب بنت عظيم الروم فانهم حسان فقال رجلان قد علمت يارسول الله ان النساء فتنة فلا تفتنا بهن فأذن لنا فأذن لهما فلما انطلقا قال أحدهما ان هو الا شحمة لأول آكل فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينزل عليه فى ذلك شئ فلما كان ببعض الطريق نزل عليه وهو على بعض المياه لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة ونزل عليه عفا الله عنك لم أذنت لهم ونزل عليه لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ونزل عليه انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون فسمع ذلك رجل ممن غزا مع النبى صلى الله عليه وسلم فأتاهم وهم خلفهم فقال تعلمون أن قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدكم قرآن قالوا ما الذى سمعت قال ما أدرى غير أنى سمعت أنه يقول انهم رجس فقال رجل يدعى مخشيا والله لوددت أنى أجلد مائة جلدة وانى لست معكم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما جاء بك فقال وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم تسفعه الريح وأنا فى الكن فأنزل الله عليه ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى وقالوا لا تنفروا فى الحر ونزل عليه فى الرجل الذى قال لوددت أنى أجلد مائة جلدة قول الله يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم فقال رجل مع رسول الله لئن كان هؤلاء كما يقولون ما فينا خير فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أنت صاحب الكلمة التى سمعت فقال لا والذى أنزل عليك الكتاب فأنزل الله فيه ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وأنزل فيه وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى يونس عن ابن شهاب قال أخبرنى عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب ابن مالك أن عبد الله بن كعب قال سمعت كعب بن مالك يقول لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون اليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله وصدقته حديثى فقال كعب والله ما أنعم الله على من نعمة قط بعد أن هدانى للاسلام أعظم فى نفسى من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا ان الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحى ما قال لأحد سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون الى قوله وان الله

المفسرين من رجح جانب صدقهم لانه تعالى ميزهم من الكاذبين بقوله (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) ومنهم من مال الى انهم كاذبون روى الواحدي باسناده عن أبي عمرو أنه قال ان أقواما تكلفوا عذرا بباطل وهم الذين عناهم الله بقوله وجاء المعذرون وتخلف آخرون لا بعذر ولا بشبهة عذر جراءة على الله وهم الذين أرادهم الله بقوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وهم منافقو الاعراب الذين لم يجيئوا (٤)

لا يرضى عن القوم الفاسقين ۞ القول في تأويل قوله ﴿يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين﴾ يقول تعالى ذكره يحلف لكم أيها المؤمنون بالله هؤلاء المنافقون اعتذارا بالباطل والكذب لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين يقول فان أنتم أيها المؤمنون رضيتم عنهم وقبلتم معذرتهم اذ كنتم لا تعلمون صدقهم من كذبهم فان رضاكم عنهم غير نافعهم عند الله لان الله يعلم من سرائر أمرهم مالا تعلمون ومن خفي اعتقادهم ما تجهلون وانهم على الكفر بالله يعني انهم الخارجون من الايمان الى الكفر بالله ومن الطاعة الى المعصية ۞ القول في تأويل قوله ﴿الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم﴾ يقول تعالى ذكره الاعراب أشد جحودا لتوحيد الله وأشد نفاقا من أهل الحضر في القرى والامصار وانما وصفهم جل ثناؤه بذلك لجفائهم وقسوة قلوبهم وقلة مشاهدتهم لاهل الخير فهم لذلك أقسى قلوبا وأقل علما بحقوق الله وقوله وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله يقول وأخلق أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله وذلك فيما قال قتادة السنن حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله قال هم أقل علما بالسنن حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن مغراء عن الاعمش عن ابراهيم قال جلس أعرابي الى زيد بن صوحان وهو يحدث أصحابه وكانت يده قد أصيبت يوم نهاوند فقال والله ان حديثك ليعجبني وان يدك لتريبني فقال زيد وما يريبك من يدي انها الشمال فقال الاعرابي والله ما أدري اليمين يقطعون أم الشمال فقال زيد ابن صوحان صدق الله الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله وقوله والله عليم حكيم يقول والله عليم بمن يعلم حدود ما أنزل على رسوله والمنافق من خلقه والكافر منهم لا يخفى عليه منهم أحد حكيم في تدبيره اياهم وفي حلمه عن عقابهم مع علمه بسرائرهم وخداعهم أولياءه ۞ القول في تأويل قوله ﴿ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم﴾ يقول تعالى ذكره ومن الأعراب من يعد نفقته التي ينفقها في جهاد مشرك أو في معونة مسلم أو في بعض ما ندب الله اليه عباده مغرما يعني غرما لزمه لا يرجو له ثوابا ولا يدفع به عن نفسه عقابا ويتربص بكم الدوائر يقول وينتظرون بكم الدوائر أن تدور بها الايام والليالي الى مكروه ونفي محبوب وغلبة عدو لكم يقول الله تعالى ذكره عليهم دائرة السوء يقول جعل الله دائرة السوء عليهم ونزول المكروه بهم لا عليكم أيها المؤمنون ولا بكم والله سميع لدعاء الداعين عليم بتدبيرهم وما هو بهم نازل من عقاب الله وما هم اليه صائرون من أليم عقابه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر قال هؤلاء المنافقون من الاعراب الذين انما ينفقون رياء اتقاء أن يغزوا أو يحاربوا أو يقاتلوا ويرون نفقتهم مغرما ألا تراه يقول ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة والكوفة عليهم دائرة السوء بفتح السين بمعنى النعت للدائرة وان كانت الدائرة مضافة اليه كقولهم هو رجل السوء وامرؤ الصدق كأنه اذا فتح مصدر من قولهم سؤته أسوءه سوأ ومساءة ومسائية

ولم يعتذروا وأظهروا بذلك أنهم كذبوا الله ورسوله في ادعائهم الايمان (سيصيب الذين كفروا منهم) أي من الاعراب (عذاب أليم) في الدنيا بالقتل وفي العقبى بالنار وانما قال منهم لعلمه بان بعضهم سيؤمن ويتخلص من هذا العقاب ثم ذكر أن تكليف الجهاد ساقط عن أصحاب الاعذار الحقيقية فقال (ليس على الضعفاء) وهم الذين في أبدانهم ضعف في أصل الخلقة أو لهرم (ولا على المرضى) ويدخل فيه أصحاب العمى والعرج والزمانة وكل من كان موصوفا بمرض يمنعه من التمكن من المحاربة (ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون في الغزو على أنفسهم حرج) قيل هم مزينة وجهينة وبنو عذرة وفيه دليل على أنه لا يحرم عليه الخروج اذا أمكنه الاعانة بمقدار القدرة كحفظ متاع المجاهدين وتكثير سوادهم وانما يكون ذلك طاعة مقبولة منه اذا لم يجعل نفسه كلا ووبالا عليهم ثم انه شرط في جواز القعود النصح لله ورسوله ليحترزوا بعدهم عن القاء الارجاف واثارة الفتن ويقوموا على اصلاح مهمات بيوتهم وبالجملة على كل ماله مدخل في طاعة الله ورسوله وموافقة السر العلن كما يفعل المولى الناصح بصاحبه ثم قال (ما على المحسنين) أي المعذورين الناصحين (من سبيل) للعتاب والمؤاخذة قال بعض أهل الظاهر كداود والاصفهاني وغيره ان المحسن هو الآتي بالاحسان ورأس الاحسان وسنامه هو قول لا اله الا الله محمد رسول الله فهذا يدل على أن المكلف اذا تكلم بهذه الكلمة برئت ذمته عن مطالبة نفسه وماله الا بدليل منفصل كما ان السلطان لو قال لاهل مملكته تكليفي عليكم كذا وكذا وبعد ذلك لا سبيل لاحد على أحد كان ذلك دليلا على انه لا تكليف عليهم فيما وراء ذلك

لان باب النفي لانهاية له فلا ينضبط الا بهذا الطريق وعلى هذا الوورد في القرآن ألف تكليف أو أقل أو أكثر كان ذلك تنصيصا على أن التكاليف محصورة فيها وفيما وراءها ليس لله على الخلق تكليف وأمر ونهي و بهذا الطريق تصير الشريعة مضبوطة و يكون القرآن وافيا ببيان التكاليف والاحكام ولا حاجة الى التمسك بالقياس لان هذا النص دل على (٥) أن الاصل براءة الذمة فان كان القياس مفيدا للبراءة أيضا فضائع وان كان يفيد شغل الذمة صار مخصصا لعموم النص وانه لا يجوز لان النص أقوى من القياس ولما ذكر الضعفاء والمرضى والفقراء بين قسما رابعا وهم الذين لا يجدون الراحلة وان قدروا على الزاد فقال (ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم) أي على المركوب (قلت) قال في الكشاف هو حال من الكاف في أتوك باضمار قد أي اذا ما أتوك قائلا (لا أجد ما أحملكم عليه تولوا) وجوز أن يكون واسطة بين الشرط والجزاء كالاعتراض قلت ويحتمل أن يكون بدلا من أتوك قال مجاهد هم أبناء مقرن معقل وسويد والنعمان وقيل أبو موسى الاشعري وأصحابه أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله يستحملونه ووافق منه غضبا فقال والله ما أحملكم ولا أجد ما أحملكم عليه فتولوا وهم يبكون فدعاهم وأعطاهم ذود اغر الذرى فقال أبو موسى ألست حلفت يا رسول الله فقال اما اني ان شاء الله لا أحلف بيمين فأرى غيرها خيرا منها الا أتيت الذي هو خير وكفرت عن يميني وقيل هم البكاؤن سبعة نفر من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وعلبة بن زيد وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن مغفل أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا يا نبي الله ان الله عز وجل قد ندبنا للخروج معك فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغزو معك فقال لا أجد ما أحملكم عليه فتولوا وهم يبكون وقوله (تفيض من الدمع) كقولك تفيض دمعا وهو أبلغ من يفيض دمعها لان العين جعلت كلها فائضة ومن للبيان والجار والمجرور في محل النصب على التمييز (حزنا أن لا يجدوا) أي على أن لا يجدوا (انما السبيل) أي سبيل الخطاب

ومسائة وقرأ ذلك بعض أهل الحجاز وبعض البصريين عليهم دائرة السوء بضم السين كأنه جعله اسما كما يقال عليه دائرة البلاء والعذاب ومن قال عليهم دائرة السوء فضم لم يقل هذا رجل السوء بالضم والرجل السوء (١) وقال الشاعر

وكنت كذئب السوء لما رأى دما ... بصاحبه يوما أحال على الدم

والصواب من القراءة في ذلك عندنا بفتح السين بمعنى عليهم الدائرة التي تسوءهم سوأ كما يقال هو رجل صدق على وجه النعت ⁂ القول في تأويل قوله ﴿ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا انها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته ان الله غفور رحيم﴾ يقول تعالى ذكره ومن الاعراب من يصدق الله ويقر بوحدانيته وبالبعث بعد الموت والثواب والعقاب وينوي بما ينفق من نفقة في جهاد المشركين وفي سفره مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قربات عند الله والقربات جمع قربة وهو ما قربه من رضا الله ومحبته وصلوات الرسول يعني بذلك ويبتغي بنفقته ما ينفق مع طلب قربته من الله دعاء الرسول واستغفاره له وقد دللنا فيما مضى من كتابنا على أن من معاني الصلاة الدعاء بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وصلوات الرسول يعني استغفار النبي عليه السلام حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول قال دعاء الرسول قال هذه ثنية الله من الأعراب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر قال هم بنو مقرن من مزينة وهم الذين قال الله فيهم ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا قال هم بنو مقرن من مزينة ⁂ قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قوله الأعراب أشد كفرا ونفاقا ثم استثنى فقال ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر الآية حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا جعفر عن البختري بن المختار العبدي قال سمعت عبد الله بن مغفل قال كنا عشرة ولد مقرن فنزلت فينا ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر الى آخر الآية قال الله ألا انها قربة لهم يقول تعالى ذكره ألا ان صلوات الرسول قربة لهم من الله وقد يحتمل أن يكون معناه ألا ان نفقته التي ينفقها كذلك قربة لهم عند الله سيدخلهم الله في رحمته يقول سيدخلهم الله فيمن رحمه فادخله برحمته الجنة ان الله غفور لما اجترموا رحيم بهم مع توبتهم واصلاحهم أن يعذبهم ⁂ القول في تأويل قوله ﴿والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم﴾ يقول تعالى ذكره والذين سبقوا الناس أولا الى الايمان بالله ورسوله من المهاجرين الذين هاجروا قومهم وعشيرتهم وفارقوا منازلهم وأوطانهم والانصار الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه

(١) لأن السوء ليس بالرجل بل هو الضر والبيت للفرزدق والسوء فيه بالفتح وأحال الذئب على الدم أقبل عليه انظر اللسان كتبه مصححه

وسلم على أعدائه من أهل الكفر بالله ورسوله والذين اتبعوهم باحسان يقول والذين سلكوا سبيلهم في الايمان بالله ورسوله والهجرة من دار الحرب الى دار الاسلام طلب رضا الله رضي الله عنهم ورضوا عنه واختلف أهل التأويل في المعنى بقوله والسابقون الاولون فقال بعضهم هم الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان أو أدركوا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بشر عن اسمعيل عن عامر والسابقون الاولون قال من أدرك بيعة الرضوان * قال ثنا ابن فضيل عن مطرف عن عامر قال المهاجرون الاولون من أدرك البيعة تحت الشجرة حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا اسمعيل بن أبي خالد عن الشعبي قال المهاجرون الاولون الذين شهدوا بيعة الرضوان حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن مطرف عن الشعبي قال المهاجرون الاولون من كان قبل البيعة الى البيعة فهم المهاجرون الاولون ومن كان بعد البيعة فليس من المهاجرين الاولين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل ومطرف عن الشعبي قال السابقون الاولون من المهاجرين والانصار هم الذين بايعوا بيعة الرضوان حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن داود عن عامر قال فصل ما بين الهجرتين بيعة الرضوان وهي بيعة الحديبية حدثني المثنى قال أخبرنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل بن أبي خالد ومطرف عن الشعبي قال هم الذين بايعوا بيعة الرضوان حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عبثر أبو زبيد عن مطرف عن الشعبي قال المهاجرون الاولون من أدرك بيعة الرضوان * وقال آخرون بل هم الذين صلوا القبلتين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن قيس عن عثمان الثقفي عن مولى لابي موسى عن أبي موسى قال المهاجرون الاولون من صلى القبلتين مع النبي صلى الله عليه وسلم حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا قيس بن الربيع عن عثمان بن المغيرة عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن مولى لابي موسى قال سألت أبا موسى الأشعري عن قوله والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار قال هم الذين صلوا القبلتين جميعا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبي هلال عن قتادة قال قلت لسعيد بن المسيب لم سموا المهاجرين الاولين قال من صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم القبلتين جميعا فهو من المهاجرين الاولين حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد عن ابن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال المهاجرون الاولون الذين صلوا القبلتين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب قوله والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار قال هم الذين صلوا القبلتين جميعا حدثنا محمد ابن المثنى قال ثنا عباس بن الوليد قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب مثله حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن بعض أصحابه عن قتادة عن سعيد بن المسيب وعن أشعث عن ابن سيرين في قوله والسابقون الاولون قال هم الذين صلوا القبلتين حدثنا ابن بشار قال ثنا معاذ بن معاذ قال ثنا ابن عون عن محمد قال المهاجرون الاولون الذين صلوا القبلتين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة

في

والعتاب في أمر الغزو والجهاد (على الذين يستأذنونك) في التخلف وهم أغنياء ثم قال على سبيل الاستئناف (رضوا) كأنه قيل ما لهم استأذنوا وهم قادرون على الاستعداد فقيل رضوا بالدناءة والانتظام في جملة الخوالف ومن جملة أسباب الاستئذان أن طبع الله تعالى على قلوبهم قال أهل العلم لما قال في الآية الاولى وإذا أنزلت سورة قال هنالك وطبع ليكون المجهول مبنيا على المجهول بخلافه في هذه الآية ثم ان العلم فوق الفقه فكان أنسب بالمقام الذي جرى فيه ذكر الله أما قوله (قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم) فانه علة المنع من الاعتذار لان غرض المعتذر أن يصير عذره مقبولا فاذا علم بأن القوم يكذبونه وجب عليه تركه وقوله (قد نبأنا الله) علة لانتفاء التصديق (وسيرى الله عملكم) يعني رؤية وقوع أي سيقع أنكم هل تبقون على الحالة التي تظهرونها أم لا وفي قوله (ثم تردون الى عالم الغيب) تخويف شديد وفيه أنه مطلع على بواطنهم الخبيثة وضمائرهم المملوءة من النفاق والكذب وانما لم يقل في هذه الآية والمؤمنون كما في الآية التي تجيء لان هذه في المنافقين ولا يطلع على ما في باطنهم الا الله ثم رسوله باطلاع الله اياه أو بنور نبوته كما قال قد نبأنا الله من أخباركم والآية الاخرى في المؤمنين وعباداتهم ظاهرة للكل وختم آية المنافقين بقوله ثم تردون لانه وعيد فقطعه عن الاول بخلاف آية المؤمنين حيث وصلها بالواو لانه وعد من الله ثم ذكر أن منافقي الاعراب سيؤكدون أعذارهم بالايمان الكاذبة مثل ما حكى تعالى عن منافقي المدينة فقال (سيحلفون بالله لكم) أي لاجلكم (اذا انقلبتم) أي رجعتم (اليهم) ولم يذكر المحلوف عليه والظاهر أنهم حلفوا على أنهم ما قدروا على الخروج ولكن بين غرضهم من الحلف فقال لتعرضوا عنهم أرادوا الصفح والعفو فأمر الله المؤمنين باعطاء طلبتهم ولكن على سبيل المقت لا الصفح ولهذا قال ابن عباس أراد ترك الكلام والسلام وقال مقاتل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وكانوا ثمانين رجلا منهم جد بن قيس ومعتب بن قشير ثم بين علة الاجتناب عنهم فقال (انهم رجس) فكأنهم نجس العين فلا سبيل الى تطهيرهم بالعتاب

والتوبيخ وفى أمثالهم انما يعاتب الاديم ذو البشرة المعاتبة المعاودة وبشرة الاديم ظاهره الذى عليه الشعر أى انما يعاد الى الدباغ من الاديم ما سلمت بشرته يضرب لمن فيه مراجعة ومستعتب واذا لم تكن المعاتبة نافعة فيهم فتركهما هو الصواب (ومأواهم) جهنم منقلبهم النار عتابا وتوبيخا ثم بين أنهم طلبوا اعراض الصفح بقوله (يحلفون لكم لترضوا

عنهم) نهاهم عن الرضا بقوله (فان ترضوا عنهم) الآية ذلك ان ارادة المؤمن يجب ان تكون موافقة لارادة الله وأى فائدة فى رضا المؤمنين اذا كان الله تعالى ساخطا عليهم ثم عدد مثالب الاعراب وارادبهم جماعة من الذين كانوا يوالون منافقى المدينة قال أهل اللغة رجل عربى اذا كان نسبه الى العرب ثابتا ورجل أعرابى اذا كان بدويا سواء كان من العرب أو من مواليهم وجمعه أعراب كالمجوسى والمجوس واليهودى واليهود فالأعرابى اذا قيل له يا عربى فرح واذا قيل للعربى يا أعرابى غضب وذلك ان من استوطن القرى العربية فهو عربى ومن نزل البادية فهو أعرابى ولهذا لا يجوز أن يقال للمهاجرين والانصار أعراب وانما هم عرب قال صلى الله عليه وسلم لا تؤمن امرأة رجلا ولا فاسق مؤمنا ولا أعرابى مهاجرا قيل انما سمى العرب عربا لان أولاد اسمعيل عليه السلام نشؤا بالعربة وهى من تهامة ونسبوا الى بلدهم وكل من يسكن جزيرة العرب وينطق بلسانهم فهو منهم وقيل لان ألسنتهم معربة عما فى ضمائرهم لما فى لسانهم من الفصاحة والبلاغة يحكى عن بعض الحكماء أنه قال حكمة الروم فى أدمغتهم وذلك لانهم يقدرون على التركيبات العجيبة وحكمة الهند فى أوهامهم وحكمة اليونان فى أفئدتهم وذلك لكثرة ما لهم من المباحث العقلية وحكمة العرب فى ألسنتهم وذلك لحلاوة ألفاظهم وعذوبة عباراتهم وانما حكم على الاعراب بأنهم أشد كفرا ونفاقا لانهم يشبهون الوحوش سئل بعض الحكماء ما بال أهل البادية لا يحتاجون الى الطبيب فقال كما لا يحتاج حمر الوحش الى البياطرة ولاستيلاء الهواء الحار عليهم الموجب لكثرة الطيش والخروج عن الاعتدال وان من أصبح وأمسى مشرقا عليه أنوار النبوة ومشرفا باستماع مواعظه وآدابه كيف يكون مساويا لمن نشأ

فى قوله والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار قال هم الذين صلوا القبلتين جميعا وأما الذين اتبعوا المهاجرين الاولين والانصار باحسان فهم الذين أسلموا لله اسلامهم وسلكوا منهاجهم فى الهجرة والنصرة وأعمال الخير كما حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا أبو معشر عن محمد بن كعب قال مر عمر برجل وهو يقرأ هذه الآية والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان قال من أقرأك هذه الآية قال أقرأنيها أبى بن كعب قال لا تفارقنى حتى أذهب بك اليه فأتاه فقال أنت أقرأت هذا هذه الآية قال نعم قال وسمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد كنت أرانا رفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا فقال وتصديق ذلك فى أول الآية التى فى أول الجمعة وأوسط الحشر وآخر الانفال أما أول الجمعة وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وأوسط الحشر والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وأما آخر الانفال والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم حدثنا أبو كريب قال ثنا الحسن بن عطية قال ثنا أبو معشر عن محمد بن كعب القرظى قال مر عمر بن الخطاب برجل يقرأ والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار حتى بلغ ورضوا عنه قال وأخذ عمر بيده فقال من أقرأك هذا قال أبى بن كعب فقال لا تفارقنى حتى اذهب بك اليه فلما جاءه قال عمر أنت أقرأت هذا هذه الآية هكذا قال نعم قال أنت سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال لقد كنت أظن أنا رفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا فقال أبى بلى تصديق هذه الآية فى أول سورة الجمعة وآخرين منهم لما يلحقوا بهم الى وهو العزيز الحكيم وفى سورة الحشر والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وفى الانفال والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم الى آخر الآية وروى عن عمر فى ذلك ما حدثنى به أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن هرون عن حبيب بن الشهيد وعن ابن عامر الانصارى أن عمر بن الخطاب قرأ والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين اتبعوهم باحسان فرفع الانصار ولم يلحق الواو فى الذين فقال له زيد بن ثابت والذين اتبعوهم باحسان فقال عمر الذين اتبعوهم باحسان فقال زيد أمير المؤمنين أعلم فقال عمر ائتونى بأبى بن كعب فأتاه فسأله عن ذلك فقال أبى والذين اتبعوهم باحسان فقال عمر اذا نتابع أبيا والقراءة على خفض الانصار عطفا بهم على المهاجرين وقد ذكر عن الحسن البصرى أنه كان يقرأ الانصار بالرفع عطفا بهم على السابقين والقراءة التى لا أستجيز غيرها الخفض فى الانصار لاجماع الحجة من القراء عليه وأن السابق كان من الفريقين جميعا من المهاجرين والانصار وانما قصد الخبر عن السابق من الفريقين دون الخبر عن الجميع والحاق الواو فى الذين اتبعوهم باحسان لأن ذلك كذلك فى مصاحف المسلمين جميعا على أن التابعين باحسان غير المهاجرين والانصار وأما السابقون فانهم مرفوعون بالعائد من ذكرهم فى قوله رضى الله عنهم ورضوا عنه ومعنى الكلام رضى الله عن جميعهم لما أطاعوه وأجابوا نبيه الى ما دعاهم اليه من أمره ونهيه ورضى عنه السابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان لما أجزل لهم من الثواب على طاعتهم اياه وايمانهم به وبنبيه عليه السلام وأعد لهم جنات تجرى تحتها الانهار يدخلونها خالدين فيها أبدا

لا يموتون فيها ولا يخرجون منها ذلك الفوز العظيم ﴿القول في تأويل قوله﴾ {وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم} يقول تعالى ذكره ومن القوم الذين حول مدينتكم من الاعراب منافقون ومن أهل مدينتكم أيضاً أمثالهم أقوام منافقون وقوله مردوا على النفاق يقول مرنوا عليه ودربوا به ومنه شيطان مارد ومريد وهو الخبيث العاتي ومنه قيل تمرد فلان على ربه أي عتا ومرد على معصيته واعتادها وقال ابن زيد في ذلك ما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومن أهل المدينة مردوا على النفاق قال أقاموا عليه لم يتوبوا كما تاب الآخرون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ومن أهل المدينة مردوا على النفاق أي لجوا فيه وأبوا غيره لا تعلمهم يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لا تعلم يا محمد أنت هؤلاء المنافقين الذين وصفت لك صفتهم ممن حولكم من الاعراب ومن أهل المدينة ولكنا نحن نعلمهم كما حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وممن حولكم من الاعراب منافقون الى قوله نحن نعلمهم قال فما بال أقوام يتكلفون علم الناس فلان في الجنة وفلان في النار فاذا سألت أحدهم عن نفسه قال لا أدري لعمري أنت بنفسك أعلم منك بأعمال الناس ولقد تكلفت شيأ ما تكلفته الانبياء قبلك قال نبي الله نوح عليه السلام وما علمي بما كانوا يعملون وقال نبي الله شعيب عليه السلام بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ وقال الله لنبيه عليه السلام لا تعلمهم نحن نعلمهم وقوله سنعذبهم مرتين يقول سنعذب هؤلاء المنافقين مرتين احداهما في الدنيا والاخرى في القبر ثم اختلف أهل التأويل في التي في الدنيا ماهي فقال بعضهم هي فضيحتهم فضحهم الله بكشف أمورهم وتبيين سرائرهم للناس على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا الحسين بن عمرو العنقزي قال ثنا أبي قال ثنا أسباط عن السدي عن أبي مالك عن ابن عباس في قول الله وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق الى قوله عذاب عظيم قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق فأخرج من المسجد ناساً منهم فضحهم فلقيهم عمر وهم يخرجون من المسجد فاختبأ منهم حياء أنه لم يشهد الجمعة وظن أن الناس قد انصرفوا واختبؤا هم من عمر ظنوا أنه قد علم بأمرهم فجاء عمر فدخل المسجد فاذا الناس لم يصلوا فقال له رجل من المسلمين أبشر يا عمر فقد فضح الله المنافقين اليوم فهذا العذاب الاول حين أخرجهم من المسجد والعذاب الثاني عذاب القبر حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن السدي عن أبي مالك سنعذبهم مرتين قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فيذكر المنافقين فيعذبهم بلسانه قال وعذاب القبر (١) ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد سنعذبهم مرتين قال القتل والسباء حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل

(١) يظهر أن في الكلام سقطاً والأصل وقال آخرون هي الخوف والجوع أو القتل والسباء ذكر الخ تأمل اهـ كتبه مصححه

كما يشاء من غير سياسة سائس ولا تأديب مؤدب وان شئت فقس الفواكه الجبلية بالفواكه البستانية ولهذا قال صلى الله عليه وسلم إن الجفاء والقسوة في الفدادين أي الأكارين لأنهم يفدون أي يصيحون وقوله (وأجدر) أي أولى وأحق (بأن لا يعلموا حدود ما أنزل الله) أي مقادير تكاليفه وأحكامه وما تنتهي اليه (٨) الأدلة العقلية والسمعية (والله عليم) بما في قلوب أهل البدو والحضر وأصحاب الوبر والمدر (حكيم) في كل ما قدر من الشرائع وما يتبعهما من الجزاء ثم نوع جنس الاعراب فقال (ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما) هو مفعول ثان ليتخذ لانه بمعنى الجعل والاعتقاد والزعم أي يعتقد أن الذي ينفقه في سبيل الله غرامة وخسران وقد عرفت أن أصل الغرم اللزوم كأنه اعتقد أنه لزمه لامر من خارج كتقية أو رياء ليس مما ينبعث من النفس والمغرم اما مصدر أو موضع (ويتربص بكم الدوائر) نوب الزمان وتصاريفه ودوله وكأنها لا تستعمل الا في المكروه تشبيهاً بالدائرة التي تحيط بما في ضمنها بحيث لا يوجد منها مخلص ثم خيب الله ظنونهم بالاسلام وذويه بأن دعا عليهم بقوله (عليهم دائرة السوء) وانها جملة معترضة كقوله غلت أيديهم والسوء بالفتح مصدر أضيف اليه الدائرة للملابسة كقولك رجل صدق قال في الكشاف وهو ذم للدائرة لان من دارت عليه ذام لها وبالضم اسم بمعنى البلاء والعذاب والمراد أنهم لا يرون في محمد ودينه الا ما يسوءهم (والله سميع) لأقوالهم (عليم) بنياتهم قيل هم أعراب أسد وغطفان وتميم ثم ختم الكلام بذكر الصالحين منهم فقال (ومن الأعراب من يؤمن) الآية والمعنى أنهم يعتقدون ما ينفقونه سبباً لحصول القربات عند الله وسبباً لصلوات الرسول عليهم لانه كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله اللهم صل على آل أبي أوفى ثم انه تعالى شهد لهم ولأمثالهم بصحة ما اعتقدوه فقال على طريق الاستئناف مؤكداً بحرفي التنبيه والتحقيق (ألا انها قربة لهم) ثم فسر القربة بقوله (سيدخلهم الله في رحمته) والسين لتحقيق الوعد قيل هم عبد الله ذو البجادين ورهطه أخذت أمه بجاداً وهو كساء مخطط فشقته نصفين فردته بأحدهما وأزرته بالثاني

عن ابن أبي نجيح عن مجاهد سنعذبهم مرتين بالجوع وعذاب القبر قال ثم يردون الى عذاب عظيم يوم القيامة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا جعفر بن عون والقاسم ويحيى بن آدم عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله سنعذبهم مرتين قال بالجوع والقتل وقال يحيى بالخوف والقتل حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال بالجوع والقتل حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن السدي عن أبي مالك سنعذبهم مرتين قال بالجوع وعذاب القبر حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد سنعذبهم مرتين قال بالجوع والقتل . وقال آخرون معنى ذلك سنعذبهم عذابا في الدنيا وعذابا في الآخرة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة سنعذبهم مرتين عذاب الدنيا وعذاب القبر ثم يردون الى عذاب عظيم ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم أسر الى حذيفة باثني عشر رجلا من المنافقين فقال ستة منهم تكفيكهم الدبيلة سراج من نار جهنم يأخذ في كتف أحدهم حتى يفضي الى صدره وستة يموتون موتا ذكر لنا أن عمر بن الخطاب رحمه الله كان اذا مات رجل يرى أنه منهم نظر الى حذيفة فان صلى عليه صلى عليه والا تركه وذكر لنا أن عمر قال لحذيفة أنشدك الله أمنهم أنا قال لا والله ولا أومن منها أحدا بعدك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن سنعذبهم مرتين قال عذاب الدنيا وعذاب القبر حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن العلاء قالا ثنا بدل بن المحبر قال ثنا شعبة عن قتادة سنعذبهم مرتين قال عذابا في الدنيا وعذابا في القبر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال عذاب الدنيا وعذاب القبر ثم يردون الى عذاب النار * وقال آخرون كان عذابهم احدى المرتين مصائبهم في أموالهم وأولادهم والمرة الاخرى في جهنم ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد سنعذبهم مرتين قال أما عذاب في الدنيا فالاموال والاولاد وقرأ قول الله فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا بالمصائب فهم هي لهم عذاب وهي للمؤمنين أجر قال وعذاب في الآخرة في النار ثم يردون الى عذاب عظيم قال النار * وقال آخرون بل احدى المرتين الحدود والاخرى عذاب القبر ذكر ذلك عن ابن عباس من وجه غير مرضي * وقال آخرون بل احدى المرتين أخذ الزكاة من أموالهم والاخرى عذاب القبر ذكر ذلك عن سليمن بن أرقم عن الحسن * وقال آخرون بل احدى المرتين عذابهم بما يدخل عليهم من الغيظ في أمر الاسلام ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق سنعذبهم مرتين قال العذاب الذي وعدهم مرتين فيما بلغني عنهم ما هم فيه من أمر الاسلام وما يدخل عليهم من غيظ ذلك على غير حسبة ثم عذابهم في القبر اذا صاروا اليه ثم العذاب العظيم الذي يردون اليه عذاب الآخرة ويخلدون فيه * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب عندي أن يقال ان الله أخبر أنه يعذب هؤلاء الذين مردوا على النفاق مرتين ولم يضع لنا دليلا نتوصل به الى علم صفة ذينك العذابين وجائز أن يكون بعض ما ذكرنا عن القائلين ما أنبئنا عنهم وليس عندنا علم بأي ذلك من بأي على أن في قوله جل ثناؤه ثم يردون الى عذاب عظيم دلالة على أن العذاب في المرتين كلتيهما قبل

وبعثه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان قائده والله أعلم ﴿التأويل﴾ الناس ثلاثة المقصرون المعذرون المعترفون بتقصيرهم والقاعدون الكذابون والناصحون المخلصون في الطلب ولكن فيهم الضعفاء والمرضى والفقراء فلا حرج عليهم في القعود عن طلب الكمال بالظواهر مع اشتغال البواطن في الطلب بقدر الاستعداد ولا على الذين اذا ما أتوك بطريق المتابعة لتحملهم على جناح الهمة النبوية وتوصلهم الى مقامات لم يكونوا بالغيها بجناحي البشرية والروحانية قلت لا أحد ما أحملكم عليه ترفعا ودلالا واستبراء لزناد أشواقهم كما قيل لموسى لن تراني زيادة لشوقه وهم أغنياء لهم الاستعدادات الكاملة فلم يستعملوها في طلب الكمال تكاسلا وميلا الى اللذات العاجلة الأعراب أشد كفرا ان في عالم الانسانية بدوا هو نفسه وحضرا هو قلبه والكفر والنفاق للنفس مقتضى الذات كما أن الايمان للقلب لذاته بالفطرة وقد يصير القلب كافرا بسراية النفس وقد تصير النفس مؤمنة بسراية القلب ولكن النفس تكون أشد كفرا من القلب الكافر كما أن القلب يكون أشد ايمانا من النفس المؤمنة حدود ما أنزل الله على رسوله يعني الواردات النازلة على الروح فان القلب حضر الروح كما أن المدينة حضر الرسول صلى الله عليه وسلم ومن النفوس من يعتقد أن ما يصرف من أوقاته في طلب الكمال ضائع وخسار وينتظر بالقلب اشتغالا وفترة عليهم دائرة السوء باستيلاء القلب عليها وقهرها بما يخالف هواها والله سميع بحسب هذا الدعاء عليم بمن ينبغي أن يسمع في حقه ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم والله سميع عليم ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب

الرحيم وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان أردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون لا تقم فيه أبدا لمسجد

دخولهم النار والأغلب من احدى المرتين انها في القبر وقوله ثم يردون الى عذاب عظيم يقول ثم يرد هؤلاء المنافقون بعد تعذيب الله اياهم مرتين الى عذاب عظيم وذلك عذاب جهنم ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم ﴾ يقول تعالى ذكره ومن أهل المدينة منافقون مردوا على النفاق ومنهم آخرون اعترفوا بذنوبهم يقول أقروا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا يعني جل ثناؤه بالعمل الصالح الذي خلطوه بالعمل السيء اعترافهم بذنوبهم وتوبتهم منها والآخر السيء هو تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج غازيا وتركهم الجهاد مع المسلمين فان قال قائل وكيف قيل خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ وانما الكلام خلطوا عملا صالحا بآخر سيء قيل قد اختلف أهل العربية في ذلك فكان بعض نحويي البصرة يقول قيل ذلك كذلك وجائز في العربية أن يكون بآخر كما تقول استوى الماء والخشبة أي بالخشبة وخلطت الماء واللبن وأنكر آخرون أن يكون نظير قولهم استوى الماء والخشبة واعتل في ذلك أن الفعل في الخلط عامل في الاول والثاني وجائز تقديم كل واحد منهما على صاحبه وأن تقديم الخشبة على الماء غير جائز في قولهم استوى الماء والخشبة وكان ذلك عندهم دليلا على مخالفة ذلك الخلط ﴿ قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك عندي أنه بمعنى قولهم خلطت الماء واللبن بمعنى خلطته باللبن عسى الله أن يتوب عليهم يقول لعل الله أن يتوب عليهم وعسى من الله واجب وانما معناه سيتوب الله عليهم ولكنه في كلام العرب على ما وصفت ان الله غفور رحيم يقول ان الله ذو صفح وعفو لمن تاب عن ذنوبه وساتر له عليها رحيم به أن يعذبه بها وقد اختلف أهل التأويل في المعنى بهذه الآية والسبب الذي من أجله أنزلت فيه فقال بعضهم نزلت في عشرة أنفس كانوا تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك منهم أبو لبابة فربط سبعة منهم أنفسهم الى السواري عند مقدم النبي صلى الله عليه وسلم توبة منهم من ذنبهم ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ قال كانوا عشرة رهط تخلفوا عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فلما حضر رجوع النبي صلى الله عليه وسلم أوثق سبعة منهم أنفسهم بسواري المسجد وكان ممر النبي صلى الله عليه وسلم اذا رجع في المسجد عليهم فلما رآهم قال من هؤلاء الموثقون أنفسهم بالسواري قالوا هذا أبو لبابة وأصحاب له تخلفوا عنك يا رسول الله (١) حتى تطلقهم وتعذرهم فقال النبي عليه السلام وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى يكون الله هو الذي يطلقهم رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين فلما بلغهم ذلك قالوا ونحن بالله لا نطلق أنفسنا حتى يكون الله الذي يطلقنا فأنزل الله تبارك وتعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ عسى الله أن يتوب عليهم وعسى من الله واجب فلما نزلت أرسل اليهم النبي صلى الله عليه وسلم فأطلقهم وعذرهم ﴿ وقال آخرون بل كانوا ستة أحدهم أبو لبابة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر

(١) الذي في الدر أوثقوا أنفسهم وحلفوا أنهم لا يطلقهم أحد حتى الخ

أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم الا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم ﴾ ﴿ القراآت من تحتها بزيادة من ابن كثير والباقون بحذفها وبالنصب على الظرف والانصار بالرفع يعقوب الآخرون بالجر ان صلاتك على التوحيد حمزة وعلي وخلف وعاصم غير أبي بكر وحماد الباقون على الجمع بكسر التاء علامة النصب مرجون بواو ساكنة بعد الجيم أبو جعفر ونافع وحمزة وعلي وخلف وعاصم سوى أبي بكر وحماد الباقون بالهمزة المضمومة بعد الجيم الذين اتخذوا بغير واو أبو جعفر ونافع وابن عامر أسس بنيانه مجهولا في الحرفين ابن عامر ونافع جرف بسكون الراء ابن عامر وحمزة وخلف ويحيى وحماد الباقون بالضم هار بالامالة أبو عمرو وحمزة في رواية ابن سعدان وأبي عمرو وعلي غير ليث وابن حمدون وحمدويه والنجاري عن ورش وابن ذكوان غير ابن مجاهد والنقاش ويحيى وحماد الى أن قرأها يعقوب الباقون الا أن تقطع فعلا ماضيا أو مضارعا بحذف التاء من التفعل ابن عامر ويزيد وحمزة وحفص والمفضل وسهل ورويس تقطع مضارعا مجهولا من التقطع روح الباقون تقطع مضارعا مجهولا من التقطيع ﴿ الوقوف باحسان لا لان قوله رضي الله عنهم خبر والسابقون أبدا ط العظيم ه منافقون ط لمن قدر ومن أهل المدينة قوم مردوا ومن وصل وقف على أهل المدينة تقديره هم مردوا

سيأ

على النفاق ط ومن قدر ومن أهل المدينة قوم احتمل أن يجعل لا تعلمهم صفة للقوم فلم يقف لا تعلمهم ط نحن نعلمهم ط عظيم ٥ ج لاحتمال أن يكون التقدير ومنهم آخرون وأن يكون معطوفا على منافقون أو على قوم المقدر سيئا ط عليهم ط رحيم ٥ وصل عليهم ط لهم ط عليم ٥ الرحيم ٥ والمؤمنون ط تعملون ٥ (١١) يتوب عليهم ط حكيم - من قبل ط الحسنى ط لكاذبون ٥ أبدا ط أن تقوم فيه ط أن يتطهروا ط المطهرين ٥ فى نار جهنم ط الظالمين ٥ قلوبهم ط حكيم ٥ ❊ التفسير لما ذكر الأعراب المخلصين بين أن فوق منازلهم منازل أعلى وأجل وهى منازل السابقين الاولين والتابعين لهم باحسان قال ابن عباس السابقون الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين وشهدوا بدرا وعن الشعبى هم الذين بايعوا بيعة الرضوان بالحديبية ومن الانصار أهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر وأهل بيعة العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم أبو زرارة مصعب بن عمير فعلمهم القرآن والظاهر أن الآية عامة فى كل من سبق فى الهجرة والنصرة قال أهل السنة لا شك أن أبا بكر أسبق فى الهجرة أو هو من السابقين فيها وقد أخبر الله تعالى عنهم بأنه رضى عنهم ولا شك أن الرضا معلل بالسبق الى الهجرة فيدوم بدوامه فدل ذلك على صحة امامته والا استحق اللعن والمقت قال أكثر العلماء كلمة من فى قوله من المهاجرين والانصار للتبعيض وانما استحق السابقون منهم هذا التعظيم لانهم آمنوا وفى عدد المسلمين فى مكة والمدينة قلة وفيهم ضعف فقوى الاسلام بسببهم وكثر عدد المسلمين واقتدى بهم غيرهم وقد قيل من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها وقيل للتبيين ليتناول المدح جميع الصحابة وروى عن حميد بن زياد أنه قال قلت يوما لمحمد بن كعب القرظى ألا تخبرنى عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان بينهم فقال لى ان الله تعالى قد غفر لهم وأوجب لهم الجنة فى كتابه محسنهم ومسيئهم قلت له فى أى موضع أوجب لهم الجنة قال سبحان الله ألا تقرأ قوله تعالى والسابقون

سيأ عسى الله الى قوله ان الله غفور رحيم وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا غزوة تبوك فتخلف أبو لبابة وخمسة معه عن النبى صلى الله عليه وسلم ثم ان أبا لبابة ورجلين معه تفكروا وندموا وأيقنوا بالهلكة وقالوا نكون فى الكن والطمأنينة مع النساء ورسول الله والمؤمنون معه فى الجهاد والله لنوثقن أنفسنا بالسوارى فلا نطلقها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يطلقنا ويعذرنا فانطلق أبو لبابة وأوثق نفسه ورجلان معه بسوارى المسجد وبقى ثلاثة نفر لم يوثقوا أنفسهم فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته وكان طريقه فى المسجد فمر عليهم فقال من هؤلاء الموثقو أنفسهم بالسوارى فقالوا هذا أبو لبابة وأصحاب له تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذى تطلقهم وترضى عنهم وقد اعترفوا بذنوبهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا أطلقهم حتى أومر باطلاقهم ولا أعذرهم حتى يكون الله هو يعذرهم وقد تخلفوا عنى ورغبوا بأنفسهم عن غزو المسلمين وجهادهم فأنزل الله برحمته وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم وعسى من الله واجب فلما نزلت الآية أطلقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذرهم وتجاوز عنهم ❊ وقال آخرون الذين ربطوا أنفسهم بالسوارى كانوا ثمانية ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن زيد بن أسلم وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم قال هم الثمانية الذين ربطوا أنفسهم بالسوارى منهم كردم ومرداس وأبو لبابة حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن يعقوب عن جعفر عن سعيد قال الذين ربطوا أنفسهم بالسوارى هلال وأبو لبابة وكردم ومرداس وأبو قيس ❊ وقال آخرون كانوا سبعة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ عسى الله أن يتوب عليهم ذكر لنا أنهم كانوا سبعة رهط تخلفوا عن غزوة تبوك فأما أربعة فخلطوا عملا صالحا وآخر سيأ جد بن قيس وأبو لبابة وحرام وأوس وكلهم من الانصار وهم الذين قيل فيهم خذ من أموالهم صدقة تطهرهم الآية حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ قال هم نفر ممن تخلف عن تبوك منهم أبو لبابة ومنهم جد بن قيس تيب عليهم قال قتادة وليسوا بثلاثة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة وآخرون اعترفوا بذنوبهم قال هم سبعة منهم أبو لبابة كانوا تخلفوا عن غزوة تبوك وليسوا بالثلاثة حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ نزلت فى أبى لبابة وأصحابه تخلفوا عن نبى الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته وكان قريبا من المدينة ندموا على تخلفهم عن رسول الله وقالوا نكون فى الظلال والاطعمة والنساء ونبى الله فى الجهاد واللأواء والله لنوثقن أنفسنا بالسوارى ثم لا نطلقها حتى يكون نبى الله صلى الله عليه وسلم يطلقنا ويعذرنا وأوثقوا أنفسهم وبقى ثلاثة لم يوثقوا أنفسهم فقدم رسول الله صلى الله

عليه وسلم من غزوته فمر في المسجد وكان طريقه فأبصرهم فسأل عنهم فقيل له أبو لبابة وأصحابه تخلفوا عنك يا نبي الله فصنعوا بأنفسهم ما ترى وعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذي تطلقهم فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم لا أطلقهم حتى أومر باطلاقهم ولا أعذرهم حتى يعذرهم الله قد رغبوا بأنفسهم عن غزوة المسلمين فأنزل الله وآخرون اعترفوا بذنوبهم الى عسى الله أن يتوب عليهم وعسى من الله واجب فأطلقهم نبي الله وعذرهم * وقال آخرون بل عني بهذه الآية أبو لبابة خاصة وذنبه الذي اعترف به فتيب عليه منه ما كان من أمره في بني قريظة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وآخرون اعترفوا بذنوبهم قال نزلت في أبي لبابة قال لبني قريظة ما قال حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وآخرون اعترفوا بذنوبهم قال أبو لبابة اذ قال لقريظة ما قال أشار الى حلقه ان محمدا اذبحكم ان نزلتم على حكم الله حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وآخرون اعترفوا بذنوبهم فذكر نحوه الا أنه قال ان نزلتم على حكمه حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد ربط أبو لبابة نفسه الى سارية فقال لا أحل نفسي حتى يحلني الله ورسوله قال فحله النبي صلى الله عليه وسلم وفيه أنزلت هذه الآية وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا الآية حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربي عن ليث عن مجاهد وآخرون اعترفوا بذنوبهم قال نزلت في أبي لبابة * وقال آخرون بل نزلت في أبي لبابة بسبب تخلفه عن تبوك ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال الزهري كان أبو لبابة ممن تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فربط نفسه بسارية فقال والله لا أحل نفسي منها ولا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله علي فمكث سبعة أيام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه قال ثم تاب الله عليه ثم قيل له قد تيب عليك يا أبا لبابة فقال والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يحلني قال فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فحله بيده ثم قال أبو لبابة يا رسول الله ان من توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من مالي كله صدقة الى الله والى رسوله قال يجزيك يا أبا لبابة الثلث * وقال بعضهم عني بهذه الآية الأعراب ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا قال فقال انهم من الاعراب حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن حجاج بن أبي ذئب قال سمعت أبا عثمان يقول ما في القرآن آية أرجى عندي لهذه الامة من قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم الى والله غفور رحيم * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بالصواب في ذلك قول من قال نزلت هذه الآية في المعترفين بخطأ فعلهم في تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركهم الجهاد معه والخروج لغزو الروم حين شخص الى تبوك وان الذين نزل ذلك فيهم جماعة أحدهم أبو لبابة وانما قلنا ذلك أولى بالصواب في ذلك لان الله جل ثناؤه قال وآخرون اعترفوا بذنوبهم فأخبر عن اعتراف جماعة بذنوبهم ولم

يكن

الاولون الى آخر الآية أوجب لجميعهم الرضوان وشرط على التابعين شرطا لم يشترط عليهم وهو الاتباع بالاحسان وذلك أن يقتدوا بهم في أعمالهم الحسنة لا السيئة أو باحسان في القول وهو أن لا يقولوا فيهم سوأ و يحفظوا ألسنتهم عن الاغتياب والطعن في حقهم قال العلماء معنى رضا الله عنهم قبول طاعاتهم ثم عاد الى شرح أحوال المنافقين فقال (وممن حولكم) هو خبر و (من الاعراب) بيان أو حال و (منافقون) مبتدأ (ومن أهل المدينة) عطف على الخبر أو خبر لمبتدأ آخر بناء على أن التقدير ومن أهل المدينة قوم (مردوا) التركيب يدل على الملابسة والبقاء على هيئة واحدة من ذلك صرح ممرد وغلام أمرد وأرض مرداء لا نبات فيها وتمرد اذا عتا فان من لم يقبل قول غيره ولم يلتفت اليه بقي كما كان على هيئته الاصلية من غير تغير فمعنى مردوا على النفاق تمهروا وتمرنوا وبقوا عليه حذاقا معودين الى حيث لا تعلم أنت نفاقهم مع وفور حدسك وقوة ذكائك ثم قال (سنعذبهم مرتين) قال ابن عباس هما العذاب في الدنيا بالفضيحة والعذاب في القبر روى السدى عن أبي مالك أنه صلى الله عليه وسلم قام خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان انك منافق اخرج يا فلان انك منافق حتى أخرج ناسا وفضحهم وقال مجاهد هما القتل والسبي وعذاب القبر وقال قتادة بالدبيلة وعذاب القبر وقال محمد بن اسحق هو ما يدخل عليهم من غيظ الاسلام والمسلمين ثم عذابهم في القبور وقال الحسن بأخذ الزكاة من أموالهم و بعذاب القبر وقيل أحد العذابين ضرب الملائكة الوجوه والادبار والآخر عند البعث يوكل بهم عنق من نار (ثم يردون الى عذاب عظيم) هو الدرك الاسفل من النار قال الكلبي وممن حولكم جهينة ومزينة وأشجع وأسلم وغفار ومن أهل المدينة عبد الله بن أبي وجد بن قيس ومعتب بن قشير وأبو عامر الراهب وأضرابهم ثم قال (وآخرون) وهو معطوف على منافقون أو مبتدأ و (اعترفوا) صفته وخلطوا خبره وعسى الله جملة مستأنفة وقيل خلطوا حال باضمار قد وعسى الله خبر وللمفسرين خلاف في أنهم قوم من المنافقين تابوا عن نفاقهم

يكن المعترف بذنبه الموثق نفسه بالسارية فى حصار قريظة غير أبى لبابة وحده فاذ كان ذلك وكان الله تبارك وتعالى قد وصف فى قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم بالاعتراف بذنوبهم جماعة علم أن الجماعة الذين وصفهم بذلك السبب غير الواحد فقد تبين بذلك أن هذه الصفة اذ لم تكن الا لجماعة وكان لا جماعة فعلت ذلك فيما نقله أهل السير والاخبار وأجمع عليه أهل التأويل الا جماعة من المتخلفين عن غزوة تبوك صح ما قلنا فى ذلك وقلنا كان منهم أبو لبابة لاجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم والله سميع عليم ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا محمد خذ من أموال هؤلاء الذين اعترفوا بذنوبهم فتابوا منها صدقة تطهرهم من دنس ذنوبهم وتزكيهم بها يقول وتنميهم وترفعهم عن خسيس منازل أهل النفاق بها الى منازل أهل الاخلاص وصل عليهم يقول وادع لهم بالمغفرة لذنوبهم واستغفر لهم منها ان صلاتك سكن لهم يقول ان دعاءك واستغفارك طمأنينة لهم بأن الله قد عفا عنهم وقبل توبتهم والله سميع عليم يقول والله سميع لدعائك اذا دعوت لهم ولغير ذلك من كلام خلقه عليم بما تطلب لهم بدعائك ربك لهم وبغير ذلك من أمور عباده .. وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال جاؤا بأموالهم يعنى أبا لبابة وأصحابه حين أطلقوا فقالوا يا رسول الله هذه أموالنا فتصدق بها عنا واستغفر لنا قال ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيأ فأنزل الله خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها يعنى بالزكاة طاعة الله والاخلاص وصل عليهم يقول استغفر لهم حدثنى محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال لما أطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا لبابة وصاحبيه انطلق أبو لبابة وصاحباه بأموالهم فأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا خذ من أموالنا فتصدق بها عنا وصل علينا يقولون استغفر لنا وطهرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا آخذ منها شيأ حتى أومر فأنزل الله خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم يقول استغفر لهم من ذنوبهم التى كانوا أصابوا فلما نزلت هذه الآية أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم جزأ من أموالهم فتصدق بها عنهم حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن زيد بن أسلم قال لما أطلق النبى صلى الله عليه وسلم أبا لبابة والذين ربطوا أنفسهم بالسوارى قالوا يا رسول الله خذ من أموالنا صدقة تطهرنا بها فأنزل الله خذ من أموالهم صدقة تطهرهم الآية حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن يعقوب عن جعفر عن سعيد بن جبير قال قال الذين ربطوا أنفسهم بالسوارى حين عفا الله عنهم يا نبى الله طهر أموالنا فأنزل الله خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وكان الثلاثة اذا اشتكى أحدهم اشتكى الآخران مثله وكان عمى منهم اثنان فلم يزل الآخر يدعو حتى عمى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال الاربعة جد بن قيس وأبو لبابة وحرام وأوس هم الذين قيل فيهم خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم أى وقار

أو قوم من المسلمين تخلفوا عن غزوة تبوك لا للكفر والنفاق ولكن للكسل ثم ندموا على ما فعلوا عن ابن عباس فى رواية الوالبى نزلت فى قوم كانوا قد تخلفوا ثم ندموا وقالوا انكون فى الكن والظلال مع النساء ورسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى الجهاد روى أنهم كانوا ثلاثة أبو لبابة مروان بن عبد المنذر وأوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وقيل كانوا عشرة فسبعة منهم حين بلغهم ما نزل فى المتخلفين فأيقنوا بالهلاك أوثقوا أنفسهم على سوارى المسجد وقالوا والله لا نطلق أنفسنا حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يطلقنا ويعذرنا فقدم رسول الله فدخل المسجد وصلى ركعتين وكانت هذه عادته كلما قدم من سفر فرآهم موثقين فسأل عنهم فقالوا هؤلاء تخلفوا عنك فعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذى تطلقهم وترضى عنهم فقال رسول الله وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى أومر باطلاقهم فنزلت هذه الآية فأطلقهم وعذرهم فقالوا يا رسول الله هذه أموالنا وانما تخلفنا عنك بسببها فتصدق بها وطهرنا فقال ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيأ فنزل خذ من أموالهم صدقة الآية والاعتراف هو الاقرار بالشئ عن معرفة والمراد أنهم أقروا بذنوبهم وهذه كالمقدمة للتوبة لان الاعتراف بالذنب لا يكون توبة الا اذا اقترن به الندم على الماضى والعزم على تركه فى الحال وفى الاستقبال (خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا) أى خلطوا كل واحد منهما بالآخر كقولك خلطت الماء واللبن وهذا أبلغ من قولك خلطت الماء باللبن لانك جعلت فى الاول كلا منهما مخلوطا ومخلوطا به كأنك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء ويجوز أن يكون الواو بمعنى الباء من قولك بعت شاة ودرهما أى شاة بدرهم وذلك أن الواو للجمع والباء للالصاق فهما متقاربان ويجوز أن يقال الخلط ههنا بمعنى الجمع قال أهل السنة فيه دليل على نفى القول بالمحابطة لانه لو لم يبق العملان لم يتصور اختلاطهما وفى قوله (عسى الله أن يتوب عليهم) دليل على وقوع التوبة التى أخبر بحصول مقدمتها وهى الاعتراف منهم وفيه دليل على قبول توبتهم لان عسى من الكريم اطماع

واجب وفائدته أن يكون المكلف على الطمع والاشفاق فلا يتكل ولا يهمل وفيه أن التوبة بخلق الله وقالت المعتزلة معنى أن يتوب أن يقبل التوبة وورد بأنه عدول عن الظاهر مع أن الدليل العام وهو وجوب انتهاء الكل الى مشيئته وتكوينه يعضد ما قلناه ثم قال سبحانه (خذ من أموالهم صدقة) عن الحسن كانوا يقولون ليس المراد من هذه الآية الصدقة الواجبة وانما هي صدقة كفارة الذنب الذي صدر عنهم وبهذا يحصل النظم بينها وبين ما قبلها كما مر وقال أكثر الفقهاء المراد بها الزكاة ووجه النظم أنهم لما أظهروا التوبة والندامة أمروا باخراج الزكاة الواجبة تصحيحا لدعواهم ومما يدل على ذلك أن الامر ظاهره الوجوب وأيضا التطهير والتزكية يناسب الواجب لا التطوع وفي قوله من أموالهم دلالة على أن القدر المأخوذ بعض تلك الاموال وتعيين ذلك البعض انما عرف من السنة وفي اضافة المال اليهم دليل على أن المال مالهم ولا شركة للفقير فيه فتكون الزكاة متعلقة بذمته حتى لو تلف النصاب بعد الوجوب بقي الحق في ذمة المالك وهو قول الشافعي وقوله (تطهرهم وتزكيهم) التاء فيهما للخطاب أي تطهرهم أيها الآخذ وتزكيهم بواسطة تلك الصدقة وقيل التاء في تطهرهم للتأنيث والضمير للصدقة وفيه نوع انقطاع للمعطوفين قال العلماء المعطوفان متغايران لا محالة فالتزكية مبالغة في التطهير أو هي بمعنى الانماء كأنه تعالى جعل النقصان سببا للانماء والزيادة والبركة أو المراد بالتزكية تعظيم شأنهم والاثناء عليهم قال أبو حنيفة ظاهر الآية يدل على أن الزكاة طهرة للآثام فلا تجب الا حيث يمكن حصول الآثام وذلك لا يعلم الا في حق البالغ العاقل دون الصبي والمجنون وقال الشافعي تجب الزكاة في مالهما لانه لا يلزم من انتفاء سبب معين انتفاء الحكم مطلقا (وصل عليهم) قال ابن عباس معناه ادع لهم فمن هنا قال الشافعي السنة للامام اذا أخذ الصدقة أن يدعو للمتصدق ويقول أجرك الله فيما أعطيت وبارك لك فيما أبقيت وقال آخرون بظاهر اللفظ لما روى عن عبد الله بن أبي أوفى قال كان أبي من أصحاب الشجرة وكان

لهم وكانوا عدوا من أنفسهم أن ينفقوا ويجاهدوا ويتصدقوا حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك قال لما أطلق نبي الله صلى الله عليه وسلم أبا لبابة وأصحابه أتوا نبي الله بأموالهم فقالوا يا نبي الله خذ من أموالنا فتصدق به عنا وطهرنا وصل علينا يقولون استغفر لنا فقال نبي الله لا آخذ من أموالكم شيأ حتى أومر فيها فأنزل الله عز وجل خذ من أموالهم صدقة تطهرهم من ذنوبهم التي أصابوا وصل عليهم يقول استغفر لهم ففعل نبي الله عليه السلام ما أمره الله به حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله خذ من أموالهم صدقة أبو لبابة وأصحابه وصل عليهم يقول استغفر لهم لذنوبهم التي كانوا أصابوا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم قال هؤلاء ناس من المنافقين ممن كان تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك اعترفوا بالنفاق وقالوا يا رسول الله قد ارتبنا ونافقنا وشككنا ولكن توبة جديدة وصدقة نخرجها من أموالنا فقال الله لنبيه عليه الصلاة والسلام خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها بعد ما قال ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره * واختلف أهل العربية في وجه رفع تزكيهم فقال بعض نحويي البصرة رفع تزكيهم بها في الابتداء وان شئت جعلته من صفة الصدقة ثم جئت بها توكيدا وكذلك تطهرهم وقال بعض نحويي الكوفة ان كان قوله تطهرهم للنبي عليه السلام فالاختيار أن تجزم أنه لم يعد على الصدقة عائد وتزكيهم مستأنف وان كانت الصدقة تطهرهم وأنت تزكيهم بها جاز أن تجزم الفعلين وترفعهما * قال أبو جعفر والصواب في ذلك من القول أن قوله تطهرهم من صلة الصدقة لان القراء مجمعة على رفعها وذلك دليل على أنه من صلة الصدقة وأما قوله وتزكيهم بها فخبر مستأنف بمعنى وأنت تزكيهم بها فلذلك رفع * واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ان صلاتك سكن لهم فقال بعضهم رحمة لهم ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس ان صلاتك سكن لهم يقول رحمة لهم * وقال آخرون بل معناه ان صلاتك وقار لهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان صلاتك سكن لهم أي وقار لهم * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته قراء المدينة ان صلواتك سكن لهم بمعنى دعواتك وقرأ قراء العراق وبعض المكيين ان صلاتك سكن لهم بمعنى ان دعاءك وكأن الذين قرؤا ذلك على التوحيد رأوا أن قراءته بالتوحيد أصح لان في التوحيد من معنى الجمع وكثرة العدد ما ليس في قوله ان صلواتك سكن لهم اذ كانت الصلوات هي جمع لما بين الثلاث الى العشر من العدد دون ما هو أكثر من ذلك والذي قالوا من ذلك عندنا كما قالوا وبالتوحيد عندنا القراءة لا لعلة أن ذلك في العدد أكثر من الصلوات ولكن المقصود منه الخبر عن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم وصلاته أنه سكن لهؤلاء القوم لا الخبر عن العدد واذا كان ذلك كذلك كان التوحيد في الصلاة أولى * القول في تأويل قوله (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم) وهذا خبر من الله تعالى ذكره أخبر به المؤمنين به أن قبول توبة من تاب من المنافقين

المنافقين وأخذ الصدقة من أموالهم اذا أعطوها اياه الى نبي الله صلى الله عليه وسلم وأن نبي الله حين أبى أن يطلق من ربط نفسه بالسواري من المتخلفين عن الغزو معه وحين ترك قبول صدقتهم بعد أن أطلق الله عنهم حين أذن له في ذلك انما فعل ذلك من أجل أن ذلك لم يكن اليه صلى الله عليه وسلم وأن ذلك الى الله تعالى ذكره دون محمد وأن محمدا انما يفعل ما يفعل من ترك واطلاق وأخذ صدقة وغير ذلك من أفعاله بأمر الله فقال جل ثناؤه ألم يعلم هؤلاء المتخلفون عن الجهاد مع المؤمنين الموثقو أنفسهم بالسواري القائلون لا نطلق أنفسنا حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقنا السائلو رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ صدقة أموالهم أن ذلك ليس الى محمد وأن ذلك الى الله وأن الله هو الذي يقبل توبة من تاب من عباده أو يردها ويأخذ صدقة من تصدق منهم أو يردها عليه دون محمد فيوجهوا توبتهم وصدقتهم الى الله ويقصدوا بذلك قصد وجهه دون محمد وغيره ويخلصوا التوبة له ويريدوه بصدقتهم ويعلموا أن الله هو التواب الرحيم يقول المرجع بعبيده الى العفو عنهم اذا رجعوا الى طاعته الرحيم بهم اذا هم أنابوا الى رضاه من عقابه وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال الآخرون يعني الذين لم يتوبوا من المتخلفين هؤلاء يعني الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فمالهم فقال الله ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وان الله هو التواب الرحيم حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال أخبرني رجل كان يأتي حمادا ولم يجلس اليه قال شعبة قال العوام بن حوشب هو قتادة أو ابن قتادة رجل من محارب قال سمعت عبد الله بن السائب وكان جاره قال سمعت عبد الله بن مسعود يقول ما من عبد تصدق بصدقة الا وقعت في يد الله فيكون هو الذي يضعها في يد السائل وتلا هذه الآية هو الذي يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن عبد الله بن السائب عن عبد الله بن أبي قتادة المحاربي عن عبد الله بن مسعود قال ما تصدق رجل بصدقة الا وقعت في يد الله قبل أن تقع في يد السائل وهو يضعها في يد السائل ثم قرأ ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن عبد الله بن السائب عن عبد الله بن أبي قتادة عن ابن مسعود بنحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن الأعمش عن عبد الله بن السائب عن عبد الله بن أبي قتادة قال قال عبد الله ان الصدقة تقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل ثم قرأ هذه الآية هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات حدثنا أبو كريب قال ثنا عباد ابن منصور عن القاسم أنه سمع أبا هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها لاحدكم كما يربي أحدكم مهره حتى ان اللقمة لتصير مثل أحد وتصديق ذلك في كتاب الله أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات ويمحق الله الربا ويربي الصدقات حدثنا سليمن بن عمر بن الأقطع الرقي قال ثنا ابن المبارك عن سفيان عن عباد بن منصور عن القاسم عن أبي هريرة ولا أراه الا قد رفعه قال ان الله يقبل الصدقة ثم ذكر نحوه حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن أيوب عن القاسم بن محمد

النبي صلى الله عليه وسلم اذا أتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان فأتاه أبي بصدقته فقال اللهم صل على آل أبي أوفى وأكثر الأئمة الآن على أنه لا تحسن الصلاة لغير النبي على غيره الا تبعا وأطلق بعضهم كالغزالي وامام الحرمين لفظ الكراهة وقالوا السلام أيضا في معنى الصلاة وأما الشيعة فانهم يذكرون الصلاة والسلام في حق آل الرسول أيضا كعلي وأولاده عليه السلام وهم على العموم من القرشيين بنو هاشم والمطلب دون بني أمية وبني نوفل وغيرهم قالوا لانها كانت جائزة في حق من يؤدي الزكاة فكيف يمتنع ذكره أولا يحسن في أهل بيت الرسول ولان الكل أجمعوا على جوازها بالتبعية فما الفرق وأما السلام فلا كلام عليه لانه جائز في حق جمهور المسلمين فكيف لا يجوز في آل الرسول (ان صلاتك سكن لهم) والسكن ما سكن اليه المرء وتطمئن به نفسه وذلك لان دعاءه يستجاب البتة فيتطهرون بها وكيف لا يفيض اشراق نفسه عليهم بتوجهه اليهم والترحم لهم احتج مانعو الزكاة بها في زمان أبي بكر قالوا الوجوب مشروط بحصول السكن والآن لا سكن ورد عليهم بسائر الآيات روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حكم بصحة توبة هؤلاء قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فمالهم فنزلت (ألم يعلموا) يعني غير التائبين وقيل معناه ألم يعلم التائبون قبل أن يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم (أن الله هو يقبل التوبة) الصحيحة ويقبل الصدقات الصادرة عن خلوص النية وفائدة توسط هو أن يعلم أن الالهية هي الموجبة لقبول التوبة لاستغنائه عن طاعة المطيعين ومعصية المذنبين واذا انتقل العبد من حالة المعصية الى حالة الطاعة وجب على كرمه قبول توبته وفيه أيضا أن قبول التوبة ليس الى الرسول وفي قوله (عن عباده) دون من اشارة الى البعد الذي يحصل للعبد عن الله بسبب العصيان أو الى تبعيده نفسه عن الله هضما وانكسارا وفي اضافة أخذ الصدقات الى الله بعد أن أمر الرسول بالاخذ تشريف عظيم لهذه الطاعة وأنها من الله بمكان وانه يربيها كما يربي أحدنا فلوه حتى ان اللقمة تكون عند الله أعظم من أحد وقد جاء هذا المعنى في الحديث

ثم أمر نبيه بأن يقول للتائبين أو لغير التائبين ترغيبا لهم في التوبة (اعملوا) فيه نوع تهديد وتخويف (فسيرى الله عملكم) وقد مر تفسير مثله عن قريب والحاصل أنه كأنه قيل لهم اجتهدوا في العمل فان له في الدنيا حكما وهو أن يراه الله ورسوله والمؤمنون وفي الآخرة حكما وهو الجزاء ووجه آخر كأنه قيل ان كنت من المحققين فاعمل لله وان كنت من الظاهرين فاعمل لتفوز بثناء شهداء الخلق وهم الرسول والمؤمنون فانهم شهداء الله يوم القيامة والشهادة لا تصح الا بعد الرؤية ولا شك أن رؤية الله تعالى شاملة لأفعال القلوب والجوارح جميعا أما رؤية الرسول والمؤمنين فلا تشمل أفعال القلوب الا بارادة الله واطلاعه وافشائه واعلم أنه تعالى قسم المخلفين الى ثلاثة أقسام منهم المنافقون الذين مردوا على النفاق والثاني التائبون المعترفون بذنوبهم والثالث الذين بقوا موقوفا أمرهم وذلك قوله (وآخرون) واعرابه كاعراب قوله وآخرون اعترفوا ومعنى (مرجون) أي مؤخرون من أرجيته وأرجأته اذا أخرته ومنه قوله أرجه وأخاه كما مر وبه سميت المرجئة لأنهم جازمون بغفران ذنب التائب ولكن يؤخرونها الى مشيئة الله ويقولون انهم مرجون لأمر الله وقال الاوزاعي لأنهم يؤخرون العمل عن الايمان وقال ابن عباس نزلت في كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية أمر رسول الله أصحابه أن لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل أبو لبابة وأصحابه من شد أنفسهم على السواري واظهار الجزع والغم فلما علموا أن أحدا لا ينظر اليهم فوضوا أمرهم الى الله وأخلصوا نياتهم فقبلت توبتهم ونزل فيهم وعلى الثلاثة الذين خلفوا كما سيجيء وقال الحسن انهم قوم من المنافقين حذرهم الله بهذه الآيات لم يتوبوا وقوله (اما يعذبهم) التشكيك فيه راجع الى العباد أي ليكن أمرهم على الخوف والرجاء وكان يقول أناس هلكوا ان لم ينزل الله لهم عذرا ويقول آخرون عسى الله ان يغفر لهم قال الجبائي جعل أمرهم دائرا بين التعذيب والتوبة فدل ذلك على انتفاء القسم الثالث وهو العفو من غير التوبة وأجيب بأنه يجوز أن تكون المنفصلة مانعة الجمع فقط ولما ذكر أصناف المنافقين وبين طرائقهم المختلفة قال (والذين

عن أبي هريرة قال ان الله يقبل الصدقة اذا كانت من طيب ويأخذها بيمينه وان الرجل يتصدق بمثل اللقمة فيربيها الله له كما يربي أحدكم فصيله أو مهره فتربو في كف الله أو قال في يد الله حتى تكون مثل الجبل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول والذي نفس محمد بيده لا يتصدق رجل بصدقة فتقع في يد السائل حتى تقع في يد الله حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس وأن الله هو التواب الرحيم يعني ان استقاموا * القول في تأويل قوله {وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون} يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقل يا محمد لهؤلاء الذين اعترفوا لك بذنوبهم من المتخلفين عن الجهاد معك اعملوا لله بما يرضيه من طاعته وأداء فرائضه فسيرى الله عملكم ورسوله يقول فسيرى الله ان عملتم عملكم ويراه رسوله والمؤمنون في الدنيا وستردون يوم القيامة الى من يعلم سرائركم وعلانيتكم فلا يخفى عليه شيء من باطن أموركم وظواهرها فينبئكم بما كنتم تعملون يقول فيخبركم بما كنتم تعملون وما منه خالصا وما منه رياء وما منه طاعة وما منه لله معصية فيجازيكم على ذلك كله جزاءكم المحسن باحسانه والمسيء باساءته حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن رجل عن مجاهد وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون قال هذا وعيد * القول في تأويل قوله {وآخرون مرجون لأمر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم والله عليم حكيم} يقول تعالى ذكره ومن هؤلاء المتخلفين عنكم حين شخصتم لعدوكم أيها المؤمنون آخرون ورفع قوله آخرون عطفا على قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وآخرون مرجون يعني مرجؤن لأمر الله وقضائه يقال منه أرجأته أرجئه ارجاء وهو مرجأ بالهمز وترك الهمز وهما لغتان معناهما واحد وقد قرأت القراء بهما جميعا وقيل عني بهؤلاء الآخرين نفر ممن كان تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فندموا على ما فعلوا ولم يعتذروا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قدمه ولم يوثقوا أنفسهم بالسواري فأرجأ الله أمرهم الى أن صحت توبتهم فتاب عليهم وعفا عنهم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال وكان ثلاثة منهم يعني من المتخلفين عن غزوة تبوك لم يوثقوا أنفسهم بالسواري أرجؤا سنة لا يدرون أيعذبون أو يتاب عليهم فأنزل الله لقد تاب الله على النبي والمهاجرين الى قوله ان الله هو التواب الرحيم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية يعني قوله خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من أموالهم يعني من أموال أبي لبابة وصاحبيه فتصدق بها عنهم وبقي الثلاثة الذين خالفوا أبا لبابة ولم يوثقوا ولم يذكروا بشيء ولم ينزل عذرهم وضاقت عليهم الارض بما رحبت وهم الذين قال الله وآخرون مرجون لأمر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم والله عليم حكيم فجعل الناس يقولون هلكوا اذ لم ينزل لهم عذر وجعل آخرون يقولون عسى الله أن يغفر

لهم فصاروا مرجئين لامر الله حتى نزلت لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة الذين خرجوا معه الى الشام من بعدما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم ثم قال وعلى الثلاثة الذين خلفوا يعني المرجئين لامر الله نزلت عليهم التوبة فعموا بها فقال حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم الى قوله ان الله هو التواب الرحيم حدثنا ابن وكيع قال ثنا سويد بن عمرو عن حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة وآخرون مرجون لامر الله قال هم الثلاثة الذين خلفوا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وآخرون مرجون لامر الله قال هلال بن أمية ومرارة بن الربيع وكعب بن مالك من الاوس والخزرج حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وآخرون مرجون لامر الله هلال ابن أمية ومرارة بن الربيع وكعب بن مالك من الاوس والخزرج * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك مثله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله وآخرون مرجون لامر الله هم الثلاثة الذين خلفوا عن التوبة يريد غير أبي لبابة وأصحابه ولم ينزل الله عذرهم فضاقت عليهم الارض بما رحبت وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فرقتين فرقة تقول هلكوا حين لم ينزل الله فيهم ما أنزل في أبي لبابة وأصحابه وتقول فرقة أخرى عسى الله أن يعفو عنهم وكانوا مرجئين لامر الله ثم أنزل الله رحمته ومغفرته فقال لقد تاب الله على النبي والمهاجرين الآية وأنزل وعلى الثلاثة الذين خلفوا الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وآخرون مرجون لامر الله قال كنا نحدث أنهم الثلاثة الذين خلفوا كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع رهط من الانصار حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وآخرون مرجون لأمر الله قال هم الثلاثة الذين خلفوا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم وهم الثلاثة الذين خلفوا وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم حتى أتتهم توبتهم من الله وأما قوله اما يعذبهم فانه يعني اما أن يحجزهم الله عن التوبة بخذلانه اياهم فيعذبهم بذنوبهم التي ماتوا عليها في الآخرة واما يتوب عليهم يقول واما يوفقهم للتوبة فيتوبوا من ذنوبهم فيغفر لهم والله عليم حكيم يقول والله ذو علم بأمرهم وما هم صائرون اليه من التوبة والمقام على الذنب حكيم في تدبيرهم وتدبير من سواهم من خلقه لا يدخل حكمه خلل ۞ القول في تأويل قوله (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان أردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون) يقول تعالى ذكره والذين ابتنوا مسجدا ضرارا وهم فيما ذكر اثنا عشر نفسا من الانصار ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الزهري

اتخذوا) كأنه قال ومنهم الذين اتخذوا في الكشاف أن محله النصب على الاختصاص أو الرفع على الابتداء وخبره محذوف أي وممن وصفوا هؤلاء الاقوام قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وعامة أهل التفسير كانوا اثنى عشر رجلا بنوا مسجدا يضارون به مسجد قباء وروى ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم فأتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا كذلك واعلم أنه سبحانه حكى أن الباعث لهم على هذا العمل كان أمورا أربعة الاول الضرار وهو المضارة والثاني الكفر بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالاسلام وذلك أنهم أرادوا تقوية أهل النفاق والثالث التفريق بين المؤمنين لانهم أرادوا أن لا يحضروا مسجد قباء فتقل جماعتهم ولا سيما اذا صلى النبي في مسجدهم فيؤدي ذلك الى اختلاف الكلمة وبطلان الالفة والرابع قوله (وارصادا لمن حارب الله ورسوله) وقوله (من قبل) يتعلق بحارب أي من قبل بناء مسجد الضرار وقال في الكشاف انه متعلق باتخذوا والمراد من قبل أن ينافق هؤلاء بالتخلف قال الزجاج الارصاد الانتظار وقال ابن قتيبة الانتظار مع العداوة وقال الاكثرون انه الاعداد والمراد بمن حارب أبو عامر الراهب والد حنظلة الذي غسلته الملائكة وسماه رسول الله الفاسق وكان قد تنصر في الجاهلية وترهب وطلب العلم فلما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم عاداه لانه زالت رياسته وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد لا أجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج هاربا الى الشام وأرسل الى المنافقين أن استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر وآت بجنود ومخرج محمدا وأصحابه من المدينة فبنوا مسجدا وانتظروا أبا عامر ليصلي بهم في ذلك المسجد ثم أخبر الله تعالى عن نفاقهم بقوله (وليحلفن ان أردنا) أي ما أردنا ببناء هذا المسجد (الا) الخصلة (الحسنى) وهي الصلاة وذكر الله والتوسعة على المسلمين قال المفسرون انهم لما بنوا مسجدهم وافق ذلك غزوة تبوك فأتوا رسول الله وقالوا بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة

والليلة الشاتية ونحن نحب ان تصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال صلى الله عليه وسلم اني على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل من الغزوة سألوه اتيان المسجد فنزل (لا تقم فيه أبدا) الآية فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشي قاتل حمزة فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه ففعلوا وأمر أن يتخذ مكانه كناسة تلقى فيه الجيف والقمامة ومات أبو عامر بالشام بقنسرين وقال الحسن همّ رسول الله أن يذهب الى ذلك المسجد فناداه جبرائيل لا تقم فيه ولا ريب أن النهي عن القيام فيه يستلزم النهي عن الصلاة فيه ثم بين علة النهي فقال (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم) أي من ابتداء وجوده (أحق أن تقوم فيه) والمعنى لو كان القيام في غيره جائزا لكان هذا أولى لاشتماله على الخيرات الكثيرة فكيف اذا كان غيره مشتملا على المفاسد الكثيرة من الضرار وغيره قالت الشيعة في هذا المقام ان المسجد اذا كان مبنيا على التقوى من أول يوم كان أولى بالصلاة فيه فالامام أولى بأن يكون متقيا من أول عمره وما ذاك الا عليّ عليه السلام لانه لم يكفر بالله طرفة عين واختلفوا في هذا المسجد فقيل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة عن أبي سعيد الخدري سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذي أسس على التقوى فأخذ الحصباء وضرب بها الارض وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة وقيل هو مسجد قباء أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه أيام مقامه بقباء وهي يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة قال في الكشاف وهذا أولى لان الموازنة بين مسجدي قباء أوقع وقال القاضي كل مسجد بني على التقوى فانه يدخل فيه كما لو قال قائل لرجل صالح أحق أن تجالسه لم يكن ذلك مقصورا على واحد وأيضا كل مسجد بني مباهاة أو رياء وسمعة أو لغرض سوى وجه الله أو بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار ثم ذكر لمسجد التقوى وصفا آخر وذلك قوله (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) فقيل انه التطهر من الذنوب بالتوبة والاستغفار والاخلاص كما

ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم قالوا أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني من تبوك حتى نزل بذي أوان بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يا رسول الله انا قد بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية وانا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه فقال اني على جناح سفر وحال شغل أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو قد قدمنا أتيناكم ان شاء الله فصلينا لكم فيه فلما نزل بذي أوان أتاه خبر المسجد فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم أخا بني سالم بن عوف ومعن بن عدي أو أخاه عاصم بن عدي أخا بني العجلان فقال انطلقا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرقاه فخرجا سريعين حتى أتيا بني سالم بن عوف وهم رهط مالك ابن الدخشم فقال مالك لمعن انظرني حتى أخرج اليك بنار من أهلي فدخل أهله فأخذ سعفا من النخل فأشعل فيه نارا ثم خرجا يشتدان حتى دخلا المسجد وفيه أهله فحرقاه وهدماه وتفرقوا عنه ونزل فيهم من القرآن ما نزل والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا الى آخر القصة وكان الذين بنوه اثني عشر رجلا خذام بن خالد بن عبيد بن زيد أحد بني عمرو بن عوف ومن داره أخرج مسجد الشقاق وثعلبة بن حاطب من بني عبيد وهو الى بني أمية بن زيد ومعتب بن قشير من بني ضبيعة بن زيد وأبو حبيبة بن الأزعر من بني ضبيعة بن زيد وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف من بني عمرو بن عوف وجارية بن عامر وابناه مجمع بن جارية وزيد بن جارية ونبتل بن الحرث وهم من بني ضبيعة وبحدج وهو الى بني ضبيعة وبجاد بن عثمان وهو من بني ضبيعة ووديعة ابن ثابت وهو الى بني أمية رهط أبي لبابة بن عبد المنذر فتأويل الكلام والذين ابتنوا مسجدا ضرارا لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفرا بالله لمحادتهم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ويفرقوا به المؤمنين ليصلي فيه بعضهم دون مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعضهم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيختلفوا بسبب ذلك ويفترقوا وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل يقول واعدادا له لأبي عامر الكافر الذي خالف الله ورسوله وكفر بهما وقاتل رسول الله من قبل يعني من قبل بنائهم ذلك المسجد وذلك أن أبا عامر هو الذي كان حزب الاحزاب يعني حزب الاحزاب لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما خذله الله لحق بالروم يطلب النصر من ملكهم على نبي الله وكتب الى أهل مسجد الضرار يأمرهم ببناء المسجد الذي كانوا بنوه فيما ذكر عنه ليصلي فيه فيما يزعم اذا رجع اليهم ففعلوا ذلك وهذا معنى قول الله جل ثناؤه وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان أردنا الا الحسنى يقول جل ثناؤه وليحلفن بانوه ان أردنا الا الحسنى ببنائناه الا الرفق بالمسلمين والمنفعة والتوسعة على أهل الضعف والعلة ومن عجز عن المسير الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة فيه وتلك هي الفعلة الحسنة والله يشهد انهم لكاذبون في حلفهم ذلك وقيلهم ما بنيناه الا ونحن نريد الحسنى ولكنهم بنوه يريدون ببنائه السوءآى ضرارا لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفرا بالله وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لابي عامر الفاسق * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال

قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وهم أناس من الانصار ابتنوا مسجدا فقال لهم أبو عامر ابنوا مسجدكم واستعدوا بما استطعتم من قوة ومن سلاح فاني ذاهب الى قيصر ملك الروم فآتي بجند من الروم فأخرج محمدا وأصحابه فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبي عليه الصلاة والسلام فقالوا قد فرغنا من بناء مسجدنا فنحب أن تصلي فيه وتدعو لنا بالبركة فأنزل الله فيه لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه الى قوله والله لا يهدي القوم الظالمين **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين قال لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد قباء خرج رجال من الانصار منهم بخدج جد عبد الله بن حنيف ووديعة بن حزام ومجمع بن جارية الانصاري فبنوا مسجد النفاق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبخدج ويلك ما أردت الى ما أرى فقال يا رسول الله والله ما أردت الا الحسنى وهو كاذب فصدقه رسول الله وأراد أن يعذره فأنزل الله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله يعني رجلا منهم يقال له أبو عامر كان محاربا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد انطلق الى هرقل فكانوا يرصدون أبا عامر أن يصلي فيه وكان قد خرج من المدينة محاربا لله ولرسوله وليحلفن ان أردنا الا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل قال أبو عامر الراهب انطلق الى قيصر فقالوا اذا جاء يصلي فيه كانوا يرون أنه سيظهر على محمد صلى الله عليه وسلم **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا قال المنافقون لمن حارب الله ورسوله لأبي عامر الراهب **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله قال ثنا أبو اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين قال نزلت في المنافقين وقوله وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل قال هو أبو عامر الراهب **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا سويد بن عمرو عن حماد بن زيد عن أيوب عن سعيد بن جبير والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا قال هم بنو غنم بن عوف **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن أيوب عن سعيد بن جبير والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا قال هم حي يقال لهم بنو غنم **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب عن سعيد بن جبير في قوله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا قال هم حي يقال لهم بنو غنم قال أخبرنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت وارصادا لمن حارب الله ورسوله أبو عامر الراهب انطلق الى الشأم فقال الذين بنوا مسجد الضرار انما بنيناه ليصلي فيه أبو عامر **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا الآية عمد ناس من أهل النفاق فابتنوا مسجدا بقباء ليضاهوا به مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعثوا الى رسول الله ليصلي فيه ذكر لنا أنه دعا بقميصه ليأتيهم حتى

أن أهل مسجد الضرار وصفوا بأضداد هذه الامور من الضرار والكفر والتفريق ولأن طهارة الباطن أشد تأثيرا من طهارة الظاهر في القرب من الله وقيل انه التطهر بالماء وذلك أنهم كانوا لا ينامون الليل على الجنابة ويتبعون الماء أثر البول وروى أنها لما نزلت مشى رسول الله ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال أمؤمنون أنتم فسكت القوم ثم أعادها فقال عمر يا رسول الله انهم لمؤمنون وأنا معهم فقال عليه السلام أترضون بالقضاء قالوا نعم قال أتصبرون على البلاء قالوا نعم قال أتشكرون في الرخاء قالوا نعم فقال صلى الله عليه وسلم مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد أثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا النبي صلى الله عليه وسلم رجال يحبون أن يتطهروا وقيل يحبون أن يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا بأجمعهم ومحبة التطهر ايثاره والحرص عليه ومحبة الله الرضا عنهم والاحسان اليهم كما يفعل المحب بمحبوبه ثم بين أنه لا نسبة بين الفريقين وأن بينهما بونا بعيدا فقال مستفهما على سبيل التقرير (أفمن أسس بنيانه) وهو مصدر كالعمران وأريد به المبني والمعنى أن من أسس بناء دينه على قاعدة قوية محكمة وهي تقوى الله ورضوانه (خير أم من أسس) دينه على ضد ذلك والشفا هو الشفير أي الشفة والحرف هو ما اذا سال السيل وانحسر الوادي ويبقى على طرف المسيل طين واه مشرف على السقوط ساعة فساعة فذلك الموضع الذي هو بصدد السقوط حرف والهار الهائر وهو أيضا المتصدع الذي أشفى على التهدم والسقوط قال الليث الهار مصدر هار الجرف يهور اذا انصدع من خلفه وهو ثابت بعد في مكانه فاذا سقط فقد انهار وقال في الكشاف انه صفة قصرت عن فاعل كخلف من خالف وألفه ليست بألف فاعل انما هي عينه وأصله هور على فعل ولا ترى أبلغ من هذا الكلام ولا أدل على حقيقة الباطل فلكونه على شفا جرف هار كان مشرفا على السقوط ولكونه على طرف جهنم كان اذا انهار فانما يسقط في قعر جهنم روى أنه حفرت بقعة من مسجد الضرار فرؤى

أطلعه الله على ذلك وأما قوله وارصادا لمن حارب الله ورسوله فانه كان رجلا يقال له أبو عامر فر من المسلمين فلحق بالمشركين (٣) فقتلوه باسلامه قال اذا جاء صلى فيه فأنزل الله لاتقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى الآية حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا هم ناس من المنافقين بنوا مسجدا بقباء يضارون به نبى الله والمسلمين وارصادا لمن حارب الله ورسوله كانوا يقولون اذا رجع أبو عامر من عند قيصر من الروم صلى فيه وكانوا يقولون اذا قدم ظهر على نبى الله صلى الله عليه وسلم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل قال مسجد قباء كانوا يصلون فيه كلهم وكان رجل من رؤساء المنافقين يقال له أبو عامر أبو حنظلة غسيل الملائكة وصيفى وأخيه وكان هؤلاء الثلاثة من خيار المسلمين فخرج أبو عامر هاربا هو وابن ياليل من ثقيف وعلقمة بن علاثة من قيس من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لحقوا بصاحب الروم فأما علقمة وابن ياليل فرجعا فبايعا النبى صلى الله عليه وسلم وأسلما وأما أبو عامر فتنصر وأقام قال وبنى ناس من المنافقين مسجد الضرار لابى عامر قالوا حتى يأتى أبو عامر يصلى فيه وتفريقا بين المؤمنين يفرقون بين جماعتهم لانهم كانوا يصلون جميعا فى مسجد قباء وجاؤا يخدعون النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله ربما جاء السيل يقطع بيننا وبين الوادى ويحول بيننا وبين القوم فنصلى فى مسجدنا فاذا ذهب السيل صلينا معهم قال وبنوه على النفاق قال وانهار مسجدهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وألقى الناس عليه التبن والقمامة فأنزل الله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين لئلا يصلى فى مسجد قباء جميع المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل أبى عامر وليحلفن ان أردنا الا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون عن أبى جعفر عن ليث أن شقيقا لم يدرك الصلاة فى مسجد بنى عامر فقيل له مسجد بنى فلان لم يصلوا بعد فقال لا أحب أن أصلى فيه فانه بنى على ضرار وكل مسجد بنى ضرارا أو رياء أو سمعة فان أصله ينتهى الى المسجد الذى بنى على ضرار ۞ القول فى تأويل قوله (لاتقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لاتقم يا محمد فى المسجد الذى بناه هؤلاء المنافقون ضرارا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله ثم أقسم جل ثناؤه فقال لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم أنت فيه يعنى بقوله أسس على التقوى ابتدئ أساسه وأصله على تقوى الله وطاعته من أول يوم ابتدئ فى بنائه أحق أن تقوم فيه يقول أولى أن تقوم فيه مصليا وقيل معنى قوله من أول يوم مبدأ أول يوم كما تقول العرب لم أره من يوم كذا يعنى مبدؤه ومن أول يوم يراد به من أول الايام كقول القائل لقيت كل رجل يعنى كل الرجال واختلف أهل التأويل فى المسجد الذى عناه بقوله لمسجد أسس على التقوى من أول يوم فقال بعضهم هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى فيه منبره وقبره اليوم

٣) كذا فى الأصل ولعله مصحف والاصل فبنوه باشارته وقالوا اذا الخ تأمل كتبه مصححه

الدخان يخرج منه ثم ذكر أن بنيانهم ذلك سبب لازدياد ريبهم فقال (لايزال بنيانهم الذى بنوا ريبة) فى كونه سببا للريبة (فى قلوبهم) وجوه منها أن هدمه صار سببا لازدياد شكهم فى نبوته ومنها أنهم ظنوا أن تخريبه لاجل الحسد فارتفع أمانهم عنه وصاروا مرتابين فى أنه هل يتركهم على ماهم فيه أو يأمر بقتلهم ونهب أموالهم فلا تزول تلك الريبة (الا أن تقطع قلوبهم) أجزاء متفرقة اما بالموت واما بالسيف واما بالبلاء فحينئذ يضمحل أثرها عنها والمقصود أن هذا الشك يبقى فى قلوبهم أبدا ويموتون على النفاق قال فى الكشاف يجوز أن يكون ذكر التقطيع تصويرا لحال زوال الريبة عنها ويجوز أن يراد حقيقة تقطيعها وماهو كائن منه بقتلهم أو فى القبور أو فى النار وقيل معناه الا أن يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما وأسفا على تفريطهم ۞ التأويل والسابقون الاولون الذين سبقت لهم العناية الازلية أو السابقون الاولون عند الخروج من العدم وهم أهل الصف الاول من الجنود المجندة أو السابقون فى جواب ألست بربكم الاولون فى استماع هذا الخطاب أو السابقون فى استحقاق المحبة عند اختصاصهم بتشريف يحبهم فى الازل الاولون باداء حق المحبة فى سر يحبونه أو السابقون عند تخمير طينة آدم فى مماسة ذراتهم يد القدرة الاولون باستكمال تصرف القدرة فى كمال الاربعين صباحا أو السابقون عند رجوعهم بقدم السلوك الى مقام الوصال الاولون بالوصول الى سرادقات الجلال وهذا السبق مخصوص بالنبى صلى الله عليه وسلم وبأمته كما قال نحن الآخرون السابقون من المهاجرين عن الاوطان البشرية والانصار لهم فى طلب الحق والذين اتبعوهم باحسان بذلوا جهدهم فى متابعتهم بقدر الامكان رضى الله عنهم باعطاء الاستعدادات الكاملة ورضوا عنه بايفاء حقوقها وممن حولكم ذكر من أعراب صفات النفس منافقون ومن أهل مدينة القلب فمن صفات النفس بعضها منافق كالقوة الشهوية للوقاع فانها تتبدل بالعفة عند استيلاء القلب على النفس بسياسة الشريعة وتربية الطريقة ظاهرا لاحقيقة لانها لاتتبدل بالكلية بل تميل الى الشهوة

اذا خليت وطباعها ولهذا قال صلى الله عليه وسلم وان أخوف ما أخاف على أمتي النساء ومنها كافرة كالقوة الشهوية في طلب الغذاء فانها باقية على طلبها مادام البدن باقيا الاحتياجه الى بدل ما يتحلل ومنها مسلمة كالقوة الغضبية والشيطانية من الكبر والحسد والكذب والخيانة فانها يحتمل أن تتبدل باضدادها من التواضع والمحبة والصدق والامانة عند استنارة النفس بنور الايمان

ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن ابراهيم بن طهمان عن عثمان بن عبيد الله قال أرسلني محمد بن أبي هريرة الى ابن عمر أسأله عن المسجد الذي أسس على التقوى أي مسجد هو مسجد المدينة أو مسجد قباء قال لا مسجد المدينة * قال ثنا القاسم بن عمرو العنقزي عن الدراوردي عن عثمان بن عبيد الله عن ابن عمر وزيد بن ثابت وأبي سعيد قالوا المسجد الذي أسس على التقوى مسجد الرسول * قال ثنا أبي عن ربيعة بن عثمان عن عثمان بن عبيد الله بن أبي رافع قال سألت ابن عمر عن المسجد الذي أسس على التقوى قال هو مسجد الرسول * قال ثنا ابن عيينة عن أبي الزناد عن خارجة بن زيد عن زيد قال هو مسجد النبي صلى الله عليه وسلم * قال ثنا أبي عن عبد الرحمن ابن عبد الله بن ذكوان عن أبيه عن خارجة بن زيد عن زيد قال هو مسجد الرسول حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد ثنا حميد الخراط المدني قال سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن قال مر بي عبد الرحمن بن أبي سعيد فقلت كيف سمعت أباك يقول في المسجد الذي أسس على التقوى فقال لي أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه في بيت بعض نسائه فقلت يا رسول الله أي مسجد الذي أسس على التقوى قال فأخذ كفا من حصباء فضرب به الارض ثم قال هو مسجدكم هذا هكذا سمعت أباك يذكره حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أسامة بن زيد عن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه قال المسجد الذي أسس على التقوى هو مسجد النبي الاعظم حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا داود عن سعيد بن المسيب قال ان المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم هو مسجد المدينة الاكبر حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن داود قال قال سعيد بن المسيب فذكر مثله الا أنه قال الاعظم حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن سعيد القطان عن ابن حرملة عن سعيد بن المسيب قال هو مسجد النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن أبي الزناد عن خارجة بن زيد قال أحسبه عن أبيه قال مسجد النبي صلى الله عليه وسلم الذي أسس على التقوى * وقال آخرون بل عني بذلك مسجد قباء ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس لمسجد أسس على التقوى من أول يوم يعني مسجد قباء حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس نحوه حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا فضيل بن مرزوق عن عطية لمسجد أسس على التقوى من أول يوم هو مسجد قباء حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن صالح بن حيان عن ابن بريدة قال مسجد قباء الذي أسس على التقوى بناه نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد المسجد الذي أسس على التقوى مسجد قباء حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري عن عروة بن الزبير الذين بني فيهم المسجد الذي أسس على التقوى بنو عمرو بن عوف * قال أبو جعفر وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال هو مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم لصحة الخبر بذلك عن رسول الله ذكر الرواية بذلك حدثنا أبو كريب وابن وكيع قال أبو كريب ثنا وكيع وقال ابن وكيع ثنا أبي عن ربيعة بن عثمان التيمي عن عمران بن أبي أنس رجل من الانصار عن سهل بن سعد قال اختلف رجلان على عهد

والذكر فهذه الصفات وغيرها من صفات النفس ما لم تتبدل بالكلية أو لم تكن مغلوبة بأنوار صفات القلب ففيها بعض النفاق كما قال صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم أنه مسلم اذا حدث كذب واذا اؤتمن خان واذا وعد أخلف واذا عاهد غدر ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها لا تعلمهم نحن نعلمهم يعني أن هذه الافعال لا يعرفها أرباب العلوم الظاهرة وانما يعرفها أصحاب الكشوف الباطنة سنعذبهم مرتين مرة بأحكام الشريعة ومرة بآداب الطريقة ثم يردون بجذبات اللطف الى عذاب عظيم هو الفطام عن الكونين والفناء في الله أو بجذبات القهر الى اسبال حجب البعد والبقاء في عالم الطبيعة وآخرون يعني القلب وصفاته اعترفوا بذنوب ثبوت صفات النفس والتلوث بها خلطوا عملا صالحا هو صدق التوجه وآخر سيئا هو مطاوعة النفس والهوى في بعض الاوقات عسى الله أن يوفقهم للرجوع الى طريق الحق بالكلية والاعراض عما سواه خذ من أموالهم صدقة تطهرهم بها عن دنس حب الدنيا وتزكيهم بالاخلاق الفاضلة فان حب الدنيا رأس كل خطيئة

و بأخذ الصدقات فيه أن المعطي يجب أن لا ينظر الا الى الله ولا يمن على الفقير أصلا وستردون بأقدام أعمالكم الى الله الذي يعلم ما غاب عنكم من نتائج أعمالكم وما غبتم عنه من التقدير الازلي وما تشاهدون بالعيون والقلوب في عالمي الملك والملكوت وآخرون مرجون أخرت توبتهم ليترددوا بين الخوف والرجاء فيطير بجناحي القبض والبسط الى أن يصلوا الى سرادقات الهيبة والانس والله عليم بتربية

رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد الذى أسس على التقوى فقال أحدهما هو مسجد النبى وقال الآخر هو مسجد قباء فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه فقال هو مسجدى هذا اللفظ لحديث أبى كريب وحديث سفيان نحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو نعيم عن عبد الله ابن عامر الاسلمى عن عمران بن أبى أنس عن سهل بن سعد عن أبى بن كعب أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن المسجد الذى أسس على التقوى فقال مسجدى هذا حدثنى يونس قال أخبرنى ابن وهب قال ثنى الليث عن عمران بن أبى أنس عن ابن أبى سعيد عن أبيه قال تمارى رجلان فى المسجد الذى أسس على التقوى من أول يوم فقال رجل هو مسجد قباء وقال آخر هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله هو مسجدى هذا حدثنى محرز بن نصر الخولانى قال قرئ على شعيب بن الليث عن أبيه عن عمران بن أبى أنس عن سعيد بن أبى سعيد الخدرى قال تمارى رجلان فذكر مثله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى سحل بن محمد بن أبى يحيى قال سمعت عمى أنيس بن أبى يحيى يحدث عن أبيه عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد الذى أسس على التقوى مسجدى هذا وفى كل خير حدثنى المثنى قال ثنى الحمانى قال ثنا عبد العزيز عن أنيس عن أبيه عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنا محمد بن بشار قال ثنا صفوان بن عيسى قال أخبرنا أنيس بن أبى يحيى عن أبيه عن أبى سعيد أن رجلا من بنى خدرة ورجلا من بنى عمرو بن عوف امتريا فى المسجد الذى أسس على التقوى فقال الخدرى هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال العوفى هو مسجد قباء فأتيا النبى صلى الله عليه وسلم وسألاه فقال هو مسجدى هذا وفى كل خير ۞ القول فى تأويل قوله ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين﴾ يقول تعالى ذكره فى حاضرى المسجد الذى أسس على التقوى من أول يوم رجال يحبون ان ينظفوا مقاعدهم بالماء اذا أتوا الغائط والله يحب المتطهرين بالماء وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو داود قال ثنا همام بن يحيى عن قتادة عن شهر بن حوشب قال لما نزل فيه رجال يحبون أن يتطهروا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الطهور الذى أثنى الله عليكم قالوا يارسول الله نغسل أثر الغائط حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال لأهل قباء ان الله قد أحسن عليكم الثناء فى الطهور فما تصنعون قالوا انا نغسل عنا أثر الغائط والبول حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال لما نزلت فيه رجال يحبون أن يتطهروا قال النبى صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار ما هذا الطهور الذى أثنى الله عليكم فيه قالوا انا نستطيب بالماء اذا جئنا من الغائط حدثنى جابر بن الكردى قال ثنا محمد بن سابق قال ثنا مالك بن مغول عن سيار أبى الحكم عن شهر بن حوشب عن محمد بن عبد الله بن سلام قال قام علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألا أخبرونى فان الله قد أثنى عليكم بالطهور خيرا فقالوا يارسول الله انا نجد عندنا مكتوبا فى التوراة الاستنجاء بالماء حدثنا سفيان بن وكيع قال ثنا يحيى بن رافع عن مالك بن مغول قال سمعت سيارا أبا الحكم غير مرة يحدث عن شهر بن حوشب عن محمد

عباده حكيم فيما يفعل من القبول والرد والذين اتخذوا فى عالم الطبيعة مزبلة النفس مسجدا ضرارا الارباب الحقيقة وكفرا بأحوالهم لمن حارب الله هم أهل الاباحة من مدعى الفقر لا تقم يارسول الروح أسس على التقوى هو مسجد القلب جبل على العبودية والطاعة من أول يوم من الميثاق رجال يحبون أن يتطهروا (٢٢) هم الاوصاف الحميدة والملكات المزكاة عن دنس الطبيعة ولوث الحدوث ثم ميز بين أهل السعادة والشقاوة فقال أفمن أسس بنيانه أى جبل على الخير ومافيه رضا الله لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة لانهم جبلوا على الشقاء الا أن تقطع قلوبهم غير واعن طباعهم وذلك محال أولا يزال يسرى من مزبلة النفس وسخ وظلمة الى قلوبهم الا أن تقطع قلوبهم غيروا عن طباعهم وذلك بسكين الرياضة فتزول عنها تلك الملكات

﴿ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لأواه حليم وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ان الله بكل شئ عليم ان الله له ملك السموات والارض يحيى ويميت وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب ابن فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ القراآت

ابن عبد الله بن سلام قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم على أهل قباء قال ان الله قد أثنى عليكم بالطهور خيرا يعني قوله فيه رجال يحبون أن يتطهروا قالوا انا نجده مكتوبا عندنا في التوراة الاستنجاء بالماء حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ثنا يحيى بن رافع قال ثنا مالك بن مغول عن سيار عن شهر ابن حوشب عن محمد بن عبد الله بن سلام قال يحيى ولا أعلمه الا عن أبيه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لأهل قباء ان الله قد أثنى عليكم في الطهور خيرا قالوا انا نجده مكتوبا علينا في التوراة الاستنجاء بالماء وفيه نزلت فيه رجال يحبون أن يتطهروا حدثني عبد الاعلى بن واصل قال ثنا اسمعيل ابن صبيح اليشكري قال ثنا أبو أويس المدني عن شرحبيل بن سعد عن عويم بن ساعدة وكان من أهل بدر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل قباء اني أسمع الله قد أثنى عليكم الثناء في الطهور فما هذا الطهور قالوا يا رسول الله ما نعلم شيأ الا أن جيرانا لنا من اليهود رأيناهم يغسلون أدبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا حدثني محمد بن عمارة قال ثنا محمد بن سعد قال ثنا ابراهيم ابن محمد عن شرحبيل بن سعد قال سمعت خزيمة بن ثابت يقول نزلت هذه الآية فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين قال كانوا يغسلون أدبارهم من الغائط حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن ابن أبي ليلى عن عامر قال كان ناس من أهل قباء يستنجون بالماء فنزلت فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين حدثنا الحسن بن عرفة قال ثنا شبابة بن سوار عن شعبة عن مسلم القري قال قلت لابن عباس أصب على رأسي وهو محرم قال ألم تسمع الله يقول ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص عن داود وابن أبي ليلى عن الشعبي قال لما نزلت فيه رجال يحبون أن يتطهروا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل قباء ما هذا الذي أثنى الله عليكم قالوا ما منا من أحد الا وهو يستنجي من الخلاء حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن عبد الحميد المدني عن ابراهيم بن اسمعيل الانصاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعويم بن ساعدة ما هذا الذي أثنى الله عليكم فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين قال نوشك أن نغسل الأدبار بالماء حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن سعد قال أخبرنا أبو جعفر عن حصين عن موسى بن أبي كثير قال بدء حديث هذه الآية في رجال من الانصار من أهل قباء فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين فسألهم النبي صلى الله عليه وسلم قالوا نستنجي بالماء حدثني المثنى قال ثنا أصبغ بن الفرج قال أخبرني ابن وهب قال أخبرني يونس عن أبي الزناد قال أخبرني عروة بن الزبير عن عويم بن ساعدة من بني عمرو بن عوف ومعن بن عدي من بني العجلان وأبي الدحداح فأما عويم بن ساعدة فهو الذي بلغنا انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الذين قال الله فيهم فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم الرجال منهم عويم بن ساعدة لم يبلغنا أنه سمى منهم رجلا غير عويم حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن هشام بن حسان قال ثنا الحسن قال لما نزلت هذه الآية فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا الذي ذكركم الله به في أمر الطهور فأثنى به عليكم قالوا نغسل أثر الغائط والبول حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن مالك بن مغول قال

فيقتلون مبنيا للمفعول ويقتلون مبنيا للفاعل حمزة وعلي وخلف الآخرون على العكس ويقتلون بالتشديد أبو عون عن قنبل ابراهام وكذلك ما بعده هشام يزيغ بياء الغيبة حمزة وحفص والمفضل الباقون بتاء التأنيث خلفوا بالتخفيف وفتح اللام روى ابن رومي عن عباس الباقون بالتشديد مجهولا ✽ الوقوف الجنة ط ويقتلون ط والقرآن ط بايعتم به ط العظيم ٥ لحدود الله ط المؤمنين ٥ الجحيم ٥ اياه ط منه ط ج حليم ٥ ط ما يتقون ط عليم ٥ والارض ط ويميت ط نصير ٥ تاب عليهم ط رحيم ٥ ط للعطف على النبي خلفوا ط الا اليه ط ليتوبوا ط الرحيم ٥ الصادقين ٥ ✽ التفسير لما شرح فضائح المنافقين وقبائحهم بسبب تخلفهم عن غزوة تبوك وذكر أقسامهم وفرع على كل قسم ما كان لائقا به عاد الى بيان فضيلة الجهاد والترغيب فيه فقال (ان الله اشترى) الآية قال محمد بن كعب القرظي لما بايعت الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وهم سبعون نفسا قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيأ وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم قالوا فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت ان الله اشترى الآية قال مجاهد والحسن ومقاتل ثامنهم فأغلى ثمنهم وقال جعفر الصادق عليه السلام والله ما لأبدانكم ثمن الا الجنة فلا تبيعوها الا بها واعلم أن هذا الاشتراء وقع مجازا عن الجزاء لأن المشتري انما يشتري ما لا يملك والعبد وما يملكه لمولاه ولهذا قال الحسن اشترى أنفسا هو خلقها وأموالا هو رزقها والمراد بأنفسهم النفوس المجاهدة وبأموالهم التي ينفقونها في أسباب الجهاد وعلى أنفسهم وأهليهم وعيالهم على الوجه المشروع وههنا نكتة هي أن قيم الطفل له أن يبيع مال الطفل من نفسه بشرط رعاية الغبطة ففي هذه الآية البائع والمشتري هو الله ففيه تنبيه على أن العبد كالطفل الذي لا يهتدي الى مصالح نفسه وأنه تعالى هو المراعي لمصالحه حتى يوصله الى أنواع الخيرات وأصناف السعادات وبوجه آخر الانسان بالحقيقة عبارة عن الجوهر المجرد

الذى هو من عالم الارواح وهذا البدن وما يحتاج اليه من ضرورات المعاش كالآلات والوسائط لتحصيل الكمالات الموصلة الى الدرجات العاليات فالبائع هو جوهر الروح القدسى والمشترى هو الله وأحد العوضين الجسد البالى والمال الفانى والعوض الآخر الجنة الباقية والسعادات الدائمة فالربح حاصل والخسران زائل ولهذا قال فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وفى قوله (يقاتلون) معنى الامر كقوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم وهو كالتفسير لتلك المبايعة (فيقتلون ويقتلون) أى انهم يقتلون الكفار فلا يرجعون عنهم حتى يصيروا مقتولين ومن قرأ بتقديم المجهول فمعناه أن طائفة منهم اذا صاروا مقتولين لم يصر ذلك رادعا للباقين عن المقاتلة بقدر الامكان ومن العلماء من خصص هذا الوعد بجهاد السيف لظاهر قوله يقاتلون والتحقيق أن كل أنواع الجهاد يدخل فيه لان الجهاد بالحجة والدعوة الى دلائل التوحيد أكمل أثرا من القتال ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لعلى عليه السلام لأن يهدى الله على يدك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس ولان الجهاد بالسيف لا يحسن الا بعد تقديم الجهاد بالحجة ولأن الانسان جوهر شريف فتى أمكن ازالة صفاته الرذيلة مع ابقاء ذاته الشريفة كان أولى من افناء ذاته ألا ترى أن جلد الميتة لما كان منتفعا به من بعض الوجوه حث الشرع على ابقائه فقال هلا أخذتم اهابها فدبغتموه فانتفعتم به قوله (وعدا عليه) قال الزجاج انه منصوب بمعنى قوله بأن لهم الجنة كأنه قيل وعدهم الجنة وعدا فهو مصدر مؤكد وكذا قوله (حقا) أو هو نعت للمصدر مؤكد وما الذى حصل (فى التوراة والانجيل والقرآن) قيل وعد المجاهدين على الاطلاق وقيل ذكر هذا البيع لأمة محمد وقيل الامر بالقتال (ومن أوفى) استفهام بمعنى الانكار أى لا أحد أوفى بما وعد (من الله) لانه الغنى عن كل الحاجات القادر على كل المقدورات وفى الآية أنواع من التوكيدات فأولها قوله ان الله اشترى واذا كان المشترى هو الاله الواجب الذات المتصف بجميع الكمالات المفيض لكل الخيرات فما ظنك به ومنها أنه عبر عن ايصال الثواب بالبيع والشراء

سمعت سيارا أبا الحكم يحدث عن شهر بن حوشب عن محمد بن عبد الله بن سلام قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أو قال قدم علينا رسول الله فقال ان الله قد أثنى عليكم فى الطهور خيرا أفلا تخبرونى قالوا يا رسول الله انا نجد علينا مكتوبا فى التوراة الاستنجاء بالماء قال مالك يعنى قوله فيه رجال يحبون أن يتطهروا حدثنى أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا فضيل بن مرزوق عن عطية قال لما نزلت هذه الآية فيه رجال يحبون أن يتطهروا سألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما طهوركم هذا الذى ذكر الله قالوا يا رسول الله كنا نستنجى بالماء فى الجاهلية فلما جاء الاسلام لم ندعه قال فلا تدعوه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد كان فى مسجد قباء رجال من الانصار يوضئون سفلتهم بالماء يدخلون النخل والماء يجرى فيتوضؤن فأثنى الله بذلك عليهم فقال فيه رجال يحبون أن يتطهروا الآية حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا طلحة بن عمرو عن عطاء قال أحدث قوم الوضوء بالماء من أهل قباء فنزلت فيهم فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين وقيل والله يحب المطهرين وانما هو المتطهرين ولكن أدغمت التاء فى الطاء فجعلت طاء مشددة لقرب مخرج احداهما من الاخرى ❊ القول فى تأويل قوله (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين) اختلفت القراء فى قراءة قوله أفمن أسس بنيانه فقرأ ذلك بعض قراء أهل المدينة أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على وجه ما لم يسم فاعله فى الحرفين كليهما وقرأت ذلك عامة قراء الحجاز والعراق أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على وصف من بناء الفاعل الذى أسس بنيانه وهما قراءتان متفقتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب غير أن قراءته بتوجيه الفعل الى من اذ كان من المؤسس أعجب الى فتأويل الكلام اذا أى هؤلاء الذين بنوا المساجد خير أيها الناس عندكم الذين ابتدؤا بناء مسجدهم على اتقاء الله بطاعتهم فى بنائه وأداء فرائضه ورضا من الله لبنائهم ما بنوه من ذلك وفعلهم ما فعلوه خير أم الذين ابتدؤا بناء مسجدهم على شفا جرف هار يعنى بقوله على شفا جرف على حرف جرف والجرف من الركى ما لم يبن له جول هار يعنى متهور وانما هو هائر ولكنه قلب فأخرت ياؤها فقيل هار كما قيل هو شاك السلاح وشائك وأصله من هار يهور فهو هائر وقيل هو من هار يهار اذا انهدم ومن جعله من هذه اللغة قال هرت يا جرف ومن جعله من هار يهور قال هرت يا جرف وانما هذا مثل يقول تعالى ذكره أى هذين الفريقين خير وأى هذين البناءين أثبت أمن ابتدأ أساس بنائه على طاعة الله وعلم منه بأن بناءه لله طاعة والله به راض أم من ابتدأه بنفاق وضلال وعلى غير بصيرة منه بصواب فعله من خطئه فهو لا يدرى متى يتبين له خطأ فعله وعظيم ذنبه فيهدمه كما يأتى البناء على حرف ركية لا حابس لماء السيول عنها ولغيره من المياه ترى به التراب متناثرا لا تلبثه السيول أن تهدمه وتنثره يقول الله جل ثناؤه فانهار به فى نار جهنم يعنى فانتثر الجرف الهارى ببنائه فى نار جهنم كما حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فانهار به قواعده فى نار جهنم حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فانهار به يقول خر به حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا

سعيد

حتى يكون حقا مؤكدا ومنها أنه قال بأن لهم الجنة بحرف التحقيق و بلام التمليك دون أن يقول بالجنة ومنها قوله وعدا وانه لا يخلف الميعاد ومنها قوله عليه وكلمة على للوجوب ظاهرا ومنها قوله حقا وهو تأكيد التحقيق ومنها قوله في التوراة والانجيل والقرآن وانه يجري مجرى الاشهاد لجميع الكتب الالهية وجميع الانبياء والرسل على هذه المبايعة ومنها قوله

سعيد عن قتادة قوله أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله الى قوله فانهار به في نار جهنم قال والله ما تناهى أن وقع في النار ذكر لنا أنه حفرت بقعة منه فرؤى منها الدخان حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج (١) بنو عمرو بن عوف استأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم في بنيانه فاذن لهم ففرغوا منه يوم الجمعة فصلوا فيه الجمعة و يوم السبت و يوم الاحد قال وانهار يوم الاثنين قال وكان قد استنظرهم ثلاثا السبت والاحد والاثنين فانهار به في نار جهنم مسجد المنافقين انهار فلم يتناه دون أن وقع في النار قال ابن جريج ذكر لنا أن رجالا حفروا فيه فابصروا الدخان يخرج منه حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا عبد العزيز بن المختار عن عبد الله الداناج عن طلق بن حبيب عن جابر قوله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا قال رأيت المسجد الذي بني ضرارا يخرج منه الدخان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا محمد بن مرزوق البصري قال ثنا أبو سلمة قال ثنا عبد العزيز بن المختار عن عبد الله الداناج قال ثنى طلق العنزي عن جابر ابن عبد الله قال رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار حدثني سلام بن سالم الخزاعي قال ثنا خلف بن ياسين الكوفي قال حججت مع أبي في ذلك الزمان يعني زمان بني أمية فمررنا بالمدينة فرأيت مسجد القبلتين يعني مسجد الرسول وفيه قبلة بيت المقدس فلما كان زمان أبي جعفر قالوا يدخل الجاهل فلا يعرف القبلة فهذا البناء الذي يرون جرى على يد عبد الصمد بن علي ورأيت مسجد المنافقين الذي ذكره الله في القرآن وفيه جحر يخرج منه الدخان وهو اليوم مزبلة قوله والله لا يهدي القوم الظالمين يقول والله لا يوفق للرشاد في أفعاله من كان بانيا بناءه في غير حقه وموضعه ومن كان منافقا مخالفا بفعله أمر الله وأمر رسوله القول في تأويل قوله (لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم الا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم) يقول تعالى ذكره لا يزال بنيان هؤلاء الذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا ريبة يقول لا يزال مسجدهم الذي بنوه ريبة في قلوبهم يعني شكا ونفاقا في قلوبهم يحسبون أنهم كانوا في بنائه محسنين الا أن تقطع قلوبهم يعني الا أن تتصدع قلوبهم فيموتوا والله عليم بما عليه هؤلاء المنافقون الذين بنوا مسجد الضرار من شكهم في دينهم وما قصدوا في بنائهم وأرادوه وما اليه صائر أمرهم في الآخرة وفي الحياة ما عاشوا وبغير ذلك من أمرهم وأمر غيرهم حكيم في تدبيره اياهم وتدبير جميع خلقه و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس قوله لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم يعني شكا الا أن تقطع قلوبهم يعني الموت حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ريبة في قلوبهم قال شكا في قلوبهم الا أن تقطع قلوبهم الى أن يموتوا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم الا أن تقطع قلوبهم يقول حتى يموتوا حدثني مطر بن محمد الضبي قال ثنا أبو قتيبة قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد في قوله الا أن تقطع قلوبهم قال الا أن يموتوا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الا أن تقطع قلوبهم قال يموتوا

(١) الذي تقدم له عن غير ابن جريج أن باني مسجد الضرار بنو غنم بن عوف وان باني مسجد قباء بنو عمرو بن عوف فان لم يكن مصحفا أو رواية فهو اشتباه فتأمل وحرر كتبه مصححه

ومن أوفى بعهده من الله وفيه تنبيه على أنه لا يكذب ولا يخلف البتة ومنها قوله فاستبشروا والبشارة الخبر الصدق الاول ومنها قوله (وذلك هو الفوز ثم وصف الفوز بالعظيم) واعلم أن هذه الخاتمة تقع على ثلاثة أوجه أحدها ذلك الفوز بغير هو وانه في ستة مواضع في براءة موضعان وفي النساء والمائدة والصف والتغابن وما في النساء بزيادة واو والآخر وذلك هو الفوز بزيادة هو وذلك في ستة مواضع أخرى في براءة موضعان و يونس والمؤمن والدخان والحديد وما في براءة أحدهما بزيادة الواو وهو خاتمة هذه الآية وكذلك ما في المؤمن وسبب هذا الاختلاف أن الجملة اذا جاءت بعد جملة من غير تراخ بنزول جاءت مربوطة اما بواو العطف واما بكناية تعود من الثانية الى الاولى واما باشارة فيها اليها و ربما جمع بين الشيئين منها والثلاثة للدلالة على المبالغة وقد جمع في هذه الخاتمة بين الثلاثة لغاية التوكيد والمبالغة ولأنه ذكر الكتب الثلاثة فكل رابطة في مقابلة كتاب واحد وكذلك في المؤمن وقع الثلاثة في مقابلة ثلاثة أدعية فاغفر وقهم وأدخلهم قال أبو القاسم البلخي لا بد من حصول الاعواض على الآلام للاطفال والبهائم قياسا على ما أثبته الله تعالى للمكلفين من العوض على ألم القتل وهو الجنة ثم ذكر أن حكم سائر المؤمنين كذلك فقال (التائبون) قال الزجاج انه مبتدأ محذوف الخبر

أي التائبون العابدون من أهل الجنة أيضا وان لم يجاهدوا كقوله وكلا وعد الله الحسنى وقيل التائبون رفع على البدل من الضمير في يقاتلون وقيل مبتدأ خبره العابدون وما بعده أي التائبون من الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال أما تفسير هذه الاوصاف فقد قال ابن عباس والحسن التائبون هم الذين تابوا من الشرك وتبرؤا عن النفاق ومال آخرون

الى التعميم ليشمل المعاصي أيضا اذ لا دليل على التخصيص (والعابدون) قال ابن عباس هم الذين يرون عبادة الله واجبة عليهم وقال الحسن هم الذين عبدوا الله في السراء والضراء والعبادة لا شك أنها عبارة عن نهاية التعظيم وغاية الخضوع وقال قتادة هم قوم أخذوا من أبدانهم في ليلهم ونهارهم و(الحامدون) هم الذين يقومون بحق شكر نعم الله ويجعلون اظهار ذلك عادة لهم وذلك أن الحمد كرمن كان قبل آدم لقول الملائكة ونحن نسبح بحمدك وذكر أهل الدنيا يقولون في كل يوم سبع عشرة مرة الحمد لله رب العالمين وذكر من يكون بعد خراب الدنيا لقوله وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين و(السائحون) قال عامة المفسرين هم الصائمون لقوله سياحة أمتي الصيام ثم قيل هذا صوم الفرض وقيل الذين يديمون الصيام قال الازهري انما قيل للصائم سائح لأن الذي يسيح في الارض متعبدا لازاد معه فيكون ممسكا عن الاكل والشرب كالصائم وقيل أصل السياحة الاستمرار على الذهاب كالماء الذي يسيح والصائم مستمر على فعل الطاعة وترك المنهي عنه من الاكل والشرب والوقاع وقال أهل المعنى الانسان اذا امتنع من الاكل والشرب انفتحت عليه أبواب المعاني والحكم وتجلت له أنوار المعارف والحقائق فيحصل له سياحة في عالم العقول وقيل السائحون طلاب العلم ينتقلون من بلد الى بلد في طلب العلم في مظانه وكانت السياحة في بني اسرائيل قال عكرمة عن وهب ابن منبه لا ريب أن للسياحة أثرا عظيما في تكميل النفس لانه يلقى أنواعا من الضر والبؤس فيصبر عليها وقد ينقطع زاده فيتوكل على الله فيصير ذلك ملكة له وقد ينتفع بالمشاهد والزيارات للاحياء والاموات ويستفيد ممن هو فوقه ويفيد من هو دونه ويكتسب التجارب ومعرفة الاحوال والاخلاق والسير والآثار (الراكعون الساجدون) يعني المصلين قال بعض العلماء انما جعل الركوع والسجود كناية عن الصلاة لان سائر هيئات المصلي موافقة للعادة كالقيام والقعود وانما الفصل بين المصلي وغيره بالركوع والسجود وقيل أول مراتب التواضع القيام وأوسطها الركوع وغايتها السجود

حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الا أن تقطع قلوبهم قال يموتوا حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله * قال ثنا سويد قال ثنا ابن المبارك عن معمر عن قتادة والحسن لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم قال الشك في قلوبهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا اسحق الرازي قال ثنا أبو سنان عن حبيب لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم قال غيظا في قلوبهم * قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الا أن تقطع قلوبهم قال يموتوا * قال ثنا اسحق الرازي عن أبي سنان عن حبيب الا أن تقطع قلوبهم الا أن يموتوا * قال ثنا قبيصة عن سفيان عن السدي ريبة في قلوبهم قال كفر قلت أكفر مجمع بن جارية قال لا ولكنها حزازة حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن السدي لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم قال حزازة في قلوبهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم لا يزال ريبة في قلوبهم راضين بما صنعوا كما حبب العجل في قلوب أصحاب موسى وقرأ وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قال حبه الا أن تقطع قلوبهم قال لا يزال ذلك في قلوبهم حتى يموتوا يعني المنافقين حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا قيس عن السدي عن ابراهيم ريبة في قلوبهم قال شكا قال قلت يا أبا عمران تقول هذا وقد قرأت القرآن قال انما هي حزازة * واختلفت القراء في قراءة قوله الا أن تقطع قلوبهم فقرأ ذلك بعض قراء الحجاز والمدينة والبصرة والكوفة الا أن تقطع قلوبهم بضم التاء من تقطع على أنه لم يسم فاعله وبمعنى الا أن يقطع الله قلوبهم وقرأ ذلك بعض قراء المدينة والكوفة الا أن تقطع قلوبهم بفتح التاء من تقطع على أن الفعل للقلوب بمعنى الا أن تتقطع قلوبهم ثم حذفت احدى التاءين وذكر أن الحسن كان يقرأ الى أن تقطع قلوبهم بمعنى حتى تتقطع قلوبهم وذكر أنها في قراءة عبد الله ولو قطعت قلوبهم وعلى الاعتبار بذلك قرأ من قرأ ذلك الا أن تقطع بضم التاء والقول عندي في ذلك أن الفتح في التاء والضم متقارب المعنى لان القلوب لا تتقطع اذا تقطعت الا بتقطيع الله اياها ولا يقطعها الله الا وهي متقطعة وهما قراءتان معروفتان قد قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب في قراءته وأما قراءة من قرأ ذلك الى أن تقطع فقراءة لمصاحف المسلمين مخالفة ولا أرى القراءة بخلاف ما في مصاحفهم جائزة * القول في تأويل قوله (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) يقول تعالى ذكره ان الله ابتاع من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بالجنة وعدا عليه حقا يقول وعدهم الجنة جل ثناؤه وعدا عليه حقا أن يوفي لهم به في كتبه المنزلة التوراة والانجيل والقرآن اذا هم وفوا بما عاهدوا الله فقاتلوا في سبيله ونصرة دينه أعداءه فقتلوا وقتلوا ومن أوفى بعهده من الله يقول جل ثناؤه ومن أحسن وفاء بما ضمن وشرط من الله فاستبشروا يقول ذلك للمؤمنين فاستبشروا أيها المؤمنون الذين صدقوا الله فيما عاهدوا ببيعكم أنفسكم وأموالكم بالذي بعتموها من ربكم به فان ذلك هو الفوز العظيم كما حدثنا ابن

حميد قال ثنا يعقوب عن حفص بن حميد عن شمر بن عطية قال ما من مسلم الا ولله في عنقه بيعة وفى بها أو مات عليها ثم قرأ ان الله اشترى من المؤمنين الى قوله وذلك هو الفوز العظيم ثم حلاهم فقال التائبون العابدون الى وبشر المؤمنين حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم يعني بالجنة * قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن محمد بن يسار عن قتادة أنه تلا هذه الآية ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة قال ثامنهم الله فأغلى لهم الثمن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني منصور بن هرون عن أبي اسحق الفزاري عن أبي رجاء عن الحسن أنه تلا هذه الآية ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم قال بايعهم فأغلى لهم الثمن حدثنا الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو معشر عن محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا قال عبد الله ابن رواحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيأ وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم قالوا فاذا فعلنا ذلك فماذا لنا قال الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت ان الله اشترى من المؤمنين الآية * قال ثنا عبد العزيز قال ثنا عبيد بن طفيل العبسي قال سمعت الضحاك بن مزاحم وسأله رجل عن قوله ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم الآية قال الرجل ألا أحمل على المشركين فأقاتل حتى أقتل قال ويلك أين الشرط التائبون العابدون ۞ القول في تأويل قوله (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين) يقول تعالى ذكره ان الله اشترى من المؤمنين التائبين العابدين أنفسهم وأموالهم ولكنه رفع اذ كان مبتدأ به بعد تمام أخرى مثلها والعرب تفعل ذلك وقد تقدم بياننا ذلك في قوله صم بكم عمي بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع ومعنى التائبون الراجعون مما كرهه الله وسخطه الى ما يحبه ويرضاه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام بن سلم عن ثعلبة بن سهيل قال قال الحسن في قول الله التائبون قال تابوا الى الله من الذنوب كلها حدثنا سوار بن عبد الله العنبري قال ثني أبي عن أبي الاشهب عن الحسن أنه قرأ التائبون العابدون قال تابوا من الشرك وبرئوا من النفاق حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن أبي الاشهب قال قرأ الحسن التائبون العابدون قال تابوا من الشرك وبرئوا من النفاق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا منصور بن هرون عن أبي اسحق الفزاري عن أبي رجاء عن الحسن قال التائبون من الشرك حدثنا الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا جرير بن حازم قال سمعت الحسن قرأ هذه الآية التائبون العابدون قال الحسن تابوا والله من الشرك وبرئوا من النفاق حدثنا بشر ابن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله التائبون قال تابوا من الشرك ثم لم ينافقوا في الاسلام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج التائبون قال الذين تابوا من الذنوب ثم لم يعودوا فيها وأما قوله العابدون فهم الذين ذلوا خشية لله وتواضعا له فجدوا في خدمته كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة العابدون قوم أخذوا من أبدانهم في ليلهم ونهارهم حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن ثعلبة بن سهيل قال قال الحسن

نخصا بالذكر تنبيها على أن المقصود من الصلاة نهاية الخضوع ثم قال (الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر) ومعناه ما مذكور فيما مر الا أن ههنا بحثا آخر وهو أنه لم أدخل الواو في قوله والناهون والحافظون دون سائر الاوصاف وأجيب بأن النسق يجيء بالواو وبغيرها كقوله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب أو المراد أن الموصوفين بالصفات الستة هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ويكون فيه ترغيب في الجهاد لان رأس المعروف الايمان بالله ورأس المنكر الكفر به والجهاد يوجب حصول الايمان وازالة الكفر أو النهي عن المنكر أصعب أقسام التكاليف لافضائه في الاغلب الى الخصومة وثوران الغضب فأدخل عليه الواو تنبيها على هذه المخالفة والمباينة ولبعض النحويين جواب عام يشمل هذه الآية وما في الكهف في قوله ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم وما في الزمر في قوله في ذكر الجنة وفتحت أبوابها وما في التحريم في قوله ثيبات وأبكارا وذلك أنهم سموا هذه الواوات واو الثمانية قائلين ان السبعة نهاية العدد ولهذا كثر ذكرها في القرآن والاخبار فالثمانية تجري مجرى استئناف كلام فلهذا فصل بالواو وأما قوله (والحافظون لحدود الله) فكالاجمال بعد تفصيل وذلك أن التكاليف اما أن تتعلق بمصالح الدين وهي باب العبادات من الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والاعتاق والنذر ونحوها أو بمصالح الدنيا وهي المعاملات وانها اما لجلب المنافع أو لدفع المضار والمنافع اما أن تكون مقصودة بالاصالة أو بالتبعية فالمقصودة بالاصالة هي المنافع الحاصلة من طرق الحواس الخمس وهي المذوقات ويدخل فيها كتاب الاطعمة والاشربة والصيد والذبائح والضحايا والملموسات ويدخل فيها باب أحكام الوقاع فمنها ما يفيد حله كالنكاح والرضاع وما يتبعهما من المهر والنفقة والسكنى وأحوال القسم والنشوز ومنها ما يوجب ازالته كالطلاق والخلع والايلاء والظهار واللعان ومن أحكام الملموسات البحث عما يحل لبسه واستعماله وعما لا يحل كالاواني الذهبية وغيرها والمبصرات وهو باب ما يحل النظر اليه وما لا يحل والمسموعات وهو باب ما يحل

سماعه وما لا يحل والمشمومات وقد قيل انه ليس للفقهاء فيه مجال و يحتمل ان يقال ان منها جواز استعمال الطيب فى بعض الاوقات ومنعه فى بعضها كحالة الاحرام ومنها ما يكره كا كل البصل والثوم للمصلى بالجماعة فى المسجد والمنافع المقصودة بالتبعية هى الاموال والبحث عنها امامن جهة الاسباب المفيدة للملك

كالارث والهبة والوصية واحياء الموات والالتقاط وأخذ الفىء والغنائم والزكاة وكالبيع بيع العين بالعين أو بيع الدين بالعين وهو السلم أو بالعكس كما اذا اشترى شيأ فى الذمة أو بيع الدين بالدين وهو بيع الكالئ بالكالئ المنهى عنه الا عند تقاص الدينين أو من جهة الاسباب المفيدة للمنفعة كالاجارة والجعالة وعقد المضاربة أو من جهة الاسباب التى توجب لغير المالك التصرف فيه كالوكالة والوديعة أو من جهة الاسباب التى تمنع المالك التصرف فى ملكه كالرهن والاجارة والتفليس وأما دفع المضار والمضرة اما فى النفس وهو كتاب الجراح أو فى الدين وهو كتاب الجهاد وباب الارتداد وأحكام البغاة واما فى النسب وهو باب أحكام الزنا والقذف واللعان واما فى العقل كتاب تحريم الخمر واما فى المال والضرر فيه اما على سبيل الاعلان والجهار وهو الغصب وقطع الطريق أو على سبيل الخفية وهو السرقة وههنا باب آخر وهو أن كل أحد لا يمكنه استيفاء حقوقه من المنافع ودفع المضار بنفسه عن نفسه لضعفه فلهذا السبب أمر الله بنصب الامام لتنفيذ الاحكام وقد يكون للامام نواب وهم الامراء والقضاة وليس قول الغير مقبولا الا بحجة وهى الشهادة والأيمان فحصل من ذلك كتاب آداب القضاء وباب الدعاوى والبينات فهذا ما أمكن من ضبط معاقد تكاليف الله تعالى وأحكامه وحدوده وكلها منوطة بأعمال الجوارح دون أعمال القلوب التى لا يطلع عليها الا الله تعالى ولكن قوله والحافظون لحدود الله يشمل ذلك أيضا بل رعايته أهم من رعاية أحوال الظواهر ثم ختم الآية بشكر بر البشارة وفيه من كمال العناية ما فيه ولما بين من أول السورة الى ههنا وجوب اظهار البراءة من المنافقين الكفرة الاحياء أراد أن يبين وجوب البراءة من أمواتهم أيضا وان كانوا أقارب

شهر

فى قول الله العابدون قال عبدوا الله على أحايينهم كلها فى السراء والضراء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى منصور بن هرون عن أبى اسحق الفزارى عن أبى رجاء عن الحسن العابدون قال العابدون لربهم وأما قوله الحامدون فانهم الذين يحمدون الله على كل ما امتحنهم به من خير وشر كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الحامدون قوم حمدوا الله على كل حال حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن ثعلبة قال قال الحسن الحامدون الذين حمدوا الله على أحايينهم كلها فى السراء والضراء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى منصور بن هرون عن أبى اسحق الفزارى عن أبى رجاء عن الحسن الحامدون قال الحامدون على الاسلام وأما قوله السائحون فانه الصائمون كما حدثنى محمد بن عيسى الدامغانى وابن وكيع قالا ثنا سفيان عن عمرو عن عبيد بن عمير حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عمرو بن الحرث عن عمرو عن عبيد بن عمير قال سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن السائحين فقال هم الصائمون حدثنى محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا حكيم بن حزام قال ثنا سليمن عن أبى صالح عن أبى هريرة قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم السائحون هم الصائمون حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن الاعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال السائحون الصائمون حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله قال السائحون الصائمون * قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان قال ثنى عاصم عن زر عن عبد الله مثله حدثنى محمد بن عمارة الاسدى قال ثنا عبد الله قال أخبرنا شيبان عن أبى اسحق عن أبى عبد الرحمن قال السياحة الصيام حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية قال ثنا اسرائيل عن أشعث عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال السائحون الصائمون حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبيه واسرائيل عن أشعث عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال السائحون الصائمون حدثنا المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا اسرائيل عن أشعث عن سعيد ابن جبير قال السائحون الصائمون حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن أشعث بن أبى الشعثاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله مثله * قال ثنا أبى عن أبيه عن أبى اسحق عن عبد الرحمن قال السائحون هم الصائمون حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس السائحون قال يعنى بالسائحين الصائمين حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال السائحون هم الصائمون حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد السائحون الصائمون * قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال كل ما ذكر الله فى القرآن السياحة هم الصائمون * قال ثنا أبى عن المسعودى عن أبى سنان عن ابن أبى الهذيل عن أبى عمرو العبدى قال السائحون الذين يديمون الصيام من المؤمنين حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن ثعلبة بن سهيل قال قال الحسن السائحون الصائمون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى منصور بن هرون عن أبى اسحق الفزارى عن أبى رجاء عن الحسن قال السائحون الصائمون

شهر رمضان حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد عن جويبر عن الضحاك قال السائحون الصائمون * قال ثنا أبو أسامة عن جويبر عن الضحاك قال كل شئ في القرآن السائحون فانه الصائمون حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك السائحون الصائمون حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله السائحون يعني الصائمين حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير ويعلى وأبو أسامة عن عبد الملك عن عطاء قال السائحون الصائمون حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن عبد الملك عن عطاء مثله * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة قال ثنا عمرو أنه سمع وهب بن منبه يقول كانت السياحة في بني اسرائيل وكان الرجل اذا ساح أربعين سنة رأى ما كان يرى السائحون قبله فساح ولد بغي أربعين سنة فلم ير شيأ فقال أي رب أرأيت ان أساء أبواي وأحسنت أنا قال فأرى ما رأى السائحون قبله * قال ابن عيينة اذا ترك الطعام والشراب والنساء فهو السائح حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة السائحون قوم أخذوا من أبدانهم صوما لله حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا ابراهيم بن يزيد عن الوليد بن عبد الله عن عائشة قالت سياحة هذه الامة الصيام وقوله الراكعون الساجدون يعني المصلين الراكعين في صلاتهم الساجدين فيها كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني منصور بن هرون عن أبي اسحق الفزاري عن أبي رجاء عن الحسن الراكعون الساجدون قال الصلاة المفروضة وأما قوله الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر فانه يعني أنهم يأمرون الناس بالحق في أديانهم واتباع الرشد والهدى والعمل وينهونهم عن المنكر وذلك نهيهم الناس عن كل فعل وقول نهى الله عباده عنه وقد روي عن الحسن في ذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني منصور بن هرون عن أبي اسحق الفزاري عن أبي رجاء عن الحسن الآمرون بالمعروف بلا اله الا الله والناهون عن المنكر عن الشرك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن ثعلبة ابن سهيل قال قال الحسن في قوله الآمرون بالمعروف قال أما انهم لم يأمروا الناس حتى كانوا من أهلها والناهون عن المنكر قال أما انهم لم ينهوا عن المنكر حتى انتهوا عنه حدثني المثنى قال ثني اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع عن أبي العالية قال كل ما ذكر في القرآن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فالامر بالمعروف دعاء من الشرك الى الاسلام والنهي عن المنكر نهي عن عبادة الاوثان والشياطين وقد دللنا فيما مضى قبل على صحة ما قلنا من أن الأمر بالمعروف هو كل ما أمر الله به عباده أو رسوله صلى الله عليه وسلم والنهي عن المنكر هو كل ما نهى الله عنه عباده أو رسوله واذ كان ذلك كذلك ولم يكن في الآية دلالة على أنها عني بها خصوص دون عموم ولا خبر عن الرسول ولا في فطرة عقل فالعموم بها أولى لما قد بينا في غير موضع من كتبنا وأما قوله والحافظون لحدود الله فانه يعني المؤدون فرائض الله المنتهون الى أمره ونهيه الذين لا يضيعون شيأ ألزمهم العمل به ولا يركبون شيأ نهاهم عن ارتكابه كالذي حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس والحافظون لحدود الله يعني القائمين على طاعة الله وهو شرط اشترطه على أهل الجهاد اذا وفوا لله بشرطه وفى لهم شرطهم حدثني محمد بن سعد قال

فقال (ما كان للنبي) ومعناه النهي أي ما صح له وما استقام وما ينبغي له ذلك ثم علل المنع بقوله (من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) لأنهم ماتوا على الشرك وقد قال تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به فطلب غفرانهم جار مجرى طلب اخلاف وعد الله ووعيده وفيه حط لمرتبة النبي حيث يدعو بما لا يستجاب له وهذه العلة لا تختلف بأن يكونوا من الاباعد أو من الاقارب فلهذا بالغ فيه بقوله (ولو كانوا أولي قربى) وروى الواحدي باسناده عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال لما حضر أبا طالب الوفاة دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله ابن أبي أمية فقال أي عم قل لا اله الا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال أبو جهل وابن أبي أمية يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شئ كلمهم به أنا على ملة عبد المطلب فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأستغفرن لك ما لم أنه عنه فاستغفر له بعد ما مات فقال المسلمون ما يمنعنا أن نستغفر لآبائنا ولذوي قرابانا قد استغفر ابراهيم لأبيه وهذا محمد يستغفر لعمه فاستغفروا للمشركين فنزلت ما كان للنبي الآيتان وقيل عن ابن عباس لما افتتح صلى الله عليه وسلم مكة سأل أي أبويه أحدث به صلى الله عليه وسلم عهدا أي آخرهما موتا فقيل أمك آمنة فزار صلى الله عليه وسلم قبرها ثم قام باكيا فقال اني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي فيه ونزل علي ما كان للنبي الآية فقال بعضهم كصاحب الكشاف والحسين بن أبي الفضل هذا أصح لأن هذه السورة من آخر القرآن نزولا وكانت وفاة أبي طالب بمكة في أول الاسلام ويمكن أن يوجه الاول بأنه صلى الله عليه وسلم لعله بقي مستغفرا الى حين نزول الآية ثم اعتذر عن استغفار ابراهيم لابيه بانه صدر عن موعدة وعدها اياه وذلك أن أباه كان وعد ابراهيم أن يؤمن فكان يستغفر له بناء على ذلك الوعد فلما تبين لابراهيم أنه عدو لله اما باصراره على الكفر أو بموته على ذلك أو بطريق الوحي (تبرأ منه) وترك الاستغفار ويجوز أن يكون الواعد ابراهيم عليه السلام ويوافقه قراءة الحسن وعدها أباه بالباء الموحدة وذلك في قوله لأستغفرن لك وعده أن يستغفر له رجاء اسلامه وقيل المراد

من استغفار ابراهيم لابيه دعاؤه له الى الاسلام الموجب للغفران وكان يتضرع الى الله تعالى أن يرزقه الايمان وقيل المقصود النهي عن صلاة الجنازة فكان قوله ولا تصل على أحد منهم في حق المنافقين خاصة وهذه في حق الكافرين عامة ثم ختم الآية بقوله (ان ابراهيم لاواه حليم) قال أهل اللغة أواه فعال

مأخوذ من حروف أوه كلمة يقولها المتوجع وذلك أن الروح القلبي يختنق عند الحزن في داخل القلب ويشتد حرارته فاذا تكلم صاحبه بها خرج ذلك النفس المختنق فخفف بعض مابه وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الاواه الخاشع المتضرع والحلم ضد السفه وصفه تعالى بشدة الرأفة والشفقة والخوف والوجل فبين أن ابراهيم مع هذه العادة تبرأ من أبيه حين انقطع رجاؤه منه فأنتم بهذا المعنى أولى ثم ان المسلمين خافوا أن يؤاخذوا بما سلف منهم من الاستغفار للمشركين فأنزل الله (وما كان الله ليضل قوما) أي عن طريق الجنة أو يحكم عليهم بالضلال أو يخذلهم أو يوقع الضلالة في قلوبهم حين يكون منهم الامر الذي يستحق به العقاب (بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون) ما يجب عليهم أن يحترزوا عنه والحاصل ان الله لا يسمي قوما ضلالا بعد اذ سماهم مهديين مالم يقدموا على شئ مبين خطره وأما قبل العلم والبيان فلا يؤاخذهم كما لم يؤاخذ بشرب الخمر والربا قبل تحريمهما وفي الآية تشديد عظيم حيث جعل المهدي للاسلام اذا أقدم على بعض المحظورات داخلا في حكم الضلال ثم قال (ان الله بكل شئ عليم ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت) والمراد ان من كان عالما قادرا هكذا لم يحتج الى أن يفعل العقاب قبل البيان وازاحة العذر قالت المعتزلة وفيه دليل على أنه يقبح من الله الابتداء بالعقاب وأجيب بأن له ذلك بحكم المالكية غاية حتى ما في الباب أنه لا يعاقب الا بعد ازاحة العذر عادة وفي قوله ان الله له ملك السموات والارض فائدة أخرى هي أنه لما أمر بالبراءة من الكفار بين غاية قدرته ونهاية نصرته لمن أراد استظهار المسلمين كيلا تضعف قلوبهم بالانقطاع عن الاقارب والانصار كأنه قال وجب عليكم أن

ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس والحافظون لحدود الله قال القائمون على طاعة الله حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن ثعلبة بن سهيل قال قال الحسن في قوله والحافظون لحدود الله قال القائمون على أمر الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني منصور بن هرون عن أبي اسحق الفزاري عن أبي رجاء عن الحسن والحافظون لحدود الله قال لفرائض الله وأما قوله وبشر المؤمنين فانه يعني وبشر المصدقين بما وعدهم الله اذا هم وفوا الله بعهده أنه موف لهم بما وعدهم من ادخالهم الجنة كما حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة ابن خليفة قال ثنا عوف عن الحسن ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم حتى ختم الآية قال الذين وفوا ببيعتهم التائبون العابدون الحامدون حتى ختم الآية فقال هذا عملهم وسيرهم في الرخاء ثم لقوا العدو فصدقوا ما عاهدوا الله عليه * وقال بعضهم معنى ذلك وبشر من فعل هذه الافعال يعني قوله التائبون العابدون الى آخر الآية وان لم يغزوا ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني منصور بن هرون عن أبي اسحق الفزاري عن أبي رجاء عن الحسن وبشر المؤمنين قال الذين لم يغزوا ﴿ القول في تأويل قوله (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لأواه حليم) يقول تعالى ذكره ما كان ينبغي للنبي محمد صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا به أن يستغفروا يقول أن يدعوا بالمغفرة للمشركين ولو كان المشركون الذين يستغفرون لهم أولي قربى ذوي قرابة لهم من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم يقول من بعد ما ماتوا على شركهم بالله وعبادة الاوثان وتبين لهم أنهم من أهل النار لان الله قد قضى أن لا يغفر لمشرك فلا ينبغي لهم أن يسألوا ربهم أن يفعل ما قد علموا أنه لا يفعله فان قالوا فان ابراهيم قد استغفر لابيه وهو مشرك فلم يكن استغفار ابراهيم لابيه الا لموعدة وعدها اياه فلما تبين له وعلم أنه لله عدو خلاه وتركه وترك الاستغفار له وآثر الله وأمره عليه فتبرأ منه حين تبين له أمره واختلف أهل التأويل في السبب الذي نزلت هذه الآية فيه فقال بعضهم نزلت في شأن أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يستغفر له بعد موته فنهاه الله عن ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله ابن أبي أمية فقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال له أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأستغفرن لك ما لم أنه عنك فنزلت ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ونزلت انك لا تهدي من أحببت حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال ثنا عمي عبد الله بن وهب قال ثني يونس عن الزهري قال أخبرني سعيد بن المسيب عن أبيه قال لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عم قل لا اله الا الله كلمة أشهد لك بها عند الله قال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة

حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك فأنزل الله ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين وأنزل الله في أبي طالب فقال لرسول الله انك لا تهدي من أحببت الآية حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين قال يقول المؤمنون ألا نستغفر لآبائنا وقد استغفر ابراهيم لابيه كافرا فأنزل الله وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه الآية حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن عمرو بن دينار أن النبي صلى الله عليه وسلم قال استغفر ابراهيم لأبيه وهو مشرك فلا أزال أستغفر لأبي طالب حتى ينهاني عنه ربي فقال أصحابه لنستغفرن لآبائنا كما استغفر النبي صلى الله عليه وسلم لعمه فأنزل الله ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الى قوله تبرأ منه حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن سفيان ابن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب قال لما حضر أبا طالب الوفاة أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل بن هشام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أي عم انك أعظم الناس علي حقا وأحسنهم عندي يدا ولأنت أعظم علي حقا من والدي فقل كلمة تجب لي بها الشفاعة يوم القيامة قل لا اله الا الله ثم ذكر نحو حديث ابن عبد الاعلى عن محمد بن ثور * وقال آخرون بل نزلت في سبب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أنه أراد أن يستغفر لها فمنع من ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا فضيل عن عطية قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وقف على قبر أمه حتى سخنت عليه الشمس رجاء أن يؤذن له فيستغفر لها حتى نزلت ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى الى قوله تبرأ منه * قال ثنا أبو أحمد قال ثنا قيس عن علقمة بن مرثد عن سليمن بن بريدة عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى رسما قال وأكثر ظني أنه قال قبرا فجلس اليه فجعل يخاطب ثم قام مستعبرا فقلت يا رسول الله انا رأينا ما صنعت قال اني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي فما رؤي باكيا أكثر من يومئذ حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ما كان للنبي والذين آمنوا الى أنهم أصحاب الجحيم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يستغفر لأمه فنهاه الله عن ذلك فقال وان ابراهيم خليل الله قد استغفر لأبيه فأنزل الله وما كان استغفار ابراهيم الى لأواه حليم * وقال آخرون بل نزلت من أجل أن قوما من أهل الايمان كانوا يستغفرون لموتاهم من المشركين فنهوا عن ذلك ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثني عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية فكانوا يستغفرون لهم حتى نزلت هذه الآية فلما نزلت أمسكوا عن الاستغفار لأمواتهم ولم ينههم أن يستغفروا للاحياء حتى يموتوا ثم أنزل الله وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية ذكر لنا أن رجالا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

تفيؤا الى حكمي وتكاليفي لاني الهكم وأنتم عبيدي ثم عاد الى بقية أحكام الكفار فقال (لقد تاب الله على النبي) الآية ولنبين تفسير الآيتين على أسئلة مع جواباتها فالسؤال الاول أن قبول التوبة يدل على سبق الذنب والنبي معصوم والمهاجرون والانصار الذين اتبعوه تحملوا أعباء ذلك السفر الطويل فكان اللائق بحالهم أن يثني عليهم والجواب انه ما من مؤمن الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار لأنه لا ينفك عن هفوة اما من باب الكبائر واما من باب الصغائر واما من باب ترك الاولى والافضل كما أشير الى ذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم بقوله عفا الله عنك لم أذنت لهم ولعله قد وقع في قلوب المؤمنين نوع نفرة من تلك السفرة لما عاينوا المتاعب ولا أقل من الوساوس والهواجس فأخبر الله سبحانه أن تلك الشدائد صارت مكفرة لجميع الزلات التي صدرت عنهم في ذلك السفر الطويل بل في مدة عمرهم وصارت قائمة مقام التوبة المقرونة بالاخلاص ويجوز أن يكون ذكر الرسول لاجل تعظيم شأن المهاجرين والانصار لا لانه صدر عنه ذنب السؤال الثاني ما المراد بساعة العسرة فالجواب قد تستعمل الساعة في معنى الزمان المطلق والعسرة تعذر الامر وصعوبته والمراد الزمان الذي صعب عليهم الامر جدا في ذلك السفر كانوا في عسرة من الظهر تعتقب العشرة على بعير واحد وفي عسرة من الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة المنتنة وقد بلغت بهم الشدة الى ان اقتسم التمرة اثنان ثم الى ان مصها جماعة ليشربوا عليها الماء وفي عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فرثها وفي شدة زمان من حرارة القيظ كما قال المنافقون لا تنفروا في الحر وقال أبو مسلم يجوز أن يراد بساعة العسرة جميع الاحوال والاوقات العسرة التي مرت عليهم في غزواتهم كما ذكر الله تعالى في غزوة الخندق وإذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر الثالث ما معنى كاد يزيغ وكيف اعرابه والجواب هما استعمالان كاد زيد يخرج وكاد يخرج زيد ومعنى الاول كاد زيد يدخل خارجا أي قارب الخروج ومعنى الثاني كاد الشأن يكون كذا يعني قارب الشأن هذا الخبر وشبهه

قالوا يا نبي الله ان من آبائنا من كان يحسن الجوار ويصل الأرحام ويفك العاني ويوفي بالذمم أفلا نستغفر لهم قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم بلى والله لأستغفرن لابي كما استغفر ابراهيم لأبيه قال فأنزل الله ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين حتى بلغ الجحيم ثم عذر الله ابراهيم فقال وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه قال وذكر لنا أن نبي الله قال أوحي الى كلمات فدخلن في أذني ووقرن في قلبي أمرت أن لا أستغفر لمن مات مشركا ومن أعطى فضل ماله فهو خير له ومن أمسك فهو شر له ولا يلوم الله على كفاف * واختلف أهل العربية في معنى قوله ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين فقال بعض نحويي البصرة معنى ذلك ما كان لهم الاستغفار وكذلك معنى قوله وما كان لنفس أن تؤمن وما كان لنفس الايمان الا باذن الله وقال بعض نحويي الكوفة معناه ما كان ينبغي لهم أن يستغفروا لهم قال وكذلك اذا جاءت أن مع كان فكلها بتأويل ينبغي ما كان لنبي أن يغل ما كان ينبغي له ليس هذا من أخلاقه قال فلذلك دخلت أن لتدل على الاستقبال لأن ينبغي تطلب الاستقبال وأما قوله وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فان أهل العلم اختلفوا في السبب الذي أنزل فيه فقال بعضهم أنزل من أجل أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يستغفرون لموتاهم المشركين ظنا منهم أن ابراهيم خليل الرحمن قد فعل ذلك حين أنزل الله قوله خبرا عن ابراهيم قال سلام عليك سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا وقد ذكرنا الرواية عن بعض من حضرنا ذكره وسنذكر عمن لم نذكره حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن أبي الخليل عن علي قال سمعت رجلا يستغفر لوالديه وهما مشركان فقلت أيستغفر الرجل لوالديه وهما مشركان فقال أولم يستغفر ابراهيم لابيه قال فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فأنزل الله وما كان استغفار ابراهيم الى تبرأ منه حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن أبي اسحق عن أبي الخليل عن علي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستغفر لابويه وهما مشركان حتى نزلت وما كان استغفار ابراهيم لابيه الى قوله تبرأ منه وقيل وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة ومعناه الا من بعد موعدة كما يقال ما كان هذا الامر الا عن سبب كذا بمعنى من بعد ذلك السبب أو من أجله فكذلك قوله الا عن موعدة من أجل موعدة وبعدها وقد تأول قوم قول الله ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى الآية أن النهي من الله عن الاستغفار للمشركين بعد مماتهم لقوله من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم وقالوا ذلك لا يتبينه أحد الا بأن يموت على كفره وأما وهو حي فلا سبيل الى علم ذلك فللمؤمنين أن يستغفروا لهم ذكر من قال ذلك حدثنا سليمن بن عمر الرقي ثنا عبد الله بن المبارك عن سفيان الثوري عن الشيباني عن سعيد بن جبير قال مات رجل يهودي وله ابن مسلم فلم يخرج معه فذكر ذلك لابن عباس فقال كان ينبغي له أن يمشي معه ويدفنه ويدعو له بالصلاح ما دام حيا فاذا مات وكله الى شأنه ثم قال وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه لم يدع حدثنا ابن وكيع قال ثنا فضيل عن ضرار بن مرة عن سعيد بن جبير قال مات رجل نصراني فوكله ابنه الى أهل دينه فأتيت ابن عباس فذكرت ذلك

سيبويه بقولهم ليس خلق الله مثله أي ليس الشأن ذاك ولكن ضده والزيغ الميل عن الجادة قيل قارب بعضهم ان يميل عن الايمان وقيل هم بعضهم عند تلك الشدة بالمفارقة ثم حبسوا أنفسهم وصبروا واحتسبوا وندموا وقيل ما كان الا حديث نفس بلا عزيمة ومع ذلك خافوا أن يكون معصية الرابع ذكر التوبة في أول الآية فلم كررها في قوله ثم تاب عليهم الجواب ان عاد الضمير في عليهم الى الفريق فلا تكرار وان عاد الى النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والانصار جميعا فالتكرير للتوكيد مع رعاية دقيقة هي أن التوبة اكتنفت الذنب من جانبيه وذلك أنه بدأ بذكر التوبة قبل ذكر الذنب تطييبا للقلوب بهم ثم ذكر الذنب ثم أردفه بذكر التوبة ليدل على أن العفو عفو متأكد كما يقول السلطان عند كمال الرضا عفوت عنك ثم عفوت عنك واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ان الله يغفر ذنب الرجل المسلم عشرين مرة وقال ابن عباس في تفسير قوله ثم تاب عليهم يريد ازداد عنهم رضا ثم أكد هذه المعاني بقوله (انه بهم رؤف رحيم) فيشبه أن يراد بالرأفة ازالة الضرر وبالرحمة ايصال المنفعة أو الاول رحمة سابقة والثاني لاحقة الخامس الثلاثة الذين خلفوا من هم الجواب هم المرجون لامر الله كما مر سموا مخلفين كما سموا مرجئين أي مؤخرين عن أبي لبابة وأصحابه حيث تيب عليهم بعد أولئك وقيل لانهم خلفوا عن الغزو ومثله قراءة من قرأ بالتخفيف أي خلفوا الغازين وقيل الخلف من خلوف الفم أي فسدوا وقرأ جعفر الصادق عليه السلام خالفوا (حتى اذا ضاقت عليهم الارض) مع سعتها وهو مثل للحيرة في الامر (وضاقت عليهم أنفسهم) أي قلوبهم لا يسعها أنس ولا سرور (وظنوا) أي علموا وتيقنوا (أن لا ملجأ من) سخط (الله الا) الى استغفاره كقوله صلى الله عليه وسلم له أعوذ بك منك وقيل الظن بمعناه الاصلي وهو الرجحان وذلك أنهم ما كانوا قاطعين بأن ينزل الله في شأنهم قرآنا وان سلم أنهم قطعوا بذلك الا أنهم جوزوا أن تكون المدة قصيرة وجواب اذا محذوف والتقدير حتى اذا كان كذا وكذا تاب عليهم وحسن حذفه لتقدم

ذكره عن كعب بن مالك قال لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت عليه فرد علي كالمغضب بعد ما كان ذكرني في الطريق وقال ليت شعري ما خلف كعبا فقيل له ما خلفه الا حسن برديه والنظر في عطفيه فقال معاذ الله ما أعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا أيها الثلاثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا أحد من قريب ولا بعيد فلما مضت أربعون ليلة أمرنا أن

له فقال ما كان عليه لو مشى معه وأجنه واستغفر له ثم تلا وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه الآية * وتأول آخرون الاستغفار في هذا الموضع بمعنى الصلاة ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنى اسحق قال ثنا كثير بن هشام عن جعفر بن برقان قال ثنا حبيب ابن أبي مرزوق عن عطاء بن أبي رباح قال ما كنت أدع الصلاة على أحد من أهل هذه القبلة ولو كانت حبشية حبلى من الزنا لاني لم أسمع الله يحجب الصلاة الا عن المشركين يقول الله ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين * وتأوله آخرون بمعنى الاستغفار الذي هو دعاء ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن عصمة بن راشد عن أبيه قال سمعت أبا هريرة يقول رحم الله رجلا استغفر لابي هريرة ولامه قلت ولأبيه قال لا ان أبي مات وهو مشرك *قال أبو جعفر وقد دللنا على أن معنى الاستغفار مسئلة العبد ربه غفر الذنوب واذ كان ذلك كذلك وكانت مسئلة العبد ربه ذلك قد تكون في الصلاة وفي غير الصلاة لم يكن أحد القولين اللذين ذكرنا فاسدا لان الله عم بالنهي عن الاستغفار للمشرك بعد ما تبين له أنه من أصحاب الجحيم ولم يخصص من ذلك حالا أباح فيها الاستغفار له وأما قوله من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم فان معناه ما قد بينت من أنه من بعد ما يعلمون بموته كافرا أنه من أهل النار وقيل أصحاب الجحيم لانهم سكانها وأهلها الكائنون فيها كما يقال لسكان الدار هؤلاء أصحاب هذه الدار بمعنى سكانها وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم قال تبين للنبي صلى الله عليه وسلم أن أبا طالب حين مات ان التوبة قد انقطعت عنه حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال تبين له حين مات وعلم أن التوبة قد انقطعت عنه يعني في قوله من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سلمن قال سمعت الضحاك في قوله ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية يقول اذا ماتوا مشركين يقول الله ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة الآية واختلف أهل التأويل في تأويل قوله فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه فقال بعضهم معناه فلما تبين له بموته مشركا بالله تبرأ منه وترك الاستغفار له ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حبيب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ما زال ابراهيم يستغفر لأبيه حتى مات فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن حبيب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ما زال ابراهيم يستغفر لابيه حتى مات فلما مات تبين له أنه عدو لله حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن حبيب ابن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لم يزل ابراهيم يستغفر لأبيه حتى مات فلما مات لم يستغفر له حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه يعني استغفر له ما كان حيا فلما مات أمسك عن الاستغفار له حدثني مطر بن محمد الضبي قال ثنا أبو عاصم وأبو قتيبة مسلم بن قتيبة قالا ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد في قوله فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه

نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا أنا بنداء من ذروة سلع وهو جبل بالمدينة أبشر يا كعب بن مالك فخررت ساجدا وكنت كما وصفني ربي وضاقت عليهم الارض بما رحبت وتتابعت البشارة فلبست ثوبي وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون فقام الي طلحة بن عبيد الله يهرول الي حتى صافحني وقال لتهنك توبة الله عليك فلن أنساها لطلحة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يستنير استنارة القمر أبشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك ثم تلا علينا الآية سئل أبو بكر الوراق عن التوبة النصوح فقال أن تضيق على التائب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب ابن مالك وصاحبيه السادس قد عرفنا فائدة قوله ثم تاب عليهم فما فائدة قوله ثم تاب عليهم ليتوبوا الجواب معناه رجع عليهم بالقبول والرحمة كرة بعد أخرى ليستقيموا على توبتهم أو تاب عليهم في الماضي ليتوبوا في المستقبل اذا فرطت منهم خطيئة علما منهم بأن الله تواب على من تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة أو تاب عليهم ليرجعوا الى حالهم وعادتهم في الاختلاط بالمؤمنين أو تاب عليهم لينتفعوا بالتوبة وثوابها لان الانتفاع بها لا يحصل الا بعد توبة الله عليهم وقالت الاشاعرة المقصود بيان أن فعل العبد مخلوق لله تعالى حتى انه لو لم يتب عليهم ليتوبوا وأيضا قالوا في الآية دلالة على أن قبول التوبة غير واجب عقلا لان توبة هؤلاء قد حصلت من أول الامر ثم انه صلى الله عليه وسلم لم يلتفت اليهم وتركهم خمسين يوما ويمكن أن يجاب بان شرائط التوبة من الاخلاص والنصح وغير ذلك لعلها لم تكن حاصلة من أول الامر فلهذا

قال لما مات حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد مثله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فلما تبين له أنه عدو لله قال موته وهو كافر حدثنا ابن وكيع قال ثني أبي عن شعبة عن الحكم عن مجاهد مثله * قال ثنا البراء بن عتبة عن أبيه عن الحكم فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه قال حين مات ولم يؤمن حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن عمرو بن دينار فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه موته وهو كافر * قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك في قوله فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه قال لما مات حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلما تبين له أنه عدو لله لما مات على شركه تبرأ منه حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله وما كان استغفار ابراهيم لأبيه كان ابراهيم صلوات الله عليه يرجو أن يؤمن أبوه ما دام حيا فلما مات على شركه تبرأ منه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه قال موته وهو كافر حدثنا محمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ما زال ابراهيم يستغفر لأبيه حتى مات فلما مات تبين له أنه عدو لله فلم يستغفر له * قال ثنا أبو أحمد قال ثنا أبو اسرائيل عن علي بن بذيمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فلما تبين له أنه عدو لله قال فلما مات * وقال آخرون معناه فلما تبين له في الآخرة وذلك أن أباه يتعلق به اذا أراد أن يجوز الصراط فيمر به عليه حتى اذا كاد أن يجاوزه حانت من ابراهيم التفاتة فاذا هو بأبيه في صورة قرد أو ضبع فيخلي عنه ويتبرأ منه حينئذ ذكر من قال ذلك حدثنا عمرو بن علي قال ثنا حفص بن غياث قال ثنا عبد الله بن سليمن قال سمعت سعيد بن جبير يقول ان ابراهيم يقول يوم القيامة رب والدي رب والدي فاذا كانت الثالثة أخذ بيده فيلتفت اليه وهو ضبعان فيتبرأ منه حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن عبيد ابن عمير قال انكم مجموعون يوم القيامة في صعيد واحد يسمعكم الداعي وينفذكم البصر قال فتزفر جهنم زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا وقع لركبتيه ترعد فرائصه قال فحسبته يقول نفسي نفسي قال ويضرب الصراط على جسر جهنم كحد السيف دحض مزلة وفي جانبيه ملائكة معهم خطاطيف كشوك السعدان قال فيمضون كالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الركاب وكأجاويد الرجال والملائكة يقولون رب سلم سلم فناج سالم ومخدوش ناج ومكدوس في النار فيقول ابراهيم لأبيه اني كنت آمرك في الدنيا فتعصيني ولست تاركك اليوم فخذ بحقوي فيأخذ بضبعيه فيمسخ ضبعا فاذا رآه قد مسخ تبرأ منه وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول الله وهو خبره عن ابراهيم أنه لما تبين له أن أباه لله عدو تبرأ منه وذلك حال علمه ويقينه أنه لله عدو وهو به مشرك وهو حال موته على شركه

القول في تأويل قوله (ان ابراهيم لأواه حليم) اختلف أهل التأويل في الأواه فقال بعضهم هو الدعاء ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله قال الأواه الدعاء حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا أبو بكر عن عاصم عن زر عن عبد الله قال الأواه الدعاء حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثني

جرير

تأخر القبول دليله قوله تعالى حتى اذا ضاقت الآية ثم حث سبحانه المؤمنين على ملازمة سيرة التقوى والانضمام في زمرة أهل الصدق لا النفاق فقال يا أيها الذين آمنوا الآية قال بعض العلماء ظاهر الامر للوجوب فوجب على المؤمنين أن يكونوا مع الصادقين لا بمعنى أن يكونوا على طريقهم وسيرتهم لان ذلك عدول عن الظاهر بل بمعنى المصاحبة والكون مع الشئ مشروط بوجود ذلك الشئ فلابد من وجود الصادقين ثم انه ثبت بالتواتر من دين محمد صلى الله عليه وسلم أن التكاليف المذكورة في القرآن متوجهة على المكلفين الى يوم القيامة فلا يكون هذا الامر مختصا بالكون مع الرسول وأصحابه في الغزوات بل أعم من ذلك ثم ان الصادق لا يجوز أن يكون منحصرا في الامام المعصوم الذي يمتنع خلو زمان التكليف عنه كما يقوله الشيعة لان كون كل واحد من المؤمنين مع ذلك الصادق بعد تسليم وجوده تكليف بما لا يطاق فالمراد بالصادقين أهل الحل والعقد في كل حين والمراد أنهم اذا أجمعوا على شئ كانوا صادقين فيه محقين ويجب على الباقين أن يكونوا معهم ظاهرا وباطنا وقال أكثر المفسرين الصادقون هم الذين صدقوا في دين الله وفيما عاهدوا عليه من الطاعة نية وقولا وعملا وقيل أي كونوا مع الثلاثة المذكورين في الصدق والثبات وعن ابن عباس الخطاب لمن آمن من أهل الكتاب أي وافقوا المهاجرين والانصار في الصدق وقيل الخطاب للذين شدوا أنفسهم على السواري وفي الآية دلالة على فضيلة الصدق وكمال درجته ومن خصائص الصدق ما روى أن أعرابيا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اني أريد أن أومن بك الا أني أحب الخمر والزنا والسرقة والكذب والناس يقولون انك تحرم هذه الاشياء كلها ولا طاقة لي بتركها بأسرها فان قنعت مني بترك واحد منها آمنت بك فقبل ذلك وشرط له الصدق ثم أسلم فلما خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضوا عليه الخمر فقال ان شربت وسألني رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شربها وكذبت فقد نقضت العهد وان صدقت أقام الحد علي فتركها ثم عرض عليه الزنا فجاءه ذلك

الخاطر فتركه وكذا في السرقة فعاد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما أحسن ما فعلت لما منعتني عن الكذب انسد أبواب المعاصي على وتبت عن الكل ومن فضائل الصدق أن الايمان منه لا من سائر الطاعات ومن معايب الكذب أن الكفر منه لا من سائر الذنوب ومن مثالب الكذب أن ابليس مع تمرده وكفره

استنكف منه حتى استثنى في قوله لأغوينهم

جرير بن حازم عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش قال سألت عبد الله عن الأواه فقال هو الدعاء حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بشر عن ابن أبي عروبة عن عاصم عن زر عن عبد الله مثله * قال ثنا قبيصة عن سفيان عن عبد الكريم عن أبي عبيدة عن عبد الله قال الأواه الدعاء ... قال ثنا أبي عن سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله مثله حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان واسرائيل عن عاصم عن زر عن عبد الله مثله حدثني يعقوب بن ابراهيم وابن وكيع قالا ثنا ابن علية قال ثنا داود بن أبي هند قال نبئت عن عبيد بن عمير قال الأواه الدعاء حدثني اسحق بن شاهين قال ثنا داود عن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي عن أبيه قال الأواه الدعاء * وقال آخرون بل هو الرحيم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن سلمة عن مسلم البطين عن أبي العبيدين قال سئل عبد الله عن الاواه فقال الرحيم حدثنا محمد بن المثنى قال ثني محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم قال سمعت يحيى بن الجزار يحدث عن أبي العبيدين رجل ضرير البصر أنه سأل عبد الله عن الاواه فقال الرحيم حدثنا أبو كريب قال ثنا المحاربي و حدثنا خلاد بن أسلم قال أخبرنا النضر بن شميل جميعا عن المسعودي عن سلمة بن كهيل عن أبي العبيدين أنه سأل ابن مسعود فقال ما الاواه قال الرحيم حدثنا زكريا بن يحيى بن أبي زائدة قال ثنا ابن ادريس عن الاعمش عن الحكم عن يحيى بن الجزار عن أبي العبيدين أنه جاء الى عبد الله وكان ضرير البصر فقال يا أبا عبد الرحمن من نسأل اذا لم نسألك فكأن ابن مسعود رق له قال أخبرني عن الأواه قال الرحيم حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع * وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن سلمة بن كهيل عن مسلم البطين عن أبي العبيدين قال سألت عبد الله عن الأواه فقال هو الرحيم حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن الاعمش عن الحكم عن يحيى بن الجزار قال جاء أبو العبيدين الى عبد الله فقال له ما حاجتك قال ما الأواه قال الرحيم * قال ثنا ابن ادريس عن الاعمش عن الحكم عن يحيى بن الجزار عن أبي العبيدين رجل من بني سوأة قال جاء رجل الى عبد الله فسأله عن الأواه فقال له عبد الله الرحيم حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربي وهانئ بن سعيد عن حجاج عن الحكم عن يحيى بن الجزار عن أبي العبيدين عن عبد الله قال الأواه الرحيم حدثني يعقوب وابن وكيع قالا ثنا ابن علية عن شعبة عن الحكم عن يحيى بن الجزار أن أبا العبيدين رجل من بني نمير قال يعقوب كان ضرير البصر وقال ابن وكيع كان مكفوف البصر سأل ابن مسعود فقال ما الأواه قال الرحيم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن زكريا عن أبي اسحق عن أبي ميسرة قال الأواه الرحيم * قال ثنا أبي عن سفيان عن أبي اسحق عن أبي ميسرة مثله حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن سفيان عن أبي اسحق عن أبي ميسرة مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد ابن بشر عن سعيد عن قتادة عن الحسن قال هو الرحيم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كنا نحدث أن الأواه الرحيم حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ان ابراهيم لأواه قال رحيم * وقال عبد الكريم الجزري عن أبي عبيدة عن ابن مسعود مثل ذلك حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن عبد الكريم عن أبي عبيدة

أجمعين الا عبادك منهم المخلصين ثم المقتضي لقبح الكذب هو كونه كذبا عند المعتزلة وكونه مفضيا الى المفاسد عند الاشاعرة والله أعلم ﴿التأويل﴾ ان الله اشترى في التقدير الازلي ولهذا تيسر لهم الآن بذل النفس والمال في الجهاد الاصغر وفي الجهاد الاكبر وانه كما اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة اشترى من أوليائه الصديقين قلوبهم وأرواحهم بان لهم الجنة التائبون عما سوى الله العابدون المتوجهون اليه على قدم العبودية الحامدون له على ما وفقهم لنعمة طلبه السائحون السائرون اليه بقدمي الصبر والشكر أو التبري والتولي الراكعون أي الراجعون عن مقام القيام بوجودهم الى القيام بوجده هم الساجدون الساقطون على عتبة الوحدة بلاهم الآمرون بالمعروف الحقيقي الناهون عما سواه والحافظون لحدود الله لئلا يتجاوزوا عن طلبه الى طلب غيره ما كان للنبي فيه أن الاجتهاد ليس سببا لنيل المراد وأن الهداية من مواهب الربوبية لا من مراتب العبودية ان ابراهيم لأواه الأواه هو المتبرئ من المخلوقات لكثرة نيل المواجيد والكرامات فيكون لضيق البشرية تولاه مولاه فيهما ولهذا وأراد الحق ضاق عليه نطاق الخلق فتأوه وعند تنفس القلب المضطر من الخلق الى الحق حليم عما أصابه من الخلق للحق فلا رجوع له من الحق الى الخلق بحال من الاحوال ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لجبرائيل حين سأله ألك حاجة أما اليك فلا وما كان الله ليضل قوما ما لم يردهم بالمكر الى الاثنينية والبعد بعد اذ هداهم الى الوحدانية والفردانية بالتوحيد والتفريد حتى يبين لهم ما يتقون من آفات البشرية وعاهات الدنيا فهي رأس كل خطيئة فان لم يحترزوا عنها ووقعوا بالاستدراج الى حيث خرجوا عنها نعوذ بالله من الحور بعد الكور أو

نقول ان الله تعالى بعد اذ هداهم بالافناء عن الوجود الى البقاء بالجود لا يردهم الى بقاء البقاء وهو الاثبات بعد المحو والصحو بعد السكر وقد سماه المشايخ الاثبات الثاني حتى يبين لهم ما يتقون من الاعمال والاقوال رعاية لتلك الاحوال ان الله له ملك السموات سموات القلوب والارض أرض النفوس يحيي بنور

ربوبيته من يشاء ويميت عن صفات بشريته من يشاء ومالكم من دون الله من ولي فلا يشغلنكم طلب الملك عن المالك فان طالب الملك لا يجد الملك ولا المالك وطالب المالك يجد الملك والمالك جميعا لقد تاب الله على النبي التوبة فضل من الله ورحمة فقدم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم على المهاجرين ليكون وصول فضله اليهم بعد العبور على النبي تحقيقا لقوله وما أرسلناك الا رحمة للعالمين الذين اتبعوه في ساعة عسرة الدنيا وترك شهواتها أو نقول لقد تاب الله أي أفاض أنوار عرفانه على نبي الروح ومهاجري صفاته الذين هاجروا معه من مكة عالم الروح الى مدينة الجسد والانصار من القلب والنفس وصفاتهما الذين اتبعوه في ساعة رجوعه الى عالم العلو بالعسرة لانهم من عالم السفل وعلى الثلاثة الذين خلفوا من النفس والهوى والطبع وما تبعوا الروح عند رجوعه الى عالمه ابتلاء حتى اذا ضاقت عليهم أرض البشرية شوقا الى تلك الحضرة وضاقت عليهم أنفسهم تحننا الى نيل تلك السعادات وتحقق لهم بنور اليقين أن لو بقوا في السفل لا ملجأ لهم من عذاب البعد عن الله الا الفرار اليه ثم تاب عليهم بجذبة العناية ولو وكلهم الى طبيعتهم ما سلكوا طريق الحق أبدا مع الصادقين الذين صدقوا يوم الميثاق والله أعلم ﴿ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع أجر المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين

عن عبد الله قال الأواه الرحيم حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن سلمة عن مسلم البطين عن أبي العبيدين أنه سأل عبد الله عن الأواه فقال الرحيم * قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن عمرو بن شرحبيل قال الأواه الرحيم حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا مبارك عن الحسن قال الأواه الرحيم بعباد الله * قال ثنا الحسين قال ثنا أبو خيثمة زهير قال ثنا أبو اسحق الهمداني عن أبي ميسرة عن عمرو بن شرحبيل قال الاواه الرحيم بلحن الحبشة * وقال آخرون بل هو الموقن ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع * وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس قال الأواه الموقن حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن ابن مبارك عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس قال الاواه الموقن بلسان الحبشة * قال ثنا حميد بن عبد الرحمن عن حسن عن مسلم عن مجاهد عن ابن عباس قال الاواه الموقن بلسان الحبشة حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال سمعت سفيان يقول الأواه الموقن وقال بعضهم الفقيه الموقن حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن جابر عن عطاء قال الأواه الموقن بلسان الحبشة حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن ادريس عن أبيه عن رجل عن عكرمة قال هو الموقن بلسان الحبشة * قال ثنا ابن نمير عن الثوري عن مجالد عن أبي هاشم عن مجاهد قال الأواه الموقن حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن مسلم عن مجاهد قال الأواه الموقن * قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قابوس عن أبي ظبيان عن ابن عباس قال الأواه الموقن حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أواه موقن حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أواه قال مؤتمن موقن حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله ان ابراهيم لأواه حليم قال الأواه الموقن * وقال آخرون هي كلمة بالحبشة معناها المؤمن ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس لأواه حليم قال الأواه هو المؤمن بالحبشة حدثنا علي بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ان ابراهيم لأواه يعني المؤمن التواب حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا حسن بن صالح عن مسلم عن مجاهد عن ابن عباس قال الأواه المؤمن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج الأواه المؤمن بالحبشة * وقال آخرون هو المسبح الكثير الذكر لله ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد قال الأواه المسبح حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربي عن حجاج عن الحكم عن الحسن بن مسلم بن يناق أن رجلا كان يكثر ذكر الله ويسبح فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال انه أواه حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن حيان عن ابن لهيعة عن الحرث بن يزيد عن علي بن رباح عن عقبة بن عامر قال الاواه الكثير الذكر لله * وقال آخرون هو الذي يكثر تلاوة القرآن ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عمان قال ثنا المنهال بن خليفة عن حجاج بن أرطاة عن عطاء عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه

ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون يـا أيها الذين آمنوا قاتـلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون

وسلم دفن ميتا فقال يرحمك الله ان كنت لأواها يعني تلاء القرآن ۞ وقال آخرون هو من التأوه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي يونس القشيري عن قاص كان بمكة أن رجلا كان في الطواف فجعل يقول أوه قال فشكاه أبو ذر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال دعه انه أواه حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن شعبة عن أبي يونس الباهلي قال سمعت رجلا بمكة كان أصله روميا يحدث عن أبي ذر قال كان رجل يطوف بالبيت و يقول في دعائه أوه أوه فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال انه أواه زاد أبو كريب في حديثه قال فخرجت ذات ليلة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفن ذلك الرجل ليلا ومعه المصباح حدثنا ابن وكيع قال ثنا زيد بن الحباب عن جعفر بن سليمن قال ثنا أبو عمران عن عبد الله بن رباح عن كعب قال الأواه اذا ذكر النار قال أوه حدثنا ابن حميد قال ثنا عبد العزيز عن عبد الصمد القمي عن أبي عمران الجوني عن عبد الله بن رباح عن كعب قال كان اذا ذكر النار قال أوه حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن جعفر بن سليمن قال أخبرنا أبو عمران قال سمعت عبد الله بن رباح الانصاري يقول سمعت كعبا يقول ان ابراهيم لأواه قال اذا ذكر النار قال أوه من النار ۞ وقال آخرون معناه انه فقيه ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ان ابراهيم لأواه قال فقيه ۞ وقال آخرون هو المتضرع الخاشع ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا عبد الحميد بن بهرام قال ثنا شهر ابن حوشب عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس قال رجل يا رسول الله ما الأواه قال المتضرع قال ان ابراهيم لأواه حليم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن مغراء عن عبد الحميد عن شهر عن عبد الله بن شداد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الأواه الخاشع المتضرع ۔ وأولى الاقوال في ذلك عندي بالصواب القول الذي قاله عبد الله بن مسعود الذي رواه عنه زر أنه الدعاء وانما قلنا ذلك أولى بالصواب لان الله ذكر ذلك و وصف به ابراهيم خليله صلوات الله عليه بعد وصفه اياه بالدعاء والاستغفار لأبيه فقال وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه وترك الدعاء والاستغفار له ثم قال ان ابراهيم لدعاء لربه شاك له حليم عمن سبه وناله بالمكروه وذلك أنه صلوات الله عليه وعد أباه بالاستغفار له ودعاء الله له بالمغفرة عند وعيد أبيه اياه وتهدده له بالشتم بعد ما رد عليه نصيحته في الله وقوله أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا فقال له صلوات الله عليه سلام عليك سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا فوفى لأبيه بالاستغفار له حتى تبين له أنه عدو لله فوصفه الله بأنه دعاء لربه حليم عمن سفه عليه وأصله من التأوه وهو التضرع والمسألة بالحزن والاشفاق كما روى عبد الله بن شداد عن النبي صلى الله عليه وسلم وكما روى عقبة بن عامر الخبر الذي حدثنيه يحيى بن عثمان بن صالح السهمي قال ثنا أبي قال ثنا ابن لهيعة قال ثني الحرث بن يزيد عن علي بن رباح عن عقبة بن عامر أنه قال لرجل يقال له ذو البجادين انه أواه

ولا هم يذكرون وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ۞ القراآت موطئا ونحوه بالياء يزيد والشموني وحمزة في الوقف غلظة بفتح الغين المفضل الباقون بكسرها أولا ترون بتاء الخطاب للمؤمنين حمزة ويعقوب الباقون على الغيبة ۞ الوقوف عن نفسه ط صالح ط المحسنين ه لا للعطف يعملون ه كافة ط يحذرون ه غلظة ط المتقين ه ايمانا ط يستبشرون ه كافرون ه يذكرون ه الى بعض ط لحق المحذوف أي يقولون هل يراكم ثم انصرفوا ط لا يفقهون ه عزيز ط على تأويل عليه شفاعة ما عنتم والجمع الوصل لأن المعنى شديد عليه ما أعنتم ولا وقف في الآية الى قوله رحيم حسبي الله ط والاصح الوصل على جعل الجملة حالا أي يكفي الله غير مشارك في الالوهية الا هو ط العظيم ه ۞ التفسير لما أمر بموافقة النبي وأصحابه في جميع الغزوات والمشاهد بقوله وكونوا مع الصادقين أكد ذلك المعنى بالنهي عن التخلف عنه فقال (ما كان لأهل المدينة) أي لا يستقيم ولا يجوز لهم والأعراب الذين كانوا حول المدينة قد ذكرنا عن ابن عباس أنهم مزينة وجهينة وأشجع وأسلم وغفار وكأنه أراد المعروفين منهم والا فاللفظ عام ومعنى (ولا يرغبوا) ولا أن يرغبوا يقال رغبت بنفسي عن هذا الامر أي أبخل بها عليه ولا أتركها له والمراد أنه لا ينصح لهم أن يرغبوا عن صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب

صلاح أنفسهم وبقائها بل عليهم أن يصحبوه على البأساء والضراء ويرضوا لانفسهم ما رضيه الرسول لنفسه لان نفسه أعز نفس عند الله فاذا تعرضت مع كرامتها للخوض في شدة وجب على سائر الانفس أن لا يضنوا بها على ما سمح بنفسه عليه وفي هذا النهي مع التهييج توبيخ عظيم ولا يخفى أن الجهاد لا يجب على كل فرد (٣٨) بعينه للاجماع وأن أصحاب الاعذار من الضعفاء والمرضى ونحوهم مخصوصون بالعقل وبالنقل فيبقى ما وراء هاتين الصورتين داخلا تحت عموم الآية ثم ذكر ترغيبا يجري مجرى علة المنع من التخلف فقال (ذلك بأنهم) أي الوجوب الدال عليه بقوله ما كان لهم بسبب أنهم مثابون على أنواع المتاعب وأصناف الشدائد بل على جميع الحركات والسكنات مدة الذهاب والاياب والظمأ شدة العطش والنصب الاعياء والتعب والمخمصة المجاعة الشديدة التي تظهر ضمور البطن والموطئ اما مصدر كالمورد أو مكان وعلى التقديرين الضمير في يغيظ عائد الى الوطء الصريح أو المقدر ثم الوطء يجوز أن يكون حقيقة فيراد به الدوس بالاقدام وبحوافر الخيول وبأخفاف الابل ويجوز أن يكون مجازا فيراد به الايقاع والاهلاك قال ابن الاعرابي غاظه وغيظه وأغاظه بمعنى ويقال نال منه اذا رزأه ونقصه وهو عام في كل ما يسوءهم ويلحق بهم ضررا من قتل أو أسر أو غنيمة أو هزيمة والمراد أنهم لا يتصرفون في أرض الكفار تصرفا يغيظهم ويرزؤهم شيأ الا كتب لهم به عمل صالح وفيه دليل على أن من قصد طاعة الله كان قيامه وقعوده ومشيه وحركته وسكونه كلها حسنات مكتوبة عند الله وكذا القول في طرف المعصية ولكن بالضد فما أعظم بركة الطاعة وما أشد شؤم المعصية وبهذه الآية استشهد أصحاب أبي حنيفة أن المدد القادم بعد انقضاء الحرب يشارك الجيش في الغنيمة لان وطء ديارهم مما يغيظهم وينكي فيهم وقال الشافعي لا يشاركون الغانمين في الغنيمة وان شاركوهم في الثواب لان الغنيمة من خواص المحاربين ومن قد تعاطى خطرا قال قتادة هذا الحكم من خواص رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غزا بنفسه فليس لاحد أن يتخلف عنه الا

وذلك أنه رجل كان يكثر ذكر الله بالقرآن والدعاء ويرفع صوته ولذلك قيل للمتوجع من ألم أو مرض لم تتأوه كما قال المثقب العبدي

اذا ما قمت أرحلها بليل * تأوه آهة الرجل الحزين

ومنه قول الجعدي

ضروح مروح يتبع الورق بعدما * يعرس شكوى آهة وتنمرا

ولا تكاد العرب تنطق منه بفعل يفعل وانما تقول فيه تفعل يتفعل مثل تأوه يتأوه وأوه يؤوه كما قال الراجز * فأوه الراعي وضوضى أكلبه *

وقالوا أيضا أوه منك ذكر الفراء أن أبا الجراح أنشده

فأوه من الذكرى اذا ما ذكرتها * ومن بعد أرض بيننا وسماء

قال وربما أنشدنا فأو من الذكرى بغير هاء ولو جاء فعل منه على الاصل لكان آه يؤوه أوها ولأن معنى ذلك توجع وتحزن وتضرع اختلف أهل التأويل فيه الاختلاف الذي ذكرت فقال من قال معناه الرحمة ان ذلك كان من ابراهيم على وجه الرقة على أبيه والرحمة له ولغيره من الناس وقال آخرون انما كان ذلك منه لصحة يقينه وحسن معرفته بعظمة الله وتواضعه له وقال آخرون كان لصحة ايمانه بربه وقال آخرون كان ذلك منه عند تلاوته تنزيل الله الذي أنزله عليه وقال آخرون كان ذلك منه عند ذكر ربه وكل ذلك عائد الى ما قلت وتقارب معنى بعض ذلك من بعض لان الحزين المتضرع الى ربه الخاشع له بقلبه ينوبه ذلك عند مسألته ربه ودعائه اياه في حاجاته وتعتوره هذه الخلال التي وجه المفسرون اليها تأويل قول الله ان ابراهيم لأواه حليم ﴿القول في تأويل قوله (وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ان الله بكل شيء عليم)﴾ يقول تعالى ذكره وما كان الله ليقضي عليكم في استغفاركم لموتاكم المشركين بالضلال بعد اذ رزقكم الهداية ووفقكم للايمان به وبرسوله حتى يتقدم اليكم بالنهي عنه فتتركوا الانتهاء عنه فأما قبل أن يبين لكم كراهية ذلك بالنهي عنه ثم تتعدوا نهيه الى ما نهاكم عنه فانه لا يحكم عليكم بالضلال لأن الطاعة والمعصية انما يكونان من المأمور والمنهي فأما من لم يؤمر ولم ينه فغير كائن مطيعا أو عاصيا فيما لم يؤمر به ولم ينه عنه ان الله بكل شيء عليم يقول تعالى ذكره ان الله ذو علم بما خالط أنفسكم عند نهي الله اياكم عن الاستغفار لموتاكم المشركين من الجزع على ما سلف منكم من الاستغفار لهم قبل تقدمه اليكم بالنهي عنه وبغير ذلك من سرائر أموركم وأمور عباده وظواهرها فبين لكم حلمه في ذلك عليكم ليضع عنكم ثقل الوجد بذلك * وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون قال بيان الله للمؤمنين في الاستغفار للمشركين خاصة وفي بيانه طاعته ومعصيته عامة فافعلوا أو ذروا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون قال بيان الله للمؤمنين أن لا يستغفروا للمشركين خاصة وفي بيانه طاعته

طاعته ومعصيته عامة فافعلوا أوذروا * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون قال بين الله للمؤمنين في أن لا يستغفروا للمشركين في بيانه في طاعته وفي معصيته فافعلوا أوذروا ⁂ القول في تأويل قوله (ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) يقول تعالى ذكره ان الله أيها الناس له سلطان السموات والارض وملكهما وكل من دونه من الملوك فعبيده ومماليكه بيده حياتهم وموتهم يحيي من يشاء منهم ويميت من يشاء منهم فلا تجزعوا أيها المؤمنون من قتال من كفر بي من الملوك ملوك الروم كانوا أو ملوك فارس والحبشة أو غيرهم واغزوهم وجاهدوهم في طاعتي فاني المعز من أشاء منهم ومنكم والمذل من أشاء وهذا حض من الله جل ثناؤه المؤمنين على قتال كل من كفر به من المماليك واغراء منه لهم بحربهم وقوله وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير يقول وما لكم من أحد هو لكم حليف من دون الله يظاهركم عليه ان أنتم خالفتم أمر الله فعاقبكم على خلافكم أمره يستنقذكم من عقابه ولا نصير ينصركم منه ان أرادكم بسوء يقول فبالله فثقوا واياه فارهبوا وجاهدوا في سبيله من كفر به فانه قد اشترى منكم أنفسكم وأموالكم بأن لكم الجنة تقاتلون في سبيله فتقتلون وتقتلون ⁂ القول في تأويل قوله (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم) يقول تعالى ذكره لقد رزق الله الانابة الى أمره وطاعته نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم والمهاجرين ديارهم وعشيرتهم الى دار الاسلام وأنصار رسوله في الله الذين اتبعوا رسول الله في ساعة العسرة منهم من النفقة والظهر والزاد والماء من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم يقول من بعد ما كاد يميل قلوب بعضهم عن الحق ويشك في دينه ويرتاب بالذي ناله من المشقة والشدة في سفره وغزوه ثم تاب عليهم يقول ثم رزقهم جل ثناؤه الانابة والرجوع الى الثبات على دينه وابصار الحق الذي كان قد كاد يلتبس عليهم انه بهم رؤف رحيم يقول ان ربكم بالذين خالط قلوبهم ذلك لما نالهم في سفرهم من الشدة والمشقة رؤف بهم رحيم أن يهلكهم فينزع منهم الايمان بعد ما قد أبلوا في الله ما أبلوا مع رسوله وصبروا عليه من البأساء والضراء * وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في ساعة العسرة في غزوة تبوك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن عبد الله ابن محمد بن عقيل في ساعة العسرة قال خرجوا في غزوة تبوك الرجلان والثلاثة على بعير وخرجوا في حر شديد وأصابهم يومئذ عطش شديد فجعلوا ينحرون ابلهم فيعصرون أكراشها ويشربون ماءها وكان ذلك عسرة من الماء وعسرة من الظهر وعسرة من النفقة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ساعة العسرة قال غزوة تبوك قال العسرة أصابهم جهد شديد حتى ان الرجلين ليشقان التمرة بينهما وانهم ليمصون التمرة الواحدة ويشربون عليها الماء حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد

بعذر وقال ابن زيد هذا حين كان في المسلمين قلة فلما كثروا نسخه الله بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة وقال عطية ما كان لهم التخلف اذا دعاهم الرسول وأمرهم قال العلماء وكذلك غيره من الأئمة والولاة اذا عينوا طائفة لأنا لو جوزنا للمندوب أن يتقاعد لم يختص بذلك بعض دون بعض فيؤدى الى تعطيل الجهاد قوله (ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة) قال المفسرون يريد تمرة فما فوقها وعلاقة سوط وما أربى عليها مثل ما أنفق عثمان في جيش العسرة (ولا يقطعون واديا) أي أرضا في ذهابهم ومجيئهم وهذا شائع في استعمال العرب يقولون لا تصل في وادي غيرك وهو في الاصل فاعل من ودى اذا سال والوادي كل منعطف بين جبال وآكام يكون منفذا للسيل (الا كتب لهم) ذلك الانفاق والقطع أو ذلك العمل الصالح المعهود في الآية المتقدمة ثم ذكر غاية الكتب فقال (ليجزيهم الله) أي أثبت في صحائفهم لاجل الجزاء جزاء أحسن من أعمالهم وأجل وقيل الاحسن من صفة الفعل أي يجزيهم على الأحسن وهو الواجب والمندوب دون المباح واعلم أنه سبحانه عدد أشياء بعضها ليس من أعمال المجاهدين وهو الظمأ والنصب والمخمصة وباقيها من أعمالهم وهي الوطء والنيل والانفاق وقطع الارض وقسم هذا الباقي قسمين فضم شطرا منه الى ما ليس من أعمالهم تنبيها على أنه في الثواب جار مجرى عملهم ولهذا صرح بذلك فقال الا كتب لهم به عمل صالح أي جزاء عمل صالح وأكد ذلك بقوله ان الله لا يضيع أجر المحسنين ثم أورد الشطر الباقي لغرض آخر وهو الوعد بأحسن الجزاء واقتصر ههنا على قوله الا كتب لهم لان هذا القسم من عملهم فلم يحتج الى تصريح بذلك أو اكتفاء بما تقدم أولأن الضمير عائد الى المصدر الدال عليه الفعل والله تعالى أعلم بمراده ثم قال (وما كان المؤمنون) وفيه قولان أحدهما أنه من بقية أحكام الجهاد لانه سبحانه لما بالغ في عيوب المنافقين كان المسلمون اذا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى الكفار ينفرون جميعا ويتركونه بالمدينة وحده فنزلت الآية قاله ابن عباس والمعنى أنه لا يجوز للمؤمنين أن ينفروا بأسرهم الى الجهاد بل يجب أن يصيروا طائفتين احداهما للملازمة

الذين اتبعوه في ساعة العسرة قال غزوة تبوك * قال ثنا زكريا بن علي عن ابن مبارك عن معمر عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر الذين اتبعوه في ساعة العسرة قال عسرة الظهر وعسرة الزاد وعسرة الماء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة الآية الذين اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قبل الشأم في لهبان الحر على ما يعلم الله من الجهد أصابهم فيها جهد شديد حتى لقد ذكر لنا أن الرجلين كانا يشقان التمرة بينهما وكان النفر يتناولون التمرة بينهم يمصها هذا ثم يشرب عليها ثم يمصها هذا ثم يشرب عليها فتاب الله عليهم وأقفلهم من غزوهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني عمرو بن الحرث عن سعيد بن أبي هلال عن عتبة بن أبي عتبة عن نافع بن جبير بن مطعم عن عبد الله بن عباس أنه قيل لعمر بن الخطاب رحمة الله عليه في شأن العسرة فقال عمر خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلا أصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع حتى ان كان الرجل ليذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستنقطع حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده فقال أبو بكر يا رسول الله ان الله قد عودك في الدعاء خيرا فادع لنا قال تحب ذلك قال نعم فرفع يديه فلم يرجعهما حتى مالت السماء فأظلت ثم سكبت فملؤا ما معهم ثم رجعنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر حدثني اسحق بن زيادة العطار قال ثنا يعقوب بن محمد قال ثنا عبد الله ابن وهب قال ثنا عمرو بن الحرث عن سعيد بن أبي هلال عن نافع بن جبير عن ابن عباس قال قيل لعمر بن الخطاب رحمة الله عليه حدثنا عن شأن جيش العسرة فقال عمر خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكر نحوه ** القول في تأويل قوله (وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم) يقول تعالى ذكره لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار وعلى الثلاثة الذين خلفوا وهؤلاء الثلاثة الذين وصفهم الله في هذه الآية بما وصفهم به فيما قيل هم الآخرون الذين قال جل ثناؤه وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم والله عليم حكيم فتاب عليهم عز ذكره وتفضل عليهم وقد مضى ذكر من قال ذلك من أهل التأويل بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع فتأويل الكلام اذا لقد تاب الله على الثلاثة الذين خلفهم الله عن التوبة فارجأهم عمن تاب عليه ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عمن سمع عكرمة في قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا قال خلفوا عن التوبة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أما قوله خلفوا فخلفوا عن التوبة حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت يقول بسعتها غما وندما على تخلفهم عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وضاقت عليهم أنفسهم بما نالهم من الوجد والكرب بذلك وظنوا أن لا ملجأ يقول وأيقنوا بقلوبهم أن لا شئ لهم يلجؤن اليه مما نزل بهم من أمر الله من البلاء بتخلفهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ينجيهم من كربه ولا مما يحذرون من عذاب الله الا الله ثم رزقهم الانابة الى طاعته

والرجوع

خدمة الرسول والاخرى للنفر الى الغزو ثم ههنا احتمالان لانه قال محرضا (فلولا نفر) أي هلا نفر (من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين) فذهب الاكثر الى أن الضمير في ليتفقهوا عائد الى الفرقة الباقية في حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم لانهم اذا بقوا في خدمته شاهدوا الوحي والتنزيل وضبطوا ما حدث من (٤٠) الشرائع وعلى هذا فلا بد من اضمار والتقدير فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة وأقام طائفة ليتفقه المقيمون في الدين (ولينذروا قومهم) النافرين (اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) معاصي الله عند ذلك وبهذا الطريق يتم أمر الدين بهاتين الطائفتين والاضاع أحد الشقين والاحتمال الآخر ما روي عن الحسن أن الضمير يعود الى الطائفة النافرة وتفقههم هو أنهم يشاهدون ظهور المسلمين على المشركين وأن العدد القليل منهم من غير زاد ولا سلاح كيف يغلبون الجم الغفير من الكفار فيتنبهون لدقائق صنع الله في اعلاء كلمته فاذا رجعوا الى قومهم أنذروهم بما شاهدوا من دلائل الحق فيحذروا أي يتركوا الكفر والشرك والنفاق القول الثاني أنه ليس من بقية أحكام الجهاد وانما هو حكم مستقل بنفسه ووجه النظم أن الجهاد أمر يتعلق بالسفر وكذلك التفقه أما في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم فوجوبه ظاهر لمن ليس بحضرته حتى يصل اليه ويستفيد من خدمته لان الشريعة ما كانت مستقرة بل كانت تتجدد كل يوم شيأ فشيأ وأما في زماننا فلا ريب أنه متى عجز عن التفقه الا بالسفر وجب عليه وان أمكنه في الحضر فلا شك أن للسفر بركة أخرى يعرفها كل من زاول الأسفار وحاول الاخطار ومعنى ليتفقهوا ليتكلفوا الفقاهة في الدين ويتجشموا المتاعب في أخذها وتحصيلها والفقه في الاصطلاح هو العلم بالاحكام الشرعية الفرعية المستنبطة من دلائلها التفصيلية والظاهر أن المراد في الآية أعم من ذلك بحيث يشمل علوم الشرع كلها من التفسير والحديث وأصول الدين وأصول الفقه ومقدمات كل من ذلك وغاياتها بحسب الامكان النوعي أو الشخصي وفي قوله ولينذروا قومهم اشارة الى أن الغرض الاصلي من التعلم

والرجوع الى ما يرضيه عنهم لينيبوا اليه ويرجعوا الى طاعته والانتهاء الى أمره ونهيه ان الله هو التواب الرحيم يقول ان الله هو الوهاب لعباده الانابة الى طاعته الموفق من أحب توفيقه منهم لما يرضيه عنه الرحيم بهم أن يعاقبهم بعد التوبة أو يخذل من أراد منهم التوبة والانابة ولا يتوب عليه * وبنحو ما قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبى سفيان عن جابر فى قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا قال كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن ربيعة وكلهم من الانصار حدثنى عبيد بن الوراق قال ثنا أبو أسامة عن الأعمش عن أبى سفيان عن جابر بنحوه الا أنه قال ومرارة بن الربيع أو ابن ربيعة شك أبو اسامة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن جابر عن عكرمة وعامر وعلى الثلاثة الذين خلفوا قال أرجؤا فى أوسط براءة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد الثلاثة الذين خلفوا قال الذين أرجؤا فى أوسط براءة قوله وآخرون مرجون لامر الله هلال بن أمية ومرارة بن ربيعة وكعب بن مالك حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وعلى الثلاثة الذين خلفوا الذين أرجؤا فى وسط براءة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبيه عن ليث عن مجاهد وعلى الثلاثة الذين خلفوا قال كلهم من الانصار هلال بن أمية ومرارة بن ربيعة وكعب بن مالك * قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وعلى الثلاثة الذين خلفوا قال الذين أرجؤا * قال ثنا جرير عن يعقوب عن جعفر عن سعيد قال الثلاثة الذين خلفوا كعب بن مالك وكان شاعرا ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية وكلهم أنصار * قال ثنا أبو خالد الاحمر والمحاربى عن جويبر عن الضحاك قال كلهم من الانصار هلال بن أمية ومرارة ابن الربيع وكعب بن مالك حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هاشم عن جويبر عن الضحاك قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا قال هلال بن أمية وكعب بن مالك ومرارة ابن الربيع كلهم من الانصار حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا الى قوله ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم كعب ابن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن ربيعة تخلفوا فى غزوة تبوك ذكر لنا أن كعب بن مالك أوثق نفسه الى سارية فقال لا أطلقها أو لا أطلق نفسى حتى يطلقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله والله لا أطلقه حتى يطلقه ربه ان شاء وأما الآخر فكان تخلف على حائط له كان أدرك فجعله صدقة فى سبيل الله وقال والله لا أطعمه وأما الآخر فركب المفاوز يتبع رسول الله ترفعه أرض وتضعه أخرى وقدماه تشلشلان دما حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن السدى عن أبى مالك قال الثلاثة الذين خلفوا هلال بن أمية وكعب بن مالك ومرارة بن ربيعة * قال ثنا أبو داود الحفرى عن سلام أبى الاحوص عن سعيد بن مسروق عن عكرمة وعلى الثلاثة الذين خلفوا قال هلال بن أمية ومرارة وكعب بن مالك حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا ابن عون عن عمر بن كثير

هو الانذار والارشاد لاما يقصده علماء السوء من الاغراض الفاسدة كالمطاعم والملابس والمناصب والمفاخر أعاذنا الله تعالى بفضله من قبح النية وفساد الطوية وجعلنا ممن لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا القائلون بأن خبر الواحد حجة قالوا أوجب الله تعالى أن يخرج من كل فرقة طائفة والخارج من الثلاثة يكون اثنين أو واحدا ثم انه أوجب العمل بأخبارهم بقوله ولينذروا وأجيب بأن ايجاب الانذار لا يدل على وجوب العمل لان الشاهد الواحد يلزمه أداء الشهادة وان لم يلزم القبول ورد بأن قوله لعلهم يحذرون ايجاب العمل بأخبارهم ثم أرشد سبحانه الى ترتيب القتال فقال (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم) أى يقربون منكم مبتدأ من الأقرب ومنتقلا الى الأبعد والقتال واجب مع كافة الكفرة بآية القتال ولكن هذه الآية أخص لان الغرض منها الترتيب مالم يدع الى قتال الأبعد قبل دفع الاقرب ضرورة فلا تكون هذه منسوخة بآية القتال على ما نقل عن الحسن وانما وجب الابتداء بالغزو من المواضع القريبة لان قتال الكل دفعة متعذر وللاقرب ترجيح ظاهر كما فى الدعوة وكما فى سائر المهمات مثلا فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر يبتدأ بالجمع الحاضرين ثم ينتقل الى الغائبين وأيضا المؤنة فى قتال الأقربين من النفقة والدواب تكون أقل والقتال معهم يكون أسهل للوقوف على أحوالهم وعدد عسكرهم والفرقة المجاهدة اذا تجاوزوا من الاقرب الى الأبعد فقد عرضوا الذرارى للفتنة وقد حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم غزا الشام ويروى أن أعرابيا جلس على المائدة وكان يمد يده الى الجوانب البعيدة من تلك المائدة فقال صلى الله عليه وسلم كل مما يليك فثبت بهذه الوجوه أن الابتداء بالاقرب فالاقرب واجب مالم يضطر الى العدول ضرورة وقوله (وليجدوا فيكم غلظة) أى شدة نظيره قوله واغلظ عليهم ومن قرأ بفتح الغين فهو المصدر أيضا كالسخطة وهى لفظة جامعة للجراءة والصبر على القتال ولشدة العداوة والعنف فى القتل والاسر كل ذلك فيما يتصل بالدعوة الى الدين اما باقامة الحجة واما بالسيف أما فيما يتصل بالبيع والشراء

والمجالسة فلا ولكن تقوى الله سبحانه على ذكر منه في موارده ومصادره ولهذا ختم الآية بقوله (واعلموا أن الله مع المتقين) فان قتله قتله لله وان تركه على الجزية تركه لله وان كسر عدوه وآل الأمر الى أخذ الغنيمة راعى فيه حدود الله ثم حكى بقية فضائح أعمال المنافقين فقال (واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول) أي يقول بعض (٩٣) المنافقين لبعض انكارا واستهزاء بالمؤمنين المعتقدين زيادة الايمان بزيادة العلم الحاصل بالوحي والعمل به أو يقولونه لقوم من المسلمين وغرضهم صرفهم عن الايمان والمقول (أيكم) مرفوع بالابتداء وخبره (زادته هذه ايمانا) ثم انه تعالى حكى أنه حصل للمؤمنين بسبب نزول هذه السورة أمران أحدهما ازدياد الايمان وقدم معناه في أول سورة الانفال والثاني الاستبشار وهو استدعاء البشارة اما بثواب الآخرة واما بالعزة والنصرة في الدنيا والمراد أنهم يفرحون بسبب تلك التكاليف الزائدة من حيث انه يتوسل بها الى مزيد الثواب وحصل للمنافقين الذين لهم عقائد فاسدة وأخلاق ذميمة أمران أولهما ازدياد الرجس لان تكذيب سورة بعد تكذيب مثلها انضمام كفر الى كفر ولأن حصول حسد وغل ونفاق عقيب أمثالها ازدياد ملكة ذميمة غب أخرى وثانيهما بقاؤهم على تلك العقائد والاعمال الى أن ماتوا لان الملكة الراسخة لا تزول الا ان مات صاحبها واسناد زيادة الرجس الى السورة اسناد حقيقي عند الاشاعرة لانهم يقولون انه سبحانه يخلق الكفر والايمان في العبد فلا يبعد احداث السورة فيهم الرجس واسناد مجازي عند المعتزلة لانهم يقولون انهم أحدثوا الرجس من عند أنفسهم حين نزول السورة بدليل أن الآخرين سمعوا السورة وازدادوا ايمانا والتحقيق فيه أن النفس الطاهرة النقية عن دون الدنيا باستيلاء حب الله والآخرة اذا سمعتها صار سماعها موجبا لازدياد رغبته في الآخرة ونفرته عن الدنيا وأما النفس الحريصة المتهالكة على لذات الدنيا وطيباتها الغافلة عن حب الآخرة وعشق المولى اذا سمعتها مشتملة على تعريض النفس للقتل والمال للنهب بسبب الجهاد زادت نفرته عنها وانكاره عليها وكل يقدر ثم عجب من حال المنافقين فقال (أولا يرون أنهم

ابن أفلح قال قال كعب بن مالك ما كنت في غزاة أيسر للظهر والنفقة مني في تلك الغزاة قال كعب بن مالك لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت أتجهز غدا ثم ألحقه فأخذت في جهازي فأمسيت ولم أفرغ فلما كان اليوم الثالث أخذت في جهازي فأمسيت ولم أفرغ فقلت هيهات سار الناس ثلاثا فأقمت فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل الناس يعتذرون اليه فجئت حتى قمت بين يديه فقلت ما كنت في غزاة أيسر للظهر والنفقة مني في هذه الغزاة فأعرض عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر الناس أن لا يكلمونا وأمرت نساؤنا أن يتحولن عنا قال فتسورت حائطا ذات يوم فاذا أنا بجابر بن عبد الله فقلت أي جابر نشدتك بالله هل علمتني غششت الله ورسوله يوما قط فسكت عني فجعل لا يكلمني فبينا أنا ذات يوم اذ سمعت رجلا على الثنية يقول كعب كعب حتى دنا مني فقال بشروا كعبا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس عن ابن شهاب قال غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك وهو يريد الروم ونصارى العرب بالشام حتى اذا بلغ تبوك أقام بها بضع عشرة ليلة ولقيه بها وفد أذرح ووفد أيلة فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجزية ثم قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك ولم يجاوزها وأنزل الله لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة الآية والثلاثة الذين خلفوا رهط منهم كعب بن مالك وهو أحد بني سلمة ومرارة بن ربيعة وهو أحد بني عمرو بن عوف وهلال بن أمية وهو من بني واقف وكانوا تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة في بضعة وثمانين رجلا فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة صدقه أولئك حديثهم واعترفوا بذنوبهم وكذب سائرهم فحلفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما حبسهم الا العذر فقبل منهم رسول الله وبايعهم ووكلهم في سرائرهم الى الله ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلام الذين خلفوا وقال لهم حين حدثوه حديثهم واعترفوا بذنوبهم قد صدقتم فقوموا حتى يقضي الله فيكم فلما أنزل الله القرآن تاب على الثلاثة وقال للآخرين سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم حتى بلغ لا يرضى عن القوم الفاسقين قال ابن شهاب وأخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب بن مالك وكان قائد كعب من بنيه حين عمي قال سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قال كعب لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها قط الا في غزوة تبوك غير أني قد تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب أحدا تخلف عنها انما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواثقنا على الاسلام وما أحب أن لي بها مشهد بدر وان كانت بدر أذكر في الناس منها فكان من خبري حين تخلفت عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفاوز واستقبل عدوا كثيرا فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم فأخبرهم بوجهه الذي يريد والمسلمون مع النبي صلى الله عليه وسلم كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ يريد بذلك

الديوان

يفتنون في كل عام مرة أو مرتين) قال ابن عباس أي يمتحنون بالمرض (ثم لا يتوبون) من النفاق ولا يتعظون بذلك المرض كما يتعظ المؤمن فانه عند ذلك يتذكر ذنوبه وموقفه بين يدي ربه فيزيده ذلك ايمانا وخوفا وقال مجاهد بالقحط والجوع وقال قتادة بالغزو والجهاد فان تخلفوا وقعوا في ألسنة الناس باللعن والخزي وان ذهبوا وهم على حالة النفاق عرضوا أنفسهم القتل وأموالهم النهب من غير فائدة وقال مقاتل كانوا يجتمعون على ذكر الرسول بالطعن فيخبره جبرائيل فيوبخهم بذلك ويعظهم فما كانوا يتعظون ثم ذكر نوعا آخر من مخازيهم فقال (واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض) أي سورة مشتملة على ذكرهم أو أعم من ذلك والنظر نظر الطعن والاستهزاء والازدراء بالوحي قائلين (هل يراكم من أحد) من المسلمين لننصرف فانا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم لان نظرا تغامز دال على ما في الباطن من الانكار الشديد أو أرادوا ان كان من ورائكم أحد فلا تخرجوا والا فاخرجوا والتخلص من هذا الايذاء وسماع الباطل (ثم انصرفوا) أي من مكان الوحي الى مكانهم أو عن استماع القرآن الى الطعن فيه ومعنى (صرف الله قلوبهم) قال ابن عباس منعهم عن كل رشد وخير وقال الحسن طبع الله على قلوبهم وقال الزجاج أضلهم الله قالت الاشاعرة هو اخبار عما فعل الله بهم من الصد عن الايمان والمنع منه وقالت المعتزلة هو دعاء عليهم بالخذلان وبصرف قلوبهم عن الانشراح أو اخبار بانه صرفهم عن الألطاف التي يختص بها من آمن بها أو المراد صرف قلوبهم عما أورثهم من الغم والكيد قالوا ومعنى قوله لا يفقهون لا يتدبرون حتى يفقهوا وعند الاشاعرة هم قوم جبلوا على ذلك يحكى عن محمد بن اسحق أنه قال لا تقولوا انصرفنا من الصلاة فان قوما انصرفوا فصرف الله قلوبهم لكن قولوا قضينا الصلاة كان مقصوده التفاؤل باللفظ الوارد في الخير دون الشر فانه تعالى قال فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله ثم لما أمر رسوله في هذه السورة بتبليغ تكاليف شاقة يعسر تحملها ختم السورة بما يهون الخطب في تحملها

الديوان قال كعب فما رجل يريد أن يتغيب الا يظن أن ذلك سيخفى مالم ينزل فيه وحي من الله وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال وأنا اليهما أصعر فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه وطفقت أغدو لكي أتجهز معهم فلم أقض من جهازي شيأ ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيأ فلم يزل ذلك يتمادى حتى أسرعوا وتفارط الغزو وهممت أن أرتحل فأدركهم فياليتني فعلت فلم يقدر ذلك لي فطفقت اذا خرجت في الناس بعد خروج النبي صلى الله عليه وسلم يحزنني أني لا أرى لي أسوة الا رجلا مغموصا عليه في النفاق أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك ما فعل كعب بن مالك فقال رجل من بني سلمة يا رسول الله حبسه برداه والنظر في عطفيه فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا هو على ذلك رأى رجلا مبيضا يزول به السراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أبا خيثمة فاذا هو أبو خيثمة الانصاري وهو الذي تصدق بصاع التمر فلمزه المنافقون قال كعب فلما بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلا من تبوك حضرني همي فطفقت أتذكر الكذب وأقول بم أخرج من سخطه غدا واستعين على ذلك بكل ذي رأي من أهلي فلما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظل قادما زاح عني الباطل حتى عرفت أني لن أنجو منه بشئ أبدا فأجمعت صدقه وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما وكان اذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون اليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله حتى جئت فلما سلمت تبسم تبسم المغضب ثم قال تعال فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال لي ما خلفك ألم تكن قد ابتعت ظهرك قال قلت يا رسول الله اني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر لقد أعطيت جدلا ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك علي ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه اني لأرجو فيه عفو الله والله ما كان لي عذر والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك فقمت وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني وقالوا والله ما علمناك أذنبت ذنبا قبل هذا لقد عجزت أن لا تكون اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر به المتخلفون فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك قال فوالله ما زالوا يؤنبونني حتى أردت أن أرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكذب نفسي قال ثم قلت لهم هل لقي هذا معي أحد قالوا نعم لقيه معك رجلان قالا مثل ما قلت وقيل لهما مثل ما قيل لك قال قلت من هما قالوا مرارة بن الربيع العامري وهلال بن أمية الواقفي قال فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرا لي فيهما أسوة قال فمضيت حين ذكروهما لي ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه قال فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت لي في نفسي الارض فما هي بالارض التي أعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم فكنت أخرج

فقال (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) أي من جنس البشر لا الملك لان الجنس الى الجنس أميل وبه آلف وآنس أو الخطاب للعرب والمقصود ترغيبهم في نصرته والقيام بخدمته لان كل ما يحصل له من الدولة والرفعة فان ذلك سبب لعزهم وفخرهم لانه من أبناء جلدتهم أو الخطاب لاهل الحرم خاصة لانهم كانوا يسمون أهل الحرم أهل (٤٤) الله وخاصته وكانوا يخدمونهم ويقومون باصلاح مهماتهم فكأنه قيل لهم كنتم قبل مقدمه مجدين في خدمة أسلافه فلم تتكاسلون في خدمته مع أنه لا نسبة له في الشرف الى آبائه أو المقصود من ذكر هذه الصفة التنبيه على طهارته كأنه قيل هو من عشيرتكم تعرفونه بالصدق والامانة والعفاف وتعرفون كونه حريصا على دفع الآفات عنكم وايصال الخيرات اليكم فارسال من هذه حاله وصفته يكون من أعظم نعم الله عليكم وقرئ من أنفسكم بفتح الفاء أي من أشرفكم وأفضلكم وتنسب هذه القراءة الى النبي والوصي وأهل البيت عليهم السلام ثم وصفه بما تستتبعه المجانسة والمناسبة من النتائج وذلك قوله (عزيز عليه ما عنتم) العزة الغلبة والشدة والعنت المشقة والوقوع في المكروه والاثم وما مصدرية أي شديد شاق عليه لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاؤكم المكروه وأولى المكاره بالدفع عقاب الله وهو انما أرسل لدفع هذا المكروه (حريص عليكم) الحرص يمتنع أن يتعلق بذواتهم فالمراد حريص على ايصال الخيرات اليكم في الدارين فالصفة الاولى لدفع الآفات والثانية لايصال الخيرات والسعادات فلا تكرار وقال الفراء الحريص الشحيح والمعنى أنه شحيح عليكم أن تدخلوا النار وفيه نوع تكرار ثم بين أنه رحمة للعالمين فقال (بالمؤمنين) أي منكم ومن غيركم (رؤف رحيم) قال ابن عباس لم يجمع الله بين اسمين من أسمائه الا له وحاصل هذه الخاتمة أن هذا الرسول منكم فكل ما يحصل له من العز والشرف فذلك عائد اليكم وانه كالطبيب الحاذق وكالأب الشفيق واذا عرف أن الطبيب حاذق والاب مشفق فالعلاج والتأديب منهما احسان واجمال وان كان صعبا مؤلما فاقبلوا ما أمركم به من التكاليف

وأشهد الصلاة وأطوف في الاسواق ولا يكلمني أحد وآتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فاقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام أم لا ثم أصلي معه وأسارقه النظر فاذا أقبلت على صلاتي نظر الي واذا التفت نحوه أعرض عني حتى اذا طال ذلك علي من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس الي فسلمت عليه فوالله ما رد علي السلام فقلت يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلم أني أحب الله ورسوله فسكت قال فعدت فناشدته فسكت فعدت فناشدته فقال الله ورسوله أعلم ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار فبينا أنا أمشي في سوق المدينة اذا بنبطي من نبط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب بن مالك قال فطفق الناس يشيرون له حتى جاءني فدفع الي كتابا من ملك غسان وكنت كاتبا فقرأته فاذا فيه أما بعد فانه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك قال فقلت حين قرأته وهذا أيضا من البلاء فتأممت به التنور فسجرته به حتى اذا مضت أربعون من الخمسين واستلبث الوحي اذا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك قال فقلت أطلقها أم ماذا أفعل قال لا بل اعتزلها فلا تقربها قال وأرسل الى صاحبي بذلك قال فقلت لامرأتي الحقي بأهلك تكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الامر قال فجاءت امرأة هلال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه فقال لا ولكن لا يقربنك قالت فقلت انه والله ما به حركة الى شيء والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان الى يومه هذا قال فقال لي بعض أهلي لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرأتك فقد أذن لامرأة هلال أن تخدمه قال فقلت لا أستأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريني ماذا يقول لي اذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب فلبثت بعد ذلك عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا قال ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله عنا قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الارض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع يقول بأعلى صوته يا كعب بن مالك أبشر قال فخررت ساجدا وعرفت أن قد جاء فرج قال وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا فذهب قبل صاحبي مبشرون وركض رجل الي فرسا وسعى ساع من أسلم قبلي وأوفى على الجبل وكان الصوت أسرع من الفرس فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي فكسوتهما اياه ببشارته والله ما أملك غيرهما يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت أتأمم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلقاني الناس فوجا فوجا يهنؤني بالتوبة ويقولون لتهنك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد حوله الناس فقام الي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني والله ما قام رجل من المهاجرين غيره قال فكان كعب لا ينساها لطلحة قال كعب فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك فقلت أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله قال لا بل من عند الله

وكان

وان كانت شاقة لتفوزوا بسعادة الدارين ثم قال لرسوله فان لم يقبلوا بل أعرضوا وتولوا فاتركهم ولا تلتفت اليهم وارجع في جميع أمورك الى الله الذي بالحق أرسلك فهو كافيك (وهو رب العرش العظيم) فلا يخرج عن قبضة قدرته وتصرفه شئ لانه محيط بالعرش وعما يحويه العرش والله أعلم ۞ التأويل ما كان لاهل مدينة القالب وهو النفس والهوى والقلب (٤٥) ومن حولهم من الاعراب الصفات النفسانية والقلبية أن يتخلفوا عن رسول الروح السائر اليه ولا يبذلوا وجودهم عند بذل وجوده بالفناء في الله ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ من ماء الشهوات ولا نصب من أنواع المجاهدات ولا مخمصة بترك اللذات وحطام الدنيا في طلب الله ولا يطؤن موطئا من مقامات الفناء يغيظ كفار النفس والهوى ولا ينالون من عدو الشيطان والنفس والدنيا بلاء ومحنة وفقرا وحزنا وغير ذلك من أسباب الفناء الا كتب لهم به عمل صالح من البقاء بالله بقدر الفناء في الله ولا ينفقون نفقة صغيرة هي بذل الصفات ولا كبيرة هي بذل الذات في صفات الله وفي ذاته ولا يقطعون واديا من أودية الدنيا والآخرة والنفس والهوى والقلب والروح أحسن ما كانوا يعملون لان عملهم بقدر معرفتهم وجزاؤه يضيق عنه نطاق فهمهم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم وما كان المؤمنون لينفروا في السير الى الله وبالله وفي الله فهلا نفر من كل قوم وقبيلة فرقة طائفة هم خواصهم وأهل الاستعداد الكاملون ليتعلموا السلوك ويخبروا بذلك قومهم لعلهم يحذرون من غير الله قاتلوا الذين يلونكم من كفار النفس والهوى وصفاتها وليجدوا فيكم غلظة عزيمة صادقة في ترك شهواتها وماتوا وهم كافرون أي لموت قلبهم لتزايد ظلمة النفاق كل حين ثم أخبر عن موت قلب بقوله أولا يرون أنهم يفتنون والفتنة موجبة لانتباه القلب الحي ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أي قلب حي هل يراكم من أحد في مقام الانكار والنفاق أي هل يرى محمد انكارنا على رسالته والقرآن فان كان رسولا يرانا بنور رسالته ثم انصرفوا على هذا الحسبان لان قلوبهم مصروفة وليس لهم فقه القلب لان ذلك من أمارات حياة القلب من أنفسكم تسكين للعوام لئلا ينفروا عنه واشارة للخواص

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه حتى كأن وجهه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه قال فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله ان من توبتي أن انخلع من مالي صدقة الى الله والى رسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك بعض مالك فهو خير لك قال فقلت فاني أمسك سهمي الذي بخيبر وقلت يا رسول الله ان الله انما أنجاني بالصدق وان من توبتي أن لا أحدث الا صدقا ما بقيت قال فوالله ما علمت أحدا من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله عليه السلام أحسن مما ابتلاني والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومي هذا واني أرجو أن يحفظني الله فيما بقي قال فأنزل الله لقد تاب الله على النبي حتى بلغ وعلى الثلاثة الذين خلفوا الى اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال كعب والله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد أن هداني للاسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوه فان الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون الى قوله لا يرضى عن القوم الفاسقين قال كعب خلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبتهم حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا حتى قضى الله فيه فبذلك قال الله وعلى الثلاثة الذين خلفوا وليس الذي ذكر الله مما خلفنا عن الغزو انما هو تخليفه ايانا وارجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر اليه فقبل منهم حدثنا المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب بن مالك وكان قائد كعب من بنيه حين عمي قال سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فذكر نحوه حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب عن أبيه قال لم أتخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة غزاها الا بدرا ولم يعاتب النبي صلى الله عليه وسلم أحدا تخلف عن بدر ثم ذكر نحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن ابن شهاب الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الانصاري ثم السلمي عن أبيه أن أباه عبد الله بن كعب وكان قائد أبيه كعب حين أصيب بصره قال سمعت أبي كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وحديث صاحبيه قال ما تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها غير أني كنت تخلفت عنه في غزوة بدر ثم ذكر نحوه ۞ القول في تأويل قوله (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) يقول تعالى ذكره للمؤمنين معرفهم سبيل النجاة من عقابه والخلاص من أليم عذابه يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله اتقوا الله وراقبوه بأداء فرائضه وتجنب حدوده وكونوا في الدنيا من أهل ولاية الله وطاعته تكونوا في الآخرة مع الصادقين في الجنة يعني مع من صدق الله الايمان به فحقق قوله بفعله ولم يكن من أهل النفاق فيه الذي يكذب قيلهم فعلهم وانما معنى الكلام وكونوا مع الصادقين في الآخرة باتقاء الله في الدنيا كما قال جل ثناؤه ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين

الى أن البشر لهم استعداد الوصول والوصال فان لم يكن بالاستقلال فبالمتابعة فاتبعوني يحببكم الله ومن قرأ من أنفسكم أي أشرفكم فلانه أول جوهر خلقه الله تعالى أول ماخلق الله تعالى روحي ولاختصاصه بالخلاص عن تعلق الكونين وبلوغه الى قاب قوسين أوأدنى وتحليه بحلية فأوحى الى عبده

ماأوحى ولعلو همته مازاغ البصر وماطغى ولرؤيته سر القدر ولقد رأى من

والصديقين والشهداء والصالحين وانما قلنا ذلك معنى الكلام لان كون المنافق مع المؤمنين غير نافعه بأي وجوه الكون كان معهم ان لم يكن عاملا أعمالهم واذا عمل عملهم فهو منهم واذا كان منهم كان لاوجه في الكلام أن يقال اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ولتوجيه الكلام الى ماوجهناه من تأويله فسر ذلك من فسره من أهل التأويل بان قال معناه وكونوا مع أبي بكر وعمر أو مع النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين رحمة الله عليهم ذكر من قال ذلك أو غيره في تأويله حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن زيد بن أسلم عن نافع في قول الله اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه حدثنا ابن وكيع قال ثنا حبوية أبو يزيد عن يعقوب القمي عن زيد بن أسلم عن نافع قال قيل للثلاثة الذين خلفوا يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين محمد وأصحابه حدثني المثنى قال ثنا اسحق بن اسمعيل عن عبد الرحمن المحاربي عن جويبر عن الضحاك في قوله وكونوا مع الصادقين قال مع أبي بكر وعمر وأصحابهما رحمة الله عليهم قال ثنا محمد بن يحيى قال ثنا اسحق بن بشر الكاهلي قال ثنا خلف بن خليفة عن أبي هاشم الرماني عن سعيد بن جبير في قول الله اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال مع أبي بكر وعمر رحمة الله عليهما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال مع المهاجرين الصادقين وكان ابن مسعود فيما ذكر عنه يقرؤه وكونوا من الصادقين ويتأوله أن ذلك نهي من الله عن الكذب ذكر الرواية عنه بذلك حدثني المثنى قال ثنا آدم العسقلاني قال ثنا شعبة عن عمرو بن مرة قال سمعت أبا عبيدة بن عبد الله بن مسعود يقول قال ابن مسعود ان الكذب لايحل منه جد ولا هزل اقرؤا ان شئتم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا من الصادقين قال وكذلك هي قراءة ابن مسعود من الصادقين فهل ترون في الكذب رخصة * قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن شعبة عن عمرو بن مرة قال سمعت أبا عبيدة عن عبد الله نحوه * قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عمرو ابن مرة قال سمعت أبا عبيدة يحدث عن عبد الله قال الكذب لايصلح منه جد ولا هزل اقرؤا ان شئتم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا من الصادقين وهي كذلك في قراءة عبد الله فهل ترون من رخصة في الكذب حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن الأعمش عن ابراهيم عن عبد الله قال لايصلح الكذب في هزل ولا جد ثم تلا عبد الله اتقوا الله وكونوا ماأدري أقال من الصادقين أو مع الصادقين وهو في كتابي مع الصادقين * قال ثنا أبي عن الاعمش عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله مثله قال ثنا أبي عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله مثله والصحيح من التأويل في ذلك هو التأويل الذي ذكرناه عن نافع والضحاك وذلك أن رسوم المصاحف كلها مجمعة على وكونوا مع الصادقين وهي القراءة التي لا أستجيز لأحد القراءة بخلافها وتأويل عبد الله رحمة الله عليه في ذلك على قراءته تأويل صحيح غير أن القراءة بخلافها القول في تأويل قوله ﴿ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لايصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لايضيع أجر المحسنين﴾

آيات ربه الكبرى بالمؤمنين رؤف رحيم فمن رأفته أمر بالرفق كما قال ان هذا الدين متين فأوغلوا فيه بالرفق ومن رحمته قيل له فبما رحمة من الله لنت لهم وههنا نكتة وهي أن رأفته ورحمته لما كانت مخلوقة اختصت بالمؤمنين فقط وكانت رحمته تعالى ورأفته للناس عامة ان الله بالناس لرؤف رحيم ونكتة أخرى هي أن رحمته صلى الله عليه وسلم عامة للعالمين بقوله وما أرسلناك الا رحمة للعالمين وأما رحمته المضمومة الى الرأفة فخاصة بالمؤمنين وكأن الرأفة اشارة الى ظهور أثر الدعوة في حقهم فالمؤمنون أمة الدعوة والاجابة جميعا وغيرهم أمة الدعوة فقط فقل حسبي الله لان المقصود من التبليغ قد حصل لك وهو وصولك الى الله أعرضوا عن دعوتك أو أقبلوا والله المستعان

* (سورة يونس مكية الا ثلاث آيات قوله تعالى فان كنت في شك الى آخرهن حروفها ٥٥٦٧ كلماتها ١٨٣٢ وآياتها ١٠٩)

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

﴿الر تلك آيات الكتاب الحكيم أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون ان هذا لساحر مبين ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الامر مامن شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون اليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا انه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ماخلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون ان في اختلاف الليل

يقول

والنهار وما خلق الله فى السموات والارض لآيات لقوم يتقون ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الانهار فى جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين (٤٧) القرآآت الر بالامالة وكذلك

مابعده أبو عمرو وخلف وحمزة وعلى والخراز عن هبيرة والنجارى عن ورش ويحيى وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان لساحر بالالف ابن كثير وعاصم وحمزة وعلى وخلف الآخرون لسحر حقا أنه بالفتح يزيد ضياء بالهمز حيث كان ابن مجاهد وأبو عون عن قنبل يفصل بالياء ابن كثير وعمرو وسهل ويعقوب وحفص والمفضل والحلى الباقون بالنون واطمأنوا بغير همز الاصبهانى عن ورش وحمزة فى الوقف الوقوف الر ق كوفى الحكيم ○ ط عند ربهم ط مبين ○ الامر ط اذنه ط فاعبدوه ط تذكرون ○ جميعا ط حقا ط الالمن قرأ أنه بالفتح بالقسط ط يكفرون ○ والحساب ط الا بالحق ط لمن قرأ فصل بالنون ومن قرأ بالياء أمكنه أن يجعل يفصل حالا يعلمون ○ يتقون ○ غافلون ○ لا لأن أولئك خبران بايمانهم ج ط للحذف تقديره يهديهم ربهم بايمانهم الى دار البقاء مع اتحاد المقصود وتمام الموعود النعيم ○ سلام ج ط لان الجملتين وان اتفقتا فقد اعترضت جملة معطوفة أخرى لان قوله وآخر دعواهم معطوف على دعواهم الاول العالمين ○ التفسير اتفقوا على ان قوله (الر) ليس بآية وعلى أن طه آية واعل الفرق أن الر لا يشاكل مقاطع الآى التى بعده عن ابن عباس الر

معناه انا الله أرى وقيل لا رب غيرى وقيل الر وحم ون اسم الرحمن (تلك) اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والتبعيد للتعظيم و الكتاب السورة و الحكيم ذو الحكمة لاشتماله عليها أو وصف بصفة من تكلم به ومنه قولهم للقصيدة حكيمة وقيل فعيل بمعنى فاعل لانه يحكم بين الحق والباطل أو يحكم بأن محمدا صادق لان القرآن أظهر معجزاته وأبقاها وقيل بمعنى مفعول أى حكم فيه بجميع المأمورات والمنهيات

يقول تعالى ذكره لم يكن لاهل المدينة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن حولهم من الأعراب سكان البوادى الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك وهم من أهل الايمان به أن يتخلفوا فى أهاليهم ولا دارهم ولا أن يرغبوا بأنفسهم عن نفسه فى صحبته فى سفره والجهاد معه ومعاونته على ما يعانيه فى غزوه ذلك يقول انه لم يكن لهم هذا بأنهم من أجل أنهم وبسبب أنهم لا يصيبهم فى سفرهم اذا كانوا معه ظمأ وهو العطش ولا نصب يقول ولا تعب ولا مخمصة فى سبيل الله يعنى ولا مجاعة فى اقامة دين الله ونصرته وهدم منار الكفر ولا يطؤن موطئا يعنى أرضا يقول ولا يطؤن أرضا يغيظ الكفار وطؤهم اياها ولا ينالون من عدو نيلا يقول ولا يصيبون من عدو الله وعدوهم شيأ فى أموالهم وأنفسهم وأولادهم الا كتب الله لهم بذلك كله ثواب عمل صالح قد ارتضاه ان الله لا يضيع أجر المحسنين يقول ان الله لا يدع محسنا من خلقه أحسن فى عمله فأطاعه فيما أمره وانتهى عما نهاه عنه أن يجازيه على احسانه ويثيبه على صالح عمله فلذلك كتب لمن فعل ذلك من أهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ما ذكر فى هذه الآية الثواب على كل ما فعل فلم يضيع له أجر فعله ذلك وقد اختلف أهل التأويل فى حكم هذه الآية فقال بعضهم هى محكمة وانما كان ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة لم يكن لاحد أن يتخلف اذا غزا خلافه فيقعد عنه الا من كان ذا عذر فأما غيره من الأئمة والولاة فان لمن شاء من المؤمنين أن يتخلف خلافه اذا لم يكن بالمسلمين اليه ضرورة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه هذا اذا غزا نبى الله بنفسه فليس لاحد أن يتخلف ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال لولا أن أشق على أمتى ما تخلفت خلف سرية تغزو فى سبيل الله لكنى لا أجد سعة فانطلق بهم معى ويشق على أو أكره أن أدعهم بعدى حدثنا على بن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم قال سمعت الاوزاعى وعبد الله بن المبارك والفزارى والسبيعى وابن جابر وسعيد بن عبد العزيز يقولون فى هذه الآية ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله الى آخر الآية انها لأول هذه الأمة وآخرها من المجاهدين فى سبيل الله وقال آخرون هذه الآية نزلت وفى أهل الاسلام قلة فلما كثروا نسخها الله وأباح التخلف لمن شاء فقال وما كان المؤمنون لينفروا كافة ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله فقرأ حتى بلغ ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون قال هذا حين كان الاسلام قليلا فلما كثر الاسلام بعد قال وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة الى آخر الآية والصواب من القول فى ذلك عندى أن الله عنى بها الذين وصفهم بقوله وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم الآية ثم قال جل ثناؤه ما كان لاهل المدينة الذين تخلفوا عن رسول الله ولا لمن حولهم من الأعراب الذين قعدوا عن الجهاد معه أن يتخلفوا خلافه ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ندب فى غزوته تلك كل من أطاق النهوض معه الى الشخوص الا من اذن له أو أمره بالمقام بعده فلم يكن

لمن قدر على الشخوص التخلف فعذل جل ثناؤه من تخلف منهم فأظهر نفاق من كان تخلفه منهم نفاقا وعذر من كان تخلفه لعذر وتاب على من كان تخلفه تفريطا من غير شك ولا ارتياب في أمر الله اذ تاب من خطأ ما كان منه من الفعل فأما التخلف عنه في حال استغنائه فلم يكن محظورا اذا لم يكن عن كراهته منه صلى الله عليه وسلم ذلك وكذلك حكم المسلمين اليوم ازاء امامهم فليس بفرض على جميعهم النهوض معه الا في حال حاجته اليهم لما لا بد للاسلام وأهله من حضورهم واجتماعهم واستنهاضه اياهم فيلزمهم حينئذ طاعته واذا كان ذلك معنى الآية لم تكن احدى الآيتين اللتين ذكرنا ناسخة للاخرى اذ لم تكن احداهما نافية حكم الاخرى من كل وجوهه ولا جاء خبر بوجه الحجة بأن احداهما ناسخة للاخرى وقد بينا معنى المخمصة وأنها المجاعة بشواهده وذكرنا الرواية عمن قال ذلك في موضع غير هذا فأغنى ذلك عن اعادته ههنا وأما النيل فهو مصدر من قول القائل نالني ينالني ونلت الشئ فهو منيل وذلك اذا كنت تناله بيدك وليس من التناول وذلك أن التناول من النوال يقال منه نلت له أنول له من العطية وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول النيل مصدر من قول القائل نالني بخير ينولني نوالا وأنالني خيرا انالة وقال كأن النيل من الواو أبدلت ياء لخفتها وثقل الواو وليس ذلك بمعروف في كلام العرب بل من شأن العرب أن تصحح الواو من ذوات الواو اذا سكنت وانفتح ما قبلها كقولهم القول والعول والحول ولو جاز ما قال لجاز القيل ۞ القول في تأويل قوله ﴿ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون﴾ يقول تعالى ذكره ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ وسائر ما ذكر ولا ينالون من عدو نيلا ولا ينفقون نفقة صغيرة في سبيل الله ولا يقطعون مع رسول الله في غزوه واديا الا كتب لهم أجر عملهم ذلك جزاء لهم عليه كأحسن ما يجزيهم على أحسن أعمالهم التي كانوا يعملونها وهم مقيمون في منازلهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة الآية قال ما ازداد قوم من أهليهم في سبيل الله بعدا الا ازدادوا من الله قربا ۞ القول في تأويل قوله ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون﴾ يقول تعالى ذكره ولم يكن المؤمنون لينفروا جميعا وقد بينا معنى الكافة بشواهده وأقوال أهل التأويل فيه فأغنى عن اعادته في هذا الموضع ثم اختلف أهل التأويل في المعنى الذي عناه الله بهذه الآية وما النفر الذي كرهه لجميع المؤمنين فقال بعضهم هو نفر كان من قوم كانوا بالبادية بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمون الناس الاسلام فلما نزل قوله ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله انصرفوا عن البادية الى النبي صلى الله عليه وسلم خشية أن يكونوا ممن تخلف عنه وممن عنى بالآية فأنزل الله في ذلك عذرهم بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة وكره انصراف جميعهم من البادية الى المدينة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة قال ناس من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم خرجوا في البوادي فأصابوا من الناس معروفا ومن

وقيل بمعنى المحكم والاحكام المنع من الفساد وذلك أنه لا يمحوه الماء ولا يحرقه النار ولا يغيره الدهور ويحتمل أن يقال الكتاب الحكيم هو القرآن أو اللوح المحفوظ أو التوراة والانجيل لان جميع الكتب الالهية متوافقة في الاصول ويجوز أن يكون تلك اشارة الى ما تقدم هذه السورة من آيات القرآن واعلم أنه سبحانه لما ختم السورة المتقدمة بقوله لقد جاءكم رسول من أنفسكم صدر هذه السورة بتعديد بعض الحروف على طريق التحدي وذلك أن حروف القرآن من جنس الحروف التي يتلفظون بها فلولا أنه معجز لعارضوه وناقضوه ولما بين بهذا الطريق أن محمدا رسول حق من عند الله أنكر على كفار قريش تعجبهم من كونه رسولا فقال (أكان للناس عجبا) نصب على أنه خبر كان واسمه (أن أوحينا) وفائدة اللام في قوله للناس مع تقدمه هي أنهم جعلوه لهم أعجوبة يتحدثون بها ثم ان تعجبهم اما أن يكون من جعل البشر رسولا أو من تخصيص محمد صلى الله عليه وسلم بالوحي والنبوة فقد روى أنهم كانوا يقولون العجب أن الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم أبي طالب وكلا الامرين ليس بعجب أما الاول فلان الجنس الى الجنس أميل ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا وأما الثاني فلان الفقر واليتم لا يوجب في النبوة قدحا لان الله غني عن العالمين وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى وانما المعتبر في الاستنباء كونه متصفا بالصدق والامانة والتقوى وكان لمحمد صلى الله عليه وسلم في ذلك قبل بعثه اليد الطولى اذ كان يدعى محمدا الامين وأن في قوله (أن أنذر الناس) هي المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول أو مخففة من الثقيلة وقد عملت في ضمير شأن مقدر معناه انه أي ان الشأن قولنا أنذر الناس وقوله (وبشر الذين آمنوا أن لهم) أي بأن لهم والانذار اخبار مع تخويف وانه الخصب عام للناس كلهم ولكن البشارة خاصة بالمؤمنين ويحتمل أن يراد بالناس الكفار فقط ويمكن أن يكون تعجبهم عائدا الى الانذار والتبشير وليس ذلك بعجب بل المنكر في العقول تعطيل الاعمال وأن يترك الانسان سدى وارسال الرسل أمر ما أخلى الله تعالى المكلفين عنه شيأ من الازمنة

وبه تتم المالكية والامر والنهي والاذن والمنع والثواب والجزاء وانما قدم الانذار على التبشير لان الانذار تحذير عن فعل ما لا ينبغي والتبشير ترغيب في فعل ما ينبغي والتخلية مقدمة على التحلية ومعنى (قدم صدق) سابقة فضل ومنزلة رفيعة أي سبق لهم عند الله خير قال أحمد بن يحيى القدم كل ما قدمت من خير وقال ابن الانبارى كناية عن العمل الذي لا يقع

فيه تأخير ولا ابطاء والسبب في اطلاق القدم على السابقة أن السعي والسبق لا يحصل الا بالقدم فسمى المسبب باسم السبب كما سميت النعمة يدا لأنها تعطى باليد واضافة القدم الى صدق لاجل المبالغة والتنبيه على أنها من السوابق العظيمة أي القدم التي يصدق ويحق أن تسمى قدما وأما عبارات المفسرين فمنهم من قال قدم صدق هي الاعمال الصالحة ومنهم من قال الثواب ومنهم من قال شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم أما قوله (قال الكافرون) فقال القفال فيه اضمار والتقدير فلما أنذرهم قالوا ذلك ثم من قرأ الساحر بالالف فقوله هذا اشارة الى النبي صلى الله عليه وسلم ومن قرأ السحر فهو اشارة الى القرآن وفيه دليل على عجزهم واعترافهم بأنهم قاصرون عن معارضته كالسحر ومن ههنا جوز بعضهم أن يكونوا أرادوا به المدح أي انه لكمال فصاحته وتعذر الاتيان بمثله جار مجرى السحر ثم لما أنكر عليهم تعجبهم من الامور المذكورة وهي الواسطة أراد أن يقيم البرهان عليها باثبات المبدا وبين غايتها باثبات المعاد وذلك في آيتين متواليتين وقدمر في الاعراف تفسير قوله (ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش) فلا حاجة الى الاعادة ثم ذكر ما يدل على مزيد عظمته وجلاله وأنه لا يخرج أمر من الامور من قضائه وتقدير فقال (يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه) وانما فقد العاطف لانهما كالتفسير والتفصيل لما دل عليه قوله ان ربكم الله الخ والامر الشأن أراد به أحوال الخلق وأحوال ملكوت السموات والارض والعرش والمعنى أنه يقضي ويقدر بمقتضى الحكمة ويفعل ما يفعله المصيب في أفعاله الناظر في أدبار الامور وعواقبها لئلا يدخل في الوجود ما لا ينبغي قال الزجاج ان الكفار الذين خوطبوا

الخصب ما ينتفعون به ودعوا من وجدوا من الناس الى الهدى فقال الناس لهم ما نراكم الا قد تركتم أصحابكم وجئتمونا فوجدوا في أنفسهم من ذلك حرجا وأقبلوا من البادية كلهم حتى دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال الله فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة يبتغون الخير ليتفقهوا وليسمعوا ما في الناس وما أنزل الله بعدهم ولينذروا قومهم الناس كلهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله الا أنه قال في حديثه فقال الله فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة خرج بعض وقعد بعض يبتغون الخير * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحو حديثه عن أبي حذيفة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحو حديث المثنى عن أبي حذيفة غير أنه قال في حديثه ما نراكم الا قد تركتم صاحبكم وقال ليتفقهوا ليسمعوا ما في الناس * وقال آخرون معنى ذلك وما كان المؤمنون لينفروا جميعا الى عدوهم ويتركوا نبيهم صلى الله عليه وسلم وحده كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة قال ليذهبوا كلهم فلولا نفر من كل حي وقبيلة طائفة وتخلف طائفة ليتفقهوا في الدين ليتفقه المتخلفون مع النبي صلى الله عليه وسلم في الدين ولينذر المتخلفون النافرين اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة يقول ما كان المؤمنون لينفروا جميعا ويتركوا النبي صلى الله عليه وسلم وحده فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة يعني عصبة يعني السرايا ولا يتسروا الا باذنه واذا رجعت السرايا وقد نزل بعدهم قرآن تعلمه القاعدون من النبي صلى الله عليه وسلم قالوا ان الله قد أنزل على نبيكم بعدكم قرآنا وقد تعلمناه فيمكث السرايا يتعلمون ما أنزل الله على نبيهم بعدهم ويبعث سرايا أخر فذلك قوله ليتفقهوا في الدين يقول يتعلمون ما أنزل الله على نبيه ويعلمونه السرايا اذا رجعت اليهم لعلهم يحذرون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة الى قوله لعلهم يحذرون قال هذا اذا بعث نبي الله الجيوش أمرهم أن لا يعروا نبيه وتقيم طائفة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تتفقه في الدين وتنطلق طائفة تدعو قومها وتحذرهم وقائع الله فيمن خلا قبلهم حدثنا الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة الآية كان نبي الله اذا غزا بنفسه لم يحل لأحد من المسلمين أن يتخلف عنه الا أهل العذر وكان اذا أقام فأسرت السرايا لم يحل لهم أن ينطلقوا الا باذنه فكان الرجل اذا أسرى فنزل بعده قرآن تلاه نبي الله على أصحابه القاعدين معه فاذا رجعت السرية قال لهم الذين أقاموا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله أنزل بعدكم على نبيه قرآنا فيقرؤنهم ويفقهونهم في الدين وهو قوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة يقول اذا أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة يعني بذلك أنه لا ينبغي للمسلمين أن ينفروا جميعا ونبي الله قاعد ولكن اذا

قعد نبي الله تسرت السرايا وقعد معه عظم الناس * وقال آخرون بل معنى ذلك ما هؤلاء الذين نفروا بمؤمنين ولو كانوا مؤمنين لم ينفر جميعهم ولكنهم منافقون ولو كانوا صادقين أنهم مؤمنون لنفر بعض ليتفقه في الدين ولينذر قومه اذا رجع اليهم ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة فانها ليست في الجهاد ولكن لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر بالسنين أجدبت بلادهم وكانت القبيلة منهم تقبل بأسرها حتى يحلوا بالمدينة من الجهد و يعتلوا بالاسلام وهم كاذبون فضيقوا على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأجهدوهم وأنزل الله يخبر رسول الله أنهم ليسوا مؤمنين فردهم رسول الله الى عشائرهم وحذر قومهم أن يفعلوا فعلهم فذلك قوله ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون * وقد روي عن ابن عباس في ذلك قول ثالث وهو ما حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة الى قوله لعلهم يحذرون قال كان ينطلق من كل حي من العرب عصابة فيأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيسألونه عما يريدونه من دينهم و يتفقهون في دينهم و يقولون لنبي الله ما تأمرنا أن نفعله وأخبرنا ما نقول لعشائرنا اذا انطلقنا اليهم قال فيأمرهم نبي الله بطاعة الله وطاعة رسوله و يبعثهم الى قومهم بالصلاة والزكاة وكانوا اذا أتوا قومهم نادوا ان من أسلم فهو منا وينذرونهم حتى ان الرجل ليعرف أباه وأمه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرهم و ينذرون قومهم فاذا رجعوا اليهم يدعونهم الى الاسلام و ينذرونهم النار و يبشرونهم بالجنة * وقال آخرون انما هذا تكذيب من الله لمنافقين أزروا بأعراب المسلمين وعزروهم في تخلفهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ممن قد عذره الله بالتخلف ذكر من قال ذلك حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان بن عيينة عن سليمن الأحول عن عكرمة قال لما نزلت هذه الآية ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله الى ان الله لا يضيع أجر المحسنين قال ناس من المنافقين هلك من تخلف فنزلت وما كان المؤمنون لينفروا كافة الى لعلهم يحذرون ونزلت والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة الآية حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة قال ثنا سليمن الأحول عن عكرمة قال سمعته يقول لما نزلت إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما وما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الأعراب الى قوله ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون قال المنافقون هلك أصحاب البدو الذين تخلفوا عن محمد ولم ينفروا معه وقد كان ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا الى البدو والى قومهم يفقهونهم فأنزل الله وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة الى قوله لعلهم يحذرون ونزلت والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له الآية * واختلف الذين قالوا عني بذلك النهي عن نفر الجميع في السرية وترك النبي عليه السلام وحده في المعنيين بقوله ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم فقال بعضهم عني به الجماعة المتخلفة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقالوا

بهذه الآية كانوا يقولون ان الاصنام شفعاؤنا عند الله فرد الله عليهم بأنه ليس لأحد أن يشفع اليه في شئ الا بعد اذنه لانه أعلم بموضع الحكمة والصواب فلا يجوز لهم أن يسألوه ما لا يعلمون أنه صواب وصلاح ففي قوله يدبر الامر اشارة الى استقلاله في التصرف في جانب المبدا وفي قوله ما من شفيع اشارة الى استقلاله في طرف المعاد ويمكن أن يقال المراد أنه خلق العالم على أحسن الوجوه وأقربها من الأصلح مع أنه ما كان هنالك شفيع يشفع في تحصيل المصالح فدل ذلك على أنه محسن الى عباده مريد للخير والرأفة بهم كامل العناية بأحوالهم قال أبو مسلم الشفيع معناه الثاني من الشفع الذي يخالف الوتر أي خلق السموات والارض وحده ولا حي معه ولا شريك يعينه ثم خلق الملائكة والثقلين والمراد أنه لم يدخل في الوجود أحد الا من بعد أن قال له كن حتى كان وحصل ثم أشار الى المعلوم بالاوصاف المذكورة فقال (ذلكم الله ربكم) الذي يستأهل منكم العبادة بازاء النعم الجسام من خلق السموات والارض بما فيهما وعليهما (فاعبدوه) وحده (أفلا تذكرون) فيه تنبيه على وجوب الاعتبار والنظر في الدلائل الدالة على عظمته وجلاله ثم شرع في اثبات المعاد فقال (اليه مرجعكم) أي رجوعكم (جميعا) مجموعين وتقديم الجار والمجرور للاختصاص والمعنى لا ترجعون في العاقبة الا الى جزائه وحكمه فاستعدوا للقائه ثم أكد ذلك بقوله (وعد الله حقا) وفيه تأكيدان كما مر ثم قال (انه يبدأ الخلق ثم يعيده) وهو استئناف فيه معنى التعليل كأنه قال ان الذي قدر على الابداء يقدر على الاعادة بالطريق الاولى كقوله وننشئكم فيما لا تعلمون يعني أنه سبحانه لما كان قادرا على انشاء ذواتكم أولا ثم على انشاء أجزائكم حال حياتكم ثانيا شيأ فشيأ من غير أن تكونوا عالمين بوقت حدوثه وبوقت نموه وجب القطع بأنه لا يمتنع عليه اعادة تلك الاجزاء بعد البلى والتفرق ومن قرأ أنه بالفتح فعلى حذف لام التعليل أي لانه أو على أنه منصوب بالفعل الذي نصب وعد الله أي وعد الله وعدا بدء الخلق ثم اعادته ويجوز أن يكون مرفوعا بما نصب حقا أي حق حقا بدء الخلق ثم ذكر غاية الاعادة وحكمتها فقال (ليجزي الذين آمنوا وعملوا

الصالحات) قال المفسرون في الآية اضمار والتقدير انه يبدأ الخلق ليأمرهم بالعبادة ثم يميتهم ثم يعيدهم ليجزي وانما حسن هذا الحذف لتقدم قوله فاعبدوه ولأن الاعادة لا تكون الا بعد الاماتة والاعدام وقوله (بالقسط) أي بالعدل متعلق بيجزي أي ليجزيهم بقسطه ويوفيهم أجرهم أو ليجزيهم بقسطهم وعما لم يظلموا أنفسهم حين آمنوا وعملوا الصالحات

وهذا وجه حسن لطباق قوله بما كانوا

وقالوا معنى الكلام فهلا نفر من كل فرقة طائفة للجهاد ليتفقه المتخلفون في الدين ولينذروا قومهم الذين نفروا في السرية اذا رجعوا اليهم من غزوهم وذلك قول قتادة وقد ذكرنا رواية ذلك عنه من رواية سعيد بن أبي عروبة وقد حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين الآية قال ليتفقه الذين قعدوا مع نبي الله ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم يقول لينذروا الذين خرجوا اذا رجعوا اليهم حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن وقتادة وما كان المؤمنون لينفروا كافة قالا كافة ويدعوا النبي صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون منهم بل معنى ذلك لتتفقه الطائفة النافرة دون المتخلفة وتحذر النافرة المتخلفة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين قال ليتفقه الذين خرجوا بما يريهم الله من الظهور على المشركين والنصرة وينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم * وأولى الاقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يقال تأويله وما كان المؤمنون لينفروا جميعا ويتركوا رسول الله وحده وأن الله نهى بهذه الآية المؤمنين به أن يخرجوا في غزو وجهاد وغير ذلك من أمورهم ويدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحيدا ولكن عليهم اذا سرى رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية أن ينفر معها من كل قبيلة من قبائل العرب وهي الفرقة طائفة وذلك من الواحد الى ما بلغ من العدد كما قال الله جل ثناؤه فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة يقول فهلا نفر من كل فرقة منهم طائفة وهذا الى هاهنا على أحد الاقوال التي رويت عن ابن عباس وهو قول الضحاك وقتادة وانما قلنا هذا القول أولى الأقوال في ذلك بالصواب لان الله تعالى ذكره حظر التخلف خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المؤمنين به من أهل المدينة مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن الأعراب لغير عذر يعذرون به اذا خرج رسول الله لغزو وجهاد عدو وقبل هذه الآية بقوله ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ثم عقب ذلك جل ثناؤه بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة فكان معلوما بذلك اذ كان قد عرفهم في الآية التي قبلها اللازم لهم من فرض النفر والمباح لهم من تركه في حال غزو رسول الله صلى الله عليه وسلم وشخوصه عن مدينته لجهاد عدو وأعلمهم أنه لا يسعهم التخلف خلافه الا لعذر بعد استنهاضه بعضهم وتخليفه بعضهم أن يكون عقيب تعريفهم ذلك تعريفهم الواجب عليهم عند مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمدينته واشخاص غيره عنها كما كان الابتداء بتعريفهم الواجب عند شخوصه وتخليفه بعضهم وأما قوله ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم فان أولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال ليتفقه الطائفة النافرة بما تعاين من نصر الله أهل دينه وأصحاب رسوله على أهل عداوته والكفر به فيفقه بذلك من معاينته حقيقة علم أمر الاسلام وظهوره على الاديان من لم يكن فقهه ولينذروا قومهم فيحذروهم أن ينزل بهم من بأس الله مثل الذي نزل بمن شاهدوا وعاينوا ممن ظفر بهم المسلمون من أهل الشرك اذا هم رجعوا اليهم من غزوهم لعلهم يحذرون يقول لعل قومهم اذا هم

يكفرون وفي قوله (والذين كفروا) من غير أن يدخل لام العاقبة في الجملة كما أدخلها في الاولى دليل على أنه خلق الخلق للرحمة لا للعذاب وانما جاء التعذيب لغرض وقوعهم في طريق القهر والحميم الماء الذي أسخن بالنار حتى انتهى حره قالت الاشاعرة في الآية دلالة على عدم منزلة بين المنزلتين على ما يقول بها المعتزلة وأجيب بأن عدم الذكر لا يدل على العدم ورد بأن الفساق أكثر من أهل الطاعة فكيف يجوز طي ذكرهم واعلم أن للعلماء في اثبات المعاد طريقين الاول طريق القائلين بالحسن والقبح العقليين والثاني طريق من يقول لا يجب على الله شئ أصلا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد أما الفريق الاول فلهم على وجوب المعاد حجج عقلية منها أنه تعالى خلق الخلق وأعطاهم عقولا وقدرا فيجب في حكمته أن يرغبهم في الخيرات ويزجرهم عن السيئات وهذا الترغيب والزجر لا يمكن الا بربط الثواب على الفعل والعقاب على الترك هذا في المأمورات وبالعكس في المنهيات وذلك الثواب المرغب والعقاب المرهب غير حاصل في الدنيا فلا بد من دار أخرى هي دار الآخرة ليحصل فيها ذلك والا لزم أن يكون الله تعالى كاذبا في قوله ليجزي الخ فان قيل لم لا يكفي في الترغيب والردع ما أودع الله في العقول من تحسين الخيرات وتقبيح المنكرات فلا يحتاج الى الوعد والوعيد ولئن سلم فلم لا يجوز أن يكون الغرض من الترغيب والترهيب نظام العالم لا أنه يفعل ذلك ولا يلزم منه الكذب على الله ألستم تخصصون أكثر عمومات القرآن ثم تزعمون أنه لا كذب سلمنا أنه يفعل لكن لم لا يجوز أن يكون الثواب والعقاب هو ما يصل الى الانبياء في دار الدنيا من الراحات والآلام فالجواب أن العقل وان كان يدعو الى فعل الخير وترك الشر الا أن الهوى والنفس

يدعوان الى الانهماك في الشهوات الجسمانية واذا حصل هذا التعارض فلا بد من مرجح وما ذاك الا ترتيب الوعد والوعيد على الاعمال وتجويز الخلف في ذلك مناف للغرض وأخذ الاجرة انما يكون بعد الفراغ من العمل والعبد ما دام في الدنيا فهو في العمل وقد ترى أزهد الناس وأعلمهم مبتلى بالآفات والبليات وأفسقهم وأجهلهم في أتم اللذات والمسرات ومنها أن صريح العقل يوجب

في حكمة الحكيم أن يفرق بين المحسن والمسيء والمظلوم والظالم وأن لا يجعل من كفر به وعصاه كمن آمن به وأطاعه وليس هذه التفرقة في الدنيا كما قيل

كم عالم عالم أعيت مذاهبه
وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا

فلا بد من دار أخرى يظهر فيها التفاوت ومنها أنه كلف عبيده بأن يعبدوه والحكيم اذا أمر عبده بشيء فلا بد أن يجعله فارغ البال منتظم الاحوال حتى يمكنه الاشتغال بأداء تكاليفه والناس جبلوا على طلب اللذات والتبادر الى تحصيل أسباب الراحات فلو لم يكن زاجر من خوف المعاد لوقع الهرج والمرج والفتن وحينئذ لا يتفرغ المكلف لاداء ما أمر به فان قيل لم لا يكفي في نظام العالم مهابة الملوك وسياستهم قلنا ان لم يكن السلطان قاهرا قادرا على الرعية فلا فائدة فيه وان كان قاهرا غالبا ولا خوف له من المعاد فحينئذ يقدم على أنواع الظلم والايذاء لأن الداعية النفسانية قائمة ولا وازع له في الدنيا ولا في الآخرة ومنها أنه تعالى خلق هذا العالم وخلق فيه الناس والعبث لا يليق بالحكيم الرحيم فوجب أن يقال انه خلقهم لمقصود ومصلحة وخير وليس ذلك في الدنيا لأن لذات هذا العالم جسمانية لا حقيقة لها الا ازالة الألم وازالة الألم أمر عدمي وكان هذا حاصلا قبل الوجود فلا يبقى للتخليق فائدة وأيضا ان لذات الدنيا مشوبة بالآلام بل اللذة في الدنيا كالقطرة من البحر وعلمنا ان للراحة دارا أخرى فان قيل اليس انه يعذب أهل النار لا لمصلحة وفائدة لهم قلنا الفرق أن ذلك الالم استحقوه على أعمالهم وهذا الالم الحاصل في الدنيا غير مستحق فوجب أن يعقبه خيرات عظيمة والا فينافي كونه أرحم الراحمين وأكرم الاكرمين ومنها أنه لو لم يحصل للانسان معاد لكان أخس من جميع الحيوانات لأنها تشاركه

حذر وهم ما عاينوا من ذلك يحذرون فيؤمنون بالله ورسوله حذرا أن ينزل بهم ما نزل بالذين أخبروا خبرهم وانما قلنا ذلك أولى الاقوال بالصواب وهو قول الحسن البصري الذي رويناه عنه لان النفر قد بينا فيما مضى أنه اذا كان مطلقا بغير صلة بشيء أن الاغلب من استعمال العرب اياه في الجهاد والغزو فاذا كان ذلك هو الاغلب من المعاني فيه وكان جل ثناؤه قال فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين علم أن قوله ليتفقهوا انما هو شرط للنفر لا لغيره اذ كان يليه دون غيره من الكلام فان قال قائل وما تنكر أن يكون معناه ليتفقه المتخلفون في الدين قيل ننكر ذلك لاستحالته وذلك أن نفر الطائفة النافرة لو كان سببا لتفقه المتخلفة وجب أن يكون مقامها معهم سببا لجهلهم وترك التفقه وقد علمنا أن مقامهم لو أقاموا ولم ينفروا لم يكن سببا لمنعهم من التفقه وبعد فانه قال جل ثناؤه ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم عطفا به على قوله ليتفقهوا في الدين ولا شك أن الطائفة النافرة لم ينفروا الا والانذار قد تقدم من الله اليها وللانذار وخوف الوعيد نفرت فما وجه انذار الطائفة المتخلفة الطائفة النافرة وقد تساوتا في المعرفة بانذار الله اياهما ولو كانت احداهما جائزا أن توصف بانذار الاخرى لكان أحقهما بأن يوصف به الطائفة النافرة لانها قد عاينت من قدرة الله ونصرة المؤمنين على أهل الكفر به ما لم تعاين المقيمة ولكن ذلك ان شاء الله كما قلنا من أنها تنذر من حيها وقبيلتها من لم يؤمن بالله اذا رجعت اليه أن ينزل به ما أنزل بمن عاينته ممن أظفر الله به المؤمنين من نظرائه من أهل الشرك ۞ القول في تأويل قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله قاتلوا من وليكم من الكفار دون من بعد منهم يقول لهم ابدؤا بقتال الأقرب فالأقرب اليكم دارا دون الأبعد فالأبعد وكان الذين يلون المخاطبين بهذه الآية يومئذ الروم لأنهم كانوا سكان الشأم يومئذ والشأم كانت أقرب الى المدينة من العراق فأما بعد أن فتح الله على المؤمنين البلاد فان الفرض على أهل كل ناحية قتال من وليهم من الاعداء دون الأبعد منهم ما لم يضطر اليهم أهل ناحية أخرى من نواحي بلاد الاسلام فان اضطروا اليهم لزمهم عونهم ونصرهم لأن المسلمين يد على من سواهم ولصحة كون ذلك كذلك تأول كل من تأول هذه الآية أن معناها ايجاب الفرض على أهل كل ناحية قتال من وليهم من الاعداء ذكر الرواية بذلك عنهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن شبيب بن غرقدة عن عروة البارقي عن رجل من بني تميم قال سألت ابن عمر عن قتال الديلم قال عليك بالروم حدثنا ابن بشار وأحمد بن اسحق وسفيان بن وكيع قالوا ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن يونس عن الحسن قاتلوا الذين يلونكم من الكفار قال الديلم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن الربيع عن الحسن أنه كان اذا سئل عن قتال الروم والديلم تلا هذه الآية قاتلوا الذين يلونكم من الكفار حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب قال ثنا عمران أخي قال سألت جعفر بن محمد بن علي بن الحسين فقلت ما ترى في قتال الديلم فقال قاتلوهم ورابطوهم فانهم من الذين قال الله قاتلوا الذين يلونكم من الكفار حدثني المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن الربيع عن الحسن أنه سئل عن الشام والديلم فقال قاتلوا الذين يلونكم من الكفار الديلم حدثني

في اللذات الحسية لان الروث في مذاق الجعل كاللوز في فم الانسان والانسان يزيد عليها بعقل هو سبب تألمه وتأذيه في أغلب الاحوال يتفكر في الاحوال الماضية فيتأسف ويتأمل في الاحوال الآتية فيخاف فلو لم يكن للانسان معاد به يكمل حاله ويظهر سعادته كان عقله سببا لشقائه وخسته دون شرفه ومزيته ومنها أن ايصال النعم اما أن يكون مشوبا بالآفات أو خالصا عنها فلما أنعم الله تعالى علينا في الدنيا بالمرتبة الاولى وجب أن ينعم علينا بالمرتبة الثانية في دار أخرى اظهار الكمال القدرة والرأفة والحكمة فهنالك ينعم على المطيعين ويعفو عن المذنبين ويزيل الغموم والهموم والآفات والمخافات ومما يقوي هذا الكلام أن الانسان دائما في الترقي من حين كونه جنينا في بطن أمه الى أن يخلص من ذلك السجن ويخرج الى فضاء الدنيا والى أن ينتقل من تناول اللبن والشد الوثيق في المهد الى تناول الاطعمة اللذيذة والمشي والعدو والى أن يصير أميرا نافذ الحكم على الخلق أو عالما مشرفا على حقائق الاشياء فوجب بحكم هذا الاستقراء أن يكون حاله بعد الموت أشرف وأبهى من اللذات العاجلة المشوبة بالآلام ومنها طريقة الاحتياط فانا اذا آمنا بالمعاد وتأهبنا له فان كان هذا المذهب حقا فقد نجونا وهلك المنكر وان كان باطلا لم يضرنا هذا الاعتقاد غايته ذلك فوات بعض اللذات الزائلة المشوبة بالمنغصات ومنها أن أحوال الانسان من صباه الى هرمه تضاهي حال الارض من الربيع الى الشتاء ثم انا نرى الارض في الربيع الثاني تعود الى تلك الحياة فلم لا يعقل مثل ذلك في الانسان ومنها أن الانسان انما يتولد من نطفة تولدت من الاغذية الكائنة من الاجزاء العنصرية المتفرقة في مشارق الارض ومغاربها فاذا مات وتفرقت تلك الاجزاء فكيف يمتنع أن تجتمع مرة أخرى على مثال الاجتماع الاول ومنها أن النظر في تغيرات العالم أدى الى اثبات صانع حكيم قادر قاهر والعقل يحكم بأن هذا الحكيم لا يليق به أن يترك عبيده هملا يكذبون عليه ويجورون فلا بد من أن يكون له أمر ونهي ووعد ووعيد من غير تجويز خلف فيهما كما مر ولا يتحقق جميع ذلك الا في دار الجزاء * وأما الفريق الآخر الذين لا يعللون أفعال الله تعالى برعاية

علي بن سهل قال ثنا الوليد قال سمعت أبا عمرو وسعيد بن عبد العزيز يقولان يرابط كل قوم ما يليهم من مسالحهم وحصونهم ويتأولان قول الله قاتلوا الذين يلونكم من الكفار حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قاتلوا الذين يلونكم من الكفار قال كان الذين يلونهم من الكفار العرب فقاتلهم حتى فرغ منهم فلما فرغ قال الله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر حتى بلغ وهم صاغرون قال فلما فرغ من قتال من يليه من العرب أمره بجهاد أهل الكتاب قال وجهادهم أفضل الجهاد عند الله وأما قوله وليجدوا فيكم غلظة فان معناه وليجد هؤلاء الكفار الذين تقاتلونهم فيكم أي منكم شدة عليهم واعلموا أن الله مع المتقين يقول وأيقنوا عند قتالكم اياهم أن الله معكم وهو ناصركم عليهم فان اتقيتم الله وخفتموه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه فان الله ناصر من اتقاه ومعينه ۞ القول في تأويل قوله ﴿ واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون ﴾ يقول تعالى ذكره واذا أنزل الله سورة من سور القرآن على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فمن هؤلاء المنافقين الذين ذكرهم الله في هذه السورة من يقول أيها الناس أيكم زادته هذه السورة ايمانا يقول تصديقا بالله وبآياته يقول الله فأما الذين آمنوا من الذين قيل لهم ذلك فزادتهم السورة التي أنزلت ايمانا وهم يفرحون بما أعطاهم الله من الايمان واليقين فان قال قائل أوليس الايمان في كلام العرب التصديق والاقرار قيل بلى فان قيل فكيف زادتهم السورة تصديقا واقرارا قيل زادتهم ايمانا حين نزلت لانهم قبل أن تنزل السورة لم يكن لزمهم فرض الاقرار بها والعمل بها بعينها الا في جملة ايمانهم بأن كل ما جاءهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم من عند الله حق فلما أنزل الله السورة لزمهم فرض الاقرار بأنها بعينها من عند الله ووجب عليهم فرض الايمان بما فيها من أحكام الله وحدوده وفرائضه فكان ذلك هو الزيادة التي زادتهم نزول السورة حين نزلت من الايمان والتصديق بها * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا قال كان اذا نزلت سورة آمنوا بها فزادهم الله ايمانا وتصديقا وكانوا يستبشرون حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله فزادتهم ايمانا قال خشية ۞ القول في تأويل قوله ﴿ وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون ﴾ يقول تعالى ذكره وأما الذين في قلوبهم مرض نفاق وشك في دين الله فان السورة التي أنزلت زادتهم رجسا الى رجسهم وذلك أنهم شكوا في أنها من عند الله فلم يؤمنوا بها ولم يصدقوا فكان ذلك زيادة شك حادثة في تنزيل الله لزمهم الايمان به عليهم بل ارتابوا بذلك فكان ذلك زيادة نتن من أفعالهم الى ما سلف منهم نظيره من النتن والنفاق وذلك معنى قوله فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا يعني هؤلاء المنافقين أنهم هلكوا وهم كافرون يعني وهم كافرون بالله وآياته ۞ القول في تأويل قوله ﴿ أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون ﴾ اختلفت القراء في قراءة قوله

أولا يرون فقرأته عامة قراء الامصار أولا يرون بالياء بمعنى أولا يرى هؤلاء الذين فى قلوبهم مرض النفاق وقرأ ذلك حمزة أولا ترون بالتاء بمعنى أولا ترون أنتم أيها المؤمنون أنهم يفتنون والصواب عندنا من القراءة فى ذلك الياء على وجه التوبيخ من الله لهم لاجماع الحجة من قراء الامصار عليه وصحة معناه فتأويل الكلام اذا أولا يرى هؤلاء المنافقون أن الله يختبرهم فى كل عام مرة أو مرتين بمعنى أنه يختبرهم فى بعض الاعوام مرة وفى بعضها مرتين ثم لا يتوبون يقول ثم هم مع البلاء الذى يحل بهم من الله والاختبار الذى يعرض لهم لا ينيبون من نفاقهم ولا يتوبون من كفرهم ولا هم يتذكرون بما يرون من حجج الله ويعاينون من آياته فيتعظوا بها ولكنهم مصرون على نفاقهم واختلف أهل التأويل فى معنى الفتنة التى ذكر الله فى هذا الموضع أن هؤلاء المنافقين يفتنون بها فقال بعضهم ذلك اختبار الله اياهم بالقحط والشدة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أولا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين قال بالسنة والجوع حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله يفتنون قال يبتلون فى كل عام مرة أو مرتين قال بالسنة والجوع حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أولا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين قال يبتلون بالعذاب فى كل عام مرة أو مرتين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين قال بالسنة والجوع * وقال آخرون بل معناه أنهم يختبرون بالغزو والجهاد ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أولا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين قال يبتلون بالغزو فى سبيل الله فى كل عام مرة أو مرتين حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن مثله * وقال آخرون بل معناه أنهم يختبرون بما يشيع المشركون من الاكاذيب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيفتتن بذلك الذين فى قلوبهم مرض ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن جابر عن أبى الضحى عن حذيفة أولا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين قال كنا نسمع فى كل عام كذبة أو كذبتين فيضل بها فئام من الناس كثير حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن شريك عن جابر عن أبى الضحى عن حذيفة قال كان لهم فى كل عام كذبة أو كذبتان * وأولى الاقوال فى ذلك بالصحة أن يقال ان الله عجب عباده المؤمنين من هؤلاء المنافقين ووبخ المنافقين فى أنفسهم بقلة تذكرهم وسوء تنبههم لمواعظ الله التى يعظهم بها وجائز أن تكون تلك المواعظ الشدائد التى ينزلها بهم من الجوع والقحط وجائز أن تكون ما يريهم من نصرة رسوله على أهل الكفر به ويرزقه من اظهار كلمته على كلمتهم وجائز أن تكون ما يظهر للمسلمين من نفاقهم وخبث سرائرهم بركونهم الى ما يسمعون من أراجيف المشركين برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ولا خبر يوجب صحة بعض ذلك دون بعض من الوجه الذى يجب التسليم له ولا قول فى ذلك أولى بالصواب من التسليم لظاهر قول الله وهو أولا يرون أنهم يختبرون فى كل عام مرة أو مرتين بما يكون زاجرا لهم ثم لا ينزجرون ولا يتعظون * القول فى تأويل

المصالح فانهم يقولون المعاد أمر جائز الوجود لان تعلق النفس بالبدن لما كان فى المرة الاولى جائزا فالمرة الثانية أيضا جائزة ثم ان الله العالم قادر مختار عالم بجميع المعلومات الكليات والجزئيات فلا يعجزه تمييز أجزاء بدن زيد وان اختلطت باجزاء التراب والبحار عن أجزاء بدن عمرو واذا ثبت هذا الامكان وقد دل الدليل على صدق الانبياء عليهم السلام وعلى أن القرآن كلام الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم انهم قطعوا بوقوع هذا الممكن والقرآن مشحون بآيات البعث والجزاء فوجب علينا القطع بالمعاد الجسمانى أما شبهة المنكرين فمن ذلك أنهم قالوا الدار الآخرة ان كانت شرا من هذه فالتبديل سفه وان كانت مثلها فعبث وان كانت خيرا منها فاما أن يقال انه قادر على خلق ذلك الأجود أولا ثم تركه وفعل الأرذل فذلك سفه أو يقال انه ما كان قادرا ثم حدثت له القدرة فذلك انتقال من العجز الى القدرة ومن الجهل الى الحكمة فهو محال على القديم والجواب أن كلا من الدارين خير فى وقتها والاولى لتحصيل الكمالات النفسانية الممكنة للنوع الانسانى من قبيل العلم والعمل والاخرى للراحة والجزاء ومن ذلك أنهم قالوا حركات الافلاك مستديرة والمستدير لا ضد له وما لا ضد له لا يقبل الفساد والجواب ما ذكرنا فى كتبنا الحكمية من أن كل جسم مركب وكل مركب ينحل لا محالة ولئن سلمنا أنها أزلية فحركاتها غير أزلية لأن الحركة عبارة عن الانتقال من حال الى حال وهذه الماهية تقتضى المسبوقية بالحالة المنتقل عنها والازلية تنافى المسبوقية بالغير فكان الجمع بين الازل والحركة محالا ولئن سلم أن الحركة أزلية فلم لا يجوز أن يكون بعض أوضاع الافلاك مقتضيا لاعادة المعدومات من الاشخاص الانسانية ومن ذلك أنهم قالوا الانسان عبارة عن هذا البدن ذى الاجزاء لا كيف كانت بل بشرط وقوعها على تأليف مخصوص لان أجزاء البدن كانت موجودة قبل هذا الانسان والموجود مغاير للمعدوم فاذا مات الانسان وتفرقت أجزاؤه فقد عدمت تلك الصورة والاعراض وعود المعدوم محال وأجيب بأن الانسان ليس عبارة عن هذا الجسد وانما هو النفس

سواء كانت جوهرا مجردا مفارقا أو جسما مخصوصا لطيفا باقيا في جميع أحوال البدن من الصبا الى الهرم مصونا عن التحلل والتبدل وهو الذي يسميه المتكلمون بالاجزاء الاصلية ومن ذلك أنهم قالوا اذا قتل الانسان واغتذى به انسان آخر لزم أن تعاد تلك الاجزاء في بدن كل واحد من الشخصين وذلك محال وأجيب بعين ما مر وهي ان الاجزاء الاصلية لا تصير جزأ من انسان آخر فهذه خلاصة ما وصل اليه العقول من أمر المعاد والله تعالى أعلم بحقائق الامور ثم عدد بعض نعمه على المكلفين فقال (هو الذي جعل الشمس ضياء) وهو أجوف واوي مهموز اللام قلبت واوه ياء لكسرة ما قبلها ومن قرأ بهمزتين بينهما ألف فمحمول على القلب لأنه اذا قدم اللام على العين وقع حرف العلة على الطرف فانقلب همزة كما في كساء وهو إما أن يكون جمع ضوء كحوض وحياض أو مصدر ضاء يضوء مثل قام قياما وصام صياما ولا بد من تقدير مضاف أي جعل الشمس ذات ضياء والقمر ذا نور الا أن يحمل على المبالغة فجعلا نفس الضياء والنور كما يقال للرجل الكريم انه كرم وجود والضياء أقوى من النور ولا خلاف بين العقلاء أن ضوء الشمس كيفية قائمة بها لذاتها وأما نور القمر فقد ذهب جمهور الحكماء الى أنه مستفاد من الشمس وبذلك يقع اختلاف أحواله من الهلالية الى البدرية كما بينا في تفسير قوله تعالى يسألونك عن الأهلة (وقدره منازل) قال في الكشاف أي قدر مسيره منازل أو قدره ذا منازل ومنزلة القمر المسافة التي يقطعها في يوم وليلة بحركته الخاصة به وجملتها ثمانية وعشرون وأساميها مشهورة الشرطين الثريا البطين الخ وهي كواكب ثابتة معروفة عندهم جعلوها علامات المنازل فترى القمر كل ليلة نازلا بقرب أحدها وذلك أنهم قسموا دور الفلك وهو اثنا عشر برجا على ثمانية وعشرين عددا أيام دور القمر فأصاب كل برج منزلان وثلث فسموا كل منزل بالعلامة التي وقعت وقت القسمة بحذائه ثم ذكر بعض منافعهما العائدة على المكلفين فقال (لتعلموا عدد السنين والحساب) حساب الاوقات من الاشهر والايام والليالي وقد ذكرنا السنة الشمسية والسنة القمرية وكيفية دوران احداهما على الاخرى في تفسير قوله

تأويل قوله ﴿ واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون ﴾ يقول تعالى ذكره واذا ما أنزلت سورة من القرآن فيها عيب هؤلاء المنافقين الذين وصف جل ثناؤه صفتهم في هذه السورة وهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر بعضهم الى بعض فتناظروا هل يراكم من أحد ان تكلمتم أو تناجيتم بمعايب القوم يخبرهم به ثم قاموا فانصرفوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يستمعوا قراءة السورة التي فيها معايبهم ثم ابتدأ جل ثناؤه قوله صرف الله قلوبهم فقال صرف الله عن الخير والتوفيق والايمان بالله ورسوله قلوب هؤلاء المنافقين ذلك بأنهم قوم لا يفقهون يقول فعل الله بهم هذا الخذلان وصرف قلوبهم عن الخيرات من أجل أنهم قوم لا يفقهون عن الله مواعظه استكبارا ونفاقا

واختلف أهل العربية في الجالب حرف الاستفهام فقال بعض نحويي البصرة قال نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من أحد كأنه قال قال بعضهم لبعض لان نظرهم في هذا المكان كان ايماء وتنبيها به والله أعلم وقال بعض نحويي الكوفة انما هو واذا ما أنزلت سورة قال بعضهم لبعض هل يراكم من أحد وقال آخر منهم هذا النظر ليس معناه القول ولكنه النظر الذي يجلب الاستفهام كقول العرب تناظروا أيهم أعلم واجتمعوا أيهم أفقه أي اجتمعوا وانظروا فهذا الذي يجلب الاستفهام حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن شعبة عن أبي حمزة عن ابن عباس قال لا تقولوا انصرفنا من الصلاة فان قوما انصرفوا فصرف الله قلوبهم ولكن قولوا قد قضينا الصلاة * قال ثنا أبي عن سفيان عن أبي اسحق عن عمير بن تميم الثعلبي عن ابن عباس قال لا تقولوا انصرفنا من الصلاة فان قوما انصرفوا فصرف الله قلوبهم * قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي الضحى عن ابن عباس قال لا تقولوا انصرفنا من الصلاة فان قوما انصرفوا فصرف الله قلوبهم ولكن قولوا قد قضينا الصلاة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض الآية قال هم المنافقون * وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من أحد ممن سمع خبركم رآكم أحد أخبره اذا نزل شئ يخبر عن كلامهم قال وهم المنافقون قال وقرأ واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا حتى بلغ نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من أحد أخبره بهذا أكان معكم أحد سمع كلامكم أحد يخبره بهذا حدثني المثنى قال ثنا آدم قال ثنا شعبة قال ثنا أبو اسحق الهمداني عمن حدثه عن ابن عباس قال لا تقل انصرفنا من الصلاة فان الله عير قوما فقال انصرفوا صرف الله قلوبهم ولكن قل قد صلينا * القول في تأويل قوله ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم ﴾ يقول تعالى ذكره للعرب لقد جاءكم أيها القوم رسول الله اليكم من أنفسكم تعرفونه لا من غيركم فتتهموه على أنفسكم في النصيحة لكم عزيز عليه ما عنتم أي عزيز عليه عنتكم وهو دخول المشقة عليهم والمكروه والاذى حريص عليكم يقول حريص على هدى ضلالكم وتوبتهم ورجوعهم الى الحق بالمؤمنين رؤف أي رفيق رحيم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه

تعالى ان عدة الشهور الآية فلا حاجة الى التكرار ثم أشار الى سائر منافعهما وخواصهما بقوله (ما خلق الله ذلك) المذكور (الا) ملتبسا (بالحق) والصواب دون الباطل والعبث فالشمس سلطان النهار والقمر خليفتها بالليل وبحركة الشمس تنفصل السنة الى فصولها الاربعة وبالفصول تنتظم مصالح هذا العالم ويتحصل معايش الخلائق وبحركة القمر يحصل الشهور وباختلاف حاله في زيادة النور ونقصانه تختلف أحوال الرطوبات الى غير ذلك من الخواص التي يرشد اليها التأمل والتدبر ولهذا قال (يفصل الآيات لقوم يعلمون) لانهم هم الذين ينتفعون بهذه الدلائل وقيل المراد بالعلم ههنا العقل الذي يعم الكل ثم ذكر المنافع الحاصلة من اختلاف الليل والنهار وقد مر تفسيره في سورة البقرة في قوله ان في خلق السموات والارض الآية ومعنى قوله وما خلق الله في السموات والارض كقوله وما خلق الله من شيء وقد مر في آخر الاعراف وانما خص كونها آيات بالمتقين لأنهم يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر الى التدبر والنظر قال القفال من تدبر في هذه الاحوال علم أن الدنيا مخلوقة لشقاء الناس وأن خالقها وخالقهم ما أهملهم بل جعلها لهم دار عمل واذا كان كذلك فلا بد من أمر ونهي ثم من ثواب وعقاب ليتميز المحسن عن المسيء فهذه الاحوال في الحقيقة دالة على صحة القول بالمبدإ والمعاد ثم شرع في شرح أحوال من لا يؤمن بالمعاد ومن يؤمن به فقال (ان الذين لا يرجون لقاءنا) عن ابن عباس ومقاتل والكلبي معناه لا يخافون البعث كقوله تعالى وهم من الساعة مشفقون واستبعد الاكثرون تفسير الرجاء بالخوف وقالوا انه بمعنى الطمع أي لا يطمعون في حسن لقائه كما يأمله السعداء أو لا يتوقعونه أصلا لأنهم لا يؤمنون بالمعاد فهم ذاهلون عن طلب اللذات الحقيقية فارغون عن التوجه نحو السعادات الباقية (ورضوا) مع ذلك (بالحياة الدنيا) الخسيسة الحسية (واطمأنوا بها) سكنوا اليها سكون العاشق الى معشوقه وهذه غاية الانهماك والاستغراق في اللذات الجسمانية (والذين هم عن آياتنا غافلون) فلا يعتبرون بالآيات ولا ينظرون

في قوله لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم قال لم يصبه شيء من شرك في ولادته حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن جعفر بن محمد في قوله لقد جاءكم رسول من أنفسكم قال لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية قال وقال النبي صلى الله عليه وسلم اني خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق عن ابن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه بنحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم قال جعله الله من أنفسهم ولا يحسدونه على ما أعطاه الله من النبوة والكرامة وأما قوله عزيز عليه ما عنتم فان أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم معناه ما ضللتم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا طلق بن غنام قال ثنا الحكم بن ظهير عن السدي عن ابن عباس في قوله عزيز عليه ما عنتم قال ما ضللتم * وقال آخرون بل معنى ذلك عزيز عليه عنت مؤمنكم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عزيز عليه ما عنتم عزيز عليه عنت مؤمنهم * وأولى القولين في ذلك بالصواب قول ابن عباس وذلك أن الله عم بالخبر عن نبي الله أنه عزيز عليه ما عنت قومه ولم يخصص أهل الايمان به فكان صلى الله عليه وسلم كما وصفه الله به عزيزا عليه عنت جميعهم فان قال قائل وكيف يجوز أن يوصف صلى الله عليه وسلم بأنه كان عزيزا عليه عنت جميعهم وهو يقتل كفارهم ويسبي ذراريهم ويسلبهم أموالهم قيل ان اسلامهم لو كانوا أسلموا كان أحب اليه من اقامتهم على كفرهم وتكذيبهم اياه حتى يستحقوا ذلك من الله وانما وصفه الله جل ثناؤه بأنه عزيز عليه عنتهم لانه كان عزيزا عليه أن يأتوا ما يعنتهم وذلك أن يضلوا فيستوجبوا العنت من الله بالقتل والسبي وأما ما التي في قوله ما عنتم فانه رفع بقوله عزيز عليه لان معنى الكلام ما ذكرت عزيز عليه عنتكم وأما قوله حريص عليكم فان معناه ما قد بينت وهو قول أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة حريص عليكم حريص على ضالهم أن يهديه الله حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة في قوله حريص عليكم قال حريص على من لم يسلم أن يسلم ۞ القول في تأويل قوله (فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) يقول تعالى ذكره فان تولى يا محمد هؤلاء الذين جئتهم بالحق من عند ربك من قومك فأدبروا عنك ولم يقبلوا ما أتيتهم به من النصيحة في الله وما دعوتهم اليه من النور والهدى فقل حسبي الله يكفيني ربي لا اله الا هو لا معبود سواه عليه توكلت وبه وثقت وعلى عونه اتكلت واليه والى نصره استندت فانه ناصري ومعيني على من خالفني وتولى عني منكم ومن غيركم من الناس وهو رب العرش العظيم الذي يملك كل ما دونه والملوك كلهم مماليكه وعبيده وانما عنى بوصفه جل ثناؤه نفسه بأنه رب العرش العظيم الخبر عن جميع ما دونه أنهم عبيده وفي ملكه وسلطانه لان العرش العظيم انما كان يكون للملوك فوصف نفسه بأنه ذو العرش دون سائر خلقه وأنه الملك العظيم دون غيره وأن من دونه في سلطانه وملكه جار عليه حكمه وقضاؤه حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فان تولوا فقل حسبي الله يعني الكفار تولوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه في المؤمنين حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن

عيينة

فى الدلائل الموصلة الى حقيقة المبدا والمعاد فلم يقبلوها بالتقليد ولم ينظروا النهابعين الاجتهاد (أولئك مأواهم النار) فيه معنى الجزاء ولذلك تعلق به قوله (بما كانوا يكسبون) وفيه أن الاعمال السابقة هى المؤثرة فى حصول العذاب الجسمانى وهو النار المحسوسة والعذاب الروحانى وهو نار البعد من المألوفات والقطيعة من السعادات الباقيات فيكون مثاله مثال من أخرج عن مجالسة معشوقه فألقى

عيينة عن عمرو عن عبيد بن عمير قال كان عمر رحمة الله عليه لا يثبت آية فى المصحف حتى يشهد رجلان فجاء رجل من الانصار بهاتين الآيتين لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه فقال عمر لا أسألك عليهما بينة أبدا كذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أحمد بن عبد الله بن يونس عن زهير عن الاعمش عن أبى صالح الحنفى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله رحيم يحب كل رحيم يضع رحمته على كل رحيم قالوا يارسول الله انا لنرحم أنفسنا وأموالنا قال وأراه قال وأزواجنا قال ليس كذلك ولكن كونوا كما قال الله لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم فان تولوا فقل حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم أراه قرأ هذه الآية كلها حدثنى محمد بن المثنى قال ثنا عبد الصمد قال ثنا شعبة عن على بن زيد عن يوسف عن ابن عباس عن أبى بن كعب قال آخر آية نزلت من القرآن لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم الى آخر الآية حدثنى المثنى قال ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثنا شعبة عن على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس عن أبى قال آخر آية نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم لقد جاءكم رسول من أنفسكم الآية حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى قال ثنا شعبة عن على بن زيد عن يوسف بن مهران عن أبى قال أحدث القرآن عهدا بالله هاتان الآيتان لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم الى آخر الآيتين حدثنى أبو كريب قال ثنا يونس بن محمد قال ثنا أبان بن يزيد العطار عن قتادة عن أبى بن كعب قال أحدث القرآن عهدا بالله الآيتان لقد جاءكم رسول من أنفسكم الى آخر السورة

(القول فى تفسير السورة التى يذكر فيها يونس صلى الله عليه وسلم)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

القول فى تأويل قوله تعالى (الر) قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل فى ذلك فقال بعضهم تأويله أنا الله أرى ذكر من قال ذلك حدثنا يحيى بن داود بن ميمون الواسطى قال ثنا أبو أسامة عن أبى روق عن الضحاك فى قوله الر أنا الله أرى حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن عطاء بن السائب عن أبى الضحى عن ابن عباس قوله الر قال أنا الله أرى * وقال آخرون هى حروف من اسم الله الذى هو الرحمن ذكر من قال ذلك حدثنى عبد الله ابن أحمد بن شبويه قال ثنا على بن الحسين قال ثنى أبى عن يزيد عن عكرمة عن ابن عباس الر وحم ونون حروف الرحمن مقطعة حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عيسى بن عبيد عن الحسين بن عثمان قال ذكر سالم بن عبد الله الر وحم ونون فقال اسم الرحمن مقطع ثم قال الرحمن حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى حماد قال ثنا مندل عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال الر وحم ونون هو اسم الرحمن حدثنا ابن وكيع قال ثنا سويد بن عمرو الكلبى عن أبى عوانة عن اسمعيل بن سالم عن عامر أنه سئل عن الر وحم وص قال هى أسماء من أسماء الله مقطعة بالهجاء فاذا وصلتها كانت اسما من أسماء الله تعالى * وقال

فى بئر ظلمانية لا الف بها ولا مؤنس بل يكون فيها أنواع المؤذيات وأصناف الموحشات نعوذ بالله من تلك الحالات هذا حال من لا يؤمن بالمعاد فلا يعمل له وأما حال الذى يؤمن به فذلك قوله ان الذين آمنوا) استكملوا من جهة القوة النظرية (وعملوا الصالحات) استكملوا من قبل القوة العملية أو صدقوا بقوله ثم حققوا التصديق بالعمل الصالح الذى جاءت به الانبياء والكتب من عند الله أو أشغلوا قلوبهم وأرواحهم بتحصيل المعرفة ثم جوارحهم بالخدمة حتى تكون عيونهم مشغولة بالاعتبار وآذانهم باستماع كلام الله وألسنتهم بذكر الله وسائر أعضائهم بطاعة الله تعالى (يهديهم ربهم بايمانهم) قال أكثر المفسرين معناه يهديهم الى الجنة ثوابا لهم على ايمانهم وأعمالهم الصالحة ومعنى قوله بايمانهم أى بايمانهم هذا المضموم اليه العمل الصالح وهذا التفسير وافق قوله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم وقوله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله الصالح فى صورة حسنة فيقول له أنا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره صور له عمله فى صورة سيئة فيقول أنا عملك فينطلق به الى النار وقيل معنى الآية ان ايمانهم يهديهم الى مزايا من الالطاف ولوامع من الانوار بحيث تزول بواسطتها عنهم الشكوك والشبهات فتؤدى الى حصول

المثوبات ولذلك جعل (تجرى من تحتهم الانهار) بيانا له وتفسيرا لان التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها فهذه الهداية عبارة عن الفوائد الزوائد الحاصلة فى الدنيا بعد الايمان قال القفال فعلى هذا الوجه كان المعنى يهديهم ربهم بايمانهم وتجرى من تحتهم الانهار الا أنه حذف

آخرون هى اسم من أسماء القرآن ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة الر اسم من أسماء القرآن وقد ذكرنا اختلاف الناس وما اليه ذهب كل قائل فى الذى قال فيه وما الصواب لدينا من القول فى ذلك فى نظيره وذلك فى أول سورة البقرة فأغنى ذلك عن اعادته فى هذا الموضع وانما ذكرنا فى هذا الموضع القدر الذى ذكرنا لمخالفة من ذكرنا قوله فى هذا قوله فى ألم فأما الذين وفقوا بين معانى جميع ذلك فقد ذكرنا قولهم هنالك مكتفيا عن الاعادة ههنا ﴿﴾ القول فى تأويل قوله ﴿تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ اختلف فى تأويل ذلك فقال بعضهم تلك آيات التوراة ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن مجاهد تلك آيات الكتاب الحكيم قال التوراة والانجيل * قال ثنا اسحق قال ثنا هشام عن عمرو عن سعيد عن قتادة تلك آيات الكتاب قال الكتب التى كانت قبل القرآن * وقال آخرون معنى ذلك هذه آيات القرآن * وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب تأويل من تأوله هذه آيات القرآن ووجه معنى تلك الى معنى هذه وقد بينا وجه توجيه تلك الى هذا المعنى فى سورة البقرة بما أغنى عن اعادته والآيات الاعلام والكتاب اسم من أسماء القرآن وقد بينا كل ذلك فيما مضى قبل وانما قلنا هذا التأويل أولى فى ذلك بالصواب لانه لم يجئ للتوراة والانجيل قبل ذكر ولا تلاوة بعده فيوجه اليه الخبر اذا كان ذلك كذلك فتأويل الكلام والرحمن هذه آيات القرآن الحكيم ومعنى الحكيم فى هذا الموضع المحكم صرف مفعل الى فعيل كما قيل عذاب أليم بمعنى مؤلم وكما قال الشاعر

* أمن ريحانة الداعى السميع *

وقد بينا ذلك فى غير موضع من الكتاب فمعناه اذا تلك آيات الكتاب المحكم الذى أحكمه الله وبينه لعباده كما قال جل ثناؤه الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ﴿﴾ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس﴾ يقول تعالى ذكره أكان عجبا للناس ايحاؤنا القرآن على رجل منهم بانذارهم عقاب الله على معاصيه كأنهم لم يعلموا أن الله قد أوحى من قبله الى مثله من البشر فتعجبوا من وحينا اليه وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قال لما بعث الله محمدا رسولا أنكرت العرب ذلك أو من أنكر منهم فقالوا الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا مثل محمد فأنزل الله تعالى أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم وقال وما أرسلنا من قبلك الا رجالا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال عجبت قريش أن بعث رجل منهم قال ومثل ذلك والى عاد أخاهم هودا والى ثمود أخاهم صالحا قال الله أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم ﴿﴾ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم﴾ يقول جل ثناؤه أكان عجبا للناس أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس وأن بشر الذين آمنوا بالله ورسوله أن لهم قدم صدق عطف على أنذر واختلف أهل التأويل فى معنى قوله قدم صدق فقال بعضهم معناه أن لهم أجرا حسنا بما قدموا من صالح الاعمال ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك أن لهم قدم صدق عند ربهم قال ثواب صدق * قال ثنا عبد الله بن رجاء عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير عن مجاهد أن لهم

الواو وجعل قوله تجرى خبرا مستأنفا منقطعا عما قبله والتحقيق فى تقرير هذا الوجه أن العلم نور والجهل ظلمة والروح كاللوح والعلوم والمعارف كالنقوش ولكن حالهما بالضد من النقوش الجسمانية فان تزاحم النقوش الجسمانية يكدر اللوح وتوارد النقوش المعنوية وتكاثرها يزيد لوح الروح لمعانا واشراقا حتى انه يقوى بها على تحصيل المعارف الباقية بسهولة فليس فهم الرجل المنتهى للعلوم والحقائق كفهم المبتدئ فان الانسان اذا آمن بالله فقد أشرق روحه بنور المعرفة واذا واظب على الاعمال الصالحة حصلت له ملكة التوجه الى الآخرة والاعراض عن الدنيا ولا تزال تتزايد اشراقات هذه المعارف والملكات فيرتقى فى معارجها لحظة فلحظة ولما كان لا نهاية لمراتب المعارف والانوار العقلية فلا نهاية لمراتب هذه الهداية وفى قوله يهديهم ربهم بايمانهم دليل لمن قال ان العلم بالمقدمتين لا يوجب العلم بالنتيجة ولكنهما يعدان الذهن لحصول الفيض من الجواد المطلق ومعنى تجرى من تحتهم الانهار أنهم يكونون فى البساتين على مواضع مرتفعة كالسرر والارائك والانهار تجرى من بين أيديهم (دعواهم فيها) قال بعض المفسرين أى دعاؤهم ونداؤهم كما يدعو القانت بقوله اللهم اياك نعبد وقيل الدعاء العبادة كقوله وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وانما تكون هذه عبادتهم لا على سبيل التكليف بل على سبيل الالهام والعادة ابتهاجا بذكر الله وقيل الادعاء بين المتخاصمين والمعنى أن أهل الجنة يدعون فى الدنيا والآخرة تنزيه الله من المعايب والاقرار له بالالهية قال القفال أصله من الدعاء لأن الخصم يدعو خصمه الى من يحكم بينهما وقيل أى طريقتهم وسيرتهم وذلك لان المدعى للشئ مواظب عليه فيمكن أن يجعل الدعوى كناية عن الملازمة وان لم يكن فى قولهم سبحانك اللهم دعاء ولا دعوى وقيل أى تمنيهم كقوله لهم ما يدعون أى ما يتمنونه وتقول العرب ادع على ما شئت أى تمن فكان تمنيهم فى الجنة ليس الا تسبيح الله وتقديسه ولقد كانوا فى الدنيا يدعون فى الحروب من يسكنون اليه ويستنصرونه فيقولون يا آل فلان فاخبر الله تعالى عنهم أن أنسهم

في الجنة بذكر الله وسكونهم بتحميده (وتحيتهم فيها سلام) أي بعضهم يحيي بعضا بالسلام وقيل هي تحية الله أو الملائكة إياهم إضافة للمصدر الى المفعول (وآخر دعواهم أن الحمد) هي أن المخففة من الثقيلة وأصله أنه الحمد لله) على أن الضمير للشأن قال أهل الظاهر من المفسرين في سبب تخصيص هذه الاذكار بأهل الجنة أن قوله سبحانك اللهم علم بين أهل الجنة وخدامهم اذا سمعوا ذلك منهم أتوهم بما

قدم صدق عند ربهم قال الاعمال الصالحة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم يقول أجرا حسنا بما قدموا من أعمالهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن حبان عن ابراهيم بن يزيد عن الوليد بن عبد الله عن أبي مغيث عن مجاهد أن لهم قدم صدق عند ربهم قال صلاتهم وصومهم وصدقتهم وتسبيحهم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قدم صدق قال خير حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قدم صدق مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * قال ثني حجاج عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس قال قدم صدق ثواب صدق عند ربهم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق قال القدم الصدق ثواب الصدق بما قدموا من الاعمال * وقال آخرون معناه أن لهم سابق صدق في اللوح المحفوظ من السعادة ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي عن ابن عباس قوله وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم يقول سبقت لهم السعادة في الذكر الاول * وقال آخرون معنى ذلك أن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم شفيع لهم قدم صدق ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا يحيى بن آدم عن فضيل بن عمرو بن الجون عن قتادة أو الحسن أن لهم قدم صدق عند ربهم قال محمد شفيع لهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم أي سلف صدق عند ربهم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة عن زيد بن أسلم في قوله أن لهم قدم صدق عند ربهم قال محمد صلى الله عليه وسلم * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال عندي بالصواب قول من قال معناه أن لهم أعمالا صالحة عند الله يستوجبون بها منه الثواب وذلك أنه محكي عن العرب هؤلاء أهل القدم في الاسلام أي هؤلاء الذين قدموا فيه خيرا فكان لهم فيه تقديم ويقال له عندي قدم صدق وقدم سوء وذلك ما قدم اليه من خير أو شر ومنه قول حسان ابن ثابت رضي الله عنه

لنا القدم العليا اليك وخلفنا ... لأولنا في طاعة الله تابع

وقول ذي الرمة

لكم قدم لا ينكر الناس أنها * مع الحسب العادي طمت على البحر

فتأويل الكلام اذا وبشر الذين آمنوا أن لهم تقدمة خير من الاعمال الصالحة عند ربهم * القول في تأويل قوله تعالى (قال الكافرون ان هذا لسحر مبين) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة ان هذا لسحر مبين يعني ان هذا الذي جئتنا به يعنون القرآن لسحر مبين وقرأ ذلك مسروق وسعيد بن جبير وجماعة من قراء الكوفيين ان هذا لساحر مبين

يشتهونه قال ابن جريج وورد في الاخبار أنه اذا مر بهم طير يشتهونه قالوا سبحانك اللهم فيأتيهم الملك بذلك المشتهى فاذا نالوا منه شهوتهم قالوا الحمد لله رب العالمين وقال القاضي انه وعد المتقين بالثواب العظيم فاذا دخل أهل الجنة الجنة ووجدوا تلك المواعيد قالوا سبحانك اللهم أي نسبحك عن الخلف في الوعد وقيل ألهم الله بني آدم في الجنة بعد انقراض الدنيا ما افتخر به الملائكة قبلهم في قولهم ونحن نسبح بحمدك ويمكن أن يقال ان لكل انسان معراجا بحسب قوته فاذا وصل العارف الصادق الى صفات جلال الله تعالى قال سبحانك واذا ارتقى منها الى الذات قال اللهم فاذا عجز عن ذلك المضمار واحترق في أوائل تلك الانوار رجع من عالم الجلال الى عالم الاكرام فأفاض الخير على جميع المحتاجين ويدفع المخافات والمكاره عنهم بكل ما أمكنه وذلك قوله وتحيتهم فيها سلام ثم اذا شاهدوا أثر نعمة الله عليهم بالاستفاضة والافاضة اختتموا الكلام بقولهم الحمد لله رب العالمين وعلى هذا يدور أمرهم في العروج والنزول ما داموا في الدنيا فيكون كذلك حالهم في العقبى لقوله كما تعيشون تموتون وكما تموتون تبعثون التأويل الر فيه اشارتان احداهما من الحق الى حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم كأنه قال بآلائي عليك في الازل وأنت في العدم وبلطفي عليك في الوجود وبرحمتي ورأفتي لك من الازل الى الابد والثانية من الحق لنبيه عليه السلام اليه يقول بانسك معي حين خلقت روحك ولم يكن ثالث وبلبيك الذي أجبتني به حين دعوتك للخروج من العدم فقلت يا سي أي يا سيد فقلت لبيك وسعديك والخير كله بيديك وبرجوعك منك الى حين قلت لنفسك بجذبة ارجعي الى ربك تلك أي هذه الآيات المنزلة عليك

وقد بينت فيما مضى من نظائر ذلك أن كل موصوف بصفة تدل الموصوف على صفته وصفته عليه فالقارئ مخير في القراءة في ذلك وذلك نظير هذا الحرف قال الكافرون ان هذا السحر مبين ولساحر مبين وذلك أنهم انما وصفوه بأنه ساحر ووصفهم ما جاءهم به أنه سحر يدل على أنهم قد وصفوه بالسحر واذا كان ذلك كذلك فسواء بأي ذلك قرأ القارئ لاتفاق معنى القراءتين وفي الكلام محذوف استغنى بدلالة ما ذكر عما ترك ذكره وهو فلما بشرهم وأنذرهم وتلا عليهم الوحي قال الكافرون ان هذا الذي جاءنا به لسحر مبين فتأويل الكلام اذا أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم فلما أتاهم بوحي الله وتلاه عليهم قال المنكرون توحيد الله ورسالة رسوله ان هذا الذي جاءنا به محمد لسحر مبين أي يبين لكم عنه أنه مبطل فيما يدعيه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون﴾ يقول تعالى ذكره ان ربكم الذي له عبادة كل شيء ولا تنبغي العبادة الا له هو الذي خلق السموات السبع والارضين السبع في ستة أيام وانفرد بخلقها بغير شريك ولا ظهير ثم استوى على عرشه مدبرا للامور وقاضيا في خلقه ما أحب لا يضاده في قضائه أحد ولا يتعقب تدبيره متعقب ولا يدخل أموره خلل ما من شفيع الا من بعد اذنه يقول لا يشفع عنده شافع يوم القيامة في أحد الا من بعد أن يأذن في الشفاعة ذلكم الله ربكم يقول جل جلاله هذا الذي هذه صفته سيدكم ومولاكم لا من لا يسمع ولا يبصر ولا يدبر ولا يقضي من الآلهة والاوثان فاعبدوه يقول فاعبدوا ربكم الذي هذه صفته وأخلصوا له العبادة وأفردوا له الالوهة والربوبية بالذلة منكم له دون أوثانكم وسائر ما تشركون معه في العبادة أفلا تذكرون يقول أفلا تتعظون وتعتبرون بهذه الآيات والحجج فتنيبون الى الاذعان بتوحيد ربكم وافراده بالعبادة وتخلعون الانداد وتبرؤن منها وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يدبر الامر قال يقضيه وحده حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه قال يقضيه وحده حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يدبر الامر قال يقضيه وحده * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿اليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا انه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون﴾ يقول تعالى ذكره الى ربكم الذي صفته ما وصف جل ثناؤه في الآية قبل هذه معادكم أيها الناس يوم القيامة جميعا وعد الله حقا فأخرج وعد الله مصدرا من قوله اليه مرجعكم لانه فيه معنى الوعد ومعناه يعدكم الله أن يحييكم بعد مماتكم وعدا حقا فلذلك نصب وعد الله حقا انه يبدأ الخلق ثم يعيده يقول تعالى ذكره ان ربكم يبدأ انشاء الخلق واحداثه وايجاده ثم يعيده يقول ثم يعيده فيوجده حيا كهيئته يوم ابتدأه بعد فنائه وبلائه كما حدثني محمد

ابن

آيات الكتاب الحكيم الذي وعدتك في الازل وراثته لك ولامتك والحكيم الحاكم على الكتب كلها فلا ينسخه كتاب وهو ينسخ الشرائع والاحكام والكتب كلها الى رجل منهم لما رأى فيه رجولية قبول الوحي دون غيره ويحتمل أن يكون معنى للناس الناسي عهد الله قدم صدق محمد صلى الله عليه وسلم لانه أول من خرج من العدم الى الوجود أو هو العناية الازلية سبقت رحمتي غضبي لساحر مبين صدقوا في أنهم مسحورون الا أنه سحرهم سحرة صفات فرعون النفس ان الذي ربيكم هو الذي خلق السموات سموات أرواحكم وأرض نفوسكم من ستة أنواع هي الروح والقلب والعقل والنفس الحيواني والنفس النباتي والصورة المعدنية ثم استوى على عرش القلب يدبر أمر السعادة والشقاوة يقلبه كيف يشاء اليه مرجعكم جميعا فرجعوا مقبولين بجذبات العناية التي صورتها خطاب ارجعي الى ربك وحقيقتها انجذاب القلب الى الله ونتيجتها عزوف النفس عن الدنيا واستواء الذهب والمدر عنده أو رجوع المردودين بغير الاختيار بالسلاسل والاغلال ومن نتائجه تعلقات الدنيا واستيلاء صفات النفس بالقسط أي لكل بحسب كماله ونقصانه جعل شمس الروح ضياء يستنير بها قمر القلب اذا وقع في مواجهتها واذا وقع في مقابلة أرض النفس انكسف ولهذا سمي قلبا لتقلب أحواله بين الروح والنفس وتلك الاحوال هي منازله ومقاماته لتعلموا عدد سنين المقامات وحساب الكشوف والمشاهدات ان في اختلاف ليل صفات البشرية ونهار صفات الروحانية وما خلق الله في سموات الروحانية وأرض البشرية من الاوصاف والاخلاق وتبدل الاحوال لآيات دالة على التوحيد لقوم يتقون الاخلاق الذميمة والذين هم عن آياتنا غافلون وان لم يركنوا الى الدنيا وتمتعاتها كالرهابين والبراهمة وبعض الفلاسفة والله تعالى أعلم ﴿ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم أجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون ولقد أهلكنا

القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي ان أتبع الا ما يوحى الي اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته انه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل انما الغيب لله فانتظروا اني معكم من المنتظرين

ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يبدأ الخلق ثم يعيده قال يحييه ثم يميته «قال أبو جعفر» وأحسبه أنا قال ثم يحييه حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الله ابن رجاء عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير عن مجاهد يبدأ الخلق ثم يعيده قال يحييه ثم يميته ثم يحييه حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد انه يبدأ الخلق ثم يعيده يحييه ثم يميته ثم يبدؤه (١) ثم يحييه * قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه وقرأت قراء الامصار ذلك انه يبدأ الخلق بكسر الالف من انه على الاستئناف وذكر عن أبي جعفر الرازي أنه قرأه أنه بفتح الالف من انه كأنه أراد حقا أنه يبدأ الخلق ثم يعيده فأن حينئذ تكون رفعا كما قال الشاعر

أحقا عباد الله أن لست زائرا * أبا حبة الاعلى رقيب

وقوله ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط يقول ثم يعيده من بعد مماته كهيئته قبل مماته عند بعثه من قبره ليجزي الذين آمنوا يقول ليثيب من صدق الله ورسوله وعملوا ما أمرهم الله به من الاعمال واجتنبوا ما نهاهم عنه على أعمالهم الحسنة بالقسط يقول ليجزيهم على الحسن من أعمالهم التي عملوها في الدنيا الحسن من الثواب والصالح من الجزاء في الآخرة وذلك هو القسط والقسط العدل والانصاف كما حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بالقسط بالعدل وقوله والذين كفروا لهم شراب من حميم فانه جل ثناؤه ابتدأ الخبر عما أعد الله للذين كفروا من العذاب وفيه معنى العطف على الاول لانه تعالى ذكره عم بالخبر عن معاد جميعهم كفارهم ومؤمنيهم اليه ثم أخبر أن اعادتهم ليجزي كل فريق بما عمل المحسن منهم بالاحسان والمسيء بالاساءة ولكن لما كان قد تقدم الخبر المستأنف عما أعد للذين كفروا من العذاب ما يدل سامع ذلك على المراد ابتدأ الخبر والمعنى العطف فقال والذين جحدوا الله ورسوله وكذبوا بآيات الله لهم شراب في جهنم من حميم وذلك شراب قد أغلي واشتد حره حتى انه فيما ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم ليتساقط من أحدهم حين يدنيه منه فروة رأسه وكما وصفه جل ثناؤه كالمهل يشوي الوجوه وأصله مفعول صرف الى فعيل وانما هو محموم أي مسخن وكل مسخن عند العرب فهو حميم ومنه قول المرقش

وكل يوم لها مقطرة * فيها كباء معد وحميم

يعني بالحميم الماء المسخن وقوله عذاب أليم يقول ولهم مع ذلك عذاب موجع سوى الشراب من الحميم بما كانوا يكفرون بالله ورسوله ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض هو الذي جعل الشمس ضياء بالنهار والقمر نورا بالليل ومعنى ذلك هو الذي أضاء الشمس وأنار القمر وقدره منازل يقول قضاه فسواه منازل لا يجاوزها ولا يقصر دونها على حال واحدة أبدا وقال وقدره منازل

(١) لعله تفسير للبدء تأمل كتبه مصححه

القراآت لقضي اليهم مبنيا للفاعل أجلهم بالنصب ابن عامر ويعقوب الآخرون مبنيا للمفعول ورفع أجلهم أو بدله بضم اللام وسكون الهاء روى خلف عن الكسائي والاختيار عنه وعن غيره الاشمام لي أن بفتح الياء وكذلك اني أخاف أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو نفسي ان بفتح الياء أبو عمرو وأبو جعفر ونافع ولأدراكم بلام الابتداء فعلا ماضيا مثبتا روى أبو ربيعة عن البزي وحمزة وقرأ حمزة وعلي وأبو عمرو وخلف وورش من طريق النجاري والخراز عن هبيرة وهبيرة وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان وحماد ويحيى من طريق أبي حمدون بالامالة فعلا ماضيا منفيا بلا الباقون مثله ولكن بالتفخيم تشركون بتاء الخطاب وكذلك في النحل والروم حمزة وعلي وخلف الباقون بالياء الوقوف أجلهم ط لان ما بعده مستقبل فحين نذر يعمهون ء أو قائما ط مسه ط يعملون ○ ظلموا لا لأن الواو للحال ليؤمنوا ط المجرمين ○ تعملون ○ بينات لا لأن ما بعده جواب اذا أو بدله ط نفسي ج ط لأن ان النافية لها صدر الكلام ولكن القائل متحد الي ط ج لمثل ما قلنا عظيم ○ به ط والوصل أولى للفاء

أولشدة اتصال المعنى من قبله ط تعقلون ٥ بآياته ط المجرمون ٥ عندالله ط في الارض ط يشركون ٥ فاختلفوا ط
يختلفون ٥ من ربه ج ط للابتداء بالامر مع الفاء فانتظروا ج لاحتمال الابتداء أو التعليل المنتظرين ٥ ۞ التفسير انه سبحانه
ابتدأ في هذه السورة بذكر شبهات القوم فالاولى أنهم تعجبوا من تخصيص الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالنبوة فأزال ذلك
التعجب بالانكار و بالدلائل الدالة على صحة المبدا والمعاد فكأنه قيل انه ماجاء الا بدليل التوحيد والاقرار بالمعاد فليس للتعجب معنى ثم شرع في شبهة أخرى وهي أنهم كانوا يقولون أبدا اللهم ان كان محمد حقا فأمطر علينا حجارة من السماء فأجابهم بقوله (ولو يعجل الله) الآية وقال القاضي لما ذكر الوعيد على عدم الايمان بالمبدا والمعاد ذكر أن ذلك العذاب من حقه أن يتأخر عن هذه الحياة الدنيا والا نافى التكليف وقال القفال لما وصفهم فيما مر بالغفلة أكد ذلك بأن من غاية غفلتهم أن الرسول متى أنذرهم استعجلوا العذاب فبين الله تعالى أنه لا مصلحة في تعجيل ايصال الشر اليهم فلعلهم يؤمنون أو يخرج من أصلابهم من يؤمن كانوا عند نزول الشدائد يدعون الله بكشفها كما يجيء في الآية التالية وفي الرخاء كانوا يستعجلون النبي بالعذاب فقال ما معناه ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما يعجل لهم الخير ونجيبهم اليه لأميتوا وأهلكوا قال في الكشاف أصل الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم حتى كأن استعجالهم بالخير تعجيل منه لهم وقيل التعجيل معناه طلب العجلة الا أن الاستعجال أشهر وأظهر فمعنى الآية لو أراد الله
عجلة الشر للناس كما أرادوا عجلة الخير لهم وقيل هما متلازمان فكل معجل يلزمه الاستعجال ونحو
الا أنه تعالى وصف نفسه بتكوين العجلة ووصفهم بطلبها لان اللائق به التكوين واللائق بهم الطلب وسمى العذاب في الآية شرا لانه أذى
وألم في حق المعاقب به ثم ان قوله ولو يعجل كان متضمنا المعنى نفي التعجيل فيمكن أن يكون قوله فنذرهم معطوفا على منوي كأنه قيل ولكن

فوحده وقد ذكر الشمس والقمر فان في ذلك وجهين أحدهما أن تكون الهاء في قوله وقدره للقمر خاصة لأن بالأهلة يعرف انقضاء الشهور والسنين لا بالشمس والآخر أن يكون اكتفى بذكر أحدهما عن الآخر كما قال في موضع آخر والله ورسوله أحق أن يرضوه وكما قال الشاعر

رماني بأمر كنت منه ووالدي ... بريئا ومن جول الطوى رماني

وقوله لتعلموا عدد السنين والحساب يقول وقدر ذلك منازل لتعلموا أنتم أيها الناس عدد السنين دخول ما يدخل منها وانقضاء ما يستقبل منها وحسابها يقول وحساب أوقات السنين وعدد أيامها وحساب ساعات أيامها ما خلق الله ذلك الا بالحق يقول جل ثناؤه لم يخلق الله الشمس والقمر ومنازلهما الا بالحق يقول الحق تعالى ذكره خلقت ذلك كله بحق وحدي بغير عون ولا شريك يفصل الآيات يقول يبين الحجج والأدلة لقوم يعلمون اذا تدبروها حقيقة وحدانية الله وصحة ما يدعوهم اليه محمد صلى الله عليه وسلم من خلع الانداد والبراءة من الاوثان ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون) يقول تعالى ذكره منبها عباده على موضع الدلالة على ربوبيته وأنه خالق كل ما دونه ان في اعتقاب الليل النهار واعتقاب النهار الليل اذا ذهب هذا جاء هذا واذا جاء هذا ذهب هذا وفيما خلق الله في السموات من الشمس والقمر والنجوم وفي الارض من عجائب الخلق الدالة على أن لها صانعا ليس كمثله شيء لآيات يقول لأدلة وحججا وأعلاما واضحة لقوم يتقون الله فيخافون وعيده ويخشون عقابه على اخلاص العبادة لربهم فان قال قائل أولا دلالة فيما خلق الله في السموات والارض على صانعه الا لمن اتقى الله قيل في ذلك الدلالة الواضحة على صانعه لكل من صحت فطرته وبرئ من العاهات قلبه ولم يقصد بذلك الخبر عن أن فيه الدلالة لمن كان قد أشعر نفسه تقوى الله وانما معناه ان في ذلك لآيات لمن اتقى عقاب الله فلم يحمله هواه على خلاف ما وضح له من الحق لأن ذلك يدل كل ذي فطرة صحيحة على أن له مدبرا يستحق عليه الاذعان له بالعبودة دون ما سواه من الآلهة والانداد ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون) يقول تعالى ذكره ان الذين لا يخافون لقاءنا يوم القيامة فهم لذلك مكذبون بالثواب والعقاب متنافسون في زين الدنيا وزخارفها راضون بها عوضا من الآخرة مطمئنين اليها ساكنين والذين هم عن آيات الله وهي أدلته على وحدانيته وحججه على عباده في اخلاص العبادة له غافلون معرضون عنها لاهون لا يتأملونها تأمل ناصح لنفسه فيعلموا بها حقيقة ما دلتهم عليه ويعرفوا بها بطول ما هم عليه مقيمون أولئك مأواهم النار يقول جل ثناؤه هؤلاء الذين هذه صفتهم مأواهم مصيرهم الى النار نار جهنم في الآخرة بما كانوا يكسبون في الدنيا من الآثام والاجرام ويجترحون من السيئات والعرب تقول فلان لا يرجو فلانا اذا كان لا يخافه ومنه قول الله جل ثناؤه ما لكم لا ترجون لله وقارا ومنه قول أبي ذؤيب

اذا لسعته النحل لم يرج لسعها * وخالفها في بيت نوب عواسل

و بنحو ماقلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد واطمأنوا بها قال هو مثل قوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها قال هو مثل قوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون قال اذا شئت رأيت صاحب دنيا لها يفرح ولها يحزن ولها يسخط ولها يرضى حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها الآية كلها قال هؤلاء أهل الكفر ثم قال أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون * القول في تأويل قوله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) يقول تعالى ذكره ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا الصالحات وذلك العمل بطاعة الله والانتهاء الى أمره يهديهم ربهم بايمانهم يقول يرشدهم ربهم بايمانهم به الى الجنة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم بلغنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول له ما أنت فوالله اني لأراك امرأ صدق فيقول أنا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة وأما الكافر اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة وبشارة سيئة فيقول ما أنت فوالله اني لأراك امرأ سوء فيقول أنا عملك فينطلق به حتى يدخله النار حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله يهديهم ربهم بايمانهم قال يكون لهم نورا يمشون به حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله .. قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله . وقال ابن جريج يهديهم ربهم بايمانهم قال يمثل له عمله في صورة حسنة وريح طيبة يعارض صاحبه ويبشره بكل خير فيقول له من أنت فيقول أنا عملك فيجعل له نورا من بين يديه حتى يدخله الجنة فذلك قوله يهديهم ربهم بايمانهم والكافر يمثل له عمله في صورة سيئة وريح منتنة فيلازم صاحبه ويلادّه حتى يقذفه في النار * وقال آخرون معنى ذلك بايمانهم يهديهم ربهم لدينه يقول بتصديقهم هداهم ذكر من قال ذلك (١)

وقوله تجري من تحتهم الانهار يقول تجري من تحت هؤلاء المؤمنين الذين وصف جل ثناؤه صفتهم

(١) بياض بالاصل

لا يعجل فينذرهم الزاما للحجة أو لمصالح أخرى ثم بين أنهم كاذبون في استعجال الشر ولو أصابهم ما طلبوه أظهروا العجز والطيش فقال (واذا مس الانسان الضر) أي هذا الجنس (دعانا لجنبه) اللام في معنى الوقت كقولك جئته لشهر كذا وان شئت قلت في موضع الحال لان الظرف والحال متآخيان فيصح عطف أحدهما على الآخر وتأويل أحدهما بالآخر (٦٣) أي دعانا مضطجعا (أو قاعدا أو قائما) أو وقت اضطجاعه وقعوده وقيامه والمراد أنه يدعو الله في جميع أحواله لا يفتر عن الدعاء ثم ان خص الضر بالمرض احتمل أن يراد أنه يدعو الله حين كان مضطجعا غير قادر على القعود أو قاعدا غير قادر على القيام أو قائما لا يطيق المشي الى أن يخف كل الخفة ويرزق الصحة بكمالها أو يراد أن من المضرورين من هو أسوأ حالا وهو صاحب الفراش ومنهم من هو أخف وهو القادر على القعود ومنهم المستطيع للقيام وكلهم لا يصبرون على الضراء قال بعض المفسرين الانسان ههنا هو الكافر ومنهم من بالغ فقال كل موضع في القرآن ورد فيه ذكر الانسان فالمراد به الكافر وهذا تحكم لورود مثل قوله تعالى هل أتى على الانسان الا أن يساعده نقل صحيح والأصح عند العلماء العموم لان الانسان خلق ضعيفا لا يصبر على اللأواء ولا يشكر عند النعماء الا من عصمه الله وقليل ماهم وهم الذين نظرهم في جميع الاحوال على المقدر المؤجل للامور حسب ارادته ومشيئته فلا جرم ان أصابهم السراء شكروا وان أصابهم الضراء صبروا وأفنوا ارادتهم في ارادته ورضوا بقضائه قال الزجاج في الآية تقديم وتأخير والتقدير واذا مس الانسان الضر لجنبه أو قاعدا أو قائما وضعف بان تعديد أحوال الدعاء أبلغ من تعديد أحوال الضر لانه اذا كان داعيا على الدوام ثم نسي ذلك في وقت الرخاء كان أعجب ومعنى (مر) مضى على طريقته التي له قبل مس الضراء ومرّ عن موقف الدعاء والتضرع لا يرجع اليه ومعنى (كأن لم يدعنا) كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن (كذلك) مثل ذلك التزيين (زين للمسرفين ما كانوا يعملون) من تتبع الشهوات والمزين هو الله تعالى أو النفس أو الشيطان مفرع عن مسئلة الجبر والقدر وقد مر مرارا قال العلماء سمي الكافر مسرفا لانه أنفق ماله

من الاستعداد الشريف من القوى البدنية والاموال النفيسة فى الامور الخسيسة الزائلة من الاصنام التى هى أحقر من لاشئ ومن الشهوات الفانية التى لاأصل لها ولادوام والمسرف فى اللغة هو الذى ينفق المال الكثير لاجل الغرض الخسيس فصح ماقلنا ثم ذكر مايجرى مجرى الردع والزجر لهم عن القاء الشبه والاغاليط فقال ولقد أهلكنا القرون) وقدمضى

تفسير القرن فى أول الانعام (ولما) ظرف لأهلكنا والواو فى (وجاءتهم) للحال أى ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم (رسلهم) بالدلائل والحجج على صدقهم وهى المعجزات وقوله (وما كانوا ليؤمنوا) اما أن يكون عطفا على ظلموا أو يكون اعتراضا واللام لتأكيد النفى وان الله قدعلم منهم أنهم يصرون على الكفر والسبب فى اهلاكهم تكذيب الرسل وعلم الله باصرارهم (كذلك) أى مثل ذلك الجزاء وهو الاستئصال الكلى نجزى كل مجرم وفيه وعيد لأهل مكة على تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خاطب الذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله (ثم جعلناكم خلائف) أى استخلفناكم (فى الارض) بعد تلك القرون (لننظر كيف تعملون) خيرا أوشرا استعير النظر للعلم الحقيقى الذى لايتطرق اليه شك ويعنى به العلم الذى يتعلق به الجزاء كامر فى الاعراف قال قتادة صدق الله ربنا ماجعلنا خلفاء الا لينظر الى أعمالنا فأروا الله من أعمالكم خيرا بالليل والنهار ثم حكى نوعا ثالثا من شبهاتهم فقال (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لايرجون لقاءنا) أى لا يؤمنون بالمعاد لان كل من كان مؤمنا بالنشور فانه يرجو ثواب الله و يخاف عقابه وانتفاء اللازم دليل انتفاء الملزوم طلبوا من الرسول أحد أمرين اما الاتيان بقرآن غير هذا القرآن مع بقاء هذا القرآن على حاله واما تبديل هذا القرآن بنسخ بعض الآيات ووضع أخرى فى مكانها فأمره الله تعالى أن يقول فى جوابهم (مايكون لى) أى ما ينبغى ومايحل (أن أبدله من تلقاء نفسى) من قبل نفسى فنفى عن نفسه أحد القسمين الذى هو أسهل وأقل ليلزم منه نفى الاصعب الاكثر بالطريق الاولى ثم أكد الجواب بقوله

أنهار الجنة فى جنات النعيم يقول فى بساتين النعيم الذى نعم الله به أهل طاعته والايمان به فان قال قائل وكيف قيل تجرى من تحتهم الانهار وانما وصف جل ثناؤه أنهار الجنة فى سائر القرآن أنها تجرى تحت الجنات وكيف يمكن الانهار أن تجرى من تحتهم الاأن يكونوا فوق أرضها والانهار تجرى من تحت أرضها وليس ذلك من صفة أنهار الجنة لأن صفتها أنها تجرى على وجه الارض فى غير أخاديد قيل ان معنى ذلك بخلاف ما اليه ذهبت وانما معنى ذلك تجرى من دونهم الانهار الى مابين أيديهم فى بساتين النعيم وذلك نظير قول الله قدجعل ربك تحتك سريا ومعلوم أنه لم يجعل السرى تحتها وهى عليه قاعدة اذ كان السرى هو الجدول وانما عنى به جعل دونها بين يديها وكما قال جل ثناؤه مخبرا عن قيل فرعون أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى يعنى من دونى بين يدى وأما قوله دعواهم فيها سبحانك اللهم فان معناه دعاؤهم فيها سبحانك اللهم كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرت أن قوله دعواهم فيها سبحانك اللهم قال اذا مربهم الطير فيشتهونه قالوا سبحانك اللهم وذلك دعواهم فيأتيهم الملك بما اشتهوا فيسلم عليهم فيردون عليه فذلك قوله وتحيتهم فيها سلام قال فاذا أكلوا حمدوا الله ربهم فذلك قوله وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله دعواهم فيها سبحانك اللهم يقول ذلك قولهم فيها وتحيتهم فيها سلام حدثنا أبو كريب قال ثنا عبيد الله الاشجعى قال سمعت سفيان يقول دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام قال اذا أرادوا الشئ قالوا اللهم فيأتيهم مادعوا به وأما قوله سبحانك اللهم فان معناه تنزيها لك يارب مما أضاف اليك أهل الشرك بك من الكذب عليك والفرية وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت أبى عن غير واحد عطية فهم سبحان الله تنزيه الله حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا سفيان عن عثمان بن عبد الله بن موهب قال سمعت موسى ابن طلحة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبحان الله قال ابراء الله عن السوء حدثنا أبو كريب وأبو السائب وخلاد بن أسلم قالوا ثنا ابن ادريس قال ثنا قابوس عن أبيه أن ابن الكواء سأل عليا رضى الله عنه عن سبحان الله قال كلمة رضيها الله لنفسه حدثنى نصر بن عبد الرحمن الاودى قال ثنا أبو أسامة عن سفيان بن سعيد الثورى عن عثمان بن عبد الله بن موهب الطلحى عن موسى بن طلحة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبحان الله فقال تنزيه الله عن السوء حدثنى على بن عيسى البزار قال ثنا عبيد الله بن محمد قال ثنا عبد الرحمن ابن حماد قال ثنى حفص بن سليمن قال ثنا طلحة بن يحيى بن طلحة عن أبيه عن طلحة بن عبيد الله قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير سبحان الله فقال هو تنزيه الله من كل سوء حدثنى محمد بن عمرو بن تمام الكلبى قال ثنا سليمن بن أيوب قال ثنى أبى عن جدى عن موسى بن طلحة عن أبيه قال قلت يارسول الله قول سبحان الله قال تنزيه الله عن السوء وتحيتهم يقول وتحية بعضهم بعضا فيها سلام أى سلمت وأمنت مما ابتلى به أهل النار والعرب تسمى الملك التحية ومنه قول عمرو بن معديكرب

أزورها أبا قابوس حتى * أنيخ على تحيته بجندي

ومنه قول زهير بن جناب الكلبي

من كل ما نال الفتى * قد نلته الا التحيه

وقوله وآخر دعواهم يقول وآخر دعائهم أن الحمد لله رب العالمين يقول وآخر دعائهم أن يقولوا الحمد لله رب العالمين ولذلك خففت أن ولم تشدد لانه أريد بها الحكاية ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى اليهم أجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون) يقول تعالى ذكره ولو يعجل الله للناس اجابة دعائهم في الشر وذلك فيما عليهم مضرة في نفس أو مال استعجالهم بالخير يقول كاستعجاله لهم في الخير بالاجابة اذا دعوه به لقضى اليهم أجلهم يقول لهلكوا وعجل لهم الموت وهو الأجل وعنى بقوله لقضى لفرغ اليهم من أجلهم وتبدى لهم كما قال أبو ذؤيب

وعليهما مسرودتان قضاهما * داود أو صنع السوابغ تبع

فنذر الذين لا يرجون لقاءنا يقول فندع الذين لا يخافون عقابنا ولا يوقنون بالبعث ولا بالنشور في طغيانهم يقول في تمردهم وعتوهم يعمهون يعني يترددون وانما أخبر جل ثناؤه عن هؤلاء الكفرة بالبعث بما أخبر به عنهم من طغيانهم وترددهم فيه عند تعجيله اجابة دعائهم في الشر لو استجاب لهم أن ذلك كان يدعوهم الى التقرب الى الوثن الذي يشرك به أحدهم أو يضيف ذلك الى أنه من فعله وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير قال قول الانسان اذا غضب لولده وماله لا بارك الله فيه ولعنه حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير قال قول الانسان لولده وماله اذا غضب عليه اللهم لا تبارك فيه والعنه فلو يعجل الله الاستجابة لهم في ذلك كما يستجاب في الخير لأهلكهم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير قال قول الانسان لولده وماله اذا غضب عليه اللهم لا تبارك فيه والعنه لقضى اليهم أجلهم قال لأهلك من دعا عليه ولأماته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير قال قول الرجل لولده اذا غضب عليه أو ماله اللهم لا تبارك فيه والعنه قال الله لقضى اليهم أجلهم قال لأهلك من دعا عليه ولأماته قال فنذر الذين لا يرجون لقاءنا قال يقول لا نهلك أهل الشرك ولكن نذرهم في طغيانهم يعمهون حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير قال هو دعاء الرجل على نفسه وماله بما يكره أن يستجاب له حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لقضى اليهم أجلهم قال لأهلكناهم وقرأ ما ترك على ظهرها من دابة قال يهلكهم كلهم ونصب قوله استعجالهم بوقوع يعجل عليه كقول القائل قمت اليوم قيامك بمعنى قمت كقيامك وليس بمصدر من يعجل لانه لو كان مصدرا لم يحسن دخول الكاف أعني كاف التشبيه فيه واختلفت القراء في قراءة قوله لقضى

(ان أتبع) أي ما أتبع (الا ما يوحى الى) ان نسخت آية تبعت النسخ وان بدلت آية مكان آية تبعت التبديل وقد تمسك بهذا نفاة القياس ونفاة جواز الاجتهاد وأجيب بأن رجوعهما أيضا الى الوحي ونقل عن ابن عباس أن قوله (اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم) منسوخ بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وضعف بأن النسخ انما يكون في الاحكام والتعبدات لا في ترتيب العقاب على المعصية قال المفسرون هذا الالتماس منهم يحتمل أن يكون على سبيل السخرية فقد روى مقاتل والكلبي أنهم خمسة نفر من مشركي مكة وهم المستهزؤن في قوله انا كفيناك المستهزئين ويحتمل أن يكون على سبيل التجربة والامتحان حتى انه ان فعل ذلك علموا أنه كاذب وأرادوا أن هذا القرآن مشتمل على ذم آلهتهم فطلبوا قرآنا آخر لا يكون كذلك ثم أكد كون هذا القرآن من عند الله سبحانه وأنه غير مستبد في ايراده فقال (لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم) ولا أعلمكم الله (به) على لساني ومن قرأ بلام الابتداء فمعناه ما تلوته أنا عليكم ولأخبركم الله به على لسان غيري ولكنه يمن على من يشاء من عباده فرآني أهلا لذلك دون غيري وقرئ لا أدرأتكم به بالهمزة ووجهه أن تكون الهمزة مقلوبة من الالف أو يكون من الدرء الدفع ومعنى أدرأته جعلته دارئا أي لم أجعلكم بتلاوته خصماء تدرؤنني بالجدال وتكذبونني (فقد لبثت فيكم عمرا) أي بعضا معتبرا من العمر وهو أربعون سنة (من قبله) أي من قبل نزول هذا القرآن (أفلا تعقلون) فيه قدح في صحة عقولهم لان ظهور مثل هذا الكتاب العظيم المشتمل على علوم الاولين والآخرين المعجز للثقلين عن معارضته على من عرفوا حاله من عدم التعلم والمدارسة ومخالطة العلماء اذا تأمل فيه أنه من قبيل الوحي والمدد السماوي كان ذلك انكارا للضروريات وافتراء على الله فلهذا قال (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) الآية وفيه أن هذا القرآن لو لم يكن من عند الله ثم نسبه الرسول صلى الله عليه وسلم الى الله لم يكن أحد أظلم منه ثم قبح الله أصنامهم معارضة لهم بنقيض مقصودهم من الالتماس فقال

بهـم أجلهم فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والعراق لقضى اليهم أجلهم على وجه ما لم يسم فاعله بضم القاف من قضى ورفع الاجل وقرأ عامة أهـل الشأم لقضى اليهم أجلهـم بمعنى لقضى الله اليهم أجلهـم وهما قراءتان متفقتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب غير أني أقرؤه على وجـه ما لم يسم فاعله لان عليـه أكثر القـراء ❊ القول في تأويل قوله تعالى ﴿واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنـه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسـه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون﴾ يقول تعالى ذكره واذا أصاب الانسان الشـدة والجهـد دعانا لجنبـه يقول استغاث بنا في كشف ذلك عنه لجنبه يعني مضطجعا لجنبه أو قاعـدا أو قائما بالحال التي يكون بها عنـد نزول ذلك الضر به فلما كشفنا عنه ضره يقول فلما فرجنا عنه الجهد الذي أصابه مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه يقول استمر على طريقته الاولى قبـل أن يصيبه الضر ونسي ما كان فيه من الجهد والبلاء أو تناساه وترك الشـكر لربه الذي فرج عنه ما كان قد نزل به من البلاء حين استعاذ به وعاد للشرك ودعوى الآلهة والأوثان أربابا معه يقول تعالى ذكره كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون يقول كما زين لهذا الانسان الذي وصفنا صفته استمراره على كفره بعـد كشف الله عنـه ما كان فيه من الضر كذلك زين للذين أسرفوا في الكذب على الله وعـلى أنبيائه فتجاوزوا في القول فيهم الى غير ما أذن الله لهم به ما كانوا يعملون من معاصي الله والشرك به وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهـل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسـين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله دعانا لجنبه قال مضطجعا ❊ القول في تأويل قوله ﴿ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين﴾ يقول تعالى ذكره ولقـد أهلكنا الامم التي كذبت رسل الله من قبلكم أيها المشركون بربهـم لما ظلموا يقول لما أشركوا وخالفوا أمر الله ونهيه وجاءتهم رسلهم من عند الله بالبينات وهي الآيات والحجج التي تبين عن صدق من جاء بها ومعنى الكلام وجاءتهم رسلهم بالآيات البينات أنها حق وما كانوا ليؤمنوا يقول فلم تكن هذه الامم التي أهلكناها ليؤمنوا برسلهم ويصدقوهم الى ما دعوهم اليه من توحيد الله واخـلاص العبادة له كذلك نجزي القوم المجرمين يقول تعالى ذكره كما أهلكنا هـذه القرون من قبلكم أيها المشركون بظلمهم أنفسهم وتكذيبهم رسلهم وردهم نصيحتهم كذلك أفعل بكم فأهلككم كما أهلكتهم بتكذيبكم رسولكم محمدا صلى الله عليه وسلم وظلمكم أنفسكم بشرككم بربكم ان أنتم لم تنيبوا وتتوبوا الى الله من شرككم فان من ثواب الكافر بي عـلى كفره عندي أن أهلكه بسخطي في الدنيا وأورده النار في الآخرة ❊ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون﴾ يقول تعالى ذكره ثم جعلناكم أيها الناس خلائف من بعد هؤلاء القرون الذين أهلكناهم لما ظلموا تخلفونهم في الارض وتكونون فيها بعـدهم لننظر كيف تعملون يقول لينظر ربكم أين عملكم من عمل من هلك من قبلكم من الامم بذنوبهم وكفرهم بربهم تحـذون مثالهم فيه فتستحقون من العقاب ما استحقوا أم تخالفون سبيلهم فتؤمنون بالله ورسوله وتقرون بالبعث بعد الممات فتستحقون من ربكم الثواب الجزيل كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف

(ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم) ان لم يعبدوه (ولا ينفعهم) ان عبدوه ومن حق المعبود أن يكون مثيبا معاقبا وفيه اشعار بأنها جماد والمعبود لا بد أن يكون أكمل من العابد واذا كانت المنافع والمضار كلها من الله فلا تليـق العبادة الا له (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) قد ذكرنا وجـه ذلك في أوائل سورة البقرة في قوله فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ثم أنكر عليهم معتقدهم بقوله (قل أتنبؤن الله بما لا يعلم) والمراد أنه لا وجود لكونهم شفعاء اذ لو كان موجودا لكان معلوما للعالم بالذات المحيط بجميع المعلومات وهذا مجاز مشهور تقول ما علم الله ذلك مني والمقصود أنه ما وجد منك ذلك قط وفي قوله في السموات ولا في الارض تأكيد آخر لنفيه لان ما لم يوجد فيهما فهو منتف معـدوم قوله (سبحانه وتعالى عما يشركون) اما أن يكون من تمام ما أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم أو ابتداء كلام من الله تعالى تنزيها لنفسه عن اشراكهم أو عن الشركاء الذين يشركونهم به ثم بين أن عبادة الاصنام بدعة وأن الناس يعني العرب أو البشر كلهم كانوا على الدين الحق فاختلفوا وقدم تفسير مثله في سـورة البقرة في قوله كان الناس أمة واحدة والمقصود ههنا تقبيح صورة الشرك وعبادة الاصنام من دون الله في أعينهم وتنفير طباعهم عن مثل هـذا الامر المستحدث الفظيع (ولولا كلمة سبقت من ربك) من بناء أمر الثواب والعقاب على التكليف لا على الالجاء والقسر أو من تأخير الحكم بينهم الى يوم القيامة أو من قوله سبقت رحمتي غضبي (لقضي بينهم) عاجلا وليتميز المحق من المبطل ثم ذكر نوعا رابعا من أباطيلهم فقال (ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه) وقدم تفسيره في الانعام في قوله لولا أنزل عليه آية من ربه كأنهم لم يعتدوا بالقرآن آية فاقترحوا غيره تعنتا (فقل انما الغيب لله) هو المختص بعلمه (فانتظروا) نزول تعملون ما اقترحتموه وهذا أمر فيه تهديد ووعيد والله ورسوله أعلم ﴿واذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم اذا لهم مكر في آياتنا قل الله أسرع مكرا ان رسلنا يكتبون ما تمكرون هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح

تعملون ذ ‍كر لنا أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال صدق ربنا ما جعلنا خلفاء الا لينظر كيف أعمالنا فأروا الله من أعمالكم خيرا بالليل والنهار والسر والعلانية **حدثنى** المثنى قال ثنا يزيد ابن عوف أبو ربيعة بهذا * قال ثنا حماد عن ثابت البنانى عن عبد الرحمن بن أبى ليلى أن عوف ابن مالك رضى الله عنه قال لابى بكر رضى الله عنه رأيت فيما يرى النائم كأن سببا دلى من السماء فانتشط رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دلى فانتشط أبو بكر ثم ذرع الناس حول المنبر ففضل عمر رضى الله عنه بثلاث أذرع الى المنبر فقال عمر دعنا من رؤياك لا أرب لنا فيها فلما استخلف عمر قال يا عوف رؤياك قال وهل لك فى رؤياى من حاجة أولم تنتهرنى قال ويحك انى كرهت أن تنعى لخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه فقص عليه الرؤيا حتى اذا بلغ ذرع الناس الى المنبر بهذه الثلاث الاذرع قال أما احداهن فانه كائن خليفة وأما الثانية فانه لا يخاف فى الله لومة لائم وأما الثالثة فانه شهيد قال فقال يقول الله ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون فقد استخلفت يا ابن أم عمر فانظر كيف تعمل وأما قوله فانى لا أخاف فى الله لومة لائم فما شاء الله وأما قوله فانى شهيد فأنى لعمر الشهادة والمسلمون مطيفون به ثم قال ان الله على ما يشاء قدير ❁ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى ان أتبع الا ما يوحى الى انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم﴾ يقول تعالى ذكره واذا قرئ على هؤلاء المشركين آيات كتاب الله الذى أنزلناه اليك يا محمد بينات واضحات على الحق دالات قال الذين لا يرجون لقاءنا يقول قال الذين لا يخافون عقابنا ولا يوقنون بالمعاد الينا ولا يصدقون بالبعث لك ائت بقرآن غير هذا أو بدله يقول أو غيره قل لهم يا محمد ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى أى من عندى والتبديل الذى سألوه فيما ذكر أن يحول آية الوعيد آية وعد وآية الوعد وعيدا والحرام حلالا والحلال حراما فأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يخبرهم أن ذلك ليس اليه وأن ذلك الى من لا يرد حكمه ولا يتعقب قضاؤه وانما هو رسول مبلغ ومأمور متبع وقوله ان أتبع الا ما يوحى الى يقول قل لهم ما أتبع فى كل ما آمركم به أيها القوم وأنهاكم عنه الا ما ينزله الى ربى ويأمرنى به انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم يقول انى أخشى من الله ان خالفت أمره وغيرت أحكام كتابه وبدلت وحيه فعصيته بذلك عذاب يوم عظيم هوله وذلك يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ❁ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه معرفه الحجة على هؤلاء المشركين الذين قالوا له ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل لهم يا محمد لو شاء الله ما تلوته عليكم أى ما تلوت هذا القرآن عليكم أيها الناس بأن كان لا ينزله على فيأمرنى بتلاوته عليكم ولا أدراكم به يقول ولا أعلمكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله يقول فقد مكثت فيكم أربعين سنة من قبل أن أتلوه عليكم ومن قبل أن يوحيه الى ربى أفلا تعقلون أنى لو كنت منتحلا ما ليس لى من القول كنت قد انتحلته فى أيام شبابى وحداثتى وقبل الوقت الذى تلوته عليكم فقد كان لى اليوم لو لم يوح الى وأومر بتلاوته عليكم مندوحة عن معاداتكم ومتسع فى الحال التى كنت بها منكم قبل أن يوحى الى

عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما أنجاهم اذا هم يبغون فى الارض بغير الحق يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت وردوا الى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون ❁

❁ القراآت يمكرون بياء الغيبة سهل وروح الباقون بالتاء الفوقانية ينشركم بالنون ابن عامر ويزيد الباقون يسيركم من التسيير متاع بالنصب حفص والمفضل الباقون بالرفع قطعا بسكون الطاء ابن كثير وعلى وسهل ويعقوب والآخرون بفتحها تتلو بتاءين من التلاوة حمزة وعلى وخلف وروح وروى عن عاصم نبلو بالنون ثم الباء الموحدة كل نفس بالنصب الباقون بتاء التأنيث كل بالرفع ❁ الوقوف آياتنا ط مكرا ط تمكرون ○ والبحر ط فى الفلك ج ط للعدول مع أن جواب اذا منتظر أحيط بهم لا لان قوله دعوا بدل من ظنوا لان دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو متلبس به وان جعل دعوا جوابا عن سؤال سائل فما صنعوا كان للوقف وجه الدين ج لاحتمال اضمار القول وجعل الدعاء فى معنى القول الشاكرين ○ بغير الحق ط

على أنفسكم ط الا لمن جعله متعلقا ببغيكم تعملون ٥ والانعام ط عليها لا لان مابعده جواب اذا بالامس ط يتفكرون ٥
السلام ط مستقيم ٥ وزيادة ط ولاذلة ط الجنة ج ط خالدون ٥ عثلها لا لأن قوله وترهقهم معطوف على محذوف
عاصم ج ط لان الكاف لايتعلق بعاصم مع تعلقها بذلة قبله معنى

وأومر بتلاوته عليكم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبدالله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولا أدراكم به ولا أعلمكم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله لوشاء الله ماتلوته عليكم ولا أدراكم به يقول لوشاء الله لم يعلمكموه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس لوشاء الله ماتلوته عليكم ولا أدراكم به يقول ماحذرتكم به حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لايرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله وهو قول مشركى أهل مكة للنبى صلى الله عليه وسلم ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لوشاء الله ماتلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون لبث أربعين سنة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قل لوشاء الله ماتلوته عليكم ولا أدراكم به ولا أعلمكم به حدثنى محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن أنه كان يقرأ ولا أدرأتكم به يقول ماأعلمتكم به حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبامعاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ولا أدراكم به يقول ولا أشعركم الله به وهذه القراءة التى حكيت عن الحسن عند أهل العربية غلط وكان الفراء يقول فى ذلك قد ذكر عن الحسن أنه قال ولا أدرأتكم به قال فان يكن فيه لغة سوى دريت وأدريت فلعل الحسن ذهب اليها وأما أن يصلح من دريت أو أدريت فلا لأن الياء والواو اذا انفتح ماقبلهما وسكنتا صحتا ولم تنقلبا الى ألف مثل قضيت ودعوت ولعل الحسن ذهب الى طبيعته وفصاحته فهمزها لانها تضارع درأت الحد وشبهه وربما غلطت العرب فى الحرف اذا ضارعه آخر من الهمز فيهمزون غير المهموز وسمعت امرأة من طيئ تقول رثأت زوجى بابيات ويقولون لبأت بالحج وحلأت السويق يتغلطون لأن حلأت قد يقال فى دفع العطاش من الابل ولبأت ذهبت به الى اللبأ لبأ الشاء ورثأت زوجى ذهبت به الى رثأت اللبن اذا أنت حلبت الحليب على الرائب فتلك الرثيئة وكان بعض البصريين يقول لاوجه لقراءة الحسن هذه لانها من أدريت مثل أعطيت الا أن لغة بنى عقيل أعطأت يريدون أعطيت تحول الياء ألفا قال الشاعر

لقد آذنت أهل اليمامة طيئ ✻ بحرب كناصاة الاغر المشهر

يريد كناصية حكى ذلك عن المفضل وقال زيد الخيل

لعمرك ماأخشى التصعلك مابقا ✻ على الارض قيسى يسوق الاباعرا

فقال بقا وقال الشاعر

زجرت فقلنا لاريع لزاجر ✻ ان الغوى اذا نهالم يعتب

يريد نهى قال وهذا كله على قراءة الحسن وهى مرغوب عنها قال وطيئ تصير كل ياء انكسر ماقبلها ألفا يقولون هذه جاراة وفى الترقوة ترقاة والعرقوة عرقاة قال وقال بعض طيئ قد لقت فزارة حذف الياء من لقيت لما لم يمكنه أن يحولها ألفا لسكون التاء فيلتقى ساكنان وقال زعم يونس أن نساورضا لغة معروفة قال الشاعر

وأنبئت بالاعراض ذا البطن خالدا ✻ نسا أو تناسى أن يعد المواليا

أى يلزمهم جزاء سيئة وترهقهم ذلة لان رهق الذلة سواد الوجه المعبر عنه بقوله كأنما مظلما ط أصحاب النار ج ط خالدون ٥ وشركاؤكم ج للعدول مع فاء التعقيب تعبدون ٥ لغافلين ٥ يفترون ٥ ۞ التفسير لما بين فى الآية المتقدمة أنهم يطلبون الآيات الزائدة عنادا ومكرا ولجاجا أكد ذلك بقوله واذا أذقنا) روى أنه سبحانه سلط القحط على أهل مكة سبع سنين ثم رحمهم وأنزل الامطار النافعة ثم انهم أضافوا تلك المنافع الى الاصنام وقيل نسبوها الى الانواء فقابلوا نعم الله بالكفران فذلك مكرهم وهو احتيالهم فى دفع آيات الله بكل مايقدرون عليه من القاء شبهة أو تخليط فى المناظرة وفى تخصيص الاذاقة بجانب الرحمة دليل على أن الكثير من الرحمة قليل بالنسبة الى رحمته الواسعة وفيه أن الانسان لغاية ضعفه الفطرى لايطيق أدنى الرحمة كما أنه لايطيق أدنى الألم الذى تمسه قال فى الكشاف معنى مستهم خالطتهم حتى أحسوا بسوء أثرها فيهم وهذا أيضا من جملة الضعف لأنه نسى ماعهده من الضر الشديد واذا الثانية للمفاجأة وقع مقام الفاء فى جواب الشرط كما مر فى قوله اذا هم يسخطون وفائدته أن يعلم أنهم فاجؤا وقوع المكر منهم فى وقت الاذاقة وسارعوا اليه ولم يلبثوا قدر ماينفضون عن رؤسهم غبار الضر ولهذا قال سبحانه (قل الله أسرع مكرا) يقدر على ايصال جزاء مكرهم اليهم قبل أن يرتد اليهم طرفهم ولكنه عجلهم لاجل معلوم وروى لتتضاعف خبثهم مع كونه محفوظا بيانه قوله (ان رسلنا يكتبون ماتمكرون) وقد مر تحقيق هذا فى تفسير قوله ويرسل عليكم حفظة واعلم أن مضمون هذه الآية قريب من مضمون قوله واذا مس الانسان الضر الا أن هذه زائدة عليها بدقيقة هى أنهم بعد الاعراض عن الدعاء

وروى عن ابن عباس في قراءة ذلك أيضا رواية أخرى وهي ما حدثنا به المثنى قال ثنا المعلى بن أسد قال ثنا خالد بن حنظلة عن شهر بن حوشب عن ابن عباس أنه كان يقرأ قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أنذرتكم به والقراءة التي لا أستجيز أن تعدوها هي القراءة التي عليها قراء الامصار قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به بمعنى ولا أعلمكم به ولا أشعركم به * القول في تأويل قوله تعالى (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته انه لا يفلح المجرمون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم قل لهؤلاء المشركين الذين نسبوك فيما جئتهم به من عند ربك الى الكذب أي خلق أشر بعدنا وأوضع لقيله في غير موضعه ممن اختلق على الله كذبا وافترى عليه باطلا أو كذب بآياته يعني بحججه ورسله وآيات كتابه يقول له جل ثناؤه قل لهم ليس الذي أضفتموني اليه بأعجب من كذبكم على ربكم وافترائكم عليه وتكذيبكم بآياته انه لا يفلح المجرمون يقول انه لا ينجح الذين اجترموا الكفر في الدنيا يوم القيامة اذا لقوا ربهم ولا ينالون الفلاح * القول في تأويل قوله تعالى (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون) يقول تعالى ذكره ويعبد هؤلاء المشركون الذين وصفت لك يا محمد صفتهم من دون الله الذي لا يضرهم شيأ ولا ينفعهم في الدنيا ولا في الآخرة وذلك هو الآلهة والأصنام التي كانوا يعبدونها ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله يعني أنهم كانوا يعبدونها رجاء شفاعتها عند الله قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهم أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض يقول أتخبرون الله بما لا يكون في السموات ولا في الارض وذلك أن الآلهة لا تشفع لهم عند الله في السموات ولا في الارض وكان المشركون يزعمون أنها تشفع لهم عند الله فقال الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم قل لهم أتخبرون الله أن ما لا يشفع في السموات ولا في الارض يشفع لكم فيهما وذلك باطل لا تعلم حقيقته وصحته بل يعلم الله أن ذلك خلاف ما تقولون وأنها لا تشفع لاحد ولا تنفع ولا تضر سبحانه وتعالى عما يشركون يقول تنزيها لله وعلوا عما يفعله هؤلاء المشركون من اشراكهم في عبادته ما لا يضر ولا ينفع وافترائهم عليه الكذب * القول في تأويل قوله تعالى (وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون) يقول تعالى ذكره وما كان الناس الا أهل دين واحد وملة واحدة فاختلفوا في دينهم فافترقت بهم السبل في ذلك ولولا كلمة سبقت من ربك يقول ولولا أنه سبق من الله أنه لا يهلك قوما الا بعد انقضاء آجالهم لقضي بينهم فيما فيه يختلفون يقول لقضي بينهم بأن يهلك أهل الباطل منهم وينجي أهل الحق وقد بينا اختلاف المختلفين في معنى ذلك في سورة البقرة وذلك في قوله كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين وبينا الصواب من القول فيه بشواهده فأغنى عن اعادته في هذا الموضع حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا حين قتل أحد ابني آدم أخاه حدثني المثنى قال ثنا القاسم قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه * القول في تأويل قوله (ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل انما الغيب لله فانتظروا

يطلبون الغوائل ويقابلون الرحمة بالمكر والخديعة ولا يرضون رأسا برأس ثم ضرب لاجل ما وصفهم به مثالا حتى ينكشف المقصود تمام الانكشاف فقال (هو الذي يسيركم) ومن قرأ ينشركم فكقوله فانتشروا في الارض قال بعض العلماء المسير في البحر هو الله سبحانه وتعالى وأما في البر فالمراد من التسيير التمكين والاقدار والحق أن جميع الافعال والحركات مستندة الى احداث الله تعالى غاية ذلك أن آثار اقداره واحداثه في البحر أظهر كما مر في تفسير قوله والفلك التي تجري في البحر قال القفال هو الله الهادي لكم الى السير في البحر طلبا للمعاش وهو المسير لكم لاجل أنه هيأ لكم أسباب ذلك السير وحتى لانتهاء الغاية والغاية مضمون الجملة الشرطية بكمالها فالقيود المعتبرة في الشرط ثلاثة أولها الكون في الفلك وثانيها جري الفلك بهم بالريح الطيبة والضمير في جرين للفلك على أنها جمع كما مر وثالثها فرحهم بها والقيود المعتبرة في الجزاء ثلاثة أيضا أولها جاءتها أي الفلك أو الريح الطيبة تلتها ريح عاصف ذات عصوف كلابن لذات اللبن أو لان لفظ الريح مذكر والعصوف شدة هبوب الريح وثانيها (وجاءهم الموج من كل مكان) أي من جميع جوانب احياز الفلك والموج ما ارتفع من الماء فوق البحر وثالثها (وظنوا أنهم أحيط بهم) أي غلب على ظنونهم الهلاك وأصله أن العدو اذا أحاط بقوم أو بلد فقد دنوا من الهلاك فجعل احاطة العدو بالشخص مثلا في الهلاك وقرئ في الفلكي والياء زائدة كما في الاحمري أو أريد به الماء الغمر الذي لا تجري الفلك الا فيه قال في الكشاف وانما التفت في قوله وجرين بهم الى آخره عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الانكار والتقبيح وقال الامام الدين الرازي الانتقال من مقام الخطاب الى مقام الغيبة في هذه الآية دليل المقت والتبعيد كما أن عكس ذلك في قوله اياك نعبد دليل الرضا والتقريب قلت هذا وجه حسن أما قوله (دعوا الله مخلصين) فقد قال ابن عباس تركوا الشرك ولم يشركوا به من آلهتهم شيئا وأقروا الله بالربوبية والوحدانية وقال الحسن ليس هذا الاخلاص الايمان لكن لاجل العلم بأنه لا ينجيهم من ذلك الا الله فيكون ذلك جاريا مجرى الايمان الاضطرار

انى معكم من المنتظرين﴾ يقول تعالى ذكره و يقول هؤلاء المشركون هلا أنزل على محمد آية من ربه يقول علم ودليل نعلم به أن محمدا محق فيما يقول قال الله له فقل يا محمد انما الغيب لله أى لا يعلم أحد بفعل ذلك الا هو جل ثناؤه لانه لا يعلم الغيب وهو السر والخفى من الامور الا الله فانتظروا أيها القوم قضاء الله بيننا بتعجيل عقوبته للمبطل منا واظهاره المحق عليه انى معكم ممن ينتظر ذلك ففعل ذلك جل ثناؤه فقضى بينهم و بينه بأن قتلهم يوم بدر بالسيف ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم اذا لهم مكر فى آياتنا قل الله أسرع مكرا ان رسلنا يكتبون ما تمكرون﴾ يقول تعالى ذكره واذا رزقنا المشركين بالله فرجا بعد كرب ورخاء بعد شدة أصابتهم وقيل عنى به المطر بعد القحط والضراء هى الشدة والرحمة هى الفرج يقول اذا لهم مكر فى آياتنا استهزاء وتكذيب كما حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد اذا لهم مكر فى آياتنا قال استهزاء وتكذيب . قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله قل الله أسرع مكرا يقول تعالى ذكره قل لهؤلاء المشركين المستهزئين من حججنا وأدلتنا يا محمد الله أسرع مكرا أى أسرع محالا بكم واستدراجا لكم وعقوبة منكم من المكر فى آيات الله والعرب تكتفى باذا من فعلت وفعلوا فلذلك حذف الفعل معها وانما معنى الكلام واذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم مكروا فى آياتنا فاكتفى من مكروا باذا لهم مكر إن رسلنا يكتبون ما تمكرون يقول ان حفظتنا الذين نرسلهم اليكم أيها الناس يكتبون عليكم ما تمكرون فى آياتنا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين﴾ يقول تعالى ذكره الله الذى يسيركم أيها الناس فى البر على الظهر وفى البحر فى الفلك حتى اذا كنتم فى الفلك وهى السفن وجرين بهم يعنى وجرت الفلك بالناس بريح طيبة فى البحر وفرحوا بها يعنى وفرح ركبان الفلك بالريح الطيبة التى يسيرون بها والهاء فى قوله بها عائدة على الريح الطيبة جاءتها ريح عاصف يقول جاءت الفلك ريح عاصف وهى الشديدة والعرب تقول ريح عاصف وعاصفة وقد أعصفت الريح وعصفت وأعصفت فى بنى أسد فيما ذكر قال بعض بنى دبير

حتى اذا أعصفت ريح مزعزعة . فيها قطار ورعد صوته زجل

وجاءهم الموج من كل مكان يقول تعالى ذكره وجاء ركبان السفينة الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم يقول وظنوا أن الهلاك قد أحاط بهم وأحدق دعوا الله مخلصين له الدين يقول أخلصوا الدعاء لله هنالك دون أوثانهم وآلهتهم وكان مفزعهم حينئذ الى الله دونها كما حدثنا محمد ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله دعوا الله مخلصين له الدين قال اذا مسهم الضر فى البحر أخلصوا له الدعاء حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن أبى عبيدة فى قوله مخلصين له الدين هيا شراهيا تفسيره ياحى ياقيوم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واذا أذقنا الناس رحمة

وقال ابن زيد هؤلاء المشركون يدعون مع الله ما يدعون فاذا جاء الضر والا لم يدعوا الا الله وعن أبى عبيدة أن المراد من ذلك الدعاء قولهم اهيا شراهيا تفسيره ياحى ياقيوم يحكى أن رجلا قال لجعفر الصادق رضى الله عنه ما الدليل على اثبات الصانع فقال أخبرنى عن حرفتك فقال التجارة فى البحر قال صف لى كيف حالك فقال ركبت البحر فانكسرت السفينة و بقيت على لوح من ألواحها وجاءت الرياح العاصفة قال جعفر الصادق رضى الله عنه هل وجدت فى قلبك تضرعا فقال نعم قال جعفر فالهك هو الذى تضرعت اليه فى ذلك الوقت (لئن أنجيتنا من هذه) الشدة كما مر فى الانعام (يبغون فى الارض بغير الحق) البغى قصد الاستعلاء بالظلم من قولك بغى الجرح اذا ترامى الى الفساد وأصله الطلب فلهذا أكد المعنى بقوله بغير الحق قال فى الكشاف انما زاد هذا القيد احترازا من استيلاء المسلمين على أرض الكفرة بهدم دورهم واحراق زروعهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببنى قريظة قلت و يحتمل أن يراد بغير شبهة حق عندهم كقوله و يقتلون النبيين بغير الحق من قرأ متاع بالنصب فما قبله جملة تامة أى انما بغيكم وبال على أنفسكم وهو مصدر مؤكد كأنه قيل يتمتعون متاع الحياة الدنيا ومن قرأ بالرفع فاما على أن التقدير هو متاع الدنيا بعد تمام الكلام أو على أنه خبر وقوله على أنفسكم صلة أى انما بغيكم على أمثالكم والذين جنسهم جنسكم يعنى بغى بعضكم على بعض منفعة الحياة الدنيا ولا بقاء لها والبغى من منكرات المعاصى قال صلى الله عليه وسلم أسرع الخير ثوابا صلة الرحم وأعجل الشر عقابا البغى واليمين الفاجرة وروى اثنتان يعجلهما الله فى الدنيا البغى وعقوق الوالدين وعن محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البغى والنكث والمكر قال تعالى انما بغيكم على أنفسكم أى لا يتهيأ لكم بغى بعضكم على بعض الا أياما قلائل وهى مدة حياتكم من مع قصرها وسرعة انقضائها (ثم) الى ما وعدنا من المجازاة (مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون) وهو فى هذا الموضع وعيد بالعقاب كقول الرجل فى معرض التهديد سأخبرك بما فعلت ثم ذكر مثلا لمن يبغى فى الارض ويغتر بالدنيا ويشتد تمسكه بها فقال (انما مثل الحياة الدنيا)

أى صفتها العجيبة الشأن (كماء أنزلناه من السماء فاختلط به) أى اشتبك بسبب هذا الماء (نبات الارض) فيحتمل أن يراد أن نباته ثم وصوله الى حد الكمال كليهما بسبب المطر ويحتمل ان يراد أن النبات كان فى أول بروزه ومبدا حدوثه غير مهتز ولا مترعرع فاذا نزل المطر عليه اهتز وربا حتى اختلط بعض الانواع ببعض وتكاثف (حتى اذا أخذت الارض زخرفها) قال الجوهرى الزخرف الذهب ثم يشبه به كل مموه مزور (وازينت) أصله تزينت فادغم واجتلبت لذلك همزة الوصل وهذا كلام فى نهاية الفصاحة وفيه تشبيه الارض بالعروس التى تأخذ الثياب الفاخرة من كل لون فتلبسها ثم تزين بجميع الاقسام المعهودة لها من حمرة وبياض ونحوها (وظن أهلها) أى غلب على ظنونهم أو تيقنوا (أنهم قادرون عليها) متمكنون من تحصيل ريعها (أتاها أمرنا) باهلاكها واستئصالها وضربها ببعض العاهات (ليلا أو نهارا) أى حين غفلتهم بالنوم أو حين اشتغالهم وتقلبهم فى طلب معايشهم (فجعلناها) أى زرعها (حصيدا) شبيها بما يحصد من الزرع فى قطعه واستئصاله (كأن لم تغن) أى كأن الشأن لم يلبث زرعها (بالامس) أى فى زمان قريب يقال غنى بالمكان بالكسر يغنى بالفتح اذا أقام به والامس مثل فى الوقت القريب هذا والصحيح عند علماء البيان أن هذا التشبيه من التشبيه المركب قال فى الكشاف شبهت حال الدنيا فى سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بحال نبات الارض فى جفافه وذهابه حطاما بعد ما التف وتكاثف وزين الارض بخضرته ورفيفه وقيل المراد أن عاقبة هذه الحياة التى ينفقها المرء فى باب الدنيا كعاقبة هذا النبات الذى حين عظم الرجاء به وقع اليأس منه لان الغالب أن المتمسك بالدنيا اذا اطمأن بها وعظمت رغبته فيها وانتظم أمره بعض الانتظام أتاه الموت وتلخيصه أنه كما لم يحصل لذلك الزرع عاقبة تحمد فكذلك المغتر بالدنيا المحب لها لا يحصل له عاقبة تحمد ويحتمل أن يكون هذا مثلا لمن لا يؤمن بالمعاد فان الارض المزينة اذا زال حسنها فانه يعود ونقها مرة أخرى فكذا النشور (كذلك نفصل الآيات) نذكر واحدة منها بعد الأخرى لتكون كثرتها وتواليها سببا لقوة اليقين وموجبا لزوال

من بعد ضراء مستهم الى آخر الآية قال هؤلاء المشركون يدعون مع الله ما يدعون فاذا كان الضر لم يدعوا الا الله واذا نجاهم اذا هم يشركون لئن أنجيتنا من هذه الشدة التى نحن فيها لنكونن من الشاكرين لك على نعمك وتخليصك ايانا مما نحن فيه باخلاصنا العبادة لك وافراد الطاعة دون الآلهة والأنداد واختلفت القراء فى قراءة قوله هو الذى يسيركم فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق هو الذى يسيركم من السير بالسين وقرأ ذلك أبو جعفر القارى هو الذى ينشركم من النشر وذلك البسط من قول القائل نشرت الثوب وذلك بسطه ونشره من طيه فوجه أبو جعفر معنى ذلك الى أن الله يبعث عباده فيبسطهم برا وبحرا وهو قريب المعنى من التسيير وقال وجرين بهم بريح طيبة وقال فى موضع آخر فى الفلك المشحون فوحد والفلك اسم للواحدة والجماع ويذكر ويؤنث قال وجرين بهم وقد قال هو الذى يسيركم فخاطب ثم عاد الى الخبر عن الغائب وقد بينت ذلك فى غير موضع من الكتاب بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وجواب قوله حتى اذا كنتم فى الفلك جاءتها ريح عاصف وأما جواب قوله وظنوا أنهم أحيط بهم فدعوا الله مخلصين له الدين القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فلما أنجاهم اذا هم يبغون فى الارض بغير الحق يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون﴾ يقول تعالى ذكره فلما أنجى الله هؤلاء الذين ظنوا فى البحر أنهم أحيط بهم من الجهد الذى كانوا فيه أخلفوا الله ما وعدوه وبغوا فى الارض فتجاوزوا فيها الى غير ما أذن الله لهم فيه من الكفر به والعمل بمعاصيه على ظهرها يقول الله يا أيها الناس انما اعتداؤكم الذى تعتدونه على أنفسكم واياها تظلمون وهذا الذى أنتم فيه متاع الحياة الدنيا يقول ذلك بلاغ تبلغون به فى عاجل دنياكم وعلى هذا التأويل البغى يكون مرفوعا بالعائد من ذكره فى قوله على أنفسكم ويكون قوله متاع الحياة الدنيا مرفوعا على معنى ذلك متاع الحياة الدنيا كما قال لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ بمعنى هذا بلاغ وقد يحتمل أن يكون معنى ذلك انما بغيكم فى الحياة الدنيا على أنفسكم لانكم بكفركم تكسبونها غضب الله متاع الحياة الدنيا كأنه قال انما بغيكم متاع الحياة الدنيا فيكون البغى مرفوعا بالمتاع وعلى أنفسكم من صلة البغى وبرفع المتاع قرأت القراء سوى عبد الله بن أبى اسحق فانه نصبه بمعنى انما بغيكم على أنفسكم متاعا فى الحياة الدنيا فجعل البغى مرفوعا بقوله على أنفسكم والمتاع منصوبا على الحال وقوله ثم الينا مرجعكم يقول ثم الينا بعد ذلك معادكم ومصيركم وذلك بعد الممات فننبئكم بما كنتم تعملون يقول فنخبركم يوم القيامة بما كنتم تعملون فى الدنيا من معاصى الله ونجازيكم على أعمالكم التى سلفت منكم فى الدنيا القول فى تأويل قوله تعالى ﴿انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون﴾ يقول تعالى ذكره انما مثل ما تباهون فى الدنيا وتفاخرون به من زينتها وأموالها مع ما قد وكل بذلك من التكدير والتنغيص وزواله بالفناء والموت كمثل ماء أنزلناه من السماء يقول كمطر أرسلناه من السماء الى الارض فاختلط به نبات الارض يقول فنبت بذلك المطر أنواع من النبات مختلط بعضها ببعض كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قوله انما مثل

الشك (لقوم يتفكرون) في أحوال الآفاق والانفس ثم لما نفر المكلفين عن الميل الى الدنيا بالمثل السابق رغبهم في الآخرة بقوله (والله يدعو الى دار السلام) ومثله ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال سيد بنى دارا وصنع مائدة وأرسل داعيا فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل ورضي عنه السيد ومن لم يجب لم يدخل

ولم يأكل ولم يرض عنه السيد فالله السيد والدار دار السلام والمائدة الجنة والداعي محمد صلى الله عليه وسلم وعنه صلى الله عليه وسلم ما من يوم تطلع فيه الشمس الا وبجنبيها ملكان يناديان بحيث يسمع كل الخلائق الا الثقلين أيها الناس هلموا الى ربكم والله يدعو الى دار السلام واتفقوا على أن دار السلام هي الجنة واختلفوا في سبب التسمية فقيل لان السلام هو الله والجنة داره فالاضافة للتشريف وانما أطلق اسم السلام عليه تعالى لانه سلم من الفناء والتغير ومن جميع سمات النقص والحدوث ومن الظلم والعجز والجهل وهو القادر على تخليص المضطرين عن المكاره والآفات وكفى بدار أضافها الله تعالى لنفسه فضلا وشرفا وبهجة وسرورا وقيل سميت دار السلام لان من دخلها سلم من الآفات والمخافات وقيل لفشو السلام بينهم تحيتهم فيها سلام والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم سلام قولا من رب رحيم واعلم أن الدعوة عامة ولكن الهداية خاصة فلذلك قال (ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم) ومن هنا ذهب أهل السنة الى أن الهداية والضلالة والخير والشر كلها بمشيئة الله تعالى وارادته وقالت المعتزلة المراد ويهدي من يشاء الى اجابة تلك الدعوة ويعنون أن من أجاب الدعاء وأطاع واتقى فان الله يهديه اليها والمراد من الهداية الالطاف ثم قسم أهل الدعوة الى قسمين وبين حال كل طائفة فقال (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) ولابد من تفسير هذه الالفاظ الثلاثة فعن ابن عباس أحسنوا أي ذكروا كلمة لا اله الا الله وذهب غيره الى أن المراد اتيان الطاعات واجتناب المنهيات لان الدرجات العالية لا تليق الا بهم وأما الحسنى فقال في الكشاف المراد المثوبة الحسنى وقال ابن الانباري العرب توقع هذه اللفظة على الخلة المحبوبة والخصلة المرغوب فيها ولذلك ترك

الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض قال اختلط فنبت بالماء كل لون مما يأكل الناس كالحنطة والشعير وسائر حبوب الارض والبقول والثمار وما يأكله الأنعام والبهائم من الحشيش والمراعي وقوله حتى اذا أخذت الارض زخرفها يعني ظهر حسنها وبهاؤها وازينت يقول وتزينت وظن أهلها يعني أهل الارض أنهم قادرون عليها يعني على ما أنبتت وخرج الخبر عن الارض والمعنى للنبات اذ كان مفهوما بالخطاب ما عني به وقوله أتاها أمرنا ليلا أو نهارا يقول جاء الارض أمرنا يعني قضاؤنا بهلاك ما عليها من النبات إما ليلا وإما نهارا فجعلناها يقول فجعلنا ما عليها حصيدا يعني مقطوعة مقلوعة من أصولها وانما هي محصودة صرفت الى حصيد كأن لم تغن بالأمس يقول كأن لم تكن تلك الزروع والنبات على ظهر الارض نابتة قائمة على الارض قبل ذلك بالامس وأصله من غني فلان بمكان كذا يغنى به اذا أقام به كما قال النابغة الذبياني

غنيت بذلك اذ هم لي جيرة ... منها بعطف رسالة وتودد

يقول فكذلك يأتي الفناء على ما تتباهون به من دنياكم وزخارفها فيفنيها ويهلكها كما أهلك أمرنا وقضاؤنا نبات هذه الأرض بعد حسنها وبهجتها حتى صارت كأن لم تغن بالامس كأن لم تكن قبل ذلك نباتا على ظهرها يقول الله جل ثناؤه كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون يقول كما بينا لكم أيها الناس مثل الدنيا وعرفناكم حكمها وأمرها كذلك نبين حججنا وأدلتنا لمن تفكر واعتبر ونظر وخص به أهل الفكر لانهم أهل التمييز بين الامور والفحص عن حقائق ما يعرض من الشبه في الصدور * وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله حتى اذا أخذت الارض زخرفها الآية اي والله لئن تشبث بالدنيا وحدب عليها لتوشك الدنيا أن تلفظه وتقضي منه * حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وازينت قال أنبتت وحسنت

حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عبد الرحمن بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام قال سمعت مروان يقرأ على المنبر هذه الآية حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها وما كان الله ليهلكها الا بذنوب أهلها قال قد قرأتها وليست في المصحف فقال عباس بن عبد الله بن العباس هكذا يقرؤها ابن عباس فارسلوا الى ابن عباس فقال هكذا أقرأني أبي بن كعب * حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة كأن لم تغن بالامس يقول كأن لم تعش كأن لم تنعم

حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو أسامة عن اسمعيل قال سمعت أبا سلمة ابن عبد الرحمن يقول في قراءة أبي كأن لم تغن بالامس وما أهلكناها الا بذنوب أهلها كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون واختلفت القراء في قراءة قوله وازينت فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والعراق وازينت بمعنى وتزينت ولكنهم أدغموا التاء في الزاي لتقارب مخرجيهما وأدخلوا ألفا ليوصل الى قراءته اذ كانت التاء قد سكنت والساكن لا يبتدأ به وحكي عن أبي العالية وأبي رجاء والاعرج وجماعة أخر غيرهم أنهم قرؤا ذلك وأزينت على مثال أفعلت والصواب من القراءة في ذلك وازينت لاجماع الحجة من القراء عليها * القول في تأويل قوله تعالى (والله يدعو

موصوفها وأما الزيادة فحملها أهل السنة على رؤية الله لان اللام فى الحسنى للمعهود بين المسلمين من المنافع التى أعدها الله تعالى لعباده فالزيادة عليها تكون مغايرة لها فما هى الا الرؤية وقالت المعتزلة الزيادة يجب أن تكون من جنس المزيد عليه ورؤية الله تعالى بعد تسليم جوازها ليست من جنس نعيم الجنة فالمراد بها ما يزيد على المثوبة من التفضل كقوله ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وزيف بأن الزيادة اذا كان المزيد عليه مقدرا بمقدار معين وجب أن يكون من جنسه كما لو قال الرجل لغيره أعطيتك عشرة أمنان من الحنطة وزيادة أما اذا كان غير مقدر كما لو قال أعطيتك الحنطة وزيادة لم يجب أن تكون الزيادة من جنس المزيد عليه والمذكور فى الآية لفظة الحسنى وهى الجنة وانها مطلقة فالزيادة عليها شئ مغاير لكل ما فى الجنة وعن على عليه السلام الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وعن ابن عباس الحسنى الحسنة والزيادة عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف وعن مجاهد مغفرة من الله ورضوان وعن يزيد بن شجرة هى أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول ما تريدون أن أمطركم فلا يريدون شيأ الا أمطرتهم هذا شأن المنافع الحاصلة لهم وأما أنها منافع خالصة عن الكدورات فأفاد ذلك بقوله (ولا يرهق) أى لا يغشى (وجوههم قتر) غبرة فيها سواد (ولا ذلة) ولا أثر هوان وكسوف بال ثم أشار الى كون تلك المنافع الخالصة آمنة من الانقطاع بقوله أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون وهذا معنى قول علماء الاصول الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم ثم بين حال الفريق الآخر بقوله (والذين) أى وجزاء الذين (كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها) أى جزاؤهم أن تجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها ومن جوز العطف على عاملين مختلفين جوز أن يكون التقدير وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها قالت المعتزلة وفيه دليل على أن المراد بالزيادة فى الآية المتقدمة الفضل لانه دل بترك الزيادة على السيئة على عدله فناسب أن يكون قد دل هنالك باثبات الزيادة على المثوبة على فضله (وترهقهم ذلة) فانهم حين ماتوا

الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم} يقول تعالى ذكره لعباده أيها الناس لا تطلبوا الدنيا وزينتها فان مصيرها الى فناء وزوال كما مصير النبات الذى ضربه الله لها مثلا الى هلاك وبوار ولكن اطلبوا الآخرة الباقية ولها فاعملوا وما عند الله فالتمسوا بطاعته فان الله يدعوكم الى داره وهى جناته التى أعدها لاوليائه تسلموا من الهموم والاحزان فيها وتأمنوا من فناء ما فيها من النعيم والكرامة التى أعدها لمن دخلها وهو يهدى من يشاء من خلقه فيوفقه لاصابة الطريق المستقيم وهو الاسلام الذى جعله جل ثناؤه سببا للوصول الى رضاه وطريقا لمن ركبه وسلك فيه الى جنانه وكرامته كما حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال الله السلام وداره الجنة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله والله يدعو الى دار السلام قال الله هو السلام وداره الجنة حدثنا محمد ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن أيوب عن أبى قلابة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال قيل لى لتنم عينك ولتعقل قلبك ولتسمع أذنك فنامت عينى وعقل قلبى وسمعت أذنى ثم قيل سيد بنى دارا ثم صنع مأدبة ثم أرسل داعيا فمن أجاب الداعى دخل الدار وأكل من المأدبة ورضى عنه السيد ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة ولم يرض عنه السيد فالله السيد والدار الاسلام والمأدبة الجنة والداعى محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم ذكر لنا أن فى التوراة مكتوبا يا باغى الخير هلم ويا باغى الشر انته حدثنى الحسين ابن سلمة بن أبى كبشة قال ثنا عبد الملك بن عمرو قال ثنا عباد بن راشد عن قتادة قال ثنى خليد العصرى عن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم طلعت فيه شمسه الا وبجنبتيها ملكان يناديان يسمعه خلق الله كلهم الا الثقلين يا أيها الناس هلموا الى ربكم ان ما قل وكفى خير مما كثر وألهى قال وأنزل ذلك فى القرآن فى قوله والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ليث بن سعد عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبى هلال عن جابر بن عبد الله قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال انى رأيت فى المنام كان جبرائيل عند رأسى وميكائيل عند رجلى يقول أحدهما لصاحبه اضرب له مثلا فقال اسمع سمعت أذنك واعقل عقل قلبك انما مثلك ومثل أمتك كمثل ملك اتخذ دارا ثم بنى فيها بيتا ثم جعل فيها مأدبة ثم بعث رسولا يدعو الناس الى طعامه فمنهم من أجاب الرسول ومنهم من تركه فالله الملك والدار الاسلام والبيت الجنة وأنت يا محمد الرسول من أجابك دخل الاسلام ومن دخل الاسلام دخل الجنة ومن دخل الجنة أكل منها

القول فى تأويل قوله تعالى {للذين أحسنوا الحسنى وزيادة} يقول تعالى ذكره للذين أحسنوا عبادة الله فى الدنيا من خلقه فأطاعوه فيما أمر ونهى الحسنى ثم اختلف أهل التأويل فى معنى الحسنى والزيادة اللتين وعدهما المحسنين من خلقه فقال بعضهم الحسنى هى الجنة جعلها الله للمحسنين من خلقه جزاء والزيادة عليها النظر الى الله تعالى ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن عامر

ناقصين خالين عن الملكات الجيدة كان شعورهم بذلك سببا لذلهم وهوانهم على أنفسهم وهذا على قاعدة حكماء الاسلام أن الجهل سواد وظلمة كما أن العلم والمعرفة بياض ونور ومنه قول الشبلي رضي الله عنه

كل بيت أنت ساكنه * غير محتاج الى السرج ومريض أنت عائده * قد أتاه الله بالفرج

(مالهم من الله من عاصم) أي لا يعصمهم أحد من عذابه وسخطه أو مالهم من جهة الله ومن عنده من يعصمهم كما للمؤمنين والتحقيق أنه لا عاصم من الله لأحد في الدنيا ولا في الآخرة الا باذن الله الا أن هذا المعنى في الآخرة أظهر كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ثم بالغ في الكشف عن سواد وجوههم فقال (كأنما أغشيت) أي ألبست (وجوههم قطعا من الليل) من قرأ بسكون الطاء فمعناه البعض والطائفة و(مظلما) صفته ومن قرأ بفتحها على أنه جمع قطعة فظلما حال من الليل والعامل فيه اما معنى الفعل في من الليل أو أغشيت لان قوله من الليل صفة لقوله قطعا فكان افضاء العامل الى الموصوف كافضائه الى الصفة قاله في الكشاف واعلم أن جمعا من العلماء ذهبوا الى أن المراد بقوله والذين كسبوا السيئات هم الكفار لان سواد الوجه من علامات الكفر بدليل قوله فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم وقوله ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة ولقوله بعدها ويوم نحشرهم والضمير عائد الى هؤلاء ثم انه وصفهم بالشرك وقال الآخرون اللفظ عام يتناول الكافر والفاسق الا أن الآيات المذكورة مخصصة ثم شرح بعض أحوال المشركين في القيامة فقال (ويوم نحشرهم) منصوب باضمار اذكر أو ظرف متعلق بتبلو أي في يوم كذا تبلو كل نفس وحاصل الكلام أنه يحشر العابد والمعبود ليسئلوا فيتبرأ المعبود من العابد خلاف ما كانوا يزعمون من قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وفيه اشارة الى أن الممكن لا نسبة له الى الواجب الحق فاذا اتخذ الممكن معبودا برئ من ذلك في مقام لا ينفع الا الصدق قال في الكشاف (مكانكم) أي الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم وعند

ابن سعد عن أبي بكر الصديق للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال النظر الى وجه ربهم حدثنا سفيان قال ثنا حميد بن عبد الرحمن عن قيس عن أبي اسحق عن عامر بن سعد عن سعيد ابن نمران عن أبي بكر للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال النظر الى وجه الله تعالى حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن عامر بن سعد الذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال النظر الى وجه ربهم حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد ابن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي اسحق عن عامر بن سعد قال في هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الزيادة النظر الى وجه الرحمن حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن مسلم بن نذير عن حذيفة للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال النظر الى وجه ربهم حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي قال ثنا شريك قال سمعت أبا اسحق يقول في قول الله وزيادة قال النظر الى وجه الرحمن حدثني علي بن عيسى قال ثنا شبابة قال ثنا أبو بكر الهذلي قال سمعت أبا تميمة الهجيمي يحدث عن أبي موسى الاشعري قال اذا كان يوم القيامة بعث الله الى أهل الجنة مناديا ينادي هل أنجزكم الله ما وعدكم فينظرون الى ما أعد الله لهم من الكرامة فيقولون نعم فيقول للذين أحسنوا الحسنى وزيادة النظر الى وجه الرحمن حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن أبي بكر الهذلي قال أخبرنا أبو تميمة الهجيمي قال سمعت أبا موسى الاشعري يخطب على منبر البصرة يقول ان الله يبعث يوم القيامة ملكا الى أهل الجنة فيقول يا أهل الجنة هل أنجزكم الله ما وعدكم فينظرون الى ما أعد الله لهم من الكرامة فيرون الحلي والحلل والثمار والانهار والازواج المطهرة فيقولون نعم قد أنجزنا الله ما وعدنا ثم يقول الملك هل أنجزكم الله ما وعدكم ثلاث مرات فلا يفقدون شيأ مما وعدوا فيقولون نعم فيقول قد بقي لكم شئ ان الله يقول للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ألا ان الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني شبيب عن أبان عن أبي تميمة الهجيمي أنه سمع أبا موسى الاشعري يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يبعث يوم القيامة مناديا ينادي أهل الجنة بصوت يسمع أولهم وآخرهم ان الله وعدكم الحسنى وزيادة فالحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الرحمن حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا حماد بن زيد عن ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال النظر الى وجه ربهم ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة قال بعد النظر الى وجه ربهم حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن سليمن بن المغيرة قال أخبرنا ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى في قوله وزيادة قال قيل له أرأيت قوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال ان أهل الجنة اذا دخلوا الجنة واعطوا فيها ما أعطوا من الكرامة والنعيم قال نودوا يا أهل الجنة ان الله قد وعدكم الزيادة فيتجلى لهم قال ابن أبي ليلى فما ظنك بهم حين ثقلت موازينهم وحين صارت الصحف في أيمانهم وحين جاوزوا جسر جهنم ودخلوا الجنة وأعطوا فيها ما أعطوا من الكرامة والنعيم كل ذلك لم يكن شيأ فيما رأوا * قال ثنا ابن المبارك عن معمر وسليمن بن المغيرة عن ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي

ليلى

أبي علي هو اسم من أسماء الافعال وحركته حركة بناء وهو كلمة وعيد عند العرب و (أنتم) لتأكيد الضمير في مكانكم لسده مسد قوله الزموا (وشركاؤكم) عطف عليه (فزيلنا بينهم) ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت بينهم في الدنيا قيل عين الكلمة واو لانه من زال يزول وانما قلبت ياء لان وزن الكلمة فيعل أي زيولنا مثل بيطره أعل اعلال سيد وقيل هي (٧٥) من زلت الشئ أزيله فعينه على هذا ياء والوزن فعل ونظير زيلنا قوله ونادى أصحاب الاعراف لان حكم الله بانه سيكون كالكائن (وقال شركاؤهم) في صحة هذه الاضافة وجوه منها أنهم جعلوا نصيبا من أموالهم لتلك الاصنام فهم شركاؤهم ومنها أنهم مشاركون في الخطاب في قوله مكانكم ومنها أنهم أثبتوا هذه الشركة والشركاء قيل هم الملائكة لقوله ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون وقيل كل من عبد من دون الله وقيل الاصنام لان هذا الخطاب مشتمل على التهديد وانه لا يليق بالملائكة المقربين وكيف تنطق هذه الاصنام قيل لان الله يخلق فيهم الحياة والعقل والنطق ثم هل يبقيهم أو يفنيهم الكل محتمل ولا اعتراض لاحد عليه وقيل يخلق فيهم الكلام فقط وهذا الخطاب تهديد في حق العابدين فهل يكون تهديدا في حق المعبودين قالت المعتزلة لا لأنه لا ذنب للمعبودين ومن لا ذنب له يقبح من الله تهديده وتخويفه وقالت الاشاعرة لا يسئل عما يفعل أما قول الشركاء (ما كنتم ايانا تعبدون) وهم كانوا قد عبدوهم فالمراد أنكم ما عبدتمونا بأمرنا وارادتنا لقولهم (فكفى بالله شهيدا) الآية ومن أعظم أسباب الغفلة كونها جمادات لا حس لها ولا شعور وقيل لما في ذلك الموقف من الدهشة والحيرة فذلك الكذب يجري مجرى كذب الصبيان والمجانين والمدهوشين وقيل انهم ما أقاموا لاعمال الكفار وزنا جعلوها كالعدم وقيل المراد أنهم عبدوا الشياطين حيث أمروهم باتخاذ الانداد ومن جوز الكذب في القيامة فلا اشكال و (هنالك) أي في ذلك المقام وفي ذلك الموقف أو في ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان (تبلو كل نفس) تختبر وتذوق (ما أسلفت) من العمل ومن قرأ بالنون فالمعنى نفعل بها فعل الخابر أو نصيب بالبلاء وهو العذاب كل نفس عاصية لاجل ما أسلفت

ليلى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال النظر الى وجه ربهم * قال ثنا الحجاج ومعلى ابن أسد قالا ثنا حماد بن زيد عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال اذا دخل أهل الجنة الجنة قال لهم انه قد بقي من حقكم شئ لم تعطوه قال فيتجلى لهم تبارك وتعالى قال فيصغر عندهم كل شئ أعطوه قال ثم قال للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه ربهم ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة بعد ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد ابن ثور عن معمر عن ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة النظر الى وجه الله حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن في قول الله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة النظر الى الرب حدثنا عمرو بن علي ومحمد بن بشار قالا ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال اذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نودوا يا أهل الجنة ان لكم عند الله موعدا قالوا ما هو ألم تبيض وجوهنا وتثقل موازيننا وتدخلنا الجنة وتنجنا من النار فيكشف الحجاب فيتجلى لهم فوالله ما أعطاهم شيأ أحب اليهم من النظر اليه ولفظ الحديث لعمرو حدثني المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال اذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه فيقولون وما هو ألم يثقل الله موازيننا ويبيض وجوهنا ثم ذكر سائر الحديث نحو حديث عمرو ابن علي وابن بشار عن عبد الرحمن * قال ثنا الحماني قال ثنا شريك عن أبي اسحق عن سعيد بن نمران عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال النظر الى وجه الله تبارك وتعالى * قال ثنا شريك عن أبي اسحق عن عامر بن سعد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة بلغنا أن المؤمنين لما دخلوا الجنة ناداهم مناد إن الله وعدكم الحسنى وهي الجنة وأما الزيادة فالنظر الى وجه الرحمن حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مثله حدثني ابن حميد قال ثنا ابراهيم بن المختار عن ابن جريج عن عطاء عن كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الزيادة النظر الى وجه الرحمن تبارك وتعالى * قال ثنا جرير عن ليث عن عبد الرحمن بن سابط قال الحسنى النضرة والزيادة النظر الى وجه الله تعالى حدثنا ابن البرقي قال ثنا عمرو بن أبي سلمة قال سمعت زهيرا عمن سمع أبا العالية قال ثنا أبي بن كعب أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الله * وقال آخرون في الزيادة ما حدثنا به يحيى بن طلحة قال ثنا فضيل بن عياض عن منصور عن الحكم عن علي رضي الله عنه للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن منصور عن الحكم عن علي رضي الله عنه نحوه الا أنه قال فيها أربعة أبواب * قال ثنا جرير عن منصور عن

من الشر ومن قرأ تتلوبتاءين فمعناه تتبع ما أسلفت لأن عمله هو الذي يهديه الى طريق الجنة أو الى طريق النار وتقرأ في صحيفتها ما قدمت من خير أو شر (وردوا الى الله مولاهم الحق) الصادق ربوبيته (وضل عنهم) وضاع عنهم (ما كانوا) يدعون أنهم شركاء الله أو ما كانوا يختلقون من شفاعة الآلهة والحاصل أنهم (٧٦) يرجعون عن الباطل ويعترفون بالحق حين لا ينفعهم ذلك ⁂ التأويل واذا أذقنا الناس ذوق توبة وانابة أو ذوق كشف وشهود من بعد ضراء وهي الفسوق والاخلاق الذميمة وحجب الاوصاف اذا لهم مكر في آياتنا باظهارها الى غير أهلها بشرف النفس وطلب الجاه والقبول قل الله أسرع مكرا فيستدرجهم عن تلك المقامات الى دركات البعد من حيث لا يشعرون هو الذي يسيركم في بر البشرية وبحر الروحانية أو في بر العبودية وبحر الربوبية حتى اذا كنتم في فلك جذبات العناية وجرين بهم بهبوب نسيم شهود الجمال وفرحوا بالوصول والوصال جاءتها نكباء تجلي صفات الجلال وجاءهم موج البلايا والمحن من أماكن النعم البلاء موكل بالانبياء ثم بالاولياء ثم الامثل فالامثل فلما أنجاهم فيه اشارة الى أن أرباب الطلب لما وصلوا بجذبات الحق الى شهود الجمال واستغراق لجج بحر الجلال استقبلتهم عواصف العزة والكبرياء فيستدرجهم الى البغي وهو الطلب في أرض ما سوى الحق غير الحق كماء أنزلناه من سماء القلب الى أرض البشرية فاختلط به الصفات المولدة من أرض البشرية مما يأكل الناس والانعام من الصفات الحميدة الانسانية والذميمة البهيمية أتاها حكمنا الازلي ليلا عند استيلاء ظلمات صفات النفس أو نهارا عند بقاء ضوء الفيض الروحاني لكنه بامتزاج القوة الخيالية والوهمية وقع في ورطة العقائد الباطلة كالبعض الفلاسفة والمبتدعة والله يدعو الى دار السلام وهي مقام الفناء لأن صاحبه يسلم عن آفات الحجب أو مقام العلم والمعرفة لان صاحبه يسلم عن آفة الاثنينية والجهالة ويهدي من يشاء بجذبات العناية الى صراط مستقيم يؤدي الى السير بالله في الله للذين أحسنوا الحسنى فالاحسان أن تعبد الله كأنك تراه والحسنى هي شواهد الحق والنظر

الحكم بن عتيبة عن علي رضي الله عنه مثل حديث يحيى بن طلحة عن فضيل سواء ⁕ وقال آخرون الحسنى واحدة من الحسنات بواحدة والزيادة التضعيف الى تمام العشر ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال هو مثل قوله ولدينا مزيد يقول يجزيهم بعملهم ويزيدهم من فضله وقال من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن قابوس عن أبيه عن علقمة بن قيس للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال قلت هذه الحسنى فما الزيادة قال ألم تر أن الله يقول من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول في هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الزيادة بالحسنة عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف ⁕ وقال آخرون الحسنى حسنة مثل حسنة والزيادة زيادة مغفرة من الله ورضوان ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد للذين أحسنوا الحسنى مثلها حسنى وزيادة مغفرة ورضوان ⁕ وقال آخرون الزيادة ما أعطوا في الدنيا ذكر من قال ذلك **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الحسنى الجنة وزيادة ما أعطاهم في الدنيا لا يحاسبهم به يوم القيامة وقرأ وآتيناه أجره في الدنيا قال ما آتاه مما يحب في الدنيا عجل له أجره فيها ⁕ وكان ابن عباس يقول في قوله للذين أحسنوا الحسنى عما **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله للذين أحسنوا الحسنى يقول للذين شهدوا أن لا اله الا الله ⁕ وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله تبارك وتعالى وعد المحسنين من عباده على احسانهم الحسنى أن يجزيهم على طاعتهم اياه الجنة وأن تبيض وجوههم ووعدهم مع الحسنى الزيادة عليها ومن الزيادة على ادخالهم الجنة أن يكرمهم بالنظر اليه وأن يعطيهم غرفا من لآلئ وأن يزيدهم غفرانا ورضوانا كل ذلك من زيادات عطاء الله اياهم على الحسنى التي جعلها الله لأهل جناته وعم ربنا جل ثناؤه بقوله وزيادة الزيادات على الحسنى فلم يخصص منها شيأ دون شئ وغير مستنكر من فضل الله أن يجمع ذلك لهم بل ذلك كله مجموع لهم ان شاء الله فأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يعم كما عمه عز ذكره ⁂ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ يعني جل ثناؤه بقوله ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة لا يغشى وجوههم كآبة ولا كسوف حتى تصير من الحزن كأنما علاها قتر والقتر الغبار وهو جمع قترة ومنه قول الشاعر

متوج برداء الملك يتبعه ⁕ موج ترى فوقه الرايات والقترا

يعني بالقتر الغبار ولا ذلة ولا هوان أولئك أصحاب الجنة يقول هؤلاء الذين وصفت صفتهم هم أهل الجنة وسكانها ومن هم فيها هم فيها خالدون يقول هم فيها ماكثون أبدا لا تبيد فيخافوا زوال نعيمهم ولا هم بمخرجين فتتنغص عليهم لذتهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وكان ابن أبي ليلى يقول في قوله ولا يرهق وجوههم قتر ما **حدثنا** محمد بن منصور الطوسي قال ثنا

عفان

اليه والزيادة الجنة وما فيها من النعيم أو هي ما زاد على النظر من افناء الناسوتية في اللاهوتية والله ولي التوفيق ﴿قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي الا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون وما يتبع أكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغني من الحق شيأ ان الله عليم بما يفعلون وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون﴾ ۞ القراآت كلمات ربك وكذلك في آخر السورة على الجمع أبو جعفر ونافع وابن عامر لا يهدي مثل يرمي حمزة وعلي وخلف يهدي بسكون الهاء وتشديد الدال أبو جعفر ونافع غير ورش وعباس أبو عمرو غير عباس باشمام الفتحة قلوله لا يهدي بكسر الهاء وتشديد الدال عاصم غير يحيى وجبلة ورويس يهدي بكسرتين والتشديد يحيى يهدي بفتحتين والتشديد ابن كثير وابن عامر وورش وسهل ويعقوب غير رويس ۞ الوقوف يدبر الامر ط الله ج تتقون ه ج ط ربكم الحق ج ط للاستفهام مع الفاء الا الضلال ج ط تصرفون ه لا يؤمنون ه ثم يعيده الاول ط تؤفكون ه الى الحق ط للحق ط أن يهدى ج ط لما مر فما لكم ص لحق الاستفهام الثاني تحكمون ه الا ظنا ط شيأ ط

عفان قال ثنا حماد بن زيد عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة قال بعد نظرهم الى ربهم حدثني المثنى قال ثنا الحجاج ومعلى بن أسد قالا ثنا حماد بن زيد عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى بنحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس قوله ولا يرهق وجوههم قتر قال سواد الوجوه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم﴾ يقول تعالى ذكره والذين عملوا السيئات في الدنيا فعصوا الله فيها وكفروا به وبرسوله جزاء سيئة من عمله السيء الذي عمله في الدنيا بمثلها من عقاب الله في الآخرة وترهقهم ذلة يقول وتغشاهم ذلة وهوان بعقاب الله اياهم ما لهم من الله من عاصم يقول ما لهم من الله من مانع يمنعهم اذا عاقبهم يحول بينه وبينهم وبنحو الذي قلنا في قوله وترهقهم ذلة قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وترهقهم ذلة قال تغشاهم ذلة وشدة واختلف أهل العربية في الرافع للجزاء فقال بعض نحويي الكوفة رفع باضمار لهم كأنه قيل ولهم جزاء السيئة بمثلها كما قال فصيام ثلاثة أيام في الحج والمعنى فعليه صيام ثلاثة أيام قال وان شئت رفعت الجزاء بالباء في قوله وجزاء سيئة بمثلها وقال بعض نحويي البصرة الجزاء مرفوع بالابتداء وخبره بمثلها قال ومعنى الكلام جزاء سيئة مثلها وزيدت الباء كما زيدت في قولهم بحسبك قول السوء وقد أنكر ذلك من قوله بعضهم فقال يجوز أن تكون الباء في حسب لان التأويل ان قلت السوء فهو حسبك فلما لم تدخل في الجزاء أدخلت في حسب بحسبك أن تقوم ان قمت فهو حسبك فان مدح ما بعد حسب أدخلت الباء فيما بعدها كقولك حسبك بزيد ولا يجوز بحسبك زيد لان زيدا الممدوح فليس بتأويل جزاء وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يكون الجزاء مرفوعا باضمار بمعنى فلهم جزاء سيئة بمثلها لان الله قال في الآية التي قبلها للذين أحسنوا الحسنى وزيادة فوصف ما أعد لأوليائه ثم عقب ذلك بالخبر عما أعد الله لأعدائه فأشبه بالكلام أن يقال والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة واذا وجه ذلك الى هذا المعنى كانت الباء صلة للجزاء ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ يقول تعالى ذكره كأنما ألبست وجوه هؤلاء الذين كسبوا السيئات قطعا من الليل وهي جمع قطعة وكان قتادة يقول في تأويل ذلك ما حدثنا به محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما قال ظلمة من الليل واختلفت القراء في قراءة قوله تعالى قطعا فقرأته عامة قراء الامصار قطعا بفتح الطاء على معنى جمع قطعة وعلى معنى أن تأويل ذلك كأنما أغشيت وجه كل انسان منهم قطعة من سواد الليل ثم جمع ذلك فقيل كأنما أغشيت وجوههم قطعا من سواد اذا جمع الوجه وقرأه بعض متأخري القراء قطعا بسكون الطاء بمعنى كأنما أغشيت وجوههم سوادا من الليل وبقية من الليل ساعة منه كما قال فأسر بأهلك بقطع من الليل أي ببقية قد بقيت منه ويعتل لتصحيح قراءته ذلك كذلك أنه في مصحف أبي ويغشى وجوههم قطع من الليل مظلم والقراءة التي لا يجوز خلافها عندي قراءة من قرأ ذلك بفتح الطاء لاجماع الحجة من قراء الامصار على تصويبها

وشذوذما عداها وحسب الاخرى دلالة على فسادها خروج قارئها عما عليه قراء أهل الأمصار والاسلام فان قال لنا قائل فان كان الصواب فى قراءة ذلك ما قلت فما وجه تذكير المظلم وتوحيده وهو من نعت القطع والقطع جمع لمؤنث قيل فى تذكيره ذلك وجهان أحدهما أن يكون قطعا من الليل وأن يكون من نعت الليل فلما كان نكرة والليل معرفة نصب على القطع فيكون معنى الكلام حينئذ كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل المظلم ثم حذفت الالف واللام من المظلم فلما صار نكرة وهو من نعت الليل نصب على القطع وتسمى أهل البصرة ما كان كذلك حالا والكوفيون قطعا والوجه الآخر على نحو قول الشاعر

لو أن مدحة حى منشر أحدا

والوجه الاول أحسن وجهيه وقوله أولئك أصحاب النار يقول هؤلاء الذين وصفت لك صفتهم أهل النار الذين هم أهلها هم فيها خالدون يقول هم فيها ماكثون القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون﴾ يقول تعالى ذكره ويوم نجمع الخلق لموقف الحساب جميعا ثم نقول حينئذ للذين أشركوا بالله الآلهة والأنداد مكانكم أى امكثوا مكانكم وقفوا فى موضعكم أنتم أيها المشركون وشركاؤكم الذين كنتم تعبدونهم من دون الله من الآلهة والأوثان فزيلنا بينهم يقول ففرقنا بين المشركين بالله وما أشركوه به (١) وبين غيره وأبنته منه وقال فزيلنا لارادة تكثير الفعل وتكريره ولم يقل فزلنا بينهم وقد ذكر عن بعضهم أنه كان يقرؤه فزايلنا بينهم كما قيل ولا تصعر خدك ولا تصاعر خدك والعرب تفعل ذلك كثيرا فى فعلت يلحقون فيها أحيانا ألفا مكان التشديد فيقولون فاعلت اذا كان الفعل لواحد وأما اذا كان لاثنين فلا تكاد تقول الا فاعلت وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون وذلك حين تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب لما قيل للمشركين اتبعوا ما كنتم تعبدون من دون الله ونصبت لهم آلهتهم قالوا كنا نعبد هؤلاء فقالت الآلهة لهم ما كنتم ايانا تعبدون كما حدثت عن مسلم بن خالد عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال يكون يوم القيامة ساعة فيها شدة تنصب لهم الآلهة التى كانوا يعبدون فيقال هؤلاء الذين كنتم تعبدون من دون الله فتقول الآلهة والله ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعقل ولا نعلم أنكم كنتم تعبدوننا فيقولون والله لاياكم كنا نعبد فتقول لهم الآلهة فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم قال فرقنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون قالوا بلى قد كنا نعبدكم فقالوا كفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نتكلم فقال الله هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت الآية وروى عن مجاهد أنه كان يتأول الحشر فى هذا الموضع الموت حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن الاعمش قال سمعتهم يذكرون عن مجاهد فى قوله ويوم نحشرهم جميعا قال الحشر الموت والذى قلنا فى ذلك أولى بتأويله لان الله تعالى ذكره أخبر أنه يقول يومئذ للذين أشركوا ما ذكر أنه يقول لهم ومعلوم أن ذلك غير كائن فى القبر وأنه انما هو خبر عما يقال لهم ويقولون فى الموقف بعد البعث القول فى تأويل قوله تعالى (فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم

(١) لعل فيه سقطا من الناسخ والأصل يقال زلت بين الشئ وبين غيره أبنته منه تأمل وحرر

يفعلون ○ العالمين ○ افتراه ط صادقين ○ تأويله ط الظالمين ○ لا يؤمن به ط بالمفسدين ○ عملكم ج لأن أنتم مبتدأ والعامل واحد تعملون ○ التفسير لما بين فضائح عبدة الاوثان أكدها بالحجج اللامعة والبراهين القاطعة من أحوال الرزق والموت والحياة والابداء والاعادة والارشاد (٧٨) والهداية وقد بنى الحجج على الاستفهام وتفويض الجواب الى المسؤل ليكون أبلغ فى الزام الحجة وأوقع فى النفوس فالحجة الاولى قوله (قل من يرزقكم من السماء والارض) بانزال الامطار النافعة الموجبة لتولد الاغذية النباتية والحيوانية فى الارض بعد رعاية شرائط تربيتها وانمائها وحفظها من العاهات (أمن يملك السمع والابصار) خص الحاستين بالذكر لما فى خلقهما وتسويتهما من الفطرة العجيبة وكان صلى الله عليه وسلم يقول سبحان من بصر بشحم وأسمع بعظم وأنطق بلحم ولما فى تحصينهما من الآفات فى المدد الطوال وهما الطيفان يؤذيهما أدنى شئ مزيد قدرة ورأفة (ومن يخرج الحى من الميت) الحيوان الماشى والطائر من النطفة والبيضة وقد مر سائر الاقوال فى سورة الانعام (ومن يدبر الامر) عمم بعد ما خصص لأن أقسام تدبيره تعالى فى العالم العلوى والعالم السفلى وعالمى الغيب والشهادة أمور لا نهاية لها وذكر كلها كالمتعذر (فسيقولون الله) وفيه دليل على أنهم كانوا يعبدون الاصنام بناء على أنها شفعاؤهم وأنها تقربهم الى الله زلفى ولكنهم كانوا مخطئين فى هذا الاعتقاد فلهذا ختم الآية بقوله (فقل أفلا تتقون) الله الذى اعترفتم بأنه سبب فيضان جميع الخيرات فكيف أشركتم بعبادته الجمادات التى لا تقدر على نفع أو ضر (فذلكم) الموصوف بالقدرة الكاملة والرحمة الشاملة (الله ربكم الحق) الثابت ربوبيته بالوجدان والبرهان (فماذا بعد الحق) ذا مزيدة ان وما نافية أو استفهامية أو مجموع ماذا كلمة واحدة معناها أى شئ بعد الحق (الا الضلال) والمراد أنه لما ثبت وجود الواجب الحق كان ما سواه ممكنا لذاته باطلا دعوى الالهية فيه لان واجب الوجود يجب أن يكون واحدا فى ذاته وفى صفاته وفى جميع اعتباراته والا لزم افتقاره الى

ما انقسم اليه فلا يكون واجبا هف محال ولهذا ختم الآية بقوله (فأنى تصرفون) كيف تستجيزون العدول عن هذا الحق الظاهر وتقعون في الضلال اذ لا واسطة بين الامرين فمن يخطئ أحدهما وقع في الآخر (كذلك) أي كما حق وثبت أن الحق بعده الضلال أو كما حق أنهم مصروفون عن الحق فكذلك (حقت كلمة ربك) وتفسير الكلمة (أنهم لا يؤمنون) (٧٩) على أنه بدل أي حق عليهم انتفاء الايمان وقد علم الله منهم ذلك في الازل وأراد بالكلمة العدة بالعذاب وأنهم لا يؤمنون تعليل على حذف اللام احتجت المعتزلة بمثل قوله تعالى فأنى تصرفون أن الصارف لو كان هو الله تعالى لم يصح منه هذا التعجب والانكار وقالت الاشاعرة قد تعلق علمه تعالى بأنهم لا يؤمنون كما قال حقت كلمة ربك وتعلق خبره بأنهم لا يؤمنون وقدرته لم تتعلق بخلق الايمان فيه بل بخلق الكفر فيه وأثبت ذلك في اللوح المحفوظ وأشهد عليه ملائكته وأنزله على أنبيائه وأشهدهم عليه فلو حصل الايمان لبطلت هذه الاشياء فينقلب علمه جهلا وخبره الصدق كذبا وقدرته عجزا وارادته عبثا واشهاده باطلا الحجة الثانية (قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده) وانما قال ثم يعيده مع أن الخصم لا يعترف به لانه قدم في هذه السورة دلائل الاعادة بحيث لا يتمكن العاقل من دفعها اذا تأمل وأنصف فبنى الامر على ذلك وانما أمر نبيه أن ينوب عنهم في الجواب بقوله (قل الله) الآية تنبيها على أن هذا المعنى بلغ في الوضوح الى حيث لا حاجة فيه الى اقرار الخصم المكابر فكأنه قيل تكلم عنهم اذ لا يدعهم لجاجهم أن ينطقوا بكلمة الحق وقوله (فأنى تؤفكون) كقوله فأنى تصرفون وقدم في المائدة. الحجة الثالثة (قل هل من شركائكم من يهدي) الآية الاستدلال على وجود الصانع بالخلق أولا ثم بالهداية عادة مطردة في القرآن فحكى عن الخليل صلى الله عليه وسلم الذي خلقني فهو يهدين وعن موسى ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى وأمر محمدا صلى الله عليه وسلم سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والسر فيه أن المقصود من خلق الجسد حصول الهداية للروح وارتسام العلوم والمعارف فيه بارشاد الحق سبحانه اذ الطرق المنحرفة كثيرة والظنون والاغاليط غير

ان كنا عن عبادتكم لغافلين) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل شركاء المشركين من الآلهة والأوثان لهم يوم القيامة اذ قال المشركون بالله لها اياكم كنا نعبد كفى بالله شهيدا بيننا وبينكم أي انها تقول حسبنا الله شاهدا بيننا وبينكم أيها المشركون فانه قد علم أنا ما علمنا ما تقولون انا كنا عن عبادتكم لغافلين يقول ما كنا عن عبادتكم ايانا دون الله الا غافلين لا نشعر به ولا نعلم كما حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ان كنا عن عبادتكم لغافلين قال ذلك كل شيء يعبد من دون الله حدثني المثنى قال ثني اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد ان كنا عن عبادتكم لغافلين قال يقول ذلك كل شيء كان يعبد من دون الله ۞ القول في تأويل قوله تعالى (هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت وردوا الى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون) اختلفت القراء في قراءة قوله هنالك تبلو كل نفس بالباء بمعنى عند ذلك تختبر كل نفس بما قدمت من خير أو شر وكان ممن يقرؤه ويتأوله كذلك مجاهد حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت قال تختبر حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة وبعض أهل الحجاز تتلو كل نفس ما أسلفت بالتاء واختلف قارئو ذلك كذلك في تأويله فقال بعضهم معناه وتأويله هنالك تتبع كل نفس ما قدمت في الدنيا لذلك اليوم وروى بنحو ذلك خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجه وسند غير مرتضى أنه قال يمثل لكل قوم ما كانوا يعبدون من دون الله يوم القيامة فيتبعونهم حتى يوردوهم النار قال ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية هنالك تتلو كل نفس ما أسلفت وقال بعضهم بل معناه تتلو كتاب حسناته وسيئاته يعني تقرأ كما قال جل ثناؤه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا * وقال آخرون تبلو تعاين ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت قال ما عملت تبلو تعاينه . والصواب من القول في ذلك أن يقال انهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القراء وهما متقاربتا المعنى وذلك أن من تبع في الآخرة ما أسلف من العمل في الدنيا هجم به على مورده فيخبر هنالك ما أسلف من صالح أو سيئ في الدنيا وان من خبر ما أسلف في الدنيا من أعماله في الآخرة فانما يخبر بعد مصيره الى حيث أحله ما قدم في الدنيا من عمله فهو في كلتا الحالتين متبع ما أسلف من عمله مختبر له فبأيتهما قرأ القارئ كما وصفنا فمصيب الصواب في ذلك وأما قوله وردوا الى الله مولاهم الحق فانه يقول ورجع هؤلاء المشركون يومئذ الى الله الذي هو ربهم ومالكهم الحق لا شك فيه دون ما كانوا يزعمون أنهم لهم أرباب من الآلهة والانداد وضل عنهم ما كانوا يفترون يقول وبطل عنهم ما كانوا يتخرصون من الفرية والكذب على الله بدعواهم أوثانهم أنها لله شركاء وأنها تقربهم منه زلفى كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وردوا الى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا

يفترون قال ما كانوا يدعون معه من الانداد والآلهة ما كانوا يفترون الآلهة وذلك أنهم جعلوها أندادا وآلهة مع الله افتراء وكذبا القول في تأويل قوله تعالى (قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله الاوثان والاصنام من يرزقكم من السماء الغيث والقطر ويطلع لكم شمسها ويغطش ليلها ويخرج ضحاها ومن الارض أقواتكم وغذاءكم الذي ينبته لكم وثمار أشجارها أمن يملك السمع والابصار يقول أم من ذا الذي يملك أسماعكم وأبصاركم التي تسمعون بها أن يزيد في قواها أو يسلبكموها فيجعلكم صما وأبصاركم التي تبصرون بها أن يضيئها لكم وينيرها أو يذهب بنورها فيجعلكم عميا لا تبصرون ومن يخرج الحي من الميت يقول ومن يخرج الشيء الحي من الميت ويخرج الميت من الحي يقول ويخرج الشيء الميت من الحي وقد ذكرنا اختلاف المختلفين من أهل التأويل والصواب من القول عندنا في ذلك بالأدلة الدالة على صحته في سورة آل عمران بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع ومن يدبر الامر وقل لهم من يدبر أمر السماء والارض وما فيهن وأمركم وأمر الخلق فسيقولون الله يقول جل ثناؤه فسوف يجيبونك بأن يقولوا الذي يفعل ذلك كله الله فقل أفلا تتقون يقول أفلا تخافون عقاب الله على شرككم وادعائكم ربا غير من هذه الصفة صفته وعبادتكم معه من لا يرزقكم شيأ ولا يملك لكم ضرا ولا نفعا ولا يفعل فعلا القول في تأويل قوله تعالى (فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون) يقول تعالى ذكره لخلقه أيها الناس فهذا الذي يفعل هذه الافعال فيرزقكم من السماء والارض ويملك السمع والابصار ويخرج الحي من الميت والميت من الحي ويدبر الامر الله ربكم الحق لا شك فيه فماذا بعد الحق الا الضلال يقول فأي شيء سوى الحق الا الضلال وهو الجور عن قصد السبيل يقول فاذا كان الحق هو ذا فادعاؤكم غيره الها وربا هو الضلال والذهاب عن الحق لا شك فيه فأنى تصرفون يقول فأي وجه عن الهدى والحق تصرفون وسواهما تسلكون وأنتم مقرون بأن الذي تصرفون عنه هو الحق القول في تأويل قوله تعالى (كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون) يقول تعالى ذكره كما قد صرف هؤلاء المشركون عن الحق الى الضلال كذلك حقت كلمة ربك يقول وجب عليهم قضاؤه وحكمه في السابق من علمه على الذين فسقوا فخرجوا من طاعة ربهم الى معصيته وكفروا به أنهم لا يؤمنون يقول لا يصدقون بوحدانية الله ولا بنبوة نبيه صلى الله عليه وسلم القول في تأويل قوله تعالى (قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد هل من شركائكم يعني من الآلهة والاوثان من يبدأ الخلق ثم يعيده يقول من ينشئ خلق شيء من غير أصل فيحدث خلقه ابتداء ثم يعيده يقول ثم يفنيه بعد انشائه ثم يعيده كهيئته قبل أن يفنيه فانهم لا يقدرون على دعوى ذلك لها وفي ذلك الحجة القاطعة والدلالة الواضحة على أنهم في دعواهم أنها أرباب وهي لله في العبادة شركاء كاذبون مفترون فقل لهم حينئذ يا محمد الله يبدأ الخلق فينشئه من غير شيء ويحدثه من غير أصل ثم يفنيه اذا شاء ثم يعيده اذا أراد كهيئته قبل الفناء فأنى تؤفكون

محصورة فتحصيل الوسط الحقيقي لا يمكن الا بتوفيقه وهدايته ولا مدخل في ذلك بالاستقلال للملك أو الانسي أو الجني فضلا عن الاصنام التي هي في أدنى مراتب الوجود لانها جمادات لا شعور لها هذا تقرير الحجة الثالثة وقال الزجاج يقال هديت للحق والى الحق بمعنى فجمع بين العبارتين ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى ومنه قوله (أمن لا يهدي) وسائر القراآت أصلها يهتدي فأدغم وفتحت الهاء بحركة التاء أو كسرت لالتقاء الساكنين وقد كسرت الياء لاتباع ما بعدها قيل هذه الشركاء جمادات فكيف قال في حقها (الا أن يهدى) وأجيب بوجوه منها أن المراد بها في الآية رؤساؤهم وأشرافهم كقوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا والمراد أن الله سبحانه هو الذي يهدي الخلق الى الدين الحق بالدلائل النقلية وبما ركبه فيهم من الدلائل العقلية وأما هؤلاء الدعاة والرؤساء فانهم لا يقدرون على أن يهدوا غيرهم الا اذا هداهم الله ومنها أنهم لما اتخذوها آلهة وصفهم الله تعالى بصفة من يعقل كقوله ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ومنها أن ذلك بالفرض والتقدير يعني أنها لو كانت بحيث يمكنها أن تهتدي فانها لا تهدي غيرها الا أن تهدى ومنها أن البنية عندنا ليست بشرط في صحة الحياة والعقل فيصح من الله تعالى أن يجعلها حية عاقلة ثم انها تشتغل بهداية الغير ومنها أن المراد من الهدى النقل والحركة يقال هديت المرأة الى زوجها أي نقلت اليه فالمعنى لا ينتقل الى مكان الا اذا نقل اليه ثم عجب من مذهبهم الفاسد باستفهامين متواليين فقال (فما لكم كيف تحكمون) ثم بين ما بنوا عليه أمر دينهم فقال (وما يتبع أكثرهم الا ظنا) أي في اقرارهم بالله لانه قول غير مستند الى برهان عندهم بل سمعوه من أسلافهم أو في قولهم للاصنام انها آلهة أو شفعاء وعلى هذا فالمراد بالاكثر الجميع (ان الظن) يقول في معرفة الله وفيما يجب تحقيقه (لا يغني من الحق) وهو العلم والتحقيق (شيأ) من الغناء والمعنى أن الظن لا يقوم مقام العلم في شيء من الاحوال ثم أوعدهم على اتباعهم الظن وتقليد الآباء بقوله (ان الله عليم بما يفعلون) وتمسك نفاة القياس بالآية ظاهر من قبل أن القياس

يقول فأى وجه عن قصد السبيل وطريق الرشد تصرفون وتقلبون كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن فأنى تؤفكون قال أنى تصرفون وقد بينا اختلاف المختلفين فى تأويل قوله أنى تؤفكون والصواب من القول فى ذلك عندنا بشواهده فى سورة الانعام ∴ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق قل الله يهدى للحق أفمن يهدى الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى الا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين هل من شركائكم الذين تدعون من دون الله وذلك آلهتهم وأوثانهم من يهدى الى الحق يقول من يرشد ضالا من ضلالته الى قصد السبيل ويسدد جائرا عن الهدى الى واضح الطريق المستقيم فانهم لا يقدرون أن يدعوا أن آلهتهم وأوثانهم ترشد ضالا أو تهدى جائرا وذلك أنهم ان ادعوا ذلك لها أكذبتهم المشاهدة وأبان عجزها عن ذلك الاختبار بالمعاينة فاذا قالوا لا وأقروا بذلك فقل لهم فالله يهدى الضال عن الهدى الى الحق أفمن يهدى أيها القوم ضالا الى الحق وجائرا عن الرشد الى الرشد أحق أن يتبع الى ما يدعو اليه أم من لا يهدى الا أن يهدى واختلف القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة أم من لا يهدى بتسكين الهاء وتشديد الدال فجمعوا بين ساكنين وكأن الذى دعاهم الى ذلك أنهم وجهوا أصل الكلمة الى أنه أم من لا يهتدى ووجدوه فى خط المصحف بغير ما قرءوا وان التاء حذفت لما أدغمت فى الدال فأقروا الهاء ساكنة على أصلها الذى كانت عليه وشددوا الدال طلبا لادغام التاء فيها فاجتمع بذلك سكون الهاء والدال وكذلك فعلوا فى قوله وقلنا لهم لا تعدوا فى السبت وفى قوله يخصمون وقرأ ذلك بعض قراء أهل مكة والشام والبصرة يهدى بفتح الها وتشديد الدال وأموا ما أمه المدنيون من الكلمة غير أنهم نقلوا حركة التاء من يهتدى الى الهاء الساكنة فحركوا بحركتها وأدغموا التاء فى الدال فشددوها وقرأ ذلك بعض قراء الكوفة يهدى بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال بنحو ما قصده قراء أهل المدينة غير أنه كسر الهاء لكسرة الدال من يهتدى استثقالا للفتحة بعدها كسرة فى حرف واحد وقرأ ذلك بعض عامة قراء الكوفيين أم من لا يهدى بتسكين الهاء وتخفيف الدال وقالوا ان العرب تقول هديت بمعنى اهتديت قالوا فمعنى قوله أم من لا يهدى أم من لا يهتدى الا أن يهدى * وأولى القراءة فى ذلك بالصواب قراءة من قرأ أم من لا يهدى بفتح الهاء وتشديد الدال لما وصفنا من العلة لقارئ ذلك كذلك وان ذلك لا يدفع صحته ذو علم بكلام العرب وفيهم المنكر غيره وأحق الكلام أن يقرأ بأفصح اللغات التى نزل بها كلام الله تبارك وتعالى فتأويل الكلام اذا أفمن يهدى الى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهتدى الى شئ الا أن يهدى وكان بعض أهل التأويل يزعم أن معنى ذلك أم من لا يقدر أن ينتقل عن مكانه الا أن ينقل وكان مجاهد يقول فى تأويل ذلك ما حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أفمن يهدى الى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدى الا أن يهدى قال الاوثان الله يهدى منها ومن غيرها من شاء لما شاء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله أمن لا يهدى الا أن يهدى قال قال الوثن وقوله فما لكم كيف تحكمون ألا تعلمون أن من يهدى الى الحق أحق أن يتبع من الذى لا يهتدى الى شئ الا أن يهديه اليه هاد غيره فتتركوا اتباع من لا يهتدى الى شئ وعبادته

لا يفيد الا الظن وأجيب بأن التمسك بالعمومات لا يفيد الا الظن وهذه الآية من العمومات فلم يجب اتباعها بزعمكم وما أفضى ثبوته الى نفيه كان متروكا ولما فرغ من دلائل التوحيد شرع فى اثبات النبوة فقال (وما كان هذا القرآن أن يفترى) أى افتراء من دون الله أو كلمة أن بمعنى اللام أى ما ينبغى له وما استقام أن يكون مفترى والحاصل أن وصفه ليس وصف شئ يمكن أن يفترى به على الله لانه معجز لا يقدر البشر على اتيان مثله وانما القادر عليه هو الله تعالى (ولكن) كان (تصديق الذى بين يديه) من الكتب المنزلة لاعجازه دونها فهو عيار عليها شاهد بصحتها ونفس هذا التصديق أيضا معجز لان أقاصيصه موافقة لما فى كتب الاولين مع أنه لم يتعلم قط ولم يتلمذ ولان بشارته جاءت فى تلك الكتب على وفق دعواه ولأنه يخبر عن الغيوب المستقبلة فيقع مطابقا فظهر أن القرآن معجز من قبل اشتماله على الغيوب الماضية والمستقبلة أما أنه معجز من جهة اشتماله على العلوم الجمة فذلك قوله (وتفصيل الكتاب) أى يبين ما كتب وفرض من الاحكام والشرائع كقوله كتاب الله عليكم قال فى الكشاف (قوله لا ريب فيه من رب العالمين) داخل فى حيز الاستدراك كأنه قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب كائنا من رب العالمين وجوز أن يكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ولا ريب فيه اعتراض كقولك زيد لاشك فيه كريم والمعنى ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لا ريب فيه ثم أعاد بيان اعجازه مرة أخرى فقال مستفهما على سبيل الانكار (أم يقولون افتراه قل) ان كان الامر كما تزعمون (فأتوا) أنتم على وجه الافتراء (بسورة مثله) فى البلاغة وحسن النظم فأنتم مثلى فى العربية والفصاحة (وادعوا من استطعتم من دون الله) أى لا تستعينوا بالله وحده ثم استعينوا بكل من سواه (ان كنتم صادقين) أنه افتراه قال بعض العلماء هذه الآية فى سورة يونس وهى مكية فالمراد بالسورة المتحدى بها هذه السورة والاصح أن التحدى واقع على أقصر سورة قالت المعتزلة لو لم يكن الاتيان بمثل القرآن صحيح الوجود فى الجملة لم يتحد العرب به لكنهم تحدوا

وتتبعوا من يهديكم في ظلمات البر والبحر وتخلصوا له العبادة فتفردوه بها وحده دون ما تشركونه فيها من آلهتكم وأوثانكم ⁂ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وما يتبع أكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغني من الحق شيأ ان الله عليم بما يفعلون﴾ يقول تعالى ذكره وما يتبع أكثر هؤلاء المشركين الا ظنا يقول الا ما لا علم لهم بحقيقته وصحته بل هم منه في شك وريبة ان الظن لا يغني من الحق شيأ يقول ان الشك لا يغني من اليقين شيأ ولا يقوم في شيء مقامه ولا ينتفع به حيث يحتاج الى اليقين ان الله عليم بما يفعلون يقول تعالى ذكره ان الله ذو علم بما يفعل هؤلاء المشركون من اتباعهم الظن وتكذيبهم الحق اليقين وهو لهم بالمرصاد حيث لا يغني عنهم ظنهم من الله شيأ ⁂ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين﴾ يقول تعالى ذكره ما ينبغي لهذا القرآن أن يفترى من دون الله يقول ما ينبغي له أن يتخرصه أحد من عند غير الله وذلك نظير قوله وما كان لنبي أن يغل بمعنى ما ينبغي لنبي أن يغله أصحابه وانما هذا خبر من الله جل ثناؤه أن هذا القرآن من عنده أنزله الى محمد عبده وتكذيب منه للمشركين الذين قالوا هو شعر وكهانة والذين قالوا انما يتعلمه محمد من يعيش الرومي يقول لهم جل ثناؤه ما كان هذا القرآن ليختلقه أحد من عند غير الله لأن ذلك لا يقدر عليه أحد من الخلق ولكن تصديق الذي بين يديه يقول تعالى ذكره ولكنه من عند الله أنزله مصدقا لما بين يديه أي لما قبله من الكتب التي أنزلت على أنبياء الله كالتوراة والانجيل وغيرهما من كتب الله التي أنزلها على أنبيائه وتفصيل الكتاب يقول وتبيان الكتاب الذي كتبه الله على أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وفرائضه التي فرضها عليهم في السابق من علمه لا ريب فيه يقول لا شك فيه أنه تصديق الذي بين يديه من الكتاب وتفصيل الكتاب من عند رب العالمين لا افتراء من عند غيره ولا اختلاق ⁂ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين﴾ يقول تعالى ذكره أم يقول هؤلاء المشركون افترى محمد هذا القرآن من نفسه فاختلقه وافتعله قل يا محمد لهم ان كان كما تقولون اني اختلقته وافتريته فانكم مثلي من العرب ولساني وكلامي مثل لسانكم فجيئوا بسورة مثل هذا القرآن والهاء في قوله مثله كناية عن القرآن وقد كان بعض نحويي البصرة يقول معنى ذلك قل فأتوا بسورة مثل سورته ثم ألقيت سورة وأضيف المثل الى ما كان مضافا اليه السورة كما قيل واسئل القرية يراد به واسئل أهل القرية وكان بعضهم ينكر ذلك من قوله ويزعم أن معناه فأتوا بقرآن مثل هذا القرآن والصواب من القول في ذلك عندي أن السورة انما هي سورة من القرآن وهي قرآن وان لم تكن جميع القرآن فقيل لهم فأتوا بسورة مثله ولم يقل مثلها لان الكناية أخرجت على المعنى أعني معنى السورة لا على لفظها لانها لو أخرجت على لفظها لقيل فأتوا بسورة مثلها وادعوا من استطعتم من دون الله يقول وادعوا أيها المشركون على أن يأتوا بسورة مثلها من قدرتم أن تدعوا على ذلك من أوليائكم وشركائكم من دون الله يقول من عند غير الله فأجمعوا على ذلك واجتهدوا فانكم لا تستطيعون أن تأتوا بسورة مثله أبدا وقوله ان كنتم صادقين يقول ان كنتم صادقين في أن محمدا افتراه فأتوا بسورة مثله من جميع من يعينكم على

الاتيان

بذلك فدل على أن القرآن محدث اذ لو كان قديما والاتيان بالقديم محال لم يصح هذا التحدي وأجيب بأن القرآن يقال بالاشتراك على الصفة القديمة القائمة بذات الله وعلى هذه الحروف والاصوات المحدثة والتحدي انما وقع بهذه لا بتلك (بل كذبوا) سارعوا الى التكذيب (بما لم يحيطوا بعلمه) وهو القرآن (ولما يأتهم تأويله) ومعنى التوقع فيه أنهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل تقليد الآباء وكذبوا به بعد التدبر وتكرر التحدي عليهم واستيقان عجزهم عن هذا بغيا وحسدا وعنادا وذلك انما حملهم على التكذيب أولا وآخرا وجوه منها أنهم وجدوا في القرآن أقاصيص الاولين ولم يعرفوا المقصود منها فقالوا أساطير الاولين وخفي عليهم أن الغرض منها بيان قدرة الله تعالى على التصرف في هذا العالم ونقل الامم من العز الى الذل وبالعكس ليعرف المكلف أن الدنيا ليست مما يبقى فنهاية كل حركة سكون وغاية كل سكون أن لا يكون كقوله عز من قائل لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ومنها أنهم كلما سمعوا حروف التهجي في أوائل السور ولم يفهموا منها شيأ ساء ظنهم بالقرآن فأجاب الله تعالى عنه بقوله هو الذي أنزل عليك الكتاب الى قوله وأخر متشابهات الآية ومنها أنهم رأوا القرآن يظهر شيأ فشيأ فاتهموا النبي وقالوا لولا أنزل عليه القرآن جملة واحدة ومنها أنهم وجدوا القرآن مملوأ من حديث الحشر والنشر وكانوا قد ألفوا المحسوسات فاستبعدوا ذلك وأنهم وجدوا فيه تكاليف كثيرة من الصلاة والصيام والزكاة والحج والجهاد وكانوا يقولون ان الله العالم غني عنا وعن طاعاتنا (كذلك كذب الذين من قبلهم) يعني قبل النظر في معجزات أنبيائهم قال أهل التحقيق في الآية دلالة على أن من كان غير عارف بوجوه التأويل قد يقع في الكفر والبدعة لان ظواهر النصوص قد تتعارض فيفتقر هنالك الى تطبيق التنزيل على التأويل وقيل معنى الآية ان القرآن كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب ومن جملتها أحوال الآخرة فقوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اشارة الى التكذيب به قبل أن ينظروا

في نظمه و بلوغه حد الاعجاز وقوله ولما يأتهم تأويله اشارة الى تكذيبهم قبل أن يمتحنوا غوره هل تطابق الواقع أم لا ثم ختم الآية بقوله (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) والمراد أنهم طلبوا الدنيا وأعرضوا عن الآخرة فلم تبق عليهم الدنيا وفاتهم الآخرة فبقوا في خسران الدارين وقيل المقصود عذاب الاستئصال الذي نزل بالمكذبين قبلهم

ثم قسم طوائف الامم المكذبين فقال (ومنهم من يؤمن به) أي بالقرآن أو بالرسول أي يصدق به في نفسه ويعلم أنه حق ولكنه يعاند (ومنهم) من يشك فيه لا يصدق به لا ظاهرا ولا باطنا ويمكن أن يقال المراد به قسمتهم في الاستقبال أي ومنهم من سيؤمن به ومنهم من يبقى على الكفر فتكون الآية كالعذر في تبقيتهم وعدم استئصالهم (وربك أعلم بالمفسدين) فيجازيهم على حسب مراتبهم في التكذيب ويعلم طوياتهم هل يتوبون أو يصرفون ثم بين اختصاص كل مكلف بأفعاله وبنتائج أعماله من الثواب والعقاب فقال (وان كذبوك فقل لي عملي) أي جزاء عملي على الطاعة والايمان وتبليغ الرسالة (ولكم عملكم) قال مقاتل والكلبي هي منسوخة بآية القتال والتحقيق أن آية القتال لا تدفع شيأ من مدلولات هذه فلا نسخ والله أعلم ۞ (التأويل) قل من يرزقكم أي من ينزل من سماء النفس مطر الهواجس ويخرج من أرض النفس نبات الافعال والاعمال وينزل من سماء القلب مطر آثار فيض الروح ويخرج من أرض النفس نبات الصفات البشرية والحيوانية أو ينزل من سماء الروح مطر فيض الروح ويخرج من أرض القلب نبات الاوصاف الحميدة أو ينزل من سماء القدرة مطر تجلي الصفات والفيض الرباني ويخرج من أرض الروح المحبة والاخلاق الالهية أو ينزل من سماء الذات مطر تجلي الصفات ويخرج من أرض الوجود نبات الفناء في الله وثمرات البقاء بالله أمن يملك السمع والابصار فيكون سمعه الذي به يسمع وبصره الذي به يبصر يخرج الحي من الميت النفس من القالب والقلب من الروح والروح من القلب وبالعكوس ومن يدبر أمر الانسان بالتربية من التراب الى أن يصل الى رب الارباب فسيقولون هذه الاحوال كلها من الله فقل لمن

الاتيان بها فان لم تفعلوا واذ ذلك فلا شك أنكم كذبة في زعمكم أن محمدا افتراه لان محمدا لن يعدو أن يكون بشرا مثلكم فاذا عجز الجميع من الخلق أن يأتوا بسورة مثله فالواحد منهم عن أن يأتي بجميعه أعجز ۞ القول في تأويل قوله تعالى (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) يقول تعالى ذكره ما بهؤلاء المشركين يا محمد تكذيبك ولكن بهم التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه مما أنزل الله عليك في هذا القرآن من وعيدهم على كفرهم بربهم ولما يأتهم تأويله يقول ولما يأتهم بعد بيان ما يؤول اليه ذلك الوعيد الذي توعدهم الله في هذا القرآن كذلك كذب الذين من قبلهم يقول تعالى ذكره كما كذب هؤلاء المشركون يا محمد بوعيد الله كذلك كذب الامم التي خلت قبلهم بوعيد الله اياهم على تكذيبهم رسلهم وكفرهم بربهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فانظر يا محمد كيف كان عقبى كفر من كفر بالله ألم نهلك بعضهم بالرجفة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالغرق يقول فان عاقبة هؤلاء الذين يكذبونك ويجحدون بآياتي من كفار قومك كالتي كانت عاقبة من قبلهم من كفرة الامم ان لم ينيبوا من كفرهم ويسارعوا الى التوبة ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين) يقول تعالى ذكره ومن قومك يا محمد من قريش من سوف يؤمن به يقول من سوف يصدق بالقرآن ويقر أنه من عند الله ومنهم من لا يؤمن به أبدا يقول ومنهم من لا يصدق به ولا يقر أبدا وربك أعلم بالمفسدين يقول والله أعلم بالمكذبين به منهم الذين لا يصدقون به أبدا من كل أحد لا يخفى عليه وهو من وراء عقابه فأما من كتبت له أنه يؤمن به منهم فاني سأتوب عليه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم وان كذبك يا محمد هؤلاء المشركون وردوا عليك ما جئتهم به من عند ربك فقل لهم أيها القوم لي ديني وعملي ولكم دينكم وعملكم لا يضرني عملكم ولا يضركم عملي وانما يجازى كل عامل بعمله أنتم بريئون مما أعمل لا تؤاخذون بجريرته وأنا بريء مما تعملون لا أؤاخذ بجريرة عملكم وهذا كما قال جل ثناؤه قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد وقيل ان هذه الآية منسوخة نسخها الجهاد والامر بالقتال ذكر من قال ذلك

حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم الآية قال أمره بهذا ثم نسخه وأمره بجهادهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ومنهم من يستمعون اليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ومن هؤلاء المشركين من يستمعون الى قولك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون يقول أفأنت تخلق لهم السمع ولو كانوا لا سمع لهم يعقلون به أم أنا وانما هذا اعلام من الله عباده أن التوفيق للايمان به بيده لا الى أحد سواه يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم كما أنك لا تقدر أن تسمع يا محمد من سلبته السمع فكذلك لا تقدر أن تفهم أمري ونهيي قلبا سلبته فهم ذلك لاني ختمت عليه أنه لا يؤمن ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ومنهم من ينظر اليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون) يقول تعالى ذكره ومن هؤلاء المشركين مشركي قومك من ينظر اليك

بلغ نظره الى هذه المراتب العلية وانها عتبة باب التوحيد والمعرفة أفلا تتقون بالله عن غيره لتدخلوا بيت الوحدة كذلك حقت كلمة ربك هكذا جرى القلم فى الازل على الذين خرجوا من قبول فيض النور حين رش على الخلق من نوره وتفصيل الكتاب وتفصيل الجملة التى هى مكتوبة عنده فى أم الكتاب وهو علمه القائم بذاته وربك أعلم بالمفسدين الذين أفسدوا استعدادهم الفطرى والله أعلم

يا محمد وهو يرى أعلامك وحججك على نبوتك ولكن الله قد سلبه التوفيق فلا يهتدى ولا تقدر أن تهديه كما لا تقدر أن تحدث للأعمى بصرا يهتدى به أفأنت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون يقول أفأنت يا محمد تحدث لهؤلاء الذين ينظرون اليك والى أدلتك وحججك فلا يوفقون للتصديق بك أبصارا لو كانوا عميا يهتدون بها أو يبصرون فكما أنك لا تطيق ذلك ولا تقدر عليه ولا غيرك ولا يقدر عليه أحد سواى فكذلك لا تقدر على أن تبصرهم سبيل الرشاد أنت ولا أحد غيرى لان ذلك بيدى والىّ وهذا من الله تعالى ذكره تسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم عن جماعة ممن كفر به من قومه وأدبر عنه فكذب وتعزية له عنهم وأمر برفع طمعه من انابتهم الى الايمان بالله * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان الله لا يظلم الناس شيأ ولكن الناس أنفسهم يظلمون﴾ يقول تعالى ذكره ان الله لا يفعل بخلقه ما لا يستحقون منه لا يعاقبهم الا بمعصيتهم اياه ولا يعذبهم الا بكفرهم به ولكن الناس يقول ولكن الناس هم الذين يظلمون أنفسهم باجترامهم ما يورثها غضب الله وسخطه وانما هذا اعلام من الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به أنه لم يسلب هؤلاء الذين أخبر جل ثناؤه عنهم أنهم لا يؤمنون الايمان ابتداء منه بغير جرم سلف منهم واخبار أنه انما سلبهم ذلك باستحقاق منهم سلبه لذنوب اكتسبوها فحق عليهم قول ربهم وطبع على قلوبهم * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين﴾ يقول تعالى ذكره ويوم نحشر هؤلاء المشركين فنجمعهم فى موقف الحساب كأنهم كانوا قبل ذلك لم يلبثوا الا ساعة من نهار يتعارفون فيما بينهم ثم انقطعت المعرفة وانقضت تلك الساعة يقول الله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين قد غبن الذين جحدوا ثواب الله وعقابه حظوظهم من الخير وهلكوا وما كانوا مهتدين يقول وما كانوا موفقين لاصابة الرشد مما فعلوا من تكذيبهم بلقاء الله لانه أكسبهم ذلك ما لا قبل لهم به من عذاب الله * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فالينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون﴾ يقول تعالى ذكره واما نرينك يا محمد فى حياتك بعض الذى نعد هؤلاء المشركين من قومك من العذاب أو نتوفينك قبل أن نريك ذلك فيهم فالينا مرجعهم يقول فمصيرهم بكل حال الينا ومنقلبهم ثم الله شهيد على ما يفعلون يقول جل ثناؤه ثم أنا شاهد على أفعالهم التى كانوا يفعلونها فى الدنيا وأنا عالم بها لا يخفى علىّ شئ منها وأنا مجازيهم بها عند مصيرهم الىّ ومرجعهم جزاءهم الذى يستحقونه كما حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد واما نرينك بعض الذى نعدهم من العذاب فى حياتك أو نتوفينك قبل فالينا مرجعهم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولكل أمة رسول فاذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون﴾ يقول تعالى ذكره ولكل أمة خلت قبلكم أيها الناس رسول أرسلته اليهم كما أرسلت محمدا اليكم يدعون من أرسلتهم اليهم الى دين الله وطاعته فاذا جاء رسولهم يعنى فى الآخرة كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج

﴿ومنهم من يستمعون اليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر اليك أفأنت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون ان الله لا يظلم الناس شيأ ولكن الناس أنفسهم يظلمون ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين واما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فالينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون ولكل أمة رسول فاذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لا أملك لنفسى ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله لكل أمة أجل اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون قل أرأيتم ان أتاكم عذابه بياتا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون أثم اذا ما وقع آمنتم به آلآن وقد كنتم به تستعجلون ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون ويستنبئونك أحق هو قل اى وربى انه لحق وما أنتم بمعجزين ولو أن لكل نفس ظلمت ما فى الارض لافتدت به وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ألا ان لله ما فى السموات والارض ألا ان وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون هو يحيى ويميت واليه ترجعون يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾ * القراآت أفأنت بتليين الهمزة ونحوه الاصبهانى عن ورش وحمزة فى الوقف ولكن الناس بالتخفيف

حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قال يوم القيامة وقوله قضى بينهم بالقسط يقول قضى حينئذ بينهم بالعدل وهم لا يظلمون من جزاء أعمالهم شيئا ولكن يجازى المحسن باحسانه والمسيء من أهل الايمان اما أن يعاقبه الله واما أن يعفو عنه والكافر يخلد في النار فذلك قضاء الله بينهم بالعدل وذلك لاشك عدل لا ظلم **حدثني** المثنى قال ثنا أبوحذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قضي بينهم بالقسط قال بالعدل ∴ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم ويقول هؤلاء المشركون من قومك يا محمد متى هذا الوعد الذي تعدنا أنه يأتينا من عند الله وذلك قيام الساعة ان كنتم صادقين أنت ومن تبعك فيما تعدوننا به من ذلك ∴ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله لكل أمة أجل اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ يقول تعالى ذكره قل يا محمد للمستعجليك وعيد الله القائلين لك متى يأتينا الوعد الذي تعدنا ان كنتم صادقين لا أملك لنفسي أيها القوم أي لا أقدر لها على ضر ولا نفع في دنيا ولا دين الا ما شاء الله أن أملكه فأجلبه اليها باذنه يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهم فاذ كنت لا أقدر على ذلك الا باذنه فأنا عن القدرة على الوصول الى علم الغيب ومعرفة قيام الساعة أعجز وأعجز الا بمشيئته واذنه لي في ذلك لكل أمة أجل يقول لكل قوم ميقات لانقضاء مدتهم وأجلهم فاذا جاء وقت انقضاء أجلهم وفناء أعمارهم لا يستأخرون عنه ساعة فيمهلون ويؤخرون ولا يستقدمون قبل ذلك لان الله قضى أن لا يتقدم ذلك قبل الحين الذي قدره وقضاه ∴ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل أرأيتم ان أتاكم عذابه بياتا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون﴾ يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك أرأيتم ان أتاكم عذاب الله بياتا يقول ليلا أو نهارا وجاءت الساعة وقامت القيامة أتقدرون على دفع ذلك عن أنفسكم يقول الله تعالى ذكره ماذا يستعجل من نزول العذاب المجرمون الذين كفروا بالله وهم الصالون حره دون غيرهم ثم لا يقدرون على دفعه عن أنفسهم ∴ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أثم اذا ما وقع آمنتم به آلآن وقد كنتم به تستعجلون﴾ يقول تعالى ذكره أهنالك اذا وقع عذاب الله بكم أيها المشركون آمنتم به يقول صدقتم به في حال لا ينفعكم فيها التصديق وقيل لكم حينئذ الآن تصدقون به وقد كنتم قبل الآن به تستعجلون وأنتم بنزوله مكذبون فذوقوا الآن ما كنتم به تكذبون ومعنى قوله أثم في هذا الموضع أهنالك وليست ثم هذه هاهنا التي تأتي بمعنى العطف ∴ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون﴾ يقول تعالى ذكره ثم قيل للذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله ذوقوا عذاب الخلد تجرعوا عذاب الله الدائم لكم أبدا الذي لا فناء له ولا زوال هل تجزون الا بما كنتم تكسبون يقول يقال لهم فانظروا هل تجزون أي هل تثابون الا بما كنتم تكسبون يقول الا بما كنتم تعملون في حياتكم قبل مماتكم من معاصي الله ∴ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ويستنبئونك أحق هو قل اي وربي انه لحق وما أنتم بمعجزين﴾ يقول تعالى ذكره ويستخبرك هؤلاء المشركون من قومك يا محمد فيقولون لك أحق ما تقول وما تعدنا به من عذاب الله في الدار الآخرة جزاء على ما كنا نكسب من معاصي الله في الدنيا

الباقون على الغيبة فيهما ﴿الوقوف﴾ اليك ط لا يعقلون ه اليك ط لا يبصرون ه يظلمون ه بينهم ط مهتدين ه يفعلون ه رسول ج ط لا يظلمون ه صادقين ه ما شاء الله ط أجل ط ولا يستقدمون ه المجرمون ه آمنتم به ط تستعجلون ه الخلد ج ط للاستفهام مع أن القائل واحد تكسبون ه أحق هو ط بمعجزين ه لافتدت به ط العذاب ج ط للعطف على أسروا دون رأوا يظلمون ه والارض ط لا يعلمون ه ترجعون ه للمؤمنين ه فليفرحوا ط يجمعون ه وحلالا ط تفترون ه القيامة ط لا يشكرون ه ∴ التفسير ان الانسان اذا قوي بغضه لانسان آخر وعظمت نفرته عنه صارت نفسه متوجهة الى طلب مقابحه في كلامه معرضة عن جهات محاسنه فيه وكما أن الصمم في الاذن معنى ينافي حصول ادراك الصوت والعمى في العين أمر ينافي حصول ادراك الصورة فكذلك حصول هذا البغض الشديد يضاد وقوف الانسان على محاسن من يعاديه فبين الله سبحانه أن في أولئك الكفار من بلغت حاله في النفرة والعداوة الى هذا الحد ﴿يستمعون اليك﴾ اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم لا يسمعون ولا يعقلون وينظرون اليك يعاينون أدلة الصدق وأعلام النبوة ولكنهم لا يبصرون ولا يصدقون قال أهل المعاني المستمع الى القرآن كالمستمع الى النبي صلى الله عليه وسلم بخلاف النظر فكان في المستمعين كثرة فجمع ليطابق اللفظ المعنى ووحد النظر حملا على اللفظ اذلم يكثروا كثرتهم ثم قال أتطمع أن تقدر على اسماع الصم ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم أو تقدر على هداية العمي ولاسيما اذا قرن بفقد البصر فقد البصيرة انما يقدر على ردهم الى حالة الكمال خالق القدر والقوى

قل لهم يا محمد اى وربى انه لحق لا شك فيه وما انتم بمعجزى الله اذا أراد ذلك بكم بهرب أو امتناع بل أنتم فى قبضته وسلطانه وملكه اذا أراد فعل ذلك بكم فاتقوا الله فى أنفسكم ❊ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولو أن لكل نفس ظلمت ما فى الارض لافتدت به وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون﴾ يقول تعالى ذكره ولو أن لكل نفس كفرت بالله وظلمها فى هذا الموضع عبادتها غير من يستحق عبادة وتركها طاعة من يجب عليها طاعته ما فى الارض من قليل أو كثير لافتدت به يقول لافتدت بذلك كله من عذاب الله اذا عاينته وقوله وأسروا الندامة لما رأوا العذاب يقول وأخفت رؤساء هؤلاء المشركين من وضعائهم وسفلتهم الندامة حين أبصروا عذاب الله قد أحاط بهم وأيقنوا أنه واقع بهم وقضى بينهم بالقسط يقول وقضى الله يومئذ بين الأتباع والرؤساء منهم بالعدل وهم لا يظلمون وذلك أنه لا يعاقب أحدا منهم الا بجريرته ولا يأخذه بذنب أحد ولا يعذب الا من قد أعذر اليه فى الدنيا وأنذر وتابع عليه الحجج ❊ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ألا ان لله ما فى السموات والارض ألا ان وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ يقول جل ذكره ألا ان كل ما فى السموات وكل ما فى الارض من شئ لله ملك لا شئ فيه لاحد سواه يقول فليس لهذا الكافر بالله يومئذ شئ يملكه فيفتدى به من عذاب ربه وانما الاشياء كلها للذى اليه عقابه ولو كانت له الاشياء التى هى فى الارض ثم افتدى بها لم يقبل منه بدلا من عذابه فيصرف بها عنه العذاب فكيف وهو لا شئ له يفتدى به منه وقد حق عليه عذاب الله يقول الله جل ثناؤه ألا ان وعد الله حق يعنى أن عذابه الذى أوعد هؤلاء المشركين على كفرهم حق فلا عليهم أن لا يستعجلوا به فانه بهم واقع لا شك ولكن أكثرهم لا يعلمون يقول ولكن أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون حقيقة وقوع ذلك بهم فهم من أجل جهلهم به مكذبون ❊ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿هو يحيى ويميت واليه ترجعون﴾ يقول تعالى ذكره ان الله هو المحيى المميت لا يتعذر عليه فعل ما أراد فعله من احياء هؤلاء المشركين اذا أراد احياءهم بعد مماتهم ولا إماتتهم اذا أراد ذلك وهم اليه يصيرون من بعد مماتهم فيعاينون ما كانوا به مكذبين من وعيد الله وعقابه ❊ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره لخلقه يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم يعنى ذكرى تذكركم عقاب الله وتخوفكم وعيده من ربكم يقول من عند ربكم لم يختلقها محمد صلى الله عليه وسلم ولم يفتعلها أحد فتقولوا لا نأمن أن تكون لا صحة لها وانما يعنى بذلك جل ثناؤه القرآن وهو الموعظة من الله وقوله وشفاء لما فى الصدور يقول ودواء لما فى الصدور من الجهل يشفى به الله جهل الجهال فيبرئ به داءهم ويهدى به من خلقه من أراد هدايته به وهدى يقول وهو بيان لحلال الله وحرامه ودليل على طاعته ومعصيته ورحمة يرحم بها من شاء من خلقه فينقذه به من الضلالة الى الهدى وينجيه به من الهلاك والردى وجعله تبارك وتعالى رحمة للمؤمنين به دون الكافرين به لان من كفر به فهو عليه عمى وفى الآخرة جزاؤه على الكفر به الخلود فى لظى ❊ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين

وحده وهذا الحصر انما يفهم من قوله أفأنت والمقصود من هذا الكلام تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم فان الطبيب اذا رأى مريضا لا يقبل العلاج أصلا أعرض عنه ولم يستوحش من ذلك لان التقصير من المزاج لا من الصنعة والحذق ثم أكد عدم قابليتهم فى الفطرة مع اسناده الى ما يلحقهم من الوعيد يوم القيامة بقوله ﴿ان الله لا يظلم﴾ الآية فسرها المعتزلة بأن المراد من نفى الظلم أنه ما ألجأ أحدا الى هذه القبائح والمنكرات ولكنهم باختيار أنفسهم أقدموا عليها وأجاب الواحدى عنه بأنه انما نفى الظلم عن نفسه لانه يتصرف فى ملك نفسه فلا اعتراض عليه وانما قال ﴿ولكن الناس أنفسهم يظلمون﴾ لان الفعل منسوب اليهم بسبب الكسب والتحقيق أنه نفى الظلم عنه لان وقوع فريق القهر ضرورى ونسب الظلم اليهم لخصوص وقوعهم فى الطريق وفيه دقة ثم ذكر وعيد الكفار فقال ﴿ويوم يحشرهم﴾ أى واذكر يوم يحشرهم ﴿كأن لم يلبثوا﴾ فى محل النصب على الحال أى مشبهين بمن لم يلبث ﴿الا ساعة﴾ وقوله ﴿يتعارفون﴾ اما حال أخرى أو بيان لقوله كأن لم يلبثوا لان التعارف لا يبقى مع طول العهد ويجوز أن يكون قوله ويوم يحشرهم متعلقا بيتعارفون والمراد باللبث قيل لبثهم فى الدنيا وقيل فى القبور استقلوا المدد الطوال اما لأنهم ضيعوا أعمارهم فى الدنيا فجعلوا وجودها كالعدم واستقصروها للدهش والحيرة أو لطول وقوفهم فى الحشر أو لشدة ماهم فيه من العذاب نسوا لذات الدنيا واستحقروها وأما التعارف فقد قيل يعرف بعضهم بعضا ما كانوا عليه من الخطا والكفر وقيل يعرف كل واحد أهل معرفته والجمع بين ذلك وبين قوله ولا يسئل حميم حميما أن هذا تعارف توبيخ وتضليل يقول كل فريق لصاحبه أنت أضللتنى يوم كذا أو أنهم يتعارفون اذا بعثوا ثم تنقطع المعرفة وانما حذف جميعا فى هذه الآية اكتفاء بما فى الآية السابقة ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا ولان الآية سيقت هنالك لبيان حشر العابدين والمعبودين فأكد بقوله جميعا ليشمل الفريقين صريحا والله أعلم قوله ﴿قد خسر﴾

استئناف فيه معنى التعجب كأنه قيل ما أخسرهم وفيه شهادة من الله على خسرانهم وجوز في الكشاف أن يكون على إرادة القول أي يتعارفون بينهم قائلين ذلك ثم أكد خسرانهم بقوله (وما كانوا مهتدين) أي في رعاية مصالح هذه التجارة لأنهم أعطوا الكثير الشريف الباقي وقنعوا بالقليل الخسيس الفاني كمن رأى زجاجة خسيسة فظنها جوهرة نفيسة فاشتراها بكل ماله

المشركين بك وبما أنزل إليك من عند ربك بفضل الله أيها الناس الذي تفضل به عليكم وهو الإسلام فبينه لكم ودعاكم إليه وبرحمته التي رحمكم بها فأنزلها إليكم فعلمكم ما لم تكونوا تعلمون من كتابه وبصركم بها معالم دينكم وذلك القرآن فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون يقول فإن الإسلام الذي دعاهم إليه والقرآن الذي أنزله عليهم خير مما يجمعون من حطام الدنيا وأموالها وكنوزها وبنحو ما قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي بن الحسين الأزدي قال ثنا أبو معاوية عن الحجاج عن عطية عن أبي سعيد الخدري في قوله قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا قال بفضل الله القرآن وبرحمته أن جعلكم من أهله حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي قال ثنا فضيل عن منصور عن هلال بن يساف قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا قال بالإسلام الذي هداكم وبالقرآن الذي علمكم حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ثنا ابن يمان قال ثنا سفيان عن منصور عن هلال بن يساف قل بفضل الله وبرحمته قال بالإسلام والقرآن فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون من الذهب والفضة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن هلال بن يساف في قوله قل بفضل الله وبرحمته قال فضل الله الإسلام ورحمته القرآن حدثني علي بن سهل قال ثنا زيد قال ثنا سفيان عن منصور عن هلال بن يساف في قوله قل بفضل الله وبرحمته قال الإسلام والقرآن حدثني المثنى قال ثنا أبو نعيم وقبيصة قالا ثنا سفيان عن منصور عن هلال بن يساف مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن هلال مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا أما فضله فالإسلام وأما رحمته فالقرآن حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن قل بفضل الله وبرحمته قال فضله الإسلام ورحمته القرآن حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قل بفضل الله وبرحمته قال القرآن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وبرحمته قال القرآن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله هو خير مما يجمعون قال الأموال وغيرها حدثنا علي بن داود قال ثني أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قل بفضل الله وبرحمته يقول فضله الإسلام ورحمته القرآن حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن هلال قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا قال بكتاب الله وبالإسلام هو خير مما يجمعون * وقال آخرون بل الفضل القرآن والرحمة الإسلام ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون قال بفضل الله القرآن وبرحمته حين جعلهم من أهل القرآن حدثني المثنى قال ثنا إسحق قال ثنا جعفر بن عون قال ثنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم قال فضل الله القرآن ورحمته الإسلام حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك قوله قل بفضل الله وبرحمته قال بفضل الله القرآن وبرحمته الإسلام حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال

فإذا عرضها على الناقدين خاب سعيه وفات أمله ثم سلى رسوله صلى الله عليه وسلم فقال (وإما نرينك) وجوابه محذوف وقوله (فإلينا مرجعهم) جواب أو نتوفينك والمعنى وإما نرينك في أعدائك بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك أو نتوفينك قبل أن تدركه فنحن نريكهم في الآخرة لأن مرجع الكل إلينا ولقد صدق الله وعده فقد أراه في هذه الدار خزيهم وقهرهم بالقتل والأسر والاستعلاء عليهم والاستيلاء على ديارهم وأموالهم والذي سيريه في الآخرة أكثر وأدوم يدل عليه لفظ ثم لتبعيد الرتبة في قوله (ثم الله شهيد على ما يفعلون) ولا يخفى نتيجة هذه الشهادة من السخط والعذاب ويحتمل أن يراد انطاق جوارحهم يوم القيامة جعل ذلك بمنزلة شهادة الله ثم بين أنه ما أهمل أمة من الأمم من رسول في وقت من الأوقات فقال (ولكل أمة رسول) وزمان الفترة محمول على ضعف دعوة النبي صلى الله عليه وسلم المتقدم ووقوع جنايات التخليط في شرعه (فإذا جاء رسولهم) فبلغ فكذبه قوم وصدقه آخرون (قضي بينهم بالقسط) أي حكم وفصل بالعدل فأنجى الرسول والمصدقون وعذب المكذبون فهذه الآية نظيرة قوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ويحتمل أن يقال المراد ولكل أمة من الأمم يوم القيامة رسول ينسبون إليه ويدعون به

فكأنه تعالى يقول أنا شهيد على أعمالهم ومع ذلك فإني أحضر في موقف القيامة مع كل قوم رسولهم حتى يشهد عليهم بالكفر والإيمان (فإذا جاء رسولهم) وشهد لهم أو عليهم (قضي بينهم) والمراد منه المبالغة في إظهار العدل والنصفة فتكون الآية كقوله فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد ثم ذكر شبهة أخرى من شبهات الكفرة وذلك أنه صلى الله عليه وسلم كلما هددهم بنزول العذاب ومر زمان ولم يظهر ذلك العذاب كانوا

(يقولون متى هذا الوعد) استبعادا لنزوله وقدحا في نبوته وهذا مما يؤكد القول الاول في الآية المتقدمة لانه لا يجوز أن يقولوا متى هذا الوعد عند حضورهم في دار الآخرة لحصول اليقين والمعرفة حينئذ وأيضا قوله (ان كنتم صادقين) لفظ الجمع موافق لقوله ولكل أمة رسول ثم أمره أن يجيب عما يحسم مادة الشبهة وهو قوله (قل لا أملك لنفسي ضرا) من مرض أو فقر (ولا نفعا) من صحة أو غنى (الا ما شاء الله) قال العلماء انه استثناء منقطع أي ولكن ما شاء الله من ذلك كائن فكيف أملك لكم الضر وجلب العذاب ثم بين أن أحدا لا يموت الا بانقضاء وأن لعذاب كل طائفة أمدا محدودا لا يتجاوزه فلا وجه للاستعجال (فقال ولكل أمة أجل) الآية وقدمر تفسير الآية في أوائل الاعراف الا أنه أدخل الفاء ههنا في الجزاء فانه بنى الشرط على الاستئناف أو البيان بخلاف ما هنالك فانه جعل الشرط مرتبا على قوله ولكل أمة أجل فلم يحسن الجمع بين الفاءين ثم زيف رأيهم في استعجال العذاب مرة أخرى فقال (قل أرأيتم) أي أخبروني (ان أتاكم عذابه بياتا) أي في حين الغفلة والراحة (أو نهارا) حين الاشتغال بطلب المعاش كما مر في أول الاعراف (ماذا يستعجل) أي شيء يستعجل (منه) أي من العذاب (المجرمون) وانما لم يقل ماذا يستعجلون منه دلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الاجرام لان حق المجرم أن يخاف التعذيب على اجرامه وان أبطأ مجيئه فضلا عن أن يستعجله ومن للبيان أو للابتداء والمعنى أن العذاب كله مر المذاق موجب للنفار فأي شيء يستعجلون منه وليس شيء منه يوجب الاستعجال أو المراد التعجب كأنه قيل أي شيء هائل شديد يستعجلون وقيل الضمير في منه لله تعالى وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال أو تعرفوا الخطأ فيه وماذا الجملة مفعول أرأيتم ويجوز أن يكون جوابا للشرط هذا كقولك ان أتيتك ماذا تطعمني ثم تتعلق الجملة بأرأيتم ويجوز أن يكون اعتراضا وجواب الشرط (أثم اذا ما وقع آمنتم به) والمعنى ان أتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء الا أنه على ارادة القول أي قيل لهم

ابن زيد في قوله قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا قال كان أبي يقول فضله القرآن ورحمته الاسلام * واختلفت القراء في قراءة قوله فبذلك فليفرحوا فقرأ ذلك عامة قراء الامصار فليفرحوا بالياء هو خير مما يجمعون بالياء أيضا على التأويل الذي تأولناه من أنه خبر عن أهل الشرك بالله يقول فبالاسلام والقرآن الذي دعاهم اليه فليفرح هؤلاء المشركون لا بالمال الذي يجمعون فان الاسلام والقرآن خير من المال الذي يجمعون وكذلك حدثت عن عبد الوهاب بن عطاء عن هرون عن أبي التياح فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون يعني الكفار وروي عن أبي بن كعب في ذلك ما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن أسلم المنقري عن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبزى عن أبيه عن أبي بن كعب أنه كان يقرأ فبذلك فلتفرحوا هو خير مما تجمعون بالتاء حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن الاجلح عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه عن أبي بن كعب مثل ذلك وكذلك كان الحسن البصري يقول غير أنه فيما ذكر عنه كان يقرأ قوله هو خير مما يجمعون بالياء الاول على وجه الخطاب والثاني على وجه الخبر عن الغائب وكان أبو جعفر القارئ فيما ذكر عنه يقرأ ذلك نحو قراءة أبي بالتاء جميعا * قال أبو جعفر والصواب من القراءة في ذلك ما عليه قراء الامصار من قراءة الحرفين جميعا بالياء فليفرحوا هو خير مما يجمعون لمعنيين أحدهما اجماع الحجة من القراء عليه والثاني صحته في العربية وذلك أن العرب لا تكاد تأمر المخاطب باللام والتاء وانما تأمره فتقول افعل ولا تفعل وبعد فاني لا أعلم أحدا من أهل العربية الا وهو يستردئ أمر المخاطب باللام ويرى أنها لغة مرغوب عنها غير الفراء فانه كان يزعم أن اللام في ذي التاء الذي خلق له واجهت به أم لم تواجه الا أن العرب حذفت اللام من فعل المأمور المواجه لكثرة الامر خاصة في كلامهم كما حذفوا التاء من الفعل قال وأنت تعلم أن الجازم والناصب لا يقعان الا على الفعل الذي أوله الياء والتاء والنون والالف فلما حذفت التاء ذهبت اللام وأحدثت الالف في قولك اضرب وافرح لان الفاء ساكنة فلم يستقم أن يستأنف بحرف ساكن فأدخلوا ألفا خفيفة يقع بها الابتداء كما قالوا ادارأتم واثاقلتم وهذا الذي اعتل به الفراء عليه لا له وذلك أن العرب ان كانت قد حذفت اللام في المواجه وتركتها فليس لغيرها اذا نطق بكلامها أن يدخل فيه ما ليس منه ما دام متكلما بلغتها فان فعل ذلك كان خارجا عن لغتها وكلام الله الذي أنزله على محمد بلسانها فليس لاحد أن يتلوه الا بالأفصح من كلامها وان كان معروفا بعض ذلك من لغة بعضها فكيف بما ليس بمعروف من لغة حي ولا قبيلة منها وانما هو دعوى لا ثبت بها ولا حجة

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين أرأيتم أيها الناس ما أنزل الله لكم من رزق يقول ما خلق الله لكم من الرزق فخولكموه وذلك ما تتغذون به من الاطعمة فجعلتم منه حراما وحلالا يقول فحللتم بعض ذلك لأنفسكم وحرمتم بعضه عليها وذلك كتحريمهم ما كانوا يحرمونه من حروثهم التي كانوا يجعلونها لاوثانهم كما وصفهم الله به فقال وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا ومن الانعام ما كانوا يحرمونه بالتبحير والتسييب ونحو ذلك مما قد قدمناه فيما مضى من كتابنا

هذا يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد آلله أذن لكم بأن تحرموا ما حرمتم منه أم على الله تفترون أي تقولون الباطل وتكذبون . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال ان أهل الجاهلية كانوا يحرمون أشياء أحلها الله من الثياب وغيرها وهو قول الله قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا وهو هذا فأنزل الله تعالى قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده الآية حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم الى قوله أم على الله تفترون قال هم أهل الشرك حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد عن عطاء الخراساني عن ابن عباس قوله فجعلتم منه حراما وحلالا قال الحرث والانعام * قال ابن جريج قال مجاهد البحائر والسيب حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فجعلتم منه حراما وحلالا قال في البحيرة والسائبة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا الآية يقول كل رزق لم أحرم حرمتموه على أنفسكم من نسائكم وأموالكم وأولادكم آلله أذن لكم فيما حرمتم من ذلك أم على الله تفترون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا فقرأ حتى بلغ أم على الله تفترون وقرأ وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وقرأ وقالوا هذه أنعام وحرث حجر حتى بلغ لا يذكرون اسم الله عليها فقال هذا قوله جعل لهم رزقا فجعلوا منه حراما وحلالا وحرموا بعضه وأحلوا بعضه وقرأ ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين أي هذين حرم على هؤلاء الذين يقولون وأحل لهؤلاء نبئوني بعلم ان كنتم صادقين أم كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا الى آخر الآيات حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا هو الذي قال الله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا الى قوله ساء ما يحكمون * القول في تأويل قوله تعالى (وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون) يقول تعالى ذكره وما ظن هؤلاء الذين يتخرصون على الله الكذب فيضيفون اليه تحريم ما لم يحرمه عليهم من الارزاق والاقوات التي جعلها الله لهم غذاء أن الله فاعل بهم يوم القيامة بكذبهم وفريتهم عليه أيحسبون أنه يصفح عنهم ويغفر كلا بل يصليهم سعيرا خالدين فيها أبدا ان الله لذو فضل على الناس يقول ان الله لذو تفضل على خلقه بتركه معاجلة من افترى عليه الكذب بالعقوبة في الدنيا وامهاله اياه الى وروده عليه في القيامة ولكن أكثرهم لا يشكرون يقول ولكن أكثر الناس لا يشكرونه على تفضله عليهم بذلك وبغيره من سائر نعمه * القول في تأويل قوله تعالى (وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما

اذا آمنوا بعد وقوع العذاب (آلآن) آمنتم به (وقد كنتم به تستعجلون) على جهة التكذيب والانكار وقوله (ثم قيل) عطف على قيل المضمر قبل آلآن والحاصل أن الذي تطلبونه ضرر محض عار عن المنفعة والعاقل لا يطلب مثل ذلك وانما قلنا انه ضرر محض لانه اذا وقع العذاب فاما أن تؤمنوا او عند معاينة البأس غير مقبول واما ان لا تؤمنوا فيحصل عقيب ذلك عذاب آخر أشد وأدوم و يقال على سبيل الاهانة (ذوقوا عذاب الخلد) فان قلتم الهنا أنت الغني عن الكل فكيف يليق برحمتك هذا الوعيد والتهديد أجيبتم (هل تجزون الا بما كنتم تكسبون) فالجزاء مرتب على العمل ترتب المعلول على العلة كما يقوله الحكيم أو ترتب الاجر الواجب عند المعتزلة أو بحكم الوعد المحض عند أهل السنة وتفسير الكسب مذكور في البقرة في قوله لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ثم حكى عنهم أنهم بعد هذه البيانات استفهموا تارة أخرى عن تحقيق العذاب فقال (ويستنبئونك أحق هو) وهو استخبار على جهة الاستهزاء والانكار أي أحق ما تعدنا به من نزول العذاب في العاجل وهذا السؤال جهل محض لانه تقدم ذكره مع الجواب مرة واحدة فلا وجه للاعادة ولانه قد تبين بالبراهين القاطعة صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فيلزم القطع بصحة كل ما يخبر عن وقوعه وقيل المراد أحق ما جئت به من القرآن والشرائع وقيل أي ما تعدنا من البعث والقيامة فأمره الله تعالى أن يجيبهم بقوله (قل اي وربي) ومعناه نعم ولكنه مستعمل مع القسم البتة وفائدة هذا القسم في جوابهم أن يكون قد أبرز الكلام معهم على الوجه المعتاد بينهم استمالة لقلوبهم ومن الظاهر أن من أخبر عن شيء وأكده بالقسم فقد أخرجه عن حد الهزل وأدخله في باب الجد فقد يكون هذا القدر مقنعا اذا لم يكن الخصم ألد ثم أكد مضمون المقسم عليه بقوله (وما أنتم بمعجزين) فائتين العذاب والغرض التنبيه على أن أحدا لا يدافع نفسه عما أراد الله وقضى ثم زاد في التأكيد بقوله (ولو أن لكل نفس) الآية وقد مر مثله في آل عمران والمائدة وقوله (ظلمت) صفة لنفس أما قوله (وأسروا الندامة) فقد قيل الاسرار بمعنى الاظهار

والهمزة للسلب أى أظهروا الندامة حينئذ لضعفهم وليس هنالك تجلد والمشهور أنه الاخفاء وسببه أنهم بهتوا حين عاينوا ما سلبهم قواهم فلم يطيقوا صراخا ولا بكاء أو أخفوا الندامة من سفلتهم وأتباعهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم وهذا التروي في أول ما يرون العذاب أما عند احاطة النار بهم فلا يبقى هذا

التماسك أو أراد بالاخفاء الاخلاص لان من أخلص في الدعاء أسره وفيه تهكم بهم وباخلاصهم لانهم أتوا بذلك في غير وقته (وقضى بينهم بالقسط) قيل أى بين المؤمنين والكافرين وقيل بين الرؤساء والاتباع وقيل بين الكفار بانزال العقوبة عليهم وقيل بين الظالمين من الكفار والمظلومين منهم فيكون في ذلك القضاء تخفيف من عذاب بعضهم وتثقيل لعذاب بعضهم وان اشترك كلهم في العذاب ثم ذكر في آيتين أن له جميع ما قرر بحكم المالكية والقدرة على الاحياء والاماتة والابداء والاعادة وقيل في وجه النظم انه لما ذكر حديث الافتداء بين أنه ليس للظالم شئ يفتدى به فان كل الاشياء ملكه وملكه وقيل انه لما أقسم على حقية ما جاء به النبي وكان دليلا اقناعيا أراد أن يصححها بالبرهان النير فذكر أن كل ما في هذا العالم من نبات وحيوان وجسد وروح وظلمة ونور وعلوي وسفلي بسيط ومركب فهو ملكه فلكونه قادرا على جميع الممكنات يقدر على ايصال الرحمة الى أوليائه والعذاب الى أعدائه ولكونه منزها عن النقائص والآفات يكون بريئا عن الخلف في الوعد والايعاد وفي تصدير الكلام بكلمة ألا تنبيه للغافلين وايقاظ للنائمين وتقريع للناظرين في الاسباب الظاهرة القائلين البستان للامير والدار للوزير والغلام لزيد والجار لعمرو ولا يعلمون أن كلها عوار وودائع * ولا بد يوما أن ترد الودائع * واعلم أن الطريق الى اثبات نبوة الانبياء بأمور أحدها اظهار المعجزة على يده مطابقا لدعواه وقد قرره الله سبحانه في هذه السورة على أحسن الوجوه حيث قال (وما كان هذا القرآن أن يفترى) الى تمام الآيتين والثاني أن نعلم بعقولنا أن الاعتقاد الحق والعمل الصالح ما هو فكل من جاء ودعا الخلق الى ذلك وادعى الرسالة وكان لنفسه قوة تكميل الناقصين غلب على ظننا أنه النبي الحق فأشار سبحانه الى هذا الطريق

يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وما تكون يا محمد في شأن يعني في عمل من الاعمال وما تتلو منه من قرآن يقول وما تقرأ من كتاب الله من قرآن ولا تعملون من عمل يقول ولا تعملون من عمل أيها الناس من خير أو شر الا كنا عليكم شهودا يقول الا ونحن شهود لأعمالكم وشؤنكم اذ تعملونها وتأخذون فيها * وبنحو الذي قلنا في ذلك روي القول عن ابن عباس وجماعة ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله اذ تفيضون فيه يقول اذ تفعلون * وقال آخرون معنى ذلك اذ تشيعون في القرآن الكذب ذكر من قال ذلك حدثت عن المسيب بن شريك عن أبي روق عن الضحاك اذ تفيضون فيه يقول فتشيعون في القرآن من الكذب * وقال آخرون معنى ذلك اذ تفيضون في الحق ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد اذ تفيضون فيه في الحق ما كان * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وانما اخترنا القول الذي اخترناه فيه لانه تعالى ذكره أخبر أنه لا يعمل عباده عملا الا كان شاهده ثم وصل ذلك بقوله اذ تفيضون فيه فكان معلوما أن قوله اذ تفيضون فيه انما هو خبر منه عن وقت عمل العاملين أنه له شاهد لا عن وقت تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم القرآن لان ذلك لو كان خبرا عن شهوده تعالى ذكره وقت افاضة القوم في القرآن لكانت القراءة بالياء اذ يفيضون فيه خبرا منه عن المكذبين فيه فان قال قائل ليس ذلك خبرا عن المكذبين ولكن خطاب النبي صلى الله عليه وسلم أنه شاهده اذ تلا القرآن فان ذلك لو كان كذلك لكان التنزيل اذ تفيض فيه لان النبي صلى الله عليه وسلم واحد لا جمع كما قال وما تتلو منه من قرآن فأفرده بالخطاب (١) ولكن ذلك في ابتدائه خطابه صلى الله عليه وسلم بالافراد ثم عوده الى اخراج الخطاب على الجمع نظير قوله يا أيها النبي اذا طلقتم النساء وذلك أن في قوله اذا طلقتم النساء دليلا واضحا على صرفه الخطاب الى جماعة المسلمين مع النبي صلى الله عليه وسلم مع جماعة الناس غيره لأنه ابتدأ خطابه ثم صرف الخطاب الى جماعة الناس والنبي صلى الله عليه وسلم فيهم وخبر عن أنه لا يعمل أحد من عباده عملا الا وهو له شاهد يحصي عليه ويعلمه كما قال وما يعزب عن ربك يا محمد عمل خلقه ولا يذهب عليه علم شئ حيث كان من أرض أو سماء وأصله من عزوب الرجل عن أهله في ماشيته وذلك غيبته عنهم فيها يقال منه عزب الرجل عن أهله يعزب ويعزب لغتان فصيحتان قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القراء وبأيتهما قرأ القارئ فمصيب لاتفاق معنييهما واستفاضتهما في منطق العرب غير أني أميل الى الضم فيه لانه أغلب على المشهورين من القراء وقوله من مثقال ذرة يعني من زنة نملة صغيرة يحكى عن العرب خذ هذا فانه أخف مثقالا من ذاك أي أخف وزنا والذرة واحدة الذر والذر صغار النمل وذلك خبر عن أنه لا يخفى عليه

(١) قوله ولكن ذلك الخ لعله وليس ذلك الخ وقوله مع جماعة الناس غيره لعله وهنا صرف الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم الى جماعة الخ تأمل كتبه مصححه

جل جلاله أصغر الاشياء وان خف فى الوزن كل الخفة ومقادير ذلك ومبلغه ولا أكبرها وان عظم وثقل وزنه وكم مبلغ ذلك يقول تعالى ذكره لخلقه فليكن عملكم أيها الناس فيما يرضى ربكم عنكم فانا شهود لاعمالكم لا يخفى علينا شئ منها ونحن محصوها ومجازوكم بها واختلفت القراء فى قراءة قوله ولا أصغر من ذلك ولا أكبر فقرأ ذلك عامة القراء بفتح الراء من أصغر وأكبر على أن معناها الخفض عطفا بالاصغر على الذرة وبالاكبر على الاصغر ثم فتحت راؤهما لانهما لا يجريان وقرأ ذلك بعض الكوفيين ولا أصغر من ذلك ولا أكبر رفعا عطفا بذلك على معنى المثقال لان معناه الرفع وذلك أن من لو ألقيت من الكلام لرفع المثقال وكان الكلام حينئذ وما يعزب عن ربك مثقال ذرة ولا أصغر من مثقال ذرة ولا أكبر وذلك نحو قوله من خالق غير الله وغير الله ＊ وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب قراءة من قرأ بالفتح على وجه الخفض والرد على الذرة لان ذلك قراءة قراء الامصار وعليه عوام القراء وهو أصح فى العربية مخرجا وان كان للاخرى وجه معروف وقوله الا فى كتاب يقول وما ذلك كله الا فى كتاب عند الله مبين عن حقيقة خبر الله لمن نظر فيه أنه لا شئ كان أو يكون الا وقد أحصاه الله جل ثناؤه فيه وأنه لا يعزب عن الله علم شئ من خلقه حيث كان من سمائه وأرضه **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وما يعزب يقول لا يغيب عنه **حدثنى** محمد بن عمارة قال ثنا عبد الله قال أخبرنا اسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد عن ابن عباس وما يعزب عن ربك قال ما يغيب عنه ＊ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ يقول تعالى ذكره ألا ان أنصار الله لا خوف عليهم فى الآخرة من عقاب الله لان الله رضى عنهم فآمنهم من عقابه ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا والاولياء جمع ولى وهو النصير وقد بينا ذلك بشواهده واختلف أهل التأويل فيمن يستحق هذا الاسم فقال بعضهم هم قوم يذكر الله لرؤيتهم لما عليهم من سيما الخير والاخبات ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا ابن يمان قال ثنا ابن أبى ليلى عن الحكم عن مقسم وسعيد بن جبير عن ابن عباس ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قال الذين يذكر الله لرؤيتهم **حدثنا** أبو كريب وأبو هشام قالا ثنا ابن يمان عن أشعث بن اسحق عن جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن العلاء بن المسيب عن أبى الضحى مثله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن العلاء بن المسيب عن أبيه ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قال الذين يذكر الله لرؤيتهم ＊ قال ثنا ابن مهدى وعبيد الله عن سفيان عن العلاء بن المسيب عن أبى الضحى قال سمعته يقول فى هذه الآية ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قال من الناس مفاتيح اذا رؤوا ذكر الله لرؤيتهم ＊ قال ثنا أبى عن مسعر عن سهل بن الاسد عن سعيد بن جبير قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولياء الله فقال الذين اذا رؤوا ذكر الله ＊ قال ثنا زيد بن حباب عن سفيان عن حبيب بن ابى ثابت عن أبى وائل عن عبد الله ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قال الذين اذا رؤوا ذكر الله لرؤيتهم ＊ قال ثنا أبو يزيد الرازى عن يعقوب

بقوله (قل يا أيها الناس) الآية فوصف القرآن بصفات أربع الاولى كونه موعظة والمراد بها الزجر عما لا ينبغى كالطبيب ينهى المريض أولا عما يضره الثانية كونه شفاء لما فى الصدور لحصول العقائد الحقة والاخلاق الحميدة فيها بدل اضدادها كالطبيب يعيد الصحة بدل المرض والاخلاط المحمودة بدل الاخلاط الفاسدة بالمعالجات الصائبة والادوية النافعة الثالثة حصول الهدى بسببه وذلك أنه اذا زالت الملكات الرديئة التى طبعتها الظلمة وصارت مرآة النفس مصقولة محاذية لعالم القدس انطبع فيها نقش الملكوت وتجلى لها قدس اللاهوت الرابعة كونه رحمة للمؤمنين وذلك بأن تصير النفس البالغة الى هذه الدرجات الروحانية والمعارج الربانية بحيث تفيض أنوارها على أرواح الناقصين فيض النور من جوهر الشمس على أجرام هذا العالم وانما خص المؤمنين بهذه الرحمة لان كل روح لم يتوجه الى خدمة أرواح الانبياء المطهرين لم ينتفع بأنوارهم كما أن كل جرم لم يقع فى مواجهة قرص الشمس لا يستضئ بنورها والحاصل أن الموعظة اشارة الى تطهير ظواهر الخلق عما لا ينبغى وهو الشريعة والشفاء اشارة الى تطهير الارواح عن العقائد الفاسدة والاخلاق الرديئة بتحصيل اضدادها وهى الطريقة والهدى عبارة عن ظهور نور الحق فى قلوب الصديقين وهى الحقيقة والرحمة اشارة الى كونها بالغة فى الكمال والاشراق الى حيث تصير مكملة للباقين وهى النبوة ولما أرشد سبحانه الى الطريق الموصل الى السعادات الباقية الروحانية ذكر أنها هى التى يجب أن يكمل الفرح بحصولها دون السعادات الفانية الجسمانية فقال (قل بفضل الله وبرحمته) قال فى الكشاف أصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا (فبذلك فليفرحوا) والتكرير للتقرير والتأكيد وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف أحد الفعلين لدلالة الآخر عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كأنه قيل ان فرحوا بشئ فليخصوهما بالفرح ويجوز أن يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا وأن يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك أى بمجيئها فليفرحوا وعلى هذا

يكون قل اعتراضا ومن قرأ بتاء الخطاب فمعناه على ما نقل عن زيد بن ثابت فبذلك فلتفرحوا يا أصحاب محمد هو خير مما يجمع الكفار ونسبت هذه القراءة الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو الاصل والقياس لانه أدل على الامر بالفرح وأشد تحريضا به وانما قلنا انه الاصل لان حكم الامر في المخاطب والغائب واحد الا انه

 خفف أمر المخاطب بحذف اللام وبحذف حرف المضارعة لكثرة الاستعمال فاضطروا الى همزة الوصل ومن قرأ تجمعون بتاء الخطاب فانه عنى المخاطبين والغائبين جميعا الا أنه غلب الخطاب كما يغلب التذكير أو كأنه أراد المؤمنين وفيه حث لهم على ترجيح الجواذب العقلية الروحانية على النوازع النفسانية الجسدانية لانه لا معنى لهذه اللذات الجسمانية الا دفع الآلام والمعنى العدمي لا يستحق الفرح به وبتقدير أن تكون صفات ثبوتية الا أن التضرر بآلامها أقوى من الانتفاع بلذاتها فلا نسبة للذة الوقاع وهي أقوى اللذات الى ألم القولنج وسائر الآلام القوية وأيضا ان مداخل اللذات الجسمانية معظمها البطن والفرج ومداخل الآلام كل جزء من أجزاء البدن وأيضا اللذات الجسمانية لا بقاء لها مثلا اذا زال ألم الجوع زال الالتذاذ بالاكل وكل ما لا بقاء له لا يشتد فرح العاقل بحصوله ولو لم يحصل في لذة الاكل والوقاع الا اتعاب الحواس والجوارح في مقدماتها ولواحقها لكفى ومن المعلوم أن الفرح الحاصل بحدوث الولد لا يعادل الحزن الواقع عند موته وفيه قال المعري

ان حزنا في ساعة الموت ضعفا * فسرور في ساعة الميلاد

فتبين بهذه الوجوه أن الفرح انما يجب أن يكون بالروحانيات الباقيات لا بالجسمانيات الزائلات أما المفسرون فقد قالوا فضل الله الاسلام ورحمته ما وعد عليه وعن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام ومثله ما روى عن أبي سعيد الخدري فضل الله القرآن ورحمته أن جعلكم من أهله ثم أشار الى طريق ثالث في اثبات النبوة فقال وقد (قل أرأيتم) الآية وتقريره أنكم تحكمون بحل بعض الاشياء وحرمة بعضها فان كان هذا الحكم مجرد التشهي فذلك طريق باطل مهجور بالاتفاق

عن جعفر عن سعيد بن جبير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال هم الذين اذا رؤوا ذكر الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا فرات عن أبي سعد عن سعيد بن جبير قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أولياء الله قال هم الذين اذا رؤوا ذكر الله . قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا العوام عن عبد الله بن أبي الهذيل في قوله ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الآية قال ان ولي الله اذا رؤي ذكر الله * وقال آخرون في ذلك بما حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ثنا أبو فضيل قال ثنا أبي عن عمارة بن القعقاع الضبي عن أبي زرعة عن عمرو بن جرير البجلي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله عبادا يغبطهم الانبياء والشهداء قيل من هم يا رسول الله فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله من غير أموال ولا أنساب وجوههم من نور على منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس وقرأ ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عمارة عن أبي زرعة عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله لأناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله قالوا يا رسول الله أخبرنا من هم وما أعمالهم فانا نحبهم لذلك قال هم قوم تحابوا في الله بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس وقرأ هذه الآية ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون حدثنا الحسن بن نصر الخولاني قال ثنا يحيى بن حسان قال ثنا عبد الحميد بن بهرام قال ثنا شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن أبي مالك الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي من أفناء الناس ونوازع القبائل قوم لم تتصل بينهم أرحام متقاربة تحابوا في الله وتصافوا في الله يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها يفزع الناس فلا يفزعون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * والصواب من القول في ذلك أن يقال الولي أعني ولي الله هو من كان بالصفة التي وصفه الله بها وهو الذي آمن واتقى كما قال الله الذين آمنوا وكانوا يتقون * وبنحو الذي قلنا في ذلك كان ابن زيد يقول حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون من هم يا رب قال الذين آمنوا وكانوا يتقون قال أبى أن يتقبل الايمان الا بالتقوى * القول في تأويل قوله تعالى (الذين آمنوا وكانوا يتقون) يقول تعالى ذكره الذين صدقوا الله ورسوله وما جاء به من عند الله وكانوا يتقون الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه وقوله الذين آمنوا من نعت الاولياء ومعنى الكلام ألا ان أولياء الله الذين آمنوا وكانوا يتقون لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فان قال قائل فاذ كان معنى الكلام ما ذكرت عندك أفي موضع رفع الذين آمنوا أم في موضع نصب قيل في موضع رفع وانما كان كذلك وان كان من نعت الاولياء لمجيئه بعد خبر الاولياء والعرب كذلك تفعل خاصة في ان اذا جاء نعت الاسم الذي عملت فيه بعد تمام خبره رفعوه فقالوا ان أخاك قائم الظريف كما قال الله قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب وكما قال ان ذلك لحق تخاصم أهل النار

وقد اختلف أهل العربية فى العلة التى من أجلها قيل ذلك كذلك مع أن اجماع جميعهم على أن ما قلناه هو الصحيح من كلام العرب وليس هذا من مواضع الابانة عن العلل التى من أجلها قيل ذلك كذلك * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ﴾ يقول تعالى ذكره البشرى من الله فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لأولياء الله الذين آمنوا وكانوا يتقون ثم اختلف أهل التأويل فى البشرى التى بشر الله بها هؤلاء القوم ما هى وما صفتها فقال بعضهم هى الرؤيا الصالحة يراها الرجل المسلم أو ترى له وفى الآخرة الجنة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن سليمن عن ذكوان عن شيخ عن أبى الدرداء قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة قال النبى صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له حدثنا العباس بن الوليد قال أخبرنى أبى قال أخبرنا الأوزاعى قال أخبرنى يحيى ابن أبى كثير قال ثنى أبو سلمة بن عبد الرحمن قال سأل عبادة بن الصامت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة وفى الآخرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد سألتنى عن شئ ما سألنى عنه أحد قبلك أو قال غيرك قال هى الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له حدثنا المثنى قال ثنا أبو داود عمن ذكره عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن عبادة بن الصامت قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هى الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له حدثنا أبو قلابة قال ثنا مسلم قال ثنا أبان عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن عبادة عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه حدثنا ابن المثنى وأبو عثمان بن عمر قالا ثنا على بن يحيى عن أبى سلمة قال نبئت أن عبادة بن الصامت سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة فقال سألتنى عن شئ ما سألنى عنه أحد قبلك هى الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له حدثنى أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبى صالح عن عطاء بن يسار عن رجل من أهل مصر عن أبى الدرداء لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة قال سأل رجل أبا الدرداء عن هذه الآية فقال لقد سألتنى عن شئ ما سمعت أحدا سأل عنه بعد رجل سأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هى الرؤيا الصالحة يراها الرجل المسلم أو ترى له بشراه فى الحياة الدنيا وبشراه فى الآخرة الجنة حدثنى سعيد بن عمرو السكونى قال ثنا عثمان بن سعيد عن سفيان عن ابن المنكدر عن عطاء بن يسار عن رجل من أهل مصر قال سألت أبا الدرداء عن هذه الآية لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة فقال ما سألنى عنها أحد منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم غيرك الا رجلا واحدا سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما سألنى عنها أحد منذ أنزلها الله غيرك الا رجلا واحدا هى الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال ثنا سفيان عن ابن المنكدر سمع عطاء بن يسار يخبر عن رجل من أهل مصر أنه سأل أبا الدرداء عن لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ثم ذكر نحو حديث سعيد بن عمرو السكونى عن عثمان

لادائه الى التنازع والتشاجر واختلاف الآراء وافتراق الاهواء وان كان لانه حكم الله فيكم فبم عرفتم ذلك فان كان بقول رسول أرسله اليكم فقد اعترفتم بصحة النبوة والا كان افتراء على الله وفى الآية أيضا اشارة الى فساد طريقتهم فى شرائعهم وأحكامهم من تحريم السوائب والبحائر وقولهم هذه أنعام وحرث حجر وغير ذلك وما أنزل لجملة فى محل الرفع بالابتداء وخبره آلله أذن لكم وقل مكرر للتأكيد والرابط محذوف ومجموع المبتدإ والخبر متعلق بأرأيتم والمعنى أخبرونى الذى أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا آلله أذن لكم فى تحريمه وتحليله (أم على الله تفترون) وعن الزجاج أن ما فى ما أنزل بمعنى الاستفهام منصوبا بأنزل وأنه مع معموله مفعول أرأيتم معناه أخبرونيه وعلى هذا يكون قل آلله كلاما مستأنفا ومعنى أنزل خلق وأنشأ كقوله وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج وذلك أن كل ما فى الأرض من زرع أوضرع فذاته بسبب الماء النازل من السماء قال فى الكشاف ويجوز أن تكون الهمزة فى آلله للانكار وأم منقطعة بمعنى بل أتفترون على الله تقريرا للافتراء ثم قال (وما ظن الذين) يعنى أى شئ ظنهم فى ذلك اليوم وما يصنع بهم فيه وهو فى صورة الاستعلام ولكن المراد تعظيم وعيد من يفترى على الله حيث أبهم أمره وفيه نهى به زاجر للمفتى فى الاحكام بغير علم فليتق الله وليصمت (لذو فضل على الناس) اذ أنعم عليهم بالعقل ورحمهم بارسال النبى وتعليم الشرائع (ولكن أكثرهم لا يشكرون) هذه النعمة بجحد نبيه أو مخالفته * التأويل أفأنت تسمع الصم صم آذان القلوب أفأنت تهدى العمى عمى أبصار البصائر ويوم نحشرهم حشر العوام خروج أجسادهم من القبور الى المحشر وحشر الخواص خروج أرواحهم الأخروية من قبور أجسادهم الدنيوية بالسير والسلوك وحشر الاخص خروجهم من قبور الانانية الروحانية الى هوية الربانية كما قال يوم نحشر المتقين الى الرحمن كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار لانه لا نسبة لمدة الدنيا الى ما بين الازل والابد يتعارفون بينهم يعرفون تفاوت مقامات كل صنف من هؤلاء واما نرينك بعض الذى نعدهم بشرط الايمان من نعيم الجنان ولقاء الرحمن أو نتوفينك فتبلغك أقصى المراتب

ومقامك المحمود فالينا مرجعهم رجوعا اضطرارا بالاختيار يا ثم الله شهيد على ما يفعلون من خسارة الدارين ولكل أمة رسول في الظاهر
من الانبياء وفي الباطن من الهام الحق لكل أمة أجل في استكمال السعادة والشقاوة بياتا أي في الازل أو نهارا أي يظهر الآن ما قدر لكم
في الازل قل اي وربي انه لحق أي أقسم بربك الذي يريك أن وقوع الامور الاخروية حق لانك عبرت على الجنة والنار ليلة
المعراج ظلمت بافساد الاستعدادات
ألا ان لله ما في سموات الارواح
وأرض القلوب والنفوس ألا ان وعد
الله لاهل السعادة ولاهل الشقاوة
في الازل حق هو يحيي قلوب بعضهم
بالمعرفة ويميت قلوب آخرين بالجهل
أو يحيي بالنور ويميت بالظلمة أو
يحيي بصفة الجمال ويميت بصفة
الجلال يا أيها الناس يا أهل النسيان
قد جاءتكم موعظة هي خطاب
ألست بربكم وهو داء العشق وشفاء
من ذلك الداء وهو توفيق اجابة بلى لما
في الصدور وهو القلب فانها درة
صدف الصدر وهدى عناية خاصة
اذ الدعوة عامة والهداية خاصة
ورحمة اتصال امداد الفيض الى أن
يبلغ غاية الكمال ويفوز بالوصول
والوصال قل بفضل الله وهو اسماع
الخطاب وبرحمته وهو الابقاء على
مدلول الخطاب فليفرحوا هو خير مما
يجمعه أهل الدنيا في دنياهم ما أنزل
الله لكم من رزق القلوب والارواح
فضلا عن النفوس والاشباح من
الواردات والشواهد فجعلتم منه حراما
على أنفسكم وحلالا على غيركم أي
حدثت أنفسكم بأن تحصيل هذه
السعادات ونيل تلك الكرامات ليس
من شأننا وانما هو من شأن الانبياء
وخواص الاولياء قل آلله أذن لكم
أن تعرضوا عن هذه المقامات
وتحيلوها الى غيركم وتركنوا الى الدنيا
وزخارفها أم على الله تفترون بان
الدعوة اختصت بهم دوننا ان الله لذو فضل على الناس بتسوية الاستعداد الفطري (وما تكون في
شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء
ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة

ابن سعيد. حدثني أبو حميد الحمصي أحمد بن المغيرة قال ثني يحيى بن سعيد قال ثنا عمر بن
عمرو بن عبد الاحموسي عن حميد بن عبد الله المزني قال أتى رجل عبادة بن الصامت فقال آية
في كتاب الله أسألك عنها قول الله تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة فقال عبادة
ما سألني عنها أحد قبلك سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مثل ذلك ما سألني عنها أحد
قبلك الرؤيا الصالحة يراها العبد المؤمن في المنام أو ترى له حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر
قال حدثنا هشام عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا
الحسنة هي البشرى يراها المسلم أو ترى له . قال ثنا أبو بكر عن أبي حصين عن أبي صالح قال
قال أبو هريرة الرؤيا الحسنة بشرى من الله وهي المبشرات حدثنا محمد بن حاتم المؤدب قال
ثنا عمار بن محمد قال ثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
لهم البشرى في الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة يراها العبد الصالح أو ترى له وهي في الآخرة الجنة
حدثنا أبو كريب قال ثنا محمد بن يزيد قال ثنا رشدين بن سعد عن عمرو بن الحرث
عن أبي الشيخ عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال لهم البشرى في الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة يبشر بها العبد جزء من تسعة وأربعين
جزأ من النبوة حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا موسى بن عبيدة عن
أيوب بن خالد بن صفوان عن عبادة بن الصامت أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لهم البشرى
في الحياة الدنيا وفي الآخرة فقد عرفنا بشرى الآخرة فما بشرى الدنيا قال الرؤيا الصالحة يراها
العبد أو ترى له وهي جزء من أربعة وأربعين جزأ أو سبعين جزأ من النبوة حدثنا علي بن سهل
قال ثنا الوليد بن مسلم قال ثنا أبو عمرو قال ثنا يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن
عبادة بن الصامت أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية لهم البشرى في الحياة
الدنيا فقال لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد من أمتي قبلك هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم
أو ترى له وفي الآخرة الجنة حدثني أحمد بن حماد الدولابي قال ثنا سفيان عن عبيد الله
ابن أبي يزيد عن أبيه عن سباع بن ثابت عن أم كرز الكعبية سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ذهبت النبوة وبقيت المبشرات حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال
أخبرنا ابن عيينة عن الاعمش عن ذكوان عن رجل عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم
في قوله لهم البشرى في الحياة الدنيا قال الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له وفي الآخرة الجنة
حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن الأعمش عن أبي صالح عن عطاء بن يسار عن رجل كان
بمصر قال سألت أبا الدرداء عن هذه الآية لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة فقال أبو الدرداء
ما سألني عنها أحد منذ سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ما سألني عنها أحد قبلك هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له وفي الآخرة الجنة * قال ثنا
أبو بكر بن عياش عن عاصم عن أبي صالح عن أبي الدرداء قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم
عن قوله لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة قال ما سألني عنها أحد غيرك هي الرؤيا الصالحة
يراها المسلم أو ترى له * قال ثنا جرير عن الأعمش عن أبي صالح عن عطاء بن يسار عن أبي

الدرداء في قوله لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة قال سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماسألني عنها أحد قبلك هي الرؤيا الصالحة يراها العبد أو ترى له وفي الآخرة الجنة * قال ثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عبد العزيز بن رفيع عن أبي صالح قال ابن عيينة ثم سمعته من عبد العزيز عن أبي صالح السمان عن عطاء بن يسار عن رجل من أهل مصر قال سألت أبا الدرداء عن هذه الآية لهم البشرى في الحياة الدنيا قال ماسألني عنها أحد منذ سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماسألني عنها أحد منذ أنزلت على الا رجل واحد هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له * قال ثنا عبد الله بكر السهمي عن حاتم بن أبي صغيرة عن عمرو بن دينار أنه سأل رجلا من أهل مصر فقهما اقدم عليهم في بعض تلك المواسم قال قلت ألا تخبرني عن قول الله تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا قال سألت عنها أبا الدرداء فأخبرني أنه سأل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هي الرؤيا الحسنة يراها العبد أو ترى له * قال ثنا أبي عن علي بن مبارك عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عبادة بن الصامت قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا قال هي الرؤيا الصالحة يراها العبد أو ترى له حدثني المثنى قال ثنا مسلم بن ابراهيم وأبو الوليد الطيالسي قالا ثنا أبان قال ثنا يحيى عن أبي سلمة عن عبادة بن الصامت قال قلت يارسول الله قال الله تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة فقال لقد سألتني عن شئ ماسألني عنه أحد قبلك أو أحد من أمتي قال هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له * قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن أبي صالح قال سمعت أبا الدرداء وسئل عن الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا قال ماسألني عنها أحد قبلك منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال ماسألني عنها أحد قبلك هي الرؤيا الصالحة يراها العبد أو ترى له حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عبيد الله بن أبي يزيد عن نافع بن جبير عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في قوله لهم البشرى في الحياة الدنيا قال هي الرؤيا الحسنة يراها الانسان أو ترى له * وقال ابن جريج عن عمرو بن دينار عن أبي الدرداء أو ابن جريج عن محمد بن المنكدر عن عطاء بن يسار عن أبي الدرداء قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقال هي الرؤيا الصالحة * وقال ابن جريج عن هشام بن عروة عن أبيه قال هي الرؤيا يراها الرجل حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن يحيى بن أبي كثير قال هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبدة عن هشام بن عروة عن أبيه لهم البشرى في الحياة الدنيا قال هي الرؤيا الصالحة يراها العبد الصالح * قال ثنا ابن فضيل عن ليث عن مجاهد قال هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له * قال ثنا عبدة بن سليمن عن طلحة القناد عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس لهم البشرى في الحياة الدنيا قال هي الرؤيا الحسنة يراها العبد المسلم لنفسه أو لبعض اخوانه * قال ثنا أبي عن الأعمش عن ابراهيم قال كانوا يقولون الرؤيا من المبشرات حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن قيس بن سعد أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقال ماسألني عنها

الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا هو السميع العليم ألا ان لله من في السموات ومن في الارض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الارض ان عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله مالا تعلمون قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون

﴿القراآت﴾ شأن بغير همز حيث كان أبو عمرو وغير شجاع والاعشى ويزيد والاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف يعزب بالكسر حيث كان علي الباقون بالضم ولا أصغر ولا أكبر بالرفع فيهما حمزة وخلف وسهل ويعقوب والمفضل الآخرون بالنصب ﴿الوقوف﴾ تفيضون فيه ط مبين ○ يحزنون ○ ج لان الذين يصلح صفة لاولياء ويصلح نصبا أو رفعا على المدح فيوقف على يتقون أو مبتدأ خبره لهم البشرى فلا يوقف على يتقون وفي الآخرة ط لكلمات الله ط العظيم ○ ط لانه لو وصل لأوهم أن الضمير عائد الى أولياء وقول الاولياء لا يحزن الرسول قولهم م لئلا يوهم أن قوله ان العزة مقول الكفار جميعا ط العليم ○ الارض ط شركاء ط يخرصون ○ مبصرا ط يسمعون ○ سبحانه ط الغني ط وما في الارض ط بهذا ط مالا تعلمون ○ لا يفلحون ○ ط يكفرون ○ ﴿التفسير﴾ لما بين فساد طريقة الكفار في عقائدهم وأحكامهم بين كونه سبحانه عالما بعمل كل أحد وما في قلبه من الدواعي والصوارف والرياء والاخلاص وغير ذلك فقال (وما تكون) يا محمد (في شأن) أي أمر من الامور وأصله الهمز بمعنى القصد من شأنت شأنه اذا قصدت قصده قال ابن عباس أي في شأن من أعمال البر وقال الحسن في شأن الدنيا وحوائجها وما في وما تكون وما تتلو نافية والضمير في منه اما لله عز وجل أي نازل من عنده واما للشأن لان تلاوة القرآن شأن من شؤن رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو معظم

أحد من أمتي منذ أنزلت علي قبلك قال هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل لنفسه أو ترى له * قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن العوام عن ابراهيم التيمي أن ابن مسعود قال ذهبت النبوة وبقيت المبشرات قيل وما المبشرات قال الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له ‥ قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله لهم البشرى في الحياة الدنيا فهو قوله لنبيه و بشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا قال هي الرؤيا الحسنة يراها المؤمن أو ترى له ‥ قال ثنا اسحق قال ثنا محمد بن حرب قال ثنا ابن لهيعة عن خالد بن يزيد عن عطاء في قوله لهم البشرى في الحياة الدنيا قال هي رؤيا الرجل المسلم يبشر بها في حياته حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني عمرو بن الحرث أن دراجا أبا السمح حدثه عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لهم البشرى في الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة يبشر بها المؤمن جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة حدثني يونس قال أخبرنا أنس بن عياض عن هشام عن أبيه في هذه الآية لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة قال هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له حدثنا محمد بن عوف قال ثنا أبو المغيرة قال ثنا صفوان قال ثنا حميد بن عبد الله أن رجلا سأل عبادة بن الصامت عن قول الله تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة فقال عبادة لقد سألتني عن أمر ما سألني عنه أحد قبلك ولقد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عما سألتني فقال لي يا عبادة لقد سألتني عن أمر ما سألني عنه أحد من أمتي تلك الرؤيا الصالحة يراها المؤمن لنفسه أو ترى له ‥ وقال آخرون هي بشارة يبشر بها المؤمن في الدنيا عند الموت ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهري وقتادة لهم البشرى في الحياة الدنيا قال هي البشارة عند الموت في الحياة الدنيا حدثنا ابن وكيع قال ثنا يعلى عن أبي بسطام عن الضحاك لهم البشرى في الحياة الدنيا قال يعلم أين هو قبل الموت ‥ وأولى الاقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره أخبر أن لأوليائه المتقين البشرى في الحياة الدنيا ومن البشارة في الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له ومنها بشرى الملائكة اياه عند خروج نفسه برحمة الله كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الملائكة التي تحضره عند خروج نفسه تقول لنفسه اخرجي الى رحمة الله ورضوانه ومنها بشرى الله اياه ما وعده في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من الثواب الجزيل كما قال جل ثناؤه و بشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الانهار الآية وكل هذه المعاني من بشرى الله اياه في الحياة الدنيا بشره بها ولم يخصص الله من ذلك معنى دون معنى فذلك مما عمه جل ثناؤه أن لهم البشرى في الحياة الدنيا وأما في الآخرة فالجنة وأما قوله لا تبديل لكلمات الله فان معناه ان الله لا خلف لوعده ولا تغيير لقوله عما قال ولكنه يمضي لخلقه مواعيده وينجزها لهم وقد حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أيوب عن نافع قال أطال الحجاج الخطبة فوضع ابن عمر رأسه في حجري فقال الحجاج ان ابن الزبير بدل كتاب الله فقعد ابن عمر فقال لا تستطيع أنت ذلك ولا ابن الزبير لا تبديل لكلمات الله فقال الحجاج لقد أوتيت علما أن تفعل قال

أيوب

شأنه ولهذا أفرد بالذكر كقوله وملائكته وجبريل وميكال واما القرآن والاضمار قبل الذكر تفخيم له كأنه قيل وما تتلو من التنزيل من قرآن لان كل جزء منه قرآن ثم عمم الخطاب فقال (ولا تعملون) أيها المكلفون (من عمل) أي عمل كان (الا كنا عليكم شهودا) شاهدين رقباء والجمع للتعظيم أو لان المراد الملائكة الموكلون (اذ تفيضون فيه) الافاضة الشروع في العمل على جهة الانصباب والاندفاع ومنه قوله فاذا أفضتم من عرفات قيل شهادة الله علمه فيلزم أنه لا يعلم الاشياء الا عند وجودها والجواب أن الشهادة علم خاص ولا يلزم منه امتناع تقدم العلم المطلق على الشئ كما لو أخبرنا الصادق أن زيدا يفعل كذا غدا فنكون عالمين بذلك لا شاهدين ثم زاد في التعميم فقال (وما يعزب عن ربك) أي لا يبعد ولا يغيب ومنه كلأ عازب أي بعيد والرجل العزب لبعده عن الاهل ومعنى (مثقال ذرة) قد مر في قوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وذلك في سورة النساء والمقصود أنه لا يغيب عن علمه شئ أصلا وان كان في غاية الحقارة وانما قال ههنا في الارض ولا في السماء خلاف ما في سورة سبأ وهو المعهود في القران لان الكلام سيق لشهادته على شؤن أهل الارض فناسب أن يقدم ذكر ما في الارض هذا بعد تسليم أن الواو تفيد الترتيب ثم بالغ في تعميم علمه فقال (ولا أصغر من ذلك ولا أكبر) من قرأ بالنصب على نفي الجنس أو بالرفع على الابتداء ليكون كلاما برأسه فلا اشكال وأما من جعله منصوبا معطوفا على لفظ مثقال لانه في موضع الجر بالفتح لامتناع الصرف أو جعله مرفوعا معطوفا على محل من مثقال لانه فاعل يعزب فاورد عليه الاشكال وهو أنه يصير تقدير الآية لا يعزب عنه شئ في الارض ولا في السماء الا في كتاب ويلزم منه أن يكون ذلك الشئ الذي في الكتاب خارجا عن علم الله وانه محال ويمكن أن يجاب عنه بان الاشياء المخلوقة قسمان قسم أوجده الله تعالى ابتداء من غير واسطة كخلق الملائكة والسموات والارض وقسم آخر أوجده بواسطة القسم الاول من حوادث عالم الكون والفساد ولا شك أن هذا القسم الثاني متباعد في سلسلة العلية والمعلولية عن مرتبة واجب

أيوب فلما أقبل عليه في خاصة نفسه سكت وقوله ذلك هو الفوز العظيم يقول تعالى ذكره هذه البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة هي الفوز العظيم يعني الظفر بالحاجة والطلبة والنجاة من النار ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا هو السميع العليم ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لا يحزنك يا محمد قول هؤلاء المشركين في ربهم ما يقولون واشراكهم معه الاوثان والاصنام فان العزة لله جميعا يقول تعالى ذكره وان الله هو المنفرد بعزة الدنيا والآخرة لا شريك له فيها وهو المنتقم من هؤلاء المشركين القائلين فيه من القول الباطل ما يقولون فلا ينصرهم عند انتقامه منهم أحد لانه لا يعازه شئ هو السميع العليم يقول وهو ذو السمع لما يقولون من الفرية والكذب عليه وذو علم بما يضمرونه في أنفسهم ويعلنونه محصي ذلك عليهم كله وهو لهم بالمرصاد وكسرت ان من قوله ان العزة لله جميعا لأن ذلك خبر من الله مبتدأ ولم يعمل فيها القول لان القول عني به قول المشركين وقوله ان العزة لله جميعا لم يكن من قيل المشركين ولا هو خبر عنهم أنهم قالوه ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ألا ان لله من في السموات ومن في الارض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ﴾ يقول تعالى ذكره ألا ان لله يا محمد كل من في السموات ومن في الارض ملكا وعبيدا لا مالك لشئ من ذلك سواه يقول فكيف يكون الهاه معبودا من يعبده هؤلاء المشركون من الأوثان والاصنام وهي لله ملك وانما العبادة للمالك دون المملوك وللرب دون المربوب وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء يقول جل ثناؤه وأي شئ يتبع من يدعو من دون الله يعني غير الله وسواه شركاء ومعنى الكلام أي شئ يتبع من يقول لله شركاء في سلطانه وملكه كاذبا والله المنفرد بملك كل شئ في سماء كان أو أرض ان يتبعون الا الظن يقول ما يتبعون في قيلهم ذلك ودعواهم الا الظن يقول الا الشك لا اليقين وان هم الا يخرصون يقول وان هم الا يتقولون الباطل تظننا وتخرصا للافك عن غير علم منهم بما يقولون ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون ﴾ يقول تعالى ذكره ان ربكم أيها الناس الذي استوجب عليكم العبادة هو الرب الذي جعل لكم الليل وفصله من النهار لتسكنوا فيه مما كنتم فيه في نهاركم من التعب والنصب وتهدؤا فيه من التصرف والحركة للمعاش والعناء الذي كنتم فيه بالنهار والنهار مبصرا يقول وجعل النهار مبصرا فأضاف الابصار الى النهار وانما يبصر فيه وليس النهار مما يبصر ولكن لما كان مفهوما في كلام العرب معناه خاطبهم بما في لغتهم وكلامهم وذلك كما قال جرير

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى * ونمت وما ليل المطي بنائم

فأضاف النوم الى الليل ووصفه به ومعناه نفسه أنه لم يكن نائما فيه هو ولا بعيره يقول تعالى ذكره فهذا الذي يفعل ذلك هو ربكم الذي خلقكم وما تعبدون لا ما لا ينفع ولا يضر ولا يفعل شيأ وقوله ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون يقول تعالى ذكره ان في اختلاف حال الليل والنهار وحال أهلهما فيهما دلالة وحججا على أن الذي له العبادة خالصا بغير شريك هو الذي خلق الليل والنهار وخالف بينهما بان جعل هذا للخلق سكنا وهذا لهم معاشا دون من لا يخلق ولا يفعل شيأ ولا يضر ولا ينفع

الوجود فالمراد من الآية أنه لا يبعد عن مرتبة وجوده شئ في الارض ولا في السماء الا هو في كتاب مبين وهو كتاب أثبت فيه صور تلك المعلومات والغرض الرد على من يزعم أنه تعالى غير عالم بالجزئيات أو نقول ان الاستثناء منقطع بمعنى لكن هو في كتاب مبين وذكر أبو علي الجرجاني صاحب النظم أن الا بمعنى الواو وعلى ان الكلام قد تم عند قوله ولا أكبر ثم وقع الابتداء بكلام آخر فقال الا في كتاب أي وهو أيضا في كتاب (مبين) والعرب تضع الا موضع واو النسق كثيرا ومنه قوله اني لا يخاف لدي المرسلون الا من ظلم يعني ومن ظلم وقوله لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا يعني والذين ظلموا ثم انه لما بين احاطته بجميع الاشياء وكان في ذلك تقوية قلوب المطيعين وكسر قلوب المذنبين أتبعها تفصيل حال كل فريق فقال (ألا ان أولياء الله) الآية والتركيب يدل على القرب فكأنهم قربوا منه تعالى لاستغراقهم في نور معرفته وجماله وجلاله قال أبو بكر الاصم هم الذين تولى الله هدايتهم بالبرهان وتولوا القيام بحق عبوديته والدعوة اليه وقال المتكلمون ولي الله من يكون آتيا بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل ويكون آتيا بالاعمال الصالحة الواردة في الشريعة وعنوا بذلك قوله تعالى في وصفهم (الذين آمنوا) وهو اشارة الى كمال حال القوة النظرية (وكانوا يتقون) وهو اشارة الى كمال حال القوة العملية وههنا مقام آخر وهو أن يحمل الايمان على مجموع الاعتقاد والعمل ويكون الولي متقيا في كل الاحوال أما في موقف العلم فبأن يقدس ذاته عن أن يكون مقصورا على ما عرفه أو يكون كما وصفه وأما في مقام العمل فأن يرى عبوديته وعبادته قاصرة عما يليق بكبريائه وجلاله فيكون أبدا في الخوف والدهشة وأما نفي الخوف والحزن عنهم فقد مر تفسيره في أوائل سورة البقرة وعن سعيد بن جبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من أولياء الله فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم يعني أن مشاهدتهم تذكر أمر الآخرة لما فيهم من آثار الخشوع والاخبات والسكينة وعن عمر سمعت النبي صلى الله

وقال القوم يسمعون لان المراد منه الذين يسمعون هذه الحجج ويتفكرون فيها فيعتبرون بها ويتعظون ولم يرد به الذين يسمعون بآذانهم ثم يعرضون عن عبره وعظاته ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الارض ان عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون) يقول تعالى ذكره قال هؤلاء المشركون بالله من قومك يا محمد اتخذ الله ولدا وذلك قولهم الملائكة بنات الله يقول الله منزها نفسه عما قالوا وافتروا عليه من ذلك سبحان الله تنزيها لله عما قالوا وادعوا على ربهم هو الغني يقول الله غني عن خلقه جميعا فلا حاجة به الى ولد لأن الولد انما يطلبه من يطلبه ليكون عونا له في حياته وذكرا له بعد وفاته والله عن كل ذلك غني فلا حاجة به الى معين يعينه على تدبيره ولا يبيد فيكون به حاجة الى خلف بعده له ما في السموات وما في الارض يقول تعالى ذكره لله ما في السموات وما في الارض ملكا والملائكة عباده وملكه فكيف يكون عبد الرجل وملكه له ولدا يقول أفلا تعقلون أيها القوم خطأ ما تقولون ان عندكم من سلطان بهذا يقول ما عندكم أيها القوم بما تقولون وتدعون من أن الملائكة بنات الله من حجة تحتجون بها وهي السلطان أتقولون على الله قولا لا تعلمون حقيقته وصحته وتضيفون اليه ما لا يجوز اضافته اليه جهلا منكم بما تقولون بغير حجة ولا برهان ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهم ان الذين يفترون على الله الكذب فيقولون عليه الباطل ويدعون له ولدا لا يفلحون يقول لا يبقون في الدنيا ولكن لهم متاع في الدنيا يمتعون به وبلاغ يتبلغون به الى الأجل الذي كتب فناؤهم فيه ثم الينا مرجعهم يقول ثم اذا انقضى أجلهم الذي كتب لهم الينا مصيرهم ومنقلبهم ثم نذيقهم العذاب الشديد وذلك اصلاؤهم جهنم بما كانوا يكفرون بالله في الدنيا فيكذبون رسله ويجحدون آياته ورفع قوله متاع بمضمر قبله اما ذلك واما هذا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واتل على هؤلاء المشركين الذين قالوا اتخذ الله ولدا من قومك نبأ نوح يقول خبر نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي يقول ان كان عظم عليكم مقامي بين أظهركم وشق عليكم وتذكيري بآيات الله يقول ووعظي اياكم بحجج الله وتنبيهي اياكم على ذلك فعلى الله توكلت يقول ان كان شق عليكم مقامي بين أظهركم وتذكيري بآيات الله فعزمتم على قتلي أو طردي من بين أظهركم فعلى الله اتكالي وبه ثقتي وهو سندي وظهري فأجمعوا أمركم يقول فأعدوا أمركم واعزموا على ما تقدمون عليه في أمري يقال منه أجمعت على كذا بمعنى عزمت عليه ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم من لم يجمع على الصوم من الليل فلا صوم له بمعنى من لم يعزم ومنه قول الشاعر

يا ليت شعري والمنى لا تنفع * هل أغدون يوما وأمري مجمع

وروى عن الاعرج في ذلك ما حدثني بعض أصحابنا عن عبد الوهاب عن هرون عن أسيد عن

الاعرج

عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا ماهم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله قالوا يارسول الله أخبرنا من هم وما أعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ الآية يحكى أن ابراهيم الخواص كان في البادية ومعه واحد يصحبه فتفق في بعض الليالي ظهور حالة قوية وكشف تام له فجلس في موضعه وجاء السباع ووقفوا بالقرب منه والمريد تسلق على رأس شجرة خوفا منها والشيخ كان فارغا من تلك السباع فلما أصبح زالت تلك الحالة ففي الليلة الثانية وقعت بعوضة على بدنه فأظهر الجزع من تلك البعوضة فقال المريد كيف تليق هذه الحالة بما قبلها فقال الشيخ تحملنا البارحة ما تحملناه بسبب قوة الوارد الغيبي فلما غاب ذلك الوارد فانا أضعف خلق الله ثم أخبر الله سبحانه عنهم بأن (لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) فقيل بشراهم في الدنيا ما بشر الله به المؤمنين المتقين في غير مكان من كتابه وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات وقيل انها عبارة عن محبة الناس لهم وعن ذكرهم اياهم بالثناء الحسن عن أبي ذر رضي الله عنه قلت يارسول الله ان الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس قال تلك عاجل بشرى المؤمن والدليل العقلي عليه أن الكمال محبوب لذاته فكل من اتصف بصفة الكمال كان محبوبا لكل أحد اذا أنصفه ولم يحسده ولا كمال للعبد أعلى وأشرف من كونه مستغرق القلب في معرفة الله معرضا عما سواه ونور الله مخدوم بالذات ففي أي قلب حصل كان مخدوما بالطبع لما سوى الله وقيل هي الرؤيا الصالحة وعنه صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة وسبب تخصيص هذا العدد أن النبي صلى الله عليه وسلم استنبئ بعد أربعين سنة الى كمال عمره وهو ثلاث وستون سنة وكان يأتيه الوحي أولا بطريق المنام ستة أشهر ونسبة هذه المدة الى ثلاث وعشرين سنة التي هي جميع مدة الوحي نسبة الواحد الى ستة

وأربعين واما أن الرؤيا الصادقة توجب البشارة فلانها دليل صفاء القلب واتصال النفس الى عالم القدس والاطلاع على بعض ماهنالك وعن عطاء البشرى فى الدنيا هى البشارة عند الموت تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة واما البشرى فى الآخرة فتلقى الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحائف بأيمانهم

وما يقرؤن منها الى آخر أحوالهم فى الجنة (لا تبديل لكلمات الله) لا تغيير لاقواله ولا إخلاف لمواعيده وقد مر مثله فى الانعام (ذلك) اشارة الى كونهم مبشرين فى الدارين وكلتا الجملتين اعتراض ولا يجب ان يقع بعد الاعتراض كلام تقول فلان ينطق بالحق والحق أبلج قال القاضى لا تبديل لكلمات الله يدل على أنها قابلة للتبديل وكل ما يقبل العدم امتنع أن يكون قديما ومحل المنع ظاهر فان نفى شئ عن شئ لا يلزم منه امكانه له كقول الموحد لا شريك لله ثم سلى رسوله عن صنيع الفريق المكذبين فقال ولا يحزنك أو نقول انه كما أزال الحزن عنه فى الآخرة بقوله ألا ان أولياء الله أزال الحزن عنه فى الدنيا بقوله (ولا يحزنك قولهم) أى تكذيبهم لك وتهديدهم بالخدم والاموال وتشاورهم فى تدبير هلاكك وابطال أمرك وبالجملة كل ما يتكلمون به فى شأنك من المطاعن والقوادح ثم استأنف قوله (ان العزة لله) كأنه قيل مالى لا أحزن فقيل لان العزة لله (جميعا) ان الغلبة والقهر له ولحزبه كتب الله لأغلبن أنا ورسلى وقرئ أن بالفتح لا على أنه بدل فان ذلك يؤدى الى أن القوم كانوا يقولون ان العزة لله جميعا والرسول كان يحزنه ذلك وهذا كفر بل لان التقدير لان العزة على صريح التعليل وكان

الاعرج فأجمعوا أمركم وشركاءكم يقول أحكموا أمركم وادعوا شركاءكم ونصب قوله وشركاءكم بفعل مضمر له وذلك وادعوا شركاءكم وعطف بالشركاء على قوله أمركم على نحو قول الشاعر

ورأيت زوجك فى الوغى * متقلدا سيفا ورمحا

فالرمح لا يتقلد ولكن لما كان فيما أظهر من الكلام دليل على ما حذف فاكتفى بذكر ما ذكر منه مما حذف فكذلك ذلك فى قوله وشركاءكم واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته قراء الامصار وشركاءكم نصبا وقوله فأجمعوا بهمز الالف وفتحها من أجمعت أمرى فأنا أجمعه اجماعا وذكر عن الحسن البصرى أنه كان يقرؤه فأجمعوا أمركم بفتح الالف وهمزها وشركاؤكم بالرفع على معنى وأجمعوا أمركم وليجمع أمرهم أيضا معكم شركاؤكم * والصواب من القول فى ذلك قراءة من قرأ فأجمعوا أمركم وشركاءكم بفتح الالف من أجمعوا ونصب الشركاء لانها فى المصحف بغير واو ولاجماع الحجة على القراءة بها ورفض ما خالفها ولا يعترض عليها بمن يجوز عليه الخطا والسهو وعنى بالشركاء آلهتهم وأوثانهم وقوله ثم لا يكن أمركم عليكم غمة يقول ثم لا يكن أمركم عليكم ملتبسا مشكلا مبهما من قولهم غم على الناس الهلال وذلك اذا أشكل عليهم فلم يتبينوه ومنه قول رؤبة

بل لو شهدت الناس اذ تكموا * بغمة لولم تفرج غموا

وقيل ان ذلك من الغم لان الصدر يضيق به ولا يتبين صاحبه لامره مصدرا يصدره يتفرج عنه ما بقلبه ومنه قول خنساء

وذى كربة راخى ابن عمرو خناقه * وغمته عن وجهه فتجلت

وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أمركم عليكم غمة قال لا يكبر عليكم أمركم وأما قوله ثم اقضوا الى فان معناه ثم امضوا الى ما فى أنفسكم وافرغوا منه كما حدثنى محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ثم اقضوا الى ولا تنظرون قال اقضوا الى ما كنتم قاضين حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ثم اقضوا الى ولا تنظرون قال اقضوا الى ما فى أنفسكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله واختلف أهل المعرفة بكلام العرب فى معنى قوله ثم اقضوا الى فقال بعضهم معناه امضوا الى كما يقال قد قضى فلان يراد قد مات ومضى * وقال آخرون منهم بل معناه ثم افرغوا الى وقالوا القضاء الفراغ والقضاء من ذلك قالوا وكأن قضى دينه من ذلك انما هو فرغ منه وقد حكى عن بعض القراء أنه قرأ ذلك ثم أفضوا الى بمعنى توجهوا الى حتى تصلوا الى من قولهم قد أفضى الى الوجع وشبهه وقوله ولا تنظرون يقول ولا تؤخرون من قول القائل أنظرت فلانا بما لى عليه من الدين وانما هذا خبر من الله تعالى ذكره عن قول نبيه نوح عليه السلام لقومه انه بنصرة الله له عليهم واثق ومن كيدهم وتواثقهم غير خائف واعلام منه لهم أن آلهتهم لا تضر ولا تنفع يقول لهم امضوا ما تحدثون أنفسكم به فى على عزم منكم صحيح واستعينوا مع من شايعكم على بآلهتكم التى تدعون من دون الله ولا تؤخروا ذلك فانى قد توكلت على الله وأنا به واثق أنكم لا تضروننى الا أن يشاء ربى وهذا وان كان خبرا من الله تعالى عن نوح فانه حث من الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم على التأسى به وتعريف منه سبيل الرشاد فيما قلده من

رسول الله صلى الله عليه وسلم واثقا بوعد الله تعالى فى جميع الاحوال وان كان قد يقع فى بعض الحروب والوقائع انكسار وهزيمة فان الامور بخواتيمها ثم أكد الوعد بقوله (هو السميع العليم) يسمع ما يقولون ويعلم ما يدبرون فيكفيك شرهم ثم زاد فى التأكيد مع اشارة الى فساد عقيدة المشركين فقال (ألا ان لله من فى السموات ومن فى الارض) خصص ذوى العقول اما للتغليب واما لان الآية سبقت

لبيان فساد عقائد أهل الشرك فذكر أن العقلاء المميزين وهم الملائكة والثقلان كلهم عبيد له ولا يصلح أحد منهم لان يكون شريكا له فما وراءهم ممن لا يسمع ولا يعقل كالاصنام أولى بأن لا يكون ندا له ثم أكد هذا المعنى بقوله (وما يتبع) ما نافية ومفعول يدعون محذوف أي ليس يتبع (الذين يدعون من دون الله شركا) (١٠٠) شركاء في الحقيقة انما هي أسماء لا مسميات لها لان شركة الله في الربوبية محال وانما حذف أحد المكررين للدلالة والاول مفعول يدعون والثاني مفعول يتبع ويجوز أن تكون ما استفهامية بمعنى أي شيء يتبعون وشركاء على هذا نصب بيدعون ولا حاجة الى اضمار ويجوز أن تكون ما موصولة معطوفة على من كأنه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء أي وله شركاؤهم ثم زاد في التأكيد فقال (ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون) وقد مر مثله في سورة الانعام ثم ذكر طرفا من آثار قدرته مع اشارة الى بعض نعمه فقال (هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) طلبا للراحة (والنهار مبصرا) ذا ابصار باعتبار صاحبه أي جعله مضيئا لتهتدوا به في حوائجكم وهذان طرفان من منافع الليل والنهار (ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون) سماع تأمل وتدبر وقبول ثم حكى نوعا آخر من أباطيلهم فقال (قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه) وقد مر في البقرة ولما نزه نفسه عن اتخاذ الولد برهن على ذلك بقوله (هو الغني) وتقريره ان الغني التام يوجب امتناع كونه ذا أجزاء وحصول الولد لا يتصور الا بعد انفصال جزء منه يكون كالبذر بالنسبة الى النبات وأيضا انما يحتاج الى الولد والى توليد المثل الذي يقوم مقامه من يكون بصدد الانقضاء والانقراض فالازلي القديم لا يفتقر الى الولد ولا يصح له مثل وأيضا الغني لا يفتقر الى الشهوة ولا الى اعانة الولد ولو صح أن يتولد منه مثله لصح أن يكون هو أيضا متولدا من مثله ولا يشكل هذا بالولد الاول من الاشخاص الحيوانية فان المدعي هو الصحة لا الوقوع ثم بالغ في البرهان فقال (له ما في السموات وما في الارض) واذا كان الكل ملكه وعبيده فلا يكون شيء منها ولدا له لان الاب يساوي الابن في الطبيعة بخلاف المالك ثم

الرسالة والبلاغ عنه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فان توليتم فما سألتكم من أجر ان أجري الا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نبيه نوح عليه السلام لقومه فان توليتم أيها القوم عني بعد دعائي اياكم وتبليغ رسالة ربي اليكم مدبرين فأعرضتم عما دعوتكم اليه من الحق والاقرار بتوحيد الله واخلاص العبادة له وترك اشراك الآلهة في عبادته فتضييع منكم وتفريط في واجب حق الله عليكم لا بسبب من قبلي فاني لم أسألكم على ما دعوتكم اليه أجرا ولا عوضا أعتاضه منكم باجابتكم اياي الى ما دعوتكم اليه من الحق والهدى ولا طلبت منكم عليه ثوابا ولا جزاء ان أجري الا على الله يقول جل ثناؤه ان جزائي وأجر عملي وثوابه الا على ربي لا عليكم أيها القوم ولا على غيركم وأمرت أن أكون من المسلمين وأمرني ربي أن أكون من المذعنين له بالطاعة المنقادين لامره ونهيه المتذللين له ومن أجل ذلك أدعوكم اليه وبأمره آمركم بترك عبادة الاوثان ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) يقول تعالى ذكره فكذب نوحا قومه فيما أخبرهم به عن الله من الرسالة والوحي فنجيناه ومن معه ممن حمل معه في الفلك يعني في السفينة وجعلناهم خلائف يقول وجعلنا الذين نجينا مع نوح في السفينة خلائف في الارض من قومه الذين كذبوه بعد أن أغرقنا الذين كذبوا بآياتنا يعني حججنا وأدلتنا على توحيدنا ورسالة رسولنا نوح يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فانظر يا محمد كيف كان عاقبة المنذرين وهم الذين أنذرهم نوح عقاب الله على تكذيبهم اياه وعبادتهم الاصنام يقول له جل ثناؤه انظر ماذا أعقبهم تكذيبهم رسولهم فان عاقبة من كذبك من قومك ان تمادوا في كفرهم وطغيانهم على ربهم نحو الذي كان من عاقبة قوم نوح حين كذبوه يقول جل ثناؤه فليحذروا أن يحل بهم مثل الذي حل بهم ان لم يتوبوا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين) يقول تعالى ذكره ثم بعثنا من بعد نوح رسلا الى قومهم فأتوهم ببينات من الحجج والأدلة على صدقهم وأنهم لله رسل وأن ما يدعونهم اليه حق فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل يقول فما كانوا ليصدقوا بما جاءتهم به رسلهم بما كذب به قوم نوح ومن قبلهم من الامم الخالية من قبلهم كذلك نطبع على قلوب المعتدين يقول تعالى ذكره كما طبعنا على قلوب أولئك فختمنا عليها فلم يكونوا يقبلون من أنبياء الله نصيحتهم ولا يستجيبون لدعائهم اياهم الى ربهم بما اجترموا من الذنوب واكتسبوا من الآثام كذلك نطبع على قلوب من اعتدى على ربه فتجاوز ما أمره به من توحيده وخالف ما دعاهم اليه رسلهم من طاعته عقوبة لهم على معصيتهم ربهم من هؤلاء الآخرين من بعدهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون الى فرعون وملئه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين) يقول تعالى ذكره ثم بعثنا من بعد هؤلاء الرسل الذين أرسلناهم من بعد نوح الى قومهم موسى وهرون ابني عمران الى فرعون مصر وملئه يعني وأشراف قومه وسادتهم بآياتنا يقول بأدلتنا على حقيقة ما دعوهم اليه من الاذعان لله بالعبودة والاقرار لهما بالرسالة فاستكبروا يقول فاستكبروا عن الاقرار بما دعاهم اليه موسى وهرون وكانوا قوما مجرمين يعني آثمين بربهم بكفرهم بالله تعالى

القول

القول في تأويل قوله تعالى (فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون) يقول تعالى ذكره فلما جاءهم الحق من عندنا يعني فلما جاءهم بيان ما دعاهم اليه موسى وهرون وذلك الحجج التي جاءهم بها وهي الحق الذي جاءهم من عند الله قالوا ان هذا لسحر مبين يعنون أنه يبين لمن رآه وعاينه أنه سحر لا حقيقة له قال موسى لهم أتقولون للحق لما جاءكم من عند الله أسحر هذا واختلف أهل العربية في سبب دخول ألف الاستفهام في قوله أسحر هذا فقال بعض نحويي البصرة أدخلت فيه على الحكاية لقولهم لانهم قالوا أسحر هذا فقال أتقولون أسحر هذا وقال بعض نحويي الكوفة انهم قالوا هذا سحر ولم يقولوه بالالف لان أكثر ما جاء بغير ألف قال فيقال فلم أدخلت الالف فيقال قد يجوز أن تكون من قيلهم وهم يعلمون أنه سحر كما يقول الرجل للجائزة اذا أتته أحق هذا وقد علم أنه حق قال وقد يجوز أن تكون على التعجب منهم أسحر هذا ما أعظمه وأولى ذلك في هذا بالصواب عندي أن يكون المقول محذوفا ويكون قوله أسحر هذا من قيل موسى منكرا على فرعون وملئه قولهم للحق لما جاءهم سحر فيكون تأويل الكلام حينئذ قال موسى لهم أتقولون للحق لما جاءكم وهي الآيات التي أتاهم بها من عند الله حجة له على صدقه سحر أسحر هذا الحق الذي ترونه فيكون السحر الاول محذوفا اكتفاء بدلالة قول موسى أسحر هذا على أنه مراد في الكلام كما قال ذو الرمة

فلما لبسن الليل أو حين نصبت * له من خذا آذانها وهو جانح

يريد أو حين أقبل ثم حذف اكتفاء بدلالة الكلام عليه وكما قال جل ثناؤه فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم والمعنى بعثناهم ليسوؤا وجوهكم فترك ذلك اكتفاء بدلالة الكلام عليه في أشباه لما ذكرنا كثيرة يتعب احصاؤها وقوله ولا يفلح الساحرون يقول ولا ينجح الساحرون ولا يبقون

القول في تأويل قوله تعالى (قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الارض وما نحن لكما بمؤمنين) يقول تعالى ذكره قال فرعون وملؤه لموسى أجئتنا لتلفتنا يقول لتصرفنا وتلوينا عما وجدنا عليه آباءنا من قبل مجيئك من الدين يقال منه لفت فلان عنق فلان اذا لواها كما قال ذو الرمة * لفتا وتهزيعا سواء اللفت * التهزيع الدق واللفت اللي كما حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة لتلفتنا قال لتلوينا عما وجدنا عليه آباءنا وقوله وتكون لكما الكبرياء في الأرض يعني العظمة وهي الفعلياء من الكبر ومنه قول ابن الرقاع

سوددا غير فاحش لا يداني * ـه تجباره ولا كبرياء

حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وتكون لكما الكبرياء في الارض قال الملك * قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن مجاهد وتكون لكما الكبرياء في الارض قال السلطان في الارض * قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج قال بلغني عن مجاهد قال الملك في الارض * قال ثنا المحاربي عن جويبر عن الضحاك وتكون لكما الكبرياء في الارض قال الطاعة حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وتكون لكما الكبرياء في الارض قال الملك * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني

زيف دعواهم الفاسدة فقال (ان عندكم من سلطان بهذا) أي ما عندكم من حجة بهذا القول قال في الكشاف والباء حقها أن تتعلق بقوله ان عندكم على أن يجعل القول مكانا للسلطان كقولك ما عندكم بأرضكم موز كأنه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان أقول كأنه نظر الى أن استعمال الباء بمعنى في أكثر منه بمعنى على ثم وبخهم على القول بلا دليل ومعرفة فقال (أتقولون على الله ما لا تعلمون) ثم أوعدهم على افترائهم فقال (قل ان الذين يفترون) الآية ثم بين أن ذلك المفترى ان فاز بشيء من المطالب العاجلة والمآرب الخسيسة من رياسة ظاهرة وغرض زائل فذلك (متاع قليل) في الدنيا ثم لابد من الموت والرجوع الى حكم الله ثم حصول الشقاء المؤبد والعذاب الاليم أعاذنا الله منه التأويل (وما تكون في شأن) من النبوة وما تتلو من شأن النبوة من قرآن ولا تعملون يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم من عمل من الاعمال من قبول القرآن ورده من مثقال ذرة مما أظهر من حركة في أرض البشرية بعمل من أعمال الخير والشر ولا في السماء أي في سماء القلوب بالنيات الصالحة والفاسدة ولا أصغر من الحركة وهو القصد دون الفعل ولا أكبر من النية وهو العمل ألا ان أولياء الله الذين هم أعداء النفوس لا خوف عليهم من تمني النظر بنفوسهم ولا هم يحزنون على ما فاتهم من شهوات النفوس للعداوة القائمة بينهم لهم البشرى في الحياة الدنيا بالوقائع والمبشرات وفي الآخرة بكشف القناع عن جمال العزة لا تبديل لكلمات الله لاحكامه الأزلية حيث قال للولي كن وليا وللعدو كن عدوا ولا يحزنك يا رسول القلب قول مشركي النفوس في تزيين شهوات الدنيا ولذاتها في نظرك ان العزة لله جميعا يعز من يشاء في الدنيا وفي الآخرة جميعا فلا يمنعه نعيم الدنيا عن نعيم الآخرة بل ربما يعينه على الآخرة كما جاء في الحديث الرباني وان من عبادي من لا يصلحه الا الغنى فان أفقرته يفسده ذلك ألا ان لله من في السموات ومن في الارض أي القلوب السماوية والنفوس الارضية ان يتبعون الا الظن أي يظنون أنهم يتبعون شركاء الدنيا والهوى باختيارهم لا باختيارنا هو الذي جعل لكم ليل البشرية لتستريحوا فيه من تعب

الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن الاعمش عن مجاهد قال السلطان فى الارض وهذه الاقوال كلها متقاربات المعانى وذلك أن الملك سلطان والطاعة ملك غير أن معنى الكبرياء هو ما ثبت فى كلام العرب ثم يكون ذلك عظمة بملك وسلطان وغير ذلك وقوله وما نحن لكما بمؤمنين يقول وما نحن لكما يا موسى وهرون بمؤمنين يعنى بمقرين بأنكما رسولان أرسلتما الينا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقال فرعون ائتونى بكل ساحر عليم فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون﴾ يقول تعالى ذكره وقال فرعون لقومه ائتونى بكل من يسحر من السحرة عليم بالسحر فلما جاء السحرة فرعون قال موسى ألقوا ما أنتم ملقون من حبالكم وعصيكم وفى الكلام محذوف قد ترك وهو فأتوه بالسحرة فلما جاء السحرة ولكن اكتفى بدلالة قوله فلما جاء السحرة على ذلك فترك ذكره وكذلك بعد قوله ألقوا ما أنتم ملقون محذوف أيضا قد ترك ذكره وهو فألقوا حبالهم وعصيهم فلما ألقوا قال موسى ولكن اكتفى بدلالة ما ظهر من الكلام عليه فترك ذكره ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين﴾ يقول تعالى ذكره فلما ألقوا ما هم ملقوه قال لهم موسى ما جئتم به السحر واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق ما جئتم به السحر على وجه الخبر من موسى عن الذى جاءت به سحرة فرعون أنه سحر كأن معنى الكلام على تأويلهم قال موسى الذى جئتم به أيها السحرة هو السحر وقرأ ذلك مجاهد وبعض المدنيين والبصريين ما جئتم به آلسحر على وجه الاستفهام من موسى الى السحرة عما جاؤا به أسحر هو أم غيره وأولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب قراءة من قرأه على وجه الخبر لا على الاستفهام لان موسى صلوات الله وسلامه عليه لم يكن شاكا فيما جاءت به السحرة أنه سحر لا حقيقة له فيحتاج الى استخبار السحرة عنه أى شئ هو وأخرى أنه صلوات الله عليه قد كان على علم من السحرة انما جاء بهم فرعون ليغالبوه على ما كان جاءهم به من الحق الذى كان الله آتاه فلم يكن يذهب عليه أنهم لم يكونوا يصدقونه فى الخبر عما جاؤا به من الباطل فيستخبرهم أو يستجيز استخبارهم عنه ولكنه صلوات الله عليه أعلمهم أنه لم يبطول ما جاؤا به من ذلك بالحق الذى أتاه ومبطل كيدهم بجده وهذه أولى بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاخرى فان قال قائل فما وجه دخول الالف واللام فى السحر ان كان الامر على ما وصفت وأنت تعلم أن كلام العرب فى نظير هذا أن يقولوا ما جاءنى به عمرو درهم والذى أعطانى أخوك دينار ولا يكادون أن يقولوا الذى أعطانى أخوك الدرهم وما جاءنى به عمرو الدينار قيل له بلى كلام العرب ادخال الالف واللام فى خبر ما والذى اذا كان الخبر عن معهود قد عرفه المخاطب والمخاطب بل لا يجوز اذا كان ذلك كذلك الا بالالف واللام لان الخبر حينئذ خبر عن شئ بعينه معروف عند الفريقين وانما يأتى ذلك بغير الالف اذا كان الخبر عن مجهول غير معهود ولا مقصود قصد شئ بعينه فحينئذ لا تدخل الالف واللام فى الخبر وخبر موسى كان خبرا عن معروف عنده وعند السحرة وذلك أنها كانت نسبت ما جاءهم به موسى من الآيات التى جعلها الله علما له على صدقه ونبوته الى أنه سحر فقال لهم موسى السحر الذى وصفتم به ما جئتكم به من الآيات أيها السحرة هو الذى جئتم به أنتم لا ما جئتكم به أنا ثم أخبرهم أن الله سيبطله فقال ان الله سيبطله يقول سيذهب

المجاهدات وتزول عنكم الملالة والكلالة ونهار الروحانية ذا ضياء وبصيرة يبصر بها مصالح السلوك والترقى فى المقامات لقوم يسمعون حقائق القرآن بسمع القلوب الواعية ثم أخبر عن الشبهات التى تقع فى أثناء السلوك قالوا أى مشركو النفوس عند تجلى الروح بالخلافة فى صفة الربوبية معترفا بتجلى صفة ابداع الحق ومبدعية الروح مع كمال قربه واختصاصه بالحق عند بقاء تصرفات الخيال حتى تثبت الابوة والبنوة بين الله وبين العبد اذ البنوة أخص التعلقات بالولد وهذا الكشف والابتداء هو مستند أضلالة اليهود والنصارى له ما فى السموات الروحانية من الكشوف والاحوال وما فى الارض البشرية من الوهم والخيال وما ينشأ من الشبهات والآفات ان الذين يفترون هم النفوس الامارة بالسوء لا يفلحون لا يظفرون بكشف الحقائق ثم نذيقهم لان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فأحسوا بالالم والله أعلم ﴿واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا الى ولا تنظرون فان توليتم فما سألتكم من أجر ان أجرى الا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين فكذبوه فنجيناه ومن معه فى الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون الى فرعون وملئه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء فى الارض وما نحن لكما بمؤمنين وقال فرعون ائتونى بكل ساحر عليم فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون فما آمن لموسى الا ذرية من قومه

علـى خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم وان فرعون لعال فى الارض وانه لمن المسرفين وقال موسى ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين فقالوا علـى الله توكلنا ربنا لاتجعلنا فتنـة للقوم الظالمـين ونجنا برحمتـك من القوم الكافرين وأوحينا الى موسى وأخيـه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا واجعـلوا بيوتكم قبـلة وأقيموا الصـلاة وبشر المؤمنين وقال موسى ربنا انك آتيت فرعـون ومـلأه زينـة وأموالا فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشـدد على قلوبهـم فلا يؤمنوا حتى يروا العـذاب الاليم قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعانّ سـبيل الذين لا يعلمون وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنوا اسرائيـل وأنا من المسلمين آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسـدين فاليوم ننجيك ببـدنك لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن آياتنا الغافلون ﴾

به فذهب به تعالى ذكره بأن سلط عليه عصا موسى قد حوّلها ثعبانا يتلقفه حتى لم يبق منه شئ ان الله لا يصلح عمـل المفسدين يعنى انه لا يصلح عمل من سعى فى أرض الله بما يكرهه وعمل فيها بمعاصيه وقـد ذكر أن ذلك فى قراءة أبى بن كعب ما أتيتم به سحر وفى قراءة ابن مسعود ما جئتم به سحر وذلك مما يؤيد قراءة من قرأ بنحو الذى اخـترنا من القراءة فيه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون ﴾ يقول تعالى ذكره مخـبرا عن موسى انه قال للسحرة ويحـق الله الحق يقول ويثبت الله الحق الذى جئتكم به من عنـده فيعليـه على باطلكم ويصححه بكلماته يعنى بأمره ولو كره المجرمون يعنى الذين اكتسبوا الاثم بربهم بمعصيتهم اياه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فما آمن لموسى الا ذرية من قومـه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم وان فرعون لعال فى الارض وانه لمن المسرفـين ﴾ يقول تعالى ذكره فلم يؤمن لموسى مع ما أتاهم به من الحجج والأدلة الا ذرية من قومـه خائفـين من فرعون وملئهم * اختلف أهل التأويل فى معنى الذرية فى هذا الموضع فقال بعضهم الذرية فى هذا الموضع القليل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سـعيد عن قتادة قوله فما آمن لموسى الا ذرية من قومه قال كان ابن عباس يقول الذرية القليل حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله تعالى فما آمن لموسى الا ذرية من قومه الذرية القليـل كما قال الله تعالى كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين * وقال آخرون معنى ذلك فما آمن لموسى الا ذرية من أرسل اليه موسى من بنى اسرائيل لطول الزمان لان الآباء ماتوا وبقى الأبناء فقيل لهم ذرية لانهم كانوا ذرية من هلك ممن أرسل اليهم موسى عليه السلام ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمـد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله تعالى فما آمن لموسى الا ذرية من قومـه قال أولاد الذين أرسـل اليهـم من طول الزمان ومات آباؤهم حدثنى المثـنى قال ثنا أبو حـذيفة قال ثنا شـبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وحدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبـد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهـد فما آمن لموسى الا ذرية من قومه قال أولاد الذين أرسل اليهـم موسى من طول الزمان ومات آباؤهم حدثنى الحـرث قال ثنا عبـد العزيز قال ثنا سـفيان عن الاعمش فما آمن لموسى الا ذرية من قومـه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم قال أبناء أولئك الذين أرسل اليهـم فطال عليهم الزمان وماتت آباؤهم * وقال آخرون بل معنى ذلك فما آمن لموسى الا ذرية من قوم فرعون ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سـعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم قال كانت الذرية التى آمنت لموسى من أناس غـير بنى اسرائيـل من قوم فرعون يسـير منهم امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون وخازن فرعون وامرأة خازنه وقد روى عن ابن عباس خـبر يدل على خلاف هـذا القول وذلك ما حدثنى به المثـنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ذرية من قومه يقول بنى اسرائيل فهذا الخـبر

۞ القراآت وشركاؤكم بالرفع يعقوب ان أجرى بفتح الياء حيث كان أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص ويكون لكما بياء الغيبة حماد ويزيد وزيد الباقون بتاء التأنيث آلسحر بالمد يزيد وأبو عمرو أن تبوّيا بالياء الخراز وحمزة فى الوقف وان شاء لين الهمزة الآخرون بالهمز ليضلوا بضم الياء حمزة وعلى وخلف وعاصم غير المفضل ولا تتبعان بتخفيف النون ابن عامر غـير الحلوانى عن هشام تتبعان خفيفـة التاء والنون ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان وفى كلتا القـراءتين خفـفت النون ثم كسرت لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنيـة الباقون والحلوانى عن هشام تتبعان بتشـديدها فى الحالين آمنت انه بكسر الهـمزة على الاسـتئناف بدلا من آمنت حمزة وعلى وخلف الآخرون بالفتح ننجيك من الانجاء سهل ويعقوب وقتيبة والآخرون بالتشـديد ۞ الوقوف نبأ نوح م لئلا يوهم أن اذ ظرف لقوله اتل بل التقدير واذكر اذ قال ولا تنظرون ٥ من أجر ط على الله ج لان التقدير وقد أمرت من المسلمين ٥ بآياتنا ج الغافلون لان أمر النظر للعبرة يقتضى التثبت للتدبر المنذرين ٥ من قبل ط المعتدين ٥

مجرمين ○ مبين ○ لما جاءكم ط بناء على أن التقدير أتقولون للحق لما جاءكم هو سحر والاستفهام في قوله أسحر يستحق الابتداء وسيجيء عليه
مزيد بيان هذا ط للفصل بين الاخبار والاستخبار الساحرون ○ في الارض ط بمؤمنين ○ عليم ○ ملقون ○ ماجئتم به ط لمن قرأ
آلسحر مستفهما السحر ط سيبطله ط المفسدين ○ المجرمون ○ أن يفتنهم ط في الارض ج لاتصال الكلام المسرفين ○

مسلمين ○ توكلنا ج للعدول مع اتحاد القائل الظالمين ○ لا للعطف الكافرين ○ ج وأقيموا الصلاة ط لان قوله وبشر خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم وان أريد به موسى فلا بد من العدول المؤمنين ○ الدنيا لا لتعلق قوله ليضلوا بقوله آتيت وربنا تكرار للاول لاجل التضرع عن سبيلك ج لابتداء النداء مع اتحاد القائل الأليم ○ لا يعلمون ○ وعدوا ط الغرق لا لان قال جواب اذا المسلمين ○ المفسدين ○ آية ط لغافلون ○ التفسير لما بالغ في تقرير الدلائل والبينات والجواب عن الشبهات شرع في قصص الانبياء المتقدمين لان نقل الكلام من أسلوب الى أسلوب أقرب الى انشراح الصدور ودفع الملال مع ان في ذكرها تسلية للرسول وعبرة للمعتبر الى غير ذلك من الفوائد التي سبق ذكرها في الاعراف ومعنى كبر ثقل وشق كقوله وانها لكبيرة وفي مقامي وجوه منها أنه زيادة كقولك فعلت كذا لمكان فلان أي لاجله وكقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه أي ربه ومثله قولهم فلان ثقيل الظل ومنها أن يراد به المكث أي شق عليكم مكثي بين أظهركم مدة طوالا ألف سنة الا خمسين عاما ولا شك أن من ألف طريقة ويدعى الى خلافها ولاسيما اذا تكرر الدعاء كان ذلك موجبا للتنفر والثقل وخاصة اذا كانت تلك الطريقة مقتضاة النفس والطبيعة الداعيتين الى اللذات العاجلة ومنها أن يكون المقام بمعنى القيام لانهم كانوا يقومون الى
على أرجلهم في الوعظ والتذكير ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا كما يحكى عن عيسى عليه السلام أنه كان يعظ الحواريين قائما وهم قعود وجواب الشرط اما قوله (فعلى الله توكلت) أي ان شدة بغضكم لي تحملكم على الاقدام على ايذائي وأنا لا أقابل ذلك الشر

يعني عنه أنه كان يرى ان الذرية في هذا الموضع هم بنو اسرائيل دون غيرهم من قوم فرعون * وأولى هذه الاقوال عندي بتأويل الآية القول الذي ذكرته عن مجاهد وهو أن الذرية في هذا الموضع أريد بها ذرية من أرسل اليه موسى من بني اسرائيل فهلكوا قبل أن يقروا بنبوته لطول الزمان فأدركت ذريتهم فآمن منهم من ذكر الله بموسى وانما قلت هذا القول أولى بالصواب في ذلك لانه لم يجر في هذه الآية ذكر لغير موسى فلأن تكون الهاء في قوله من قومه من ذكر موسى لقربها من ذكره أولى من أن تكون من ذكر فرعون لبعد ذكره منها اذ لم يكن بخلاف ذلك دليل من خبر ولا نظر وبعد فان في قوله على خوف من فرعون وملئهم الدليل الواضح على أن الهاء في قوله الا ذرية من قومه من ذكر موسى لا من ذكر فرعون لانها لو كانت من ذكر فرعون لكان الكلام على خوف منه ولم يكن على خوف من فرعون وأما قوله على خوف من فرعون فانه يعني على حال خوف ممن آمن من ذرية قوم موسى بموسى فتأويل الكلام فما آمن لموسى الا ذرية من قومه من بني اسرائيل وهم خائفون من فرعون وملئهم أن يفتنوهم وقد زعم بعض أهل العربية أنه انما قيل فما آمن لموسى الا ذرية من قومه لان الذين آمنوا به انما كانت أمهاتهم من بني اسرائيل وآباؤهم من القبط فقيل لهم الذرية من أجل ذلك كما قيل لابناء الفرس الذين أمهاتهم من العرب وآباؤهم من العجم أبناء والمعروف من معنى الذرية في كلام العرب أنها أعقاب من نسبت اليه من قبل الرجال والنساء كما قال الله جل ثناؤه ذرية من حملنا مع نوح وكما قال ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف ثم قال بعد وزكريا ويحيى وعيسى والياس فجعل من كان من قبل الرجال والنساء من ذرية ابراهيم وأما قوله وملئهم فان الملأ الاشراف وتأويل الكلام على خوف من فرعون ومن أشرافهم واختلف أهل العربية فيمن عني بالهاء والميم اللتين في قوله وملئهم فقال بعض نحويي البصرة عني بها الذرية وكأنه وجه الكلام الى فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملأ الذرية من بني اسرائيل وقال بعض نحويي الكوفة عني بهما فرعون قال وانما جاز ذلك وفرعون واحد لان الملك اذا ذكر لخوف أو سفر أو قدوم من سفر ذهب الوهم اليه والى من معه وقال ألا ترى أنك تقول قدم الخليفة فكثر الناس تريد بمن معه وقدم فغلت الاسعار لانا ننوي بقدومه قدوم من معه قال وقد يكون أن يريد بفرعون آل فرعون ويحذف آل فرعون فيجوز كما قال واسأل القرية يريد أهل القرية والله أعلم قال ومثله قوله يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن * وأولى الاقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال الهاء والميم عائدتان على الذرية ووجه معنى الكلام الى أنه على خوف من فرعون وملأ الذرية لأنه كان في ذرية القرن الذين أرسل اليهم موسى من كان أبوه قبطيا وأمه اسرائيلية فمن كان كذلك منهم كان مع فرعون على موسى وقوله أن يفتنهم يقول كان ايمان من آمن من ذرية قوم موسى على خوف من فرعون أن يفتنهم بالعذاب فيصدهم عن دينهم ويحملهم على الرجوع عن ايمانهم والكفر بالله وقال أن يفتنهم فوحد ولم يقل أن يفتنوهم (١) لدليل الخبر عن فرعون بذلك أن قومه كانوا على مثل ما كان عليه لما قد تقدم من قوله على خوف من فرعون وملئهم وقوله وان فرعون لعال في الارض يقول تعالى ذكره وان فرعون لجبار مستكبر على الله في أرضه وانه لمن المسرفين وانه لمن المتجاوزين الحق

(١) لعل في العبارة تحريفا شوشها والغرض ظاهر تأمل كتبه مصححه

الى الباطل وذلك كفره بالله وتركه الايمان به وجحوده وحدانية الله وادعاؤه لنفسه الالوهة وسفكه الدماء بغير حلها ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقال موسى ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل موسى نبيه لقومه ياقوم ان كنتم أقررتم بوحدانية الله وصدقتم بربوبيته فعليه توكلوا يقول فبه فثقوا ولأمره فسلموا فانه لن يخذل وليه ويسلم من توكل عليه ان كنتم مسلمين يقول ان كنتم مذعنين لله بالطاعة فعليه توكلوا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين﴾ يقول تعالى ذكره فقال قوم موسى لموسى على الله توكلنا أي به وثقنا واليه فوضنا أمرنا وقوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين يقول جل ثناؤه مخبرا عن قوم موسى أنهم دعوا ربهم فقالوا يا ربنا لا تختبر هؤلاء القوم الكافرين ولا تمتحنهم بنا يعنون قوم فرعون وقد اختلف أهل التأويل في المعنى الذي سألوه ربهم من اعاذته ابتلاء قوم فرعون بهم فقال بعضهم سألوه أن لا يظهرهم عليهم فيظنوا أنهم خير منهم وأنهم انما سلطوا عليهم لكرامتهم عليه وهوان الآخرين ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن عمران بن حدير عن أبي مجلز في قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين قال لا يظهروا علينا فيروا أنهم خير منا حدثني المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن عمران بن حدير عن أبي مجلز في قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين قال قالوا لا تظهرهم علينا فيروا أنهم خير منا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن أبيه عن أبي الضحى ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين قال لا تسلطهم علينا فيزدادوا فتنة ۞ وقال آخرون بل معنى ذلك لا تسلطهم علينا فيفتنونا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين لا تسلطهم علينا فيفتنونا حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين قال لا تسلطهم علينا فيضلونا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وقال أيضا فيفتنونا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين لا تعذبنا بأيدي قوم فرعون ولا بعذاب من عندك فيقول قوم فرعون لو كانوا على حق ما سلطنا عليهم ولا عذبوا فيفتتنوا بنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين قال لا تعذبنا بأيدي قوم فرعون ولا بعذاب من عندك فيقول قوم فرعون لو كانوا على حق ما سلطنا عليهم ولا عذبوا فيفتتنوا بنا حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد قوله لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين قال لا تصبنا بعذاب من عندك ولا بأيديهم فيفتتنوا ويقولوا لو كانوا على حق ما سلطنا عليهم وما عذبوا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله تعالى ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين لا تبتلنا ربنا فتجهدنا وتجعله فتنة لهم هذه الفتنة وقرأ فتنة للظالمين قال المشركون حين كانوا يؤذون النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين ويرمونهم أليس ذلك فتنة لهم وسوأ لهم وهي بلية للمؤمنين ۞ والصواب من

بالتوكل على الله فان ذلك هجيراي قديما وحديثا وإما قوله فأجمعوا وقوله فعلى الله توكلت اعتراض كقولك ان كنت أنكرت علي شيأ فالله حسبي فاعمل ماتريد ولا يحسن أن يقال ان الفاء الثانية عاطفة للاختلاف طلبا وخبرا ومعنى فأجمعوا أمركم اعزموا عليه من أجمع الامر اذا نواه وعزم عليه قاله الفراء وقال أبو الهيثم أجمع أمره أي جعله جميعا بعدما كان متفرقا وتفرقه أنه يقول مرة أفعل كذا ومرة أفعل كذا فلما عزم على أمر واحد فقد جمعه أي جعله جميعا فهذا هو الاصل في الاجماع ثم صار بمعنى العزم حتى وصل بعلى فقيل أجمعت على الامر أي عزمت عليه والفصيح أجمعت الامر والمراد بالامر وجوه مكرهم وكيدهم وانتصب شركاءكم على المفعول معه أي مع شركائكم ومن قرأ بالرفع جعله عطفا على الضمير المتصل وانما يحسن ذلك من غير تأكيد بالمنفصل للفصل والمراد بالشركاء اما من هم على مثل قولهم ودينهم واما الاصنام وحسن اسناد الاجماع اليهم على وجه التهكم كقوله قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون واعلم أنه عليه السلام قال في أول الامر فعلى الله توكلت ليدل على أنه واثق بوعد الله جازم بأن تهديدهم اياه بالقتل لا يضره ثم أورد عليهم ما يدل على صحة دعواه فقال فاجمعوا أمركم كأنه قال حصلوا كل ما تقدرون عليه من الاسباب المؤدية الى مطلوبكم غير مقتصرين على ذلك بل ضامين الى أنفسكم شركاءكم الذين تزعمون أن حالكم يقوى بمكانهم ثم ضم الى ذلك قيدا آخر فقال (ثم لا يكن أمركم عليكم غمة) قال أبو الهيثم أي مبهما من قولهم غم علينا الهلال فهو مغموم أي التبس وقال الليث يقال انه لفي غمة من أمره اذا لم يهتد له وقال الزجاج أي ليكن أمركم الذي أجمعتموه ظاهرا منكشفا أي تجاهروني بالاهلاك ويحتمل أن يراد بهذا الامر العيش والحال أي أهلكوني لئلا يكون عيشكم بسببي غصة وحالكم عليكم غمة أي غما وهما والغم والغمة كالكرب والكربة ثم زاد قيدا آخر فقال (ثم اقضوا الي) ذلك الامر الذي تريدون بي أي أدوا الي قطعه واحكموا بصحته وامضائه وعن القفال أن فيه تضمينا والمعنى ألقوا الي ما استقر عليه رأيكم محكما مفروغا منه ثم ختم الكلام

القول فى ذلك أن يقال ان القوم رغبوا الى الله فى أن يجيرهم من أن يكونوا محنة لقوم فرعون وبلاء وكل ما كان من أمر كان لهم مصدة عن اتباع موسى والاقرار به وبما جاءهم به فانه لا شك أنه كان لهم فتنة وكان من أعظم الامور لهم ابعادا من الايمان بالله ورسوله وكذلك من المصدة كان لهم عن الايمان أن لو كان قوم موسى عاجلتهم من الله محنة فى أنفسهم من بلية تنزل بهم فاستعاذ القوم بالله من كل معنى يكون صادا لقوم فرعون عن الايمان بالله بأسبابهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ونجنا برحمتك من القوم الكافرين﴾ يقول تعالى ذكره ونجنا يا ربنا برحمتك فخلصنا من أيدى القوم الكافرين قوم فرعون لانهم كانوا يستعبدونهم ويستعملونهم فى الاشياء القذرة من خدمتهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره وأوحينا الى موسى وأخيه أن اتخذا لقومكما بمصر بيوتا يقال منه تبوأ فلان لنفسه بيتا اذا اتخذه وكذلك تبوأ مصحفا اذا اتخذه وبوأته أنا بيتا اذا اتخذته له واجعلوا بيوتكم قبلة يقول واجعلوا بيوتكم مساجد تصلون فيها واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله واجعلوا بيوتكم قبلة فقال بعضهم فى ذلك نحو الذى قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن حميد عن عكرمة عن ابن عباس واجعلوا بيوتكم قبلة قال مساجد حدثنى المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس قوله واجعلوا بيوتكم قبلة قال أمروا أن يتخذوها مساجد * قال ثنا أبو غسان مالك بن اسمعيل قال ثنا زهير قال ثنا خصيف عن عكرمة عن ابن عباس فى قول الله تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة قال كانوا يفرقون من فرعون وقومه أن يصلوا فقال لهم اجعلوا بيوتكم قبلة يقول اجعلوها مسجدا حتى تصلوا فيها حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم واجعلوا بيوتكم قبلة قال خافوا فأمروا أن يصلوا فى بيوتهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور عن ابراهيم واجعلوا بيوتكم قبلة قال كانوا خائفين فأمروا أن يصلوا فى بيوتهم حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شبل عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله واجعلوا بيوتكم قبلة قال كانوا خائفين فأمروا أن يصلوا فى بيوتهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد واجعلوا بيوتكم قبلة قال كانوا لا يصلون الا فى البيع وكانوا لا يصلون الا خائفين فأمروا أن يصلوا فى بيوتهم * قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد قال كانوا خائفين فأمروا أن يصلوا فى بيوتهم * قال ثنا عبد الله عن اسرائيل عن السدى عن أبى مالك واجعلوا بيوتكم قبلة قال كانت بنو اسرائيل تخاف فرعون فأمروا أن يجعلوا بيوتهم مساجد يصلون فيها حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن سعد قال أخبرنا أبو جعفر عن الربيع بن أنس فى قوله واجعلوا بيوتكم قبلة يقول مساجد * قال ثنا أحمد بن يونس قال ثنا اسرائيل عن منصور عن ابراهيم واجعلوا بيوتكم قبلة قال كانوا يصلون فى بيوتهم يخافون حدثنا ابن وكيع قال ثنا زيد بن الحباب عن أبى سنان عن الضحاك أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا قال مساجد حدثنا

ابن

بقوله (ولا تنظرون) أى عجلوا ذلك بأشد ما تقدرون عليه من غير اهمال ومعلوم أن مثل هذا الكلام لا يصدر الا عمن بلغ فى التوكل الغاية القصوى ثم بين أن كل ما أتى به وان ذلك فارغ من الطمع الدنيوى والغرض الخسيس فقال (فان توليتم) أعرضتم عن نصحى وتذكيرى (فما سألتكم من أجر) فما كان عندى ما ينفركم

عنى وتتهموننى لاجله من طمع أو غرض عاجل (ان أجرى) ليس أجرى (الا على الله) أى ما نصحتكم الا لوجهه ولا يثنينى الا هو وفى الآية نكتة كأنه أراد أنه لا يخاف منهم بوجه من الوجوه لا بايصال الشر وذلك قوله فعلى الله توكلت الى آخره ولا بانقطاع الخير عنهم وذلك قوله فان توليتم الآية (وأمرت أن أكون من المسلمين) أى سواء قبلتم دين الاسلام أو لم تقبلوه فأنا مأمور بأن أكون على دين الاسلام أو مأمور بالاستسلام لكل ما ألقى من قبل هذه الدعوة (فكذبوه) بقوا على تكذيبهم الى آخر المدة المتطاولة (فنجيناه ومن معه فى الفلك) قد ذكرنا فى الأعراف الفرق بين هذه العبارة وبين ما هنالك (وجعلناهم خلائف) يخلفون الهالكين بالطوفان (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) تعظيم لشأن اهلاكهم وتحذير لغيرهم وتسلية للنبى صلى الله عليه وسلم (ثم بعثنا من بعده) من بعد نوح (رسلا) كهود وصالح وابراهيم ولوط وشعيب (فجاؤهم بالبينات) بالحجج الواضحات والمعجزات الباهرات (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل) الآية وقد مر تفسيرها فى أواسط الاعراف الا أنه زيد ههنا لفظة به فقيل لتناسب ما قبله وهو كذبوا بآياتنا وكذلك فى الاعراف راعى المناسبة لان ما قبله ولكن كذبوا بغير الباء (ثم بعثنا من بعدهم) بعد الرسل أو الامم (بآياتنا) يعنى الآيات التسع (فاستكبروا) عن قبولها (وكانوا قوما مجرمين) كفارا ذوى آثام ولذلك اجترؤا على رد الآيات أما قوله (أسحر هذا) فليس بمقول لقوله أتقولون لانهم قطعوا فى قوله ان هذا لسحر مبين بأنه سحر وما استفهموا ولكن الوجه فيه أن يقال ان القول ههنا بمعنى الطعن والعيب كالذكر فى قوله سمعنا فتى يذكرهم ومنه قولهم فلان يخاف القالة أى مطاعن الناس فكأنه قال أتعيبون الحق وتطعنون

ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم في قوله واجعلوا بيوتكم قبلة قال كانوا خائفين فأمروا أن يصلوا في بيوتهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واجعلوا بيوتكم قبلة قال قال أبى زيد اجعلوا في بيوتكم مساجدكم تصلون فيها تلك القبلة * وقال آخرون معنى ذلك واجعلوا مساجدكم قبل الكعبة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس واجعلوا بيوتكم قبلة يعني الكعبة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين قال قالت بنو اسرائيل لموسى لا نستطيع أن نظهر صلاتنا مع الفراعنة فأذن الله لهم أن يصلوا في بيوتهم وأمروا أن يجعلوا بيوتهم قبل القبلة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال قال ابن عباس في قوله واجعلوا بيوتكم قبلة يقول وجهوا بيوتكم مساجدكم نحو القبلة ألا ترى أنه يقول في بيوت أذن الله أن ترفع حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد واجعلوا بيوتكم قبلة قال قبل القبلة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بيوتكم قبلة قال نحو الكعبة حين خاف موسى ومن معه من فرعون أن يصلوا في الكنائس الجامعة فأمروا أن يجعلوا في بيوتهم مساجد مستقبلة الكعبة يصلون فيها سرا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد واجعلوا بيوتكم قبلة ثم ذكر مثله سواء * قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا مساجد * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا قال مصر الاسكندرية حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة قال وذلك حين منعهم فرعون الصلاة فأمروا أن يجعلوا مساجدهم في بيوتهم وأن يوجهوا نحو القبلة حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة بيوتكم قبلة قال نحو القبلة حدثنا ابن وكيع قال ثنا اسحق عن أبي سنان عن الضحاك وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا قال مساجد واجعلوا بيوتكم قبلة قال قبل القبلة * وقال آخرون معنى ذلك واجعلوا بيوتكم يقابل بعضها بعضا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمران بن عيينة عن عطاء عن سعيد بن جبير واجعلوا بيوتكم قبلة قال يقابل بعضها بعضا * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب القول الذي قدمنا بيانه وذلك أن الأغلب من معاني البيوت وان كانت المساجد بيوتا البيوت المسكونة اذا ذكرت باسمها المطلق دون المساجد لان المساجد لها اسم هي به معروفة خاص لها وذلك المساجد فأما البيوت المطلقة بغير وصلها بشئ ولا اضافتها الى شئ فالبيوت المسكونة وكذلك القبلة الأغلب من استعمال الناس اياها في قبل المساجد وللصلوات فاذا كان ذلك كذلك وكان غير جائز توجيه معاني كلام الله الا الى الأغلب من وجوهها المستعمل بين أهل اللسان الذي نزل به دون الخفي المجهول ما لم تأت دلالة تدل على غير ذلك ولم يكن على قوله واجعلوا بيوتكم قبلة دلالة تقطع

فيه ثم أنكر عليهم قولهم فقال أسحر هذا أو يقال مفعول تقولون محذوف وهو قولهم ان هذا السحر مبين أو يقال جملة قوله أسحر هذا ولا يفلح الساحرون حكاية لكلامهم كأنهم قالوا منكرين لما جاءه أجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح السحرة لان حاصل صنيعهم تخييل وتمويه (قالوا أجئتنا لتلفتنا) التركيب يدل على الالتواء ومنه الفتل والالتفات افتعال من اللفت وهو الصرف واللى (وتكون لكما الكبرياء في الارض) أى الملك والعز في أرض مصر قال الزجاج سمى الملك كبرياء لانه أكبر ما يطلب من أمر الدنيا وأيضا فالنبي صلى الله عليه وسلم اذا اعترف القوم بصدقه صارت مقاليد أمر أمته اليه وصار أكبر القوم وقيل لان الملوك موصوفون بالكبر والحاصل أنهم عللوا عدم قبولهم دعوة موسى بأمرين التمسك بالتقليد وهو عبادة آبائهم الاصنام والحرص في طلب الدنيا والجد في بقاء الرياسة ويجوز أن يقصدوا ذمهما وأنهما ان ملكا أرض مصر تجبرا وتكبرا ثم صرحوا بالتكذيب قائلين (وما نحن لكما بمؤمنين) ثم حاولوا المعارضة وقد مرت تلك القصة في الاعراف أما قوله ما جئتم به فمعناه الذي جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون وقومه سحرا من آيات الله قال الفراء وانما قال السحر بالالف واللام لانه جواب الكلام الذي سبق كأنهم قالوا لموسى ما جئت به سحر فقال موسى بل ما جئتم به السحر فوجب دخول الالف واللام لان النكرة اذا عادت عادت معرفة يقول الرجل لغيره لقيت رجلا فيقول له من الرجل ولو قال من رجل لم يقع في وهمه أنه يسأل عن الرجل الذي ذكره ومن قرأ آلسحر بالاستفهام فالاستفهامية مبتدأ وجئتم به خبره كأنه قيل أى شئ جئتم به ثم قال على وجه التوبيخ آلسحر أى أهو سحر أو السحر جئتم به (ان الله سيبطله) باظهار المعجزة عليه (ان الله لا يصلح عمل المفسدين) لا يؤيده بتكميل الخاتمة (ويحق الله الحق) يثبته (بكلماته) بمواعيده أو بما سبق من قضائه أو بأوامره (فما آمن لموسى) أى في أول أمره (الا ذرية من قومه) قال ابن عباس لفظة الذرية يعبر بها عن القوم على وجه التحقير ولا ريب أن المراد ههنا ليس هو الاهانة فالمراد التصغير بمعنى قلة العدد وقيل المراد

أولادمن أولاد قومه كأنه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون وأجابته طائفة من أبنائهم مع الخوف من فرعون أن يصرفهم عن دينهم بتسليط أنواع البلاء عليهم وقيل ان الذرية أقوام كان آباؤهم من قوم فرعون وأمهاتهم من بني اسرائيل وقيل الذرية مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وامرأة خازنه وماشطته فالضمير في قومه على هذا لفرعون وعوده الى موسى أظهر لانه أقرب المذكورين ولما نقل أن الذين آمنوا به كانوا من بني اسرائيل والضمير في (ملئهم) اما لفرعون على جهة التعظيم لانه ذو أصحاب يأتمرون له أو المراد آل فرعون بحذف المضاف أو للذرية يعني أشراف بني اسرائيل لانهم كانوا يمنعون أعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى أنفسهم يدل على ذلك قوله (أن يفتنهم) أي يعذبهم فرعون ثم أكد أسباب الخوف بقوله (وان فرعون لعال) لغالب (في الارض) أرض مصر (وانه لمن المسرفين) في القتل والتعذيب أو لمن المجاوزين الحد لانه من أخس العبيد فادعى الربوبية العليا (وقال موسى) تثبيتا لقومه (ان كنتم آمنتم بالله) صدقتم به وبآياته (فعليه توكلوا) خصوه بتفويض أموركم اليه (ان كنتم مسلمين) قال العلماء المؤخر في مثل هذه السورة مقدم في المعنى نظيره ان ضربك زيد فاضربه ان كانت بك قوة والمراد ان كانت بك قوة فان ضربك زيد فاضربه فكأنه قيل لهم في حال اسلامهم ان كنتم منقادين لتكاليف ربكم بالاخلاص مصدقين له بالتحقيق عارفين أنه واجب الوجود لذاته وما سواه محدث مخلوق مقهور تحت حكمه وتدبيره ففوضوا جميع أموركم اليه وحده (فقالوا) مؤتمرين لموسى (على الله توكلنا) ثم اشتغلوا بالدعاء قائلين (ربنا لا تجعلنا فتنة) أي موضع فتنة لهم والمراد بالفتنة تعذيبهم أو صرفهم عن دينهم أو المراد لا تفتن بنا فرعون وقومه لانك لو سلطتهم علينا صار من ذلك شبهة لهم في أنا لسنا على الحق ويجوز أن تكون الفتنة بمعنى المفتون أي لا تجعلنا مفتونين بأن تمكنهم من صرفنا عن الدين الحق ولما قدموا التضرع الى الله في أن يصون دينهم عن الفساد أتبعوه سؤال عصمة أنفسهم فقالوا (ونجنا) الآية وفي ذلك دليل على أن عنايتهم

العذر بأن معناه غير الظاهر المستعمل في كلام العرب لم يجز لنا توجيهه الى غير الظاهر الذي وصفنا وكذلك القول في قوله قبلة وأقيموا الصلاة يقول تعالى ذكره وأدوا الصلاة المفروضة بحدودها في أوقاتها وقوله وبشر المؤمنين يقول جل ثناؤه لنبيه عليه السلام وبشر مقيمي الصلاة المطيعي الله يا محمد المؤمنين بالثواب الجزيل منه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) يقول تعالى ذكره وقال موسى يا ربنا انك أعطيت فرعون وكبراء قومه وأشرافهم وهم الملأ زينة من متاع الدنيا وأثاثها وأموالا من أعيان الذهب والفضة في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك يقول موسى لربه ربنا أعطيتهم ما أعطيتهم من ذلك ليضلوا عن سبيلك واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه بعضهم ليضلوا عن سبيلك بمعنى ليضلوا الناس عن سبيلك ويصدوهم عن دينك وقرأ ذلك آخرون ليضلوا عن سبيلك بمعنى ليضلوا هم عن سبيلك فيجوروا عن طريق الهدى فان قال قائل أفكان الله جل ثناؤه أعطى فرعون وقومه ما أعطاهم من زينة الدنيا وأموالها ليضلوا الناس عن دينه أو ليضلوا هم عنه فان كان لذلك أعطاهم ذلك فقد كان منهم ما أعطاهم لأجله فلا عتب عليهم في ذلك قيل ان معنى ذلك بخلاف ما توهمت وقد اختلف أهل العلم بالعربية في معنى هذه اللام التي في قوله ليضلوا فقال بعض نحويي البصرة معنى ذلك ربنا فضلوا عن سبيلك كما قال فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا أي فكان لهم وهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوا وحزنا وانما التقطوه فكان لهم قال فهذه اللام تجيء في هذا المعنى وقال بعض نحويي الكوفة هذه اللام لام كي ومعنى الكلام ربنا أعطيتهم ما أعطيتهم كي يضلوا ثم دعا عليهم وقال آخر هذه اللامات في قوله ليضلوا وليكون لهم عدوا وما أشبهها بتأويل الخفض آتيتهم ما آتيتهم لضلالهم والتقطوه لكونه لانه قد آلت الحالة الى ذلك والعرب تجعل لام كي في معنى لام الخفض ولام الخفض في معنى لام كي لتقارب المعنى قال الله تعالى يحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم أي لاعراضكم ولم يحلفوا لاعراضهم وقال الشاعر

سموت ولم تكن أهلا لتسمو ✽ ولكن المضيع قد يصاب

قال فانما يقال وما كنت أهلا للفعل ولا يقال لتفعل الا قليلا قال وهذا منه ✽ والصواب من القول في ذلك عندي أنها لام كي ومعنى الكلام ربنا أعطيتهم ما أعطيتهم من زينة الحياة الدنيا والاموال لتفتنهم فيه ويضلوا عن سبيلك عبادك عقوبة منك وهذا كما قال جل ثناؤه لأسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه وقوله ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم هذا دعاء من موسى دعا الله على فرعون وملئه أن يغير أموالهم عن هيئتها ويبدلها الى غير الحال التي هي بها وذلك نحو قوله من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها يعني به من قبل أن نغيرها عن هيئتها التي هي بها يقال منه طمست عنه أطمسها وأطمسها طمسا وطموسا وقد تستعمل العرب الطمس في العفو والدثور وفي الاندقاق والدروس كما قال كعب بن زهير

من كل نضاخة الذفرى اذا عرقت ✽ عرضتها طامس الاعلام مجهول

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك في هذا الموضع فقال جماعة منهم فيه مثل قولنا ذكر

مصالح الدين فوق اهتمامهم بمصالح النفس وهكذا يجب أن تكون عقيدة كل مسلم والله الموفق (وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا) تبوأ بالمكان اتخذه مباءة ومرجعا مثل توطنه اذا اتخذه وطنا واختلف المفسرون في البيوت فمنهم من ذهب الى أنها المساجد كقوله في بيوت أذن الله أن ترفع فالمراد من قوله واجعلوا بيوتكم قبلة أن يجعل تلك البيوت مساجد متوجهة نحو القبلة وهي جهة بيت المقدس أو الكعبة على ما نقل عن ابن عباس وقال الحسن الكعبة قبلة كل الانبياء وانما وقع العدول عنه بأمر الله تعالى في أيام نبينا صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة ومنهم من قال انها مطلق البيوت ثم قيل المراد واجعلوا دوركم قبلة أي صلوا في بيوتكم وقيل المراد اجعلوا بيوتكم متقابلة أما السبب في اتخاذ هذه البيوت فأن يصلوا في بيوتهم خفية خيفة من الكفرة كما كان المؤمنون على ذلك في أول الاسلام بمكة أو المقصود الجمعية واعتضاد البعض بالبعض وقيل على التفسير الاول لما أظهر فرعون العداوة الشديدة أمر الله موسى وهرون وقومهما باتخاذ المساجد على رغم الاعداء وتكفل أن يصونهم عن شرهم وانما ثنى الخطاب أولا ثم جمع لان اختيار المكان للعبادة مما يفوض الى الانبياء فخوطب موسى وهرون بذلك ثم جعل الخطاب عاما لهما ولقومهما لان استقبال القبلة واقامة الصلاة واجب على الجمهور ثم خص موسى عليه السلام بالتبشير في قوله (وبشر المؤمنين) لان الغرض الأصلي من جميع العبادات هو هذه البشارة فلم تكن لائقة الا بمن هو الأصل في الرسالة وفيه تعظيم لشأن البشارة والمبشر (قال الضعيف مؤلف الكتاب) قد سنح في خاطري وقت هذه الكتابة أن الخطاب في قوله وبشر المؤمنين لنبينا صلى الله عليه وسلم على طريقة الالتفات والاعتراض ومضمون البشارة أنه جعلت الارض كلها لهذه الامة مسجدا وطهورا دون سائر الامم فانهم أمروا باتخاذ موضع يرجعون اليه البتة للعبادة والله أعلم بمراده ثم ان موسى عليه السلام لما بالغ في اظهار المعجزات القاهرة ورأى القوم مصرين على الجحود والانكار أخذ يدعو عليهم ومن حق من يدعو على الغير أن يذكر أولا

من قال ذلك حدثني زكريا بن يحيى بن زائدة قال ثنا حجاج قال ثني ابن جريج عن عبد الله ابن كثير قال بلغنا عن القرظي في قوله ربنا اطمس على أموالهم قال اجعل سكرهم حجارة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير عن محمد بن كعب القرظي قال اجعل سكرهم حجارة حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية اطمس على أموالهم قال اجعلها حجارة حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن سعد قال ثنا أبو جعفر عن الربيع بن أنس في قوله اطمس على أموالهم قال صارت حجارة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ربنا اطمس على أموالهم قال بلغنا أن زروعهم تحولت حجارة حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ربنا اطمس على أموالهم قال بلغنا أن حروثا لهم صارت حجارة حدثنا المثنى قال ثنا قبيصة بن عقبة قال ثنا سفيان ربنا اطمس على أموالهم قال يقولون صارت حجارة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا يحيى الحماني قال أخبرنا ابن المبارك عن اسمعيل عن أبي صالح في قوله ربنا اطمس على أموالهم قال صارت حجارة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ربنا اطمس على أموالهم قال بلغنا أن حروثا لهم صارت حجارة حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله ربنا اطمس على أموالهم قال جعلها الله حجارة منقوشة على هيئة ما كانت حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ربنا اطمس على أموالهم قال قد فعل ذلك وقد أصابهم ذلك طمس على أموالهم فصارت حجارة ذهبهم ودراهمهم وعدسهم وكل شئ * وقال آخرون بل معنى ذلك أهلكها ذكر من قال ذلك حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ربنا اطمس على أموالهم قال أهلكها حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ربنا اطمس على أموالهم يقول دمر عليهم وأهلك أموالهم وأما قوله واشدد على قلوبهم فانه يعني واطبع عليها حتى لا تلين ولا تنشرح بالايمان كما حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس وقال موسى قبل أن يأتي فرعون ربنا اشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فاستجاب الله له وحال بين فرعون وبين الايمان حتى أدركه الغرق فلم ينفعه الايمان حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس واشدد على قلوبهم يقول واطبع على قلوبهم حتى يروا العذاب الاليم وهو الغرق حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد واشدد على قلوبهم بالضلالة قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد واشدد على قلوبهم قال بالضلالة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثت

سبب الدعاء عليه فلهذا (قال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا) فالزينة عبارة عن الصحة والجمال واللباس والدواب وأثاث البيت والاموال ما يزيد على ذلك من الصامت والناطق عن ابن عباس كانت لهم من فسطاط مصر الى أرض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة قالت الاشاعرة اللام

في قوله (ليضلوا) لام التعليل كأن موسى عليه السلام قال يارب انك أعطيتهم هذه الزينة والاموال لاجل أن يضلوا ففيه دلالة على أنه تعالى تسبب لضلالهم وأراده منهم ذلك والامر يهيء أسبابه ثم شرع في الدعاء عليهم بالطمس على أموالهم والطمس المحو أو المسخ كما مر في سورة النساء في قوله سبحانه من قبل أن نطمس وجوها وبالشد على قلوبهم ومعناه الاستيثاق والختم وقالت المعتزلة قوله ليضلوا دعاء بلفظ الامر للغائب دعا عليهم بثلاثة أمور بالضلال وبالطمس وبالشد كأنه لما علم بالتجربة وطول الصحبة أن ايمانهم كالمحال أو علم ذلك بالوحي اشتد غضبه عليهم فدعا الله عليهم عالما أنه لا يكون غيره قائلا ليثبتوا على ماهم عليه من الضلال وليطبع الله على قلوبهم كما يقول الاب المشفق لولده اذا لم يقبل نصحه واستمر على غيه سلمنا أن قوله ليضلوا ليس دعاء عليهم لكن اللام فيه للعاقبة كقوله لدوا للموت سلمنا أن اللام للتعليل لكنهم جعلوا نعمة الله سببا في الضلال فكأنهم أوتوها ليضلوا ولم لا يجوز أن يكون لا مقدرة أي لئلا يضلوا كقوله يبين الله لكم أن تضلوا أي أن لا تضلوا أو يكون حرف الاستفهام مقدرا في آتيت على سبيل التعجب أما قوله تعالى (فلا يؤمنوا) فاما أن يكون معطوفا على قوله ليضلوا على التفاسير كلها وما بينهما اعتراض واما أن يكون جوابا لقوله واشدد ويجوز أن يكون دعاء بلفظ النهي معطوفا على اشدد (قال قد أجيبت دعوتكما) أضاف الدعوة اليهما لان موسى كان يدعو وهرون يؤمن ويجوز أن يكونا جميعا يدعوان الا أنه خص موسى بالذكر في الآية الاولى لاصالته في الرسالة والمعنى أن دعاءكما مستجاب وما طلبتما كائن ولكن في وقته (فاستقيما) فاثبتا على ما أنتما عليه من التبليغ والانذار زيادة في الزام الحجة ولا تستعجلا فقد لبث نوح في قومه

عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله واشدد على قلوبهم يقول أهلكهم كفارا وأما قوله فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فان معناه فلا يصدقوا بتوحيد الله ويقروا بوحدانيته حتى يروا العذاب الموجع كما حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فلا يؤمنوا بالله فيما يرون من الآيات حتى يروا العذاب الاليم حدثني المثنى قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله * قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال سمعت المنقري يقول فلا يؤمنوا يقول دعا عليهم واختلف أهل العربية في موضع يؤمنوا فقال بعض نحويي البصرة هو نصب لان جواب الامر بالفاء أو يكون دعاء عليهم اذ عصوا وقد حكي عن قائل هذا القول أنه كان يقول هو نصب عطفا على قوله ليضلوا عن سبيلك وقال آخر منهم وهو قول نحويي الكوفة موضعه جزم على الدعاء من موسى عليهم بمعنى فلا آمنوا كما قال الشاعر

فلا ينبسط من بين عينيك ما انزوى * ولا تلقني الا وأنفك راغم

بمعنى فلا انبسط من بين عينيك ما انزوى ولا لقيتني على الدعاء وكان بعض نحويي الكوفة يقول هو دعاء كأنه قال اللهم فلا يؤمنوا قال وان شئت جعلتها جوابا لمسئلته اياه لان المسئلة خرجت على لفظ الامر فتجعل فلا يؤمنوا في موضع نصب على الجواب وليس بسهل قال ويكون كقول الشاعر

يا ناق سيري عنقا فسيحا * الى سليمان فنستريحا

قال وليس الجواب بسهل في الدعاء لانه ليس بشرط * والصواب من القول في ذلك أنه في موضع جزم على الدعاء بمعنى فلا آمنوا وانما اخترت ذلك لان ما قبله دعاء وذلك قوله ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فالحاق قوله فلا يؤمنوا اذ كان في سياق ذلك بمعناه أشبه وأولى وأما قوله حتى يروا العذاب الاليم فان ابن عباس كان يقول معناه حتى يروا الغرق وقد ذكرنا الرواية عنه بذلك من بعض وجوهها فيما مضى حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال ابن عباس فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم قال الغرق ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) وهذا خبر من الله عن اجابته لموسى صلى الله عليه وسلم وهرون دعاءهما على فرعون وأشراف قومه وأموالهم يقول جل ثناؤه قال الله لهما قد أجيبت دعوتكما في فرعون وملئه وأموالهم فان قال قائل وكيف نسبت الاجابة الى اثنين والدعاء انما كان من واحد قيل ان الداعي وان كان واحدا فان الثاني كان مؤمنا وهو هرون فلذلك نسبت الاجابة اليهما لان المؤمن داع وكذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن جريج عن رجل عن عكرمة في قوله قد أجيبت دعوتكما قال كان موسى يدعو وهرون يؤمن فذلك قوله قد أجيبت دعوتكما وقد زعم بعض أهل العربية أن العرب تخاطب الواحد خطاب الاثنين وأنشد في ذلك

فقلت لصاحبي لا تعجلانا * بنزع أصوله واجتز شيحا

ألف سنة الا قليلا قال ابن جريج فمكث موسى بعد الدعاء أربعين سنة يدعوهم الى الله (ولا تتبعانّ سبيل الذين لا يعلمون) أن الاستعجال لا يفيد في اجابة الدعاء فقد يستجاب الدعاء ولكن يظهر الاثر بعد حين (وجاوزنا ببني اسرائيل البحر) قد مرت تلك القصة في أوائل سورة البقرة في قوله واذ فرقنا بكم البحر الآية ومعنى قوله (فأتبعهم) لحقهم (١١١) يقال تبعه حتى أتبعه والبغي الافراط في الظلم والعدو مجاوزة الحد وفي الآية سؤال وهو أن فرعون تاب ثلاث مرات احداها قوله آمنت وثانيتها (أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل) وثالثتها (وأنا من المسلمين) فلم تقبل توبته والجواب من وجوه الاول أنه ايمان اليائس وانه لا يقبل لان الالجاء ينافي التكليف الثاني انها لم تكن مقرونة بالاخلاص وانما كانت لدفع البلية الحاضرة والمحنة الناجزة الثالث أن ذلك التوحيد كان مبنيا على محض التقليد والخذول كان من الدهرية المنكرين لوجود الصانع ومثل هذا الاعتقاد الفاحش لا تزول ظلمته الا بنور الحجة القطعية الرابع ماروى أن بعض بني اسرائيل لما جاوزوا البحر اشتغلوا بعبادة العجل فلعله أراد الايمان بذلك العجل الذي آمنوا بعبادته في ذلك الوقت وكانت هذه الكلمة سببا لزيادة الكفر الخامس أن أكثر اليهود يميلون الى التجسيم والتشبيه ولذلك عبدوا العجل فكأنه ما آمن الا بالاله الموصوف بالجسمية والحلول والنزول السادس لعل الايمان انما يتم بالاقرار بوحدانية الله تعالى وبنبوة موسى كما أنه لو قال ألف مرة لا اله الا الله لم يصح ايمانه الا اذا قرن به محمد رسول الله الى الناس كافة السابع يروى أن جبريل عليه السلام أتى فرعون بفتيا ماقول الامير في عبد نشأ في مال مولاه ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون فيه يقول أبو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعمته أن يغرق في البحر ثم ان فرعون لما غرق دفع جبريل اليه خطه فعرفه أما قوله (آلآن) فالمشهور من الأخبار أنه قول جبريل وقيل انه قول الله سبحانه والتقدير أتؤمن الساعة في وقت الاضطرار حين أدركك الغرق وأدركت وقوله (وكنت من المفسدين) في مقابلة قوله

حدثنا ابن وكيع قال ثنا زكريا بن عدي عن ابن المبارك عن اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح قال قد أجيبت دعوتكما قال دعا موسى وأمّن هرون حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي وزيد بن حباب عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب قال دعا موسى وأمّن هرون * قال ثنا أبو معاوية عن شيخ له عن محمد بن كعب قال دعا موسى وأمّن هرون حدثنا المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية قال قد أجيبت دعوتكما قال دعا موسى وأمّن هرون * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن سعد وعبد الله بن أبي جعفر عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس قال دعا موسى وأمّن هرون فذلك قوله قد أجيبت دعوتكما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن رجل عن عكرمة في قوله قال قد أجيبت دعوتكما قال كان موسى يدعو وهرون يؤمّن فذلك قوله قد أجيبت دعوتكما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قد أجيبت دعوتكما لموسى وهرون * قال ابن جريج قال عكرمة أمّن هرون على دعاء موسى فقال الله قد أجيبت دعوتكما فاستقيما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد كان هرون يقول آمين فقال الله قد أجيبت دعوتكما فصار التأمين دعوة صار شريكه فيها وأما قوله فاستقيما فانه أمر من الله تعالى لموسى وهرون بالاستقامة والثبات على أمرهما من دعاء فرعون وقومه الى الاجابة الى توحيد الله وطاعته الى أن يأتيهم عقاب الله الذي أخبرهما أنه أجابهما فيه كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس فاستقيما فامضيا لأمري وهي الاستقامة * قال ابن جريج يقولون ان فرعون مكث بعد هذه الدعوة أربعين سنة وقوله ولا تتبعانّ سبيل الذين لا يعلمون يقول ولا تسلكانّ طريق الذين يجهلون حقيقة وعدي فتستعجلان قضائي فان وعدي لا خلف له وان وعيدي نازل بفرعون وعذابي واقع به وبقومه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين) يقول تعالى ذكره وقطعنا ببني اسرائيل البحر حتى جاوزوه فأتبعهم فرعون يقول فتبعهم فرعون وجنوده يقال منه أتبعته وتبعته بمعنى واحد وقد كان الكسائي فيما ذكر أبو عبيد عنه يقول اذا أريد أنه أتبعهم خيرا أو شرا فالكلام أتبعهم بهمز الالف واذا أريد اتبع أثرهم أو اقتدى بهم فانه من اتبعت مشددة التاء غير مهموزة الالف بغيا على موسى وهرون ومن معهما من قومهما من بني اسرائيل وعدوا يقول واعتداء عليهم وهو مصدر من قولهم عدا فلان على فلان في الظلم يعدو عليه عدوا مثل غزا يغزو غزوا وقد روى عن بعضهم أنه كان يقرأ بغيا وعدوّا وهو أيضا مصدر من قولهم عدا يعدو عدوّا مثل علا يعلو علوّا حتى اذا أدركه الغرق يقول حتى اذا أحاط به الغرق وفي الكلام متروك قد ترك ذكره بدلالة ما ظهر من الكلام عليه وذلك فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا فيه فغرقناه حتى اذا أدركه الغرق وقوله قال آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل فرعون حين أشرف على الغرق وأيقن بالهلكة آمنت يقول أقررت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأ بعضهم وهو قراءة عامة

المدينة والبصرة أنه بفتح الالف من أنه على اعمال آمنت فيها ونصبها به وقرأ آخرون آمنت انه بكسر الالف من انه على ابتداء الخبر وهى قراءة عامة الكوفيين والقول فى ذلك عندى أنهما قراءتان متقاربتا المعنى وبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا موسى بن عبيدة عن محمد ابن كعب عن عبدالله بن شداد قال اجتمع يعقوب وبنوه الى يوسف وهم اثنان وسبعون وخرجوا مع موسى من مصر حين خرجوا وهم ستمائة ألف فلما أدركهم فرعون فرأوه قالوا ياموسى أين المخرج فقد أدركنا قد كنا نلقى من فرعون البلاء فأوحى الله الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ويبس لهم البحر وكشف الله عن وجه الارض وخرج فرعون على فرس حصان أدهم على لونه من الدهم ثمانمائة ألف سوى ألوانها من الدواب وكانت تحت جبريل عليه السلام فرس وديق ليس فيها أنثى غيرها وميكائيل يسوقهم لا يشذ رجل منهم الا ضمه الى الناس فلما خرج آخر بنى اسرائيل دنا منه جبريل ولصق به فوجد الحصان ريح الانثى فلم يملك فرعون من أمره شيأ وقال أقدموا فليس القوم أحق بالبحر منكم ثم أتبعهم فرعون حتى اذا هم أولهم أن يخرجوا ارتطم ونادى فيها آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين ونودى الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس * وعن عدى بن ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال رفعه أحدهما الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان جبرائيل كان يدس فى فم فرعون الطين مخافة أن يقول لا اله الا الله حدثنى الحسين بن عمرو بن محمد العنقزى قال ثنا أبى قال ثنا شعبة عن عطاء بن السائب عن عدى بن ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال جعل جبرائيل عليه السلام يدس أو يحشو فى فم فرعون الطين مخافة أن تدركه الرحمة حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن كثير بن زاذان عن أبى حازم عن أبى هريرة قال قال النبى صلى الله عليه وسلم قال لى جبرائيل يا محمد لو رأيتنى وأنا أغطه وأدس من حمئه فى فيه مخافة أن تدركه رحمة الله فيغفر له يعنى فرعون حدثنى المثنى قال ثنا حجاج قال ثنا حماد عن على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لما أغرق الله فرعون قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل فقال جبرائيل يا محمد لو رأيتنى وأنا آخذ من حمأة البحر وأدسه فى فيه مخافة أن تدركه الرحمة حدثنى المثنى قال ثنى عمرو عن حكام قال ثنا شعبة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لما قال فرعون لا اله الا الله جعل جبرئيل يحشو فى فيه الطين والتراب حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال أخبرنى من سمع ميمون بن مهران يقول فى قوله آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل قال أخذ جبرئيل من حمأة البحر فضرب بها فاه أو قال ملأ بها فاه مخافة أن تدركه رحمة الله حدثنا ابن وكيع قال ثنا الحسين بن على عن جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران قال خطب

وأنا من المسلمين يروى أن جبريل أخذ يملأ فاه بالطين حين قال آمنت لئلا يتوب غضبا عليه والاقرب عند العلماء أن هذا الخبر غير صحيح لانه ان قال ذلك حين بقاء التكليف لم يجز على جبريل أن يمنعه من التوبة بل يجب أن يحثه عليها وعلى كل طاعة لقوله تعالى وتعاونوا ولو منعه لكانت التوبة ممكنة لان الاخرس قد يتوب بان يعزم بقلبه على ترك المعاودة الى القبيح ولو منعه من التوبة لكان قد رضى ببقائه على الكفر والرضا بالكفر كفر وكيف يليق به سبحانه أن يقول لموسى وهرون فقولا له قولا لينا ثم يأمر جبريل بمنعه عن الايمان ولو قيل ان جبريل فعل ذلك من تلقاء نفسه كان منافيا لقوله وما نتنزل الا بأمر ربك لا يسبقونه بالقول وان كان قال ذلك بعد زوال التكليف فلم يكن لما فعل جبريل فائدة اللهم الا أن يقال انه دس حال البحر فى فيه فى وقت لا ينفعه ايمانه غضبا الله على الكافر قوله (فاليوم ننجيك ببدنك) فيه أقوال منها أن معناه نخرجك من البحر ونخلصك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ولكن بعد أن تغرق وقوله ببدنك فى موضع الحال أى فى الحال التى لا روح فيك وانما أنت بدن قال كعب رماه الماء الى الساحل كأنه ثور أو المراد ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه شئ ولم يتغير أو عريانا لست الا بدنا وفيه نوع تهكم كأنه قيل ننجيك لكن هذه النجاة انما تحصل لبدنك لا لروحك كما يقال نعتقك أو نخلصك من السجن ولكن بعد أن تموت وقيل ننجيك ببدنك أى نلقيك بنجوة من الارض وهى المكان المرتفع وقيل ببدنك أى بدرعك قال الليث البدن الدرع القصير الكمين عن ابن عباس قال كان عليه درع من ذهب يعرف بها فأخرجه الله من الماء مع ذلك الدرع ليعرف فان صحت هذه الرواية كانت معجزة لموسى عليه السلام وأما قوله (لتكون لمن خلفك آية) فقيل ان قوما اعتقدوا فى الهيته وزعموا أن مثله لا يموت فأظهر الله تعالى أمره بأن أخرجه من الماء بصورته حتى يشاهدوه وزالت الشبهة عن قلوبهم وكانت مطروحة على ممر من بنى اسرائيل فلهذا قيل لمن خلفك وقيل انه تعالى أراد أن يشاهده الخلق على ذلك الذل والاهانة بعد

الضحاك

الضحاك بن قيس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان فرعون كان عبدا طاغيا ناسيا الذكر الله فلما أدركه الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين قال الله آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين * قال ثنى أبي عن شعبة عن عدي بن ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن فرعون لما أدركه الغرق جعل جبرئيل يحثو في فيه التراب خشية أن يغفر له * قال ثنا محمد بن عبيد عن عيسى بن المغيرة عن ابراهيم التيمي أن جبرئيل عليه السلام قال ما خشيت على أحد من بني آدم الرحمة الا فرعون فانه حين قال ما قال خشيت أن تصل الى الرب فيرحمه فأخذت من حمأة البحر وزبده فضربت به عينيه ووجهه . قال أخبرنا أبو خالد الاحمر عن عمر بن يعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال جبرئيل عليه السلام لقد حشوت فاه الحمأة مخافة أن تدركه الرحمة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين﴾ يقول تعالى ذكره معرفا فرعون قبيح صنيعه أيام حياته واساءته الى نفسه أيام صحته بتماديه في طغيانه ومعصيته ربه حين فزع اليه في حال حلول سخطه به ونزول عقابه مستجيرا به من عذابه الواقع به لما ناداه وقد علته أمواج البحر وغشيته كرب الموت آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين له المنقادين بالذلة له المعترفين بالعبودية آلآن تقر لله بالعبودية وتستسلم له بالذلة وتخلص له الالوهة وقد عصيته قبل نزول نقمته بك فأسخطته على نفسك وكنت من المفسدين في الارض الصادين عن سبيله فهلا وأنت في مهل وباب التوبة لك منفتح أقررت بما أنت به الآن مقر ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن آياتنا الغافلون﴾ يقول تعالى ذكره لفرعون فاليوم نجعلك على نجوة من الارض ببدنك ينظر اليك هالكا من كذب بهلاكك لتكون لمن خلفك آية يقول لمن بعدك من الناس عبرة يعتبرون بك فينزجرون عن معصية الله والكفر به والسعي في أرضه بالفساد والنجوة الموضع المرتفع على ما حوله من الارض ومنه قول أوس بن حجر

فمن بعقوته كمن بنجوته * والمستكن كمن يمشي بقرواح

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمن عن أبيه عن أبي السليل عن قيس بن عباد وغيره قال قالت بنو اسرائيل لموسى انه لم يمت فرعون قال فأخرجه الله اليهم ينظرون اليه مثل الثور الاحمر حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن سعيد الجريري عن أبي السليل عن قيس بن عباد قال وكان من أكثر الناس أو أحدث الناس عن بني اسرائيل قال فحدثنا ان أول جنود فرعون لما انتهى الى البحر هابت الخيل اللهب قال ومثل لحصان منها فرس وديق فوجد ريحها أحسبه أنا قال فانسل فاتبعته قال فلما تتام آخر جنود فرعون في البحر وخرج آخر بني اسرائيل أمر البحر فانطبق عليهم فقالت بنو اسرائيل ما مات فرعون وما كان ليموت أبدا فسمع الله تكذيبهم نبيه قال فرمى به على الساحل كأنه ثور أحمر يتراآه بنو اسرائيل حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب عن عبد الله بن شداد فاليوم ننجيك ببدنك قال بدنه جسده رمى به البحر حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح

ما سمعوا منه قوله أنا ربكم الأعلى ليكون ذلك زجرا للعابرين عن مثل طريقته ويعرفوا أنه كان بالامس في نهاية الجلالة ثم آل أمره الى ما آل فلا يجترؤا على نحو ما اجترأ عليه وقيل المراد لكون طرحك بالساحل وحدك دون المغرقين آية من آيات الله للامم الآتية ثم زجر هذه الامة عن ترك النظر في الدلائل وحثهم على التأمل والاعتبار فقال (وان كثيرا من الناس عن آياتنا الغافلون)

۞ التأويل وآتل عليهم نبأ نوح الروح اذ قال لقومه وهم القلب والسر والنفس وصفاتها يا قوم ان كان عظم عليكم مقامي في الاخلاق الحميدة الروحانية ودعائي الى الله ببراهينه الواضحة فما سألتكم من أجر من حظ من حظوظ مشاربكم الدنيوية ما حظي الا من مواهب الله وشهود جماله وجعلناهم خلائف خلفاء الله في أرضه وباقي التأويل كما مر في الأعراف وهكذا في قصة موسى ولا يفلح الساحرون لان الفلاح هو الخلاص عن قيد الوجود المجازي ويحق الله الحق أي الذكر بكلماته وهي لا اله الا الله ولو كره أهل الهوى والنفوس الامارة فما آمن لموسى القلب الا صفاته أو بعض صفات فرعون النفس بتبديل أخلاقها الذميمة بالاخلاق الحميدة القلبية على خوف من فرعون النفس والهوى والدنيا وشهواتها أن يصرفهم الى حالها الطبيعية التي جبلت عليها وأوحينا الى موسى القلب وهرون السر أن هيئا لصفاتكما بمصر عالم الروح مقامات ومنازل لا في عالم النفس السفلي واجعلوا تلك المقامات متوجهة الى طلب الحق وأقيموا الصلاة أدعوا العروج من المقامات الروحانية الى المواصلات الربانية ليضلوا عن سبيلك ليكون عاقبة أمرهم أن ينقطعوا أو يقطعوا بتلك الملاذ عن السير في طلبك ربنا اطمس على أموالهم محقها وتحقيرها في نظرهم واشدد طريق النظر الى الدنيا ومافيها على قلوبهم واجعل همتهم علية في طلبك والنظر اليك فقط حتى يروا العذاب الاليم فان النفس وصفاتها لا يؤمنون بالآخرة وطلب الحق حتى يذيقهم ألم الفطام عن الدنيا وشهواتها سبيل الذين لا يعلمون طريق الوصول الى الله ولا يعرفون قدره وجاوزنا ببني اسرائيل هم القلب والسر وصفاتها والبحر بحر

الروحانية الملكوتية فأتبعهم فرعون النفس وصفاتها بعد الفطام عن شوائب عالم الملك قهرا وقسرا حتى اذا هبت رياح اللطف وتموجت بحار الفضل واستغرق موسى القلب وصفاته في لجي بحر الوصال وبلغت أفواج أمواجه الى ساحل البشرية أدرك فرعون النفس الغرق فاستمسك بعروة ذلك الفريق وقال آمنت

ومن أمارات أجنبية فرعون النفس من عالم الروح أنه لم يتمسك بحبل التوحيد والمعرفة بيد الصدق والاستقلال ولم يقل آمنت بالله الذي لا اله الا هو وانما تمسك بيد الاضطراب والتقليد فقال لا اله الا الذي آمنت به بنوا اسرائيل ننجيك ببدنك أي نخلصك مع قالبك من بحر الضلالة لتكون دليلا على كمال قدرتنا وعنايتنا وان من اتبع خواص عبادنا نجعله من أهل النجاة والدرجات بعد أن كان من أهل الهلاك والدركات والله حسبنا

عن مجاهد فاليوم ننجيك ببدنك قال بجسدك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا تميم بن المنتصر قال ثنا يزيد قال ثنا الاصبغ بن زيد عن القاسم بن أبي أيوب قال ثني سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما جاوز موسى البحر بجميع من معه التقى البحر عليهم يعني على فرعون وقومه فأغرقهم فقال أصحاب موسى انا نخاف أن لا يكون فرعون غرق ولا نؤمن بهلاكه فدعا ربه فأخرجه فنبذه البحر حتى استيقنوا بهلاكه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية يقول أنكر ذلك طوائف من بني اسرائيل فقذفه الله على ساحل البحر ينظرون اليه حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة لتكون لمن خلفك آية قال لما أغرق الله فرعون لم تصدق طائفة من الناس بذلك فأخرجه الله آية وعظة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن التيمي عن أبيه عن أبي السليل عن قيس بن عباد أو غيره بنحو حديث ابن عبد الاعلى عن معمر حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الله بن رجاء عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير عن مجاهد فاليوم ننجيك ببدنك قال بجسدك قال ثنا محمد بن بكير عن ابن جريج قال بلغني عن مجاهد فاليوم ننجيك ببدنك قال بجسدك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال كذب بعض بني اسرائيل بموت فرعون فرمي به على ساحل البحر ليراه بنو اسرائيل قال كأنه ثور أحمر وقال آخرون ننجو بجسدك من البحر فنخرجك منه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية يقول أنجى الله فرعون لبني اسرائيل من البحر فنظروا اليه بعد ما غرق فان قال قائل وما وجه قوله ببدنك وهل يجوز أن ينجيه بغير بدنه فيحتاج الكلام الى أن يقال فيه ببدنك قيل كان جائزا أن ينجيه بهيئته حيا كما دخل البحر فلما كان جائزا ذلك قيل فاليوم ننجيك ببدنك ليعلم أنه ينجيه بالبدن بغير روح ولكن ميتا وقوله وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون يقول تعالى ذكره وان كثيرا من الناس عن آياتنا يعني عن حججنا وأدلتنا على أن العبادة والالوهة لنا خالصة لغافلون يقول لساهون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ يقول تعالى ذكره ولقد أنزلنا بني اسرائيل منازل صدق قيل عني بذلك الشام وبيت المقدس وقيل عني به الشام ومصر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربي وأبو خالد عن جويبر عن الضحاك مبوأ صدق قال منازل صدق مصر والشام حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مبوأ صدق قال بوأهم الله الشام وبيت المقدس حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق الشام وقرأ الى الارض التي باركنا فيها للعالمين وقوله ورزقناهم من الطيبات يقول ورزقنا بني اسرائيل من حلال الرزق وهو الطيب وقوله فما اختلفوا حتى جاءهم العلم يقول جل

ثناؤه

﴿ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون فهل ينتظرون الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين قل يا أيها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين ولا

تأويله فما اختلف هؤلاء الذين فعلنا بهم هذا الفعل من بنى اسرائيل حتى جاءهم ما كانوا به عالمين وذلك أنهم كانوا قبل أن يبعث محمد النبى صلى الله عليه وسلم مجمعين على نبوة محمد والاقرار به وبمبعثه غير مختلفين فيه بالنعت الذى كانوا يجدونه مكتوبا عندهم فلما جاءهم ما عرفوا كفر به بعضهم وآمن به بعضهم والمؤمنون به منهم كانوا عددا قليلا فذلك قوله فما اختلفوا حتى جاءهم المعلوم الذى كانوا يعلمونه نبيا لله فوضع العلم مكان المعلوم وكان بعضهم يتأول العلم ههنا كتاب الله ووحيه ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فما اختلفوا حتى جاءهم العلم(١) بغيا بينهم قال العلم كتاب الله الذى انزله وأمره الذى أمرهم به وهل اختلفوا حتى جاءهم العلم بغيا بينهم أهل هذه الاهواء هل اقتتلوا الا على البغى قال والبغى وجهان وجه النفاسة فى الدنيا ومن اقتتل عليها من أهلها وبغى فى العلم يرى هذا جاهلا مخطئا ويرى نفسه مصيبا عالما فيبغى باصابته وعلمه على هذا المخطئ وقوله ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان ربك يا محمد يقضى بين المختلفين من بنى اسرائيل فيك يوم القيامة فيما كانوا فيه من أمرى فى الدنيا يختلفون بأن يدخل المكذبين بك منهم النار والمؤمنين بك منهم الجنة فذلك قضاؤه يومئذ فيما كانوا فيه يختلفون من أمر محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فان كنت يا محمد فى شك من حقيقة ما أخبرناك وأنزلنا اليك من أن بنى اسرائيل لم يختلفوا فى نبوتك قبل أن تبعث رسولا الى خلقه لأنهم يجدونك عندهم مكتوبا ويعرفونك بالصفة التى أنت بها موصوف فى كتابهم فى التوراة والانجيل فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك من أهل التوراة والانجيل كعبد الله بن سلام ونحوه من أهل الصدق والايمان بك منهم دون أهل الكذب والكفر بك منهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس فى قوله فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك قال التوراة والانجيل الذين ادركوا محمدا صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب فآمنوا به يقول فاسئلهم ان كنت فى شك بأنك مكتوب عندهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله تعالى فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك قال هو عبد الله بن سلام كان من أهل الكتاب فآمن برسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك قال هم أهل الكتاب حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك يعنى أهل التقوى وأهل الايمان من أهل الكتاب ممن أدرك نبى الله صلى الله عليه وسلم فان قال قائل أوكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شك من خبر الله أنه حق يقين حتى قيل له فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك قيل لا وكذلك قال جماعة من أهل العلم حدثنى يعقوب

(١) نظم هذه الآية حتى جاءهم العلم ان ربك وأما آية الجاثية الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا الخ فتنبه

﴿القراآت﴾ بوأنا مثل أنشأنا وتجعل بالنون يحيى وحماد الآخرون بالياء التحتانية ثم ننجى من الانجاء نصر وروح ويزيد ننجى المؤمنين من الانجاء أيضا على وسهل ويعقوب وحفص والمفضل الآخرون بالتشديد فيهما ﴿الوقوف﴾ الطيبات ج للابتداء بالنفى مع الفاء العلم ط يختلفون ○ من قبلك ج لانقطاع النظم مع اتفاق المعنى الممترين ○ لا للعطف الخاسرين ○ لا يؤمنون ○ لا لتعلق ما قبلها الأليم ○ يونس ط حين ○ جميعا ط مؤمنين ○ باذن الله ط أى وهو يجعل لا يعقلون ○ والارض ط الفصل بين الاستخبار والاخبار لا يؤمنون ○ من قبلهم ط من المنتظرين ○ كذلك ج لاحتمال ان يراد ننجيهم كانجاء الرسل أو يكون الوقف على آمنوا والتقدير ننجى المؤمنين انجاء كذلك وحقا علينا اعتراض المؤمنين ○ يتوفاكم ج لاحتمال أن يراد وقد أمرت المؤمنين ○ لا للعطف حنيفا ج للعطف مع زيادة نون التأكيد المؤذن بالاستئناف المشركين ○ ولا يضرك ج للابتداء بالشرط مع الفاء الظالمين ○ الاهو ج للعطف مع حق الفصل بين المتضادين لفضله ط من عباده ط الرحيم ○ من ربكم ج لنفسه ج عليها ج للعطف مع النفى بوكيل ○ ط يحكم الله ج لاحتمال العطف والاستئناف الحاكمين ○ ﴿التفسير﴾ لما ذكر ما وقع عليه الختم فى واقعة فرعون وجنوده أراد أن يذكر ما وقع عليه الختم فى واقعة بنى اسرائيل فقال (ولقد بوأنا) أى أسكناهم مسكن صدق أو اسكان صدق فيكون المبوأ اسم مكان أو مصدرا والعرب اذا مدحت شيأ أضافته الى الصدق ليعلم أن كل ما يظن به من الخير ويطلب منه فانه يصدق ذلك الظن ويوجد فيه فيكون

المعنى منزلا صالحا مرضيا والمراد بنى اسرائيل اما اليهود الذين كانوا فى زمن موسى عليه السلام فبوّأ الصدق الشام ومصر وما يدانيها فانها بلاد كثيرة الخصب غزيرة الارزاق ومع ذلك فقد أورثهم الله جميع ما كان تحت تصرف فرعون وقومه من الناطق والصامت (فما اختلفوا) فى دينهم وما تشعبوا فيه شعبا وكانوا على طريقة واحدة حتى قرؤا التوراة فقابلوها بضد المقصود منها وبدلوا

الاتفاق بالاختلاف وأحدثوا المذاهب المتعددة وإما اليهود المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم والى هذا ذهب جم غفير من المفسرين عن ابن عباس هم قريظة والنضير وبنو قينقاع أنزلناهم منزل الصدق ما بين المدينة والشام ورزقناهم من طيبات تلك البلاد رطبا وتمرا ليس فى غيرها فبقوا على دينهم ولم يظهر فيهم الاختلاف حتى جاءهم سبب العلم وهو القرآن النازل على محمد صلى الله عليه وسلم فاختلفوا فى نعته وصفته وآمن به قوم وبقى على الكفر آخرون وبالجملة فالله تعالى يقضى بين المحقين منهم والمبطلين فى يوم الجزاء لان دار التكليف ليست دار القضاء ولما بين كيفية اختلاف اليهود فى شأن كتابهم أو فى شأن رسوله حقق حقيقته وحقيقة ما أنزل عليه بقوله (فان كنت فى شك) والشك فى اللغة ضم الشئ بعضه الى بعض ومنه شك الجوهر فى العقد وشككته بالرمح أى خرقته وانتظمته والشكيكة الفرقة من الناس والشكائك البيوت المصطفة والشاك يضم الى ما يتوهمه شيأ آخر خلافه والخطاب فيه للرسول فى الظاهر والمراد أمته كقوله يا أيها النبى اذا طلقتم والدليل عليه قوله بعد ذلك (قل يا أيها الناس ان كنتم فى شك من دينى) ولانه لو كان شاكا فى شأنه لكان غيره بالشك أولى ويمكن أن يقال الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم حقيقة به ولكن ورد على سبيل الفرض والتمثيل كأنه قيل فان وقع لك شك مثلا والقضية الشرطية لا اشعار فيها البتة بوقوع الشرط ولا عدم وقوعه بل المراد استلزام الاول للثانى على تقدير وقوع الاول وقد يكونان محالين كقول القائل ان كانت الخمسة زوجا كانت منقسمة بمتساويين

ابن ابراهيم قال ثنا هشيم عن أبى بشر عن سعيد بن جبير فى قوله فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فقال لم يشك النبى صلى الله عليه وسلم ولم يسأل حدثنا ابن وكيع قال ثنا سويد بن عمرو عن أبى عوانة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير فى قوله فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك قال ما شك وما سأل حدثنى الحرث قال ثنا القاسم بن سلام قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير ومنصور عن الحسن فى هذه الاية قال لم يشك صلى الله عليه وسلم ولم يسأل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا أشك ولا أسأل حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك قال بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا أشك ولا أسأل فان قال فما وجه مخرج هذا الكلام اذا ان كان الامر على ما وصفت قيل قد بينا فى غير موضع من كتابنا هذا استجازة العرب قول القائل منهم لمملوكه ان كنت مملوكى فانته الى أمرى والعبد المأمور بذلك لا يشك سيده القائل له ذلك أنه عبده كذلك قول الرجل منهم لابنه ان كنت بنى فبرنى وهو لا يشك فى ابنه أنه ابنه وان ذلك من كلامهم صحيح مستفيض فيهم وذكرنا ذلك بشواهد وأن منه قول الله تعالى واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله وقد علم جل ثناؤه أن عيسى لم يقل ذلك وهذا من ذلك لم يكن صلى الله عليه وسلم شاكا فى حقيقة خبر الله وصحته والله تعالى ذكره بذلك من أمره كان عالما ولكنه جل ثناؤه خاطبه خطاب قومه بعضهم بعضا اذ كان القرآن بلسانهم نزل وأما قوله لقد جاءك الحق من ربك الآية فهو خبر من الله مبتدأ يقول تعالى ذكره أقسم لقد جاءك الحق اليقين من الخبر بأنك لله رسول وأن هؤلاء اليهود والنصارى يعلمون صحة ذلك ويجدون نعتك عندهم فى كتبهم فلا تكونن من الممترين يقول فلا تكونن من الشاكين فى صحة ذلك وحقيقته ولو قال قائل ان هذه الآية خوطب بها النبى صلى الله عليه وسلم والمراد بها بعض من لم يكن صحت بصيرته بنبوته صلى الله عليه وسلم ممن كان قد أظهر الايمان بلسانه تنبيها له على موضع تعرف حقيقة أمره الذى يزيل اللبس عن قلبه كما قال جل ثناؤه يا أيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما حكيما كان قولا غير مدفوعة صحته ¤ القول فى تأويل قوله تعالى (ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين) يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تكونن يا محمد من الذين كذبوا بحجج الله وأدلته فتكون ممن غبن حظه وباع رحمة الله ورضاه بسخطه وعقابه ¤ القول فى تأويل قوله تعالى (ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم) يقول تعالى ذكره ان الذين وجبت عليهم يا محمد كلمة ربك وهى لعنته اياهم بقوله ألا لعنة الله على الظالمين فثبتت عليهم يقال منه حق على فلان كذا يحق عليه اذا ثبت ذلك عليه ووجب وقوله لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية يقول لا يصدقون بحجج الله ولا يقرون بوحدانية ربهم ولا بأنك لله رسول ولو جاءتهم كل آية وموعظة وعبرة فعاينوها حتى يعاينوا العذاب الاليم كما لم يؤمن فرعون وملؤه اذ حقت عليهم كلمة ربك حتى عاينوا العذاب الاليم فحينئذ قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت

به بنو اسرائيل حين لم ينفعهم قيله فكذلك هؤلاء الذين حقت عليهم كلمة ربك من قومك من عبدة الاوثان وغيرهم لا يؤمنون بك فيتبعونك الا في الحين الذي لا ينفعهم ايمانهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون قال حق عليهم سخط الله بما عصوه حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون حق عليهم سخط الله بما عصوه ⁂ القول في تأويل قوله تعالى (فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين) يقول تعالى ذكره فهلا كانت قرية آمنت وهي كذلك فيما ذكر في قراءة أبي ومعنى الكلام فما كانت قرية آمنت عند معاينتها العذاب ونزول سخط الله بها بعصيانها ربها واستحقاقها عقابه فنفعها ايمانها ذلك في ذلك الوقت كما لم ينفع فرعون ايمانه حين أدركه الغرق بعد تماديه في غيه واستحقاقه سخط الله بمعصيته الا قوم يونس فانهم نفعهم ايمانهم بعد نزول العقوبة وحلول السخط بهم فاستثنى الله قوم يونس من أهل القرى الذين لم ينفعهم ايمانهم بعد نزول العذاب بساحتهم وأخرجهم منهم وأخبر خلقه أنه نفعهم ايمانهم خاصة من بين سائر الامم غيرهم فان قال قائل فان كان الامر على ما وصفت من أن قوله فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها بمعنى فما كانت قرية آمنت بمعنى الجحود فكيف نصب قوم وقد علمت أن ما قبل الاستثناء اذا كان جحدا كان ما بعده مرفوعا وأن الصحيح من كلام العرب ما قام أحد الا أخوك وما خرج أحد الا أبوك قيل ان ذلك انما يكون كذلك اذا كان ما بعد الاستثناء من جنس ما قبله وذلك أن الاخ من جنس أحد وكذلك الاب ولكن لو اختلف الجنسان حتى يكون ما بعد الاستثناء من غير جنس ما قبله كان الفصيح من كلامهم النصب وذلك لو قلت ما بقي في الدار أحد الا الوتد وما عندنا أحد الا كلبا أو حمارا لان الكلب والوتد والحمار من غير جنس أحد ومنه قول النابغة الذبياني

* أعيت جوابا وما بالربع من أحد * ثم قال

الا أواري لأيا ما أبينها ... والنؤي كالحوض بالمظلومة الجلد

فنصب الأواري اذ كان مستثنى من غير جنسه فكذلك نصب قوم يونس لانهم أمة غير الامم الذين استثنوا منهم ومن غير جنسهم وشكلهم وان كانوا من بني آدم وهذا الاستثناء الذي يسميه بعض أهل العربية الاستثناء المنقطع ولو كان قوم يونس بعض الامة الذين استثنوا منهم كان الكلام رفعا ولكنهم كما وصفت وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس قوله فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها يقول لم تكن قرية آمنت فنفعها الايمان اذا نزل بها بأس الله الا قرية يونس قال ابن جريج قال مجاهد فلم تكن قرية آمنت فنفعها ايمانها كما نفع قوم يونس ايمانهم الا قوم يونس حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين يقول لم يكن هذا في الامم قبلهم لم ينفع قرية كفرت ثم آمنت حين حضرها العذاب فتركت الا قوم

وفيه من الفوائد الارشاد الى طلب الدلائل لاجل مزيد اليقين وحصول الطمأنينة وفيه استمالة لأمته والحث لهم على السؤال عما كانوا منه في شك وفيه أن أهل الكتاب من الاحاطة بصحة ما أنزل اليك بحيث يصلحون لمراجعة مثلك فضلا عن غيرك فيكون الغرض وصف الاحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما أنزل الى الرسول لا وصف الرسول بالشك ولذلك قال صلى الله عليه وسلم عند نزوله لا أشك ولا أسأل بل أشهد أنه الحق وعن ابن عباس لا والله ما شك طرفة عين ولا سأل أحدا منهم وقيل ان نافية أي فما كنت في شك يعني لا نأمرك بالسؤال لانك شاك ولكن لتزداد يقينا وقيل الخطاب لكل سامع يتأتى منه الشك ومن المسؤول منه قال المحققون هم مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وعبد الله بن صوريا وتميم الداري وكعب الاحبار لأنهم هم الذين يوثق بخبرهم ومنهم من قال الكل سواء لأنهم اذا بلغوا حد التواتر وقرؤا آية من التوراة والانجيل تدل على البشارة بمقدم محمد صلى الله عليه وسلم فقد حصل الغرض لان تلك الآية لما بقيت مع توفر دواعيهم على تحريف نعته كانت من أقوى الدلائل والظاهر أن المقصود من السؤال معرفة حقيقة القرآن وصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لقوله مما أنزلنا اليك وقيل السؤال راجع الى قوله فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ثم انه سبحانه لما بين الطريق المزيل للشك شهد بحقيته فقال (لقد جاءك الحق من ربك) ثم ان فرق المكلفين بعد المصدقين اما متوقفون في صدقه واما مكذبون فنهى الفريقين مخاطبا في الظاهر لنبيه قائلا (فلا تكونن من الممترين ولا تكونن) الآية والمراد اثبت ودم على ما أنت عليه من انتفاء المرية وانتفاء التكذيب وفيه من التهييج والبعث على اليقين والتصديق ما فيه ثم لما زجر كل فريق عما زجر بين أن له عبادا قضى عليهم بالشقاء وعبادا ختم لهم بالحسنى فلا يتغيرون عن حالهم البتة أما الاولون فأشار اليهم بقوله (ان الذين حقت) الآية وقد مر مثله في هذه السورة وقالت المعتزلة ان عدم ايمان هذا الفريق الى حين وقوع اليأس وموتهم على الكفر مكتوب عند الله وثبت عليهم قوله في الازل بما يجري عليهم لكنها كتابة معلوم لا كتابة مقدر ومراد

وقالت الاشاعرة كلمة حكمه وارادته وخلقه فيهم الكفر وقد مر أمثال هذه الابحاث مرارا كثيرة وأما الآخرون فذلك قوله (فلولا كانت) أي فهلا حصلت (قرية) واحدة (آمنت) تابت عن الكفر وأخلصت الايمان قبل معاينة العذاب (فنفعها ايمانها) لوقوعه في وقت الاختيار والتكليف دون أوان اليأس والاضطرار (الاقوم يونس) هو استثناء منقطع أي ولكن قوم يونس لان أول الكلام جرى على القرية وان كان المراد أهلها وقيل ان لولا في هذا المقام بمعنى النفي كأنه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة الا قوم يونس يروى أن يونس صلى الله عليه وسلم بعث الى نينوى من أرض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا كما سيجيء في سورة الانبياء فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا أربعين ليلة وقيل قال لهم يونس ان أجلكم أربعون ليلة فقالوا ان رأينا أسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلاثون أغامت السماء غيما أسود هائلا يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم ويسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب وأولادها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج وأظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود بلغ من توبتهم أن ترادوا المظالم حتى ان الرجل منهم كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه أساس بنائه فيرده وقيل خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا أنت فقالوها فكشف عنهم ومتعوا بالايمان والاعمال الصالحة والخيرات الدنيوية الى حين انقضاء آجالهم وعن الفضيل بن عياض قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعلم منها وأجل افعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله ثم بين أن الايمان وضده كلاهما بمشيئة الله وتقديره فقال (ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا) قالت الاشاعرة هذه القضية تفيد الشمول والاحاطة لكنه ما حصل

يونس لما فقدوا نبيهم وظنوا أن العذاب قد دنا منهم قذف الله في قلوبهم التوبة ولبسوا المسوح وألهوا بين كل بهيمة وولدها ثم عجوا الى الله أربعين ليلة فلما عرف الله الصدق من قلوبهم والتوبة والندامة على ما مضى منهم كشف الله عنهم العذاب بعد أن تدلى عليهم قال وذكر لنا أن قوم يونس كانوا بنينوى أرض الموصل حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة الاقوم يونس قال بلغنا أنهم خرجوا فنزلوا على تل وفرقوا بين كل بهيمة وولدها فدعوا الله أربعين ليلة حتى تاب عليهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الحميد الحماني عن اسمعيل بن عبد الملك عن سعيد بن جبير قال غشي قوم يونس العذاب كما يغشى الثوب القبر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن صالح المري عن قتادة عن ابن عباس ان العذاب كان هبط على قوم يونس حتى لم يكن بينهم وبينه الاقدر ثلثي ميل فلما دعوا كشف الله عنهم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد * واسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الاقوم يونس لما آمنوا قال كما نفع قوم يونس زاد أبو حذيفة في حديثه قال لم تكن قرية آمنت حين رأت العذاب فنفعها ايمانها الاقوم يونس متعناهم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس قال ثنا رجل قد قرأ القرآن في صدره في امارة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فحدث عن قوم يونس حين أنذر قومه فكذبوه فأخبرهم ان العذاب يصيبهم ففارقهم فلما رأوا ذلك وغشيهم العذاب (١) لكنهم خرجوا من مساكنهم وصعدوا في مكان رفيع وأنهم جأروا الى ربهم ودعوه مخلصين له الدين أن يكشف عنهم العذاب وأن يرجع اليهم رسولهم قال ففي ذلك أنزل فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الاقوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين فلم تكن قرية غشيها العذاب ثم أمسك عنها الاقوم يونس خاصة فلما رأى ذلك يونس لكنه ذهب عاتبا على ربه وانطلق مغاضبا وظن أن لن نقدر عليه حتى ركب في سفينة فأصاب أهلها عاصف الريح فذكر قصة يونس وخبره حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح قال لما رأوا العذاب ينزل فرقوا بين كل أنثى وولدها من الناس والانعام ثم قاموا جميعا فدعوا الله وأخلصوا ايمانهم فرأوا العذاب يكشف عنهم قال يونس حين كشف عنهم العذاب أرجع اليهم وقد كذبتهم وكان يونس قد وعدهم العذاب بصبح ثالثة فعند ذلك خرج مغضبا وساء ظنه حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن اسمعيل بن عبد الملك عن سعيد بن جبير قال لما أرسل يونس الى قومه يدعوهم الى الاسلام وترك ما هم عليه قال فدعاهم فأبوا فقيل له أخبرهم أن العذاب مصبحهم فقالوا انا لم نجرب عليه كذبا فانظروا فان بات فيكم فليس بشيء وان لم يبت فاعلموا أن العذاب مصبحكم فلما كان في جوف الليل أخذ مخلاته فتزود فيها شيأ ثم خرج فلما أصبحوا تغشاهم العذاب كما يتغشى الانسان الثوب في القبر ففرقوا بين الانسان وولده وبين البهيمة وولدها ثم عجوا الى الله فقالوا آمنا بما جاء به يونس وصدقنا فكشف الله عنهم العذاب فخرج يونس ينظر العذاب فلم ير شيأ قال جربوا علي كذبا فذهب مغاضبا لربه حتى أتى البحر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني

(١) قوله لكنهم خرجوا وقوله بعد لكنه ذهب لعل لفظ الاستدراك في الموضعين من زيادة الناسخ تأمل كتبه مصححه

حجاج

حجاج عن اسرائيل عن أبي اسحق عن عمرو بن ميمون قال ثنا ابن مسعود في بيت المال قال ان يونس عليه السلام كان قد وعد قومه العذاب وأخبرهم أنه يأتيهم الى ثلاثة أيام ففرقوا بين كل والدة وولدها ثم خرجوا فجأروا الى الله واستغفروه فكف الله عنهم العذاب وغدا يونس ينتظر العذاب فلم ير شيأ وكان من كذب ولم تكن له بينة قتل فانطلق مغاضبا حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا صالح المري عن أبي عمران الجوني عن أبي الجلد جيلان قال لما غشي قوم يونس العذاب مشوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا له انه قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا أنت فكشف عنهم العذاب ومتعوا الى حين حدثنا محمد ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال بلغني في حرف ابن مسعود فلولا يقول فهلا وقوله لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا يقول لما صدقوا رسولهم وأقروا بما جاءهم به بعد ما أظلهم العذاب وغشيهم أمر الله ونزل بهم البلاء كشفنا عنهم عذاب الهوان والذل في حياتهم الدنيا ومتعناهم الى حين يقول وأخرنا في آجالهم ولم نعاجلهم بالعقوبة وتركناهم في الدنيا يستمتعون فيها بآجالهم الى حين مماتهم ووقت فناء أعمارهم التي قضيت فناءها ⁂ القول في تأويل قوله تعالى (ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) يقول تعالى ذكره لنبيه ولو شاء يا محمد ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا بك فصدقوك أنك لي رسول وأن ما جئتهم به وما تدعوهم اليه من توحيد الله واخلاص العبودة له حق ولكن لا يشاء ذلك لانه قد سبق من قضاء الله قبل أن يبعثك رسولا أنه لا يؤمن بك ولا يتبعك فيصدقك بما بعثك الله به من الهدى والنور الا من سبقت له السعادة في الكتاب الاول قبل أن يخلق السموات والارض وما فيهن وهؤلاء الذين عجبوا من صدق ايحائنا اليك هذا القرآن لتنذر به من أمرتك بانذاره ممن قد سبق له عندي أنهم لا يؤمنون بك في الكتاب السابق وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله ونحو هذا في القرآن فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحرص أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى فأخبره الله أنه لا يؤمن من قومه الا من قد سبق له من الله السعادة في الذكر الاول ولا يضل الا من سبق له من الله الشقاء في الذكر الاول فان قال قائل فما وجه قوله لآمن من في الارض كلهم جميعا فالكل يدل على الجميع والجميع على الكل فما وجه تكرار ذلك وكل واحدة منهما تغني عن الاخرى قيل قد اختلف أهل العربية في ذلك فقال بعض نحويي أهل البصرة جاء بقوله جميعا في هذا الموضع توكيدا كما قال لا تتخذوا الهين اثنين ففي قوله الهين دليل على الاثنين وقال غيره جاء بقوله جميعا بعد كلهم لان جميعا لا تقع الا توكيدا وكلهم يقع توكيدا واسما فلذلك جاء بجميعا بعد كلهم قال ولو قيل انه جمع بينهما ليعلم أن معناهما واحد لجاز ههنا قال وكذلك الهين اثنين العدد كله يفسر به فيقال رأيت قوما أربعة فلما جاء باثنين وقد اكتفى بالعدد منه لانهم يقولون عندي درهم

ايمان أهل الارض بالكلية فدل هذا على أنه تعالى ما أراد ايمان الكل وأول المعتزلة المشيئة بمشيئة الالجاء والقسر وأجيب بأن الكلام في الايمان الذي كان يطلبه النبي منهم وهو الايمان المنوط به التكليف لا الايمان القسري الذي لا ينتفع به المكلف فلو حمل الايمان المذكور في الآية وكذا المشيئة على ايمان الالجاء ومشيئة القسر لم ينتظم الكلام ثم ذكر أن القدرة القاهرة والمشيئة النافذة ليست الا للحق سبحانه وتعالى فقال (أفأنت تكره) فأولى الاسم حرف الاستفهام للاعلام بأن الاكراه ممكن مقدور عليه وانما الكلام في المكره من هو وما هو الا الله وحده حمل المعتزلة هذا الاكراه على الالجاء ومعناه أن يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده الى الايمان وحمل الاشاعرة الاكراه على خلق الايمان ومعناه أنه قادر على خلق الايمان والكفر فيهم لا أنت بدليل قوله (وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس) أي الكفر والفسق (على الذين لا يعقلون) وفسر المعتزلة الاذن بمنح الالطاف والرجس بالخذلان لان الرجس هو العذاب والخذلان سببه وخصصوا النفس بالنفس المعلوم ايمانها والذين لا يعقلون يعني المصرين على الكفر واستدلت الاشاعرة بقوله وما كان لنفس على أنه لا حكم للاشياء قبل ورود الشرع لان الاذن عبارة عن الاطلاق في الفعل ورفع الحجر واذا كان أصل الشرع وهو الايمان باذن الله فما ترتب عليه أولى أجابت المعتزلة بأن المراد بالاذن التوفيق والتسهيل والالطاف ولما بين أن الايمان لا يحصل الا بمشيئة الله تعالى أمر بالنظر والاستدلال بالدلائل السماوية والارضية حتى لا يتوهم أن الحق هو الجبر المحض فقال (قل انظروا ماذا في السموات والارض) أي شيء فيهما من الآيات والعبر ثم ذكر أن التفكر والتدبر في هذه الدلائل لا ينفع في حق من حكم الله عليه في الازل بالشقاء فقال (وما تغني) يحتمل أن تكون ما نافية أي لا تفيد هذه (الآيات والنذر) وهي جمع نذير صفة أو مصدر في حق المحكوم عليهم بعدم الايمان وأن تكون استفهامية للانكار بمعنى أي شيء يغني عنهم ثم قال (فهل ينتظرون) والمراد أن الانبياء المتقدمين

كانوا يتوعدون كفار زمانهم بايام مشتملة على أنواع العذاب أو بوقائع الله فيهم وهم يكذبونهم ويسخرون منهم وكذلك كان يفعل الكفار المعاصرون للرسول صلى الله عليه وسلم فقال سبحانه (قل فانتظروا) وفيه تهديد ووعيد بأنه سينزل بهؤلاء مثل ما أنزل بأولئك من الاهلاك بعد انجاء الرسول وأتباعه كما حكى تلك الاحوال الماضية بقوله (ثم ننجي رسلنا) الآية قالت المعتزلة (حقا علينا) المراد به الوجوب والاستحقاق اذ لا يحسن تعذيب الرسول والمؤمنين وقالت الاشاعرة انه حق بحسب الوعد والحكم فان العبد لا يستحق على خالقه شيأ ثم أمر رسوله باظهار التباين الصريح بين طريقته وطريقة المشركين فقال (قل يا أيها الناس) والمعنى يا أهل مكة ان كنتم لا تعرفون ديني فاعلموا أني بريء عن أديانكم الباطلة (ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم) وتخصيص هذا الوصف لانه يدل على الخلق أولا وعلى الاعادة ثانيا كما مر مرارا أولان الموت أشد الاحوال مهابة في القلوب فكان أقوى في الزجر والردع أولانه قد تقدم ذكر الاهلاك والوقائع النازلة بالامم الخالية فكأنه قال أعبد الله الذي وعدني باهلاككم وانجائي وفي الآية اشارة الى أنه لن يوافقهم في دينهم كيلا يشكوا في أمره ويقطعوا أطماعهم عنه ولما ذكر أنه لا يعبد الا الله بين أنه مأمور بالايمان والمعرفة فقال (وأمرت أن أكون) أي بأن أكون (من المؤمنين) ثم عطف عليه قوله وأن أقم وجهك ولا تدع نظرا الى المعنى كأنه قيل له كن مؤمنا ثم أقم ولا تدع أو المراد وأمرت بكذا وأوحي الى أن أقم قال في الكشاف قد سوغ سيبويه أن يوصل أن بالامر والنهي وشبه ذلك بقولهم أنت الذي تفعل على الخطاب لان الغرض وصلها بما يكون معه في معنى المصدر والامر والنهي دالان على المصدر دلالة غيرهما من الافعال ومعنى أقم وجهك استقم اليه ولا تلتفت يمينا ولا شمالا وحنيفا حال من الدين أو من الوجه قال المحققون الوجه ههنا وجه العقل أو المراد توجه الكلية الى طلب الدين كمن يريد أن ينظر الى شيء نظرا تاما فانه يقيم وجهه في مقابلته لا يصرفه عنه ثم أكد الامر

ودرهمان فيكفي من قولهم عندي درهم واحد ودرهمان اثنان فاذا قالوا دراهم قالوا ثلاثة لان الجمع يلتبس والواحد والاثنان لا يلتبسان ثم يثنى الواحد والتثنية على تنافي الجمع لانه ينبغي أن يكون مع كل واحد واحد لان درهما يدل على الجنس الذي هو منه وواحد يدل على كل الاجناس وكذلك اثنان يدلان على كل الاجناس ودرهمان يدلان على أنفسهما فلذلك جاء بالاعداد لانه الاصل وقوله أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انه لن يصدقك يا محمد ولن يتبعك ويقر بما جئت به الا من شاء ربك أن يصدقك لا باكراهك اياه ولا بحرصك على ذلك أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين لك مصدقين على ما جئتهم به من عند ربك يقول له جل ثناؤه فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين الذين حقت عليهم كلمة ربك أنهم لا يؤمنون ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه وما كان لنفس خلقتها من سبيل الى تصديقك يا محمد الا بأن آذن لها في ذلك فلا تجهدن نفسك في طلب هداها وبلغها وعيد الله وعرفها ما أمرك ربك بتعريفها ثم خلها فان هداها بيد خالقها وكان الثوري يقول في تأويل قوله الا باذن الله ما حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن سفيان في قوله وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله قال بقضاء الله وأما قوله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون فانه يقول تعالى ذكره ان الله يهدي من يشاء من خلقه للايمان بك يا محمد ويأذن له في تصديقك فيصدقك ويتبعك ويقر بما جئت به من عند ربك ويجعل الرجس وهو العذاب وغضب الله على الذين لا يعقلون يعني الذين لا يعقلون عن الله حججه ومواعظه وآياته التي دل بها جل ثناؤه على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وحقيقة ما دعاهم اليه من توحيد الله وخلع الانداد والاوثان حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ويجعل الرجس قال السخط ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك السائليك الآيات على صحة ما تدعوهم اليه من توحيد الله وخلع الانداد والاوثان انظروا أيها القوم ماذا في السموات من الآيات الدالة على حقيقة ما أدعوكم اليه من توحيد الله من شمسها وقمرها واختلاف ليلها ونهارها ونزول الغيث بأرزاق العباد من سحابها وفي الارض من جبالها وتصدعها بنباتها وأقوات أهلها وسائر صنوف عجائبها فان في ذلك لكم ان عقلتم وتدبرتم عظة ومعتبرا ودلالة على أن ذلك من فعل من لا يجوز أن يكون له في ملكه شريك ولا له على تدبيره وحفظه ظهير يغنيكم عما سواه من الآيات يقول الله جل ثناؤه وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون يقول جل ثناؤه وما تغني الحجج والعبر والرسل المنذرة عباد الله عقابه عن قوم قد سبق لهم من الله الشقاء وقضى لهم في أم الكتاب أنهم من أهل النار لا يؤمنون بشيء من ذلك ولا يصدقون به ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم ﴿ القول

۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فهل ينتظرون الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا انى معكم من المنتظرين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم محذرا مشركى قومه من حلول عاجل نقمه بساحتهم نحو الذى حل بنظرائهم من قبلهم من سائر الامم الخالية من قبلهم السالكة فى تكذيب رسل الله وجحود توحيد ربهم سبيلهم فهل ينتظر يا محمد هؤلاء المشركون من قومك المكذبون بما جئتهم به من عند الله الا يوما يعاينون فيه من عذاب الله مثل أيام أسلافهم الذين كانوا على مثل الذى هم عليه من الشرك والتكذيب الذين مضوا قبلهم فخلوا من قوم نوح وعاد وثمود قل لهم يا محمد ان كانوا ذلك ينتظرون فانتظروا عقاب الله اياكم ونزول سخطه بكم انى من المنتظرين هلاككم وبواركم بالعقوبة التى تحل بكم من الله . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فهل ينتظرون الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم يقول وقائع الله فى الذين خلوا من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع ابن أنس فى قوله فهل ينتظرون الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا انى معكم من المنتظرين قال خوفهم عذابه ونقمته وعقوبته ثم أخبرهم أنه اذا وقع من ذلك أمر أنجى الله رسله والذين آمنوا معه فقال الله ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننجى المؤمنين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننجى المؤمنين) يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك انتظروا مثل أيام الذين خلوا من قبلكم من الامم السالفة الذين هلكوا بعذاب الله فان ذلك اذا جاء لم يهلك به سواهم ومن كان على مثل الذى هم عليه من تكذيبك ثم ننجى هنالك رسولنا محمدا صلى الله عليه وسلم ومن آمن به وصدقه واتبعه على دينه كما فعلنا قبل ذلك برسلنا الذين أهلكنا أممهم فأنجيناهم ومن آمن به معهم من عذابنا حين حق على أممهم كذلك حقا علينا ننجى المؤمنين يقول كما فعلنا بالماضين من رسلنا فأنجيناها والمؤمنين معها وأهلكنا أممها كذلك نفعل بك يا محمد وبالمؤمنين فننجيك وننجى المؤمنين بك حقا علينا غير شك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قل يا أيها الناس ان كنتم فى شك من دينى فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك الذين عجبوا أن أوحيت اليك ان كنتم فى شك أيها الناس من دينى الذى أدعوكم اليه فلم تعلموا أنه حق من عند الله فانى لا أعبد الذين تعبدون من دون الله من الآلهة والاوثان التى لا تسمع ولا تبصر ولا تغنى عنى شيأ فتشكوا فى صحته وهذا تعريض ولحن من الكلام لطيف وانما معنى الكلام ان كنتم فى شك من دينى فلا ينبغى لكم أن تشكوا فيه وانما ينبغى لكم أن تشكوا فى الذى أنتم عليه من عبادة الاصنام التى لا تعقل شيأ ولا تضر ولا تنفع فأما دينى فلا ينبغى لكم أن تشكوا فيه لأنى أعبد الله الذى يقبض الخلق فيميتهم اذا شاء وينفعهم ويضر من يشاء وذلك أن عبادة من كان كذلك لا يستنكرها ذو فطرة صحيحة وأما عبادة الاوثان فينكرها كل ذى لب وعقل صحيح وقوله ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم يقول ولكن أعبد الله الذى يقبض أرواحكم فيميتكم عند آجالكم وأمرت أن أكون من المؤمنين يقول وهو الذى أمرنى أن أكون من المصدقين بما جاءنى من عنده ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين) يقول تعالى ذكره وأمرت أن أكون من المؤمنين وأن أقم وأن الثانية عطف على أن الاولى ويعنى بقوله أقم وجهك للدين أقم نفسك على دين الاسلام حنيفا مستقيما عليه غير معوج عنه الى يهودية ولا نصرانية ولا عبادة

بالنهى عن ضده فقال (ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت) أى فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك وكنى عنه بالفعل للاختصار واذا جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كأن سائلا سأل عن تبعة عبادة الأوثان وجعل من الظالمين لان اضافة التصرف بالاستقلال الى ما سوى مدبر الكل وضع للشئ فى غير موضعه ثم صرح بأنه مبدأ الكائنات ومنتهى الحاجات لا غيره فقال (وان يمسسك الله) الآية وقد مر تفسير مثلها فى أول سورة الانعام

وثن ولا تكونن من المشركين يقول ولا تكونن ممن يشرك فى عبادة ربه الآلهة والأنداد فتكون من الهالكين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين﴾ يقول تعالى ذكره ولا تدع يا محمد من دون معبودك وخالقك شيأ لا ينفعك فى الدنيا ولا فى الآخرة ولا يضرك فى دين ولا دنيا يعنى بذلك الآلهة والاصنام يقول لا تعبدها راجيا نفعها أو خائفا ضرها فانها لا تنفع ولا تضر فان فعلت ذلك فدعوتها من دون الله فانك اذا من الظالمين يقول من المشركين بالله الظالم لنفسه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه وان يصبك الله يا محمد بشدة أو بلاء فلا كاشف لذلك الا ربك الذى أصابك به دون ما يعبده هؤلاء المشركون من الآلهة والأنداد وان يردك بخير يقول وان يردك ربك برخاء أو نعمة وعافية وسرور فلا راد لفضله يقول فلا يقدر أحد أن يحول بينك وبين ذلك ولا يردك عنه ولا يحرمكه لانه الذى بيده السراء والضراء دون الآلهة والاوثان ودون ما سواه يصيب به من يشاء يقول يصيب ربك يا محمد بالرخاء والبلاء والسراء والضراء من يشاء ويريد من عباده وهو الغفور لذنوب من تاب وأناب من عباده من كفره وشركه الى الايمان به وطاعته الرحيم بمن آمن به منهم وأطاعه أن يعذبه بعد التوبة والانابة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للناس يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم يعنى كتاب الله فيه بيان كل ما بالناس اليه حاجة من أمر دينهم فمن اهتدى يقول فمن استقام فسلك سبيل الحق وصدق بما جاء من عند الله من البيان فانما يهتدى لنفسه يقول فانما يستقيم على الهدى ويسلك قصد السبيل لنفسه فاياها يبغى الخير بفعله ذلك لا غيرها ومن ضل يقول ومن اعوج عن الحق الذى أتاه من عند الله وخالف دينه وما بعث به محمدا والكتاب الذى أنزله عليه فانما يضل عليها يقول فان ضلاله ذلك انما يجنى به على نفسه لا على غيرها لانه لا يؤخذ بذلك غيرها ولا يورد بضلاله ذلك المهالك سوى نفسه ولا تزر وازرة وزر أخرى وما أنا عليكم بوكيل يقول وما أنا عليكم بمسلط على تقويمكم انما أمركم الى الله وهو الذى يقوم من شاء منكم وانما أنا رسول مبلغ أبلغكم ما أرسلت به اليكم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين﴾ يقول تعالى ذكره واتبع يا محمد وحى الله الذى يوحيه اليك وتنزيله الذى ينزله عليك فاعمل به واصبر على ما أصابك فى الله من مشركى قومك من الاذى والمكاره وعلى ما نالك منهم حتى يقضى الله فيهم وفيك أمره بفعل فاصل وهو خير الحاكمين يقول وهو خير القاضين وأعدل الفاصلين فحكم جل ثناؤه بينه وبينهم يوم بدر وقتلهم بالسيف وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم فيمن بقى منهم أن يسلك بهم سبيل من أهلك منهم أو يتوبوا وينيبوا الى طاعته كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وما أنت عليهم بوكيل واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين قال هذا منسوخ حتى يحكم الله حكم الله بجهادهم وأمره بالغلظة عليهم والله الموفق للصواب والحمد لله وحده والصلاة على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

﴿تفسير السورة التى يذكر فيها هود صلى الله عليه وسلم﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾ قال

قال الواحدى (وان يردك بخير) من القلب وأصله وان يريد بك الخير ولكنه لما تعلق كل واحد منهما بالآخر جاز ابدال كل واحد منهما بالآخر وأقول فى تخصيص الارادة بجانب الخير والمس بجانب الشر دليل على أن الخير يصدر عنه سبحانه بالذات والشر بالعرض ثم ختم السورة بما يستدل به على قضائه وقدره فى الهداية والضلال فقال (قل يا أيها الناس) الآية وفسرها الاشاعرة بأن من حكم له فى الازل بالاهتداء فسيقع له ذلك وان من حكم له بالضلال فكذلك ولا حيلة فى دفعه كما مر فى سورة الانعام قد جاءكم

أبو جعفر قد ذكرنا اختلاف أهل التأويل في تأويل قوله الر والصواب من القول في ذلك عندنا بشواهده بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وقوله كتاب أحكمت آياته يعني هذا الكتاب الذي أنزله الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن ورفع قوله كتاب بنية هذا كتاب فأما على قول من زعم أن قوله الر مراد به سائر حروف المعجم التي نزل بها القرآن وجعلت هذه الحروف دلالة على جميعها وان معنى الكلام هذه الحروف كتاب أحكمت آياته فان الكتاب على قوله ينبغي أن يكون مرفوعا بقوله الر وأما قوله أحكمت آياته ثم فصلت فان أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم تأويله أحكمت آياته بالامر والنهي ثم فصلت بالثواب والعقاب ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرني أبو محمد الثقفي عن الحسن في قوله كتاب أحكمت آياته ثم فصلت قال أحكمت بالامر والنهي وفصلت بالثواب والعقاب حدثنا ابن حميد قال ثنا عبد الكريم بن محمد الجرجاني عن أبي بكر الهذلي عن الحسن الر كتاب أحكمت آياته قال أحكمت في الامر والنهي وفصلت بالوعيد حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة عن رجل عن الحسن الر كتاب أحكمت آياته قال بالامر والنهي ثم فصلت قال بالثواب والعقاب وروى عن الحسن قول خلاف هذا وذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن أبي بكر عن الحسن قال و حدثنا عباد ابن العوام عن رجل عن الحسن قال أحكمت بالثواب والعقاب ثم فصلت بالامر والنهي وقال آخرون معنى ذلك أحكمت آياته من الباطل ثم فصلت فبين منها الحلال والحرام ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير أحكمها الله من الباطل ثم فصلها بعلمه فبين حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أحكمت آياته ثم فصلت قال أحكمها الله من الباطل ثم فصلها بينها وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال معناه أحكم الله آياته من الدخل والخلل والباطل ثم فصلها بالامر والنهي وذلك أن احكام الشيء اصلاحه واتقانه واحكام آيات القرآن احكامها من خلل يكون فيها أو باطل يقدر ذو زيغ أن يطعن فيها من قبله وأما تفصيل آياته فانه تمييز بعضها من بعض بالبيان عما فيها من حلال وحرام وأمر ونهي وكان بعض المفسرين يفسر قوله فصلت بمعنى فسرت وذلك نحو الذي قلنا فيه من القول ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى قال ثنا ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ثم فصلت قال فسرت حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فصلت قال فسرت قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج قال بلغني عن مجاهد ثم فصلت قال فسرت حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * وقال قتادة معناه بينت وقد ذكرنا الرواية بذلك قبل وهو شبيه المعنى بقول مجاهد وأما قوله من لدن حكيم خبير فان معناه حكيم بتدبير الاشياء وتقديرها خبير بما تؤول اليه عواقبها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله من لدن حكيم خبير يقول من عند حكيم خبير ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ألا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير وبشير﴾ يقول تعالى ذكره ثم فصلت بأن لا تعبدوا الا الله وحده لا شريك له وتخلعوا

بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه الآية وقالت المعتزلة المراد أنه بين الشريعة وأزاح العلة وقطع المعذرة فمن اختار الهدى فانفع باختياره الا نفسه ومن آثر الضلال فلا يعود وباله الا على نفسه يروى عن ابن عباس أن الآية منسوخة بآية القتال ولا يخفى ضعفه ثم أمره باتباع الوحي والتنزيل فان وصل اليه بسبب الاتباع مكروه فليصبر عليه الى أن يحكم الله وهو خير الحاكمين ولبعضهم في الصبر شعر

سأصبر حتى يعجز الصبر عن صبري
وأصبر حتى يحكم الله في أمري

الآلهة والانداد ثم قال تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للناس انني لكم من عند الله نذير ينذركم عقابه على معاصيه وعبادة الاصنام وبشير يبشركم بالجزيل من الثواب على طاعته واخلاص العبادة والالوهة له ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى أجل مسمى ويؤت كل ذى فضل فضله وان تولوا فانى أخاف عليكم عذاب يوم كبير﴾ يقول تعالى ذكره ثم فصلت آياته بان لا تعبدوا الا الله وبأن استغفروا ربكم ويعنى بقوله وأن استغفروا ربكم وأن اعملوا أيها الناس من الاعمال ما يرضى ربكم عنكم فيستر عليكم عظيم ذنوبكم التى ركبتموها بعبادتكم الاوثان والاصنام واشراككم الآلهة والانداد فى عبادته وقوله ثم توبوا اليه يقول ثم ارجعوا الى ربكم باخلاص العبادة له دون ما سواه من سائر ما تعبدون من دونه بعد خلعكم الانداد وبراءتكم من عبادتها ولذلك قيل وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه ولم يقل وتوبوا اليه لان التوبة معناها الرجوع الى العمل بطاعة الله والاستغفار استغفار من الشرك الذى كانوا عليه مقيمين والعمل لله لا يكون عملا له الا بعد ترك الشرك به فاما الشرك فان عمله لا يكون الا للشيطان فلذلك أمرهم تعالى ذكره بالتوبة اليه بعد الاستغفار من الشرك لان أهل الشرك كانوا يرون أنهم يطيعون الله بكثير من أفعالهم وهم على شركهم مقيمون وقوله يمتعكم متاعا حسنا الى أجل مسمى يقول تعالى ذكره للمشركين الذين خاطبهم بهذه الآيات استغفروا ربكم ثم توبوا اليه فانكم اذا فعلتم ذلك بسط عليكم من الدنيا ورزقكم من زينتها وأنسأ لكم فى آجالكم الى الوقت الذى قضى فيه عليكم الموت وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يمتعكم متاعا حسنا الى أجل مسمى فأنتم فى ذلك المتاع فخذوه بطاعة الله ومعرفة حقه فان الله منعم يحب الشاكرين وأهل الشكر فى مزيد من الله وذلك قضاؤه الذى قضى وقوله الى أجل مسمى يعنى الموت حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الى أجل مسمى قال الموت حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الى أجل مسمى وهو الموت حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة الى أجل مسمى قال الموت وأما قوله ويؤت كل ذى فضل فضله فانه يعنى يثيب كل من تفضل بفضل ماله أو قوته أو معروفه على غيره محتسبا بذلك مريدا به وجه الله أجزل ثوابه وفضله فى الآخرة كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ويؤت كل ذى فضل فضله قال ما احتسب به من ماله أو عمل بيده أو رجله أو كلمه أو ما تطوع به من أمره كله حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال ... وحدثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه الا أنه قال أو عمل بيديه أو رجليه وكلامه وما تطول به من أمره كله حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه الا أنه قال وما نطق به من أمره كله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ويؤت كل ذى فضل فضله أى فى الآخرة ... وقد روى عن ابن مسعود أنه كان يقول فى تأويل ذلك ما حدثت به عن المسيب بن شريك عن أبى بكر عن سعيد بن جبير عن ابن مسعود فى قوله ويؤت كل ذى فضل فضله قال من عمل سيئة كتبت عليه سيئة ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات فان عوقب بالسيئة التى كان عملها فى الدنيا بقيت له عشر حسنات وان لم يعاقب بها فى الدنيا أخذ من الحسنات العشر واحدة وبقيت له تسع حسنات ثم يقول هلك من غلب آحاده أعشاره وقوله وان تولوا فانى

سأصبر حتى يعلم الصبر أننى
صبرت على شئ أمر من الصبر

﴿التأويل﴾ ولقد بوأنا بنى اسرائيل يعنى متولدات الروح العلوى من القلب والسر دون النفس لانها من البنات لا من البنين مبوأ صدق منزلا عليا فى العالم النورانى ورزقناهم من الطيبات من الفيض الربانى الفائض على الروح لان الروح مستو على عرش القلب فكل ما فاض من صفة الروحانية على الروح يفيض الروح على القلب والسر فما اختلف القلب والسر حتى جاءهم دعوة النبى صلى الله عليه وسلم

أخاف عليكم عذاب يوم كبير يقول تعالى ذكره وان أعرضوا عما دعوتهم اليه من اخلاص العبادة لله وترك عبادة الآلهة وامتنعوا من الاستغفار لله والتوبة اليه فأدبروا مولين عن ذلك فانى أيها القوم أخاف عليكم عذاب يوم كبير شأنه عظيم هوله وذلك يوم تجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون وقال جل ثناؤه وان تولوا فانى أخاف عليكم عذاب يوم كبير ولكنه مما قد تقدمه قول والعرب اذا قدمت قبل الكلام قولا خاطبت ثم عادت الى الخبر عن الغائب ثم رجعت بعد الى الخطاب وقد بينا ذلك فى غير موضع بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الى الله مرجعكم وهو على كل شئ قدير ﴾ يقول تعالى ذكره الى الله أيها القوم مآبكم ومصيركم فاحذروا عقابه ان توليتم عما أدعوكم اليه من التوبة اليه من عبادتكم الآلهة والاصنام فانه مخلدكم نار جهنم ان هلكتم على شرككم قبل التوبة اليه وهو على كل شئ قدير يقول وهو على احيائكم بعد مماتكم وعقابكم على اشراككم به الاوثان وغير ذلك مما أراد بكم وبغيركم قادر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ألا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور ﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله ألا انهم يثنون صدورهم فقرأته عامة قراء الامصار ألا انهم يثنون صدورهم على تقدير يفعلون من ثنيت والصدور منصوبة واختلف قارئو ذلك كذلك فى تأويله فقال بعضهم ذلك كان من فعل بعض المنافقين كان اذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم غطى وجهه وثنى ظهره ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن حصين عن عبد الله بن شداد فى قوله ألا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم قال كان أحدهم اذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بثوبه على وجهه وثنى ظهره حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن عبد الله بن شداد بن الهاد قوله ألا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه قال من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان المنافقون اذا مروا به ثنى أحدهم صدره ويطأطئ رأسه فقال الله ألا انهم يثنون صدورهم الآية حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن حصين قال سمعت عبد الله ابن شداد يقول فى قوله يثنون صدورهم قال كان أحدهم اذا مر بالنبى صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وتغشى بثوبه كى لا يراه النبى صلى الله عليه وسلم ۞ وقال آخرون بل كانوا يفعلون ذلك جهلا منهم بالله وظنا أن الله يخفى عليه ما تضمره صدورهم اذا فعلوا ذلك ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يثنون صدورهم قال شكا وامتراء فى الحق ليستخفوا من الله ان استطاعوا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يثنون صدورهم شكا وامتراء فى الحق ليستخفوا منه قال من الله ان استطاعوا حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يثنون صدورهم قال تضيق شكا حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يثنون صدورهم قال تضيق شكا وامتراء فى الحق قال ليستخفوا منه قال من الله ان استطاعوا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه حدثنا محمد بن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن فى قوله ألا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم قال من جهالتهم به قال الله ألا حين يستغشون ثيابهم فى ظلمة الليل فى أجواف بيوتهم يعلم تلك

فمن قبلها صار مقبولا ومن ردها كان مردودا وبوجه آخر هو أصدق بين الاصبعين من أصابع الرحمن فما اختلفوا حتى أدركهم علم الله الازلى بالسعادة والشقاء وان كنت فى شك خلق الانسان ضعيفا فاذا انفتح عليه أبواب الكرامات وهبت رياح السعادات فربما ظن أنه مما يخادع به الاطفال فلا يدرى هل هو من كرامة الاجتباء أو من وخامة الابتلاء فكان النبى صلى الله عليه وسلم من خصوصية انما أنا بشر مثلكم يرتع فى هذه الرياض وباختصاص يوحى الى يسقى بكاسات المناولات

الساعة ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن منصور عن أبي رزين ألا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم قال كان أحدهم يحني ظهره ويستغشي بثوبه * وقال آخرون انما كانوا يفعلون ذلك لئلا يسمعوا كلام الله تعالى ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ألا انهم يثنون صدورهم الآية قال كانوا يحنون صدورهم لكيلا يسمعوا كتاب الله قال تعالى ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون وذلك أخفى ما يكون ابن آدم اذا حنى صدره واستغشى بثوبه وأضمر همه في نفسه فان الله لا يخفى ذلك عليه حدثنا محمد ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة يستغشون ثيابهم قال أخفى ما يكون الانسان اذا أسر في نفسه شيأ وتغطى بثوبه فذلك أخفى ما يكون والله يطلع على ما في نفوسهم والله يعلم ما يسرون وما يعلنون * وقال آخرون انما هذا اخبار من الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن المنافقين الذين كانوا يضمرون له العداوة والبغضاء ويبدون له المحبة والمودة وأنهم معه وعلى دينه يقول جل ثناؤه ألا انهم يطوون صدورهم على الكفر ليستخفوا من الله ثم أخبر جل ثناؤه أنه لا يخفى عليه سرائرهم وعلانيتهم * وقال آخرون كانوا يفعلون ذلك اذا ناجى بعضهم بعضا ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ألا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه قال هذا حين يناجي بعضهم بعضا وقرأ ألا حين يستغشون ثيابهم الآية وروى عن ابن عباس أنه كان يقرأ ذلك ألا انهم تثنوني صدورهم على مثال تحلولي الثمرة تفعوعل حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة قال سمعت ابن عباس يقرأ ألا انهم تثنوني صدورهم قال كانوا لا يأتون النساء ولا الغائط الا وقد تغشوا بثيابهم كراهة أن يفضوا بفروجهم الى السماء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال سمعت محمد بن عباد بن جعفر يقول سمعت ابن عباس يقرؤها ألا انهم تثنوني صدورهم قال سألته عنها فقال كان ناس يستحيون أن يتخلوا فيفضوا الى السماء وأن يصيبوا فيفضوا الى السماء * وروى عن ابن عباس في تأويل ذلك قول آخر وهو ما حدثنا به محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال أخبرت عن عكرمة أن ابن عباس قرأ ألا انهم تثنوني صدورهم وقال ابن عباس تثنوني صدورهم الشك في الله وعمل السيئات يستغشون ثيابهم يستكبر أو يستكن من الله والله يراه يعلم ما يسرون وما يعلنون حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن رجل عن عكرمة عن ابن عباس أنه قرأ ألا انهم تثنوني صدورهم قال عكرمة تثنوني صدورهم قال الشك في الله وعمل السيئات فيستغشي ثيابه ويستكن من الله والله يراه ويعلم ما يسرون وما يعلنون * والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قراء الامصار وهو ألا انهم يثنون صدورهم على مثال يفعلون والصدور نصب بمعنى يحنون صدورهم ويكنونها كما حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس قوله يثنون صدورهم يقول يكبون حدثني محمد ابن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ألا انهم يثنون صدورهم يقول يكتمون ما في قلوبهم ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما عملوا بالليل والنهار حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ألا انهم يثنون صدورهم يقول تثنوني صدورهم وهذا التأويل الذي تأوله الضحاك على

من تلك الحياض فشك عند سكره أنها من شهود التلوين أو من كشوف التمكين فأدركته العناية الازلية فأكرم بخطاب لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن بل كان هذا النهي نهي التكوين فما كان ممتريا ولهذا قال والله لا أشك ولا أسأل الامثل أيام الذين خلوا من أنه كل ميسر لما خلق له قل فانتظروا الظهور ما قدر لكم ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم بالفناء عن النفس وصفاتها حنيفا طاهرا عن لوث الالتفات الى ماسواه والله أعلم

مذهب قراءة ابن عباس الا أن الذى حدثنا هكذا ذكر القراءة فى الرواية فاذا كانت القراءة التى ذكرنا أولى القراءتين فى ذلك بالصواب لاجماع الحجة من القراء عليها فأولى التأويلات بتأويل ذلك تأويل من قال انهم كانوا يفعلون ذلك جهلا منهم بالله أنه يخفى عليه ما تضمره نفوسهم أو تناجوه بينهم وانما قلنا ذلك أولى التأويلات بالآية لأن قوله ليستخفوا منه بمعنى ليستخفوا من الله وان الهاء فى قوله منه عائدة على اسم الله ولم يجر لمحمد ذكر قبل فيجعل من ذكره صلى الله عليه وسلم وهى فى سياق الخبر عن الله فاذ كان ذلك كذلك كانت بأن تكون من ذكر الله أولى واذا صح أن ذلك كذلك كان معلوما أنهم لم يحدثوا أنفسهم أنهم يستخفون من الله الا بجهلهم به فأخبرهم جل ثناؤه أنه لا يخفى عليه سر أمورهم وعلانيتها على أى حال كانوا تغشوا بالثياب أو ظهروا بالبراز فقال ألا حين يستغشون ثيابهم يعنى يتغشون ثيابهم يتغطونها و يلبسون يقال منه استغشى ثوبه وتغشاه قال الله واستغشوا ثيابهم وقالت الخنساء

أرعى النجوم وما كلفت رعيتها ... وتارة أتغشى فضل أطمارى

يعلم ما يسرون يقول جل ثناؤه يعلم ما يسر هؤلاء الجهلة بربهم الظانون أن الله يخفى عليه ما أضمرته صدورهم اذا حنوها على ما فيها وثنوها وما تناجوه بينهم فأخفوه وما يعلنون سواء عنده سرائر عباده وعلانيتهم انه عليم بذات الصدور يقول تعالى ذكره ان الله ذو علم بكل ما أخفته صدور خلقه من ايمان وكفر وحق وباطل وخير وشر وما تستجنه مما لم يجنه بعد كما حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس ألا حين يستغشون ثيابهم يقول يغطون رؤسهم «قال أبو جعفر» فاحذروا أن يطلع عليكم ربكم وأنتم مضمرون فى صدوركم الشك فى شىء من توحيده أو أمره أو نهيه أو فيما ألزمكم الايمان به والتصديق فتهلكوا باعتقادكم ذلك والله أعلم

(تم الجزء الحادى عشر من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ويليه الجزء الثانى عشر أوله ☼ القول فى تأويل قوله تعالى (وما من دابة فى الارض الآيات)

الجــــزء الثــانى عشر

من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن تأليف
الامام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت
الأمة على تقدمه في التفسير أبي جعفر
محمــد بن جرير الطــبري المتوفى
سنة ٣١٠ هجرية رحمه
الله وأثابه رضاه
آمــين

﴿ وبهامشه تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعــلامة نظام الدين
الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري قدست أسراره ﴾

« في كشف الظنون » قال الامام جــلال الدين الســيوطي في الاتقان وكتابه
« أي الطبري » أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على
بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفاســير الأقدمين . وقال النووي
أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفســير الطبري . وعن أبي حامد الاسفرايني أنه
قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اهـ

﴿ تنبيــــه ﴾

طبعت هــذه النسخة بعــد تصحيحها على الاصول الموجودة في خزانة الكتبخانة
الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة الســيد عمر الخشاب الكتبي الشهير بمصر ونجله
حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

﴿ الطبعــة الأولى ﴾

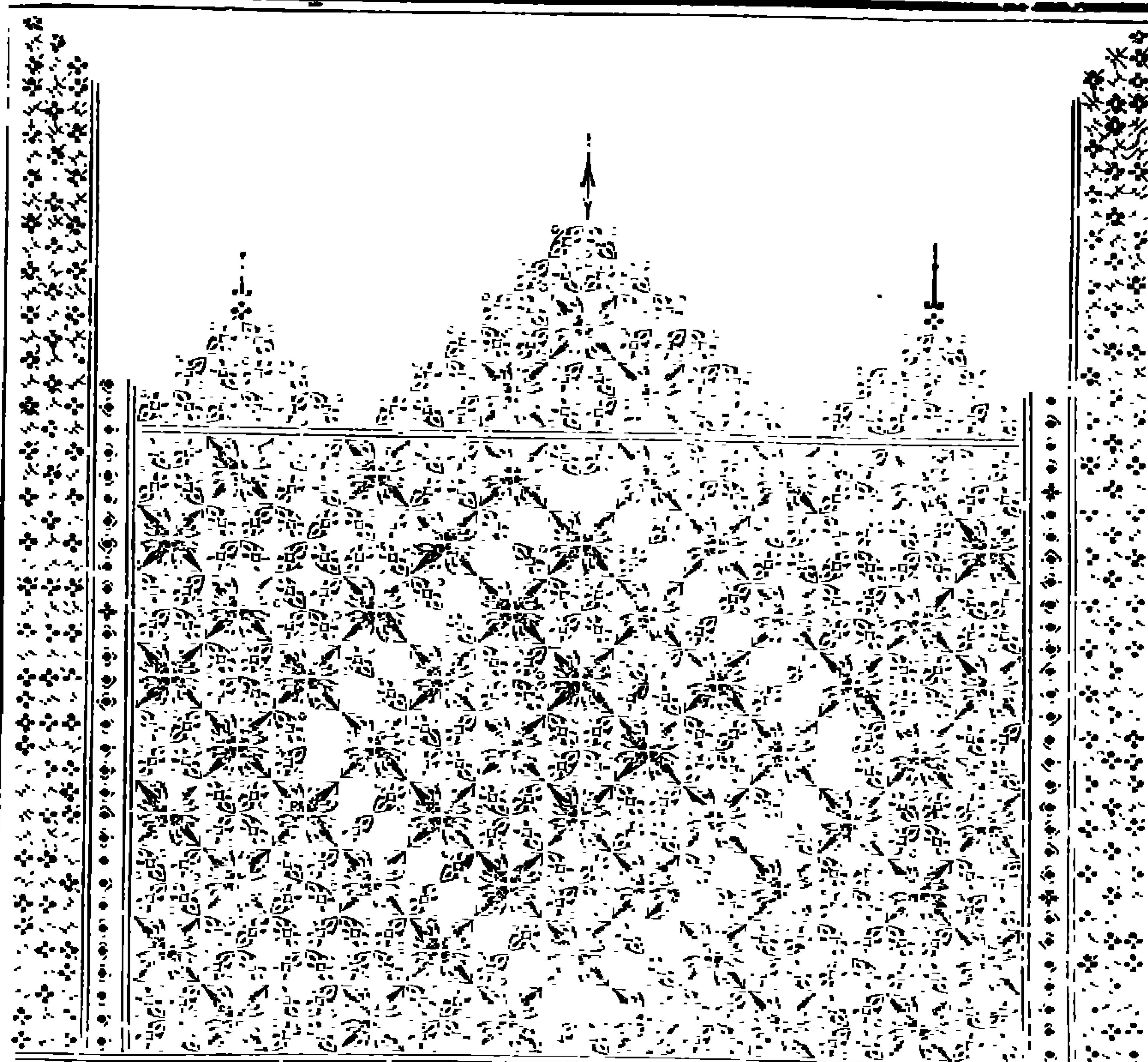
بالمطبعة الكبرى الأميريه ببولاق مصر المحميه

ســنة ١٣٢٨ هجريه

﴿سورة هود مكية غير آية قوله وأقم الصلاة طرفي النهار وحروفها ٧٦٠٥ وكلامها ١٧١٥ وآياتها ١٢٣﴾ (٢)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ألا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير وبشير وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى أجل مسمى ويؤت كل ذى فضل فضله وان تولوا فانى أخاف عليكم عذاب يوم كبير الى الله مرجعكم وهو على كل شئ قدير ألا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين ولئن أخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة ليقولن ما يحبسه ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ولئن أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عنى انه لفرح فخور الا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك انما أنت نذير والله على كل شئ وكيل أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا اله الا هو فهل أنتم مسلمون من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم



(بسم الله الرحمن الرحيم)

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها وما تدب دابة فى الارض والدابة الفاعلة من دب فهو يدب وهو داب وهى دابة الا على الله رزقها يقول الا ومن الله رزقها الذى يصل اليها هو به متكفل وذلك قوتها وغذاؤها وما به عيشها . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال بعض أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد فى قوله وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها قال ما جاءها من رزق فمن الله وربما لم يرزقها حتى تموت جوعا ولكن ما كان من رزق فمن الله حدثنى محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها قال كل دابة حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها يعنى كل دابة والناس منهم * وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يزعم أن كل ماش فهو دابة وأن معنى الكلام وما دابة فى الارض وان من زائدة وقوله ويعلم مستقرها حيث تستقر فيه وذلك مأواها الذى تأوى اليه ليلا أو نهارا ومستودعها الموضع الذى يودعها اما بموتها فيه أو دفنها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن التيمى عن ليث عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال مستقرها حيث تأوى ومستودعها حيث تموت حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ويعلم مستقرها يقول حيث تأوى ومستودعها يقول اذا ماتت حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن ليث عن الحكم عن مقسم عن ابن

أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط (٣) ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون أفمن كان

ابن عباس يعلم مستقرها ومستودعها قال المستقر حيث تأوى والمستودع حيث تموت * وقال آخرون مستقرها في الرحم ومستودعها في الصلب ذكر من قال ذلك حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ويعلم مستقرها في الرحم ومستودعها في الصلب مثل التي في الانعام حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ويعلم مستقرها ومستودعها فالمستقر ما كان في الرحم والمستودع ما كان في الصلب حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ويعلم مستقرها يقول في الرحم ومستودعها في الصلب وقال آخرون المستقر في الرحم والمستودع حيث تموت ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي ويعلى وابن فضيل عن اسمعيل عن ابراهيم عن عبد الله ويعلم مستقرها ومستودعها قال مستقرها الارحام ومستودعها الارض التي تموت فيها . قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن السدى عن مرة عن عبد الله ويعلم مستقرها ومستودعها المستقر الرحم والمستودع المكان الذى تموت فيه . وقال آخرون مستقرها أيام حياتها ومستودعها حيث تموت فيه ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن سعد قال أخبرنا أبو جعفر عن الربيع ابن أنس قوله ويعلم مستقرها ومستودعها قال مستقرها أيام حياتها ومستودعها حيث تموت ومن حيث تبعث وانما اخترنا القول الذى اخترناه فيه لان الله جل ثناؤه أخبر أن ما رزقت الدواب من رزق فمنه فأولى أن يتبع ذلك أن يعلم مثواها ومستقرها دون الخبر عن علمه بما تضمنته الأصلاب والأرحام ويعني بقوله كل في كتاب مبين عدد كل دابة ومبلغ أرزاقها وقدر قرارها في مستقرها ومدة لبثها في مستودعها كل ذلك في كتاب عند الله مثبت مكتوب مبين يبين لمن قرأه أن ذلك مثبت مكتوب قبل أن يخلقها ويوجدها وهذا اخبار من الله جل ثناؤه الذين كانوا يثنون صدورهم ليستخفوا منه أنه قد علم الاشياء كلها وأثبتها في كتاب عنده قبل أن يخلقها ويوجدها يقول لهم تعالى ذكره فمن كان قد علم ذلك منهم قبل أن يوجدهم فكيف يخفى عليه ما تنطوى عليه نفوسهم اذا ثنوا به صدورهم واستغشوا عليه ثيابهم ❁ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وهو الذى خلق السموات والارض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين﴾ يقول تعالى ذكره الله الذى اليه مرجعكم أيها الناس جميعا هو الذى خلق السموات والارض في ستة أيام يقول أفيعجز من خلق ذلك من غير شيء أن يعيدكم أحياء بعد أن يميتكم وقيل ان الله تعالى ذكره خلق السموات والارض وما فيهن في الايام الستة فاجتزى في هذا الموضع بذكر خلق السموات والارض من ذكر خلق ما فيهن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرني اسمعيل بن أمية عن أيوب ابن خالد عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة عن أبي هريرة قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق الجبال فيها يوم الاحد وخلق الشجر فيها يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وبث فيهما من كل دابة يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله في ستة أيام قال بدأ خلق الارض في يومين وقدر فيها أقواتها في يومين حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن الاعمش عن أبي صالح عن كعب قال بدأ الله خلق السموات والارض يوم الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وفرغ منها يوم الجمعة فخلق آدم في آخر ساعة من يوم الجمعة قال فجعل مكان كل يوم ألف سنة

على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة أولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه انه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون أولئك لم يكونوا معجزين في الارض وما كان لهم من دون الله من أولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون أولئك الذين خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا الى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون ﴾

❁ القراآت وان تولوا باظهار النون وتشديد التاء البزى وابن فليح فاني أخاف بفتح الياء أبو عمرو وأبو جعفر ونافع وابن كثير عني انه بفتح الياء أبو جعفر ونافع وأبو عمرو ❁ الوقوف الر ق كوفى خبير ٥ لا بناء على أن ألا يتعلق بما قبله الا الله ط وبشير ٥ لا للعطف فضله ج كبير ٥ مرجعكم ج لاحتمال الحال والاستئناف قدير ٥ منه ط ثيابهم لا بناء على ان عامل حين قوله يعلم يعلنون ج الصدور ٥ ومستودعها ط مبين ٥ عملا ط مبين ٥ ما يحبسه ط يستهزؤن ٥ منه ج لحذف جواب لئن أى ليبأسن وقيل جوابها انه والاول أوجه كفور ٥ عني ط

و حدثت عن المسيب بن شريك عن أبي روق عن الضحاك وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام قال من أيام الآخرة كل يوم مقداره ألف سنة ابتدأ في الخلق يوم الاحد وختم الخلق يوم الجمعة فسميت الجمعة وسبت يوم السبت فلم يخلق شيأ وقوله وكان عرشه على الماء يقول وكان عرشه على الماء قبل أن يخلق السموات والارض وما فيهن كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله وكان عرشه على الماء قبل أن يخلق شيأ حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكان عرشه على الماء ينبئكم ربكم تبارك وتعالى كيف كان بدء خلقه قبل أن يخلق السموات والارض حدثنا محمد ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وكان عرشه على الماء قال هذا بدء خلقه قبل أن يخلق السماء والأرض حدثني المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن حدس عن عمه أبي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والارض قال في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء ثم خلق عرشه على الماء حدثنا ابن وكيع ومحمد بن هرون القطان الرازي قالا ثنا يزيد بن هرون عن حماد بن سلمة عن يعلى ابن عطاء عن وكيع بن حدس عن عمه أبي رزين قال قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه قال كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء ثم خلق عرشه على الماء حدثنا خلاد بن أسلم قال اخبرنا النضر بن شميل قال أخبرنا المسعودي قال أخبرنا جامع بن شداد عن صفوان بن محرز عن ابن حصين وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتى قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلوا عليه فجعل يبشرهم ويقولون أعطنا حتى ساء ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرجوا من عنده وجاء قوم آخرون فدخلوا عليه فقالوا جئنا نسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونتفقه في الدين ونسأله عن بدء هذا الامر قال فاقبلوا البشرى اذ لم يقبلها أولئك الذين خرجوا قالوا قبلنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الله ولا شئ غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر قبل كل شئ ثم خلق سبع سموات ثم أتاني آت فقال تلك ناقتك قد ذهبت فخرجت ينقطع دونها السراب ولوددت أني تركتها حدثنا محمد بن منصور قال ثنا اسحق بن سليمن قال ثنا عمرو بن أبي قيس عن ابن أبي ليلى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله وكان عرشه على الماء قال كان عرش الله على الماء ثم اتخذ لنفسه جنة ثم اتخذ دونها أخرى ثم أطبقهما بلؤلؤة واحدة قال ومن دونهما جنتان قال وهي التي لا تعلم نفس أو قال وهما التي لا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون قال وهي التي لا تعلم الخلائق ما فيها أو ما فيهما يأتيهم كل يوم منها أو منهما تحفة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن الاعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير قال سئل ابن عباس عن قول الله وكان عرشه على الماء قال على أي شئ كان الماء قال على متن الريح حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الاعمش عن سعيد بن جبير قال سئل ابن عباس عن قوله تعالى وكان عرشه على الماء على أي شئ كان الماء قال على متن الريح حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن سعيد عن ابن عباس مثله .. قال ثنا الحسين قال ثنا ميسر الحلبي عن أرطاة بن المنذر قال سمعت ضمرة يقول ان الله كان عرشه على الماء وخلق السموات والارض بالحق وخلق القلم فكتب به ما هو خالق وما هو كائن من خلقه ثم ان ذلك الكتاب سبح الله ومجده ألف عام قبل أن يخلق

شيأ

غفور ه لا للاستثناء الصالحات ط كبير ه ملك ط (٤) نذير ه وكيل ه ط لان أم استفهام تقريع افتراه ط صادقين ه الاهو ج ط للاستفهام مع الفاء مسلمون ه يبخسون ه الاالنار ز بناء على ان ليس بمنزلة حرف النفي والوصل أوجه لان ليس فعل ماض وهو مع ما عطف عليه المجموع جزاء يعملون ه ورحمة ط يؤمنون به ط موعده ج لاختلاف الجملتين مع الفاء لا يؤمنون ه كذبا ط على ربهم الثاني ج لان ما بعده يحتمل أن يكون من قول الأشهاد أو ابتداء اخبار الظالمين ه لا عوجا ط من أولياء م لئلا يوهم أن ما بعده صفة أولياء العذاب ط يبصرون ه يفترون ه الاخسرون ه الى ربهم لا لأن ما بعده خبر ان الجنة ج خالدون ه والسميع ط مثلا ط تذكرون ه

﴿التفسير﴾ (الر) ان كان اسما للسورة فما بعده خبره وان كان واردا على سبيل التعديد أو كان معناه أنا الله أرى فقوله (كتاب) خبر مبتدا محذوف أي هذا الكتاب والاشارة اما الى هذا البعض واما الى مجموع القرآن ومعنى (أحكمت) نظمت نظما رصينا من غير نقض ونقص أو جعلت حكيمة من حكم بالضم اذا صار حكيما أو منعت من الفساد والبطلان من قولهم أحكمت الدابة وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح أي لم ينسخ بكتاب سواه كما نسخ سائر الكتب وذلك لاشتماله على العلوم النظرية والعملية والظاهرية والباطنية وعلى أصول جميع الشرائع فلا محالة لا يتطرق اليه تبديل وتغيير (ثم فصلت) كما تفصل القلائد بالفرائد من بدلائل التوحيد والنبوة والاحكام والمواعظ والقصص لكل معنى من هذه المعاني فصل انفرد به أو جعلت فصولا سورة سورة

شيأ من الخلق حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثنى عبد الصمد بن معقل قال سمعت وهب بن منبه يقول ان العرش كان قبل أن يخلق الله السموات والارض ثم قبض قبضة من صفاء الماء ثم فتح القبضة فارتفع دخان ثم قضاهن سبع سموات في يومين ثم أخذ طينة من الماء فوضعها مكان البيت ثم دحا الارض منها ثم خلق الاقوات في يومين والسموات في يومين وخلق الارض في يومين ثم فرغ من آخر الخلق يوم السابع وقوله ليبلوكم أيكم أحسن عملا يقول تعالى ذكره وهو الذي خلق السموات والارض أيها الناس وخلقكم في ستة أيام ليبلوكم يقول ليختبركم أيكم أحسن عملا يقول أيكم أحسن له طاعة كما حدثنا عن داود بن المحبر قال ثنا عبد الواحد بن زيد عن كليب بن وائل عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تلا هذه الآية ليبلوكم أيكم أحسن عملا قال أيكم أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ليبلوكم أيكم أحسن عملا يعني الثقلين وقوله ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الاسحر مبين يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولئن قلت لهؤلاء المشركين من قومك انكم مبعوثون أحياء من بعد مماتكم فتلوت عليهم بذلك تنزيلي ووحيي ليقولن ان هذا الاسحر مبين أي ما هذا الذي تتلوه علينا مما تقول الاسحر لسامعه مبين حقيقته أنه سحر وهذا على تأويل من قرأ ذلك ان هذا الاسحر مبين وأما من قرأ ان هذا الاساحر مبين فانه يوجه الخبر بذلك عنهم الى أنهم وصفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه فيما أتاهم به من ذلك ساحر مبين وقد بينا الصواب من القراءة في ذلك في نظائره فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته ههنا ✽ القول في تأويل قوله تعالى (ولئن أخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة ليقولن ما يحبسه ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) يقول تعالى ذكره ولئن أخرنا عن هؤلاء المشركين من قومك يا محمد العذاب فلم نعجله لهم وأنسأنا في آجالهم الى أمة معدودة ووقت محدود وسنين معلومة وأصل الأمة ما قد بينا فيما مضى من كتابنا هذا أنها الجماعة من الناس تجتمع على مذهب ودين ثم تستعمل في معان كثيرة ترجع الى معنى الأصل الذي ذكرت وانما قيل للسنين المعدودة والحين في هذا الموضع ونحوه أمة لان فيها تكون الأمة وانما معنى الكلام ولئن أخرنا عنهم العذاب الى مجيء أمة وانقراض أخرى قبلها .. وبنحو الذي قلنا من أن معنى الأمة في هذا الموضع الأجل والحين قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن وحدثني المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان الثوري عن عاصم عن أبي رزين عن ابن عباس وحدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن عاصم عن أبي رزين عن ابن عباس ولئن أخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة قال الى أجل محدود حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن عاصم عن أبي رزين عن ابن عباس مثله حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة الى أمة معدودة قال أجل معدود حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربي عن جويبر عن الضحاك قال الى أجل معدود حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الى أمة معدودة قال الى حين حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله ✽ قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ولئن أخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة يقول أمسكنا عنهم العذاب الى أمة معدودة قال ابن جريج قال مجاهد الى حين

وآية وآية أو فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة واحدة أو فصل فيها تكاليف العباد (٥) وبين ما يحتاجون اليه في اصلاح المعاش والمعاد ومعنى ثم التراخي في الحال كقولك فلان كريم الأصل ثم كريم الفعل وأحكمت صفة كتاب و(من لدن) صفة ثانية أو خبر بعد خبر أو صلة لاحكمت وفصلت أي من عنده احكامها وتفصيلها وفي قوله (حكيم خبير) لف ونشر لان المعنى أحكمها حكيم وفصلها خبير عالم بمواقع الأمور احتج الجبائي بقوله أحكمت ثم فصلت على كون القرآن محدثا لان الاحكام والتفصيل يكون بجعل جاعل وكذا بقوله من لدن لان القديم لا يصدر من القديم وأجيب بأنه لا نزاع في حدوث الأصوات والحروف وانما النزاع في الكلام النفسي وقوله (ألا تعبدوا الا الله) مفعول له أي لأجل ذلك أو يكون أن مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول كأنه قيل ثم قيل للنبي صلى الله عليه وسلم قل لهم لا تعبدوا وجوز في الكشاف أن يكون كلاما مبتدأ منقطعا عما قبله محكيا على لسان النبي صلى الله عليه وسلم يغري أمته على اختصاص الله بالعبادة كأنه قال ترك عبادة غير الله مثل فضرب الرقاب والضمير في منه لله عز وجل حالا من نذير وبشير أي انني لكم نذير من جهته ان لم تخصوه بالتعبد وبشير ان خصصتموه بذلك ويجوز أن يكون منه صلة لنذير أي أنذركم منه ومن عذابه ويكون صلة بشير محذوفا أي أبشركم بثوابه ثم عطف على قوله أن لا تعبدوا قوله (وأن استغفروا) أي اطلبوا من ربكم المغفرة لذنوبكم ثم بين الشيء الذي به يطلب ذلك وهو التوبة فقال (ثم توبوا اليه) فالتوبة مطلوبة لكونها من متممات الاستغفار وما كان آخرا في الحصول كان أولا في الطلب فلهذا قدم الاستغفار على التوبة وقيل استغفروا أي توبوا

حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولئن أخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة يقول الى أجل معلوم وقوله ليقولن ما يحبسه يقول ليقولن هؤلاء المشركون ما يحبسه أي شئ يمنعه من تعجيل العذاب الذي يتوعدنا به تكذيبا منهم به وظنا منهم أن ذلك انما أخر عنهم لكذب المتوعد كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قوله ليقولن ما يحبسه قال للتكذيب به أو أنه ليس بشئ وقوله ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم يقول تعالى ذكره تحقيقا لوعيده وتصحيحا لخبره ألا يوم يأتيهم العذاب الذي يكذبون به ليس مصروفا عنهم يقول ليس يصرفه عنهم صارف ولا يدفعه عنهم دافع ولكنه يحل بهم فيهلكهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن يقول ونزل بهم وأصابهم الذي كانوا به يسخرون من عذاب الله وكان استهزاؤهم به الذي ذكره الله قيلهم قبل نزوله ما يحبسه نقلا بأنبيائه * وبنحو الذي قلنا في ذلك كان بعض أهل التأويل يقول ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن قال ما جاءت به أنبياؤهم من الحق ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولئن أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور﴾ يقول تعالى ذكره ولئن أذقنا الانسان منا رخاء وسعة في الرزق والعيش فبسطنا عليه من الدنيا وهي الرحمة التي ذكرها تعالى ذكره في هذا الموضع ثم نزعناها منه يقول ثم سلبناه ذلك فأصابته مصائب أجاحته فذهبت به انه ليؤس كفور يقول يظل قنطا من رحمة الله آيسا من الخير وقوله يؤس فعول من قول القائل يئس فلان من كذا فهو يؤس اذا كان ذلك صفة له وقوله كفور يقول هو كفور لمن أنعم عليه قليل الشكر لربه المتفضل عليه بما كان وهب له من نعمته * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ولئن أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور قال يا ابن آدم اذا كانت بك نعمة من الله من السعة والأمن والعافية فكفور لما بك منها واذا نزعت منك يبتغي لك فراغك فيؤس من روح الله قنوط من رحمته كذلك المرء المنافق والكافر ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيآت عني إنه لفرح فخور إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير﴾ يقول تعالى ذكره ولئن نحن بسطنا للانسان في دنياه ورزقناه رخاء في عيشه ووسعنا عليه في رزقه وذلك هي النعم التي قال الله جل ثناؤه ولئن أذقناه نعماء وقوله بعد ضراء مسته يقول بعد ضيق من العيش كان فيه وعسرة كان يعالجها ليقولن ذهب السيآت عني يقول تعالى ذكره ليقولن عند ذلك ذهب الضيق والعسرة عني وزالت الشدائد والمكاره إنه لفرح فخور يقول تعالى ذكره إن الانسان لفرح بالنعم التي يعطاها مسرور بها فخور يقول ذو فخر بما نال من السعة في الدنيا وما بسط له فيها من العيش وينسى صروفها ونكد العوارض فيها ويدع طلب النعيم الذي يبقى والسرور الذي يدوم فلا يزول حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله ذهب السيئات عني قال غرة بالله وجراءة عليه انه لفرح والله لا يحب الفرحين فخور بعد ما أعطى وهو لا يشكر الله ثم استثنى جل ثناؤه من الانسان الذي وصفه بهاتين الصفتين الذين صبروا وعملوا الصالحات وانما جاز استثناؤهم منه لان الانسان بمعنى الجنس ومعنى الجمع وهو كقوله والعصر إن الانسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فقال تعالى ذكره إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات فانهم ان تأتهم شدة من الدنيا وعسرة فيها لم يثنهم ذلك عن طاعة الله ولكنهم صبروا لأمره وقضائه فان نالوا فيها رخاء وسعة

الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة وقيل الاستغفار أن يطلب من الله الاعانة في ازالة ما لا ينبغي والتوبة سعي الانسان في الطاعة والاستعانة بفضل الله مقدم على الاستعانة بسعي النفس ثم رتب على الامتثال أمرين الأول التمتع بالمنافع الدنيوية الى حين الوفاة كقوله فلنحيينه حياة طيبة (سؤال) كيف الجمع بين هذا وبين قوله تعالى ولولا أن يكون الناس أمة واحدة وقول النبي صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن البلاء موكل بالانبياء ثم بالاولياء وأجيب بأن المراد أن لا يهلكهم بعذاب الاستئصال أو يرزقهم كيف كان والجواب الثاني أن الانسان اذا كان مشغولا بطاعة الله مستغرقا في نور معرفته وعبادته كان مبتهجا في نفسه مسرورا في ذاته هينا عليه ما فاته من اللذات العاجلة قانعا بما يصيبه من الخيرات الزائلة الثاني قوله (ويؤت) أي في الآخرة (كل ذي فضل فضله) أي موجب فضل ذلك الشخص ومقتضاه يعني الجزاء المرتب على عمله بحسب تزايد الطاعات وتسمية العمل الحسن فضلا تشريف ويجوز أن يعود الضمير في فضله الى الله تعالى وفيه تنبيه على أن الدرجات في الجنة تتفاضل بحسب تزايد الطاعات ثم أوعد على مخالفة الأمر فقال (وان تولوا) أي تتولوا فحذفت احدى التاءين والمعنى ان تعرضوا عن الاخلاص في العبادة وعن الاستغفار والتوبة (فاني أخاف عليكم عذاب يوم كبير) هو يوم القيامة الموصوف بالعظم والثقل أيضا ويذرون وراءهم يوما ثقيلا ثم بين كبر عذاب ذلك اليوم بقوله (الى الله

شكروه وأدوا حقوقه بما آتاهم منها يقول الله أولئك لهم مغفرة يغفرها لهم ولا يفضحهم بها في معادهم وأجر كبير يقول ولهم من الله مع مغفرة ذنوبهم ثواب على أعمالهم الصالحة التي عملوها في دار الدنيا جزيل وجزاء عظيم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج الا الذين صبروا عند البلاء وعملوا الصالحات عند النعمة لهم مغفرة لذنوبهم وأجر كبير قال الجنة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك انما أنت نذير والله على كل شيء وكيل﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فلعلك يا محمد تارك بعض ما يوحى اليك ربك أن تبلغه من أمرك بتبليغه ذلك وضائق بما يوحى اليك صدرك فلا تبلغه اياهم مخافة أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك له مصدق بأنه لله رسول يقول تعالى ذكره فبلغهم ما أوحيته اليك فانك انما أنت نذير تنذرهم عقابي وتحذرهم بأسي على كفرهم بي وانما الآيات التي يسألونكها عندي وفي سلطاني أنزلها اذا شئت وليس عليك الا البلاغ والانذار والله على كل شيء وكيل يقول والله القيم بكل شيء وبيده تدبيره فانفذ لما أمرتك به ولا يمنعك مسئلتهم اياك الآيات من تبليغهم وحيي والنفوذ لأمري * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال بعض أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال قال الله لنبيه فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك أن تفعل فيه ما أمرت وتدعو اليه كما أرسلت قالوا لولا أنزل عليه كنز لا نرى معه مالا أين المال أو جاء معه ملك ينذر معه انما أنت نذير فبلغ ما أمرت ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم كفاك حجة على حقيقة ما أتيتهم به ودلالة على صحة نبوتك هذا القرآن من سائر الآيات غيره اذ كانت الآيات انما تكون لمن أعطيها دلالة على صدقه لعجز جميع الخلق عن أن يأتوا بمثلها وهذا القرآن جميع الخلق عجزت عن أن يأتوا بمثله فان هم قالوا افتريته أي اختلقته وتكذبته ودل على أن معنى الكلام ما ذكرنا قوله أم يقولون افتراه الى آخر الآية ويعني تعالى ذكره بقوله أم يقولون افتراه أي أيقولون افتراه وقد دللنا على سبب ادخال العرب أم في مثل هذا الموضع فقل لهم يأتوا بعشر سور مثل هذا القرآن مفتريات يعني مفتعلات مختلقات ان كان ما أتيتكم به من هذا القرآن مفترى وليس بآية معجزة كسائر ما سئلته من الآيات كالكنز الذي قلتم هلا أنزل عليه أو الملك الذي قلتم هلا جاء معه نذيرا له مصدقا فانكم قومي وأنتم من أهل لساني وأنا رجل منكم ومحال أن أقدر أخلق وحدي مائة سورة وأربع عشرة سورة ولا تقدروا بأجمعكم أن تفتروا وتختلقوا عشر سور مثلها ولا سيما اذا استعنتم في ذلك بمن شئتم من الخلق يقول جل ثناؤه قل لهم وادعوا من استطعتم أن تدعوهم من دون الله يعني سوى الله لافتراء ذلك واختلاقه من الآلهة فان أنتم لم تقدروا على أن تفتروا عشر سور مثله فقد تبين لكم أنكم كذبة في قولكم افتراه وصحت عندكم حقيقة ما أتيتكم به أنه من عند الله ولم يكن لكم أن تتخيروا الآيات على ربكم وقد جاءكم من الحجة على حقيقة ما تكذبون به أنه من عند الله مثل الذي تسألون من الحجة وترغبون أنكم تصدقون بمجيئها وقوله ان كنتم صادقين لقوله فأتوا بعشر سور مثله وانما هو قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ان كنتم صادقين أن هذا القرآن افتراه محمد وادعوا من استطعتم من دون الله على ذلك من الآلهة والانداد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج أم يقولون افتراه قد قالوه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا شهداءكم قال يشهدون أنها مثله هكذا قال القاسم في حديثه ۞ القول

مرجعكم) أي لا حكم في ذلك اليوم الا لله ولا رجوع الا الى جزائه وهو مع ذلك كامل القدرة نافذ الحكم فما ظنكم بعذاب يكون المعذب به مثله وفيه من التهديد ما فيه ولكن الآية تتضمن البشارة من وجه آخر وذلك أن الحاكم الموصوف بمثل هذه العظمة والقدرة والاستقلال في الحكم اذا رأى عاجزا مشرفا على الهلاك فانه يرحم عليه ولا يقيم لعذابه وزنا اللهم لا تخيب رجاءنا فانك واسع المغفرة ثم ذكر أن التولي عن الأوامر المذكورة باطنا كالتولي عنها ظاهرا فقال (ألا انهم يثنون) يقال ثني صدره عن الشيء اذا ازور عنه وانحرف وطوى عنه كشحا * قال المفسرون وههنا اضمار أي يثنون صدورهم ويريدون (ليستخفوا منه) أي من الله ثم كرر كلمة (ألا) تنبيها على وقت استخفائهم وهو (حين يستغشون ثيابهم) أي يريدون الاستخفاء في وقت استغشاء الثياب قال الكلبي ثني صدورهم كناية عن نفاقهم لما روي أن طائفة من المشركين منهم الاخنس بن شريق قالوا اذا أغلقنا أبوابنا وأرخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وثنينا صدورنا على عداوة محمد فكيف يعلم بنا وعلى هذا لا حاجة الى الاضمار وقيل انه حقيقة وذلك أن بعض الكفار كان اذا مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثني صدره وولى ظهره واستغشى ثيابه لئلا يسمع كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يتلو من القرآن وليقول في نفسه ما يشتهي من الطعن ثم استأنف قوله (يعلم ما يسرون وما يعلنون) تنبيها على أنه لا فائدة لهم في الاستخفاء لانه تعالى عالم بالسرائر كما أنه عالم بالظواهر ثم أكد كونه عالما بكل المعلومات بكونه كافلا لارزاق جميع الحيوانات ضامنا

في تأويل قوله تعالى ﴿فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا اله الا هو فهل أنتم مسلمون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه قل يا محمد لهؤلاء المشركين فان لم يستجب لكم من تدعون من دون الله الى أن يأتوا بعشر سور مثل هذا القرآن مفتريات ولم تطيقوا أنتم وهم أن تأتوا بذلك فاعلموا وأيقنوا أنه انما أنزل من السماء على محمد صلى الله عليه وسلم بعلم الله واذنه وأن محمدا لم يفتره ولا يقدر أن يفتريه وأن لا اله الا هو يقول وأيقنوا أيضا أن لا معبود يستحق الألوهة على الخلق الا الله الذي له الخلق والأمر فاخلعوا الأنداد والآلهة وأفردوا له العبادة وقد قيل ان قوله فان لم يستجيبوا لكم خطاب من الله لنبيه كأنه قال فان لم يستجب لك هؤلاء الكفار يا محمد فاعلموا أيها المشركون أنما أنزل بعلم الله وذلك تأويل بعيد من المفهوم وقوله فهل أنتم مسلمون يقول فهل أنتم مذعنون لله بالطاعة ومخلصون له العبادة بعد ثبوت الحجة عليكم وكان مجاهد يقول عني بهذا القول أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فهل أنتم مسلمون قال لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال وحدثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وأن لا اله الا هو فهل أنتم مسلمون قال لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقيل فان لم يستجيبوا لكم والخطاب في أول الكلام قد جرى لواحد وذلك قوله قل فأتوا ولم يقل فان لم يستجيبوا لك على نحو ما قد بينا قبل في خطاب رئيس القوم وصاحب أمرهم أن العرب تخرج خطابه أحيانا مخرج خطاب الجمع اذ كان خطابه خطابا لأتباعه وجنده وأحيانا مخرج خطاب الواحد اذ كان في نفسه واحدا ✽ القول في تأويل قوله تعالى ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون﴾ يقول تعالى ذكره من كان يريد بعمله الحياة الدنيا وأثاثها وزينتها يطلب به نوف اليهم أجور أعمالهم فيها وثوابها وهم فيها يقول وهم في الدنيا لا يبخسون يقول لا ينقصون أجرها ولكنهم يوفونه فيها ✽ وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها الآية وهي ما يعطيهم الله من الدنيا بحسناتهم وذلك أنهم لا يظلمون نقيرا يقول من عمل صالحا التماس الدنيا صوما أو صلاة أو تهجدا بالليل لا يعمله الا لالتماس الدنيا يقول الله أوفيه الذي التمس في الدنيا من المثابة وحبط عمله الذي كان يعمل التماس الدنيا وهو في الآخرة من الخاسرين حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن منصور عن سعيد بن جبير من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها قال ثواب ما عملوا في الدنيا من خير أعطوه في الدنيا وليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن سعيد بن جبير قوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها قال وزن ما عملوا من خير أعطوه في الدنيا وليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها قال هي مثل الآية التي في الروم وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن منصور عن سعيد بن جبير من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها قال من عمل للدنيا وفيه في الدنيا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها قال من عمل عملا مما أمر الله به من صلاة أو صدقة لا يريد بها وجه الله أعطاه الله في الدنيا ثواب ذلك مثل ما أنفق فذلك قوله نوف اليهم أعمالهم فيها في الدنيا وهم فيها لا يبخسون

لمصالحها ومهامها فضلا وامتنانا وكرما واحسانا فقال (ومامن دابة) الاية والمستقر مكانها من الارض والمستودع ما قبل ذلك من الامكنة من صلب أو رحم أو بيضة وقال الفراء مستقرها حيث تأوي اليه ليلا أو نهارا ومستودعها موضعها الذي تموت فيه وقد مر تمام الاقوال في سورة الانعام واستدل الاشاعرة بالآية على أن الحرام رزق لأنها تدل على أن ايصال الرزق الى كل حيوان واجب على الله بحسب الوعد عندنا أو بحسب الاستحقاق عند المعتزلة ثم انا نرى انسانا لا يأكل من الحلال طول عمره وقد سماه الله تعالى رزقا ثم ختم الآية بقوله (كل في كتاب مبين) أي كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها ثابت في علم الله أو في اللوح المحفوظ وقد ذكرنا فائدته في قوله ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين يروى أن موسى عليه السلام عند نزول الوحي عليه تعلق قلبه بأهله فأمره الله تعالى أن يضرب بعصاه صخرة فانشقت فخرجت منها صخرة ثانية ثم ضرب فانشقت فخرجت ثالثة ثم ضربها فخرجت دودة كالذرة وفي فيها شيء يجري مجرى الغذاء لها فسمع الدودة تقول سبحان من يراني ويسمع كلامي ويعرف مكاني ويذكرني ولا ينساني ثم أكد دلائل قدرته بقوله (وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء) قال كعب الأحبار خلق الله ياقوتة خضراء ثم نظر اليها بالهيبة فصارت ماء يرتعد ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ووضع العرش على الماء وقال أبو بكر الأصم هذا كقولك السماء على الارض وليس ذلك على سبيل كون أحدهما ملصقا بالآخر وعلى هذا فيكون الآن أيضا عرشه على الماء

أجر ما عملوا فيها أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها الآية حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن عيسى يعني ابن ميمون عن مجاهد في قوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها قال ممن لا يقبل منه جوزي به يعطى ثوابه حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن عيسى الجرشي عن مجاهد من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها قال ممن لا يقبل منه يعجل له في الدنيا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أي لا يظلمون يقول من كانت الدنيا همه وسدمه وطلبته ونيته جازاه الله بحسناته في الدنيا ثم يفضي الى الآخرة وليس له حسنة يعطى بها جزاء وأما المؤمن فيجازى بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة وهم فيها لا يبخسون أي في الآخرة لا يظلمون حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور و حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق جميعا عن معمر عن قتادة من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها الآية قال من كان انما همته الدنيا اياها طلب أعطاه الله مالا وأعطاه فيها ما يعيش وكان ذلك قصاصا له بعمله وهم فيها لا يبخسون قال لا يظلمون * قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ليث بن أبي سليم عن محمد بن كعب القرظي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أحسن من محسن فقد وقع أجره على الله في عاجل الدنيا وآجل الآخرة حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سلمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها الآية يقول من عمل عملا صالحا في غير تقوى يعني من أهل الشرك أعطي على ذلك أجرا في الدنيا يصل رحما يعطي سائلا يرحم مضطرا في نحو هذا من أعمال البر يعجل الله له ثواب عمله في الدنيا يوسع عليه في المعيشة والرزق ويقر عينه فيما خوله ويدفع عنه من مكاره الدنيا في نحو هذا وليس له في الآخرة من نصيب حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا حفص بن عمر أبو عمر الضرير قال ثنا همام عن قتادة عن أنس في قوله نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون قال هي في اليهود والنصارى * قال ثنا حفص بن عمر قال ثنا يزيد بن زريع عن أبي رجاء الازدي عن الحسن نوف اليهم أعمالهم فيها قال طيباتهم حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن مثله حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن وهيب أنه بلغه أن مجاهدا كان يقول في هذه الآية هم أهل الرياء هم أهل الرياء * قال أخبرنا ابن المبارك عن حيوة بن شريح قال ثني الوليد ابن أبي الوليد أبو عثمان أن عقبة بن مسلم حدثه أن شفي بن ماتع الاصبحي حدثه أنه دخل المدينة فاذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس فقال من هذا فقالوا أبو هريرة فدنوت منه حتى قعدت بين يديه وهو يحدث الناس فلما سكت وخلا قلت أنشدك بحق وبحق لما حدثتني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم عقلته وعلمته قال فقال أبو هريرة أفعل لأحدثنك حديثا حدثنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نشغ نشغة ثم أفاق فقال لأحدثنك حديثا حدثنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا البيت ما فيه أحد غيري وغيره ثم نشغ أبو هريرة نشغة شديدة ثم مال خارا على وجهه واشتد به طويلا ثم أفاق فقال حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى اذا كان يوم القيامة نزل الى القيامة ليقضي بينهم وكل أمة جاثية فأول من يدعى به رجل جمع القرآن ورجل قتل في سبيل الله ورجل كثير المال فيقول الله للقارئ ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي قال بلى يا رب قال فماذا عملت فيما علمت قال كنت أقوم آناء الليل وآناء النهار فيقول الله له كذبت وتقول له

والارض وعلى أن الملائكة خلقت قبل العرش والماء ليعتبروا بهما والالزم أن يكون خلقهما قبل أن يعتبر بهما عبثا اذ لا يتصور عود نفعهما اليه تعالى وقال أبو مسلم العرش البناء أي بناؤه للسموات كان على الماء وقال حكماء الاسلام المراد بالماء تحركه شبه سيلان الماء أي وكان عرشه يتحرك وبالجملة مقصود الآية بيان كمال قدرته في امساك الجرم العظيم على الصغير أما قوله (ليبلوكم) فالمعتزلة قالوا اللام للتعليل وذلك أنه خلق هذا العالم الكبير لاجل مصالح المكلفين وأن يعاملهم معاملة المختبر المبتلي لأحوالهم كيف يعملون فيجازي كل فريق بما يستحقه والاشاعرة قالوا ان أحكامه غير معللة بالمصالح ومعناه أنه فعل فعلا لو كان يفعله من يجوز عليه رعاية المصالح لما فعله الا لهذا الغرض وانما علق فعل البلوى لما في الاختبار من معنى العلم لانه طريق الى العلم فهو ملابس له كالنظر والاستماع في قولك انظر أيهم أحسن وجها واسمع أيهم أحسن كلاما قال في الكشاف الذين هم أحسن عملا هم المتقون وانما خصهم بالذكر وطرح ذكر من وراءهم من الفساق والكفار تشريفا لهم قلت ويجوز أن يقال ان أحسن بمعنى حسن ليشمل الخطاب جميع المكلفين ثم لما كان الابتلاء يتضمن حديث البعث أتبع ذلك قوله (ولئن قلت) الآية والاشارة في قوله (ان هذا الا سحر) الى البعث أي هو باطل كبطلان السحر أو الى القرآن لانه الناطق

بالبعث واذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته انكار ما فيه من البعث وقال القفال

الملائكة كذبت و يقول الله بل أردت أن يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك و يؤتى بصاحب المال فيقول الله له ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج الى أحد قال بلى يارب قال فماذا عملت فيما آتيتك قال كنت أصل الرحم وأتصدق فيقول الله له كذبت وتقول له الملائكة كذبت و يقول الله بل أردت أن يقال فلان جواد فقد قيل ذلك و يؤتى بالذى قتل فى سبيل الله فيقال له فيماذا قتلت فيقول أمرت بالجهاد فى سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله له كذبت وتقول له الملائكة كذبت و يقول الله بل أردت أن يقال فلان جرىء وقد قيل ذلك ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتى فقال يا أباهريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر لهم النار يوم القيامة * قال الوليد أبو عثمان فأخبرنى عقبة أن شفيا هو الذى دخل على معاوية فأخبره بهذا * قال أبو عثمان وحدثنى العلاء بن أبى حكيم أنه كان سيافا لمعاوية قال فدخل عليه رجل فحدثه بهذا عن أبى هريرة فقال أبو هريرة وقد فعل بهؤلاء هذا فكيف بمن بقى من الناس ثم بكى معاوية بكاء شديدا حتى ظننا أنه هالك وقلنا هذا الرجل شر ثم أفاق معاوية ومسح عن وجهه فقال صدق الله ورسوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وقرأ الى وباطل ما كانوا يعملون حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن عيسى بن ميمون عن مجاهد من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها الآية قال ممن لا يتقبل منه يصوم و يصلى يريد به الدنيا ويدفع عنه وهم الآخرة وهم فيها لا يبخسون لا ينقصون * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون﴾ يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين ذكرت أنا نوفيهم أجور أعمالهم فى الدنيا ليس لهم فى الآخرة الا النار يصلونها وحبط ما صنعوا فيها يقول وذهب ما عملوا فى الدنيا وباطل ما كانوا يعملون لانهم كانوا يعملون لغير الله فأبطله الله وأحبط عامله أجره * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أفمن كان على بينة من ربه و يتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة أولئك يؤمنون به﴾ يقول تعالى ذكره أفمن كان على بينة من ربه قد بين له دينه فتبينه و يتلوه شاهد منه واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم يعنى بقوله أفمن كان على بينة من ربه محمدا صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن خلف قال ثنا حسين بن محمد قال ثنا شيبان عن قتادة عن عروة عن محمد بن الحنفية قال قلت لابى يا أبت أنت التالى فى و يتلوه شاهد منه قال لا والله يا بنى وددت أنى كنت أنا هو ولكنه لسانه حدثنى يعقوب وابن وكيع قالا ثنا ابن علية عن أبى رجاء عن الحسن و يتلوه شاهد منه قال لسانه حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن عوف عن الحسن فى قوله و يتلوه شاهد منه قال لسانه حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا الحكم بن عبد الله أبو النعمان العجلى قال ثنا شعبة عن أبى رجاء عن الحسن مثله حدثنى على بن الحسن الأزدى قال ثنا المعافى بن عمران عن قرة بن خالد عن الحسن مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أفمن كان على بينة من ربه وهو محمد كان على بينة من ربه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن قوله و يتلوه شاهد منه قال لسانه حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة و يتلوه شاهد منه قال لسانه هو الشاهد حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن شعبة عن أبى رجاء عن الحسن مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا غندر عن عوف عن الحسن مثله * وقال آخرون يعنى بقوله و يتلوه شاهد منه محمد صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن عوف عن سليمان العلاف عن الحسين بن على فى قوله و يتلوه شاهد منه قال الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن

معناه أن هذا القول خديعة منكم وضعتموها لمنع الناس عن لذات الدنيا واجتذابهم الى الانقياد لكم والدخول تحت طاعتكم ومن قرأ ساحر فالاشارة الى النبى صلى الله عليه وسلم ثم بين أنه متى تأخر عنهم العذاب الذى توعدهم الرسول به أخذوا فى الاستهزاء وقالوا ما الذى حبسه عنا فقال (ولئن أخرنا عنهم) الآية والامة اشتقاقها من الأم وهو القصد والمراد بها الوقت المقصود لايقاع الموعود وقيل هى فى الاصل الجماعة من الناس وقد يسمى الحين باسم ما يحصل فيه كقولك كنت عند فلان صلاة العصر أى فى ذلك الحين فالمراد الى حين ينقضى أمة معدودة من الناس وقال فى الكشاف أى جماعة من الاوقات والعذاب عذاب الآخرة وقيل عذاب يوم بدر عن ابن عباس قتل جبريل المستهزئين ومعنى ما يحبسه أى شىء يمنعه من النزول استعجالا له على جهة الاستهزاء والتكذيب فأجابهم الله بقوله (ألا يوم يأتيهم) وهو متعلق بخبر ليس أى ليس العذاب مصروفا عنهم يوم يأتيهم واستدل به من جوز تقديم خبر ليس على ليس لانه اذا جاز تقديم معمول الخبر عليها فتقديم الخبر عليها أولى والالزم للتابع مزية على المتبوع ثم قال (وحاق بهم أى أحاط بهم (ما كانوا به يستهزؤن) أراد يستعجلون ولكنه وضع يستهزؤن موضعه لان استعجالهم للعذاب كان على وجه الاستهزاء وانما قال وحاق بلفظ الماضى لانه جعله كالواقع ثم حكى ضعف حال الانسان فى حالتى السراء والضراء فقال (ولئن أذقنا الانسان) الآية واختلف المفسرون فقيل الانسان مطلق بدليل صحة الاستثناء فى قوله الا الذين آمنوا ولان هذا النوع مجبول على الضعف والنقص والعجلة وقلة الثبات وقيل المراد الكافر والاستثناء منقطع واللام للعهد وقد مر ذكر

وكيع قال ثنا غندر عن عوف قال ثنى سليمن العلاف قال بلغني أن الحسين بن علي قال ويتلوه شاهد منه قال محمد صلى الله عليه وسلم * قال ثنا أبو أسامة عن عوف عن سليمن العلاف سمع الحسين بن عليّ ويتلوه شاهد منه يقول محمد هو الشاهد من الله حدثني يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على بينة من ربه والقرآن يتلوه شاهد منه أيضا من الله بأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد أفمن كان على بينة من ربه قال النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن نضر بن عربي عن عكرمة مثله * قال ثنا أبي عن سفيان عن منصور عن ابراهيم مثله حدثنا الحرث قال ثنا أبو خالد سمعت سفيان يقول أفمن كان على بينة من ربه قال محمد صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون هو علي بن أبي طالب ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمارة الاسدي قال ثنا رزيق ابن مرزوق قال ثنا صباح الفراء عن جابر عن عبد الله بن يحيى قال قال علي رضي الله عنه ما من رجل من قريش الا وقد نزلت فيه الآية والآيتان فقال له رجل فأنت فأي شئ نزل فيك فقال علي أما تقرأ الآية التي نزلت في هود ويتلوه شاهد منه * وقال آخرون هو جبرئيل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس ويتلوه شاهد منه انه كان يقول جبرئيل حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا ابن ادريس عن الحسن بن عبيد الله عن ابراهيم ويتلوه شاهد منه قال جبرئيل وحدثنا به أبو كريب مرة أخرى باسناده عن ابراهيم فقال قال يقولون عليّ انما هو جبرئيل حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا ابن ادريس عن ليث عن مجاهد قال هو جبرئيل تلا التوراة والانجيل والقرآن وهو الشاهد من الله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان وحدثنا محمد بن عبد الله المخرمي قال ثنا جعفر بن عون قال ثنا سفيان وحدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري وحدثني المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم ويتلوه شاهد منه قال جبرئيل حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن ابراهيم مثله * قال ثنا سهل بن يوسف قال ثنا شعبة عن منصور عن ابراهيم مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم مثله * قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد قال جبرئيل * قال ثنا عبد الله عن اسرائيل عن السدي عن أبي صالح ويتلوه شاهد منه قال جبرئيل * قال ثنا أبو معاوية عن جويبر عن الضحاك ويتلوه شاهد منه قال جبرئيل حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله أفمن كان على بينة من ربه يعني محمدا هو على بينة من الله ويتلوه شاهد منه جبرئيل شاهد من الله يتلو على محمد ما بعث به حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية قال هو جبرئيل * قال ثنا أبي عن نضر بن عربي عن عكرمة قال هو جبرئيل * قال ثنا أبي عن سفيان عن منصور عن ابراهيم قال جبرئيل حدثني محمد ابن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أفمن كان على بينة من ربه يعني محمدا على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه فهو جبرئيل شاهد من الله بالذي يتلو من كتاب الله الذي أنزل على محمد قال ويقال ويتلوه شاهد منه يقول يحفظه الملك الذي معه حدثني المثنى قال ثنا أبو النعمان عارم قال ثنا حماد بن زيد عن أيوب قال كان مجاهد يقول في قوله أفمن كان على بينة من ربه قال يعني محمدا ويتلوه شاهد منه قال جبرئيل * وقال آخرون

الكافر ولأن وصف اليأس والكفران والفرح المفرط بالامور الزائلة والفخر بها لا يليق الا بالكافر وذلك أنه يعتقد أن السبب في حصول تلك النعم من الامور الاتفاقية فاذا زالت استبعد حدوثها مرة أخرى فيقع في اليأس الشديد وعند حصولها كان ينسبها الى الاتفاق فلا يشكر الله بل يكفره واذا انتقل من مكروه الى محبوب ومن محنة الى منحة اشتد فرحه بذلك وافتخر بها ذهولا عن السعادات الاخروية الروحانية فيظن أنه قد فاز بغاية الاماني ونهاية المقاصد وأما المؤمن فحاله على العكس ولذلك استحق وعد الله بالمغفرة والاجر الكبير أما تفسير الالفاظ فالاذاقة والذوق أقل ما يوجد به الطعم وفيه دليل على أن الانسان لا يصبر عن أقل القليل ولا عليه وفيه أن جميع نعم الدنيا في قلة الاعتبار وسرعة الزوال تشبه حلم النائم وخيالات المبرسمين والرحمة النعمة من صحة أو أمن أو جدة ونزعها سلبها واليؤس والكفور بناآن للمبالغة والنعماء انعام يظهر أثره على صاحبه والضراء مضرة كذلك قال الواحدي لانها أخرجت مخرج الاحوال الظاهرة نحو حوراء وعوراء والسيآت يريد بها المصائب التي ساءته ثم سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله فلعلك تارك قال ابن عباس ان رؤساء مكة قالوا ان كنت رسولا فاجعل لنا جبال مكة ذهبا أو ائتنا بالملائكة ليشهدوا لك فخاطب الله سبحانه نبيه بقوله (فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك) واختلفوا في ذلك البعض فعن ابن عباس أن المشركين قالوا له ائتنا بكتاب ليس فيه شتم آلهتنا حتى نتبعك ونؤمن بكتابك وقال الحسن طلبوا منه صلى الله عليه وسلم أن يترك قوله ان الساعة آتية وأجمع المسلمون على أنه لا يجوز على الرسول أن يترك بعض ما أوحى الله اليه لأنه ينافي المقصود من الرسالة المعتبر فيها الامانة فأوّلوا

هو ملك يحفظه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ويتلوه شاهد منه قال معه حافظ من الله ملك حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون وسويد بن عمرو عن حماد بن سلمة عن أيوب عن مجاهد ويتلوه شاهد منه قال ملك يحفظه . قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج عمن سمع مجاهدا ويتلوه شاهد منه قال الملك حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ويتلوه شاهد منه يتبعه حافظ من الله ملك حدثني المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن أيوب عن مجاهد ويتلوه شاهد منه قال الملك يحفظه يتلونه حق تلاوته قال يتبعونه حق اتباعه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ويتلوه شاهد منه قال حافظ من الله ملك * وأولى هذه الاقوال التي ذكرناها بالصواب في تأويل قوله ويتلوه شاهد منه قول من قال هو جبرئيل لدلالة قوله ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة على صحة ذلك وذلك أن نبي الله صلى الله عليه وسلم لم يتل قبل القرآن كتاب موسى فيكون ذلك دليلا على صحة قول من قال عني به لسان محمد صلى الله عليه وسلم أو محمد نفسه أو علي على قول من قال عني به علي ولا يعلم أن أحدا كان تلا ذلك قبل القرآن أو جاء به ممن ذكر أهل التأويل أنه عني بقوله ويتلوه شاهد منه غير جبرئيل عليه السلام فان قال قائل فان كان ذلك دليلك على أن المعني به جبرئيل فقد يجب أن تكون القراءة في قوله ومن قبله كتاب موسى بالنصب لان معنى الكلام على ما تأولت يجب أن يكون ويتلو القرآن شاهد من الله ومن قبل القرآن كتاب موسى قيل ان القراء في الامصار قد أجمعت على قراءة ذلك بالرفع فلم يكن لأحد خلافها ولو كانت القراءة جاءت في ذلك بالنصب كانت قراءة صحيحة ومعنى صحيحا فان قال فما وجه رفعهم اذا الكتاب على ما ادعيت من التأويل قيل وجه رفعهم هذا أنهم ابتدؤا الخبر عن مجئ كتاب موسى قبل كتابنا المنزل على محمد فرفعوه بمن قبله والقراءة كذلك والمعنى الذي ذكرت من معنى تلاوة جبرئيل ذلك قبل القرآن وان المراد من معناه ذلك وان كان الخبر مستأنفا على ما وصفت اكتفاء بدلالة الكلام على معناه وأما قوله اماما فانه نصب على القطع من كتاب موسى وقوله ورحمة عطف على الامام كأنه قيل ومن قبله كتاب موسى اماما لبني اسرائيل يأتمون به ورحمة من الله تلاه على موسى كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبيه عن منصور عن ابراهيم في قوله ومن قبله كتاب موسى قال من قبله جاء بالكتاب الى موسى وفي الكلام محذوف قد ترك ذكره اكتفاء بدلالة ما ذكر عليه منه وهو أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة كمن هو في الضلالة متردد لا يهتدي لرشد ولا يعرف حقا من باطل ولا يطلب بعمله الا الحياة الدنيا وزينتها وذلك نظير قوله أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون والدليل على حقيقة ما قلنا في ذلك أن ذلك عقيب قوله من كان يريد الحياة الدنيا الآية ثم قيل أهذا خير أمن كان على بينة من ربه والعرب تفعل ذلك كثيرا اذا كان فيما ذكرت دلالة على مرادها على ما حذفت وذلك كقول الشاعر

وأقسم لو شئ أتانا رسوله * سواك ولكن لم نجد لك مدفعا

وقوله أولئك يؤمنون به يقول هؤلاء الذين ذكرت يصدقون ويقرون به ان كفر به هؤلاء المشركون الذين يقولون ان محمدا افتراه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه انه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره ومن يكفر بهذا القرآن فيجحد أنه من عند الله من الاحزاب وهم المتحزبة على مللهم فالنار موعده

الآية بأن أمثال هذه التهديدات لعلها سبب عدم التقصير في أداء الوحي فلهذا خوطب بها أولعله كان صلى الله عليه وسلم بين محذورين أحدهما ترك أداء شئ من الوحي وثانيهما انهم كانوا يتلقون الوحي بالطعن والاستهزاء فنبه بالآية على أن تحمل الضرر الثاني أهون واذا وقع الانسان بين مكروهين وجب أن يختار أسهلهما والعربي يقول لغيره اذا أراد أن يزجره لعلك تفعل كذا أي لا تفعل وانما قال (وضائق) ولم يقل وضيق (به صدرك) دلالة على أنه ضيق حادث لانه صلى الله عليه وسلم كان أفسح الناس صدرا ومعنى (أن يقولوا) مخافة أن يقولوا (لولا أنزل) أي هلا أنزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز والملائكة ولم أنزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه ثم بين أن حاله مقصور على النذارة لا يتخطاها الى انزال المقترحات والذي أرسله هو القادر على ذلك حفيظ عليه وعلى كل شئ ومن كمال قدرته انزال القرآن المعجز لدهماء المصاقع وأشار الى ذلك بقوله (أم يقولون) الآية وقد مر مثله في سورة يونس عن ابن عباس السور العشر هي من أول القرآن الى ههنا واعترض عليه بأن هذه السورة مكية وبعض السور المتقدمة عليها مدنية فكيف يمكن أن يشار الى ما لم ينزل بعد فالاولى أن يقال ان التحدي وقع بمطلق السور التي تظهر فيها قوة ترتيب الكلام وتأليفه تحداهم أولا بمجموع القرآن في قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله الآية وبعشر سور في هذه الآية وذلك أن العشرة أول عقد من العقود ثم بسورة في يونس وفي البقرة وهذا كما يقول الرجل لصاحبه اكتب كمثل ما أكتب فاذا عجز قال اكتب عشرة

انه

انه بصيرا لمهافي الآخرة بتكذيبه يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فلا تك في مرية منه يقول فلا تك في شك منه من أن موعد من كفر بالقرآن من الاحزاب النار وأن هذا القرآن الذي أنزلناه اليك من عند الله ثم ابتدأ جل ثناؤه الخبر عن القرآن فقال ان هذا القرآن الذي أنزلناه اليك يا محمد الحق من ربك لاشك فيه ولكن أكثر الناس لا يصدقون بأن ذلك كذلك فان قال قائل أو كان النبي صلى الله عليه وسلم في شك من أن القرآن من عند الله وأنه حق حتى قيل له فلا تك في مرية منه قيل هذا نظير قوله فان كنت في شك مما أنزلنا اليك وقد بينا ذلك هنالك * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا أيوب قال نبئت أن سعيد بن جبير قال ما بلغني حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه الا وجدت مصداقه في كتاب الله تعالى حتى قال لا يسمع بي أحد من هذه الامة ولا يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بما أرسلت به الا دخل النار قال سعيد فقلت أين هذا في كتاب الله حتى أتيت على هذه الآية ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة أولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده قال من أهل الملل كلها حدثنا محمد بن عبد الله المخرمي وابن وكيع قالا ثنا جعفر ابن عون قال ثنا سفيان عن أيوب عن سعيد بن جبير في قوله ومن يكفر به من الاحزاب قال من الملل كلها حدثني يعقوب وابن وكيع قالا ثنا ابن علية قال ثنا أيوب عن سعيد بن جبير قال كنت لا أسمع بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه الا وجدت مصداقه أو قال تصديقه في القرآن فبلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يسمع بي أحد من هذه الامة ولا يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بما أرسلت به الا دخل النار فجعلت أقول أين مصداقها حتى أتيت على هذه أفمن كان على بينة من ربه الى قوله فالنار موعده قال فالاحزاب الملل كلها حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال ثني أيوب عن سعيد بن جبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد يسمع بي من هذه الامة ولا يهودي ولا نصراني فلا يؤمن بي الا دخل النار فجعلت أقول أين مصداقها في كتاب الله قال وقلما سمعت حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم الا وجدت له تصديقا في القرآن حتى وجدت هذه الآيات ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده الملل كلها * قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده قال الكفار أحزاب كلهم على الكفر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن الاحزاب من ينكر بعضه أي يكفر ببعضه وهم اليهود والنصارى قال بلغنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لا يسمع بي أحد من هذه الامة ولا يهودي ولا نصراني ثم يموت قبل أن يؤمن بي الا دخل النار حدثني المثنى قال ثنا يوسف بن عدي النضري قال أخبرنا ابن المبارك عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن أبي موسى الاشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سمع بي من أمتي أو يهودي أو نصراني فلم يؤمن بي لم يدخل الجنة

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين﴾ يقول تعالى ذكره وأي الناس أشد تعذيبا ممن اختلق على الله كذبا فكذب عليه أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين يكذبون على ربهم يعرضون يوم القيامة على ربهم فيسألهم عما كانوا في دار الدنيا يعملون كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا قال الكافر والمنافق أولئك يعرضون على ربهم فيسألهم عن أعمالهم وقوله ويقول الأشهاد يعني الملائكة والانبياء الذين شهدوهم وحفظوا عليهم ما كانوا يعملون وهم

أسطر مثل ما أكتب فاذا ظهر عجزه عنه قال في آخر الامر قد اقتصرت منك على سطر واحد مثله ثم اذا أراد غاية المبالغة قال قد جوزت لك أن تستعين بكل من تريد فاذا ظهر عجزه حال الانفراد وحال الاجتماع والتعاون تبين عجزه عن المعارضة على الاطلاق ولهذا قال (فان لم يستجيبوا) الى معارضة القرآن أو الى الايمان (لكم) أي لك وللمؤمنين لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كانوا يتحدونهم أو الجمع لتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم (فاعلموا أنما أنزل بعلم الله) أي ملتبسا بما لا يعلمه الا الله من النظم المعجز والاشتمال على العلوم الجمة الظاهرة والغائبة ومعنى الامر راجع الى الثبات أي اثبتوا على ما أنتم عليه من العلم واليقين بأن القرآن ودوموا على التوحيد الذي استفدتم من القرآن أو دلكم على ذلك عجز آلهتهم عن المعارضة والاعانة ثم ختم الآية بقوله (فهل أنتم مسلمون) وفيه نوع من التهديد كأنه قيل للمسلمين اذا تبينتم صدق قول محمد صلى الله عليه وسلم وازددتم بصيرة وطمأنينة وجب عليكم الزيادة في الاخلاص والطاعة وتفسير آخر وهو أن يكون الضمير في لم يستجيبوا لمن في من استطعتم والخطاب في لكم للمشركين وكذا في قوله فاعلموا وفي أنتم والمعنى فان لم يستجب لكم من تدعونه الى المظاهرة لعلمهم بالعجز عنه فاعلموا أنه منزل من عند الله وأن توحيده واجب ثم رغبهم في أصل الاسلام وهددهم على تركه بقوله فهل أنتم بعد لزوم الحجة مسلمون ثم أوعد من كانت همته مقصورة على زينة الحياة الدنيا وكان مائلا عن الدين جهلا أو عنادا فقال (من كان يريد) الآية عن أنس أنهم اليهود والنصارى وقيل المنافقون كانوا يطلبون بغزوهم مع الرسول الغنائم فكان صلى الله

عليه وسلم يسهم لهم فيها وقال الاصم هم منكرو البعث وقال آخرون هي عامة في الكافر والمسلم المرائي وقال القاضي

جمع شاهد مثل الاصحاب الذى هو جمع صاحب هؤلاء الذين كذبوا على ربهم يقول شهد هؤلاء الاشهاد فى الآخرة على هؤلاء المفترين على الله فى الدنيا فيقولون هؤلاء الذين كذبوا فى الدنيا على ربهم يقول الله ألا لعنة الله على الظالمين يقول ألا غضب الله على المعتدين الذين كفروا بربهم * وبنحو ماقلنا فى قوله ويقول الاشهاد قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ويقول الاشهاد قال الملائكة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال الملائكة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ويقول الاشهاد والاشهاد الملائكة يشهدون على بنى آدم بأعمالهم حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة الأشهاد قال الخلائق أوقال الملائكة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة بنحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ويقول الاشهاد الذين كانوا يحفظون أعمالهم عليهم فى الدنيا هؤلاء الذين كذبوا على ربهم حفظوه وشهدوا به عليهم يوم القيامة قال ابن جريج قال مجاهد الاشهاد الملائكة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان قال سألت الاعمش عن قوله ويقول الاشهاد قال الملائكة حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ويقول الاشهاد يعنى الانبياء والرسل وهو قوله ويوم نبعث فى كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء قال وقوله ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم يقولون يا ربنا أتيناهم بالحق فكذبوا فنحن نشهد عليهم أنهم كذبوا عليك يا ربنا حدثنا محمد بن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن سعيد وهشام عن قتادة عن صفوان بن محرز المازنى قال بينا نحن بالبيت مع عبد الله بن عمر وهو يطوف اذ عرض له رجل فقال يا ابن عمر ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى النجوى فقال سمعت نبى الله صلى الله عليه وسلم يقول يدنو المؤمن من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه فيقول هل تعرف كذا فيقول رب أعرف مرتين حتى اذا بلغ به ماشاء الله أن يبلغ قال فانى قد سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم قال فيعطى صحيفة حسناته أو كتابه بيمينه وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤس الأشهاد ألا هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا هشام عن قتادة عن صفوان بن محرز عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة كنا نحدث أنه لا يخزى يومئذ أحد فيخفى خزيه على أحد ممن خلق الله أو الخلائق * القول فى تأويل قوله تعالى (الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون) يقول تعالى ذكره ألا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون الناس عن الايمان به والاقرار له بالعبودة واخلاص العبادة له دون الآلهة والانداد من مشركى قريش وهم الذين كانوا يفتنون عن الاسلام من دخل فيه ويبغونها عوجا يقول ويلتمسون سبيل الله وهو الاسلام الذى دعا الناس اليه محمد يقول زيغا وميلا عن الاستقامة وهم بالآخرة هم كافرون يقول وهم بالبعث بعد الممات مع صدهم عن سبيل الله وبغيهم اياها عوجا كافرون يقول هم جاحدون ذلك منكرون * القول فى تأويل قوله تعالى (أولئك لم يكونوا معجزين فى الارض وما كان لهم من دون الله من أولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) يعنى جل ذكره بقوله أولئك لم يكونوا معجزين فى الارض هؤلاء الذين وصف جل ثناؤه أنهم يصدون عن سبيل الله يقول جل ثناؤه انهم لم يكونوا بالذين يعجزون ربهم

المراد من كان يريد بعمل الخير الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم توصل اليهم أجور أعمالهم وافية كاملة من غير بخس فى الدنيا وهو ما ينالون من الصحة والكفاف وسائر اللذات والمنافع عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة يدعى برجل جامع للقرآن فيقال له ما عملت فيه فيقول يارب قمت فيه آناء الليل والنهار فيقول الله كذبت أردت أن يقال فلان قارئ وقد قيل ذلك ويؤتى بصاحب المال فيقول الله ألم أوسع عليك فماذا عملت فيه فيقول وصلت الرحم وتصدقت فيقول الله كذبت بل أردت أن يقال فلان جواد وقد قيل ذلك ثم يؤتى بمن قتل فى سبيل الله فيقول قاتلت فى الجهاد حتى قتلت فيقول الله تعالى كذبت بل أردت أن يقال فلان جرىء قال أبو هريرة ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبتى وقال يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق تسعر بهم النار يوم القيامة وروى أن أبا هريرة ذكر هذا الحديث عند معاوية فبكى معاوية حتى ظننا أنه هالك ثم أفاق فقال صدق الله ورسوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها الآيتان ثم بين أن بين طالب الدنيا وحدها وبين طالب السعادات الباقية تفاوتا بينا فقال (أفمن كان) والمعنى أمن كان يريد الحياة الدنيا كمن كان على بينة أى لا يعقبونهم فى المنزلة عند الله ولا يقاربونهم نظيره اذا تألى العلماء والجهال فأستأذن الجهال للدخول قبل العلماء فتقول الجهال ثم العلماء كلا وحاشا تريد أن العلماء ينبغى أن يدخلوا أولا ثم الجهال ويمكن أن يقال التقدير أفمن كان (على بينة من ربه)

بهم منه فى الارض اذا أراد عقابهم والانتقام منهم ولكنهم فى قبضته وملكه لا يمتنعون منه اذا أرادهم ولا يفوتونه هربا اذا طلبهم وما كان لهم من دون الله من أولياء يقول ولم يكن لهؤلاء المشركين اذا أراد عقابهم من دون الله أنصار ينصرونهم من الله ويحولون بينهم وبينه اذا هو عذبهم وقد كانت لهم فى الدنيا منعة يمتنعون بها ممن أرادهم من الناس بسوء وقوله يضاعف لهم العذاب يقول تعالى ذكره يزاد فى عذابهم فيجعل لهم مكان الواحد اثنان وقوله ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون فانه اختلف فى تأويله فقال بعضهم ذلك وصف الله به هؤلاء المشركين أنه قد ختم على سمعهم وأبصارهم وأنهم لا يسمعون الحق ولا يبصرون حجج الله سماع منتفع ولا ابصار مهتد ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون صم عن الحق فما يسمعونه بكم فما ينطقون به عمى فلا يبصرونه ولا ينتفعون به حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون قال ما كانوا يستطيعون أن يسمعوا خيرا فينتفعوا به ولا يبصروا خيرا فيأخذوا به حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال أخبر الله سبحانه أنه حال بين أهل الشرك وبين طاعته فى الدنيا والآخرة أما فى الدنيا فانه قال ما كانوا يستطيعون السمع وهى طاعته وما كانوا يبصرون وأما فى الآخرة فانه قال فلا يستطيعون خاشعة * وقال آخرون انما عنى بقوله وما كان لهم من دون الله من أولياء آلهة الذين يصدون عن سبيل الله وقالوا معنى الكلام أولئك وآلهتهم لم يكونوا معجزين فى الارض يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون يعنى الآلهة أنها لم يكن لها سمع ولا بصر وهذا قول روى عن ابن عباس من وجه كرهت ذكره لضعف سنده * وقال آخرون معنى ذلك يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع ولا يسمعونه وبما كانوا يبصرون ولا يتأملون حجج الله بأعينهم فيعتبروا بها قالوا والباء كان ينبغى لها أن تدخل لانه قد قال فلهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون بكذبهم فى غير موضع من التنزيل أدخلت فيه الباء وسقوطها جائز فى الكلام كقولك فى الكلام لاحزينك بما فعلت ما علمت وبما علمت وهذا قول قاله بعض أهل العربية والصواب من القول فى ذلك عندنا ما قاله ابن عباس وقتادة من أن الله وصفهم تعالى ذكره بأنهم لا يستطيعون أن يسمعوا الحق سماع منتفع ولا يبصرونه ابصار مهتد لاشتغالهم بالكفر الذى كانوا عليه مقيمين عن استعمال جوارحهم فى طاعة الله وقد كانت لهم أسماع وأبصار ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أولئك الذين خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين هذه صفتهم هم الذين غبنوا أنفسهم حظوظها من رحمة الله وضل عنهم ما كانوا يفترون وبطل كذبهم وافكهم وفريتهم على الله بادعائهم له شركاء فسلك ما كانوا يدعونه الها من دون الله غير مسلكهم وأخذ طريقا غير طريقهم فضل عنهم لانه سلك بهم الى جهنم وصارت آلهتهم عدما لا شئ لانها كانت فى الدنيا حجارة أو خشبا أو نحاسا أو كان لله وليا فسلك به الى الجنة وذلك أيضا غير مسلكهم وذلك أيضا ضلال عنهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لا جرم أنهم فى الآخرة هم الأخسرون﴾ يقول تعالى ذكره حقا أن هؤلاء القوم الذين هذه صفتهم فى الدنيا فى الآخرة هم الأخسرون الذين قد باعوا منازلهم من الجنان بمنازل أهل الجنة من النار وذلك هو الخسران المبين وقد بينا فيما مضى أن معنى قولهم جرمت كسبت الذنب وأجرمته وان العرب كثر استعمالها اياه فى مواضع الأيمان وفى مواضع لابد كقولهم لا جرم أنك ذاهب بمعنى لابد حتى استعملوا ذلك فى مواضع التحقيق فقالوا لا جرم

كمن يريد الحياة الدنيا فحذف الخبر للعلم به ومثله أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما واعلم أن أول هذه الآية يشتمل على ألفاظ أربعة مجملة الاول أن هذا الذى وصفه الله بأنه على بينة من هو الثانى ما المراد بالبينة الثالث ما معنى يتلوه أهو من التلاوة أم من التلو الرابع الشاهد من هو وللمفسرين فيها أقوال أصحها أن معنى البينة البرهان العقلى الدال على صحة الدين الحق والذى هو على البينة مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه ومعنى يتلوه يعقبه وتذكير الضمير العائد الى البينة بتأويل البيان والبرهان والمراد بالشاهد القرآن ومنه أى من الله أو من القرآن المتقدم ذكره فى قوله أم يقولون افتراه (ومن قبله كتاب موسى) أى ويتلو ذلك البرهان من قبل القرآن كتاب موسى وهو التوراة حال كونها اماما أو أعنى اماما كتابا مؤتما به فى الدين قدوة فيه (ورحمة) ونعمة عظيمة على المنزل اليهم والحاصل أن المعارف اليقينية المكتسبة اما أن يكون طريق اكتسابها بالحجة والبرهان واما أن يكون بالوحى والالهام واذا اجتمع على بعض المطالب هذان الامران واعتضد كل واحد منهما بالآخر كان المطلوب أوثق ثم اذا توافقت كلمة الانبياء على صحته بلغ المطلوب غاية القوة والوثوق ثم انه حصل فى تقرير صحة هذا الدين هذه الامور الثلاثة جميعا البينة وهى الدلائل العقلية اليقينية والشاهد وهو القرآن المستفاد من الوحى وكتاب موسى المشتمل على الشرائع المتقدمة عليه الصالح لاقتداء الخلف به وعند اجتماع هذه الامور لم يبق لطالب الحق المنصف فى صحة هذا الدين شك وارتياب وقيل أفمن كان محمد صلى الله عليه وسلم والبينة القرآن ويتلوه يقرؤه شاهد هو جبرائيل نزل بامر الله وقرأ القرآن

ليقومن بمعنى حقاليقومن فمعنى الكلام لامنع عن أنهم ولاصدّ عن أنهم ﴿﴾ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا الى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا فى الدنيا بطاعة الله وأخبتوا الى ربهم * واختلف أهل التأويل فى معنى الاخبات فقال بعضهم معنى ذلك وأنابوا الى ربهم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا الى ربهم قال الاخبات الانابة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأخبتوا الى ربهم يقول وأنابوا الى ربهم * وقال آخرون معنى ذلك وخافوا ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله وأخبتوا الى ربهم يقول خافوا * وقال آخرون معناه اطمأنوا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وأخبتوا الى ربهم قال اطمأنوا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * وقال آخرون معنى ذلك خشعوا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وأخبتوا الى ربهم الاخبات التخشع والتواضع * قال أبو جعفر وهذه الاقوال متقاربة المعانى وان اختلفت ألفاظها لان الانابة الى الله من خوف الله ومن الخشوع والتواضع لله بالطاعة والطمأنينة اليه من الخشوع له غير أن نفس الاخبات عند العرب الخشوع والتواضع وقال الى ربهم ومعناه وأخبتوا لربهم وذلك ان العرب تضع اللام موضع الى والى موضع اللام كثيرا كما قال تعالى بأن ربك أوحى لها بمعنى أوحى اليها وقد يجوز أن يكون قيل ذلك كذلك لانهم وصفوا بأنهم عمدوا باخباتهم الى الله وقوله أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون يقول هؤلاء الذين هذه صفتهم هم سكان الجنة الذين لا يخرجون عنها ولا يموتون فيها ولكنهم فيها لابثون الى غير نهاية ﴿﴾ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون ﴾ يقول تعالى ذكره مثل فريقى الكفر والايمان كمثل الاعمى الذى لا يرى بعينه شيأ والاصم الذى لا يسمع شيأ فكذلك فريق الكفر لا يبصر الحق فيتبعه ويعمل به لشغله بكفره بالله وغلبة خذلان الله عليه لا يسمع داعى الله الى الرشاد فيجيبه الى الهدى فيهتدى به فهو مقيم فى ضلالته يتردد فى حيرته والسميع والبصير فكذلك فريق الايمان أبصر حجج الله وأقر بما دلت عليه من توحيد الله والبراءة من الآلهة والانداد ونبوة الانبياء عليهم السلام وسمع داعى الله فأجابه وعمل بطاعة الله كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع قال الاعمى والاصم الكافر والبصير والسميع المؤمن حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع الفريقان الكافران والمؤمنان فأما الاعمى والاصم فالكافران وأما البصير والسميع فهما المؤمنان حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع الآية هذا مثل ضربه الله للكافر والمؤمن فأما الكافر فصم عن الحق فلا يسمعه وعمى عنه فلا يبصره وأما المؤمن فسمع الحق فانتفع به وأبصره فوعاه وحفظه وعمل به يقول تعالى هل يستويان مثلا يقول هل يستوى هذان الفريقان على اختلاف حالتيهما فى أنفسهما عندكم أيها الناس

على محمد أو شاهد من محمد هو لسانه أو شاهد هو بعض محمد يعنى على بن أبى طالب رضى الله عنه أو يتلوه أى يعقب ذلك البرهان شاهد من النبى صلى الله عليه وسلم هو صورته ومخايله فان من نظر اليه بعقله تفرس أنه ليس بمجنون ولا وجهه وجه كذاب ولا كاهن وقيل الكائن على البينة هم المؤمنون والبينة القرآن ويتلوه يعقب القرآن شاهد من الله هو محمد صلى الله عليه وسلم أو الانجيل لانه يعقبه فى التصديق والدلالة على المطلوب وان كان موجودا قبله أو ذلك الشاهد كون القرآن واقعا على وجه يعرف المتأمل فيه اعجازه لاشتماله على فنون الفصاحة وصنوف البلاغة الى غير ذلك من المزايا التى قلما يخبر عنها الا الذوق السليم ثم مدح الكائن على البينة بقوله (أولئك يؤمنون به) أى بالقرآن ثم أوعد غيرهم بقوله (ومن يكفر به من الاحزاب) يعنى أهل مكة ومن انحاز معهم كاليهود والنصارى والمجوس (فالنار موعده فلا تك فى مرية) فى شك (منه) من القرآن أو من الموعد ولما أبطل بعض عادات الكفرة من شدة حرصهم على الدنيا وذلك قوله من كان يريد الحياة الدنيا ومن انكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك قوله أفمن كان على بينة أراد أن يبطل ما كانوا يعتقدون فى أصنامهم أنها شفعاء تشفع لهم فقال (ومن أظلم) ثم قال (أولئك يعرضون) لم يحمل عليهم العرض لانهم مخصوصون بالعرض فان العرض عام ولكن فائدة الحمل ترجع الى المعطوف أراد أنهم يعرضون فيفضحون بقول الاشهاد ومعنى عرضهم على ربهم أنهم يعرضون على الاماكن المعدة للحساب والسؤال أو المراد عرضهم على من يوبخ ويبكت بأمر الله من الانبياء والمؤمنين

فانهما

فانهما لا يستويان عندكم فكذلك حال الكافر والمؤمن لا يستويان عند الله أفلا تذكرون يقول جل ثناؤه أفلا تعتبرون أيها الناس وتتفكرون فتعلموا حقيقة اختلاف أمريهما فتنزجروا عما أنتم عليه من الضلال الى الهدى ومن الكفر الى الايمان فالاعمى والاصم والبصير والسميع في اللفظ أربعة وفي المعنى اثنان ولذلك قيل هل يستويان مثلا وقيل كالاعمى والاصم والمعنى كالاعمى الاصم وكذلك قيل والبصير والسميع والمعنى البصير السميع كقول القائل قام الظريف والعاقل وهو ينعت بذلك شخصا واحدا * القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولقد أرسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين ألا تعبدوا الا الله انى أخاف عليكم عذاب يوم أليم﴾ يقول تعالى ذكره ولقد أرسلنا نوحا الى قومه انى لكم أيها القوم نذير من الله أنذركم بأسه على كفركم به فآمنوا به وأطيعوا أمره ويعني بقوله مبين يبين لكم عما أرسل به اليكم من أمر الله ونهيه * واختلفت القراء في قراءة قوله انى فقرأ ذلك عامة قراء الكوفة وبعض المدنيين بكسر ان على وجه الابتداء اذ كان في الارسال معنى القول وقرأ ذلك بعض قراء أهل المدينة والكوفة والبصرة بفتح ان على اعمال الارسال فيها كأن معنى الكلام عندهم لقد أرسلنا نوحا الى قومه بأني لكم نذير مبين * والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال انهما قراءتان متفقتا المعنى قد قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القراء فبأيتهما قرأ القارئ كان مصيبا للصواب في ذلك وقوله أن لا تعبدوا الا الله فمن كسر الالف في قوله انى جعل قوله أرسلنا عاملا في أن التي في قوله أن لا تعبدوا الا الله ويصير المعنى حينئذ ولقد أرسلنا نوحا الى قومه أن لا تعبدوا الا الله وقل لهم انى لكم نذير مبين ومن فتحها رد أن في قوله أن لا تعبدوا عليها فيكون المعنى حينئذ لقد أرسلنا نوحا الى قومه بأني لكم نذير مبين بأن لا تعبدوا الا الله ويعني بقوله بأن لا تعبدوا الا الله أيها الناس (١) عبادة الآلهة والاوثان واشراكها في عبادته وأفردوا الله بالتوحيد وأخلصوا له العبادة فانه لا شريك له في خلقه وقوله انى أخاف عليكم عذاب يوم أليم يقول انى أيها القوم ان لم تخصوا الله بالعبادة وتفردوه بالتوحيد وتخلعوا ما دونه من الانداد والاوثان أخاف عليكم من الله عذاب يوم مؤلم عقابه وعذابه لمن عذب فيه وجعل الاليم من صفة اليوم وهو من صفة العذاب اذ كان العذاب فيه كما قيل وجعل الليل سكنا وانما السكن من صفة ما سكن فيه دون الليل * القول في تأويل قوله تعالى ﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين﴾ يقول تعالى ذكره فقال الكبراء من قوم نوح وأشرافهم وهم الملأ الذين كفروا بالله وجحدوا نبوة نبيهم نوح عليه السلام ما نراك يا نوح الا بشرا مثلنا يعنون بذلك أنه آدمي مثلهم في الخلق والصورة والجنس كأنهم كانوا منكرين أن يكون لله رسول من البشر رسولا الى خلقه وقوله وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادي الرأي يقول وما نراك اتبعك الا الذين هم سفلتنا من الناس دون الكبراء والاشراف فيما نرى ويظهر لنا وقوله بادي الرأي اختلفت القراء في قراءته فقرأته عامة قراء المدينة والعراق بادي الرأي بغير همز البادي وبهمز الرأي بمعنى ظاهر الرأي من قولهم بدا الشيء يبدو اذا ظهر كما قال الراجز

أضحى لخالي شبهي بادي بدي * وصار للفحل لساني ويدي

بادي بدي بغير همز وقال آخر * وقد علتني ذرأة بادي بدي * وقرأ ذلك بعض أهل البصرة بادئ الرأي مهموزا أيضا بمعنى مبتدأ الرأي من قولهم بدأت بهذا الامر اذا ابتدأت به قبل غيره * وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندنا قراءة من قرأ بادي بغير همز البادي وبهمز الرأي لان معنى ذلك الكلام الا الذين هم أراذلنا في ظاهر الرأي وفيما يظهر لنا وقوله وما نرى لكم علينا من فضل يقول

(١) لعله أيها الناس اتركوا عبادة الخ وحرر كتبه مصححه

أو أراد أنهم يحبسون في المواقف وتعرض أعمالهم على الرب قال مجاهد الأشهاد الملائكة الحفظة وقال قتادة هم الناس كما يقال على رؤس الأشهاد أي الناس وقيل هم الأنبياء لقوله ولنسألن المرسلين والأشهاد اما جمع شاهد كصاحب وأصحاب أو جمع شهيد كشريف وأشراف قال أبو علي وهذا أرجح لكثرة ورود شهيد في القرآن ويكون الرسول عليكم شهيدا فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا والفائدة في اعتبار قول الأشهاد المبالغة في اظهار الفضيحة وباقي الآية قد مر تفسير مثلها في الاعراف (أولئك لم يكونوا معجزين في الارض) أي لم يكن يمكنهم أن يهربوا من عذابنا لانه سبحانه قادر على جميع الممكنات ولا تتفاوت قدرته بالنسبة الى القريب والبعيد والضعيف والقوي وما كان لهم من دون الله من أولياء تنصرهم وتمنعهم من عقابه جمع تعالى بين ما يرجع اليهم وبين ما يرجع الى غيرهم وبين بذلك انقطاع حيلهم في الخلاص من عذاب الدنيا ومن عذاب الآخرة وقيل هذا من كلام الأشهاد والمراد أنه تعالى لو شاء عقابهم في الدنيا لعاقبهم ولكنه أراد انظارهم وتأخيرهم الى هذا اليوم (يضاعف لهم العذاب) من قبل الكفر والصد أي الضلال والاضلال (ما كانوا يستطيعون السمع) يريد ما هم عليه في الدنيا من صمم القلوب وعمى البصائر ثم ان الاشاعرة قالوا ان ذلك بتخليق الله تعالى حيث صيرهم عاجزين ممتنعين عن الوقوف على دلائل الحق ويوافقه ما روي عن ابن عباس أنه قال انه تعالى منع الكافرين من الايمان في الدنيا وذلك قوله ما كانوا يستطيعون الآية وفي الآخرة كما قال يدعون الى

ومانتبين لكم علينا من فضل: تموه بخلافكم إيانا في عبادة الاوثان الى عبادة الله واخلاص العبودة له فتتبعكم طلب ذلك الفضل وابتغاء ما أصبتموه بخلافكم إيانا بل نظنكم كاذبين وهذا خطاب منهم لنوح عليه السلام وذلك أنهم إنما كذبوا نوحا دون أتباعه لان أتباعه لم يكونوا رسلا وأخرج الخطاب وهو واحد مخرج خطاب الجميع كما قيل يا أيها النبي اذا طلقتم النساء وتأويل الكلام بل نظنك يا نوح في دعواك أن الله ابتعثك الينا رسولا كاذبا وبنحو ما قلنا في تأويل قوله بادي الرأي قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس قوله وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادي الرأي قال فيما ظهر لنا * القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نوح لقومه اذ كذبوه وردوا عليه ما جاءهم به من عند الله من النصيحة يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي على علم ومعرفة وبيان من الله لي ما يلزمني له ويجب علي من اخلاص العبادة له وترك اشراك الاوثان معه فيها وآتاني رحمة من عنده يقول ورزقني منه التوفيق والنبوة والحكمة فآمنت به وأطعته فيما أمرني ونهاني فعميت عليكم واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة وبعض أهل البصرة والكوفة فعميت بفتح العين وتخفيف الميم بمعنى فعميت الرحمة عليكم فلم تهتدوا لها فتقروا بها وتصدقوا رسولكم عليها وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين فعميت عليكم بضم العين وتشديد الميم اعتبارا منهم ذلك بقراءة عبد الله وذلك أنها فيما ذكر في قراءة عبد الله فعماها عليكم * وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه فعميت عليكم بضم العين وتشديد الميم للذي ذكروا من العلة لمن قرأ به ولقربه من قوله أرأيتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فأضاف الرحمة الى الله فكذلك تعميته على الآخرين بالاضافة اليه أولى وهذه الكلمة مما حولت العرب الفعل عن موضعه وذلك أن الانسان هو الذي يعمى عن ابصار الحق اذ يعمى عن ابصاره والحق لا يوصف بالعمى الا على الاستعمال الذي قد جرى به الكلام وهو في جوازه لاستعمال العرب اياه نظير قولهم دخل الخاتم في يدي والخف في رجلي ومعلوم أن الرجل هي التي تدخل في الخف والاصبع في الخاتم ولكنهم استعملوا ذلك كذلك لما كان معلوما المراد فيه وقوله أنلزمكموها وأنتم لها كارهون يقول أنأخذكم بالدخول في الاسلام وقد عماه الله عليكم لها كارهون يقول وأنتم لالزامناكموها كارهون يقول لا نفعل ذلك ولكن نكل أمركم الى الله حتى يكون هو الذي يقضي في أمركم ما يرى ويشاء وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال نوح يا قوم ان كنت على بينة من ربي قال قد عرفتها وعرفت بها أمره وأنه لا اله الا هو وآتاني رحمة من عنده الاسلام والهدى والايمان والحكم والنبوة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أرأيتم ان كنت على بينة من ربي الآية أما والله لو استطاع نبي الله صلى الله عليه وسلم لألزمها قومه ولكن لم يستطع ذلك ولم يملكه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي قال ثنا سفيان عن داود عن أبي العالية قال في قراءة أبي أنلزمكموها من شطر أنفسنا وأنتم لها كارهون حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله ابن الزبير عن ابن عيينة قال أخبرنا عمرو بن دينار قال قرأ ابن عباس أنلزمكموها من شطر أنفسنا قال عبد الله من شطر أنفسنا من تلقاء أنفسنا حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس مثله حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال

ثنا

السجود فلا يستطيعون وقالت المعتزلة المراد استثقالهم لاستماع الحق ونفورهم عنه كقول القائل هذا الكلام مما لا أستطيع أن أسمعه وهذا الشخص لا أستطيع أن أبصره والمراد بالأولياء الأصنام كأنه قال الذي سموه أولياء ليسوا في الحقيقة بأولياء ثم نفى كونهم أولياء بأنهم لا يسمعون ولا يبصرون فكيف يصلحون للولاية وعلى هذا يكون قوله يضاعف لهم العذاب اعتراضا أو عيدا واعلم أنه سبحانه وصف الكفار في هذه الآيات بصفات كثيرة الاولى ومن أظلم ممن افترى الثانية أولئك يعرضون أي في موقف الذل والهوان الثالثة بيان الخزي والفضيحة في قوله ويقول الأشهاد الرابعة اللعنة عليهم الخامسة الصد عن سبيل الله السادسة سعيهم في القاء الشبهات وذلك قوله ويبغونها عوجا السابعة كونهم كافرين بالآخرة الثامنة كونهم عاجزين عن الفرار أولئك لم يكونوا التاسعة وما كان لهم من دون الله من أولياء العاشرة مضاعفة العذاب لهم الحادية عشرة والثانية عشرة ما كانوا يستطيعون الآية الثالثة عشرة أولئك الذين خسروا أنفسهم وقد مر في الانعام الرابعة عشرة وضل عنهم ما كانوا يفترون وقد سبق في يونس الخامسة عشرة لا جرم قال الفراء انها بمنزلة قولك لا بد ولا محالة ثم كثر استعمالها حتى صارت بمنزلة حقا وقال النحويون لا حرف نفي وجرم أي قطع معناه لا قطع قاطع أنهم في الآخرة هم الأخسرون) وقال الزجاج لا نفي لما ظنوا أنه ينفعهم وجرم معناه كسب والمعنى لا ينفعهم ذلك وكسب لهم ذلك الفعل خسار الدارين قال الازهري وهذا من أحسن ما قيل في هذه اللفظة قوله في وعد المؤمنين وأخبتوا الى

ثنا سفيان عن داود بن أبى هند عن أبى العالية عن أبى بن كعب أنلزمكموها من شطر قلوبنا وأنتم لها كارهون ⁂ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ و ياقوم لاأسألكم عليه مالا ان أجرى الا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا انهم ملاقوا ربهم ولكنى أراكم قوما تجهلون ﴾ وهذا أيضا خبر من الله عن قيل نوح لقومه أنه قال لهم ياقوم لاأسألكم على نصيحتى لكم ودعايتكم الى توحيد الله واخلاص العبادة له مالا أجرا على ذلك فتتهمونى فى نصيحتى وتظنون أن فعلى ذلك طلب عرض من أعراض الدنيا ان أجرى الا على الله يقول ماثواب نصيحتى لكم ودعايتكم الى ما أدعوكم اليه الا على الله فانه هو الذى يجازينى و يثيبنى عليه وما أنا بطارد الذين آمنوا وما أنا بمقص من آمن بالله وأقر بوحدانيته وخلع الاوثان وتبرأ منها بأن لم يكونوا من عليتكم وأشرافكم انهم ملاقوا ربهم يقول ان هؤلاء الذين تسألونى طردهم صائرون الى الله والله سائلهم عما كانوا فى الدنيا يعملون لاعن شرفهم وحسبهم وكان قيل نوح ذلك لقومه لان قومه قالوا له كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله وما أنا بطارد الذين آمنوا انهم ملاقوا ربهم قال قالوا له يانوح ان أحببت أن نتبعك فاطردهم والا فلن نرضى أن نكون نحن وهم فى الامر سواء فقال ما أنا بطارد الذين آمنوا انهم ملاقوا ربهم فيسألهم عن أعمالهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وحدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح جميعا عن مجاهد قوله ان أجرى الا على الله قال جزائى حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله وقوله ولكنى أراكم قوما تجهلون يقول ولكنى أيها القوم أراكم قوما تجهلون الواجب عليكم من حق الله واللازم لكم من فرائضه ولذلك من جهلكم سألتمونى أن أطرد الذين آمنوا بالله ⁂ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ و ياقوم من ينصرنى من الله ان طردتهم أفلا تذكرون ﴾ يقول و ياقوم من ينصرنى فيمنعنى من الله ان هو عاقبنى على طردى المؤمنين الموحدين الله ان طردتهم أفلا تذكرون يقول أفلا تتفكرون فيما تقولون فتعلمون خطأه فتنتهوا عنه ⁂ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول انى ملك ولا أقول للذين تزدرى أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما فى أنفسهم انى اذا لمن الظالمين ﴾ وقوله ولا أقول لكم عندى خزائن الله عطف على قوله و ياقوم لاأسألكم عليه أجرا ومعنى الكلام و ياقوم لاأسألكم عليه أجرا ولا أقول لكم عندى خزائن الله التى لا يفنيها شئ فأدعوكم الى اتباعى عليها ولا أعلم أيضا الغيب يعنى ما خفى من سرائر العباد فان ذلك لا يعلمه الا الله فأدعى الربوبية وأدعوكم الى عبادتى ولا أقول أيضا انى ملك من الملائكة أرسلت اليكم فأكون كاذبا فى دعواى ذلك بل أنا بشر مثلكم كما تقولون أمرت بدعائكم الى الله وقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم ولا أقول للذين تزدرى أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا يقول ولا أقول للذين اتبعونى وآمنوا بالله ووحدوه الذين تستحقرهم أعينكم وقلتم انهم أراذلكم لن يؤتيكم الله خيرا وذلك الايمان بالله الله أعلم بما فى أنفسهم يقول الله أعلم بضمائر صدورهم واعتقاد قلوبهم وهو ولى أمرهم فى ذلك وانما لى منهم ما ظهر وبدا وقد أظهروا الايمان بالله واتبعونى فلا أطردهم ولا أستحل ذلك انى اذا لمن الظالمين يقول انى ان قلت لهؤلاء الذين أظهروا الايمان بالله وتصديقى لن يؤتيهم الله خيرا وقضيت على سرائرهم بخلاف ما أبدته ألسنتهم لى على غير علم منى بما فى نفوسهم وطردتهم بفعلى ذلك لمن الفاعلين ماليس لهم فعله المعتدين ما أمرهم الله به وذلك هو الظلم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن

ربهم) معناه اطمأنوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع من الخبت وهى الارض المطمئنة وفيه اشارة الى أن الاعمال لابد فيها من الاحوال القلبية الموجبة للالتفات عما سوى الله وقيل المراد اطمئنانهم وتصديقهم كل ما وعد الله به من الثواب وضده وقيل المراد كونهم خائفين من وقوع الخلل فى بعض تلك الاعمال ثم ضرب الفريقين مثلا وهو اما تشبيهان بأن شبههما تارة بالاعمى والبصير وأخرى بالاصم والسميع واما تشبيه واحد والواو لعطف الصفة على الصفة فيكون قد شبه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين البصر والسمع ولاشك أن الفريق الكافر هو الذى وصفه بالصفات الخمس عشرة وأما الفريق المؤمن فقيل المراد به قوله أفمن كان على بينة وقيل المذكورون فى قوله ان الذين آمنوا ثم أنكر تساويهما فى الاحكام والمراتب بقوله (هل يستويان مثلا) أى تشبيها وفى قوله (أفلا تذكرون) تنبيه على أن علاج هذا العمى وهذا الصمم ممكن بتبديل الاخلاق وتغيير الاحوال بتيسير الله تعالى وتوفيقه ⁂ التأويل الر الالف اشارة الى الله واللام الى جبرئيل والراء الى الرسول يعنى ما أنزل الله على لسان جبرئيل الى الرسول كتاب مبين من لدن حكيم خبير كقوله وعلمناه من لدنا و رأس العلم اللدنى أن تقول لأمتك يا محمد أن لا تعبدوا الا الله وأن استغفروا ربكم مما ضاع من عمركم فى غير طلب الله ثم توبوا ارجعوا اليه بقدم السلوك لتكون التوبة تحلية لكم بعد التزكية بالاستغفار يمتعكم متاعا حسنا هو الترقى فى المقامات العلية الى أجل مسمى هو حين انقضاء المقامات وابتداء درجات الوصول و يؤت كل ذى فضل فضله أى يؤت كل ذى صدق

جريج قوله ولا أقول لكم عندي خزائن الله التي لا يفنيها شيء فأكون انما أدعوكم لتتبعوني عليها لأعطيكم منها ولا أقول اني ملك نزلت من السماء برسالة ما أنا الا بشر مثلكم ولا أعلم الغيب ولا أقول اتبعوني على علم الغيب ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين﴾ يقول تعالى ذكره قال قوم نوح لنوح عليه السلام قد خاصمتنا فأكثرت خصومتنا فأتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين في عداتك ودعواك أنك لله رسول يعني بذلك أنه لن يقدر على شيء من ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد جادلتنا قال ماريتنا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وحدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد قالوا يا نوح قد جادلتنا قال ماريتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا قال ابن جريج تكذيبا بالعذاب وانه باطل ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال انما يأتيكم به الله ان شاء وما أنتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحي ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم واليه ترجعون﴾ يقول تعالى ذكره قال نوح لقومه حين استعجلوه العذاب يا قوم ليس الذي تستعجلون من العذاب الي انما ذلك الى الله لا الى غيره هو الذي يأتيكم به ان شاء وما أنتم بمعجزين يقول ولستم اذا أراد تعذيبكم بمعجزيه أي بفائتيه هربا منه لأنكم حيث كنتم في ملكه وسلطانه وقدرته حكمه عليكم جار ولا ينفعكم نصحي يقول ولا ينفعكم تحذيري عقوبته ونزول سطوته بكم على كفركم به ان أردت أن أنصح لكم في تحذيري اياكم ذلك لأن نصحي لا ينفعكم لأنكم لا تقبلونه ان كان الله يريد أن يغويكم يقول ان كان الله يريد أن يهلككم بعذابه هو ربكم واليه ترجعون يقول واليه تردون بعد الهلاك حكي عن طيء أنها تقول أصبح فلان غاويا أي مريضا وحكي عن غيرهم سماعا منهم أغويت فلانا بمعنى أهلكته وغوى الفصيل اذا فقد اللبن فمات وذكر أن قول الله فسوف يلقون غيا أي هلاكا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أم يقولون افتراه قل ان افتريته فعلي اجرامي وأنا بريء مما تجرمون﴾ يقول تعالى ذكره أيقول يا محمد هؤلاء المشركون من قومك افترى محمد هذا القرآن وهذا الخبر عن نوح قل لهم ان افتريته فتخرصته واختلقته فعلي اجرامي يقول فعلي اثمي في افترائي ما افتريت على ربي دونكم لا تؤاخذون بذنبي ولا اثمي ولا أؤاخذ بذنبكم وأنا بريء مما تجرمون يقول وأنا بريء مما تذنبون وتأثمون بربكم من افترائكم عليه ويقال منه أجرمت اجراما وجرمت أجرم جرما كما قال الشاعر

طريد عشيرة ورهين ذنب * بما جرمت يدي وجنى لساني

۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وأوحي الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون﴾ يقول تعالى ذكره وأوحى الله الى نوح لما حق على قومه القول وأظلهم أمر الله انه لن يؤمن يا نوح بالله فيوحده ويتبعك على ما تدعوه اليه من قومك الا من قد آمن فصدق بذلك واتبعك فلا تبتئس يقول فلا تستكن ولا تحزن بما كانوا يفعلون فاني مهلكهم ومنقذك منهم ومن اتبعك وأوحى الله ذلك اليه بعد ما دعا عليهم نوح بالهلاك فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وهو تفتعل من البؤس يقال ابتأس فلان بالأمر يبتئس ابتئاسا كما قال لبيد بن ربيعة

في مأتم كنعاج صا * رة يبتئسن بما لقينا

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح

واجتهاد في الطلب درجات الوصول فان المشاهدات بقدر المجاهدات والحاصل أن المتاع الحسن في مراتب السير الى الله وايتاء الفضل في درجات السير في الله عذاب يوم كبير هو عذاب الانقطاع عن الله الكبير ألا انهم يستغشون ثياب الجسمية على وجه الروح كان يعلم ما يسرون من حرمان النور المرشش ومن نقص الحرمان تحت ثياب القالب وما يعلنون من ثني الصدور انه عليم بذات الصدور أي بما في الصدور من القلوب الظلمانية وما من دابة في الارض الا على الله رزقها الا ان كل حيوان له صفة مخصوصة ومزاج مخصوص وغذاؤه يجب أن يكون ملائما للمزاجه فعلى ذمة كرم الله أنه كما خلق أجسادها على الامزجة المتعينة يخلق غذاءها موافقا للمزاج كل منها ثم يهديها الى ما هو أوفق لها ويعلم مستقرها في العدم كيف قدرها مستعدة للصور المختصة بها ومستودعها الذي تؤول اليه عند ظهور ما فيها بالقوة الى الفعل ليبلوكم فان العالم بما فيه محل الابتلاء ومحك السعداء والاشقياء ولئن قلت للاشقياء موتوا عن الطبيعة باستعمال الشريعة ومزاولة الطريقة لتحيوا بالحقيقة فان الحياة الحقيقية تكون بعد الموت عن الحياة الطبيعية ليقولن الذين كفروا ستروا حسن استعدادهم الفطري بتعلق الشهوات الفانية ان هذا الا سحر مبين أي كلام مموه لا أصل له ولئن أخرنا عنهم عذاب البعد الى أمة الى حين ظهور ذوق العذاب فان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا ﴿ولقد أرسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين ألا تعبدوا الا الله اني أخاف عليكم عذاب يوم أليم فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم

كاذبين قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون وياقوم

عن مجاهد فلا تبتئس قال لا تحزن حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وحدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس فلا تبتئس بما كانوا يفعلون يقول فلا تحزن حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فلا تبتئس بما كانوا يفعلون قال لا تأس ولا تحزن حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن وذلك حين دعا عليهم قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا قوله فلا تبتئس يقول فلا تأس ولا تحزن حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فحينئذ دعا على قومه لما بين الله له أنه لن يؤمن من قومه الا من قد آمن ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون ﴾ يقول تعالى ذكره وأوحى اليه أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن وأن اصنع الفلك وهو السفينة كما حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الفلك السفينة وقوله بأعيننا يقول بعين الله ووحيه كما يأمرك كما حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله واصنع الفلك بأعيننا ووحينا وذلك أنه لم يعلم كيف صنعة الفلك فأوحى الله اليه أن يصنعها على مثل جؤجؤ الطائر حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ووحينا قال كما نأمرك حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وحدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بأعيننا ووحينا كما نأمرك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس واصنع الفلك بأعيننا ووحينا قال بعين الله قال ابن جريج قال مجاهد ووحينا قال كما نأمرك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة في قوله بأعيننا ووحينا قال بعين الله ووحيه وقوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون يقول تعالى ذكره ولا تسألني في العفو عن هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم من قومك فكسبوها تعديا منهم عليها بكفرهم بالله الهلاك بالغرق انهم مغرقون بالطوفان كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ولا تخاطبني قال يقول ولا تراجعني قال تقدم أن لا يشفع لهم عنده ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون ﴾ يقول تعالى ذكره ويصنع نوح السفينة وكلما مر عليه جماعة من كبراء قومه سخروا منه يقول هزؤا من نوح ويقولون له أتحولت نجارا بعد النبوة وتعمل السفينة في البر فيقول لهم نوح ان تسخروا منا ان تهزؤا منا اليوم فانا نهزأ منكم في الآخرة كما تهزؤن منا في الدنيا فسوف تعلمون اذا عاينتم عذاب الله من الذي كان الى نفسه مسيأ منا وكانت صنعة نوح السفينة كما حدثني المثنى وصالح بن مسمار قالا ثنا ابن أبي مريم قال أخبرنا موسى بن يعقوب قال ثني فائد مولى عبيد الله بن علي بن أبي رافع أن ابراهيم بن عبد الرحمن بن أبي ربيعة أخبره أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو رحم الله أحدا من قوم نوح لرحم أم الصبي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان نوح مكث في قومه ألف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله حتى كان آخر زمانه غرس شجرة فعظمت وذهبت كل مذهب ثم قطعها

لا أسألكم عليه مالا ان أجري الا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا انهم ملاقوا ربهم ولكني أراكم قوما تجهلون وياقوم من ينصرني من الله ان طردتهم أفلا تذكرون ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول اني ملك ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما في أنفسهم اني اذا لمن الظالمين قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال انما يأتيكم به الله ان شاء وما أنتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحي ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم واليه ترجعون أم يقولون افتراه قل ان افتريته فعلي اجرامي وأنا بريء مما تجرمون وأوحي الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء قال

لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين وقيل يا أرض ابلعي ماءك وياسماء أقلعي وغيض الماء وقضي

ثم جعل يعمل سفينة ويمرون فيسألونه فيقول أعملها سفينة فيسخرون منه ويقولون تعمل سفينة فى البر فكيف تجرى فيقول سوف تعلمون فلما فرغ منها وفار التنور وكثر الماء فى السكك خشيت أم الصبى عليه وكانت تحبه حبا شديدا فخرجت الى الجبل حتى بلغت ثلثه فلما بلغها الماء خرجت حتى بلغت ثلثى الجبل فلما بلغها الماء خرجت حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء رقبتها رفعته بين يديها حتى ذهب بها الماء فلو رحم الله منهم أحدا لرحم أم الصبى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن طول السفينة ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا وطولها فى السماء ثلاثون ذراعا وبابها فى عرضها حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا مبارك عن الحسن قال كان طول سفينة نوح ألف ذراع ومائتى ذراع وعرضها ستمائة ذراع حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن مفضل بن فضالة عن على بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال قال الحواريون لعيسى ابن مريم لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة فحدثنا عنها قال فانطلق بهم حتى انتهى بهم الى كثيب من تراب فأخذ كفا من ذلك التراب بكفه قال أتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا كعب حام بن نوح قال فضرب الكثيب بعصاه قال قم باذن الله فاذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه قد شاب قال له عيسى هكذا هلكت قال لا ولكن مت وأنا شاب ولكنى ظننت أنها الساعة فمن ثم شبت قال حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها ألف ذراع ومائتى ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات فطبقة فيها الدواب والوحش وطبقة فيها الانس وطبقة فيها الطير فلما كثر أرواث الدواب أوحى الله الى نوح أن اغمز ذنب الفيل فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة فأقبلا على الروث لما وقع الفار بحبل السفينة يقرضه أوحى الله الى نوح أن اضرب بين عينى الاسد فخرج من منخره سنور وسنورة فأقبلا على الفار فقال له عيسى كيف علم نوح أن البلاد قد غرقت قال بعث الغراب يأتيه بالخبر فوجد جيفة فوقع عليها فدعا عليه بالخوف فلذلك لا يألف البيوت قال ثم بعث الحمامة فجاءت بورق زيتون بمنقارها وطين برجلها فعلم أن البلاد قد غرقت قال فطوقها الخضرة التى فى عنقها ودعا لها أن تكون فى أنس وأمان فمن ثم تألف البيوت قال فقلنا يا رسول الله ألا ننطلق به الى أهلينا فيجلس معنا ويحدثنا قال كيف يتبعكم من لا رزق له قال فقال له عد باذن الله قال فعاد ترابا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عمن لا يتهم عن عبيد بن عمير الليثى أنه كان يحدث أنه بلغه أنهم كانوا يبطشون به يعنى قوم نوح فيخنقونه حتى يغشى عليه فاذا أفاق قال اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون حتى اذا تمادوا فى المعصية وعظمت فى الارض منهم الخطيئة وتطاول عليه وعليهم الشأن واشتد عليه منهم البلاء وانتظر النجل بعد النجل فلا يأتى قرن الا كان أخبث من القرن الذى قبله حتى ان كان الآخر منهم ليقول قد كان هذا مع آبائنا ومع أجدادنا هكذا مجنونا لا يقبلون منه شيأ حتى شكا ذلك من أمرهم نوح الى الله تعالى كما قص الله علينا فى كتابه رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائى الا فرارا الى آخر القصة حتى قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا الى آخر القصة فلما شكا ذلك منهم نوح الى الله واستنصره عليهم أوحى الله اليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا أى بعد اليوم انهم مغرقون فأقبل نوح على عمل الفلك ولهى عن قومه وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد ويهيئ عدة الفلك من القار وغيره مما لا يصلحه الا هو وجعل قومه يمرون به وهو فى ذلك من عمله فيسخرون منه ويستهزؤن به فيقول ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب

أحكم الحاكمين قال يانوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلا تسئلن ماليس لك به علم انى أعظك أن تكون من الجاهلين قال رب انى أعوذ بك أن أسألك ماليس لى به علم والا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين قيل يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين ﴾

القراآت انى لكم بكسر الهمزة نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والآخرون بفتحها بادى بالهمزة أبو عمرو ونصير الرأى بالياء أبو عمرو وغير شجاع ويزيد والاعشى والاصبهانى عن ورش وحمزة فى الوقف فعميت مجهولا مشددا حمزة وعلى وخلف وحفص الباقون بضدهما أنلزمكموها باختلاس ضمة الميم عباس أجرى الا بالفتح أبو جعفر ونافع وابن عامر وأبو عمرو وحفص ولكنى أريكم بالفتح حيث كان أبو جعفر ونافع وأبو عمرو نصحى ان أبو جعفر ونافع وأبو عمرو بأعيننا مدغما حيث كان عباس من كل بالتنوين حيث كان حفص والمفضل مجريها بفتح الميم بالامالة حمزة وعلى وخلف وحفص مجريها بالضم وبالامالة أبو عمرو والباقون بالضم مفخما يابنى بفتح الياء عاصم اركب معنا مظهرا عاصم وحمزة عمل على أنه فعل غير بالنصب على وسهل ويعقوب الآخرون عمل غير بالرفع فيهما تسئلن بالنون المشددة المكسورة لادغام النون المخففة فى نون الوقاية بعد حذف ياء المتكلم فى الحالين ابن عامر وقالون باثبات الياء فى الوصل أبو جعفر ونافع غير قالون بفتح النون المشددة ابن كثير تسألنى بغير نون التأكيد واثبات الياء

في الحالين سهل ويعقوب الباقون بغير ياء في الحالين انى أعظك انى أعوذ بفتح الياء فيهما أبو جعفر ونافع وابن عامر وأبو عمرو

يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم قال ويقولون له فيما بلغني يا نوح قد صرت نجارا بعد النبوة قال وأعقم الله أرحام النساء فلا يولد لهم ولد قال ويزعم أهل التوراة أن الله أمره أن يصنع الفلك من خشب الساج وأن يصنعه أزور وأن يطليه بالقار من داخله وخارجه وأن يجعل طوله ثمانين ذراعا وأن يجعله ثلاثة أطباق سفلا ووسطا وعلوا وأن يجعل فيه كوى ففعل نوح كما أمره الله حتى اذا فرغ منه وقد عهد الله اليه اذا جاء أمرنا وفار التنور فاحمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل وقد جعل التنور آية فيما بينه وبينه فقال اذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين واركب فلما فار التنور حمل نوح في الفلك من أمره الله وكانوا قليلا كما قال الله وحمل فيها من كل زوجين اثنين مما فيه الروح والشجر ذكر وأنثى فحمل فيه بنيه الثلاثة سام وحام ويافث ونساءهم وستة أناس ممن كان آمن به فكانوا عشرة نفر نوح وبنوه وأزواجهم ثم أدخل ما أمره به من الدواب وتخلف عنه ابنه يام وكان كافرا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الحسن بن دينار عن على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال سمعته يقول كان أول ما حمل نوح في الفلك من الدواب الذرة وآخر ما حمل الحمار فلما دخل الحمار وأدخل صدره مسك ابليس بذنبه فلم تستقل رجلاه فجعل نوح يقول ويحك ادخل فينهض فلا يستطيع حتى قال نوح ويحك ادخل وان كان الشيطان معك قال كلمة زلت عن لسانه فلما قالها نوح خلى الشيطان سبيله فدخل ودخل الشيطان معه فقال له نوح ما أدخلك على يا عدو الله فقال ألم تقل ادخل وان كان الشيطان معك قال اخرج عنى يا عدو الله فقال ما لك بد من أن تحملنى فكان فيما يزعمون في ظهر الفلك فلما اطمأن نوح في الفلك وأدخل فيه من آمن به وكان ذلك في الشهر من السنة التى دخل فيها نوح بعد ستمائة سنة من عمره لسبع عشرة ليلة مضت من الشهر فلما دخل وحمل معه من حمل تحرك ينابيع الغوط الاكبر وفتح أبواب السماء كما قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر فدخل نوح ومن معه الفلك وغطاه عليه وعلى من معه بطبقة فكان بين أن أرسل الله الماء وبين أن احتمل الماء الفلك أربعون يوما وأربعون ليلة ثم احتمل الماء كما تزعم أهل التوراة وكثر الماء واشتد وارتفع يقول الله لمحمد وحملناه على ذات ألواح ودسر والدسر المسامير مسامير الحديد فجعلت الفلك تجرى به وبمن معه في موج كالجبال ونادى نوح ابنه الذى هلك فيمن هلك وكان في معزل حين رأى نوح من صدق موعد ربه ما رأى فقال يا بنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين وكان شقيا قد أضمر كفرا قال سآوى الى جبل يعصمنى من الماء وكان عهد الجبال وهى حرز من الامطار اذا كانت فظن أن ذلك كما كان يعهد قال نوح لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين وكثر الماء حتى طغى وارتفع فوق الجبال كما تزعم أهل التوراة بخمسة عشر ذراعا فباد ما على وجه الارض من الخلق من كل شئ فيه الروح أو شجر فلم يبق شئ من الخلائق الا نوح ومن معه في الفلك والا عوج بن عنق فيما يزعم أهل الكتاب فكان بين أن أرسل الله الطوفان وبين أن غاض الماء ستة أشهر وعشر ليال حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الحسن بن دينار عن على بن زيد بن جدعان * قال ابن حميد قال سلمة وحدثنى حسن بن على بن زيد عن يوسف بن مهران قال سمعته يقول لما آذى نوحا في الفلك عذرة الناس أمر أن يمسح ذنب الفيل فمسحه فخرج منه خنزيران وكفى ذلك عنه وان الفأر توالدت في الفلك فلما آذته أمر أن يأمر الاسد يعطس فعطس فخرج من منخريه هران يأكلان عنه الفأر حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن على بن زيد

الوقوف مبين ○ لا الا الله ط أليم ○ الرأى ج كاذبين ○ فعميت عليكم ط كارهون ○ مالا ط آمنوا ط تجهلون ○ طردتهم ط تذكرون ○ خيرا ط أنفسهم ج الظالمين ○ الصادقين ○ بمعجزين ○ أن يغويكم ط ترجعون ○ ط افتراه ط تجرمون ○ يفعلون ○ ج للآية والعطف ظلموا ج لاحتمال التعليل مغرقون ○ سخروا منه ط تسخرون ○ ط تعلمون ○ لا لان ما بعده مفعول مقيم ○ التنور ○ لا لأن ما بعده جواب اذا ومن آمن ط قليل ○ ط ومرساها ط رحيم ○ الكافرين ○ من الماء ط رحم ج لاتفاق الجملتين مع اختلاف العامل المغرقين ○ الظالمين ○ الحاكمين ○ من أهلك ج علم ط الجاهلين ○ علم ط الخاسرين ○ معك ط أليم ○ اليك ج ط لاحتمال ما بعدها الحال أو الاستئناف هذا ط وعلى قوله فاصبر أحسن للابتداء بان للمتقين ○ التفسير لما أورد على الكفار أنواع الدلائل أكدها بالقصص على عادته من التفنن في الكلام والنقل من أسلوب الى أسلوب في الموعظة فبدأ بقصة نوح ومعنى (انى لكم) أى متلبسا بهذا الكلام وهو قوله انى لكم فلما اتصل به الجار فتح ومن كسر فعلى ارادة القول و (أن لا تعبدوا) بدل من انى لكم نذير أى أرسلناه بأن لا تعبدوا (الا الله) أو يكون أن مفسرة متعلقة بأرسلنا أو بنذير ووصف اليوم بأليم لوقوع الالم فيه فيكون مجازا وكذا لو جعل الوصف للعذاب والجر بالجوار ثم حكى أنه طعن أشراف قومه في نبوته من ثلاث جهات الاولى

عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال لما كان نوح في السفينة قرض الفار حبال السفينة فشكا نوح فأوحى الله اليه فمسح ذنب الاسد فخرج سنوران وكان في السفينة عذرة فشكا ذلك الى ربه فأوحى الله اليه فمسح ذنب الفيل فخرج خنزيران حدثنا ابراهيم بن يعقوب الجوزجاني قال ثنا الاسود بن عامر قال أخبرنا سفيان بن سعيد عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس بنحوه حدثت عن المسيب بن أبي روق عن الضحاك قال قال سليمن القراسي عمل نوح السفينة في أربعمائة سنة وأنبت الساج أربعين سنة حتى كان طوله أربعمائة ذراع والذراع الى المنكب ❁ القول في تأويل قوله تعالى ﴿من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نوح لقومه فسوف تعلمون أيها القوم اذا جاء أمر الله من الهالك من يأتيه عذاب يخزيه يقول الذي يأتيه عذاب الله منا ومنكم يهينه ويذله ويحل عليه عذاب مقيم يقول وينزل به في الآخرة مع ذلك عذاب دائم لا انقطاع له مقيم عليه أبدا وقوله حتى اذا جاء أمرنا يقول ويصنع نوح الفلك حتى اذا جاء أمرنا الذي وعدناه أن يجيء قومه من الطوفان الذي يغرقهم وقوله وفار التنور اختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم معناه انبجس الماء من وجه الارض وفار التنور وهو وجه الارض ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا العوام بن حوشب عن الضحاك عن ابن عباس أنه قال في قوله وفار التنور قال التنور وجه الارض قال قيل له اذا رأيت الماء على وجه الارض فاركب أنت ومن معك قال والعرب تسمي وجه الارض تنور الارض حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن العوام عن الضحاك بنحوه حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس قال أخبرنا الشيباني عن عكرمة في قوله وفار التنور قال وجه الارض حدثنا زكريا بن يحيى بن أبي زائدة وسفيان بن وكيع قالا ثنا ابن ادريس عن الشيباني عن عكرمة وفار التنور قال وجه الارض * وقال آخرون هو تنوير الصبح من قولهم نور الصبح تنويرا ذكر من قال ذلك حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ثنا محمد بن فضيل قال ثنا عبد الرحمن بن اسحق عن عباس مولى أبي جحيفة عن أبي جحيفة عن علي رضي الله عنه قوله حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور قال هو تنوير الصبح حدثنا ابن وكيع واسحق بن اسرائيل قالا ثنا محمد بن فضيل عن عبد الرحمن بن اسحق عن زياد مولى أبي جحيفة عن أبي جحيفة عن علي في قوله وفار التنور قال تنوير الصبح حدثنا حماد بن يعقوب قال أخبرنا ابن فضيل عن عبد الرحمن بن اسحق عن مولى أبي جحيفة أراه قد سماه عن أبي جحيفة عن علي وفار التنور قال تنوير الصبح حدثني اسحق بن شاهين قال ثنا هشيم عن ابن اسحق عن رجل من قريش عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وفار التنور قال طلع الفجر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا عبد الرحمن بن اسحق عن رجل قد سماه عن علي بن أبي طالب قوله وفار التنور قال اذا طلع الفجر * وقال آخرون معنى ذلك وفار أعلى الارض وأشرف مكان فيها بالماء وقال التنور أشرف الارض ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور كنا نحدث أنه أعلى الارض وأشرفها وكان علما بين نوح وبين ربه حدثنا محمد بن بشار قال ثنا سليمن قال ثنا أبو هلال قال سمعت قتادة قوله وفار التنور قال أشرف الارض وأرفعها فار الماء منه * وقال آخرون هو التنور الذي يختبز فيه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله

كنت صادقا لاتبعك الأكياس من الناس والاشراف منهم والاراذل جمع أرذل وقيل جمع الارذال جمع رذل وهو الدون من كل شيء في منظره وحالاته ومعنى (بادي الرأي) أول الرأي وهو نصب على الظرف أي اتبعوك في ابتداء حدوث الرأي من غير روية أو معناه ظاهر الرأي من قولك بدا الشيء اذا ظهر ومنه البادية للبرية لظهورها وبروزها للناظر وهذا تفسير من قرأ بغير همز وعلى هذا فالمراد أنهم اتبعوك في الظاهر وباطنهم بخلافه أو اتبعوك وقت حدوث ظاهر رأيهم فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه ويجوز أن يتعلق بادي الرأي بقوله أراذلنا أي كونهم كذلك أمر ظاهر لكل من يراهم عيانا ويتأكد هذا التأويل بما نقل عن مجاهد أنه قرأ الا الذين هم أراذلنا رأي العين وانما استرذلوا المؤمنين لاعتقادهم أن المزية عند الله سبحانه بالمال والجاه ولم يعلموا أن ذلك مبعد من الحق لا مقرب منه وأن الانبياء ما بعثوا الا لترك الدنيا والاقبال على الآخرة فكيف يجعل قلة المال طعنا في النبوة وفي متابعة النبي الشبهة الثالثة (وما نرى لكم علينا من فضل) لا في العقل ولا في كيفية رعاية المصالح ولا في قوة الجدل (بل نظنكم كاذبين) خطاب لنوح ولمن آمن به بتبعيته أو خطاب للاراذل كأنهم نسبوهم الى الكذب في ادعاء الايمان ثم حكى ما أجاب به نوح قومه وهو أن حصول المساواة في صفة البشرية لا يمنع من حصول المفارقة في صفة النبوة وذلك قوله (أرأيتم ان كنت على بينة) برهان (من ربي وآتاني) بايتاء تلك البينة رحمة وعلى هذا البينة

حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قال إذا رأيت تنور أهلك يخرج منه الماء فإنه هلاك قومك حدثني يعقوب بن إبرهيم قال ثنا هشيم عن أبي محمد عن الحسن قال كان تنورا من حجارة كان لحواء حتى صار إلى نوح قال فقيل له إذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت وأصحابك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وفار التنور قال حين انبجس الماء وأمر نوح أن يركب هو ومن معه في الفلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وفار التنور قال انبجس الماء منه آية أن يركب بأهله ومن معه في السفينة حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه إلا أنه قال آية أن يركب أهله ومن معه في السفينة حدثني المثنى قال ثنا إسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه إلا أنه قال آية بأن يركب بأهله ومن معهم في السفينة حدثني الحرث قال ثنا القاسم قال ثنا خلف بن خليفة عن ليث عن مجاهد قال نبع الماء في التنور فعلمت به امرأته فأخبرته قال وكان ذلك في ناحية الكوفة قال ثنا القاسم قال ثنا علي بن ثابت عن السري بن إسمعيل عن الشعبي أنه كان يحلف بالله ما فار التنور إلا من ناحية الكوفة حدثنا أبو كريب قال ثنا عبد الحميد الحماني عن النضر أبي عمر الخزاز عن عكرمة عن ابن عباس في قوله وفار التنور قال فار التنور بالهند حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله وفار التنور كان آية لنوح إذا خرج منه الماء فقد أتى الناس الهلاك والغرق وكان ابن عباس يقول في معنى فار نبع حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وفار التنور قال نبع «قال أبو جعفر» وفوران الماء سورة دفعته يقال منه فار الماء يفور فورا وفورانا وذلك إذا سارت دفعته * وأولى هذه الأقوال عندنا بتأويل قوله التنور قول من قال هو التنور الذي يختبز فيه لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب وكلام الله لا يوجه إلا إلى الأغلب الأشهر من معانيه عند العرب إلا أن تقوم حجة على شيء منه بخلاف ذلك فيسلم لها وذلك أنه جل ثناؤه إنما خاطبهم بما خاطبهم به لإفهامهم معنى ما خاطبهم به قلنا لنوح حين جاء عذابنا قومه الذي وعدنا نوحا أن نعذبهم به وفار التنور الذي جعلنا فورانه بالماء آية مجيء عذابنا بيننا وبينه لهلاك قومه احمل فيها يعني في الفلك من كل زوجين اثنين يقول من كل ذكر وأنثى كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد من كل زوجين اثنين قال ذكر وأنثى من كل صنف حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد من كل زوجين اثنين فالواحد زوج والزوجين ذكر وأنثى من كل صنف قال ثنا إسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله من كل زوجين اثنين قال ذكر وأنثى من كل صنف * قال ثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين يقول من كل صنف اثنين حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله من كل زوجين اثنين يعني بالزوجين اثنين ذكرا وأنثى * وقال بعض أهل العلم بكلام العرب من الكوفيين الزوجان في كلام العرب الاثنان قال ويقال عليه زوجا نعال إذا كانت عليه نعلان ولا يقال عليه زوج نعال وكذلك عنده زوجا حمام وعليه زوجا قيود وقال ألا تسمع إلى قوله وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى

هي الرحمة ويجوز أن يريد بالبينة المعجزة وبالرحمة النبوة وقيل بالعكس (فعميت) خفيت أو أخفيت البينة أو كل من البينة والرحمة أي صارت مظلمة مشتبهة في عقولكم والبينة توصف بالإبصار والعمى مجازا باعتبار نتيجتها كما أن دليل القوم إن كان بصيرا اهتدوا وإن كان أعمى بقوا خابطين متحيرين ثم قال (أنلزمكموها) أي أنكرهكم على قبول البينة (وأنتم لها كارهون) والمراد أنا لا نقدر على إيصال حقيقة البينة إليكم وإنما يقدر على ذلك من هو قادر على الإيجاد والإعدام وتغيير الأحوال وتبديل الأخلاق ثم ذكر أنه لا يطلب على تبليغ الرسالة مالا حتى يتفاوت الحال بسبب كون المجيب غنيا أو فقيرا (وما أنا بطارد الذين آمنوا) عن ابن جريج أنهم قالوا إن أحببت يا نوح أن نتبعك فاطردهم فإنا لا نرضى بمشاركتهم فلم يبذل ملتمسهم وعلل ذلك بقوله (إنهم ملاقو ربهم) فيعاقب من يطردهم أو يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من الإيمان الصحيح أو النفاق بزعمكم أو المراد أنهم معتقدون لقاء ربهم (ولكني أراكم قوما تجهلون) لقاء ربكم وأنهم خير منكم أو قوما تسفهون حيث تسمون المؤمنين أراذل ثم أكد عدم طردهم بقوله (ويا قوم من ينصرني من الله) من يمنعني من عقابه (إن طردتهم) لأن العقل والشرع توافقا على أنه لا بد من تعظيم المؤمن البر المتقي ومن إهانة الكافر الفاجر فكيف يليق بنبي الله أن يقلب هذه القضية سؤال إن كان طرد المؤمن لطلب مرضاة الكافر معصية فكيف فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نهي عنه بقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم الجواب أنه لم يكن ذلك طردا مطلقا وإنما عين لأجلهم أوقاتا مخصوصة ولأشراف قريش

اناأخرى فعوتب على ذلك القدر احتجت المعتزلة بالآية على عدم الشفاعة للفاسق اذلو كانت جائزة

فانما هما اثنان وقال بعض البصريين من أهل العربية فى قوله قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين قال فجعل الزوجين الضربين الذكور والاناث قال وزعم يونس أن قول الشاعر

وأنت امرؤ تعدو على كل غرة * فتخطئ فيها مرة وتصيب

يعنى به الذئب قال فهذا أشد من ذلك * وقال آخر منهم الزوج اللون قال وكل ضرب يدعى لونا واستشهد ببيت الاعشى فى ذلك

وكل زوج من الديباج يلبسه * أبو قدامة محبو بذاك معا

وبقول لبيد

وذى بهجة كن المقانب صوته * وزينه أزواج نور مشرب

وذكر أن الحسن قال فى قوله ومن كل شئ خلقنا زوجين السماء زوج والارض زوج والشتاء زوج والصيف زوج والليل زوج والنهار زوج حتى يصير الامر الى الله الفرد الذى لا يشبهه شئ وقوله وأهلك الا من سبق عليه القول يقول واحمل أهلك أيضا فى الفلك يعنى بالاهل ولده ونساءه وأزواجه الا من سبق عليه القول يقول الا من قلت فيهم انى مهلكه مع من أهلك من قومك ثم اختلفوا فى الذى استثناه الله من أهله فقال بعضهم هو بعض نساء نوح ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج وأهلك الا من سبق عليه القول قال العذاب هى امرأته كانت من الغابرين فى العذاب * وقال آخرون بل هو ابنه الذى غرق ذكر من قال ذلك حدثت عن المسيب عن أبى روق عن الضحاك فى قوله وأهلك الا من سبق عليه القول قال ابنه غرق فيمن غرق وقوله ومن آمن يقول واحمل معهم من صدقك واتبعك من قومك يقول الله وما آمن معه الا قليل يقول وما أقر بوحدانية الله مع نوح من قومه الا قليل واختلفوا فى عدد الذين كانوا آمنوا معه فحملهم معه فى الفلك فقال بعضهم فى ذلك كانوا ثمانية أنفس ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل قال ذكر لنا أنه لم يتم فى السفينة الا نوح وامرأته وثلاثة بنيه ونساؤهم فجميعهم ثمانية حدثنا ابن وكيع والحسن بن عرفة قالا ثنا يحيى بن عبد الملك بن أبى غنية عن أبيه عن الحكم وما آمن معه الا قليل قال نوح وثلاثة بنيه وأربع كنائنه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج حدثت أن نوحا حمل معه بنيه الثلاثة وثلاث نسوة لبنيه وامرأة نوح فهم ثمانية بأزواجهم وأسماء بنيه يافث وسام وحام وأصاب حام زوجته فى السفينة فدعا نوح أن يغير نطفته فجاء بالسودان * وقال آخرون بل كانوا سبعة أنفس ذكر من قال ذلك حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن الاعمش وما آمن معه الا قليل قال كانوا سبعة نوح وثلاث كنائن له وثلاث بنين * وقال آخرون كانوا عشرة سوى نسائهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما فار التنور حمل نوح فى الفلك من أمره الله به وكانوا قليلا كما قال الله فحمل بنيه الثلاثة سام وحام ويافث ونساءهم وستة أناسى ممن كان آمن فكانوا عشرة نفر بنوح وبنيه وأزواجهم * وقال آخرون بل كانوا ثمانين نفسا ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس حمل نوح معه فى السفينة ثمانين انسانا حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان كان بعضهم يقول كانوا ثمانين يعنى القليل الذى قال الله وما آمن معه الا قليل حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقى قال ثنا زيد بن الحباب قال ثنى حسين بن واقد الخراسانى قال ثنى أبو نهيك

نت فى حق نوح أولى فلم يقل من
ى يخاصنى من عذابه وأجيب
مخصوص بآيات العفو ثم ذكر
كما لا يسألهم مالا فانه لا يدعى
عنده خزائن الله حتى يجحدوا
له فضلا عليهم من هذه الجهة
(أعلم الغيب) حتى أصل به الى
أريه لنفسى ولأتباعى وأطلع
الضمائر (ولا أقول انى ملك)
عظم بذلك عليكم بل طريقى الخضوع
لتواضع وعدم الاستنكاف عن
خالطة الفقراء وقدمر فى الانعام
ائر ما يتعلق بالآية ومعنى (تزدرى)
عيب وتحقر والازدراء افتعال
ن زرى عليه اذا عابه وفى قوله تعالى
الله أعلم بما فى أنفسهم) دلالة على
نهم كانوا ينسبون اتباعه مع الفقر
لذله الى النفاق (انى اذا) أى ان قلت
شيأ من ذلك كنت من الظالمين
نفسى أوان قلت ان الله لن يؤتيهم
خيرا مع أنه لا وقوف لى على باطنهم
ثم ان قومه وصفوه بكثرة الجدال
قائلين (يا نوح قد جادلتنا فأكثرت
جدالنا) قال أهل المعانى أردت
جدالنا وشرعت فيه فأكثرته كقولك
جادلنى فلان فأكثر لم ترد أنه أعطى
عطيتين أقل فأكثر بل تريد أن
الوصف مقارن للموصوف وفى الآية
دلالة على أن الجدال فى تقرير دلائل
التوحيد من دأب أكابر الانبياء
ثم استعجلوا العذاب الذى كان يتوعدهم
به فأجاب نبى الله بان ذلك ليس الىّ
وانما هو بمشيئة الله وارادته ولا
يعجزه عن ذلك أحد وقوله (ولا ينفعكم
نصحى) كقول القائل لامرأته أنت
طالق ان دخلت الدار ان أكلت
الخبز لم يقع الطلاق الا اذا دخل الدار
فأكل الخبز ولهذا قال الفقهاء المؤخر فى اللفظ مقدم فى المعنى فكأنه قيل (ان كان الله يريد أن يغويكم) فان أردت ان أنصح لكم قال

قال سمعت ابن عباس يقول كان في سفينة نوح ثمانون رجلا أحدهم جرهم * والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله وما آمن معه الا قليل يصفهم بأنهم كانوا قليلا ولم يحد عددهم بمقدار ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيح فلا ينبغي أن يتجاوز في ذلك حد الله اذ لم يكن لمبلغ عدد ذلك حد من كتاب الله أو أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ❊ القول في تأويل قوله تعالى (وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم) يقول تعالى ذكره وقال نوح اركبوا في الفلك بسم الله مجراها ومرساها وفي الكلام محذوف قد استغنى بدلالة ما ذكر من الخبر عليه عنه وهو قوله قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل فحملهم نوح فيها وقال لهم اركبوا فيها فاستغنى بدلالة قوله وقال اركبوا فيها عن حمله اياهم فيها فترك ذكره واختلفت القراء في قراءة قوله بسم الله مجراها ومرساها فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض الكوفيين بسم الله مجراها ومرساها بضم الميم في الحرفين كليهما واذا قرئ كذلك كان من أجرى وأرسى وكان فيه وجهان من الاعراب أحدهما الرفع بمعنى بسم الله اجراؤها وارساؤها فيكون المجرى والمرسى مرفوعين حينئذ بالباء التي في قوله بسم الله والآخر النصب بمعنى بسم الله عند اجرائها وارسائها أو وقت اجرائها وارسائها فيكون قوله بسم الله كلاما مكتفيا بنفسه كقول القائل عند ابتدائه في عمل يعمله بسم الله ثم يكون المجرى والمرسى منصوبين على ما نصبت العرب قولهم الحمد لله سرارك واهلالك يعنون الهلال أوله وآخره كأنهم قالوا الحمد لله أول الهلال وآخره ومسموع منهم أيضا الحمد لله ما اهلالك الى سرارك وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين بسم الله مجراها ومرساها بفتح الميم من مجراها وضمها من مرساها فجعلوا مجراها مصدرا من جرى يجري مجرى ومرساها من أرسى يرسي ارساء واذا قرئ ذلك كذلك كان في اعرابهما من الوجهين نحو الذي فيهما اذا قرئا مجراها ومرساها بضم الميم فيهما على ما بينت وروي عن أبي رجاء العطاردي أنه كان يقرأ ذلك بسم الله مجريها ومرسيها بضم الميم فيهما ويصيرهما نعتا لله واذا قرئا كذلك كان فيهما أيضا وجهان من الاعراب غير أن أحدهما الخفض وهو الاغلب عليهما من وجهي الاعراب لان معنى الكلام على هذه القراءة بسم الله مجري الفلك ومرسيها فالمجري نعت لاسم الله وقد يحتمل أن يكون نصبا وهو الوجه الثاني لأنه يحسن دخول الالف واللام في المجري والمرسي كقولك بسم الله المجريها والمرسيها واذا حذفتا نصبتا على الحال اذ كان فيهما معنى النكرة وان كانا مضافين الى المعرفة وقد ذكر عن بعض الكوفيين أنه قرأ ذلك مجراها ومرساها بفتح الميم فيهما جميعا من جرى ورسا كأنه وجهه الى أنه في حال جريها وحال رسوها وجعل كلتا الصفتين للفلك كما قال عنترة

فصبرت نفسا عند ذلك حرة * ترسو اذا نفس الجبان تطلع

والقراءة التي نختارها في ذلك قراءة من قرأ بسم الله مجراها بفتح الميم ومرساها بضم الميم بمعنى بسم الله حين تجري وحين ترسي وانما اخترت الفتح في ميم مجراها لقرب ذلك من قوله وهي تجري بهم في موج كالجبال ولم يقل تجري بهم ومن قرأ بسم الله مجراها كان الصواب على قراءته أن يقرأ وهي تجري بهم وفي اجماعهم على قراءة تجري بفتح التاء دليل واضح على أن الوجه في مجراها فتح الميم وانما اخترنا الضم في مرساها لاجماع الحجة من القراء على ضمها ومعنى قوله مجراها مسيرها ومرساها وقفها من وقفها الله وأرساها وكان مجاهد يقرأ ذلك بضم الميم في الحرفين جميعا

حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بسم الله مجراها

لم ينفعكم نصحي واحتجاج الاشاعرة بالآية ظاهر وأجابت المعتزلة بأنه لا يلزم من فرض أمر وقوعه ولعل نوحا انما قال ذلك ليبين لهم أنه تعالى بنى أمر التكليف على الاختيار والا لم يكن للنصح فائدة ولو تشبث الخصم بالخبر لزم افحام النبي ومن الجائز أن يراد بالاغواء التعذيب من غوى الفصيل اذا بشم فهلك أو يراد به الخيبة كقوله فسوف يلقون غيا أي خيبة من خير الآخرة أو يراد به منع الالطاف وقد تقدم أمثال ذلك مرارا ثم أشار الى المبدا والمعاد بقوله (هو ربكم واليه ترجعون) ثم أنكر الله سبحانه عليهم قولهم انما ادعاء نوح أنه أوحي اليه مفترى فقال (أم يقولون افتراه) فأمره بأن يجيب بكلام منصف هو قوله (قل ان افتريته فعلي اجرامي) أي عقاب اثمي وهو الافتراء (وأنا بريء مما تجرمون) أي من اجرامكم وهو اسناد الافتراء الي وههنا اضمار كأنه قيل لكني ما افتريته فالاجرام وعقابه عليكم وأنا بريء منه وأكثر المفسرين على أن هذه الآية من تمام قصة نوح وعن مقاتل أنها من قصة محمد صلى الله عليه وسلم وقعت في اثناء قصة نوح قوله سبحانه (وأوحي الى نوح أنه لن يؤمن) اقناط له من ايمانهم الذي كان يتوقعه منهم بدليل قوله (الا من قد آمن) فان معناه الا من قد وجد منه ما كان يتوقع من ايمانه وقوله (فلا تبتئس) تسلية له أي لا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وايذائك فقد حان وقت الانتقام منهم قال أكثر المعتزلة انه لا يجوز أن ينزل الله عذاب الاستئصال على قوم يعلم أن فيهم من يؤمن أو في أولادهم من يؤمن بدليل دعاء نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا الى قوله الا فاجرا كفارا فعلل الاهلاك بمجموع الامرين فدل ذلك على أنهما لو لم يحصلا لم يجز الاهلاك وذهب كثير منهم الى الجواز ليس كل خبر معلوم بواجب الوقوع

ومرساها قال حين يركبون ويجرون ويرسون حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بسم الله حين يركبون ويجرون ويرسون حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بسم الله مجراها ومرساها قال بسم الله حين يجرون وحين يرسون حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال ثنا أبو روق عن الضحاك فى قوله اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها قال اذا اراد أن ترسى قال بسم الله فأرست واذا أراد أن تجرى قال بسم الله فجرت وقوله ان ربى لغفور رحيم يقول ان ربى لساتر ذنوب من تاب وأناب اليه رحيم بهم أن يعذبهم بعد التوبة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وهى تجرى بهم فى موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان فى معزل يابنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله وهى تجرى بهم والفلك تجرى بنوح ومن معه فيها فى موج كالجبال ونادى نوح ابنه يام وكان فى معزل عنه لم يركب معه الفلك يابنى اركب معنا الفلك ولا تكن مع الكافرين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال سآوى الى جبل يعصمنى من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين﴾ يقول تعالى ذكره قال ابن نوح لما دعاه نوح الى أن يركب معه السفينة خوفا عليه من الغرق سآوى الى جبل يعصمنى من الماء يقول سأصير الى جبل أتحصن به من الماء فيمنعنى منه أن يغرقنى ويعنى بقوله يعصمنى يمنعنى مثل عصام القربة الذى يشد به رأسها فيمنع الماء أن يسيل منها وقوله لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم يقول لا مانع اليوم من أمر الله الذى قد نزل بالخلق من الغرق والهلاك الا من رحمنا فأنقذنا منه فانه الذى يمنع من شاء من خلقه ويعصم فمن فى موضع رفع لان معنى الكلام لا عاصم يعصم اليوم من أمر الله الا الله وقد اختلف أهل العربية فى موضع من فى هذا الموضع فقال بعض نحويى الكوفة هو فى موضع نصب لان المعصوم بخلاف العاصم والمرحوم معصوم قال كأن نصبه بمنزلة قوله مالهم به من علم الا اتباع الظن قال ومن استجاز اتباع الظن والرفع فى قوله

وبلدة ليس بها أنيس ... الا اليعافير والا العيس

لم يجز له الرفع فى من لان الذى قال الا اليعافير جعل أنيس البر اليعافير وما أشبهها وكذلك قوله الا اتباع الظن يقول علمهم ظن قال وأنت لا يجوز لك فى وجه أن تقول المعصوم هو عاصم فى حال ولكن لو جعلت العاصم فى تأويل معصوم لا معصوم اليوم من أمر الله لجاز رفع من قال ولا ينكر أن يخرج المفعول على فاعل ألا ترى قوله من ماء دافق معناه والله أعلم مدفوق وقوله فى عيشة راضية معناها مرضية قال الشاعر

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

ومعناها المكسو وقال بعض نحويى البصرة لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم على لكن من رحم ويجوز أن يكون على لا ذا عصمة أى معصوم ويكون الا من رحم رفعا بدلا من العاصم ولا وجه لهذه الاقوال التى حكيناها عن هؤلاء لان كلام الله تعالى انما يوجه الى الافصح الاشهر من كلام من نزل بلسانه ما وجد الى ذلك سبيل ولم يضطر شئ الى أن يجعل عاصما فى معنى معصوم ولا أن يجعل الا بمعنى لكن اذ كنا نجد لذلك فى معناه الذى هو معناه فى المشهور من كلام العرب مخرجا صحيحا وهو ما قلنا من أن معنى ذلك قال نوح لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحمنا فأنجانا من عذابه كما يقال لا منجى اليوم من عذاب الله الا الله ولا مطعم اليوم من طعام زيد الا زيد فهذا هو الكلام المعروف والمعنى المفهوم وقوله وحال بينهما الموج فكان من المغرقين يقول وحال

كلما يقع يجب أن يكون على
سكه ماشاء ثم عرفه وجه اهلاكهم
لهمه وجه خلاص من آمن فقال
اصنع الفلك) وهو أمر ايجاب على
ظهر لانه لا سبيل الى صون روحه
ن الهلاك فى الطوفان الا بذلك
سون النفس واجب وما لا يتم
اجب الا به فهو واجب وقيل
ر اباحة كمن أمر أن يتخذ الانسان
فسه دارا يسكنها والانصاف أن
مر ظاهره الوجوب وان قطعنا
طر عن فائدته وغايته وقوله (بأعيننا
حينا) فى موضع الحال أى متلبسا
لك والسبب فيه أن اقدامه على
نعة السفينة مشروط بامرين
حدهما أن لا يمنعه أعداؤه عن ذلك
يل وأشار اليه بقوله بأعيننا وليست
عين بمعنى الجارحة لانه منزه عن
لجوارح والاعضاء فالمراد بها
لحفظ والحياطة والكلاءة لان
لعين آلة الحفظ والحراسة والثانى
ن يكون عالما بكيفية تركيب
لاخشاب ونحتها عن ابن عباس
يعلم كيف صنعة الفلك فأوحى
لله تعالى اليه أن يصنعها مثل جؤجؤ
لطائر وقيل المراد عين الملك الذى كان
عرفه كيفية اتخاذ السفينة ثم قال
ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا) أى فى
شأنهم وقيل علل عدم الخطاب
بقوله (انهم مغرقون) أى انهم محكوم
عليهم بالاغراق وقد جف القلم
عليهم بذلك فلا فائدة للشفاعة وقيل
لا تخاطبنى فى تعجيل عقابهم فانهم
يغرقون فى الوقت المعين لذلك فلا
فائدة فى الاستعجال فلكل أمة
أجل وقيل المراد بالذين ظلموا
امرأته واعلة وكنعان ابنه ثم حكى
الحال الماضية بقوله (ويصنع
الفلك و) الحال أنه (كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه) يحتمل أن يكون هذا جوابا لكلما

بين نوح وابنه موج الماء فغرق فكان ممن أهلكه الله بالغرق من قوم نوح صلى الله عليه وسلم

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين﴾ يقول الله تعالى ذكره وقال الله للارض بعد ما تناهى أمره في هلاك قوم نوح بما أهلكهم به من الغرق يا أرض ابلعي ماءك أي تشربي من قول القائل بلع فلان كذا يبلعه أو بلعه يبلعه اذا ازدرده ويا سماء أقلعي يقول أقلعي عن المطر أمسكي وغيض الماء ذهبت به الارض ونشفته وقضي الامر يقول قضي أمر الله فمضى بهلاك قوم نوح واستوت على الجودي يعني الفلك استوت أرست على الجودي وهو جبل فيما ذكر بناحية الموصل أو الجزيرة وقيل بعدا للقوم الظالمين يقول قال الله أبعد الله القوم الظالمين الذين كفروا بالله من قوم نوح حدثنا عباد بن يعقوب الاسدي قال ثنا المحاربي عن عثمان بن مطر عن عبد العزيز بن عبد الغفور عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول يوم من رجب ركب نوح السفينة فصام هو وجميع من معه وجرت بهم السفينة ستة أشهر فانتهى ذلك الى المحرم فأرست السفينة على الجودي يوم عاشوراء فصام نوح وأمر جميع من معه من الوحش والدواب فصاموا شكرا لله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال كانت السفينة أعلاها الطير ووسطها الناس وفي أسفلها السباع وكان طولها في السماء ثلاثين ذراعا ودفعت من عين وردة يوم الجمعة لعشر ليال مضين من رجب وأرست على الجودي يوم عاشوراء ومرت بالبيت فطافت به سبعا وقد رفعه الله من الغرق ثم جاءت اليمن ثم رجعت حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي جعفر الرازي عن قتادة قال هبط نوح من السفينة يوم العاشر من المحرم فقال لمن معه من كان منكم اليوم صائما فليتم صومه ومن كان مفطرا فليصم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي معشر عن محمد بن قيس قال (١) كان في زمن نوح شبر من الارض لا انسان يدعيه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أنها يعني الفلك استقلت بهم في عشر خلون من رجب وكانت في الماء خمسين ومائة يوم واستقرت على الجودي شهرا وأهبط بهم في عشر من المحرم يوم عاشوراء

وبنحو ما قلنا في تأويل قوله وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وغيض الماء قال نقص وقضي الامر قال هلاك قوم نوح حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله قال قال ابن جريج وغيض الماء نشفته الارض حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنا معاوية عن علي عن ابن عباس قوله يا سماء أقلعي يقول أمسكي وغيض الماء يقول ذهب الماء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وغيض الماء والغيوض ذهاب الماء واستوت على الجودي حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد واستوت على الجودي قال جبل بالجزيرة تشامخت الجبال من الغرق وتواضع هو لله فلم يغرق فأرست عليه حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد واستوت على الجودي قال الجودي جبل بالجزيرة تشامخت الجبال يومئذ من الغرق وتطاولت وتواضع هو لله فلم يغرق وأرست سفينة نوح عليه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج

(١) لعله ما كان في زمن نوح شبر من الارض لا انسان الخ تأمل كتبه مصححه

وقوله (قال ان تسخروا) استئناف على تقدير سؤال سائل كأنه قيل ماذا قال نوح حينئذ ويحتمل أن يكون خبرا وبدلا من مر أو صفة لملأ وقال جواب قيل كانوا يقولون يا نوح كنت نبيا فصرت نجارا ولو كنت صادقا في دعواك لكان الهك يغنيك عن هذا العمل الشاق وقيل انهم ما رأوا السفينة قبل ذلك فكانوا يتعجبون ويسخرون وقيل انها كانت كبيرة وكان يصنعها في مفازة بعيدة عن الماء فكانوا يقولون هذا من باب الجنون وقيل طالت مدته وكان ينذرهم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة وليس منه عين ولا أثر فغلب على ظنونهم كونه كاذبا فيسخرون منه فأجابهم بقوله ان تسخروا منا في الحال (فانا نسخر منكم) في المستقبل اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة أو ان حكمتم علينا بالجهل فيما نصنع فانا نحكم عليكم بالجهل فيما أنتم عليه من الكفر والتعرض لسخط الله أو ان تستجهلونا فانا نستجهلكم في استجهالكم لانكم لا تستجهلون الا عن الجهل بحقيقة الامر والبناء على ظاهر الحال كما هو عادة الاغمار وسمي جزاء السخرية سخرية كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها ثم هددهم بقوله (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) في الدنيا وهو عذاب الغرق (ويحل عليه عذاب مقيم) في الآخرة لازم لزوم الدين الحال الغريم ومن موصولة أو استفهامية وقد مر في الانعام روي أن نوحا عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وارتفاعها ثلاثين وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاثة بطون الاسفل للوحوش والسباع والهوام والاوسط للدواب والانعام والأعلى للناس ولما يحتاجون اليه من الزاد وحمل

عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله واستوت على الجودي يقول على الجبل واسمه الجودى حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان واستوت على الجودى قال جبل بالجزيرة شمخت الجبال وتواضع حين أرادت أن ترفأ عليه سفينة نوح حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واستوت على الجودى أبقاها الله لنا بوادى أرض الجزيرة عبرة وآية حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سلمان قال سمعت الضحاك يقول واستوت على الجودى هو جبل بالموصل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن نوحا بعث الغراب لينظر الى الماء فوجد جيفة فوقع عليها فبعث الحمامة فأتته بورق الزيتون فأعطيت الطوق الذى فى عنقها وخضاب رجلها حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما أراد الله أن يكف ذلك يعنى الطوفان أرسل ريحا على وجه الارض فسكن الماء واستدت ينابيع الارض الغمر الاكبر وأبواب السماء يقول الله تعالى وقيل ياأرض ابلعى ماءك وياسماء أقلعى الى بعدا للقوم الظالمين فجعل الماء ينقص ويغيض ويدبر وكان استواء الفلك على الجودى فيما يزعم أهل التوراة فى الشهر السابع لسبع عشرة ليلة مضت منه فى أول يوم من الشهر العاشر رؤى رؤس الجبال فلما مضى بعد ذلك أربعون يوما فتح نوح كوة الفلك التى صنع فيها ثم أرسل الغراب لينظر له ما فعل الماء فلم يرجع اليه فأرسل الحمامة فرجعت اليه ولم يجد لرجلها موضعا فبسط يده للحمامة فأخذها ثم مكث سبعة أيام ثم أرسلها لتنظر له فرجعت حين أمست وفى فيها ورق زيتونة فعلم نوح أن الماء قد قل عن وجه الارض ثم مكث سبعة أيام ثم أرسلها فلم ترجع فعلم نوح أن الارض قد برزت فلما كملت السنة فيما بين أن أرسل الله الطوفان الى أن أرسل نوح الحمامة ودخل يوم واحد من الشهر الاول من سنة اثنتين برز وجه الارض فظهر اليبس وكشف نوح غطاء الفلك ورأى وجه الارض وفى الشهر الثانى من سنة اثنتين فى سبع وعشرين ليلة منه قيل لنوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سلمان قال سمعت الضحاك يقول تزعم ناس أن من غرق من الولدان مع آبائهم وليس كذلك انما الولدان بمنزلة الطير وسائر من أغرق الله بغير ذنب ولكن حضرت آجالهم فماتوا لآجالهم والمدركون من الرجال والنساء كان الغرق عقوبة من الله لهم فى الدنيا ثم مصيرهم الى النار ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من أهلى وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين) يقول تعالى ذكره ونادى نوح ربه فقال رب انك وعدتنى أن تنجينى من الغرق والهلاك وأهلى وقد هلك ابنى وابنى من أهلى وان وعدك الحق الذى لا خلف له وأنت أحكم الحاكمين بالحق فاحكم لى بأن تفى لى بما وعدتنى من أن تنجى لى أهلى وترجع الى ابنى كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأنت أحكم الحاكمين قال أحكم الحاكمين بالحق ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قال يانوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ماليس لك به علم انى أعظك أن تكون من الجاهلين) يقول الله تعالى ذكره قال الله يانوح ان الذى غرقته فأهلكته الذى تذكر أنه من أهلك ليس من أهلك * واختلف أهل التأويل فى معنى قوله ليس من أهلك فقال بعضهم معناه ليس من ولدك هو من غيرك وقالوا كان ذلك من حنث ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن عوف عن الحسن فى قوله انه ليس من أهلك قال لم يكن ابنه حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا يحيى بن

غاية لقوله ويصنع الفلك أى كان يصنعها الى أن جاء وقت الامر بالاهلاك (وفار التنور) أى نبع الماء منه بشدة وسرعة تشبيها بغليان القدر والتنور هى التى يختبز فيها فقيل هو مما استوى فيه العربى والعجمى وقيل معرب لانه لا يعرف فى كلام العرب نون قبل راء عن ابن عباس والحسن ومجاهد هو تنور نوح وقيل كان لآدم وحواء حتى صار لنوح وموضعه بناحية الكوفة قاله مجاهد والشعبى وعن على رضى الله عنه أنه فى مسجد الكوفة وقد صلى فيه سبعون نبيا وقيل بالشام موضع يقال له عين وردة قاله مقاتل وقيل بالهند روى أن امرأته كانت تختبز فأخبرته بخروج الماء من ذلك التنور فاشتغل فى تلك الحال بوضع الاشياء فى السفينة وكان الله تعالى جعل هذه الحالة علامة لواقعة الطوفان ويروى عن على رضى الله عنه أيضا أن المراد بالتنور وجه الارض لقوله وفجرنا الارض عيونا وعنه أيضا كرم الله وجهه أن معنى فار التنور طلع الصبح وقيل معناه اشتد الامر كما يقال حمى الوطيس والمراد اذا رأيت الامر يشتد والماء يكثر فاركب فى السفينة وذلك قوله (قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين) والزوجان شيئان يكون أحدهما ذكرا والآخر أنثى فمن قرأ بالاضافة فمعناه احمل من كل صنفين بهذا الوصف اثنين ومن قرأ بالتنوين فالمراد احمل من كل شىء زوجين واثنين للتأكيد ولا يبعد أن يكون النبات داخلا فيه لاحتياج الناس اليه (وأهلك) معطوف على مفعول احمل وكذا من آمن وقوله (الامن سبق عليه

يمان عن شريك عن جابر عن أبي جعفر ونادى نوح ابنه قال ابن امرأته حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن علية عن أصحاب ابن أبي عرو به فيهم الحسن قال لا والله ماهو بابنه * قال ثنا أبي عن اسرائيل عن جابر عن أبي جعفر ونادى نوح ابنه قال هذه بلغة طي لم يكن ابنه كان ابن امرأته حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن عوف ومنصور عن الحسن في قوله انه ليس من أهلك قال لم يكن ابنه وكان يقرؤها انه عمل غير صالح حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال كنت عند الحسن فقال نادى نوح ابنه لعمر الله ماهو ابنه قال قلت يا أبا سعيد يقول ونادى نوح ابنه وتقول ليس بابنه قال أفرأيت قوله انه ليس من أهلك قال قلت انه ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم معك ولا يختلف أهل الكتاب أنه ابنه قال ان أهل الكتاب يكذبون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال سمعت الحسن يقرأ هذه الآية انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فقال عند ذلك والله ما كان ابنه ثم قرأ هذه الآية فخانتاهما قال سعيد فذكرت ذلك لقتادة قال ما كان ينبغي له أن يحلف حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فلا تسألن ما ليس لك به علم قال تبين لنوح أنه ليس بابنه حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فلا تسألن ما ليس لك به علم قال بين الله لنوح أنه ليس بابنه حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * قال ابن جريج في قوله ونادى نوح ابنه قال ناداه وهو يحسبه أنه ابنه وكان ولد على فراشه حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن ثور عن أبي جعفر انه ليس من أهلك قال لو كان من أهله لنجا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا سفيان عن عمرو وسمع عبيد بن عمير يقول نرى أن ما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الولد للفراش من أجل ابن نوح حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن علية عن ابن عون عن الحسن قال لا والله ماهو بابنه * وقال آخرون معنى ذلك ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا ابن يمان عن سفيان عن أبي عامر عن الضحاك عن ابن عباس في قوله ونادى نوح ابنه قال هو ابنه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن سفيان قال ثنا أبو عامر عن الضحاك قال قال ابن عباس هو ابنه ما بغت امرأة نبي قط حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن أبي عامر الهمداني عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس قال ما بغت امرأة نبي قط قال وقوله انه ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم معك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وغيره عن عكرمة عن ابن عباس قال هو ابنه غير أنه خالفه في العمل والنية قال عكرمة في بعض الحروف انه عمل عملا غير صالح والخيانة تكون على غير باب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان عكرمة يقول كان ابنه ولكن كان مخالفا له في النية والعمل فمن ثم قيل له انه ليس من أهلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري وابن عيينة عن موسى بن أبي عائشة عن سليمن بن قتة قال سمعت ابن عباس يسئل وهو الى جنب الكعبة عن قول الله تعالى فخانتاهما قال أما انه لم يكن بالزنا ولكن كانت هذه تخبر الناس أنه مجنون وكانت هذه تدل على الاضياف ثم قرأ انه عمل غير صالح * قال ابن عيينة وأخبرني عمار

القول) قال الضحاك أراد ابنه وامرأته قدر الله لهما الكفر اذ علم منهما ذلك ثم قال (وما آمن معه الا قليل) أي نفر قليل عن مقاتل أنهم ثمانون وبهم سموا قرية الثمانين بناحية الموصل لانهم لما خرجوا من السفينة بنوها وقيل اثنان وسبعون رجلا وامرأة وأولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا ثمانية نوح وأهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم وقيل في بعض الروايات إن ابليس دخل معه السفينة وفيه بعد لانه جسم ناري فلا يؤثر الغرق فيه قوله سبحانه حكاية عن نوح وأهله (وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسيها) الآية فيه أبحاث الاول أن الركوب متعد بنفسه يقال ركبت الدابة والبحر والسفينة أي علوتها فما الفائدة في زيادة لفظة في قال الواحدي فائدته أن يعلم أنه أمرهم بأن يكونوا في جوف الفلك لا على ظهره الثاني قوله بسم الله اما أن تتعلق بقوله اركبوا حالا من الواو أي مسمين الله أو قائلين باسم الله ومجريها ومرسيها مصدران حذف منهما الوقت المضاف كقولهم جئتك خفوق النجم ومقدم الحاج أو يراد مكان الاجراء والارساء أو زمانهما وانتصابهما بما في بسم الله من معنى الفعل أو بالقول المقدر وعلى التقادير يكون مجموع قوله وقال اركبوا الى قوله ومرساها كلاما واحدا واما أن يكون باسم الله مجريها ومرساها كلاما آخر من مبتدإ وخبر أي باسم الله اجراؤها وارساؤها روى أنه كان اذا أراد أن تجري قال بسم الله فجرت واذا أراد أن ترسو قال بسم الله فرست ويجوز أن يقحم الاسم كقوله ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجراؤها وارساؤها وكان نوح أمرهم بالركوب أولا ثم أخبرهم بأن اجراءها

الدهني أنه سأل سعيد بن جبير عن ذلك فقال كان ابن نوح ان الله لا يكذب قال ونادى نوح ابنه قال وقال بعض العلماء ما فجرت امرأة نبي قط حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عمار الدهني عن سعيد بن جبير قال قال الله وهو الصادق وهو ابنه ونادى نوح ابنه حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سعيد عن موسى بن أبي عائشة عن عبد الله بن شداد عن ابن عباس قال ما بغت امرأة نبي قط حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال سألت أبا بشر عن قوله انه ليس من أهلك قال ليس من أهل دينك وليس ممن وعدتك أن أنجيهم قال يعقوب قال هشيم كان عامة ما كان يحدثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن عبيد عن يعقوب بن قيس قال أتى سعيد بن جبير رجل فقال يا أبا عبد الله الذي ذكر الله في كتابه ابن نوح ابنه هو قال نعم والله ان نبي الله أمره أن يركب معه في السفينة فعصى فقال سآوي الى جبل يعصمني من الماء قال يا نوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح لمعصية نبي الله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني أبو صخر عن أبي معاوية البجلي عن سعيد ابن جبير أنه جاءه رجل فسأله فقال أرأيتك ابن نوح ابنه فسبح طويلا ثم قال لا اله الا الله يحدث الله محمدا انادى نوح ابنه وتقول ليس منه ولكن خالفه في العمل فليس منه من لم يؤمن حدثني يعقوب وابن وكيع قالا ثنا ابن علية عن أبي هرون الغنوي عن عكرمة في قوله ونادى نوح ابنه قال أشهد أنه ابنه قال الله ونادى نوح ابنه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن جابر عن مجاهد وعكرمة قالا هو ابنه حدثني فضالة بن الفضل الكوفي قال قال بزيع سأل رجل الضحاك عن ابن نوح فقال ألا تعجبون الى هذا الاحمق يسألني عن ابن نوح وهو ابن نوح كما قال الله قال نوح لابنه حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبيد عن الضحاك أنه قرأ ونادى نوح ابنه وقوله ليس من أهلك قال يقول ليس هو من أهلك قال يقول ليس هو من أهل ولايتك ولا ممن وعدتك أن أنجي من أهلك انه عمل غير صالح قال يقول كان عمله في شرك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن جويبر عن الضحاك قال هو والله ابنه لصلبه حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك في قوله ليس من أهلك قال ليس من أهل دينك ولا ممن وعدتك أن أنجيه وكان ابنه لصلبه حدثني المثنى قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله قال يا نوح انه ليس من أهلك يقول ليس ممن وعدناه النجاة حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد ابن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله انه ليس من أهلك يقول ليس من أهل ولايتك ولا ممن وعدتك أن أنجي من أهلك انه عمل غير صالح يقول كان عمله في شرك حدثنا ابن وكيع قال ثنا خالد بن حيان عن جعفر بن برقان عن ميمون وثابت بن الحجاج قالا هو ابنه ولد على فراشه

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال تأويل ذلك انه ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم لانه كان لدينك مخالفا وبي كافرا وكان ابنه لان الله تعالى ذكره قد أخبر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أنه ابنه فقال ونادى نوح ابنه وغير جائز أن يخبر أنه ابنه فيكون بخلاف ما أخبر وليس في قوله انه ليس من أهلك دلالة على أنه ليس بابنه اذ كان قوله ليس من أهلك محتملا من المعنى ما ذكرنا ومحتملا أنه ليس من أهل دينك ثم يحذف الدين فيقال انه ليس من أهلك كما قيل واسأل القرية التي كنا فيها وأما قوله انه عمل غير صالح فان القراء اختلفت في قراءته فقرأته عامة قراء الامصار انه عمل غير صالح بتنوين عمل ورفع غير واختلف الذين قرؤا ذلك كذلك في تأويله فقال بعضهم معناه ان مسألتك اياي هذه عمل غير صالح ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع

قال

وارساءها بذكر اسم الله أو بأمره وقدرته وجوز في الكشاف أن تكون هذه الجملة في موضع الحال من ضمير الفلك ولا تكون جملة مستأنفة ولكن فضلة من تتمة الكلام الاول كأنه قال اركبوا فيها مقدرين أن اجراءها وارساءها باسم الله تعالى يقال رسا الشيء يرسو اذا ثبت وأرساه غيره يروى أنها سارت لاول يوم من رجب أو لعشر مضين منه فسارت ستة أشهر ثم استوت على الجودي يوم العاشر من المحرم ويروى أنها مرت بالبيت وطافت به سبعا فأعتقها الله من الغرق البحث الثالث قوله (ان ربي لغفور رحيم) كيف ناسب مقام الاهلاك واظهار العزة والجواب كان القوم اعتقدوا أنهم نجوا ببركة ايمانهم وعملهم فنبههم الله تعالى بهذا الذكر على أن الانسان في كل حال من أحواله لا ينفك عن ظلمات الخطا والزلل فيحتاج الى مغفرة الله ورحمته وفي الآية اشارة الى أن العاقل اذا ركب في سفينة الفكر ينبغي أن يكون قد برئ من حوله وقوته وقطع النظر عن الاسباب وربط قلبه وعلق همته بفضل واهب العقل فيقول بلسان الحال باسم الله مجريها ومرسيها حتى تصل سفينة فكره الى ساحل الايقان وتتخلص عن أمواج الشبه والظنون والاوهام قال في الكشاف (وهي تجري بهم) متصل بمحذوف كأنه قيل فركبوا فيها يقولون باسم الله وهي تجري بهم وهم فيها (في موج كالجبال) في التراكم والارتفاع فلعل الامواج أحاطت بالسفينة من الجوانب فصارت كأنها في داخل تلك الامواج واختلف المفسرون في قوله (ونادى نوح ابنه) فالاكثرون على أنه ابن له في الحقيقة لئلا يلزم صرف الكلام عن الحقيقة الى المجاز من غير ضرورة ولا استبعاد في كون ولد النبي كافرا كعكسه

قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم انه عمل غير صالح قال ان مسألتك اياى هذه عمل غير صالح حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انه عمل غير صالح أى سوء فلا تسألن ماليس لك به علم حدثنى المثنى قال ثنا عبدالله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله انه عمل غير صالح يقول سؤالك عما ليس لك به علم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن حمزة الزيات عن الأعمش عن مجاهد قوله انه عمل غير صالح قال سؤالك اياى عمل غير صالح فلا تسألن ماليس لك به علم * وقال آخرون بل معناه ان الذى ذكرت أنه ابنك فسألتنى أن أنجيه عمل غير صالح أى انه لغير رشدة وقالوا الهاء فى قوله انه عائدة على الابن ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ابن أبى عروبة عن قتادة عن الحسن أنه قرأ عمل غير صالح قال ماهو والله بابنه وروى عن جماعة من السلف أنهم قرؤا ذلك انه عمل غير صالح على وجه الخبر عن الفعل الماضى وغير منصوبة وممن روى عنه أنه قرأ ذلك كذلك ابن عباس حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن موسى بن أبى عائشة عن سليمن بن قتة عن ابن عباس أنه قرأ عمل غير صالح ووجهوا تأويل ذلك الى ماحدثنا به ابن وكيع قال ثنا غندر عن ابن أبى عروبة عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس انه عمل غير صالح قال كان مخالفا له فى النية والعمل ولا نعلم هذه القراءة قرأ بها أحد من قراء الامصار الا بعض المتأخرين واعتل فى ذلك بخبر روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قرأ ذلك كذلك غير صحيح السند وذلك حديث روى عن شهر بن حوشب فمرة يقول عن أم سلمة ومرة يقول عن أسماء بنت يزيد ولا نعلم لبنت يزيد ولا نعلم لشهر سماعا يصح عن أم سلمة * والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ماعليه قراء الامصار وذلك رفع عمل بالتنوين ورفع غير يعنى أن سؤالك اياى ماتسألنيه فى ابنك المخالف دينك الموالى أهل الشرك بى من النجاة من الهلاك وقد مضت اجابتى اياك فى دعائك لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ماقد مضى من غير استثناء أحد منهم عمل غير صالح لانه مسألة منك الى أن لا أفعل ماقد تقدم منى القول بانى أفعله فى اجابتى مسألتك اياى فعله فذلك هو العمل غير الصالح وقوله فلا تسألن ماليس لك به علم نهى من الله تعالى ذكره نبيه نوحا أن يسأله عن أسباب أفعاله التى قد طوى علمها عنه وعن غيره من البشر يقول له تعالى ذكره انى يانوح قد أخبرتك عن سؤالك سبب اهلاكى ابنك الذى أهلكته فلا تسألن بعدها عما قد طويت علمه عنك من أسباب أفعالى وليس لك به علم انى أعظك أن تكون من الجاهلين فى مسألتك اياى عن ذلك وكان ابن زيد يقول فى قوله انى أعظك أن تكون من الجاهلين ما حدثنى به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انى أعظك أن تكون من الجاهلين أن تبلغ الجهالة بك أن لا أفى لك بوعد وعدتك حتى تسألنى ماليس لك به علم والا تغفرلى وترحمنى أكن من الخاسرين * واختلفت القراء فى قراءة قوله فلا تسألن ماليس لك به علم فقرأ ذلك عامة قراء الامصار فلا تسألن ماليس لك به علم بكسر النون وتخفيفها ونحوا بكسرها الى الدلالة على الياء التى هى كناية اسم الله فلا تسألن وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض أهل الشام فلا تسألن بتشديد النون وفتحها بمعنى فلا تسألن يانوح ماليس لك به علم * والصواب من القراءة فى ذلك عندنا تخفيف النون وكسرها لان ذلك هو الفصيح من كلام العرب المستعمل بينهم

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال رب انى أعوذ بك أن أسألك ماليس لى به علم والا تغفرلى وترحمنى أكن من الخاسرين﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عن انابة نوح عليه السلام بالتوبة اليه من زلته فى مسألته التى سألها ربه فى ابنه قال رب انى أعوذ بك أى أستجير بك أن أتكلف مسألتك ماليس لى به علم مما قد استأثرت بعلمه وطويت علمه عن خلقك

وأجيب بأنه كان منافقا وظن نوح أنه مؤمن أوظن أنه كافر الا أنه توقع منه الايمان عند مشاهدة العذاب بدليل قوله (ولا تكن مع الكافرين) أولعل شفقة الابوة حملته على ذلك النداء وعن محمد بن على الباقر والحسن البصرى أنه كان ابن امرأته ويؤيده ماروى أن عليا رضى الله عنه قرأ ونادى نوح ابنها ويؤكد هذا الظن قوله ان ابنى من أهلى دون أن يقول انه منى وقيل انه ولد على فراشه لغير رشدة واليه الاشارة بقوله تعالى فخانتاهما ورد هذا القول بأنه يجب صون منصب الانبياء عن مثل هذه الفضيحة لقوله الخبيثات للخبيثين وفسر ابن عباس تلك الخيانة بأن امرأة نوح كانت تقول زوجى مجنون وامرأة لوط دلت الناس على ضيفه وقوله (وكان فى معزل) هو مفعل من عزله عنه اذا نحاه وأبعده أى كان فى مكان عزل فيه نفسه عن أبيه وعن السفينة وعمن فيها أوكان فى معزل عن دين أبيه وقيل فى معزل عن الكفار ولهذا ظن نوح أنه يريد مفارقة الكفرة ولكن قوله ولا تكن مع الكافرين لايساعد هذا القول وقوله يابنى بكسر الياء لاجل الاكتفاء به عن ياء الاضافة وبفتحها اكتفاء به عن الالف المبدلة من الياء ويجوز أن يكون الياء والالف ساقطتين من اللفظ فقط لالتقاء الساكنين ثم حكى اصرار ابنه على الكفر بأن قال (سآوى الى جبل) فأجاب نوح بأنه (لاعاصم اليوم من أمر الله الامن رحم) واعترض عليه بأن معنى من رحم من رحمه الله وهو معصوم فكيف يصح استثناؤه من العاصم وأجيب بأن من فاعلة

فاغفر لي زلتي في مسألتي اياك ما سألتك في ابني وان أنت لم تغفرها لي وترحمني فتنقذني من غضبك أكن من الخاسرين يقول من الذين غبنوا أنفسهم حظوظها وهلكوا ﴿﴾ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قيل يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم﴾ يقول تعالى ذكره يانوح اهبط من الفلك الى الارض بسلام منا يقول بأمن منا أنت ومن معك من اهلاكنا وبركات عليك يقول(١) وبركات عليك وعلى أمم ممن معك يقول وعلى قرون تجيء من ذريتهم من معك من ولدك فهؤلاء المؤمنون من ذرية نوح الذين سبقت لهم من الله السعادة وبارك عليهم قبل أن يخلقهم في بطون أمهاتهم وأصلاب آبائهم ثم أخبر تعالى ذكره نوحا عما هو فاعل بأهل الشقاء من ذريته فقال له وأمم يقول وقرون وجماعة سنمتعهم في الحياة الدنيا يقول نرزقهم فيها ما يتمتعون به الى أن يبلغوا آجالهم ثم يمسهم منا عذاب أليم يقول ثم نذيقهم اذا وردوا علينا عذابا مؤلما موجعا * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظي قيل يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك الى آخر الآية قال دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة ودخل في ذلك العذاب والمتاع كل كافر وكافرة الى يوم القيامة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو داود الحفري عن سفيان عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظي قيل يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك قال دخل في السلام كل مؤمن ومؤمنة وفي الشرك كل كافر وكافرة حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك قراءة عن ابن جريج وعلى أمم ممن معك يعني ممن لم يولد قد قضى البركات لمن سبق له في علم الله وقضائه السعادة وأمم سنمتعهم من سبق له في علم الله وقضائه الشقاوة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج بنحوه الا أنه قال وأمم سنمتعهم متاع الحياة الدنيا ممن قد سبق له في علم الله وقضائه الشقاوة قال ولم يهلك الولدان يوم غرق قوم نوح بذنب آبائهم كالطير والسباع ولكن جاء أجلهم مع الغرق حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم قال هبطوا والله عنهم راض هبطوا بسلام من الله كانوا أهل رحمة من أهل ذلك الدهر ثم أخرج منهم نسلا بعد ذلك أمما منهم من رحم ومنهم من عذب وقرأ وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم وذلك انما افترقت الامم من تلك العصابة التي خرجت من ذلك الماء وسلمت حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك الآية يقول بركات عليك وعلى أمم ممن معك لم يولدوا أوجب الله لهم البركات لما سبق لهم في علم الله من السعادة وأمم سنمتعهم يعني متاع الحياة الدنيا ثم يمسهم منا عذاب أليم لما سبق لهم في علم الله من الشقاوة حدثني المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن حميد عن الحسن أنه كان اذا قرأ سورة هود فأتى على يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك حتى ختم الآية قال الحسن فأنجى الله نوحا والذين آمنوا وهلك المتمتعون حتى ذكر الانبياء كل ذلك يقول أنجاه الله وهلك المتمتعون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم قال بعد الرحمة حدثنا العباس بن الوليد قال أخبرني أبي قال أخبرنا عبد الله بن شوذب قال سمعت داود بن أبي هند يحدث عن الحسن أنه أتى على هذه الآية اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم قال فكان ذلك حين بعث الله عادا فأرسل اليهم هودا فصدقه مصدقون وكذبه

مكذبون

(١) لعله وببركات عليك تأمل

في المعنى لا مفعول والمراد نوح لانه سبب الرحمة والنجاة كما أضيف الاحياء الى عيسى عليه السلام أو الرحيم الذي مر ذكره في قوله ان ربي لغفور رحيم وهو عاصم لا معصوم أو هو استثناء مفرغ والتقدير لا عاصم اليوم لاحد من أمر الله الا لمن رحم أو العاصم بمعنى ذو العصمة كلابن وتامر وذو العصمة المعصوم أو المضاف محذوف والتقدير لا عاصم قط الا مكان من رحمهم الله ونجاهم يعني السفينة أو هو استثناء منقطع كأنه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم (وحال بينهما الموج) أي بسبب هذه الحيلولة خرج من أن يخاطبه نوح فصار من جملة الغرقى قوله سبحانه (وقيل يا أرض) الآية مما اختص بمزيد البلاغة حتى صارت متداولة بين علماء المعاني فتكلموا فيها وفي وجوه محاسنها فلا علينا أن نورد ههنا بعض ما استفدنا منهم فنقول النظر فيها من أربع جهات من جهة علم البيان ومن جهة علم المعاني ومن جهتي الفصاحتين المعنوية واللفظية أما من جهة علم البيان وهو النظر فيما فيها من المجاز والاستعارة والكناية وما يتصل بها فالقول فيه أنه عز سلطانه أراد أن يبين معنى أردنا أن نرد ما انفجر من الارض الى بطنها فارتد وأن نقطع طوفان السماء فانقطع وأن نغيض الماء النازل من السماء فغاض وأن نقضي أمر نوح وهو انجاؤه واغراق قومه كما وعدناه فقضي وأن تستوي السفينة على الجودي وهو جبل بقرب الموصل فاستوت وأبقينا الظلمة غرقى فبنى الكلام على تشبيه الارض والسماء بالمأمور الذي لا يتأتى منه لكمال هيبته العصيان وعلى تشبيه تكوين المراد بالامر الجزم النافذ في تكوين المقصود تصوير الاقتداره

مكذبون حتى جاء أمر الله فلما جاء أمر الله نجى الله هودا والذين آمنوا معه وأهلك الله المتمتعين ثم بعث الله ثمود فبعث اليهم صالحا فصدقه مصدقون وكذبه مكذبون حتى جاء أمر الله فلما جاء أمر الله نجى الله صالحا والذين آمنوا معه وأهلك الله المتمتعين ثم استقر الانبياء نبيا نبيا على نحو من هذا ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم هذه القصة التي أنبأتك بها من قصة نوح وخبره وخبر قومه من أنباء الغيب يقول هي من أخبار الغيب التي لم تشهدها فتعلمها نوحيها اليك يقول نوحيها اليك نحن فنعرفكها ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا الوحي الذي نوحيه اليك فاصبر على القيام بأمر الله وتبليغ رسالته وما تلقى من مشركي قومك كما صبر نوح ان العاقبة للمتقين يقول ان الخير من عواقب الامور لمن اتقى الله فأدى فرائضه واجتنب معاصيه فهم الفائزون بما يؤملون من النعيم في الآخرة والظفر في الدنيا بالطلبة كما كانت عاقبة نوح اذ صبر لأمر الله أن نجاه من الهلكة مع من آمن به وأعطاه في الآخرة ما أعطاه من الكرامة وغرق المكذبين به فأهلكهم جميعهم * وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا القرآن وما كان علم محمد صلى الله عليه وسلم وقومه ما صنع نوح وقومه لولا ما بين الله في كتابه ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿والى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان أنتم الا مفترون﴾ يقول تعالى ذكره وأرسلنا الى قوم عاد أخاهم هودا فقال لهم يا قوم اعبدوا الله وحده لا شريك له دون ما تعبدون من دونه من الآلهة والأوثان ما لكم من اله غيره يقول ليس لكم معبود يستحق العبادة عليكم غيره فأخلصوا له العبادة وأفردوه بالالوهة ان أنتم الا مفترون يقول ما أنتم في اشراككم معه الآلهة والأوثان الا أهل فرية مكذبون تختلقون الباطل لانه لا اله سواه ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿يا قوم لا أسألكم عليه أجرا ان أجري الا على الذي فطرني أفلا تعقلون﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هود لقومه يا قوم لا أسألكم على ما أدعوكم اليه من اخلاص العبادة لله وخلع الاوثان والبراءة منها جزاء وثوابا ان أجري الا على الذي فطرني يقول ان ثوابي وجزائي على نصيحتي لكم ودعائكم الى الله الا على الذي خلقني أفلا تعقلون يقول أفلا تعقلون أني لو كنت أبتغي بدعايتكم الى الله غير النصيحة لكم وطلب الحظ لكم في الدنيا والآخرة لالتمست منكم على ذلك بعض أعراض الدنيا وطلبت منكم الأجر والثواب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان أجري الا على الذي فطرني أي خلقني ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هود لقومه ويا قوم استغفروا ربكم يقول آمنوا به حتى يغفر لكم ذنوبكم والاستغفار هو الايمان بالله في هذا الموضع لان هودا صلى الله عليه وسلم انما دعا قومه الى توحيد الله ليغفر لهم ذنوبهم كما قال نوح لقومه اعبدوا الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى وقوله ثم توبوا اليه يقول ثم توبوا الى الله من سالف ذنوبكم وعبادتكم غيره بعد الايمان به يرسل السماء عليكم مدرارا يقول فانكم ان آمنتم بالله وتبتم من كفركم به أرسل قطر السماء عليكم يدر لكم الغيث في وقت حاجتكم اليه وتحيا بلادكم من الجدب والقحط * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح

وأن السماء والارض مع عظم جرمهما تابعتان لارادته ايجادا واعداما وتغييرا وتصريفا كأنهما عقلاء مميزون قد أحاطا علما بوجوب الامتثال والاذعان لخالقهما فاستعمل قيل بدل أريد مجازا اطلاقا للمسبب على السبب فان صدور القول انما يكون بعد ارادته وجعل قرينة المجاز الخطاب للجماد بقوله يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء والخطابان أيضا على سبيل الاستعارة للشبه المذكور وهو كون السماء والارض كالمأمورين المنقادين وأيضا استعار لغور الماء في الارض البلع الذي هو اعمال القوة الجاذبة في المطعوم للشبه بين الغور والبلع وهو الذهاب الى مقر خفي وجعل قرينة الاستعارة نسبة الفعل الى المفعول وفي جعل الماء مكان الغذاء أيضا استعارة لانه شبه الماء بالغذاء لتقوى الارض بالماء في الانبات للزروع والاشجار تقوي الآكل بالطعام وجعل قرينة الاستعارة لفظة ابلعي لكونها موضوعة للاستعمال في الغذاء دون الماء ثم أمر الجماد على سبيل الاستعارة للشبه المقدم ذكره وخاطب في الامر دون أن يقول ليبلع ترشيحا لاستعارة النداء اذ كونه مخاطبا من صفات الحي كما أن كونه مناديا من صفاته ثم قال ماءك باضافة الماء الى الارض على سبيل المجاز تشبيها لاتصال الماء بالأرض باتصال الملك بالمالك واختار ضمير الخطاب دون أن يقول ليبلع ماءها لاجل الترشيح المذكور ثم اختار مستعيرا لاحتباس المطر الاقلاع الذي هو ترك الفاعل الفعل للشبه بينهما في عدم ما كان ثم أمر على سبيل الاستعارة وخاطب في الامر لمثل ما تقدم في ابلعي من ترشيح استعارة النداء ثم قال (وغيض الماء) غاض الماء قل ونضب وغاضه الله يتعدى ولا يتعدى (وقضى الامر واستوت على الجودى وقيل بعدا)

قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله مدرارا يقول يتبع بعضها بعضا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يرسل السماء عليكم مدرارا قال يدر ذلك عليهم قطرا ومطرا وأما قوله ويزدكم قوة الى قوتكم فان مجاهدا كان يقول فى ذلك ما حدثني به محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ويزدكم قوة الى قوتكم قال شدة الى شدتكم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد . واسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد فذكر مثله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ويزدكم قوة الى قوتكم قال جعل لهم قوة فلو أنهم أطاعوه زادهم قوة الى قوتهم وذكر لنا أنه انما قيل لهم ويزدكم قوة الى قوتكم قال انه كان قد انقطع النسل عنهم سنين فقال هود لهم ان آمنتم بالله أحيا الله بلادكم ورزقكم المال والولد لأن ذلك من القوة وقوله ولا تتولوا مجرمين يقول ولا تدبروا عما أدعوكم اليه من توحيد الله والبراءة من الاوثان والاصنام مجرمين يعنى كافرين بالله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره قال قوم هود لهود يا هود ما أتيتنا ببيان ولا برهان على ما تقول فنسلم لك ونقر بأنك صادق فيما تدعونا اليه من توحيد الله والاقرار بنبوتك وما نحن بتاركى آلهتنا يقول وما نحن بتاركى آلهتنا يعنى لقولك أو من أجل قولك وما نحن لك بمؤمنين يقول قالوا وما نحن لك بما تدعى من النبوة والرسالة من الله الينا بمصدقين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال انى أشهد الله واشهدوا أنى بريء مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قول قوم هود أنهم قالوا له اذ نصح لهم ودعاهم الى توحيد الله وتصديقه وخلع الاوثان والبراءة منها لا نترك عبادة آلهتنا وما نقول الا أن الذى حملك على ذمها والنهى عن عبادتها أنه أصابك منها خبل من جنون فقال هود لهم انى أشهد الله على نفسى وأشهدكم أيضا أيها القوم أنى بريء مما تشركون فى عبادة الله من آلهتكم وأوثانكم من دونه فكيدونى جميعا يقول فاحتالوا أنتم جميعا وآلهتكم فى ضرى ومكروهى ثم لا تنظرون يقول ثم لا تؤخرون ذلك فانظروا هل تنالوننى أنتم وهم بما زعمتم أن آلهتكم نالتنى به من السوء . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال أصابتك الأوثان بجنون حدثني محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال أصابتك الأوثان بجنون حدثني المثنى قال ثنا ابن دكين قال ثنا سفيان عن عيسى عن مجاهد الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال سببت آلهتنا وعبتها فأجنتك ۞ قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد اعتراك بعض آلهتنا بسوء أصابتك بعض آلهتنا بسوء يعنون الأوثان ۞ قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال أصابتك الأوثان بجنون حدثني محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال تصيبك آلهتنا بالجنون حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال ما يحملك على ذم آلهتنا الا أنه

أصابك

فلم يصرح بالفاعل سلوكا للسبيل الكناية لان هذه (٣٦) الامور لا تتأتى الا من قدير قهار فلا مجال لذهاب الوهم الى غيره ومثله فى صدر الآية ليستدل من ذكر الفعل وهو اللازم على الفاعل وهو الملزوم وهذا شأن الكناية ثم ختم الكلام بالتعريض لانه نبى عن الظلم المطلق وعن علة قيامة الطوفان ۞ وأما النظر فيها من جهة علم المعانى وهو النظر فى فائدة كل كلمة منها وجهة كل تقديم وتأخير فيما بين جملها فذلك أنه اختير ياء النداء لانها أكثر استعمالا ولدلالتها على تبعيد المنادى الذى يستدعيه مقام العزة والهيبة ولهذا لم يقل يا أرضى بالاضافة تهاونا بالمنادى ولم يقل يا أيتها الارض للاختصار مع الاحتراز عن تكلف التنبيه لمن ليس من شأنه التنبيه واختير لفظ الارض والسماء لكثرة دورانهما مع قصد المطابقة واختير ابلعى على ابتلعى لكونه أخصر ولمجيء حظ التجانس بينه وبين أقلعى أوفر وقيل ماءك بلفظ المفرد لما فى الجمع من الاستكثار المتأبى عنه مقام العزة والاقتدار وكذا فى افراد الارض والسماء ولم يحذف مفعول ابلعى لئلا يلزم تعميم الابتلاع لكل ما على الارض ولما علم اختصاص الفعل فيه اقتصر عليه فحذف من اقلعى حذرا من التطويل وانما لم يقل ابلعى ماءك فبلعت لان عدم تخلف المأمور به عن أمر الآمر المطاع معلوم واختير غيض على غيض المشددة للاختصار ولمثل هذا عرف الماء والامر دون أن يقال ماء الطوفان أو أمر نوح للاستغناء عن الاضافة بالتعريف العهدى ولم يقل سويت لتناسب أول القصة وهى تجرى بهم من بناء الفعل للفاعل ولان استوت أخصر لسقوط همزة الوصل ثم قيل بعدا للقوم دون أن يقال ليبعد القوم من بعد

أصابك منها سوء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال انما تصنع هذا بآلهتنا أنها أصابتك بسوء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال عبد الله بن كثير أصابتك آلهتنا بشر حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء يقولون نخشى أن يصيبك من آلهتنا سوء ولا نحب أن تعتريك يقولون يصيبك منها سوء حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء يقولون اختلط عقلك فأصابك هذا مما صنعت بك آلهتنا وقوله اعتراك افتعل من عرانى الشئ يعرونى اذا أصابك كما قال الشاعر

* من القوم يعروه اجترام ومأثم *

۞ القول فى تأويل قوله تعالى (انى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم) يقول انى على الله الذى هو مالكى ومالككم والقيم على جميع خلقه توكلت من أن تصيبونى أنتم وغيركم من الخلق بسوء فانه ليس من شئ يدب على الارض الا والله مالكه وهو فى قبضته وسلطانه ذليل له خاضع فان قال قائل وكيف قيل هو آخذ بناصيتها فخص بالأخذ الناصية دون سائر أماكن الجسد قيل لان العرب كانت تستعمل ذلك فى وصفها من وصفته بالذلة والخضوع فتقول ما ناصية فلان الا بيد فلان أى انه له مطيع يصرفه كيف شاء وكانوا اذا أسروا الاسير فأرادوا اطلاقه والمن عليه جزوا ناصيته ليعتدوا بذلك عليه فخرا عند المفاخرة فخاطبهم الله بما يعرفون فى كلامهم والمعنى ما ذكرت وقوله ان ربى على صراط مستقيم يقول ان ربى على طريق الحق يجازى المحسن من خلقه باحسانه والمسئ باساءته لا يظلم أحدا منهم شيأ ولا يقبل منهم الا الاسلام والايمان به كما حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ان ربى على صراط مستقيم الحق حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله

۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فان تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم ويستخلف ربى قوما غيركم ولا تضرونه شيأ ان ربى على كل شئ حفيظ) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هود لقومه فان تولوا يقول فان أدبروا معرضين عما أدعوهم اليه من توحيد الله وترك عبادة الاوثان فقد أبلغتكم أيها القوم ما أرسلت به اليكم وما على الرسول الا البلاغ ويستخلف ربى قوما غيركم يهلككم ربى ثم يستبدل ربى منكم قوما غيركم يوحدونه ويخلصون له العبادة ولا تضرونه شيأ يقول ولا تقدرون له على ضر اذا أراد هلاككم أو أهلككم وقد قيل لا يضره هلاككم اذا أهلككم لا تنقصونه شيأ لانه سواء عنده كنتم أو لم تكونوا ان ربى على كل شئ حفيظ يقول ان ربى على جميع خلقه ذو حفظ وعلم يقول هو الذى يحفظنى من أن تنالونى بسوء

۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ) يقول تعالى ذكره ولما جاء قوم هود عذابنا نجينا منه هودا والذين آمنوا بالله معه برحمة منا يعنى بفضل منه عليهم ونعمة ونجيناهم من عذاب غليظ يقول نجيناهم أيضا من عذاب غليظ يوم القيامة كما نجيناهم فى الدنيا من السخطة التى أنزلتها بعاد

۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد) يقول تعالى ذكره

لا يستعمل اظهار فعلها ثم أطلق الظلم ليتناول ظلم أنفسهم وظلمهم غيرهم وأما ترتيب الجمل فقدم النداء على الأمر ليتمكن الامر الوارد عقيب النداء كما فى نداء الحى وقدم نداء الارض لابتداء الطوفان منها بدليل قوله وفار التنور ثم بين نتيجة البلع والاقلاع بقوله وغيض الماء ثم ذكر مقصود القصة وهو قوله وقضى الامر أى أنجز الموعود من اهلاك الكفرة وانجاء المؤمنين ثم بين حال استقرار السفينة بقوله واستوت على الجودى وكان جبلا منخفضا فكان استواء السفينة عليه دليلا على انقطاع مادة الماء ثم ختم القصة بما ختمت من التعريض قيل كيف يليق بحكمة الله تغريق الاطفال بسبب اجرام الكفار وأجيب على أصول الاشاعرة بأنه لا يسئل عما يفعل وعلى أصول المعتزلة بأنه يعوض الاطفال والحيوانات كما فى ذبحها واستعمالها فى الاعمال الشاقة وقد روى جمع من المفسرين أنه سبحانه أعقم أرحام نسائهم قبل الغرق بأربعين سنة فلم يغرق الا من بلغ أربعين وهذا مع تكلفه لا يمشى فى الجواب عن اهلاك سائر الحيوانات والظاهر أن القائل فى قوله وقيل بعدا هو الله تعالى لتناسب صدر الآية ويحتمل أن يكون القائل نوحا وأصحابه لان الغالب ممن يسلم من الامر الهائل بسبب اجتماع القوم الظلمة أنه يقول مثل هذا الكلام ولانه جار مجرى الدعاء عليهم فجعله من كلام البشر أليق وأما النظر فى الآية من جهة الفصاحة المعنوية فهى كما ترى نظم للمعانى لطيف وتأدية للمراد بأبلغ وجه وأتمه وأما من جهة الفصاحة اللفظية فهى أنها كالعسل

وهؤلاء الذين أحللنا بهم نقمتنا وعذابنا عاد جحدوا بادلة الله وحججه وعصوا رسله الذين أرسلهم اليهم للدعاء الى توحيده واتباع أمره واتبعوا أمر كل جبار عنيد يعني كل مستكبر على الله حائد عن الحق لا يذعن له ولا يقبله يقال منه عند عن الحق فهو يعند عنودا والرجل عاند وعنود ومن ذلك قيل للعرق الذي ينفجر فلا يرقأ عرق عاند أي ضار ومنه قول الراجز

* اني كبير لا أطيق العندا *

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واتبعوا أمر كل جبار عنيد المشرك ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة ألا ان عادا كفروا ربهم ألا بعدا لعاد قوم هود) يقول تعالى ذكره وأتبع عاد قوم هود في هذه الدنيا غضبا من الله وسخطة يوم القيامة مثلها لعنة الى اللعنة التي سلفت لهم من الله في الدنيا ألا ان عادا كفروا ربهم ألا بعدا لعاد قوم هود يقول أبعدهم الله من الخير يقال كفر فلان ربه وكفر بربه وشكرت لك وشكرتك وقيل ان معنى كفروا ربهم كفروا نعمة ربهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (والى ثمود أخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب) يقول تعالى ذكره وأرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا فقال لهم ياقوم اعبدوا الله وحده لا شريك له وأخلصوا له العبادة دون ما سواه من الآلهة فمالكم من اله غيره يستوجب عليكم العبادة ولا تجوز الالوهة الا له هو أنشأكم من الارض يقول هو ابتدأ خلقكم من الارض وانما قال ذلك لانه خلق آدم من الارض فخرج الخطاب لهم اذ كان ذلك فعله بمن هم منه واستعمركم فيها يقول وجعلكم عمارا فيها فكان المعنى فيه أسكنكم فيها أيام حياتكم من قولهم أعمر فلان فلانا داره وهي له عمرى * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله واستعمركم فيها قال أعمركم فيها حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد واستعمركم فيها يقول أعمركم وقوله فاستغفروه يقول اعملوا عملا يكون سببا لستر الله عليكم ذنوبكم وذلك الايمان به واخلاص العبادة له دون ما سواه واتباع رسوله صالح ثم توبوا اليه يقول ثم اتركوا من الاعمال ما يكرهه ربكم الى ما يرضاه ويحبه ان ربي قريب مجيب يقول ان ربي قريب ممن أخلص له العبادة ورغب اليه في التوبة مجيب له اذا دعاه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قالوا ياصالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وانا لفي شك مما تدعونا اليه مريب) يقول تعالى ذكره قالت ثمود لصالح نبيهم ياصالح قد كنت فينا مرجوا أي كنا نرجو أن تكون فينا سيدا قبل هذا القول الذي قلته لنا من أنه مالنا من اله غير الله أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا يقول أتنهانا أن نعبد الآلهة التي كانت آباؤنا تعبدها وانا لفي شك مما تدعونا اليه مريب يعنون أنهم لا يعلمون صحة ما يدعوهم اليه من توحيد الله وأن الألوهة لا تكون الا له خالصا وقوله مريب أي يوجب التهمة من أربته فأنا أربيه ارابة اذا فعلت به فعلا يوجب له الريبة ومنه قول الهذلي

كنت اذا أتوته (١) من غيب * يشم عطفي ويبز ثوبي * كأنما أربته بريب

۞ القول في تأويل قوله تعالى (قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله ان عصيته فما تزيدونني غير تخسير) يقول تعالى ذكره قال صالح لقومه من ثمود ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي يقول ان كنت على برهان وبيان من الله قد علمته وأيقنته

(١) لغة في أتيته

في الحلاوة وكالنسيم في الرقة عذبة على العذبات سلسة على الاسلات ولعل ما تركنا من لطائف هذه الآية بل كل آية أكثر مما نذكر والله تعالى أعلم بمراده من كلامه (ونادى نوح ربه) أي أراد أن يدعوه (فقال رب ان ابني من أهلي) بعض سواء كان من صلبه أو ربيبا له (وان وعدك) أي كل ما تعده به (الحق) الثابت الذي لا شك في انجازه وقد وعدتني أن تنجي أهلي (وأنت أحكم الحاكمين) أعلمهم وأعدلهم لانه لا فضل لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل ويجوز أن يكون الحاكم بمعنى ذي الحكمة كدارع (قال يانوح انه ليس من أهلك) أي من أهل دينك أو من أهلك الذين وعدتهم الانجاء معك ثم صرح بأن العبرة بقرابة الدين والعمل الصالح لا بقرابة النسب فقال (انه عمل غير صالح) من قرأ على لفظ الفعل فمعناه انه عمل عملا غير صالح وهو الاشراك والتكذيب ومن قرأ على لفظ الاسم فللمبالغة كما يقال فلان كرم وجود اذا غلب عليه الكرم والجود وفي قوله غير صالح دون أن يقول فاسد تعريض بل تصريح بأنه انما نجا من نجا بالصلاح ويحتمل على هذه القراءة أن يعود الضمير في انه الى سؤال نوح أي ان نداءك هذا المتضمن لسؤال انجاء ابنك عمل غير صالح وقيل المراد أن هذا الابن ولد زنا وقد عرفت سقوطه ثم نهاه عن مثل هذا السؤال ووبخه عليه بقوله (فلا تسألن ما ليس لك به علم اني أعظك أن تكون من الجاهلين) قال المحققون الظاهر أن ابنه كان منافقا فلذلك اشتبه أمره على نوح وحمله شفقة الابوة أولا على دعوته الى ركوب السفينة فلما حال بينهما الموج لجأ الى الله في خلاصه من الغرق

وآتاني

وآتانى منه رحمة يقول وآتانى منه النبوة والحكمة والاسلام فمن ينصرنى من الله ان عصيته يقول فمن الذى يدفع عنى عقابه اذا عاقبنى ان أنا عصيته فيخلصنى منه فما تزيدوننى بعذركم الذى تعتذرون به من أنكم تعبدون ما كان يعبد آباؤكم غير تخسير لكم يخسركم حظوظكم من رحمة الله كما حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فما تزيدوننى غير تخسير يقول ما تزدادون أنتم الا خسارا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وياقوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل صالح لقومه من ثمود اذ قالوا له وانا لفى شك مما تدعونا اليه مريب وسألوه الآية على ما دعاهم اليه ياقوم هذه ناقة الله لكم آية يقول حجة وعلامة ودلالة على حقيقة ما أدعوكم اليه فذروها تأكل فى أرض الله فليس عليكم رزقها ولا مؤنتها ولا تمسوها بسوء يقول لا تقتلوها ولا تنالوها بعقر فيأخذكم عذاب قريب يقول فانكم ان تمسوها بسوء يأخذكم عذاب من الله غير بعيد فيهلككم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فعقروها فقال تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب﴾ يقول تعالى ذكره فعقرت ثمود ناقة الله وفى الكلام محذوف قد ترك ذكره استغناء بدلالة الظاهر عليه وهو فكذبوه فعقروها فقال لهم صالح تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام يقول استمتعوا فى دار الدنيا بحياتكم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب يقول هذا الأجل الذى أجلتكم وعد من الله وعدكم بانقضائه الهلاك ونزول العذاب بكم غير مكذوب يقول لم يكذبكم فيه من أعلمكم ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فعقروها فقال تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب وذكر لنا أن صالحا حين أخبرهم أن العذاب أتاهم لبسوا الانطاع والأكسية وقيل لهم ان آية ذلك أن تصفر ألوانكم أول يوم ثم تحمر فى اليوم الثانى ثم تسود فى اليوم الثالث وذكر لنا أنهم لما عقروا الناقة ندموا وقالوا عليكم الفصيل فصعد الفصيل القارة والقارة الجبل حتى اذا كان اليوم الثالث استقبل القبلة وقال يارب أمى يارب أمى ثلاثا قال فأرسلت الصيحة عند ذلك وكان ابن عباس يقول لو صعدتم القارة لرأيتم عظام الفصيل وكانت منازل ثمود بحجر بين الشام والمدينة حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام قال بقية آجالهم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة أن ابن عباس قال لو صعدتم على القارة لرأيتم عظام الفصيل ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزى يومئذ ان ربك هو القوى العزيز﴾ يقول تعالى ذكره فلما جاء ثمود عذابنا نجينا صالحا والذين آمنوا به معه برحمة منا يقول بنعمة وفضل من الله ومن خزى يومئذ يقول ونجيناهم من هوان ذلك اليوم وذله بذلك العذاب ان ربك هو القوى فى بطشه اذا بطش بشئ أهلكه كما أهلك ثمود حين بطش بها العزيز فلا يغلبه غالب ولا يقهره قاهر بل يغلب كل شئ ويقهره . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد ابن ثور عن معمر عن قتادة برحمة منا ومن خزى يومئذ قال نجاه الله برحمة منا ونجاه من خزى يومئذ حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر بن عبد الله عن شهر بن حوشب عن عمرو بن خارجة قال قلنا له حدثنا حديث ثمود قال أحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ثمود كانت ثمود قوم صالح أعمرهم الله فى الدنيا فأطال أعمارهم حتى جعل أحدهم يبنى المسكن من المدر فينهدم والرجل منهم حى فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا فارهين فنحتوها وجوفوها وكانوا فى سعة من معايشهم فقالوا ياصالح ادع لنا ربك يخرج لنا آية نعلم أنك رسول

ويعلم أن كل من كان من أهله مؤمنا فانه يخلص من الغرق لا محالة ولما لم يصبر الى تبين الحال توجه اليه العتاب على ترك الاولى فلذلك تنبه ورجع الى الله قائلا (رب انى أعوذ بك أن أسألك) فيما يستقبل من الزمان (ما ليس لى به علم) تأدبا بآدابك واتعاظا بعظتك (والا تغفر لى) ما فرط منى من الخطا فى باب الاجتهاد أو من قلة الصبر على ما يجب عليه الصبر وهذا التضرع مثل تضرع أبيه وأبينا آدم فى قوله ربنا ظلمنا الآية فلذلك عفى عنه (وقيل يانوح اهبط) أى من السفينة بعد استوائها على الجبل أو انزل من الجبل الى الفضاء ملتبسا (بسلام منا) بسلامة من التهديد والوعيد بل من جميع الآفات والمخافات لانه لما خرج من السفينة كان خائفا من عدم المأكول والملبوس وسائر جهات الحاجات لانه لم يبق فى الأرض شئ يمكن أن ينتفع به من النبات والحيوانات وقيل أى مسلما عليك مكرما والبركات الخيرات النامية الثابتة وفسرها فى هذا المقام بأنه وعده بأن جميع أهل الأرض من الأشخاص الانسانية يكون من نسله اما لأنه لم يكن فى السفينة الامن هو من ذريته واما لانه لما خرج من السفينة مات من لم يكن من أهله وبقى النسل والتوالد فى ذريته دليله قوله سبحانه وجعلنا ذريته هم الباقين فنوح آدم الاصغر وقيل لما وعده السلامة من الآفات وعده أن موجبات السلامة والراحة تكون فى التزايد والثبات لاعليك وحدك بل (وعلى أمم ممن معك) ان كان من للبيان فالمراد الامم الذين كانوا معه فى السفينة

الله فدعا صالح ربه فأخرج لهم الناقة فكان شربها يوما وشربهم يوما معلوما فاذا كان يوم شربها خلوا عنها وعن الماء وحلبوها لبنا ملؤا كل اناء ووعاء وسقاء حتى اذا كان يوم شربهم صرفوها عن الماء فلم تشرب منه شيأ فملؤا كل اناء ووعاء وسقاء فأوحى الله الى صالح ان قومك سيعقرون ناقتك فقال لهم فقالوا ما كنا لنفعل فقال إلا تعقروها أنتم يوشك أن يولد فيكم مولود قالوا ما علامة ذلك المولود فوالله لا نجده الا قتلناه قال فانه غلام أشقر أزرق أصهب أحمر قال وكان في المدينة شيخان عزيزان منيعان لأحدهما ابن يرغب به عن المناكح وللآخر ابنة لا يجد لها كفؤا فجمع بينهما مجلس فقال أحدهما لصاحبه ما يمنعك أن تزوج ابنك قال لا أجد له كفؤا قال فان ابنتي كفؤ له وأنا أزوجك فزوجه فولد بينهما ذلك المولود وكان في المدينة ثمانية رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون فلما قال لهم صالح انما يعقرها مولود فيكم اختاروا ثماني نسوة قوابل من القرية وجعلوا معهن شرطا كانوا يطوفون في القرية فاذا وجدوا المرأة تمخض نظروا ما ولدها ان كان غلاما قلبنه فنظرن ما هو وان كانت جارية أعرضن عنها فلما وجدوا ذلك المولود صرخ النسوة وقلن هذا الذي يريد رسول الله صالح فأراد الشرط أن يأخذوه فحال جداه بينهم وبينه وقالا لو أن صالحا أراد هذا قتلناه فكان شر مولود وكان يشب في اليوم شباب غيره في الجمعة ويشب في الجمعة شباب غيره في الشهر ويشب في الشهر شباب غيره في السنة فاجتمع الثمانية الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون وفيهم الشيخان فقالوا استعمل علينا هذا الغلام لمنزلته وشرف جديه فكانوا تسعة وكان صالح لا ينام معهم في القرية كان في مسجد يقال له مسجد صالح فيه يبيت بالليل فاذا أصبح أتاهم فوعظهم وذكرهم واذا أمسى خرج الى مسجده فبات فيه قال حجاج وقال ابن جريج لما قال لهم صالح انه سيولد غلام يكون هلاككم على يديه قالوا فكيف تأمرنا قال آمركم بقتلهم فقتلوهم الا واحدا قال فلما بلغ ذلك المولود قالوا لو كنا لم نقتل أولادنا لكان لكل رجل منا مثل هذا هذا عمل صالح فأتمروا بينهم بقتله وقالوا نخرج مسافرين والناس يروننا علانية ثم نرجع من ليلة كذا من شهر كذا وكذا فنرصده عند مصلاه فنقتله فلا يحسب الناس الا أنا مسافرون كما نحن فأقبلوا حتى دخلوا تحت صخرة يرصدونه فأرسل الله عليهم الصخرة فرضختهم فأصبحوا رضخا فانطلق رجال ممن قد اطلع على ذلك منهم فاذا هم رضخ فرجعوا يصيحون في القرية أي عباد الله أما رضي صالح أن أمرهم أن يقتلوا أولادهم حتى قتلهم فاجتمع أهل القرية على قتل الناقة أجمعون وأحجموا عنها الا ذلك ابن العاشر ثم رجع الحديث الى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأرادوا أن يمكروا بصالح فمشوا حتى أتوا على سرب على طريق صالح فاختبأ فيه ثمانية وقالوا اذا خرج علينا قتلناه وأتينا أهله فبيتناهم فأمر الله الأرض فاستوت عليهم قال فاجتمعوا ومشوا الى الناقة وهي على حوضها قائمة فقال الشقي لأحدهم ائتها فاعقرها فأتاها فتعاظمه ذلك فأضرب عن ذلك فبعث آخر فأعظم ذلك فجعل لا يبعث رجلا الا تعاظمه أمرها حتى مشوا اليها وتطاول فضرب عرقوبيها فوقعت تركض وأتى رجل منهم صالحا فقال أدرك الناقة فقد عقرت فأقبل وخرجوا يتلقونه ويعتذرون اليه يا نبي الله انما عقرها فلان انه لا ذنب لنا قال فانظروا هل تدركون فصيلها فان أدركتموه فعسى الله أن يرفع عنكم العذاب فخرجوا يطلبونه ولما رأى الفصيل أمه تضطرب أتى جبلا يقال له القارة قصيرا فصعد وذهبوا ليأخذوه فأوحى الله الى الجبل فطال في السماء حتى ما يناله الطير قال ودخل صالح القرية فلما رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ثم استقبل صالحا فرغا رغوة ثم رغا أخرى ثم رغا أخرى فقال صالح لقومه لكل رغوة أجل يوم تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب ألا ان آية العذاب أن اليوم

لانهم كانوا جماعات أوهم أصل الأمم التي انشعبت (٤٠) منه وان كان لابتداء الغاية فالمعنى على أمم ناشئة ممن معك الى آخر الدهر هذا شأن الأمة المؤمنة ثم ذكر حال الامة الكافرة المتوالدة فقال (وأمم) وهو رفع على الابتداء والخبر محذوف أي وممن معك أمم (سنمتعهم) في الدنيا (ثم يمسهم) في الآخرة (منا عذاب أليم) عن ابن زيد هبطوا والله عنهم راض ثم أخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وخصص بعضهم الامم الممتعة بقوم هود وصالح ولوط وشعيب و (تلك) اشارة الى قصة نوح وهو مبتدأ والجمل بعدها أخبار وقوله (ولا قومك) للمبالغة كقول القائل لا تعرف هذه المسئلة لا أنت ولا قومك ولا أهل بلدك والمراد تفاصيل القصة والا فجملها أشهر من أن يخفى ومعنى (من قبل هذا) أي من قبل هذا الايحاء أو العلم الذي كسبته بالوحي أو من قبل هذا الوقت وكأن هذه القصة أعيدت في هذه السورة تثبيتا للنبي صلى الله عليه وسلم على انذار قومه ولذلك ختمت بقوله (فاصبر) كما صبر نوح و (ان العاقبة) الحميدة (للمتقين)

﴿التأويل﴾ ما نراك الا بشرا مثلنا أي مخلوقا محتاجا مثلنا وفيه أن النفس بنظرها السفلي ترى الروح العلوي سفليا فلهذا تنظر الى النبي ولا ترى نبوته الحميدة بل تراه بنظر الكذب والسحر والجنون الا الذين هم أراذلنا بادي الرأي والاراذل من اتباع الروح البدن والجوارح الظاهرة فان الغالب على الخلق أن البدن يقبل دعوة الروح ويستعمل الجوارح بالافعال الشرعية ولكن النفس الأمارة تكون على كفرها ولا تخلى البدن أن يشتغل بالاعمال الشرعية الدينية الا لغرض فاسد ومصلحة دنيوية كما هو المعتاد لاكثر الخلق

الاول تصبح وجوهكم مصفرة واليوم الثاني محمرة واليوم الثالث مسودة فلما أصبحوا اذا وجوههم كأنها طليت بالخلوق صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وأنثاهم فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم ألا قد مضى يوم من الأجل وحضركم العذاب فلما أصبحوا اليوم الثاني اذا وجوههم محمرة كأنها خضبت بالدماء فصاحوا وضجوا وبكوا وعرفوا آية العذاب فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم ألا قد مضى يومان من الاجل وحضركم العذاب فلما أصبحوا اليوم الثالث فاذا وجوههم مسودة كأنها طليت بالقار فصاحوا جميعا ألا قد حضركم العذاب فتكفنوا وتحنطوا وكان حنوطهم الصبر والمغر وكانت أكفانهم الأنطاع ثم ألقوا أنفسهم بالارض فجعلوا يقلبون أبصارهم فينظرون الى السماء مرة والى الارض مرة فلا يدرون من حيث يأتيهم العذاب من فوقهم من السماء أو من تحت أرجلهم من الارض خسفا وغرقا فلما أصبحوا اليوم الرابع أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شئ له صوت في الأرض فتقطعت قلوبهم في صدورهم فأصبحوا في دارهم جاثمين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال حدثت أنه لما أخذتهم الصيحة أهلك الله من بين المشارق والمغارب منهم الا رجلا واحدا كان في حرم الله منعه حرم الله من عذاب الله قيل ومن هو يا رسول الله قال أبو رغال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أتى على قرية ثمود لأصحابه لا يدخلن أحد منكم القرية ولا تشربوا من مائهم وأراهم مرتقى الفصيل حين ارتقى في القارة * قال ابن جريج وأخبرني موسى بن عقبة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم حين أتى على قرية ثمود قال لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا أن تكونوا باكين فان لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم ما أصابهم * قال ابن جريج قال جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم لما أتى على الحجر حمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فلا تسألوا رسولكم الآيات هؤلاء قوم صالح سألوا رسولهم الآية فبعث الله لهم الناقة فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج فتشرب ماءهم يوم ورودها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم لما مر بوادي ثمود وهو عامد الى تبوك قال فأمر أصحابه أن يسرعوا السير وأن لا ينزلوا به ولا يشربوا من مائه وأخبرهم أنه واد ملعون قال وذكر لنا أن الرجل الموسر من قوم صالح كان يعطي المعسر منهم ما يتكفنون به وكان الرجل منهم يلحد لنفسه ولأهل بيته لميعاد نبي الله صالح الذي وعدهم وحدث من رآهم بالطرق والافنية والبيوت فيهم شبان وشيوخ أبقاهم الله عبرة وآية حدثنا اسمعيل بن المتوكل الاشجعي من أهل حمص قال ثنا محمد بن كثير قال ثنا عبد الله بن واقد عن عبد الله بن عثمان بن خثيم قال ثنا أبو الطفيل قال لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك نزل الحجر فقال يا أيها الناس لا تسألوا نبيكم الآيات هؤلاء قوم صالح سألوا نبيهم أن يبعث لهم آية فبعث الله لهم الناقة آية فكانت تلج عليهم يوم ورودهم الذي كانوا يتروون منه ثم يحلبونها مثل ما كانوا يتروون من مائهم قبل ذلك لبنا ثم تخرج من ذلك الفج فعتوا عن أمر ربهم وعقروها فوعدهم الله العذاب بعد ثلاثة أيام وكان وعدا من الله غير مكذوب فأهلك الله من كان منهم في مشارق الأرض ومغاربها الا رجلا واحدا كان في حرم الله فمنعه حرم الله من عذاب الله قالوا ومن ذلك الرجل يا رسول الله قال أبو رغال

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها ألا ان ثمود كفروا ربهم ألا بعدا لثمود﴾ يقول تعالى ذكره وأصاب الذين فعلوا ما لم يكن لهم فعله من عقرهم ناقة الله وكفرهم به الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين قد جثمتهم المنايا وتركتهم جمودا بأفنيتهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد

للروح ان تردأن أومن بك وأتخلق بأخلاقك فامتنع البدن وجوارحه في التكاليف من ينصرني من الله من يمنعني من قهره ان منعت البدن من الطاعة فاقتصر على مجرد ايمان النفس وتخلقها بأخلاق الروح كما هو معتقد أهل الفلسفة والاباحة يقولون ان أصل العبودية معرفة الربوبية وجمعية الباطن والتحلي بالاخلاق الحميدة أفلا تذكرون أن جمعية الباطن ونوره من نتائج استعمال الشرع في الظاهر فالنور في الشرع والظلمة في الطبع وانما بعث الانبياء ليخرجوا الخلق من ظلمات الطبع الى نور الشرع لن يؤتيهم الله خيرا أي استعدادا لتحصيل الدرجات العلوية وانهم مخلوقون من السفليات الله أعلم بما في نفس كل جارحة من استعداد تحصيل الكمال وأنا بريء مما تجرمون من التكذيب وفيه أن ذنوب النفس لا تؤثر في صفاء الروح ولا يتكدر بها ما كان الروح متبرئا من ذنوب النفس متأسفا على معاملات النفس وتتبع هواها وأوحي الى نوح الروح أنه لن يؤمن من قومك وهم القلب وصفاته والسر والنفس وصفاتها والبدن وجوارحه الا من قد آمن من خواص العباد وهم القلب وصفاتها والسر وصفات النفس والبدن وجوارحه فأما النفس فانها لا تؤمن أبدا اللهم الا نفوس الأنبياء وخواص الاولياء فانها تسلم أحيانا دون الايمان فلا تبتئس بما كانوا يفعلون لأن أعمال الشر لنفوس السعداء كالحداد للاكسير ينقلب ذهبا مقبولا عند طرح الروح عليها

عن قتادة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين يقول أصبحوا قد هلكوا كأن لم يغنوا فيها يقول كأن لم يعيشوا فيها ولم يعمروا بها كما حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله كأن لم يغنوا فيها كأن لم يعيشوا فيها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مثله وقد بينا ذلك فيما مضى بشواهده فأغنى ذلك عن اعادته وقوله ألا ان ثمود كفروا ربهم يقول ألا ان ثمود كفروا بآيات ربهم فجحدوها ألا بعدا لثمود يقول ألا أبعد الله ثمود لنزول العذاب بهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ) يقول تعالى ذكره ولقد جاءت رسلنا من الملائكة وهم فيما ذكر كانوا جبرئيل وملكين آخرين وقيل ان الملكين الآخرين كانا ميكائيل واسرافيل معه ابراهيم يعنى ابراهيم خليل الله بالبشرى يعنى بالبشارة واختلفوا فى تلك البشارة التى أتوه بها فقال بعضهم هى البشارة باسحق وقال بعضهم هى البشارة بهلاك قوم لوط قالوا سلاما يقول فسلموا عليه سلاما ونصب سلاما باعمال قالوا فيه كأنه قيل قالوا قولا وسلموا تسليما قال سلام يقول قال ابراهيم لهم سلام فرفع سلام بمعنى عليكم السلام أو بمعنى سلام منكم وقد ذكر عن العرب أنها تقول سلم بمعنى السلام كما قالوا حل وحلال وحرم وحرام وذكر الفراء أن بعض العرب أنشده

مررنا فقلنا ايه سلم فسلمت * كما اكتل بالبرق الغمام اللوائح

بمعنى سلام وقد روى كما انكل وقد زعم بعضهم أن معناه اذا قرئ كذلك نحن سلم لكم من المسالمة التى هى خلاف المحاربة وهذه قراءة عامة قراء الكوفيين وقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والبصرة قالوا سلاما قال سلام على أن الجواب من ابراهيم صلى الله عليه وسلم لهم بنحو تسليمهم عليكم السلام والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان متقاربتا المعنى لان السلم قد يكون بمعنى السلام على ما وصفت والسلام بمعنى السلم لان التسليم لا يكاد يكون الا بين أهل السلم دون الأعداء فاذا ذكر تسليم من قوم على قوم ورد الآخرين عليهم دل ذلك على مسالمة بعضهم بعضا وهما مع ذلك قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما أهل قدوة فى القراءة فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب وقوله فما لبث أن جاء بعجل حنيذ وأصله محنوذ صرف من مفعول الى فعيل وقد اختلف أهل العربية فى معناه فقال بعض أهل البصرة منهم معنى المحنوذ المشوى قال ويقال منه حنذت فرسى بمعنى سخنته وعرقته واستشهد لقوله ذلك ببيت الراجز ٭ ورهبا من حنذه أن يهرجا ٭ وقال آخر منهم حنذ فرسه أى أضمره وقال قالوا احنذه يحنذه حنذا أى عرقه وقال بعض أهل الكوفة كل ما انشوى فى الأرض اذا خددت له فيه فدفنته وغممته فهو الحنيذ والمحنوذ قال والخيل تحنذ اذا ألقيت عليها الجلال بعضها على بعض لتعرق قال ويقال اذا سقيت فاحنذ يعنى اخفس يريد أقل الماء وأكثر النبيذ وأما التأويل فانهم قالوا فى معناه ما أنا ذاكره وذلك ما حدثنى به المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله بعجل حنيذ يقول نضيج حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بعجل حنيذ قال بعجل حسيل البقر والحنيذ المشوى النضيج حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى الى بعجل حنيذ قال نضيج سخن أنضج بالحجارة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فما لبث أن جاء بعجل حنيذ والحنيذ النضيج حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة بعجل حنيذ قال نضيج قال وقال الكلبى والحنيذ الذى يحنذ فى الارض

لان أعمالها حجة الله على شقاوتهم وبتلك السلاسل يسحبون فى النار على وجوههم واصنع الفلك اتخذ يا نوح الروح سفينة الشريعة بنظرنا لا بنظرك فان نظرك تبع الحواس يبصر ظاهرها و يغفل عن أسرارها ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا فان الظلم من شيم النفوس انهم مغرقون فى بحر الدنيا وشهواتها وكلما مر عليه ملأ هم النفس وهواها وصفاتها يسخرون من استعمال أركان الشريعة اذ لم يفهموا حقائقها حتى اذا جاء أمرنا وهو حد البلوغ والركوب فى سفينة الشريعة وفار ماء الشهوة من تنور القالب قلنا احمل فى سفينة الشريعة من كل صفة وزوجها كالشهوة وزوجها العفة والحرص وزوجها القناعة والبخل وزوجها السخاء والغضب وزوجها الحلم وكذا الحقد مع السلامة والعداوة مع المحبة والكبر مع التواضع والتأنى مع العجلة وأهلك وهم صفات الروح لا النفس ومن آمن وهم القلب والسر وفى قوله تعالى وقال اركبوا فيها باسم الله اشارة الى أن من ركب سفينة الشرع بالطبع وتقليد الآباء والمعلمين لم يحصل له النجاة الحقيقية كما ركب ابليس بالطبع فى سفينة نوح وانما النجاة لمن ركب بأمر الله وذكره مجراها من الله ومرساها الى الله كقوله وأن الى ربك المنتهى فى موج من الفتن كالجبال ونادى نوح الروح ابنه كنعان النفس المتولد بينه وبين القالب وكان فى معزل من معرفة الله وطلبه سآوى الى جبل العقل يعصمنى من الماء الفتن لا عاصم اليوم اى اذا نبع ماء الشهوات من أرض البشرية ونزل ماء ملاذ الدنيا وزينتها

حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمي عن حفص بن حميد عن شمر في قوله بجاء بعجل حنيذ قال الحنيذ الذي يقطر ماء وقد شوي وقال حفص الحنيذ مثل حناذ الخيل حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدي قال ذبحه ثم شواه في الرضف فهو الحنيذ حين شواه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو يزيد عن يعقوب عن حفص بن حميد عن شمر بن عطية بجاء بعجل حنيذ قال المشوي الذي يقطر حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا هشام قال ثنا يعقوب عن حفص بن حميد عن شمر بن عطية قال الحنيذ الذي يقطر ماؤه وقد شوي حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربي عن جويبر عن الضحاك بعجل حنيذ قال نضيج حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله بعجل حنيذ الذي أنضج بالحجارة حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان فما لبث أن جاء بعجل حنيذ قال مشوي حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثني عبد الصمد أنه سمع وهب بن منبه يقول حنيذ يعني شوي حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال الحناذ الانضاج .. «قال أبو جعفر» وهذه الاقوال التي ذكرناها عن أهل العربية وأهل التفسير متقاربات المعاني بعضها من بعض وموضع أن في قوله أن جاء بعجل حنيذ نصب بقوله فما لبث أن جاء ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط﴾ يقول تعالى ذكره فلما رأى ابراهيم أيديهم لا تصل الى العجل الذي أتاهم به والطعام الذي قدم اليهم نكرهم وذلك أنه لما قدم طعامه صلى الله عليه وسلم اليهم فيما ذكر كفوا عن أكله لانهم لم يكونوا ممن يأكله وكان امساكهم عن أكله عند ابراهيم وهم ضيفانه مستنكرا ولم تكن بينهم معرفة وراعه أمرهم وأوجس في نفسه منهم خيفة وكان قتادة يقول كان انكاره ذلك من أمرهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة وكانت العرب اذا نزل بهم ضيف فلم يطعم من طعامهم ظنوا أنه لم يجئ بخير وأنه يحدث نفسه بشر حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم قال كانوا اذا نزل بهم ضيف فلم يأكل من طعامهم ظنوا أنه لم يأت بخير وأنه يحدث نفسه بشر ثم حدثوه عند ذلك بما جاؤا وقال غيره في ذلك ما حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن الاسود بن قيس عن جندب بن سفيان قال لما دخل ضيف ابراهيم عليه السلام قرب اليهم العجل فجعلوا ينكتون بقداح في أيديهم من نبل ولا تصل أيديهم اليه نكرهم عند ذلك يقال منه نكرت الشئ أنكره وأنكرته أنكره بمعنى واحد ومن نكرت وأنكرت قول الاعشى

وأنكرتني وما كان الذي نكرت * من الحوادث الا الشيب والصلعا

فجمع اللغتين جميعا في البيت وقال أبو ذؤيب

فنكرنه فنفرن وامترست به * هوجاء هادية وهاد جرشع

وقوله وأوجس منهم خيفة يقول أحس في نفسه منهم خيفة وأضمرها قالوا لا تخف يقول قالت الملائكة لما رأت ما بابراهيم من الخوف منهم لا تخف منا وكن آمنا فانا ملائكة ربك أرسلنا الى قوم لوط ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وامرأته قائمة فضحكت﴾ يقول تعالى ذكره وامرأته سارة بنت هاران بن ناحور بن ساروج بن راعو بن فالغ وهي ابنة عم ابراهيم قائمة قيل كانت قائمة من

من سماء القضاء فلا يتخلص منه الامن رحمه الله بالاعتصام بسفينة الشريعة ابلعي ماء شهواتك أقلعي عن انزال مطر الآفات وغيض ماء الفتن ببركة الشرع وقضي الامر ما كان مقدرا من طوفان الفتن للابتلاء والتربية واستوت سفينة الشريعة على الجودي وهو مقام التمكين بعد مقامات التلوين وان وعدك الحق وهو ما وعد نوح الروح عند اهباطه الى العالم السفلي من الرجوع الى العالم العلوي انه ليس من أهلك وكان للروح أربعة بنين ثلاثة من المؤمنين وهم القلب والسر والعقل وواحد كافر وهو النفس فنفى عن النفس أهلية الدين والملة لانها خلقت للامارية اهبط من سفينة الشريعة عند مفارقة الجسد والخلاص من طوفان الفتن وأمم سنمتعهم هم النفوس متعت بالحظوظ الدنيوية ثم يمسهم في الآخرة عذاب البعد عن المألوفات فاصبر على تربية الروح والنفس ان العاقبة لمن اتقى طوفان فتن الدنيا والنفس والهوى

﴿والى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان أنتم الا مفترون يا قوم لا أسألكم عليه أجرا ان أجري الا على الذي فطرني أفلا تعقلون ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال اني أشهد الله واشهدوا أني برئ مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم فان تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم

ووراء الستر تسمع كلام الرسل وكلام ابراهيم عليه السلام وقيل كانت قائمة تخدم الرسل وابراهيم جالس مع الرسل وقوله فضحكت اختلف أهل التأويل فى معنى قوله فضحكت وفى السبب الذى من أجله ضحكت فقال بعضهم ضحكت الضحك المعروف تعجبا من أنها وزوجها ابراهيم يخدمان ضيفانهم بأنفسهما تكرمة لهم وهم عن طعامهم ممسكون لايأكلون ذكر من قال ذلك حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدى قال بعث الله الملائكة لتهلك قوم لوط أقبلت تمشى فى صورة رجال شباب حتى نزلوا على ابراهيم فتضيفوه فلما رآهم ابراهيم أجلهم فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين فذبحه ثم شواه فى الرضف فهو الحنيذ حين شواه وأتاهم فقعد معهم وقامت سارة تخدمهم فذلك حين يقول وامرأته قائمة وهو جالس فى قراءة ابن مسعود فلما قربه اليهم قال ألا تأكلون قالوا ياابراهيم انا لانأكل طعاما الا بثمن قال فان لهذا ثمنا قالوا وما ثمنه قال تذكرون اسم الله على أوله وتحمدونه على آخره فنظر جبرئيل الى ميكائيل فقال حق لهذا أن يتخذه ربه خليلا فلما رأى أيديهم لاتصل اليه يقول لايأكلون فزع منهم وأوجس منهم خيفة فلما نظرت اليه سارة أنه قد أكرمهم وقامت هى تخدمهم ضحكت وقالت عجبا لأضيافنا هؤلاء انا نخدمهم بأنفسنا تكرمة لهم وهم لايأكلون طعامنا * وقال آخرون بل ضحكت من أن قوم لوط فى غفلة وقد جاءت رسل الله لهلاكهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال لما أوجس ابراهيم خيفة فى نفسه حدثوه عند ذلك بما جاؤا فيه فضحكت امرأته وعجبت من أن قوما أتاهم العذاب وهم فى غفلة فضحكت من ذلك وعجبت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أنه قال ضحكت تعجبا مما فيه قوم لوط من الغفلة ومما أتاهم من العذاب * وقال آخرون بل ضحكت ظنا منها بهم أنهم يريدون عمل قوم لوط ذكر من قال ذلك حدثنا الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو معشر عن محمد بن قيس فى قوله وامرأته قائمة فضحكت قال لما جاءت الملائكة ظنت أنهم يريدون أن يعملوا كما يعمل قوم لوط * وقال آخرون بل ضحكت لما رأت بزوجها ابراهيم من الروع ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الكلبى فضحكت قال ضحكت حين راعوا ابراهيم مما رأت من الروع بابراهيم * وقال آخرون بل ضحكت حين بشرت باسحق تعجبا من أن يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثنى عبد الصمد أنه سمع وهب بن منبه يقول لما أتى الملائكة ابراهيم عليه السلام فرآهم راعه هيئتهم وجمالهم فسلموا عليه وجلسوا اليه فقام فأمر بعجل سمين فحنذ له فقرب اليهم الطعام فلما رأى أيديهم لاتصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة وسارة وراء البيت تسمع قالوا لاتخف انا نبشرك بغلام حليم مبارك وبشر به امرأته سارة فضحكت وعجبت كيف يكون لى ولد وأنا عجوز وهو شيخ كبير فقالوا أتعجبين من أمر الله فانه قادر على مايشاء فقد وهبه الله لكم فأبشروا به وقد قال بعض من كان يتأول هذا التأويل ان هذا من المقدم الذى معناه التأخير كأن معنى الكلام عنده وامرأته قائمة فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فضحكت وقالت ياويلتا ءألد وأنا عجوز * وقال آخرون بل معنى قوله فضحكت فى هذا الموضع فحاضت ذكر من قال ذلك حدثنى سعيد بن عمرو السكونى قال ثنا بقية بن الوليد عن على بن هرون عن عمرو ابن الازهر عن ليث عن مجاهد فى قوله فضحكت قال حاضت وكانت ابنة بضع وتسعين سنة قال وكان ابراهيم ابن مائة سنة * وقال آخرون بل ضحكت سرورا بالامن منهم لما قالوا لابراهيم لاتخف

عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد وأتبعوا فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة ألا ان عادا كفروا ربهم ألا بعدا لعاد قوم هود والى ثمود أخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب قالوا ياصالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد مايعبد آباؤنا واننا لفى شك مما تدعونا اليه مريب قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي وآتانى منه رحمة فمن ينصرنى من الله ان عصيته فما تزيدوننى غير تخسير وياقوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ولاتمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب فعقروها فقال تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزى يومئذ ان ربك هو القوى العزيز وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها ألا ان ثمود كفروا ربهم ألا بعدا لثمود)

القراآت فطرنى بفتح الياء أبو جعفر ونافع والبزى غير الخزاعى إنى أشهد بالفتح أبو جعفر ونافع فان تولوا بتشديد التاء البزى وابن فليح ويستخلف بالجزم الخزاز عن هبيرة الباقون بالرفع يومئذ بفتح الميم وكذلك فى المعارج أبو جعفر ونافع غير اسمعيل وعلى والشمونى والبرجمى وعباس الآخرون بالجر ألا ان ثمود غير منصرف والوقف بغير الألف حمزة وحفص وسهل ويعقوب الباقون بالتنوين والوقف بالالف لثمود بالتنوين فى الوصل

وذلك

وذلك أنه قد كان خافهم وخافتهم أيضا كما خافهم ابراهيم فلما أمنت ضحكت فأتبعوها البشارة باسحق وقد كان بعض أهل العربية من الكوفيين يزعم أنه لم يسمع ضحكت بمعنى حاضت من ثقة وذكر بعض أهل العربية من البصريين أن بعض أهل الحجاز أخبره عن بعضهم أن العرب تقول ضحكت المرأة حاضت قال وقد قال الضحك الحيض وقد قال بعضهم الضحك العجب وذكر بيت أبي ذؤيب

فجاء بمزج لم ير الناس مثله * هو الضحك الا أنه عمل النحل

وذكر أن بعض أصحابه أنشده في الضحك بمعنى الحيض

وضحك الارانب فوق الصفا * كمثل دم الجوف يوم اللقا

قال وذكر له بعض أصحابه أنه سمع للكميت

فأضحكت الضباع سيوف سعد * بقتلى ما دفن ولا ودينا

وقال يريد الحيض قال وبلحرث بن كعب يقولون ضحكت النخلة اذا أخرجت الطلع أو البسر وقالوا الضحك الطلع قال وسمعنا من يحكي أضحكت حوضا أي ملأته حتى فاض قال وكأن المعنى قريب بعضه من بعض كله لأنه كأنه شيء يمتلئ فيفيض ۞ وأولى الاقوال التي ذكرت في ذلك بالصواب قول من قال معنى قوله فضحكت فعجبت من غفلة قوم لوط عما قد أحاط بهم من عذاب الله وغفلتهم عنه وانما قلنا هذا القول أولى بالصواب لأنه ذكر عقيب قولهم لابراهيم لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط فاذا كان ذلك كذلك وكان لا وجه للضحك والتعجب من قولهم لابراهيم لا تخف كان الضحك والتعجب انما هو من أمر قوم لوط ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب﴾ يقول تعالى ذكره فبشرنا سارة امرأة ابراهيم ثوابا منا لها على نكيرها وعجبها من فعل قوم لوط باسحق ولدا لها ومن وراء اسحق يعقوب يقول ومن خلف اسحق يعقوب من ابنها اسحق والوراء في كلام العرب ولد الولد وكذلك تأوله أهل التأويل ذكر من قال ذلك

حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا داود عن عامر قال ومن وراء اسحق يعقوب قال الوراء ولد الولد حدثنا عمرو بن علي ومحمد بن المثنى قال كل واحد منهما حدثني أبو اليسع اسمعيل بن حماد بن أبي المغيرة مولى الاشعري قال كنت الى جنب جدي أبي المغيرة بن مهران في مسجد علي بن زيد فمر بنا الحسن بن أبي الحسن فقال يا أبا المغيرة من هذا الفتى قال ابني من ورائي فقال الحسن فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب حدثنا عمرو بن علي ومحمد ابن المثنى قالا ثنا محمد بن أبي عدي قال ثنا داود بن أبي هند عن الشعبي في قوله فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب قال ولد الولد هو الوراء حدثني اسحق بن شاهين قال ثنا خالد عن داود عن عامر في قوله ومن وراء اسحق يعقوب قال الوراء ولد الولد حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن داود عن الشعبي مثله حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو عمرو الأزدي قال سمعت الشعبي يقول ولد الولد هم الولد من الوراء حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت قال جاء رجل الى ابن عباس ومعه ابن ابنه فقال من هذا معك قال هذا ابن ابني قال هذا ولدك من الوراء قال فكأنه شق على ذلك الرجل فقال ابن عباس ان الله يقول فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فولد الولد هم من الوراء حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدي قال لما ضحكت سارة وقالت عجبا لأضيافنا هؤلاء انا نخدمهم بأنفسنا تكرمة لهم وهم لا يأكلون طعامنا قال لها جبريل أبشري بولد اسمه اسحق ومن وراء اسحق يعقوب فضربت

---

٥ بسوء ط تشركون ٥ لا تنظرون ٥ وربكم ط بناصيتها ط مستقيم ٥ به اليكم ط للاستئناف الا لمن قرأ ويستخلف بالجزم غيركم ج لاحتمال ما بعده الاستئناف والحال شيأ ط حفيظ ٥ منا ج لحق المحذوف أي وقد نجيناهم غليظ ٥ ط عنيد ٥ ويوم القيامة ط ربهم ط هود ٥ صالحا م لما مر في الاعراف غيره ط اليه ط مجيب ٥ مريب ٥ تخسير ٥ قريب ٥ أيام ط مكذوب ط يومئذ ط العزيز ٥ جاثمين ٥ لا لكاف التشبيه فيها ط ربهم ط لثمود ٥ ۞ التفسير قد مر في الاعراف تفسير قوله والى عاد الآية ومعنى قوله ان أنتم الا مفترون أنكم كاذبون في قولكم ان هذه الاصنام تحسن عبادتها مع أنها لا حس لها ولا شعور ثم قال مثل قول نوح (يا قوم لا أسألكم عليه أجرا) لان النصيحة لا يمحضها الا حسم المطامع أفلا تعقلون أن نصح من لا يطلب الاجر الا من الله لا يكون من التهمة في شيء قيل انما قال في قصة نوح مالا ودون أجرا لذكر الخزائن بعده فلفظ المال بها أليق وحذف الواو من يا قوم لانه أراد الاستئناف أو البدل دون العطف (ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه) قد مر مثله في أول السورة وقال الاصم المراد سلوه أن يغفر لكم ما تقدم لكم من شركم ثم اعزموا على أن لا تعودوا الى مثله ثم قصد استمالتهم وترغيبهم في الايمان بكثرة المطر وزيادة القوة لان القوم كانوا حراصا على جمع الاموال من وجوه العمارة والزراعة مفتخرين بما أوتوا من البطش والقوة فقدم اليهم في باب الدعوة الى الدين والترغيب

وجهها عجبا فذلك قوله فصكت وجهها وقالت ءألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا الشئ عجيب قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد قالت سارة ما آية ذلك قال فأخذ بيده عودا يابسا فلواه بين أصابعه فاهتز أخضر فقال ابراهيم هو لله اذا ذبيحا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال فضحكت يعني سارة لما عرفت من أمر الله جل ثناؤه ولما تعلم من قوم لوط فبشروها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب بابن وبابن ابن فقالت وصكت وجهها يقال ضربت على جبينها ياويلتا ءألد وأنا عجوز الى قوله انه حميد مجيد واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء العراق والحجاز ومن وراء اسحق يعقوب برفع يعقوب ويعيد ابتداء الكلام بقوله ومن وراء اسحق يعقوب وذلك وان كان خبرا مبتدأ ففيه دلالة على معنى التبشير وقرأه بعض قراء أهل الكوفة والشأم ومن وراء اسحق يعقوب نصبا فأما الشامي منهما فذكر أنه كان ينحو بيعقوب نحو النصب باضمار فعل آخر مشاكل للبشارة كأنه قال ووهبنا له من وراء اسحق يعقوب فلما لم يظهر وهبنا عمل فيه التبشير وعطف به على موضع اسحق اذ كان اسحق وان كان مخفوضا فانه بمعنى المنصوب بعمل بشرنا فيه كما قال الشاعر

جئني بمثل بني بدر لقومهم * أو مثل أسرة منظور بن سيار
أو عامر بن طفيل في مركبه * أو حارثا يوم نادى القوم يا حار

وأما الكوفي منهما فانه قرأه بتأويل الخفض فيما ذكر عنه غير أنه نصبه لانه لا يجرى وقد أنكر ذلك أهل العلم بالعربية من أجل دخول الصفة بين حرف العطف والاسم وقالوا خطأ أن يقال مررت بعمرو في الدار وفي الدار زيد وأنت عاطف بزيد على عمرو الا بتكرير الباء واعادتها فان لم تعد كان وجه الكلام عندهم الرفع وجاز النصب فان قدم الاسم على الصفة جاز حينئذ الخفض وذلك اذا قلت مررت بعمرو في الدار وزيد في البيت وقد أجاز الخفض والصفة معترضة بين حرف العطف والاسم بعض نحويي البصرة * وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندي قراءة من قرأه رفعا لأن ذلك هو الكلام المعروف من كلام العرب والذي لا يتناكره أهل العلم بالعربية وما عليه قراءة الامصار فأما النصب فيه فانه له وجها غير أني لا أحب القراءة به لان كتاب الله نزل بأفصح ألسن العرب والذي هو أولى بالعلم بالذي نزل به من الفصاحة ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قالت ياويلتا ءألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا الشئ عجيب قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد) يقول تعالى ذكره قالت سارة لما بشرت باسحق أنها تلد تعجبا مما قيل لها من ذلك اذ كانت قد بلغت السن التي لا يلد من كان قد بلغها من الرجال والنساء وقيل انها كانت يومئذ ابنة تسع وتسعين سنة وابراهيم ابن مائة سنة وقد ذكرت الرواية فيما روى في ذلك عن مجاهد قبل وأما ابن اسحق فانه قال في ذلك ما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كانت سارة يوم بشرت باسحق فيما ذكر لي بعض أهل العلم ابنة تسعين سنة وابراهيم ابن عشرين ومائة سنة ياويلتا وهي كلمة تقولها العرب عند التعجب من الشئ والاستنكار للشئ فيقولون عند التعجب ويل أمه رجلا ما أرجله وقد اختلف أهل العربية في هذه الالف التي في ياويلتا فقال بعض نحويي البصرة هذه ألف حقيقة اذا وقفت قلت ياويلتاه وهي مثل ألف الندبة فلطفت من أن تكون في السكت وجعلت بعدها الهاء لتكون أبين لها وأبعد في الصوت وذلك لأن الالف اذا كانت بين حرفين كان لها صدى كنحو الصوت يكون في جوف الشئ فيتردد فيه فتكون

أكثر

ـه ما كانت همتهم معقودة به
خروية وكأنه انما خصص هذين
نوعين من السعادات الدنيوية
ن الاول أصل جميع النعم والثاني
ـل في الانتفاع بتلك النعم وقيل
اد بالقوة الزيادة في المال وقيل في
نكاح وروى أنه حبس عنهم القطر
شؤم التكذيب ثلاث سنين وأعقم
ـاؤهم فوعدوا أنهم ان آمنوا
حيا الله بلادهم ورزقهم المال
لولد والمدرار الكثير الدر كما مر في
ل الانعام عن الحسن بن علي
ضى الله عنه أنه وفد على معاوية
ـا خرج تبعه بعض حجابه فقال
ـرجل ذو مال لا يولد لي فقال
يك بالاستغفار فكان يكثر
ستغفار حتى انه ربما استغفر في
م واحد سبعمائة مرة فولد له
شرة بنين فبلغ ذلك معاوية فقال
سألته مم قال ذلك فوفد وفدة
حرى فسأله الرجل فقال ألم تسمع
ل هود ويزدكم قوة الى قوتكم
ول نوح ويمددكم بأموال وبنين
قال هود (لا تتولوا) أي لا تعرضوا
ـا أدعوكم اليه (مجرمين) مصرين
الاجرام والآثام فجحدوا هودا
الوا ما جئتنا ببينة كما قالت قريش
سول الله صلى الله عليه وسلم لولا
زل عليه آية من ربه ولم يشتهر منه
معجزة ولكن العلماء قالوا الظاهر
عوة مع أولئك الاقوام من غير
الاة وتوان آية من الآيات وقوله
ن قولك) حال من الضمير كأنه قيل
انترك آلهتنا صادرين عن قولك
ما نحن لك بمؤمنين) لا يصدق مثلنا
لك أبدا ثم زعموا أن بعض آلهتهم
تراه بسوء أي غشيه وأورثه الخبل
لجنون لانه كان يسب آلهتهم وذلك قولهم (ان نقول الا اعتراك) والا لغو أي ما نقول شيأ الا هذا

أكثر وأبين وقال غيره هذه ألف الندبة فاذا وقفت عليها بجائز وان وقفت على الهاء فجائز وقال ألا ترى أنهم قد وقفوا على قوله ويدعوا الانسان فحذفوا الواو وأثبتوها وكذلك ما كنا نبغي بالياء وغير الياء قال وهذا أقوى من ألف الندبة وهائها * والصواب من القول في ذلك عندي أن هذه الالف ألف الندبة والوقف عليها بالهاء وغير الهاء جائز في الكلام لاستعمال العرب ذلك في كلامهم وقوله ءألد وأنا عجوز تقول أنى يكون لى ولد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا والبعل في هذا الموضع الزوج وسمى بذلك لانه قيم أمرها كما سموا مالك الشئ بعله وكما قالوا النخل التى تستغنى بماء السماء عن سقى ماء الانهار والعيون البعل لأن مالك الشئ القيم به والنخل البعل بماء السماء حياته وقوله ان هذا الشئ عجيب يقول ان كون الولد من مثلى ومثل بعلى على السن التى بها نحن لشئ عجيب قالوا أتعجبين من أمر الله يقول الله تعالى ذكره قالت الرسل لها أتعجبين من أمر أمر الله به أن يكون وقضاء قضاه الله فيك وفى بعلك وقوله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت يقول رحمة الله وسعادته لكم أهل بيت ابراهيم وجعلت الالف واللام خلفا من الاضافة وقوله انه حميد مجيد يقول ان الله محمود فى تفضله عليكم بما تفضل به من النعم عليكم وعلى سائر خلقه مجيد يقول ذو مجد ومدح وثناء كريم يقال فى فعل منه مجد الرجل يمجد مجادة اذا صار كذلك واذا أردت أنك مدحته قلت مجدته تمجيدا

* القول فى تأويل قوله تعالى (فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا فى قوم لوط ان ابراهيم لحليم أواه منيب) يقول تعالى ذكره فلما ذهب عن ابراهيم الخوف الذى أوجسه فى نفسه من رسلنا حين رأى أيديهم لا تصل الى طعامه وأمن أن يكون قصد فى نفسه وأهله بسوء وجاءته البشرى باسحق ظل يجادلنا فى قوم لوط وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلما ذهب عن ابراهيم الروع يقول ذهب عنه الخوف وجاءته البشرى باسحق حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى باسحق ويعقوب ولد من صلب اسحق وأمن مما كان يخاف قال الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق ان ربى لسميع الدعاء وقد قيل معنى ذلك وجاءته البشرى أنهم ليسوا اياه يريدون ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وجاءته البشرى قال حين أخبروه أنهم أرسلوا الى قوم لوط وأنهم ليسوا اياه يريدون * قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر * وقال آخرون بشر باسحق وأما الروع فهو الخوف يقال منه راعنى كذا يروعنى روعا اذا خافه ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم لرجل كيف لك بروعة المؤمن ومنه قول عنترة

ما راعنى الاحولة أهلها * وسط الديار تسف حب الخمخم

بمعنى ما أفزعنى * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الروع الفرق حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد * قال و ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله فلما ذهب عن ابراهيم الروع قال الفرق حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فلما ذهب عن ابراهيم الروع قال الفرق حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلما ذهب عن ابراهيم الروع قال ذهب عنه الخوف وقوله يجادلنا فى قوم لوط يقول يخاصمنا كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى

الجلادة والثقة بالله فيما هو بصدده وتبرأ منهم ومن شركهم فأشهد الله وذلك اشهاد صحيح وأشهدهم أيضا وهذا كالتهاون وقلة المبالاة بهم كقول الرجل لمن نوى قطعه بالكلية اشهد على أنى لا أحبك تهكما به وقد مر قوله (فكيدونى) الآية فى آخر سورة الاعراف وقوله (ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها) تمثيل لغاية التسخير ونهاية التذليل وكانوا اذا أسروا الاسير فأرادوا اطلاقه والمن عليه جزوا ناصيته فكان علامة لقهره قالت المعتزلة هذا دليل التوحيد لدلالته على أنه لا مالك الا هو وقوله (ان ربى على صراط مستقيم) دليل العدل والاشاعرة قالوا معناه معنى ان ربك لبالمرصاد أى لا يخفى عليه شئ ولا يفوته هارب (فان تولوا فقد أبلغتكم) كقول القائل ان أكرمتنى الآن فقدأ كرمتك فيما مضى والمراد فان تتولوا فأنا غير معاتب ولا مقصر لانى قد قضيت حق الرسالة وفى قوله (ويستخلف) اشارة الى عذاب الاستئصال وأنه يخلق بعدهم من هو أطوع منهم وأنه لا ينقص من ملكه شيأ (ان ربى على كل شئ حفيظ) يحفظ أعمال العباد حتى يجازيهم عليها أو يحفظنى من شركم وكيدكم أو يحفظنى من الهلاك (والذين آمنوا معه) قيل كانوا أربعة آلاف (برحمة منا) أى بفضل وامتنان أو بسبب ما هم فيه من الايمان والعمل الصالح (ونجيناهم من عذاب غليظ) أطلق التنجية أولا ثم قيدها على معنى وكانت تلك التنجية من عذاب غليظ سموم تدخل فى أفواههم وتخرج من أدبارهم فتقطعهم عضوا عضوا ويحتمل أن يراد بالثانية النجاة من عذاب

نجيح عن مجاهد يجادلنا يخاصمنا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وزعم بعض أهل العربية من أهل البصرة أن معنى قوله يجادلنا يكلمنا وقال لان ابراهيم لا يجادل الله انما يسأله و يطلب منه وهذا من الكلام جهل لان الله تعالى ذكره أخبرنا في كتابه أنه يجادل في قوم لوط فقول القائل ابراهيم لا يجادل موهما بذلك أن قول من قال في تأويل قوله يجادلنا يخاصمنا أن ابراهيم كان يخاصم ربه جهل من الكلام وانما كان جداله الرسل على وجه المحاجة لهم ومعنى ذلك وجاءته البشرى يجادل رسلنا ولكنه لما عرف المراد من الكلام حذف الرسل وكان جداله اياهم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمي قال ثنا جعفر عن سعيد يجادلنا في قوم لوط قال لما جاء جبرئيل ومن معه قالوا لابراهيم انا مهلكو أهل هذه القرية ان أهلها كانوا ظالمين قال لهم ابراهيم أتهلكون قرية فيها اربعمائة مؤمن قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها ثلثمائة مؤمن قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها مائتا مؤمن قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها أربعون مؤمنا قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها أربعة عشر مؤمنا قالوا لا وكان ابراهيم يعدهم أربعة عشر بامرأة لوط فسكت عنهم واطمأنت نفسه حدثنا أبو كريب قال ثنا الحماني عن الاعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال الملك لابراهيم ان كان فيها خمسة يصلون رفع عنهم العذاب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يجادلنا في قوم لوط ذكر لنا أن مجادلته اياهم أنه قال لهم أرأيتم ان كان فيها خمسون من المؤمنين أمعذبوها أنتم قالوا لا حتى صار ذلك الى عشرة قال أرأيتم ان كان فيها عشرة أمعذبوهم أنتم قالوا لا وهي ثلاث قرى فيها ما شاء الله من الكثرة والعدد حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة يجادلنا في قوم لوط قال بلغنا أنه قال لهم يومئذ أرأيتم ان كان فيهم خمسون من المسلمين قالوا ان كان فيهم خمسون لم نعذبهم قال أربعون قالوا وأربعون قال ثلاثون قالوا وثلاثون حتى بلغ عشرة قالوا وان كان فيهم عشرة قال ما قوم لا يكون فيهم عشرة فيهم خير * قال ابن عبد الاعلى قال محمد بن ثور قال معمر بلغنا أنه كان في قرية لوط أربعة آلاف ألف انسان أو ما شاء الله من ذلك حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو ابن حماد قال ثنا أسباط عن السدي فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى قال ما خطبكم أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم لوط فجادلهم في قوم لوط قال أرأيتم ان كان فيها مائة من المسلمين أتهلكونهم قالوا لا فلم يزل يحط حتى بلغ عشرة من المسلمين فقالوا لا نعذبهم ان كان فيهم عشرة من المسلمين ثم قالوا يا ابراهيم أعرض عن هذا انه ليس فيها الا أهل بيت من المؤمنين هو لوط وأهل بيته وهو قول الله تعالى ذكره يجادلنا في قوم لوط فقالت الملائكة يا ابراهيم أعرض عن هذا انه قد جاء أمر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يعني ابراهيم جادل عن قوم لوط ليرد عنهم العذاب قال فيزعم أهل التوراة أن مجادلة ابراهيم اياهم حين جادلهم في قوم لوط ليرد عنهم العذاب انما قال للرسل فيما يكلمهم به أرأيتم ان كان فيهم مائة مؤمن أتهلكونهم قالوا لا قال أفرأيتم ان كانوا تسعين قالوا لا قال أفرأيتم ان كانوا ثمانين قالوا لا قال أفرأيتم ان كانوا سبعين قالوا لا قال أفرأيتم ان كانوا ستين قالوا لا قال أفرأيتم ان كانوا خمسين قالوا لا قال أفرأيتم ان كان رجلا واحدا مسلما قالوا لا قال فلما لم يذكروا لابراهيم أن فيها مؤمنا واحدا قال ان فيها لوطا يدفع به عنهم العذاب قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين قالوا يا ابراهيم أعرض عن هذا انه قد جاء أمر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال

ثم استأنف وصف أحوالهم مجملة فقال (جحدوا بآيات ربهم) فلم يتسلقوا من المعجزات الى صدق الانبياء ولم يرتقوا من الممكنات الى وجود الواجب بالذات (وعصوا رسله) قيل لم يرسل اليهم الا هود وصح الجمع لان عصيان رسول واحد يتضمن عصيان كلهم لانفرق بين أحد من رسله (واتبعوا أمر كل جبار عنيد) أطاعوا رؤساءهم وكبراءهم المتمردة والمعاندة ولهذا جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين وفي تكرير ألا والنداء على كفرهم والدعاء عليهم بالبعد بعدا هلاكهم دلالة على تفظيع شأنهم وأنهم كانوا مستأهلين للدعاء عليهم بالهلاك ويحتمل أن يراد البعد من رحمة الله في الآخرة وقوله (قوم هود) عطف بيان لعاد اما للتأكيد ومزيد التقرير واما لأن عادا عادان القديمة التي هي قوم هود والاخرى وهي ارم قوله في قصة ثمود (هو أنشأكم) تقديم الضمير للحصر أي لم ينشئكم الا هو ومعنى الانشاء من الارض أن الكل مخلوق من صلب آدم وهو مخلوق من الارض ويمكن أن يقال ان الانسان مخلوق من المني وهو يحصل من الغذاء والغذاء ينتهي الى النبات ثم الى الارض وقيل ان من بمعنى في (واستعمركم) من العمارة أي جعلكم عمار الارض وأمركم بالعمارة فيها واجب وندب ومباح ومكروه وكان ملوك فارس قد أكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار فعمروا الاعمار الطوال مع ما كان منهم من الظلم فسأل نبي من أنبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فأوحى اليه أنهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي وقيل من العمر نحو أعمرتكها

ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال ابراهيم أتهلكونهم ان وجدتم فيهم مائة مؤمن ثم تسعين حتى هبط الى خمسة قال وكان في قرية لوط أربعة آلاف ألف حدثنا محمد بن عوف قال ثنا أبو المغيرة قال ثنا صفوان قال ثنا أبو المثنى ومسلم أبو الحبيل الاشجعي قالا لما ذهب عن ابراهيم الروع الى آخر الآية قال ابراهيم أتعذب عالما من عالمك كثيرا فيهم مائة رجل قال لا وعزتى ولا خمسين قال فأربعين فثلاثين حتى انتهى الى خمسة قال لا وعزتى لا أعذبهم ولو كان فيهم خمسة يعبدونني قال الله عز وجل فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين أى لوطا وابنته قال فحل بهم العذاب قال الله عز وجل وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم وقال فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط والعرب لا تكاد تتلقى لما اذا وليها فعل ماض الا بماض يقولون لما قام قمت ولا يكادون يقولون لما قام أقوم وقد يجوز فيما كان من الفعل له تطاول مثل الجدال والخصومة والقتال فيقولون في ذلك لما لقيته أقاتله بمعنى جعلت أقاتله وقوله ان ابراهيم لحليم أواه منيب يقول تعالى ذكره ان ابراهيم لبطىء الغضب متذلل لربه خاشع له منقاد لأمره منيب رجاع الى طاعته كما حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد أواه منيب قال القانت الرجاع وقد بينا معنى الأواه فيما مضى باختلاف المختلفين والشواهد على الصحيح منه عندنا من القول بما أغنى عن اعادته ✲ القول في تأويل قوله تعالى (يا ابراهيم أعرض عن هذا انه قد جاء أمر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قول رسله لابراهيم يا ابراهيم أعرض عن هذا وذلك قيلهم له حين جادلهم في قوم لوط فقالوا دع عنك الجدال في أمرهم والخصومة فيه فانه قد جاء أمر ربك يقول قد جاء أمر ربك بعذابهم وحق عليهم كلمة العذاب ومضى فيهم بهلاكهم القضاء وانهم آتيهم عذاب غير مردود يقول وان قوم لوط نازل بهم عذاب من الله غير مدفوع وقد ذكر الرواية بما ذكرنا فيه عمن ذكر ذلك عنه ✲ القول في تأويل قوله تعالى (ولما جاءت رسلنا لوطا سىء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب) يقول تعالى ذكره ولما جاءت ملائكتنا لوطا ساءه مجيئهم وهو فعل من السوء وضاق بهم بمجيئهم ذرعا يقول وضاقت نفسه غما بمجيئهم وذلك أنه لم يكن يعلم أنهم رسل الله في حال ما ساء مجيئهم وعلم من قومه ما هم عليه من اتيانهم الفاحشة وخاف عليهم فضاق من أجل ذلك بمجيئهم ذرعا وعلم أنه سيحتاج الى المدافعة عن أضيافه ولذلك قال هذا يوم عصيب وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولما جاءت رسلنا لوطا سىء بهم وضاق بهم ذرعا يقول ساء ظنا بقومه وضاق ذرعا بأضيافه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن حذيفة أنه قال لما جاءت الرسل لوطا أتوه وهو في أرض له يعمل فيها وقد قيل لهم والله أعلم لا تهلكوهم حتى يشهد لوط قال فأتوه فقالوا انا متضيفوك الليلة فانطلق بهم فلما مشى ساعة التفت فقال أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية والله ما أعلم على ظهر الارض أناسا أخبث منهم قال فمضى معهم ثم قال الثانية مثل ما قال فانطلق بهم فلما بصرت بهم عجوز السوء امرأته انطلقت فأنذرتهم حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال قال حذيفة فذكر نحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو بن قيس الملائى عن سعيد بن بشير عن قتادة قال أتت الملائكة لوطا وهو في مزرعة له وقال الله للملائكة ان شهد لوط عليهم أربع شهادات فقد أذنت لكم في هلكتهم فقالوا يا لوط انا نريد أن نضيفك الليلة فقال وما بلغكم أمرهم قالوا وما أمرهم قال أشهد بالله انها لشر قرية في الارض عملا يقول ذلك أربع

جعلكم معمرين دياركم فيها لان الرجل اذا ورث داره من بعده فكأنه أعمره اياها لانه يسكنها عمره ثم يتركها لوارثه ومعنى كونه تعالى قريبا قد مر في قوله واذا سألك عبادى عنى فانى قريب وذلك في البقرة (قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا) عن ابن عباس فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا وقيل كنا نظن بك الرشد والصلاح وكمال العقل واصابة الرأى وقيل كنت تعطف على فقرنا وتعين ضعيفنا وتعود مرضانا فظننا أنك من الانصار والاحباب وأهل الموافقة في الدين فكيف أظهرت العداوة والبغضاء ثم أضافوا الى هذا الكلام التمسك بالتقليد ومتابعة الآباء ثم صرحوا بالتوقف والريب في أمره ومريب من أرابه اذا أوقعه في الريبة أو من أراب الرجل اذا كان ذا ريبة وهو من الاسناد المجازى واعلم أن قوله (واننا لفى شك) بنون الوقاية ههنا على الاصل وأما في سورة ابراهيم فانما قال وانا بغير نون الوقاية لقوله بعده تدعوننا على الجمع فكان اجتماع النونات مستكرها فأجابهم هو بقوله (ان كنت على بينة) الآية وبنى أمره على الفرض والتقدير لأن خطاب المخالف على هذا الوجه أقرب الى القبول كأنه قال قدروا أنى على بينة (من ربى) وأنى نبى على الحقيقة فمن يمنعنى من عذاب الله (ان عصيته) في أوامره (فما تزيدونني غير تخسير) أى على هذا التقدير تخسرون أعمالى وتبطلونها أو فما تزيدونني بما تحملونني عليه الا أى أنسبكم الى الخسران وأقول لكم خاسرون والمعنى الاول أقرب لانه كالدلالة

مرات فشهد عليهم لوط أربع شهادات فدخلوا معه منزله حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدي قال خرجت الملائكة من عند ابراهيم نحو قرية لوط فأتوها نصف النهار فلما بلغوا نهر سدوم لقوا ابنة لوط تستقي من الماء لاهلها وكانت له ابنتان اسم الكبرى ريثا والصغرى زغرتا فقالوا لها يا جارية هل من منزل قالت نعم فكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم فرقت عليهم من قومها فأتت أباها فقالت يا أبتاه أرادك فتيان على باب المدينة ما رأيت وجوه قوم أحسن منهم لا يأخذهم قومك فيفضحوهم وقد كان قومه نهوه أن يضيف رجلا فقالوا خل عنا فلنضف الرجال فجاء بهم فلم يعلم أحد الا أهل بيت لوط فخرجت امرأته فأخبرت قومها قالت ان في بيت لوط رجالا ما رأيت مثل وجوههم قط فجاءه قومه يهرعون اليه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال خرجت الرسل فيما يزعم أهل التوراة من عند ابراهيم الى لوط بالمؤتفكة فلما جاءت الرسل لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وذلك من تخوف قومه عليهم أن يفضحوه في ضيفه فقال هذا يوم عصيب وأما قوله وقال هذا يوم عصيب فانه يقول وقال لوط هذا اليوم يوم شديد شره عظيم بلاؤه يقال منه عصب يومنا هذا يعصب عصبا ومنه قول عدي بن زيد

وكنت لزاز خصمك لم أعرد * وقد سلكوك في يوم عصيب

وقول الراجز

يوم عصيب يعصب الأبطالا * عصب القوي السلم الطوالا

وقول الآخر

وانك ان لا ترض بكر بن وائل * يكن لك يوم بالعراق عصيب

وقال كعب بن جعيل

ويلبون بالحضيض فئام * عارفات منه بيوم عصيب

* وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عصيب شديد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال هذا يوم عصيب يقول شديد حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال هذا يوم عصيب أي يوم بلاء وشدة حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة يوم عصيب شديد حدثني على قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن على عن ابن عباس قوله وقال هذا يوم عصيب أي يوم شديد القول في تأويل قوله تعالى (وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيآت قال ياقوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد) يقول تعالى ذكره وجاء لوطا قومه يستحثون اليه يرعدون مع سرعة المشي مما بهم من طلب الفاحشة يقال أهرع الرجل من برد أو غضب أو حمى اذا أرعد وهو مهرع اذا كان معجلا حريصا كما قال الراجز

* بمعجلات نحوه مهارع * ومنه قول مهلهل

فجاؤا يهرعون وهم أسارى * نقودهم على رغم الانوف

* وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله يهرعون اليه قال يهرولون وهو الاسراع في المشي حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج

عن

على أن متابعتهم لا تزيده الا خسران الدارين (وياقوم هذه ناقة الله) قدمر تفسيره في الاعراف ومعنى (عذاب قريب) عاجل لا يستأخر الا ثلاثة أيام و(غير مكذوب) من باب الاتساع أي غير مكذوب فيه فحذف الحرف وأجرى الضمير مجرى المفعول به أو من باب المجاز كأن الوعد اذا أوفى به فقد صدق ولم يكذب أو المكذوب مصدر كالمجلود وصف به قوله (فلما جاء أمرنا) بالفاء وفي قصة هود بالواو لمكان التعقيب ههنا بدليل قوله عذاب قريب ومثله في قصة لوط لقوله أليس الصبح بقريب وأما في قصة هود فانه قال ويستخلف بلفظ المستقبل ومثله في قصة شعيب سوف تعلمون من يأتيه بحرف التسويف فلم يكن الفاء مناسبا واعتبر هذا المعنى في سائر المواضع كما في سورة يوسف قال ولما جهزهم بالواو أولا لأن التعقيب لم يكن مرادا ثم قال فلما جهزهم لمكان التعقيب والله أعلم قوله (ومن خزي يومئذ) معطوف على محذوف والتقدير نجينا صالحا ومن معه من العذاب النازل بقومه ومن الخزي الذي لزمهم أو يتعلق بمعطوف محذوف أي ونجيناهم من خزي يومئذ كما قال ونجيناهم من عذاب غليظ والمعنيان كما قلنا هنالك والقراءتان في يومئذ لان الظرف المضاف الى اذ يجوز بناؤه على الفتح والتنوين في اذ عوض من المضاف اليه أعني الجملة والتقدير يوم اذ كان كذا وكسر الذال لالتقاء الساكنين (ان ربك هو القوي العزيز) القادر الغالب في قدرته ميز المؤمن من الكافر ومن عزته وقهره أهلك الكفار بالصيحة التي سمعوها من جانب السماء اما بواسطة جبرئيل واما لاحداثها في سحاب مع برق شديد محرق وانما تصير الصيحة سببا للهلاك لان التموج الشديد في الهواء يوجب تأذي

عن مجاهد نحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد والمحاربي عن جويبر عن الضحاك
وجاءه قومه يهرعون اليه قال يسعون اليه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة
قال فأتوه يهرعون اليه يقول سراعا اليه حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن
معمر عن قتادة يهرعون اليه قال يسرعون اليه حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا
أسباط عن السدي وجاءه قومه يهرعون اليه يقول يسرعون المشي اليه حدثني الحرث قال
ثنا عبد العزيز قال ثنا يحيى بن زكريا عن ابن جريج عن مجاهد وجاءه قومه يهرعون
اليه قال يهرولون في المشي * قال سفيان يهرعون اليه يسرعون اليه حدثنا سوار بن عبد الله
قال قال سفيان بن عيينة في قوله يهرعون اليه قال كأنهم يدفعون حدثنا ابن حميد قال ثنا
يعقوب قال ثنا حفص بن حميد عن شمر بن عطية قال أقبلوا يسرعون مشيا بين الهرولة
والجمز حدثني علي بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن
ابن عباس قوله وجاءه قومه يهرعون اليه يقول مسرعين وقوله ومن قبل كانوا يعملون السيئات
يقول من قبل مجيئهم الى لوط كانوا يأتون الرجال في أدبارهم كما حدثنا القاسم قال ثنا
الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يأتون
الرجال وقوله قال يا قوم هؤلاء بناتي يقول تعالى ذكره قال لوط لقومه لما جاؤه يراودونه عن
ضيفه هؤلاء يا قوم بناتي يعني نساء أمته فانكحوهن فهن أطهر لكم كما حدثنا محمد بن عبد
الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة هؤلاء بناتي هن أطهر لكم قال أمرهم لوط بتزويج
النساء وقال هن أطهر لكم حدثنا محمد قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال وبلغني هذا أيضا
عن مجاهد حدثنا ابن وكيع عن سفيان عن ليث عن مجاهد هؤلاء بناتي هن أطهر لكم قال
لم تكن بناته ولكن كن من أمته وكل نبي أبو أمته حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن علية عن
ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله هؤلاء بناتي هن أطهر لكم قال أمرهم أن يتزوجوا النساء
لم يعرض عليهم سفاحا حدثني يعقوب قال ثنا أبو بشر سمعت ابن أبي نجيح يقول في
قوله هن أطهر لكم قال (١) ما عرض عليهم نكاحا ولا سفاحا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال
ثنا سعيد عن قتادة في قوله هؤلاء بناتي هن أطهر لكم قال أمرهم أن يتزوجوا النساء وأراد نبي
الله صلى الله عليه وسلم أن يقي أضيافه ببناته حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا
عبد الرحمن بن سعد قال أخبرنا أبو جعفر عن الربيع في قوله هؤلاء بناتي هن أطهر لكم يعني
التزويج * ثني أبو جعفر عن الربيع في قوله هؤلاء بناتي هن أطهر لكم يعني التزويج
حدثني المثنى قال ثنا أبو النعمان عارم قال ثنا حماد بن زيد قال ثنا محمد بن
شبيب الزهراني عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في قول لوط هؤلاء بناتي هن أطهر لكم يعني
نساؤهم هن بناته هو نبيهم وقال في بعض القراءة النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه
أمهاتهم وهو أب لهم حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن
السدي وجاءه قومه يهرعون اليه قالوا أولم ننهك أن تضيف العالمين قال هؤلاء بناتي هن أطهر لكم
ان كنتم فاعلين أليس منكم رجل رشيد حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق
قال لما جاءت الرسل لوطا أقبل قومه اليهم حين أخبروا بهم يهرعون اليه فيزعمون والله أعلم أن
امرأة لوط هي التي أخبرتهم بمكانهم وقالت ان عند لوط لضيفانا ما رأيت أحسن ولا أجمل قط
منهم وكانوا يأتون الرجال شهوة من دون النساء فاحشة لم يسبقهم بها أحد من العالمين فلما جاؤه

(١) يريد أنه لم يعرض بناته عليهم نكاحا ولا سفاحا وانما عرض نساءهم فتنبه كتبه مصححه

صماخ الانسان وقد يتمزق غشاء الدماغ بذلك والاعراض النفسانية أيضا اذا قويت أوجبت الموت وتمام القصة مذكور في سورة الاعراف وقوله (ألا ان ثمود) الى آخره شبيه بما مر في قصة هود والتأويل كما مر في سورة الاعراف والله أعلم (ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب قالت يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا لشئ عجيب قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط ان ابراهيم لحليم أواه منيب يا ابراهيم أعرض عن هذا انه قد جاء أمر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد قال لو أن لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد الا امرأتك انه مصيبها ما أصابهم ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد) ۞ القراآت سلم بكسر السين بلا ألف فيهما حمزة وعلي ويعقوب بالنصب ابن عامر وحمزة

قالوا أولم ننهك عن العالمين أي ألم نقل لك لا يقربنك أحد فانا لن نجد عندك أحدا الا فعلنا به الفاحشة قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فأنا أفدي ضيفي منكم بهن ولم يدعهم الا الى الحلال من النكاح حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله هؤلاء بناتي قال النساء * واختلفت القراء في قراءة قوله هن أطهر لكم فقرأته عامة القراء برفع أطهر على أن جعلوا هن اسما وأطهر خبره كأنه قيل بناتي أطهر لكم مما تريدون من الفاحشة من الرجال وذكر عن عيسى بن عمر البصري أنه كان يقرأ ذلك هن أطهر لكم بنصب أطهر وكان بعض نحويي البصرة يقول هذا لا يكون انما ينصب خبر الفعل الذي لا يستغني عن الخبر اذا كان بين الاسم والخبر هذه الاسماء المضمرة وكان بعض نحويي الكوفة يقول من نصبه جعله نكرة خارجة من المعرفة ويكون قوله هن عمادا للفعل فلا يعمله وقال آخر منهم مسموع من العرب هذا زيد اياه بعينه قال فقد جعله خبرا لهذا مثل قولك كان عبد الله اياه بعينه قال وانما لم يجز أن يقع الفعل ههنا لان التقريب رد كلام فلم يجتمعا لانه يتناقض لان ذلك اخبار عن معهود وهذا اخبار عن ابتداء ما هو فيه ها أناذا حاضر او زيد هو العالم فتناقض أن يدخل المعهود على الحاضر فلذلك لم يجز والقراءة التي لا أستجيز خلافها في ذلك الرفع هن أطهر لكم لاجماع الحجة من قراء الامصار عليه مع صحته في العربية وبعد النصب فيه من الصحة وقوله فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي يقول فاخشوا الله أيها الناس واحذروا عقابه في اتيانكم الفاحشة التي تأتونها وتطلبونها ولا تخزون في ضيفي يقول ولا تذلوني بأن تركبوا مني في ضيفي ما يكرهون أن تركبوه منهم والضيف في لفظ واحد في هذا الموضع بمعنى جمع والعرب تسمي الواحد والجمع ضيفا بلفظ واحد كما قالوا رجل عدل وقوم عدل وقوله أليس منكم رجل رشيد يقول أليس منكم رجل ذو رشد ينهى من أراد ركوب الفاحشة من ضيفي فيحول بينهم وبين ذلك كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد أي رجل يعرف الحق وينهى عن المنكر * القول في تأويل قوله تعالى ﴿قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد﴾ يقول تعالى ذكره قال قوم لوط للوط لقد علمت يا لوط ما لنا في بناتك من حق لانهن ليس لنا أزواجا كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق أي من أزواج وانك لتعلم ما نريد وقوله وانك لتعلم ما نريد يقول قالوا وانك يا لوط لتعلم أن حاجتنا في غير بناتك وأن الذي نريد هو ما تنهانا عنه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي وانك لتعلم ما نريد انا نريد الرجال حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وانك لتعلم ما نريد أي ان بغيتنا لغير ذلك فلما لم يتناهوا ولم يردهم قوله ولم يقبلوا منه شيأ مما عرض عليهم من أمور بناته قال لو أن لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد * القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال لو أن لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد﴾ يقول تعالى ذكره قال لوط لقومه حين أبوا الا المضي لما قد جاؤاله من طلب الفاحشة وأيس من أن يستجيبوا له الى شيء مما عرض عليهم لو أن لي بكم قوة بأنصار تنصرني عليكم وأعوان تعينني أو آوي الى ركن شديد يقول أو أنضم الى عشيرة مانعة تمنعني منكم لحلت بينكم وبين ما جئتم تريدونه مني في أضيافي وحذف جواب لو لدلالة الكلام عليه وأن معناه مفهوم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال لوط لو أن لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد يقول الى جند شديد لقاتلتكم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة أو آوي الى ركن شديد

بالياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق أبو عمرو ويزيد واسمعيل في الوصل ضيفي بفتح الياء أبو جعفر ونافع وأبو عمرو فاسر وبابه بهمزة الوصل أبو جعفر ونافع وابن كثير وعباس من طريق الموصلي وحمزة في الوقف وان شاء لين الهمزة الا امرأتك بالرفع ابن كثير وأبو عمرو والباقون بالنصب * الوقوف سلاما ط حنيذ ٥ خيفة ط قوم لوط ٥ ط باسحق ط لمن قرأ يعقوب بالرفع يعقوب ٥ شيخا ط عجيب ٥ أهل البيت ط مجيد ٥ في قوم لوط ط منيب ٥ عن هذا ج لاحتمال التعليل أمر ربك ج للابتداء بان مع اتصال المعنى مردود ٥ عصيب ٥ اليه ج للعطف ولاختلاف النظم السيآت ط ضيفي ط رشيد ٥ من حق ج لما مر ما نريد ٥ شديد ٥ الا امرأتك ط أصابهم ط الصبح ط بقريب ٥ منضود ٥ لا لان ما بعده صفة حجارة عند ربك ط ببعيد ٥ * التفسير الرسل ههنا الملائكة وأجمعوا على أن الاصل فيهم جبرئيل ثم اختلفوا فقيل كان معه اثنا عشر ملكا على أحسن ما يكون من صورة الغلمان وقال الضحاك كانوا تسعة وقال ابن عباس كانوا ثلاثة جبرئيل وميكائيل واسرافيل وهم الذين ذكر الله تعالى في سورة الحجر ونبئهم عن ضيف ابراهيم وفي الذاريات هل أتاك حديث ضيف ابراهيم والظاهر أن البشرى هي البشارة بالولد وقيل بهلاك قوم لوط ومعنى سلاما سلمنا عليك ومعنى سلام أمركم سلام أو سلام عليكم ولان الرفع يدل على الثبات والاستقرار والنصب يدل على

الحدوث لمكان تقدير الفعل قال العلماء ان سلام ابراهيم كان أحسن اقتداء بقوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن

قال العشيرة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة الى ركن شديد قال العشيرة حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا مبارك بن فضالة عن الحسن أو آوي الى ركن شديد قال الى ركن من الناس حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قوله أو آوي الى ركن شديد قال بلغنا أنه لم يبعث نبي بعد لوط الا في ثروة من قومه حتى النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لو أن لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد أي عشيرة تمنعني أو شيعة تنصرني لحلت بينكم وبين هذا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لو أن لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد قال يعني به العشيرة حدثنا محمد بن بشار قال ثنا ابن أبي عدي عن عوف عن الحسن أن هذه الآية لما نزلت لو أن لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله لوطا لقد كان يأوي الى ركن شديد حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح عن مبارك عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي لوطا لقد كان يأوي الى ركن شديد فلأي شيء استكان حدثنا أبو كريب قال ثنا عبدة وعبد الرحيم عن محمد بن عمرو قال ثنا أبو سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله على لوط ان كان ليأوي الى ركن شديد اذ قال لقومه لو أن لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد ما بعث الله بعده من نبي الا في ثروة من قومه قال محمد والثروة الكثرة والمنعة حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بشر قال ثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله حدثني يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني سليمن بن بلال عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله حدثني زكريا بن يحيى بن أبان المصري قال ثنا سعيد بن تليد قال ثنا عبد الرحمن بن القاسم قال ثني بكر بن مضر عن عمرو بن الحرث عن يونس بن يزيد عن ابن شهاب الزهري قال أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رحم الله لوطا لقد كان يأوي الى ركن شديد حدثني يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذكر مثله حدثني المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في قوله أو آوي الى ركن شديد قد كان يأوي الى ركن شديد يعني الله تبارك وتعالى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فما بعث الله بعده من نبي الا في ثروة من قومه حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا محمد بن حرب قال ثنا ابن لهيعة عن أبي يونس سمع أبا هريرة يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رحم الله لوطا انه كان يأوي الى ركن شديد * قال ثنا ابن أبي مريم سعيد بن عبد الحكم قال ثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عبد الرحمن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ا[illegible]وه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه [illegible] كان اذا قرأ هذه الآية أو أتى على هذه الآية قال رحم الله لوطا ان كان ليأوي الى ركن شديد [illegible]كر لنا أن الله تعالى لم يبعث نبيا بعد لوط عليه السلام الا في ثروة من قومه حتى بعث الله نبيكم [illegible] ثروة من قومه يقال من آوى الى ركن شديد أويت اليك فأنا آوي اليك أويا بمعنى صرت اليك وانضممت كما قال الراجز

منهما وانما صح وقوع سلام مبتدأ مع كونه نكرة لتخصصها بالاضافة الى المتكلم اذ أصله سلمت سلاما فعدل الى الرفع لافادة الثبات ومن قرأ سلم فمعناه السلام أيضا قال الفراء سلم وسلام كحل وحلال وحرم وحرام وقال أبو علي الفارسي يحتمل أن يراد بالسلم خلاف الحرب قالوا مكث ابراهيم خمس عشرة ليلة لا يأتيه ضيف فاغتم لذلك فجاءته الملائكة فرأى أضيافا لم ير مثلهم (فما لبث أن جاء) أي فما لبث في أن جاء بل عجل أو فما لبث مجيئه (بعجل) هو ولد البقرة (حنيذ) مشوي في حفرة من الأرض بالحجارة المحماة وهو من فعل أهل البادية معروف ومعناه محنوذ كطبيخ بمعنى مطبوخ وقيل الحنيذ الذي يقطر دسما لقوله بعجل سمين تقول حنذت الفرس اذا ألقيت عليها الجل حتى يقطر عرقا (فلما رأى أيديهم لا تصل اليه) الى العجل أو الطعام (نكرهم) أي أنكرهم واستنكر فعلهم (وأوجس) أضمر (منهم خيفة) لانه ما كان يعرف أنهم ملائكة وكان من عادة العرب أنه اذا نزل بهم الضيف ولم يتناول طعامهم توقعوا منه المكروه والشر وقيل انه كان ينزل في طرف من الأرض بعيد عن الناس فلما امتنعوا من الأكل خاف أن يريدوا به شرا وقيل انه كان يعرف أنهم ملائكة الله لقولهم لا تخف (انا أرسلنا الى قوم لوط) لم يقولوا لا تخف انا ملائكة بل ذكروا سبب الارسال وهو اهلاك قوم لوط وعلى هذا فانما خاف أن يكون نزولهم لامر أنكره الله أو لتعذيب قومه والاحتمال الاول وهو أنه كان لا يعرف أنهم ملائكة أقرب بدليل احضاره الطعام واستدلاله بترك أكلهم على توقع الشر منهم وانما

يأوى الى ركن من الاركان * فى عدد طيس ومجد بان

وقيل ان لوطا لما قال هذه المقالة وجدت الرسل عليه لذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثنى عبد الصمد أنه سمع وهب بن منبه يقول قال لوط لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد فوجد عليه الرسل وقالوا ان ركنك لشديد ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قالوا يالوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فأسر باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد الا امرأتك انه مصيبها ما أصابهم ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب) يقول تعالى ذكره قالت الملائكة للوط لما قال لوط لقومه لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد ورأوا مالقى من الكرب بسببهم منهم يالوط انا رسل ربك أرسلنا لاهلاكهم وانهم لن يصلوا اليك والى ضيفك بمكروه فهون عليك الامر فأسر باهلك بقطع من الليل يقول فاخرج من بين أظهرهم أنت وأهلك ببقية من الليل يقال منه أسرى وسرى وذلك اذا سار بليل ولا يلتفت منكم أحد الا امرأتك * واختلفت القراء فى قراءة قوله فأسر فقرأ ذلك عامة قراء المكيين والمدنيين فاسر وصل بغير همز الالف من سرى وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة والبصرة فأسر بهمز الالف من أسرى والقول عندى فى ذلك أنهما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما أهل قدوة فى القراءة وهما لغتان مشهورتان فى العرب معناهما واحد فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب فى ذلك وأما قوله الا امرأتك فان عامة القراء من الحجاز والكوفة وبعض أهل البصرة قرؤا بالنصب الا امرأتك بتأويل فأسر باهلك الا امرأتك وعلى أن لوطا أمر أن يسرى باهله سوى زوجته فانه نهى أن يسرى بها وأمر بتخليفها مع قومها وقرأ ذلك بعض البصريين الا امرأتك رفعا بمعنى ولا يلتفت منكم أحد الا امرأتك فان لوطا قد أخرجها معه وانه نهى لوط ومن معه ممن أسرى معه أن يلتفت سوى زوجته وانها التفتت فهلكت لذلك وقوله انه مصيبها ما أصابهم يقول انه مصيب امرأتك ما أصاب قومك من العذاب ان موعدهم الصبح يقول ان موعد قومك الهلاك الصبح فاستبطأ ذلك منهم لوط وقال لهم بل عجلوا لهم الهلاك فقالوا أليس الصبح بقريب أى عند الصبح نزول العذاب بهم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق أليس الصبح بقريب أى انما ينزل بهم من صبح ليلتك هذه فامض لما تؤمر * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد قال فمضت الرسل من عند ابراهيم الى لوط فلما أتوا لوطا وكان من أمرهم ماذكر الله قال جبرئيل للوط يالوط انا مهلكو أهل هذه القرية ان أهلها كانوا ظالمين فقال لهم لوط أهلكوهم الساعة فقال له جبرئيل عليه السلام انما موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب فأنزلت على لوط أليس الصبح بقريب قال فأمره أن يسرى باهله بقطع من الليل ولا يلتفت منهم أحد الا امرأته قال فسار فلما كانت الساعة التى أهلكوا فيها أدخل جبرئيل جناحه فرفعها حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب فجعل عاليها سافلها وأمطر عليها حجارة من سجيل قال وسمعت امرأة لوط الهدة فقالت واقوماه فأدركها حجر فقتلها حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن حفص بن حميد عن شمر بن عطية قال كان لوط أخذ على امرأته أن لا تذيع شيأ من سر أضيافه قال فلما دخل عليه جبرئيل ومن معه رأتهم فى صورة لم تر مثلها قط فانطلقت تسعى الى قومها فأتت النادى فقالت بيدها هكذا وأقبلوا يهرعون مشيا بين الهرولة والجمز فلما انتهوا الى لوط قال لهم لوط ما قال الله فى كتابه قال جبرئيل يالوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فقال بيده فطمس أعينهم فجعلوا يطلبونهم يلمسون الحيطان وهم لا يبصرون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن حذيفة قال لما بصرت بهم يعنى بالرسل عجوز السوء امرأته انطلقت

الاضياف ليكونوا على صفة يحبها لأنه كان مشغوفا بالضيافة وبم عرف الملائكة خوفه قيل بالتغير فى وجهه أو بتعريف الله أو علموا أن علمه بأنهم ملائكة موجب للخوف لانهم كانوا لا ينزلون الا بعذاب (وامرأته) وهى سارة بنت هاران بن ناحور ابنت عم ابراهيم (قائمة) وراء الستر تسمع تحاورهم أو كانت قائمة على رؤسهم تخدمهم وهم قعود (فضحكت) قال العلماء لابد للضحك من سبب فقيل سببه السرور بزوال الخيفة وقيل بهلاك أهل الخبائث وعن السدى أن ابراهيم قال لهم ألا تأكلون قالوا انا لا نأكل طعاما الا بالثمن فقال ثمنه أن تذكروا اسم الله على أوله وتحمدوه فى آخره فقال جبرئيل لميكائيل حق لمثل هذا الرجل أن يتخذه ربه خليلا فضحكت امرأته فرحا بهذا الكلام وقيل كانت تقول لابراهيم اضمم لوطا ابن أخيك اليك فانى أعلم أنه ينزل بهؤلاء القوم عذاب ففرحت بموافقة قولهم لقولها فضحكت وقيل طلب ابراهيم صلى الله عليه وسلم منهم معجزة دالة على أنهم من الملائكة فدعوا ربهم باحياء العجل المشوى فطفر ذلك العجل المشوى الى مرعاه فضحكت سارة من طفرته وقيل ضحكت تعجبا من قوم أتاهم العذاب وهم غافلون وقيل تعجبت من خوف ابراهيم مع كثرة خدمه وحشمه من ثلاثة أنفس وقيل فى الكلام تقديم وتأخير أى فبشرناها باسحق فضحكت سرورا وعن مجاهد وعكرمة ضحكت أى حاضت ومنه ضحكت الطلعة اذا انشقت يعنى استعدادها العلوق الولد من قرأ

فأنذرتهم فقالت انه تضيف لوطا قوم مارأيت قوما أحسن وجوها قال ولا أعلمه الا قالت ولا أشد بياضا وأطيب ريحا قال فأتوه يهرعون اليه كما قال الله فأصفق لوط الباب قال فجعلوا يعالجونه قال فاستأذن جبرئيل ربه فى عقوبتهم فأذن له فصفقهم بجناحه فتركهم عميانا يترددون فى أخبث ليلة ماأتت عليهم قط فأخبروه انا رسل ربك فأسر بأهلك بقطع من الليل قال ولقد ذكر لنا أنه كانت مع لوط حين خرج من القرية امرأته ثم سمعت الصوت فالتفتت وأرسل الله عليها حجرا فأهلكها وقوله ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب فاراد نبى الله ماهو أعجل من ذلك فقالوا أليس الصبح بقريب حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو بن قيس الملائى عن سعيد بن بشير عن قتادة قال انطلقت امرأته يعنى امرأة لوط حين رأتهم يعنى حين رأت الرسل الى قومها فقالت انه قد ضافه الليلة قوم مارأيت مثلهم قط أحسن وجوها ولا أطيب ريحا فجاؤا يهرعون اليه فبادرهم لوط الى أن يزحمهم على الباب فقال هؤلاء بناتى ان كنتم فاعلين فقالوا أولم ننهك عن العالمين فدخلوا على الملائكة فتناولتهم الملائكة وطمست أعينهم فقالوا يالوط جئتنا بقوم سحرة سحرونا كما أنت حتى تصبح قال واحتمل جبرئيل قريات لوط الاربع فى كل قرية مائة ألف فرفعهم على جناحه بين السماء والارض حتى سمع أهل السماء الدنيا أصوات ديكتهم ثم قلبهم فجعل الله عاليها سافلها حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال قال حذيفة لما دخلوا عليه ذهبت عجوزه عجوز السوء فأتت قومها فقالت لقد تضيف لوطا الليلة قوم مارأيت قوما قط أحسن وجوها منهم قال فجاؤا يسرعون فعاجلهم لوط فقام ملك فلز الباب يقول فسده واستأذن جبرئيل فى عقوبتهم فأذن له فضربهم جبرئيل بجناحه فتركهم عميانا فباتوا بشر ليلة ثم قالوا انا رسل ربك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد الا امرأتك قال فبلغنا أنها سمعت صوتا فالتفتت فأصابها حجر وهى شاذة من القوم معلوم مكانها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة عن حذيفة بنحوه الا أنه قال (١) فعاجلهم لوط حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدى قال لما قال لوط لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد بسط حينئذ جبرئيل عليه السلام جناحيه ففقأ أعينهم وخرجوا يدوس بعضهم فى أدبار بعض عميانا يقولون النجاء النجاء فان فى بيت لوط أسحر قوم فى الارض فذلك قوله ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم وقالوا يالوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد الا امرأتك انه مصيبها واتبع أدبار أهلك يقول سر بهم وامضوا حيث تؤمرون فأخرجهم الله الى الشأم وقال لوط أهلكوهم الساعة فقالوا انا لم نؤمر الا بالصبح أليس الصبح بقريب فلما أن كان السحر خرج لوط وأهله معه امرأته فذلك قوله الا آل لوط نجيناهم بسحر حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم عن عبد الصمد أنه سمع وهب بن منبه يقول كان أهل سدوم الذين فيهم لوط قوما قد استغنوا عن النساء بالرجال فلما رأى الله ذلك بعث الملائكة ليعذبوهم فأتوا ابراهيم وكان من أمره وأمرهم ماذكر الله فى كتابه فلما بشر واسارة بالولد قاموا وقام معهم ابراهيم يمشى قال أخبرونى لم بعثتم وما خطبكم قالوا انا أرسلنا الى أهل سدوم لندمرها وانهم قوم سوء قد استغنوا بالرجال عن النساء قال ابراهيم ان كان فيهم خمسون رجلا صالحا قالوا اذا لا نعذبهم فجعل ينقص حتى قال أهل البيت قالوا فان كان فيها بيت صالح قال فلوط وأهل بيته قالوا ان امرأته هواها معهم فلما يئس ابراهيم انصرف ومضوا الى أهل سدوم فدخلوا على لوط فلما رأتهم امرأته أعجبها حسنهم وجمالهم فأرسلت الى أهل القرية انه قد نزل بنا قوم لم ير قوم قط أحسن منهم ولا أجمل فتسامعوا بذلك فغشوا دار لوط من كل ناحية وتسوروا

(١) لعله فعالجهم لوط فتنبه كتبه مصححه

يعقوب بالرفع فعلى الابتداء والخبر محذوف أى يعقوب مولود أو موجود من بعد اسحق ومن قرأ بالنصب فعلى العبارة المتروكة كأنه قيل ووهبنا لها اسحق ومن بعد اسحق يعقوب أقول من المحتمل ان يكون يعقوب مجرورا بالعبارة الموجودة أى وبشرناها بيعقوب من بعد اسحق وقيل الوراء ولد الولد ووجهه أن يراد بيعقوب أولاده كما يقال هاشم ويراد أولاده (ياويلتى) كلمة تلهف وقدمرت فى المائدة فى ياويلتى أعجزت و (شيخا) نصب على الحال والعامل فيه مافى هذا من معنى أنبه أو أشير (ان هذا) يعنى ان تولد ولد من هرمين (لشئ عجيب) عادة فأزال الملائكة تعجبها منكرين عليها بقولهم على سبيل الاستئناف (رحمة الله وبركاته عليكم) يا أهل بيت خليل الرحمن والمقصود أن رحمته عليكم متكاثرة وبركاته فيكم متواترة وخرق العادات فى أهل بيت النبوة غير عجيب ويحتمل أن يكون انتصاب أهل البيت على الاختصاص وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بنى اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من ولد ابراهيم ثم أكدوا ازالة التعجب بقولهم (انه حميد) محمود فى أفعاله (مجيد) ذو الكرم الكامل فلا يليق به منع الطالب عن مطلوبه (فلما ذهب عن ابراهيم الروع) الخوف الذى لحقه حين أنكر أضيافه (وجاءته البشرى) البشارة بحصول الولد (يجادلنا فى قوم لوط) فى معناهم وفى شأنهم وهو جواب لما على حكاية الحال أو لان لما ترد المضارع الى الماضى عكس ان ويحتمل أن يكون جواب لما محذوفا ودل عليه يجادلنا أى اجترأ على خطابنا أو قال كذا ثم ابتدأ فقال يجادلنا وقيل معناه أخذ يجادلنا ولابد من حذف مضاف أى يجادل رسلنا لا بمعنى مخالفة أمر الله فان ذلك يكون معصية بل سعيا فى تأخير العذاب عنهم رجاء ايمانهم وتوبتهم يرزق

عليهم الجدران فلقيهم لوط فقال ياقوم لاتفضحون فى ضيفى وأنا أزوجكم بناتى فهن أطهر لكم فقالوا لو كنا نريد بناتك لقدعرفنا مكانهن فقال لوأن لى بكم قوة أوآوى الى ركن شديد فوجد عليه الرسل وقالوا ان ركنك لشديد وانهم آتيهم عذاب غيرمردود فمسح أحدهم أعينهم بجناحيه فطمس أبصارهم فقالوا سحرنا انصرفوا بنا حتى نرجع اليه فكان من أمرهم ماقدقص الله تعالى فى كتابه فأدخل ميكائيل وهو صاحب العذاب جناحه حتى بلغ أسفل الارض فقلبها ونزلت حجارة من السماء فتتبعت من لم يكن منهم فى القرية حيث كانوا فأهلكهم الله ونجى لوطا وأهله الا امرأته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وعن أبى بكر بن عبدالله وأبوسفيان عن معمر عن قتادة عن حذيفة دخل حديث بعضهم فى بعض قال كان ابراهيم عليه السلام يأتيهم فيقول ويحكم أنهاكم عن الله أن تعرضوا لعقوبته فلم يطيعوا حتى اذا بلغ الكتاب أجله لمحل عذابهم وسطوات الرب بهم قال فانتهت الملائكة الى لوط وهو يعمل فى أرض له فدعاهم الى الضيافة فقالوا انا ضيفوك الليلة وكان الله تعالى عهد الى جبريل عليه السلام أن لاتعذبهم حتى يشهد عليهم لوط ثلاث شهادات فلما توجه بهم لوط الى الضيافة ذكر مايعمل قومه من الشر والدواهى العظام فمشى معهم ساعة ثم التفت اليهم فقال أما تعلمون مايعمل أهل هذه القرية ماأعلم على وجه الارض شرا منهم أين أذهب بكم الى قومى وهم شر خلق الله فالتفت جبرئيل الى الملائكة فقال احفظوا هذه واحدة ثم مشى ساعة فلما توسط القرية وأشفق عليهم واستحيا منهم قال أما تعلمون مايعمل أهل هذه القرية وما أعلم على وجه الارض شرا منهم ان قومى شر خلق الله فالتفت جبرئيل الى الملائكة فقال احفظوا هاتان ثنتان فلما انتهى الى باب الدار بكى حياء منهم وشفقة عليهم وقال ان قومى شر خلق الله أما تعلمون مايعمل أهل هذه القرية ماأعلم على وجه الارض أهل قرية شرا منهم فقال جبريل للملائكة احفظوا هذه ثلاث قد حق العذاب فلما دخلوا ذهبت عجوزه عجوز السوء فصعدت فلوحت بثوبها فأتاها الفساق يهرعون سراعا قالوا ماعندك قالت ضيف لوط الليلة قوما مارأيت أحسن وجوها منهم ولا أطيب ريحا منهم فهرعوا مسارعين الى الباب فعالجهم لوط على الباب فدافعوه طويلا هو داخل وهم خارج يناشدهم الله ويقول هؤلاء بناتى هن أطهر لكم فقام الملك فلز الباب يقول فسدوا واستأذن جبرئيل فى عقوبتهم فأذن الله له فقام فى الصورة التى يكون فيها فى السماء فنشر جناحه ولجبرئيل جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا أجلى الجبين ورأسه حبك حبك مثل المرجان وهو اللؤلؤ كأنه الثلج وقدماه الى الخضرة فقال يالوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك امض يالوط من الباب ودعنى واياهم فتنحى لوط عن الباب فخرج عليهم فنشر جناحه فضرب به وجوههم ضربة شدخ أعينهم فصاروا عميا لايعرفون الطريق ولايهتدون الى بيوتهم ثم أمر لوطا فاحتمل بأهله من ليلته قال فأسر بأهلك بقطع من الليل حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما قال لوط لقومه لوأن لى بكم قوة أوآوى الى ركن شديد والرسل تسمع مايقول ومايقال له ويرون ماهو فيه من كرب ذلك فلما رأوا ما بلغه قالوا يالوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك أى بشئ تكرهه فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد الا امرأتك انه مصيبها ماأصابهم ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب أى انما ينزل بهم العذاب من صبح ليلتك هذه فامض لما تؤمر * قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن كعب القرظى أنه حدث أن الرسل عند ذلك سفعوا فى وجوه الذين جاؤا لوطا من قومه يراودونه عن ضيفه فرجعوا عميانا قال يقول الله ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم حدثنى المثنى قال ثنا عبدالله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن

عباس

أنهم قالوا انامهلكو أهل هذه القرية فقال أرأيتم لو كان فيها خمسون من المؤمنين أتهلكونها قالوا لا قال فأربعون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال فان كان فيها رجل واحد مسلم أتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله قال الاصوليون ان ابراهيم كان يقول ان أمر الله ورد بايصال العذاب ومطلق الامر لايوجب الفور والملائكة يدعون الفور اما للقرائن أو لأن مطلق الامر يستدعى ذلك فهذه هى المجادلة أو لعل ابراهيم كان يدعى أن الامر مشروط بشرط لم يحصل بعد وهم لايسلمون وبالجملة فان العلماء يجادل بعضهم بعضا عند التمسك بالنصوص وليس يوجب القدح فى واحد منهم فكذلك ههنا ولذلك مدحه بقوله (ان ابراهيم لحليم) غير عجول فى الامور (أواه) كثير التأوه من الذنوب (منيب) راجع الى الله فى كل مايسخطه وهذه الصفات تدل على رقة القلب والشفقة على خلق الله حتى حملته على المجادلة فيهم رجاء أن يرفع العذاب عنهم ولما عرفت الملائكة أن العذاب قد حق عليهم قالوا (ياابراهيم أعرض عن هذا) الجدال (انه قد جاء أمر ربك) باهلاكهم (وانهم آتيهم) لاحق بهم (عذاب غيرمردود) فلاراد لقضائه فلاينفع فيهم جدال ولادعاء (ولما جاءت رسلنا) المذكورون (لوطا سىء بهم) أصله سوئ لانه من ساءه يسوءه نقيض سره يسره نقلت الكسرة الى الفاء وأبدلت العين ياء ومن قرأ سىء بابدال العين ياء مكسورة فلكراهة اجتماع الواو والهمزة (وضاق بهم ذرعا) قال الازهرى الذرع يوضع موضع الطاقة وأصله أن البعير يذرع بيده فى سيره على قدر سعة خطوه فاذا حمل عليه أكثر من طاقته ضاق ذرعه عن ذلك

عباس قوله بقطع من الليل قال بطائفة من الليل حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة بقطع من الليل بطائفة من الليل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله بقطع من الليل قال جوف الليل وقوله واتبع أدبارهم يقول واتبع أدبار أهلك ولا يلتفت منكم أحد وكان مجاهد يقول في ذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ولا يلتفت منكم أحد قال لا ينظر وراءه أحد إلا امرأتك وروى عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقرأ فأسر بأهلك بقطع من الليل إلا امرأتك حدثني بذلك أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم بن سلام قال ثنا حجاج عن هرون قال في حرف ابن مسعود فأسر بأهلك بقطع من الليل إلا امرأتك وهذا يدل على صحة القراءة بالنصب ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد) يقول تعالى ذكره ولما جاء أمرنا بالعذاب وقضاؤنا فيهم بالهلاك جعلنا عاليها يعني عالي قريتهم سافلها وأمطرنا عليها يقول وأرسلنا عليها حجارة من سجيل واختلف أهل التأويل في معنى سجيل فقال بعضهم هو بالفارسية سنك وكل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله من سجيل بالفارسية أولها حجر وآخرها طين حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه حدثني المثنى قال ثنا إسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد بن جبير حجارة من سجيل قال فارسية أعربت سنك وكل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة السجيل الطين حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وعكرمة من سجيل قالا من طين حدثني المثنى قال ثنا إسحق قال ثنا إسمعيل بن عبد الكريم قال ثني عبد الصمد عن وهب قال سجيل بالفارسية سنك وكل حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي حجارة من سجيل أما السجيل فقال ابن عباس هو بالفارسية سنك وكل سنك هو الحجر وكل هو الطين يقول أرسلنا عليهم حجارة من طين حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن السدي عن عكرمة عن ابن عباس حجارة من سجيل قال طين في حجارة .. وقال ابن زيد في ذلك ما حدثني به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله حجارة من سجيل قال السماء الدنيا قال والسماء الدنيا اسمها سجيل وهي التي أنزل الله على قوم لوط وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من البصريين يقول السجيل هو من الحجارة الصلب الشديد ومن الضرب ويستشهد على ذلك بقول الشاعر . ضربا تواصى به الأبطال سجيلا . وقال بعضهم تحول اللام نونا وقال آخر منهم هو فعيل من قول القائل أسجلته أرسلته فكأنه من ذلك أي مرسلة عليهم وقال آخر منهم بل هو من سجلت له سجلا من العطاء فكأنه قيل منحوا ذلك البلاء فأعطوه وقالوا أسجله أهمله وقال بعضهم هو من السجل لأنه كان فيها علم كالكتاب وقال آخر منهم بل هو طين يطبخ كما يطبخ الآجر وينشد بيت الفضل بن عباس

من يساجلني يساجل ماجدا * يملأ الدلو إلى عقد الكرب

فهذا من سجلت له سجلا أعطيته * والصواب من القول في ذلك عندنا ما قاله المفسرون وهو أنها

بجعل ضيق الذرع عبارة عن قلة الوسع والطاقة وربما قالوا ضقت بالأمر ذرعا (وقال هذا يوم عصيب) أي شديد من العصب الشد كأنه أريد اشتداد ما فيه من الأمور عن ابن عباس انطلقوا من عند إبراهيم إلى لوط وبين القريتين أربعة فراسخ ودخلوا عليه على صورة شباب مرد من بني آدم في غاية الحسن ولم يعرف لوط أنهم ملائكة الله فساءه مجيئهم واغتم لذلك لأنه خاف عليهم خبث قومه وأن يعجز عن مقاومتهم وقيل سبب المساءة أنه لم يكن قادرا على القيام بحق ضيافتهم لأنه ما كان يجد ما ينفق عليهم وقيل السبب أن قومه منعوه عن إدخال الضيف داره وقيل عرف أنهم ملائكة جاؤا لإهلاك قومه فرق قلبه على قومه والصحيح هو الأول روى أنه تعالى قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم إلى منزله قال لهم أما بلغكم أمر هذه القرية قالوا وما أمرهم قال أشهد بالله إنها لشر قرية في الأرض عملا يقول ذلك أربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك أحد فخرجت امرأته فأخبرت بهم قومها فذلك قوله (وجاءه قومه يهرعون إليه) قال أبو عبيدة يستحثون إليه كأنه يحث بعضهم بعضا وقال الجوهري الإهراع الإسراع وأهرع الرجل على ما لم يسم فاعله فهو مهرع إذا كان يرعد من حمى أو غضب أو فزع وقيل إنما لم يسم فاعله للعلم به والمعنى أهرعه خوفه أو حرصه ثم بين أن إسراعهم إنما كان لأجل العمل الخبيث فقال (ومن قبل كانوا يعملون السيآت) الفواحش قرنوا عليها فلذلك جاؤا مجاهرين لا يكفهم حياء وقيل معناه وكان لوط قد عرف عادتهم في ذلك العمل قبل ذلك فأراد أن يقي

حجارة من طين وبذلك وصفها الله في كتابه في موضع وذلك قوله لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين وقد روي عن سعيد بن جبير أنه كان يقول هي فارسية ونبطية حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال فارسية ونبطية سج ايل فذهب سعيد بن جبير في ذلك الى ان اسم الطين بالفارسية جل لا ايل وأن ذلك لو كان بالفارسية لكان سجل لا سجيل لان الحجر بالفارسية يدعى سج والطين جل فلا وجه لكون الياء فيها وهي فارسية وقد بينا الصواب من القول عندنا في أول الكتاب بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وقد ذكر عن الحسن البصري أنه قال كان أصل الحجارة طينا فشددت وأما قوله منضود فان قتادة وعكرمة يقولان فيه ما حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وعكرمة منضود يقول مصفوفة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة منضود يقول مصفوفة * وقال الربيع بن أنس فيه ما حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس في قوله منضود قال نضد بعضه على بعض حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي بكر الهذلي بن عبد الله أما قوله منضود فانها في السماء منضودة معدة وهي من عدة الله التي أعد للظلمة * وقال بعضهم منضود يتبع بعضه بعضا عليهم قال فذلك نضده * والصواب من القول في ذلك ما قاله الربيع بن أنس وذلك أن قوله منضود من نعت سجيل لا من نعت الحجارة وانما أمطر القوم حجارة من طين صفة ذلك الطين أنه نضد بعضه الى بعض فصير حجارة ولم يمطروا الطين فيكون موصوفا بأنه تتابع على القوم بمجيئه وانما كان جائزا أن يكون على ما تأوله هذا المتأول لو كان التنزيل بالنصب منضودة فيكون من نعت الحجارة حينئذ وأما قوله مسومة عند ربك فانه يقول معلمة عند الله أعلمها الله والمسومة من نعت الحجارة ولذلك نصبت ونعت بها وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مسومة قال معلمة حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله قال ابن جريج مسومة لا تشاكل حجارة الارض حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وعكرمة مسومة قالا مطوقة بها نضح من حمرة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مسومة عليها سيما معلومة حدث بعض من رآها أنها حجارة مطوقة عليها أو بها نضح من حمرة ليست كحجارتكم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله مسومة قال عليها سيما خطوط حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي مسومة قال المسومة المختمة وأما قوله وما هي من الظالمين ببعيد فانه يقول تعالى ذكره متهددا مشركي قريش وما هذه الحجارة التي أمطرتها على قوم لوط من مشركي قومك يا محمد ببعيد أن يمطروها ان لم يتوبوا من شركهم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا أبو عتاب الدلال سهل بن حماد قال ثنا شعبة قال ثنا أبان بن تغلب عن مجاهد في قوله وما هي من الظالمين ببعيد قال أن يصيبهم ما أصاب القوم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وما هي من الظالمين ببعيد قال يرهب بها من يشاء حدثني المثنى قال ثنا اسحق

قال

أضيافه بناته فقال (هؤلاء بناتي) عن قتادة بناته من صلبه وعن مجاهد وسعيد بن جبير أراد نساء أمته لان النبي كالاب لامته واختير هذا القول لان عرض البنات الحقيقيات على الفجار لا يليق بذوي المروآت ولان اللواتي من صلبه لا تكفي الجمع العظيم ولما روي أنه لم يكن له الا ابنتان وأقل الجمع ثلاثة والقائلون بالقول الاول قالوا ما دعا القوم الى الزنا بهن وانما دعاهم الى التزوج بهن بعد الايمان أو مع الكفر فلعل تزويج المسلمات من الكفار كان جائزا كما في أول الاسلام زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنتيه من عتبة بن أبي لهب وأبي العاص بن الربيع بن عبد العزى وهما كافران فنسخ بقوله ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا وقيل كان لهم سيدان مطاعان فأراد أن يزوجهما ابنتيه وقيل ان بناته كن أكثر من ثنتين ويجوز أن يكون قد عرض البنات عليهم لا بطريق الجد بل طمعا في أن يستحيوا منه ويرقوا له وأطهر يعني الطاهر لانه لا طهارة في نكاح الرجال (فاتقوا الله) بايثارهن عليهم (ولا تخزون) ولا تفضحوني من الخزي أو لا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء (في ضيفي) في حق أضيافي فخزي الضيف والجار يورث للمضيف العار والشنار والضيف يستوي فيه الواحد والجمع ويجوز أن يكون مصدرا (أليس منكم رجل رشيد) صالح أو مصلح مرشد يمتنع أو يمنع عن مثل هذا العمل القبيح (قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق) من شهوة ولا حاجة لان من احتاج الى شيء فكأنه حصل له فيه نوع حق ولذلك قالوا (وانك لتعلم ما نريد) ويجوز أن يراد انهن لسن لنا بأزواج فلا حق لنا فيهن من حيث الشرع ومن حيث الطبع أو يراد انك دعوتنا الى نكاحهن

قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله * قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وماهى من الظالمين ببعيد يقول ما أجار الله منها ظالما بعد قوم لوط حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وعكرمة وماهى من الظالمين ببعيد يقول لم يبرأ منها ظالم بعدهم حدثنا على بن سهل قال ثنا ضمرة بن ربيعة عن ابن شوذب عن قتادة فى قوله وماهى من الظالمين ببعيد قال يعنى ظالمى هذه الامة قال والله ما أجار منها ظالما بعد حدثنا موسى بن هرون قال ثنا حماد قال ثنا أسباط عن السدى وماهى من الظالمين ببعيد يقول من ظلمة العرب ان لم يتوبوا فيعذبوا بها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر الهذلى ابن عبد الله قال يقول وماهى من الظالمين ببعيد من ظلمة أمتك ببعيد فلا يأمنها منهم ظالم وكان قلب الملائكة عالى أرض سدوم سافلها كما حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال ثنا الاعمش عن مجاهد قال أخذ جبرئيل عليه السلام قوم لوط من سرحهم ودورهم حملهم بمواشيهم وأمتعتهم حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم ثم أكفأهم حدثنا به أبو كريب مرة أخرى عن مجاهد قال أدخل جبرئيل جناحه تحت الارض السفلى من قوم لوط ثم أخذهم بالجناح الأيمن فأخذهم من سرحهم ومواشيهم ثم رفعها حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد كان يقول فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها قال لما أصبحوا غدا جبرئيل على قريتهم فقتلعها من أركانها ثم أدخل جناحه ثم حملها على خوافى جناحه * قال ثنا شبل قال فحدثنى هذا ابن أبى نجيح عن ابراهيم بن أبى بكر قال ولم يسمعه ابن أبى نجيح عن مجاهد قال فحملها على خوافى جناحه بما فيها ثم صعد بها الى السماء حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم ثم قلبها فكان أول ما سقط منها شرفها فذلك قول الله جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل قال مجاهد فلم يصب قوما ما أصابهم ان الله طمس على أعينهم ثم قلب قريتهم وأمطر عليهم حجارة من سجيل حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال بلغنا أن جبرئيل عليه السلام أخذ بعروة القرية الوسطى ثم ألوى بها الى السماء حتى سمع أهل السماء ضواغى كلابهم ثم دمر بعضها على بعض فجعل عاليها سافلها ثم أتبعهم الحجارة قال قتادة وبلغنا أنهم كانوا أربعة آلاف ألف حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن جبرئيل عليه السلام أخذ بعروتها الوسطى ثم ألوى بها الى جو السماء حتى سمعت الملائكة ضواغى كلابهم ثم دمر بعضها على بعض ثم أتبع شذان القوم صخرا قال وهى ثلاث قرى يقال لها سدوم وهى بين المدينة والشام قال وذكر لنا أنه كان فيها أربعة آلاف ألف وذكر لنا أن ابراهيم عليه السلام كان يشرف يقول سدوم يوم ما لك حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال لما أصبحوا يعنى قوم لوط نزل جبرئيل فاقتلع الارض من سبع أرضين فحملها حتى بلغ السماء الدنيا فذلك حين يقول والمؤتفكة أهوى المنقلبة حين أهوى بها جبرئيل الارض فاقتلعها بجناحه فمن لم يمت حين أسقط الارض أمطر الله عليه وهو تحت الارض الحجارة ومن كان منهم شاذا فى الارض وهو قول الله فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل ثم تتبعهم فى القرى فكان الرجل يأتيه الحجر فيقتله وذلك قول الله تعالى وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر وأبو سفيان عن معمر عن قتادة قال بلغنا أن جبرئيل عليه السلام لما أصبح نشر جناحه فانتسف به أرضهم بما فيها من

بشرط الايمان ونحن لانؤمن البتة فلا يتصور لنا حق فيهن قال لوط (لو أن لى بكم قوة) وجوابه محذوف أى لفعلت بكم وصنعت وبالغت فى دفعكم قال أهل المعانى حذف الجواب أبلغ لأن الوهم يذهب الى أنواع كثيرة من الدفع والمنع والمراد لو أن لى ما أتقوى به عليكم فسمى موجب القوة بالقوة ويحتمل أن يريد بالقوة القدرة والطاقة (أو آوى) أنضم (الى ركن شديد) حام منيع شبه الركن من الجبل فى شدته وقوله أو آوى عطف على الفعل المقدر بعد لو والحاصل أنه تمنى دفعهم بنفسه أو بمعاونة غيره قال ذلك من شدة القلق والحيرة فى الامر النازل به ولهذا قالت الملائكة وقد رقت عليه وحزنت له ان ركنك لشديد وقال النبى صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى لوطا كان يأوى الى ركن شديد فما بعث نبى بعد ذلك الا فى ثروة من قومه ويحتمل أن يريد بالركن الشديد حصنا يتحصن به فيأمن من شرهم ويحتمل أنه لما شاهد سفاهة القوم وإقدامهم على سوء الادب تمنى حصول قوة قوية على الدفع ثم استدرك وقال بل الاولى أن آوى الى ركن شديد وهو الاعتصام بعناية الله روى أنه أغلق بابه لما جاؤا فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما لقى لوط من الكرب (قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك) وهذه جملة موضحة للتى قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصل الاعداء اليه ولن يقدروا على ضرره فأمر الملائكة أن يفتح الباب فدخلوا فاستأذن جبرئيل ربه فى عقوبتهم فأذن له فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم كما قال سبحانه ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون ان فى بيت لوط سحرة ثم بين نزول العذاب ووجه خلاص لوط وأهله فقال (فاسر بأهلك) الباء

قصورها ودوابها وحجارتها وشجرها وجميع ما فيها فضمها فى جناحه فحواها وطواها فى جوف جناحه ثم صعد بها الى السماء الدنيا حتى سمع سكان السماء أصوات الناس والكلاب وكانوا أربعة آلاف ألف ثم قلبها فأرسلها الى الارض منكوسة دمدم بعضها على بعض فجعل عاليها سافلها ثم أتبعها حجارة من سجيل حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى ابن اسحق قال ثنى محمد بن كعب القرظى قال حدثت أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال بعث الله جبريل عليه السلام الى المؤتفكة قرية لوط عليه السلام التى كان لوط فيهم فاحتملها بجناحه ثم صعد بها حتى ان أهل السماء الدنيا ليسمعون نباح كلابها وأصوات دجاجها ثم كفأها على وجهها ثم أتبعها الله بالحجارة يقول الله جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل فأهلكها الله وما حولها من المؤتفكات وكن خمس قريات صنعة وصعوة وعثرة ودوما وسدوم وسدوم هى القرية العظمى ونجى الله لوطا ومن معه من أهله الا امرأته كانت فيمن هلك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان انى أراكم بخير وانى أخاف عليكم عذاب يوم محيط﴾ يقول تعالى ذكره وأرسلنا الى ولد مدين أخاهم شعيبا فلما أتاهم قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره يقول أطيعوه وتذللوا له بالطاعة لما أمركم به ونهاكم عنه مالكم من اله غيره يقول مالكم من معبود سواه يستحق عليكم العبادة غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان يقول ولا تنقصوا الناس حقوقهم فى مكيالكم وميزانكم انى أراكم بخير * واختلف أهل التأويل فى الخير الذى أخبر الله عن شعيب أنه قال لمدين انه يراهم به فقال بعضهم كان ذلك رخص السعر وحذرهم غلاءه ذكر من قال ذلك حدثنى زكريا بن يحيى بن أبى زائدة قال ثنا عبد الله بن داود الواسطى قال ثنا محمد بن موسى عن الذيال بن عمرو عن ابن عباس انى أراكم بخير قال رخص السعر وانى أخاف عليكم عذاب يوم محيط قال غلاء سعر حدثنى أحمد ابن على النصرى قال ثنى عبد الصمد بن عبد الوارث قال ثنا صالح بن رستم عن الحسن وذكر قوم شعيب قال انى أراكم بخير قال رخص السعر حدثنى محمد بن عمرو بن على قال ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث عن أبى عامر الخراز عن الحسن فى قوله انى أراكم بخير قال الغنى ورخص السعر * وقال آخرون عنى بذلك انى أرى لكم مالا وزينة من زين الدنيا ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله انى أراكم بخير قال يعنى خير الدنيا وزينتها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انى أراكم بخير أبصر عليهم قشرا من قشر الدنيا وزينتها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انى أراكم بخير قال فى دنياكم كما قال الله تعالى ان ترك خيرا سماه خيرا لان الناس يسمون المال خيرا * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب ما أخبر الله عن شعيب أنه قال لقومه وذلك قوله انى أراكم بخير يعنى بخير الدنيا وقد يدخل فى خير الدنيا المال وزينة الحياة الدنيا ورخص السعر ولا دلالة على أنه عنى بقيله ذلك بعض خيرات الدنيا دون بعض فذلك على كل معانى خيرات الدنيا التى ذكر أهل العلم أنهم كانوا أوتوها وانما قال ذلك شعيب لأن قومه كانوا فى سعة من عيشهم ورخص من أسعارهم كثيرة أموالهم فقال لهم لا تنقصوا الناس حقوقهم فى مكاييلكم وموازينكم فقد وسع الله عليكم رزقكم وانى أخاف عليكم بمخالفتكم أمر الله وبخسكم الناس أموالهم فى مكاييلكم وموازينكم عذاب يوم محيط يقول أن ينزل بكم عذاب يوم محيط بكم عذابه فجعل المحيط نعتا لليوم وهو من نعت العذاب اذ كان مفهوما معناه وكان العذاب فى اليوم فصار كقولهم بعض جبتك محترقة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وياقوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم

آخر الليل بسحر وقال قتادة بعد طائفة من الليل وقيل نصف الليل كأنه قطع نصفين (ولا يلتفت منكم أحد) أى لا ينظر الى ماوراءه (الا امرأتك) أكثر القراء على النصب فاعترض بأن الفصيح فى مثله هو البدل لان الكلام غير موجب فكيف اجتمع القراء على غير فصيح فأجاب جار الله بان الرفع بدل من أحد على القياس والنصب مستثنى من قوله فأسر لا من قوله لا يلتفت وزيف بأن الاستثناء من أسر يقتضى كونها غير مسرى بها والاستثناء من لا يلتفت يقتضى كونها مسريا بها لان الالتفات بعد الاسراء فتكون مسريا بها غير مسرى بها ويمكن أن يجاب بان أسر وان كان مطلقا فى الظاهر الا أنه فى المعنى مقيد بعدم الالتفات اذ المراد أسر بأهلك اسراء لا التفات فيه الا امرأتك فانك تسرى بها اسراء مع الالتفات فاستثن على هذا ان شئت من أسر وان شئت من لا يلتفت ولا تناقض وبعضهم كابن الحاجب جعل الا امرأتك فى كلتا القراءتين مستثنى من لا يلتفت ولم يستبعد اجتماع القراء على قراءة غير الاقوى ويمكن أن يقال انما اجتمعوا على النصب ليكون استثناء من أسر اذ لو جعل استثناء من لا يلتفت لزم أن تكون مأمورة بالالتفات لان القائل اذا قال لا يقم منكم الا زيد كان ذلك أمرا لزيد بالقيام اللهم الا أن يجعل الاستثناء منقطعا على معنى ولا يلتفت منكم أحد لكن امرأتك تلتفت فيصيبها ما أصابهم واذا كان هذا الاستثناء منقطعا كان التفاتها موجبا للمعصية قاله فى الكشاف

أشياءهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل شعيب لقومه أوفوا الناس الكيل والميزان بالقسط يقول بالعدل وذلك بأن توفوا أهل الحقوق التى هى مما يكال أو يوزن حقوقهم على ما وجب لهم من التمام بغير بخس ولا نقص وقوله ولا تبخسوا الناس أشياءهم يقول ولا تنقصوا الناس حقوقهم التى يجب عليكم أن توفوهم كيلا أو وزنا أو غير ذلك كما حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا على بن صالح بن حى قال بلغنى فى قوله ولا تبخسوا الناس أشياءهم قال لا تنقصوهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا تبخسوا الناس أشياءهم يقول لا تظلموا الناس أشياءهم وقوله ولا تعثوا فى الارض مفسدين يقول ولا تسيروا فى الارض تعملون فيها بمعاصى الله كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ولا تعثوا فى الارض مفسدين قال لا تسيروا فى الارض وحدثت عن المسيب عن أبى روق عن الضحاك فى قوله ولا تعثوا فى الارض مفسدين يقول لا تسعوا فى الارض مفسدين يعنى نقصان الكيل والميزان ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله بقية الله خير لكم ما أبقاه الله لكم بعد أن توفوا الناس حقوقهم بالمكيال والميزان بالقسط فأحله لكم خير لكم من الذى يبقى لكم ببخسكم الناس من حقوقهم بالمكيال والميزان ان كنتم مؤمنين يقول ان كنتم مصدقين بوعد الله و وعيده وحلاله وحرامه وهذا قول روى عن ابن عباس باسناد غير مرتضى عند أهل النقل * وقد اختلف أهل التأويل فى ذلك فقال بعضهم معناه طاعة الله خير لكم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن ليث عن مجاهد بقية الله خير لكم قال طاعة الله خير لكم حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم ابن أبى بزة عن مجاهد بقية الله قال طاعة الله خير لكم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بقية الله قال طاعة الله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن ليث عن مجاهد بقية الله خير لكم قال طاعة الله خير لكم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بقية الله خير لكم قال طاعة الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه * وقال آخرون معنى ذلك حظكم من ربكم خير لكم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين حظكم من ربكم خير لكم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله بقية الله خير لكم قال حظكم من الله خير لكم * وقال آخرون معناه رزق الله خير لكم ذكر من قال ذلك حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عمن ذكره عن ابن عباس بقية الله قال رزق الله * وقال ابن زيد فى ذلك ما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين قال الهلاك فى العذاب والبقية فى الرحمة وانما اخترت فى تأويل ذلك القول الذى اخترته لان الله تعالى ذكره انما تقدم اليهم بالنهى عن بخس الناس أشياءهم فى المكيال والميزان والى ترك التطفيف فى الكيل والبخس فى الميزان دعاهم شعيب فتعقيب ذلك بالخبر عما لهم من الحظ فى الوفاء فى الدنيا والآخرة أولى مع أن قوله بقية انما هى مصدر من قول القائل بقيت بقية من كذا فلا وجه لتوجيه معنى ذلك الا الى بقية الله التى أبقاها لكم مما لكم بعد وفائكم الناس حقوقهم خير لكم من بقيتكم من الحرام الذى يبقى لكم من ظلمكم الناس ببخسكم اياهم فى الكيل والوزن وقوله وما أنا عليكم بحفيظ يقول وما أنا عليكم أيها الناس برقيب أرقبكم عند كيلكم

وروى أنه أمر أن يخلفها مع قومها فلم يسر بها واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين أقول فى هذا الكلام خلل لا يمكن اجتماعهما على الصحة والقراءتان يجب اجتماعهما على الصحة لتواتر القراآت كلها روى أنها لما سمعت هدة العذاب أى صوته التفتت وقالت ياقوماه فادركها حجر فقتلها وقيل المراد بعدم الالتفات قطع تعلق القلب عن الاصدقاء والاموال والامتعة فعلى هذا يصح الاستثناآن من غير شائبة التناقض كأنه أمر لوطا أن يخرج بقومه و يترك هذه المرأة فانها هالكة من الهالكين ثم أمر أن يقطعوا العلائق وأخبر أن امرأته تبقى متعلقة القلب بها روى أنه قال لهم متى موعد هلاكهم فقيل له (ان موعدهم الصبح) فقال أريد أسرع من ذلك فقالوا (أليس الصبح بقريب فلما جاء أمرنا) باهلاكهم (جعلنا أى جعل رسلنا عاليها سافلها) روى أن جبرئيل أدخل جناحه الواحد تحت مدائن قوم لوط وقلعها وصعد بها الى السماء حتى سمع أهل السماء نهيق الحمير ونباح الكلاب وصياح الديوك لم يتبدد لهم طعام ولم يتكسر لهم اناء ثم قلبها دفعة وضربها على الارض ثم أمطر عليهم حجارة من سجيل وهو معرب سنك وكل كأنه مركب من حجر وطين وهو فى غاية الصلابة وقيل سجيل أى مثل السجل وهى الدلو العظيمة أو مثلها فى تضمن الاحكام الكثيرة وقيل أى مرسلة عليهم من أسجلته اذا أرسلته وقيل أى مما كتب الله أن يعذب به أو كتب عليه أسماء المعذبين من السجل وقد سجل لفلان وقيل من سجين أى من جهنم فابدلت النون لاما وقيل انه اسم من أسماء السماء الدنيا ومعنى (منضود) موضوع بعضها فوق بعض فى النزول يأتى على سبيل المتابعة والتلاحق أو نضد فى السماء نضدا معدا للاهلاك

ووزنكم هل توفون الناس حقوقهم أم تظلمونهم وانما على أن أبلغكم رسالة ربى فقد أبلغتكموها

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالوا ياشعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء انك لأنت الحليم الرشيد﴾ يقول تعالى ذكره قال قوم شعيب ياشعيب أصلاتك تأمرك أن نترك عبادة ما يعبد آباؤنا من الاوثان والاصنام أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء من كسر الدراهم وقطعها وبخس الناس فى الكيل والوزن انك لأنت الحليم وهو الذى لا يحمله الغضب أن يفعل ما لم يكن ليفعله فى حال الرضا الرشيد يعنى رشيد الامر فى أمره اياهم أن يتركوا عبادة الاوثان كما حدثنا محمود بن خداش قال ثنا حماد بن خالد الخياط قال ثنا داود بن قيس عن زيد ابن أسلم فى قول الله أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء انك لأنت الحليم الرشيد قال كان مما نهاهم عنه حذف الدراهم أو قال قطع الدراهم الشك من حماد حدثنا سهل بن موسى الرازى قال ثنا ابن أبى فديك عن أبى مودود قال سمعت محمد بن كعب القرظى يقول بلغنى أن قوم شعيب عذبوا فى قطع الدراهم وجدت ذلك فى القرآن أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء حدثنا ابن وكيع قال ثنا زيد بن حباب عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظى قال عذب قوم شعيب فى قطعهم الدراهم فقالوا ياشعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء * قال ثنا حماد بن خالد الخياط عن داود بن قيس عن زيد بن أسلم فى قوله أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء قال كان مما نهاهم عنه حذف الدراهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قالوا ياشعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء قال نهاهم عن قطع الدنانير والدراهم فقالوا انما هى أموالنا نفعل فيها ما نشاء ان شئنا قطعناها وان شئنا حرقناها وان شئنا طرحناها * قال وأخبرنا ابن وهب قال وأخبرنى داود بن قيس المرى أنه سمع زيد ابن أسلم يقول فى قول الله قالوا ياشعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء قال زيد كان من ذلك قطع الدراهم وقوله أصلاتك كان الاعمش يقول فى تأويلها حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن الاعمش فى قوله أصلاتك قال قراءتك وان قال قائل وكيف قيل أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء وانما كان شعيب نهاهم أن يفعلوا فى أموالهم ما قد ذكرت أنه نهاهم عنه فيها قيل ان معنى ذلك بخلاف ما توهمت وقد اختلف أهل العربية فى معنى ذلك فقال بعض البصريين معنى ذلك أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نترك أن نفعل فى أموالنا ما نشاء وليس معناه تأمرك أن نفعل فى أموالنا ما نشاء لانه ليس بذا أمرهم * وقال بعض الكوفيين نحو هذا القول قال وفيها وجه آخر يجعل الامر كالنهى كأنه قال أصلاتك تأمرك بذا وتنهانا عن ذا فهى حينئذ مردودة على ان الاولى منصوبة بقوله تأمرك وأن الثانية منصوبة بعطفها على ما التى فى قوله ما يعبد واذا كان ذلك كذلك كان معنى الكلام أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نترك أن نفعل فى أموالنا ما نشاء وقد ذكر عن بعض القراء أنه قرأه ما تشاء فمن قرأ ذلك كذلك فلا مؤنة فيه وكانت أن الثانية حينئذ معطوفة على أن الاولى وأما قولهم لشعيب انك لأنت الحليم الرشيد فانهم أعداء الله قالوا ذلك له استهزاء به وانما سفهوه وجهلوه بهذا الكلام وبما قلنا من ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج انك لأنت الحليم الرشيد قال يستهزؤن حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انك لأنت الحليم الرشيد المستهزؤن يستهزؤن بانك لأنت الحليم الرشيد * القول

مخصوصة به لقوله من جبال فيها من برد (مسومة) معلمة للعذاب او بياض الظلمة وفى السماء معادنها فى جبال وجرة عن الحسن والسدى عليها أمثال الخواتيم وقال ابن جريج كان عليها سيما لا تشاكل حجارة الارض وقال الربيع مكتوب على كل حجر اسم من رمى به وقال أبو صالح رأيت منها عند أم هانئ حجارة فيها خطوط حمر على هيئة الجزع ومعنى (عند ربك) أى فى خزائنه لا يتصرف فى شئ منها الا هو أو مقرر فى علمه اهلاك من أهلك بكل واحد منها (وما هى) أى تلك الحجارة (من الظالمين) أى من كل ظالم (ببعيد) وهو وعيد لاهل مكة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سأل جبرئيل عن هذا فقال يعنى من ظالمى أمتك ما من ظالم الا وهو بصدد سقوط الحجر عليه ساعة فساعة وقيل أى تلك القرى ليست ببعيدة من ظالمى أهل مكة يمرون بها فى مسايرهم الى الشام وقيل المراد أنها وان كانت فى السماء الا أنها اذا هوت منها فهى أسرع شئ لحوقا بالمرمى فكأنها بمكان قريب والله تعالى أعلم بمراده

﴿والى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان انى أراكم بخير وانى أخاف عليكم عذاب يوم محيط وياقوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ قالوا ياشعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء انك لأنت الحليم الرشيد قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى ورزقنى منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ان أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب﴾

فى

فى تأويل قوله تعالى ﴿قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى ورزقنى منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ان أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب﴾ يقول تعالى ذكره قال شعيب لقومه ياقوم أرأيتم ان كنت على بيان وبرهان من ربى فيما أدعوكم اليه من عبادة الله والبراءة من عبادة الاوثان والاصنام وفيما أنهاكم عنه من افساد المال ورزقنى منه رزقا حسنا يعنى حلالا طيبا وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه يقول وما أريد أن أنهاكم عن أمر ثم أفعل خلافه بل لا أفعل الا ما آمركم به ولا أنتهى الا عما أنهاكم عنه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه يقول لم أكن لأنهاكم عن أمر أركبه أو آتيه ان أريد الا الاصلاح يقول ما أريد فيما آمركم به وأنهاكم عنه الا اصلاحكم واصلاح أمركم ما استطعت يقول ما قدرت على اصلاحه لئلا ينالكم من الله عقوبة منكلة بخلافكم أمره ومعصيتكم رسوله وما توفيقى الا بالله يقول وما اصابتى الحق فى محاولتى اصلاحكم واصلاح أمركم الا بالله فانه هو المعين على ذلك ان لا يعنى عليه لم أصب الحق فيه وقوله عليه توكلت يقول الى الله أفوض أمرى فانه ثقتى وعليه اعتمادى فى أمورى وقوله واليه أنيب واليه أقبل بالطاعة وأرجع بالتوبة كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد واليه أنيب قال أرجع حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد * قال وحدثنا اسحق قال ثنا عبدالله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله واليه أنيب قال أرجع حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله واليه أنيب قال أرجع * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وياقوم لايجرمنكم شقاقى أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أوقوم هود أوقوم صالح وماقوم لوط منكم ببعيد﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل شعيب لقومه وياقوم لا يجرمنكم شقاقى يقول لايحملنكم عداوتى وبغضى وفراق الدين الذى أنا عليه على الاصرار على ما أنتم عليه من الكفر بالله وعبادة الاوثان وبخس الناس فى المكيال والميزان وترك الانابة والتوبة فيصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح من الغرق أوقوم هود من العذاب أوقوم صالح من الرجفة وماقوم لوط الذين ائتفكت بهم الارض منكم ببعيد هلاكهم أفلا تتعظون به وتعتبرون يقول فاعتبروا بهؤلاء واحذروا أن يصيبكم بشقاقى مثل الذى أصابهم كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لايجرمنكم شقاقى يقول لايحملنكم فراقى أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح الآية حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله لايجرمنكم شقاقى يقول لايحملنكم شقاقى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله لايجرمنكم شقاقى قال عداوتى وبغضائى وفراقى حدثنى محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وماقوم لوط منكم ببعيد قال انما كانوا حديثا منهم قريبا (١) يعنى قوم نوح وعاد وثمود وصالح حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وماقوم لوط منكم ببعيد قال انما كانوا حديثى عهد قريب بعد نوح وثمود * قال أبو جعفر وقد يحتمل أن يقال معناه وما دار قوم لوط منكم ببعيد * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربى رحيم ودود﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل شعيب لقومه استغفروا ربكم أيها القوم من ذنوبكم بينكم وبين ربكم التى أنتم عليها مقيمون من عبادة الآلهة والاصنام وبخس الناس

(١) لعله يعنى بعد قوم الخ تأمل كتبه مصححه

ثم توبوا اليه ان ربى رحيم ودود قالوا ياشعيب مانفقه كثيرا مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز قال ياقوم أرهطى أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ان ربى بما تعملون محيط وياقوم اعملوا على مكانتكم انى عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا انى معكم رقيب ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملئه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود وأتبعوا فى هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله من شئ لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة ان أخذه أليم شديد * القراآت انى بالفتح أربكم بالامالة أبو جعفر ونافع وأبو عمرو والبزى وكذلك روى عن أهل مكة انى أخاف شقاقى أن بفتح الياء فيهما أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو صلواتك كامر فى سورة التوبة فى قوله ان صلاتك سكن توفيقى بالفتح أبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر ونافع أرهطى بالفتح أبو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر وأبو عمرو بعدت ثمود بالاظهار ابن كثير وأبو جعفر ونافع وخلف ويعقوب وعاصم غير الاعشى * الوقوف شعيبا ط غيره ط محيط ه مفسدين ه

حقوقهم في المكاييل والموازين ثم توبوا اليه يقول ثم ارجعوا الى طاعته والانتهاء الى أمره ونهيه ان ربي رحيم يقول هو رحيم بمن تاب وأناب اليه أن يعذبه بعد التوبة ودود يقول ذو محبة لمن أناب وتاب اليه يوده ويحبه ⁂ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز﴾ يقول تعالى ذكره قال قوم شعيب لشعيب يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول أي ما نعلم حقيقة كثير مما تقول وتخبرنا به وانا لنراك فينا ضعيفا ذكر أنه كان ضريرا فلذلك قالوا له انا لنراك فينا ضعيفا ذكر من قال ذلك حدثني عبد الأعلى بن واصل قال ثنا أسد بن زيد الجصاص قال أخبرنا شريك عن سالم عن سعيد بن جبير في قوله وانا لنراك فينا ضعيفا قال كان أعمى حدثنا عباس بن أبي طالب قال ثنى ابراهيم بن مهدي المصيصي قال ثنا خلف بن خليفة عن سفيان عن سعيد مثله حدثنا أحمد بن الوليد الرملي قال ثنا ابراهيم بن زياد واسحق بن المنذر وعبد الملك بن زيد قالوا ثنا شريك عن سالم عن سعيد مثله ⁂ قال ثنا عمرو بن عون ومحمد بن الصباح قالا سمعنا شريكا يقول في قوله وانا لنراك فينا ضعيفا قال أعمى حدثنا سعدويه قال ثنا عباد عن شريك عن سالم عن سعيد بن جبير مثله حدثني المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان قوله وانا لنراك فينا ضعيفا قال كان ضعيف البصر قال سفيان وكان يقال له خطيب الانبياء ⁂ قال ثنا الحماني قال ثنا عباد عن شريك عن سالم عن سعيد وانا لنراك فينا ضعيفا قال كان ضرير البصر وقوله ولولا رهطك لرجمناك يقول يقولون ولولا أنك في عشيرتك وقومك لرجمناك يعنون لسببناك وقال بعضهم معناه لقتلناك ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولولا رهطك لرجمناك قال قالوا لولا أن نتقي قومك ورهطك لرجمناك وقوله وما أنت علينا بعزيز يعنون ما أنت ممن يكرم علينا فيعظم علينا اذلاله وهوانه بل ذلك علينا هين ⁂ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ان ربي بما تعملون محيط﴾ يقول تعالى ذكره قال شعيب لقومه يا قوم أعززتم قومكم فكانوا أعز عليكم من الله واستخففتم بربكم فجعلتموه خلف ظهوركم لا تأتمرون لأمره ولا تخافون عقابه ولا تعظمونه حق عظمته يقال للرجل اذا لم يقض حاجة الرجل نبذ حاجته وراء ظهره أي تركها لا يلتفت اليها واذا قضاها قيل جعلها أمامه ونصب عينيه ويقال ظهرت بحاجتي وجعلتها ظهرية أي خلف ظهرك كما قال الشاعر

⁂ وجدنا بني البرصاء من ولد الظهر ⁂

يعني أنهم يظهرون بحوائج الناس فلا يلتفتون اليها ⁂ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا وذلك أن قوم شعيب ورهطه كانوا أعز عليهم من الله وصغر شأن الله عندهم عز ربنا وجل ثناؤه حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس واتخذتموه وراءكم ظهريا قال قفا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا يقول عززتم قومكم وأظهرتم بربكم حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة واتخذتموه وراءكم ظهريا قال لم تراقبوه في شيء انما تراقبون قومي واتخذتموه وراءكم ظهريا يقول عززتم قومكم وأظهرتم بربكم حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة واتخذتموه وراءكم ظهريا قال لم تراقبوه في شيء انما تراقبون قومي واتخذتموه وراءكم ظهريا لا تخافونه حدثنا الحسن

ط الا بالله ط أنيب ه صالح ط ببعيد ه اليه ط ودود ه ضعيفا ج لان لولا للابتداء مع الواو لرجمناك ز لحق النفي وكون الواو للحال أوجه بعزيز ه من الله ط للفصل بين الاستخبار والاخبار واتحاد المقصود وجه الوصل ظهريا ط محيط ه عامل ط تعلمون ه لا كاذب ط للفصل بين الخبر والطلب رقيب ه جاثمين ه لا فيها ط ثمود ه مبين ه لا لتعلق الجار فرعون ج للنفي مع الواو للعطف أو للحال برشيد ه النار ط المورود ه القيامة ط المرفود ه وحصيد ه أمر ربك ج تتبيب ه ظالمة ط شديد ه

⁂ التفسير نقص المكيال يشمل معنيين بأن ينقص في الايفاء من القدر الواجب ويزيد في الاستيفاء على القدر الواجب فيلزم في كلا الحالين نقصان حق الغير ثم علل النهي بقوله (اني أراكم بخير) أي بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف أو بنعمة من الله حقها أن تشكر لتزداد لا أن تكفر فتزال (واني أخاف عليكم) عن ابن عباس أنه فسر الخوف بالعلم وقال آخرون انه الظن الغالب لانه كان يجوز ازدجارهم وانتهاءهم والعذاب المحيط المهلك المستأصل كأنه أحاط بهم بحيث لا ينفلت منهم أحد وزيادة اليوم لاجل المبالغة والاسناد المجازي باعتبار ما هو واقع فيه واشتمل عليه ذلك اليوم قيل هو عذاب الاستئصال في الدنيا وقيل عذاب الآخرة والاظهر العموم قوله (أوفوا المكيال) الى قوله أشياءهم قد مر تفسير مثله في الاعراف وقوله (ولا تعثوا في الارض مفسدين) مضى تفسيره في أوائل البقرة بقي في الآية سؤال وهو أنه سبحانه نهى أولا

ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله أرهطي أعز عليكم من الله قال أعززتم قومكم واغتررتم بربكم سمعت اسحق بن أبي اسرائيل قال قال سفيان واتخذتموه وراءكم ظهريا كما يقول الرجل للرجل خلفت حاجتي خلف ظهرك فاتخذتموه وراءكم ظهريا استخففتم بأمره فاذا أراد الرجل قضاء حاجة صاحبه جعلها أمامه بين يديه ولم يستخف بها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واتخذتموه وراءكم ظهريا قال الظهري الفضل مثل الجمال يخرج معه بابل ظهارية فضل لا يحمل عليها شيئا الا أن يحتاج اليها قال فيقول انما ربكم عندكم مثل هذا ان احتجتم اليه وان لم تحتاجوا اليه فليس بشئ * وقال آخرون معنى ذلك واتخذتم ما جاء به شعيب وراءكم ظهريا فالهاء التي في قوله واتخذتموه على هذا من ذكر ما جاء به شعيب عليه السلام ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد واتخذتموه وراءكم ظهريا قال تركتم ما جاء به شعيب * قال ثنا جعفر بن عون عن سفيان عن جابر عن مجاهد قال نبذوا أمره حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز عن سفيان عن جابر عن مجاهد واتخذتموه وراءكم ظهريا قال نبذتم أمره حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد واتخذتموه وراءكم ظهريا (١) قال هم رهط شعيب تركهم ما جاء به وراء ظهورهم ظهريا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد * قال وحدثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد واتخذتموه وراءكم ظهريا قال استثناؤهم رهط شعيب وتركهم ما جاء به شعيب وراء ظهورهم ظهريا وانما اخترنا القول الذي اخترناه في تأويل ذلك لقرب قوله واتخذتموه وراءكم ظهريا من قوله أرهطي أعز عليكم من الله فكانت الهاء في قوله واتخذتموه بأن تكون من ذكر الله لقرب جوارها منه أشبه وأولى * وقوله ان ربي بما تعملون محيط يقول ان ربي محيط علمه بعملكم فلا يخفى عليه منه شئ وهو مجازيكم على جميعه عاجلا وآجلا ۞ القول في تأويل قوله تعالى {ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون} يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل شعيب لقومه ويا قوم اعملوا على مكانتكم يقول على تمكنكم يقال منه الرجل يعمل على مكينته ومكنته أي على اتئاده ومكن الرجل يمكن مكنا ومكانة ومكانا وكان بعض أهل التأويل يقول في معنى قوله على مكانتكم على منازلكم فمعنى الكلام اذا ويا قوم اعملوا على تمكنكم من العمل الذي تعملونه اني عامل على تؤدة من العمل الذي أعمله سوف تعلمون أينا الجاني على نفسه والمخطئ عليها والمصيب في فعله المحسن الى نفسه ۞ القول في تأويل قوله تعالى {من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا اني معكم رقيب} يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نبيه شعيب لقومه الذي يأتيه منا ومنكم أيها القوم عذاب يخزيه يقول يذله ويهينه ومن هو كاذب يقول ويخزي أيضا الذي هو كاذب في قيله وخبره منا ومنكم وارتقبوا أي انتظروا وتفقدوا من الرقبة يقال منه رقبت فلانا أرقبه رقبة وقوله اني معكم رقيب يقول اني أيضا ذو رقبة لذلك العذاب معكم وناظر اليه عن هو نازل منا ومنكم ۞ القول في تأويل قوله تعالى {ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين} يقول تعالى ذكره ولما جاء قضاؤنا في قوم شعيب بعذابنا نجينا شعيبا رسولنا والذين آمنوا به فصدقوه على ما جاءهم به من عند ربهم مع شعيب من عذابنا الذي بعثنا على قومه برحمة منا له ولمن آمن به واتبعه على ما جاءهم به من عند ربهم وأخذت الذين ظلموا الصيحة من السماء أخمدتهم فأهلكتهم بكفرهم بربهم وقيل ان جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة أخرجت أرواحهم من أجسامهم فأصبحوا في ديارهم

(١) لعله قال استثناؤهم رهط شعيب وتركهم الخ كما في الرواية عقبه تأمل وحرر كتبه مصححه

بعده هو أن النهي عن النقص في المبايعة وان كان يفيد تصريحه تعييرا وتوبيخا لكنه يوهم النهي عن أصل المبايعة فلدفع هذا الخيال أمر بايفاء الكيل ففيه اباحة أصل المبايعة مع التصريح بالنعت المستحسن في العقول لزيادة الترغيب وفيه أيضا فائدة أخرى من قبل تقييد الايفاء بالقسط ليعلم أن ما جاوز العدل ليس بواجب بل هو فضل ومروءة لا تقف عند حد وانما الواجب شئ من الايفاء بقدر ما يخرج عن العهدة بيقين كما أن غسل الوجه لا يحصل باليقين الا عند غسل شئ من الرأس (بقية الله) قيل ثواب الله وقيل طاعته ورضاه كقوله والباقيات الصالحات خير وقيل أي ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم (خير لكم) بشرط أن تؤمنوا لان شيأ من الاعمال لا ينفع مع الكفران كنتم مصدقين لي فيما أنصح لكم ولا ريب أن الامانة تجر الرزق لاعتماد الناس واقبالهم عليه فينفتح له أبواب المكاسب والخيانة تجر الفقر لتنفر الناس عنه وعن معاملته وصحبته قالت المعتزلة في اضافة البقية الى الله دليل على أن الحرام لا يسمى رزق الله وقرئ تقية الله بالتاء الفوقانية أي اتقاؤه الصارف عن المعاصي والقبائح (وما أنا عليكم بحفيظ أحفظ) أعمالكم لاجازيكم انما أنا مبلغ ناصح وقد أعذر من أنذر قوله (أصلاتك) قيل أي دينك واعانك لان الصلاة عماد الدين فعبر عن الشئ باسم معظم أركانه وقيل المراد الاتباع لانه أصل الصلاة ومنه المصلي للذي يتلو السابق والمعنى دينك أي اتباعه يأمرك بذلك والاظهر أن المراد به الاعمال المخصوصة

جاثمين على ركبهم وصرعى بأفنيتهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (كأن لم يغنوا فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود) يقول تعالى ذكره كأن لم يعش قوم شعيب الذين أهلكهم الله بعذابه حين أصبحوا جاثمين في ديارهم قبل ذلك ولم يغنوا من قولهم غنيت بمكان كذا اذا أقمت به ومنه قول النابغة

غنيت بذلك اذ هم لي جيرة * منها بعطف رسالة وتودد

وكما حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله كأن لم يغنوا فيها قال يقول كأن لم يعيشوا فيها حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مثله وقوله ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود يقول تعالى ذكره ألا أبعد الله مدين من رحمته باحلال نقمته بهم كما بعدت ثمود يقول كما بعدت من قبلهم ثمود من رحمته بانزال سخطه بهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملئه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد) يقول تعالى ذكره ولقد أرسلنا موسى بأدلتنا على توحيدنا وحجة تبين لمن عاينها وتأملها بقلب صحيح أنها تدل على توحيد الله وكذب كل من ادعى الربوبية دونه وبطول قول من أشرك معه في الالوهة غيره الى فرعون وملئه يعني الى أشراف جنده وتباعه فاتبعوا أمر فرعون يقول فكذب فرعون وملؤه موسى وجحدوا وحدانية الله وأبوا قبول ما أتاهم به موسى من عند الله واتبع ملأ فرعون أمر فرعون دون أمر الله وأطاعوه في تكذيب موسى ورد ما جاءهم به من عند الله عليه يقول الله تعالى ذكره وما أمر فرعون برشيد يعني أنه لا يرشد أمر فرعون من قبله في تكذيب موسى الى خير ولا يهديه الى صلاح بل يورده نار جهنم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود) يقول تعالى ذكره يقدم فرعون قومه يوم القيامة يقودهم فيمضي بهم الى النار حتى يوردهموها ويصليهم سعيرها وبئس الورد يقول وبئس الورد الذي يردونه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة يقدم قومه يوم القيامة قال فرعون يقدم قومه يوم القيامة يمضي بين أيديهم حتى يهجم بهم على النار حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يقدم قومه يوم القيامة يقول يقود قومه فأوردهم النار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله يقدم قومه يوم القيامة يقول أضلهم فأوردهم النار حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عمن سمع ابن عباس يقول في قوله فأوردهم النار قال الورد الدخول حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله فأوردهم النار كان ابن عباس يقول الورد في القرآن أربعة أوراد في هود قوله وبئس الورد المورود وفي مريم وان منكم الا واردها وورد في الانبياء حصب جهنم أنتم لها واردون وورد في مريم أيضا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا كان ابن عباس يقول كل هذا الدخول والله ليردن جهنم كل بر وفاجر ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود) يقول الله تعالى ذكره وأتبعهم الله في هذه يعني في هذه الدنيا مع العذاب الذي عجله لهم فيها من الغرق في البحر لعنته ويوم القيامة يقول وفي يوم القيامة أيضا يلعنون لعنة أخرى كما حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة قال لعنة أخرى حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح

يروى أن شعيبا عليه السلام كان كثير الصلاة فكان قومه اذا رأوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا بقولهم أصلاتك تأمرك السخرية والهزء فكأن الصلاة التي يداوم عليها ليلا ونهارا هي من باب الجنون والوساوس ومعنى تأمرك أن نترك تأمرك بتكليف أن نترك على حذف المضاف لان الانسان لا يؤمر بفعل غيره وقوله (أو أن نفعل) معطوف على ما في ما يعبد أي تأمرك صلاتك بترك ما عبد آباؤنا وبترك أن نفعل (في أموالنا ما نشاء) روي أنه كان ينهاهم عن قطع أطراف الدراهم كما كان يأمرهم بترك التطفيف والاقتناع بالحلال القليل من الحرام الكثير (انك لأنت الحليم الرشيد) قيل انه مجاز والمراد نسبته الى غاية السفاهة والغواية فعكسوا تهكما به وقيل حقيقة وانه كان معروفا فيهم بينهم بالحلم والرشد فكأنهم قالوا له انك المعروف بهذه السيرة فكيف تنهانا عن دين ألفناه وسيرة تعودناها ثم أشار عليه السلام الى ما آتاه الله من العلم والهداية والنبوة والكرامة والرزق الحلال الحاصل من غير بخس ولا تطفيف وجواب الشرط محذوف اكتفي عنه عما ذكر في قصتي نوح وصالح والمعنى أرأيتم ان كنت على حجة واضحة ويقين من ربي وقد آتاني بعد هذه السعادات الروحانية السعادات الدنيوية من الخيرات والمنافع الجليلة هل يسعني مع هذه الا كرامات أن أخون في وحيه ولا آمركم بترك الشرك وبفعل الطاعة والانبياء لا يبعثون الا لذلك (وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه) يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وأنت مول عنه والمعنى لا أجعل فعلي مخالفا لقولي فلا أسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها (ان أريد الا الاصلاح) الا أن

عن مجاهد وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة قال زيدوا بلعنته لعنة أخرى فتلك لعنتان حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود اللعنة في أثر اللعنة * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة قال زيدوا لعنة أخرى فتلك لعنتان حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في هذه قال في الدنيا ويوم القيامة أردفوا بلعنة أخرى زيدوها فتلك لعنتان وقوله بئس الرفد المرفود يقول بئس العون المعان اللعنة المزيدة فيها أخرى منها وأصل الرفد العون يقال منه رفد فلان فلانا عند الامير يرفده رفدا بكسر الراء واذا فتحت فهو السقي في القدح العظيم والرفد القدح الضخم ومنه قول الاعشى

رب رفد هرقته ذلك اليو * م وأسرى من معشر أقيال

ويقال رفد فلان حائطه وذلك اذا أسنده بخشبة لئلا يسقط والرفد بفتح الراء المصدر يقال منه رفده يرفده رفدا والرفد اسم الشئ الذي يعطاه الانسان وهو المرفد وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله بئس الرفد المرفود قال لعنة الدنيا والآخرة حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة بئس الرفد المرفود قال لعنهم الله في الدنيا وزيد لهم فيها اللعنة في الآخرة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ويوم القيامة بئس الرفد المرفود قال لعنة في الدنيا وزيدوا فيها لعنة في الآخرة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود يقول ترادفت عليهم اللعنتان من الله لعنة في الدنيا ولعنة في الآخرة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد عن جويبر عن الضحاك قال أصابتهم لعنتان في الدنيا رفدت احداهما الاخرى وهو قوله ويوم القيامة بئس الرفد المرفود ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم هذا القصص الذي ذكرناه لك في هذه السورة والنبأ الذي أنبأناكه فيها من أخبار القرى التي أهلكنا أهلها بكفرهم بالله وتكذيبهم رسله نقصه عليك فنخبرك به منها قائم يقول (١) منها بنيانه بائد بأهله هالك ومنها قائم بنيانه عامر ومنها حصيد بنيانه خراب متداع قد تعفى أثره دارس من قولهم زرع حصيد اذا كان قد استؤصل قطعه وانما هو محصود ولكنه صرف الى فعيل كما قد بينا في نظائره . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد يعني بالقائم قرى عامرة والحصيد قرى خامدة حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قائم وحصيد قال قائم على عروشها وحصيد مستأصلة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة منها قائم يرى مكانه وحصيد لا يرى له أثر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج منها قائم قال خاو على عروشه وحصيد ملزق بالارض حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن سفيان عن الاعمش منها قائم وحصيد قال خرب بنيانه حدثنا الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن الاعمش منها قائم وحصيد قال الحصيد ما قد خرب بنيانه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله منها قائم وحصيد منها قائم يرى أثره وحصيد بائد لا يرى أثره ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم

(١) لعل فيه زيادة من الناسخ تأمل

استطاعتي لاصلاحكم أو بدل من الاصلاح أي المقدار الذي استطعته منه أو المضاف محذوف أي الا الاصلاح اصلاح ما استطعت أو مفعولا للاصلاح فقد يعمل المصدر المعرف كقوله * ضعيف النكاية أعداءه * أي الا أن أصلح ما استطعت اصلاحه من فاسدكم ثم بين أن كل ما يأتي ويذر فوقوعه بتسهيل الله وتأييده فقال (وما توفيقي الا بالله) والتوفيق أن توافق ارادة العبد ارادة الله تعالى (عليه توكلت) أخصه بتفويض الامور اليه لانه مبدأ المبادئ (واليه أنيب) لانه المعاد الحقيقي وفي ضمنه تهديد للكفار وحسم لأطماعهم منه ثم أوعدهم بقوله (لا يجرمنكم شقاقي) لا يكسبنكم خلافي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح) من الغرق (أو قوم هود) من الريح العقيم (أو قوم صالح) من الصيحة (وما قوم لوط منكم ببعيد) لم يقل ببعيدة حملا على لفظ القوم لانه مؤنث ولا ببعيدين حملا على معناه ولكنه على تقدير مضاف أي وما اهلاكهم ببعيد لانهم أهلكوا في عهد قريب من عهدكم أو المراد وما هم بشئ بعيد أو بزمان أو مكان بعيد ويجوز أن يسوى في بعيد وقريب وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي هي الصهيل والنهيق ونحوهما (ان ربي رحيم ودود) يجوز أن يكون بمعنى فاعل أو مفعول كقوله يحبهم ويحبونه وهذا حث لهم على الاستغفار والتوبة وتنبيه على أن سبق الكفر والمعصية لا ينبغي أن يمنعهم عن الايمان والطاعة ولما بالغ خطيب الانبياء في التقرير والبيان (قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول) بما لقلة الرغبة أو قالوا تهكما واستهانة كما يقول الرجل

التى يدعون من دون الله من شئ لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب) يقول تعالى ذكره وما
عاقبنا أهل هذه القرى التى اقتصصنا نبأها عليك يا محمد بغير استحقاق منهم عقوبتنا فنكون بذلك
قد وضعنا عقوبتنا اياهم فى غير موضعها ولكن ظلموا أنفسهم يقول ولكنهم أوجبوا لانفسهم
بمعصيتهم الله وكفرهم به عقوبته وعذابه فأحلوا بها مالم يكن لهم أن يحلوه بها وأوجبوا لها مالم يكن
لهم أن يوجبوه لها فما أغنت عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله من شئ يقول فما دفعت عنهم
آلهتهم التى يدعونها من دون الله ويدعونها أربابا من عقاب الله وعذابه اذا أحله بهم ربهم من شئ
ولا ردت عنهم شيأ منه لما جاء أمر ربك يا محمد يقول لما جاء قضاء ربك بعذابهم فحق عليهم عقابه ونزل
بهم سخطه وما زادوهم غير تتبيب يقول وما زادتهم آلهتهم عند مجئ أمر ربك هؤلاء المشركين بعقاب
الله غير تخسير وتدمير واهلاك يقال منه تببته أتببه تتبيبا ومنه قولهم للرجل تبالك قال جرير

عرابة من بقية قوم لوط * ألا تبا لما فعلوا تبابا

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا سعيد بن
سلام أبو الحسن البصرى قال ثنا سفيان عن نسير بن ذعلوق عن ابن عمر فى قوله وما زادوهم غير
تتبيب قال غير تخسير حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح
عن مجاهد غير تتبيب قال تخسير حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى
نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة غير تتبيب يقول غير
تخسير حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة غير تتبيب قال غير
تخسير وهذا الخبر من الله تعالى ذكره وان كان خبرا عمن مضى من الامم قبلنا فانه وعيد من الله جل
ثناؤه لنا أيتها الامة أنا ان سلكنا سبيل الامم قبلنا فى الخلاف عليه وعلى رسوله سلك بنا سبيلهم فى
العقوبة واعلام منه لنا أنه لا يظلم أحدا من خلقه وأن العباد هم الذين يظلمون أنفسهم كما حدثنى
يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال اعتذر يعنى ربنا جل ثناؤه الى خلقه فقال وما
ظلمناهم مما ذكرنا لك من عذاب من عذبنا من الامم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم حتى
بلغ وما زادوهم غير تتبيب قال ما زادهم الذين كانوا يعبدونهم غير تتبيب * القول فى تأويل قوله
تعالى (وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة ان أخذه أليم شديد) يقول تعالى ذكره وكما
أخذت أيها الناس أهل هذه القرى التى اقتصصت عليك نبأ أهلها بما أخذتهم به من العذاب على
خلافهم أمرى وتكذيبهم رسلى وجحودهم آياتى فكذلك أخذى القرى وأهلها اذا أخذتهم بعقابى
وهم ظلمة لانفسهم بكفرهم بالله واشراكهم به غيره وتكذيبهم رسله ان أخذه أليم يقول ان أخذ
ربكم بالعقاب من أخذه أليم يقول موجع شديد الايجاع وهذا أمر من الله تحذير لهذه الأمة أن
يسلكوا فى معصيته طريق من قبلهم من الامم الفاجرة فيحل بهم ما حل بهم من المثلات كما حدثنا
أبو كريب قال ثنا أبو معاوية عن بريد بن أبى بردة عن أبيه عن أبى موسى قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله يملى وربما قال يمهل الظالم حتى اذا أخذه لم يفلته ثم قرأ وكذلك أخذ ربك
اذا أخذ القرى وهى ظالمة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ان الله حذر هذه
الامة سطوته بقوله وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة ان أخذه أليم شديد وكان عاصم
الجحدرى يقرأ ذلك وكذلك أخذ ربك اذ أخذ القرى وهى ظالمة وذلك قراءة لا أستجيز القراءة بها
لخلافها مصاحف المسلمين وما عليه قراء الامصار * القول فى تأويل قوله تعالى (ان فى ذلك
لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) يقول تعالى ذكره ان فى
أخذنا من أخذنا من أهل القرى التى اقتصصنا خبرها عليكم أيها الناس لآية يقول لعبرة وعظة لمن

خاف

لصاحبه اذا لم يعبأ بحديثه ما أدرى ما تقول كأنهم جعلوا كلامه تخليطا وهذيانا لا ينفعهم كثير منه
وقيل لانه كان ألثغ (وانا لنراك فينا
ضعيفا) عن الحسن مهينا أى لا عزة
لك فيما بيننا ولا قوة فلا تقدر على
الامتناع منا ان أردنا بك مكروها
وفسر بعضهم الضعيف بالاعمى
لان العمى سبب الضعف أو لانه لغة
حمير وزيف هذا القول أما عند
من جوز العمى على الانبياء فلان
لفظة فينا يأباه لأن الاعمى فيهم وفى
غيرهم وأما عند من لا يجوزه
كبعض المعتزلة فلأن الاعمى لا يمكنه
الاحتراز من النجاسات وأنه يخل
بجواز كونه حاكما وشاهدا فلأن
يمنع من النبوة كان أولى ثم ذكروا
أنهم انما لم يوقعوا به المكروه ولم
يوقعوا به الشر لاجل رهطه والرهط
من الثلاثة الى العشرة وقيل الى
السبعة والرجم شر القتل وهو الرمى
بالحجارة أو المراد الطرد والابعاد
ومنه الشيطان الرجيم ثم أكدوا
المذكور بقولهم (وما أنت علينا
بعزيز) وانما العزيز علينا رهطك
لا خوفا من شوكتهم ولكن لانهم
من أهل ديننا فالكلام واقع فى
فاعل العز لا فى الفعل وهو العز
ولذلك قال فى جوابهم (أرهطى أعز
عليكم من الله) ولو قيل وما عززت
علينا لم يصح هذا الجواب وانما
قيل أعز عليكم منى ايذانا بأن
التهاون بنبى الله كالتهاون بالله
كقوله من يطع الرسول فقد أطاع
الله (واتخذتموه) أى أمر الله أو
ما جئت به (وراءكم ظهريا) منسوب
الى الظهر والكسر من تغييرات
النسب أى جعلتموه كالشئ المنبوذ
وراء الظهر غير ملتفت اليه ثم
وصف الله تعالى بما يتضمن الوعيد
فى حقهم فقال (ان ربى بما تعملون محيط) ثم زاد فى الوعيد والتهديد بقوله (اعملوا على مكانتكم) وقدمر

خاف عقاب الله وعذابه فى الآخرة من عباده وحجة عليه لربه وزاجرا يزجره عن أن يعصى الله ويخالفه فيما أمره ونهاه وقيل بل معنى ذلك ان فيه عبرة لمن خاف عذاب الآخرة بان الله سيفى له بوعده ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان فى ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة انا سوف نفى لهم بما وعدناهم فى الآخرة كما وفينا للانبياء أنا ننصرهم وقوله ذلك يوم مجموع له الناس يقول تعالى ذكره هذا اليوم يعنى يوم القيامة يوم مجموع له الناس يقول يحشر الله له الناس من قبورهم فيجمعهم فيه للجزاء والثواب والعقاب وذلك يوم مشهود يقول وهو يوم تشهده الخلائق لا يتخلف منهم أحد فينتقم حينئذ ممن عصى الله وخالف أمره وكذب رسله * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم عن أبى بشر عن مجاهد فى قوله ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود قال يوم القيامة حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم عن أبى بشر عن عكرمة مثله حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن شعبة عن على بن زيد عن يوسف المكى عن ابن عباس قال الشاهد محمد والمشهود يوم القيامة ثم قرأ ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن على بن زيد عن ابن عباس قال الشاهد محمد والمشهود يوم القيامة ثم تلا هذه الآية ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود حدثت عن المسيب عن جويبر عن الضحاك قوله ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود قال ذلك يوم القيامة يجتمع فيه الخلق كلهم ويشهده أهل السماء وأهل الارض ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وما نؤخره الا لأجل معدود) يقول تعالى ذكره وما نؤخر يوم القيامة عنكم أن نجيئكم به إلا لأن يقضى فقضى له أجلا فعده وأحصاه فلا يأتى الا لأجله ذلك لا يتقدم مجيئه قبل ذلك ولا يتأخر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقى وسعيد فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد) يقول تعالى ذكره يوم يأتى يوم القيامة أيها الناس وتقوم الساعة لا تكلم نفس الا باذن ربها . واختلفت القراء فى قراءة قوله يوم يأتى فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة باثبات الياء فيها يوم يأتى لا تكلم نفس وقرأ ذلك بعض قراء أهل البصرة وبعض الكوفيين باثبات الياء فيها فى الوصل وحذفها فى الوقف وقرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة بحذف الياء فى الوصل والوقف يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه . والصواب من القراءة فى ذلك عندى يوم يأت بحذف الياء فى الوصل والوقف اتباعا لخط المصحف وانها لغة معروفة لهذيل تقول ما أدر ما تقول ومنه قول الشاعر

كفاك كف ما تليق درهما جودا وأخرى تعط بالسيف الدما

وقيل لا تكلم وانما هى لا تتكلم فحذف احدى التاءين اجتزاء بدلالة الباقية منهما عليها وقوله فمنهم شقى وسعيد يقول فمن هذه النفوس التى لا تكلم يوم القيامة الا باذن ربها شقى وسعيد وعاد على النفس وهى فى اللفظ واحدة بذكر الجميع فى قوله فمنهم شقى وسعيد يقول تعالى ذكره فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وهو أول نهاق الحمار وشبهه وشهيق وهو آخر نهيقه اذا ردده فى الجوف عند فراغه من نهاقه كما قال رؤبة بن العجاج

حشرج فى الجوف سحيلا أو شهق حتى يقال ناهق وما نهق

. وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا

تفسير مثله فى الانعام قال فى الكشاف الاستئناف يعنى فى (سوف تعلمون) وصل خفى (٦٩) تقديرى وانه أقوى من الوصل بالفاء وهو باب من أبواب علم البيان تتكاثر محاسنه ثم بالغ فى التهديد بقوله (وارتقبوا) انتظروا عاقبة الشقاق (انى معكم رقيب) راقب كالضريب بمعنى الضارب أو مراقب كالعشير والنديم أو مرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع وباقى القصة على قياس قصة صالح وأخذ الصيحة وأخذت الصيحة كلتا العبارتين فصيحة لمكان الفاصل الا أنه لما جاء فى قصة شعيب مرة الرجفة ومرة الظلة ومرة الصيحة ازداد التأنيث حسنا بخلاف قصة صالح وانما دعا عليهم بقوله (كما بعدت ثمود) لما روى الكلبى عن ابن عباس قال لم يعذب الله أمتين بعذاب واحد الا قوم شعيب وقوم صالح فأما قوم صالح فأخذتهم الصيحة من تحتهم وأما قوم شعيب فأخذتهم من فوقهم قوله سبحانه (بآياتنا وسلطان مبين) قال فى التفسير الكبير الآيات اسم للقدر المشترك بين العلامات المفيدة للظن وبين الدلائل التى تفيد اليقين والسلطان اسم لما يفيد القطع وان لم يتأكد بالحس والسلطان المبين مخصوص بالدليل القاطع الذى يعضده الحس وقال فى الكشاف يجوز أن يراد ان الآيات فيها سلطان مبين لموسى على صدق نبوته وأن يراد بالسلطان المبين العصا لانها أبهرها وقوله (الى فرعون) متعلق بأرسلنا (فاتبعوا أمر فرعون) أى شأنه وطريقه أو أمره اياهم بالكفر والجحود وتكذيب موسى (وما أمر فرعون برشيد) أى ليس فى أمره رشد انما فيه غى وضلال وفيه تعريض أن الرشد والحق فى أمر موسى ثم ان قومه عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس فى أمره رشد قط فلا جرم كما كان فرعون قدوة لهم فى الضلال فكذلك

مهم أي يتقدمهم يوم القيامة الى النار وهم (٧٠) على أثره ويجوز أن يراد بالرشد الاحماد وحسن العاقبة فيكون المعنى وما

أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله لهم فيها زفير وشهيق يقول صوت شديد وصوت ضعيف * قال ثنا إسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن أبي العالية في قوله لهم فيها زفير وشهيق قال الزفير في الحلق والشهيق في الصدر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي العالية بنحوه حدثني المثنى قال ثنا إسحق قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال صوت الكافر في النار صوت الحمار أوله زفير وآخره شهيق حدثنا أبو هشام الرفاعي ومحمد بن معمر البحراني ومحمد بن المثنى ومحمد بن بشار قالوا ثنا أبو عامر قال ثنا سليمن بن سفيان قال ثنا عبد الله بن دينار عن ابن عمر عن عمر قال لما نزلت هذه الآية فمنهم شقي وسعيد سألت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا نبي الله فعلام نعمل على شيء قد فرغ منه أم على شيء لم يفرغ منه قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم على شيء قد فرغ منه يا عمر وجرت به الاقلام ولكن كل ميسر لما خلق له اللفظ لحديث ابن معمر وقوله خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد يعني تعالى ذكره بقوله خالدين فيها لابثين فيها ويعني بقوله ما دامت السموات والارض أبدا وذلك أن العرب اذا أرادت أن تصف الشيء بالدوام أبدا قالت هذا دائم دوام السموات والارض بمعنى أنه دائم أبدا وكذلك يقولون هو باق ما اختلف الليل والنهار وما سمر ابنا سمير وما لألأت العفر بأذنابها يعنون بذلك كله أبدا فخاطبهم جل ثناؤه بما يتعارفون به بينهم فقال خالدين فيها ما دامت السموات والارض والمعنى في ذلك خالدين فيها أبدا وكان ابن زيد يقول في ذلك بنحو ما قلنا فيه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله خالدين فيها ما دامت السموات والارض قال ما دامت الارض أرضا والسماء سماء ثم قال الا ما شاء ربك واختلف أهل العلم والتأويل في معنى ذلك فقال بعضهم هذا استثناء استثناه الله في أهل التوحيد أنه يخرجهم من النار اذا شاء بعد أن أدخلهم النار ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك قال الله أعلم بثنياه وذكر لنا أن ناسا يصيبهم سفع من النار بذنوب أصابوها ثم يدخلهم الجنة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك والله أعلم بثنيته ذكر لنا أن ناسا يصيبهم سفع من النار بذنوب أصابتهم ثم يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته يقال لهم الجهنميون حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا شيبان بن فروخ قال ثنا أبو هلال قال ثنا قتادة وتلا هذه الآية فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق الى قوله لما يريد فقال عند ذلك ثنا أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يخرج قوم من النار قال قتادة ولا نقول مثل ما يقول أهل حروراء حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن أبي مالك يعني ثعلبة عن أبي سنان في قوله فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك قال استثناء في أهل التوحيد حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الضحاك بن مزاحم فأما الذين شقوا ففي النار الى قوله خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك قال يخرج قوم من النار فيدخلون الجنة فهم الذين استثنى لهم حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن عامر بن جشب عن خالد بن معدان في قوله لابثين فيها أحقابا وقوله خالدين فيها الا ما شاء ربك أنهما في أهل التوحيد * وقال آخرون الاستثناء في هذه الآية في أهل التوحيد الا أنهم قالوا معنى قوله الا ما شاء ربك الا أن يشاء ربك أن يتجاوز عنهم فلا يدخلهم النار ووجهوا الاستثناء

رعون بحميد العاقبة ثم فسره
(يقدم قومه) أي كيف يرشد
من هذه عاقبته ويقال قدمه
مه بالتخفيف والتشديد بمعنى
مه ومنه مقدمة الجيش ومثله
م ومنه مقدم العين وانما قال
ردهم) بلفظ الماضي تحقيقا
رع والورد المورود والذي ورده
رعون عن يتقدم الواردة الى
وشبه أتباعه بالواردة ثم نعى
م بقوله (وبئس الورد) الذي
نه النار لان الورد انما يراد
كين العطش وتبريد الاكباد
رضده وتذكير بئس لتذكير
وان كان هو عبارة عن النار
ك نعم المنزل دارك ولو قلت نعمت
ظرا الى الدار وفي تشبيه النار
نوع تهكم بهم (وأتبعوا في هذه)
صفته في هذه الآية اكتفاء
في قصة عاد و (بئس الرفد
رد) أي بئس العطاء المعطى
وقيل الرفد العون والمرفود
ن وذلك أن اللعنة في الدنيا
أي أعينت وأمدت باللعنة
لآخرة قال قتادة ترادفت
لعنتان لعنة من الله والملائكة
عنين في الدنيا ولعنة في الآخرة
) الذي ذكرنا أو ذلك النبأ بعض
القرى) المهلكة (نقصه عليك)
بعد خبر ثم استأنف فقال (منها
حصيد) أي ومنها حصيد
د بعضها باق كالزرع القائم
ساقه وبعضها عافي الاثر كالزرع
سود (وما ظلمناهم) باهلاكنا
م (ولكن ظلموا أنفسهم)
كاب ما به أهلكوا عن ابن
وما نقصناهم في الدنيا من

م والرزق ولكن نقصوا حظ أنفسهم حيث استخفوا بحقوق الله (فما أغنت) فما قدرت أن ترد (عنهم آلهتهم التي الى

الى أنه من قوله فأما الذين شقوا ففي النار الا ما شاء ربك لا من الخلود ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال ثنا ابن التيمي عن أبيه عن أبي نضرة عن جابر أو أبي سعيد يعني الخدري أو عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد قال هذه الآية تأتي على القرآن كله يقول حيث كان في القرآن خالدين فيها تأتي عليه * قال وسمعت أبا مجلز يقول هو جزاؤه فان شاء الله تجاوز عن عذابه * وقال آخرون عني بذلك أهل النار وكل من دخلها ذكر من قال ذلك حدثت عن المسيب عمن ذكره عن ابن عباس خالدين فيها ما دامت السموات والارض لا يموتون ولا هم منها يخرجون ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك قال استثناء الله قال يأمر النار أن تأكلهم قال وقال ابن مسعود ليأتين على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابا حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن بيان عن الشعبي قال جهنم أسرع الدارين عمرانا وأسرعهما خرابا * وقال آخرون أخبرنا الله بمشيئته لأهل الجنة فعرفنا معنى ثنياه بقوله عطاء غير مجذوذ أنها في الزيادة على مقدار مدة السموات والارض قال ولم يخبرنا بمشيئته في أهل النار وجائز أن تكون مشيئته في الزيادة وجائز أن تكون في النقصان ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك فقرأ حتى بلغ عطاء غير مجذوذ قال وأخبرنا بالذي يشاء لاهل الجنة فقال عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذي يشاء لأهل النار * وأولى هذه الاقوال في تأويل هذه الآية بالصواب القول الذي ذكرنا عن قتادة والضحاك من أن ذلك استثناء في أهل التوحيد من أهل الكبائر أنه يدخلهم النار خالدين فيها أبدا الا ما شاء من تركهم فيها أقل من ذلك ثم يخرجهم فيدخلهم الجنة كما قد بينا في غير هذا الموضع بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وانما قلنا ذلك أولى الاقوال بالصحة في ذلك لان الله جل ثناؤه أوعد أهل الشرك به الخلود في النار وتظاهرت بذلك الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فغير جائز أن يكون استثناء في أهل الشرك وأن الاخبار قد تواترت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله يدخل قوما من أهل الايمان به بذنوب أصابوها النار ثم يخرجهم منها فيدخلهم الجنة فغير جائز أن يكون ذلك استثناء في أهل التوحيد قبل دخولها مع صحة الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ذكرنا وأنا ان جعلناه استثناء في ذلك كنا قد دخلنا في قول من يقول لا يدخل الجنة فاسق ولا النار مؤمن وذلك خلاف مذاهب أهل العلم وما جاءت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فسد هذان الوجهان فلا قول قال به القدوة من أهل العلم الا الثالث ولأهل العربية في ذلك مذهب غير ذلك سنذكره بعد ونبينه ان شاء الله تعالى وقوله ان ربك فعال لما يريد يقول تعالى ذكره ان ربك يا محمد لا يمنعه مانع من فعل ما أراد فعله بمن عصاه وخالف أمره من الانتقام منه ولكنه يفعل ما يشاء فيمضي فعله فيهم وفيمن شاء من خلقه فعله وقضاءه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ﴾ اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والحجاز والبصرة وبعض الكوفيين وأما الذين سعدوا بفتح السين وقرأ ذلك جماعة من قراء الكوفة وأما الذين سعدوا بضم السين بمعنى رزقوا السعادة * والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب فان قال قائل وكيف قيل سعدوا فيما لم يسم فاعله ولم يقل أسعدوا وأنت لا تقول في الخبر فيما سمي فاعله سعده الله بل انما تقول أسعده الله قيل ذلك نظير قولهم هو مجنون محبوب فيما لم يسم فاعله فاذا سموا فاعله قيل أجنه الله وأحبه والعرب تفعل ذلك كثيرا وقد بينا

يدعون) يعبدون وهي حكاية حال ماضية بأس الله حين جاء (وما زادوهم) يعني آلهتهم (غير تتبيب) تخسير تب خسر وتببه غيره أوقعه في الخسران كانوا يعتقدون في الأصنام أنها تعين في الدنيا على تحصيل المنافع ودفع المضار وستنفعهم عند الله في الآخرة فلم تنفعهم في الدنيا حين جاءهم عذاب الله وسيورثهم ذلك الاعتقاد عذاب النار في الآخرة فهم في خسران الدارين ثم بين أن عذابه غير مقصور على أولئك الأقوام ولكنه يعم كل ظالم سيوجد فقال (وكذلك) أي مثل ذلك الاخذ (أخذ ربك) فالأخذ مبتدأ وكذلك خبره وقوله (وهي ظالمة) حال من القرى باعتبار أهلها (ان أخذه أليم شديد) وجيع صعب على المأخوذ وهو تحذير من وخامة عاقبة كل ظلم على الغير أو على النفس فعلى العاقل أن يبادر الى التوبة ولا يغتر بالامهال ۞ التأويل ولا تنقصوا مكيال المحبة وميزان الطلب فمكيال المحبة عداوة ما سوى الله وميزان الطلب السير على قدمي الشريعة والطريقة اني أراكم بخير هو حسن الاستعداد الفطري واني أخاف عذاب فساد الاستعداد في طلب غير الحق بالقسط في تعظيم أمر الله والشفقة على خلق الله ولا تبخسوا الناس أشياءهم حقوق النصيحة وحسن العشرة في الله ولله ولا تعثوا في أرض وجودكم مفسدين بقية الله بقاؤكم ببقائه خير لكم مما فاتكم بافناء المكيال والميزان ورزقا حسنا نورا تاما أراني به اصلاح الامور والاستعدادات ان ساعد في التوفيق وما معاملة قوم لوط من معاملتكم ببعيد لان الكفر كله ملة واحدة وما أمر فرعون برشيد لأن فرعون النفس أمارة بالسوء اذا أخذ القرى قرى الاجساد منها قائم قابل تدارك ما فات ومنها ما هو محصود بفوات

استعداد والله تعالى أعلم بالصواب

بعض ذلك فيما مضى من كتابنا هذا وتأويل ذلك وأما الذين سعدوا برحمة الله فهم فى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض يقول أبدا الا ماشاء ربك فاختلف أهل التأويل فى معنى ذلك فقال بعضهم الا ماشاء ربك من قدر مامكثوا فى النار قبل دخولهم الجنة قالوا وذلك فيمن أخرج من النار من المؤمنين فأدخل الجنة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد ابن ثور عن معمر عن الضحاك فى قوله وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك قال هو أيضا فى الذين يخرجون من النار فيدخلون الجنة يقول خالدين فى الجنة مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك يقول الا مامكثوا فى النار حتى ادخلوا الجنة * وقال آخرون معنى ذلك الا ماشاء ربك من الزيادة على قدر مدة دوام السموات والارض قالوا وذلك هو الخلود فيها أبدا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن أبى مالك يعنى ثعلبة عن أبى سنان وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك قال ومشيئته خلودهم فيها ثم أتبعها فقال عطاء غير مجذوذ واختلف أهل العربية فى وجه الاستثناء فى هذا الموضع فقال بعضهم فى ذلك معنيان أحدهما أن تجعله استثناء يستثنيه ولا يفعله كقولك والله لاضربنك الا أن أرى غير ذلك وعزمك على ضربه قال فكذلك قال خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك ولا يشاؤه قال والقول الآخر أن العرب اذا استثنت شيأ كثيرا مع مثله ومع ماهو أكثر منه (١) كان معنى الا ومعنى الواو سواء فمن ذلك قوله خالدين فيها مادامت السموات والارض سوى ماشاء الله من زيادة الخلود فيجعل الا مكان سوى فيصلح وكأنه قال خالدين فيها مادامت السموات والارض سوى مازادهم من الخلود والابد ومثله فى الكلام أن تقول لى عليك ألف الا الالفين اللذين قبله قال وهذا أحب الوجهين الى لان الله لا يخلف وعده وقد وصل الاستثناء بقوله عطاء غير مجذوذ فدل على أن الاستثناء لهم فى الخلود غير منقطع عنهم * وقال آخر منهم بنحو هذا القول وقالوا جائز فيه وجه ثالث وهو أن يكون استثنى من خلودهم فى الجنة احتباسهم عنها ما بين الموت والبعث وهو البرزخ الى أن يصيروا الى الجنة ثم هو خلود الابد يقول فلم يغيبوا عن الجنة الا بقدر اقامتهم فى البرزخ * وقال آخر منهم جائز أن يكون دوام السموات والارض بمعنى الابد على ماتعرف العرب وتستعمل وتستثنى المشيئة من دوامها لان أهل الجنة وأهل النار قد كانوا فى وقت من أوقات دوام السموات والارض فى الدنيا لا فى الجنة فكأنه قال خالدين فى الجنة وخالدين فى النار دوام السماء والارض الا ماشاء ربك من تعميرهم فى الدنيا قبل ذلك * وأولى الاقوال فى ذلك عندى بالصواب القول الذى ذكرته عن الضحاك وهو وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك من قدر مكثهم فى النار من لدن دخولها الى أن ادخلوا الجنة وتكون الآية معناها الخصوص لان الاشهر من كلام العرب فى الا توجيهها الى معنى الاستثناء واخراج معنى مابعدها مما قبلها الا أن يكون معها دلالة تدل على خلاف ذلك ولا دلالة فى الكلام أعنى فى قوله الا ماشاء ربك تدل على أن معناها غير معنى الاستثناء المفهوم فى الكلام فيوجه اليه وأما قوله عطاء غير مجذوذ فانه يعنى عطاء من الله غير مقطوع عنهم من قولهم جذذت الشئ أجذه جذا اذا قطعته كما قال النابغة

تجذ السلوقى المضاعف نسجه * ويوقدن بالصفاح نار الحباحب

يعنى بقوله تجذ تقطع * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك عطاء غير مجذوذ قال غير مقطوع حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله عطاء غير مجذوذ يقول غير منقطع حدثنى

لأجل معدود يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقى وسعيد فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والأرض الا ماشاء ربك ان ربك فعال لما يريد وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ فلا تك فى مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم وانهم لفى شك منه مريب وان كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم انه بما يعملون خبير فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين واصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد فى الارض الا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين وقل للذين لا يؤمنون اعملوا

(١) لعل فى العبارة سقطا وتحريفا كما يعلم من بقيتها فتأمل وحرر المنى

المثنى قال ثنا عبدالله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس عطاء غير مجذوذ يقول عطاء غير مقطوع حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مجذوذ قال مقطوع حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبدالله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله عطاء غير مجذوذ قال غير مقطوع * قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله * قال ثنا اسحق قال ثنا عبدالله عن أبيه عن الربيع عن أبي العالية مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * قال ثنى حجاج عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي العالية قوله عطاء غير مجذوذ قال أما هذه فقد أمضاها يقول عطاء غير منقطع حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله عطاء غير مجذوذ غير منزوع منهم ❊ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فلا تك في شك يا محمد مما يعبد هؤلاء المشركون من قومك من الآلهة والاصنام أنه ضلال وباطل وأنه بالله شرك ما يعبد هؤلاء الا كما يعبد آباؤهم من قبل يقول الا كعبادة آبائهم من قبل عبادتهم لها يخبر تعالى ذكره أنهم لم يعبدوا ما عبدوا من الاوثان الا اتباعا منهم منهاج آبائهم واقتفاء منهم آثارهم في عبادتهموها الا عن أمر الله اياهم بذلك ولا بحجة تبينوها توجب عليهم عبادتها ثم أخبر جل ثناؤه نبيه ما هو فاعل بهم لعبادتهم ذلك فقال جل ثناؤه وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص يعني حظهم مما وعدتهم أن أوفيهموه من خير أو شر غير منقوص يقول لا أنقصهم مما وعدتهم بل أتمم ذلك لهم على التمام والكمال كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص قال ما وعدوا فيه من خير أو شر حدثنا أبو كريب ومحمد بن بشار قالا ثنا وكيع عن سفيان عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس مثله الا أن أبا كريب قال في حديثه من خير وشر حدثني المثنى قال أخبرنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن شريك عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص قال ما قدر لهم من الخير والشر حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبدالرزاق قال أخبرنا الثوري عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس في قوله وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص قال ما يصيبهم من خير أو شر حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص قال نصيبهم من العذاب ❊ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب﴾ يقول تعالى ذكره مسليا نبيه في تكذيب مشركي قومه اياه فيما أتاهم به من عند الله بفعل بني اسرائيل بموسى فيما أتاهم به من عند الله يقول له تعالى ذكره ولا يحزنك يا محمد تكذيب هؤلاء المشركين لك وامض لما أمرك به ربك من تبليغ رسالته فان الذي يفعل بك هؤلاء من رد ما جئتهم به عليك من النصيحة من فعل ضربائهم من الامم قبلهم وسنة من سنتهم ثم أخبر جل ثناؤه بما فعل قوم موسى به فقال ولقد آتينا موسى الكتاب يعني التوراة كما آتيناك الفرقان فاختلف في ذلك الكتاب قوم موسى فكذب به بعضهم وصدق به بعضهم كما قد فعل قومك بالفرقان من تصديق بعض به وتكذيب بعض ولولا كلمة سبقت من ربك يقول تعالى ذكره ولولا كلمة سبقت يا محمد من ربك بأنه لا يعجل على خلقه بالعذاب ولكن يتأنى حتى يبلغ الكتاب أجله لقضي بينهم يقول لقضي بين المكذب منهم به والمصدق باهلاك الله

بغافل عما تعملون) ❊ القراآت وما يؤخره بالياء يعقوب والمفضل الباقون بالنون يوم يأتي باثبات الياء في الحال ابن كثير وسهل ويعقوب وافق أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وعلي في الوصل الآخرون بحذف الياء لا تكلم بتشديد التاء البزي وابن فليح سعدوا بضم السين حمزة وعلي وخلف وحفص قيل انه على حذف الهمزة من أسعدوا لان سعد لازم ولكنه قد جاء المسعود الآخرون بفتحها وان كلا بالتخفيف ابن كثير ونافع وأبو بكر وحماد الباقون بالتشديد لما مشددا ابن عامر وعاصم ويزيد وحمزة وكذلك في الطارق الباقون بالتخفيف وزلفا بضمتين يزيد الآخرون بفتح اللام فؤادك وبابه بغير همز الاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف يرجع مجهولا نافع وحفص والمفضل تعملون خطابا وكذلك في آخر النمل أبو جعفر ونافع وابن عامر ويعقوب وحفص الباقون على الغيبة ❊ الوقوف الآخرة ط مشهود ٥ معدود ط باذنه ج لاختلاف الجملتين مع فاء التعقيب وسعيد ٥ شهيق ٥ لا لان ما يتلوه حال والعامل فيه ما في النار من معنى الفعل شاء ربك ط يريد ٥ شاء ربك ط لان التقدير يعطون عطاء مجذوذ ٥ هؤلاء ط من قبل ط منقوص ٥ فاختلف فيه ط بينهم ط مريب ٥ أعمالهم ط خبير ٥ ولا تطغوا ط بصير ٥ النار لا لأن ما بعده من

 تمام جزاء ولا تركنوا تنصرون ٥ من الليل ط السيآت ط للذاكرين ٥ المحسنين ٥

المكذب به منهم والنجاة المصدق به وانهم لفي شك منه مريب يقول وان المكذبين به منهم لفي شك من حقيقته أنه من عند الله مريب يقول يريبهم فلا يدرون أحق هو أم باطل ولكنهم فيه ممترون

القول في تأويل قوله تعالى (وان كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم انه بما يعملون خبير)

اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته جماعة من قراء أهل المدينة والكوفة وانّ مشددة كلا لما مشددة واختلف أهل العربية في معنى ذلك فقال بعض نحويي الكوفيين معناه اذا قرئ كذلك وان كلا لمما ليوفينهم ربك أعمالهم ولكن لما اجتمعت الميمات حذفت واحدة فبقيت ثنتان فأدغمت واحدة في الاخرى كما قال الشاعر

وانى لما أصدر الامر وجهه * اذا هو أعيا بالنبيل مصادره

ثم تخفف كما قرأ بعض القراء والبغي يعظكم يخفف الياء مع الياء وذكر أن الكسائي أنشده

(١) وأشمت الاعداء بنا فأضحوا * لدى يتباشرون بما لقينا

وقال يريد لدىّ يتباشرون بما لقينا فحذف ياء لحركتهن واجتماعهن قال ومثله

كأن من آخرها القادم * مخرم نجد فارع المخارم

وقال أراد الى القادم فحذف اللام عند اللام * وقال آخرون معنى ذلك اذا قرئ كذلك وان كلا شديدا وحقا ليوفينهم ربك أعمالهم قال وانما يراد اذا قرئ ذلك كذلك وان كلا لما بالتشديد والتنوين ولكن قارئ ذلك كذلك حذف منه التنوين فأخرجه على لفظ فعل لما كما فعل ذلك في قوله ثم أرسلنا رسلنا تترى فقرأ تترى بعضهم بالتنوين كما قرأ من قرأ لما بالتنوين وقرأها آخرون بغير تنوين كما قرأ لما بغير تنوين من قرأه وقالوا أصله من اللم من قول الله تعالى وتأكلون التراث أكلا لما يعني أكلا شديدا * وقال آخرون معنى ذلك اذا قرئ كذلك وان كلا الا ليوفينهم كما يقول القائل لقد قمت عنا وبالله الا قمت عنا ووجدت عامة أهل العلم بالعربية ينكرون هذا القول ويأبون أن يكون جائزا توجيه لما الى معنى الا في اليمين خاصة وقالوا لو جاز أن يكون ذلك بمعنى الا جاز أن يقال قام القوم لما أخاك بمعنى الا أخاك ودخولها في كل موضع صلح دخول الا فيه وأنا أرى أن ذلك فاسد من وجه هو أبين مما قاله الذين حكينا قولهم من أهل العربية في فساده وهو أن إن اثبات للشئ وتحقيق له والا أيضا تحقيق أيضا وانما تدخل نقضا لجحد قد تقدمها فاذا كان ذلك معناها فواجب أن تكون عند متأولها التأويل الذي ذكرنا عنه أن تكون ان بمعنى الجحد عنده حتى تكون الا نقضا لها وذلك ان قاله قائل قول لا يخفى جهل قائله اللهم الا أن يخفف قارئ ان فيجعلها بمعنى ان التي تكون بمعنى الجحد وان فعل ذلك فسدت قراءته ذلك كذلك أيضا من وجه آخر وهو أنه يصير حينئذ ناصبا لكل بقوله ليوفينهم وليس في العربية أن ينصب ما بعد الا من الفعل الاسم الذي قبلها لا تقول العرب ما زيدا الا ضربت فيفسد ذلك اذا قرئ كذلك من هذا الوجه الا أن يرفع رافع الكل فيخالف بقراءته ذلك كذلك قراءة القراء وخط مصاحف المسلمين ولا يخرج بذلك من العيب بخروجه من معروف كلام العرب وقد قرأ ذلك بعض قراء الكوفيين وان كلا بتخفيف ان ونصب كلا لما مشددة وزعم بعض أهل العربية أن قارئ ذلك كذلك أراد ان الثقيلة فخففها وذكر عن أبي زيد البصري أنه سمع كأن ثدييه حقان فنصب بكأن والنون مخففة من كأن ومنه قول الشاعر

ووجه مشرق النحر * كأن ثدييه حقان

وقرأ ذلك بعض المدنيين بتخفيف ان ونصب كلا وتخفيف لما وقد يحتمل أن يكون قارئ ذلك

(١) يحرر البيت فانا لم نعثر عليه وكذا ما بعده

اذا التقدير وقد جاءك للمؤمنين ٥ مكانتكم ط عاملون ٥ لا للعطف وانتظروا ج أى فانا منتظرون ط وتوكل عليه ط تعملون ٥ التفسير (ان في ذلك) الذى قصصنا عليك من أحوال الأمم (لآية) لعبرة (لمن خاف) أى لمن هو أهل لأن يخاف (عذاب الآخرة) كقوله هدى للمتقين لأن انتفاعه يعود اليهم قال القفال في تقرير هذا الاعتبار انه اذا علم أن هؤلاء عذبوا على ذنوبهم في الدنيا وهي دار العمل فلأن يعذبوا عليها في الآخرة التي هي دار الجزاء أولى واعترض عليه في التفسير الكبير بأن ظاهر الآية يقتضي أن العلم بأن القيامة حق كالشرط في حصول الاعتبار بظهور عذاب الاستئصال في الدنيا والقفال جعل الامر على العكس قال والأصوب عندي أن هذا تعريض لمن زعم أن الاله العالم موجب بالذات لا فاعل مختار وأن هذه الأحوال التي ظهرت في أيام الانبياء عليهم السلام مثل الغرق والخسف والصيحة انما حدثت بسبب قرانات الكواكب واذا كان كذلك فلا يكون حصولها دليلا على صدق الانبياء عليهم السلام أما الذي يؤمن بالقيامة ويخاف عذابها فيقطع بأن هذه الوقائع ليست بسبب الكواكب واتصالاتها فيستفيد مزيد الخشية والاعتبار أقول وهذا نظر عميق والأظهر ما ذكرت أولا ومثله في القرآن كثير ان في ذلك لعبرة لمن يخشى ان في ذلك لآية لقوم يذكرون ثم لما كان لعذاب الآخرة دلالة على يوم القيامة أشار اليه بقوله (ذلك يوم مجموع) أى يجمع لما فيه من الحساب والثواب والعقاب (الناس) وأوثر اسم

كذلك قصد المعنى الذى حكيناه عن قارئ الكوفة من تخفيفه نون ان وهو يريد تشديدها ويريد بما التى فى لما التى تدخل فى الكلام صلة وأن يكون قصد الى تحميل الكلام معنى وان كلا ليوفينهم ويجوز أن يكون معناه كان فى قراءته ذلك كذلك وان كلا ليوفينهم أى ليوفين كلا فيكون نيته فى نصب كل كانت بقوله ليوفينهم فان كان ذلك أراد ففيه من القبح ما ذكرت من خلافه كلام العرب وذلك أنها لا تنصب بفعل بعد لام اليمين اسما قبلها وقرأ ذلك بعض أهل الحجاز والبصرة وان مشددة كلا لما مخففة ليوفينهم ولهذه القراءة وجهان من المعنى أحدهما أن يكون قارئها أراد وان كلا لمن ليوفينهم ربك أعمالهم فيوجه ما التى فى لما الى معنى من كما قال جل ثناؤه فانكحوا ما طاب لكم من النساء وان كان أكثر استعمال العرب لها فى غير بنى آدم وينوى باللام التى فى لما اللام التى يتلقى بها ان جوابا لها وباللام التى فى قوله ليوفينهم لام اليمين دخلت فيما بين ما وصلتها كما قال جل ثناؤه وان منكم لمن ليبطئن وكما يقال هذا ما لغيره أفضل منه والوجه الآخر أن يجعل ما التى فى لما بمعنى ما التى تدخل صلة فى الكلام واللام التى فيها هى اللام التى يجاب بها واللام التى فى ليوفينهم هى أيضا اللام التى يجاب بها ان كررت وأعيدت اذ كان ذلك موضعها وكانت الاولى مما تدخلها العرب فى غير موضعها ثم تعيدها بعد فى موضعها كما قال الشاعر

فلو أن قومى لم يكونوا أعزة * لبعد لقد لاقيت لا بد مصرعى

وقرأ ذلك الزهرى فيما ذكر عنه وان كلا بتشديدان ولما بتنوينها بمعنى شديدا وحقا وجمعا وأصح هذه القرا آت مخرجا على كلام العرب المستفيض فيهم قراءة من قرأ وان بتشديد نونها كلا لما بتخفيف ما ليوفينهم ربك بمعنى وان كل هؤلاء الذين قصصنا عليك يا محمد قصصهم فى هذه السورة لمن ليوفينهم ربك أعمالهم بالصالح منها بالجزيل من الثواب وبالطالح منها بالشديد من العقاب فتكون ما بمعنى من واللام التى فيها جوابا لان واللام فى قوله ليوفينهم لام قسم وقوله انه بما يعملون خبير يقول تعالى ذكره ان ربك بما يعمل هؤلاء المشركون بالله من قومك يا محمد خبير لا يخفى عليه شئ من عملهم بل يخبر بذلك كله ويعلمه ويحيط به حتى يجازيهم على جميع ذلك جزاءهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاستقم أنت يا محمد على أمر ربك والدين الذى ابتعثك به والدعاء اليه كما أمرك ربك ومن تاب معك يقول ومن رجع معك الى طاعة الله والعمل بما أمره به ربه من بعد كفره ولا تطغوا يقول ولا تعدوا أمره الى ما نهاكم عنه انه بما تعملون بصير يقول ان ربكم أيها الناس بما تعملون من الاعمال كلها طاعتها ومعصيتها بصير ذو علم بها لا يخفى عليه منها شئ وهو لجميعها مبصر يقول تعالى ذكره فاتقوا الله أيها الناس أن يطلع عليكم ربكم وأنتم عاملون بخلاف أمره فانه ذو علم بما تعملون وهو لكم بالمرصاد وكان ابن عيينة يقول فى معنى قوله فاستقم كما أمرت ما حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن سفيان فى قوله فاستقم كما أمرت قال استقم على القرآن حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا تطغوا قال الطغيان خلاف الله وركوب معصيته ذلك الطغيان ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون﴾ يقول تعالى ذكره ولا تميلوا أيها الناس الى قول هؤلاء الذين كفروا بالله فتقبلوا منهم وترضوا أعمالهم فتمسكم النار بفعلكم ذلك وما لكم من دون الله من ناصر ينصركم وولى يليكم ثم لا تنصرون يقول فانكم ان فعلتم ذلك لم ينصركم الله بل يخليكم من نصرته ويسلط

المفعول على فعله لاجل افادة الثبات وأن حشر الاولين والآخرين فيه صفة له لازمة نظيره قول المتهدد انك لمنهوب مالك محروب قومك فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس فى الفعل (وذلك يوم مشهود) أى مشهود فيه الخلائق فاتسع فى الظرف باجرائه مجرى المفعول به والفرق بين هذا الوصف والوصف الاول أن هذا يدل على حضور الناس فيه مع اطلاع البعض منهم على أحوال الباقين من المحاسبة والمساءلة ليس بحيث لا يعرف كل واحد الا واقعة نفسه والجمع المطلق لا يفيد هذا المعنى وانما فسرنا اليوم بأنه مشهود فيه لا أنه مشهود فى نفسه لان سائر الايام تشركه فى كونها مشهودات وانما يحصل التمييز بأنه مشهود فيه دون غيره كما تميز يوم الجمعة عن أيام الاسبوع بكونه مشهودا فيه دونها (وما نؤخره الا) لانتهاء (أجل معدود) أى انقضاء مدة معلومة عند الله ووقوع الجزاء بعدها وفيه فائدتان احداهما أن وقت القيامة متعين لا يتقدم ولا يتأخر والثانية أن ذلك الأجل متناه وكل متناه فانه يفنى لا محالة وكل آت قريب ثم ذكر بعض أهوال ذلك اليوم فقال (يوم يأت) حذف الياء والاكتفاء عنها بالكسرة كثير فى لغة هذيل وفاعل يأتى قيل الله كقوله أو يأتى ربك أى أمره أو حكمه دليله قراءة من قرأ وما يؤخره بالياء وقوله باذنه وقيل المراد الشئ المهيب الهائل المستعظم فحذف ذكره بتعيينه ليكون أقوى فى التخويف وقيل فاعله ضمير اليوم والمراد اتيان هوله وشدائده كيلا يصير اليوم ظرفا لاتيان اليوم وانتصاب يوم بلا تكلم أو باذكر مضمرا أو بالانتهاء المقدر أى ينتهى الاجل يوم يأتى وتاء التأنيث محذوفة من لا تتكلم والآيات الدالة على التكلم فى ذلك اليوم مع الآيات الدالة على نفى التكلم كقوله تعالى يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها وكقوله هذا

عليكم عدوكم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنا معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار يعني الركون الى الشرك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن يمان عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية ولا تركنوا الى الذين ظلموا يقول لا ترضوا أعمالهم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع عن أبي العالية في قوله ولا تركنوا الى الذين ظلموا يقول لا ترضوا أعمالهم يقول الركون الرضا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية ولا تركنوا الى الذين ظلموا قال لا ترضوا أعمالهم فتمسكم النار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ولا تركنوا الى الذين ظلموا قال قال ابن عباس ولا تميلوا الى الذين ظلموا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار يقول لا تلحقوا بالشرك وهو الذي خرجتم منه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار قال الركون الادهان وقرأ ودوا لو تدهن فيدهنون قال تركن اليهم ولا تنكر عليهم الذي قالوا وقد قالوا العظيم من كفرهم بالله وكتابه ورسله قال وانما هذا لاهل الكفر وأهل الشرك وليس لأهل الاسلام أما أهل الذنوب من أهل الاسلام فالله أعلم بذنوبهم وأعمالهم ما ينبغي لأحد أن يصالح على شئ من معاصي الله ولا يركن اليه فيها ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأقم الصلاة يا محمد يعني صل طرفي النهار يعني الغداة والعشي * واختلف أهل التأويل في التي عنيت بهذه الآية من صلوات العشي بعد اجماع جميعهم على أن التي عنيت من صلاة الغداة الفجر فقال بعضهم عنيت بذلك صلاة الظهر والعصر قالوا وهما من صلاة العشي

ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن منصور عن مجاهد أقم الصلاة طرفي النهار قال الفجر وصلاتي العشي يعني الظهر والعصر حدثني المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن منصور عن مجاهد في قوله أقم الصلاة طرفي النهار قال صلاة الفجر وصلاة العشي حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن أفلح بن سعيد قال سمعت محمد بن كعب القرظي يقول أقم الصلاة طرفي النهار قال فطرفا النهار الفجر والظهر والعصر حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو معشر عن محمد بن كعب القرظي أقم الصلاة طرفي النهار قال طرفي النهار الفجر والظهر والعصر حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن ابن مغراء عن جويبر عن الضحاك في قوله أقم الصلاة طرفي النهار قال الفجر والظهر والعصر * وقال آخرون بل عنى بها صلاة المغرب ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله أقم الصلاة طرفي النهار يقول صلاة الغداة وصلاة المغرب حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى عن عوف عن الحسن أقم الصلاة طرفي النهار قال صلاة الغداة والمغرب حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أقم الصلاة طرفي النهار الصبح والمغرب * وقال آخرون عنى بها صلاة العصر

ذكر

يم لا ينطقون محمولة على اختلاف المواطن والازمنة أو نفى العذر الصحيح المقبول وأثبت العذر الباطل الكاذب ثم قسم
هل الموقف المجموعين للحساب والافراد العامة التي دلت عليها نس فقال (فمنهم شقي وسعيد) أي منهم سعيد ولا خلاف في أن الشقاء والسعادة مقترنان بالعمل لفاسد والعمل الصالح ويترتب عليهما لجنة والنار في الآخرة وانما النزاع في أن العمل سبب للشقاء مثلا كما هو مذهب المعتزلة أو الشقاء سبب العمل كما هو مذهب أهل السنة فيختلف تفسير الشقاء بحسب المذهبين فهو عند المعتزلة الحكم بوجوب النار له لاساءته وعند السني جريان القلم عليه في الازل بأنه من أهل النار وأنه يعمل عمل أهل النار والتحقيق في المسألة قد مر مرارا قيل قد بقي ههنا قسم آخر ليسوا من أهل النار ولا من أهل الجنة كالمجانين والاطفال فهم أصحاب الاعراف وتخصيص القسمين بالذكر لا يدل على نفي الثالث أما قوله في صفة أهل النار (لهم فيها زفير وشهيق) ففيه وجوه قال الليث وكثير من الادباء الزفير استدخال الهواء الكثير لترويح الحرارة الحاصلة في القلب بسبب انحصار الروح فيه وحينئذ يرتفع صدره وينتفخ جنباه والشهيق اخراج ذلك الهواء بجهد شديد من الطبيعة وكلتا الحالتين تدل على كرب شديد وغم عظيم والحاصل أنهم جعلوا الزفير بمنزلة ابتداء نهيق الحمار والشهيق بمنزلة آخره وقال الحسن ان لهب جهنم يرفعهم بقوته حتى اذا وصلوا الى أعلى دركات جهنم وطمعوا في أن يخرجوا منها ضربتهم الملائكة بمقامع من حديد ويردونهم الى الدرك الاسفل من النار فارتفاعهم في النار هو الزفير وانحطاطهم مرة أخرى هو الشهيق

ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبدة بن سليمن عن جويبر عن الضحاك في قوله أقم الصلاة طرفي النهار قال صلاة الفجر والعصر . قال ثنا زيد بن حباب عن أفلح بن سعيد القبائي عن محمد بن كعب أقم الصلاة طرفي النهار الفجر والعصر حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا أبو رجاء عن الحسن في قوله أقم الصلاة طرفي النهار قال صلاة الصبح وصلاة العصر حدثني الحسين بن علي الصدائي قال ثنا أبي قال ثنا مبارك عن الحسن قال قال الله لنبيه أقم الصلاة طرفي النهار قال طرفي النهار الغداة والعصر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أقم الصلاة طرفي النهار يعني صلاة العصر والصبح حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن مبارك بن فضالة عن الحسن أقم الصلاة طرفي النهار الغداة والعصر حدثنا ابن وكيع قال ثنا زيد بن حباب عن أفلح بن سعيد عن محمد بن كعب أقم الصلاة طرفي النهار الفجر والعصر حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا قرة عن الحسن أقم الصلاة طرفي النهار قال الغداة والعصر . وقال بعضهم بل عني بطرفي النهار الظهر والعصر وبقوله زلفا من الليل المغرب والعشاء والصبح . وأولى هذه الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال هي صلاة المغرب كما ذكرنا عن ابن عباس وانما قلنا هو أولى بالصواب لاجماع الجميع على أن صلاة أحد الطرفين من ذلك صلاة الفجر وهي تصلى قبل طلوع الشمس فالواجب اذ كان ذلك من جميعهم اجماعا أن تكون صلاة الطرف الآخر المغرب لأنها تصلى بعد غروب الشمس ولو كان واجبا أن يكون مرادا بصلاة أحد الطرفين قبل غروب الشمس وجب أن يكون مرادا بصلاة الطرف الآخر بعد طلوعها وذلك ما لا نعلم قائلا قاله الا من قال عني بذلك صلاة الظهر والعصر وذلك قول لا يخيل فساده لأنهما الى أن يكونا جميعا من صلاة أحد الطرفين أقرب منهما الى أن يكونا من صلاة طرفي النهار وذلك أن الظهر لا شك أنها تصلى بعد مضي نصف النهار في النصف الثاني منه فمحال أن تكون من طرف النهار الأول وهي في طرفه الآخر فاذا كان لا قائل من أهل العلم يقول عني بصلاة طرف النهار الأول صلاة بعد طلوع الشمس وجب أن يكون غير جائز أن يقال عني بصلاة طرف النهار الآخر صلاة قبل غروبها واذا كان ذلك كذلك صح ما قلنا في ذلك من القول وفسد ما خالفه وأما قوله وزلفا من الليل فانه يعني ساعات من الليل وهي جمع زلفة والزلفة الساعة والمنزلة والقربة وقيل انما سميت المزدلفة وجمع من ذلك لأنها منزل بعد عرفة وقيل سميت بذلك لازدلاف آدم من عرفة الى حواء وهي بها ومنه قول العجاج في صفة بعير

ناج طواه الأين مما وجفا * طي الليالي زلفا فزلفا

واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والعراق وزلفا بضم الزاي وفتح اللام وقرأه بعض أهل المدينة بضم الزاي واللام كأنه وجهه الى أنه واحد وأنه بمنزلة الحلم وقرأه بعض المكيين وزلفا بضم الزاي وتسكين اللام وأعجب القراآت في ذلك الى أن أقرأها وزلفا بضم الزاي وفتح اللام على معنى جمع زلفة كما تجمع غرفة غرف وحجرة حجر وانما اخترت قراءة ذلك كذلك لأن صلاة العشاء الآخرة انما تصلى بعد مضي زلف من الليل وهي التي عنيت عندي بقوله وزلفا من الليل وبنحو الذي قلنا في قوله وزلفا من الليل قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله وزلفا من الليل قال الساعات من الليل صلاة العتمة حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل

وقال أبو مسلم الزفير ما يجتمع في الصدر من النفس عند البكاء الشديد فينقطع النفس والشهيق هو الصوت الذي يظهر عند اشتداد الكربة والحزن وربما يتبعها الغشية وربما يحصل عقيبه الموت وقال أبو العالية الزفير في الحلق والشهيق في الصدر وقيل الزفير الصوت الشديد والشهيق الصوت الضعيف وعن ابن عباس لهم فيها بكاء لا ينقطع وحزن لا يندفع وقال أهل التحقيق قوة ميلهم الى الدنيا ولذاتها زفير وضعفهم عن الاستعداد بكمالات الروحانيات شهيق ثم ان قوما ذهبوا الى أن عذاب الكفار منقطع وله نهاية واستدلوا على ذلك بالقرآن والحديث والمعقول أما القرآن فقوله سبحانه (خالدين فيها ما دامت السموات والارض) أي مدة بقائهما (الا ما شاء ربك) وفيه استدلالان الاول أن مدة عقابهم مساوية لمدة بقاء السموات والأرض المتناهية بالاتفاق الثاني استثناء المشيئة ويؤكد هذا النص قوله لابثين فيها أحقابا وأما الحديث فما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابا وأما المعقول فهو أن العقاب ضرر خال عن النفع لا في حق الله تعالى ولا في حق المكلف فيكون قبيحا وأيضا الكفر جرم متناه ومقابلة الجرم المتناهي بعقاب لا نهاية له ظلم والجمهور من الامة على أن عذاب الكافر دائم وأجابوا عن الآية بأن المراد سموات الآخرة وأرضها المشار اليهما بقوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات ولا بد لأهل الآخرة مما يظلهم ويقلهم فهما السماء والارض واذا علق حصول العذاب للكافر بوجودهما لزم الدوام وأيضا القرآن قد ورد على استعمالات العرب وانهم يعبرون

عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا عبدالله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس زلفا من الليل يقول صلاة العتمة حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى عن عوف عن الحسن وزلفا من الليل قال العشاء حدثنا أبوكريب قال ثنا يحيى بن آدم عن سفيان عن عبدالله بن أبي يزيد قال كان ابن عباس يعجبه التأخير بالعشاء ويقرأ وزلفا من الليل حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وزلفا من الليل قال ساعة من الليل صلاة العتمة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وزلفا من الليل قال العتمة وما سمعت أحدا من فقهائنا ومشايخنا يقول العشاء ما يقولون الا العتمة * وقال قوم الصلاة التي أمر النبي صلى الله عليه وسلم باقامتها زلفا من الليل صلاة المغرب والعشاء ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم وابن وكيع واللفظ ليعقوب قالا ثنا ابن علية قال ثنا أبو رجاء عن الحسن وزلفا من الليل قال هما زلفتان من الليل صلاة المغرب وصلاة العشاء حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا ثنا جرير عن أشعث عن الحسن في قوله وزلفا من الليل قال المغرب والعشاء حدثني الحسن بن على قال ثنا أبي قال ثنا مبارك عن الحسن قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل قال زلفا من الليل المغرب والعشاء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما زلفتا الليل المغرب والعشاء حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع * وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن منصور عن مجاهد وزلفا من الليل قال المغرب والعشاء حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبدالرزاق قال أخبرنا الثوري عن منصور عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد مثله * قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن المبارك بن فضالة عن الحسن قال قد بين الله مواقيت الصلاة في القرآن قال أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل قال دلوكها اذا زالت عن بطن السماء وكان لها في الارض فيء وقال أقم الصلاة طرفي النهار الغداة والعصر وزلفا من الليل المغرب والعشاء قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما زلفتا الليل المغرب والعشاء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وزلفا من الليل قال يعني صلاة المغرب وصلاة العشاء حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن أفلح بن سعيد قال سمعت محمد بن كعب القرظي يقول زلفا من الليل المغرب والعشاء حدثنا ابن وكيع قال ثنا زيد بن حباب عن أفلح بن سعيد عن محمد بن كعب مثله حدثني الحرث قال ثنا عبدالعزيز قال ثنا أبو معشر عن محمد بن كعب القرظي وزلفا من الليل المغرب والعشاء حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن عاصم بن سليمن عن الحسن قال زلفتا الليل المغرب والعشاء حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبدالرحمن بن مغراء عن جويبر عن الضحاك في قوله وزلفا من الليل قال المغرب والعشاء حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن الاعمش عن عاصم عن الحسن وزلفا من الليل قال المغرب والعشاء حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبدة بن سليمن عن جويبر عن الضحاك وزلفا من الليل قال المغرب والعشاء حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عاصم عن الحسن زلفا من الليل صلاة المغرب والعشاء وقوله ان الحسنات يذهبن السيئات يقول تعالى ذكره ان الانابة الى طاعة الله والعمل بما يرضيه يذهب آثام معصية الله ويكفر الذنوب * ثم اختلف أهل

وما لاح كوكب ويمكن أيضا أن يقال حاصل الآية يرجع الى شرطية هي قولنا ان دامت السموات والارض دام عقابهم فاذا قلنا لكن السموات والارض دائمة لزم دوام عقابهم وهو المطلوب وان قلنا لكنهما لم تدوما فانه لا ينتج مطلوب الخصم لان استثناء نقيض المقدم لا ينتج شيأ وبعبارة أخرى دلت الآية على أنه كلما وجدت السموات والارض وجد عقابهم فلو قلنا لكنهما لم يوجدا لم يلزم منه أن لا يوجد عقابهم أو يوجد فالآية لا تدل الا على حصول العقاب لهم دهرا طويلا ومدة مديدة وأما انه هل يكون له آخر أم لا فذلك انما يستفاد من دليل آخر كقوله ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وأما الاستدلال بالاستثناء فقد ذكر ابن قتيبة وابن الانباري والفراء أن هذا الاستثناء لا ينافي عدم المشيئة كقولك والله لأضربنك الا أن أرى غير ذلك وقد يكون عزمك على ضربه البتة وتعلم انك لا ترى غير ذلك ورد بالفرق فان معنى الآية الحكم بخلودهم فيها الا المدة التي شاء الله فالمشيئة قد حصلت جزما ولقائل أن يقول الماضي ههنا في معنى الاستقبال مثل ونادى أصحاب الاعراف وسيق الذين اتقوا فلم يبق فرق وقيل الا بمعنى سوى أي سوى ما يتجاوز ذلك من الخلود الدائم كأنه ذكر في خلودهم ما ليس عند العرب أطول منه ثم زاد عليه الدوام الذي لا آخر له وقال الاصم وغيره المراد زمان مكثهم في الدنيا أو في البرزخ أو في الموقف وقيل الاستثناء يرجع الى قوله لهم فيها زفير وشهيق كأنهم يصيرون الى آخر

أهل التأويل في الحسنات التي عنى الله في هذا الموضع اللاتي يذهبن السيئات فقال بعضهم هن الصلوات الخمس المكتوبات ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن الجريري عن أبي الورد بن ثمامة عن أبي محمد الحضرمي قال ثنا كعب في هذا المسجد قال والذي نفس كعب بيده ان الصلوات الخمس لهن الحسنات التي يذهبن السيئات كما يغسل الماء الدرن حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن أفلح قال سمعت محمد ابن كعب القرظي يقول في قوله ان الحسنات يذهبن السيئات قال هن الصلوات الخمس حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن عبد الله بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان الحسنات يذهبن السيئات قال الصلوات الخمس * قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن منصور عن مجاهد ان الحسنات الصلوات حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة جميعا عن عوف عن الحسن ان الحسنات يذهبن السيئات قال الصلوات الخمس حدثني زريق بن السخت قال ثنا قبيصة عن سفيان عن عبد الله بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان الحسنات يذهبن السيئات قال الصلوات الخمس حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك في قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات قال الصلوات الخمس حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن منصور عن الحسن قال الصلوات الخمس حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا شريك عن سماك عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله ان الحسنات يذهبن السيئات قال الصلوات الخمس * قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن سعيد الجريري قال ثني أبو عثمان عن سلمان قال والذي نفسي بيده ان الحسنات التي يمحو الله بهن السيئات كما يغسل الماء الدرن الصلوات الخمس حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص بن غياث عن عبد الله بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان الحسنات يذهبن السيئات قال الصلوات الخمس حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الله عن اسرائيل عن أبي اسحق عن مزيدة ابن زيد عن مسروق ان الحسنات يذهبن السيئات قال الصلوات الخمس حدثني محمد بن عمارة الاسدي وعبد الله بن أبي زياد القطواني قالا ثنا عبد الله بن يزيد قال أخبرنا حيوة قال أخبرنا أبو عقيل زهرة بن معبد القرشي من بني تيم من رهط أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه سمع الحرث مولى عثمان بن عفان رحمه الله يقول جلس عثمان يوما وجلسنا معه فجاءه المؤذن فدعا عثمان بماء في اناء أظنه سيكون فيه قدر مد فتوضأ ثم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ وضوئي هذا ثم قال من توضأ وضوئي هذا ثم قام فصلى صلاة الظهر غفر له ما كان بينه وبين صلاة الصبح ثم صلى العصر غفر له ما بينه وبين صلاة الظهر ثم صلى المغرب غفر له ما بينه وبين صلاة العصر ثم صلى العشاء غفر له ما بينه وبين صلاة المغرب ثم لعله يبيت ليلته يتمرغ ثم ان قام فتوضأ وصلى الصبح غفر له ما بينها وبين صلاة العشاء وهن الحسنات يذهبن السيئات حدثني سعد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا أبو زرعة قال ثنا حيوة قال ثنا أبو عقيل زهرة بن معبد أنه سمع الحرث مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه قال جلس عثمان بن عفان يوما على المقاعد فذكر نحوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أنه قال وهن الحسنات ان الحسنات يذهبن السيئات حدثنا ابن البرقي قال ثنا ابن أبي مريم قال أخبرنا نافع بن يزيد ورشدين بن سعد قالا ثنا زهرة بن معبد قال سمعت الحرث مولى عثمان بن عفان يقول جلس عثمان بن عفان يوما على المقاعد ثم ذكر نحو ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أنه قال وهن الحسنات ان الحسنات يذهبن السيئات

الامر الى الهمود والخمود وقيل فائدة الاستثناء أن يعلم اخراج أهل التوحيد من النار والمراد الا من شاء ربك وهذا التأويل انما يليق بقاعدة الاشاعرة وأكدوه بقوله (ان ربك فعال لما يريد) فكأنه تعالى يقول أظهرت القهر والقدرة ثم أظهرت المغفرة والرحمة لأني فعال لما أريد وليس لأحد على حكم البتة وأما المعتزلة فكأنهم لا يرضون بهذا ويقولون ان الاستثناء الثاني لا يساعده لحصول الاجماع على أن أحدا من أهل الجنة لا يدخل النار فالصواب أن يقال انه استثناء من الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم الجنة فان أهل النار ينقلون الى الزمهرير والى غير ذلك مما لا يعلمه الا الله وأهل الجنة ينقلون الى العرش أو الى ما هو أعلى حالا من الجنة كقوله ورضوان من الله أكبر ثم قالوا انه ختم آية الوعيد بقوله ان ربك فعال لما يريد وآية الوعد بقوله عطاء غير مجذوذ رعاية للمطابقة كأنه قال انه يفعل بأهل النار ما يريد من العذاب كما يعطي أهل الجنة عطاءه الذي لا انقطاع له والجذ القطع وأما الجواب عن الحديث فقد قال في الكشاف ان صح فمعناه أنهم يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير فذلك خلو جهنم وصفق أبوابها وأقول يحتمل أن يكون الالف سبب عدم الاحساس بالعذاب بل يكون سبب الالتذاذ بالمألوف فيكون خلو جهنم اشارة الى هذا المعنى وأما الجواب عن المعقول فهو أن السير في الله ومبدأه من عالم التكليف لما كان غير متناه فعذاب البعد عنه أيضا يجب أن يكون غير متناه أو نقول لا نهاية لنوره فلا غاية لظلمة الغافل عنه والمتكره له أو نقول أوضح الأشياء الوجود الواجب فاذا كان الشخص ذاهلا عنه كان مسلوب الاستعداد بالكلية فلا

حدثنا محمد بن عوف قال ثنا محمد بن اسمعيل قال ثنا أبى قال ثنا ضمضم ابن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبى مالك الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلت الصلوات كفارات لما بينهن فان الله قال ان الحسنات يذهبن السيئات حدثنا ابن سيار القزاز قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن على بن زيد عن أبى عثمان النهدى قال كنت مع سلمان تحت شجرة فأخذ غصنا من أغصانها يابسا فهزه حتى تحات ورقه ثم قال هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت معه تحت شجرة فأخذ غصنا من أغصانها يابسا فهزه حتى تحات ورقه ثم قال ألا تسألنى لم أفعل هذا يا سلمان فقلت ولم تفعله فقال ان المسلم اذا توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى الصلوات الخمس تحاتت خطاياه كما تحات هذا الورق ثم تلا هذه الآية أقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل الى آخر الآية * وقال آخرون هو قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن منصور عن مجاهد ان الحسنات يذهبن السيئات قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر * وأولى التأويلين بالصواب فى ذلك قول من قال فى ذلك هن الصلوات الخمس لصحة الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتواترها عنه أنه قال مثل الصلوات الخمس مثل نهر جار على باب أحدكم ينغمس فيه كل يوم خمس مرات فماذا يبقين من درنه وان ذلك فى سياق أمر الله باقامة الصلوات والوعد على اقامتها الجزيل من الثواب عقيبها أولى من الوعد على ما لم يجر له ذكر من صالحات سائر الاعمال اذا خص بالقصد بذلك بعض دون بعض وقوله ذلك ذكرى للذاكرين يقول تعالى هذا الذى أوعدت عليه من الركون الى الظلم وتهددت فيه والذى وعدت فيه من اقامة الصلوات اللواتى يذهبن السيئات تذكرة ذكرت بها قوما يذكرون وعد الله فيرجون ثوابه ووعيده فيخافون عقابه لا من قد طبع على قلبه فلا يجيب داعيا ولا يسمع زاجرا وذكر أن هذه الآية نزلت بسبب رجل نال من غير زوجته ولا ملك يمينه بعض ما يحرم عليه فتاب من ذنبه ذلك ذكر الرواية بذلك حدثنا هناد بن السرى قال ثنا أبو الاحوص عن سماك عن ابراهيم عن علقمة والاسود قالا قال عبد الله بن مسعود جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى عالجت امرأة فى بعض أقطار المدينة فأصبت منها ما دون أن أمسها فأنا هذا فاقض فى ما شئت فقال عمر لقد سترك الله لو سترت على نفسك قال ولم يرد النبى صلى الله عليه وسلم شيأ فقام الرجل فانطلق فأتبعه النبى صلى الله عليه وسلم رجلا فدعاه فلما أتاه قرأ عليه أقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين فقال رجل من القوم هذا له يا رسول الله خاصة قال بل للناس كافة حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع * وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن سماك بن حرب عن ابراهيم عن علقمة والاسود عن عبد الله قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى لقيت امرأة فى البستان فضممتها الى وباشرتها وقبلتها وفعلت بها كل شئ غير أنى لم أجامعها فسكت عنه النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين فدعاه النبى صلى الله عليه وسلم فقرأها عليه فقال عمر يا رسول الله أله خاصة أم للناس كافة قال لا بل للناس كافة. ولفظ الحديث لابن وكيع حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا اسرائيل عن سماك بن حرب أنه سمع ابراهيم بن زيد يحدث عن علقمة والاسود عن ابن مسعود قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى وجدت امرأة فى بستان ففعلت بها كل شئ غير أنى لم أجامعها قبلتها ولزمتها ولم أفعل غير ذلك فافعل بى ما شئت فلم يقل له

رسول

يدركه من وفق له وخلق لاجله ولما فرغ من أقاصيص عبدة الاصنام وبيان أحوال الاشقياء والسعداء سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرح أحوال الكفرة من قومه فى ضمن نهى له عن الامتراء فى سوء مغبتهم قائلا (فلا تك) حذف النون لكثرة الاستعمال (فى مرية) فى شك (مما يعبد) ما مصدرية أو موصولة أى من عبادة (هؤلاء) أو من الذى يعبده هؤلاء المشركون والمراد النهى عن الشك فى سوء عاقبة عبادتهم ثم علل النهى مستأنفا فقال (ما يعبدون الا كما يعبد) كالذى يعبده (آباؤهم) أو كعبادة آبائهم والحاصل أنهم شبهوا بآبائهم فى لزوم الجهل والتقليد (وانا لموفوهم نصيبهم) من الرزق والخيرات الدنيوية أو من ازالة العذر وازاحة العلة بارسال الرسول وانزال الكتاب أو نصيبهم من العذاب كما وفينا آباءهم أنصباءهم وفى الكشاف أن (غير منقوص) حال من النصيب ليعلم أنه تام كامل اذ يجوز أن يوفى بعض الشئ كقولك وفيته شطر حقه قلت هى مغالطة لان قول القائل وفيته شطر حقه التوفية تعود الى الشطر فلو قيل غير منقوص كان كالمكرر وعاد السؤال فالصواب أن يقال انه حال مؤكدة أو صفة تقوم مقام المصدر أى توفية نحو ولا تعثوا فى الارض مفسدين أى افسادا ثم أورد نظيرا لانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقال (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) آمن به قوم وكفر به قوم آخرون كما اختلف فى القرآن والغرض أن انكار الحق عادة قديمة للخلق (ولولا كلمة سبقت من ربك) هى

رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ فذهب الرجل فقال عمر لقد ستر الله عليه لو ستر على نفسه فأتبعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بصره فقال ردوه على فردوه فقرأ عليه أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين قال فقال معاذ بن جبل أله وحده يا نبي الله أم للناس كافة فقال بل للناس كافة **حدثني** المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا أبو عوانة عن سماك عن ابراهيم عن علقمة والاسود عن عبد الله قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أخذت امرأة في البستان فأصبت منها كل شئ غير أني لم أنكحها فاصنع بي ما شئت فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فلما ذهب دعاه فقرأ عليه هذه الآية أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله العجلي قال ثنا شعبة عن سماك بن حرب قال سمعت ابراهيم يحدث عن خاله الاسود عن عبد الله أن رجلا لقي امرأة في بعض طرق المدينة فأصاب منها ما دون الجماع فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فنزلت أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين فقال معاذ بن جبل يا رسول الله لهذا خاصة أو لنا عامة قال بل لكم عامة **حدثنا** أبو المثنى قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة قال أنبأني سماك قال سمعت ابراهيم يحدث عن خاله عن ابن مسعود أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم لقيت امرأة في حش بالمدينة فأصبت منها ما دون الجماع نحوه **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا أبو قطن عمرو بن الهيثم البغدادي قال ثنا شعبة عن سماك عن ابراهيم عن خاله عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه **حدثني** أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن ابراهيم قال جاء فلان بن معتب رجل من الانصار فقال يا رسول الله دخلت على امرأة فنلت منها ما ينال الرجل من أهله الا أني لم أواقعها فلم يدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يجيبه حتى نزلت هذه الآية أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات الآية فدعاه فقرأها عليه **حدثني** يعقوب وابن وكيع قالا ثنا ابن علية .. وحدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل . وحدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر بن سليمن جميعا عن سليمن التيمي عن أبي عثمان عن ابن مسعود أن رجلا أصاب من امرأة شيأ لا أدري ما بلغ غير أنه ما دون الزنا فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فنزلت أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات فقال الرجل ألي هذه يا رسول الله قال لمن أخذ بها من أمتي أو لمن عمل بها **حدثنا** أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا قبيصة عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي عثمان قال كنت مع سلمان فأخذ غصن شجرة يابسة فحته وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من توضأ فأحسن الوضوء تحاتت خطاياه كما يتحات هذا الورق ثم قال أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل الى آخر الآية **حدثنا** أبو كريب قال ثنا أبو أسامة وحسين الجعفي عن زائدة قال ثنا عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ قال أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما ترى في رجل لقي امرأة لا يعرفها فليس يأتي الرجل من امرأته شيأ الا قد أتاه منها غير أنه لم يجامعها فأنزل الله هذه الآية أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ ثم صل قال معاذ قلت يا رسول الله أله خاصة أم للمؤمنين عامة قال بل للمؤمنين عامة **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن رجلا أصاب من امرأة ما دون الجماع فأتى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن ذلك فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أنزلت أقم الصلاة

ان رحمتي سبقت غضبي أو هي ان دار الجزاء الآخرة لا الدنيا أو هي ان هذه الامة لا يعذبون بعذاب الاستئصال (لقضي بينهم) بين قوم موسى أو بين قومك بتمييز المحق من المبطل بسبب الانجاء والاهلاك وهذه من جملة التسلية أيضا (وانهم) يعني قوم موسى أو قومك (لفي شك منه) من كتابه أو من كتابك أو من أمر المعاد أو القضاء أو الجزاء ثم جمع الاولين والآخرين في حكم توفية الجزاء ثوابا أو عقابا فقال (وان كلا) التنوين فيه عوض عن المضاف اليه أي وان كلهم يعني ان جميع المختلفين فيه ومن قرأ بالتخفيف فعلى اعمال المخففة اذ لا يلزم من التخفيف ابطال العمل كما في لم يكن ولم يك ومن قرأ لما مخففا فاللام هي الداخلة في خبر ان وما مزيدة للفصل بين لام ان وبين لام جواب القسم المقدر كما فصلوا بالالف بين النونات في قولهم اضربنان ويمكن أن يكون ما نكرة أي لخلق أو جمع والله ليوفينهم ربك أعمالهم من حسن وقبيح وايمان وجحود ومن قرأ لما مشددا فأصله لمن ما قلبت النون ميما فاجتمع ثلاث ميمات فحذفت الاولى تخفيفا وجاز حذف الاولى وابقاء الساكنة لاتصال اللام بها ويجوز أن يكون أصله لما بالتنوين كما في قراءة الزهري وسليمن بن أرقم فحذف فبقي لما ممدودا ومعناه ملمومين أي مجموعين وقرأ أبي وان كل لما ليوفينهم على أن ان نافية ولما بمعنى الا كما في الطارق ولا يخفى ما في الآية من مؤكدات توفية الجزاء وان شيأ من

طرفي النهار وزلفا من الليل الآية فقال معاذ يارسول الله أله خاصة أم الناس عامة قال هي للناس عامة حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبوداود قال ثنا شعبة عن عبد الملك بن عمير قال سمعت عبد الرحمن ابن أبي ليلى قال أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه حدثني عبد الله بن أحمد بن شبويه قال ثنا اسحق بن ابراهيم قال ثني عمرو بن الحرث قال ثني عبد الله بن سالم عن الزبيدي قال ثنا سليم بن عامر أنه سمع أبا أمامة يقول ان رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أقم في حد الله مرة واثنتين فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أقيمت الصلاة فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة قال أين هذا القائل أقم في حد الله قال أنا ذا قال هل أتممت الوضوء وصليت معنا آنفا قال نعم قال فانك من خطيئتك كما ولدتك أمك فلا تعد وأنزل الله حينئذ على رسوله أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل الآية حدثنا ابن وكيع قال ثني جرير عن عبد الملك عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ بن جبل أنه كان جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجاء رجل فقال يارسول الله رجل أصاب من امرأة مالا يحل له لم يدع شيأ يصيبه الرجل من امرأته الا أتاه الا أنه لم يجامعها قال يتوضأ وضوأ حسنا ثم يصلي فأنزل الله هذه الآية أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل الآية فقال معاذ هي له يارسول الله خاصة أم للمسلمين عامة قال بل للمسلمين عامة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا محمد بن مسلم عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة أن رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ذكر امرأة وهو جالس مع النبي صلى الله عليه وسلم فاستأذنه لحاجة فأذن له فذهب يطلبها فلم يجدها فأقبل الرجل يريد أن يبشر النبي صلى الله عليه وسلم بالمطر فوجد المرأة جالسة على غدير فدفع في صدرها وجلس بين رجليها فصار ذكره مثل الهدبة فقام نادما حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بما صنع فقال له النبي صلى الله عليه وسلم استغفر ربك وصل أربع ركعات قال وتلا عليه أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل الآية حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا قيس بن الربيع عن عثمان بن موهب عن موسى بن طلحة عن أبي اليسر بن عمرو الانصاري قال أتتني امرأة تبتاع مني بدرهم تمرا فقلت ان في البيت تمرا أجود من هذا فدخلت فأهويت اليها فقبلتها فأتيت أبا بكر فسألته فقال استر على نفسك وتب واستغفر الله فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أخلفت رجلا غازيا في سبيل الله في أهله بمثل هذا حتى ظننت أني من أهل النار حتى تمنيت أني أسلمت ساعتئذ قال فأطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة فنزل جبريل فقال أين أبو اليسر فجئت فقرأ علي أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل الى ذكرى للذاكرين قال انسان له يارسول الله خاصة أم للناس عامة قال للناس عامة حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا قيس بن الربيع عن عثمان بن موهب عن موسى بن طلحة عن أبي اليسر قال لقيت امرأة فالتزمتها غير أني لم أنكحها فأتيت عمر بن الخطاب فقال اتق الله واستر على نفسك ولا تخبرن أحدا فلم أصبر حتى أتيت أبا بكر رضي الله عنه فسألته فقال اتق الله واستر على نفسك ولا تخبرن أحدا قال فلم أصبر حتى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال له هل جهزت غازيا قلت لا قال فهل خلفت غازيا في أهله قلت لا فقال لي حتى تمنيت أني كنت دخلت في الاسلام تلك الساعة قال فلما وليت دعاني فقرأ علي أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل فقال له أصحابه ألهذا خاصة أم للناس عامة فقال بل للناس عامة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثني سعيد عن قتادة أن رجلا أصاب من امرأة قبلة فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يانبي الله هلكت فأنزل الله ان الحسنات يذهبن

السيئات

الحقوق لا يضيع عنده منها الفظة ان ومنها لام خبر ان ومنها كل ومنها ما المزيدة ومنها القسم ومنها لام القسم ومنها نون التأكيد ومنها لفظ التوفية ومنها ربك فان من ربيك يقدر على توفية حقك ومنها الجمع المضاف ومنها ختم الاية بقوله (انه بما يعملون خبير) فانه اذا كان عالما بكل المعلومات قادرا على كل المقدورات كان عالما بعمل كل أحد وبمقدار جزاء عمله وقادرا على ايصال ذلك اليه ثم ان كلامه حق وصدق وقد أخبر عن التوفية مع المؤكدات المذكورة فيقع وعده ووعيده لا محالة ثم أمر نبيه لتقتدى به أمته بكلمة جامعة للعقائد والأعمال قائلا (فاستقم كما أمرت) عن جعفر الصادق رضي الله عنه معناه افتقر الى الله بصحة العزم يعني الوثوق به والتوكل عليه (ومن تاب معك) عطف على الضمير في فاستقم وصح للفصل أو هو ابتداء أي ومن تاب معك فليستقم أو مفعول معه ثم كما أمر بالاستقامة على جادة الحق نهى عن الانحراف عنها فقال (ولا تطغوا) والطغيان مجاوزة الحد وقال ابن عباس يريد تواضعوا للحق ولا تتكبروا على الخلق وخصص بعضهم الطغيان بالتجاوز عن حدود القرآن بتحليل حرامه وتحريم حلاله وهذه الآية أصل عظيم في الشريعة فيكون الترتيب في الوضوء واجبا كما ورد في القرآن وكذلك القول في الحدود والكفارات ونصاب الزكاة وأعداد الركعات وغيرها من جميع المأمورات والمنهيات ويجب

السيئات ذلك ذكرى للذاكرين حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن سليمان التيمي قال ضرب رجل على كفل امرأة ثم أتى أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فكلما سأل رجلا منهما عن كفارة ذلك قال أمغزية هي قال نعم قال لا أدري ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن ذلك فقال أمغزية هي قال نعم قال لا أدري حتى أنزل الله أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن قيس بن سعد عن عطاء في قول الله تعالى أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل أن امرأة دخلت على رجل يبيع الدقيق فقبلها فأسقط في يده فأتى عمر فذكر ذلك له فقال اتق الله ولا تكن امرأة غاز فقال الرجل هي امرأة غاز فذهب الى أبي بكر فقال مثل ما قال عمر فذهبوا الى النبي صلى الله عليه وسلم جميعا فقال له كذلك ثم سكت النبي صلى الله عليه وسلم فلم يجبهم فأنزل الله أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل الصلوات المفروضات ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني عطاء بن أبي رباح قال أقبلت امرأة حتى جاءت انسانا يبيع الدقيق لتبتاع منه فدخل بها البيت فلما خلا له قبلها قال فسقط في يديه فانطلق الى أبي بكر فذكر ذلك له فقال أبصر لا تكونن امرأة رجل غاز فبينما هم على ذلك نزل في ذلك أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل قيل لعطاء المكتوبة هي قال نعم هي المكتوبة فقال ابن جريج وقال عبد الله بن كثير هي المكتوبات قال ابن جريج عن يزيد ابن رومان ان رجلا من بني غنم دخلت عليه امرأة فقبلها ووضع يده على دبرها فجاء الى أبي بكر رضي الله عنه ثم الى عمر رضي الله عنه ثم أتى الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية أقم الصلاة الى قوله ذلك ذكرى للذاكرين فلم يزل الرجل الذي قبل المرأة يذكر فذلك قوله ذكرى للذاكرين

۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ واصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ يقول تعالى ذكره واصبر يا محمد على ما تلقى من مشركي قومك من الأذى في الله والمكروه رجاء جزيل ثواب الله على ذلك فان الله لا يضيع ثواب عمل من أحسن فأطاع الله واتبع أمره فيذهب به بل يوفره أحوج ما يكون اليه

۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين ﴾ يقول تعالى ذكره فهلا كان من القرون الذين قصصت عليك نبأهم في هذه السورة الذين أهلكتهم بمعصيتهم اياي وكفرهم برسلي من قبلكم أولو بقية يقول ذو بقية من الفهم والعقل يعتبرون مواعظ الله ويتدبرون حججه فيعرفون ما لهم في الايمان بالله وعليهم في الكفر به ينهون عن الفساد في الارض يقول ينهون أهل المعاصي عن معاصيهم وأهل الكفر بالله عن كفرهم به في أرضه الا قليلا ممن أنجينا منهم يقول لم يكن من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الارض الا يسيرا فانهم كانوا ينهون عن الفساد في الارض فنجاهم الله من عذابه حين أخذ من كان مقيما على الكفر بالله عذابه وهم أتباع الانبياء والرسل ونصب قليلا لان قوله الا قليلا استثناء منقطع مما قبله كما قال الا قوم يونس لما آمنوا وقد بينا ذلك في غير موضع بما أغنى عن اعادته ۞ وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد اعتذر فقال فلولا كان من القرون من قبلكم حتى بلغ الا قليلا ممن أنجينا منهم فاذا هم الذين نجوا حين نزل عذاب الله وقرأ واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية الى قوله الا قليلا ممن أنجينا منهم قال يستقلهم الله من كل قوم حدثنا

الاحتياط في المسائل الاجتهادية وفي القياسات وكذا في الاخلاق والملكات وفي كل ما له طرفا افراط وتفريط فهما مذمومان والمحمود هو الوسط وهو الصراط المستقيم المأمور بالاستقامة والثبات عليه ولا ريب أن معرفته صعبة وبتقدير معرفته فالعمل به والبقاء عليه أصعب ولهذا قال ابن عباس ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية في القرآن أشد ولا أشق من هذه حتى ان أصحابه قالوا له لقد أسرع فيك الشيب فقال صلى الله عليه وسلم شيبتني هود أعني هذه الآية منها ثم لما كان لقرين السوء مدخل عظيم في تغيير العقائد وتبديل الأخلاق نهى عن مخالطة من يضع الشيء في غير موضعه فقال (ولا تركنوا) أي لا تميلوا بالمحبة والهوى (الى الذين ظلموا) فقال المحققون الركون المنهي عنه هو الرضا بما عليه الظلمة من الظلم وتحسين الطريقة وتزيينها عند غيرهم ومشاركتهم في شيء من تلك الأبواب فأما مداخلتهم لدفع ضرر واجتلاب منفعة عاجلة فغير داخلة في الركون أقول هذا من طريق المعاش والرخصة ومقتضى التقوى هو الاجتناب عنهم بالكلية أليس الله بكاف عبده وفي قوله (فتمسكم النار) اشارة الى أن الظلمة أهل النار بل هم في النار أو كالنار أولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار ومصاحبة النار توجب لا محالة مس النار وقوله (وما لكم من دون الله) من تتمة الجزاء وقال في الكشاف الواو للحال (من أولياء) من أنصار أي لا يقدر على منعكم من عذاب

محمد بن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن داود قال سألني بلال عن قول الحسن في العذر قال فقال سمعت الحسن يقول قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم قال بعث الله هودا الى عاد فنجى الله هودا والذين آمنوا معه وهلك المتمتعون وبعث الله صالحا الى ثمود فنجى الله صالحا وهلك المتمتعون فجعلت أستقريه الامم فقال ما أراه الا كان حسن القول في العذر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن أنجينا منهم أي لم يكن من قبلكم من ينهى عن الفساد في الارض الا قليلا ممن أنجينا منهم وقوله واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه يقول تعالى ذكره واتبع الذين ظلموا أنفسهم فكفروا بالله ما أترفوا فيه ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه قال ما أنظروا فيه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه من دنياهم وكأن هؤلاء وجهوا تأويل الكلام واتبع الذين ظلموا الشيء الذي أنظرهم فيه ربهم من نعيم الدنيا ولذاتها ايثارا له على عمل الآخرة وما ينجيهم من عذاب الله * وقال آخرون معنى ذلك واتبع الذين ظلموا ما تجبروا فيه من الملك وعتوا عن أمر الله ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه قال في ملكهم وتجبرهم وتركوا الحق حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه الا أنه قال وتركهم الحق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثل حديث محمد بن عمرو سواء * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله أخبر تعالى ذكره أن الذين ظلموا أنفسهم من كل أمة سلفت فكفروا بالله اتبعوا ما أنظروا فيه من لذات الدنيا فاستكبروا وكفروا بالله واتبعوا ما أنظروا فيه من لذات الدنيا فاستكبروا عن أمر الله وتجبروا وصدوا عن سبيله وذلك أن المترف في كلام العرب هو المنعم الذي قد غذي باللذات ومنه قول الراجز

نهدي رؤس المترفين الصداد * الى أمير المؤمنين الممتاد

وقوله وكانوا مجرمين يقول وكانوا مكتسبي الكفر بالله * القول في تأويل قوله تعالى (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) يقول تعالى ذكره وما كان ربك يا محمد ليهلك القرى التي أهلكها التي قص عليك نبأها ظلما وأهلها مصلحون في أعمالهم غير مسيئين فيكون اهلاكه اياهم مع اصلاحهم في أعمالهم وطاعتهم ربهم ظلما ولكنه أهلكها بكفر أهلها بالله وتماديهم في غيهم وتكذيبهم رسلهم وركوبهم السيئات وقد قيل معنى ذلك لم يكن ليهلكهم بشركهم بالله وذلك قوله بظلم يعني بشرك وأهلها مصلحون فيما بينهم لا يتظالمون ولكنهم يتعاطون الحق بينهم وان كانوا مشركين وانما يهلكهم اذا تظالموا * القول في تأويل قوله تعالى (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) يقول تعالى ذكره ولو شاء ربك يا محمد لجعل الناس كلهم جماعة واحدة على ملة واحدة ودين واحد كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة يقول لجعلهم مسلمين كلهم وقوله ولا يزالون مختلفين يقول تعالى ذكره ولا يزال الناس مختلفين الا من رحم ربك * ثم اختلف أهل التأويل في الاختلاف الذي وصف الله الناس أنهم لا يزالون به فقال بعضهم هو الاختلاف في الاديان فتأويل ذلك على

الله الا هو (ثم لا تنصرون) ثم لا ينصركم هو أيضا وفيه اقناط كلي وفائدة ثم تبعيد النصرة من الظالم قال أهل التحقيق الركون الميل اليسير وقوله الى الذين ظلموا أي الذين حدث منهم الظلم فلم يقل ولا تميلوا الى الظالمين ليدل على أن قليلا من الميل الى من حدث منه شيء من الظلم يوجب هذا العقاب واذا كان هذا حال من ركن الى من ظلم فكيف يكون حال الظالم في نفسه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا الظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون للملوك وعن محمد بن مسلمة الذباب على العذرة أحسن من قارئ على باب هؤلاء ولقد سئل سفيان عن ظالم أشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت ثم خص من أنواع الاستقامة اقامة الصلاة تنبيها على شرفها فقال (وأقم الصلاة) قيل تمسك بعض الخوارج بهذه الآية على أن الواجب من الصلاة ليس الا الفجر والعشاء لانهما طرفا النهار وهما الموصوفان بكونهما زلفا من الليل فان ما لا يكون نهارا يكون ليلا غاية ما في الباب أن هذا يقتضي عطف الصفة على الموصوف وهو كثير في كلامهم ولئن سلم وجوب صلاة أخرى الا أن قوله ان الحسنات يذهبن السيئات يشعر بان اقامة الصلاة طرفي النهار كفارة لترك سائر الصلوات وجمهور الامة على بطلان هذا القول واستدلوا بالآية على وجوب الصلوات الخمس لان طرفي النهار منصوب على الظرف لاضافتهما الى الوقت فيكتسب

مذهب هؤلاء ولا يزال الناس مختلفين على أديان شتى من بين يهودي ونصراني ومجوسي ونحو ذلك وقال قائلو هذه المقالة استثنى الله من ذلك من رحمهم وهم أهل الايمان ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن طلحة بن عمرو عن عطاء ولا يزالون مختلفين قال اليهود والنصارى والمجوس والحنيفية هم الذين رحم ربك حدثني المثنى قال ثنا قبيصة قال ثنا سفيان عن طلحة بن عمرو عن عطاء ولا يزالون مختلفين قال اليهود والنصارى والمجوس الامن رحم ربك قال هم الحنيفية حدثني يعقوب بن ابراهيم وابن وكيع قالا ثنا ابن علية قال أخبرنا منصور بن عبد الرحمن قال قلت للحسن قوله ولا يزالون مختلفين الامن رحم ربك قال الناس مختلفون على أديان شتى الامن رحم ربك فمن رحم غير مختلفين حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن حسن بن صالح عن ليث عن مجاهد ولا يزالون مختلفين قال أهل الباطل الامن رحم ربك قال أهل الحق حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا يزالون مختلفين قال أهل الباطل الامن رحم ربك قال أهل الحق حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه * قال ثنا معلى بن أسد قال ثنا عبد العزيز عن منصور بن عبد الرحمن قال سئل الحسن عن هذه الآية ولا يزالون مختلفين الامن رحم ربك قال الناس كلهم مختلفون على أديان شتى الامن رحم ربك فمن رحم غير مختلف فقلت له ولذلك خلقهم فقال خلق هؤلاء لجنته وهؤلاء لناره وخلق هؤلاء لرحمته وخلق هؤلاء لعذابه * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن سعد قال ثنا أبو جعفر عن ليث عن مجاهد في قوله ولا يزالون مختلفين قال أهل الباطل الامن رحم ربك قال أهل الحق * قال ثنا الحماني قال ثنا شريك عن خصيف عن مجاهد قوله ولا يزالون مختلفين قال أهل الحق وأهل الباطل الامن رحم ربك قال أهل الحق * قال ثنا شريك عن ليث عن مجاهد مثله * قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك الامن رحم ربك قال أهل الحق ليس فيهم اختلاف حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن ابن جريج عن عكرمة ولا يزالون مختلفين قال اليهود والنصارى الامن رحم ربك قال أهل القبلة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس ولا يزالون مختلفين قال أهل الباطل الامن رحم ربك قال أهل الحق حدثنا هناد قال ثنا أبو الاحوص عن سماك عن عكرمة في قوله ولا يزالون مختلفين الامن رحم ربك قال لا يزالون مختلفين في الهوى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا يزالون مختلفين الامن رحم ربك فأهل رحمة الله أهل جماعة وان تفرقت دورهم وأبدانهم وأهل معصيته أهل فرقة وان اجتمعت دورهم وأبدانهم حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن الاعمش ولا يزالون مختلفين الامن رحم ربك قال من جعله على الاسلام * قال ثنا عبد العزيز قال ثنا الحسن ابن واصل عن الحسن ولا يزالون مختلفين قال أهل الباطل الامن رحم ربك * قال ثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد في قوله ولا يزالون مختلفين قال أهل الباطل الامن رحم ربك قال أهل الحق حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا ثنا جرير عن ليث عن مجاهد مثله * وقال آخرون بل معنى ذلك ولا يزالون مختلفين في الرزق فهذا فقير وهذا غني ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه أن الحسن قال مختلفين في الرزق سخر بعضهم لبعض وقال بعضهم مختلفين

المضاف حكم المضاف اليه تقول أتيته نصف النهار والطرفان هما الغدوة وهي الفجر والعشية وفيها الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي (وزلفا) جمع زلفة كظلم وظلمة أي ساعات (من الليل) قريبة من آخر النهار من أزلفه اذا قربه وازدلف اليه وقرئ زلفا بسكون اللام نحو بسرة وبسر والزلف فيمن قرأ بضمتين نحو بسر وبسر وقيل زلفا أي قربا فيكون معطوفا على الصلاة أي أقم الصلاة وأقم زلفا أي صلوات يتقرب بها الى الله عز وجل في بعض الليل وبالجملة فصلاة الزلف المغرب والعشاء وقيل ان طرفي النهار لا يشمل الا الفجر والعصر وبه استدل على مذهب أبي حنيفة أن التنوير بالفجر أفضل وتأخير العصر أفضل لان الامة أجمعت على أن نفس الطرفين وهما وقت الطلوع والغروب لا يصلح لاقامة الصلاة فكل وقت كان أقرب الى الطرفين كان أولى باقامة الصلاة فيه حملا للمجاز على ما هو أقرب الى الحقيقة ما أمكن هذا ما ذكره فخر الدين الرازي في تفسيره ولقائل أن يقول هذا الاستثناء في صلاة الفجر لان الطرف الاول للنهار في الشرع هو طلوع الصبح الصادق والتنوير بعد الصلاة منه لا مقرب ولا أدري كيف ذهب عليه هذا المعنى مع افراط عصبيته للشافعي واستدل أيضا لابي حنيفة على مذهبه في وجوب الوتر أن أقل الجمع ثلاثة فتجب اقامة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاث زلف من الليل أي ثلاث ساعات

في المغفرة والرحمة أو كما قال * وأولى الاقوال في تأويل ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك ولا يزال الناس مختلفين في أديانهم وأهوائهم على أديان وملل وأهواء شتى الا من رحم ربك فآمن بالله وصدق رسله فانهم لا يختلفون في توحيد الله وتصديق رسله وما جاءهم من عند الله وانما قلت ذلك أولى بالصواب في تأويل ذلك لان الله جل ثناؤه أتبع ذلك قوله وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ففي ذلك دليل واضح أن الذي قبله من ذكر خبره عن اختلاف الناس انما هو خبر عن اختلاف مذموم يوجب لهم النار ولو كان خبرا عن اختلافهم في الرزق لم يعقب ذلك بالخبر عن عقابهم وعذابهم وأما قوله ولذلك خلقهم فان أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم معناه وللاختلاف خلقهم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع * وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن مبارك بن فضالة عن الحسن ولذلك خلقهم قال للاختلاف حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا منصور بن عبد الرحمن قال قلت للحسن ولذلك خلقهم فقال خلق هؤلاء لجنته وخلق هؤلاء لناره وخلق هؤلاء لرحمته وخلق هؤلاء لعذابه حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن علية عن منصور عن الحسن مثله حدثني المثنى قال ثنا المعلى ابن أسد قال ثنا عبد العزيز عن منصور بن عبد الرحمن عن الحسن بنحوه قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن خالد الحذاء أن الحسن قال في هذه الآية ولذلك خلقهم قال خلق هؤلاء لهذه وخلق هؤلاء لهذه حدثنا محمد بن بشار قال ثنا هوذة بن خليفة قال ثنا عوف عن الحسن قال ولذلك خلقهم قال أما أهل رحمة الله فانهم لا يختلفون اختلافا يضرهم حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولذلك خلقهم قال خلقهم فريقين فريقا يرحم فلا يختلف وفريقا لا يرحم يختلف وذلك قوله فمنهم شقي وسعيد حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن طلحة بن عمرو عن عطاء في قوله ولا يزالون مختلفين قال يهود ونصارى ومجوس الا من رحم ربك قال من جعله على الاسلام ولذلك خلقهم قال مؤمن وكافر حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان قال ثنا الاعمش ولذلك خلقهم قال مؤمن وكافر حدثني يونس قال أخبرنا أشهب قال سئل مالك عن قول الله ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم قال خلقهم ليكونوا فريقين فريق في الجنة وفريق في السعير * وقال آخرون بل معنى ذلك وللرحمة خلقهم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن حسن بن صالح عن ليث عن مجاهد ولذلك خلقهم قال للرحمة حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا ثنا جرير عن ليث عن مجاهد ولذلك خلقهم قال للرحمة حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا شريك عن خصيف عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن شريك عن ليث عن مجاهد مثله * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن سعد قال أخبرنا أبو حفص عن ليث عن مجاهد مثله الا أنه قال للرحمة خلقهم حدثني محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ولذلك خلقهم قال للرحمة خلقهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عمن ذكره عن ثابت عن الضحاك ولذلك خلقهم قال للرحمة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني الحكم بن أبان عن عكرمة ولذلك خلقهم قال أهل الحق ومن اتبعه لرحمته حدثني سعد بن عبد الله قال ثنا حفص بن عمر قال ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس في قوله ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك قال للرحمة خلقهم

ذهب منها ساعتان للمغرب والعشاء فتعين أن تكون الساعة الثالثة للوتر واذا وجب عليه وجب على أمته لقوله فاتبعوه ولمانع أن يمنع أن أقل الجمع ثلاثة أشياء ثم ان كل ساعة لأجل صلاة ثم ان كل ما يجب على النبي صلى الله عليه وسلم يجب على الامة لان الاتباع هو الاتيان بمثل فعله أعم من أن يكون على تلك الجهة أم لا (ان الحسنات يذهبن السيئات) قال المفسرون نزلت في أبي اليسر عمرو بن غزية الانصاري كان يبيع التمر فأتته امرأة فأعجبته فقال لها ان في البيت أجود من هذا فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها وأصاب منها كل ما يصيب الرجل من زوجته سوى الجماع ثم ندم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما فعل فقال أنتظر أمر ربي فلما صلى صلاة العصر نزلت فقال نعم اذهب فانها كفارة لما عملت فقيل له هذا له خاصة أم للناس عامة فقال بل للناس عامة وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال له توضأ وضوأ حسنا وصل ركعتين ان الحسنات يذهبن السيئات قال ابن عباس أي الصلوات الخمس كفارة لسائر الذنوب ما لم تكن كبيرة وقيل المراد ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وعن مجاهد الحسنات قول العبد سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وقد يحتج بالآية على أن المعصية لا تضر مع الايمان الذي هو رأس الاعمال الحسنة (ذلك) المذكور من قوله فاستقم الى ههنا (ذكرى للذاكرين) عظة للمتعظين وارشاد

ولم يخلقهم للعذاب * وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال وللاختلاف بالشقاء والسعادة خلقهم لان الله جل ذكره ذكر صنفين من خلقه أحدهما أهل اختلاف وباطل والآخر أهل حق ثم عقب ذلك بقوله ولذلك خلقهم فعم بقوله ولذلك خلقهم صفة الصنفين فأخبر عن كل فريق منهما أنه ميسر لما خلق له فان قال قائل فان كان تأويل ذلك كما ذكرت فقد ينبغى أن يكون المختلفون غير ملومين على اختلافهم اذ كان لذلك خلقهم ربهم وأن يكون المتمعون هم الملومين قيل ان معنى ذلك بخلاف ما اليه ذهبت وانما معنى الكلام ولا يزال الناس مختلفين بالباطل من أديانهم ومللهم الا من رحم ربك فهداه للحق ولعلمه وعلى علمه النافذ فيهم قبل أن يخلقهم أنه يكون فيهم المؤمن والكافر والشقى والسعيد خلقهم فمعنى اللام فى قوله ولذلك خلقهم بمعنى على كقولك للرجل أكرمتك على برك بى وأكرمتك لبرك بى وأما قوله وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين لعلمه السابق فيهم أنهم يستوجبون صليها بكفرهم بالله وخلافهم أمره وقوله وتمت كلمة ربك قسم كقول القائل حلفى لأزورنك وبدا لى لآتينك ولذلك تلقيت بلام اليمين وقوله من الجنة وهى ما اجتن عن أبصار بنى آدم والناس يعنى وبنى آدم وقيل انهم سموا جنة لانهم كانوا على الجنان ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبدالله عن اسرائيل عن السدى عن أبى مالك وانما سموا الجنة أنهم كانوا على الجنان والملائكة كلهم جنة حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبدالله عن اسرائيل عن السدى عن أبى مالك قال الجنة الملائكة وأما معنى قول أبى مالك هذا أن ابليس كان من الملائكة والجن ذريته وان الملائكة تسمى عنده الجن لما قد بينت فيما مضى من كتابنا هذا * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره وكلا نقص عليك يا محمد من أنباء الرسل الذين كانوا قبلك ما نثبت به فؤادك فلا تجزع من تكذيب من كذبك من قومك ورد عليك ما جئتهم به ولا يضيق صدرك فتترك بعض ما أنزلت اليك من أجل أن قالوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك اذا علمت ما لقى من قبلك من رسلى من أممها كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك قال لتعلم ما لقيت الرسل قبلك من أممهم واختلف أهل العربية فى وجه نصب كلا فقال بعض نحويى البصرة نصب على معنى ونقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك كلا كأن الكل منصوب عنده على المصدر من نقص بتأويل ونقص عليك ذلك كل القصص وقد أنكر ذلك من قوله بعض أهل العربية وقال ذلك غير جائز وقال انما نصب كلا بنقص لان كلا بنيت على الاضافة كان معها اضافة أو لم يكن وقال أراد كله نقص عليك وجعل ما نثبت ردا على كلا وقد بينت الصواب من القول فى ذلك وأما قوله وجاءك فى هذه الحق فان أهل التأويل اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم معناه وجاءك فى هذه السورة الحق ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبدالرحمن قال ثنا شعبة عن خليد بن جعفر عن أبى اياس عن أبى موسى وجاءك فى هذه الحق قال فى هذه السورة حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع * وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن شعبة عن خليد بن جعفر عن أبى اياس معاوية بن قرة عن أبى موسى مثله حدثنا ابن بشار قال ثنى سعيد بن عامر قال ثنا عوف عن أبى رجاء عن ابن عباس فى قوله وجاءك فى هذه الحق قال فى هذه السورة حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن أبى عوانة عن أبى بشر عن عمرو العنبرى عن ابن عباس وجاءك فى هذه الحق قال فى هذه السورة حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبدالرحمن بن مهدى عن أبى عوانة عن أبى بشر عن رجل من بنى العنبر قال خطبنا ابن عباس فقال وجاءك فى هذه الحق قال فى هذه

للمسترشدين ثم أمر بالصبر على التكاليف المذكورة أمرا ونهيا ونص على أن الاتيان بها احسان وأن جزاءه يحصل لا محالة فقال (واصبر) الآية ثم عاد الى أحوال الامم الخالية وبين أن السبب فى حلول عذاب الاستئصال بهم أمران الاول أنه ما كان فيهم قوم ينهون عن الفساد وذلك قوله (فلولا) أى فهلا (كان من القرون من قبلكم أولو بقية) ذوو خير ورشد وفضل وذلك أن الرجل يستبقى مما يخرجه أجوده وأفضله فصارت البقية مثلا فى الجودة يقال فلان من بقية القوم أى من خيارهم ومن أمثالهم فى الزوايا خبايا وفى الرجال بقايا وجوز فى الكشاف أن يكون من البقوى كالتقية فى التقوى أى فهلا كان منهم ذوو ابقاء على أنفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه (الا قليلا) استثناء متصل لان فى تحضيضهم على النهى عن الفساد معنى نفيه عنهم فكأنه قيل ما كان من القرون ناس ناهون الا ناسا قليلا ومن فى (ممن أنجينا) للبيان أى هم الذين أنجيناهم قال فى الكشاف لان النجاة انما هى للناهين وحدهم ولقائل أن يقول اذا كان النهى عن المنكر فرض كفاية لم يلزم أن تنحصر النجاة فى الناهين فيحتمل أن تكون من للتبعيض ويجوز على ما فى الكشاف أن يكون الاستثناء منقطعا معناه ولكن قليلا ممن أنجينا من القرون نهوا عن الفساد قال ولو جعلته متصلا على ما عليه ظاهر الكلام كان المعنى فاسدا لانه يكون تحضيضا لاولى البقية على

السورة حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الاعمش عن سعيد بن جبير قال سمعت ابن عباس قرأ هذه السورة على الناس حتى بلغ وجاءك فى هذه الحق قال فى هذه السورة حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن عوف عن مروان الأصغر عن ابن عباس انه قرأ على المنبر وجاءك فى هذه الحق فقال فى هذه السورة حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع * وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبيه عن ليث عن مجاهد وجاءك فى هذه الحق قال فى هذه السورة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وجاءك فى هذه السورة حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع * وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن شريك عن عطاء عن سعيد بن جبير مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الله عن أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية قال هذه السورة حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن سعيد قال أخبرنا أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس مثله حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا أبو رجاء عن الحسن فى قوله وجاءك فى هذه الحق قال فى هذه السورة حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى عن شعبة عن أبى رجاء عن الحسن مثله حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع * وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن شعبة عن أبى رجاء عن الحسن مثله حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الرحمن عن أبان بن تغلب عن مجاهد مثله حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وجاءك فى هذه الحق قال فى هذه السورة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة حدثنى المثنى قال ثنا آدم قال ثنا شعبة عن أبى رجاء قال سمعت الحسن البصرى يقول فى قول الله تعالى وجاءك فى هذه الحق قال يعنى فى هذه السورة . وقال آخرون معنى ذلك وجاءك فى هذه الدنيا الحق ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن قتادة وجاءك فى هذه الحق قال فى هذه الدنيا حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع . وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن شعبة عن قتادة وجاءك فى هذه الحق قال كان الحسن يقول فى الدنيا . وأولى التأويلين بالصواب فى تأويل ذلك قول من قال وجاءك فى هذه السورة الحق لاجماع الحجة من أهل التأويل على أن ذلك تأويله فان قال قائل أولم يجئ النبى صلى الله عليه وسلم الحق من سور القرآن الا فى هذه السورة فيقال وجاءك فى هذه السورة الحق قيل له بلى قد جاءه فيها كلها فان قال فما وجه خصوصه اذا فى هذه السورة بقوله وجاءك فى هذه الحق قيل ان معنى الكلام وجاءك فى هذه السورة الحق مع ما جاءك فى سائر سور القرآن أو الى ما جاءك من الحق فى سائر سور القرآن لا أن معناه وجاءك فى هذه السورة الحق دون سائر سور القرآن وقوله وموعظة يقول وجاءك موعظة تعظ الجاهلين بالله وتبين لهم عبره ممن كفر به وكذب رسله وذكرى للمؤمنين يقول وتذكرة تذكر المؤمنين بالله ورسله كى لا يغفلوا عن الواجب لله عليهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون وانتظروا انا منتظرون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقل يا محمد للذين لا يصدقونك ولا يقرون بوحدانية الله اعملوا على مكانتكم يقول على هينتكم وتمكنكم ما أنتم عاملوه فانا عاملون ما نحن عاملوه من الاعمال التى أمرنا الله بها وانتظروا ما وعدكم الشيطان فانا منتظرون ما وعدنا الله من حربكم ونصرتنا عليكم كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال

ثنى

النهى عن الفساد الا القليل من الناجين منهم كما تقول هلا قرأ قومك القرآن الا الصلحاء منهم تريد استثناء الصلحاء من المحضضين على قراءة القرآن أقول لم لا يجوز أن يكون المراد من استثناء الصلحاء منهم أنه لا حاجة لهم الى التحضيض كأنك قلت أحضض قومك على القراءة الا الصلحاء فانهم لا يحتاجون الى ذلك لانهم مواظبون عليها على أن فى جعل الاستثناء منقطعا شبه تناقض لان أول الكلام يدل على أنه لم يكن فيهم ناه وآخره يدل على أن القليل منهم قد نهوا فتأمل فى هذا المقام فانه من مزلة الاقدام السبب الثانى فى نزول العذاب قوله (واتبع الذين ظلموا ما أترفوا) ما أغرقوا (فيه) من التنعم والترفه من حيث الرياسة والثروة وأسباب العيش الهنى ورفضوا ما وراء ذلك مما يتعلق بأمر الدين فهذه الجملة معطوفة على مدلول الجملة التحضيضية أى ما كان من القرون ناس كذا واتبع الظالمون كذا ويجوز أن يكون فى الكلام اضمار والواو للحال كأنه قيل أنجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاء اترافهم والمترف الذى أبطرته النعمة وصبى مترف منعم البدن وقوله (وكانوا مجرمين) اما معترضة واما معطوف على اتبع أى وكانوا مجرمين بذلك أو على أترفوا أى اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالآثام أو أريد بالاجرام اغفالهم للشكر ثم بين أنه ما ينبغى له سبحانه أن يهلك القرى بظلم قال أهل السنة أى بسبب مجرد الشرك والحال أنهم مصلحون فى المعاملة والعشرة فيما بينهم وذلك

ثنى حجاج عن ابن جريج فى قوله وانتظروا انا منتظرون قال يقول انتظروا مواعيد الشيطان اياكم على ما يزين لكم انا منتظرون ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولله يا محمد ملك كل ما غاب عنك فى السموات والارض فلم تطلع عليه ولم تعلمه كل ذلك بيده وبعلمه لا يخفى عليه منه شئ وهو عالم بما يعمله مشركو قومك وما اليه مصير أمرهم من اقامة على الشرك أو اقلاع عنه وتوبة واليه يرجع الامر كله يقول والى الله معاد كل عامل وعمله وهو مجاز جميعهم بأعمالهم كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج واليه يرجع الامر كله قال فيقضى بينهم بحكمه بالعدل يقول فاعبده يقول فاعبد ربك يا محمد وتوكل عليه يقول وفوض أمرك اليه وثق به وبكفايته فانه كافى من توكل عليه وقوله وما ربك بغافل عما تعملون يقول تعالى ذكره وما ربك يا محمد بساه عما يعمل هؤلاء المشركون من قومك بل هو محيط به لا يعزب عنه شئ منه وهو لهم بالمرصاد فلا يحزنك اعراضهم عنك ولا تكذيبهم ما جئتهم به من الحق وامض لأمر ربك فانك بأعيننا حدثنى ابن وكيع قال ثنا زيد بن الحباب عن جعفر بن سليمن عن أبى عمران الجونى عن عبد الله بن رباح عن كعب قال خاتمة التوراة خاتمة هود * آخر تفسير سورة هود والحمد لله المعبود المقصود

﴿ تفسير السورة التى يذكر فيها يوسف صلى الله عليه وسلم ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الر تلك آيات الكتاب المبين ﴾ قال أبو جعفر محمد بن جرير قد ذكرنا اختلاف أهل التأويل فى تأويل قوله الر تلك آيات الكتاب المبين والقول الذى نختاره فى تأويل ذلك فيما مضى بما أغنى عن اعادته ههنا وأما قوله تلك آيات الكتاب المبين فان أهل التأويل اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم معناه تلك آيات الكتاب المبين بين حلاله وحرامه ورشده وهداه ذكر من قال ذلك حدثنى سعيد بن عمرو السكونى قال ثنا الوليد بن سلمة الفلسطينى قال أخبرنى عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه فى قول الله تعالى الر تلك آيات الكتاب المبين قال بين حلاله وحرامه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الر تلك آيات الكتاب المبين اى والله لبين تركيبه هداه ورشده حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله الر تلك آيات الكتاب المبين قال بين الله رشده وهداه * وقال آخرون فى ذلك بما حدثنى سعيد بن عمرو السكونى قال ثنا الوليد بن سلمة قال ثنا ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن معاذ أنه قال فى قول الله عز وجل الكتاب المبين قال بين الحروف التى سقطت عن ألسن الاعاجم وهى ستة أحرف * والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال معناه هذه آيات الكتاب المبين لمن تلاه وتدبر ما فيه من حلاله وحرامه ونهيه وسائر ما حواه من صنوف معانيه لان الله جل ثناؤه أخبر أنه مبين ولم يخصص ابانته عن بعض ما فيه دون جميعه فذلك على جميعه اذ كان جميعه مبينا عما فيه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ﴾ يقول تعالى ذكره انا أنزلنا هذا الكتاب المبين قرآنا عربيا على العرب لأن لسانهم وكلامهم عربى فأنزلنا هذا الكتاب بلسانهم ليعقلوه ويفقهوا منه وذلك قوله عز وجل لعلكم تعقلون ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ نحن نقص عليك أحسن

أن حقوق الله تعالى مبنية على المساهلة بخلاف حقوق العباد وهذا كما قيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم ويؤكد هذا التفسير أن عذاب الاستئصال انما نزل بقوم لوط وشعيب لما حكى الله عنهم من ايذاء الناس والافساد فى الارض وقالت المعتزلة قوله بظلم حال من الفاعل والمعنى استحال فى الحكمة أن يهلك الله القرى ظالما لها وأهلها قوم مصلحون فى العمل تنزيها لذاته عن الظلم وايذانا بأن اهلاك المصلحين ظلم ثم ذكر أن الكل بمشيئته وارادته فقال (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) مهدية والمعتزلة يحملون هذه المشيئة على مشيئة الالجاء والقسر وقد مر مرارا (ولا يزالون مختلفين) فى الاديان والأخلاق والافعال فمنهم من أنكر العلوم كلها حتى الحسيات والضروريات وهم السوفسطائية ومنهم من سلم استنتاج العلوم كلها والمعارف ولم يثبت لهذا العالم الجسمانى مبدأ أصلا وهم الدهرية ومنهم من أثبت له مبدأ موجبا بالذات وهم الفلاسفة على ما اشتهر منهم ولهذا المقام تحقيق ليس ههنا موضع بيانه ومنهم من أنكر النبوات وهم البراهمة ومنهم من أثبتها وهم المسلمون والمجوس واليهود والنصارى وفى كل واحدة من هذه الطوائف اختلافات لا تكاد تدخل تحت الحصر وانما لم يحمل الاختلاف فى الآية على الاختلاف فى الالوان والألسنة والارزاق والاعمار بل حملناه على الاختلاف فى الاديان وما يتعلق بها لانه ينبو عن ذلك ما قبل الكلام

القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين ﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم نحن نقص عليك يا محمد أحسن القصص بوحينا اليك هذا القرآن فنخبرك فيه عن الاخبار الماضية وأنباء الامم السالفة والكتب التي أنزلناها في العصور الخالية وان كنت من قبله لمن الغافلين يقول تعالى ذكره وان كنت يا محمد من قبل أن نوحيه اليك لمن الغافلين عن ذلك لا تعلمه ولا شيأ منه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة نحن نقص عليك أحسن القصص من الكتب الماضية وأمور الله السالفة في الامم وان كنت من قبله لمن الغافلين وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم لمسئلة أصحابه اياه أن يقص عليهم ذكر الرواية بذلك حدثني نصر بن عبد الرحمن الاودي قال ثنا حكام الرازي عن أيوب عن عمرو الملائي عن ابن عباس قال قالوا يا رسول الله لو قصصت علينا قال فنزلت نحن نقص عليك أحسن القصص حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن أيوب بن سيار أبي عبد الرحمن عن عمرو بن قيس قال قالوا يا نبي الله فذكر مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن المسعودي عن عون بن عبد الله قال مل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملة فقالوا يا رسول الله حدثنا فأنزل الله عز وجل الله نزل أحسن الحديث ثم ملوا ملة أخرى فقالوا يا رسول الله حدثنا فوق الحديث ودون القرآن يعنون القصص فأنزل الله الر تلك آيات الكتاب المبين انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين فأرادوا الحديث فدلهم على أحسن الحديث وأرادوا القصص فدلهم على أحسن القصص حدثنا محمد بن سعيد العطار قال ثنا عمرو بن محمد قال أخبرنا خلاد الصفار عن عمرو بن قيس عن مصعب بن سعد عن سعد قال أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن قال فتلاه عليهم زمانا فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فأنزل الله الر تلك آيات الكتاب المبين الى قوله لعلكم تعقلون الآية قال ثم تلاه عليهم زمانا فقالوا يا رسول لو حدثتنا فأنزل الله تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها قال خلاد وزاده فيه رجل آخر قالوا يا رسول الله أو قال أبو يحيى ذهبت من كتابي كلمة فأنزل الله ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ اذ قال يوسف لابيه يا أبت اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان كنت يا محمد لمن الغافلين عن نبا يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم اذ قال لأبيه يعقوب بن اسحق يا أبت اني رأيت أحد عشر كوكبا يقول اني رأيت في منامي أحد عشر كوكبا وقيل ان رؤيا الانبياء كانت وحيا حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن سماك بن حرب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين قال كانت رؤيا الانبياء وحيا وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن سفيان عن سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس اني رأيت أحد عشر كوكبا قال كانت الرؤيا فيهم وحيا وذكر أن الاحد العشر الكوكب التي رآها في منامه ساجدة مع الشمس والقمر ما حدثني علي بن سعيد الكندي قال ثنا الحكم بن ظهير عن السدي عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل من يهود يقال له بستانة اليهودي فقال له يا محمد أخبرني عن الكواكب التي رآها يوسف ساجدة له ما أسماؤها قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبه بشيء ونزل عليه جبرئيل وأخبره بأسمائها قال فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه فقال هل أنت مؤمن ان أخبرتك بأسمائها قال نعم فقال حربان والطارق والذيال وذو الكتفين وقابس ووثاب

وعمودان

وهو قوله ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة وما بعده وهو قوله (الا من رحم ربك) قالت المعتزلة الا ناسا هداهم الله ولطف بهم فاتفقوا على الدين الحق وقال أهل السنة جميع الالطاف التي فعلها في حق المؤمن فهي مفعولة أيضا في حق الكافر وهذه الرحمة أمر مختص بالمؤمن مرجح لجانب الايمان وصدوره منه وذلك الايمان بخلق الله وتكوينه وكذا ضده ثم قال (ولذلك خلقهم) فاختلف العلماء في المشار اليه بذلك فالمعتزلة قالوا ولذلك من التمكين والاختيار الذي كان منه الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحق بحسن اختياره ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره أو ولما ذكر من الرحمة خلقهم والاشاعرة قالوا ولاجل ما ذكر من الاختلاف خلقهم لما صح في الحديث أنه خلق الجنة وخلق لها أهلا وخلق النار وخلق لها أهلا وللدلائل الدالة على أن الكل بايجاده وتخليقه وأن خلاف معلومه محال والى هذا أشار بقوله (وتمت كلمة ربك) أي علمه وارادته أو قوله للملائكة (لأملأن جهنم) الآية وفرق المعتزلة بين معلومه ومراده ثم ذكر طرفا من فوائد القصص المذكور في السورة فقال (وكلا) أي وكل نبا (نقص عليك) وقوله (من أنباء الرسل) بيان لكل و(ما نثبت) بدل من كلا أو المراد وكل نوع من الاقتصاص على أنه مصدر أي على الاساليب المختلفة نقص وما نثبت مفعول ومعنى تثبيت فؤاده زيادة اليقين والطمأنينة لان تكاثر الادلة أثبت للقلب وأرسخ للعلم أو المعنى تثبيت قلبه على أداء

وعمودان والفليق والمصبح والضروح وذو الفرغ والضياء والنور فقال اليهودي والله انها لأسماؤها وقوله والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين يقول والشمس والقمر رأيتهم في منامى سجودا وقال ساجدين والكواكب والشمس والقمر انما يخبر عنها بفاعلة وفاعلات لا بالواو والنون انما هي علامة جمع أسماء ذكور بنى آدم أو الجن أو الملائكة وانما قيل ذلك كذلك لان السجود من أفعال من يجمع أسماء ذكورهم بالياء والنون أو الواو والنون فأخرج جمع أسمائها مخرج جمع أسماء من يفعل ذلك كما قيل يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم وقال رأيتهم وقد قيل انى رأيت أحد عشر كوكبا فكرر الفعل وذلك على لغة من قال كلمت أخاك كلمته توكيدا للفعل بالتكرير وقد قيل ان الكواكب الاحد عشر كانت اخوته والشمس والقمر أبويه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله اذ قال يوسف لأبيه يا أبت انى رأيت أحد عشر كوكبا اخوته أحد عشر كوكبا والشمس والقمر يعنى بذلك أبويه حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا شريك عن السدى في قوله انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر الآية قال رأى أبويه واخوته سجودا له فاذا قيل له عمن قال ان كان حقا فان ابن عباس فسره حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين قال الكواكب اخوته والشمس والقمر أبواه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله انى رأيت أحد عشر كوكبا اخوته والشمس أمه والقمر أبوه حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال قال سفيان كان أبويه واخوته حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك قوله انى رأيت أحد عشر كوكبا هم اخوة يوسف والشمس والقمر هما أبواه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يا أبت انى رأيت أحد عشر كوكبا الآية قال أبواه واخوته قال فنعاه اخوته وكانوا أنبياء فقالوا ما رضى أن يسجد له اخوته حتى سجد له أبواه حين بلغهم وروى عن ابن عباس أنه قال الكواكب اخوته والشمس والقمر أبوه وخالته من وجه غير محمود فكرهت ذكره ❊ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين﴾ يقول جل ذكره قال يعقوب لابنه يوسف يا بنى لا تقصص رؤياك هذه على اخوتك فيحسدوك فيكيدوا لك كيدا يقول فيبغوك الغوائل ويناصبوك العداوة ويطيعوا فيك الشيطان ان الشيطان للانسان عدو مبين يقول ان الشيطان لآدم وبنيه عدو قد أبان لهم عداوته وأظهرها يقول فاحذر الشيطان أن يغرى اخوتك بك بالحسد منهم لك ان أنت قصصت عليهم رؤياك وانما قال يعقوب ذلك لانه قد كان تبين له من اخوته قبل ذلك حسده كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد العنقزى عن أسباط عن السدى قال نزل يعقوب الشام فكان همه يوسف وأخاه فحسده اخوته لما رأوا حب أبيه له ورأى يوسف في المنام كأن أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رآهم له ساجدين فحدث أباه بها فقال يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا الآية واختلف أهل العربية في وجه دخول اللام في قوله فيكيدوا لك كيدا فقال بعض نحويى البصرة معناه فيتخذوا لك كيدا وليست مثل ان كنتم للرؤيا تعبرون تلك أرادوا أن يوصل الفعل اليها باللام كما يوصل بالباء كما تقول قدمت له طعاما تريد قدمت اليه وقال يأكلن ما قدمتم لهن ومثله قوله قل الله يهدى للحق قال وان شئت كان فيكيدوا لك كيدا في معنى فيكيدوك وتجعل اللام مثل لربهم يرهبون وقد قال لربهم يرهبون انما هو مكان ربهم يرهبون وقال بعضهم

الرسالة وتحمل الاذى من قومه أسوة بسائر الانبياء (وجاءك في هذه) السورة أو في هذه الانباء (الحق) وهو البراهين القاطعة الدالة على صحة المبدا والوسط والمعاد (وموعظة) وهى الدلائل المقنعة الموقعة للتصديق بقدر الامكان والاول للخواص أنفع والثانى للعوام أنجع (وذكرى للمؤمنين) وهى الارشاد الى الاعمال الصالحة النافعة في الآخرة المحصلة لما هنالك من السعادة وان حسن هذا الدين معلوم لمن رجع الى نفسه وعمل بمقتضى تذكره وفكره واعلم أن المعارف الالهية لا بد لها من قابل وفاعل وقابلها القلب وانه ما لم يكن مستعدا لم يحصل له الانتفاع بسماع الدلائل وورودها عليه فلهذا السبب قدم ذكر اصلاح القلب وعلاجه وهو تثبيت الفؤاد ثم عقبه بذكر المؤثر الفاعل وهو مجىء هذه السورة بل آية منها وهى قوله فاستقم كما أمرت مشتملة على الحق والموعظة والذكرى وهذا ترتيب في غاية الحسن ثم أمر بالتهديد لمن لم يؤثر فيهم هذه البيانات من أهل مكة وغيرهم فقال (وقل للذين لا يؤمنون اعملوا) وقد مر تفسير مثله في هذه السورة وفي الانعام (وانتظروا) ما يعدكم الشيطان (انا منتظرون) ما وعدنا الرحمن من الغفران والاحسان وعن ابن عباس انتظروا بنا الدوائر فانا منتظرون بكم العذاب كما حل بنظرائكم ثم ختم السورة بآية مشتملة على جميع المطالب من أمر المبدا والوسط والمعاد وقد سبق تقريره في آخر البقرة في تفسير آية آمن الرسول فلا حاجة الى الاعادة

أدخلت اللام فى ذلك كما تدخل فى قولهم حمدت لك وشكرت لك وحمدتك وشكرتك وقال هذه لام عليها الفعل فكذلك قوله فيكيدوا لك كيدا تقول فيكيدولك أو يكيدوا لك فيقصدولك ويقصدوا لك قال وكيدا توكيد ❊ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحق ان ربك عليم حكيم ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل يعقوب لابنه يوسف لما قص عليه رؤياه وكذلك يجتبيك ربك وهكذا يجتبيك ربك يقول كما أراك ربك الكواكب والشمس والقمر لك سجودا فكذلك يصطفيك ربك كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو العنقزى عن أبى بكر الهذلى عن عكرمة وكذلك يجتبيك ربك قال يصطفيك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث فاجتباه واصطفاه وعلمه من عبر الاحاديث وهو تأويل الاحاديث وقوله ويعلمك من تأويل الاحاديث يقول ويعلمك ربك من علم ما يؤول اليه أحاديث الناس عما يرونه فى منامهم وذلك تعبير الرؤيا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ويعلمك من تأويل الاحاديث قال عبارة الرؤيا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ويعلمك من تأويل الاحاديث قال تأويل الكلام العلم والحلم وكان يوسف أعبر الناس وقرأ ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وقوله ويتم نعمته عليك باجتبائه اياك واختياره وتعليمه اياك تأويل الاحاديث وعلى آل يعقوب يقول وعلى أهل دين يعقوب وملته من ذريته وغيرهم كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحق باتخاذه هذا خليلا وتنجيته من النار وفديته هذا بذبح عظيم كالذى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال أخبرنا أبو اسحق عن عكرمة فى قوله ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحق قال فنعمته على ابراهيم أن نجاه من النار وعلى اسحق أن نجاه من الذبح وقوله ان ربك عليم حكيم يقول ان ربك عليم بمواضع الفضل ومن هو أهل للاجتباء والنعمة حكيم فى تدبيره خلقه ❊ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ لقد كان فى يوسف وإخوته آيات للسائلين ﴾ يقول تعالى ذكره لقد كان فى يوسف واخوته الاحد عشر آيات يعنى عبر وذكر للسائلين يعنى السائلين عن أخبارهم وقصصهم وانما أراد جل ثناؤه بذلك نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وذلك أنه يقال ان الله تبارك وتعالى انما أنزل هذه السورة على نبيه يعلمه فيها ما لقى يوسف من اخوته واذايته من الحسد مع تكرمة الله اياه تسلية له بذلك مما يلقى من اذايته وأقاربه من مشركى قريش كذلك كان ابن اسحق يقول حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال انما قص الله تبارك وتعالى على محمد خبر يوسف وبغى اخوته عليه وحسدهم اياه حين ذكر رؤياه لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بغى قومه وحسده حين أكرمه الله عز وجل بنبوته ليتأسى به ❊ واختلفت القراء فى قراءة قوله آيات للسائلين فقرأته عامة قراء الامصار آيات على الجماع وروى عن مجاهد وابن كثير أنهما قرآ ذلك على التوحيد والذى هو أولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ ذلك على الجماع لاجماع الحجة من القراء عليه ❊ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة ان أبانا لفى ضلال مبين ﴾ يقول تعالى ذكره لقد كان فى يوسف واخوته آيات لمن سأل عن شأنهم حين قال اخوة يوسف ليوسف وأخوه من أمه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة يقولون ونحن جماعة ذوو عدد أحد عشر رجلا والعصبة من الناس هم عشرة فصاعدا قيل الى خمسة عشر ليس لها واحد من لفظها كالنفر والرهط ان أبانا لفى ضلال مبين يعنون ان أبانا يعقوب

لفى

❊ التأويل ما دامت السموات والارض أى ما دامت سموات الارواح والقلوب وأرض النفوس البشرية الا ما شاء ربك من الاشقياء وذلك أن أهل الشقاء ضربان شقى وأشقى فالشقى بالمعاصى سعيد بالتوحيد فيخلص من النار آخرا والأشقى وهو الكافر يبقى فيها مخلدا ومن أهل الجنة سعيد يبقى خالدا فيها وأسعد وهم الذين يترقون الى مقعد صدق عند مليك مقتدر وهنالك مقام الوحدة الذى لا انقطاع له كما قال عطاء غير مجذوذ لموفوهم نصيبهم الذى قدر لهم فى الازل من الشقاء ولولا كلمة سبقت من ربك باستكمال الشقاء لقضى بينهم بالهلاك عاجلا لفى شك منه اشارة الى الضلال وقوله مريب اشارة الى الاضلال وان كلا أى كل واحد من الضالين ومن المضلين فاستقم أمر التكوين ولذلك قال كما أمرت أى فى الازل وفى قوله ومن تاب معك اشارة الى أن النفوس جبلت على الاعوجاج فيحتاج الى الرجوع من الطريق المنحرف الى الصراط المستقيم الى من اختص بالاستقامة بسبب أمر التكوين كالنبى صلى الله عليه وسلم ان الحسنات يذهبن السيآت يعنى ان الاعمال الصالحة فى الاوقات المعدودة تزيل ظلمات الاوقات المصروفة فى قضاء الحوائج النفسانية الضرورية وذلك أن تعلق الروح النورى العلوى بالجسد الظلمانى السفلى موجب لخسران الروح كقوله والعصر ان الانسان لفى خسر الا أن يتداركه أنوار العمل الصالح فيرقيه من حضيض البشرية الى ذروة الروحانية بل الى الوحدة الربانية فتندفع عنه ظلمة

لى خطأ من فعله فى ايثاره يوسف وأخاه من أمه علينا بالمحبة و يعنى بالمبين أنه خطأ يبين عن نفسه أنه خطأ لمن تأمله ونظر اليه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد العنقزى عن أسباط عن السدى اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا قال يعنون بنيامين قال وكانوا عشرة * قال ثنا عمرو بن محمد عن أسباط عن السدى ان أبانا لفى ضلال مبين قال فى ضلال من أمرنا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ونحن عصبة قال العصبة الجماعة * القول فى تأويل قوله تعالى (اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين) يقول جل ثناؤه قال اخوة يوسف بعضهم لبعض اقتلوا يوسف أو اطرحوه فى أرض من الارض يعنون مكانا من الارض يخل لكم وجه أبيكم يعنون يخل لكم وجه أبيكم من شغله بيوسف فانه قد شغله عنا وصرف وجهه عنا اليه وتكونوا من بعده قوما صالحين يعنون أنهم يتوبون من قتلهم يوسف وذنبهم الذى يركبونه فيه فيكونون بتوبتهم من قتله من بعد هلاك يوسف قوما صالحين وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد عن أسباط عن السدى اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين قال تتوبون مما صنعتم أو من صنيعكم * القول فى تأويل قوله تعالى (قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه فى غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين) يقول تعالى ذكره قال قائل من اخوة يوسف لا تقتلوا يوسف وقيل ان قائل ذلك روبيل كان ابن خالة يوسف ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لا تقتلوا يوسف ذكر لنا أنه روبيل كان أكبر القوم وهو ابن خالة يوسف فنهاهم عن قتله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق اقتلوا يوسف الى قوله ان كنتم فاعلين قال ذكر لى والله أعلم أن الذى قال ذلك منهم روبيل الأكبر من بنى يعقوب وكان أقصدهم فيه رأيا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله لا تقتلوا يوسف قال كان أكبر اخوته وكان ابن خالة يوسف فنهاهم عن قتله وقيل كان قائل ذلك منهم شمعون ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن سفيان عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف قال هو شمعون وقوله وألقوه فى غيابة الجب يقول وألقوه فى قعر الجب حيث يغيب خبره * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة غيابات الجب على الجماع وقرأ ذلك عامة قراء سائر الامصار غيابة الجب بتوحيد الغيابة وقراءة ذلك بالتوحيد أحب الى والجب بئر وقيل انه اسم بئر ببيت المقدس ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فى غيابة الجب قال بئر ببيت المقدس حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله غيابة الجب قال بئر ببيت المقدس والغيابة كل شئ غيب شيأ فهو غيابة والجب البئر غير المطوية وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى غيابة الجب فى بعض نواحيها فى أسفلها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وألقوه فى غيابة الجب يقول فى بعض نواحيها حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس وألقوه فى غيابة الجب قال قالها كبيرهم الذى تخلف قال

الجسد السفلى مثاله القاء الحبة فى الارض فانه من خسران الحبة الا أن يتداركه الماء وسائر الاسباب فيربيها الى أن تصير الحبة الواحدة الى سبعمائة ومازاد ذلك الذى ذكرنا من التدارك عظة للذاكرين الذين يريدون أن يذكروا الله فى جميع الاحوال فانهم اذا حافظوا على هذه الاوقات فكأنهم حافظوا على جميعها لان الانسان خلق ضعيفا ليس يقدر على صرف جميع الاوقات فى محض العبودية والعبادة فلولا كان من القرون صورة التحضيض وحقيقته السؤال لجاب بأنه لم يكن كذلك لانك فاعل مختار فعال لما تريد خلقت خلقا للاقرار وخلقت خلقا للانكار ولا اعتراض لأحد عليك يؤيده قوله ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة طالبة للحق متوجهة اليه ولا يزالون مختلفين منهم من يطلب الدنيا ومنهم من يطلب العقبى ومنهم من يطلب المولى وهم المشار اليهم بقوله الا من رحم ربك ولذلك أى لطلب الله خلقهم بحسن الاستعداد ولان رحمته سبقت غضبه ولكن وقوع فريق فى طريق القهر ضرورى فى الوجود وهو قوله وتمت كلمة ربك جرى به القلم للضرورة وما نثبت به فؤادك التثبت منه والتمكن منه بيده مفاتيح أبواب اللطف والقهر وقل للذين لا يؤمنون لطالب الحق ووجدانه اعملوا فى طلب المقاصد من باب القهر انا عاملون فى طلب الحق من باب لطفه وانتظروا نتائج أعمالكم انا منتظرون ثمرات أعمالنا ولله غيب السموات والارض أى ما غاب عنكم مما أودع من لطفه فى سموات القلوب

والجب بئر بالشأم حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس وألقوه في غيابة الجب يعني الركية حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول الجب البئر وقوله يلتقطه بعض السيارة يقول يأخذه بعض مارة الطريق من المسافرين ان كنتم فاعلين يقول ان كنتم فاعلين ما أقول لكم فذكر أنه التقطه بعض الاعراب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس يلتقطه بعض السيارة قال التقطه ناس من الاعراب وذكر عن الحسن البصري أنه قرأ تلتقطه بعض السيارة بالتاء حدثني بذلك أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنى حجاج عن هرون عن مطر الوراق عن الحسن وكأن الحسن ذهب في تأنيثه بعض السيارة الى أن فعل بعضها فعلها والعرب تفعل ذلك في خبر كان عن المضاف الى مؤنث يكون الخبر عن بعضه خبرا عن جميعه وذلك كقول الشاعر

أرى مر السنين أخذن مني * كما أخذ السرار من الهلال

فقال أخذن مني وقد ابتدأ الخبر عن المر اذ كان الخبر عن المر خبرا عن السنين وكما قال الآخر

اذا مات منهم سيد قام سيد * فدانت له أهل القرى والكنائس

فقال دانت له والخبر عن أهل القرى لان الخبر عنهم كالخبر عن القرى ومن قال ذلك لم يقل فدانت له غلام هند لان الغلام لو ألقى من الكلام لم تدل هند عليه كما يدل الخبر عن القرية على أهلها وذلك أنه لو قيل فدانت له القرى كان معلوما أنه خبر عن أهلها وكذلك بعض السيارة لو ألقى البعض فقيل تلتقطه السيارة علم أنه خبر عن البعض أو الكل ودل عليه الخبر عن السيارة ∴ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون﴾ يقول تعالى ذكره قال اخوة يوسف اذ تآمروا بينهم وأجمعوا على الفرقة بينه وبين والده يعقوب لوالدهم يعقوب يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف فتتركه معنا اذا نحن خرجنا خارج المدينة الى الصحراء ونحن له ناصحون نحوطه ونكلؤه ∴ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون﴾ واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة يرتع ويلعب بكسر العين من يرتع وبالياء في يرتع ويلعب على معنى يفتعل من الرعي ارتعيت فأنا أرتعي كأنهم وجهوا معنى الكلام الى أرسله معنا غدا يرتع الابل ويلعب وانا له لحافظون وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة أرسله معنا غدا يرتع ويلعب بالياء في الحرفين جميعا وتسكين العين من قولهم رتع فلان في ماله اذا لهى فيه ونعم وأنفقه في شهواته ومن ذلك قولهم في مثل من الامثال القيد والرتعة ومنه قول القطامي

أكفرا بعد رد الموت عني * وبعد عطائك المائة الرتاعا

وقرأ بعض أهل البصرة نرتع بالنون ونلعب بالنون فيهما جميعا وسكون العين من نرتع حدثني أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن هرون قال كان أبو عمرو يقرأ نرتع ونلعب بالنون قال فقلت لابي عمرو كيف يقولون نلعب وهم أنبياء قال لم يكونوا يومئذ أنبياء * وأولى القراءة في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأ في الحرفين كليهما بالياء وبجزم العين في يرتع لان القوم انما سألوا أباهم ارسال يوسف معهم وخدعوه بالخبر عن مسألتهم اياه ذلك عما ليوسف في ارساله معهم من الفرح والسرور والنشاط بخروجه الى الصحراء وفسحتها ولعبه هنالك لا بالخبر عن أنفسهم وبذلك أيضا جاء تأويل أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أرسله معنا غدا يرتع ويلعب يقول يسعى وينشط

ومن قهره في أرض النفوس واليه يرجع أمر أهل السعادة والشقاء ومظاهر اللطف والقهر فاعبده أيها الطالب للحق فانك مظهر اللطف وتوكل عليه في الطلب لا على طلبك فانك ان طلبته بك لم تجده وما ربك بغافل في الازل عما تعملون الى الابد والله حسبي

﴿سورة يوسف عليه السلام مكية وقيل فيما بين مكة الى المدينة وقت الهجرة حروفها سبعة آلاف ومائة وست وستون كلمها ألف وسبعمائة وست وأربعون آياتها مائة واحدى عشرة﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الر تلك آيات الكتاب المبين انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين اذ قال يوسف لأبيه يا أبت اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحق ان ربك عليم حكيم لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة ان أبانا لفي ضلال مبين اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين قالوا

حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس يرتع ويلعب قال يلهو وينشط ويسعى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أرسله معنا غدا يرتع ويلعب قال ينشط ويلهو حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة بنحوه حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة يرتع ويلعب قال يسعى ويلهو حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى هشيم عن جويبر عن الضحاك قوله يرتع ويلعب قال يتلهى ويلعب حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله يرتع ويلعب قال يتلهى ويلعب حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد قال ثنا أسباط عن السدى يرتع ويلعب قال ينشط ويلعب * قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى أرسله معنا غدا يرتع ويلعب يلهو * قال ثنا حسين بن علي عن شيبان عن قتادة أرسله معنا غدا يرتع ويلعب قال ينشط ويلعب حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا نعيم بن ضمضم العامري قال سمعت الضحاك ابن مزاحم في قوله أرسله معنا غدا يرتع ويلعب قال يسعى وينشط وكأن الذين يقرؤن ذلك يرتع ويلعب بكسر العين من يرتع يتأولونه على الوجه الذي حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أرسله معنا غدا يرتع ويلعب قال يرعى غنمه وينظر ويعقل فيعرف ما يعرف الرجل * وكان مجاهد يقول في ذلك بما حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله نرتع يحفظ بعضنا بعضا نتكالأ نتحارس حدثني محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نرتع قال يحفظ بعضنا بعضا نتكالأ حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد * وحدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج بنحوه فتأويل الكلام أرسله معنا غدا نلهو ونلعب وننعم وننشط في الصحراء ونحن حافظوه من أن يناله شئ يكرهه أو يؤذيه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال انى ليحزننى أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون﴾ يقول تعالى ذكره قال يعقوب لهم انى ليحزننى أن تذهبوا به معكم الى الصحراء مخافة عليه من الذئب أن يأكله وأنتم عنه غافلون لا تشعرون

۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون﴾ يقول تعالى ذكره قال اخوة يوسف لوالدهم يعقوب لئن أكل يوسف الذئب في الصحراء ونحن أحد عشر رجلا معه نحفظه وهم العصبة انا اذا لخاسرون يقول انا اذا لعجزة هالكون ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابت الجب وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون﴾ وفي الكلام متروك حذف ذكره اكتفاء بما ظهر عما ترك وهو فأرسله معهم فلما ذهبوا به وأجمعوا يقول وأجمع رأيهم وعزموا على أن يجعلوه في غيابة الجب كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد عن أسباط عن السدى قوله انى ليحزننى أن تذهبوا به الآية قال قال لن أرسله معكم انى أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون فأرسله معهم فأخرجوه وبه عليهم كرامة فلما برزوا به الى البرية أظهروا له العداوة وجعل أخوه يضربه فيستغيث بالآخر فيضربه فجعل لا يرى منهم رحيما فضربوه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويقول يا أبتاه يا يعقوب لو تعلم ما صنع بابنك بنو الاماء فلما كادوا يقتلونه قال يهوذا أليس قد أعطيتموني موثقا أن لا تقتلوه فانطلقوا به الى الجب ليطرحوه فجعلوا يدلونه في البئر فيتعلق

يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون قال انى ليحزننى أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابت الجب وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون وجاؤا أباهم عشاء يبكون قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وجاؤا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين﴾ ۞ القراآت يا أبت بفتح التاء والوقف بالهاء يزيد وابن عامر وقرأ ابن كثير ويعقوب بكسر التاء والوقف بالهاء (١) الباقون بالكسر في الحالين أحد عشر بسكون العين يزيد وابن عباس والخزازلي ساجدين بفتح الياء الاعشى والبرجمي يا بني بفتح الياء أينما كان حفص والمفضل الباقون بكسرها رؤيا بالامالة على غير قتيبة وليث وقرأ أبو عمرو بالامالة اللطيفة وقرأ يزيد وأبو عمرو غير شجاع وورش من طريق الاصبهاني والاعشى وحمزة في الوقف بغير همزة آية للسائلين على التوحيد ابن كثير الآخرون آيات على الجمع يخل لكم بالادغام شجاع من طريق

(١) تحرر قراءة الباقين

بشفير البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا على قميصى أتوارى به فى الجب فقالوا ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تؤنسك قال انى لم أر شيأ فدلوه فى البئر حتى اذا بلغ نصفها ألقوه ارادة أن يموت وكان فى البئر ماء فسقط فيه ثم أوى الى صخرة فيها فقام عليها قال فلما ألقوه فى البئر جعل يبكى فنادوه فظن أنها رحمة أدركتهم فلباهم فأرادوا أن يرضخوه بصخرة فيقتلوه فقام يهوذا فمنعهم وقال قد أعطيتمونى موثقا أن لا تقتلوه وكان يهوذا يأتيه بالطعام وقوله فلما ذهبوا به وأجمعوا فأدخلت الواو فى الجواب كما قال امرؤ القيس

فلما أجزنا ساحة الحى وانتحى ... بنا بطن خبت ذى حقاف عقنقل

فأدخل الواو فى جواب لما وانما الكلام فلما أجزنا ساحة الحى انتحى بنا وكذلك فلما ذهبوا به وأجمعوا لان قوله أجمعوا هو الجواب وقوله وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم يقول وأوحينا الى يوسف لتخبرن اخوتك بأمرهم هذا يقول بفعلهم هذا الذى فعلوه بك وهم لا يشعرون يقول وهم لا يعلمون ولا يدرون * ثم اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى عناه الله عز وجل بقوله وهم لا يشعرون فقال بعضهم عنى بذلك أن الله أوحى الى يوسف أن يوسف سينبئ اخوته بفعلهم به مافعلوه من القائه فى الجب وبيعهم اياه وسائر ما صنعوا به من صنيعهم واخوته لا يشعرون بوحى الله اليه بذلك ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وأوحينا اليه الى يوسف حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا قال أوحينا الى يوسف لتنبئن اخوتك * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون قال أوحى الى يوسف وهو فى الجب أن سينبئهم بما صنعوا وهم لا يشعرون بذلك الوحى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد وأوحينا اليه قال الى يوسف * وقال آخرون معنى ذلك وأوحينا الى يوسف بما اخوته صانعون به واخوته لا يشعرون باعلام الله اياه بذلك ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون بما أطلع الله عليه يوسف من أمرهم وهو فى البئر حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون قال أوحى الله الى يوسف وهو فى الجب أن ينبئهم بما صنعوا به وهم لا يشعرون بذلك الوحى حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن معمر عن قتادة بنحوه الا أنه قال أن سينبئهم * وقال آخرون بل معنى ذلك أن يوسف سينبئهم بصنيعهم به وهم لا يشعرون أنه يوسف ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله وهم لا يشعرون يقول وهم لا يشعرون أنه يوسف حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا صدقة بن عبادة الاسدى عن أبيه قال سمعت ابن عباس يقول لما دخل اخوة يوسف فعرفهم وهم له منكرون قال جئ بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرنى هذا الجام أنه كان لكم أخ من أبيكم يقال له يوسف يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به فألقيتموه فى غيابة الجب قال ثم نقره فطن فأتيتم أباكم فقلتم ان الذئب أكله وجئتم على قميصه بدم كذب قال فقال بعضهم لبعض ان هذا الجام ليخبره بخبركم قال ابن عباس فلا نرى هذه الآية نزلت الا فيهم لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون

﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وجاؤا أباهم عشاء يبكون قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف

أبى غالب وأبو شعيب غيابات وما بعده على الجمع أبو جعفر ونافع الباقون غيابة على التوحيد لا تأمنا بغير اشمام ضمة النون يزيد والحلوانى عن قالون الآخرون باشمام الذئب وما بعده بغير همز أبو عمرو وغير شجاع وأوقية ويزيد والاعشى وورش وخلف وعلى وحمزة فى الوقف يرتع ويلعب بالياء فيهما وبالجزم عاصم وحمزة وعلى وخلف بكسر العين فى الاول أبو جعفر ونافع بالنون فيهما وبالجزم ابن عامر وأبو عمرو وبكسر العين ابن كثير سوى الهاشمى وأبى ربيعة عن قنبل فانهما نرتعى بالكسر مع الياء بعده نرتع ونلعب بالجزم فيهما مع النون فى الاول والياء فى الثانى يعقوب عن رويس ليحزننى أن بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وقرأ نافع ليحزننى أن بفتح الياء أيضا ولكن من باب الافعال بل سولت وبابه مدغما حمزة وعلى وهشام يا بشرى بالامالة غير مضافة حمزة وعلى وخلف وحماد والخراز عن هبيرة يا بشرى بغير امالة واضافة عاصم غير حماد والخراز الباقون يا بشراى بالاضافة الى ياء المتكلم ﴿ الوقوف الر قف كوفى المبين ه ط كوفى أيضا وغيرهم لا يقفون عليها لانهم يجعلون انا جواب معنى القسم فى الر القرآن ق والوصل أصح لان الواو للحال الغافلين ه ساجدين ه كيدا ط مبين ه واسحق ط حكيم ه للسائلين ه عصبة ط مبين ه ج والعربية توجب الوقف وان قيل ان الابتداء به لا يحسن صالحين ه فاعلين ه لناصحون ه لحافظون ه غافلون ه لخاسرون ه فى غيابة الجب ج لاحتمال أن يكون جواب لما

عندمتاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين﴾ يقول جل ثناؤه وجاء اخوة يوسف أباهم بعد ما ألقوا يوسف في غيابة الجب عشاء يبكون وقيل ان معنى قوله نستبق ننتضل من السباق كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد قال ثنا أسباط عن السدي قال أقبلوا على أبيهم عشاء يبكون فلما سمع أصواتهم فزع وقال مالكم يا بني هل أصابكم في غنمكم شئ قالوا لا قال فما فعل يوسف قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب فبكى الشيخ وصاح بأعلى صوته وقال أين القميص فجاؤه بالقميص عليه دم كذب فأخذ القميص فطرحه على وجهه ثم بكى حتى تخضب وجهه من دم القميص وقوله وما أنت بمؤمن لنا يقولون وما أنت بمصدقنا على قيلنا ان يوسف أكله الذئب ولو كنا صادقين كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد عن أسباط عن السدي وما أنت بمؤمن لنا قال بمصدق لنا (١) ولو كنا صادقين اما خبر عنهم أنهم غير صادقين فذلك تكذيب منهم أنفسهم وخبر منهم عن أبيهم أنه لا يصدقهم لو صدقوه فقد علمت أنهم لو صدقوا أباهم الخبر صدقهم قيل ليس معنى ذلك بواحد منهما وانما معنى ذلك وما أنت بمصدق لنا ولو كنا من أهل الصدق الذين لا يتهمون لسوء ظنك بنا وتهمتك لنا ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿وجاؤا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون﴾ يقول تعالى ذكره وجاؤا على قميصه بدم كذب وسماه الله كذبا لان الذين جاؤا بالقميص وهو فيه كذبوا فقالوا ليعقوب هو دم يوسف ولم يكن دمه وانما كان دم سخلة فيما قيل ذكر من قال ذلك حدثني أحمد ابن عبد الصمد الانصاري قال ثنا أبو أسامة عن شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وجاؤا على قميصه بدم كذب قال دم سخلة حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وجاؤا على قميصه بدم كذب قال دم سخلة شاة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله بدم كذب قال دم سخلة يعني شاة حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله بدم كذب قال دم سخلة شاة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله بدم كذب قال كان ذلك الدم كذبا لم يكن دم يوسف حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بدم كذب قال دم سخلة شاة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس في قوله بدم كذب قال دم سخلة حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد عن أسباط عن السدي قال ذبحوا جديا من الغنم ثم لطخوا القميص بدمه ثم أقبلوا الى أبيهم فقال يعقوب ان كان هذا الذئب لرحيما كيف أكل لحمه ولم يخرق قميصه يا بني يا يوسف ما فعل بك بنو الاماء حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان الثوري عن سماك بن حرب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وجاؤا على قميصه بدم كذب قال لو أكله السبع خرق القميص حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا أبو خالد قال ثنا سفيان باسناده عن ابن عباس مثله الا أنه قال لو أكله الذئب لخرق القميص حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله وجاؤا على قميصه بدم كذب قال لو كان الذئب أكله لخرقه حدثني عبيد الله بن أبي زياد قال ثنا عثمان بن عمرو قال ثنا قرة عن الحسن قال جئ بقميص يوسف الى يعقوب فجعل ينظر اليه فيرى أثر الدم ولا يرى فيه خرقا قال يا بني ما كنت أعهد الذئب حليما حدثني أحمد بن عبد الصمد الانصاري قال ثنا أبو عاصم

تقديره فعلوا وأمضوا عليه وأن تكون الواو مقحمة والجواب أوحينا لا يشعرون ٥ يبكون ٥ ط فأكله الذئب ج لابتداء النفي مع واو العطف صادقين ٥ كذب ط أمرا ط جميل ط تصفون ٥ دلوه ط غلام ط بضاعة ط يعملون ٥ معدودة ج لاحتمال الواو والحال الزاهدين ٥ التفسير قال في الكشاف (تلك) اشارة الى آيات السورة و(الكتاب المبين) السورة أي تلك الآيات التي أنزلت اليك في هذه السورة آيات السورة الظاهر أمرها في اعجاز العرب وتبكيتهم أو التي بين لمن تدبرها أنها من عند الله لا من عند البشر أو الواضحة التي لا تشتبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم أو قد أبين فيها ما سألت اليهود عنه من قصة يوسف فقد روي أن علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف أقول مدار هذه التفاسير على أن أبان لازم ومتعد يقال أبان الشئ وأبان هو بنفسه (انا أنزلناه) أي هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف يعني هذه السورة في حال كونه (قرآنا عربيا) والقرآن اسم جنس يقع على كله وعلى بعضه وقوله قرآنا عربيا يسمى حالا موطئة لان المراد وصفه بالعربية احتج الجبائي بانزال القرآن وبكونه عربيا وآيات على أنه محدث لأن هذه من أوصاف المحدثات وأجيب بأنه لا نزاع في حدوث الالفاظ وانما النزاع في الكلام النفسي ومعنى (لعلكم تعقلون) ارادة

(١) لعله فان قال قائل قوله ولو كنا الخ

العقدي عن قرة قال سمعت الحسن يقول لما جاؤا بقميص يوسف فلم ير يعقوب شقا قال يا بني والله ما عهدت الذئب حليما حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا حماد بن مسعدة عن عمران بن مسلم عن الحسن قال لما جاء اخوة يوسف بقميصه الى أبيهم قال جعل يقلبه فيقول ما عهدت الذئب حليما أكل ابني وأبقى على قميصه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجاؤا على قميصه بدم كذب قال لما أتوا نبي الله يعقوب بقميصه قال ما أرى أثر سبع ولا طعن ولا خرق حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة بدم كذب قال الدم كذب لم يكن دم يوسف حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا مجالد عن الشعبي قال ذبحوا جديا ولطخوه من دمه فلما نظر يعقوب الى القميص صحيحا عرف أن القوم كذبوه فقال لهم ان كان هذا الذئب لحليما حيث رحم القميص ولم يرحم ابني فعرف أنهم قد كذبوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن سفيان عن سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وجاؤا على قميصه بدم كذب قال لما أتي يعقوب بقميص يوسف فلم ير فيه خرقا قال كذبتم لو أكله السبع لخرق قميصه حدثنا ابن وكيع قال ثنا اسحق الأزرق ويعلى عن زكريا عن سماك عن عامر قال كان في قميص يوسف ثلاث آيات حين جاؤا على قميصه بدم كذب قال وقال يعقوب لو أكله الذئب لخرق قميصه حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا محمد قال ثنا زكريا عن سماك عن عامر قال انه كان يقول في قميص يوسف ثلاث آيات حين ألقي على وجه أبيه فارتد بصيرا وحين قد من دبر وحين جاؤا على قميصه بدم كذب حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن سماك عن عامر قال كان في قميص يوسف ثلاث آيات الشق والدم وألقاه على وجه أبيه فارتد بصيرا حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا قرة عن الحسن قال لما جيء بقميص يوسف الى يعقوب فرأى الدم ولم ير الشق قال ما عهدت الذئب حليما * قال ثنا حماد بن مسعدة قال ثنا قرة عن الحسن مثله فان قال قائل كيف قيل بدم كذب وقد علمت أنه كان دما لاشك فيه وان لم يكن كان دم يوسف قيل في ذلك من القول وجهان أحدهما أن يكون قيل بدم كذب لانه كذب فيه كما يقال الليلة الهلال وكما قيل فما ربحت تجارتهم وذلك قول كان بعض نحويي البصرة يقوله * والوجه الآخر وهو أن يقال هو مصدر بمعنى مفعول وتأويله وجاؤا على قميصه بدم مكذوب كما يقال ماله عقل ولا معقول ولا له جلد ولا مجلود والعرب تفعل ذلك كثيرا تضع مفعولا في موضع المصدر والمصدر في موضع مفعول كما قال الراعي

حتى اذا لم يتركوا لعظامه * لحما ولا لفؤاده معقولا

وذلك كان يقوله بعض نحويي الكوفة وقوله قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا يقول تعالى ذكره قال يعقوب لبنيه الذين أخبروه أن الذئب أكل يوسف مكذبا لهم في خبرهم ذلك ما الامر كما تقولون بل سولت لكم أنفسكم أمرا يقول بل زينت لكم أنفسكم أمرا في يوسف وحسنته ففعلتموه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا قال يقول بل زينت لكم أنفسكم أمرا وقوله فصبر جميل يقول فصبري على ما فعلتم بي في أمر يوسف صبر جميل أو فهو صبر جميل وقوله والله المستعان على ما تصفون يقول والله أستعين على كفايتي شر ما تصفون من الكذب وقيل ان الصبر الجميل هو الصبر الذي لا جزع فيه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فصبر جميل قال ليس فيه جزع حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن

أن تفهموه وتحيطوا بمعانيه ولا يلتبس عليكم لانه بلغتكم قال الجبائي فيه دليل على أنه أراد من المكلفين كلهم أن يعقلوا توحيده وأمر دينه وأجيب بأن الآية لا تدل الا على أنه أنزل هذه السورة وأراد منهم معرفة كيفية هذه القصة ولا دلالة فيه على أنه أراد من الكل الايمان والعمل الصالح قال أهل اللغة القصص اشتقاقه من قص أثره اذا اتبعه لان الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيأ فشيأ ومثله التلاوة لانه يتلو أي يتبع ما حفظ منه آية بعد آية ثم ان كان القصص مصدرا بمعنى الاقتصاص فيكون أحسن مثله لاضافته الى المصدر ويكون المفعول أي المقصوص محذوفا وهو الوحي لدلالة أوحينا عليه أو يكون هذا القرآن مفعوله ومفعول أوحينا محذوفا كأنه قيل نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص هذا القرآن بايحائنا اياه اليك وعلى هذا فالحسن يرجع الى المنطق لا الى القصة وحسن المنطق كونه على أبدع طريقة وأعجب أسلوب لان هذه الحكاية مقتصة في كتب الاولين وفي كتب التواريخ ولم يبلغ شيء منه الى حد الاعجاز وان أريد بالقصص المقصوص كما يراد بالنبأ والخبر المنبأ والمخبر فالحسن يرجع الى القصة ولاسيما فيما يرجع الى صلاح حال المكلف في الدارين ووجه حسنها اشتمالها على الغرائب والعجائب والنكت والعبر وأن الصبر مفتاح الفرج وأن ما قضى الله كائن لا محالة لا يرده كيد كائد ولا حسد حاسد ويروى أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن مجاهد فصبر جميل في غير جزع * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله * قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن عبد الرحمن بن يحيى عن حبان بن أبي جبلة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله فصبر جميل قال صبر لا شكوى فيه قال من بث فلم يصبر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى عن حبان بن أبي جبلة أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله فصبر جميل قال صبر لا شكوى فيه * قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فصبر جميل ليس فيه جزع حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن رجل عن مجاهد في قوله فصبر جميل قال في غير جزع حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن بعض أصحابه قال يقال ثلاث من الصبر أن لا تحدث بوجعك ولا بمصيبتك ولا تزكي نفسك * قال أخبرنا الثوري عن حبيب ابن أبي ثابت أن يعقوب النبي صلى الله عليه وسلم كان قد سقط حاجباه فكان يرفعهما بخرقة فقيل له ما هذا قال طول الزمان وكثرة الأحزان فأوحى الله تبارك وتعالى إليه يا يعقوب أتشكوني قال يا رب خطيئة أخطأتها فاغفرها لي وقوله والله المستعان على ما تصفون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والله المستعان على ما تصفون أي على ما تكذبون

القول في تأويل قوله تعالى (وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون) يقول تعالى ذكره وجاءت مارة الطريق من المسافرين فأرسلوا واردهم وهو الذي يرد المنهل والمنزل و وروده إياه مصيره إليه ودخوله فأدلى دلوه يقول أرسل دلوه في البئر يقال أدليت الدلو في البئر إذا أرسلتها فيها فإذا استقيت فيها قلت دلوت أدلو دلوا وفي الكلام محذوف استغني بدلالة ما ذكر عليه فترك وذلك فأدلى دلوه فتعلق به يوسف فخرج فقال المدلي يا بشرى هذا غلام وبالذي قلنا في ذلك جاءت الأخبار عن أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد عن أسباط عن السدي وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه فتعلق يوسف بالحبل فخرج فلما رآه صاحب الحبل نادى رجلا من أصحابه يقال له بشرى يا بشرى هذا غلام حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه فتشبث الغلام بالدلو فلما خرج قال يا بشرى هذا غلام حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فأرسلوا واردهم يقال أرسلوا رسولهم فلما أدلى دلوه تشبث بها الغلام قال يا بشرى هذا غلام واختلفوا في معنى قوله يا بشرى هذا غلام فقال بعضهم ذلك تبشير من المدلي دلوه أصحابه في إصابته يوسف بأنه أصاب عبدا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال يا بشرى هذا غلام تباشروا به حين أخرجوه وهي بئر بأرض بيت المقدس معلوم مكانها حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة يا بشرى هذا غلام قال بشرهم واردهم حين وجد يوسف * وقال آخرون بل ذلك اسم رجل من السيارة بعينه ناداه المدلي لما خرج يوسف من البئر متعلقا بالحبل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد قال ثنا أسباط عن السدي يا بشرى هذا غلام قال نادى رجلا من أصحابه يقال له بشرى فقال يا بشرى هذا غلام حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا خلف بن هشام قال ثنا يحيى بن آدم عن قيس بن

ملوا فقالوا يا رسول الله لو حدثتنا فأنزل الله عز وجل الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها ثم إنهم ملوا فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فأنزل الله (نحن نقص عليك أحسن القصص) كل ذلك يؤمرون بالقرآن (وإن كنت) هي المخففة من الثقيلة بدليل اللام الفارقة والمعنى وإن الشأن كنت أنت من قبل إيحائنا إليك (لمن الغافلين) عن هذه القصة أو عن الدين والشريعة (إذ قال) بدل اشتمال من أحسن القصص لأن الوقت مشتمل على القصص فإذا قص وقته فقد قص المقصوص أو منصوب بإضمار اذكر و(يوسف) ليس عربيا على الأصح إذ لا سبب فيه بعد التعريف إلا العجمة فهو اسم عبراني ومن ظن أنه من آسف يؤسف بناء على أنه قرئ بكسر السين وبفتحها فيوجد فيه وزن الفعل أيضا فقد أخطأ لأن القراءة المشهورة تأباه ولن يكون الاسم عربيا تارة وأعجميا أخرى وهذا الخلاف روي في يونس أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم قال النحويون التاء في (يا أبت) عوض من ياء الإضافة وهي للتأنيث لأنها قد تقلب هاء في الوقف ويجوز إلحاق التاء بالمذكر نحو حمامة ذكر والكسرة فيه لمناسبة الياء التي هي بدل منها والفتحة إما فتحة الياء فيمن يفتحها أو الفتحة الباقية بعد حذف الألف من ياء يا أبتا (إني رأيت) هو من الرؤيا التي تختص بالمنام لا من الرؤية التي تشمل اليقظة بدليل قول يعقوب له

الربيع عن السدى فى قوله يابشرى هذا غلام قال كان اسم صاحبه بشرى حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن أبى حماد قال ثنا الحكم بن ظهير عن السدى فى قوله يابشرى هذا غلام قال اسم الغلام بشرى قال يابشرى كما تقول يازيد واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة يابشراى باثبات ياء الاضافة غير أنه أدغم الالف فى الياء طلبا للكسرة التى تلزم ماقبل ياء الاضافة من المتكلم فى قولهم غلامى وجاريتى فى كل حال وذلك من لغة طيئ كما قال أبو ذؤيب

سبقوا هوىّ وأعنقوا لهواهم * فتخرموا ولكل جنب مصرع

وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين يابشرى بارسال الياء وترك الاضافة واذا قرئ ذلك كذلك احتمل وجهين من التأويل أحدهما ماقاله السدى وهو أن يكون اسم رجل دعاه المستقى باسمه كما يقال يازيد وياعمرو فيكون بشرى فى موضع رفع بالنداء والآخر أن يكون أراد اضافة البشرى الى نفسه فحذف الياء وهو يريدها فيكون مفردا وفيه نية الاضافة كما تفعل العرب فى النداء فتقول يانفس اصبرى ويانفسى اصبرى ويابنى لاتفعل ويابنى لاتفعل فتفرد وترفع وفيه نية الاضافة وتضيف أحيانا فتكسر كما تقول ياغلام أقبل وياغلامى أقبل وأعجب القراءة فى ذلك الىّ قراءة من قرأه بارسال الياء وتسكينها لانه ان كان اسم رجل بعينه كان معروفا فيهم كما قال السدى فذلك هى القراءة الصحيحة لاشك فيها وان كان من التبشير فانه يحتمل ذلك اذا قرئ كذلك على مابينت وأما التشديد والاضافة فى الياء فقراءة شاذة لاأرى القراءة بها وان كانت لغة معروفة لاجماع الحجة من القراء على خلافها وأما قوله وأسروه بضاعة فان أهل التأويل اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم وأسره الوارد المستقى وأصحابه من التجار الذين كانوا معهم وقالوا لهم هو بضاعة استبضعناها بعض أهل مصر لانهم خافوا ان علموا أنهم اشتروه بما اشتروه به أن يطلبوا منهم فيه الشركة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وأسروه بضاعة قال صاحب الدلو ومن معه قالوا لأصحابهم انما استبضعناه خيفة أن يشركوهم فيه ان علموا بثمنه وتبعهم اخوته يقولون للمدلى وأصحابه استوثق منه لايأبق حتى وقفوه بمصر فقال من يبتاعنى ويبشر فاشتراه الملك والملك مسلم حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه غير أنه قال خيفة أن يستشركوهم ان علموا به واتبعهم اخوته يقولون للمدلى وأصحابه استوثقوا منه لايأبق حتى أوقفوه بمصر وسائر الحديث مثل حديث محمد بن عمرو حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد * قال و ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه غير أنه قال خيفة أن يشاركوهم فيه ان علموا بثمنه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه الا أنه قال خيفة أن يستشركوهم فيه ان علموا ثمنه وقال أيضا حتى أوقفوه بمصر حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد قال ثنا أسباط عن السدى وأسروه بضاعة قال لما اشتراه الرجلان فرقا من الرفقة أن يقولوا اشتريناه فيسألونهم الشركة فقالا ان سألونا ماهذا قلنا بضاعة استبضعناه أهل الماء فذلك قوله وأسروه بضاعة بينهم * وقال آخرون بل معنى ذلك وأسره التجار بعضهم من بعض ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن سفيان عن رجل عن مجاهد وأسروه بضاعة قال أسره التجار بعضهم من بعض حدثنى المثنى قال ثنا أبو نعيم الفضل قال ثنا سفيان عن

تقصص رؤياك ولأن ذلك لو كان فى اليقظة لكانت آية عظيمة ولم تخف على أحد من قرأ (أحدعشر) بسكون العين فلكراهة توالى المتحركات فيما هو فى حكم كلمة وكذا الى تسعة عشر الا اثنى عشر لئلا يلتقى ساكنان قال فى الكشاف روى جابر أن يهوديا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يامحمد أخبرنى عن النجوم التى رآهن يوسف فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل فأخبره بذلك فقال النبى صلى الله عليه وسلم لليهودى ان أخبرتك هل تسلم قال نعم قال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودى إى والله انها لأسماؤها وأقول ان أكثر هذه الاسماء ليست مما اشتهر عند أهل الهيئة فان صح الخبر فهى من العلوم التى تفرد بها الانبياء وافراد الشمس والقمر من الكواكب بعد ذكرها دليل على شرفهما كقوله وملائكته وجبريل وميكائيل وانما كرر الفعل لطول الكلام أو على تقدير سؤال كأنه قيل له كيف رأيتها فقال رأيتهم لى ساجدين والظاهر أن هذه السجدة كانت بمعنى وضع الجبهة اذ لامانع من حملها على الحقيقة لكنها كانت على وجه التواضع وانما أجريت الكواكب مجرى العقلاء فى عود الضمير اليها لأن السجود من شأن العقلاء كقوله للاصنام وتراهم ينظرون اليك وعند الفلاسفة هم أحياء ناطقة

مجاهد وأسروه بضاعة قال أسره التجار بعضهم من بعض * وقال آخرون معنى ذلك وأسروا بيعه ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وأسروه بضاعة قال أسروا بيعه حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا قيس عن جابر عن مجاهد وأسروه بضاعة قال قالوا لاهل الماء انما هو بضاعة * وقال آخرون انما عنى بقوله وأسروه بضاعة اخوة يوسف أنهم أسروا شأن يوسف أن يكون أخاهم قالوا هو عبد لنا ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وأسروه بضاعة يعنى اخوة يوسف أسروا شأنه وكتموا أن يكون أخاهم فكتم يوسف شأنه مخافة أن تقتله اخوته واختار البيع فذكره اخوته لوارد القوم فنادى أصحابه قال يا بشرى هذا غلام يباع فباعه اخوته * وأولى هذه الاقوال بالصواب قول من قال وأسروارد القوم المدلى دلوه ومن معه من أصحابه من رفقته السيارة أمر يوسف انهم اشتروه خيفة منهم أن يستشركوهم وقالوا لهم هو بضاعة أبضعها معنا أهل الماء وذلك أنه عقيب الخبر عنه فلأن يكون ما وليه من الخبر خبرا عنه أشبه من أن يكون خبرا عمن هو بالخبر عنه غير متصل وقوله والله عليم بما يعملون يقول تعالى ذكره والله ذو علم بما يعمله باعة يوسف ومشتروه فى أمره لا يخفى عليه من ذلك شئ ولكنه ترك تغيير ذلك ليمضى فيه وفيهم حكمه السابق فى علمه وليرى اخوة يوسف ويوسف وأباه قدرته فيه وهذا وان كان خبرا من الله تعالى ذكره عن يوسف نبيه صلى الله عليه وسلم فانه تذكير من الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وتسلية منه له عما كان يلقى من أقربائه وأنسبائه المشركين من الاذى فيه يقول له فاصبر يا محمد على ما نالك فى الله فانى قادر على تغيير ما ينالك به هؤلاء المشركون كما كنت قادرا على تغيير مالقى يوسف من اخوته فى حال ما كانوا يفعلون به ما فعلوا ولم يكن تركى ذلك لهوان يوسف على ولكن لماضى علمى فيه وفى اخوته فكذلك تركى تغيير ما ينالك به هؤلاء المشركون لغير هوان بك على ولكن لسابق علمى فيك وفيهم ثم يصير أمرك وأمرهم الى علوك عليهم واذعانهم لك كما صار أمر اخوة يوسف الى الاذعان ليوسف بالسؤدد عليهم وعلو يوسف عليهم * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله وشروه به وباع اخوة يوسف يوسف فأما اذا أراد الخبر عن انه ابتاعه قال اشتريته ومنه قول ابن مفرغ الحميرى

وشريت بردا ليتنى … من قبل برد كنت هامه

يقول بعت بردا وهو عبد كان له وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا ابراهيم قال ثنا هشيم عن مغيرة عن أبى معشر عن ابراهيم أنه كره الشراء والبيع للبدوى قال والعرب تقول اشر لى كذا وكذا أى بع لى كذا وكذا وتلا هذه الآية وشروه بثمن بخس دراهم معدودة يقول باعوه وكان بيعه حراما حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد اخوة يوسف أحد عشر رجلا باعوه حين أخرجه المدلى بدلوه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد * و ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * قال ثنى حجاج عن ابن جريج وشروه قال قال ابن عباس

فلا حاجة الى العذر عبر أبوه رؤياه بان اخوته سيسجدون له وهم أحد عشر وكذا أبواه وهما الشمس والقمر وقيل هما أبوه وخالته لان أمه لم تدخل مصر وتوفيت قبل ذلك وعن وهب أن يوسف رأى وهو ابن سبع سنين أن احدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة فى الارض كهيئة الدارة التى حول القمر وهى الهالة واذا عصا صغيرة وثبت عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك أن تذكر هذا لاخوتك ثم رأى وهو ابن اثنتى عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على أبيه فقال له لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف ومسير اخوته اليه أربعون سنة وقيل ثمانون قال علماء التعبير ان الرؤيا الردية يظهر أثرها عن قريب كيلا يبقى المؤمن فى الغم والحزن والرؤيا الجيدة يبطئ أثرها لتكون بهجة المؤمن أدوم قوله (فيكيدوا) منصوب باضمار أن جوابا للنهى واللام فى (لك) لتأكيد الصلة مثل نصحتك ونصحت لك وقال فى الكشاف ضمن الكيد معنى الاحتيال ليفيد معنى الفعلين فيكون أبلغ فى التخويف وقيل متعلق بالمصدر الذى بعده ثم انه وصل بهذه النصيحة شيأ من تعبير رؤياه فقال (وكذلك) أى ومثل اجتبائك لهذه الرؤيا الشريفة (يجتبيك ربك) لامور عظام والاجتباء افتعال من جبيت الشئ اذا حصلته لنفسك وجبيت الماء فى الحوض جمعته وخصص الحسن الاجتباء بالنبوة قال فى الكشاف (ويعلمك)

فبيع بينهم حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك فى قوله وشروه بثمن بخس قال باعوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك مثله حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فباعه اخوته بثمن بخس * وقال آخرون بل عنى بقوله وشروه بثمن بخس السيارة أنهم باعوا يوسف بثمن بخس ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وشروه بثمن بخس وهم السيارة الذين باعوه

* وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال تأويل ذلك وشروا اخوة يوسف يوسف بثمن بخس وذلك أن الله عز وجل قد أخبر عن الذين اشتروه أنهم أسروا شراء يوسف من أصحابهم خيفة أن يستشركوهم بادعائهم أنه بضاعة ولم يقولوا ذلك الا رغبة فيه أن يخلص لهم دونهم واسترخاصا لثمنه الذى ابتاعوه به لأنهم ابتاعوه كما قال جل ثناؤه بثمن بخس ولو كان مبتاعوه من اخوته فيه من الزاهدين لم يكن لقيلهم لرفقائهم هو بضاعة معنى ولا كان لشرائهم اياه وهم فيه من الزاهدين وجه الا أن يكونوا كانوا مغلوبا على عقولهم لأنه محال أن يشترى صحيح العقل ما هو فيه زاهد من غير اكراه مكره له عليه ثم يكذب فى أمره الناس بأن يقول هو بضاعة لم أشتره مع زهده فيه بل هذا القول من قول من هو بسلعته ضنين لنفاستها عنده ولما يرجو من نفيس الثمن لها وفضل الربح وأما قوله بخس فانه يعنى نقص وهو مصدر من قول القائل بخست فلانا حقه اذا ظلمته يعنى ظلمه فنقصه عما يجب له من الوفاء أبخسه بخسا ومنه قوله ولا تبخسوا الناس أشياءهم وانما أريد بثمن مبخوس منقوص فوضع البخس وهو مصدر مكان مفعول كما قيل بدم كذب وانما هو بدم مكذوب فيه

واختلف أهل التأويل فى معنى ذلك فقال بعضهم قيل بثمن بخس لانه كان حراما عليهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك وشروه بثمن بخس قال البخس الحرام حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا على بن عاصم عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول كان ثمنه بخسا حراما لم يحل لهم أن يأكلوه حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك فى قوله وشروه بثمن بخس قال باعوه بثمن بخس قال كان بيعه حراما وشراؤه حراما حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك بثمن بخس قال حرام حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس بثمن بخس يقول لم يحل لهم أن يأكلوا ثمنه * وقال آخرون معنى البخس هنا الظلم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وشروه بثمن بخس قال البخس هو الظلم وكان بيع يوسف وثمنه حراما عليهم حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال قتادة وشروه بثمن بخس قال ظلم

* وقال آخرون عنى بالبخس فى هذا الموضع القليل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن قيس عن جابر عن عامر قال البخس القليل حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا قيس عن جابر عن عكرمة مثله وقد بينا الصحيح من القول فى ذلك

وأما قوله دراهم معدودة فانه يعنى عز وجل أنهم باعوه بدراهم غير موزونة ناقصة غير وافية لزهدهم كان فيه وقيل انما قيل معدودة ليعلم بذلك أنها كانت أقل من الاربعين لانهم كانوا فى ذلك الزمان لا يزنون ما كان وزنه أقل من أربعين درهما لان أقل أوزانهم وأصغرها كان الاوقية وكان وزن الاوقية أربعين درهما قالوا وانما دل بقوله معدودة على قلة الدراهم التى باعوه بها فقال بعضهم

كان

كلام مبتدأ غير داخل فى حكم التشبيه كأنه قيل وهو يعلمك ويتم نعمته عليك أقول ولعل ادخاله فى حكم التشبيه ليس بضائر وفى (تأويل الأحاديث) وجوه منها أنه تأويل أحاديث الناس فيما يرونه فى منامهم سمى التعبير تأويلا لانه يؤل أمره الى ما رآه فى المنام أو يؤل أمر ما رآه فى المنام الى ذلك والأحاديث اسم جمع للحديث وليس بجمع أحدوثة لأنها التى يتحدث بها الناس ومنها أنه تبيين معانى كتب الله وسنن الانبياء لان المفسر والمحدث يحدثان عن الله ورسوله فيقولان قال الله كذا وقال الرسول كذا ومنها أن الحديث يعنى الحادث والمراد كيفية الاستدلال بالحادث على القديم سبحانه وأما اتمام النعمة فمن فسر الاجتباء بالنبوة فسر الاتمام بالسعادات الدنيوية والأخروية من المال والجاه والعلوم والاخلاق الفاضلة ومن فسر ذلك بالدرجات العالية فسر هذا بالنبوة لان التمام المطلق فى حق البشر ليس الا بالنبوة ولأن اتمام النعمة عليه مشبه باتمامها على ابراهيم واسحق ومن المعلوم أن الامتياز بينهما وبين أقرانهما لم يكن الا بالنبوة وقد يفسر اتمام النعمة على ابراهيم بالخلة والانجاء من النار ومن ذبح الولد وعلى اسحق بانجائه من الذبح وفدائه بذبح عظيم وباخراج يعقوب والأسباط من صلبه ويكون وجه التشبيه انجاءه من السجن والمحن كانجائهما من النار والذبح والمراد بآل يعقوب نسله قيل علم يعقوب أن يوسف واخوته أنبياء استدلالا بضوء الكواكب واعترض عما فرط منهم فى حق يوسف وأجيب بأن ذلك قبل

كان عشرين درهما ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا حميد بن عبد الرحمن عن زهير عن أبي اسحق عن أبي عبيدة عن عبد الله قال انما اشترى به يوسف عشرون درهما حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا شريك عن أبي اسحق عن أبي عبيدة عن عبد الله وشروه بثمن بخس دراهم معدودة قال عشرون درهما حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن نوف البكالي في قوله وشروه بثمن بخس دراهم معدودة قال عشرون درهما حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع * وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن أبي اسحق عن نوف البكالي بخس دراهم قال كانت عشرين درهما حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا شريك عن أبي اسحق عن نوف مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس في قوله بثمن بخس دراهم معدودة قال عشرون درهما حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدي دراهم معدودة قال كانت عشرين درهما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذكر لنا أنه بيع بعشرين درهما وكانوا فيه من الزاهدين حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد عن أبي ادريس عن عطية قال كانت الدراهم عشرين درهما اقتسموها درهمين درهمين * وقال آخرون بل كان عددها اثنين وعشرين درهما أخذ كل واحد من اخوة يوسف وهم أحد عشر رجلا درهمين درهمين منها ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا أسباط قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد دراهم معدودة قال اثنين وعشرين درهما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله دراهم معدودة قال اثنان وعشرون درهما الاخوة يوسف أحد عشر رجلا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله دراهم معدودة * قال و ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه * وقال آخرون بل كانت أربعين درهما ذكر من قال ذلك حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا قيس عن جابر عن عكرمة دراهم معدودة قال أربعين درهما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال باعوه ولم يبلغ ثمنه الذي باعوه به أوقية وذلك أن الناس كانوا يتبايعون في ذلك الزمان بالاواقي فما قصر عن الاوقية فهو عدد يقول الله وشروه بثمن بخس دراهم معدودة أي لم يبلغ الاوقية * والصواب من القول في ذلك أن يقال ان الله تعالى ذكره أخبر أنهم باعوه بدراهم معدودة غير موزونة ولم يحد مبلغ ذلك بوزن ولا عدد ولا وضع عليه دلالة في كتاب ولا خبر من الرسول صلى الله عليه وسلم وقد يحتمل أن يكون كان عشرين ويحتمل أن يكون كان اثنين وعشرين وأن يكون كان أربعين وأقل من ذلك وأكثر وأي ذلك كان فانها كانت معدودة غير موزونة وليس في العلم بمبلغ وزن ذلك فائدة تقع في دين ولا في الجهل به دخول ضر فيه والايمان بظاهر التنزيل فرض وما عداه فموضوع عنا تكلف علمه وقوله وكانوا فيه من الزاهدين يقول تعالى ذكره وكان اخوة يوسف في يوسف من الزاهدين لا يعلمون كرامته على الله ولا يعرفون منزلته عنده فهم مع ذلك يحبون أن يحولوا بينه وبين والده ليخلو لهم وجهه منه ويقطعوه عن القرب منه لتكون المنافع التي كانت مصروفة الى يوسف دونهم مصروفة

النبوة وقيل اتمام النعمة وصل نعمة الدنيا بنعم الآخرة وذلك أنه جعلهم ملوكا وأنبياء و (ابراهيم واسحق) عطف بيان لأبويك لان أبا الجد في حكم الاب (ان ربك عليم) بمن يستحق الاجتباء (حكيم) لا يضع الشيء الا في موضعه فلا يجعل الرسالة الا في نفس قدسية وجوهر مشرق قيل حكم يعقوب بوقوع هذه الامور دليل على جزمه بها فكيف خاف بعدها على يوسف حتى قال وأخاف أن يأكله الذئب والجواب لعل جزمه بذلك كان مشروطا بعدم كيد اخوته ولعل قوله أخاف أن يأكله الذئب كيلا يتهاونوا في حفظه فان للوسائط والاسباب مدخلا عظيما في وجود الاشياء وحصولها (لقد كان في يوسف واخوته) أي في قصتهم وحديثهم (آيات للسائلين) لمن سأل عن تلك القصة وعرفها أو آيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين سألوه من اليهود عنها فأخبرهم بها من غير سماع العلم وفيه أنه صلى الله عليه وسلم يجب أن يصبر على بغي قومه الى أن يظهر أمره كما فعل يوسف يروى أن أسامي اخوته يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وربالون ويشجر ودينة وهؤلاء من ليا بنت خالة يعقوب ودان ونفتالي وجاد وآشر وهم من سريتين زلفة وبلهة فلما توفيت ليا تزوج أختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف (اذ قالوا) ظرف لكان أو منصوب باضمار اذكر (ليوسف) في لام الابتداء تحقيق لمضمون الجملة (وأخوه) أي لأبيه وأمه عنوا بنيامين (أحب) اذا كان أفعل التفضيل

اليهم و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد عن أبي مرزوق عن جويبر عن الضحاك وكانوا فيه من الزاهدين قال لم يعلموا بنبوته ومنزلته من الله حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك في قوله وجاءت سيارة فنزلت على الجب فأرسلوا واردهم فاستقى من الماء فاستخرج يوسف فاستبشروا بأنهم أصابوا غلاما لا يعلمون علمه ولا منزلته من ربه فزهدوا فيه فباعوه وكان بيعه حراما وباعوه بدراهم معدودة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك وكانوا فيه من الزاهدين قال اخوته زهدوا فلم يعلموا منزلته من الله ونبوته ومكانه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال اخوته زهدوا فيه لم يعلموا منزلته من الله عز وجل ⁂ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من تأويل الاحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ يقول جل ثناؤه وقال الذي اشترى يوسف من بائعه بمصر وذكر أن اسمه قطفير حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال كان اسم الذي اشتراه قطفير وقيل ان اسمه اطفير بن روحيب وهو العزيز وكان على خزائن مصر وكان الملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق كذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وقيل ان الذي باعه بمصر كان مالك بن ذعر بن ثويب بن عنقاء بن مديان بن ابراهيم كذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد ابن السائب عن أبي صالح عن ابن عباس وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته واسمها فيما ذكر ابن اسحق راعيل بنت رعائيل حدثنا بذلك ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق أكرمي مثواه يقول أكرمي موضع مقامه وذلك حيث يثوي و يقيم فيه يقال ثوى فلان بمكان كذا اذا أقام فيه و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أكرمي مثواه منزلته وهي امرأة العزيز حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه قال منزلته حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال اشتراه الملك والملك مسلم وقوله عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا ذكر أن مشتري يوسف قال هذا القول لامرأته حين دفعه اليها لانه لم يكن له ولد ولم يأت النساء فقال لها أكرميه عسى أن يكفينا بعض ما نعاني من أمورنا اذا فهم الامور التي نكلفها وعرفها أو نتخذه ولدا يقول أو نتبناه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كان اطفير فيما ذكر لي رجلا لا يأتي النساء وكانت امرأته راعيل امرأة حسناء ناعمة طاعمة في ملك ودنيا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله قال أفرس الناس ثلاثة العزيز حين تفرس في يوسف فقال لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وأبو بكر حين تفرس في عمر والتي قالت يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو ابن محمد قال ثنا أسباط عن السدي قال انطلق بيوسف الى مصر فاشتراه العزيز ملك مصر فانطلق به الى بيته فقال لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا حدثنا أحمد ابن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن أبي عبيدة عن عبد الله قال أفرس الناس ثلاثة العزيز حين قال لامرأته أكرمي مثواه والقوم فيه زاهدون وأبو بكر حين

تفرس

مستعملا عن لم يتصرف فيه (ونحن عصبة) الواو للحال والعصبة العشرة فصاعدا لأن الامور تعصب بكفايتهم أي انه يفضلهما في المحبة علينا وهما ابنان صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة ونحن جماعة نكفي مهماته ونقوم بمصالحه (ان أبانا لفي ضلال مبين) أرادوا ضلال الاخطاء أو هو البعد عن طريق الصلاح وحسن المعاشرة مع الأولاد ولم يعلموا أن المحبة أمر يتعلق بالقلب وليس لله فيه تكليف ولعل يعقوب تفرس في يوسف ما أوجب اختصاصه بمزيد البر ومن جملة أقوالهم أنهم قالوا لما تشاوروا في أمره (اقتلوا يوسف) قيل الآمر بالقتل شمعون أو دان ورضي به الباقون فجعلوا جميعا آمرين والظاهر أنه قال بعضهم بذلك بدليل أنه لم يقع القتل ولقولهم (أو اطرحوه) فكان بعضهم أشار الى القتل و بعضهم الى الطرح ومهما صدر أمر من بعض القوم صح اسناده اليهم كقوله واذ قتلتم نفسا وانتصب (أرضا) على الظرف كالظروف المبهمة أي أرضا مجهولة بعيدة عن العمارة (يخل لكم وجه أبيكم) تخلص محبته لكم سليمة عن التنازع فيها وكان ذكر الوجه تصوير الاقباله عليهم بالكلية ويجوز أن يراد بالوجه ذاته أو المراد يفرغ لكم من الشغل بيوسف (وتكونوا) مجزوم لانه معطوف على جواب الامر (من بعده) من بعد قتله أو اطراحه أو من بعد يوسف اذا قتل أو غرب (قوما صالحين) تائبين الى الله أو الى أبيه بعذر تمهدونه مما جنيتم عليه أو المراد صلاح

تفرس في عمر فاستخلفه والمرأة التي قالت يا أبت استأجره وقوله وكذلك مكنا ليوسف في الارض يقول عز وجل وكما أنقذنا يوسف من أيدي اخوته وقد هموا بقتله وأخرجناه من الجب بعد أن ألقي فيه فصيرناه الى الكرامة والمنزلة الرفيعة عند عزيز مصر كذلك مكناله في الارض فجعلناه على خزائنها وقوله ولنعلمه من تأويل الاحاديث يقول تعالى ذكره وكي نعلم يوسف من عبارة الرؤيا مكناله في الارض كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد من تأويل الاحاديث قال عبارة الرؤيا حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد قال ثنا أسباط عن السدي ولنعلمه من تأويل الاحاديث قال تعبير الرؤيا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولنعلمه من تأويل الاحاديث قال عبارة الرؤيا وقوله والله غالب على أمره يقول تعالى ذكره والله مستول على أمر يوسف يسوسه ويدبره ويحوطه والهاء في قوله على أمره عائدة على يوسف وروي عن سعيد بن جبير في معنى غالب ما حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن أبي حصين عن سعيد بن جبير والله غالب على أمره قال فعال وقوله ولكن أكثر الناس لا يعلمون يقول ولكن أكثر الناس الذين زهدوا في يوسف فباعوه بثمن خسيس والذين صار بين أظهرهم من أهل مصر حين بيع فيهم لا يعلمون ما الله بيوسف صانع واليه يوسف من أمره صائر ⁂ القول في تأويل قوله تعالى (ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين) يقول تعالى ذكره ولما بلغ يوسف أشده يقول ولما بلغ منتهى شدته وقوته في شبابه وحده وذلك فيما بين ثماني عشرة سنة الى ستين سنة وقيل الى أربعين سنة يقال منه مضت أشد الرجل أي شدته وهو جمع مثل الأضر والاسر لم يسمع له بواحد من لفظه ويجب في القياس أن يكون واحده شد كما واحد الاضر ضر وواحد الأسر سر كما قال الشاعر

هل غير أن كثر الأشد وأهلكت ⁎ حرب الملوك أكاثر الاموال

⁎ (وقال حميد) ⁎

وقد أتى لو تعتب العواذل ⁎ بعد الأشد أربع كوامل

وقد اختلف أهل التأويل في الذي عني الله به في هذا الموضع من مبلغ الأشد فقال بعضهم عني به ثلاث وثلاثون سنة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع والحسن بن محمد قالا ثنا عمرو بن محمد قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولما بلغ أشده قال ثلاثا وثلاثين سنة حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد مثله حدثت عن علي بن الهيثم عن بشر بن المفضل عن عبد الله بن عثمان ابن خثيم عن مجاهد قال سمعت ابن عباس يقول في قوله ولما بلغ أشده قال بضعا وثلاثين سنة ⁎ وقال آخرون بل عني به عشرون سنة ذكر من قال ذلك حدثت عن علي بن المسيب عن أبي روق عن الضحاك في قوله ولما بلغ أشده قال عشرين سنة وروي عن ابن عباس من وجه غير مرضي أنه قال ما بين ثماني عشرة سنة الى ثلاثين وقد بينت معنى الأشد ⁎ وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله أخبر أنه آتى يوسف لما بلغ أشده حكما وعلما والأشد هو انتهاء قوته وشبابه وجائز أن يكون آتاه ذلك وهو ابن ثماني عشرة سنة وجائز أن يكون آتاه وهو ابن عشرين سنة وجائز أن يكون آتاه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ولا دلالة له في كتاب الله ولا أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا في اجماع الامة على أي ذلك كان واذا لم يكن ذلك موجودا من الوجه الذي ذكرت فالصواب أن يقال

دنياهم وانتظام أمورهم وتفرغهم لمهماتهم بعد يوسف بفراغ البال (قال قائل منهم) هو يهوذا وكان أحسنهم فيه رأيا وأدناهم هو الذي قال فلن أبرح الارض (لا تقتلوا يوسف) لأن القتل عظيم ولاسيما قتل الاخ وخاصة اذا كان القاتل والمقتول من أولاد الانبياء (وألقوه في غيابت الجب) سمي البئر جبا لانها قطعت قطعا ولم يحصل فيها شيء سوى القطع للارض والغيابة غور البئر وما غاب منها عن عين الناظر وأظلم من أسفلها ومن قرأ على الجمع فلأن للجب أقطارا ونواحي (يلتقطه بعض السيارة) أي الرفقة السائرة قال ابن عباس أي المارة والالتقاط تناول الشيء من الطريق ونحوه ويستعمل في الانسان وغيره ومنه اللقيط للمنبوذ (ان كنتم فاعلين) ان لم يكن من فعل هذا الامر بد فهذا هو الرأي ثم ان يعقوب كان خائفا على يوسف من كيدهم وكان يظهر أمارات ذلك على صحائف أعماله وأقواله فلذلك قالوا (مالك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون) ما وجدت منا في بابه سوى النصح والاشفاق على الاطلاق (أرسله معنا غدا يرتع ويلعب) من قرأ بالجزم فمن الرتعة كالأمنة وهي الخصب والسعة ومن قرأ بالكسر فعلى حذف الياء من يرتعي مستعارا من ارتعاء الابل والماشية واللعب ترك ما ينفع الى ما لا ينفع فمن قرأ بالياء فلا اشكال لان الصبي لا تكليف عليه ومن قرأ بالنون قال كان لعبهم الاستباق والانتضال بدليل قوله انا ذهبنا نستبق سمي

فيه كما قال عز وجل حتى تثبت حجة بصحة ما قيل فى ذلك من الوجه الذى يجب التسليم له فيسلم لها حينئذ وقوله آتيناه حكما وعلما يقول تعالى ذكره أعطيناه حينئذ الفهم والعلم كما حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد حكما وعلما قال العقل والعلم قبل النبوة وقوله وكذلك نجزى المحسنين يقول تعالى ذكره وكما جزيت يوسف فآتيته بطاعته اياى الحكم والعلم ومكنته فى الارض واستنقذته من أيدى اخوته الذين أرادوا قتله كذلك نجزى من أحسن فى عمله فأطاعنى فى أمرى وانتهى عما نهيته عنه من معاصى وهذا وان كان مخرج ظاهره على كل محسن فان المراد به محمد نبى الله صلى الله عليه وسلم يقول له عز وجل كما فعلت هذا بيوسف من بعد مالقى من اخوته مالقى وقاسى من البلاء ماقاسى فمكنته فى الارض ووطأت له فى البلاد فكذلك أفعل بك فأنجيك من مشركى قومك الذين يقصدونك بالعداوة وأمكن لك فى الارض وأوتيك الحكم والعلم لان ذلك جزائى أهل الاحسان فى أمرى ونهيى حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس وكذلك نجزى المحسنين يقول المهتدين

القول فى تأويل قوله تعالى (وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربى أحسن مثواى انه لا يفلح الظالمون) يقول تعالى ذكره وراودت امرأة العزيز وهى التى كان يوسف فى بيتها عن نفسه أن يواقعها كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولما بلغ أشده راودته التى هو فى بيتها عن نفسه امرأة العزيز حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه قال أحبته * قال ثنى أبى عن اسرائيل عن أبى حصين عن سعيد بن جبير قال قالت تعاله وقوله وغلقت الابواب يقول وغلقت المرأة أبواب البيوت عليها وعلى يوسف لما أرادت منه وراودته عليه بابا بعد باب وقوله وقالت هيت لك اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة هيت لك بفتح الهاء والتاء بمعنى هلم لك وادن وتقرب كما قال الشاعر لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه

أبلغ أمير المؤمنين * أخا العراق اذا أتينا
أن العراق وأهله * عنق اليك فهيت هيتا

يعنى تعال واقرب .. وبنحو الذى قلنا فى ذلك تأوله من قرأه كذلك حدثنى محمد بن عبد الله المخرمى قال ثنا أبو الجواب قال ثنا عمار بن رزيق عن الاعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس هيت لك قال هلم لك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله هيت لك قال هلم لك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال هيت لك تقول هلم لك حدثنى المثنى قال ثنا حجاج قال ثنا حماد عن عاصم ابن بهدلة عن زر بن حبيش أنه كان يقرأ هذا الحرف هيت لك نصبا أى هلم لك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس قوله هيت لك قال تقول هلم لك حدثنى أحمد بن سهل الواسطى قال ثنا قرة بن عيسى قال ثنا النضر بن على الجزرى عن عكرمة مولى ابن عباس فى قوله هيت لك قال هلم لك قال هى بالحورانية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقالت هيت لك قال كان الحسن يقول هلم لك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة عن الحسن هيت لك يقول بعضهم هلم لك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد عن أسباط عن السدى وقالت هيت لك قال هلم لك وهى بالقبطية حدثنا الحسن ابن محمد قال ثنا عبد الوهاب بن عطاء عن عمرو عن الحسن هيت لك قال كلمة بالسريانية أى عليك حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة عن الحسن هيت لك قال هلم لك حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا خلف بن هشام قال ثنا محبوب عن قتادة عن الحسن

هيت

بالانه فى صورته أو اللعب قد يطلق على استعمال المباحات لاجل انشراح الصدر قال صلى الله عليه وسلم لجابر فهلا تزوجت بكرا تلاعبها وتلاعبك (قال انى ليحزننى) لام لابتداء التأكيد أو لتخصيص المضارع بالحال (وأخاف أن يأكله الذئب) أصله الهمز ولهذا قال بعضهم انه مشتق من تذأبت الريح اذا أتت من كل جهة قيل كان أرضهم مذأبة فلذلك قال أخاف وقيل رأى فى النوم أن الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره فلقنهم العذر كما جاء فى أمثالهم البلاء موكل بالمنطق قوله (انا اذا) جواب للقسم ساد مسد جواب الشرط حلفوا الله ان كان ماخافه وحالهم أنهم رجال كفاة وحماة فهم اذا لخاسرون عاجزون أو مستحقون للدعاء عليهم بالخسار أو المراد ان لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا وخسرناها كان يعقوب قد اعتذر اليهم بأمرين أحدهما أن ذهابهم به مما يحزنه لانه كان لا يصبر عنه ساعة والثانى خوفه عليه من الذئب فلم يجيبوا عن الاول لأنه هو الذى كان يغيظهم فلم يعبؤا بذلك الكلام وخصوا الجواب بالثانى وههنا اضمار والتقدير فأذن لهم وأرسله معهم (فلما ذهبوا به وأجمعوا) عزموا على (أن يجعلوه فى غيابت الجب) قيل هو بئر ببيت المقدس وقيل بأرض الاردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب ثم ان كان جواب لما محذوفا ففى الآية اضمار آخر كما تقدم فى الوقوف قال السدى

هيت لك قال هلم لك * قال ثنا عفان قال ثنا حماد عن عاصم عن زر هيت لك أي هلم حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا الثوري قال بلغني في قوله هيت لك قال هلم لك حدثنا أحمد ابن يوسف قال ثنا أبو عبيد قال ثنا علي بن عاصم عن خالد الحذاء عن عكرمة عن ابن عباس أنه قرأ هيت لك وقال تدعوه الى نفسها حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى هيت لك قال لغة عربية تدعوه بها حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله الا أنه قال لغة بالعربية تدعوه بها الى نفسها حدثنا الحسن قال ثنا شبابة عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثل حديث محمد بن عمرو وسواء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا هشيم عن يونس عن الحسن هيت لك بفتح الهاء والتاء وقال تقول هلم لك حدثني الحرث قال أبو عبيدة كان الكسائي يحكيها يعني هيت لك قال وقال وهي لغة لأهل حوران وقعت الى الحجاز معناها تعال قال وقال أبو عبيد سألت شيخا عالما من أهل حوران فذكر أنها لغتهم يعرفها حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق هيت لك قال تعال حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وقالت هيت لك قال هلم لك الي وقرأ ذلك جماعة من المتقدمين وقالت هئت لك بكسر الهاء وضم التاء والهمز بمعنى تهيأت لك من قول القائل هئت للأمر أهيء هيئة وممن روى ذلك عنه ابن عباس وأبو عبد الرحمن السلمي وجماعة غيرهما حدثنا أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا الحجاج عن هرون عن أبان العطار عن قتادة أن ابن عباس قرأها كذلك مكسورة الهاء مضمومة التاء قال أحمد قال أبو عبيد لا أعلمها الا مهموزة حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عبد الوهاب عن أبان العطار عن عاصم عن أبي عبد الرحمن السلمي هئت لك أي تهيأت لك * قال ثنا عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة عن عكرمة مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان عكرمة يقول تهيأت لك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال هئت لك قال عكرمة تهيأت لك حدثني المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن عاصم بن بهدلة قال كان أبو وائل يقول هئت لك أي تهيأت لك وكان أبو عمرو بن العلاء والكسائي ينكران هذه القراءة حدثت عن علي ابن المغيرة قال قال أبو عبيدة معمر بن المثنى شهدت أبا عمرو وسأله أبو أحمد أو أحمد وكان عالما بالقرآن عن قول من قال هئت لك بكسر الهاء وهمز الياء فقال أبو عمرو نبسي أي باطل جعلها فعلت من تهيأت فهذا الخندق فاستعرض العرب حتى تنتهي الى اليمن هل تعرف أحدا يقول هئت لك حدثني الحرث قال ثنا القاسم قال لم يكن الكسائي يحكي هئت لك عن العرب وقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة هيت لك بكسر الهاء وتسكين الياء وفتح التاء * وقرأه بعض المكيين هيت لك بفتح الهاء وتسكين الياء وضم التاء وقرأه بعض البصريين وهو عبد الله بن اسحق هيت لك بفتح الهاء وكسر التاء وقد أنشد بعض الرواة بيتا لطرفة بن العبد في هيت بفتح الهاء وضم التاء وذلك

ليس قومي بالأبعدين اذا ما * قال داع من العشيرة هيت

وأولى القراءة في ذلك قراءة من قرأه هيت لك بفتح الهاء والتاء وتسكين الياء لأنها اللغة المعروفة في العرب دون غيرها وأنها فيما ذكر قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن الأعمش عن أبي وائل قال ابن مسعود قد سمعت القراء فسمعتهم متقاربين فاقرؤا كما علمتم واياكم والتنطع والاختلاف فانما هو كقول أحدكم هلم وتعال ثم قرأ عبد الله هيت لك فقلت يا أبا عبد الرحمن ان ناسا يقرؤنها هيت لك فقال عبد الله اني أقرؤها كما علمت

ان يوسف عليه السلام لما بزغ اخوته أظهروا له العداوة وأخذوا يهينونه ويضربونه وكلما استغاث بواحد منهم لم يغثه الا بالاهانة حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح يا أبتاه لم تعلم ما يصنع بابنك أولاد الاماء فقال يهوذا أما أعطيتموني موثقا أن لا تقتلوه فلما أرادوا القاءه في الجب تعلق بثيابهم فنزعوها من يده فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على أبيهم فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي أتوارى به فقالوا ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكبا حتى يؤنسوك ودلوه في البئر فلما بلغ نصفها ألقوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم أوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه فظن أنها رحمة أدركتهم فأجابهم فأرادوا أن يرضخوه ليقتلوه فمنعهم يهوذا وكان يهوذا يأتيه بالطعام وروى أنه عليه السلام لما ألقي في الجب قال يا شاهدا غير غائب ويا قريبا غير بعيد ويا غالبا غير مغلوب اجعل لي من أمري فرجا ومخرجا وحكى أن ابراهيم عليه السلام حين ألقي في النار جرد عن ثيابه فأتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فألبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة علقها في عنق يوسف فجاءه جبريل فأخرجه وألبسه اياه (وأوحينا اليه) في صغر السن كما أوحى الى يحيى وعيسى وقيل كان اذ ذاك بالغا وعن الحسن كان له سبع عشرة سنة (لتنبئنهم) لتحدثن

أحب الى حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن الاعمش عن أبي وائل قال سمعت عبد الله بن مسعود يقرأ هذه الآية وقالت هيت لك قال فقالوا والله ما كنا نقرؤها الا هيت لك فقال عبد الله انى أقرؤها كما علمت أحب الى حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن منصور عن أبي وائل قال قال عبد الله هيت لك فقال له مسروق ان ناسا يقرؤنها هيت لك فقال دعونى فانى أقرأ كما أقرئت أحب الى حدثنى المثنى قال ثنا آدم العسقلانى قال ثنا شعبة عن الاعمش عن شقيق عن ابن مسعود قال هيت لك بنصب الهاء والتاء وبلا همز وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى أن العرب لا تثنى هيت لك ولا تجمع ولا تؤنث وأنها تصوره فى كل حال وانما يتبين العدد عما بعد وكذلك التأنيث والتذكير وقال تقول للواحد هيت لك وللاثنين هيت لكما وللجمع هيت لكم وللنساء هيت لكن وقوله قال معاذ الله يقول جل ثناؤه قال يوسف اذ دعته المرأة الى نفسها وقالت له هلم الى أعتصم بالله من الذى تدعونى اليه وأستجير به منه وقوله انه ربى أحسن مثواى يقول ان صاحبك وزوجك سيدى كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد عن أسباط عن السدى معاذ الله انه ربى قال سيدى * قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي نجيح انه ربى قال سيدى حدثنا الحسن ابن محمد قال ثنا شبابة عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال معاذ الله انه ربى أحسن مثواى قال سيدى يعنى زوج المرأة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال معاذ الله انه ربى يعنى أطفير يقول انه سيدى وقوله أحسن مثواى يقول أحسن منزلتى وأكرمنى وأئتمنى فلا أخونه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال أحسن مثواى أمننى على بيته وأهله حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى أحسن مثواى فلا أخونه فى أهله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد أحسن مثواى قال يريد يوسف سيده زوج المرأة وقوله انه لا يفلح الظالمون يقول انه لا يدرك البقاء ولا ينجح من ظلم ففعل ما ليس له فعله وهذا الذى تدعونى اليه من الفجور ظلم وخيانة لسيدى الذى ائتمننى على منزله كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق انه لا يفلح الظالمون قال هذا الذى تدعونى اليه ظلم ولا يفلح من عمل به ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين) ذكر أن امرأة العزيز لما همت بيوسف وأرادت مراودته جعلت تذكر له محاسن نفسه وتشوقه الى نفسها كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد قال ثنا أسباط عن السدى ولقد همت به وهم بها قال قالت له يا يوسف ما أحسن شعرك قال هو أول ما ينتثر من جسدى قالت يا يوسف ما أحسن وجهك قال هو للتراب يأكله فلم تزل حتى أطمعته فهمت به وهم بها فدخلا البيت وغلقت الابواب وذهب ليحل سراويله فاذا هو بصورة يعقوب قائما فى البيت قد عض على اصبعه يقول يا يوسف تواقعها فانما مثلك ما لم تواقعها مثل الطير فى جو السماء لا يطاق ومثلك اذا واقعتها مثله اذا مات ووقع الى الارض لا يستطيع أن يدفع عن نفسه ومثلك ما لم تواقعها مثل الثور الصعب الذى لا يعمل عليه ومثلك ان واقعتها مثل الثور حين يموت فيدخل النمل فى أصل قرنيه لا يستطيع أن يدفع عن نفسه فربط سراويله وذهب ليخرج يشتد فأدركته فأخذت بمؤخر قميصه من خلفه فخرقته حتى أخرجته منه وسقط وطرحه يوسف واشتد نحو الباب حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال أكبت عليه يعنى المرأة تطمعه مرة وتخيفه أخرى وتدعوه الى لذة

خوتك عما فعلوا بك (وهم لا يشعرون) نك يوسف لعلو شأنك وبعد حالك عن أوهامهم ولطول العهد المنسى لمغير الهيآت والاشكال يروى أنهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه ن يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرنى هذا الجام أنه كان لكم أخ من أبيكم يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم انكم انطلقتم به وألقيتموه فى غيابة الجب وقلتم لأبيه أكله الذئب بعتموه بثمن بخس ويجوز أن يراد وهم لا يشعرون أنا آنسناه بالوحى أزلنا الوحشة عن قلبه فتتعلق الجملة بقوله وأوحينا روى أن امرأة حاكمت شريح فبكت فقال له الشعبى يا أبا أمية أما تراها تبكى قال قد جاء اخوة يوسف يبكون وهم ظلمة وما ينبغى أحد أن يقضى الا بما أمر أن يقضى به من السنة المرضية عن مقاتل انما جاؤا عشاء لئلا تظهر أمارة الخجل والكذب على وجوههم ولما سمع صوتهم يعقوب فزع وقال ما لكم يا بنى هل أصابكم فى غنمكم شئ قالوا لا قال فما لكم وأين يوسف (قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق) أى نتسابق فى العدو أو فى الرمى وقيل ننتضل (وما أنت بمؤمن لنا) أى بمصدق لشدة محبتك ليوسف وفيه دليل لمن يزعم أن الايمان هو التصديق (ولو كنا صادقين) ولو كنا عندك من أهل الصدق والثقة فكيف وأنت سيئ الظن بنا غير واثق بقولنا (وجاؤا على قميصه) نصب على الظرف أى فوق قميصه لا على الحال المتقدمة لان حال المجرور لا تتقدم عليه (بدم كذب) ذى كذب

من

من حاجة الرجال فى جمالها وحسنها وملكها وهو شاب مستقبل يجد من شبق الرجال ما يجد الرجل حتى رق لها مما يرى من كلفها به ولم يتخوف منها حتى هم بها وهمت به حتى خلوا فى بعض بيوته ومعنى الهم بالشئ فى كلام العرب حديث المرء نفسه بمواقعته مالم يواقع فأما ما كان من هم يوسف بالمرأة وهمها به فان أهل العلم قالوا فى ذلك ما أنا ذاكره وذلك ما حدثنا أبو كريب وسفيان بن وكيع وسهل ابن موسى الرازى قالوا ثنا ابن عيينة عن عثمان بن أبى سليمن عن ابن أبى مليكة عن ابن عباس سئل عن هم يوسف ما بلغ قال حل الهميان وجلس منها مجلس الخاتن لفظ الحديث لابى كريب حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا ابن عيينة قال سمع عبيد الله بن أبى يزيد ابن عباس فى ولقد همت به وهم بها قال جلس منها مجلس الخاتن وحل الهميان حدثنا زياد بن عبد الله الحسانى وعمرو بن على والحسن بن محمد قالوا ثنا سفيان بن عيينة عن عبد الله بن أبى يزيد قال سمعت ابن عباس سئل ما بلغ من هم يوسف قال حل الهميان وجلس منها مجلس الخاتن حدثنى زياد بن عبد الله قال ثنا محمد بن أبى عدى عن ابن جريج عن ابن أبى مليكة قال سألت ابن عباس ما بلغ من هم يوسف قال استلقت له وجلس بين رجليها حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن ابن جريج عن ابن أبى مليكة ولقد همت به وهم بها قال استلقت له وحل ثيابه حدثنى المثنى قال ثنا قبيصة بن عقبة قال ثنا سفيان عن ابن جريج عن ابن أبى مليكة عن ابن عباس ولقد همت به وهم بها ما بلغ قال استلقت له وجلس بين رجليها وحل ثيابه أو ثيابها حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا يحيى بن سعيد عن ابن جريج عن ابن أبى مليكة قال سألت ابن عباس ما بلغ من هم يوسف قال استلقت على قفاها وقعد بين رجليها لينزع ثيابه حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع * وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن نافع عن ابن عمر عن ابن أبى مليكة قال سئل ابن عباس عن قوله ولقد همت به وهم بها ما بلغ من هم يوسف قال حل الهميان يعنى السراويل حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا ابن ادريس قال سمعت الاعمش عن مجاهد فى قوله ولقد همت به وهم بها قال حل السراويل حتى التبان واستلقت له حدثنا زياد بن عبد الله الحسانى قال ثنا مالك بن سعير قال ثنا الاعمش عن مجاهد فى قوله ولقد همت به وهم بها قال حل سراويله حتى وقع على التبان حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولقد همت به وهم بها قال جلس منها مجلس الرجل من امرأته حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل قال ثنى القاسم بن أبى بزة ولقد همت به وهم بها قال أما همها به فاستلقت له وأما همه بها فانه قعد بين رجليها ونزع ثيابه حدثنا الحسن بن محمد قال ثنى حجاج بن محمد عن ابن جريج قال أخبرنى عبد الله بن أبى مليكة قال قلت لابن عباس ما بلغ من هم يوسف قال استلقت له وجلس بين رجليها ينزع ثيابه حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا يحيى بن اليمان عن سفيان عن على بن بذيمة عن سعيد بن جبير وعكرمة قالا حل السراويل وجلس منها مجلس الخاتن حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد العنقزى عن شريك عن جابر عن مجاهد ولقد همت به وهم بها قال استلقت وحل ثيابه حتى بلغ التبان حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا قيس عن أبى حصين عن سعيد بن جبير ولقد همت به وهم بها قال أطلق تكة سراويله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عثمان بن أبى سليمن عن ابن أبى مليكة قال شهدت ابن عباس سئل عن هم يوسف ما بلغ قال حل الهميان وجلس منها مجلس الخاتن فان قال قائل وكيف يجوز أن يوصف يوسف بمثل هذا وهو لله نبى قيل ان أهل العلم اختلفوا فى ذلك فقال بعضهم كان ممن ابتلى من الانبياء بخطيئة فانما ابتلاه الله

أو دم هو الكذب بعينه مبالغة يروى أنهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها ويروى أن يعقوب لما سمع بخبر يوسف صاح بأعلى صوته وقال أين القميص فأخذه وألقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رأيت كاليوم ذئبا أحلم من هذا أكل ابنى ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان فى قميص يوسف ثلاث آيات آية ليعقوب على كذبهم وآية حين ألقاه البشير على وجهه فارتد بصيرا وآية على براءة يوسف حين قد من دبر ولما تبين يعقوب بالآيات المذكورة أو بالوحى أنهم كاذبون قال على سبيل الاضراب (بل سولت) قال ابن عباس بل زينت (لكم أنفسكم أمرا) فى شأنه وهو تفعيل من السول الامنية قال الازهرى وأصله مهموز غير أن العرب استثقلوا فيه الهمزة وقال فى الكشاف سولت سهلت من السول بفتحتين وهو الاسترخاء والتنكير دليل التعظيم (فصبر جميل) لابد من تقدير مبتدإ أو خبر أى فأمرى صبر جميل أو فصبر جميل أمثل وفى الحديث أنه الذى لا شكوى فيه أى الى الخلق لقوله انما أشكو بثى وحزنى الى الله وقيل أى لا أعاشركم على كآبة الوجه بل أكون لكم كما كنت يحكى أنه سقط حاجبا يعقوب على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فأوحى الله تعالى اليه يا يعقوب أتشكونى قال يارب خطيئة فاغفرها لى ثم بين أن الصبر على ما وصفوه من هلاك

بها ليكون من الله عز وجل على وجل اذا ذكرها فيجد في طاعته اشفاقا منها ولا يتكل على سعة عفو الله ورحمته * وقال آخرون بل ابتلاهم الله بذلك ليعرّفهم موضع نعمته عليهم بصفحه عنهم وتركه عقوبته عليه في الآخرة * وقال آخرون بل ابتلاهم بذلك ليجعلهم أئمة لأهل الذنوب في رجاء رحمة الله وترك الاياس من عفوه عنهم اذا تابوا * وأما آخرون ممن خالف أقوال السلف وتأولوا القرآن بآرائهم فانهم قالوا في ذلك أقوالا مختلفة فقال بعضهم معناه ولقد همت المرأة بيوسف وهم بها يوسف أن يضربها أو ينالها بمكروه لهمها به مما أرادته من المكروه لولا أن يوسف رأى برهان ربه وكفه ذلك عما هم به من أذاها الا أنها ارتدعت من قبل نفسها قالوا والشاهد على صحة ذلك قوله كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء قالوا فالسوء هو ما كان هم به من أذاها وهو غير الفحشاء * وقال آخرون منهم معنى الكلام ولقد همت به فتناهى الخبر عنها ثم ابتدئ الخبر عن يوسف فقيل وهم بها يوسف لولا أن رأى برهان ربه كأنهم وجهوا معنى الكلام الى أن يوسف لم يهم بها وأن الله انما أخبر أن يوسف لولا رؤيته برهان ربه لهم بها ولكنه رأى برهان ربه فلم يهم بها كما قيل ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا ويفسد هذين القولين أن العرب لا تقدم جواب لولا قبلها لا تقول لقد قمت لولا زيد وهي تريد لولا زيد لقد قمت هذا مع خلافهما جميع أهل العلم بتأويل القرآن الذين عنهم يؤخذ تأويله * وقال آخرون منهم بل قد همت المرأة بيوسف وهم يوسف بالمرأة غير أن همهما كان تمثيلا منهما بين الفعل والترك لا عزما ولا ارادة قالوا ولا حرج في حديث النفس ولا في ذكر القلب اذا لم يكن معهما عزم ولا فعل وأما البرهان الذي رآه يوسف فترك من أجله مواقعة الخطيئة فان أهل العلم مختلفون فيه فقال بعضهم نودي بالنهي عن مواقعة الخطيئة ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عيينة عن عثمان بن أبي سليمن عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس لولا أن رأى برهان ربه قال نودي يا يوسف أتزني فتكون كالطير وقع ريشه فذهب يطير فلا ريش له * قال ثنا ابن عيينة عن عثمان بن أبي سليمن عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال لم يتعظ على النداء حتى رأى برهان ربه قال تمثال صورة وجه أبيه قال سفيان عاضا على اصبعه فقال يا يوسف تزني فتكون كالطير ذهب ريشه حدثني زياد ابن عبد الله الحساني قال ثني محمد بن أبي عدي عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة قال قال ابن عباس نودي يا ابن يعقوب لا تكن كالطائر له ريش فاذا زنى ذهب ريشه أو قعد لا ريش له قال فلم يتعظ على النداء فلم يزد على هذا * قال ابن جريج وحدثني غير واحد أنه رأى أباه عاضا على اصبعه حدثني أبو كريب قال ثنا وكيع * وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن نافع بن عمر عن ابن أبي مليكة قال قال ابن عباس لولا أن رأى برهان ربه قال نودي فلم يسمع فقيل له يا ابن يعقوب تريد أن تزني فتكون كالطير نتف فلا ريش له حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن طلحة عن عمرو الحضرمي عن ابن أبي مليكة قال بلغني أن يوسف لما جلس بين رجلي المرأة فهو يحل هميانه نودي يا يوسف بن يعقوب لا تزن فان الطير اذا زنى تناثر ريشه فأعرض ثم نودي فأعرض فتمثل له يعقوب عاضا على اصبعه فقام حدثني المثنى قال ثنا قبيصة بن عقبة قال ثنا سفيان عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال نودي يا ابن يعقوب لا تكن كالطير اذا زنى ذهب ريشه وبقي لا ريش له فلم يطع على النداء ففزع حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا حجاج بن محمد عن ابن جريج قال أخبرني عبد الله بن أبي مليكة قال قال ابن عباس نودي يا ابن يعقوب لا تكونن كالطائر له ريش فاذا زنى ذهب ريشه قال أو قعد لا ريش له فلم يعط على النداء شيأ حتى رأى برهان ربه ففرق ففر حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عثمان بن أبي

يوسف لا يمكن الا بمعونة الله تعالى فقال (والله المستعان على ما تصفون) فالقرينتان كقوله اياك نعبد واياك نستعين ويعلم من الآية أن الصبر ان كان لأجل الرضا بقضاء الله تعالى أو لاستغراقه في شهود نور الحق بحيث يمنعه من الاشتغال بالشكاية عن البلاء فذلك صبر جميل والا فلا واعترض بأن هذا الصبر كان فيه اعانة الظالمين واهمال لتخليص المظلوم من المحن والشدائد والترقية فكيف جاز صبر يعقوب حتى لم يبالغ في التفتيش والتنقير ولو بالغ لظهر عليه الامر لشهرته وعظم قدره وأجيب بأن الله سبحانه لعله منعه عن الطلب تشديدا للمحنة عليه أو لعله ان بالغ في البحث أقدموا على قتله أو علم أن الله تعالى يصون يوسف وسيعظم أمره بالآخرة فلم يرد هتك ستر أولاده والقاءهم في ألسنة الناس كقول القائل * فاذا رميت يصيبني سهمي * فكان الاصوب الصبر والسكوت وتفويض الامر بالكلية الى الله تعالى ثم شرع في حكاية خلاص يوسف فقال (وجاءت سيارة) عن ابن عباس قوم يسيرون من مدين الى مصر وذلك بعد ثلاثة أيام من القاء يوسف في الجب فأخطؤا الطريق فنزلوا قريبا منه وكان الجب في قفرة بعيدة عن العمران لم يكن الا للرعاة وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين ألقي فيه يوسف (فأرسلوا واردهم) رجلا يقال له مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الماء ومعنى الوارد الذي يرد الماء ليستقي للقوم (فأدلى دلوه)

سلمين عن ابن أبي مليكة قال قال ابن عباس نودي ياابن يعقوب أتزني فتكون كالطير وقع ريشه فذهب يطير فلا ريش له حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني نافع بن يزيد عن همام ابن يحيى عن قتادة قال نودي يوسف فقيل أنت مكتوب في الانبياء تعمل عمل السفهاء حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة قال نودي يوسف بن يعقوب تزني فتكون كالطير نتف فلا ريش له * وقال آخرون البرهان الذي رأى يوسف فكف عن مواقعة الخطيئة من أجله صورة يعقوب عليهما السلام يتوعده ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عمرو بن محمد العنقزي قال أخبرنا اسرائيل عن أبي حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله لولا أن رأى برهان ربه قال رأى صورة أو تمثال وجه يعقوب عاضا على اصبعه فخرجت شهوته من أنامله حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن العنقزي عن اسرائيل عن أبي حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس لولا أن رأى برهان ربه قال مثل له يعقوب فضرب في صدره فخرجت شهوته من أنامله حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بشر عن مسعر عن أبي حصين عن سعيد بن جبير لولا أن رأى برهان ربه قال رأى تمثال وجه أبيه قائلا بكفه هكذا وبسط كفه فخرجت شهوته من أنامله حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن أبي حصين عن سعيد بن جبير لولا أن رأى برهان ربه قال مثل له يعقوب عاضا على أصابعه فضرب صدره فخرجت شهوته من أنامله حدثنا يونس بن عبد الاعلى قال ثنا عبد الله ابن وهب قال أخبرني ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس في قوله لولا أن رأى برهان ربه قال رأى صورة يعقوب واضعا أنملته على فيه يتوعده ففر حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا يحيى بن عباد قال ثنا جرير بن حازم قال سمعت عبد الله بن أبي مليكة يحدث عن ابن عباس في قوله ولقد همت به وهم بها قال حين رأى يعقوب في سقف البيت قال فنزعت شهوته التي كان يجدها حتى خرج يسعى الى باب البيت فتبعته المرأة حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن قرة بن خالد السدوسي عن الحسن قال زعموا والله أعلم أن سقف البيت انفرج فرأى يعقوب عاضا على أصابعه حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن يونس عن الحسن في قوله لولا أن رأى برهان ربه قال رأى تمثال يعقوب عاضا على اصبعه يقول يوسف يوسف حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن علية عن يونس عن الحسن نحوه حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عمرو العنقزي قال أخبرنا سفيان الثوري عن أبي حصين عن سعيد بن جبير لولا أن رأى برهان ربه قال رأى تمثال وجه يعقوب فخرجت شهوته من أنامله حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن علي بن بذيمة عن سعيد بن جبير قال رأى صورة فيها وجه يعقوب عاضا على أصابعه فدفع في صدره فخرجت شهوته من أنامله فكل ولد يعقوب ولد له اثنا عشر رجلا الا يوسف فانه نقص بتلك الشهوة ولم يولد له غير أحد عشر حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب أن حميد بن عبد الرحمن أخبره أن البرهان الذي رأى يوسف يعقوب حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عيسى بن المنذر قال ثنا أيوب بن سويد قال ثنا يونس بن يزيد الايلي عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد لولا أن رأى برهان ربه قال مثل له يعقوب حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن منصور عن مجاهد مثله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لولا أن رأى برهان ربه قال يعقوب حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة

أرسلها في البئر قال الواحدي فاذا نزعها وأخرجها قيل دلا يدلو (قال يابشرى) التقدير فظهر يوسف فقال الوارد يابشرى كأنه ينادي البشرى ويقول تعالي فهذا أوانك ومتى قال الوارد هذا الكلام قال جمع من المفسرين حين رأى يوسف متعلقا بالحبل وقال آخرون لما دنا من أصحابه صاح بذلك يبشرهم به قال السدي كان للوارد صاحب يقال له بشرى فنادى يابشرى كما يقال يا زيد والأكثرون على أنها بمعنى البشارة فقال أبو علي يحتمل أن يكون منادى مضموما مثل يارجل وأن يكون منصوبا مثل يارجلا كأنه جعل ذلك النداء شائعا في جنس البشرى ومن قرأ بالاضافة فنصبه ظاهر والضمير في (وأسروه) إما عائد الى الوارد وأصحابه أي أخفوه من الرفقة لئلا يدعوا المشاركة في الالتقاط أو في الشراء ان قالوا اشتريناه وطريق الاخفاء أنهم كتموه من الرفقة أو قالوا ان أهل الماء جعلوه بضاعة عندنا على أن نبيعه لهم بمصر واما عائد الى اخوة يوسف بناء على ماروى عن ابن عباس أنهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد أبق فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة أن يقتلوه ولعل الوجه الاول أولى بدليل قوله (بضاعة) وهي نصب على الحال أي أخفوه متاع التجارة وأصل البضع القطع والبضاعة قطعة من المال للتجارة والله تعالى أعلم (والله عليم بما يعملون) فيه وعيد اما

قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة وحدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال مثل له يعقوب حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال جلس منها مجلس الرجل من امرأته حتى رأى صورة يعقوب في الجدار حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد في قوله لولا أن رأى برهان ربه قال مثل له يعقوب حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن القاسم بن أبي بزة قال نودي يا ابن يعقوب لا تكونن كالطير له ريش فاذا زنى قعد ليس له ريش فلم يعرض للنداء وقعد فرفع رأسه فرأى وجه يعقوب عاضا على اصبعه فقام مرعوبا استحياء من الله تعالى ذكره فذلك قول الله سبحانه وتعالى لولا أن رأى برهان ربه وجه يعقوب حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن النضر بن عربي عن عكرمة قال مثل له يعقوب عاضا على أصابعه حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن نضر بن عربي عن عكرمة مثله حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا قيس عن أبي حصين عن سعيد بن جبير قال مثل له يعقوب فدفع في صدره فخرجت شهوته من أنامله * قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن علي بن بذيمة قال كان يولد لكل رجل منهم اثنا عشر ابنا الا يوسف ولد له أحد عشر من أجل ما خرج من شهوته حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال أبو شريح سمعت عبيد الله بن أبي جعفر يقول بلغ من شهوة يوسف أن خرجت من بنانه حدثنا ابن وكيع قال ثنا يعلى بن عبيد عن محمد الخراساني قال سألت محمد بن سيرين عن قوله لولا أن رأى برهان ربه قال مثل له يعقوب عاضا على أصابعه يقول يوسف ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم خليل الله اسمك في الانبياء وتعمل عمل السفهاء حدثني محمد ابن عبد الأعلى قال ثنا يزيد بن زريع عن يونس عن الحسن في قوله لولا أن رأى برهان ربه قال رأى يعقوب عاضا على اصبعه يقول يوسف حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال قتادة رأى صورة يعقوب فقال يا يوسف تعمل عمل الفجار وأنت مكتوب في الأنبياء فاستحيا منه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لولا أن رأى برهان ربه رأى آية من آيات ربه حجزه الله بها عن معصيته ذكر لنا أنه مثل له يعقوب حتى كلمه فعصمه الله ونزع كل شهوة كانت في مفاصله * قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن أنه مثل له يعقوب وهو عاض على اصبع من أصابعه حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل بن أبي سالم عن أبي صالح قال رأى صورة يعقوب في سقف البيت عاضا على اصبعه يقول يا يوسف يا يوسف يعني قوله لولا أن رأى برهان ربه حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن منصور ويونس عن الحسن في قوله لولا أن رأى برهان ربه قال رأى صورة يعقوب في سقف البيت عاضا على اصبعه حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن اسمعيل بن سالم عن أبي صالح مثله وقال عاضا على اصبعه يقول يوسف يوسف حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمي عن حفص بن حميد عن شمر بن عطية قال نظر يوسف الى صورة يعقوب عاضا على اصبعه يقول يا يوسف فذاك حيث كف وقام فاندفع حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا شريك عن سالم وأبي حصين عن سعيد بن جبير لولا أن رأى برهان ربه قال رأى صورة فيها وجه يعقوب عاضا على أصابعه فدفع في صدره فخرجت شهوته من بين أنامله حدثني المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا مسعر عن أبي

الوارد وأصحابه حيث استبضعوا ماليس لهم أو لاخوة يوسف وذلك ظاهر وفيه أن كيد الأعداء لا يدفع شيأ مما علم الله من حال المرء والضمير في قوله (وشروه) اما أن يعود الى الوارد وأصحابه أي باعوه (بثمن) قليل لان الملتقط للشئ متهاون به (وكانوا فيه من الزاهدين) ممن يرغب عما في يده قال أهل اللغة (١) زهد فيه معناه رغب عنه وزهد عنه معناه رغب فيه واما أن يعود الى الاخوة والمعنى باعوه أو الى الرفقة والمعنى اشتروه وهكذا الضمير في وكانوا ان عاد الى الاخوة فقلة رغبتهم في يوسف ظاهرة والا لم يفعلوا به ما فعلوا وان عاد الى الرفقة فذلك أنهم اعتقدوا أنه آبق فخافوا اعطاء الثمن الكثير عن ابن عباس أن اخوته عادوا الى الجب بعد ثلاثة أيام يتعرفون خبره فلما لم يروه في الجب ورأوا آثار السيارة طلبوهم فلما رأوا يوسف قالوا هذا عبد أبق منا فقالوا لهم فبيعوه منا فباعوه منهم ولعلهم عرفوا أنه ولد يعقوب فكرهوا اشتراءه خوفا من الله ومن ظهور تلك الواقعة الا أنهم مع ذلك اشتروه بالآخرة بثمن بخس أي مبخوس ناقص عن القيمة أو ناقص العيار وقال ابن عباس البخس هنا الحرام لان ثمن الحر حرام دراهم لا دنانير معدودة قليلة تعد عدا ولا توزن لانهم كانوا لا يزنون الا ما بلغ الاوقية وهي الاربعون عن ابن عباس كانت عشرين درهما وعن السدي

(١) الذي في الصحاح وغيره أن زهد عنه وفيه معناهما الرغبة عن الشئ فتأمل كتبه مصححه

حصين

حصين عن سعيد بن جبير لولا أن رأى برهان ربه قال رأى تمثال وجه أبيه فخرجت الشهوة من أنامله حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا يحيى بن عباد قال ثنا أبو عوانة عن اسمعيل ابن سالم عن أبي صالح لولا أن رأى برهان ربه قال تمثال صورة يعقوب في سقف البيت حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا جعفر بن سليمن عن يونس بن عبيد عن الحسن قال رأى يعقوب عاضا على يده * قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن أبي حصين عن سعيد بن جبير في قوله لولا أن رأى برهان ربه قال يعقوب ضرب بيده على صدره فخرجت شهوته من أنامله حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله لولا أن رأى برهان ربه آية من ربه يزعمون أنه مثل له يعقوب فاستحيا منه * وقال آخرون بل البرهان الذي رأى يوسف ما أوعد الله عز وجل على الزنا أهله ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن أبي مودود قال سمعت محمد بن كعب القرظي قال رفع يوسف رأسه الى سقف البيت فاذا كتاب في حائط البيت لا تقربوا الزنا انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبي مودود عن محمد بن كعب قال رفع يوسف رأسه الى سقف البيت حين هم فرأى كتابا في حائط البيت لا تقربوا الزنا انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا * قال ثنا زيد بن الحباب عن أبي معشر عن محمد بن كعب لولا أن رأى برهان ربه قال لولا ما رأى في القرآن من تعظيم الزنا حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني نافع بن يزيد عن أبي صخر قال سمعت القرظي يقول في البرهان الذي رأى يوسف ثلاث آيات من كتاب الله ان عليكم لحافظين الآية وقوله وما تكون في شأن الآية وقوله أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت * قال نافع سمعت أبا هلال يقول مثل قول القرظي وزاد آية رابعة ولا تقربوا الزنا حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عمرو بن محمد قال أخبرنا أبو معشر عن محمد بن كعب القرظي لولا أن رأى برهان ربه فقال ما حرم الله عليه من الزنا وقال آخرون بل رأى تمثال الملك ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه يقول آيات ربه أرى تمثال الملك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كان بعض أهل العلم فيما بلغني يقول البرهان الذي رأى يوسف فصرف عنه السوء والفحشاء يعقوب عاضا على اصبعه فلما رآه انكشف هاربا ويقول بعضهم انما هو خيال اطفير سيده حين دنا من الباب وذلك أنه لما هرب منها واتبعته ألفياه لدى الباب * وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله جل ثناؤه أخبر عن هم يوسف وامرأة العزيز كل واحد منهما بصاحبه لولا أن رأى يوسف برهان ربه وذلك آية من آيات الله زجرته عن ركوب ما هم به يوسف من الفاحشة وجائز أن تكون تلك الآية صورة يعقوب وجائز أن تكون صورة الملك وجائز أن يكون الوعيد في الآيات التي ذكرها الله في القرآن على الزنا ولا حجة للعذر قاطعة بأي ذلك من أي والصواب أن يقال في ذلك ما قاله الله تبارك وتعالى والايمان به وترك ما عدا ذلك الى عالمه * وقوله كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء يقول تعالى ذكره كما أرينا يوسف برهاننا على الزجر عما هم به من الفاحشة كذلك نسبب له في كل ما عرض له من هم يهم به فيما لا يرضاه ما يزجره ويدفعه عنه كي نصرف عنه ركوب ما حرمنا عليه واتيان الزنا لنطهره من دنس ذلك * وقوله انه من عبادنا المخلصين اختلف القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة انه من عبادنا المخلصين بفتح اللام من المخلصين بتأويل ان يوسف من عبادنا الذين أخلصناهم لأنفسنا

اثنين وعشرين أخذ كل واحد من الاخوة درهمين الا يهوذا فانه لم يأخذ شيأ ويروى أن اخوته اتبعوهم يقولون استوثقوا منه لا يأبق والظاهر أن الضمير في فيه عائد الى يوسف ويحتمل أن يعود الى الثمن البخس أي أخذوا في ثمنه ما ليس يرغب فيه قال النحويون قوله فيه ليس من متعلقات الزاهدين لان الالف واللام فيه موصول وزاهدين صلة وكما لا تتقدم نفس الصلة فكذا ما هو متعلق به فلا يقال مثلا وكانوا زيدا من الضاربين فهو بيان كأنه قيل في أي شيء زهدوا فقيل زهدوا فيه والله تعالى أعلم * التأويل تلك آيات الكتاب دلالات كتاب المحبوب الى المحب للهداية الى طريق الوصال ولهذا كانت أحسن القصص لانها أتم قصص القرآن مناسبة ومشابهة بأحوال الانسان اذ قال يوسف القلب لابيه يعقوب الروح اني رأيت أحد عشر كوكبا هن الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة أي المذكرة والحافظة والمتخيلة والمتوهمة والحس المشترك مع المفكرة ولكل من هذه اضاءة أي ادراك للمعنى المناسب له وهم اخوة يوسف القلب لانهم تولدوا بازدواج يعقوب الروح وزوج النفس والشمس والقمر الروح والنفس رأيتهم لي ساجدين وهذا مقام كمالية الانسان أن يصير القلب سلطانا يسجد له الروح والنفس والحواس والقوى

واخترناهم لنبوتنا ورسالتنا وقرأ ذلك بعض قراء البصرة انه من عبادنا المخلصين بكسر اللام بمعنى أن يوسف من عبادنا الذين أخلصوا توحيدنا وعبادتنا فلم يشركوا بنا شيأ ولم يعبدوا شيأ غيرنا * والصواب من القول فى ذلك أن يقال انهما قراءتان معروفتان قد قرأ بهما جماعة كثيرة من القراء وهما متفقتا المعنى وذلك أن من أخلصه الله لنفسه فاختاره فهو مخلص لله التوحيد والعبادة ومن أخلص توحيد الله وعبادته فلم يشرك بالله شيأ فهو ممن أخلصه الله فبأيتهما قرأ القارئ فهو للصواب مصيب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوأ الا أن يسجن أو عذاب أليم﴾ يقول جل ثناؤه واستبق يوسف وامرأة العزيز باب البيت أما يوسف ففرارا من ركوب الفاحشة لما رأى برهان ربه فزجره عنها وأما المرأة فطلبا ليوسف لتقضى حاجتها منه التى راودته عليها فأدركته فتعلقت بقميصه فجذبته اليها مانعة له من الخروج من الباب فقدته من دبر يعنى شقته من خلف لا من قدام لأن يوسف كان هو الهارب وكانت هى الطالبة كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة واستبقا الباب قال استبق هو والمرأة الباب وقدت قميصه من دبر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما رأى برهان ربه انكشف عنها هاربا واتبعته فأخذت قميصه من دبر فشقته عليه وقوله وألفيا سيدها لدى الباب يقول جل ثناؤه وصادفا سيدها وهو زوج المرأة لدى الباب يعنى عند الباب كالذى حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا الثورى عن رجل عن مجاهد وألفيا سيدها قال سيدها زوجها لدى الباب قال عند الباب حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا يحيى بن سعيد عن أشعث عن الحسن عن زيد بن ثابت قال السيد الزوج حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وألفيا سيدها لدى الباب أى عند الباب حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد عن أسباط عن السدى وألفيا سيدها لدى الباب قال جالسا عند الباب وابن عمها معه فلما رأته قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوأ انه راودنى عن نفسى فدفعته عن نفسى فشققت قميصه قال يوسف بل هى راودتنى عن نفسى وفررت منها فأدركتنى فشقت قميصى فقال ابن عمها تبيان هذا فى القميص فان كان القميص قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فأتى بالقميص فوجده قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف أعرض عن هذا واستغفرى لذنبك انك كنت من الخاطئين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وألفيا سيدها لدى الباب اطفير قائما على باب البيت فقالت وهابته ما جزاء من أراد بأهلك سوأ الا أن يسجن أو عذاب أليم ولطخته مكانها بالسيئة فرقا من أن يتهمها صاحبها على القبيح فقال هو وصدقه الحديث هى راودتنى عن نفسى وقوله قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوأ يقول تعالى ذكره قالت امرأة العزيز لزوجها لما ألفياه عند الباب تخافت أن يتهمها بالفجور ما ثواب رجل أراد بامرأتك الزنا الا أن يسجن فى السجن أو الا عذاب أليم يقول موجع وانما قال الا أن يسجن أو عذاب أليم لان قوله الا أن يسجن بمعنى الا السجن فعطف العذاب عليه وذلك أن أن وما عملت فيه بمنزلة الاسم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال هى راودتنى عن نفسى وشهد شاهد من أهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم﴾ يقول تعالى ذكره قال يوسف لما قذفته امرأة العزيز بما قذفته

وكذلك يجتبيك ربك على سائر المخلوقات وهذا كمال حسن يوسف ويعلمك من تأويل الاحاديث العلم اللدنى المختص بالقلب ويتم نعمته عليك بأن يتجلى لك ويستوى لك اذ القلب عرش حقيقى للرب وعلى آل يعقوب أى متولدات الروح من القوى والحواس كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم السر واسحق الخفى وبهما يستحق القلب لقبول فيض التجلى وهنالك لله ألطاف خفية لا يتبع الانسان فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل آيات للسائلين عن طريق الوصول الى الله ليوسف القلب وأخوه بنيامين الحس المشترك فان له اختصاصا بالقلب أحب الى أبينا منا لان القلب عرش الروح ومحل استوائه عليه والحس المشترك بمثابة الكرسى للعرش اقتلوا يوسف القلب بسكين الهوى وبسم الميل الى الدنيا أو اطرحوه فى أرض البشرية يخل لكم وجه أبيكم يقبل الروح بوجهه الى الحواس والقوى لتحصيل شهواتها وتكونوا بعد موت القلب قوما صالحين للنعم الحيوانى والنفسانى قال قائل منهم هو يهوذا القوة المفكرة لا تقتلوا يوسف القلب وألقوه فى غيابة الجب القالب وسفل البشرية يلتقطه بعض سيارة الجواذب النفسانية يرتع فى المراتع البهيمية ويلعب فى ملاعب الدنيا وانا له لحافظون من فتنة الدنيا وآفاتها لئن أكله الذئب الشيطان انا اذا لخاسرون لان خسران جميع أجزاء الانسان

من

من ارادته الفاحشة منها مكذبا لها فيما قذفته به ودفعا لما نسب اليه مما أنا راودتها عن نفسها بل
هي راودتني عن نفسي وقد قيل ان يوسف لم يرد ذكر ذلك لولم تقذفه عند سيدها بما قذفته به ذكر
من قال ذلك حدثني محمد بن عمارة قال ثنا عبيدالله بن موسى قال أخبرنا شيبان عن أبي اسحق
عن نوف الشيباني قال ما كان يوسف يريد أن يذكره حتى قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوأ الآية
قال فغضب فقال هي راودتني عن نفسي وأما قوله وشهد شاهد من أهلها فان أهل العلم اختلفوا في
صفة الشاهد فقال بعضهم كان صبيا في المهد ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا
العلاء بن عبد الجبار عن حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
قال تكلم أربعة في المهد وهم صغار ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج
وعيسى بن مريم عليه السلام حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن أبي بكر الهذلي عن
شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال عيسى وصاحب يوسف وصاحب جريج يعني تكلموا في المهد
حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا زائدة عن أبي حصين عن سعيد بن جبير
وشهد شاهد من أهلها قال صبي حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل
عن أبي حصين عن سعيد بن جبير وشهد شاهد من أهلها قال كان في المهد صبيا حدثني محمد
ابن عبيد المحاربي قال ثنا أيوب بن جابر عن أبي حصين عن سعيد بن جبير في قوله وشهد شاهد
من أهلها قال صبي حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي قال ثنا أبو بكر بن عياش عن أبي حصين
عن سعيد بن جبير بمثله حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا
أبي عن شريك عن سالم عن سعيد بن جبير قال كان صبيا في مهده حدثنا ابن وكيع
قال ثنا ابن ادريس عن حصين عن هلال بن يساف وشهد شاهد من أهلها قال صبي في المهد
حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد عن أبي مرزوق عن جويبر عن الضحاك وشهد
شاهد من أهلها قال صبي أنطقه الله ويقال ذو رأي برأيه حدثنا الحسن بن محمد قال أخبرنا
عفان قال ثنا حماد قال أخبرني عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال تكلم أربعة وهم صغار فذكر فيهم شاهد يوسف حدثت عن الحسين
ابن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله
وشهد شاهد من أهلها يزعمون أنه كان صبيا في الدار حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي
قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وشهد شاهد من أهلها قال كان صبيا
في المهد * وقال آخرون كان رجلا ذا لحية ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال
ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن
ابن عباس قال كان ذا لحية حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال
ثنا أبي عن سفيان عن جابر عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس وشهد شاهد من أهلها قال كان
من خاصة الملك * وبه قال حدثنا أبي عن عمران بن حدير سمع عكرمة يقول وشهد شاهد من
أهلها قال ما كان بصبي ولكن كان رجلا حكيما حدثنا سوار بن عبد الله قال ثنا
عبد الملك بن الصباح قال ثنا عمران بن حدير عن عكرمة وذكر عنده وشهد شاهد من أهلها
فقالوا كان صبيا فقال انه ليس بصبي ولكنه رجل حكيم حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع
وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن منصور عن مجاهد وشهد شاهد من أهلها
قال كان رجلا حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن

في هلاك القلب وربحها في سلامة
القلب وهم لا يشعرون فيه اشارة
الى أن من خصوصية تعلق الروح
بالقالب أن يتولد منهما القلب
العلوي والنفس السفلية
والحواس والقوى فيحصل التجاذب
فان كانت الغلبة للروح سعد
وان كانت للنفس شقي وجاؤا
أباهم عشاء أي في النصف الآخر
من مدة العمر تبكي تشاغل
باللهو في أيام الشباب وتركنا
يوسف القلب مهملا معطلا عن
الاستكمال فأكله ذئب الشيطان
وجاؤا على قميصه أي قالب القلب
بدم كذب هو آثار الملكات الردية
زعموا أنها قد سرت الى القلب
وأزالت نور الايمان عنه بالكلية
قال يعقوب الروح بل سولت لكم
أنفسكم أمرا فصبر جميل على ما
قضى الله وقدر والله المستعان
على ما تصفون من رين القلب
وموته وجاءت سيارة هي هبوب
نفحات ألطاف الحق فأرسلوا
واردهم واردا من واردات الحق
فأدلى دلوه جذبة من جذبات
الرحمن قال يا بشرى فيه اشارة
الى أن للجذبة بشارة في تعلقها
بالقلب كما أن للقلب بشارة في
خلاصه من جب الطبيعة كما قال
تعالى يحبهم ويحبونه والله عليم
بحكمة البشارتين وعما يعملون
من شرائه بثمن بخس هو الحظوظ
الفانية في أيام معدودة وكانوا فيه
من الزاهدين لأنهم ما عرفوا قدره
وانما ميلهم الى استجلاب المنافع
الردية العاجلة والله أعلم
(وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته

مجاهد وشهد شاهد من أهلها قال رجل حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد فى قوله وشهد شاهد من أهلها قال رجل حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو بكر بن عياش عن أبى حصين عن سعيد بن جبير وشهد شاهد من أهلها قال رجل حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عمرو بن محمد قال أخبرنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس وشهد شاهد من أهلها قال ذو لحية حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد قال ثنا أسباط عن السدى قال ابن عمها كان الشاهد من أهلها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس وشهد شاهد من أهلها قال ذو لحية حدثنى المثنى قال ثنا أبو غسان قال ثنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال كان ذا لحية حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا قيس عن جابر عن ابن أبى مليكة وشهد شاهد من أهلها قال كان من خاصة الملك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وشهد شاهد من أهلها قال رجل حكيم كان من أهلها حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قوله وشهد شاهد من أهلها قال رجل حكيم من أهلها حدثنا المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد وشهد شاهد من أهلها قال كان رجلا حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن بعض أصحابه عن الحسن فى قوله وشهد شاهد من أهلها قال رجل له رأى أشار برأيه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وشهد شاهد من أهلها قال يقال انما كان الشاهد مشيرا رجلا من أهل اطفير وكان يستعين برأيه الا أنه قال أشهد ان كان قميصه قد من قبل لقد صدقت وهو من الكاذبين * وقيل معنى قوله وشهد شاهد حكم حاكم حدثت بذلك عن الفراء عن معلى بن هلال عن أبى يحيى عن مجاهد . وقال آخرون انما عنى بالشاهد القميص المقدود ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله وشهد شاهد من أهلها قال قميصه مشقوق من دبر فتلك الشهادة حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وشهد شاهد من أهلها قميصه مشقوق من دبر فتلك الشهادة حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن ليث عن مجاهد وشهد شاهد من أهلها لم يكن من الانس . قال ثنا حفص عن ليث عن مجاهد وشهد شاهد من أهلها قال كان من أمر الله ولم يكن انسيا * والصواب من القول فى ذلك قول من قال كان صبيا فى المهد للخبر الذى ذكرناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ذكر من تكلم فى المهد فذكر أن أحدهم صاحب يوسف فأما ما قاله مجاهد من أنه القميص المقدود فما لا معنى له لان الله تعالى ذكره أخبر عن الشاهد الذى شهد بذلك أنه من أهل المرأة فقال وشهد شاهد من أهلها ولا يقال للقميص هو من أهل الرجل ولا المرأة وقوله ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين لان المطلوب اذا كان هاربا فانما يؤتى من قبل دبره فكان معلوما أن الشق لو كان من قبل لم يكن هاربا مطلوبا ولكن كان يكون طالبا مدفوعا وكان يكون ذلك شهادة على كذبه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال قال أشهد ان كان قميصه قد من قبل لقد صدقت وهو من الكاذبين وذلك أن الرجل انما يريد المرأة مقبلا وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين وذلك أن الرجل لا يأتى المرأة من دبر وقال انه لا ينبغى أن يكون فى الحق الا ذلك فلما رأى اطفير قميصه قد من

أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو
تتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف
فى الأرض ولنعلمه من تأويل
الأحاديث والله غالب على أمره
ولكن أكثر الناس لا يعلمون
ولما بلغ أشده آتيناه حكما
وعلما وكذلك نجزى المحسنين
وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه
وغلقت الابواب وقالت هيت لك
قال معاذ الله انه ربى أحسن مثواى
انه لا يفلح الظالمون ولقد همت
به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه
كذلك لنصرف عنه السوء
والفحشاء انه من عبادنا المخلصين
واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر
وألفيا سيدها لدى الباب قالت
ما جزاء من أراد بأهلك سوأ الا أن
يسجن أو عذاب أليم قال هى
راودتنى عن نفسى وشهد شاهد من
أهلها ان كان قميصه قد من قبل
فصدقت وهو من الكاذبين وان
كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو
الصادقين فلما رأى قميصه قد من دبر
قال انه من كيدكن ان كيدكن
عظيم يوسف أعرض عن هذا
واستغفرى لذنبك انك كنت من
الخاطئين وقال نسوة فى المدينة
امرأت العزيز تراود فتاها عن نفسه
قد شغفها حبا انا لنراها فى ضلال
مبين فلما سمعت بمكرهن أرسلت
اليهن وأعتدت لهن متكأ وآتت
كل واحدة منهن سكينا وقالت
اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه
وقطعن أيديهن وقلن حاش لله
ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم
قالت فذلكن الذى لمتننى فيه ولقد
راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم

دبرعرف أنه من كيدها فقال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قال يعنى الشاهد من أهلها القميص يقضى بينهما ان كان قميصه قدمن قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قدمن دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قميصه قدمن دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم وانما حذفت أن التى تتلقى بها الشهادة لانه ذهب بالشهادة الى معنى القول كأنه قال وقال قائل من أهلها ان كان قميصه كما قيل يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين لانه ذهب بالوصية الى القول وقوله فلما رأى قميصه قدمن دبر خبر عن زوج المرأة وهو القائل لها ان هذا الفعل من كيدكن أى صنيعكن يعنى من صنيع النساء ان كيدكن عظيم وقيل انه خبر عن الشاهد أنه القائل ذلك ❊ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يوسف أعرض عن هذا واستغفرى لذنبك انك كنت من الخاطئين﴾ وهذا فيما ذكر عن ابن عباس خبر من الله تعالى ذكره عن قيل الشاهد أنه قال للمرأة وليوسف يعنى بقوله يوسف يا يوسف أعرض عن هذا يقول أعرض عن ذكر ما كان منها اليك فيما راودتك عليه فلا تذكره لاحد كما حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يوسف أعرض عن هذا قال لا تذكره واستغفرى أنت زوجك يقول سليه أن لا يعاقبك على ذنبك الذى أذنبت وأن يصفح عنه فيستره عليك انك كنت من الخاطئين يقول انك كنت من المذنبين فى مراودة يوسف عن نفسه يقال منه خطئ فى الخطيئة يخطأ خطأ وخطأ كما قال جل ثناؤه ان كان خطأ كبيرا والخطأ فى الامر وحكى فى الصواب أيضا الصوب (١) والصوب كما قال الشاعر

لعمرك انما خطئى وصوبى ❊ على وان ما أهلكت مال

وينشد بيت أمية

عبادك يخطؤن وأنت رب ❊ بكفيك المنايا والحتوم

من خطئ الرجل وقيل انك كنت من الخاطئين ولم يقل من الخاطئات لانه لم يقصد بذلك قصد الخبر عن النساء وانما قصد به الخبر عمن يفعل ذلك فيخطئ ❊ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقال نسوة فى المدينة امرأت العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا انا لنراها فى ضلال مبين﴾ يقول تعالى ذكره وتحدث النساء بأمر يوسف وأمر امرأة العزيز فى مدينة مصر وشاع من أمرهما فيها ما كان فلم يكتم وقلن امرأة العزيز تراود فتاها عبدها عن نفسه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال وشاع الحديث فى القرية وتحدث النساء بأمره وأمرها وقلن امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه أى عبدها وأما العزيز فانه الملك فى كلام العرب ومنه قول أبى دواد

درة غاص عليها تاجر ❊ جليت عند عزيز يوم طل

يعنى بالعزيز الملك وهو من العزة وقوله قد شغفها حبا يقول قد وصل حب يوسف الى شغاف قلبها فدخل تحته حتى غلب على قلبها وشغاف القلب حجابه وغلافه الذى هو فيه واياه عنى النابغة الذبيانى بقوله

وقد حال هم دون ذلك داخل ❊ دخول شغاف تبتغيه الاصابع

❊ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا حجاج بن محمد عن ابن جريج قال أخبرنى عمرو بن دينار أنه سمع عكرمة يقول فى قوله شغفها حبا قال دخل حبه تحت الشغاف حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله قد شغفها حبا قال دخل حبه فى شغافها حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا

(١) ان لم يكن مكررا فهو مبتدأ خبره كما قال الخ كتبه مصححه

يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من من الصاغرين قال رب السجن أحب الى مما يدعوننى اليه والا تصرف عنى كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين﴾ ❊ القراآت هيت لك بضم التاء وفتح الهاء ابن كثير هيت بكسر الهاء وفتح التاء أبو جعفر ونافع وابن ذكوان والرازى عن هشام مثله ولكن بالهمز الحلوانى عن هشام مثل هذا ولكن بضم التاء الجارى عن هشام (٢) الباقون هيت لك بفتحتين وسكون الياء المخلصين بفتح اللام حيث كان أبو جعفر ونافع وعاصم وحمزة وعلى وخلف ربى أحسن بفتح الياء أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وابن كثير من قبل ومن دبر بالاختلاس عباس قد شغفها مدغما أبو عمرو وعلى وحمزة وخلف وهشام وقالت اخرج بكسر التاء أبو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعاصم الآخرون بالضم للاتباع حاشا لله وما بعده فى الحالين بالالف أبو عمرو ربى السجن بفتح السين على أنه مصدر يعقوب الباقون بالكسر ❊ الوقوف ولدا ط فى الارض ز بناء على أن الواو مقحمة واللام متعلقة بمكنا أوهى عطف على محذوف قبله أى ليتمكن ولنعلمه والاظهر أنها تتعلق بمحذوف بعده أى ولنعلمه من تأويل الاحاديث كان ذلك التمكن الاحاديث ط لا يعلمون ٥ وعلما ط المحسنين ٥ هيت

(٢) فيه سقط فراجع القراء

أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قد شغفها حبا قال دخل حبه في شغافها حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قد شغفها حبا قال كان حبه في شغافها * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثل حديث الحسن بن محمد عن شبابة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله قد شغفها حبا يقول علقها حبا حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله قد شغفها حبا قال غلبها حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبيه عن أيوب بن عائذ الطائي عن الشعبي قد شغفها حبا قال المشغوف المحب والمشعوف المجنون * وبه قال حدثنا أبي عن أبي الأشهب عن أبي رجاء والحسن قد شغفها حبا قال أحدهما قد بطنها حبا وقال الآخر قد صدقها حبا حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن في قوله قد شغفها حبا قال قد بطنها حبا قال يعقوب قال أبو بشر أهل المدينة يقولون قد بطنها حبا حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن قال سمعته يقول في قوله قد شغفها حبا قال بطنها حبا وأهل المدينة يقولون ذلك حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عبد الوهاب عن قرة عن الحسن قد شغفها حبا قال قد بطن بها حبا حدثنا الحسن قال ثنا أبو قطن قال ثنا أبو الأشهب عن الحسن قد شغفها حبا قال بطنها حبه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن قد شغفها حبا قال بطن بها حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قد شغفها حبا قال استبطنها حبها اياه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قد شغفها حبا أي قد علقها حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد قد شغفها حبا قال قد علقها حبا حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربي عن جويبر عن الضحاك قال هو الحب اللازق بالقلب حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك في قوله قد شغفها حبا يقول هلكت عليه حبا والشغاف شغاف القلب حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد قال ثنا أسباط عن السدي قد شغفها حبا قال والشغاف جلدة على القلب يقال لها لسان القلب يقول دخل الحب الجلد حتى أصاب القلب وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار بالغين قد شغفها على معنى ما وصفت من التأويل وقرأ ذلك أبو رجاء قد شعفها بالعين حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا أبو قطن قال ثنا أبو الاشهب عن أبي رجاء قد شعفها * قال ثنا خلف قال ثنا هشيم عن أبي الاشهب أو عوف عن أبي رجاء قد شعفها حبا بالعين * قال ثنا خلف قال ثنا محبوب قال قرأه عوف قد شعفها .. قال ثنا عبد الوهاب عن هرون عن أسيد عن الاعرج قد شعفها حبا وقال شغفها(١) اذا كان هو يحبها ووجه هؤلاء معنى الكلام الى أن الحب قد عمها وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من الكوفيين يقول هو من قول القائل قد شعف بها كأنه ذهب بها كل مذهب من شعف الجبال وهي رؤسها وروي عن ابراهيم النخعي أنه قال الشغف شغف الحب والشعف شعف الدابة حين تذعر حدثني بذلك الحرث عن القاسم أنه قال وروى ذلك عن أبي عوانة عن مغيرة عنه * قال الحرث قال القاسم يذهب ابراهيم الى أن أصل الشعف هو الذعر قال وكذلك هو كما قال ابراهيم في الاصل الا أن العرب ربما استعارت الكلمة فوضعتها في غير موضعها قال امرؤ القيس

أتقتلني

لك ط الظالمون ه همت به ز قد قيل بناء على ان قوله وهم جواب لولا وليس بصحيح لان جواب لولا لا يتقدم عليه وانما جوابه محذوف وهو لحقق ما هم به كذا قال السجاوندي وأقول لو وقف للفرق بين الهمين لم يبعد وهم بها ج برهان ربه ط والفحشاء ط المخلصين ه لدى الباب ه أليم ه عن نفسي لم يذكر الائمة عليه وقفا ولعل الوقف عليه حسن كيلا يظن عطف وشهد على راودتني أو على جملة هي راودتني من أهلها ج على تقدير وقال ان كان من الكاذبين ه الصادقين ه من كيدكن ط عظيم ه عن هذا سكتة للعدول عن مخاطب الى مخاطب لذنبك ج لاحتمال التعليل الخاطئين ه عن نفسه ج لان قد لتحسين الابتداء مع اتحاد القائل حبا ط مبين ه عليهن ج بشرا ط كريم ه فيه ط فاستعصم ط لاحتمال القسم الصاغرين ه اليه ج للشرط مع الواو الجاهلين ه كيدهن ط العليم ه حين ه

التفسير قد ثبت في الاخبار أن الذي اشتراه اما من الاخوة أو من الواردين ذهب به الى مصر وباعه فاشتراه العزيز واسمه قطفير أو اطفير ولم يكن ملكا ولكنه كان يلي خزائن مصر والملك يومئذ الريان ابن الوليد رجل من العماليق وقد آمن بيوسف ومات في حياة يوسف فملك بعده قابوس بن مصعب ولم يؤمن بيوسف روي أن العزيز اشتراه ابن سبع عشرة سنة وأقام في

(١) أي بالغين المعجمة كما صرح بذلك في الدر فتنبه

أتقتلني وقد شعفت فؤادها * كما شعف المهنوءة الرجل الطالي

قال وشعف المرأة من الحب وشعف المهنوءة من الذعر فشبه لوعة الحب وجواه بذلك * وقال ابن زيد في ذلك ما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قد شعفها حبا قال ان الشعف والشعف مختلفان والشعف في البغض والشغف في الحب وهذا الذي قاله ابن زيد لا معنى له لان الشعف في كلام العرب بمعنى عموم الحب أشهر من أن يجهله ذو علم بكلامهم * والصواب في ذلك عندنا من القراءة قد شغفها بالغين لاجماع الحجة من القراء عليه وقوله انا لنراها في ضلال مبين قلن إنا لنرى امرأة العزيز في مراودتها فتاها عن نفسه وغلبة حبه عليها لفي خطا من الفعل وجور عن قصد السبيل مبين لمن تأمله وعلمه أنه ضلال وخطأ غير صواب ولا سداد وانما كان قيلهن ما قلن من ذلك وتحدثهن بما تحدثن به من شأنها وشأن يوسف مكرا منهن فيما ذكر لتريهن يوسف * القول في تأويل قوله تعالى ﴿فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهن وأعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم﴾ يقول تعالى ذكره فلما سمعت امرأة العزيز بمكر النسوة اللاتي قلن في المدينة ما ذكره الله عز وجل عنهن وكان مكرهن ما حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد قال ثنا أسباط عن السدي فلما سمعت بمكرهن يقول بقولهن حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما أظهر النساء ذلك من قولهن تراود عبدها مكرا بها لتريهن يوسف وكان يوصف لهن بحسنه وجماله فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهن وأعتدت لهن متكأ حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلما سمعت بمكرهن أي بحديثهن أرسلت اليهن يقول أرسلت الى النسوة اللاتي تحدثن بشأنها وشأن يوسف وأعتدت أفعلت من العتاد وهو العدة ومعناه أعدت لهن متكأ يعني مجلسا للطعام وما يتكئن عليه من النمارق والوسائد وهو مفتعل من قول القائل اتكأت يقال ألق له متكأ يعني ما يتكئ عليه * وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن اليمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد وأعتدت لهن متكأ قال طعاما وشرابا ومتكأ قال ثنا عمرو بن محمد عن أسباط عن السدي وأعتدت لهن متكأ قال يتكئن عليه حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس وأعتدت لهن متكأ قال مجلسا * قال ثنا عمرو ابن عون قال أخبرنا هشيم عن أبي الاشهب عن الحسن أنه كان يقرأ متكأ ويقول هو المجلس والطعام * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن يزيد من قرأ متكا خفيفة يعني طعاما ومن قرأ متكأ يعني المتكأ فهذا الذي ذكرنا عمن ذكرنا عنه من تأويل هذه الكلمة هو معنى الكلمة وتأويل المتكأ وأنها أعدت للنسوة مجلسا فيه متكأ وطعام وشراب وأترج ثم فسر بعضهم المتكأ بأنه الطعام على وجه الخبر عن الذي أعد من أجله المتكأ وبعضهم عن الخبر عن الاترج اذ كان في الكلام وآتت كل واحدة منهن سكينا لان السكين انما تعد للاترج وما أشبهه مما يقطع به وبعضهم على البزماورد حدثني هرون بن حاتم المقرئ قال ثنا هشيم بن الزرقان عن أبي روق عن الضحاك في قوله وأعتدت لهن متكا قال البزماورد وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى المتكأ هو النمرق يتكأ عليه وقال زعم قوم أنه الاترج قال وهذا أبطل باطل في الارض ولكن عسى أن يكون مع المتكأ أترج يأكلونه وحكى أبو عبيد القاسم بن سلام قول أبي عبيدة ثم قال والفقهاء أعلم بالتأويل منه ثم قال ولعله بعض ما ذهب من كلام العرب فان الكسائي كان يقول قد ذهب

منزله ثلاث عشرة واستوزره بعد ذلك ريان بن الوليد ثم آتاه الله الحكمة والعلم ابن ثلاث وثلاثين وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان الملك في أيامه فرعون موسى عاش أربعمائة سنة دليله قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من أولاد فرعون يوسف والمعنى ولقد جاء آباءكم وقيل اشتراه العزيز بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين أبيضين وقيل أدخلوه السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا فابتاعه قطفير بذلك المبلغ ومعنى (أكرمي مثواه) اجعلي منزله ومقامه عندنا كريما أي حسنا مرضيا وفي هذه العبارة دلالة على أنه عظم شأن يوسف كما يقال سلام على المجلس العالي وقال في الكشاف المراد تعهديه بحسن الملكة حتى تكون نفسه طيبة في صحبتنا ويقال للرجل كيف أبو مثواك وأم مثواك لمن ينزل الرجل به من انسان رجل أو امرأة يراد هل تطيب نفسك بثوائك عنده واللام في لامرأته تتعلق بقال ثم بين الغرض من الاكرام فقال (عسى أن ينفعنا) بكفاية بعض مهماتنا (أو نتخذه ولدا) لان قطفير كان لا يولد له ولد وكان حصورا وعن ابن مسعود أفرس الناس ثلاثة العزيز حين قال لامرأته أكرمي مثواه فتفرس في يوسف ما تفرس والمرأة التي أتت موسى وقالت لأبيها يا أبت استأجره وأبو بكر حين استخلف عمر وروى أنه سأله عن نفسه فأخبره بنسبه

من كلاب العرب شيء كثير انقرض أهله والقول في أن الفقهاء أعلم بالتأويل من أبي عبيدة كما قال أبو عبيد لا شك فيه غير أن أبا عبيدة لم يبعد من الصواب في هذا القول بل القول كما قال من أن من قال المتكأ هو الاترج انما بين المعد في المجلس الذي فيه المتكأ والذي من أجله أعطين السكاكين لأن السكاكين معلوم أنها لا تعد للمتكأ الا لتخريقه ولم يعطين السكاكين لذلك ومما يبين صحة ذلك القول الذي ذكرناه عن ابن عباس من أن المتكأ هو المجلس ثم روى عن مجاهد عنه ما حدثني به سليمن بن عبد الجبار قال ثنا محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة عن حصين عن مجاهد عن ابن عباس وأعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا قال أعطتهن أترجا وأعطت كل واحدة منهن سكينا فبين ابن عباس في رواية مجاهد هذه ما أعطت النسوة وأعرض عن ذكر بيان معنى المتكأ اذ كان معلوما معناه ذكر من قال في تأويل المتكأ ما ذكرنا حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي قال ثنا فضيل بن عياض عن حصين عن مجاهد عن ابن عباس وأعتدت لهن متكا قال الترنج حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن عوف قال حدثت عن ابن عباس أنه كان يقرؤها متكا مخففة ويقول هو الاترج حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن ادريس عن أبيه عن عطية وأعتدت لهن متكا قال الطعام حدثني يعقوب والحسن ابن محمد قالا ثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن في قوله وأعتدت لهن متكأ قال طعاما حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن مثله حدثنا ابن بشار وابن وكيع قالا ثنا غندر قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في قوله وأعتدت لهن متكأ قال طعاما حدثنا ابن المثنى قال ثنا وهب بن جرير قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير بنحوه حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد قال من قرأ متكأ فهو الطعام ومن قرأها متكا خففها فهو الاترج حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله متكأ قال طعاما حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد.. وحدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا أبو خالد القرشي قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد قال من قرأ متكا خفيفة فهو الاترج حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد بنحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن ليث قال سمعت بعضهم يقول الاترج حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأعتدت لهن متكأ أي طعاما حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مثله * قال ثنا يزيد عن أبي رجاء عن عكرمة في قوله متكأ قال طعاما حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وأعتدت لهن متكا يعني الاترج حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وأعتدت لهن متكأ والمتكأ الطعام * قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد وأعتدت لهن متكأ قال الطعام حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأعتدت لهن متكأ قال طعاما حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سلمين قال سمعت الضحاك يقول في قوله متكا فهو كل شيء يحز بالسكين قال الله تعالى ذكره مخبرا

عن

فعرفه ثم قال (وكذلك) أي كما أنعمنا عليه بالانجاء من الجب وعطف قلب العزيز عليه مكناه في أرض مصر حتى يتصرف فيها بالامر والنهي (ولنعلمه) قدم في الوقوف بيان متعلقه وفي أوائل السورة معنى تأويل الاحاديث والمراد من الآية حكاية اعلاء شأن يوسف في الكمالات الحقيقية وأصولها القدرة وأشار اليها بقوله مكنا والعلم وأشار اليه بقوله ولنعلمه ولا ريب أن ابتداء ذلك كان حين ألقي في الجب كما قال وأوحينا اليه لتنبئنهم وكان يرتقي في ذلك الى أن بلغ حد الكمال وصار مستعدا للدعوة الى الدين الحق وللارسال الى الخلق (والله غالب على أمره) أي على أمر نفسه لا منازع له ولا مدافع أو على أمر يوسف لم يكله الى غيره ولم ينجح كيد اخوته فيه ولم يكن الا ما أراد الله ودبر (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أن الامر كله بيد الله ثم انه سبحانه بين وقت استكمال أمره فقال (ولما بلغ أشده) قيل في الاشد ثماني عشرة سنة وعشرون وثلاث وثلاثون وأربعون الى ثنتين وستين (آتيناه حكما وعلما) فالحكم الحكمة العملية والعلم الحكمة النظرية وانما قدمت العملية لان أصحاب الرياضات والمجاهدات يصلون أولا الى الحكمة العملية ثم الى العلم اللدني بخلاف أصحاب الافكار والانظار والاول هو طريقة يوسف لانه صبر على البلاء والمحن ففتح عليه أبواب المكاشفات وقيل الحكم النبوة لان النبي حاكم على الخلق والعلم علم الدين وقيل الحكم صيرورة نفسه المطمئنة

عن امرأة العزيز والنسوة اللاتي تحدثن بشأنها في المدينة وآتت كل واحدة منهن سكينا يعني بذلك جل ثناؤه وأعطت كل واحدة من النسوة اللاتي حضرنها سكينا لتقطع به من الطعام ما تقطع به وذلك ما ذكرت أنها آتتهن امامهن الاترج وامامهن البزماورد وغير ذلك مما يقطع بالسكين كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد عن أسباط عن السدي وآتت كل واحدة منهن سكينا وأترجا يأكلنه حدثنا سليمن بن عبد الجبار قال ثنا محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة عن حصين عن مجاهد عن ابن عباس وآتت كل واحدة منهن سكينا قال أعطتهن أترجا وأعطت كل واحدة منهن سكينا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وآتت كل واحدة منهن سكينا ليحتززن به من طعامهن حدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وآتت كل واحدة منهن سكينا وأعطتهن ترنجا وعسلا فكن يحززن الترنج بالسكين ويأكلن بالعسل وفي هذه الكلمة بيان صحة ما قلنا وأخبرنا في قوله وأعتدت لهن متكأ وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن ايتاء امرأة العزيز النسوة السكاكين وترك ماله آتتهن السكاكين اذ كان معلوما أن السكاكين لا تدفع الى من دعي الى مجلس الا لقطع ما يؤكل اذا قطع بها فاستغنى بفهم السامع بذكر ايتائها صواحباتها السكاكين عن ذكر ماله آتتهن ذلك فكذلك استغنى بذكر اعتدادها لهن المتكأ عن ذكر ما يعتد له المتكأ مما يحضر المجالس من الاطعمة والأشربة والفواكه وصنوف الالتهاء لفهم السامعين بالمراد من ذلك ودلالة قوله وأعتدت لهن متكأ عليه فأما نفس المتكأ فهو ما وصفنا خاصة دون غيره وقوله وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه يقول تعالى ذكره وقالت امرأة العزيز ليوسف اخرج عليهن فخرج عليهن يوسف فلما رأينه أكبرنه يقول جل ثناؤه فلما رأين يوسف أعظمنه وأجللنه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله أكبرنه أعظمنه حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح قال وثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلما رأينه أكبرنه أي أعظمنه حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد عن أسباط عن السدي وقالت اخرج عليهن ليوسف فلما رأينه أكبرنه عظمنه حدثنا اسمعيل بن سيف العجلي قال ثنا علي بن عابس قال سمعت السدي يقول في قوله فلما رأينه أكبرنه قال أعظمنه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله اخرج عليهن فخرج فلما رأينه أعظمنه وبهتن حدثنا اسمعيل بن سيف قال ثنا عبد الصمد بن علي الهاشمي عن أبيه عن جده في قوله فلما رأينه أكبرنه قال حضن حدثنا علي بن داود قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله فلما رأينه أكبرنه يقول أعظمنه حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا يحيى بن أبي زائدة عن ابن جريج عن مجاهد مثله وهذا القول أعني القول الذي روي عن عبد الصمد عن أبيه عن جده في معنى أكبرنه أنه حضن ان لم يكن عنى به أنهن حضن من اجلالهن يوسف واعظامهن لما كان الله قسم له من البهاء والجمال ولما يجد من مثل ذلك النساء عند معاينتهن اياه فقول لا معنى له لأن تأويل ذلك فلما رأين يوسف أكبرنه فالهاء التي في أكبرنه من ذكر يوسف ولا شك أن من المحال أن يحضن يوسف ولكن الخبر ان كان صحيحا عن ابن عباس على ما روي فخليق أن يكون

حاكمة على النفس الامارة قاهرة لها فحينئذ تفيض الانوار القدسية والاضواء الالهية من عالم القدس على جوهر النفس والتحقيق في هذا الباب أن استكمال النفس الناطقة انما يتيسر بواسطة استعمال الآلات الجسدانية وفي أوان الصغر تكون الرطوبات مستولية عليها فتضعف تلك الآلات فاذا كبر الانسان واستولت الحرارة الغريزية على البدن نضجت تلك الرطوبات وقلت واعتدلت فصارت الآلات صالحة لان تستعملها النفس الانسانية في تحصيل المعارف واكتساب الحقائق فقوله ولما بلغ أشده اشارة الى اعتدال الآلات البدنية وقوله آتيناه حكما وعلما اشارة الى استكمال النفس الناطقة وقوة لمعان الاضواء القدسية فيها قال في الكشاف (وكذلك نجزي المحسنين) فيه تنبيه على أنه كان محسنا في عمله متقيا في عنفوان أمره وأن الله آتاه الحكم والعلم جزاء على احسانه واعترض عليه بأن النبوة غير مكتسبة والحق أن الكل بفضل الله ورحمته ولكن للوسائط والمعدات مدخل عظيم في كل ما يصل الى الانسان من الفيوض والآثار فالانوار السابقة تصير سببا للاضواء اللاحقة وهلم جرا عن الحسن من أحسن عبادة ربه في شبيبته آتاه الله الحكمة في اكتهاله ثم ان يوسف كان في غاية الحسن والجمال فلما شب طمعت فيه امرأة العزيز وذلك قوله (وراودته) والمراودة مفاعلة من راد يرود اذا جاء وذهب ضمنت معنى الخداع أي فعلت ما يفعل المخادع بصاحبه حتى يزله

كان معناه فى ذلك أنهن حضن لما أكبرن من حسن يوسف وجماله فى أنفسهن ووجدن ما يجد النساء من مثل ذلك وقد زعم بعض الرواة أن بعض الناس أنشد فى أكبرن بمعنى حضن بيتا لا أحسب أن له أصلا لانه ليس بالمعروف عند الرواة وذلك

نأتى النساء على أطهارهن ولا * نأتى النساء اذا أكبرن اكبارا

وزعم أن معناه اذا حضن وقوله وقطعن أيديهن اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك فقال بعضهم معناه أنهن حززن بالسكين فى أيديهن وهن يحسبن أنهن يقطعن الأترج ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وقطعن أيديهن حزا حزا بالسكين حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وقطعن أيديهن قال حزا حزا بالسكاكين حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد * قال وثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وقطعن أيديهن قال حزا حزا بالسكين حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد قال ثنا أسباط عن السدى وقطعن أيديهن قال جعل النسوة يحززن أيديهن يحسبن أنهن يقطعن الأترج حدثنا اسمعيل بن سيف قال ثنا على بن عابس قال سمعت السدى يقول كانت فى أيديهن سكاكين مع الأترج فقطعن أيديهن وسالت الدماء فقلن نحن نلومك على حب هذا الرجل ونحن قد قطعنا أيدينا وسالت الدماء حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد جعلن يحززن أيديهن بالسكين ولا يحسبن الا أنهن يحززن الترنج قد ذهبت عقولهن مما رأين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقطعن أيديهن وحززن أيديهن حدثنى سليمن بن عبد الجبار قال ثنا محمد بن الصلت قال ثنا ابن كدينة عن حصين عن مجاهد عن ابن عباس قال جعلن يقطعن أيديهن وهن يحسبن أنهن يقطعن الأترج حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وقطعن أيديهن قال جعلن يحززن أيديهن ولا يشعرن بذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال قالت ليوسف اخرج عليهن فخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وغلبت عقولهن عجبا حين رأينه فجعلن يقطعن أيديهن بالسكاكين التى معهن ما يعقلن شيأ مما يصنعن وقلن حاش لله ما هذا بشرا * وقال آخرون بل معنى ذلك أنهن قطعن أيديهن حتى أبنها وهن لا يشعرن ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال قطعن أيديهن حتى ألقينها حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وقطعن أيديهن قال قطعن أيديهن حتى ألقينها * والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله أخبر عنهن أنهن قطعن أيديهن وهن لا يشعرن لاعظام يوسف وجائز أن يكون ذلك كان قطعا بابانة وجائز أن يكون كان قطع حز وخدش ولا قول فى ذلك أصوب من التسليم لظاهر التنزيل حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن أبى الاحوص عن عبد الله قال أعطى يوسف وأمه ثلث الحسن حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى اسحق عن أبى الاحوص عن عبد الله مثله * وبه عن أبى الاحوص عن عبد الله قال قسم ليوسف وأمه ثلث الحسن حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن أبى اسحق عن أبى الاحوص عن عبد الله قال أعطى يوسف وأمه ثلث حسن الخلق حدثنى أحمد

ابن

عن الشئ الذى يريد أن يخرجه من يده وقد يخص بمحاولة الوقاع فيقال راود فلان جاريته عن نفسها وراودته هى عن نفسه اذا حاول كل منهما الوطء والجماع وانما قال (التى هو فى بيتها) ولم يقل زليخا قصدا الى زيادة التقرير مع استهجان اسم المرأة (وغلقت الابواب) لاريب أن التشديد يدل على التكثير لان غلق متعد كنقيضه وهو فتح والمفسرون رووا أن الأبواب كانت سبعة (وقالت هيت لك) هذه اللغة فى جميع القراآت اسم فعل بمعنى هلم الاعند من قرأ هئت لك بهاء مكسورة بعدها همزة ساكنة ثم تاء مضمومة فانها بمعنى تهيأت لك يقال هاء يهىء مثل جاء يجىء بمعنى تهيأ قال النحويون هيت جاء بالحركات الثلاثة فالفتح للخفة والكسر لالتقاء الساكنين والضم تشبيها بحيث واذا بين باللام نحو هيت لك فهى صوت قائم مقام المصدر كاف له أى لك أقول هذا واذا لم يبين باللام فهو صوت قائم مقام مصدر قائم مقام الفعل ويكون اسم فعل ومعناه اما خبر أى تهيأت واما أمر أى أقبل وقد روى الواحدى باسناده عن أبى زيد قالت هيت لك بالعبرانية هيتالج أى تعال عربه القرآن وقال الفراء انها لغة لاهل حوران سقطت الى مكة فتكلموا بها وقال ابن الانبارى هذا وفاق بين لغة قريش وأهل حوران كما اتفقت لغة العرب والروم فى القسطاس ولغة العرب والفرس فى السجيل ولغة العرب والترك فى الغساق ولغة العرب والحبشة فى ناشئة الليل ثم ان المرأة لما ذكرت هذا الكلام أجاب يوسف عليه السلام

ابن ثابت وعبد الله بن محمد الرازيان قالا ثنا عفان قال أخبرنا حماد بن سلمة قال أخبرنا ثابت عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أعطي يوسف وأمه شطر الحسن حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن أبي معاذ عن يونس عن الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أعطي يوسف وأمه ثلث حسن أهل الدنيا وأعطي الناس الثلثين أو قال أعطي يوسف وأمه الثلثين وأعطي الناس الثلث حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن منصور عن مجاهد عن ربيعة الجرشي قال قسم الحسن نصفين فأعطي يوسف وأمه سارة نصف الحسن والنصف الآخر بين سائر الخلق حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد الزبيري قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد عن ربيعة الجرشي قال قسم الحسن نصفين فقسم ليوسف وأمه النصف والنصف لسائر الناس حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا ثنا جرير عن منصور عن مجاهد عن ربيعة الجرشي قال قسم الحسن نصفين فجعل ليوسف وسارة النصف وجعل لسائر الخلق نصف حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عيسى بن يزيد عن الحسن أعطي يوسف وأمه ثلث حسن الدنيا وأعطي الناس الثلثين وقوله وقلن حاش لله اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الكوفيين حاش لله بفتح الشين وحذف الياء وقرأه بعض البصريين باثبات الياء حاشى لله وفيه لغات لم يقرأ بها حاشى الله كما قال الشاعر

حاشى أبي ثوبان ان به * ضنا عن الملحاة والشتم

وذكر عن ابن مسعود أنه كان يقرأ بهذه اللغة وحاش لله بتسكين الشين والالف بجمع بين الساكنين وأما القراءة فانما هي باحدى اللغتين الاوليين فمن قرأ حاش لله بفتح الشين واسقاط الياء فانه أراد لغة من قال حاشى لله باثبات الياء ولكنه حذف الياء لكثرتها على ألسن العرب كما حذفت العرب الالف من قولهم لا أب لغيرك ولا أب لشانيك وهم يعنون لا أبا لغيرك ولا أبا لشانيك وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يزعم أن لقولهم حاشى لله موضعين في الكلام أحدهما التنزيه والآخر الاستثناء وهو في هذا الموضع عندنا بمعنى التنزيه لله كأنه قيل معاذ الله وأما القول في قراءة ذلك فانه يقال للقارئ الخيار في قراءته بأي القراءتين شاء ان شاء بقراءة الكوفيين وان شاء بقراءة البصريين وهو حاش لله وحاشى لله لانهما قراءتان مشهورتان ولغتان معروفتان بمعنى واحد وما عدا ذلك فلغات لا تجوز القراءة بها لانا لا نعلم قارئا قرأ بها وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وقلن حاش لله قال معاذ الله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله حاش لله معاذ الله حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وقلن حاش لله معاذ الله حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله حاش لله معاذ الله * قال ثنا عبد الوهاب عن عمرو عن الحسن حاش لله معاذ الله حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا يحيى عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله ما هذا بشرا يقول قلن ما هذا بشر لأنهن لم يرين في حسن صورته من البشر أحدا فقلن لو كان من البشر لكان كبعض ما رأينا من صورة البشر ولكنه من الملائكة لا من البشر كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وقلن حاش لله ما هذا بشرا ما هكذا تكون البشر وبهذه القراءة قرأ عامة قراء الامصار وقد حدثت عن يحيى بن زياد الفراء قال ثني دعامة بن رجاء

بثلاثة أجوبة الاول (قال معاذ الله) وهو من المصادر التي لا يجوز اظهار فعلها أي أعوذ بالله معاذا وفيه اشارة الى أن حق الله تعالى يمنع عن هذا العمل الثاني (انه) والضمير للشأن (ربي) أي سيدي ومالكي بزعمهم واعتقادهم والا فيوسف كان عالما بانه حر والحر لا يصير عبدا بالبيع أو المراد التربية أي الذي رباني (أحسن مثواي) حين قال أكرمي مثواه وفي هذا اشارة الى أن حق الخلق أيضا يمنع عن ذلك العمل وقيل أراد بقوله ربي الله تعالى لانه مسبب الاسباب الثالث قوله (انه لا يفلح الظالمون) الذين يجازون الحسن بالسيء أو أراد الذين يزنون لانهم ظلموا أنفسهم وفيه اشارة الى الدليل العقلي فان صون النفس عن الضرر واجب وهذه اللذة قليلة يتبعها خزي في الدنيا وعذاب في الآخرة فعلى العاقل أن يحترز عنها فما أحسن نسق هذه الأجوبة قوله سبحانه (ولقد همت به وهم بها) لا شك أن الهم لغة هو القصد والعزم لكن العلماء اختلفوا فقال جم غفير من المفسرين الظاهريين ان تلك الهمة بلغت حد المخالطة فقال أبو جعفر الباقر رضي الله عنه باسناده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه انها طمعت فيه وانه طمع فيها حتى هم أن يحل التكة وعن ابن عباس أنه حل الهميان أي السروال وجلس منها مجلس المجامع وعنه أيضا أنها استلقت له وقعد هو بين شعبها الاربع وروى أن يوسف حين قال ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت بايوسف فقال يوسف عند ذلك وما أبرئ نفسي ان النفس لأمارة بالسوء وقال آخرون ان

التيمي وكان غراعن أبي الحويرث الحنفي أنه قرأ ماهذا بشرى أي ماهذا عشترى يريد بذلك أنهن أنكرن أن يكون مثله مستعبدا يشترى و يباع وهذه القراءة لا أستجيز القراءة بها لاجماع قراء الامصار على خلافها وقد بينا أن ما أجمعت عليه فغير جائز خلافها فيه وأما نصب البشر فمن لغة أهل الحجاز اذا أسقطوا الباء من الخبر نصبوه فقالوا ما عمرو قائما وأما أهل نجد فان من لغتهم رفعه يقولون ما عمرو قائم ومنه قول بعضهم حيث يقول

لشتان ما أنوي و ينوي بنو أبي * جميعا فما هذان مستويان

تمنوا الى الموت الذي يشعب الفتى * و كل فتى والموت يلتقيان

وأما القرآن فجاء بالنصب في كل ذلك لانه نزل بلغة أهل الحجاز وقوله ان هذا الا ملك كريم يقول قلن ما هذا الا ملك من الملائكة كما حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ان هذا الا ملك كريم قال قلن ملك من الملائكة ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين﴾ يقول تعالى ذكره قالت امرأة العزيز للنسوة اللاتي قطعن أيديهن فهذا الذي أصابكن في رؤيتكن اياه وفي نظرة منكن نظرتن اليه ما أصابكن من ذهاب العقل وغروب الفهم ولها اليه حتى قطعتن أيديكن هو الذي لمتنني في حبي اياه وشغف فؤادي به فقلتن قد شغف امرأة العزيز فتاها حبا انا لنراها في ضلال مبين ثم أقرت لهن بأنها قد راودته عن نفسه وأن الذي تحدثن به عنها في أمره حق فقالت ولقد راودته عن نفسه فاستعصم مما راودته عليه من ذلك كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد عن أسباط عن السدي قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم تقول بعدما حل السراويل استعصى لا أدري ما بدا له حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاستعصم أي فاستعصى حدثني علي بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فاستعصم يقول فامتنع وقوله ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين تقول ولئن لم يطاوعني على ما أدعوه اليه من حاجتي اليه ليسجنن تقول ليحبسن في السجن وليكونا من أهل الصغار والذلة بالحبس والسجن ولأهيننه والوقف على قوله ليسجنن بالنون لانها مشددة كما قيل ليبطئن وأما قوله وليكونا فان الوقف عليه بالالف لانها النون الخفيفة وهي شبيهة نون الاعراب في الاسماء في قول القائل رأيت رجلا عندك فاذا وقف على الرجل قيل رأيت رجلا فصارت النون ألفا فكذلك ذلك في وليكونا ومثله قوله لنسفعا بالناصية ناصية الوقف عليه بالألف لما ذكرت ومنه قول الاعشى

وصل على حين العشيات والضحى * ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا

وانما هو فاعبدن ولكن اذا وقف عليه كان الوقف بالالف ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين﴾ وهذا الخبر من الله يدل على أن امرأة العزيز قد عاودت يوسف في المراودة عن نفسه وتوعدته بالسجن والحبس ان لم يفعل ما دعته اليه فاختار السجن على ما دعته اليه من ذلك لانها لو لم تكن عاودته وتوعدته بذلك كان محالا أن يقول رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه وهو لا يدعى الى شئ ولا يخوف بحبس والسجن هو الحبس نفسه وهو بيت الحبس و بكسر السين قراءه قراء الامصار كلها والعرب تضع الاماكن المشتقة من الافعال مواضع الافعال فتقول طلعت

الهمة ما كانت الا ميلة النفس ولم يخرج شئ منها من القوة الى الفعل ولكن كانت داعية الطبيعة وداعية العقل والحكمة متجاذبتين أما الاولون فقد فسروا برهان ربه بأن المرأة قامت الى صنم لها مكلل بالدر والياقوت في زاوية من زوايا البيت فسترته بالاثواب فقال يوسف ولم فقالت أستحي من الهي هذا أن يراني على المعصية فقال يوسف تستحيي من صنم لا يسمع ولا يعقل ولا أستحي من الهي القائم على كل نفس بما كسبت فوالله لا أفعل ذلك أبدا وعن ابن عباس أنه مثل له يعقوب عاضا فوه على أصابعه قائلا أتعمل عمل الفجار وأنت مكتوب في زمرة الانبياء والى هذا ذهب عكرمة ومجاهد والحسن وقتادة والضحاك ومقاتل وابن سيرين وقال سعيد بن جبير تمثل له يعقوب فضرب في صدره فخرجت شهوته من أنامله وقيل صيح به يا يوسف لا تكن كالطائر كان له ريش فلما زنى قعد لا ريش له وقيل بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ثم رأى فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم رأى فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فلم ينجع فيه فقال الله تعالى لجبرئيل أدرك عبدي قبل أن يصيب الخطيئة فانحط جبرئيل وهو يقول يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب في ديوان زمرة الانبياء وقيل رأى تمثال العزيز وأما الآخرون فما سلموا شيأ من هذه الروايات وعلى تقدير التسليم فتوارد الدلائل على المطلوب الواحد غير بعيد وكذا ترادف

الشمس مطلعا وغربت مغربا فيجعلونها وهي أسماء خلفا من المصادر فكذلك السجن فاذا فتحت السين من السجن كان مصدرا صحيحا وقد ذكر عن بعض المتقدمين أنه يقرؤه السجن أحب الي بفتح السين ولا أستجيز القراءة بذلك لاجماع الحجة من القراء على خلافها وتأويل الكلام قال يوسف يارب الحبس في السجن أحب الي مما يدعونني اليه من معصيتك ويراودنني عليه من الفاحشة كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه من الزنا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال قال يوسف وأضاف الى ربه واستعانه على ما نزل به رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه أي السجن أحب الي من أن آتي ما تكره وقوله والا تصرف عني كيدهن أصب اليهن يقول وان لم تدفع عني يارب فعلهن الذي يفعلن بي في مراودتهن اياي على أنفسهن أصب اليهن يقول أميل اليهن وأتابعهن على ما يردن مني ويهوين من قول القائل صبا فلان الى كذا ومنه قول الشاعر

الى هند صبا قلبي * وهند مثلها يصبي

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أصب اليهن يقول أتابعهن حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق والا تصرف عني كيدهن أي ما أتخوف منهن أصب اليهن حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والا تصرف عني كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين قال الا يكن منك أنت العون والمنعة لا يكن مني ولا عندي وقوله وأكن من الجاهلين يقول وأكن بصبوتي اليهن من الذين جهلوا حقك وخالفوا أمرك ونهيك كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وأكن من الجاهلين أي جاهلا اذا ركبت معصيتك ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم) ان قال قائل وما وجه قوله فاستجاب له ربه ولا مسألة تقدمت من يوسف لربه ولا دعا بصرف كيدهن عنه وانما أخبر ربه أن السجن أحب اليه من معصيته قيل ان في اخباره بذلك شكاية منه الى ربه مما لقي منهن وفي قوله والا تصرف عني كيدهن أصب اليهن معنى دعاء ومسألة منه ربه صرف كيدهن ولذلك قال الله تعالى ذكره فاستجاب له ربه وذلك كقول القائل لآخر ان لا تزرني أهنك فيجيبه الآخر اذا أزورك لان في قوله ان لا تزرني أهنك معنى الامر بالزيارة وتأويل الكلام فاستجاب الله ليوسف دعاءه فصرف عنه ما أرادت منه امرأة العزيز وصواحباتها من معصية الله كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم أي نجاه من أن يركب المعصية فيهن وقد نزل به بعض ما حذر منهن وقوله انه هو السميع دعاء يوسف حين دعاه بصرف كيد النسوة عنه ودعاء كل داع من خلقه العليم بمطلبه وحاجته وما يصلحه وبحاجة جميع خلقه وما يصلحهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين) يقول تعالى ذكره ثم بدا للعزيز زوج المرأة التي راودت يوسف عن نفسه وقيل بدا لهم وهو واحد لانه لم يذكر باسمه ويقصد بعينه وذلك نظير قوله الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم وقيل ان قائل ذلك كان واحدا وقيل معنى قوله ثم بدا لهم في الرأي الذي كانوا رأوه من ترك يوسف مطلقا ورأوا أن يسجنوه من بعد ما رأوا الآيات ببراءته مما قذفته به امرأة العزيز وتلك الآيات كانت قد القميص من دبر وخمشا في الوجه وقطع أيديهن كما

الزواجر فهو عليه السلام كان ممتنعا عن ذلك العمل بحسب النظر في برهان الله المأخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم وبحسب ما أعطاه الله من النفس القدسية المطهرة النبوية لكنه انضاف الى ذلك البرهان هذه الزواجر تكميلا للالطاف وتتميما للعناية قالوا ولو أن أوقح الزناة وأشطرهم اذا لقي ما لقي به نبي الله مما ذكروا لما بقي منه عرق ينبض وعضو يتحرك فكيف احتاج النبي الى جميع هذه الزواجر والمؤكدات حتى ينتهي عن امضاء العزيمة قالوا والهم لا يتعلق بالاعيان وانما يتعلق بالمعاني فأنتم تضمرون أنه قد هم بمخالطتها ونحن نقول هم بدفعها ولولا أن عرف برهان ربه وهو أن الشاهد سيشهد له انه ان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلعله لو اشتغل بأن يدفعها أمكن أن يتمزق قميصه من قبل فكانت الشهادة عليه له فلذلك ولى هاربا عنها وفي قوله وهم بها فائدة أخرى هي أن ترك المخالطة بها ما كان لعدم رغبته في النساء وعوز قدرته عليهن بل لأجل أن دلائل دين الله منعته عن ذلك العمل وكيف يظن بيوسف معصية وقد ادعى البراءة بقوله هي راودتني وبقوله رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه والمرأة اعترفت بذلك حين قالت للنسوة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقالت الآن حصحص الحق وزوج المرأة صدقه فقال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم وشهد له شاهد من أهلها كما يجيء وشهد له الله تعالى فقال (كذلك) أي مثل ذلك التثبيت ثبتناه أو الأمر مثل ذلك (لنصرف عنه السوء) خيانة

حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن نصر بن عوف عن عكرمة عن ابن عباس ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات قال كان من الآيات قد في القميص وخمش في الوجه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي وابن نمير عن نصر عن عكرمة مثله حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات قال قد القميص من دبر حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد من بعد ما رأوا الآيات قال قد القميص من دبر حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال وثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة من بعد ما رأوا الآيات قال الآيات حزهن أيديهن وقد القميص حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال قد القميص من دبر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه ببراءته مما اتهم به من شق قميصه من دبر ليسجننه حتى حين حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدي من بعد ما رأوا الآيات قال الآيات القميص وقطع الايدي وقوله ليسجننه حتى حين يقول ليسجننه الى الوقت الذي يرون فيه رأيهم وجعل الله ذلك الحبس ليوسف فيما ذكر عقوبة له من همه بالمرأة وكفارة لخطيئته حدثت عن يحيى بن أبي زائدة عن اسرائيل عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس ليسجننه حتى حين عثر يوسف عليه السلام ثلاث عثرات حين هم بها فسجن وحين قال اذكرني عند ربك فلبث في السجن بضع سنين وأنساه الشيطان ذكر ربه وقال لهم انكم لسارقون فقالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل وذكر أن سبب حبسه في السجن كان شكوى امرأة العزيز الى زوجها أمره وأمرها كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد عن أسباط عن السدي ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين قال قالت المرأة لزوجها ان هذا العبد العبراني قد فضحني في الناس يعتذر اليهم ويخبرهم أني راودته عن نفسه ولست أطيق أن أعتذر بعذري فاما أن تأذن لي فأخرج فأعتذر واما أن تحبسه كما حبستني فذلك قول الله تعالى ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين * وقد اختلف أهل العربية في وجه دخول هذه اللام في ليسجننه فقال بعض البصريين دخلت ههنا لانه موضع يقع فيه أي فلما كان حرف الاستفهام يدخل فيه دخلته النون لان النون تكون في الاستفهام تقول بدا لهم أيهم يأخذن أي استبان لهم وأنكر ذلك بعض أهل العربية فقال هذا يمين وليس قوله هل تقومن بيمين ولتقومن لا يكون الا يمينا * وقال بعض نحويي الكوفة بدا لهم بمعنى القول والقول يأتي بكل الكلام بالقسم وبالاستفهام فلذلك جاز بدا لهم قام زيد وبدا لهم ليقومن وقيل ان الحين في هذا الموضع معني به سبع سنين ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربي عن داود عن عكرمة ليسجننه حتى حين قال سبع سنين ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما اني أراني أعصر خمرا وقال الآخر اني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين﴾ يقول تعالى ذكره ودخل مع يوسف السجن فتيان فدل بذلك على متروك قد ترك من الكلام وهو ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين فسجنوه وأدخلوه السجن ودخل معه فتيان فاستغنى بدليل قوله ودخل معه السجن فتيان على ادخالهم يوسف السجن من ذكره وكان الفتيان فيما ذكر غلامين من غلمان

ملك

سد (والفحشاء) الزنا أو السوء
مات الجماع من القبلة والنظر
هوة ونحو ذلك ثم أكد الشهادة
(انه من عبادنا) والاضافة
ريف كقوله وعباد الرحمن ثم
التأكيد فوصفه بالمخلصين أي
من جملة من اتصف في طاعاته
ة الاخلاص أو من جملة من
لصه الله تعالى بناء على قراءتي
اللام وكسرها ويحتمل أن
ن من للابتداء لا للتبعيض
هو ناشئ منهم لانه من
ة ابراهيم عليه السلام
في هذه الدلائل تدل على عصمة
ف عليه السلام وأنه بريء من
ب ولو كان قد وجدت منه زلة
ت عليه وذكرت توبته
ستغفاره كما في آدم وذي النون
رهما ولما استحق هذا الثناء والله
بحقائق الامور وقوله (واستبقا
الباب) أي تسابقا اليه على حذف
ار وايصال الفعل مثل واختار
سى قومه أو على تضمين استبقا
ي ابتدرا وانما وحد الباب لانه
د الداني لا جميع الابواب التي
تها روى كعب أنه لما هرب يوسف
عل فراش القفل يتناثر ويسقط
ى خرج من الابواب (وقدت قميصه
من دبر) لانها اجتذبته من خلفه فانقد
انشق طولا (وألفيا سيدها) صادفا
لها وهو قطفير وانما لم يقل سيدهما
ملك يوسف لم يكن ملكا في الحقيقة
ع أنهما ألفياه مقبلا يريد أن يدخل
يل حال السامع ابن عم المرأة ثم انه كان
سائل أن يسأل فما قالت المرأة اذ
ك فقيل قالت (ما جزاء) هي
ستفهامية أو نافية معناه أي شيء
زاؤه أو ليس جزاؤه الا السجن أو

ملك مصر الأكبر أحدهما صاحب شرابه والآخر صاحب طعامه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا
سلمة عن ابن اسحق قال فطرح في السجن يعني يوسف ودخل معه السجن فتيان غلامان كانا
للملك الاكبر الريان بن الوليد كان أحدهما على شرابه والآخر على بعض أمره في سخطة سخطها
عليهما اسم أحدهما مجلث والآخر نبو ونبو الذي كان على الشراب حدثنا بشر قال ثنا
يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ودخل معه السجن فتيان قال كان أحدهما خباز الملك
على طعامه وكان الآخر ساقيه على شرابه وكان سبب حبس الملك الفتيين فيما ذكر ما حدثنا
ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدي قال ان الملك غضب على خبازه بلغه أنه يريد
أن يسمه فحبسه وحبس صاحب شرابه ظن أنه مالأه على ذلك فحبسهما جميعا فذلك قول الله تعالى
ودخل معه السجن فتيان وقوله قال أحدهما اني أراني أعصر خمرا ذكر أن يوسف صلوات الله
وسلامه عليه لما أدخل السجن قال لمن فيه من المحبسين وسألوه عن عمله اني أعبر الرؤيا فقال
أحد الفتيين اللذين أدخلا معه السجن لصاحبه تعال فلنجربه كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا
عمرو بن محمد عن أسباط عن السدي قال لما دخل يوسف السجن قال أنا أعبر الاحلام فقال
أحد الفتيين لصاحبه هلم نجرب هذا العبد العبراني نترا أى له فسألاه من غير أن يكونا رأيا شيأ
فقال الخباز اني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه وقال الآخر اني أراني أعصر خمرا
حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا ثنا جرير عن عمارة بن القعقاع عن ابراهيم عن عبد الله
قال ما رأى صاحبا يوسف شيأ انما كانا تحالما ليجربا علمه وقال قوم انما سأله الفتيان عن رؤيا
كانا رأياها على صحة وحقيقة وعلى تصديق منهما ليوسف لعلمه بتعبيرها ذكر من قال ذلك حدثنا
ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما رأى الفتيان يوسف قالا والله يافتى لقد أحببناك
حين رأيناك * قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن عبد الله عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أن يوسف
قال لهم حين قالا له ذلك أنشدكما الله أن لا تحباني فوالله ما أحبني أحد قط الا دخل علي من حبه بلاء
لقد أحبتني عمتي فدخل علي من حبها بلاء ثم لقد أحبني أبي فدخل علي بحبه بلاء ثم لقد أحبتني
زوجة صاحبي هذا فدخل علي بحبها اياي بلاء فلا تحباني بارك الله فيكما قال فأبيا الا حبه وألفه
حيث كان وجعلا يعجبهما ما يريان من فهمه وعقله وقد كانا رأيا حين أدخلا السجن رؤيا فرأى
مجلث أنه يحمل فوق رأسه خبزا تأكل الطير منه ورأى نبو أنه يعصر خمرا فاستفتياه فيها وقالا له نبئنا
بتأويله انا نراك من المحسنين ان فعلت وعنى بقوله أعصر خمرا أي اني أرى في نومي أني أعصر عنبا
وكذلك ذلك في قراءة ابن مسعود فيما ذكر عنه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبي سلمة
الصائغ عن ابراهيم بن بشير الانصاري عن محمد بن الحنفية قال في قراءة ابن مسعود اني أراني أعصر
عنبا وذكر أن ذلك من لغة أهل عمان وأنهم يسمون العنب خمرا ذكر من قال ذلك حدثت عن
الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله اني أراني أعصر خمرا
يقول أعصر عنبا وهو بلغة أهل عمان يسمون العنب خمرا حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع
* وثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سلمة بن نبيط عن الضحاك اني أراني أعصر خمرا قال عنبا
أرض كذا وكذا يدعون العنب خمرا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن
ابن جريج قال قال ابن عباس اني أراني أعصر خمرا قال عنبا حدثت عن المسيب بن شريك عن
أبي حمزة عن عكرمة قال أتاه فقال رأيت فيما يرى النائم أني غرست حبلة من عنب فنبتت
فخرج فيه عناقيد فعصرتهن ثم سقيتهن الملك فقال تمكث في السجن ثلاثة أيام ثم تخرج فتسقيه

العذاب الاليم وربما فسر العذاب
الاليم بالضرب بالسياط جمعت بين
غرضين تنزيه ساحتها عند زوجها
من الريبة والغضب على يوسف
وتخويفه طمعا في أن يواتيها خوفا
ان لم يواتها طوعا ثم انها لحبها يوسف
راعت دقائق المحبة فذكرت السجن
أولا ثم العذاب لان المحب لا يريد ألم
المحبوب ما أمكن وأيضا لم تصرح
بذكر يوسف وأنه أرادها سوأ بل
قصدت العموم لئلا يندرج يوسف فيه
وفي قولها (الا أن يسجن) اشعار بأن
ذلك السجن غير دائم بخلاف قول
فرعون لموسى لأجعلنك من
المسجونين ففيه اشعار بالتأبيد (قال)
يوسف (هي راودتني عن نفسي) وانما
صرح بذلك لانها عرضته للسجن
والعذاب فوجب عليه الدفع عن
نفسه ولولا ذلك لكتم عليها قال
سبحانه (وشهد شاهد من أهلها) قال
جمع من المفسرين الشاهد ابن عم
المرأة وكان رجلا حكيما اتفق في ذلك
الوقت أنه كان مع العزيز فقال قد
سمعت الجلبة من وراء الباب وشق
القميص الا أنا لا ندري أيكما قدام
صاحبه فان كان شق القميص من
قدام فأنت صادقة والرجل كاذب
وان كان من خلف فالرجل صادق
وأنت كاذبة فلما نظروا الى القميص
ورأوا الشق من خلفه قال ابن عمها
(انه من كيدكن) وعن ابن عباس
وسعيد بن جبير والضحاك أن الشاهد
ابن خال لها وكان صبيا في المهد وقد
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه تكلم أربعة وهم صغار
ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد
يوسف وصاحب جريج وعيسى بن
مريم وعن مجاهد الشاهد هو

خمرا وقوله وقال الآخر انى أرانى أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله يقول تعالى ذكره وقال الآخر من الفتيين انى أرانى فى منامى أحمل فوق رأسى خبزا يقول أحمل على رأسى فوضعت فوق مكان على تأكل الطير منه يعنى من الخبز وقوله نبئنا بتأويله يقول أخبرنا بما يؤل اليه ما أخبرناك أنا رأيناه فى منامنا ويرجع اليه كما حدثنى الحرث قال ثنا القاسم قال ثنا يزيد عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نبئنا بتأويله قال به قال الحرث قال أبو عبيد يعنى مجاهد أن تأويل الشئ هو الشئ قال ومنه تأويل الرؤيا انما هو الشئ الذى تؤل اليه وقوله انا نراك من المحسنين اختلف أهل التأويل فى معنى الاحسان الذى وصف به الفتيان يوسف فقال بعضهم هو أنه كان يعود مريضهم ويعزى حزينهم واذا احتاج منهم انسان جمع له ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا سعيد بن منصور قال ثنا خلف بن خليفة عن سلمة بن نبيط عن الضحاك بن مزاحم قال كنت جالسا معه ببلخ فسئل عن قوله نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين قال قيل له ما كان احسان يوسف قال كان اذا مرض انسان قام عليه واذا احتاج جمع له واذا ضاق أوسع له حدثنا اسحق عن أبى اسرائيل قال ثنا خلف بن خليفة عن سلمة بن نبيط عن الضحاك قال سأل رجل الضحاك عن قوله انا نراك من المحسنين ما كان احسانه قال كان اذا مرض انسان فى السجن قام عليه واذا احتاج جمع له واذا ضاق عليه المكان أوسع له حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر بن عبد الله عن قتادة قوله انا نراك من المحسنين قال بلغنا أن احسانه أنه كان يداوى مريضهم ويعزى حزينهم ويجتهد لربه وقال لما انتهى يوسف الى السجن وجد فيه قوما قد انقطع رجاؤهم واشتد بلاؤهم فطال حزنهم فجعل يقول أبشروا واصبروا تؤجروا ان لهذا أجرا ان لهذا ثوابا فقالوا يا فتى بارك الله فيك ما أحسن وجهك وأحسن خلقك لقد بورك لنا فى جوارك ما نحب إنا كنا فى غير هذا منذ حبسنا لما تخبرنا من الاجر والكفارة والطهارة فمن أنت يا فتى قال أنا يوسف ابن صفى الله يعقوب ابن ذبيح الله اسحق بن ابراهيم خليل الله وكانت عليه محبة وقال له عامل السجن يا فتى والله لو استطعت لخليت سبيلك ولكن سأحسن جوارك وأحسن اسارك فكن فى أى بيوت السجن شئت حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن خلف الاشجعى عن سلمة بن نبيط عن الضحاك فى انا نراك من المحسنين قال كان يوسع للرجل فى مجلسه ويتعاهد المرضى * وقال آخرون معناه انا نراك من المحسنين اذا أنبأتنا بتأويل رؤيانا هذه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال استفتياه فى رؤياهما وقالا له نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين ان فعلت * وأولى الاقوال فى ذلك عندنا بالصواب القول الذى ذكرناه عن الضحاك وقتادة فان قال قائل وما وجه الكلام ان كان الامر اذا كما قلت وقد علمت أن مسألتهما يوسف أن ينبئهما بتأويل رؤياهما ليست من الخبر عن صفته بانه يعود المريض ويقوم عليه ويحسن الى من احتاج فى شئ وانما يقال للرجل نبئنا بتأويل هذا فانك عالم وهذا من المواضع التى تحسن بالوصف بالعلم لا بغيره قيل ان وجه ذلك أنهما قالا له نبئنا بتأويل رؤيانا محسنا الينا فى اخبارك ايانا بذلك كما نراك تحسن فى سائر أفعالك انا نراك من المحسنين ❊ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمنى ربى انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون﴾ يقول تعالى ذكره قال يوسف للفتيين اللذين استعبراه الرؤيا لا يأتيكما أيها الفتيان فى منامكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله فى يقظتكما قبل أن يأتيكما وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع

قال

ميص المشقوق من خلف
نعف بأن القميص لا يوصف
شهادة ولا بكونه من الأهل
عترض على القول الاول بأن
علامة المذكورة لا تدل قطعا على
اءة يوسف لاحتمال أن الرجل
سد المرأة وهى قد غضبت عليه
مرفعدت خلفه كى تدركه وتضربه
سرباوجيعا وأجيب بأن هنالك
مارات أخر منها أن يوسف كان
بدالهم والعبد لا يمكنه أن يتسلط
لى مولاه الى هذا الحد ومنها قرينة
لحال تتزين المرأة فوق المعتاد وما
وهد من أحوال يوسف فى مدة
قامته عندهم واعترض على القول
لثانى بأن شهادة الصبى أمر خارق
لعادة فتكون حجة قطعية فلم يبق
لاستدلال بحال القميص ولا لكونه
ن أهلها فائدة وأيضا لفظ شاهد لا يقع
ى العرف الا على من تقدمت معرفته
بالواقعة والجواب أن تعين الطريق
فى الاخبار والاعلام غير لازم وكون
الشاهد من أهلها أوجب
الحجة عليها وألزم لها والشاهد
ههنا مجاز ووجه حسنه أنه أدى
مؤدى الشاهد حيث ثبت به قول
يوسف وبطل قولها قال فى الكشاف
التنكير فى قبل ودبر معناه من جهة
يقال لها قبل ومن جهة يقال لها
دبر أما الضمير فى قوله فلما رأى وفى
قوله قال انه من كيدكن فقيل انه
للشاهد الذى هو ابن عمها كما
ذكرنا أى ان قولك وهو ما جزاء
من أراد باهلك سوأ أوان هذا الامر
وهو الذى أفضى الى هذه الريبة
من عملكن (ان كيدكن عظيم) قال
بعض العلماء أنا أخاف النساء أكثر
مما أخاف الشيطان لان الله تعالى
يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا

قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى قال قال يوسف لهما لا يأتيكما طعام ترزقانه فى النوم الا نبأتكما بتأويله فى اليقظة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال قال يوسف لهما لا يأتيكما طعام ترزقانه يقول فى نومكما الا نبأتكما بتأويله ويعنى بقوله بتأويله ما يؤول اليه ويصير ما رأيا فى منامهما من الطعام الذى رأيا أنه أتاهما فيه وقوله ذلكما مما علمنى ربى يقول هذا الذى أذكر أنى أعلمه من تعبير الرؤيا مما علمنى ربى فعلمته انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وجاء الخبر مبتدأ أى تركت ملة قوم والمعنى ما ملت وانما ابتدأ بذلك لان فى الابتداء الدليل على معناه وقوله انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله يقول انى برئت من ملة من لا يصدق بالله ويقر بوحدانيته وهم بالآخرة هم كافرون يقول وهم مع تركهم الايمان بوحدانية الله لا يقرون بالمعاد والبعث ولا بثواب ولا عقاب وكررت هم مرتين فقيل وهم بالآخرة هم كافرون لما دخل بينهما قوله بالآخرة فصارت هم الاولى كالملغاة وصار الاعتماد على الثانية كما قيل وهم بالآخرة هم يوقنون وكما قيل أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون فان قال قائل ما وجه هذا الخبر ومعناه من يوسف وأين جوابه الفتيين عما سألاه من تعبير رؤياهما من هذا الكلام قيل له ان يوسف كره أن يجيبهما عن تأويل رؤياهما لما علم من مكروه ذلك على أحدهما فأعرض عن ذكره وأخذ فى غيره ليعرضا عن مسألته الجواب عما سألاه من ذلك وبنحو ذلك قال بعض أهل العلم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فى قوله انى أرانى أعصر خمرا وقال الآخر انى أرانى أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله قال فكره العبارة لهما وأخبرهما بشئ لم يسألاه عنه ليريهما أن عنده علما وكان الملك اذا أراد قتل انسان صنع له طعاما معلوما فأرسل به اليه فقال يوسف لا يأتيكما طعام ترزقانه الى قوله تشكرون فلم يدعاه فعدل بهما وكره العبارة لهما فلم يدعاه حتى يعبر لهما فعدل بهما وقال يا صاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار الى قوله يعلمون فلم يدعاه حتى عبر لهما فقال يا صاحبى السجن أما أحدكما فيسقى ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قالا ما رأينا شيئا انما كنا نلعب قال قضى الامر الذى فيه تستفتيان وعلى هذا التأويل الذى تأوله ابن جريج فقوله لا يأتيكما طعام ترزقانه فى اليقظة لا فى النوم وانما أعلمهما على هذا القول أن عنده علم ما يؤول اليه أمر الطعام الذى يأتيهما من عند الملك ومن عند غيره لانه قد علم النوع الذى اذا أتاهما كان علامة لقتل من أتاه ذلك منهما والنوع الذى اذا أتاه كان علامة لغير ذلك فأخبرهما أنه عنده علم ذلك

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾ يعنى بقوله واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب واتبعت دينهم لا دين أهل الشرك ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ يقول ما جاز لنا أن نجعل لله شريكا فى عبادته وطاعته بل الذى علينا افراده بالالوهة والعبادة ذلك من فضل الله علينا يقول اتباعى ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب على الاسلام وتركى ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون من فضل الله الذى تفضل به علينا فأنعم اذ أكرمنا به وعلى الناس يقول وذلك أيضا من فضل الله على الناس اذ أرسلنا اليهم دعاة الى توحيده وطاعته ولكن أكثر الناس لا يشكرون يقول ولكن من يكفر بالله لا يشكر ذلك من فضله عليه لانه لا يعلم من أنعم به عليه ولا يعرف المتفضل به * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ذلك من فضل الله علينا أن جعلنا أنبياء وعلى الناس يقول أن بعثنا اليهم رسلا

وقال للنساء ان كيدكن عظيم وأقول لا شك أن القرآن كلام الله الا أن هذا حكاية قول الشاهد فلا يثبت به ما ادعاه ذلك العالم ولو سلم فالمراد أن كيد الشيطان ضعيف بالنسبة الى ما يريد الله تعالى امضاءه وتنفيذه وكيد النساء عظيم بالنسبة الى كيد الرجال فانهن يغلبنهم ويسلبن عقولهم اذا عرضن أنفسهن عليهم ولهذا قال صلى الله عليه وسلم النساء حبائل الشيطان ثم قال الشاهد (يوسف) أى يا يوسف فحذف حرف النداء (أعرض عن هذا) الامر واكتمه ولا تحدث به (واستغفرى) يا امرأة (لذنبك) والاستغفار اما من الزوج أو من الله تعالى لانهم كانوا يثبتون الاله الاعظم ويجعلون الاصنام شفعاء ولهذا قال يوسف لصاحبيه فى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار (انك كنت من الخاطئين) من المتعمدين للذنب يقال خطئ اذا أذنب متعمدا والتذكير للتغليب وقيل الضمير فى رأى وفى قال لزوج المرأة وانه كان قليل الغيرة فلذلك اكتفى منها بالاستغفار قاله أبو بكر الاصم (وقال نسوة) هو اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه غير حقيقى ولذلك حسن حذف التاء من فعله وقد تضم نونها قال الكلبى هن أربع فى مدينة مصر امرأة الساقى وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وزاد مقاتل امرأة الحاجب والفتى الغلام الشاب والفتاة الجارية (قد شغفها) أى خرق حبه شغاف قلبها والشغاف حجاب القلب وقيل جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب و (حبا)

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ذكر لنا أن أبا الدرداء كان يقول يارب شاكر نعمة غير منعم عليه لا يدري ورب حامل فقه غير فقيه ❊ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ياصاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ﴾ ذكر أن يوسف صلوات الله وسلامه عليه قال هذا القول للفتيين اللذين دخلا معه السجن لأن أحدهما كان مشركا فدعاه بهذا القول الى الاسلام وترك عبادة الآلهة والاوثان فقال ياصاحبي السجن يعني يامن هو في السجن وجعلهما صاحبيه لكونهما فيه كما قال الله تعالى لسكان الجنة فأولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون وكذلك قال لأهل النار وسماهم أصحابها لكونهم فيها وقوله أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار يقول أعبادة أرباب شتى متفرقين وآلهة لا تنفع ولا تضر خير أم عبادة المعبود الواحد الذي لا ثاني له في قدرته وسلطانه الذي قهر كل شيء فذلله وسخره فأطاعه طوعا وكرها وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ياصاحبي السجن أأرباب متفرقون الى قوله لا يعلمون لما عرف نبي الله يوسف أن أحدهما مقتول دعاهما الى حظهما من ربهما والى نصيبهما من آخرتهما حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ياصاحبي السجن يوسف يقوله قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثم دعاهما الى الله والى الاسلام فقال ياصاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار أي خير أن تعبدوا الها واحدا أو آلهة متفرقة لا تغني عنكم شيأ ❊ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله أمر ألا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ يعني بقوله ما تعبدون من دونه ما تعبدون من دون الله وقال ما تعبدون وقد ابتدأ الخطاب بخطاب اثنين فقال ياصاحبي السجن لأنه قصد المخاطب به ومن هو على الشرك بالله مقيم من أهل مصر فقال للمخاطب بذلك ما تعبد أنت ومن هو على مثل ما أنت عليه من عبادة الاوثان الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم وذلك تسميتهم أوثانهم آلهة أربابا شركا منهم وتشبيها لها في أسمائها التي سموها بها بالله تعالى عن أن يكون له مثل أو شبيه ما أنزل الله بها من سلطان يقول سموها بأسماء لم يأذن لهم بتسميتها ولا وضع لهم على أن تلك الاسماء أسماؤها دلالة ولا حجة ولكنها اختلاق منهم لها وافتراء وقوله ان الحكم الا لله أمر ألا تعبدوا الا اياه يقول وهو الذي أمر ألا تعبدوا أنتم وجميع خلقه الا الله الذي له الالوهة والعبادة خالصة دون كل ما سواه من الاشياء كما حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع ابن أنس عن أبي العالية في قوله ان الحكم الا لله أمر ألا تعبدوا الا اياه قال أسس الدين على الاخلاص لله وحده لا شريك له وقوله ذلك الدين القيم يقول هذا الذي دعوتكما اليه من البراءة من عبادة ما سوى الله من الاوثان وأن تخلصا العبادة لله الواحد القهار هو الدين القويم الذي لا اعوجاج فيه والحق الذي لا شك فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون يقول ولكن أهل الشرك بالله يجهلون ذلك فلا يعلمون حقيقته ❊ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ياصاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضي الأمر الذي فيه تستفتيان ﴾ يقول جل ثناؤه مخبرا عن قيل يوسف للذين دخلا معه السجن ياصاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا هو الذي رأى أنه يعصر خمرا فيسقي ربه يعني سيده وهو ملكهم خمرا يقول يكون صاحب شرابه

حدثني

نصب على التمييز وحقيقة شغفه أصاب شغافه كما يقال كبده اذا أصاب كبده وكذا قياس سائر الاعضاء وقرئ بالعين المهملة أي أحرقها مع تلذذ من شعف البعير اذا هنأه فأحرقه بالقطران وقال ابن الانباري هذا من الشعف وهو رؤس الجبال أي ارتفع محبته الى أعلى المواضع من قلبها والضلال المبين الخطأ عن طريق الصواب (فلما سمعت بمكرهن) اغتيابهن وسوء قالتهن فيها وانما حسن التعبير عن الاغتياب بالمكر لاشتراكهما في الاخفاء وقيل التمست منهن كتمان سرها فأفشينه فسمي مكرا (أرسلت اليهن) تدعوهن وقيل أردن بذلك أن يتوسلن الى رؤية يوسف عليه السلام فلهذا سمي مكرا وقيل كن أربعين (وأعتدت) وهيأت (لهن متكأ) موضع اتكاء وأصله موتكأ لانه من توكأت أبدلت الواو تاء ثم أدغمت والمراد هيأت لهن نمارق يتكئن عليها كعادة المترفهات كأنها قصدت بذلك تهويل يوسف عليه السلام من مكرها اذا خرج على أربعين نسوة مجتمعات في أيديهن السكاكين توهمه أنهن يثبن عليه وقيل المتكأ مجلس الطعام لانهن كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث على هيئة المتنعمات ولذلك نهى أن يأكل الرجل متكئا وآتتهن السكاكين ليعالجن بها ما يأكلن بها وقيل أراد بالمتكأ الطعام على سبيل الكناية لان من دعوته ليطعم عندك اتخذت له متكأ وقال مجاهد هو طعام يحتاج الى أن يقطع بالسكين لان القاطع

حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فيسقي ربه خمرا قال سيده وأما الآخر وهو الذي رأى أن على رأسه خبزا تأكل الطير منه فيصلب فتأكل الطير من رأسه فذكر أنه لما عبر ما أخبراه به أنهما رأياه في منامهما قالا له ما رأينا شيئا فقال لهما قضي الأمر الذي فيه تستفتيان يقول فرغ من الأمر الذي فيه استفتيتما ووجب حكم الله عليكما بالذي أخبرتكما به

* وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل العلم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عمارة عن ابراهيم عن عبد الله قال قال اللذان دخلا السجن على يوسف ما رأينا شيئا فقال قضي الأمر الذي فيه تستفتيان حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن عمارة بن القعقاع عن ابراهيم عن عبد الله قضي الأمر الذي فيه تستفتيان قال لما قالا ما قالا وأخبرهما قالا ما رأينا شيئا فقال قضي الأمر الذي فيه تستفتيان حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن فضيل عن عمارة عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله في الفتيين اللذين أتيا يوسف والرؤيا إنما كانا تحالما ليجربا به فلما أول رؤياهما قالا إنما كنا نلعب قال قضي الأمر الذي فيه تستفتيان حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن عمارة عن ابراهيم عن عبد الله قال ما رأى صاحبا يوسف شيئا إنما كانا تحالما ليجربا علمه فقال أحدهما إني أراني أعصر عنبا وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين قال يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه فلما عبر قالا ما رأينا شيئا قال قضي الأمر الذي فيه تستفتيان على ما عبر يوسف حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال قال لمجلث أما أنت فتصلب فتأكل الطير من رأسك وقال لنبو أما أنت فترد على عملك فيرضى عنك صاحبك قضي الأمر الذي فيه تستفتيان أو كما قال حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج فيه تستفتيان (١) حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال قضي الأمر الذي فيه تستفتيان عند قولهما ما رأينا رؤيا إنما كنا نلعب قال قد وقعت الرؤيا على ما أولت حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله الذي فيه تستفتيان فذكر مثله ❊ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين﴾ يقول تعالى ذكره وقال يوسف للذي علم أنه ناج من صاحبيه اللذين استعبراه الرؤيا اذكرني عند ربك يقول اذكرني عند سيدك وأخبره بمظلمتي وأني محبوس بغير جرم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال قال يعني لنبو اذكرني عند ربك أي اذكر للملك الأعظم مظلمتي وحبسي في غير شيء قال أفعل حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله اذكرني عند ربك قال للذي نجا من صاحبي السجن يوسف يقول اذكرني عند الملك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن جابر عن أسباط وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك قال عند ملك الأرض حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله اذكرني عند ربك يعني بذلك الملك حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك الذي نجا من

(١) كذا في أصله ولم يذكر له تفسيرا وحرر

متكئ على المقطوع بآلة القطع وقرئ متكا مضموم الميم ساكن التاء مقصورا وهو الاترج (فلما رأينه أكبرنه) أعظمنه وهبن ذلك الجمال وكان أحسن خلق الله الا أن نبينا صلى الله عليه وسلم كان أملح قيل كان يشبه آدم عليه السلام يوم خلقه ربه وما كان أحد يستطيع وصفه ويرى تلألؤ وجهه على الجدران وقد ورث الجمال من جدته سارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم مررت بيوسف الليلة التي عرج بي الى السماء فقلت لجبريل من هذا فقال يوسف فقيل يا رسول الله كيف رأيته قال كالقمر ليلة البدر وقال الازهري أكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت يقال أكبرت المرأة أي دخلت في الكبر بالحيض ووجه حيضهن حينئذ بأن المرأة اذا فزعت أسقطت ولدها فحاضت فالمراد حضن ودهشن وقيل أكبرنه لما رأين عليه من نور النبوة وسيماء الرسالة وآثار الخضوع والاخبات والاخلاق الفاضلة الملكية كعدم الالتفات الى المطعوم والمنكوح فلذلك وقعت الهيبة والرعب في قلوبهن (وقطعن أيديهن) أي جرحنها بأن لم يعرفن الكف من اليد أو بأن لم يفرقوا بين الجانب الحاد من السكين وبين مقابله فوقع الطرف الحاد في أيديهن وكفهن وحصل الاعتماد على ذلك الطرف لخرج الكف وهذا القول شديد الملاءمة لقولهن (حاش لله) أي تنزه عما يشينه من خصلة ذميمة (ان هذا الا ملك كريم) في السيرة والعفة والطهارة وأما قول زليخا (فذلكن الذي لمتنني فيه)

صاحبي السجن يقول يوسف اذكرني للملك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا العوام بن حوشب عن ابراهيم التيمي أنه لما انتهى به الى باب السجن قال له صاحب له حاجتك أوصني بحاجتك قال حاجتي أن تذكرني عند ربك ينوي الرب الذي ملك يوسف وكان قتادة يوجه معنى الظن في هذا الموضع الى الظن الذي هو خلاف اليقين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك وانما عبارة الرؤيا بالظن فيحق الله ما يشاء ويبطل ما يشاء وهذا الذي قاله قتادة من أن عبارة الرؤيا ظن فان ذلك كذلك من غير الانبياء فأما الانبياء فغير جائز منها أن تخبر بخبر عن أمر أنه كائن ثم لا يكون أو أنه غير كائن ثم يكون مع شهادتها على حقيقة ما أخبرت عنه أنه كائن أو غير كائن لأن ذلك لو جاز عليها في أخبارها لم يؤمن مثل ذلك في كل أخبارها واذا لم يؤمن ذلك في أخبارها سقطت حجتها على من أرسلت اليه فاذا كان ذلك كذلك كان غير جائز عليها أن تخبر بخبر الا وهو حق وصدق فمعلوم اذ كان الأمر على ما وصفت أن يوسف لم يقطع الشهادة على ما أخبر الفتيين اللذين استعبراه أنه كائن فيقول لأحدهما أما أحدكما فيسقي ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه ثم يؤكد ذلك بقوله قضي الأمر الذي فيه تستفتيان عند قولهما لم نر شيأ الا وهو على يقين أن ما أخبرهما بحدوثه وكونه أنه كائن لا محالة لا شك فيه وليقينه بكون ذلك قال للناجي منهما اذكرني عند ربك فبين اذا بذلك فساد القول الذي قاله قتادة في معنى قوله وقال للذي ظن أنه ناج منهما وقوله فأنساه الشيطان ذكر ربه وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن غفلة عرضت ليوسف من قبل الشيطان نسي لها ذكر ربه الذي لو به استغاث لأسرع بما هو فيه خلاصه ولكنه زل بها فأطال من أجلها في السجن حبسه وأوجع لها عقوبته كما حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا جعفر بن سليمن الضبعي عن بسطام بن مسلم عن مالك بن دينار قال لما قال يوسف للساقي اذكرني عند ربك قال قيل يا يوسف اتخذت من دوني وكيلا لأطيلن حبسك فبكى يوسف وقال يارب أنسى قلبي كثرة البلوى فقلت كلمة فويل لاخوتي حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أنه يعني يوسف قال الكلمة التي قال مالبث في السجن طول مالبث حدثني يعقوب بن ابراهيم وابن وكيع قالا ثنا ابن علية قال ثنا يونس عن الحسن قال قال نبي الله صلى الله عليه وسلم رحم الله يوسف لولا كلمته مالبث في السجن طول مالبث يعني قوله اذكرني عند ربك قال ثم يبكي الحسن فيقول نحن اذا نزل بنا أمر فزعنا الى الناس حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن في قوله وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك قال ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لولا كلمة يوسف مالبث في السجن طول مالبث حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد عن ابراهيم ابن يزيد عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لو لم يقل يوسف يعني الكلمة التي قال مالبث في السجن طول مالبث يعني حيث يبتغي الفرج من عند غير الله حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو لم يستعن يوسف على ربه مالبث في السجن طول مالبث حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لولا أن يوسف استشفع على ربه مالبث في السجن طول مالبث ولكن انما عوقب باستشفاعه على ربه حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن

ابن

فانما ينطبق على هذا التأويل من حيث ان الصورة الحسنة مع العفة الكاملة توجب حصول اليأس من الوصال وحصول الغرض المجازي وذلك يستتبع فرط الحيرة وزيادة العشق وعلى القولين الاولين فالمعنى تنزيه الله من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله كما أن قولهن حاش لله ما علمنا عليه تعجب من قدرته على خلق عفيف مثله قال صاحب الكشاف حاشا كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء واللام في لله لبيان من يبرأ وينزه وهي حرف من حروف الجر وضع موضع التنزيه والبراءة وقال أبو البقاء الجمهور على أنه ههنا فعل لدخوله على حرف الجر وفاعله مضمر وحذف الألف من آخره للتخفيف وكثرة دوره على الألسنة تقديره حاشى يوسف أي بعد عن المعصية لخشية الله وصار في حاشية أي ناحية (ماهذا بشرا) اعمال ما عمل ليس لغة حجازية (ان هذا) أي ما هذا الشخص (الا ملك كريم) استدل بعضهم بالآية على أفضلية الملك كما مر في أول سورة البقرة قالوا وانما قلن ذلك لما ركز في العقول أن لا أحسن من صورة الملك كما ركز فيها أن لا أقبح من صورة الشيطان واعترض عليه بأنه لا مشابهة بين صورة الانسان وصورة الملك وأجيب بعد التسليم بتغيير المدعى وهو أنهن أردن المشابهة في الاخلاق الباطنة وبها يحصل المطلوب وزيف بأن قول النساء لا يصلح للحجة وفي الآية دلالة على أنهن باللوم أحق لانه لحقهن بنظرة واحدة ما لم يلحقها في مدة طويلة وأطوار كثيرة فلذلك

ابن أبي نجيح عن مجاهد قال قال له اذكرني عند ربك قال فلم يذكره حتى رأى الملك الرؤيا وذلك أن
يوسف أنساه الشيطان ذكر ربه وأمره بذكر الملك وابتغاء الفرج من عنده فلبث في السجن بضع
سنين بقوله اذكرني عند ربك حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن
أبي نجيح عن مجاهد بنحوه غير أنه قال فلبث في السجن بضع سنين عقوبة لقوله اذكرني عند ربك
* قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثل حديث محمد
ابن عمرو سواء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد
مثل حديث المثنى عن أبي حذيفة * وكان محمد بن اسحق يقول انما أنسى الشيطان الساقي ذكر أمر
يوسف الملكهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما خرج يعني الذي ظن أنه
ناج منهما رد على ما كان عليه ورضي عنه صاحبه فأنساه الشيطان ذكر ذلك للملك الذي أمره يوسف
أن يذكره فلبث يوسف بعد ذلك في السجن بضع سنين يقول جل ثناؤه فلبث يوسف في السجن
لقيله للناجي من صاحبي السجن من القتل اذكرني عند سيدك بضع سنين عقوبة له من الله بذلك
* واختلف أهل التأويل في قدر البضع الذي لبث يوسف في السجن فقال بعضهم هو سبع سنين
ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد أبو عثمة قال ثنا سعيد عن قتادة
قال لبث يوسف في السجن سبع سنين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن
قتادة فلبث في السجن بضع سنين قال سبع سنين حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال
أخبرنا عمران أبو الهذيل الصنعاني قال سمعت وهبا يقول أصاب أيوب البلاء سبع سنين وترك في
السجن يوسف سبع سنين وعذب بختنصر (١) يحول في السباع سبع سنين حدثني المثنى قال ثنا
الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال زعموا أنها يعني البضع سبع سنين كما لبث يوسف * وقال
آخرون البضع ما بين الثلاث الى التسع ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا سليمن
قال ثنا أبو هلال قال سمعت أبا قتادة يقول البضع ما بين الثلاث الى التسع حدثنا وكيع
قال ثنا يحيى بن آدم عن اسرائيل عن منصور عن مجاهد بضع سنين قال ما بين الثلاث الى التسع
* وقال آخرون بل هو ما دون العشر ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين
قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس بضع سنين دون العشرة وزعم الفراء أن البضع
لا يذكر الا مع عشر ومع العشرين الى التسعين وهو نيف ما بين الثلاثة الى التسعة وقال كذلك
رأيت العرب تفعل ولا يقولون بضع ومائة ولا بضع وألف واذا كانت للذكران قيل بضع والصواب
في البضع من الثلاث الى التسع الى العشر ولا يكون دون الثلاث وكذلك ما زاد على العقد
الى المائة وما زاد على المائة فلا يكون فيه بضع ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقال الملك
اني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يا أيها الملأ
أفتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون﴾ يعني جل ذكره بقوله وقال ملك مصر اني أرى في
المنام سبع بقرات سمان يأكلهن سبع من البقر عجاف وقال اني أرى ولم يذكر أنه رأى في منامه
ولا في غيره لتعارف العرب بينها في كلامها اذا قال القائل منهم أرى أني أفعل كذا وكذا أنه خبر عن
رؤيته ذلك في منامه وان لم يذكر النوم وأخرج الخبر جل ثناؤه على ما قد جرى به استعمال العرب ذلك
بينهم وسبع سنبلات خضر يقول وأرى سبع سنبلات خضر في منامي وأخر يقول وسبعا أخر
من السنبل يابسات يا أيها الملأ يقول يا أيها الأشراف من رجالي وأصحابي أفتوني في رؤياي
فاعبروها ان كنتم للرؤيا عبرة وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك

(١) أي بالمسخ سبعا وصار يجول في السباع كما يؤخذ من الكامل كتبه مصححه

(قالت فذلكن الذي لمتنني فيه) وسئل
ههنا ان يوسف كان حاضرا فلم أشارت
بعبارة البعد وأجاب ابن الانباري
بأنها أشارت اليه بعد انصرافه من
المجلس وهذا شيء يتعلق بالنقل وأما
علماء البيان فانهم بنوا الأمر على
أن يوسف حاضر وأجابوا بأنها لم تقل
فهذا رفعا للمنزلة في الحسن واستحقاق
أن يحب ويفتتن به واستبعادا لمحله
أو هو اشارة الى المعنى بقولهن
في المدينة عشقت عبدها الكنعاني
كأنها قالت هو ذلك العبد الكنعاني
الذي صورتن في أنفسكن ثم لمتنني
فيه يعني أنكن لم تصورنه قبل ذلك
حق التصوير والا لعذرتنني في
الافتتان به ولما أظهرت عذرها
عند النسوة صرحت بحقيقة الحال
فقالت (ولقد راودته عن نفسه
فاستعصم) قال السدي أي بعد حل
السراويل والذين يثبتون عصمة
الانبياء قالوا ان استعصم بناء مبالغة
يدل على الامتناع البليغ والتحرز
الشديد كأنه في عصمة وهو يجتهد
في الاستزادة منها وفيه شهادة من
المرأة على أن يوسف ما صدر عنه
أمر بخلاف الشرع والعقل أصلا
(ولئن لم يفعل ما آمره) قال في
الكشاف معناه الذي آمر به فحذف
الجار كما في أمرتك الخير أو ما
مصدرية والضمير ليوسف أي
أمري اياه أي موجب أمري
ومقتضاه (وليكونا من الصاغرين)
هي نون التأكيد المخففة ولهذا
تكتب بالألف لان الوقف عليها
بالألف والصغار الذل والهوان
ومعلوم أن التوعد بالصغار له تأثير
عظيم في حق من كان رفيع النفس

حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد عن أسباط عن السدى قال ان الله أرى الملك فى منامه رؤيا هالته فرأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات فجمع السحرة والكهنة والحزاة والقافة فقصها عليهم فقالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثم ان الملك الريان بن الوليد رأى رؤياه التى رأى فهالته وعرف أنها رؤيا واقعة ولم يدر ما تأويلها فقال للملأ حوله من أهل مملكته انى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف الى قوله بعالمين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين ﴾ يقول تعالى ذكره قال الملأ الذين سألهم ملك مصر عن تعبير رؤياه رؤياك هذه أضغاث أحلام يعنون أنها أخلاط رؤيا كاذبة لا حقيقة لها وهى جمع ضغث والضغث أصله الحزمة من الحشيش يشبه بها الاحلام المختلطة التى لا تأويل لها والأحلام جمع حلم وهو ما لم يصدق من الرؤيا ومن الاضغاث (١) قول ابن مقبل

خود كأن فراشها وضعت به * أضغاث ريحان غداة شمال

ومنه قول الآخر

يحمى ذمار جنين قل مانعه * طاو كضغث الخلا فى البطن مكتمن

* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أضغاث أحلام يقول مشتبهة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أضغاث أحلام كاذبة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال لما قص الملك رؤياه التى رأى على أصحابه قالوا أضغاث أحلام أى فعل الأحلام حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أضغاث أحلام قال أخلاط أحلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد عن أبى مرزوق عن جويبر عن الضحاك قال أضغاث أحلام كاذبة * قال ثنى المحاربى عن جويبر عن الضحاك قالوا أضغاث قال كذب حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله أضغاث أحلام هى الاحلام الكاذبة وقوله وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين يقول وما نحن بما تؤول اليه الأحلام الكاذبة بعالمين والباء الأولى التى فى التأويل من صلة العالمين والتى فى العالمين الباء التى تدخل فى الخبر مع ما التى بمعنى الجحد ورفع أضغاث أحلام لان معنى الكلام ليس هذه الرؤيا بشئ انما هى أضغاث أحلام ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وقال الذى نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون يوسف أيها الصديق أفتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلى أرجع الى الناس لعلهم يعلمون ﴾ يقول تعالى ذكره وقال الذى نجا من القتل من صاحبى السجن اللذين استعبرا يوسف الرؤيا وادكر يقول وتذكر ما كان نسى من أمر يوسف وذكر حاجته للملك التى كان سأله عند تعبيره رؤياه أن يذكرها له بقوله اذكرنى عند ربك بعد أمة يعنى بعد حين كالذى حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عاصم عن أبى رزين عن ابن عباس وادكر بعد أمة قال بعد حين حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن عاصم عن أبى رزين عن ابن عباس مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن عاصم عن أبى رزين عن ابن عباس مثله حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر بن عياش

(١) أى بمعناه الحقيقى وهو الحزمة الخ فتنبه كتبه مصححه

جليل القدر مثل يوسف ثم انه اجتمع على يوسف فى هذه الحالة أنواع من المحن والفتن منها أن زليخا كانت فى غاية الحسن ومنها أنها كانت ذات مال وثروة وقد عزمت أن تبذل الكل ليوسف على تقدير أن يساعدها ومنها أن النسوة اجتمعن عليه مرغبات ومخوفات ومنها أنها كانت ذات قدرة ومكنة وكان خائفا من شرها ومن اقدامها على قتله ولا ريب أن نطاق عصمة البشرية يضيق عن بعض هذه الاسباب فضلا عن كلها وعن أزيد منها ولهذا لجأ يوسف عليه السلام الى الله تعالى قائلا (رب السجن أحب الى مما يدعوننى اليه) لان السجن وان كان مشقة فهى زائلة والذى يدعونه اليه وان كان لذة الا أنها عاجلة مستعقبة لخزى الدنيا وعذاب الآخرة (والا تصرف عنى كيدهن) بترجيح داعية الخير وعزوف النفس أو بمزيد الالطاف والعصمة (أصب اليهن) والصبوة الميل الى الهوى ومنها الصبا لان النفوس تصبو الى روحها (وأكن من الجاهلين) الذين لا يعملون بما يعلمون ولا يكون فى علمهم فائدة أو من السفهاء لان الحكيم لا يفعل القبيح ولما كان فى قوله والا تصرف معنى الدعاء وطلب الصرف قال سبحانه (فاستجاب له ربه) ثم ان المرأة أخذت فى الاحتيال وقالت لزوجها ان هذا العبد العبرانى فضحنى فى الناس ويقول لهم فى المجالس انى راودته عن نفسه وأنا لا أقدر على اظهار عذرى فاما أن تأذن لى فأخرج فأعتذر واما أن تحبسه كما حبستنى فعند ذلك وقع

واذكر بعد أمة بعد حين حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عمرو بن محمد قال أخبرنا سفيان عن عاصم عن أبي رزين قال واذكر بعد أمة قال بعد حين حدثني المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن عاصم عن أبي رزين عن ابن عباس مثله . قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله واذكر بعد أمة يقول بعد حين حدثني محمد ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس واذكر بعد أمة قال ذكر بعد حين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن واذكر بعد أمة بعد حين حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة عن الحسن مثله حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عفان قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن مثله حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد واذكر بعد أمة بعد حين حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال قال ابن كثير بعد أمة بعد حين قال ابن جريج وقال ابن عباس بعد أمة بعد سنين حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد عن أسباط عن السدي واذكر بعد أمة قال بعد حين حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا شريك عن سماك عن عكرمة واذكر بعد أمة أي بعد حقبة من الدهر وهذا التأويل على قراءة من قرأ بعد أمة بضم الألف وتشديد الميم وهي قراءة القراء في أمصار الإسلام وقد روي عن جماعة من المتقدمين أنهم قرؤا ذلك بعد أمه بفتح الألف وتخفيف الميم وفتحها بمعنى بعد نسيان وذكر بعضهم أن العرب تقول من ذلك أمه الرجل يأمه أمها إذا نسي وكذلك تأوله من قرأ ذلك كذلك ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عفان قال ثنا همام عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس أنه كان يقرأ بعد أمه ويفسرها بعد نسيان حدثنا ابن حميد قال ثنا بهز بن أسد عن همام عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس أنه قرأ بعد أمه يقول بعد نسيان حدثني أبو غسان مالك بن الخليل اليحمدي قال ثنا ابن أبي عدي عن أبي هرون الغنوي عن عكرمة أنه قرأ بعد أمه والأمه النسيان حدثني يعقوب وابن وكيع قالا ثنا ابن علية قال ثنا أبو هرون الغنوي عن عكرمة مثله حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عبد الوهاب قال قال هرون وثني أبو هرون الغنوي عن عكرمة بعد أمه بعد نسيان . قال ثنا عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة عن عكرمة واذكر بعد أمه بعد نسيان حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن ابن عباس أي بعد نسيان حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة واذكر بعد أمه قال من بعد نسيانه حدثني المثنى قال ثنا أبو النعمان عارم قال ثنا حماد بن زيد عن عبد الكريم أبي أمية المعلم عن مجاهد أنه قرأ واذكر بعد أمه حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد عن أبي مرزوق عن جويبر عن الضحاك واذكر بعد أمه قال بعد نسيان حدثت عن حسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد ابن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله واذكر بعد أمه يقول بعد نسيان وقد ذكر فيها قراءة ثالثة وهي ما حدثني به المثنى قال أخبرنا إسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن سفيان عن حميد قال قرأ مجاهد واذكر بعد أمه مجزومة الميم مخففة وكان قارئ ذلك كذلك أراد به المصدر من قولهم أمه يأمه أمها وتأويل هذه القراءة نظير تأويل من فتح الألف والميم وقوله أنا أنبئكم بتأويله يقول أنا أخبركم بتأويله فأرسلون يقول فأطلقوني أمضي لآتيكم بتأويله من عند العالم به وفي الكلام

في قلب العزيز أن الأصلح حبسه حتى ينسى الناس هذا الحديث فذلك قوله تعالى (ثم بدا) أي ظهر (لهم) للعزيز ومن يليه أوله وحده والجمع على عادتهم في تعظيم الأشراف (من بعد ما رأوا الآيات) الدالة على براءة يوسف من شهادة الصبي واعتراف المرأة وشهادة النسوة له بالسيرة الملكية والعفة وفاعل بدا مضمر أي ظهر لهم رأي أو سجنه وإنما حذف لدلالة ما يفسره عليه وهو (ليسجننه) والقسم محذوف (حتى حين) إلى زمان ممتد عن ابن عباس إلى زمان انقطاع القالة وما شاع في المدينة وعن الحسن خمس سنين وعن غيره سبع سنين وعن مقاتل أنه حبس اثنتي عشرة سنة

(التأويل) لما أخرجوا يوسف القلب من جب الطبيعة ذهبوا به إلى مصر الشريعة واشتراه عزيز مصرها وهو الدليل المربي على جادة الطريقة ليوصله إلى عالم الحقيقة فقال لامرأته وهي الدنيا أكرمي مثواه اخدميه بقدر الحاجة الضرورية عسى أن ينفعنا حتى يكون صاحب الشريعة فيتصرف في الدنيا كسير النبوة فتصير الشريعة حقيقة والدنيا آخرة أو نتخذه ولدا نربيه بلبان ثدي الشريعة والطريقة إلى أن يرى الفطام عن الدنيا الدنية وكذلك مكنا يشير إلى أن تمكين يوسف القلب في أرض البشرية إنما هو لتعلم العلم اللدني لأن الثمرة إنما تظهر على الشجرة إذا كان أصل الشجرة راسخا في الأرض والله

محذوف قد ترك ذكره استغناء بما ظهر عما ترك وذلك فأرسلوه فأتى يوسف فقال له يا يوسف يا أيها الصديق كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق (١) قال قال الملك للملا حوله انى أرى سبع بقرات سمان الآية وقالوا له ما قال سمع نبو من ذلك ما سمع ومسألته عن تأويلها ذكر يوسف وما كان عبر له ولصاحبه وما جاء من ذلك على ما قال من قوله قال أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون يقول الله تعالى وادكر بعد أمة أى حقبة من الدهر فأتاه فقال يا يوسف ان الملك قد رأى كذا وكذا فقص عليه الرؤيا فقال فيها يوسف ما ذكر الله تعالى لنا فى الكتاب فجاءهم مثل فلق الصبح تأويلها فخرج نبو من عند يوسف بما أفتاهم به من تأويل رؤيا الملك وأخبره بما قال وقيل ان الذى نجا منهما انما قال أرسلونى لان السجن لم يكن فى المدينة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد عن أسباط عن السدى وقال الذى نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون قال ابن عباس لم يكن السجن فى المدينة فانطلق الساقى الى يوسف فقال أفتنا فى سبع بقرات سمان الآيات قوله أفتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات فان معناه أفتنا فى سبع بقرات سمان رئين فى المنام يأكلهن سبع منها عجاف وفى سبع سنبلات خضر رئين أيضا وسبع أخر منهن يابسات فأما السمان من البقر فانها السنون المخصبة كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أفتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف قال أما السمان فسنون منها مخصبة وأما السبع العجاف فسنون مجدبة لا تنبت شيأ حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أفتنا فى سبع بقرات سمان فالسمان الخاصيب والبقرات العجاف هى السنون المحول الجدوب قوله وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات أما الخضر فهن السنون الخاصيب وأما اليابسات فهن الجدوب المحول والعجاف جمع عجف وهى المهازيل وقوله لعلى أرجع الى الناس لعلهم يعلمون يقول كى أرجع الى الناس فأخبرهم لعلهم يعلمون يقول ليعلموا تأويل ما سألتك عنه من الرؤيا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه فى سنبله الا قليلا مما تأكلون ﴾ يقول تعالى ذكره قال يوسف لسائله عن رؤيا الملك تزرعون سبع سنين دأبا يقول تزرعون هذه السبع السنين كما كنتم تزرعون سائر السنين قبلها على عادتكم فيما مضى والدأب العادة ومن ذلك قول امرئ القيس

كدأبك من أم الحويرث قبلها ... وجارتها أم الرباب بمأسل

يعنى كعادتك منها وقوله فما حصدتم فذروه فى سنبله الا قليلا مما تأكلون وهذه مشورة أشار بها نبى الله صلى الله عليه وسلم على القوم ورأى رآه لهم صلاحا يأمرهم باستبقاء طعامهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قال لهم نبى الله يوسف تزرعون سبع سنين دأبا الآية فانما أراد نبى الله صلى الله عليه وسلم البقاء ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ﴾ يقول ثم يجىء من بعد السنين السبع التى تزرعون فيها دأبا سنون سبع شداد يقول جدوب قحطة يأكلن ما قدمتم لهن يقول يؤكل فيهن ما قدمتم فى اعداد ما أعددتم لهن فى السنين السبعة الخصبة من الطعام والاقوات وقال جل ثناؤه يأكلن فوصف السنين بأنهن يأكلن وانما المعنى أن أهل تلك الناحية يأكلون فيهن كما قيل نهارك يا مغرور سهو وغفلة * وليلك نوم والردى لك لازم فوصف النهار بالسهو والغفلة والليل بالنوم وانما يسهى فى هذا ويغفل فيه وينام فى هذا

(١) فى عبارة ابن اسحق هنا تفكيك ونخشى أن يكون حصل فيها سقط من النساخ فتأمل

غالب على أمر القلب فى توجيهه الى محبة الله وطلبه أو على أمر القالب بجذبات العناية واقامته على الصراط المستقيم فتكون تصرفاته بالله ولله وفى الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنهم خلقوا مستعدين لهذا الكمال وكذلك نجزى المحسنين أى كما أفضنا على القلب ما هو مستحقه من الحكمة والعلم كذلك نجزى الاعضاء الرئيسة والجوارح اذا أحسنوا الاعمال والاخلاق على قاعدة الشريعة والطريقة خير الجزاء وهو التبليغ الى مقام الحقيقة وراودته فيه اشارة الى أن يوسف القلب وان استغرق فى بحر صفات الالوهية لا ينقطع عنه تصرفات زليخا الدنيا ما دام هو فى بيتها أى فى الجسد الدنياوى وغلقت أبواب أركان الشريعة وقالت هيت لك أقبل الى وأعرض عن الحق قال أى القلب الفانى عن نفسه الباقى ببقاء ربه معاذ الله عما سواه أحسن مثواى فى عالم الحقيقة انه لا يفلح الظالمون الذين يقبلون على الدنيا ويعرضون عن المولى وهم بها فوق الحاجة الضرورية لولا أن رأى برهان ربه وهو نور خصلة القناعة التى هى من نتائج نظر العناية لنصرف عنه السوء الحرص على الدنيا والفحشاء بصرف حب الدنيا فيه انه من عبادنا المخلصين الذين خلصوا من سجن الوجود المجازى ووصلوا الى الوجود الحقيقى واستبقا باب الموت الاختيارى وقدت قميص بشريته من دبر بيد شهواتها قبل خروجه من الباب وألفيا سيدها وهو صاحب ولاية

الخاطبين بمعناه والمراد منه الا قليلا مما تحصنون يقول الا يسيرا مما تحرزونه والاحصان التصيير فى الحصن وانما المراد منه الاحراز * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قوله يأكلن ما قدمتم لهن يقول يأكلن ما كنتم اتخذتم فيهن من القوت الا قليلا مما تحصنون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد وهن الجدوب المحول يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد وهن الجدوب يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون مما تدخرون حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله الا قليلا مما تحصنون يقول تخزنون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس تحصنون تحرزون حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون قال مما ترفعون وهذه الاقوال فى قوله تحصنون وان اختلفت ألفاظ قائليها فيه فان معانيها متقاربة وأصل الكلمة وتأويلها على ما بينت * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون﴾ وهذا خبر من يوسف عليه السلام للقوم عما لم يكن فى رؤيا ملكهم ولكنه من علم الغيب الذى آتاه الله دلالة على نبوته وحجة على صدقه كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال ثم زاده الله علم سنة لم يسألوه عنها فقال ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون ويعنى بقوله فيه يغاث الناس بالمطر والغيث وبنحو ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس قال فيه يغاثون بالمطر حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا محمد بن يزيد الواسطى عن جويبر عن الضحاك فيه يغاث الناس قال بالمطر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ثم يأتى من بعد ذلك عام قال أخبرهم بشئ لم يسألوه عنه وكان الله قد علمه اياه عام فيه يغاث الناس بالمطر حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فيه يغاث الناس بالمطر وأما قوله وفيه يعصرون فان أهل التأويل اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم معناه وفيه يعصرون العنب والسمسم وما أشبه ذلك ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس وفيه يعصرون قال الاعناب والدهن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس وفيه يعصرون السمسم دهنا والعنب خمرا والزيتون زيتا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون يقول يصيبهم غيث فيعصرون فيه العنب ويعصرون فيه الزيت ويعصرون من كل الثمرات حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وفيه يعصرون قال يعصرون أعنابهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد عن أسباط عن السدى وفيه يعصرون قال العنب حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا محمد بن يزيد الواسطى عن جويبر عن الضحاك وفيه يعصرون قال الزيت حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وفيه يعصرون قال كانوا يعصرون الاعناب والثمرات حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وفيه يعصرون قال يعصرون الاعناب والزيتون والثمار

تربية يوسف القلب وزوج زليخا الدنيا لانه يتصرف فى الدنيا كما ينبغى تصرف الرجل فى المرأة وشهد شاهد من أهلها هو حاكم العقل الغريزى دون العقل المجرد الذى هو ليس من الدنيا وأهلها فى شئ فبين حاكم العقل أن يد تصرف زليخا الدنيا لا تصل الى يوسف القلب الا بواسطة قميص بشريته ان كيدكن عظيم وهو قطع طريق الوصول الى الله لعظيم على القلب السليم يوسف أعرض عن هذا

من الحصب هذا علم آتاه الله يوسف لم يسئل عنه * وقال آخرون معنى قوله وفيه يعصرون وفيه يحلبون ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى فضالة عن علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس وفيه يعصرون قال فيه يحلبون حدثني المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن أبي حماد قال ثنا الفرج بن فضالة عن علي بن أبي طلحة قال كان ابن عباس يقرأ وفيه تعصرون بالتاء يعني تحتلبون واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه بعض قراء أهل المدينة والبصرة والكوفة وفيه يعصرون بالياء بمعنى ما وصفت من قول من قال عصر الاعناب والادهان وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين وفيه تعصرون بالتاء وقرأه بعضهم وفيه يعصرون بمعنى عطرون وهذه قراءة لا أستجيز القراءة بها لخلافها ما عليه قراء الامصار والصواب من القراءة في ذلك أن لقارئه الخيار في قراءته بأي القراءتين الأخريين شاء ان شاء بالياء ردا على الخبر به عن الناس على معنى فيه يغاث الناس وفيه يعصرون أعنابهم وأدهانهم وان شاء بالتاء ردا على قوله الا قليلا مما تحصنون وخطابا به لمن خاطبه بقوله يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون لانهما قراءتان مستفيضتان في قرأة الامصار باتفاق المعنى وان اختلفت الالفاظ بهما وذلك أن المخاطبين بذلك كان لاشك أنهم اذا أغيثوا وعصروا أغيث الناس الذين كانوا بناحيتهم وعصروا وكذلك كانوا اذا أغيث الناس بناحيتهم وعصروا أغيث المخاطبون وعصروا فهما متفقتا المعنى وان اختلفت الالفاظ بقراءة ذلك وكان بعض من لا علم له بأقوال السلف من أهل التأويل ممن يفسر القرآن برأيه على مذهب كلام العرب يوجه معنى قوله وفيه يعصرون الى وفيه ينجون من الجدب والقحط بالغيث ويزعم أنه من العصر والعصر التي بمعنى المنجاة من قول أبي زبيد الطائي

صاديا يستغيث غير مغاث . ولقد كان عصرة المنجود

أي المقهور ومن قول لبيد

فبات وأسرى القوم آخر ليلهم . وما كان وقافا بغير معصر

وذلك تأويل يكفي من الشهادة على خطئه خلافه قول جميع أهل العلم من الصحابة والتابعين وأما القول الذي روى الفرج بن فضالة عن علي بن أبي طلحة فقول لا معنى له لانه خلاف المعروف من كلام العرب وخلاف ما يعرف من قول ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ان ربي بكيدهن عليم﴾ يقول تعالى ذكره فلما رجع الرسول الذي أرسلوه الى يوسف الذي قال أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون فأخبرهم بتأويل رؤيا الملك عن يوسف علم الملك حقيقة ما أفتاه به من تأويل رؤياه وصحة ذلك وقال الملك ائتوني بالذي عبر رؤياي هذه كالذي حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال فخرج نبو من عند يوسف بما أفتاهم به من تأويل رؤيا الملك حتى أتى الملك فأخبره بما قال فلما أخبره بما في نفسه بمثل النهار وعرف أن الذي قال كائن كما قال قال ائتوني به حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدي قال لما أتى الملك رسوله قال ائتوني به وقوله فلما جاءه الرسول يقول فلما جاءه رسول الملك يدعوه الى الملك قال ارجع الى ربك يقول قال يوسف للرسول ارجع الى سيدك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن وأبى أن يخرج مع الرسول واجابة الملك حتى يعرف صحة أمره عندهم مما كانوا قذفوه به من شأن النساء فقال للرسول سل الملك ما شأن النسوة اللاتي قطعن أيديهن والمرأة التي سجنت بسببها كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فلما جاءه الرسول قال ارجع

الى

فان ذكر الدنيا يورث محبتها وحب الدنيا رأس كل خطيئة وقال نسوة هي الصفات البشرية من البهيمية والسبعية والشيطانية في مدينة الجسد تراود فتاها لان الرب اذا تجلى للعبد خضع له كل شئ بادنيا اخدمي من خدمني وأعتدت لهن متكأ أطعمة مناسبة لكل منها وآتت كل واحدة منهن سكينا هو سكين الذكر وقالت اخرج عليهن اشارة الى غلبات أحوال القلب على الصفات البشرية وقطعن أيديهن بالذكر عما سوى الله ثم بدا لهم أي ظهر لمربي القلب بلبان الشريعة وهو

الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن والمرأة التى سجنت بسبب أمرها عما كان من ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى قال لما أتى الملك رسوله فأخبره قال ائتونى به فلما أتاه الرسول ودعاه الى الملك أبى يوسف الخروج معه وقال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن الآية قال السدى قال ابن عباس لو خرج يوسف يومئذ قبل أن يعلم الملك بشأنه ما زالت فى نفس العزيز منه حاجة يقول هذا الذى راود امرأته حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن رجل عن أبى الزناد عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله يوسف ان كان ذا أناة لو كنت أنا المحبوس ثم أرسل الى لخرجت سريعا ان كان لحليما ذا أناة حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بشر قال ثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو سلمة عن أبى هريرة قال قال النبى صلى الله عليه وسلم لو لبثت فى السجن ما لبث يوسف ثم جاءنى الداعى لأجبته اذ جاءه الرسول فقال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن الآية حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى سليمن ابن بلال عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم بمثله حدثنا زكريا بن أبان المقرئ قال ثنا سعيد بن تليد قال ثنا عبد الرحمن بن القاسم قال ثنى بكر بن مضر عن عمرو بن الحرث عن يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال أخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو لبثت فى السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى يونس عن ابن شهاب عن أبى سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم بمثله حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عفان بن مسلم قال ثنا حماد عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ هذه الآية ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن ان ربى بكيدهن عليم قال النبى صلى الله عليه وسلم لو كنت أنا لأسرعت الاجابة وما ابتغيت العذر حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن ثابت عن النبى صلى الله عليه وسلم . ومحمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قرأ ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن الآية فقال النبى صلى الله عليه وسلم لو بعث الى لأسرعت فى الاجابة وما ابتغيت العذر حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما أخبرتهم بشئ حتى أشترط أن يخرجونى ولقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه والله يغفر له حين أتاه الرسول ولو كنت مكانه لبادرتهم الباب ولكنه أراد أن يكون له العذر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة أراد نبى الله صلى الله عليه وسلم أن لا يخرج حتى يكون له العذر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن قال أراد يوسف العذر قبل أن يخرج من السجن وقوله ان ربى بكيدهن عليم يقول ان الله تعالى ذكره ذو علم بصنيعهن وأفعالهن التى فعلن بى ويفعلن بغيرى من الناس لا يخفى عليه ذلك كله وهو من وراء جزائهن على ذلك وقيل ان معنى ذلك ان سيدى اطفير العزيز زوج المرأة التى راودتنى عن نفسى ذو علم ببراءتى مما قذفتنى به من السوء ✽ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من

شيخ الطريقة ومن يراعى صلاح حال القلب من بعد ما رأوا آثار عناية الله وعصمة القلب من الالتفات الى ما سواه ليسجننه فى سجن الشرع الى حين قطع تعلقه عن الجسد بالموت نظيره واعبد ربك حتى يأتيك اليقين واذا كان النبى مع نهاية كماله مأمورا بأن يكون مسجونا فى هذا السجن فكيف بمن دونه والله أعلم ﴿ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما انى أرانى أعصر خمرا وقال الآخر انى أرانى أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين قال لا يأتيكما

سوء قالت امرأت العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين﴾ وفي هذا الكلام متروك قد استغني بدلالة ما ذكر عليه عنه وهو فرجع الرسول الى الملك من عند يوسف برسالته فدعا الملك النسوة اللاتي قطعن أيديهن وامرأة العزيز فقال لهن ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه كالذي حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فلما جاء الرسول الملك من عند يوسف بما أرسله اليه جمع النسوة وقال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه ويعني بقوله ما خطبكن ما كان أمركن وما كان شأنكن اذ راودتن يوسف عن نفسه فأجبنه فقلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق تقول الآن تبين الحق وانكشف فظهر أنا راودته عن نفسه وان يوسف لمن الصادقين في قوله هي راودتني عن نفسي وبمثل ما قلنا في معنى الآن حصحص الحق قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنا معاوية عن علي عن ابن عباس الآن حصحص الحق قال تبين حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله الآن حصحص الحق تبين حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الآن حصحص الحق الآن تبين الحق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة الآن حصحص الحق قال تبين حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عمرو بن محمد قال ثنا أسباط عن السدي الآن حصحص الحق قال تبين حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد عن أسباط عن السدي مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال قالت راعيل امرأة اطفير العزيز الآن حصحص الحق أي الآن برز الحق وتبين أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين فيما كان قال يوسف مما ادعت عليه حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدي قال قال الملك ائتوني بهن فقال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء ولكن امرأة العزيز أخبرتنا أنها راودته عن نفسه ودخل معها البيت وحل سراويله ثم شده بعد ذلك فلا تدري ما بدا له فقالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله الآن حصحص الحق تبين وأصل حصحص حص ولكن قيل حصحص كما قيل فكبكبوا في كبوا وقيل كفكف في كف وذرذر في ذر وأصل الحص استئصال الشيء يقال منه حص شعره اذا استأصله جزا وانما أريد في هذا الموضع حصحص الحق ذهب الباطل والكذب فانقطع وتبين الحق فظهر

❁ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين﴾ يعني بقوله ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب هذا الفعل الذي فعلته من ردي رسول الملك اليه وتركي اجابته والخروج اليه ومسألتي اياه أن يسأل النسوة اللاتي قطعن أيديهن عن شأنهن اذ قطعن أيديهن انما فعلته ليعلم أني لم أخنه في زوجته بالغيب يقول لم أركب منها فاحشة في حال غيبته عني واذا لم يركب ذلك بمغيبه فهو في حال مشهده اياه أحرى أن يكون بعيدا من ركوبه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال يقول يوسف ذلك ليعلم اطفير سيده أني

لم

طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله
قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمني ربي
اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله
وهم بالآخرة هم كافرون واتبعت
ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب
ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء
ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس
ولكن أكثر الناس لا يشكرون
يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون
خير أم الله الواحد القهار ما تعبدون
من دونه الا أسماء سميتموها أنتم
وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان
ان الحكم الا لله أمر ألا تعبدوا الا
اياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر

لم أخنه بالغيب أنى لم أكن لأخالفه الى أهله من حيث لا يعلم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب يوسف يقوله حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب يوسف يقوله لم أخن سيدى * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب قال يوسف يقوله حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب قال هذا قول يوسف حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن اسمعيل بن سالم عن أبي صالح فى قوله ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب قال هو يوسف لم يخن العزيز فى امرأته حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب هو يوسف يقول لم أخن الملك بالغيب وقوله وان الله لا يهدى كيد الخائنين يقول فعلت ذلك ليعلم سيدى أنى لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدى كيد الخائنين يقول وأن الله لا يسدد صنيع من خان الامانات ولا يرشد فعالهم فى خيانتهموها واتصل قوله ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب بقول امرأة العزيز أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين لمعرفة السامعين لمعناه كاتصال قول الله تعالى وكذلك يفعلون بقول المرأة وجعلوا أعزة أهلها أذلة وذلك أن قوله وكذلك يفعلون خبر مبتدأ وكذلك قول فرعون لاصحابه فى سورة الاعراف فماذا تأمرون وهو متصل بقول الملا يريد أن يخرجكم من أرضكم والله أعلم

الناس لا يعلمون يا صاحبى السجن أما أحدكما فيسقى ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضى الامر الذى فيه تستفتيان وقال للذى ظن أنه ناج منهما اذكرنى عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين وقال الملك انى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يا أيها الملأ أفتونى فى رؤياى ان كنتم للرؤيا تعبرون قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين

(تم الجزء الثانى عشر من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ويليه الجزء الثالث عشر وأوله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وما أبرئ نفسى الآيات

(فهرست الجزء الثانى عشر من تفسير الامام ابن جرير الطبرى)

(تم فهرست الجزء الثانى عشر من تفسير ابن جرير)

(فهرست الجزء الثانى عشر من تفسير النيسابورى الموضوع بهامش الجزء الثانى عشر من تفسير ابن جرير)

(تم فهرست الجزء الثانى عشر من النيسابورى)

الجـــزء الثـــالث عشر

من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن تأليف
الامام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت
الأمة على تقدمه في التفسير أبي جعفر
محمد بن جرير الطبري المتوفى
سنة ٣١٠ هجرية رحمه
الله وأثابه رضاه
آمين

﴿ وبهامشه تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين
الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري قدست أسراره ﴾

« في كشف الظنون » قال الامام جلال الدين السيوطي في الاتقان وكتابه
« أي الطبري » أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على
بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفاسير الأقدمين » وقال النووي
أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري . وعن أبي حامد الاسفرايني أنه
قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اه

﴿ تنبيه ﴾

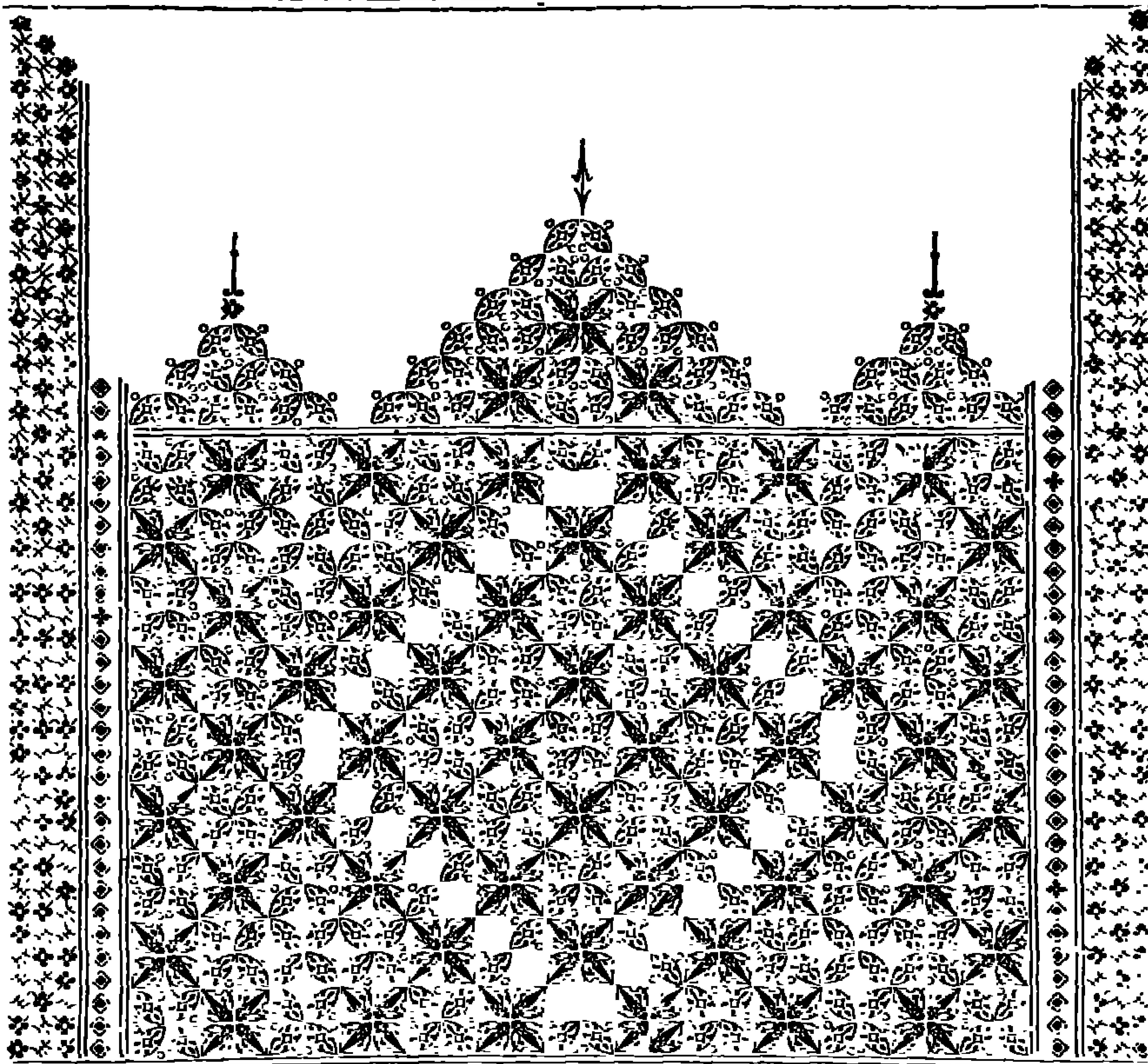
طبعت هذه النسخة بعد تصحيحها على الاصول الموجودة في خزانة الكتبخانة
الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبي الشهير بمصر ونجله
حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

﴿ الطبعة الأولى ﴾

بالمطبعة الكبرى الأميريه ببولاق مصر المحميه

سنة ١٣٢١ هجريه



(بسم الله الرحمن الرحيم)

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما أبرئ نفسى ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربى ان ربى غفور رحيم﴾ يقول يوسف صلوات الله عليه وما أبرئ نفسى من الخطا والزلل فأزكيها ان النفس لأمارة بالسوء يقول ان النفوس نفوس العباد تأمرهم بما تهواه وان كان هواها فى غير ما فيه رضا الله الا ما رحم ربى يقول الا أن يرحم ربى من شاء من خلقه فينجيه من اتباع هواها وطاعتها فيما تأمره به من السوء ان ربى غفور رحيم وما فى قوله الا ما رحم ربى فى موضع نصب وذلك أنه استثناء منقطع عما قبله كقوله ولا هم ينقذون الا رحمة منا بمعنى الا أن يرحموا وأن اذا كانت فى معنى المصدر تضارع ما ويعنى بقوله ان ربى غفور رحيم ان الله ذو صفح عن ذنوب من تاب من ذنوبه بتركه عقوبته عليها وفضيحته بها رحيم به بعد توبته أن يعذبه عليها وذكر أن يوسف قال هذا القول من أجل أن يوسف لما قال ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب قال ملك من الملائكة ولا يوم هممت بها فقال يوسف حينئذ وما أبرئ نفسى ان النفس لأمارة بالسوء وقد قيل ان القائل ليوسف ولا يوم هممت بها فحللت سراويلك هو امرأة العزيز فأجابها يوسف بهذا الجواب وقيل ان يوسف قال ذلك ابتداء من قبل نفسه ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال لما جمع الملك النسوة فسألهن هل راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق الآية قال يوسف ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب قال فقال له جبرئيل ولا يوم هممت بما هممت فقال وما أبرئ نفسى ان النفس لأمارة بالسوء حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال لما جمع الملك النسوة قال لهن أنتن راودتن يوسف عن نفسه ثم ذكر سائر الحديث مثل حديث أبى كريب عن وكيع حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا

وقال الذى نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون يوسف أيها الصديق أفتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلى أرجع الى الناس لعلهم يعلمون قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه فى سنبله الا قليلا مما تأكلون ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون وقال الملك ائتونى به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن ان ربى بكيدهن عليم قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأت العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدى كيد الخائنين وما أبرئ نفسى ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربى ان ربى غفور رحيم﴾ القراآت انى أرانى أعصر بالفتح فى الحرفين أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وافق ابن كثير فى أرانى كليهما الباقون بسكون ياء المتكلم فى الكل نبينا بغير همزة أوقية والاعشى وحمزة فى الوقف ترزقانه مختلسة الحلوانى عن قالون نباتكما مثل أنشانا ربى انى بفتح الياء أبو جعفر ونافع وأبو عمرو آبائى بالفتح أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر انى أرى بالفتح أبو جعفر ونافع وأبو عمرو رؤياى بالامالة على غير قتيبة أبو عمرو بالامالة اللطيفة والقول فى ترك الهمزة مثل ما تقدم للرؤيا بامالة على وأبو عمرو بالامالة اللطيفة لعلى أرجع بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير غير ابن مجاهد عن ابن ذكوان وأبو عمرو دأبا بفتح الهمزة

عمرو

عمرو قال أخبرنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال لما جمع الملك النسوة قال أنتن راودتن يوسف عن نفسه ثم ذكر نحوه غير أنه قال فغمزه جبرئيل فقال ولا حين هممت بها فقال يوسف وما أبرئ نفسي ان النفس لأمارة بالسوء **حدثنا** أبو كريب قال ثنا وكيع و **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن مسعر عن أبي حصين عن سعيد بن جبير قال لما قال يوسف ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب قال جبرئيل أو ملك ولا يوم هممت بما هممت به فقال وما أبرئ نفسي ان النفس لأمارة بالسوء **حدثنا** عمرو بن علي قال ثنا وكيع قال ثنا مسعر عن أبي حصين عن سعيد بن جبير بنحوه الا أنه قال قال له الملك ولا حين هممت بها ولم يقل أو جبرئيل ثم ذكر سائر الحديث مثله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا محمد بن بشر وأحمد بن بشير عن مسعر عن أبي حصين عن سعيد بن جبير ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب قال فقال له الملك أو جبرئيل ولا حين هممت بها فقال يوسف وما أبرئ نفسي ان النفس لأمارة بالسوء **حدثنا** أبو كريب قال ثنا وكيع عن سفيان عن أبي سنان عن ابن أبي الهذيل قال لما قال يوسف ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب قال له جبرئيل ولا يوم هممت بما هممت به فقال وما أبرئ نفسي ان النفس لأمارة بالسوء **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن أبي سنان عن ابن أبي الهذيل بمثله **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا عمرو قال أخبرنا مسعر عن أبي حصين عن سعيد بن جبير مثل حديث ابن وكيع عن محمد بن بشر وأحمد بن بشير سواء **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا العلاء بن عبد الجبار وزيد بن حباب عن حماد ابن سلمة عن ثابت عن الحسن ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب قال له جبرئيل اذكر همك فقال وما أبرئ نفسي ان النفس لأمارة بالسوء **حدثنا** الحسن قال ثنا عفان قال ثنا حماد عن ثابت عن الحسن ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب قال جبرئيل يا يوسف اذكر همك قال وما أبرئ نفسي ان النفس لأمارة بالسوء **حدثني** يعقوب قال ثنا هشيم عن اسمعيل بن سالم عن أبي صالح في قوله ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب قال هذا قول يوسف قال فقال له جبرئيل ولا حين حللت سراويلك قال فقال يوسف وما أبرئ نفسي ان النفس لأمارة بالسوء الآية **حدثني** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن اسمعيل بن سالم عن أبي صالح بنحوه **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب ذكر لنا أن الملك الذي كان مع يوسف قال له اذكر ما هممت به قال نبي الله وما أبرئ نفسي ان النفس لأمارة بالسوء **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال بلغني أن الملك قال له حين قال ما قال أتذكر همك فقال وما أبرئ نفسي ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربي **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قوله ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب قال الملك وطعن في جنبه يا يوسف ولا حين هممت قال فقال وما أبرئ نفسي * ذكر من قال قائل ذلك له المرأة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدي ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب قال قاله يوسف حين جيء به ليعلم العزيز أنه لم يخنه بالغيب في أهله وأن الله لا يهدي كيد الخائنين فقالت امرأة العزيز يا يوسف ولا يوم حللت سراويلك فقال يوسف وما أبرئ نفسي ان النفس لأمارة بالسوء * ذكر من قال قائل ذلك يوسف لنفسه من غير تذكير مذكر ذكره ولكنه تذكر ما كان سلف منه في ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين هو قول يوسف لمليكه حين أراه الله عذره فذكره أنه قد هم بها وهم به فقال يوسف وما أبرئ نفسي ان النفس لأمارة

والبزي نفسي رحم ربي بالفتح فيهما أبو جعفر ونافع وأبو عمرو ﴿الوقوف﴾ فتيان ط خمرا ج فصلا بين القضيتين مع اتفاق الجملتين الطير منه ط للعدول عن قول آخر منهما الى قولهما المضمر أي فقالا نبئنا بتأويله ج لاحتمال التعليل المحسنين ٥ أن يأتيكما ط ربي ط كافرون ٥ ويعقوب ط من شيء ط لا يشكرون ٥ القهار ٥ ط من سلطان ط الا لله ط الا اياه ط لا يعلمون ٥ خمرا ج فصلا بين الجوابين مع اتفاق الجملتين من رأسه ط لأن قوله قضي جواب قولهما كذبنا وما رأينا رؤيا تستفتيان ط لاستئناف حكاية أخرى عند ربك ز سنين ٥ ط يابسات ط تعبرون ٥ أحلام ج للنفي مع العطف بعالمين ٥ فأرسلون ٥ يابسات لا لتعلق لعلي يعلمون ٥ دأبا ج للشرط مع الفاء تأكلون ٥ تحصنون ٥ يعصرون ٥ ائتوني به ج أيديهن ط عليم ٥ عن نفسه ط من سوء ط الحق ز لانقطاع النظم واتصال المعنى واتحاد القائل الصادقين ٥ الخائنين ٥ نفسي ج للحذف أي عن السوء ربي ط رحيم ٥ ﴿التفسير﴾ تقدير الكلام فحبسوه (ودخل معه) أي مصاحبا له في الدخول (السجن فتيان) غلامان للملك الأكبر خبازه وشرابيه نقلا عن أئمة التفسير أو استدلالا برؤياهما المناسبة لحرفتهما رفع الى الملك أنهما أرادا سمه في الطعام والشراب فأمر بادخالهما السجن ساعة اذ دخل يوسف (قال أحدهما اني أراني) أي في المنام لقولهما نبئنا بتأويله وهو حكاية حال ماضية (أعصر خمرا) أي عنبا تسمية للشيء باسم ما يؤول اليه وقيل الخمر بلغة عمان اسم العنب والضمير في قوله (بتأويله) يعود الى ما قصا عليه

بالسوء الآية ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وقال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين ﴾ يقول تعالى ذكره وقال الملك يعنى ملك مصر الأكبر وهو فيما ذكر ابن اسحق الوليد بن الريان حدثنا بذلك ابن حميد قال ثنا سلمة عنه حين تبين عذر يوسف وعرف أمانته وعلمه قال لاصحابه ائتونى به أستخلصه لنفسى يقول أجعله من خلصائى دون غيرى وقوله فلما كلمه يقول فلما كلم الملك يوسف وعرف براءته وعظم أمانته قال له انك يا يوسف لدينا مكين أمين أى متمكن مما أردت وعرض لك من حاجة قبلنا لرفعة مكانك ومنزلتك لدينا أمين على ما أؤتمنت عليه من شئ حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى قال لما وجد الملك له عذرا قال ائتونى به أستخلصه لنفسى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أستخلصه لنفسى يقول أتخذه لنفسى حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن سفيان عن أبى سنان عن ابن أبى الهذيل قال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى قال قال له الملك انى أريد أن أخلصك لنفسى غير أنى آنف أن تأكل معى فقال يوسف أنا أحق أن آنف أنا ابن اسحق أو أنا ابن اسمعيل «أبو جعفر شك» وفى كتابى ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله حدثنا ابن وكيع قال ثنى أبى عن سفيان عن أبى سنان عن ابن أبى الهذيل بنحوه غير أنه قال أنا ابن ابراهيم خليل الله ابن اسمعيل ذبيح الله حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن أبى سنان عن عبد الله بن أبى الهذيل قال قال العزيز ليوسف ما من شئ الا وأنا أحب أن تشركنى فيه الا أنى أحب أن لا تشركنى فى أهلى وأن لا يأكل معى عبدى قال أتأنف أن آكل معك فأنا أحق أن آنف منك أنا ابن ابراهيم خليل الله وابن اسحق الذبيح وابن يعقوب الذى ابيضت عيناه من الحزن حدثنا أبو كريب قال ثنا سفيان بن عقبة عن حمزة الزيات عن ابن اسحق عن أبى ميسرة قال لما رأى العزيز لبق يوسف وكيسه وظرفه دعاه فكان يتغدى ويتعشى معه دون غلمانه فلما كان بينه وبين المرأة ما كان قالت له تدنى هذا مره فليتغد مع الغلمان قال له اذهب فتغد مع الغلمان فقال له يوسف فى وجهه ترغب أن تأكل معى أو تنكف أنا والله يوسف بن يعقوب نبى الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قال اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم ﴾ يقول جل ثناؤه قال يوسف للملك اجعلنى على خزائن أرضك وهى جمع خزانة والالف واللام دخلتا فى الارض خلفا من الاضافة كما قال الشاعر

* والاحلام غير عوازب * وهذا من يوسف صلوات الله عليه مسألة منه للملك أن يوليه أمر طعام بلده وخراجها والقيام بأسباب بلده ففعل ذلك الملك به فيما بلغنى كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله اجعلنى على خزائن الارض قال كان لفرعون خزائن كثيرة غير الطعام قال فأسلم سلطانه كله اليه وجعل القضاء اليه أمره وقضاؤه نافذ حدثنا ابن حميد قال ثنا ابراهيم ابن المختار عن شيبة الضبى فى قوله اجعلنى على خزائن الارض قال على حفظ الطعام وقوله انى حفيظ عليم اختلف أهل التأويل فى تأويله فقال بعضهم معنى ذلك انى حفيظ لما استودعتنى عليم بما وليتنى ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق انى حفيظ عليم انى حافظ لما استودعتنى عالم بما وليتنى قال قد فعلت حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد

عن

د يوضع الضمير موضع اسم الاشارة كأنه قيل نبئنا بتأويل ذلك (انا نراك من المحسنين) عبارة الرؤيا وكان أهل السجن يقصون عليه ـ ياهم فيؤولها لهم أو نراك من العلماء عرف ذلك بالقرائن أو من المحسنين الى أهل السجن كان يعود مرضاهم ويوسع عليهم ويراعى دقائق كارم الاخلاق معهم أو من المحسنين فى (٤) طاعة الله وطلب مرضاته ففرج عنا الغمة بتأويل ما رأيناه ان كانت لك يد فى تأويل رؤيا وعن قتادة كان فى السجن ناس ـ انقطع رجاؤهم وطال حزنهم تعل يقول أبشروا واصبروا تؤجروا قالوا ما أحسن وجهك وما أحسن خلقك فمن أنت يا فتى فقال أنا يوسف ن صفى الله يعقوب بن ذبيح الله سحق بن خليل الله ابراهيم فقال له امل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكنى أحسن جوارك كن فى أى بيوت السجن شئت عن الشعبى ومجاهد أنهما تحالما ه ليمتحناه فقال الشرابى أرانى فى بستان فاذا بأصل كرم عليه ثلاثة عناقيد من عنب فقطعتها وعصرتها ن كأس الملك وسقيته وقال الخباز انى أرانى وفوق رأسى ثلاث سلال فيها أنواع الاطعمة واذا سباع الطير تنهش منها (قال لا يأتيكما طعام) الى آخره هذا ليس بجواب لهما ظاهرا وانما قدم هذا الكلام لوجوه منها أن أحد التعبيرين لما كان هو الصلب وكان فى اسماعه كراهة ونفرة أراد أن يقدم قبل ذلك ما يوثق بقوله ويخرجه عن معرض التهمة والعداوة أو أراد أن يبين علو مرتبته فى العلم وأنه ليس من المعبرين الذين يعبرون عن ظن وتخمين ولهذا قال السدى أراد لا يأتيكما طعام ترزقانه فى النوم بين بذلك أن علمه بتأويل الرؤيا ليس مقصورا على شئ دون غيره وقيل انه محمول على اليقظة وانه ادعى معرفة الغيب كقول عيسى عليه السلام وأنبئكم بما تأكلون أى أخبركما (قبل أن يأتيكما) أنه أى طعام هو وأى لون هو وكيف تكون عاقبته أهو ضار أم نافع وأن فيه سما أم لا فقد روى أن الملك كان اذا أراد قتل انسان صنع له طعاما مسموما فأرسله اليه ثم قال (ذلكما) أى هذا التأويل والاخبار بالمغيبات من قبيل الوحى والالهام لا من التكهن والتنجيم الذى يكثر فيهما وقوع الخطا ثم بين سيرته وملته مشيرا فيه الى أنه

عن قتادة قوله اني حفيظ عليم يقول حفيظ لما وليت عليم بأمره **حدثنا** ابن حميد قال ثنا ابراهيم ابن المختار عن شيبة الضبي في قوله اني حفيظ عليم يقول اني حفيظ لما استودعتني عليم بسني المجاعة * وقال آخرون اني حافظ للحساب عليم بالألسن ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عمرو عن الاشجعي اني حفيظ عليم حافظ للحساب عليم بالألسن . وأولى القولين عندنا بالصواب قول من قال معنى ذلك اني حافظ لما استودعتني عالم بما أوليتني لان ذلك عقيب قوله اجعلني على خزائن الارض ومسألته الملك استكفاءه خزائن الارض فكان اعلامه بان عنده خبرة في ذلك وكفايته اياه أشبه من اعلامه حفظه الحساب ومعرفته بالألسن ❊ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين﴾ يقول تعالى ذكره وهكذا وطأنا ليوسف في الارض يعني أرض مصر يتبوأ منها حيث يشاء يقول يتخذ من أرض مصر منزلا حيث يشاء بعد الحبس والضيق نصيب برحمتنا من نشاء من خلقنا كما أصبنا يوسف بها فمكناله في الارض بعد العبودة والاسار وبعد الالقاء في الجب ولا نضيع أجر المحسنين يقول ولا نبطل جزاء عمل من أحسن فأطاع ربه وعمل بما أمره وانتهى عما نهاه عنه كما لم نبطل جزاء عمل يوسف اذ أحسن فأطاع الله وكان تمكين الله ليوسف في الارض كما **حدثنا** ابن حميد ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما قال يوسف للملك اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم قال الملك قد فعلت فولاه فيما يذكرون عمل اطفير وعزل اطفير عما كان عليه يقول الله وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوأ منها حيث يشاء الآية قال فذكر لي والله أعلم أن اطفير هلك في تلك الليالي وأن الملك الريان بن الوليد زوج يوسف امرأة اطفير راعيل وأنها حين دخلت عليه قال أليس هذا خيرا مما كنت تريدين قال فيزعمون أنها قالت أيها الصديق لا تلمني فاني كنت امرأة كما ترى حسنا وجمالا ناعمة في ملك ودنيا وكان صاحبي لا يأتي النساء وكنت كما جعلك الله في حسنك وهيئتك فغلبتني نفسي على ما رأيت فيزعمون أنه وجدها عذراء فأصابها فولدت له رجلين افرائيم بن يوسف وميشا بن يوسف **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدي وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوأ منها حيث يشاء قال استعمله الملك على مصر وكان صاحب أمرها وكان يلي البيع والتجارة وأمرها كله فذلك قوله وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوأ منها حيث يشاء **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يتبوأ منها حيث يشاء قال ملكناه فيما يكون فيها حيث يشاء من تلك الدنيا يصنع فيها ما يشاء فوضت اليه قال ولو شاء ان يجعل فرعون من تحت يديه ويجعله فوقه لفعل **حدثني** المثنى قال ثنا عمرو قال أخبرنا هشيم عن أبي اسحق الكوفي عن مجاهد قال أسلم الملك الذي كان معه يوسف ❊ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ يقول تعالى ذكره ولثواب الله في الآخرة خير للذين آمنوا يقول للذين صدقوا الله ورسوله مما أعطي يوسف في الدنيا من تمكينه له في أرض مصر وكانوا يتقون يقول وكانوا يتقون الله فيخافون عقابه في خلاف أمره واستحلال محارمه فيطيعونه في أمره ونهيه ❊ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون﴾ يقول تعالى ذكره وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم يوسف وهم ليوسف منكرون لا يعرفونه

رسول من عند الله ومنها على أن الاشتغال بمصالح الدين أهم من الاشتغال بمصالح الدنيا حتى ان الرجل الذي سيصلب لعله يسلم فلا يموت على الكفر فقال (اني تركت) أي رفضت بل ما كنت قط ويجوز أن يكون قبل ذلك غيره ظهر بالتوحيد خوفا منهم لانه كان تحت أيديهم وانما كررت لفظة هم تنبيها على أنهم مختصون في ذلك الزمان بانكار المعاد وتعريضا بأن ايداعه السجن بعد معاينة الآيات الشاهدة على براءته لا يصدر الا عمن ينكر الجزاء أشد الانكار والمراد باتباع ملة آبائه الاتباع في الاصول التي لا تتبدل بتبدل الشرائع ومعنى التنكير في قوله من شيء الرد على كل طائفة خالفت الملة الحنيفية من عبدة الاصنام والكواكب وغيرهم (ذلك) التوحيد (من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون) نعمة الايمان أو نعمة اعطاء القدرة والاختيار على الايمان فلا ينظرون في الدلائل وهذا يناسب أصول المعتزلة وعن بعضهم ان الانشكر الله على الايمان بل الله يشكرنا عليه كما قال فأولئك كان سعيهم مشكورا (ياصاحبي السجن) أراد ياصاحبي في السجن كقوله ياسارق الليلة خصهما بهذا النداء لانهما دخلا السجن معه أو أراد ياساكني السجن كقوله أصحاب النار فسبب التعيين أنهما استفتياه من بين الساكنين ثم أنكر عليهم عبادة الاصنام فقال (أأرباب متفرقون) في العدد وفي الجثة وفيما يتبعها من اختلاف الاعراض والابعاض (خير) ان فرض فيهم خير (أم الله الواحد القهار) لان وحدة المعبود تستدعي توحيد المطلب وتفرد المقصود وكونه قهارا غالبا غير مغلوب من وجه يوجب حصول كل ما يرجى منه من ثواب وصلاح اذا تعلقت ارادته بذلك فلا تصلح للعبودية الا هو ولا تصلح حقيقة الالهية في غيره فلذلك قال (ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها) أي سميتم الآلهة بتلك الاسماء (أنتم وآباؤكم) والخطاب لهما ولمن على دينهما من أهل مصر فكأنهم لا يعبدون الا أسماء فارغة عن المسميات (ما أنزل الله بها) بتسميتها (من سلطان) أي حجة ثم لما نفى معبودية الغير بين أن لا حكم في أمر الدين والعبادة الا له فقال (ان الحكم الا لله) ثم ذكر ما حكم به فقال

وكان سبب مجيئهم يوسف فيما ذكر لى كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما اطمأن يوسف فى ملكه وخرج من البلاء الذى كان فيه وخلت السنون المخصبة التى كان أمرهم بالاعداد فيها للسنين التى أخبرهم بها أنها كائنة جهد الناس فى كل وجه وضربوا الى مصر يلتمسون بها الميرة من كل بلدة وكان يوسف حين رأى ما أصاب الناس من الجهد قد أساينهم وكان لا يحمل للرجل الا بعيرا واحدا ولا يحمل للرجل الواحد بعيرين تقسيطا بين الناس وتوسيعا عليهم فقدم اخوته فيمن قدم عليه من الناس يلتمسون الميرة من مصر فعرفهم وهم له منكرون لما أراد الله أن يبلغ ليوسف عليه السلام ما أراد حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى قال أصاب الناس الجوع حتى أصاب بلاد يعقوب التى هو بها فبعث بنيه الى مصر وأمسك أخا يوسف بنيامين فلما دخلوا على يوسف عرفهم وهم له منكرون فلما نظر اليهم قال أخبرونى ما أمركم فانى أنكر شأنكم قالوا نحن قوم من أرض الشأم قال فما جاء بكم قالوا جئنا نمتار طعاما قال كذبتم أنتم عيون كم أنتم قالوا عشرة قال أنتم عشرة آلاف كل رجل منكم أمير ألف فأخبرونى خبركم قالوا انا اخوة بنو رجل صديق وانا كنا اثنى عشر وكان أبونا يحب أخا لنا وانه ذهب معنا البرية فهلك منا فيها وكان أحبنا الى أبينا قال فالى من سكن أبوكم بعده قالوا الى أخ لنا أصغر منه قال فكيف تخبرونى أن أباكم صديق وهو يحب الصغير منكم دون الكبير ائتونى بأخيكم هذا حتى أنظر اليه فان لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى ولا تقربون قالوا سنراود عنه أباه وانا لفاعلون قال فضعوا بعضكم رهينة حتى ترجعوا فوضعوا شمعون حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وهم له منكرون قال لا يعرفونه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولما جهزهم بجهازهم قال ائتونى بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أنى أوف الكيل وأنا خير المنزلين﴾ يقول ولما حمل يوسف لاخوته أباعرهم من الطعام فأوقر لكل رجل منهم بعيره قال لهم ائتونى بأخ لكم من أبيكم كيما أحمل لكم بعيرا آخر فتزدادوا به حمل بعير آخر ألا ترون أنى أوفى الكيل فلا أبخسه أحدا وأنا خير المنزلين وأنا خير من أنزل ضيفا على نفسه من الناس بهذه البلدة فأنا أضيفكم كما حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وأنا خير المنزلين يوسف يقول أنا خير من يضيف بمصر حدثنى ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما جهز يوسف فيمن جهز من الناس حمل لكل رجل منهم بعيرا بعدتهم ثم قال لهم ائتونى بأخ لكم من أبيكم أجعل لكم بعيرا آخر أو كما قال ألا ترون أنى أوفى الكيل أى لا أبخس الناس شيأ وأنا خير المنزلين أى خير لكم من غيرى فانكم ان أتيتم به أكرمت منزلتكم وأحسنت اليكم وازددتم به بعيرا مع عدتكم فانى لا أعطى كل رجل منكم الا بعيرا فان لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى ولا تقربون لا تقربوا بلدى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ائتونى بأخ لكم من أبيكم يعنى بنيامين وهو أخو يوسف لابيه وأمه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فان لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى ولا تقربون﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل يوسف لاخوته فان لم تأتونى بأخيكم من أبيكم فلا كيل لكم عندى يقول فليس لكم عندى طعام أكيله لكم ولا تقربون يقول ولا تقربوا بلادى وقوله ولا تقربون فى موضع جزم بالنهى والنون فى موضع نصب وكسرت لما حذفت ياؤها والكلام ولا تقربونى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالوا سنراود عنه

ر ألا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم) الثابت بالبراهين (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أنه مبدأ المبادئ والمعاد الحقيقى فيتخذون غيره بودا ويجعلون لغيره من الاصنام والاجرام بالاستقلال فعلا وتأثيرا ثم شرع فى اجابة مقترحهما وهو تأويل رؤياهما فقال (أما أحدكما نى الشرابى (فيسقى ربه) سيده (٦) (خمرا) يروى أنه قال له ما رأيت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن ث عنده وأما القضبان الثلاثة بها ثلاثة أيام تمضى فى السجن خرج وتعود الى ما كنت عليه ل للثانى ما رأيت من السلال ثة أيام ثم تخرج فتصلب فتأكل ير من رأسك قوله (قضى الامر) فى الكشاف انما وحد الامر ما أمران مختلفان استفتيا فيهما المراد بالامر ما اتهما به من سم ث وما سجنا لأجله فكأنهما ستفتياه فى الامر الذى نزل بهما اقبته نجاة أم هلاك استدلالا رياهما فقال ان ذلك الذى ذكرت ن أمر التأويل كائن لا محالة دقتما أو كذبتما وقيل جحدا ياهما وقيل عكسا رؤياهما فلما الخباز أن تأويل رؤياه شر أنكر ونه صاحب تلك الرؤيا فقال سف ان الذى حكمت به لكل نكما واقع لا بد منه ومن هنا قالت لحكماء ينبغى أن لا يتصرف فى رؤيا ولا تغير عن وجهها فان الفأل لى ما جرى (وقال) يوسف (للذى ظن نه ناج منهما اذكرنى عند ربك) أى ذكر عند الملك أنى مظلوم من جهة خوتى أخرجونى وباعونى ثم انى مظلوم من جهة النسوة اللاتى حبستنى والضمير فى ظن ان كان لرجل الناجى فلا اشكال لانهما ما كانا مؤمنين بنبوة يوسف بل كانا حسنى الاعتقاد فيه وكان قوله لم يفد فى حقهما الا مجرد الظن وان عاد الى يوسف فيرد عليه أنه كان قاطعا بنجاته فما المعنى للظن وأجيب بأنه انما ذكر ذلك التعبير بناء على الاصول المقررة فى ذلك العلم فكان كالمسائل الاجتهادية والاصح أنه قضى بذلك على سبيل البت والقطع لقوله لا يأتيكما طعام الى قوله ذلكما مما علمنى ربى فالظن على هذا بمعنى اليقين كقوله الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم أما الضمير فى قوله (فأنساه الشيطان) فمن الناس من قال

أباه

أباه وانا لفاعلون ﴿وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى أهلهم لعلهم يرجعون﴾ يقول تعالى ذكره قال اخوة يوسف ليوسف اذ قال لهم ائتوني بأخ لكم من أبيكم قالوا سنراود عنه أباه ونسأله أن يخليه معنا حتى يجيء به اليك وانا لفاعلون يعنون بذلك وانا لفاعلون ما قلنا لك انا نفعله من مراودة أبينا عن أخينا منه ولنجتهدن كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وانا لفاعلون لنجتهدن وقوله وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم يقول تعالى ذكره وقال يوسف لفتيانه وهم غلمانه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقال لفتيانه أي لغلمانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم يقول اجعلوا أثمان الطعام التي أخذتموها منهم في رحالهم والرحال جمع رحل وذلك جمع الكثير فأما القليل من الجمع منه فهو أرحل وذلك جمع ما بين الثلاثة الى العشرة وبنحو الذي قلنا في معنى البضاعة قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة اجعلوا بضاعتهم في رحالهم أي أوراقهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثم أمر ببضاعتهم التي أعطاهم بها ما أعطاهم من الطعام فجعلت في رحالهم وهم لا يعلمون حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدي قال وقال لفتيته وهو يكيل لهم اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى أهلهم لعلهم يرجعون الي فان قال قائل ولأية علة أمر يوسف فتيانه أن يجعلوا بضاعة اخوته في رحالهم قيل يحتمل ذلك أوجها أحدها أن يكون خشي أن لا يكون عند أبيه دراهم اذ كانت السنة سنة جدب وقحط فيضر أخذ ذلك منهم به وأحب أن يرجع اليه أو أراد أن يتسع بها أبوه واخوته مع حاجتهم اليه فرده عليهم من حيث لا يعلمون سبب رده تكرما وتفضلا والثالث وهو أن يكون أراد بذلك أن لا يخلفوه الوعد في الرجوع اذا وجدوا في رحالهم ثمن طعام قد قبضوه وملكه عليهم غيرهم عوضا من طعامهم ويتحرجوا من امساكهم ثمن طعام قد قبضوه حتى يؤدوه على صاحبه فيكون ذلك أدعى لهم الى العود اليه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فلما رجعوا الى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل وانا له لحافظون﴾ يقول تعالى ذكره فلما رجع اخوة يوسف الى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل يقول منع منا الكيل فوق الكيل الذي كيل لنا ولم يكل لكل رجل منا الا كيل بعير فأرسل معنا أخانا بنيامين يكتل لنفسه كيل بعير آخر زيادة على كيل أباعرنا وانا له لحافظون من أن يناله مكروه في سفره وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدي فلما رجعوا الى أبيهم قالوا يا أبانا ان ملك مصر أكرمنا كرامة ما لو كان رجل من ولد يعقوب ما أكرمنا كرامته وانه ارتهن شمعون وقال ائتوني بأخيكم هذا الذي عكف عليه أبوكم بعد أخيكم الذي هلك فان لم تأتوني به فلا تقربوا بلادي قال يعقوب هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين قال فقال لهم يعقوب اذا أتيتم ملك مصر فاقرؤه مني السلام وقولوا ان أبانا يصلي عليك ويدعو لك بما أوليتنا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال خرجوا حتى قدموا على أبيهم وكان منزلهم فيما ذكر لي بعض أهل العلم بالعربات من أرض فلسطين بغور الشام وبعض يقول بالأولاج من ناحية الشعب أسفل من

انه يعود الى الرجل الناجي أي أنساه الشيطان ذكر يوسف لسيده أو عند سيده فاضافة الذكر الى الرب للملابسة لا لأجل أنه فاعل أو مفعول أو المضاف محذوف تقديره فأنساه ذكر اخبار ربه واسناد الانساء الى الشيطان مجاز لان الانساء عبارة عن ازالة العلم عن القلب والشيطان لا قدرة له على ذلك والا لأزال معرفة الله من قلوب بني آدم وانما فعله القاء الوسوسة واخطار الهواجس التي هي من أسباب النسيان ومنهم من قال الضمير راجع الى يوسف والمراد بالرب هو الله تعالى أي الشيطان أنسى يوسف أن يذكر الله تعالى وعلى القولين عوتب باللبث في السجن بضع سنين والبضع ما بين الثلاثة الى العشرة لأنه القطعة من العدد والبضع القطع ومثله العضب والأكثرون على أن المراد به في الآية سبع سنين وعن ابن عباس كان قد لبث خمس سنين وقد اقترب خروجه فلما تضرع الى ذلك الرجل لبث بعد ذلك سبع سنين وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك ما لبث في السجن وعن مالك أنه لما قال له اذكرني عند ربك قيل له يا يوسف اتخذت من دوني وكيلا لأطيلن حبسك فبكى يوسف وقال طول البلاء أنساني ذكر المولى فويل لاخوتي قال المحققون الاستعانة بغير الله في دفع الظلم جائزة فقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم يأخذه النوم ليلة من الليالي وكان يطلب من يحرسه حتى جاء سعد بن أبي وقاص فنام وقال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام من أنصاري الى الله ولا خلاف في جواز الاستعانة بالكفار في دفع الظلم والغرق والحرق الا أن يوسف عليه السلام عوتب على قوله اذكرني عند ربك لوجوه منها أنه لم يقتد بالخليل جده حين وضع في المنجنيق فلقيه جبرئيل في الهواء وقال هل من حاجة فقال أما اليك فلا مع أنه زعم أنه اتبع ملة آبائه ومنها أنه قال ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء وهذا يقتضي نفي الشرك على الاطلاق وتفويض الامر بالكلية الى الله سبحانه فقوله اذكرني عند ربك كالمناقض لهذا الكلام ومنها أنه قال عند ربك ومعاذ الله أنه زعم أنه الرب بمعنى الاله الا أن اطلاق هذا اللفظ على غير الله لا يليق بمثله وان كان رب الدار ورب الغلام مستعملا في كلامهم ومنها

انه لم يقرن بكلامه ان شاء الله ولما دنا فرج يوسف أرى الله الملك فى المنام سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا أخر يابسات قد استحصدت وأدركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فاضطرب الملك بسببه لان فطرته قد شهدت بأن استيلاء الضعيف على القوى ينذر بنوع من أنواع الشر الا أنه لم يعرف تفصيله والشئ اذا علم من بعض الوجوه عظم الشوق الى تكميل تلك المعرفة ولاسيما اذا كان صاحبه ذا قدرة وتمكين فهذا الطريق أمر الملك بجمع الكهنة والمعبرين وقال (يا أيها الملأ أفتونى فى رؤياى) ثم انه تعالى اذا أراد أمرا هيأ أسبابه فأعجز الله أولئك الملأ عن جواب المسألة وعماه عليهم حتى (قالوا) انها (أضغاث أحلام) ونفوا عن أنفسهم كونهم عالمين بتأويلها واعلم أن الله سبحانه خلق جوهر النفس الناطقة بحيث يمكنها الصعود الى عالم الافلاك ومطالعة اللوح المحفوظ الا أن المانع لها عن ذلك فى اليقظة هو اشتغالها بتدبير البدن وبما يرد عليها من طريق الحواس وفى وقت النوم تقل تلك الشواغل فتقوى النفس على تلك المطالعة فاذا وقفت الروح على حالة من تلك الاحوال فان بقيت فى الخيال كما شوهدت لم يحتج الى التأويل وان نزلت آثار مخصوصة مناسبة لذلك الادراك الروحانى الى عالم الخيال فهناك يفتقر الى المعبر ثم منها ما هى متسقة منتظمة يسهل على المعبر الانتقال من تلك المتخيلات الى الحقائق الروحانيات ومنها ما تكون مختلطة مضطربة لا يضبط تحليلها وتركيبها التشويش وقع فى ترتيبها وتأليفها فهى المسماة بالاضغاث وبالحقيقة الأضغاث ما يكون مبدؤها تشويش القوة المتخيلة لفساد وقع فى القوى البدنية أو لورود أمر غريب عليه من خارج لكن القسم المذكور قد يعد من الاضغاث من حيث انها أعيت المعبرين عن تأويلها ولنشتغل بتفسير الألفاظ أما الملك فريان ابن الوليد ملك مصر وقوله انى أرى حكاية حال ماضية وسمان جمع سمينة وسمين وسمينة يجمع على سمان كما يقال رجال كرام ونسوة

من حسمى وكان صاحب بادية له شاء وابل فقالوا يا أبانا قدمنا على خير رجل أنزلنا فأكرم منزلنا وكال لنا فأوفانا ولم يبخسنا وقد أمرنا أن نأتيه بأخ لنا من أبينا وقال ان أنتم لم تفعلوا فلا تقربنى ولا تدخلن بلدى فقال لهم يعقوب هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين واختلفت القراء فى قراءة قوله نكتل فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة وبعض أهل مكة والكوفة نكتل بالنون بمعنى نكتل نحن وهو وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة يكتل بالياء بمعنى يكتل هو لنفسه كما نكتال لأنفسنا والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان متفقتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب وذلك أنهم انما أخبروا أباهم أنه منع منهم زيادة الكيل على عدد رؤسهم فقالوا يا أبانا منع منا الكيل ثم سألوه أن يرسل معهم أخاهم ليكتال لنفسه فهو اذا اكتال لنفسه واكتالوا هم لانفسهم فقد دخل الاخ فى عددهم فسواء كان الخبر بذلك عن خاصة نفسه أو عن جميعهم بلفظ الجميع اذ كان مفهوما معنى الكلام وما أريد به * القول فى تأويل قوله تعالى (قال هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل فالله خير حفظا وهو أرحم الراحمين) يقول تعالى ذكره قال أبوهم يعقوب هل آمنكم على أخيكم من أبيكم الذى تسألونى أن أرسله معكم الا كما أمنتكم على أخيه يوسف من قبل يقول من قبله واختلفت القراء فى قراءة قوله فالله خير حفظا فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة وبعض الكوفيين والبصريين فالله خير حفظا بمعنى والله خيركم حفظا وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين وبعض أهل مكة فالله خير حافظا بالالف على توجيه الحافظ الى أنه تفسير للخير كما يقال هو خير رجلا والمعنى فالله خيركم حافظا ثم حذفت الكاف والميم والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى قد قرأ بكل واحدة منهما أهل علم بالقرآن فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وذلك أن من وصف الله بأنه خيرهم حفظا فقد وصفه بأنه خيرهم حافظا ومن وصفه بأنه خيرهم حافظا فقد وصفه بأنه خيرهم حفظا وهو أرحم الراحمين يقول والله أرحم راحم بخلقه يرحم ضعفى على كبر سنى ووحدتى بفقد ولدى فلا يضيعه ولكنه يحفظه حتى يرده على لرحمته * القول فى تأويل قوله تعالى (ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا أبانا ما نبغى هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير) يقول تعالى ذكره ولما فتح اخوة يوسف متاعهم الذى حملوه من مصر من عند يوسف وجدوا بضاعتهم وذلك ثمن الطعام الذى اكتالوه منه ردت اليهم قالوا يا أبانا ما نبغى هذه بضاعتنا ردت الينا يعنى أنهم قالوا لابيهم ماذا نبغى هذه بضاعتنا ردت الينا تطييبا منهم لنفسه بما صنع بهم فى رد بضاعتهم اليه واذا وجه الكلام الى هذا المعنى كانت ما استفهاما فى موضع نصب بقوله نبغى والى هذا التأويل كان يوجهه قتادة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ما نبغى يقول ما نبغى وراء هذا ان بضاعتنا ردت الينا وقد أوفى لنا الكيل وقوله ونمير أهلنا يقول ونطلب لاهلنا طعاما فنشتريه لهم يقال منه مار فلان أهله يميرهم ميرا ومنه قول الشاعر

بعثتك مائرا فمكثت حولا * متى يأتى غياثك من تغيث

ونحفظ أخانا الذى ترسله معنا ونزداد كيل بعير يقول ونزداد على أحمالنا الطعام حمل بعير يكال لنا ما حمل بعير آخر من ابلنا ذلك كيل يسير يقول هذا حمل يسير كما حدثنى الحرث قال ثنا القاسم

قال

قال ثنا حجاج عن ابن جريج ونزداد كيل بعير قال كان لكل رجل منهم حمل بعير فقالوا أرسل معنا أخانا نزداد حمل بعير وقال ابن جريج قال مجاهد كيل بعير حمل حمار قال وهى لغة قال القاسم يعنى مجاهد أن الحمار يقال له فى بعض اللغات بعير حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ونزداد كيل بعير يقول حمل بعير حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ونزداد كيل بعير نعدله بعيرا مع ابلنا ذلك كيل يسير ❊ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتننى به الا أن يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل﴾ يقول تعالى ذكره قال يعقوب لبنيه لن أرسل أخاكم معكم الى ملك مصر حتى تؤتون موثقا من الله يقول حتى تعطون موثقا من الله بمعنى الميثاق وهو ما يوثق به من يمين وعهد لتأتننى به يقول لتأتننى بأخيكم الا أن يحاط بكم يقول الا أن يحيط بجميعكم ما لا تقدرون معه على أن تأتونى به وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فلما آتوه موثقهم قال عهدهم حدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله الا أن يحاط بكم الا أن تهلكوا جميعا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ❊ قال وحدثنا اسحق قال أخبرنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة الا أن يحاط بكم قال الا أن تغلبوا حتى لا تطيقوا ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قوله الا أن يحاط بكم الا أن يصيبكم أمر يذهب بكم جميعا فيكون ذلك عذرا لكم عندى وقوله فلما آتوه موثقهم يقول فلما أعطوه عهودهم قال يعقوب الله على ما نقول أنا وأنتم وكيل يقول هو شهيد علينا بالوفاء بما نقول جميعا ❊ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقال يا بنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغنى عنكم من الله من شئ ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون﴾ يقول تعالى ذكره قال يعقوب لبنيه لما أرادوا الخروج من عنده الى مصر ليمتاروا الطعام يا بنى لا تدخلوا مصر من طريق واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وذكر أنه قال ذلك لهم لانهم كانوا رجالا لهم جمال وهيئة فخاف عليهم العين اذا دخلوا جماعة من طريق واحد وهم ولد رجل واحد فأمرهم أن يفترقوا فى الدخول اليها كما حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا يزيد الواسطى عن جويبر عن الضحاك لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة قال خاف عليهم العين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا بنى لا تدخلوا من باب واحد خشى نبى الله صلى الله عليه وسلم العين على بنيه كانوا ذوى صورة وجمال حدثنا محمد ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وادخلوا من أبواب متفرقة قال كانوا قد أوتوا صورة وجمالا فخشى عليهم أنفس الناس حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وقال يا بنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة قال رهب يعقوب عليه السلام عليهم العين حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله لا تدخلوا من باب واحد

كرام قال النحويون اذا وصف المميز فالأولى أن يوقع الوصف وصفا للمميز كما فى الآية دون العدد لأنه ليس بمقصود بالذات فلهذا قيل سمان بالجر ليكون وصفا البقرات ويحصل التمييز لسبع بنوع من البقرات وهى السمان منهن ولو نصب جعل تمييز السبع بجنس البقرات أولا ثم يعلم من الوصف أن المميز بالجنس موصوف بالسمن والعجف هو الهزال الذى ليس بعده هزال والنعت أعجف وعجفاء وهما لا يجمعان على فعال ولكنه حمل على سمان لانه نقيضه وقوله سبع عجاف تقديره بقرات سبع عجاف فحذف للعلم به كما فى قوله وأخر يابسات التقدير وسبعا أخر لانصباب المعنى الى هذا العدد وانما لم يقل سبع عجاف على الاضافة لان البيان لا يقع بالوصف وحده وقولهم ثلاثة فرسان وخمسة أصحاب لانه وصف جرى مجرى الاسم ولا يجوز أن يكون قوله وأخر مجرورا عطفا على سنبلات لان لفظ الأخر يأباه ويبطل مقابلة السبع بالسبع وأراد بالملأ الاعيان من العلماء والحكماء واللام فى للرؤيا للبيان كما قلنا فى وكانوا فيه من الزاهدين أولان عمل العامل فيما تقدم عليه يضعف فيعضد باللام كما يعضد اسم الفاعل بها وان تأخر معموله أولان قوله للرؤيا خبر كان كقوله هو لهذا الأمر أى متمكن منه مستقل به وتعبرون خبر آخر أو حال أو تضمن تعبرون معنى تنتدبون لعبارة الرؤيا والفصيح عبرت الرؤيا بالتخفيف وقد يشدد واشتقاقه من العبر بالكسر والسكون وهو جانب النهر فيقال عبرت النهر اذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه وعبرت الرؤيا اذا تأملت ناحيتها وانتقلت من أحد الطرفين الى الآخر والأضغاث جمع ضغث وهو الحزمة من أنواع النبت والحشيش مما طال ولم يقم على ساق والاضافة بمعنى من أى أضغاث من أحلام والصيغة للجمع ولكن الواحد قد يوصف به كما قال رمح أقصاد وبرمة أعشار فالمراد هى حلم أضغاث أحلام وقد يطلق الجمع ويراد به الواحد كقولهم فلان يركب الخيل ويلبس العمائم وان لم يركب الا فرسا واحدا ولم يلبس الا عمامة واحدة ويجوز أن يكون قد قص عليهم أحلاما أخر واللام

في الاحلام اما للعهد كانهم أرادوا المنامات الباطلة او للجنس وأرادوا أنهم غير متبحرين في علم تأويل الرؤيا ولما أعضل على الملا تأويل رؤيا
الملك تذكر الناجي يوسف وتأويله رؤياه ورؤيا صاحبه المصلوب وتذكر قوله اذكرني عند ربك وذلك قوله سبحانه (وادكر) وأصله اذتكر
قلبت التاء والذال كلاهما دالا مهملة وأدغمت (بعد أمة) أى بعد حين كأنها حصلت من اجتماع

خشي يعقوب على ولده العين حدثنا ابن وكيع قال ثنا زيد بن الحباب عن أبي معشر عن محمد بن كعب لا تدخلوا من باب واحد قال خشي عليهم العين * قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى قال خاف يعقوب صلى الله عليه وسلم على بنيه العين فقال يا بنى لا تدخلوا من باب واحد فيقال هؤلاء لرجل واحد ولكن ادخلوا من أبواب متفرقة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما أجمعوا الخروج يعني ولد يعقوب قال يعقوب يا بنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة خشي عليهم أعين الناس لهيبتهم وأنهم لرجل واحد وقوله وما أغنى عنكم من الله من شئ يقول وما أقدر أن أدفع عنكم من قضاء الله الذى قد قضاه عليكم من شئ صغير ولا كبير لان قضاءه نافذ في خلقه ان الحكم الا لله يقول ما القضاء والحكم الا لله دون ما سواه من الأشياء فانه يحكم في خلقه بما يشاء فينفذ فيهم حكمه ويقضى فيهم ولا يرد قضاؤه عليه توكلت يقول على الله توكلت فوثقت به فيكم وفى حفظكم على حتى يردكم الى وأنتم سالمون معافون لا على دخولكم مصر اذا دخلتموها من أبواب متفرقة وعليه فليتوكل المتوكلون يقول والى الله فليفوض أمورهم المفوضون

القول في تأويل قوله تعالى (ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغنى عنهم من الله من شئ الا حاجة في نفس يعقوب قضاها وانه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يقول تعالى ذكره ولما دخل ولد يعقوب من حيث أمرهم أبوهم وذلك دخولهم مصر من أبواب متفرقة ما كان يغنى دخولهم اياها كذلك عنهم من قضاء الله الذى قضاه فيهم فحتمه من شئ الا حاجة في نفس يعقوب قضاها الا أنهم قضوا وطر يعقوب بدخولهم لا من طريق واحد خوفا من العين عليهم فاطمأنت نفسه أن يكونوا أوتوا من قبل ذلك أو نالهم من أجله مكروه كما حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الا حاجة في نفس يعقوب قضاها خيفة العين على بنيه حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الا حاجة في نفس يعقوب قضاها قال خشية العين عليهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قوله الا حاجة في نفس يعقوب قضاها قال ما تخوف على بنيه من أعين الناس لهيبتهم وعدتهم وقوله وانه لذو علم لما علمناه يقول تعالى ذكره وان يعقوب لذو علم لتعليمنا اياه وقيل معناه وانه لذو حفظ لما استودعنا صدره من العلم واختلف عن قتادة في ذلك فحدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وانه لذو علم لما علمناه أى مما علمناه حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن سفيان عن ابن أبي عروبة عن قتادة وانه لذو علم لما علمناه قال انه لعامل بما علم * قال المثنى قال اسحق قال عبد الله قال سفيان انه لذو علم مما علمناه وقال من لا يعمل لا يكون عالما ولكن أكثر الناس لا يعلمون يقول جل ثناؤه ولكن كثيرا من الناس غير يعقوب لا يعلمون ما يعلمه لانا حرمناه ذلك فلم يعلمه

القول في تأويل قوله تعالى (ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه قال انى أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون) يقول تعالى ذكره ولما دخل ولد يعقوب على يوسف آوى اليه أخاه يقول ضم اليه أخاه لابيه وأمه وكان أخوه
لابيه

أيام كثيرة وقرئ بكسر الهمزة وهي النعمة أي بعد ما أنعم عليه بالنجاة وقرئ بعد أمه بوزن عمه ومعنى و(أنا أنبئكم بتأويله) أخبركم به عمن عنده علمه (فارسلون) اليه لأسأله والخطاب للملك والجمع للتعظيم أوله وللملا حوله والمعنى مروني باستعباره وعن ابن عباس لم يكن السجن في المدينة وههنا اضمار والمراد فأرسلوه الى يوسف فأتاه فقال (يوسف) أي يا يوسف (أيها الصديق) البليغ الكامل في الصدق وصفه بهذه الصفة لانه تعرف أحواله من قبل وفيه أنه يجب على المتعلم تقديم ما يفيد المدح لمعلمه وانما أعاد عبارة الملك بعينها لأن التعبير يختلف باختلاف العبارات وقوله (لعلى أرجع) فيه نوع من حسن الادب لانه لم يقطع بأنه يعيش الى أن يعود اليهم وعلى تقدير أن يعيش فربما عرض له ما يمنعه عن الوصول اليهم من الموانع التى لا تحصى كثرة وكذا في قوله (لعلهم يعلمون) فضلك ومكانك من العلم فيخلصوك أو يعلمون فتواك فيكون فيه نوع شك لانه رأى عجز سائر المعبرين وقيل كرر لعل مراعاة لفواصل الآى والا كان مقتضى النسق لعلى أرجع الى الناس فيعلموا ومثله في هذه السورة لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى أهلهم لعلهم يرجعون (قال) يوسف في جواب الفتوى (تزرعون سبع سنين) وهو خبر في معنى الامر يفيد المبالغة في ايجاب ايجاد المأمور به قال في الكشاف والدليل على كونه في معنى الامر قوله فذروه في سنبله وأقول يمكن أن يكون قوله تزرعون اخبارا عما سيوجد منهم في زمن الغيث والمطر لان الزرع يلزم بنزول الامطار عادة وقوله فما حصدتم ارشاد لهم الى الاصلح لهم في ذلك الوقت و (دأبا) بتسكين الهمزة

وبحريكها مصدر دأب في العمل اذا استمر عليه وانتصابه على الحال أي تزرعون ذوي دأب أو على المصدر والعامل فعله أي تدأبون دأبا وانما أمرهم بأن يتركوه في السنابل الا القدر الذي يأكلونه في الحال لئلا يقع فيه السوس (ثم يأتي من بعد ذلك) فيه دليل على أن تزرعون اخبار لا أمر (سبع) سنين (شداد) على الناس (يأكلن ما قدمتم

لهن) من الاسناد المجازي لان

لابيه كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدي ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه قال عرف أخاه فأنزلهم منزلا وأجرى عليهم الطعام والشراب فلما كان الليل جاءهم بمثل فقال لينم كل أخوين منكم على مثال فلما بقي الغلام وحده قال يوسف هذا ينام معي على فراشي فبات معه فجعل يوسف يشم ريحه ويضمه اليه حتى أصبح وجعل روبيل يقول ما رأينا مثل هذا أريحونا منه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما دخلوا يعني ولد يعقوب على يوسف قالوا هذا أخونا الذي أمرتنا أن نأتيك به قد جئناك به فذكر لي أنه قال لهم قد أحسنتم وأصبتم وستجدون ذلك عندي أو كما قال ثم قال اني أراكم رجالا وقد أردت أن أكرمكم ودعا صاحب ضيافته فقال أنزل كل رجلين على حدة ثم أكرمهما وأحسن ضيافتهما ثم قال اني أرى هذا الرجل الذي جئتم به ليس معه ثان فسأضمه الي فيكون منزله معي فأنزلهم رجلين رجلين في منازل شتى وأنزل أخاه معه فآواه اليه فلما خلا به قال اني أنا أخوك أنا يوسف فلا تبتئس بشيء فعلوه بنا فيما مضى فان الله قد أحسن الينا ولا تعلمهم شيأ مما أعلمتك يقول الله ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه قال اني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه ضمه اليه وأنزله وهو بنيامين حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثني عبد الصمد بن معقل قال سمعت وهب بن منبه يقول وسئل عن قول يوسف ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه قال اني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون كيف أجابه حين أخذ بالصواع وقد كان أخبره أنه أخوه وأنتم تزعمون أنه لم يزل متنكرا لهم يكايدهم حتى رجعوا فقال انه لم يعترف له بالنسبة ولكنه قال أنا أخوك مكان أخيك الهالك فلا تبتئس بما كانوا يعملون يقول لا يحزنك مكانه وقوله فلا تبتئس يقول فلا تستكن ولا تحزن وهو فلا تفتعل من البؤس يقال منه ابتأس يبتئس ابتئاسا ۞ وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلا تبتئس يقول فلا تحزن ولا تيأس حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثني عبد الصمد قال سمعت وهب بن منبه يقول فلا تبتئس يقول لا يحزنك مكانه حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدي فلا تبتئس بما كانوا يعملون يقول لا تحزن على ما كانوا يعملون فتأويل الكلام اذا فلا تحزن ولا تستكن لشيء سلف من اخوتك اليك في نفسك وفي أخيك من أمك وما كانوا يفعلون قبل اليوم بك ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير انكم لسارقون) يقول ولما حمل يوسف ابل اخوته أحمالهم من الميرة وقضى حاجتهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلما جهزهم بجهازهم يقول لما قضى لهم حاجتهم ووفاهم كيلهم وقوله جعل السقاية في رحل أخيه يقول جعل الاناء الذي يكيل به الطعام في رحل أخيه والسقاية هي المشربة وهي الاناء الذي كان يشرب فيه الملك ويكيل به الطعام وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك

الآكلين أهل تلك السنين لا السنون (الا قليلا مما تحصنون) تحرزون وتخبؤون والاحصان جعل الشيء في الحصن كالاحراز جعل الشيء في الحرز أخبر أنه يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس من الغوث أو من الغيث يقال غيثت البلاد اذا مطرت (وفيه يعصرون) العنب والزيتون والسمسم وقيل يحلبون الضروع تأول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بالسنين ثم بشرهم بالبركة في العام الثامن فقال المفسرون انه قد عرف ذلك بالوحي عن قتادة زاده الله علم سنة وقيل عرف استدلالا فليس بعد انتهاء الجدب الا الخصب والجواب أنه لا يلزم من انتهاء الجدب الخصب والخير الكثير فقد يكون توسط الحال وأيضا في قوله وفيه يعصرون نوع تفصيل لا يعرف الا بالوحي ولما رجع الشرابي الى الملك وعرض عليه التعبير استحسنه وقال (ائتوني به) فجعل الله سبحانه علمه مبدأ الخلاص من المحنة الدنيوية فيعلم منه أن العلم سبب للخلاص من المحن الاخروية أيضا (فلما جاءه الرسول) وهو الشرابي فقال أجب الملك (قال) يوسف (ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن) ما شأنهن وما حالهن (ان ربي) أي الله العالم بخفيات الامور أو العزيز الذي رباه (بكيدهن عليم) وعلى الاول أراد انه كيد عظيم لا يعلمه الا الله لبعد غوره أو استشهد بعلم الله على أنهن كذبة أو أراد الوعيد أي هو عليم بكيدهن فيجازيهن عليه وكيدهن ترغيبهن اياه في مواقعة سيدته أو تقبيح صورته عند العزيز حتى يرضى بسجنه ومن لطائف الآية أنه أراد فاسأل الملك أن يسأل ما بالهن الا أنه راعى الادب فاقتصر على سؤال الملك

حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عفان قال ثنا عبد الواحد عن يونس عن الحسن أنه كان يقول الصواع والسقاية سواء هو الاناء الذى يشرب فيه * قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد السقاية والصواع شئ واحد كان يشرب فيه يوسف * قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال السقاية الصواع الذى يشرب فيه يوسف حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة جعل السقاية قال مشربة الملك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة السقاية فى رحل أخيه وهو اناء الملك الذى كان يشرب فيه حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وهى السقاية التى كان يشرب فيها الملك يعنى مكوكه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله جعل السقاية وقوله صواع الملك قال هما شئ واحد السقاية والصواع شئ واحد يشرب فيه يوسف حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سلمين قال سمعت الضحاك يقول فى قوله جعل السقاية فى رحل أخيه هو الاناء الذى كان يشرب فيه الملك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله جعل السقاية فى رحل أخيه قال السقاية هو الصواع وكان كأسا من ذهب فيما يذكرون قوله فى رحل أخيه فانه يعنى فى متاع أخيه ابن أمه وأبيه وهو بنيامين وكذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى رحل أخيه أى فى متاع أخيه وقوله ثم أذن مؤذن يقول ثم نادى مناد وقيل أعلم معلم أيتها العير وهى القافلة فيها الأحمال انكم لسارقون وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية فى رحل أخيه والأخ لا يشعر فلما ارتحلوا أذن مؤذن قبل أن ترتحل العير انكم لسارقون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثم جهزهم بجهازهم وأكرمهم وأعطاهم وأوفاهم وحمل لهم بعيرا بعيرا وحمل لأخيه بعيرا باسمه كما حمل لهم ثم أمر بسقاية الملك وهو الصواع وزعموا أنها كانت من فضة فجعلت فى رحل أخيه بنيامين ثم أمهلهم حتى اذا انطلقوا وأمعنوا من القرية أمر بهم فأدركوا فاحتبسوا ثم نادى مناد أيتها العير انكم لسارقون قفوا وانتهى اليهم رسوله فقال لهم فيما يذكرون ألم نكرم ضيافتكم ونوفكم كيلكم ونحسن منزلتكم ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم وأدخلناكم علينا فى بيوتنا ومنازلنا أو كما قال لهم قالوا بلى وما ذاك قال سقاية الملك فقدناها ولا نتهم عليها غيركم قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين وقوله أيتها العير قد بينا فيما مضى معنى العير وهو جمع لا واحد له من لفظه وحكى عن مجاهد أن عير بنى يعقوب كانت حميرا حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن سفيان عن ابن جريج عن مجاهد أيتها العير قال كانت حميرا حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان قال ثنى رجل عن مجاهد فى قوله أيتها العير انكم لسارقون قال كانت

عن كيفية الواقعة فان ذلك مما يهيجه على البحث والتفتيش ومنها أنه لم يذكر سيدته بسوء بل ذكر النسوة على التعميم ومع ذلك راعى جانبهن أيضا فوصفهن بتقطيع الايدى فقط لا بالترغيب فى الخيانة عن النبى صلى الله عليه وسلم لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى أشترط أن يخرجونى ولقد عجبت منه حين أتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت فى السجن ما لبث لأسرعت الاجابة وبادرتهم الباب ولما ابتغيت العذر ان كان لحليما ذا أناة قال العلماء ان الذى عمله يوسف هو اللائق بالحزم والعقل لانه لو خرج فى الحال فربما بقى فى قلب الملك من تلك التهمة أثر ولعل الحساد يتساقون بذلك الى تقبيح أمره عنده وفى هذا التأنى والتثبت تلاف لما صدر منه فى قوله للشرابى اذكرنى عند ربك (قال) الملك بعد احضار النسوة (ما خطبكن) ما شأنكن العظيم (اذ راودتن يوسف) هل وجدتن منه ميلا اليكن أو الى زليخا قيل الخطاب لزليخا والجمع للتعظيم وقيل خاطبهن جميعا لأن كل واحدة منهن راودت يوسف لنفسها أو لأجل امرأة العزيز (قلن حاش لله) تعجبا من عفته ونزاهته (قالت امرأت العزيز) حين عرفت أن لا بد من الاعتراف (الآن حصحص الحق) وضح وانكشف وتمكن فى القلوب من قولهم حصحص البعير اذا ألقى ثفناته للاناخة والاستقرار على الارض وقال الزجاج اشتقاقه من الحصة أى بانت حصة الحق من حصة الباطل أما قوله سبحانه (ذلك ليعلم) الى تمام الآيتين ففيه قولان الاول وعليه الاكثرون أنه حكاية قول يوسف قال الفراء ولا يبعد وصل كلام انسان بكلام انسان آخر اذا دلت القرينة الصارفة لكل منهما الى ما يليق به والاشارة الى الحادثة الحاضرة بقوله ذلك لأجل التعظيم والمراد ما ذكر من رد الرسول والتثبت واظهار البراءة وعن ابن عباس أنه لما دخل على الملك قال ذلك والاظهر أنه قال ذلك فى السجن عند عود الرسول اليه ومحل بالغيب نصب على الحال من الفاعل

العير جيرا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم﴾ يقول تعالى ذكره قال بنو يعقوب لما نودوا أيتها العير انكم لسارقون وأقبلوا على المنادى ومن بحضرتهم يقولون لهم ماذا تفقدون ما الذى تفقدون قالوا نفقد صواع الملك يقول فقال لهم القوم نفقد مشربة الملك واختلفت القراء فى قراءة ذلك فذكر عن أبى هريرة أنه قرأه صاع الملك بغير واو كأنه وجهه الى الصاع الذى يكال به الطعام وروى عن أبى رجاء أنه قرأه صوع الملك وروى عن يحيى بن يعمر أنه قرأه صوغ الملك بالغين كأنه وجهه الى أنه مصدر من قولهم صاغ يصوغ صوغا وأما الذى عليه قراء الامصار فصواع الملك وهى القراءة التى لا أستجيز القراءة بخلافها لاجماع الحجة عليها والصواع هو الاناء الذى كان يوسف يكيل به الطعام وكذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى هذا الحرف صواع الملك قال كهيئة المكوك قال وكان للعباس مثله فى الجاهلية يشرب فيه حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله صواع الملك قال كان من فضة مثل المكوك وكان للعباس منها واحد فى الجاهلية حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن شريك عن سماك عن عكرمة فى قوله قالوا نفقد صواع الملك قال كان من فضة حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم عن أبى بشر عن سعيد بن جبير أنه قرأ صواع الملك قال وكان اناء الذى يشرب فيه وكان الى الطول ماهو حدثنا ابن وكيع قال ثنا سويد بن عمرو عن أبى عوانة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير صواع الملك قال المكوك الفارسى حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا أبو عوانة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير قال صواع الملك قال هو المكوك الفارسى الذى يلتقى طرفاه كانت تشرب فيه الاعاجم .. قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن مغراء عن جويبر عن الضحاك فى قوله صواع الملك قال اناء الملك الذى كان يشرب فيه حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا يحيى يعنى ابن عباد قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال صواع الملك مكوك من فضة يشربون فيه وكان للعباس واحد فى الجاهلية حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة صواع الملك اناء الملك الذى يشرب فيه حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا سعيد بن منصور قال ثنا أبو عوانة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير فى قوله صواع الملك قال هو المكوك الفارسى الذى يلتقى طرفاه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال الصواع كان يشرب فيه يوسف حدثنا محمد بن معمر البحرانى قال ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال ثنا صدقة بن عباد عن أبيه عن ابن عباس صواع الملك قال كان من نحاس وقوله ولمن جاء به حمل بعير يقول ولمن جاء بالصواع حمل بعير من الطعام كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولمن جاء به حمل بعير يقول وقر بعير حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا

أى وأنا غائب عنه أو من المفعول أى وهو غائب عنى أو على الظرف أى بمكان الغيب وهو الاستتار وراء الابواب المغلقة قيل هذه الخيانة قد وقعت فى حق العزيز فكيف قال ذلك ليعلم الملك وأجيب بأنه اذا خان وزيره فقد خان الملك من بعض الوجوه أو أراد ليعلم الله لأن المعصية خيانة أو المراد ليعلم الملك أنى لم أخن العزيز أو ليعلم العزيز أنى لم أخنه ولعلم أن الله لا يهدى كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده وفيه تعريض بامرأته الخائنة وبالعزيز حين ساعدها بعد ظهور الآيات على حبسه فكأنه خان حكم الله وفيه تأكيد لأمانته وأنه لو كان خائنا لم يهد الله كيده ولا يخفى أن هذه الكلمات من يوسف مع الشهادة الجازمة والاعتراف الصريح من المرأة دليل على نزاهة يوسف عليه السلام من كل سوء قال أهل التحقيق انه لما راعى حرمة سيدته فى قوله ما بال النسوة اللاتى دون أن يقول ما بال زليخا أرادت أن تكافئه على هذا الفعل الحسن فلا جرم أزالت الغطاء واعترفت بأن الذنب كله منها فنظيره ما يحكى أن امرأة جاءت بزوجها الى القاضى وادعت عليه المهر فأمر القاضى بأن يكشف عن وجهها حتى يتمكن الشهود من من أداء الشهادة فقال الزوج لا حاجة الى ذلك فانى مقر بصدقها فى دعواها فقالت المرأة لما أكرمنى الى هذا الحد فاشهدوا أنى أبرأت ذمته من كل حق لى عليه ولما كان قول يوسف عليه السلام ذلك ليعلم جاريا مجرى تزكية النفس على الاطلاق أو فى هذه الواقعة وقد قال تعالى فلا تزكوا أنفسكم أتبع ذلك قوله (وما أبرئ نفسى ان النفس) أى هذا الجنس (لأمارة بالسوء) مائلة الى القبائح راغبة فى المعاصى وفيه أن ترك الخيانة ما كان حظ النفس وشربها ولكن كان بتوفيق الله تعالى وتسهيله وصرفه (الا ما رحم ربى) الا البعض الذى رحمه ربى بالعصمة كالملائكة أو المراد أنها أمارة بالسوء فى كل وقت وأوان الا وقت رحمة ربى أو الاستثناء منقطع أى ولكن رحمة ربى هى التى تصرف الاساءة القول الثانى أنه حكاية قول المرأة لان يوسف عليه السلام ما كان حاضرا فى ذلك المجلس والمعنى وان كنت أحلت عليه الذنب عند

حضوره ولكني ما أحلته عليه في غيبته حين كان في السجن وأن الله لا يهدي فيه تعريض بأنها لما أقدمت على المكر فلا جرم افتضحت وأنه لما كان بريئا من الذنب لا جرم طهره الله منه وما أبرئ نفسي من الخيانة مطلقا فاني قد خنته حين قلت ما جزاء من أراد بأهلك سوأ وأودعته السجن ثم انها اعتذرت عما كان منها فقالت ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربي كنفس يوسف (ان ربي غفور رحيم) أو استغفرت ربها واسترحمته عما ارتكبت قال المحققون النفس الانسانية شئ واحد فاذا مالت الى العالم العلوي كانت مطمئنة واذا مالت الى العالم السفلي والى الشهوة والغضب سميت أمارة وهذا في أغلب أحوالها لالفها الى العالم الحسي وقرارها فيه فلا جرم اذا خليت وطباعها انجذبت الى هذه الحالة فلهذا قيل انها من حيث هي أمارة بالسوء واذا كانت منجذبة مرة الى العالم العلوي ومرة الى العالم السفلي سميت لوامة ومنهم من زعم أن النفس المطمئنة هي الناطقة العلوية والنفس الامارة منطبعة في البدن تحمله على الشهوة والغضب وسائر الاخلاق الرذيلة وتمسكت الاشاعرة بقوله الا ما رحم ظاهرا لانه دل على أن صرف النفس عن السوء بخلق الله وتكوينه وحملته المعتزلة على منح الالطاف والله أعلم بالحقائق

﴿التأويل﴾ لما أدخل يوسف القلب سجن الشريعة دخل معه غلامان لملك الروح هما النفس والبدن فان الروح العلوي لا يعمل عملا في السفل الدنيوي الا من مشرب النفس فهي صاحب شرابه والبدن هي من الاعمال الصالحة ما يصلح لغذاء الروح فان الروح لا يبقى الا بغذاء روحاني كما أن الجسم لا يبقى الا بغذاء جسماني وانما حبسا في سجن الشريعة لانهما متهمان بجعل سم الهوى والمعصية في شراب ملك الروح وطعامه وفي رؤياهما دلالة على أنهما قلبت

من الدنيا وأهل الدنيا نيام فاذا ماتوا انتبهوا انا نراك من المحسنين الذين يعبدون الله عيانا وشهودا اني تركت ملة قوم فيه اشارة الى أن القلب مهما ترك ملة النفس والهوى والطبيعة علمه الله علم الحقيقة أما أحدكما فيسقي ربه أي سيده بأقداح المعاملات والمجاهدات

أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى حمل بعير قال حمل طعام(١) وهي لغة حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال وحدثنا اسحق قال ثنا عبدالله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله حمل بعير قال حمل طعام وهي لغة حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال قوله حمل بعير قال حمل حمار وقوله وأنا به زعيم يقول وأنا بأن أوفيه حمل بعير من الطعام اذا جاءني بصواع الملك كفيل . و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني على قال ثنا عبدالله قال ثني معاوية عن على عن ابن عباس قوله وأنا به زعيم يقول كفيل حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وأنا به زعيم الزعيم هو المؤذن الذي قال أيتها العير حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بكر وأبو خالد الأحمر عن ابن جريج قال بلغني عن مجاهد ثم ذكر نحوه حدثنا ابن بشار قال ثنا عبدالرحمن بن مهدي قال ثنا عبدالواحد بن زياد عن ورقاء بن اياس عن سعيد بن جبير وأنا به زعيم قال كفيل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأنا به زعيم أي وأنا به كفيل حدثنا محمد بن عبدالأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وأنا به زعيم قال كفيل حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد الأحمر عن جويبر عن الضحاك وأنا به زعيم قال كفيل حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك فذكر مثله حدثني الحرث قال ثنا عبدالعزيز عن سفيان عن رجل عن مجاهد وأنا به زعيم قال كفيل حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لهم الرسول انه من جاء به فله حمل بعير وأنا به كفيل بذلك حتى أؤديه اليه ومن الزعيم الذي يعني الكفيل قول الشاعر

فلست بآمر فيها بسلم * ولكني على نفسي زعيم

وأصل الزعيم في كلام العرب القائم بأمر القوم وكذلك الكفيل والحميل ولذلك قيل رئيس القوم زعيمهم ومدبرهم يقال منه قد زعم فلان زعامة وزعاما ومنه قول ليلى الأخيلية

حتى اذا برز اللواء رأيته * تحت اللواء على الخميس زعيما

القول في تأويل قوله تعالى ﴿قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين﴾ يقول تعالى ذكره قال اخوة يوسف تالله يعني والله وهذه التاء في تالله انما هي واو قلبت تاء كما فعل ذلك في التورية وهي من وريت والتراث وهي من ورثت والتخمة وهي من الوخامة قلبت الواو في ذلك كله تاء والواو في هذه الحروف كلها من الاسماء وليست كذلك في تالله لانها انما هي واو القسم وانما جعلت تاء لكثرة ما جرى على ألسن العرب في الأيمان في قولهم والله فخصت في هذه الكلمة بان

(١) أي حمل حمار من طعام الخ وهو المراد بقوله وهي لغة كما تقدم عنه اهـ كتبه مصححه

قلبت تاء ومن قال ذلك فى اسم الله فقال تالله لم يقل تالرحمن وتالرحيم ولا مع شئ من أسماء الله ولا مع شئ مما يقسم به ولا يقال ذلك الا فى تالله وحده وقوله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الارض يقول لقد علمتم ما جئنا لنعصى الله فى أرضكم كذلك كان يقول جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس فى قوله قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الارض يقول ما جئنا لنعصى فى الأرض وان قال قائل وما كان أعلم من قيل له لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الارض بأنهم لم يجيئوا لذلك حتى استجاز قائلو ذلك أن يقولوه قيل استجازوا أن يقولوا ذلك لأنهم فيما ذكر ردوا البضاعة التى وجدوها فى رحالهم فقالوا لو كنا سراقا لم نرد عليكم البضاعة التى وجدناها فى رحالنا وقيل انهم كانوا قد عرفوا فى طريقهم ومسيرهم أنهم لا يظلمون أحدا ولا يتناولون ما ليس لهم فقالوا ذلك حين قيل لهم انكم لسارقون ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه كذلك نجزى الظالمين﴾ يقول تعالى ذكره قال أصحاب يوسف لاخوته فما ثواب السرق ان كنتم كاذبين فى قولكم ما جئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه يقول جل ثناؤه وقال اخوة يوسف ثواب السرق من وجد فى متاعه السرق فهو جزاؤه يقول فالذى وجد ذلك فى رحله ثوابه بأن يسلم بسرقته الى من سرق منه حتى يسترقه كذلك نجزى الظالمين يقول كذلك نفعل بمن ظلم ففعل ما ليس له فعله من أخذه مال غيره سرقا وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فهو جزاؤه أى سلم به كذلك نجزى الظالمين أى كذلك نصنع بمن سرق منا حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق عن معمر قال بلغنا فى قوله قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين أخبروا يوسف بما يحكم فى بلادهم أنه من سرق أخذ عبدا فقالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه تأخذونه فهو لكم ومعنى الكلام قالوا ثواب السرق الموجود فى رحله كأنه قيل ثوابه استرقاق الموجود فى رحله ثم حذف استرقاق اذ كان معروفا معناه ثم ابتدئ الكلام فقيل هو جزاؤه كذلك نجزى الظالمين وقد يحتمل وجها آخر أن يكون معناه قالوا ثواب السرق الذى يوجد السرق فى رحله فالسارق جزاؤه فيكون جزاؤه الاول مرفوعا بجملة الخبر بعده ويكون مرفوعا بالعائد من ذكره فى هو وهو رافع جزاؤه الثانى ويحتمل وجها ثالثا وهو أن تكون من جزائية وتكون مرفوعة بالعائد من ذكره فى الهاء التى فى رحله والجزاء الأول مرفوعا بالعائد من ذكره فى وجد ويكون جواب الجزاء الفاء فى فهو والجزاء الثانى مرفوع بهو فيكون معنى الكلام حينئذ قالوا جزاء السرق من وجد السرق فى رحله فهو ثوابه يسترق ويستعبد ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك الا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذى علم عليم﴾ يقول تعالى ذكره ففتش يوسف أوعيتهم ورحالهم طالبا بذلك

شراب الكشوف والمشاهدات وهى باقية فى خدمة ملك الروح أبدا وأما الآخر وهو البدن فيصلب بنخيل الموت فيأكل طير أعوان ملك الموت من رأسه الخيالات الفاسدة قضى فى الازل هذا الامر اذ كرنى عند ربك يعنى أن القلب المسجون فى بدء أمره يلهم النفس بأن تذكره المعاملات المستحسنة الشرعية عند الروح ليتقوى بها الروح وينتبه عن نوم الغفلة الناشئة من الحواس الخمس ويسعى فى استخلاص القلب عن أثر الصفات البشرية بالمعاملات الروحانية مستمدا من الالطاف الربانية ثم ان الشيطان بوساوسه محا عن النفس أثر الهامات القلب أو الشيطان أنسى القلب ذكر الله حين استغاث النفس لتذكره عند الروح ولو استغاث بالله لخلصه فى الحال فلبث فى السجن بضع سنين اشارة الى الصفات البشرية السبع التى بها القلب محبوس وهى الحرص والبخل والشهوة والحسد والعداوة والغضب والكبر انى أرى سبع بقرات سمان هن الصفات المذكورة يأكلهن سبع عجاف هن أضدادها وهى القناعة والسخاوة والعفة والغبطة والشفقة والحلم والتواضع يا أيها الملأ يعنى الاعضاء والجوارح والحواس والقوى أفتونى فيما رأيت فى غيب الملكوت وما نحن بتأويل الاحلام أى ليس التصرف فى الملكوت وشواهدها من شأننا فارسلون فيه أن النفس اذا أرادت أن تعلم شيأ مما يجرى فى الملكوت ترجع بقوة التفكر الى القلب فتستخبر عنه فالقلب ترجمان بين الروحانيات والنفس فيما يفهم من لسان الغيب أيها الصديق لانه مصدق فيما يرى من شواهد الحق ويصدق فيما يروى للخلق ما كذب الفؤاد ما رأى حدثنى قلبى عن ربى قال فى الكشاف أرجع الى الناس أى الى الاجزاء الانسانية تزرعون سبع سنين اشارة الى تربية الصفات البشرية السبع بالعادة والطبيعة فى أوان الطفولية فذروه فى سنبله أى ما حصلتم من هذه الصفات فذروه فى أماكنه ولا تستعملوه الا قليلا مما تعيشون به الى أوان البلوغ وظهور نور العقل فى مصباح السر فى زجاجة القلب كأنه كوكب درى ثم اذا أيد نور العقل بأنوار تكاليف الشرع وشرف بالهام الحق فى اظهار فجور النفس

وتقواها فيزكيها عن هذه الصفات ويحليها بالصفات الروحانية السبع فكأن السبع العجاف أكلن السبع السمان وانما سمى ماهو من عالم الارواح عجافا للطافتها وماهو من عالم الاجسام سمانا لكثافتها كثير الاقليلا مما يحصن به الانسان حياة قالبه ثم يأتى من بعد ذلك عام أى بعد غلبات الصفات الروحانية واضمحلال

الصفات البشرية يظهر مقام فيه يتدارك السالك جذبات العناية وفيه يبرأ العبد من معاملاته و يحو من حبس وجوده ويحجب أنانيته ولما أخبر القلب بنور الله مارآه الروح فى عالم الملكوت وتأوله استحق قرب الروح وصحبته فاستدعى حضوره على لسان رسول النفس فرده اليه وقال سله ما بال النسوة لان الاوصاف الانسانية لما رأين جمال القلب المنور بنور الله قطعن أيديهن من ملاذ الدنيا وشهواتها وآثرن السعادة الاخروية على الشهوات الفانية ليعلم أنى لم أخنه بالغيب أى القلب المنظور بنظر العناية لما غاب عن حضرة الروح لاشتغاله بتربية النفس والقالب ما خانه بالالتفات الى الدنيا ونعيمها وأن الله لا يهدى كيد الخائنين الذين يبيعون الدين بالدنيا ثم قال اظهارا للعجز عن نفسه والفضل من ربه وما أبرئ نفسى ان النفس جبلت على الامارية ولكن اذا رحمها ربها يقلبها و يغيرها فاذا تنفس صبح الهداية صارت لوامة نادمة على فعلها والندم توبة واذا طلعت شمس العناية وصارت ملهمة فالهمها فجورها وتقواها واذا بلغت شمس العناية وسط سماء الهداية أشرقت الارض بنور ربها وصارت النفس مطمئنة مستعدة لجذبة ارجعى الى ربك راضية مرضية ان ربى غفور لنفس تابت و رجعت اليه رحيم لمن أحسن طاعته وعبادته والله حسبنا ونعم الوكيل

صواع الملك فبدأ فى تفتيشه بأوعية اخوته من أبيه فجعل يفتشها وعاء وعاء قبل وعاء أخيه من أبيه وأمه فانه أخر تفتيشه ثم فتش آخرها وعاء أخيه فاستخرج الصواع من وعاء أخيه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ذكر لنا أنه كان لا ينظر فى وعاء الا استغفر الله تأثما مما قذفهم به حتى بقى أخوه وكان أصغر القوم قال ما أرى هذا أخذ شيأ قالوا بلى فاستبره ألا وقد علموا حيث وضعوا سقايتهم ثم استخرجها من وعاء أخيه حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد ابن ثور عن معمر عن قتادة قال فاستخرجها من وعاء أخيه قال كان كلما افتتح متاعا استغفر تائبا مما صنع حتى بلغ متاع الغلام فقال ما أظن هذا أخذ شيأ قالوا بلى فاستبره حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد عن أسباط عن السدى قال فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه فلما بقى رحل الغلام قال ما كان هذا الغلام ليأخذه قالوا والله لا يترك حتى تنظر فى رحله لتذهب وقد طابت نفسك فأدخل يده فاستخرجها من رحله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما قال الرسول لهم ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم قالوا ما نعلمه فينا ولا معنا قال لستم ببارحين حتى أفتش أمتعتكم وأعذر فى طلبها منكم فبدأ بأوعيتهم وعاء وعاء يفتشها و ينظر ما فيها حتى مر على وعاء أخيه ففتشه فاستخرجها منه فأخذ برقبته فانصرف به الى يوسف يقول الله كذلك كدنا ليوسف حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال ذكر لنا أنه كان كلما بحث متاع رجل منهم استغفر ربه تأثما قد علم أين موضع الذى يطلب حتى اذا بقى أخوه وعلم أن بغيته فيه قال لا أرى هذا الغلام أخذه ولا أبالى أن لا أبحث متاعه قال اخوته انه أطيب لنفسك وأنفسنا أن تستبرئ متاعه أيضا فلما افتتح متاعه استخرج بغيته منه قال الله كذلك كدنا ليوسف واختلف أهل العربية فى الهاء والالف اللتين فى قوله ثم استخرجها من وعاء أخيه فقال بعض نحويى البصرة هى من ذكر الصواع قال وأنث وقد قال ولمن جاء به حمل بعير لانه عنى الصواع قال والصواع مذكر ومنهم من يؤنث الصواع وعنى ههنا السقاية وهى مؤنثة قال وهما اسمان لواحد مثل الثوب والملحفة مذكر ومؤنث لشئ واحد وقال بعض نحويى الكوفة فى قوله ثم استخرجها من وعاء أخيه ذهب الى تأنيث السرقة قال وان لم يكن الصواع فى معنى الصاع فلعل هذا التأنيث من ذلك قال وان شئت جعلته لتأنيث السقاية قال والصواع ذكر والصاع يؤنث ويذكر فمن أنثه قال ثلاث أصوع مثل ثلاث أدور ومن ذكره قال أصواع مثل أبواب * وقال آخر منهم انما أنث الصواع حين أنث لانه أريد به السقاية وذكر حين ذكر لانه أريد به الصواع قال وذلك مثل الخوان والمائدة وسنان الرمح وعالته وما أشبه ذلك من الشئ الذى يجتمع فيه اسمان أحدهما مذكر والآخر مؤنث وقوله كذلك كدنا ليوسف يقول هكذا صنعنا ليوسف حتى يخلص أخاه لابيه وأمه من اخوته لأبيه باقرار منهم أن له أن يأخذه منهم و يحتبسه فى يديه و يحول بينه و بينهم وذلك أنهم قالوا اذ قيل لهم ما جزاؤه ان كنتم كاذبين جزاء من سرق الصواع أن من وجد ذلك فى رحله فهو مسترق به وذلك كان حكمهم فى دينهم فكاد الله ليوسف كما وصف لنا حتى أخذ أخاه منهم

(وقال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين قال اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ولما جهزهم بجهازهم قال ائتونى بأخ

فصار

لكم من أبيكم ألا ترون أنى أوف الكيل وأنا خير المنزلين فان لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى ولا تقربون قالوا سنراود عنه أباه وانا لفاعلون
وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون فلما رجعوا الى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل
فأرسل معنا أخانا نكتل وانا له لحافظون قال هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم (١٧) على أخيه من قبل فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين

فصار عنده بحكمهم وصنع الله له وقوله ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك الا أن يشاء الله يقول ما كان يوسف ليأخذ أخاه فى حكم ملك مصر وقضائه وطاعته منهم لانه لم يكن من حكم ذلك الملك وقضائه أن يسترق أحد بالسرق فلم يكن ليوسف أخذ أخيه فى حكم ملك أرضه الا أن يشاء الله بكيده الذى كاده له حتى أسلم من وجد فى وعائه الصواع اخوته ورفقاؤه بحكمهم عليه وطابت أنفسهم بالتسليم

* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك الا فعلة كادها الله له فاعتل بها يوسف حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد كذلك كدنا ليوسف كادها الله له فكانت علة ليوسف حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ليأخذ أخاه فى دين الملك الا أن يشاء الله قال الا فعلة كادها الله فاعتل بها يوسف .. قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله كذلك كدنا ليوسف قال صنعنا حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى كذلك كدنا ليوسف يقول صنعنا ليوسف حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله كذلك كدنا ليوسف يقول صنعنا ليوسف واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك فقال بعضهم ما كان ليأخذ أخاه فى سلطان الملك ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك يقول فى سلطان الملك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك يقول فى سلطان الملك .. وقال آخرون معنى ذلك فى حكمه وقضائه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك الا أن يشاء الله يقول ما كان ذلك فى قضاء الملك أن يستعبد رجلا بسرقة حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فى دين الملك قال لم يكن ذلك فى دين الملك قال حكمه حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح محمد بن ليث المروزى عن رجل قد سماه عن عبد الله بن المبارك عن أبى مودود المدنى قال سمعت محمد بن كعب القرظى يقول قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك قال دين الملك لا يؤخذ به من سرق أصلا ولكن الله كاد لأخيه حتى تكلموا ما تكلموا به فأخذهم بقولهم وليس فى قضاء الملك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر قال بلغه فى قوله ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك قال كان حكم الملك أن من سرق ضوعف عليه الغرم حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك يقول فى حكم الملك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك أى بظلم ولكن الله كاد ليوسف ليضم اليه أخاه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال

ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا أبانا ما نبغى هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتننى به الا أن يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل وقال يا بنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغنى عنكم من الله من شئ ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغنى عنهم من الله من شئ الا حاجة فى نفس يعقوب قضاها وانه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴿القرا آت﴾ حيث نشاء بالنون ابن كثير الآخرون بياء الغيبة أنى أوف بفتح ياء المتكلم نافع غير اسمعيل لفتيانه خير حافظا حمزة وعلى وخلف غير أبى بكر وحماد الباقون لفتيته خير حفظا يكتل بياء الغيبة حمزة وعلى وخلف الباقون بالنون تؤتونى بالياء فى الحالين ابن كثير وسهل ويعقوب وافق أبو عمرو ويزيد واسمعيل فى الوصل ﴿الوقوف﴾ النفس ج أمين ه الأرض ج لانقطاع النظم مع اتصال المعنى عليم ه فى الارض ج لاحتمال ما بعده الاستئناف أو الحال حيث نشاء ط المحسنين ه يتقون ه منكرون ه من أبيكم ج لحق الاستفهام مع اتحاد القائل المنزلين ه ولا تقربون ه لفاعلون ه يرجعون ه لحافظون ه من قبل ط لانتهاء الاستفهام الى الاخبار حافظا ص الراحمين ه اليهم ط لتمام جواب لما ما نبغى ط لان ما بعده جملة مستأنفة موضحة للاستفهامية أو المنفية قبلها الينا ج لاحتمال الاستئناف والعطف

على ونحن نميركيل بعير ٥ ط يسير ٥ بكم ط قال الله قيل يسكت بين الفعل والاسم لان القائل يعقوب لا الله سبحانه والاحسن أن يفرق بينهما بقوة النغمة فقط لئلا يلزم الفصل بين القائل والمقول وكيل ٥ متفرقة ط من شئ ط لله ط توكلت ط المتوكلون ٥ أبوهم ط لان جواب لما محذوف أي سلموا باذن الله قضاها ط لا يعلمون ٥

قال ابن زيد في قوله ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك قال ليس في دين الملك أن يؤخذ السارق بسرقته قال وكان الحكم عند الانبياء يعقوب و بنيه أن يؤخذ السارق بسرقته عبدا يسترق وهذه الأقوال وان اختلفت ألفاظ قائليها في معنى دين الملك فمتقاربة المعاني لان من أخذه في سلطان الملك عاملا له بعمله فبرضاه أخذه اذا لا بغيره وذلك منه حكم عليه وحكمه عليه قضاؤه وأصل الدين الطاعة وقد بينت ذلك في غير هذا الموضع بشواهده بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وقوله الا أن يشاء الله كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى الا أن يشاء الله ولكن صنعنا له بأنهم قالوا فهو جزاؤه حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الا أن يشاء الله الا بعلة كادها الله فاعتل بها يوسف وقوله نرفع درجات من نشاء اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه بعضهم نرفع درجات من نشاء باضافة الدرجات الى من بمعنى نرفع منازل من نشاء رفع منازله ومراتبه في الدنيا بالعلم على غيره كما رفعنا مرتبة يوسف في ذلك ومنزلته في الدنيا على منازل اخوته ومراتبهم وقرأ ذلك آخرون نرفع درجات من نشاء بتنوين الدرجات بمعنى نرفع من نشاء مراتب ودرجات في العلم على غيره كما رفعنا يوسف فمن على هذه القراءة نصب وعلى القراءة الاولى خفض وقد بينا ذلك في سورة الانعام * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قوله نرفع درجات من نشاء يوسف واخوته أوتوا علما فرفعنا يوسف فوقهم في العلم وقوله وفوق كل ذي علم عليم يقول تعالى ذكره وفوق كل عالم من هو أعلم منه حتى ينتهي ذلك الى الله تعالى وانما عنى بذلك أن يوسف أعلم اخوته وأن فوق يوسف من هو أعلم من يوسف حتى ينتهي ذلك الى الله تعالى * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد ابن بشار قال ثنا أبو عامر العقدى قال ثنا سفيان عن عبد الاعلى الثعلبي عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس أنه حدث بحديث فقال رجل عنده وفوق كل ذي علم عليم فقال ابن عباس بئسما قلت ان الله هو عليم وهو فوق كل عالم حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن عبد الأعلى عن سعيد بن جبير قال حدث ابن عباس بحديث فقال رجل عنده الحمد لله وفوق كل ذي علم عليم فقال ابن عباس العالم الله وهو فوق كل عالم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن عبد الاعلى عن سعيد ابن جبير قال كنا عند ابن عباس فحدث حديثا فتعجب رجل فقال الحمد لله فوق كل ذي علم عليم فقال ابن عباس بئسما قلت الله العليم وهو فوق كل عالم حدثنا الحسن بن محمد وابن وكيع قالا ثنا عمرو بن محمد قال أخبرنا اسرائيل عن سالم عن عكرمة عن ابن عباس وفوق كل ذي علم عليم قال يكون هذا أعلم من هذا وهذا أعلم من هذا والله فوق كل عالم حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا سعيد بن منصور قال أخبرنا أبو الاحوص عن عبد الاعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وفوق كل ذي علم عليم قال الله الخبير العليم فوق كل عالم حدثني المثنى قال ثنا عبيد الله قال أخبرنا اسرائيل عن عبد الاعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وفوق كل ذي علم عليم قال الله فوق

التفسير الأظهر أن هذا الملك هو الريان لا العزيز لان قوله أستخلصه لنفسي يدل على أنه قبل ذلك ما كان خالصا له وقد كان يوسف قبل ذلك خالصا للعزيز وفي قول يوسف اجعلني على خزائن الارض دلالة أيضا على ما قلنا والاستخلاص طلب خلوص الشئ من شوائب الاشتراك ومن عادة الملوك أن يتفردوا بالاشياء النفيسة روى أن جبريل دخل على يوسف في السجن وقال قل اللهم اجعل لي من عندك فرجا ومخرجا وارزقني من حيث لا أحتسب فقبل الله دعاءه وأظهر هذا السبب في تخليصه فجاءه الرسول وقال أجب الملك فخرج من السجن ودعا لأهله وكتب على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم انى أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه (فلما كلمه) احتمل أن يكون ضمير الفاعل ليوسف وللملك وهذا أولى لان مجالس الملوك لا يحسن ابتداء الكلام فيها لغيرهم يروى أن الملك قال له أيها الصديق انى أحب أن أسمع رؤياى منك قال رأيت بقرات فوصف لونهن وأحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التي رآها الملك بعينها فتعجب من وفور علمه وحدسه وكان قد علم من حاله ما علم من نزاهة ساحته وعدم مسارعته في الخروج من السجن وقد وصفه الشرابي من جده في الطاعة والاحسان الى سكان السجن ما وصف فعظم اعتقاده فيه فعند ذلك (قال انك اليوم لدينا مكين أمين) ويندرج في المكانة كمال القدرة والعلم أما القدرة فظاهرة وأما العلم فلان

فوق كل عالم حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبي معشر عن محمد بن كعب قال سأل رجل عليا عن مسئلة فقال فيها فقال الرجل ليس هكذا ولكن كذا وكذا قال علي أصبت وأخطأت وفوق كل ذي علم عليم حدثني يعقوب وابن وكيع قالا ثنا ابن علية عن خالد عن عكرمة في قوله وفوق كل ذي علم عليم قال علم الله فوق كل أحد حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن نصر عن عكرمة عن ابن عباس وفوق كل ذي علم عليم قال الله عز وجل حدثنا ابن وكيع ثنا يعلى بن عبيد عن سفيان عن عبد الاعلى عن سعيد بن جبير وفوق كل ذي علم عليم قال الله أعلم من كل أحد حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن ابن شبرمة عن الحسن في قوله وفوق كل ذي علم عليم قال ليس عالم الا فوقه عالم حتى ينتهي العلم الى الله حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عاصم قال ثنا جويرية عن بشير الهجيمي قال سمعت الحسن قرأ هذه الآية يوما وفوق كل ذي علم عليم ثم وقف فقال انه والله ما أمسى على ظهر الارض عالم الا فوقه من هو أعلم منه حتى يعود العلم الى الذي علمه حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا علي عن جرير عن ابن شبرمة عن الحسن وفوق كل ذي علم عليم قال فوق كل عالم عالم حتى ينتهي العلم الى الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وفوق كل ذي علم عليم حتى ينتهي العلم الى الله منه بدئ وتعلمت العلماء واليه يعود وفي قراءة عبد الله وفوق كل عالم عليم * قال أبو جعفر ان قال لنا قائل وكيف جاز ليوسف أن يجعل السقاية في رحل أخيه ثم يسرق قوما أبرياء من السرق ويقول أيتها العير انكم لسارقون قيل ان قوله أيتها العير انكم لسارقون انما هو خبر من الله عن مؤذن أذن به لا خبر عن يوسف وجائز أن يكون المؤذن أذن بذلك ان فقد الصواع ولا يعلم بصنيع يوسف وجائز أن يكون كان أذن المؤذن بذلك عن أمر يوسف واستجاز الامر بالنداء بذلك لعلمه بهم أنهم قد كانوا سرقوا سرقة في بعض الاحوال فأمر المؤذن أن يناديهم بوصفهم بالسرق ويوسف يعني ذلك السرق لا سرقهم الصواع وقد قال بعض أهل التأويل ان ذلك كان خطأ من فعل يوسف فعاقبه الله باجابة القوم اياه ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل وقد ذكرنا الرواية فيما مضى بذلك ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون) يقول تعالى ذكره قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل يعنون أخاه لابيه وأمه وهو يوسف كما حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل ليوسف حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل قال يعني يوسف حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فقد سرق أخ له من قبل قال يوسف وقد اختلف أهل التأويل في السرق الذي وصفوا به يوسف فقال بعضهم كان صنما لجده أبي أمه كسره وألقاه على الطريق ذكر من قال

كونه متمكنا من أفعال الخير يتوقف على العلم بأفعال الخير وبأضدادها وكونه أمينا متفرع عن كونه حكيما لانه لا يفعل الفعل لداعي الشهوة وانما يفعله لداعي الحكمة قال المفسرون لما حكى يوسف رؤيا الملك وعبرها بين يديه قال له الملك فما ترى أيها الصديق قال أرى أن تزرع في هذه السنين المخصبة زرعا كثيرا وتبني الخزائن والاهراء وتجمع الطعام فيها فيأتيك الخلق من النواحي ويمتارون منك ويجتمع لك من الكنوز ما لم يجتمع لأحد من قبلك فقال الملك ومن لي بهذا الشغل فقال يوسف (اجعلني على خزائن الارض) اللام للعهد أي ولني خزائن أرض مصر والخزائن جمع الخزانة وهي اسم للمكان الذي يخزن فيه الشيء أي (إني حفيظ) للامانات وأموال الخزائن (عليم) بوجوه التصرف فيها على وجه الغبطة والمصلحة وقيل حفيظ لوجوه أياديكم عليم بوجوب مقابلتها بالطاعة والشفقة قال الواحدي هذا الطلب خطيئة منه فكانت عقوبته أن أخر عنه المقصود سنة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمله من ساعته لكنه لما قال ذلك أخره الله تعالى عنه سنة وقال آخرون ان التصرف في أمور الخلق كان واجبا عليه لان النبي يجب عليه رعاية الاصلح لامته بقدر الامكان وقد علم بالوحي أنه سيحصل القحط والضنك فأراد السعي في ايصال النفع الى المستحقين ودفع الضرر عنهم واذا علم النبي أو العالم أنه لا سبيل الى دفع الظلم والضرر عن الناس الا بالاستعانة من كافر أو فاسق فله أن يستظهر به على أن مجاهدا قد زعم أن الملك كان قد أسلم وقيل كان الملك يصدر عن رأيه فكان في حكم التابع لا المتبوع ووصف نفسه عليه السلام بالحفظ والعلم على سبيل المبالغة لم يكن لاجل التمدح ولكن للتوصل الى الغرض المذكور (وكذلك) أي مثل ذلك التقريب والانجاء من السجن (مكنا ليوسف في الارض) أرض مصر وهي أربعون فرسخا في أربعين (يتبوأ منها حيث يشاء) هو أو نشاء نحن على القراءتين والمراد بيان استقلاله بالتقلب والتصرف فيها بحيث لا ينازعه أحد (نصيب برحمتنا من نشاء) فيه

أن الكل من الله و بتيسيره وقالت المعتزلة تلك المملكة لما لم تتم الا بأمور فعلها الله صارت كأنها من قبل الله تعالى وعلقوا أيضا المشيئة بالحكمة ورعاية الاصلح والاشاعرة ناقشوا فى هذا القيد (ولا نضيع أجر المحسنين) لان اضاعة الاجر تكون للعجز أو للجهل أو للبخل والكل ممتنع فى حقه تعالى (ولاجر الآخرة خير) من أجر الدنيا أو خير فى نفسه وفى قوله المحسنين وقوله (للذين آمنوا وكانوا يتقون) اشارة الى أن يوسف كان فى الزمان السابق من المحسنين ومن المتقين ففيه دلالة على نزاهة يوسف عن كل سوء قال سفيان بن عيينة المؤمن يثاب على حسناته فى الدنيا والآخرة والفاجر يعجل له الخير فى الدنيا وماله فى الآخرة من خلاق يروى أن الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت فقال له أما السرير فأشدّ به ملكك وأما الخاتم فأدبر به أمرك وأما التاج فليس من لباسى ولا لباس آبائى فقال قد وضعته اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك اليه أمره وعزل قطفير ثم مات بعد فزوجه الملك امرأته فلما دخل عليها قال أليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذراء فولدت له ولدين افرائيم وميشا وأقام العدل بمصر وأسلم على يديه الملك وكثير من الناس وباع من أهل مصر فى سنى القحط الطعام بالدنانير والدراهم فى السنة الاولى حتى لم يبق معهم شئ منها ثم بالحلى والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا والله ما رأينا كاليوم ملكا أجل ولا أعظم منه فقال للملك كيف رأيت صنع الله بى فيما خولنى مما ترى قال الرأى رأيك قال فانى أشهد الله وأشهدك أنى قد اعتقت أهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم أملاكهم وكان لا يبيع من أحد من الممتارين أكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس وأصاب أرض كنعان و بلاد الشام نحو ما أصاب مصر فأرسل يعقوب بنيه ليمتاروا فذلك قوله سبحانه (وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون) لم يعرفوه لان طول العهد ينسى ولاعتقادهم أنه قد هلك أو لذهابه

ذلك حدثنا أحمد بن عمرو البصرى قال ثنا العيص بن الفضل قال ثنا مسعر عن أبى حصين عن سعيد بن جبير ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل قال سرق يوسف صنما لجده أبى أمه كسره وألقاه فى الطريق فكان اخوته يعيبونه بذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فقد سرق أخ له من قبل ذكر أنه سرق صنما لجده أبى أمه فعيروه بذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل أرادوا بذلك عيب نبى الله يوسف وسرقته التى عابوه بها صنم كان لجده أبى أمه فأخذه انما أراد نبى الله بذلك الخير فعابوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فى قوله ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل قال كانت أم يوسف أمرت يوسف يسرق صنما لخاله يعبده وكانت مسلمة * وقال آخرون فى ذلك ما حدثنا به أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت أبى قال كان بنو يعقوب على طعام اضطر يوسف الى عرق فخبأه فعيروه بذلك ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل * وقال آخرون فى ذلك بما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن عبد الله بن أبى نجيح عن مجاهد أبى الحجاج قال كان أول ما دخل على يوسف من البلاء فيما بلغنى أن عمته ابنة اسحق وكانت أكبر ولد اسحق وكانت اليها منطقة اسحق وكانوا يتوارثونها بالكبر فكان من اختص بها ممن وليها كان له سلما لا ينازع فيه يصنع فيه ما شاء وكان يعقوب حين ولد له يوسف كان قد حضنته عمته فكان معها واليها فلم يحب أحد شيأ من الأشياء حبها اياه حتى اذا ترعرع و بلغ سنوات وقعت نفس يعقوب عليه أتاها فقال يا أخية سلمى الى يوسف فوالله ما أقدر على أن يغيب عنى ساعة فقالت والله ما أنا بتاركته والله ما أقدر أن يغيب عنى ساعة قال فوالله ما أنا بتاركه قالت فدعه عندى أياما أنظر اليه وأسكن عنه لعل ذلك يسلينى عنه أو كما قالت فلما خرج من عندها يعقوب عمدت الى منطقة اسحق فحزمتها على يوسف من تحت ثيابه ثم قالت لقد فقدت منطقة اسحق فانظروا من أخذها ومن أصابها فالتمست ثم قالت اكشفوا أهل البيت فكشفوهم فوجدوها مع يوسف فقالت والله انه لى لسلم أصنع فيه ما شئت قال وأتاها يعقوب فأخبرته الخبر فقال لها أنت وذاك ان كان فعل ذلك فهو سلم لك ما أستطيع غير ذلك فأمسكته فما قدر عليه يعقوب حتى ماتت قال فهو الذى تقول اخوة يوسف حين صنع بأخيه ما صنع حين أخذه ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل * قال ابن حميد قال ابن اسحق لما رأى بنو يعقوب ما صنع اخو يوسف ولم يشكوا أنه سرق قالوا أسفا عليهم لما دخل عليهم فى أنفسهم تأنيبا له ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل فلما سمعها يوسف قال أنتم شر مكانا سرا فى نفسه ولم يبدها لهم والله أعلم بما تصفون وقوله فأسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون يعنى بقوله فأسرها فأضمرها وقال فأسرها فأنث لانه عنى بها الكلمة وهى انتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون ولو كانت جاءت بالتذكير كان جائزا كما قيل تلك من أنباء الغيب وذلك من أنباء القرى وكنى عن الكلمة ولم يجر لها ذكر متقدم والعرب تفعل ذلك كثيرا اذا كان مفهوما المعنى المراد عند سامعى الكلام وذلك نظير قول حاتم الطائى

أماوى

أماوىّ مايغنى الثراء عن الفتى ۞ اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

يريد وضاق بالنفس الصدر فكنى عنها ولم يجر لها ذكر اذ كان فى قوله اذا حشرجت يوما دلالة لسامع كلامه على مراده بقوله وضاق بها ومنه قول الله ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم فقال من بعدها ولم يجر قبل ذلك ذكر لاسم مؤنث وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فأسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم أما الذى أسر فى نفسه فقوله أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فأسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون قال هذا القول **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فأسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم يقول أسر فى نفسه قوله أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون وقوله والله أعلم بما تصفون يقول والله أعلم بما تكذبون فيما تصفون به أخاه بنيامين وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون يقولون يوسف يقوله **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنى** المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والله أعلم بما تصفون أى بما تكذبون فمعنى الكلام اذا فأسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر عند الله منزلا ممن وصفتموه بأنه سرق وأخبث مكانا بما سلف من أفعالكم والله عالم بكذبكم وان جهله كثير ممن حضر من الناس وذكر أن الصواع لما وجد فى رحل أخى يوسف تلاوم القوم بينهم كما **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى قال لما استخرجت السرقة من رحل الغلام انقطعت ظهورهم وقالوا يا بنى راحيل ما يزال لنا منكم بلاء حتى أخذت هذا الصواع فقال بنيامين بل بنو راحيل الذين لا يزال لهم منكم بلاء ذهبتم بأخى فاهلكتموه فى البرية وضع هذا الصواع فى رحلى الذى وضع الدراهم فى رحالكم فقالوا لا تذكر الدراهم فنؤخذ بها فلما دخلوا على يوسف دعا بالصواع فنقر فيه ثم أدناه من اذنه ثم قال ان صواعى هذا ليخبرنى أنكم كنتم اثنى عشر رجلا وأنكم انطلقتم بأخ لكم فبعتموه فلما سمعها بنيامين قام فسجد ليوسف ثم قال أيها الملك سل صواعك هذا عن أخى أحى هو فنقره ثم قال هو حى وسوف تراه قال فاصنع بى ما شئت فانه ان علم بى فسوف يستنقذنى قال فدخل يوسف فبكى ثم توضأ ثم خرج فقال بنيامين أيها الملك انى أريد أن تضرب صواعك هذا فيخبرك بالحق فسله من سرقه فجعله فى رحلى فنقره فقال ان صواعى هذا غضبان وهو يقول كيف تسألنى عن صاحبى وقد رأيت مع من كنت قال وكان بنو يعقوب اذا غضبوا لم يطاقوا فغضب روبيل فقال أيها الملك والله لتتركنا أو لأصيحن صيحة لا يبقى بمصر امرأة حامل الا ألقت ما فى بطنها وقامت كل شعرة فى جسد روبيل

عن أوهامهم حين فارقوه مبيعا بدراهم معدودة ثم رأوه ملكا مهيبا جالسا على السرير فى زى الفراعنة ويحتمل أن يكون بينه وبينهم مسافة وما وقفوا الاحيث يقف طلاب الحوائج وانما عرفهم لان أثر تغيير الهيئات عليهم كان أقل لانه فارقهم وهم رجال ولم يتغير وازيهم عما هو عادتهم ولان همته كانت معقودة بهم وبمعرفتهم ويحتمل أن يكون عرفهم بالوحى وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا اليه (ولما جهزهم بجهازهم) هو ما يحتاج اليه فى كل باب ومنه جهاز العروس والميت قال الليث جهزت القوم تجهيزا اذا تكلفت لهم جهاز السفر قال وسمعت أهل البصرة يحكون الجهاز بالكسر وقال الازهرى القراء كلهم على فتح الجيم والكسر لغة جيدة (قال ائتونى بأخ لكم من أبيكم) قال العلماء لا بد من كلام يجر هذا الكلام فروى أنه لما رآهم وكلموه بالعبرانية قال لهم من أنتم وما شأنكم فانى أنكركم قالوا نحن قوم من أهل الشأم رعاة أصابنا الجهد وجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو أب واحد وهو شيخ صديق نبى من الانبياء اسمه يعقوب قال كم أنتم قالوا كنا اثنى عشر فهلك منا واحد فقال فكم أنتم ههنا قالوا عشرة قال فأين الاخ الحادى عشر قالوا هو عند أبيه يتسلى به عن الهالك قال فمن يشهد لكم أنكم لستم بعيون قالوا انا ببلاد لا يعرفنا أحد قال فدعوا بعضكم عندى رهينا وأتونى بأخيكم من أبيكم يحمل رسالة من أبيكم حتى أصدقكم فاقترعوا بينهم فأصابت القرعة شمعون وكان أحسنهم رأيا فى يوسف فخلفوه عنده وقيل كانوا عشرة فأعطاهم عشرة أحمال فقالوا ان لنا شيخا كبيرا وأخا آخر بقى معه ولا بد لهما من حملين آخرين فاستدل الملك ببقائه عند أبيه على زيادة محبته اياه وكونه فائقا فى الجمال والادب فاستدعى منهم احضاره وقيل لعلهم لما ذكروا أباهم قال يوسف فلم تركتموه وحيدا فريدا فقالوا بل بقى عنده واحد فقال لهم لم خصه بهذا المعنى لاجل نقص فى جسده قالوا لا بل لزيادة محبته فقال ان أباكم رجل عالم حكيم ثم انه خصه بمزيد المحبة مع أنكم فضلاء أدباء فلا بد أن يكون هو زائدا عليكم فى الكمال والجمال فائتونى به

فخرجت من ثيابه فقال يوسف لابنه قم الى جنب روبيل فمسه وكان بنو يعقوب اذا غضب أحدهم فمسه الآخر ذهب غضبه فمر الغلام الى جنبه فمسه فذهب غضبه فقال روبيل من هذا ان فى هذا البلد لبزرا من بزر يعقوب فقال يوسف من يعقوب فغضب روبيل فقال يا أيها الملك لا تذكر يعقوب فانه سرى الله ابن ذبيح الله ابن خليل الله قال يوسف أنت اذا كنت صادقا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه انا نراك من المحسنين﴾ يقول تعالى ذكره قالت اخوة يوسف ليوسف يا أيها العزيز يا أيها الملك ان له أبا شيخا كبيرا كلفا بحبه يعنون يعقوب فخذ أحدنا مكانه يعنون فخذ أحدا منا بدلا من بنيامين وخل عنه انا نراك من المحسنين يقولون انا نراك من المحسنين فى أفعالك وقال محمد بن اسحق فى ذلك ما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق انا نراك من المحسنين انا نرى ذلك منك احسانا ان فعلت ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال معاذ الله أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون﴾ يقول تعالى ذكره قال يوسف لاخوته معاذ الله أعوذ بالله وكذلك تفعل العرب فى كل مصدر وضعته موضع يفعل ويفعل فانها تنصب كقولهم حمدا لله وشكرا له بمعنى أحمد الله وأشكره والعرب تقول فى ذلك معاذ الله ومعاذة الله فتدخل فيه هاء التأنيث كما يقولون ما أحسن معناة هذا الكلام وعوذ الله وعوذة الله وعياذ الله ويقولون اللهم عائذا بك كأنه قيل أعوذ بك عائذا أو أدعوك عائذا أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده يقول أستجير بالله من أن نأخذ بريئا بسقيم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال معاذ الله أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون يقول ان أخذنا غير الذى وجدنا متاعنا عنده انا اذا نفعل ما ليس لنا فعله ونجور على الناس حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى قالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال معاذ الله أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون قال يوسف اذا أتيتم أباكم فاقرؤه السلام وقولوا له ان ملك مصر يدعو لك أن لا تموت حتى ترى ابنك يوسف حتى يعلم أن فى أرض مصر صديقين مثله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم فى يوسف فلن أبرح الارض حتى يأذن لى أبى أو يحكم الله لى وهو خير الحاكمين﴾ يعنى تعالى ذكره فلما استيأسوا منه فلما يئسوا منه من أن يخلى يوسف عن بنيامين ويأخذ منهم واحدا مكانه وأن يجيبهم الى ما سألوه من ذلك وقوله استيأسوا استفعلوا من يئس الرجل من كذا ييأس كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فلما استيأسوا منه يئسوا منه ورأوا شدته فى أمره وقوله خلصوا نجيا يقول بعضهم لبعض يتناجون لا يختلط بهم غيرهم والنجى جماعة القوم المنتجين يسمى به الواحد والجماعة كما يقال رجل عدل ورجال عدل وقوم زور وفطر وهو مصدر من قول القائل نجوت فلانا أنجوه نجيا جعل صفة ونعتا ومن الدليل على أن ذلك كما ذكرنا قول الله تعالى وقربناه نجيا فوصف به الواحد وقال فى هذا الموضع خلصوا نجيا فوصف به الجماعة ويجمع النجى أنجية كما قال لبيد

وشهدت أنجية الافاقة عاليا * كعبى وأرداف الملوك شهود

لأشاهده والاول قول المفسرين والآخران محتملان ولما طلب منهم احضار الاخ جمع لهم بين الترغيب والترهيب فالاول قوله (ألا ترون أنى أوفى الكيل وأنا خير المنزلين) المضيفين وكان قد أحسن ضيافتهم أو زاد لكل من الاب والاخ الغائب حملا والثانى (فان لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى ولا تقربون) مجزوم على النهى أولانه داخل فى حكم الجزاء كأنه قيل فان لم تأتونى به تحرموا ولا تقربوا (قالوا سنراود عنه أباه) سنخادعه عنه ونجتهد حتى ننتزعه من يده (وانا لفاعلون) كل ما فى وسعنا فى هذا الباب أو لقادرون على ذلك (وقال لفتيانه) أو لفتيته قراءتان وهما جمع فتى كالاخوان والاخوة فى أخ ففعلة للقلة ووجهه أن هذا العمل من الاسرار فوجب كتمانه عن العدد الكثير وفعلان للكثرة ووجهه أنه قال (اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم) والرحال عدد كثير ويناسبه الجم الغفير من الغلمان الكيالين والبضاعة ما قطع من المال للتجارة والرحال جمع رحل والمراد به ههنا ما يستصحبه الرجل معه من الاثاث والاكثرون على أنه أمر بوضع بضاعتهم فى رحالهم على وجه لا يعرفون بدليل قوله (لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى أهلهم) وفرغوا ظروفهم (لعلهم يرجعون) لعل معرفتهم بذلك تدعوهم الى الرجوع الينا وكانت بضاعتهم النعل والادم وقيل أمر بوضعها على وجه عرفوها والمعنى لعلهم يعرفون حق ردها أما السبب الذى لاجله أمر يوسف بذلك فقيل ليعلموا كرم يوسف فيبعثهم ذلك على المعاودة وقيل خاف أن لا يكون عند أبيه من البضاعة ما يدعوهم الى الرجوع أو أراد به التوسعة على أبيه لان الزمان كان زمان قحط أو لأن أخذ ثمن الطعام من أبيه واخوته لؤم أو أراد أن يرجعوا ليعرفوا سبب الرد لانهم أولاد الانبياء فيحترز وأن يكون ذلك على سبيل السهو أو أراد أن يحسن اليهم على وجه لا يلحقهم عيب ولا منة فلا يثقل على أبيه ارسال أخيه وقيل يرجعون متعد أى لعلهم يردونها (قالوا يا أبانا منع منا الكيل) أرادوا قول يوسف فان لم تأتونى به فلا كيل لكم لان انذار المنع بمنزلة المنع يؤيده قراءة من قرأ نكتل بالنون أى نرفع المانع ونأخذ من الطعام ما نحتاج اليه ويحتمل وقد

أن يراد بالمنع أنهم اذا طلبوا الطعام لابيهم والاخ المخلف فلعله منع من ذلك ويقوى هذا الاحتمال قراءة الغيبة أى يكتل أخونا فينضم اكتياله الى اكتيالنا (قال هل آمنكم عليه) ضمنوا كونهم حافظين له فقال يعقوب انكم ذكرتم مثل هذا الكلام فى يوسف فهل يكون أمانى الآن الا كأمانى فيما قبل يعنى كما لم يحصل الامان وقتئذ فكذا الآن والظاهر أن ههنا اضمارا والتقدير فتوكل على الله فيه ودفعه اليهم وقال (فالله خير حافظا) وحافظا نصب على التمييز واحتمل الثانى الحال نحو لله دره فارسا (وهو أرحم الراحمين) أرجو أن لا يجمع علىّ مصيبتين وقيل انه تذكر يوسف فقال فالله خير حافظا أى ليوسف لأنه كان يعلم أنه حى (ولما فتحوا متاعهم) هو عام فى كل ما يستمتع به ويجوز أن يراد به ههنا الطعام أو الأوعية أما قوله (ما نبغى) فالبغى بمعنى الطلب وما نافية أو استفهامية المعنى ما نطلب شيأ وراء ما فعل بنا من الاحسان أو ما نريد منك بضاعة أخرى أو أى شئ نطلب وراء هذا نستظهر بالبضاعة المردودة الينا (ونمير أهلنا) فى رجوعنا الى الملك (ونحفظ أخانا) فما يصيبه شئ مما تخافه (ونزداد) باستصحاب أخينا وسق بعير زائدا على أوساق أباعرنا فأى شئ نبغى وراء هذه المباغى ويجوز أن يكون البغى بمعنى الكذب والتزيد فى القول على أن ما نافية أى ما نكذب فيما وصفنا لك من احسان الملك واكرامه وكانوا قالوا له انا قدمنا على خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما أكرمنا تلك الكرامة قال فى الكشاف فعلى هذا التفسير لا يكون قوله ونمير معطوفا على معنى قوله هذه بضاعتنا وانما يكون قوله هذه بضاعتنا بيانا لصدقهم وقوله ونمير معطوفا على ما نبغى أو يكون كلاما مبتدأ أى ونبغى أن نمير كما تقول سعيت فى حاجة فلان ويجب أو ينبغى أن أسعى ويجوز أن يراد ما نبغى ما ننطق الا بالصواب فيما نشير به عليك من ارسال أخينا معنا ثم بينوا كونهم مصيبين فى رأيهم بقولهم هذه بضاعتنا نستظهر بها ونمير أهلنا الى آخره يقال ماره يميره ميرا اذا أتاه بميرة أى بطعام (ذلك كيل يسير) أى ذلك المكيل لا يحملنا قليل نريد أن ينضاف اليه ما يكال

وقد يقال للجماعة من الرجال نجوى كما قال جل ثناؤه واذهم نجوى وقال ما يكون من نجوى ثلاثة وهم القوم الذين يتناجون وتكون النجوى أيضا مصدرا كما قال الله انما النجوى من الشيطان تقول منه نجوت أنجو نجوى فهى فى هذا الموضع المناجاة نفسها ومنه قول الشاعر

بنىّ بدا خب نجوى الرجال * فكن عند سرك خب النجى

فالنجوى والنجىّ فى هذا البيت بمعنى واحد وهو المناجاة وقد جمع بين اللغتين وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله خلصوا نجيا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا وأخلص لهم شمعون وقد كان ارتهنه خلوا بينهم نجيا يتناجون بينهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله خلصوا نجيا خلصوا وحدهم نجيا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق خلصوا نجيا أى خلا بعضهم ببعض ثم قالوا ماذا ترون وقوله قال كبيرهم اختلف أهل العلم فى المعنىّ بذلك فقال بعضهم عنى به كبيرهم فى العقل والعلم لا فى السن وهو شمعون قالوا وكان روبيل أكبر منه فى الميلاد ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى قال كبيرهم قال هو شمعون الذى تخلف وأكبر منه أو أكبرهم فى الميلاد روبيل حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال كبيرهم شمعون الذى تخلف وأكبر منه فى الميلاد روبيل حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن سفيان عن ابن جريج عن مجاهد قال كبيرهم قال شمعون الذى تخلف وأكبرهم فى الميلاد روبيل * وقال آخرون بل عنى به كبيرهم فى السن وهو روبيل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كبيرهم وهو روبيل أخو يوسف وهو ابن خالته وهو الذى نهاهم عن قتله حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال كبيرهم قال روبيل وهو الذى أشار عليهم أن لا يقتلوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى قال كبيرهم (١) فى العلم ان أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم فى يوسف فلن أبرح الارض الآية فأقام روبيل بمصر وأقبل التسعة الى يعقوب فأخبروه الخبر فبكى وقال يا بنىّ ما تذهبون مرة الا نقصتم واحدا ذهبتم مرة فنقصتم يوسف وذهبتم الثانية فنقصتم شمعون وذهبتم الآن فنقصتم روبيل حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا قال ماذا ترون فقال روبيل كما ذكر لى وكان كبير القوم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله لتأتننى به الا أن يحاط بكم ومن قبل ما فرطتم فى يوسف الآية * وأولى الاقوال فى ذلك بالصحة قول من قال عنى بقوله قال كبيرهم روبيل لاجماع جميعهم على أنه كان أكبرهم سنا ولا تفهم العرب فى المخاطبة اذا قيل لهم فلان كبير القوم مطلقا بغير وصل الا أحد معنيين اما فى الرياسة عليهم والسؤدد واما فى السن فأما فى العقل فانهم اذا أرادوا ذلك وصلوه فقالوا هو كبيرهم فى العقل فأما اذا أطلق بغير صلته بذلك فلا يفهم الا ما ذكرت وقد قال أهل التأويل لم يكن لشمعون وان كان قد كان من العلم والعقل بالمكان الذى جعله الله به على اخوته رياسة وسؤدد

(١) لعله فى السن تأمل كتبه مصححه

لاجل أخينا وقال مقاتل ذلك اشارة الى كيل بعير أى ذلك القدر سهل على الملك لا يضايقنا فيه ولا يطول مقامنا بسببه واختاره الزجاج وجوز فى الكشاف أن يكون هذا من كلام يعقوب يعنى أن حمل بعير شئ يسير لا يخاطر لمثله بالولد (قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا) تعطونى ما أثق به من عند الله وهو الحلف (لتأتننى به الا أن يحاط بكم) استثناء من أعم العام فى المفعول وقد يقع مثل هذا الاستثناء فى الاثبات اذا استقام المعنى نحو قرأت الا يوم كذا وان شئت فأوله بالنفى أى لا تمتنعون من الاتيان به لعلة من العلل الا بعلة واحدة هى أن يحاط بكم أى تهلكوا جميعا قاله مجاهد أو تغلبوا فلم تطيقوا الاتيان به قاله قتادة (على ما نقول) من طلب الموثق واعطائه (وكيل) مطلع رقيب قال جمهور المفسرين انما نهاهم أن يدخلوا من باب واحد خوفا عليهم من اصابة العين وههنا مقامان الاول أن الاصابة بالعين حق لاطباق كثير من الامة ولما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعوذ الحسن والحسين فيقول أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة أى جامعة لشر من لمه اذا جمعه أو المراد ملمة والتغيير للمزاوجة وعن عبادة بن الصامت قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أول النهار فرأيته شديد الوجع ثم عدت اليه آخر النهار فرأيته معافى فقال ان جبرئيل عليه السلام أتانى فرقانى وقال بسم الله أرقيك من كل شئ يؤذيك من كل عين وحاسد الله يشفيك قال فأفقت وروى أنه دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت أم سلمة وعندها صبى يشتكى فقالوا يا رسول الله أصابته العين قال أفلا تسترقون له من العين وعنه صلى الله عليه وسلم العين حق ولو كان شئ يسبق القدر لسبقت العين القدر وقالت عائشة كان يأمر العائن أن يتوضأ ثم يغتسل منه المعين المقام الثانى فى الكشف عن حقيقته قال الجاحظ يمتد من العين أجزاء فتتصل بالشخص المستحسن فتؤثر وتسرى فيه كتأثير اللسع والسم واعترض الجبائى وغيره بأنه لو كان كذلك لأثر فى غير المستحسن كتأثيره فى المستحسن وأجيب بأن

فعلم بذلك أنه عنى بقوله قال كبيرهم واذا كان ذلك كذلك فلم يبق الا الوجه الآخر وهو الكبر فى السن وقد قال الذين ذكرنا جميعا روبيل كان أكبر القوم سنا فصح بذلك القول الذى اخترناه وقوله ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله يقول ألم تعلموا أيها القوم أن أباكم يعقوب قد أخذ عليكم عهود الله ومواثيقه لنأتينه به جميعا الا أن يحاط بكم ومن قبل فعلتكم هذه تفريطكم فى يوسف يقول أولم تعلموا من قبل هذا تفريطكم فى يوسف واذا صرف تأويل الكلام الى هذا الذى قلناه كانت ما حينئذ فى موضع نصب وقد يجوز أن يكون قوله ومن قبل ما فرطتم فى يوسف خبرا مبتدأ ويكون قوله ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله خبرا متناهيا فتكون ما حينئذ فى موضع رفع كأنه قيل ومن قبل هذا تفريطكم فى يوسف فتكون ما مرفوعة بمن قبل هذا ويجوز أن تكون ما التى تكون صلة فى الكلام فيكون تأويل الكلام ومن قبل هذا (١) تفريطكم فى يوسف وقوله فلن أبرح الارض التى أنا بها وهى مصر فأفارقها حتى يأذن لى أبى بالخروج منها كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فلن أبرح الارض التى أنا بها اليوم حتى يأذن لى أبى بالخروج منها حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال شمعون لن أبرح الارض حتى يأذن لى أبى أو يحكم الله لى وهو خير الحاكمين وقوله أو يحكم الله أو يقضى لى ربى بالخروج منها وترك أخى بنيامين والا فانى غير خارج وهو خير الحاكمين يقول والله خير من حكم وأعدل من فصل بين الناس وكان أبو صالح يقول فى ذلك بما حدثنى الحسين بن يزيد السبيعى قال ثنا عبد السلام بن حرب عن اسمعيل ابن أبى خالد عن أبى صالح فى قوله حتى يأذن لى أبى أو يحكم الله لى قال بالسيف وكأن أبا صالح وجه تأويل قوله أو يحكم الله لى الى أو يقضى الله لى بحرب من منعنى من الانصراف بأخى بنيامين الى أبيه يعقوب فأحارب به ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ارجعوا الى أبيكم فقولوا يا أبانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل روبيل لاخوته حين أخذ يوسف أخاه بالصواع الذى استخرج من وعائه ارجعوا اخوتى الى أبيكم يعقوب فقولوا له يا أبانا ان ابنك بنيامين سرق والقراء على قراءة هذا الحرف بفتح السين والراء والتخفيف ان ابنك سرق وروى عن ابن عباس ان ابنك سرق بضم السين وتشديد الراء على وجه ما لم يسم فاعله بمعنى أنه سرق وما شهدنا الا بما علمنا واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه وما قلنا انه سرق الا بظاهر علمنا بأن ذلك كذلك لان صواع الملك أصيب فى وعائه دون أوعية غيره ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ارجعوا الى أبيكم فانى ما كنت راجعا حتى يأتينى أمره فقولوا يا أبانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا أى قد وجدت السرقة فى رحله ونحن ننظر لا علم لنا بالغيب وما كنا للغيب حافظين * وقال آخرون بل معنى ذلك وما شهدنا عند يوسف بأن السارق يؤخذ بسرقته الا بما علمنا ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال لهم يعقوب عليه السلام ما يدرى هذا الرجل أن السارق يؤخذ بسرقته الا بقولكم فقالوا ما شهدنا الا بما علمنا لم نشهد أن السارق يؤخذ بسرقته الا وذلك الذى علمنا قال وكان الحكم عند الانبياء يعقوب وبنيه أن يؤخذ السارق بسرقته عبدا فيسترق وقوله وما كنا

(١) لعله فرطتم فى يوسف تأمل كتبه مصححه

للغيب حافظين يقول وما كنا نرى أن ابنك يسرق ويصير أمرنا الى هذا وانما قلنا نحفظ أخانا مما لنا الى حفظه منه السبيل وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسين بن الحريث أبو عمار المروزى قال ثنا الفضل بن موسى عن الحسن بن واقد عن يزيد عن عكرمة وما كنا للغيب حافظين قال ما كنا نعلم أن ابنك يسرق حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وما كنا للغيب حافظين لم نشعر أنه سيسرق حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وما كنا للغيب حافظين قال لم نشعر أنه سيسرق حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وما كنا للغيب حافظين قال لم نشعر أنه سيسرق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وأبو سفيان عن معمر عن قتادة وما كنا للغيب حافظين قال ما كنا نظن ولا نشعر أنه سيسرق حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما كنا للغيب حافظين قال ما كنا نرى أنه سيسرق حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وما كنا للغيب حافظين قال ما كنا نظن أن ابنك يسرق وأولى التأويلين بالصواب عندنا فى قوله وما شهدنا الا بما علمنا قول من قال وما شهدنا بأن ابنك سرق الا بما علمنا من رؤيتنا الصواع فى وعائه لانه عقيب قوله ان ابنك سرق فهو بأن يكون خبرا عن شهادتهم بذلك أولى من أن يكون خبرا عما هو منفصل وذكر أن الغيب فى لغة حمير هو الليل بعينه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ واسئل القرية التى كنا فيها والعير التى أقبلنا فيها وانا لصادقون ﴾ يقول وان كنت متهما لنا لا تصدقنا على ما نقول من أن ابنك سرق فاسأل القرية التى كنا فيها وهى مصر يقول سل من فيها من أهلها والعير التى أقبلنا فيها وهى القافلة التى كنا فيها التى أقبلنا منها معها عن خبر ابنك وحقيقة ما أخبرناك عنه من سرقه فانك تخبر مصداق ذلك وانا لصادقون فيما أخبرناك من خبره وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واسأل القرية التى كنا فيها وهى مصر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس واسأل القرية التى كنا فيها قال يعنون مصر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال قد عرف روبيل فى رجع قوله لاخوته أنهم أهل تهمة عند أبيهم لما كانوا صنعوا فى يوسف وقولهم له اسأل القرية التى كنا فيها والعير التى أقبلنا فيها فقد علموا ما علمنا وشهدوا ما شهدنا ان كنت لا تصدقنا وانا لصادقون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله أن يأتينى بهم جميعا انه هو العليم الحكيم ﴾ قال أبو جعفر فى الكلام متروك وهو فرجع اخوة بنيامين الى أبيهم وتخلف روبيل فأخبروه خبره فلما أخبروه أنه سرق قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا يقول بل زينت لكم أنفسكم أمرا هممتم به وأردتموه فصبر جميل يقول فصبرى على ما نالنى من فقد ولدى صبر جميل لا جزع فيه ولا شكاية عسى الله أن يأتينى بأولادى جميعا فيردهم على انه هو العليم بوحدتى

المستحسن ان كان صديقا حصل للعائن عند ذلك الاستحسان خوف شديد من زواله وان كان عدوا حصل له خوف شديد من حصوله وعلى التقديرين يسخن الروح وينحصر فى داخل القلب ويحصل فى الروح الباصرة كيفية مسخنة مؤثرة فلهذا السبب أمر النبى صلى الله عليه وسلم العائن بالوضوء ومن أصابته العين بالاغتسال منه وقال أبو هاشم وأبو القاسم البلخى لا يمتنع أن صاحب العين اذا شاهد الشئ وأعجب به كانت المصلحة له فى تكليفه أن يغير الله ذلك الشخص حتى لا يبقى قلب ذلك المكلف معلقا به وقال الحكماء ليس من شرط المؤثر أن يكون تأثيره بحسب هذه الكيفيات المحسوسة بل قد يكون التأثير نفسانيا محضا أو وهميا كما للماشى على الجذع أو تصوريا كما فى الحركات البدنية وقد يكون للنفوس خواص عجيبة تتصرف فى غير أبدانها بحسبها فمنها المعجز ومنها السحر ومنها الاصابة بالعين أما الجبائى وغيره ممن أنكر العين فقد قالوا ان أولاد يعقوب اشتهروا بمصر وتحدث الناس بكمالهم وجمالهم وهيئتهم فلم يأمن يعقوب أن يخافهم الملك الاعظم على ملكه فيحبسهم وقيل انه كان عالما بأن الملك ولده الا أن الله تعالى لم يأمره باظهاره وكان غرضه أن يصل بنيامين اليه فى غيبتهم قاله ابراهيم النخعى واعلم أن العبد يجب عليه أن يسعى بأقصى الجهد والقدرة ولكنه بعد السعى البليغ يجب أن يعلم أن كل ما يدخل فى الوجود فهو بقضاء الله وقدره وأن الحذر لا يغنى عن القدر فلهذا قال يعقوب (وما أغنى عنكم من الله من شئ) فقوله الاول مبنى على رعاية الاسباب والوسائط وقوله الثانى الى آخر الآية اشارة الى الحقيقة وتفويض الامر بالكلية الى مسبب الاسباب وقد صدقه الله تعالى فى ذلك بقوله (ما كان يغنى عنهم من الله من شئ) قال ابن عباس ما كان ذلك التفرق يرد قضاء الله تعالى وقال الزجاج وابن الانبارى لو سبق فى علم الله أن العين تهلكهم عند الاجتماع لكان تفرقهم كاجتماعهم وقال آخرون ما كان يغنى عنهم رأى يعقوب شيأ قط حيث أصابهم ما ساءهم مع تفرقهم من اضافة السرقة اليهم وأخذ الاخ وتضاعف المصيبة على

و بفقدهم وحزنى عليهم وصدق ما يقولون من كذبه الحكيم فى تدبيره خلقه وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل يقول زينت وقوله عسى الله أن يأتينى بهم جميعا يقول بيوسف وأخيه وروبيل حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما جاؤا بذلك الى يعقوب يعنى بقول روبيل لهم اتهمهم وظن أن ذلك كفعلتهم بيوسف ثم قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله أن يأتينى بهم جميعا أى بيوسف وأخيه وروبيل ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وتولى عنهم وقال يا أسفا على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم) يعنى تعالى ذكره بقوله وتولى عنهم وأعرض عنهم يعقوب وقال يا أسفا على يوسف يعنى يا حزنا عليه يقال ان الاسف هو أشد الحزن والتندم يقال منه أسفت على كذا آسف عليه أسفا يقول الله جل ثناؤه وابيضت عينا يعقوب من الحزن فهو كظيم يقول فهو مكظوم على الحزن يعنى أنه مملوء منه ممسك عليه لا يبينه صرف المفعول منه الى فعيل ومنه قوله والكاظمين الغيظ وقد بينا معناه بشواهده فيما مضى وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ما قلنا فى تأويل قوله وقال يا أسفا على يوسف حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وتولى عنهم أعرض عنهم وتتام حزنه وبلغ مجهوده حين لحق بيوسف أخوه وهيج عليه حزنه على يوسف فقال يا أسفا على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وتولى عنهم وقال يا أسفا على يوسف يقول يا حزنى على يوسف حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء وحدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله يا أسفا على يوسف يا حزنا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يا أسفا على يوسف يا جزعاه حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يا أسفا على يوسف يا جزعاه حزنا حدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يا أسفا على يوسف يا جزعا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أسفا على يوسف أى حزناه حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد ابن ثور عن معمر عن قتادة يا أسفا على يوسف قال يا حزناه حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن حميد المعمرى عن معمر عن قتادة نحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس وقال يا أسفا على يوسف (١) حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبى جحيرة عن الضحاك يا أسفا على يوسف قال يا حزنا على يوسف حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أبى مرزوق عن جويبر عن الضحاك يا أسفا يا حزناه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال ثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك يا أسفا يا حزنا على يوسف حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق

(١) لعله ترك المتن اختصارا اكتفاء بما تقدم عنه بسند محمد بن سعد تأمل كتبه مصححه

قال

الا ب (الا حاجة) استثناء منقطع أى ولكن حاجة (فى نفس يعقوب قضاها) وهى اظهار الشفقة والنصيحة أو الخوف من اصابة العين أو من حسد أهل مصر أو من قصد الملك ثم مدحه الله تعالى بقوله (وانه لذو علم) يعنى علمه بأن الحذر لا يدفع القدر (لما علمناه) ما مصدرية أو موصولة أى لتعليمنا اياه أو للذى علمناه وقيل العلم الحفظ والمراقبة وقيل المضاف محذوف أى لفوائد ما علمناه وحسن آثاره واشارة الى كونه عاملا بعلمه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) مثل علم يعقوب أو لا يعلمون أن يعقوب بهذه الصفة فى العلم وقيل المراد بأكثر الناس المشركون لا يعلمون أن الله تعالى كيف أرشد أولياءه الى العلوم التى تنفعهم فى الدنيا والآخرة ۞ التأويل لما تبين لملك الروح قدر يوسف القلب وأمانته وصدقه وحسن استعداده سعى فى خلاصه من سجن صفات البشرية ليكون خالصا له فى كشف حقائق الاشياء ولم يعلم انه خلق لصلاح جميع رعايا مملكة روحانية وجسمانية كما قال النبى صلى الله عليه وسلم ان فى جسد بنى آدم مضغة ان صلحت صلح بها سائر الجسد وان فسدت فسد بها سائر الجسد ألا وهى القلب وللقلب اختصاص آخر بالله دون سائر المخلوقات قال سبحانه لا يسعنى أرضى ولا سمائى وانما يسعنى قلب عبدى المؤمن اجعلنى على خزائن أرض الجسد فان لله تعالى فى كل عضو من الاعضاء خزانة من الالطاف ان استعمله الانسان فيما خلق ذلك العضو لاجله وخزانة من القهران استعمله فى ضده انى حفيظ للخزائن عليم باستعمالها فيما ينفعها دون ما يضرها نصيب برحمتنا فيه أن اصابة اللطف من تلك الخزائن دون القهر موكولة الى مشيئة الله تعالى و جاء اخوة يوسف وهم الاوصاف البشرية فعرفهم يوسف القلب لانه ينظر بنور الله وهم له منكرون لبقائهم فى الظلمة وحرمانهم عن النور ولما جهزهم يشير الى أن يوسف القلب لما التجأت اليه الاوصاف البشرية بدل صفاتها الذميمة النفسانية بالصفات الحميدة الروحانية فاستدعى منهم احضار بنيامين السر لان السر لا يحضر مع القلب الا بعد التبديل المذكور واذا حضر معه يوفى بأوفى الكيل ما لم يوف الى

قال أخبرنا الثوري عن سفيان العصفري عن سعيد بن جبير قال لم يعط أحد غير هذه الامة الاسترجاع ألا تسمعون الى قول يعقوب يا أسفا على يوسف حدثني المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن سعيد بن جبير بنحوه ذكر من قال ما قلنا في تأويل قوله تعالى وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فهو كظيم قال كظيم الحزن حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فهو كظيم قال كظيم الحزن حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه حدثني المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فهو كظيم قال الحزن حدثني المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فهو كظيم مكمود حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فهو كظيم قال كظيم على الحزن حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك في قوله فهو كظيم قال الكظيم الكميد حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربي عن جويبر عن الضحاك في قوله فهو كظيم قال كميد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله كظيم قال كميد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم يقول يردد حزنه في جوفه ولم يتكلم بسوء حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة في قوله فهو كظيم قال كظيم على الحزن فلم يقل بأسا حدثنا الحسن ابن محمد قال ثنا الحسين بن الحسن قال ثنا ابن المبارك قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم قال كظيم على الحزن فلم يقل الا خيرا حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن يزيد بن زريع عن عطاء الخراساني فهو كظيم قال مكروب حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدي فهو كظيم قال من الغيظ حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم قال الكظيم الذي لا يتكلم بلغ به الحزن حتى كان لا يكلمهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين) يعني تعالى ذكره قال ولد يعقوب الذين انصرفوا اليه من مصر له حين قال يا أسفا على يوسف تالله لا تزال تذكر يوسف و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد تفتؤ تفتر من حبه حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله تفتؤ ما تفتر من حبه كذا قال الحسن في حديثه وهو غلط انما هو تفتر من حبه تزال تذكر يوسف حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف قال لا تفتر من حبه حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد تفتؤ تفتر من حبه * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد

الاوصاف البشرية اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فيه أن البضاعة كل عمل من الاعمال البدنية التي تحجب بها الاوصاف البشرية الى حضرة يوسف مردودة اليها لان القلب مستغن عنها وانما الاوصاف البشرية محتاجة اليها لان النفس تتأدب وتتزكى بها كما قال تعالى ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان تربية القلب بالاعمال القلبية كالنيات الصالحة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم نية المؤمن خير من عمله وكالعزائم الخالصة والاخلاق الحميدة والتوكل والاخلاص ثم قال كما ان تربية القلب بالتخلية وتحلي صفات الحق وصفات ذاته لعلهم يرجعون من صفة الامارية الى المأمورية والاطمئنان فيستحق بجذبة ارجعي الى ربك ردت الينا فوائده ما ترجع الى يوسف القلب ونمير أهلنا الاعضاء والجوارح تحصل لهم قوة زائدة على الطاعة بواسطة رسوخ الملكة له ونحفظ أخانا من الحوادث النفسانية والوساوس الشيطانية ونزداد بواسطة حضور السر عند القلب كيل بعير من الفوائد الربانية ذلك كيل يسير لمن يسره الله لتأتنني به مع الفوائد الربانية الا أن يحاط بكم الا أن يغالب عليكم الاحكام الازلية لا تدخلوا من باب واحد لا تتقربوا الى القلب بنوع واحد من المعاملات فللاسباب مدخل في التقريب الا أن الكل موكول الى مسبب الأسباب (ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه قال اني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير انكم لسارقون قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك الا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم

قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون ❊ قالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه انا نراك من المحسنين ❊ قال معاذ الله أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون ❊ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الأرض (٢٨ م) حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين ❊ ارجعوا الى أبيكم فقولوا يا أبانا ان ابنك

في قوله تالله تفتؤ تذكر يوسف قال لا تزال تذكر يوسف حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع و حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف قال لا تزال تذكر يوسف قال لا تفتر من حبه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله تفتؤ تذكر يوسف قال لا تزال تذكر يوسف حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة تفتؤ تذكر يوسف قال لا تزال تذكر يوسف(١) حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة تفتؤ تذكر يوسف قال لا تزال تذكر يوسف يقال منه ما فتئت أقول ذاك وما فتأت لغة أفتأ وأفتأ فتأ وفتوأ وحكى أيضا ما أفتأت به ومنه قول أوس بن حجر

فما فتئت حتى كأن غبارها ❊ سرادق يوم ذي رياح ترفع

وقوله الآخر

فما فتئت خيل تثوب وتدعى ❊ ويلحق منها لاحق وتقطع

يعني فما زالت وحذفت لا من قوله تفتؤ وهي مرادة في الكلام لان اليمين اذا كان ما بعدها خبرا لم يصحبها الجحد لم تسقط اللام التي يجاب بها الايمان وذلك كقول القائل والله لآتينك واذا كان ما بعدها مجحودا تلقيت بما أو بلا فلما عرف موقعها حذفت من الكلام لمعرفة السامع بمعنى الكلام ومنه قول امرئ القيس

فقلت يمين الله أبرح قاعدا ❊ ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

فحذف لا من قوله أبرح قاعدا لما ذكرت من العلة كما قال الآخر

فلا وأبي دهماء زالت عزيزة ❊ على قومها ما فتل الزند قادح

يريد لا زالت وقوله حتى تكون حرضا يقول حتى تكون دنف الجسم مخبول العقل وأصل الحرض الفساد في الجسم والعقل من الحزن أو العشق ومنه قول العرجي

اني امرؤ لج بي حب فأحرضني ❊ حتى بليت وحتى شفني السقم

يعني بقوله فأحرضني أذابني فتركني محرضا يقال منه رجل حرض وامرأة حرض وقوم حرض ورجلان حرض على صورة واحدة المذكر والمؤنث وفي التثنية والجمع ومن العرب من يقول للذكر حارض وللانثى حارضة فاذا وصف بهذا اللفظ ثني وجمع وذكر وأنث ووحد حرض بكل حال ولم يدخله التأنيث لانه مصدر فاذا أخرج على فاعل على تقدير الاسماء لزمه ما يلزم الاسماء من التثنية والجمع والتذكير والتأنيث وذكر بعضهم سماعا رجل محرض اذا كان وجعا وأنشد في ذلك بيتا

طلبته الخيل يوما كاملا ❊ ولو الفته لأضحى محرضا

وذكر أن منه قول امرئ القيس

أرى المرء ذا الاذواد يصبح محرضا ❊ كاحراض بكر في الديار مريض

❊ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال

(١) كذا في النسخ وهو مكرر سندا ومتنا باللفظ والمعنى فتنبه وحرر كتبه مصححه

سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين ❊ واسئل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وانا لصادقون ❊ قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا انه هو العليم الحكيم ❊ القراآت اني أنا أخوك بفتح الياء أبو عمرو وأبو جعفر ونافع نرفع درجات من نشاء بالاضافة وبياء الغيبة في الفعلين سهل ويعقوب بالنون وبالتنوين عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون بالنون وعلى الاضافة فلما استيأسوا وبابه بالالف ثم الياء أبو ربيعة عن البزي وحمزة في الوقف وان شاء لين الهمزة الباقون بياء ثم همزة على الأصل لي أبي بفتح الياء فيهما أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وافق ابن كثير في أبي ❊ الوقوف يعملون ○ لسارقون ○ تفقدون ○ زعيم ○ سارقين ○ كاذبين ○ فهو جزاؤه ط الظالمين ○ من وعاء أخيه ط ليوسف ط يشاء الله ط لان ما بعده مستأنف نشاء ط عليم ○ من قبل ط مكانا ج تصفون ○ مكانه ج الثلاثة لانقطاع النظم مع اتصال المعنى المحسنين ○ عنده لا لتعلق اذا بما قبلها ظالمون ○ نجيا ط يوسف ط للابتداء بالنفي مع فاء التعقيب يحكم الله لي ج لاحتمال ما بعده الابتداء أو الحال الحاكمين ○ سرق ج لانقطاع النظم مع اتحاد القائل حافظين ○ أقبلنا فيها ط لاختلاف الجملتين والابتداء بان ثني لصادقون ○ أمرا ط جميل ط جميعا ط الحكيم ○ ❊ التفسير روي أنهم لما أتوه بأخيهم بنيامين أنزلهم وأكرمهم ثم أضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان أخي يوسف حيا لأجلسني معه فقال يوسف بقي

ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله حتى تكون حرضا يعنى الجهد فى المرض البالى حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد حتى تكون حرضا قال دون الموت حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن ليث عن مجاهد حتى تكون حرضا قال الحرض مادون الموت حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله * قال ثنا اسحق قال ثنا عبدالله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة حتى تكون حرضا حتى تبلى أو تهرم حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة حتى تكون حرضا حتى تكون هرما حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أبى بكر الهذلى عن الحسن حتى تكون حرضا قال هرما * قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك قال الحرض الشئ البالى حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك فى قوله حتى تكون حرضا قال الحرض الشئ البالى الفانى * قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن أبى معاذ عن عبيد بن سلمن عن الضحاك حتى تكون حرضا الحرض البالى حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سلمن عن الضحاك يقول فى قوله حتى تكون حرضا هو البالى المدثر حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى حتى تكون حرضا باليا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما ذكر يعقوب يوسف قالوا يعنى ولده الذين حضروه فى ذلك الوقت جهلا وظلما تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أى تكون فاسد العقل لك أو تكون من الهالكين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين قال الحرض الذى قد رد الى أرذل العمر حتى لا يعقل أو تهلك فتكون هالكا قبل ذلك وقوله أو تكون من الهالكين يقول أو تكون ممن هلك بالموت * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن ليث عن مجاهد أو تكون من الهالكين قال الموت حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أو تكون من الهالكين من الميتين حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك أو تكون من الهالكين قال الميتين حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن عون عن أبى بكر الهذلى عن الحسن أو تكون من الهالكين قال الميتين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أو تكون من الهالكين قال أو تموت حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أو تكون من الهالكين قال من الميتين حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى أو تكون

أخوكم وحيدا فأجلسه معه على مائدته ثم أمر أن ينزل كل اثنين منهم بيتا وقال هذا الثانى له فاتركوه معى فآواه اليه أى أنزله فى المنزل الذى كان يأوى اليه فبات يوسف يضمه اليه ويشم رائحته حتى أصبح ولما رأى تأسفه لاخ هلك قال له أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك قال من يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه و(قال انى أنا أخوك) قال وهب أراد انى أقوم لك مقام أخيك فى الايناس وعدم التوحش وقال ابن عباس وسائر المفسرين أراد تعريف النسب لان ذلك أقوى فى ازالة الوحشة ولا وجه لصرف اللفظ عن ظاهره من غير ضرورة (فلا تبتئس) افتعال من البؤس الشدة والضر أراد نهيه عن اجتلاب الحزن (بما كانوا يعملون) من دواعى الحسد والاعمال المنكرة التى أقدموا عليها يروى أن بنيامين قال ليوسف أنا لا أفارقك فقال له يوسف قد علمت اغتمام والدى بى واذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل الى ذلك ولا سبيل الا أن أنسبك الى ما ليس يحسن قال أنا راض بما رضيت قال فانى أدس صاعى فى رحلك ثم أنادى عليك أنك قد سرقته فذلك قوله سبحانه (فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية فى رحل أخيه) والسقاية مشربة يسقى بها وهى الصواع كان يسقى بها الملك أو الدواب ثم جعلت صاعا يكال به وكان مستطيلا من ذهب أو فضة مموهة بالذهب أو مرصعا بالجواهر أقوال (ثم أذن مؤذن) نادى مناد ومعناه راجع الى الايذان والاعلام الا أن التشديد يفيد التكثير أو التصويت بالنداء (أيتها العير) أراد أصحاب العير كقوله صلى الله عليه وسلم ياخيل الله اركبى والعير الابل التى عليها الاحمال لانها تعير أى تذهب وتجىء وقيل هى قافلة الحمير كأنها جمع عير وأصلها فعل بالضم كسقف فأبدلت الضمة كسرة لاجل الياء كما فى بيض ثم كثر فى الاستعمال حتى قيل لكل قافلة عير وههنا سؤال وهو أنه كيف جاز لنبى الله أن يرضى بنسبة قومه الى السرقة وهم برآء وأجاب العلماء بأنهم فعلوا ذلك من عند أنفسهم لانهم لما لم يجدوا السقاية

غلب على ظنونهم أنهم أخذوها أو المؤذن ذكر ماذكر على سبيل الاستفهام أو المراد أنهم سرقوا يوسف عليه السلام من أبيهم أو المراد ان فيكم سارقا وهو الاخ الذي رضي بذلك البهتان فلا ذنب لان الخصم رضي بأن يقال في حقه ذلك ثم ان اخوة يوسف (قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك) (٣٠) قيل صواع اسم للصاع والسقاية وصف (ولمن جاء به) أي بالصواع (حمل بعير) من طعام جعلا لمن حصله (وأنا به زعيم) كفيل هو من قول المؤذن وفيه أن الكفالة كانت صحيحة في شرعهم أيضا اذا كان معلوما فكان حمل بعير كان عندهم شيأ معلوما كوسق مثلا الا أن هذه كفالة مال لرد السرقة وهو كفالة ما لم يجب لانه لا يحل للسارق أن يأخذ شيأ على رد السرقة ولعل مثل هذه الكفالة كانت تصح عندهم (قالوا تالله) التاء مبدلة من الواو فضعفت عن التصرف في سائر الاسماء وجعلت فيما هو أحق بالقسم وهو اسم الله عز وجل حلفوا على أمرين معجبين أحدهما أنهم علموا أن اخوة يوسف ما جاؤا لأجل الفساد في الأرض بالنهب والغصب ونحو ذلك حتى روى أنهم دخلوا وأفواه دوابهم مشدودة خوفا من أن تتناول زرعا أو طعاما لأحد في الطرق والاسواق وكانوا مواظبين على أنواع الطاعات ورد المظالم حتى حكي أنهم ردوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم وثانيهما أنهم ما وصفوا قط بالسرقة (قالوا) أي أصحاب يوسف (فما جزاؤه) قال في الكشاف الضمير للصواع والمضاف محذوف أي فما جزاء سرقته ان كنتم من الكاذبين في جحودكم وادعائكم البراءة قلت ويحتمل أن يعود الى السارق وكان حكم السارق في آل يعقوب أن يسترق سنة فلذلك استفتوا في الجزاء حتى (قالوا جزاؤه من وجد في رحله) أي جزاؤه الرق قال الزجاج وقوله (فهو جزاؤه) زيادة في البيان أي فأخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير كما يقال حق السارق أن يقطع جزاؤه ولتقرر ما ذكر من استحقاقه ويجوز أن يكون مبتدأ وباقي الكلام جملة شرطية مرفوعة المحل بالخبرية على أن الاصل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو ليكون الضمير الثاني عائدا الى المبتدأ والاول الى من ولكنه

قال

من الهالكين قال من الميتين ✽ القول في تأويل قوله تعالى (قال انما أشكو بثي وحزني الى الله وأعلم من الله مالا تعلمون) يقول تعالى ذكره قال يعقوب للقائلين له من ولده تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين لست اليكم أشكو بثي وحزني وانما أشكو ذلك الى الله ويعني بقوله انما أشكو بثي ما أشكو همي وحزني الا الى الله ✽ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج انما أشكو بثي قال ابن عباس بثي همي حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال قال يعقوب عن علم بالله انما أشكو بثي وحزني الى الله وأعلم من الله مالا تعلمون لما رأى من فظاظتهم وغلظتهم وسوء لفظهم به لم أشك ذلك اليكم وأعلم من الله مالا تعلمون حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن عوف عن الحسن انما أشكو بثي وحزني الى الله قال حاجتي وحزني الى الله حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا هوذة بن خليفة قال ثنا عوف عن الحسن مثله وقيل ان البث أشد الحزن وهو عندي من بث الحديث وانما يراد منه انما أشكو خبري الذي أنا فيه من الهم وأبث حديثي وحزني الى الله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا يحيى بن سعيد عن عوف عن الحسن انما أشكو بثي قال حزني حدثنا ابن بشار قال ثني يحيى بن سعيد عن عوف عن الحسن انما أشكو بثي وحزني قال حاجتي وأما قوله وأعلم من الله مالا تعلمون فان ابن عباس كان يقول في ذلك فيما ذكر عنه ما حدثني به محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله وأعلم من الله مالا تعلمون يقول أعلم أن رؤيا يوسف صادقة واني سأسجد له حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدي قال انما أشكو بثي وحزني الى الله وأعلم من الله مالا تعلمون قال لما أخبروه بدعاء الملك أحست نفس يعقوب وقال ما يكون في الارض صديق الا نبي فطمع قال لعله يوسف حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال انما أشكو بثي وحزني الى الله الآية ذكر لنا أن نبي الله يعقوب لم ينزل به بلاء قط الا أتى حسن ظنه بالله من ورائه حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عيسى بن يزيد عن الحسن قال قيل ما بلغ وجد يعقوب على ابنه قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الأجر قال أجر مائة شهيد قال وما ساء ظنه بالله ساعة من ليل ولا نهار حدثنا به ابن حميد مرة أخرى قال ثنا حكام عن أبي معاذ عن يونس عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن المبارك بن مجاهد عن رجل من الازد عن طلحة ابن مصرف الايامي قال ثلاثة لا تذكرهن واجتنب ذكرهن لا تشك مرضك ولا تشك مصيبتك ولا تزك نفسك قال وأنبئت أن يعقوب بن اسحق دخل عليه جار له فقال له يا يعقوب مالي أراك قد انهشمت وفنيت ولم تبلغ من السن ما بلغ أبوك قال هشمني وأفناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف وذكره فأوحى الله اليه يا يعقوب أتشكوني الى خلقي فقال يا رب خطيئة أخطأتها فاغفرها لي قال واني قد غفرت لك وكان بعد ذلك اذا سئل قال انما أشكو بثي وحزني الى الله وأعلم من الله مالا تعلمون حدثنا عمرو بن علي قال ثني مؤمل بن اسمعيل قال ثنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت

وضع المظهر مقام المضمر للتأكيد والمبالغة وجوز في الكشاف أن يكون جزاؤه خبر مبتدأ محذوف أي المسؤل عنه جزاؤه ثم أفتوا بقولهم من وجد في رحله فهو جزاؤه وأما قوله (كذلك) أي مثل ذلك الجزاء (نجزي الظالمين) فيحتمل أن يكون من بقية كلام اخوة يوسف وأن يكون من كلام أصحاب يوسف والله أعلم ثم قال لهم المؤذن ومن معه لابد من تفتيش أوعيتكم فانصرف بهم الى يوسف فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه) لنفي التهمة والوعاء كل ما إذا وضع فيه شيء أحاط به قال قتادة كان لا ينظر في وعاء الا استغفر الله تأثما قذفهم به حتى إذا لم يبق الا أخوه قال ما أظن هذا أخذ شيئا فقالوا والله لا نتركه حتى تنظر في رحله فنظر (ثم استخرجها) أي السقاية أو الصواع لأنه يذكر ويؤنث (من وعاء أخيه) فأخذوا برقبته وحكموا برقيته ثم قال سبحانه (كذلك) أي مثل ذلك الكيد العظيم (كدنا ليوسف) يعني علمناه إياه وأوحينا به اليه والكيد مبدؤه السعي في الحيلة والخديعة ونهايته القاء الانسان من حيث لا يشعر به في أمر مكروه لا سبيل الى دفعه وقد سبق فيما تقدم أن أمثال هذه الالفاظ في حقه تعالى محمولة على النهايات لا على البدايات وما هذا الكيد قيل هو أن اخوة يوسف سعوا في ابطال أمره والله تعالى نصره وقواه وقيل الكيد يستعمل في الخير أيضا والمعنى كفعلنا بيوسف من الاحسان اليه ابتداء فعلنا به انتهاء وقيل تفسير هذا الكيد هو قوله (ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك) لان حكم الملك في السارق أن يضرب ويغرم مثلي ما سرق فما كان يوسف قادرا على حبس أخيه بناء على دين الملك وحكمه ومعنى (الا أن يشاء الله) هو أن الله كاده له فأجرى على لسان اخوته أن جزاء السارق هو الاسترقاق حتى توصل بذلك الى أخذ أخيه وحكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها الى بعض الاغراض الدينية والدنيوية ثم مدحه على الهداية الى هذه الحيلة كما مدح ابراهيم على ما حكى عنه من دلائل التوحيد والبراءة من الهية الكوكب ثم القمر ثم الشمس فقال (نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم) فوقه أرفع درجة منه في علمه ثم ان أطلق على الله تعالى أنه

قال بلغني أن يعقوب كبر حتى سقط حاجباه على وجنتيه فكان يرفعهما بخرقة فقال له رجل ما بلغ بك ما أرى قال طول الزمان وكثرة الأحزان فأوحى الله اليه يا يعقوب تشكوني قال خطيئة فاغفرها حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا ثور بن يزيد قال دخل يعقوب على فرعون وقد سقط حاجباه على عينيه فقال ما بلغ بك هذا يا ابراهيم فقالوا انه يعقوب فقال ما بلغ بك هذا يا يعقوب قال طول الزمان وكثرة الأحزان فقال الله يا يعقوب أتشكوني فقال يا رب خطيئة أخطأتها فاغفرها لي حدثنا عمرو بن علي قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا هشام عن ليث ابن أبي سليم قال دخل جبرئيل على يوسف السجن فعرفه فقال أيها الملك الحسن وجهه الطيبة ريحه الكريم على ربه ألا تخبرني عن يعقوب أحي هو قال نعم قال أيها الملك الحسن وجهه الطيبة ريحه الكريم على ربه فما بلغ من حزنه قال حزن سبعين مثكلة قال أيها الملك الحسن وجهه الطيبة ريحه الكريم على ربه فهل في ذلك من أجر قال أجر مائة شهيد حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد قال حدثت أن جبرئيل أتى يوسف صلى الله عليهما وسلم وهو بمصر في صورة رجل فلما رآه يوسف عرفه فقام اليه فقال أيها الملك الطيب ريحه الطاهر ثيابه الكريم على ربه هل لك بيعقوب من علم قال نعم قال أيها الملك الطاهر ثيابه الكريم على ربه فكيف هو قال ذهب بصره قال أيها الملك الطاهر ثيابه الكريم على ربه وما الذي أذهب بصره قال الحزن عليك قال أيها الملك الطيب ريحه الطاهر ثيابه الكريم على ربه فما أعطي على ذلك قال أجر سبعين شهيدا حدثني يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال أبو شريح سمعت من يحدث أن يوسف سأل جبرئيل ما بلغ من حزن يعقوب قال حزن سبعين ثكلى قال فما بلغ أجره قال أجر سبعين شهيدا * قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني نافع بن يزيد عن عبد الله بن أبي جعفر قال دخل جبرئيل على يوسف في البئر أو في السجن فقال له يوسف يا جبرئيل ما بلغ حزن أبي قال حزن سبعين ثكلى قال فما بلغ أجره من الله قال أجر مائة شهيد حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثني عبد الصمد بن معقل قال سمعت وهب بن منبه يقول أتى جبرئيل يوسف بالبشرى وهو في السجن فقال هل تعرفني أيها الصديق قال أرى صورة طاهرة وروحا طيبة لا تشبه أرواح الخاطئين قال فاني رسول رب العالمين وانا الروح الأمين قال فما الذي أدخلك على مدخل المذنبين وأنت أطيب الطيبين ورأس المقربين وأمين رب العالمين قال ألم تعلم يا يوسف أن الله يطهر البيوت بطهر النبيين وأن الارض التي يدخلونها هي أطهر الارضين وأن الله قد طهر بك السجن وما حوله يا طهر الطاهرين وابن المطهرين انما يتطهر بفضل طهرك وطهر آبائك الصالحين المخلصين قال كيف لي باسم الصديقين وتعدني من المخلصين وقد أدخلت مدخل المذنبين وسميت بالضالين المفسدين قال لم يفتتن قلبك ولم تطع سيدتك في معصية ربك ولذلك سماك الله في الصديقين وعدك من المخلصين وألحقك بآبائك الصالحين قال لك علم بيعقوب أيها الروح الامين قال نعم وهبه الله الصبر الجميل وابتلاه بالحزن عليك فهو كظيم قال فما قدر حزنه قال حزن سبعين ثكلى قال فماذا له من الاجر يا جبرئيل قال قدر مائة شهيد حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن ليث عن ثابت البناني قال دخل جبرئيل على يوسف في السجن فعرفه يوسف قال

ذوعلم كان هذا العام مخصوصا لانه لاعليم فوقه وان قيل انه عالم بلاعلم كما يقوله بعض المعتزلة كان النص باقيا على عمومه وان قلنا ان الكل بمعنى المجموع كان المعنى وفوق جميع العلماء عليم هم دونه فى العلم وهو الله تعالى والميل الى هذا التفسير لان قوله ذو علم مشعر بكون علمه زائدا على حقيقته ووصفه تعالى عين ذاته (٣٢) وفى هذا البحث طول وفى الرمز كفاية يروى أنهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤسهم حياء وأقبلوا عليه وقالوا له ماذا الذى صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يا بنى راحيل مايزال لنا منكم بلاء متى أخذت هذا الصاع فقال بنو راحيل هم الذين لايزال منكم عليهم البلاء ذهبتم بأخى فأهلكتموه ووضع هذا الصواع فى رحلى الذى وضع البضاعة فى رحالكم فعند ذلك (قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل) عنوا به يوسف واختلف فى تلك السرقة فعن سعيد بن جبير أن جده أبا أمه كان يعبد الوثن فأمرته أمه بان يسرق تلك الاوثان و يكسرها فلعله يترك عبادتها وقيل سرق عناقا من أبيه أو دجاجة ودفعها الى مسكين وقيل كانت لابراهيم عليه السلام منطقة يتوارثها أكابر ولده فورثها اسحق ثم وقعت الى ابنته عمة يوسف فحضنت يوسف الى أن شب فأراد يعقوب أن ينتزعه منها وكانت تحبه حبا شديدا فشدت المنطقة على يوسف تحت ثيابه ثم زعمت أنه قد سرقها وكان فى شرعهم استرقاق السارق فتوسلت بهذه الحيلة الى امساكه عند نفسها وقيل انهم كذبوا عليه وبهتوه حسدا وغيظا (فأسرها يوسف) قال الزجاج وغيره الضمير يعود الى الكلمة أو الجملة كأنه قيل فأسر الجملة فى نفسه ولم يبدها لهم ثم فسرها بقوله (قال أنتم شر مكانا) والمعنى أنه قال هذه الجملة على سبيل الخفية وطعن الفارسى فى هذا الوجه فقال ان هذا النوع من الاضمار على شريطة التفسير غير مستعمل والحق أن القرآن حجة على غيره وقيل الضمير عائد الى الاجابة أى أسر يوسف اجابتهم فى ذلك الوقت الى وقت آخر وقيل يعود الى المقالة أو السرقة أى لم يبين يوسف أن تلك السرقة كيف وقعت وأنه ليس فيها ما يوجب الذم والعار وعن ابن عباس أنه قال

فأتاه فسلم عليه فقال أيها الملك الطيب ريحه الطاهر ثيابه الكريم على ربه هل لك من علم بيعقوب قال نعم قال أيها الملك الطيب ريحه الطاهر ثيابه الكريم على ربه هل تدرى ما فعل قال ابيضت عيناه قال أيها الملك الطيب ريحه الطاهر ثيابه الكريم على ربه مم ذاك قال من الحزن عليك قال أيها الملك الطيب ريحه الطاهر ثيابه الكريم على ربه وما بلغ من حزنه قال حزن سبعين مثكلة قال أيها الملك الطيب ريحه الطاهر ثيابه الكريم على ربه هل له على ذلك من أجر قال نعم أجر مائة شهيد حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى قال أتى جبرئيل يوسف وهو فى السجن فسلم عليه وجاءه فى صورة رجل حسن الوجه طيب الريح نقى الثياب فقال له يوسف أيها الملك الحسن وجهه الكريم على ربه الطيب ريحه حدثنى كيف يعقوب قال حزن عليك حزنا شديدا قال وما بلغ من حزنه قال حزن سبعين مثكلة قال فما بلغ من أجره قال أجر سبعين أو مائة شهيد قال يوسف فالى من أوى بعدى قال الى أخيك بنيامين قال فترانى ألقاه أبدا قال نعم فبكى يوسف لما لقى أبوه بعده ثم قال ما أبالى ما لقيت ان الله أرانيه * قال ثنا عمرو بن محمد عن ابراهيم بن يزيد عن عمرو بن دينار عن عكرمة قال أتى جبرئيل يوسف وهو فى السجن فسلم عليه فقال له يوسف أيها الملك الكريم على ربه الطيب ريحه الطاهر ثيابه هل لك من علم بيعقوب قال نعم ما أشد حزنه قال أيها الملك الكريم على ربه الطيب ريحه الطاهر ثيابه ماذا له من الاجر قال أجر سبعين شهيدا قال أفترانى لاقيه قال نعم قال فطابت نفس يوسف حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن ليث عن سعيد بن جبير قال لما دخل يعقوب على الملك وحاجباه قد سقطا على عينيه قال الملك ما هذا قال السنون والاحزان أو الهموم والاحزان فقال ربه يا يعقوب لم تشكونى الى خلقى ألم أفعل بك وأفعل حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن عبد الرحمن بن زياد عن مسلم بن يسار يرفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم قال من بث لم يصبر ثم قرأ انما أشكو بثى وحزنى الى الله حدثنى عمرو بن عبد الحميد الآملى قال ثنا أبو أسامة عن هشام عن الحسن قال كان منذ خرج يوسف من عند يعقوب الى يوم رجع ثمانون سنة لم يفارق الحزن قلبه يبكى حتى ذهب بصره قال الحسن والله ما على الارض يومئذ خليقة أكرم على الله من يعقوب صلى الله عليه وسلم ❊ القول فى تأويل قوله تعالى (يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) يقول تعالى ذكره حين طمع يعقوب فى يوسف قال لبنيه يا بنى اذهبوا الى الموضع الذى جئتم منه وخلفتم أخويكم به فتحسسوا من يوسف يقول التمسوا يوسف وتعرفوا من خبره وأصل التحسس التفعل من الحس وأخيه يعنى بنيامين ولا تيأسوا من روح الله يقول ولا تقنطوا من أن يروح الله عنا ما نحن فيه من الحزن على يوسف وأخيه بفرج من عنده فيرينيهما انه لا ييأس من روح الله يقول لا يقنط من فرجه ورحمته ويقطع رجاءه منه الا القوم الكافرون يعنى القوم الذين يجحدون قدرته على ما شاء تكوينه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه بمصر ولا تيأسوا من روح الله قال من فرج الله أن يرد يوسف

حدثنا

عوقب يوسف ثلاث مرات عوقب بالحبس لاجل همه بها وبالحبس الطويل لقوله اذكرني عند ربك وبقولهم فقد سرق أخ له من قبل لقوله انكم لسارقون ومعنى شر مكانا شر منزلة في السرق لانكم سرقتم أخاكم من أبيكم على التحقيق وقلتم أكله الذئب (والله أعلم بما تصفون) المراد أنه يعلم أني لست بسارق في التحقيق ولا أخي أو الله

أعلم بأن الذي وصفتموه هل يوجب ذما

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تيأسوا من روح الله أي من رحمة الله حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة نحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثم ان يعقوب قال لبنيه وهو على حسن ظنه بربه مع الذي هو فيه من الحزن يابني اذهبوا الى البلاد التي منها جئتم فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله أي من فرجه انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله ولا تيأسوا من روح الله يقول من رحمة الله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا تيأسوا من روح الله قال من فرج الله يفرج عنكم الغم الذي أنتم فيه ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين﴾ وفي الكلام متروك قد استغنى بذكر ما ظهر عما حذف وذلك فخرجوا راجعين الى مصر حتى صاروا اليها فدخلوا على يوسف فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر أي الشدة من الجدب والقحط وجئنا ببضاعة مزجاة كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال وخرجوا الى مصر راجعين اليها ببضاعة مزجاة أي قليلة لا تبلغ ما كانوا يتبايعون به الا أن يتجاوز لهم فيها وقد رأوا ما نزل بأبيهم وتتابع البلاء عليه في ولده وبصره حتى قدموا على يوسف فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز رجاء أن يرحمهم في شأن أخيهم مسنا وأهلنا الضر وعنى بقوله وجئنا ببضاعة مزجاة بدراهم أو ثمن لا يجوز في ثمن الطعام الا لمن يتجاوز فيها وأصل الازجاء السوق بالدفع كما قال النابغة الذبياني

وهبت الريح من تلقاء ذي أرل ... تزجي مع الليل من صرادها صرما

يعني تسوق وتدفع ومنه قول أعشى بني ثعلبة

الواهب المائة الهجان وعبدها ... عوذا تزجي خلفها أطفالها

وقول حاتم

ليبك على ملحان ضيف مدفع ... وأرملة تزجي مع الليل أرملا

يعني أنها تسوقه بين يديها على ضعف منه عن المشي وعجز ولذلك قيل ببضاعة مزجاة لانها غير نافقة وانما تجوز تجويزا (١) على نفع من آخذيها وقد اختلف أهل التأويل في البيان عن تأويل ذلك وان كانت معاني بيانهم متقاربة ذكر أقوال أهل التأويل في ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس ببضاعة مزجاة قال رديئة زيوف لا تنفق حتى يوضع منها حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عمرو بن محمد العنقزي قال ثنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس في قوله وجئنا ببضاعة مزجاة قال الرديئة التي لا تنفق حتى يوضع منها حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عثمان بن أبي سليمن عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس وجئنا ببضاعة مزجاة

(١) لعله على دفع تأمل وحرر

أم لا قال ابن عباس لما قال يوسف هذا القول غضب روبيل وكان اذا غضب وصاح لم تسمع صوته حامل الا وضعت وقام شعره على جلده فلا يسكن حتى يضع بعض آل يعقوب يده عليه فقال لبعض اخوته اكفوني اسواق أهل مصر وأنا أكفيكم الملك فقال يوسف لابن صغير له مسه فمسه فذهب غضبه وهم أن يصيح فركض يوسف رجله على الارض ليريه أنه شديد وجذبه فسقط فعند ذلك (قالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا) في السن أو في القدر وهو أحب اليه منا (فخذ أحدنا مكانه) استعبادا أو رهنا حتى نبعث الفداء اليك فلعل العفو أو الفداء كان جائزا أيضا عندهم (انا نراك من المحسنين) لو فعلت ذلك أو من المحسنين الينا بأنواع الكرامة ورد البضاعة الى رحالنا أو أرادوا الاحسان الى أهل مصر حيث أعتقهم بعد ما اشترى رقابهم بالطعام (قال) يوسف (معاذ الله) من (أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا) أي اذا أخذنا غيره (لظالمون) في مذهبكم لان استعباد غير من وجد الصواع في رحله ظلم عندكم أو أراد ان الله أمرني وأوحى الي بأخذ بنيامين فلو أخذت غيره كنت عاملا بخلاف الوحي (فلما استيأسوا منه) حيث لم يقبل الشفاعة أي يئسوا والزيادة للمبالغة

(خلصوا) اعتزلوا عن الناس خالصين لا يخالطهم غيرهم (نجيا) مصدر والمضاف محذوف أي ذوي نجوى أو المراد أنهم التناجي في أنفسهم لاستجماعهم بذلك واندفاعهم فيه بجد واهتمام كما يقال رجل جور ورجال عدل أو صفة لموصوف محذوف أي فوجا نجيا بمعنى مناجيا بعضهم لبعض كالعشير بمعنى المعاشر وفيهم كان تناجيهم الجواب في تدبير أمرهم على أي

وجه يذهبون وماذا يقولون لابيهم فى شأن أخيهم فعند ذلك (قال كبيرهم) فى السن وهو روبيل أوفى القدر وهو شمعون لانه كان رئيسهم أوفى العقل والرأى وهو يهوذا وقوله (ما فرطتم) اما ان تكون ماصلة أى ومن قبل هذا قصرتم (فى) شأن (يوسف) ولم توفوا بعهد كم أباكم واما أن تكون مصدرية محله الرفع على

الابتداء وخبره الظرف تقديره ومن قبل تفريطكم أى وقع من قبل تقصيركم فى حقه أو النصب عطفا على مفعول ألم تعلموا كأنه ألم تعلموا أخذ أبيكم عليكم موثقا وتفريطكم من قبل واما أن تكون موصولة بمعنى ومن قبل هذا ما فرطتموه أى قدمتموه فى شأن يوسف من الجناية والخيانة ومحل الموصول الرفع أو النصب على الوجهين (فلن أبرح الارض) فلن أفارق أرض مصر (حتى يأذن لى أبى) فى الانصراف (أو يحكم الله لى) بالخروج منها أو بالانتصاف من أخذ أخى أو بخلاصه من يده بسبب من الاسباب ثم انه بقى ذلك الكبير فى مصر وقال لغيره من الاخوة (ارجعوا الى أبيكم فقولوا يا أبانا ان ابنك سرق) قاله بناء على ما شاهد من استخراج الصواع من وعائه أو أراد أنه سرق فى قول الملك وأصحابه كقول قوم شعيب انك لانت الحليم الرشيد أى فى زعمك واعتقادك أو المراد إن ابنك ظهر عليه ما يشبه السرقة واطلاق اسم أحد الشبيهين على الآخر جائز أو القوم ما كانوا حينئذ أنبياء فلا يبعد منهم الذنب وعن ابن عباس أنه قرأ سرق مشددا مبنيا للمفعول أى نسب الى السرقة وعلى هذا فلا اشكال ومما يدل على أنهم بنوا الامر على الظاهر قوله (وما شهدنا الا بما علمنا) أى الا بقدر ما تيقناه من رؤية الصواع فى وعائه (وما كنا للغيب) للامر الخفى (حافظين) فان الغيب لا يعلمه الا الله وعن عكرمة أن الغيب الليل معناه لعل الصواع دس فى رحله بالليل من حيث لا يشعر أو ما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الموثق قاله مجاهد والحسن وقتادة أو ما علمنا أنا اذا قلنا ان شرع بنى اسرائيل هو استرقاق السارق أخذ أخونا بتلك الحيلة ثم بالغوا فى ازالة التهمة فقالوا (واسأل القرية التى كنا فيها) الاكثرون على أنها مصر وقيل قرية على باب مصر

قال خلق الغرارة والحبل والشئ حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عثمان بن أبى سليمن عن ابن أبى مليكة قال سمعت ابن عباس وسئل عن قوله وجئنا ببضاعة مزجاة قال رثة المتاع الحبل والغرارة والشئ حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عثمان بن أبى سليمن عن ابن أبى مليكة عن ابن عباس مثله حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وجئنا ببضاعة مزجاة قال البضاعة الدراهم والمزجاة غير طائل حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن ابن أبى زياد عمن حدثه عن ابن عباس قال كاسدة غير طائل حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر بن عياش قال ثنا أبو حصين عن سعيد بن جبير وعكرمة وجئنا ببضاعة مزجاة قال سعيد ناقصة وقال عكرمة دراهم فسول حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو بكر بن عياش عن أبى حصين عن سعيد بن جبير وعكرمة مثله حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع و حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن أبى حصين عن سعيد بن جبير وعكرمة وجئنا ببضاعة مزجاة قال أحدهما ناقصة وقال الآخر ردية * وبه قال ثنا أبى عن سفيان عن يزيد بن أبى زياد عن عبد الله بن الحرث قال كان سمنا وصوفا حدثنا الحسن قال ثنا على بن عاصم عن يزيد بن أبى زياد قال سأل رجل عبد الله بن الحرث وأنا عنده عن قوله وجئنا ببضاعة مزجاة قال قليلة متاع الاعراب الصوف والسمن حدثنا اسحق بن زياد القطان أبو يعقوب البصرى قال ثنا محمد بن اسحق البلخى قال ثنا مروان بن معاوية الفزارى عن مروان بن عمرو العذرى عن أبى اسمعيل عن أبى صالح فى قوله وجئنا ببضاعة مزجاة قال الصنوبر والحبة الخضراء حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن يزيد بن الوليد عن ابراهيم فى قوله وجئنا ببضاعة مزجاة قال قليلة ألا تسمع الى قوله فأوفر ركابنا وهم يقرؤن كذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم أنه قال ما أراها الا القليلة لانها فى مصحف عبد الله وأوقر ركابنا يعنى قوله مزجاة حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن القعقاع بن يزيد عن ابراهيم قال قليلة ألم تسمع الى قوله وأوقر ركابنا حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد عن أبى بكر الهذلى عن سعيد بن جبير والحسن بضاعة مزجاة قال سعيد الردية وقال الحسن القليلة حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن ادريس عن يزيد عن عبد الله بن الحرث قال متاع الأعراب سمن وصوف حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن ادريس عن أبيه عن عطية قال دراهم ليست بطائل حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مزجاة قال قليلة حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مزجاة قال قليلة حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله * قال ثنا قبيصة بن عقبة قال ثنا سفيان عن يزيد بن أبى زياد عن عبد الله بن الحرث وجئنا ببضاعة مزجاة قال شئ من صوف وشئ من سمن

سمن * قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن منصور عن الحسن قال قليلة حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج عمن حدثه عن مجاهد مزجاة قال قليلة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * قال ثنا الحسين قال ثنا أبو بكر بن عياش عن أبي حصين عن عكرمة قال ناقصة وقال سعيد بن جبير فسول * قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبي بكر عن سعيد بن جبير وجئنا ببضاعة مزجاة قال ردية حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربي عن جويبر عن الضحاك قال كاسدة لا تنفق حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك قال كاسدة حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبدة عن جويبر عن الضحاك قال كاسدة غير طائل حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ببضاعة مزجاة يقول كاسدة غير نافقة حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد الزبيري قال ثنا اسرائيل عن أبي حصين عن سعيد بن جبير وجئنا ببضاعة مزجاة قال الناقصة وقال عكرمة فيها تجوز * قال ثنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال الدراهم الردية التي لا تجوز الا بنقصان * قال ثنا اسرائيل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الدراهم الرذال التي لا تجوز الا بنقصان حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى قال دراهم فيها جواز حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجئنا ببضاعة مزجاة أي يسيرة حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مثله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وجئنا ببضاعة مزجاة قال المزجاة القليلة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وجئنا ببضاعة مزجاة أي قليلة لا تبلغ ما كنا نشترى به منك الا أن تتجاوز لنا فيها وقوله فأوف لنا الكيل بها وأعطنا بها ما كنت تعطينا قبل بالثمن الجيد والدراهم الجائزة الوافية التي لا ترد كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فأوف لنا الكيل أي أعطنا ما كنت تعطينا قبل فان بضاعتنا مزجاة حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى فأوف لنا الكيل قال كما كنت تعطينا بالدراهم الجياد وقوله وتصدق علينا يقول تعالى ذكره قالوا وتفضل علينا بما بين سعر الجياد والردية فلا تنقصنا من سعر طعامك لردى بضاعتنا ان الله يجزى المتصدقين يقول ان الله يثيب المتفضلين على أهل الحاجة بأموالهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى وتصدق علينا قال تفضل بما بين الجياد والردية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبي بكر عن سعيد بن جبير فأوف لنا الكيل وتصدق علينا لا تنقصنا من السعر من أجل ردى دراهمنا واختلفوا فى الصدقة هل كانت حلالا للأنبياء قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أو كانت حراما فقال بعضهم لم تكن حلالا لأحد من الأنبياء عليهم السلام ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبي بكر عن سعيد بن جبير قال ما سأل نبى قط الصدقة ولكنهم قالوا جئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا لا تنقصنا من السعر وروى

وقع فيها التفتيش أى أرسل الى أهلها فاسألهم عن كنه القصة (و) اسأل أصحاب (العير التى أقبلنا فيها) وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب وقيل قوما من أهل صنعاء وقال ابن الانبارى ان يعقوب كان من أكابر الانبياء فلا يبعد أن يحمل سؤال القرية على الحقيقة بأن ينطق الله الجمادات لاجله معجزة والمراد اسأل القرية والعير والجدران والحيطان

فانها تجيبك بصحة ما ذكرنا وقيل ان الشئ اذا ظهر ظهورا تاما فقد يقال سل عنه السماء والارض وجميع الاشياء ويراد انه ليس للشك فيه مجال ثم زادوا فى تأكيد نفى التهمة قائلين (وانا لصادقون) وليس غرضهم اثبات صدقهم فان ذلك يجرى مجرى اثبات الشئ بنفسه ولكن الانسان اذا ذكر الدليل القاطع على صحة الشئ فقد يقول بعده أنا صادق فتأمل فيما ذكرته ليزول عنك الشك وههنا اضمار التقدير فرجعوا الى أبيهم فقالوا له ما قال لهم أخوهم فعند ذلك (قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل) وقد مر تفسيره فى أول السورة ولكن المفسرين زادوا شيأ آخر فقيل المراد أنه خيل اليكم أنه سرق وما سرق وقيل أراد سولت لكم أنفسكم اخراج بنيامين والمصير به الى مصر طلبا للمنفعة فعاد من ذلك شر وضرر وألححتم على فى ارساله معكم ولم تعلموا أن قضاء الله ربما جاء على خلاف تقديركم وقيل أراد فتواهم وتعليمهم والا فما أدرى ذلك الرجل أن السارق يؤخذ بسرقته واعترض على هذا القول بأنه كيف يجوز على يعقوب السعى فى اخفاء حكم الله تعالى وأجيب بأن ذلك الحكم لعله كان مخصوصا بما اذا كان المسروق له مسلما وكان الملك فى ظن يعقوب كافرا ولما طال بلاؤه وحسن علم بحسن الظن والرجاء أنه سبحانه سيجعل له فرجا ومخرجا عما قريب أو لعله علم بالوحى أن يوسف حى وكان بنيامين والكبير الذى قال فلن أبرح الارض قد بقيا فى مصر فلذلك قال (عسى الله أن يأتينى بهم) أى بالثلاثة الغائبين (جميعا انه هو العليم) بحالى (الحكيم) فى كل ما يفعله من الابتلاء والابلاء

❁ (التأويل) لما دخل الاوصاف البشرية ومعهم السر على يوسف القلب آوى القلب السر اليه لانه أخوه الحقيق بالمناسبة الروحانية فلا

تبتئس اذا وصلت بي عما كانوا يعملون معك في مفارقتي لان السر مهما كان مفارقا من قلب مقارنا للاوصاف كان محروما عن كمالات هو مستعد لها فلما جهزهم جهز القلب الاوصاف بما يلائم أحوالها جعل السقاية وهي مشربة كان منها شربه في رحل أخيه لانهما رضيعا لبان واحد انكم لسارقون سرقتم في الاول يوسف القلب وشريتموه بثمن بخس من متاع الدنيا وشهواتها وسرقتم في الآخر مشربة ليست من مشاربكم وفيه أن من ادعى الشرب من مشارب الرجال وهو طفل بعد أخذ بالسرقة واستردت منه ولمن جاء به حمل بعير من علف الدواب ومراتع الحيوانات لانه ليس مستحقا للشرب من مشارب الملوك لقد علمتم أنا من المقبولين المقبلين على يوسف القلب لا نريد الافساد في أرض الدنيا كما قالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها وما كنا سارقين اذ أخذنا يوسف القلب وألقيناه في غيابة الجب البشرية بل سعينا في أن ينال مملكة مصر العبودية ليكون عزيزا فيها ونحن أذلاء له جزاؤه من وجد في رحله أي لكل شارب مشرب ولكل شرب فدية ففدية الشارب من مشرب الدنيا صنعته وحرفته وكسبه وفدية الشارب من مشرب الآخرة الدنيا وشهواتها وفدية الشارب من شرب المحبة بذل الوجود كذلك نجزي الظالمين الذين وضعوا صواع الملك في غير موضعه طمعا في أن يكونوا حريف الملك وشريبه كذلك كدنا ليوسف أي كما كاد الاوصاف البشرية في الابتداء بيوسف القلب اذ ألقوه في جب البشرية كدنا بهم عند قسمة الاقوات من خزانة الملك فجعلنا قسمتهم من مراتع الحيوانات يأكلون كما تأكل الانعام وقسمة بنيامين السر من مشربة الملك وفوق كل ذي علم آتيناه علم الصعود عليم يجذبه من المصعد الذي يصعد اليه بالعلم المخلوق الى مصعد لا يصعد اليه الا بالعلم القديم وهو السير في الله بالله الى الله وهذا صواع لا تسعه من أوعية الانسانية ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل فيه اشارة الى السر والقلب مع أنهما مخصوصان بالحظوظ الاخروية والروحانية فانهما قابلان للاسترقاق من الشهوات الدنياوية والنفسانية ولما رأت الاوصاف البشرية عزة القلب وعرفت اختصاص البشرية أرادت

عن ابن عيينة ما حدثني به الحرث قال ثنا القاسم قال يحكى عن سفيان بن عيينة أنه سئل هل حرمت الصدقة على أحد من الأنبياء قبل النبي صلى الله عليه وسلم فقال ألم تسمع قوله فأوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين * قال الحرث قال القاسم يذهب ابن عيينة الى أنهم لم يقولوا ذلك الا والصدقة لهم حلال وهم أنبياء فان الصدقة انما حرمت على محمد صلى الله عليه وسلم لا عليهم * وقال آخرون انما عنى بقوله وتصدق علينا وتصدق علينا برد أخينا الينا ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله وتصدق علينا قال رد الينا أخانا وهذا القول الذي ذكرناه عن ابن جريج وان كان قولا له وجه فليس بالقول المختار في تأويل قوله وتصدق علينا لان الصدقة في المتعارف انما هي اعطاء الرجل ذا الحاجة بعض أملاكه ابتغاء ثواب الله عليه وان كان كل معروف صدقة فتوجيه تأويل كلام الله الى الاغلب من معناه في كلام من نزل القرآن بلسانه أولى وأحرى * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال مجاهد حدثني الحرث قال ثنا القاسم قال ثنا مروان بن معاوية عن عثمان بن الاسود قال سمعت مجاهدا وسئل هل يكره أن يقول الرجل في دعائه اللهم تصدق علي فقال نعم انما الصدقة لمن يبغي الثواب ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون) ذكر أن يوسف صلوات الله وسلامه عليه لما قال له اخوته يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين أدركته الرقة وباح لهم بما كان يكتمهم من شأنه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ذكر لي أنهم لما كلموه بهذا الكلام غلبته نفسه فارفض دمعه باكيا ثم باح لهم بالذي يكتم منهم فقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون ولم يعن بذكر أخيه ما صنعه هو فيه حين أخذه ولكن للتفريق بينه وبين أخيه اذ صنعوا بيوسف ما صنعوا حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر الآية قال فرحمهم عند ذلك فقال لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون فتأويل الكلام هل تذكرون ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ فرقتم بينهما وصنعتم ما صنعتم اذ أنتم جاهلون يعني في حال جهلكم بعاقبة ما تفعلون بيوسف وما اليه صائر أمره وأمركم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قالوا أئنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين) يقول تعالى ذكره قال اخوة يوسف له حين قال لهم ذلك يوسف انك لأنت يوسف فقال نعم أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا بأن جمع بيننا بعد ما فرقتم بيننا انه من يتق ويصبر يقول انه من يتق الله فيراقبه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ويصبر يقول ويكف نفسه فيحبسها عما حرم الله عليه من قول أو عمل عند مصيبة نزلت به من الله فان الله لا يضيع أجر المحسنين يقول فان الله لا يبطل ثواب احسانه وجزاء طاعته اياه فيما أمره ونهاه وقد اختلف القراء في قراءة قوله أئنك لأنت يوسف فقرأ ذلك عامة قراء الامصار أئنك على الاستفهام وذكر أن ذلك في قراءة أبي بن كعب أو أنت يوسف وروي عن ابن محيصن أنه قرأ انك لأنت يوسف على الخبر لا على الاستفهام والصواب من القراءة في ذلك عندنا قراءة

من قرأه بالاستفهام لاجماع الحجة من القراء عليه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما قال لهم ذلك يعني قوله هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون كشف الغطاء فعرفوه فقالوا أئنك لأنت يوسف الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني من سمع عبد الله بن ادريس يذكر عن ليث عن مجاهد قوله انه من يتق ويصبر يقول من يتق معصية الله ويصبر على السجن ❁ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين﴾ يقول جل ثناؤه قال اخوة يوسف له تالله لقد فضلك الله علينا وآثرك بالعلم والحلم والفضل وان كنا لخاطئين يقول وما كنا في فعلنا الذي فعلنا بك في تفريقنا بينك وبين أبيك وأخيك وغير ذلك من صنيعنا الذي صنعنا بك الا خاطئين يعنون مخطئين يقال منه خطئ فلان يخطأ خطأ وخطأ وأخطأ يخطئ اخطاء ومن ذلك قول أمية بن الاسكر

وان مهاجرين تكنفاه * لعمر الله قد خطئا وخابا

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدي قال لما قال لهم يوسف أنا يوسف وهذا أخي اعتذروا اليه وقالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين فيما كنا صنعنا بك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله تالله لقد آثرك الله علينا وذلك بعدما عرفهم أنفسهم يقول جعلك الله رجلا حليما ❁ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين﴾ يقول تعالى ذكره قال يوسف لاخوته لا تثريب يقول لا تعيير عليكم ولا افساد لما بيني وبينكم من الحرمة وحق الاخوة ولكن لكم عندي الصفح والعفو وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا تثريب عليكم لم يثرب عليهم أعمالهم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير قوله لا تثريب عليكم اليوم قال قال سفيان لا تعيير عليكم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لا تثريب عليكم اليوم أي لا تأنيب عليكم اليوم عندي فيما صنعتم حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدي قال اعتذروا الى يوسف فقال لا تثريب عليكم اليوم يقول لا أذكر لكم ذنبكم وقوله يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين وهذا دعاء من يوسف لاخوته بأن يغفر الله لهم ذنبهم فيما أتوا اليه وركبوا منه من الظلم يقول عفا الله لكم عن ذنبكم وظلمكم فستره عليكم وهو أرحم الراحمين يقول والله أرحم الراحمين بمن تاب من ذنبه وأناب الى طاعته بالتوبة من معصيته كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين حين اعترفوا بذنبهم ❁ القول في تأويل قوله تعالى ﴿اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين﴾ قال أبو جعفر ذكر أن يوسف صلى الله عليه وسلم لما عرف نفسه اخوته سألهم عن أبيهم فقالوا ذهب بصره من الحزن فعند ذلك أعطاهم قميصه وقال لهم اذهبوا بقميصي هذا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدي قال قال لهم يوسف ما فعل أبي بعدي قالوا لما فاته بنيامين عمي من الحزن قال اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين وقوله يأت بصيرا يقول يعد بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين يقول وجيئوني بجميع أهلكم

أن تفدي نفسها وسيلة الى يعقوب الروح فقالت خذ أحدنا مكانه قال معاذ الله أن نقبل بالصحبة والمخالطة الا من وجدنا متاعنا من الصدق والمحبة والاخلاص عنده أي لا تكون صحبتنا بالكراهية والنفاق وانما تكون بعلة الجنسية فلما استيأسوا من صحبة القلب خلصوا عن الاوصاف الذميمة للتناجي قال كبيرهم وهو العقل ألم تعلموا أن أباكم وهو الروح قد أخذ عليكم موثقا من الله يوم الميثاق أن لا تعبدوا الا الله فلن أبرح أرض فناء القلب وهي الصدر والحاصل أن صفة العقل لما تخلصت عن الاوصاف البشرية خرجت عن أوامر النفس وتصرفاتها وصارت محكومة لاوامر الروح مستسلمة لأحكام الحق ارجعوا الى أبيكم الروح على أقدام العبودية وتبديل الاخلاق ان ابنك سرق لانه وجد في رحله مشربة المحبة التي بها يكال الحب على وفده وما كنا للغيب عند ارتحالنا من الغيب الى الشهادة حافظين لانه جعل السقاية في رحله في غيبتنا واسأل أهل مصر الملكوت وأرواح الانبياء والاولياء قال بل سولت فيه أن للنفس تزيينات وللاوصاف البشرية خيالات يتأذى بها يعقوب الروح لكن عليه أن يصبر على امضاء أحكام الله وتنفيذ قضائه عسى الله أن يأتيني فيه أن متولدات الروح من القلب والاوصاف وغيرها وان تفرقوا وتباعدوا عن الروح في الجسد لاستكمال فان الله بجذبات العناية يجمعهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر انه هو العليم بافتراقهم الحكيم بما في التفريق والجمع من الفوائد

﴿وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين قال انما أشكو بثي وحزني الى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون قالوا أئنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا انه من يتق ويصبر

فان الله لا يضيع أجر المحسنين ۝ قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين ۝ قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ۝ اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين ۝ ولما فصلت العير قال أبوهم اني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون ۝ قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم ۝ فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال ألم أقل لكم اني أعلم من الله ما لا تعلمون ۝

قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ۝ قال سوف أستغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم ۝ فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ۝ ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي اذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم ۝ رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين ۝

﴿القراآت﴾ منجاة بالامالة حمزة وعلي وخلف حزني بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن عامر وأبو عمرو قالوا انك على الخبر أو على حذف حرف الاستفهام ابن كثير ويزيد أئنك بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف وهشام يدخل بينهما مدة أينك بهمز ثم ياء نافع غير قالون وسهل ويعقوب غير زيد آينك بهمزة ممدودة ثم ياء أبو عمرو وزيد وقالون من يتقي بالياء في الحالين ابن مجاهد وأبو عون عن قنبل الباقون بغير ياء اني أعلم بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ربي انه بالفتح أيضا أبو جعفر وأبو عمرو وأبي اذ بالفتح أيضا عندهم اخوتي ربي بفتح الياء أيضا يزيد والنجاري عن ورش وقالون غير الحلواني والله أعلم ﴿الوقوف﴾ نظيم ۝ الهالكين ۝ لا تعلمون ۝ ولا تيأسوا من روح الله ط الكافرون ۝ وتصدق علينا ط المتصدقين ۝ جاهلون ۝ لأنت يوسف ط أخي ز لتعجيل الشكر مع اختلاف الجملتين علينا ط لاحتمال أنه ابتداء اخبار من الله وان كان من قول يوسف جاز الوقف أيضا لاتحاد القائل مع الابتداء بان المحسنين ۝ لخاطئين ۝ ثنا

﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولما فصلت العير قال أبوهم اني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون﴾﴾ يقول تعالى ذكره ولما فصلت عير بني يعقوب من عند يوسف متوجهة الى يعقوب قال أبوهم يعقوب اني لأجد ريح يوسف ذكر أن الريح استأذنت ربها في أن تأتي يعقوب بريح يوسف قبل أن يأتيه البشير فأذن لها فأتته بها ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثني أبو شريح عن أبي أيوب الهوزني حدثه قال استأذنت الريح أن تأتي يعقوب بريح يوسف حين بعث بالقميص الى أبيه قبل أن يأتيه البشير ففعل قال يعقوب اني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن اسرائيل عن أبي سنان عن ابن أبي الهذيل عن ابن عباس في قوله ولما فصلت العير قال أبوهم اني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون قال هاجت ريح فجاءت بريح يوسف من مسيرة ثمان ليال فقال اني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن أبي سنان عن ابن أبي الهذيل عن ابن عباس ولما فصلت العير قال هاجت ريح فجاءت بريح قميص يوسف من مسيرة ثمان ليال حدثني أبو السائب قال ثنا ابن فضيل عن ضرار عن ابن أبي الهذيل قال سمعت ابن عباس يقول وجد يعقوب ريح يوسف وهو منه على مسيرة ثمان ليال حدثنا ابن وكيع والحسن بن محمد قالا ثنا سفيان بن عيينة عن أبي سنان عن ابن أبي الهذيل قال كنت الى جنب ابن عباس فسئل من كم وجد يعقوب ريح القميص قال من مسيرة سبع ليال أو ثمان ليال حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن أبي سنان عن ابن أبي الهذيل قال قال لي أصحابي انك تأتي ابن عباس فسله لنا قال فقلت ما أسأله عن شئ ولكن أجلس خلف السرير فيأتيه الكوفيون فيسألون عن حاجتهم وحاجتي فسمعته يقول وجد يعقوب ريح قميص يوسف من مسيرة ثمان ليال قال ابن أبي الهذيل فقلت ذلك كمكان البصرة من الكوفة حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا علي بن عاصم عن ضرار بن مرة عن عبد الله بن أبي الهذيل قال سمعت ابن عباس يقول وجد يعقوب ريح قميص يوسف من مسيرة ثمان ليال قال فقلت في نفسي هذا كمكان البصرة من الكوفة حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع و حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن أبي سنان عن ابن أبي الهذيل عن ابن عباس في قوله اني لأجد ريح يوسف قال وجد ريح قميص يوسف من مسيرة ثمان ليال قال قلت له ذاك كما بين البصرة الى الكوفة واللفظ لحديث أبي كريب حدثنا الحسين بن محمد قال ثنا عاصم وعلي قالا أخبرنا شعبة قال أخبرني أبو سنان قال سمعت عبد الله بن أبي الهذيل عن ابن عباس في هذه الآية اني لأجد ريح يوسف قال وجد ريحه من مسيرة ما بين البصرة الى الكوفة حدثني المثنى قال ثنا آدم العسقلاني قال ثنا شعبة قال ثنا أبو سنان قال سمعت عبد الله بن أبي الهذيل يحدث عن ابن عباس مثله * قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن أبي سنان عن عبد الله بن أبي الهذيل قال كنا عند ابن عباس فقال اني لأجد ريح يوسف قال وجد ريح قميصه من مسيرة ثمان ليال حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا اسرائيل عن أبي سنان عن عبد الله بن أبي الهذيل قال سمعت ابن عباس يقول ولما فصلت العير قال لما خرجت العير هاجت ريح فجاءت يعقوب بريح قميص يوسف فقال اني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون قال فوجد ريحه من مسيرة ثمان ليال حدثنا بشر قال

اليوم ط لاختلاف الجملتين نفيا واثباتا أو خبرا ودعا لكم ط لاحتمال الاستئناف والحال أرحم الراحمين ه بأت بصيرا ج لطول الكلام واعتراض الجواب مع اتفاق الجملتين أجمعين ه تفندون ه القديم ه بصيرا ج لاحتمال أن يكون ما بعده جواب لما وقوله ألقاه حالا باضمار قد مالا تعلمون ه خاطئين ه ربي ط الرحيم ه آمنين ه سجدا ج من قبل

ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن ذكر لنا أنه كان بينهما يومئذ ثمانون فرسخا يوسف بأرض مصر ويعقوب بأرض كنعان وقد أتى لذلك زمان طويل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله انى لأجد ريح يوسف قال بلغنا أنه كان بينهم يومئذ ثمانون فرسخا وقال انى لأجد ريح يوسف وكان قد فارقه قبل ذلك سبعا وسبعين سنة حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن أبي سنان عن عبد الله بن أبي الهذيل عن ابن عباس في قوله انى لأجد ريح يوسف قال وجد ريح القميص من مسيرة ثمانية أيام * قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن أبي سنان عن عبد الله بن أبي الهذيل عن ابن عباس قوله ولما فصلت العير قال فلما خرجت العير هبت ريح فذهبت بريح قميص يوسف الى يعقوب فقال انى لأجد ريح يوسف قال ووجد ريح قميصه من مسيرة ثمانية أيام حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما فصلت العير من مصر استروح يعقوب ريح يوسف فقال لمن عنده من ولده انى لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون وأما قوله لولا أن تفندون فانه يعني لولا أن تعنفوني وتعجزوني وتلوموني وتكذبوني ومنه قول الشاعر

ياصاحبي دعا لومي وتفنيدي * فليس ما فات من أمري بمردود

ويقال أفند فلانا الدهر وذلك اذا أفسده ومنه قول ابن مقبل

دع الدهر يفعل ما أراد فانه * اذا كلف الافناد بالناس أفندا

واختلف أهل التأويل في معناه فقال بعضهم معناه لولا أن تسفهوني ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن أبي سنان عن ابن أبي الهذيل عن ابن عباس لولا أن تفندون قال تسفهون حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن أبي سنان عن ابن أبي الهذيل عن ابن عباس مثله * وبه قال ثنا أبي عن سفيان عن خصيف عن مجاهد لولا أن تفندون قال تسفهون حدثني المثنى وعلي بن داود قالا ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله لولا أن تفندون يقول تجهلون حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن أبي سنان عن عبد الله بن أبي الهذيل عن ابن عباس لولا أن تفندون قال لولا أن تسفهون حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد وحدثني المثنى قال ثنا أبو نعيم قالا جميعا ثنا سفيان عن خصيف عن مجاهد لولا أن تفندون قال لولا أن تسفهون حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا شريك عن أبي سنان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وسالم عن سعيد لولا أن تفندون قال أحدهما تسفهون وقال الآخر تكذبون حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا عبد الملك بن أبي سليمن عن عطا لولا أن تفندون قال لولا أن تكذبون لولا أن تسفهون حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن عبد الملك عن عطاء قال تسفهون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لولا أن تفندون يقول لولا أن تسفهون حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة لولا أن تفندون يقول لولا أن تسفهون حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا اسرائيل عن أبي سنان عن عبد الله بن أبي الهذيل قال سمعت ابن عباس يقول لولا أن تفندون يقول تسفهون

ز لتمام الجملة لفظا دون المعنى حقا ط لتمام بيان الجملة الاولى وابتداء جملة عظمى اخوتي ط لما يشاء ط الحكيم ه الاحاديث ج لحق حذف حرف النداء مع اتصال الكلام والآخرة ج لانقطاع النظم مع اتصال الثناء بالدعاء الصالحين ه

(التفسير) لما سمع يعقوب ما سمع من حال ابنه ضاق قلبه جدا (وتولى عنهم) أي أعرض عن بنيه الذين جاؤا بالخبر وفارقهم (وقال يا أسفى على يوسف) الاسف أشد الحزن والالف فيه بدل من ياء الاضافة ونداء الاسف كنداء الويل وقد مر في المائدة والتجانس بين لفظي الاسف ويوسف لايخفى حسنه وهو من الفصاحة اللفظية وكيف تأسف على يوسف دون أخيه الآخر الذي أقام بمصر والرزء الأحدث أشد الجواب لان الحزن الجديد يذكر العتيق والاسى يجلب الاسى ولان رزء يوسف كان أصل تلك الرزايا فكان الاسف عليه أسفا على الكل ولانه كان عالما بحياة الآخرين دون حياة يوسف (وابيضت عيناه من الحزن) أي من البكاء الذي كان سببه الحزن قال الحكماء اذا كثر الاستعبار أوجب كدورة في سواد العين مائلة فيكون منها العمى لايلام الطبقات ولاسيما القرنية وانصباب الفضول الردية اليها قال مقاتل لم يبصر ست سنين حتى كشفه الله تعالى بقميص يوسف وقال آخرون لم يبلغ حد العمى وكان يدرك ادراكا ضعيفا أو المراد بالبياض غلبة البكاء كأن العين ابيضت من بياض ذلك الماء روى أنه لم تجف عين يعقوب من وقت فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض أكرم على الله من يعقوب وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سأل جبريل ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى

حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله لولا أن تفندون قال ذهب عقله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد تفندون قال قد ذهب عقله حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد * و حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبدالله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لولا أن تفندون قال قد ذهب عقله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد لولا أن تفندون قال لولا أن تقولوا ذهب عقلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق لولا أن تفندون يقول لولا أن تضعفولى حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لولا أن تفندون قال الذى ليس له عقل ذاك المفند يقولون لا يعقل * وقال آخرون معناه لولا أن تكذبون ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا سويد بن عمرو الكلبي عن شريك عن سالم عن سعيد لولا أن تفندون قال تكذبون * قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدي قال لولا أن تهرمون وتكذبون * قال ثنا محمد ابن بكر عن ابن جريج قال بلغني عن مجاهد قال تكذبون * قال ثنا عبدة وأبو خالد عن جويبر عن الضحاك قال لولا أن تكذبون حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله لولا أن تفندون تكذبون حدثني المثنى قال ثنا عمرو قال أخبرنا هشيم عن عبد الملك عن عطاء في قوله لولا أن تفندون قال تسفهون أو تكذبون حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله لولا أن تفندون يقول تكذبون * وقال آخرون معناه تهرمون ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لولا أن تفندون قال لولا أن تهرمون حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن قال تهرمون حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو الاشهب عن الحسن لولا أن تفندون قال تهرمون حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن أبي الاشهب وغيره عن الحسن مثله وقد بينا أن أصل التفنيد الافساد واذ كان ذلك كذلك فالضعف والهرم والكذب وذهاب العقل وكل معاني الافساد تدخل في التفنيد لان أصل ذلك كله الفساد والفساد في الجسم الهرم وذهاب العقل والضعف وفي الفعل الكذب واللوم بالباطل ولذلك قال جرير بن عطية

يا عاذلي دعا الملام وأقصرا * طال الهوى وأطلتما التفنيدا

يعني الملامة فقد تبين اذ كان الامر على ما وصفنا أن الاقوال التي قالها من ذكرنا قوله في قوله لولا أن تفندون على اختلاف عباراتهم عن تأويله متقاربة المعاني محتمل جميعها ظاهر التنزيل اذ لم يكن في الآية دليل على أنه معني به بعض ذلك دون بعض في القول في تأويل قوله تعالى ﴿قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم﴾ يقول تعالى ذكره قال الذين قال لهم يعقوب من ولده اني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون تالله أيها الرجل انك من حب يوسف وذكره لفي خطئك وزللك القديم لا تنساه ولا تتسلى عنه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا

قال فما كان له من الاجر قال أجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله ساعة قط ونقل أن جبريل عليه السلام دخل على يوسف حين ما كان في السجن فقال ان بصر أبيك ذهب من الحزن عليك فوضع يوسف يده على رأسه وقال ليت أمي لم تلدني فلم أكن حزنا على أبي قال أكثر أهل اللغة الحزن والحزن لغتان بمعنى وقال بعضهم الحزن بالضم والسكون البكاء والحزن بفتحتين ضد الفرح وقد روى يونس عن أبي عمرو وقال اذا كان في موضع النصب فتحوا كقوله تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا واذا كان في موضع الجر أو الرفع ضموا كقوله من الحزن وقوله انما أشكو بثي وحزني الى الله قال هو في موضع رفع بالابتداء قيل كيف جاز لنبي الله أن يبلغ به الجزع ذلك المبلغ وأجيب بأن المنهي من الجزع هو الصياح والنياحة وضرب الخدود وشق الثوب لا البكاء ونفثة المصدور فلقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون ومما يدل على أن يعقوب عليه السلام أمسك لسانه عن النياحة وعما لا ينبغي قوله (فهو كظيم) فعيل بمعنى مفعول أي مملوء من الغيظ على أولاده من غير اظهار ما يسوءهم أو مملوء من الحزن مع سد طريق نفثة المصدور من كظم السقاء اذا شده على ملئه أو بمعنى الفاعل أي الممسك لحزنه غير مظهر اياه والحاصل أنه غرق ثلاثة أعضاء شريفة منه في بحر المحنة فاللسان كان مشغولا بذكر يا أسفا والعين كانت مستغرقة في البكاء والقلب كان مملوأ من الحزن ومثل هذا اذا لم يكن بالاختيار لم يدخل تحت التكليف فلا يوجب العقاب روي أن ملك الموت دخل على يعقوب فقال له جئتني لتقبضني قبل أن أرى حبيبي قال لا ولكن جئت لاحزن لحزنك وأشجو لشجوك عن النبي صلى الله عليه وسلم لم تعط أمة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة عند الأمة محمد ألا ترى الى يعقوب حين أصابه ما أصابه لم يسترجع وانما قال يا أسفا وضعف هذه الرواية فخر الدين الرازي في تفسيره وقال من المحال أن لا تعرف أمة من الامم أن الكل من الله وأن الرجوع لا محالة اليه وأقول هذا نوع من المكابرة فان منكري المبدا والمعاد

عبد الله قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس قوله انك لفي ضلالك القديم يقول خطئك القديم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم أي من حب يوسف لا تنساه ولا تسلاه قالوا لوالدهم كلمة غليظة لم يكن ينبغي لهم أن يقولوها لوالدهم ولا لنبي الله صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدي قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم قال في شأن يوسف حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال قال سفيان تالله انك لفي ضلالك القديم قال من حبك ليوسف حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن سفيان نحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم قال في حبك القديم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم أي انك لمن ذكر يوسف في الباطل الذي أنت عليه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله تالله انك لفي ضلالك القديم قال يعنون حزنه القديم على يوسف وفي ضلالك القديم لفي خطئك القديم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال ألم أقل لكم اني أعلم من الله مالا تعلمون﴾ يقول تعالى ذكره فلما أن جاء يعقوب البشير من عند ابنه يوسف وهو المبشر برسالة يوسف وذلك بريد فيما ذكر كان يوسف رده اليه وكان البريد فيما ذكروا البشير يهوذا بن يعقوب أخا يوسف لابيه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه يقول البشير البريد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك فلما أن جاء البشير قال البريد حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا محمد بن يزيد الواسطي عن جويبر عن الضحاك فلما أن جاء البشير قال البريد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله فلما أن جاء البشير قال يهوذا بن يعقوب حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد البشير قال يهوذا بن يعقوب حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال يهوذا بن يعقوب قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال هو يهوذا بن يعقوب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فلما أن جاء البشير قال يهوذا بن يعقوب كان البشير حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن سفيان عن ابن جريج عن مجاهد فلما أن جاء البشير قال هو يهوذا بن يعقوب *قال سفيان وكان ابن مسعود يقرأ وجاء البشير من بين يدي العير حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربي عن جويبر عن الضحاك فلما أن جاء البشير قال البريد هو يهوذا بن يعقوب *قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدي قال قال يوسف اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين قال يهوذا أنا ذهبت بالقميص ملطخا بالدم الى يعقوب فأخبرته أن يوسف أكله الذئب وأنا أذهب اليوم بالقميص وأخبره أنه حي فأفرحه كما أحزنته فهو كان البشير حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك فلما ان جاء البشير قال البريد وكان بعض أهل العربية من أهل الكوفة يقول أن في قوله فلما أن جاء البشير وسقوطها تعني واحد

أكثر من حصباء الوادي على أن المراد من الاعطاء الارشاد الى هذا الذكر وخصوصا عند المصيبة وقد أخبر الصادق عليه السلام أن هذا مما خصت هذه الامة به والله أعلم (قالوا) الاظهر أنهم ليسوا أولاده الذين تولى عنهم وانما هم جماعة كانوا في الدار من خدمه وأولاد أولاده (تالله تفتؤ) أراد لا تفتؤ فحذف حرف النفي لعدم الالباس اذ لو كان اثباتا لم يكن بد من اللام والنون قال ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة أي لا تزال تذكر وعن مجاهد لا تفتر من حبه كأنه جعل الفتور والفتوء أخوين قال أبو زيد ما فتئت أذكره أي مازلت لا يتكلم به الا مع الجحد (حتى تكون حرضا) وصف بالمصدر للمبالغة والحرض فساد في الجسم والعقل للحزن والحب حتى لا يكون كالاحياء ولا كالأموات أرادوا انك تذكر يوسف بالحزن والبكاء عليه حتى تشفى على الهلاك أو تهلك فأجابهم بقوله (انما أشكو بثي وحزني الى الله) قالت العلماء اذا أسر الانسان حزنه كان هما واذا لم يقدر على اسراره فذكر لغيره كان بثا فالبث أصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس فمعنى الآية اني لا أذكر الحزن الشديد ولا القليل الا مع الله ملتجئا اليه وداعيا له لا لكم فخلوني وشكايتي وهذا مقام العارفين الصديقين كقول نبينا صلى الله عليه وسلم أعوذ بك منك ويحتمل أن يكون هذا معنى توليه عنهم أي تولى عنهم الى الله والشكاية اليه يحكى أنه دخل على يعقوب رجل وقال له ضعف جسمك ونحف بدنك وما بلغت سنا عاليا فقال الذي بي أكثره غمومي فأوحى الله اليه يا يعقوب أتشكوني الى خلقي فقال يارب خطيئة أخطأتها فاغفرها لي فغفر له فكان بعد ذلك اذا سئل قال انما أشكو بثي وحزني الى الله وروي أنه أوحى الى يعقوب انما وجدت أي غضبت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه وان أحب خلقي الى الانبياء ثم المساكين فاصنع طعاما وادع عليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى عميت واعلم أن حال يعقوب في تلك الواقعة كانت مختلفة فتارة كان مستغرقا في بحار معرفة الله وتارة كان يستولي عليه الحزن والاسف فلهذا كانت هذه الحادثة بالنسبة اليه

وكان يقول هذا في لما وحتى خاصة و يذكر أن العرب تدخلها فيهما أحيانا وتسقطها أحيانا كما قال جل ثناؤه ولما أن جاءت رسلنا وقال في موضع آخر ولما جاءت رسلنا وقال هي صلة لا موضع لها في هذين الموضعين يقال حتى كان كذا وكذا وحتى أن كان كذا وكذا وقوله ألقاه على وجهه يقول ألقى البشير قميص يوسف على وجه يعقوب كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فلما أن جاء البشير ألقى القميص على وجهه وقوله فارتد بصيرا يقول رجع وعاد مبصرا بعينيه بعد ما قد عمي قال ألم أقل لكم اني أعلم من الله ما لا تعلمون يقول عز وجل قال يعقوب لمن كان بحضرته حينئذ من ولده ألم أقل لكم يا بني اني أعلم من الله أنه سيرد علي يوسف و يجمع بيني و بينه وكنتم لا تعلمون أنتم من ذلك ما كنت أعلمه لان رؤيا يوسف كانت صادقة وكان الله قد قضى أن أخر أنا وأنتم له سجودا فكنت موقنا بقضائه * القول في تأويل قوله تعالى (قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف أستغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم) يقول تعالى ذكره قال ولد يعقوب الذين كانوا فرقوا بينه و بين يوسف يا أبانا سل لنا ربك يعف عنا و يستر علينا ذنوبنا التي أذنبناها فيك وفي يوسف فلا يعاقبنا بها في القيامة انا كنا خاطئين فيما فعلنا به فقد اعترفنا بذنوبنا قال سوف أستغفر لكم ربي يقول جل ثناؤه قال يعقوب سوف أسأل ربي أن يعفو عنكم ذنوبكم التي أذنبتموها في وفي يوسف ثم اختلف أهل التأويل في الوقت الذي أخر الدعاء اليه يعقوب لولده بالاستغفار لهم من ذنبهم فقال بعضهم أخر ذلك الى السحر ذكر من قال ذلك حدثني أبو السائب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت عبد الرحمن بن اسحق يذكر عن محارب بن دثار قال كان عم لي يأتي المسجد فسمع انسانا يقول اللهم دعوتني فأجبت وأمرتني فأطعت وهذا سحر فاغفر لي قال فاستمع الصوت فاذا هو من دار عبد الله بن مسعود فسأل عبد الله عن ذلك فقال ان يعقوب أخر بنيه الى السحر بقوله سوف أستغفر لكم ربي حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن عبد الرحمن بن اسحق عن محارب بن دثار عن عبد الله بن مسعود سوف أستغفر لكم ربي قال أخرهم الى السحر * قال ثنا أبو سفيان الحميري عن العوام عن ابراهيم التيمي في قول يعقوب لبنيه سوف أستغفر لكم ربي قال أخرهم الى السحر * قال ثنا عمرو عن خلاد الصفار عن عمرو بن قيس سوف أستغفر لكم ربي قال في صلاة الليل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج سوف أستغفر لكم ربي قال أخر ذلك الى السحر * وقال آخرون أخر ذلك الى ليلة الجمعة ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا سليمن بن عبد الرحمن أبو أيوب الدمشقي قال ثنا الوليد قال أخبرنا ابن جريج عن عطاء وعكرمة عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سوف أستغفر لكم ربي يقول حتى تأتي ليلة الجمعة وهو قول أخي يعقوب لبنيه حدثنا أحمد بن الحسن الترمذي قال ثنا سليمن بن عبد الرحمن الدمشقي قال ثنا الوليد بن مسلم قال أخبرنا ابن جريج عن عطاء وعكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال أخي يعقوب سوف أستغفر لكم ربي يقول حتى تأتي ليلة الجمعة وقوله انه هو الغفور الرحيم يقول ان ربي هو الساتر على ذنوب التائبين اليه من ذنوبهم الرحيم بهم أن يعذبهم بعد توبتهم منها * القول في تأويل قوله تعالى (فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين

كالقاء ابراهيم في النار وكابتلاء اسحق بالذبح وكان شغل همه بيوسف بغير اختيار منه وكذا تأسفه عليه وما روي أنه عوتب على ذلك فلان حسنات الابرار سيئات المقربين و بالحقيقة كانت واقعة يعقوب أمرا خارق العادة أراد الله تعالى بذلك ابتلاءه وتمادي أسفه وحزنه والافع غاية شهرته وشدة محبته وقرب المسافة بينه و بين ابنه كيف خفي حال يوسف ولم يبعث يوسف اليه رسولا بعد تملكه وقدرته ولم يزل في حزن أبيه بحبس أخيه عنده أما قوله (وأعلم من الله ما لا تعلمون) فمعناه أعلم من رحمته واحسانه ما لا تعلمون فأرجو أن يأتيني الفرج من حيث لا أحتسب وقيل انه رأى ملك الموت في المنام فقال له يا ملك الموت هل قبضت روح ابني يوسف قال لا يا نبي الله ثم أشار الى جانب مصر وقال اطلبه ههنا وقيل انه كان قد رأى أمارات الرشد والكمال في يوسف فعلم أن رؤياه صادقة لا تخطئ وقال السدي أخبره بنوه بسيرة الملك وكمال حاله في أقواله وأفعاله فظن أنه ابنه أو علم أن بنيامين لا يسرق وسمع أن الملك ما آذاه فغلب على ظنه أن الملك هو يوسف وقيل أوحى الله تعالى اليه انه سيلقى ابنه ولكنه ما عين الوقت فلذلك قال ما قال ثم دعا بنيه على سبيل التلطف فقال (يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف) وهو طلب الشيء بالحاسة كالتسمع والتبصر ومثله التجسس بالجيم وقد قرئ بهما وربما يخص الجيم بطلب الخبر في ضد الخير (ولا تيأسوا من روح الله) من فرجه وتنفيسه وقرئ بالضم أي من رحمته التي تحيا بها العباد قال الاصمعي الروح ما يجده الانسان من نسيم الهواء فيسكن اليه والتركيب يدل على الحركة والهزة فكل ما تهتز بوجوده وتلتذ به فهو روح (انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) لان هذا اليأس دليل على أنه اعتقد أن الله تعالى غير قادر على كل المقدورات أو غير عالم بجميع المعلومات أو ليس بجواد مطلق ولا حكيم لا يفعل العبث وكل واحد من هذه العقائد كفر فضلا عن جميعها اللهم اني لا أيأس من روحك فافعل بي ما أنت أهله ثم ههنا اضمار والتقدير فقبلوا وصية أبيهم وعادوا الى مصر (فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز) أي الملك

آمنين ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم) يقول جل ثناؤه فلما دخل يعقوب وولده وأهلوهم على يوسف آوى اليه أبويه يقول ضم اليه أبويه فقال لهم ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين فان قال قائل وكيف قال لهم يوسف ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين بعدما دخلوها وقد أخبر الله عز وجل عنهم أنهم لما دخلوها على يوسف وضم اليه أبويه قال لهم هذا القول قيل قد اختلف أهل التأويل في ذلك فقال بعضهم ان يعقوب انما دخل على يوسف هو وولده وآوى يوسف أبويه اليه قبل دخول مصر قالوا وذلك أن يوسف تلقى أباه تكرمة له قبل أن يدخل مصر فآواه اليه ثم قال له ولمن معه ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين بها قبل الدخول ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدي حملوا اليه أهلهم وعيالهم فلما بلغوا مصر كلم يوسف الملك الذي فوقه فخرج هو والملوك يتلقونهم فلما بلغوا مصر قال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا جعفر بن سليمن عن فرقد السبخي قال لما ألقي القميص على وجهه ارتد بصيرا وقال ائتوني بأهلكم أجمعين فحمل يعقوب واخوة يوسف فلما دنا أخبر يوسف أنه قد دنا منه فخرج يتلقاه قال وركب معه أهل مصر وكانوا يعظمونه فلما دنا أحدهما من صاحبه وكان يعقوب يمشي وهو يتوكأ على رجل من ولده يقال له يهوذا قال فنظر يعقوب الى الخيل والناس فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا هذا ابنك قال فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه فذهب يوسف يبدؤه بالسلام فمنع من ذلك وكان يعقوب أحق بذلك منه وأفضل فقال السلام عليك يا ذاهب الاحزان عني هكذا قال يا ذاهب الاحزان عني * حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال قال حجاج بلغني أن يوسف والملك خرجا في أربعة آلاف يستقبلون يعقوب وبنيه * قال وحدثني من سمع جعفر بن سليمن يحكي عن فرقد السبخي قال خرج يوسف يتلقى يعقوب وركب أهل مصر مع يوسف ثم ذكر بقية الحديث نحو حديث الحرث عن عبد العزيز * وقال آخرون بل قوله ان شاء الله استثناء من قول يعقوب لبنيه أستغفر لكم ربي قال وهو من المؤخر الذي معناه التقديم قالوا وانما معنى الكلام قال أستغفر لكم ربي ان شاء الله انه هو الغفور الرحيم فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه وقال ادخلوا مصر ورفع أبويه ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال سوف أستغفر لكم ربي ان شاء الله آمنين وبين ذلك ما بينه من تقديم القرآن يعني ابن جريج وبين ذلك ما بينه من تقديم القرآن أنه قد دخل بين قوله سوف أستغفر لكم ربي وبين قوله ان شاء الله من الكلام ما قد دخل وموضعه عنده أن يكون عقيب قوله سوف أستغفر لكم ربي * والصواب من القول في ذلك عندنا ما قاله السدي وهو أن يوسف قال ذلك لابويه ومن معهما من أولادهما وأهاليهم قبل دخولهم مصر حين تلقاهم لان ذلك في ظاهر التنزيل كذلك فلا دلالة تدل على صحة ما قال ابن جريج ولا وجه لتقديم شيء من كتاب الله عن موضعه أو تأخيره عن مكانه الا بحجة واضحة وقيل عنى بقوله آوى اليه أبويه أبوه وخالته وقال الذين قالوا هذا القول كانت أم يوسف

القادر المنيع (مسنا وأهلنا الضر) الفقر والحاجة الى الطعام وعنوا بأهلهم من خلفهم (وجئنا ببضاعة مزجاة) مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها من أزجيته اذا دفعته قال سبحانه ألم تر أن الله يزجي سحابا ومنه قولهم فلان يزجي العيش أي يدفع الزمان بالقليل قال الكلبي هي من لغة العجم وقيل لغة القبط والاصح أنها عربية لوضوح اشتقاقها قيل كانت بضاعتهم الصوف والسمن وقيل الصنوبر والحبة الخضراء وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زيوف لا تؤخذ الا بنقص لانها لم يكن عليها صورة يوسف وكانت دراهم مصر ينقش عليها صورته (فأوف لنا الكيل) الذي هو حقنا (وتصدق علينا) واعلم أنهم طلبوا المسامحة بما بين الثمنين وأن يسعر لهم بالردي كما يسعر بالجيد واختلف العلماء في أنه هل كان ذلك منهم طلب الصدقة فقال سفيان بن عيينة ان الصدقة كانت حلالا على الانبياء سوى محمد صلى الله عليه وسلم وقال آخرون أرادوا بالصدقة التفضل بالاغماض عن رداءة البضاعة وبايفاء الكيل والصدقات محظورة على الانبياء كلهم وقوله (ان الله يجزي المتصدقين) يمكن تنزيله على القولين لان كل احسان يبتغى به وجه الله فان ذلك لا يضيع عنده والصدقة العطية التي ترجى بها المثوبة عند الله ومن ثم لم يجوز العلماء أن يقال الله تعالى متصدق أو اللهم تصدق علي بل يجب أن يقال اللهم أعطني أو تفضل علي أو ارحمني كان يعقوب أمرهم بالتحسس من يوسف وأخيه والمتحسس يجب عليه أن يتوسل الى مطلوبه بجميع الطرق كما قيل الغريق يتعلق بكل شيء فبدؤا بالعجز والاعتراف بضيق اليد واظهار الفاقة فرق الله تعالى قلبه وارفضت عيناه وعند ذلك قال (هل علمتم ما فعلتم بيوسف) وقيل أدوا اليه كتاب يعقوب من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر أما بعد فانا أهل بيت موكل بنا البلاء أما جدي فشدت يداه ورجلاه ورمي به في النار ليحرق فنجاه الله تعالى وجعلت النار عليه بردا وسلاما وأما أبي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله وأما أنا فكان لي ابن وكان أحب أولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم أتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد أكله الذئب

فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان أخاه من أمه وكنت أتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ذلك وروى أنه لما قرأ الكتاب بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا وقوله

قد ماتت قبل وانما كانت عند يعقوب يومئذ خالته أخت أمه كان نكحها بعد أمه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدي فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه قال أبوه وخالته * وقال آخرون بل كان أباه وأمه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه قال أباه وأمه وأولى القولين في ذلك بالصواب ما قاله ابن اسحق لان ذلك هو الاغلب في استعمال الناس والمتعارف بينهم في أبوين الا أن يصح ما يقال من أن أم يوسف كانت قد ماتت قبل ذلك بحجة يجب التسليم لها فيسلم حينئذ لها وقوله وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين مما كنتم فيه في باديتكم من الجدب والقحط وقوله ورفع أبويه على العرش يعني على السرير كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدي ورفع أبويه على العرش قال السرير حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا محمد ابن يزيد الواسطي عن جويبر عن الضحاك قال العرش السرير * قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ورفع أبويه على العرش قال السرير حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد * وحدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد * وحدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ورفع أبويه على العرش قال سريره حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة على العرش قال على السرير حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ورفع أبويه على العرش يقول رفع أبويه على السرير حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال قال سفيان ورفع أبويه على العرش قال على السرير حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ورفع أبويه على العرش قال مجلسه حدثني ابن عبد الرحيم البرقي قال ثنا عمرو بن أبي سلمة قال سألت زيد بن أسلم عن قول الله تعالى ورفع أبويه على العرش فقلت أبلغك أنها خالته قال قال ذلك بعض أهل العلم يقولون ان أمه ماتت قبل ذلك وان هذه خالته وقوله وخروا له سجدا يقول وخر يعقوب وولده وأمه ليوسف سجدا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وخروا له سجدا يقول رفع أبويه على السرير وسجدا له وسجد له اخوته حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال تحمل يعني يعقوب بأهله حتى قدموا على يوسف فلما اجتمع الى يعقوب بنوه دخلوا على يوسف فلما رأوه وقعوا له سجودا وكانت تلك تحية الملوك في ذلك الزمان أبوه وأمه واخوته حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وخروا له سجدا وكانت تحية من قبلكم كان بها يحيي بعضهم بعضا فأعطى الله هذه

هل علمتم استفهام يفيد تعظيم الواقعة ومعناه ما أعظم الامر الذي ارتكبتم من يوسف وما أقبح ما أقدمتم عليه كما يقال للمذنب هل تدري من عصيت وفيه تصديق لقوله سبحانه لتنبئنهم بأمرهم هذا وأما فعلهم بأخيه فتعريضهم اياه للغم بافراده عن أخيه لابيه وأمه وايذاؤهم له بالاحتقار والامتهان وقوله (اذ أنتم جاهلون) جار مجرى الاعتذار عنهم كأنه قال انما أقدمتم على ذلك الفعل القبيح المنكر حال ما كنتم في أوان الصبا وزمان الجهالة والغرة ازالة للخجالة عنهم فان مطية الجهل الشباب وتنصحا لهم في الدين أي هل علمتم قبحه فتبتم لان العلم بالقبح يدعو الى التوبة غالبا فآثر كما هو عادة الانبياء حق الله على نفسه في المقام الذي يتشفى المغيظ وينفث المصدور ويدرك ثأره الموتور وقيل انما نفى العلم عنهم لانهم لم يعملوا بعلمهم ولما كلمهم بذلك (قالوا أئنك لأنت يوسف) عرفوه بالخطاب الذي لا يصدر الا عن حنيف مسلم من سنخ ابراهيم أو تبسم عليه السلام فعرفوه بثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم أو رفع التاج عن رأسه فنظروا الى علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء كان ليعقوب وسارة مثلها (قال أنا يوسف) صرح بالاسم تعظيما لما جرى عليه من ظلم اخوته كأنه قال أنا الذي ظلمتموني على أشنع الوجوه والله أوصلني الى أعظم المناصب أنا ذلك الاخ الذي قصدتم قتله ثم صرت كما ترون ولهذا قال (وهذا أخي) مع أنهم كانوا يعرفونه لان مقصوده أن يقول وهذا أيضا كان مظلوما كما كنت صار منعما عليه من الله وذلك قوله (قد من الله علينا) أي بكل خير دنيوي وأخروي أو بالجمع بعد التفريق (انه) أي الشأن (من يتق) عقاب الله (ويصبر) عن معاصيه وعلى طاعته (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) أراد أجرهم فاكتفى

الامة

من الربط بالعموم ومن قرأ يتقي باثبات الياء فوجهه أن يجعل من بمعنى الذي ويجوز على هذا الوجه أن يكون قوله و يصبر في موضع الرفع الا أنه حذفت الحركة للتخفيف أو للمشاكلة وفي الآية دليل على براءة ساحة يوسف ونزاهة جانبه من كل سوء والا لم يكن من المتقين الصابرين (قالوا تالله لقد آثرك الله علينا) اعتراف منهم بتفضيله عليهم بالتقوى

والصبر وسيرة المحسنين وصورة الاحسنين

الامة السلام تحية أهل الجنة كرامة من الله تبارك وتعالى عجلها لهم ونعمة منه حدثنا محمد ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وخروا له سجدا قال وكانت تحية الناس يومئذ أن يسجد بعضهم لبعض حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو اسحق قال قال سفيان وخروا له سجدا قال كانت تحية فيهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج وخروا له سجدا أبواه واخوته كانت تلك تحيتهم كما تصنع ناس اليوم حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربي عن جويبر عن الضحاك وخروا له سجدا قال تحية بينهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وخروا له سجدا قال ذلك السجود لشرفه كما سجدت الملائكة لآدم لشرفه ليس بسجود عبادة وانما عنى من ذكر بقوله ان السجود كان تحية بينهم أن ذلك كان منهم على الخلق لا على وجه العبادة من بعضهم لبعض ومما يدل على أن ذلك لم يزل من أخلاق الناس قديما قبل الاسلام على غير وجه العبادة من بعضهم لبعض قول أعشى بني ثعلبة

فلما أتانا بعيد الكرى * سجدنا له ورفعنا العمارا

وقوله يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا يقول جل ثناؤه قال يوسف لابيه يا أبت هذا السجود الذي سجدت أنت وأمي واخوتي لي تأويل رؤياي من قبل يقول ما آلت اليه رؤياي التي كنت رأيتها وهي رؤياه التي كان رآها قبل صنيع اخوته به ما صنعوا أن أحد عشر كوكبا والشمس والقمر له ساجدون قد جعلها ربي حقا يقول قد حققها ربي لمجيء تأويلها على الصحة وقد اختلف أهل العلم في قدر المدة التي كانت بين رؤيا يوسف وبين تأويلها فقال بعضهم كانت مدة ذلك أربعين سنة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه قال ثنا أبو عثمان عن سلمان الفارسي قال كان بين رؤيا يوسف الى أن رأى تأويلها أربعون سنة حدثني يعقوب بن رهان و يعقوب بن ابراهيم قالا ثنا ابن علية قال ثنا سليمن التيمي عن أبي عثمان النهدي قال قال عثمان كانت بين رؤيا يوسف وبين أن رأى تأويله قال فذكر أربعين سنة حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن علية عن التيمي عن أبي عثمان عن سلمان قال كان بين رؤيا يوسف وتأويلها أربعون سنة حدثني المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن أبي سنان عن عبد الله بن شداد قال رأى تأويل رؤياه بعد أربعين عاما * قال ثنا سفيان عن سليمن التيمي عن أبي عثمان عن سلمان مثله حدثني أبو السائب قال ثنا ابن فضيل عن ضرار عن عبد الله بن شداد أنه سمع قوما يتنازعون في رؤيا رآها بعضهم وهو يصلي فلما انصرف سألهم عنها فكتموه فقال أما انه جاء تأويل رؤيا يوسف بعد أربعين عاما حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع و حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن ضرار بن مرة أبي سنان عن عبد الله بن شداد قال كان بين رؤيا يوسف وتأويلها أربعون سنة حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل وجرير عن أبي سنان قال سمع عبد الله بن شداد قوما يتنازعون في رؤيا فذكر نحو حديث أبي السائب عن ابن فضيل حدثني أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن سليمان التيمي عن أبي عثمان عن سلمان قال رأى تأويل رؤياه بعد أربعين عاما حدثنا الحسن بن محمد قال أخبرنا ابن عيينة عن أبي

ولا يلزم من ذلك أن لا يكونوا أنبياء وان احتج به بعضهم لان الانبياء متفاوتون في الدرجات تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض (وان كنا) وان شأننا انا كنا خاطئين قال أبو عبيدة خطئ وأخطأ بمعنى واحد وقال الاموي المخطئ من أراد الصواب فصار الى غيره ومنه قولهم المجتهد يخطئ و يصيب والخاطئ من تعمد ما لا ينبغي قال أبو علي الجبائي انهم لم يعتذروا عن ذلك الذي فعلوا بيوسف لانه وقع منهم قبل البلوغ ومثل ذلك لا يعد ذنبا وانما اعتذروا من حيث انهم أخطؤا بعد ذلك حين لم يظهروا لابيهم ما فعلوه ليعلم أنه حي وأن الذئب لم يأكله واعترض عليه فخر الدين الرازي بأنه يبعد من مثل يعقوب أن يبعث جمعا من الصبيان من غير أن يبعث معهم رجلا بالغا عاقلا فالظاهر أنه وقع ذلك منهم بعد البلوغ سلمنا لكن ليس كل ما لا يجب الاعتذار عنه لا يحسن الاعتذار عنه ولما اعترفوا بفضله عليهم و بكونهم متعمدين للاثم (قال) يوسف (لا تثريب عليكم) لا تأنيب ولا توبيخ وقيل لا أذكر لكم ذنبكم وقيل لا مجازاة لكم عندي على ما عملتم وقيل لا تخليط ولا افساد عليكم واشتقاقه من الثرب وهو الشحم الذي هو غاشية الكرش ومعناه ازالة الثرب كالتجليد والتقريد لازالة الجلد والقراد

وذلك لانه اذا ذهب منه الثرب كان في غاية الهزال والعجف فصار مثلا للتقريع المدنف المضني وقوله (اليوم) اما أن يتعلق بالتثريب أو بالاستقرار المقدر في عليكم أي لا أثربكم اليوم الذي هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره ثم ابتدأ فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم ليكون عقاب الدارين مزالا عنهم وأصل الدعاء أن يقع على لفظ المستقبل فاذا أوقعوه بلفظ الماضي فذلك للتفاؤل و يحتمل أن يكون اليوم متعلقا بالدعاء

فيكون فيه بشارة بعاجل غفران الله لتجدد توبتهم وحدوثها فى ذلك اليوم يروى أن اخوته لما عرفوه أرسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحيى منك لما فرط منا فيك فقال يوسف ان أهل مصر وان ملكت فيهم فانهم ينظرون الى شزرا و يقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ

ولقد شرفت الآن بكم وعظمت فى العيون حيث علم الناس أنكم اخوتى وأنى من حفدة ابراهيم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أخذ يوم الفتح بعضادتى باب الكعبة فقال لقريش ما ترون انى فاعل بكم قالوا نظن خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت فقال صلى الله عليه وسلم أقول ما قال أخى يوسف لا تثريب عليكم اليوم قال عطاء الخراسانى طلب الحوائج الى الشباب أسهل منها الى الشيوخ ألا ترى الى قول يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم وقول يعقوب سوف أستغفر لكم ولما عرفهم يوسف نفسه سألهم عن أبيهم فقالوا ذهبت عيناه فقال (اذهبوا بقميصى هذا فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا) كقولك جاء البنيان محكما ومثله فارتد بصيرا أو المراد يأت الى وهو بصير دليله قوله وأتونى بأهلكم أجمعين قيل هو القميص المتوارث الذى كان فى تعويذ يوسف وكان من الجنة أوحى الله اليه ان فيه عافية كل مبتلى وشفاء كل سقيم وقالت الحكماء لعله علم أن أباه ما كان أعمى وانما صار ضعيف البصر من كثرة البكاء فاذا ألقى عليه قميصه صار منشرح الصدر فتقوى روحه ويزول ضعفه روى أن يهوذا حمل القميص وقال أنا أحزنته بحمل القميص ملطوخا بالدم فأفرحه كما أحزنته فحمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا عن الكلبى كان أهله نحوا من سبعين انسانا وقال مسروق دخل قوم يوسف مصر وهم ثلاثة وتسعون من بين رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم نحو من ستمائة ألف (ولما فصلت العير) خرجت من عريش مصر فصل من البلد فصولا انفصل منه وجاوز حيطانه وفصل منى اليه كتاب اذا نفذ واذا كان فصل متعديا كان مصدره الفصل (قال

سنان عن عبد الله بن شداد قال وقعت رؤيا يوسف بعد أربعين سنة واليها تنتهى أيضا الرؤيا * قال ثنا معاذ بن معاذ قال ثنا سليمن التيمى عن أبى عثمان عن سلمان قال كان بين رؤيا يوسف وبين أن رأى تأويلها أربعون سنة * قال ثنا عبد الوهاب بن عطاء عن سليمن التيمى عن أبى عثمان عن سلمان قال كان بين رؤيا يوسف وبين عبارتها أربعون سنة * قال ثنا سعيد بن سليمن قال ثنا هشيم عن سليمن التيمى عن أبى عثمان عن سلمان قال كان بين رؤيا يوسف وبين أن رأى تأويلها أربعون سنة * قال ثنا سعيد بن سليمن قال ثنا هشيم عن سليمن التيمى عن أبى عثمان عن سلمان قال كان بين رؤيا يوسف وبين أن رأى تأويلها أربعون سنة * قال ثنا عمرو بن محمد العنقزى قال ثنا اسرائيل عن أبى سنان عن عبد الله بن شداد قال كان بين رؤيا يوسف وبين تعبيرها أربعون سنة * وقال آخرون كانت مدة ذلك ثمانين سنة ذكر من قال ذلك حدثنا عمرو بن على قال ثنا عبد الوهاب الثقفى قال ثنا هشام عن الحسن قال كان منذ فارق يوسف يعقوب الى أن التقيا ثمانون سنة لم يفارق الحزن قلبه ودموعه تجرى على خديه وما على وجه الارض يومئذ عبد أحب الى الله من يعقوب حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن أبى جعفر حسن بن فرقد قال كان بين أن فقد يعقوب يوسف الى يوم رد عليه ثمانون سنة حدثنا ابن وكيع قال ثنا حسن بن على عن فضيل بن عياض قال سمعت أنه كان بين فراق يوسف حجر يعقوب الى أن التقيا ثمانون سنة حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا داود بن مهران قال ثنا عبد الواحد بن زياد عن يونس عن الحسن قال ألقى يوسف فى الجب وهو ابن سبع عشرة سنة وكان بين ذلك وبين لقائه يعقوب ثمانون سنة وعاش بعد ذلك ثلاثا وعشرين سنة ومات وهو ابن عشرين ومائة سنة * قال ثنا سعيد بن سليمن قال ثنا هشيم عن يونس عن الحسن نحوه غير أنه قال ثلاث وثمانون سنة * قال ثنا داود بن مهران قال ثنا ابن علية عن يونس عن الحسن قال ألقى يوسف فى الجب وهو ابن سبع عشرة سنة وكان فى العبودية وفى السجن وفى الملك ثمانين سنة ثم جمع الله عز وجل شمله وعاش بعد ذلك ثلاثا وعشرين سنة حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا مبارك بن فضالة عن الحسن قال ألقى يوسف فى الجب وهو ابن سبع عشرة فغاب عن أبيه ثمانين سنة ثم عاش بعد ما جمع الله له شمله ورأى تأويل رؤياه ثلاثا وعشرين سنة فمات وهو ابن عشرين ومائة سنة حدثنا مجاهد قال ثنا يزيد قال أخبرنا هشيم عن الحسن قال غاب يوسف عن أبيه فى الجب وفى السجن حتى التقيا ثمانين عاما فما جفت عينا يعقوب وما على الارض أحد أكرم على الله من يعقوب * وقال آخرون كانت مدة ذلك ثمان عشرة سنة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ذكر لى والله أعلم أن غيبة يوسف عن يعقوب كانت ثمان عشرة سنة قال وأهل الكتاب يزعمون أنها كانت أربعين سنة أو نحوها وأن يعقوب بقى مع يوسف بعد أن قدم عليه مصر سبع عشرة سنة ثم قبضه الله اليه وقوله وقد أحسن بى اذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو يقول جل ثناؤه مخبرا عن قيل يوسف وقد أحسن الله بى فى اخراجه اياى من السجن الذى كنت فيه محبوسا وفى مجيئه بكم من البدو وذلك أن مسكن

أبوهم) لمن حوله من قومه (انى لأجد) بحاسة الشم (ريح يوسف) قال مجاهد هبت ريح فصفقت القميص ففاحت رائحة الجنة فى الدنيا فعلم يعقوب أنه ليس فى الدنيا من ريح الجنة الا ما كان من ذلك القميص قال أهل التحقيق ان الله تعالى أوصل اليه ريح يوسف عند انقضاء مدة المحنة ومجىء أوان الروح والفرح من مسيرة ثمان ومنع من وصول

خبره اليه مع قرب البلدين فى مدة ثمانين

يعقوب وولده فيما ذكر كان ببادية فلسطين كذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كان منزل يعقوب وولده فيما ذكر لى بعض أهل العلم بالعربات من أرض فلسطين ثغور الشام وبعض يقول بالاولاج من ناحية الشعب وكان صاحب بادية له ابل وشاء حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو قال أخبرنا شيخ لنا أن يعقوب كان ببادية فلسطين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقد أحسن بى اذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو وكان يعقوب وبنوه بارض كنعان أهل مواش وبرية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وجاء بكم من البدو قال كانوا أهل بادية وماشية والبدو مصدر من قول القائل بدا فلان اذا صار بالبادية يبدو بدوا وذكر أن يعقوب دخل مصر هو ومن معه من أولاده وأهاليهم وأبنائهم يوم دخلوها وهم أقل من مائة وخرجوا منها يوم خرجوا منها وهم زيادة على ستمائة ألف ذكر الرواية بذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا زيد بن الحباب وعمرو ابن محمد عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظى عن عبد الله بن شداد قال اجتمع آل يعقوب الى يوسف بمصر وهم ستة وثمانون انسانا صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم وخرجوا من مصر يوم أخرجهم فرعون وهم ستمائة ألف ونيف * قال ثنا عمرو عن اسرائيل عن أبى اسحق عن أبى عبيدة عن عبد الله قال خرج أهل يوسف من مصر وهم ستمائة ألف وسبعون ألفا فقال فرعون ان هؤلاء لشرذمة قليلون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن اسرائيل والمسعودى عن أبى اسحق عن أبى عبيدة عن ابن مسعود قال دخل بنو اسرائيل مصر وهم ثلاثة وستون انسانا وخرجوا منها وهم ستمائة ألف قال اسرائيل فى حديثه ستمائة ألف وسبعون ألفا حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن اسرائيل عن أبى اسحق عن مسروق قال دخل أهل يوسف مصر وهم ثلثمائة وتسعون من بين رجل وامرأة وقوله من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى يعنى من بعد أن أفسد ما بينى وبينهم وجهل بعضنا على بعض يقال منه نزغ الشيطان بين فلان وفلان ينزغ نزغا ونزوغا وقوله ان ربى لطيف لما يشاء يقول ان ربى ذو لطف وصنع لما يشاء ومن لطفه وصنعه أنه أخرجنى من السجن وجاء بأهلى من البدو بعد الذى كان بينى وبينهم من بعد الدار وبعد ما كنت فيه من العبودة والرق والاسار كالذى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان ربى لطيف لما يشاء لطف بيوسف وصنع له حتى أخرجه من السجن وجاء بأهله من البدو ونزع من قلبه نزغ الشيطان وتحريشه على اخوته وقوله انه هو العليم بمصالح خلقه وغير ذلك لا يخفى عليه مبادى الامور وعواقبها الحكيم فى تدبيره ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض أنت ولىّ فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين﴾ يقول تعالى ذكره قال يوسف بعد ما جمع الله له أبويه واخوته وبسط عليه من الدنيا ما بسط من الكرامة ومكنه فى الارض متشوقا الى لقاء آبائه الصالحين رب قد آتيتنى من الملك يعنى من ملك مصر وعلمتنى من تأويل الاحاديث يعنى من عبارة الرؤيا تعديدا لنعم الله عليه وشكرا له عليها فاطر السموات والارض يقول يا فاطر السموات والارض يا خالقها وبارئها أنت ولىّ فى الدنيا والآخرة يقول أنت

سنة أو أربعين عند الاكثرين وكلاهما معجزة ليعقوب خارقة للعادة وذلك يدل على أن كل سهل فهو فى زمان المحنة صعب وكل صعب فانه فى زمان الاقبال سهل وقوله (لولا أن تفندون) جوابه محذوف أى لولا تفنيدكم اياى لصدقتمونى والتفنيد النسبة الى الفند وهو الخرف وتغير العقل من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة لانها لم تكن ذات رأى فتفند فى الكبر (قالوا) يعنى الحاضرين عنده (تالله انك لفى ضلالك القديم) أى فيما كنت فيه قدما من البعد عن الصواب فى افراط محبة يوسف كما قال بنوه ان أبانا لفى ضلال مبين وقيل لفى شقائك القديم بما تكابد على يوسف من الاحزان قال الحسن انما قالوا هذه الكلمة الغليظة لاعتقادهم أن يوسف قد مات (فلما أن جاء) أن صلة أى فلما جاء مثل فلما ذهب عن ابراهيم الروع وقيل هى مع الفعل فى محل الرفع بفعل مضمر أى فلما ظهر أن جاء البشير وهو يهوذا (ألقاه) طرحه البشير أو يعقوب على وجهه (فارتد بصيرا) أى انقلب من العمى الى البصر أو من الضعف الى القوة (قال ألم أقل لكم) جوز فى الكشاف أن يكون مفعوله محذوفا وهو قوله انى لاجد ريح يوسف أو قوله ولا تيأسوا من روح الله ويكون قوله انى أعلم

كلاما مستأنفا والظاهر أن مفعوله قوله (انى أعلم من الله ما لا تعلمون) وذلك أنه كان قال لهم انما أشكو بثى وحزنى الى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون وروى أنه سأل البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر فقال ما أصنع بالملك على أى دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة ثم ان أولاده أخذوا يعتذرون اليه فوعدهم الاستغفار قال ابن عباس والاكثرون أراد أن يستغفر لهم فى وقت السحر لانه

أرجى الاوقات اجابة وعن ابن عباس فى رواية أخرى أخر الى ليلة الجمعة تحريا بالوقت الاجابة وقيل أخر لتعرف حالهم فى الاخلاص وقيل استغفر لهم فى الحال ووعدهم دوام الاستغفار فى الاستقبال فقد روى أنه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة فى نيف وعشرين سنة وروى أنه قام الى الصلاة فى وقت السحر فلما فرغ رفع يديه وقال اللهم اغفر لى جزعى على يوسف وقلة صبرى عنه واغفر لولدى ما أتوا الى أخيهم فأوحى اليه ان الله قد غفر لك ولهم أجمعين وروى أنهم قالوا له وقد علتهم الكآبة ما يغنى عنا عفوكما ان لم يعف عنا ربنا وان لم يوح اليك بالعفو فلا قرت لنا عين أبدا فاستقبل الشيخ القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما أذلة خاشعين عشرين سنة حتى جهدوا وظنوا أنهم هلكوا نزل جبريل فقال ان الله قد أجاب دعوتك فى ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة واختلاف الناس فى نبوتهم مشهور ويحكى أنه وجه يوسف الى أبيه جهازا ومائتى راحلة ليتجهز اليه بمن معه وخرج يوسف والملك فى أربعة آلاف من الجند والعظماء وأهل مصر بأجمعهم فتلقوا يعقوب وهو يمشى ويتوكأ على يهوذا فنظر الى الخيل والناس فقال يا يهوذا أهذا فرعون مصر قال لا هذا ولدك فلما لقيه قال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان فأجابه يوسف وقال يا أبت بكيت حتى ذهب بصرك ألم تعلم أن القيامة تجمعنا قال بلى ولكن خشيت أن تسلب دينك فيحال بينى وبينك ومعنى (آوى اليه أبويه) ضمهما اليه واعتنقهما قال ابن اسحق كانت أمه باقية الى ذلك الوقت أو ماتت الا أن الله تعالى أحياها ونشرها من قبرها تحقيقا لرؤيا يوسف وقيل المراد بأبويه أبوه وخالته لان أمه ماتت فى النفاس بأخيه بنيامين حتى قيل ان بنيامين بالعبرية ابن الوجع ولما توفيت أمه تزوج أبوه بخالته فسماها الله تعالى أحد الابوين لان الخالة تدعى أما لقيامها مقام الام أو لان الخالة أم كما أن العم أب فكيف وقد اجتمع ههنا الامران قال السدى كان دخولهم على يوسف قبل دخولهم مصر كأنه حين استقبلهم نزل لأجلهم فى خيمة أو بيت هناك فدخلوا

ولى فى دنياى على من عادانى وأرادنى بسوء بنصرك وتغذونى فيها بنعمتك وتلينى فى الآخرة بفضلك ورحمتك توفنى مسلما يقول اقبضنى اليك مسلما وألحقنى بالصالحين يقول وألحقنى بصالح آبائى ابراهيم واسحق ومن قبلهم من أنبيائك ورسلك وقيل انه لم يتمن أحد من الانبياء الموت قبل يوسف ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الاحاديث الآية قال ابن عباس يقول أول نبى سأل الله الموت يوسف حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله رب قد آتيتنى من الملك الآية قال اشتاق الى لقاء ربه وأحب أن يلحق به وبآبائه فدعا الله أن يتوفاه ويلحقه بهم ولم يسأل نبى قط الموت غير يوسف فقال رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الاحاديث الآية قال ابن جريج فى بعض القرآن من الانبياء من قال توفنى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين لما جمع شمله وأقر عينه وهو يومئذ مغموس فى نعيم الدنيا وملكها وغضارتها فاشتاق الى الصالحين قبله وكان ابن عباس يقول ما تمنى نبى قط الموت قبل يوسف حدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال أخبرنا عبد الله ابن الزبير عن سفيان عن ابن أبى عروبة عن قتادة قال لما جمع ليوسف شمله وتكاملت عليه النعم سأل لقاء ربه فقال رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض أنت وليى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين قال قتادة ولم يتمن الموت أحد قط نبى ولا غيره الا يوسف حدثنى المثنى قال ثنا هشام قال ثنا الوليد بن مسلم قال ثنى غير واحد عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أن يوسف النبى صلى الله عليه وسلم لما جمع بينه وبين أبيه واخوته وهو يومئذ ملك مصر اشتاق الى الله والى آبائه الصالحين ابراهيم واسحق قال رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض أنت وليى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين حدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا هشام عن مسلم بن خالد عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وعلمتنى من تأويل الاحاديث قال العبارة حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين يقول توفنى على طاعتك واغفر لى اذا توفيتنى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال قال يوسف حين رأى ما رأى من كرامة الله وفضله عليه وعلى أهل بيته حين جمع الله له شمله ورده على والده وجمع بينه وبينه فيما هو فيه من الملك والبهجة يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا الى قوله انه هو العليم الحكيم ثم ارعوى يوسف وذكر أن ما هو فيه من الدنيا بائد وذاهب فقال رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض أنت وليى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين وذكر أن بنى يعقوب الذين فعلوا بيوسف ما فعلوا استغفر لهم أبوهم فتاب الله عليهم وعفا عنهم وغفر لهم ذنبهم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن صالح المرى عن يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك قال ان الله تبارك

وتعالى

وتعالى لما جمع ليعقوب شمله وأقر عينه خلا ولده نجيا فقال بعضهم لبعض ألستم قد علمتم ما صنعتم وما لقى منكم الشيخ وما لقى منكم يوسف قالوا بلى قال فيغركم عفوهما عنكم فكيف لكم بربكم فاستقام أمرهم على أن أتوا الشيخ فجلسوا بين يديه ويوسف الى جنب أبيه قاعد قالوا يا أبانا أتيناك فى أمر لم نأتك فى أمر مثله قط ونزل بنا أمر لم ينزل بنا مثله حتى حركوه والانبياء أرحم البرية فقال مالكم يا بنى قالوا ألست قد علمت ما كان منا اليك وما كان منا الى أخينا يوسف قال بلى قالوا أفلستما قد عفوتما قالا بلى قالوا فان عفوكما لا يغنى عنا شيأ ان كان الله لم يعف عنا قال فما تريدون يا بنى قالوا نريد أن تدعو الله لنا فاذا جاءك الوحى من عند الله بأنه قد عفا عما صنعنا قرت أعيننا واطمأنت قلوبنا والا فلا قرة عين فى الدنيا لنا أبدا قال فقام الشيخ واستقبل القبلة وقام يوسف خلف أبيه وقاموا خلفهما أذلة خاشعين قال فدعا وأمن يوسف فلم يجب فيهم عشرين سنة قال صالح المرى يخيفهم قال حتى اذا كان رأس العشرين نزل جبريل صلى الله عليه وسلم على يعقوب عليه السلام فقال ان الله تبارك وتعالى بعثنى اليك أبشرك بأنه قد أجاب دعوتك فى ولدك وأنه قد عفا عما صنعوا وأنه قد اعتقد مواثيقهم من بعدك على النبوة حدثنى المثنى قال ثنا الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا جعفر بن سليمن عن أبى عمران الجونى قال والله لو كان قتل يوسف مضى لأدخلهم الله النار كلهم ولكن الله جل ثناؤه أمسك نفس يوسف ليبلغ فيه أمره ورحمة لهم ثم يقول والله ما قص الله نبأهم يعيرهم بذلك انهم لأنبياء من أهل الجنة ولكن الله قص علينا نبأهم لئلا يقنط عبده وذكر أن يعقوب توفى قبل يوسف وأوصى الى يوسف وأمره أن يدفنه عند قبر أبيه اسحق ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى قال لما حضر الموت يعقوب أوصى الى يوسف أن يدفنه عند ابراهيم واسحق فلما مات نفخ فيه المر وحمله الى الشام قال فلما بلغوا الى ذلك المكان أقبل عيص أخو يعقوب فقال غلبنى على الدعوة فوالله لا يغلبنى على القبر فأبى أن يتركهم أن يدفنوه فلما احتبسوا قال هشام بن دان بن يعقوب وكان هشام أصم لبعض اخوته ما لجدى لا يدفن قالوا هذا عمك يمنعه قال أرونيه أين هو فلما رآه رفع هشام يده فوجأ بها رأس العيص وجأة سقطت عيناه على فخذ يعقوب فدفنا فى قبر واحد القول فى تأويل قوله تعالى (ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون) يقول تعالى ذكره هذا الخبر الذى أخبرتك به من خبر يوسف ووالده يعقوب واخوته وسائر ما فى هذه السورة من أنباء الغيب يقول من أخبار الغيب الذى لم تشاهده ولم تعاينه ولكنا نوحيه اليك ونعرفكه لنثبت به فؤادك ونشجع به قلبك وتصبر على ما نالك من الاذى من قومك فى ذات الله وتعلم أن من قبلك من رسل الله اذ صبروا على ما نالهم فيه وأخذوا بالعفو وأمروا بالعرف وأعرضوا عن الجاهلين فازوا بالظفر وأيدوا بالنصر ومكنوا فى البلاد وغلبوا من قصدوا من أعدائهم وأعداء دين الله يقول الله تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فبهم يا محمد فتأس وآثارهم فقص وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون يقول وما كنت حاضرا عند اخوة يوسف اذ أجمعوا واتفقت آراؤهم وصحت عزائمهم على أن يلقوا يوسف فى غيابة الجب وذلك كان مكرهم الذى قال الله عز وجل وهم يمكرون كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما كنت لديهم

عليه وضم اليه أبويه (وقال ادخلوا مصر) فعلى هذا جاز أن يكون الاستثناء عائدا الى الدخول وعن ابن عباس ادخلوا مصر أى أقيموا بها وقوله (ان شاء الله آمنين) تعلق بالدخول المكيف بالأمن فكأنه قيل اسلموا وأمنوا فى دخولكم واقامتكم ان شاء الله وجواب الشرط بالحقيقة محذوف والتقدير ادخلوا مصر آمنين ان شاء الله دخلتم آمنين أراد الأمن على أنفسهم وأموالهم وأهليهم بحيث لا يخافون أحدا وكانوا فيما سلف يخافون ملك مصر أو أراد الأمن من القحط والشدة أو من تعييره اياهم بالجرم السالف (ورفع أبويه على العرش) السرير الرفيع الذى كان يجلس عليه (وخروا له سجدا) لسائل أن يقول السجود لا يجوز لغير الله فكيف سجدوا ليوسف وأيضا تعظيم الابوين أولى تعظيم الله سبحانه فمن أين جاز سجدة أبويه له والجواب عن ابن عباس فى رواية عطاء أن المراد خروا لاجله وسجدوا لله فكانت سجدة الشكر لله سبحانه وكذا التأويل فى قوله والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين أى انها سجدت لله تعالى لاجل طلب مصلحتى واعلاء منصبى وأحسن من هذا أن يقال انهم جعلوا يوسف كالقبلة وسجدوا لله شكرا على لقائه أو يراد بالسجدة التواضع التام على ما كانت عادتهم فى ذلك الزمان من التحية ولعلها كانت الانحناء دون تعفير الجبهة واعترض على هذا الوجه بأن لفظ الخرور يأباه وأجيب بأن الخرور قد يعنى به المرور قال تعالى لم يخروا عليها صما وعميانا أى لم يمروا وقيل الضمير عائد الى اخوته فقط ورد بأن قوله هذا تأويل رؤياى من قبل ينبو عنه وأجيب بأن التعبير لا يلزم أن يكون مطابقا للرؤيا من كل الوجوه فيحتمل أن تكون السجدة فى حق الاخوة التواضع التام وفى حق أبويه مجرد ذهابهما من كنعان الى مصر ففيه تعظيم تام للولد وقيل انما سجد الابوان لئلا تحمل الانفة اخوته على عدم السجود فيصير سببا لثوران الفتن واحياء الاحقاد والضغائن أو لعله تعالى أمر يعقوب بتلك السجدة لحكمة خفية لا يعرفها الا الله تعالى ورضى بذلك يوسف موافقة لامر الله ويؤيده ما روى عن ابن عباس أن يوسف

يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يقول ما كنت لديهم وهم يلقونه في غيابة الجب وهم يمكرون أي بيوسف حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون الآية قال هم بنو يعقوب ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾ يقول جل ثناؤه وما أكثر مشركي قومك يا محمد ولو حرصت على أن يؤمنوا بك فيصدقوك ويتبعوا ما جئتهم به من عند ربك بمصدقيك ولا متبعيك ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وما تسألهم عليه من أجر ان هو الا ذكر للعالمين﴾ يقول تعالى ذكره لمحمد صلى الله عليه وسلم وما تسأل يا محمد هؤلاء الذين ينكرون نبوتك ويمتنعون من تصديقك والاقرار بما جئتهم به من عند ربك على ما تدعوهم اليه من اخلاص العبادة لربك وهجر عبادة الاوثان وطاعة الرحمن من أجر يعني من ثواب وجزاء منهم بل انما ثوابك وأجر عملك على الله يقول ما تسألهم على ذلك ثوابا فيقولوا لك انما تريد بدعائك ايانا الى اتباعك لننزل لك عن أموالنا اذا سألتنا ذلك واذ كنت لا تسألهم ذلك فقد كان حقا عليهم أن يعلموا أنك انما تدعوهم الى ما تدعوهم اليه اتباعا منك لأمر ربك ونصيحة منك لهم وأن لا يستغشوك وقوله ان هو الا ذكر للعالمين يقول تعالى ذكره ما هذا الذي أرسلك به ربك يا محمد من النبوة والرسالة الا ذكر يقول الا عظة وتذكير للعالمين ليتعظوا ويتذكروا به ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون﴾ يقول جل وعز وكم من آية في السموات والارض لله وعبرة وحجة وذلك كالشمس والقمر والنجوم ونحو ذلك من آيات السموات وكالجبال والبحار والنبات والاشجار وغير ذلك من آيات الارض يمرون عليها يقول يعاينونها فيمرون بها معرضين عنها لا يعتبرون بها ولا يفكرون فيها وفيما دلت عليه من توحيد ربها وأن الالوهة لا تنبغي الا للواحد القهار الذي خلقها وخلق كل شيء فدبرها وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهي في مصحف عبد الله يمشون عليها السماء والارض آيتان عظيمتان ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون﴾ يقول تعالى ذكره وما يقر أكثر هؤلاء الذين وصف عز وجل صفتهم بقوله وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون بالله أنه خالقه ورازقه وخالق كل شيء الا وهم به مشركون في عبادتهم الاوثان والاصنام واتخاذهم من دونه أربابا وزعمهم أن له ولدا تعالى الله عما يقولون وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمران بن عيينة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وما يؤمن أكثرهم بالله الآية قال من ايمانهم اذا قيل لهم من خلق السماء ومن خلق الارض ومن خلق الجبال قالوا الله وهم مشركون حدثنا هناد قال ثنا أبو الاحوص عن سماك عن عكرمة في قوله وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون قال تسألهم من خلقهم ومن خلق السموات والارض فيقولون الله فذلك ايمانهم بالله وهم يعبدون غيره حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن اسرائيل عن جابر عن عامر وعكرمة وما يؤمن أكثرهم بالله الآية قالا يعلمون أنه ربهم وأنه خلقهم وهم مشركون به حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي

لما رأى سجودهم له اقشعر جلده ولكن لم يقل شيأ وكأن الامر بتلك السجدة كان من تمام التشديد والبلية والله أعلم (وقد أحسن بي) يقال أحسن به واليه بمعنى (اذ أخرجني من السجن) لم يذكر اخراجه من البئر لانه نوع تثريب للاخوة وقد قال لا تثريب عليكم ولأنه لم يكن نعمة لانه حينئذ صار عبدا وصار مبتلى بالمرأة ولان هذا الاخراج أقرب وأشمل (وجاء بكم من البدو) أي من البادية سمى المكان باسم المصدر لظهور الشخص فيه من بعيد وكان يعقوب وولده بأرض كنعان أهل مواش ينتقلون في المياه والمحاري قال ابن الانباري بدا موضع معروف هنالك روى عن ابن عباس أن يعقوب كان قد تحول اليه وسكن فيه ومنه قدم الى يوسف فعلى هذا كان يعقوب وولده أهل الحضر والبدو وقصد هذا الموضع الذي يقال له بدا والمعنى جاء بكم من قصد بدا ذكره الواحدي في البسيط قال الجبائي والكعبي والقاضي انه تعالى أخبر عن يوسف أنه أضاف الاحسان الى الله ونسب النزغ الى الشيطان وهو الافساد والاغراء ففيه دليل على أن الخير من الله دون الشر وأجيب بأنه انما راعى الادب والا فليس فعل الشيطان الا الوسوسة وأما صرف الداعية الى الشر فلا يقدر عليه الا الله تعالى فان العاقل لا يريد ضرر نفسه (ان ربي لطيف لما يشاء) واذا أراد حصول أمر هيأ أسبابه وان كان في غاية البعد عن الاوهام (انه هو العليم) بالوجه الذي تسهل به الصعاب (الحكيم) في أفعاله حتى تجيء على الوجه الأصوب والنحو الاصلح يحكى أن يوسف أخذ بيد يعقوب وطاف به في خزائنه فأدخله خزائن الورق والذهب وخزائن الحلي والثياب والسلاح وغير ذلك فلما أدخله خزائن القراطيس قال يا بني ما أعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على عن ثمان مراحل قال أمرني جبريل قال أوما تسأله قال أنت أبسط اليه مني فسأله قال جبريل الله أمرني بذلك لقولك وأخاف أن يأكله الذئب قال فهلا خفتني ثم ان يعقوب أقام معه أربعا وعشرين سنة ثم مات وأوصى أن يدفنه بالشام الى جنب أبيه اسحق فمضى بنفسه

ودفنه ثم عاد الى مصر وعاش بعد ذلك ثلاثا وعشرين سنة فلما تم أمره وعلم أنه لا يدوم له قال (رب قد آتيتني من الملك) شيأ من ملك الدنيا أو من ملك مصر لانه كان دون ملك فوقه (وعلمتني من تأويل الاحاديث) بعضا من ذلك لانه لا يمكن أن يحصل للانسان في العمر المتناهي والاستعداد المعين المحصور سوى المتناهي من السعادات الدنيوية والكمالات الاخروية (فاطر السموات والارض) منادى ثان أو صفة النداء الاول أي مبدعهما على النحو الافضل من مادة سابقة كالدخان أو من عدم محض (أنت وليي في الدنيا والآخرة) لا يتولى اصلاح مهماتي في الدارين غيرك ولما قدم النداء والثناء كما هو شرط الادب الحسن ذكر المسألة فقال (توفني مسلما) أراد الوفاة على حال الاسلام والختم بالحسنى كقول يعقوب لولده ولا تموتن الا وأنتم مسلمون (وألحقني بالصالحين) من آبائي أو على العموم قيل الصلاح أول درجات المؤمنين الصالحين فالواصل الى الغاية وهي النبوة كيف يليق به أن يطلب البداية والجواب ان أراد الالحاق بالآباء فظاهر وان أراد العموم فكذلك لان طلب الصلاح غير الالحاق بأهل الصلاح وان اجتماع النفوس المشرقة بالانوار الالهية له أثر عظيم وفوائد جمة كالمرآة المستنيرة المتقابلة التي يتعاكس أضواؤها ويتكامل أنوارها الى حيث لا تطيقها العيون الضعيفة هذا مع أن الختم على الصلاح نهاية مراتب الصديقين وههنا بحث للاشاعرة وهو أن التوفي على الاسلام والالحاق بأهل الصلاح لو لم يكن من فعل الله تعالى كان طلبه من الله جاريا مجرى قول القائل افعل يا من لا يفعل وهل هذا الا كتشنيع المعتزلة علينا اذ كان الفعل من الله فكيف يجوز أن يقول للمكلف افعل مع أنه ليس بفاعل أجاب الجبائي والكعبي بأن المراد اللطف بالاقامة على الاسلام الى أن أموت فألحق بالصلحاء ورد بأنه عدول عن الظاهر مع أن كل ما في مقدور الله من الالطاف فقد فعله في حق الكل * سؤال آخر الانبياء يعلمون أنهم يموتون على الاسلام البتة فما الفائدة في الطلب الجواب العلم الاجمالي لا يغني عن العلم التفصيلي ولا سيما في مقام

عن اسرائيل عن جابر عن عامر وعكرمة بنحوه * قال ثنا ابن نمير عن نصر عن عكرمة وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون قال من ايمانهم اذا قيل لهم من خلق السموات قالوا الله واذا سئلوا من خلقهم قالوا الله وهم يشركون به بعد * قال ثنا أبو نعيم عن الفضيل بن يزيد الثمالي عن عكرمة قال هو قول الله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فاذا سئلوا عن الله وعن صفته وصفوه بغير صفته وجعلوا له ولدا وأشركوا به حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون ايمانهم قولهم الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون فايمانهم قولهم الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا حدثني المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون ايمانهم قولهم الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا فهذا ايمان مع شرك عبادتهم غيره * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون قال ايمانهم قولهم الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا حدثنا ابن وكيع قال ثنا هانئ بن سعيد وأبو معاوية عن حجاج عن القاسم عن مجاهد قال يقولون الله ربنا وهو يرزقنا وهم يشركون به بعد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال ايمانهم قولهم الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا * قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن أبي حمزة عن جابر عن عكرمة ومجاهد وعامر أنهم قالوا في هذه الآية وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون قال ليس أحد الا وهو يعلم أن الله خلقه وخلق السموات والارض فهذا ايمانهم ويكفرون بما سوى ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون في ايمانهم هذا انك لست تلقى أحدا منهم الا أنبأك أن الله ربه وهو الذي خلقه ورزقه وهو مشرك في عبادته حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وما يؤمن أكثرهم بالله الآية قال لا تسأل أحدا من المشركين من ربك الا قال ربي الله وهو يشرك في ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون يعني النصارى يقول ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سألتهم من يرزقكم من السماء والارض ليقولن الله وهم مع ذلك يشركون به ويعبدون غيره ويسجدون للانداد دونه حدثني المثنى قال أخبرنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك قال كانوا يشركون به في تلبيتهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن عبد الملك عن عطاء وما يؤمن أكثرهم بالله الآية قال يعلمون أن الله ربهم وهم يشركون به بعد حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن عبد الملك عن عطاء في قوله وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون قال يعلمون أن الله خالقهم ورازقهم وهم يشركون به حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال

سمعت ابن زيد يقول وما يؤمن أكثرهم بالله الآية قال ليس أحد يعبد مع الله غيره الا وهو مؤمن بالله ويعرف أن الله ربه وأن الله خالقه ورازقه وهو يشرك به ألا ترى كيف قال ابراهيم أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين قد عرف أنهم يعبدون رب العالمين مع ما يعبدون قال فليس أحد يشرك به الا وهو مؤمن به ألا ترى كيف كانت العرب تلبي تقول لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك المشركون كانوا يقولون هذا

۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون﴾ يقول جل ثناؤه أفأمن هؤلاء الذين لا يقرون بأن الله ربهم الا وهم مشركون في عبادتهم اياه غيره أن تأتيهم غاشية من عذاب الله تغشاهم من عقوبة الله وعذابه على شركهم بالله أو تأتيهم القيامة فجأة وهم مقيمون على شركهم وكفرهم بربهم فيخلدهم الله عز وجل في ناره وهم لا يدرون بمجيئها وقيامها وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أن تأتيهم غاشية من عذاب الله قال تغشاهم حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله غاشية من عذاب الله قال تغشاهم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أي عقوبة من عذاب الله حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة غاشية من عذاب الله قال غاشية واقعة تغشاهم من عذاب الله

۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل هذه سبيلي أدعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد هذه الدعوة التي أدعو اليها والطريقة التي أنا عليها من الدعاء الى توحيد الله واخلاص العبادة له دون الآلهة والاوثان والانتهاء الى طاعته وترك معصيته سبيلي وطريقتي ودعوتي أدعوا الى الله وحده لا شريك له على بصيرة بذلك ويقين علم مني به أنا ويدعو اليه على بصيرة أيضا من اتبعني وصدقني وآمن بي وسبحان الله يقول له تعالى ذكره وقل تنزيها لله وتعظيما له من أن يكون له شريك في ملكه أو معبود سواه في سلطانه وما أنا من المشركين يقول وأنا بريء من أهل الشرك به لست منهم ولا هم مني وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس في قوله قل هذه سبيلي أدعوا الى الله على بصيرة يقول هذه دعوتي حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قل هذه سبيلي أدعوا الى الله على بصيرة قال هذه سبيلي هذا أمري وسنتي ومنهاجي أدعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني قال وحق والله على من اتبعه أن يدعو الى ما دعا اليه ويذكر بالقرآن والموعظة وينهى عن معاصي الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي جعفر عن الربيع

ابن

الخشية والرهبة وقال في التفسير الكبير المطلوب ههنا حالة زائدة على الاسلام الذي هو ضد الكفر وهي الاستسلام لحكم الله والرضا بقضائه وعن قتادة وكثير من المفسرين أنه تمنى الموت واللحوق بدار البقاء في زمرة الصلحاء ولم يتمن الموت نبي قبله ولا بعده قال أهل التحقيق لا يبعد من الرجل العاقل اذا كمل عقله أن تعظم رغبته في الموت لوجوه منها أن مراتب الموجودات ثلاث المؤثر الذي لا يتأثر وهو الاله تعالى وتقدس والمتأثر الذي لا يؤثر وهو عالم الاجساد فانها قابلة للتشكيل والتصوير والصفات المختلفة والأعراض المتضادة ويتوسطهما قسم ثالث هو عالم الارواح لانها تقبل الاثر والتصرف من العالم الالهي ثم اذا أقبلت على عالم الاجساد تصرفت فيه وأثرت والنفوس في التأثير والتأثر مراتب غير متناهية لان تأثيرها بحسب تأثرها عما فوقها والكمال الالهي غير متناه فاذن لا تنفك النفس من نقصان ما والناقص اذا حصل له شعور بنقصانه وقد ذاق لذة الكمال بقي في القلق وألم الطلب ولا سبيل له الى دفع هذا القلق والألم الا الموت فحينئذ يتمنى الموت ومنها أن سعادات الدنيا ولذاتها سريعة الزوال مشرفة على الفناء والألم الحاصل عند زوالها أشد من اللذة الحاصلة عند وجدانها ثم انها مخلوطة بالمنغصات والاراذل من الخلق يشاركون الافاضل فيها بل ربما كانت حصة الاراذل أكثر فلا جرم يتمنى العاقل موته ليتخلص من هذه الآفات ومنها أن اللذات الجسمانية لا حقيقة لها الا ان حاصلها يرجع الى دفع الآلام وقد قررنا هذا المعنى فيما سلف ومنها أن مداخل اللذات الدنيوية ثلاثة لذة الاكل ولذة الوقاع ولذة الرياسة ولكل منها عيوب فلذة الاكل مع أنها غير باقية بعد البلع فان المأكول يختلط بالبصاق المجتمع في الفم ولا شك أنه شئ منفر ثم لما يصل الى المعدة يستحيل الى ما ذكره منفر فكيف به ومن هنا قالت العقلاء من كانت همته ما يدخل في جوفه كانت قيمته ما يخرج من بطنه هذا مع اشتراك الحيوانات الخسيسة فيها وأيضا اشتداد الجوع حاجة والحاجة

ابن أنس قوله قل هذه سبيلي هذه دعوتي حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن أبي جعفر عن الربيع قل هذه سبيلي قال هذه دعوتي * القول في تأويل قوله تعالى {وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون} يقول تعالى ذكره وما أرسلنا يا محمد من قبلك الا رجالا لا نساء ولا ملائكة نوحي اليهم آياتنا بالدعاء الى طاعتنا وافراد العبادة لنا من أهل القرى يعني من أهل الامصار دون أهل البوادي كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من أهل القرى لأنهم كانوا أعلم وأحلم من أهل العمود وقوله أفلم يسيروا في الارض يقول تعالى ذكره أفلم يسر هؤلاء المشركون الذين يكذبونك يا محمد ويجحدون نبوتك وينكرون ما جئتهم به من توحيد الله واخلاص الطاعة والعبادة له في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم اذ كذبوا رسلنا ألم نحل بهم عقوبتنا فنهلكهم بها وننجي منها رسلنا وأتباعنا فيتفكروا في ذلك ويعتبروا ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قوله وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم قال انهم قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قال وقوله وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وما تسألهم عليه من أجر وقوله وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وقوله أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله وقوله أفلم يسيروا في الارض فينظروا (١) من أهلكنا قال فكل ذلك قال لقريش أفلم يسيروا في الارض فينظروا في آثارهم فيعتبروا ويتفكروا وقوله ولدار الآخرة خير يقول تعالى ذكره هذا فعلنا في الدنيا بأهل ولايتنا وطاعتنا ان عقوبتنا اذا نزلت بأهل معاصينا والشرك بنا أنجيناهم منها وما في الدار الآخرة لهم خير وترك ذكر ما ذكرنا اكتفاء بدلالة قوله ولدار الآخرة خير للذين اتقوا عليه وأضيفت الدار الى الآخرة وهي الآخرة لاختلاف لفظهما كما قيل ان هذا لهو حق اليقين وكما قيل أتيتك عام الاول وبارحة الاولى وليلة الاولى ويوم الخميس وكما قال الشاعر

أتمدح فقعسا وتذم عبسا * ألا لله أمك من هجين
ولو أقوت عليك ديار عبس * عرفت الذل عرفان اليقين

يعني عرفانا به يقينا فتأويل الكلام ولدار الآخرة خير للذين اتقوا الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه وقوله أفلا تعقلون يقول أفلا يعقل هؤلاء المشركون بالله حقيقة ما نقول لهم ونخبرهم به من سوء عاقبة الكفر وغب ما يصير اليه حال أهله مع ما قد عاينوا ورأوا وسمعوا مما حل بمن قبلهم من الامم الكافرة المكذبة رسل ربها * القول في تأويل قوله تعالى {حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين} يقول تعالى ذكره وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من أهل القرى فدعوا من أرسلنا اليهم فكذبوهم وردوا ما أتوا به من عند الله حتى اذا استيأس الرسل الذين أرسلناهم اليهم منهم أن يؤمنوا بالله ويصدقوهم فيما أتوهم به من عند الله وظن الذين أرسلناهم اليهم من الامم المكذبة أن الرسل الذين أرسلناهم قد كذبوهم فيما كانوا أخبروهم عن الله من وعده اياهم نصرهم عليهم جاءهم نصرنا

(١) هذا خلاف نظم القرآن فتنبه كتبه مصححه

نقص وآفة وكذا الكلام في لذة النكاح وعيوبها مع ان فيها احتياجا الى زيادة المال والنفقة للزوج والولد وما يلزمهما والاحتياج الى المال يلقي المرء في مهالك الاكتساب ومهاوي الانتجاع ولذة الرياسة أدنى عيوبها أن كل واحد يكره بالطبع أن يكون خادما مأمورا ويحب أن يكون مخدوما وما سعي الانسان في الرياسة سعي في مخالفة كل من سواه ولا ريب أن هذا أمر صعب الحصول منيع المرام واذا ناله كان على شرف الزوال في كل حين وأوان لان كثرة الاسباب توجب قوة حصول الاثر فيكون دائما في الحزن والخوف فاذا تأمل العاقل في هذه المعاني علم قطعا أنه لا صلاح في اللذات العاجلة ولكن النفس جبلت على طلبها والرغبة فيها فيكون دائما في بحر الآفات وغمرات الحسرات فحينئذ يتمنى زوال هذه الحياة وقد سبق منا في تمني الموت كلام آخر في سورة البقرة في تفسير قوله فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فليتذكر قال أهل السير لما توفي يوسف تخاصم أهل مصر وتشاحوا في دفنه كل يحب أن يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال فرأوا من الرأي أن عملوا له صندوقا من مرمر فجعلوه فيه ودفنوه في النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا فيه شرعا وولد له افرائيم وميشا وولد لافرائيم نون ولنون يوشع فتى موسى ثم بقي يوسف هنالك الى أن بعث الله موسى فأخرج عظامه من مصر ودفنها عند قبر أبيه والله تعالى أعلم بحقائق الامور * التأويل ان يعقوب الروح لا يتأسف على فوات شيء من المخلوقات الا على يوسف القلب لانه مرآة جمال الحق لا يشاهد الحق الا فيها فلذلك ابيضت عيناه في انتظارها فلامه على ذلك الاوصاف البشرية بقولهم تفتؤ تذكر يوسف وأين أهل السلوة من أهل العشق أين الخلي من الشجي ولا بد للمحب من ملامة الخلق فأول ملامتي آدم عليه السلام حين قالت الملائكة لاجله أتجعل فيها من يفسد فيها بل أول ملامتي هو الله تعالى حين قالوا له أتجعل فيها وذلك أنه أول محب ادعى المحبة وهو قوله يحبهم وأعلم من الله ما لا تعلمون من حاله وكما له اذهبوا فتحسسوا فيه أن الواجب على كل مسلم أن يطلب يوسف قلبه وبنيامين سره وأن

ترك لطف الله واليأس عن وجدانه كفر فلما رأت الاوصاف البشرية آثار العزة من رب العزة على صفحات أحوال يوسف القلب حين وصلوا بتيسير أحكام الشريعة وتدبير آداب الطريقة الى سرادقات حضرة القلب قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا وهم القوى الانسانية ضر البعد عن الحضرة الربانية وجئنا ببضاعة

مزجاة من الاعمال البدنية فأوف لنا الكيل بافاضة سجال العوارف

وذلك قول جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو السائب سلم بن جنادة قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن مسلم عن ابن عباس في قوله حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا قال لما أيست الرسل أن يستجيب لهم قومهم وظن قومهم أن الرسل قد كذبوهم جاءهم النصر على ذلك فننجي من نشاء حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا أبو معاوية الضرير قال ثنا الاعمش عن مسلم عن ابن عباس بنحوه غير أنه قال في حديثه قال أيست الرسل ولم يقل لما أيست حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير حتى اذا استيأس الرسل أن يسلم قومهم وظن قوم الرسل أن الرسل قد كذبوا جاءهم نصرنا حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن الاعمش عن أبي الضحى عن ابن عباس مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمران بن عيينة عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا قال حتى اذا استيأس الرسل من قومهم وظن قومهم أن الرسل قد كذبوا جاءهم نصرنا حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حصين عن عمران السلمي عن ابن عباس حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا أيس الرسل من قومهم أن يصدقوهم وظن قومهم أن الرسل قد كذبتهم حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال ثنا جرير عن حصين عن عمران بن الحرث السلمي عن عبد الله بن عباس في قوله حتى اذا استيأس الرسل قال استيأس الرسل من قومهم أن يستجيبوا لهم وظنوا أنهم قد كذبوا قال ظن قومهم أنهم جاؤهم بالكذب حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت حصينا عن عمران بن الحرث عن ابن عباس حتى اذا استيأس الرسل من أن يستجيب لهم قومهم وظن قومهم أن قد كذبوهم جاءهم نصرنا حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس قال ثنا عبثر قال ثنا حصين عن عمران بن الحرث عن ابن عباس في هذه الآية حتى اذا استيأس الرسل قال استيأس الرسل من قومهم أن يؤمنوا وظن قومهم أن الرسل قد كذبوهم فيما وعدوا وكذبوا جاءهم نصرنا حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن حصين عن عمران بن الحرث عن ابن عباس قال حتى اذا استيأس الرسل من نصر قومهم وظنوا أنهم قد كذبوا ظن قومهم أنهم قد كذبوهم حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا محمد بن الصباح قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن عمران بن الحرث عن ابن عباس في قوله حتى اذا استيأس الرسل قال من قومهم أن يؤمنوا بهم وأن يستجيبوا لهم وظن قومهم أن الرسل قد كذبوهم جاءهم نصرنا يعني الرسل حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن حصين عن عمران بن الحرث عن ابن عباس بمثله سواء حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عبد الوهاب بن عطاء عن هرون عن عباد القرشي عن عبد الرحمن بن معاوية عن ابن عباس وظنوا أنهم قد كذبوا خفيفة وتأويلها عنده وظن القوم أن الرسل قد كذبوا حدثنا أبو بكر قال ثنا طلق بن غنام عن زائدة عن الاعمش عن مسلم عن ابن عباس قال حتى اذا استيأس الرسل من قومهم أن يصدقوهم وظن قومهم أن قد كذبتهم رسلهم جاءهم نصرنا حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح

قال

واسباغ ظلال العواطف اذ أنتم جاهلون اذ كنتم على صفة الظلومية والجهولية لقد آثرك الله علينا بالطلب والصدق والشوق والمحبة والوصول والوصال وان كنا لخاطئين في الاقبال على استيفاء الحظوظ الحيوانية التي تضر القلب والسر والروح لا تثريب عليكم اليوم لانه صدر منها ما صدر بحكمة من الله تعالى وتربية القلب وان كان مضرا له ظاهرا (٣) كما أن صنيع اخوة يوسف في البداية صار سببا الرفعة منزلته في النهاية اذهبوا بقميصي وهو نور جمال الله ولما انفصلت عير واردات القلب وهبت نفحات ألطاف الحق انك لفي ضلالك القديم شعر

يا عاذل العاشقين دع فئة
أضلها الله كيف ترشدها

فارتد بصيرا لأن الروح كان بصيرا في بدو الفطرة ثم عمي لتعلقه بالدنيا وتصرفه فيها ثم صار بصيرا بوارد من القلب شعر

وورد البشير بما أقر الاعينا
وشفى النفوس فنلن غايات المنى

والقلب في بدو الامر كان محتاجا الى الروح في الاستكمال فلما كمل وصلح لقبول فيضان الحق بين اصبعين ونال مملكة الخلافة عصر القربة في النهاية صار الروح محتاجا اليه لاستنارته بأنوار الحق وذلك أن القلب بمثابة المصباح في قبول نار النور الالهي والروح كالزيت فيحتاج المصباح في البداية الى الزيت في قبول النار ولكن الزيت يحتاج الى المصباح في البداية وتزكيته في النهاية لتقبل بواسطة النار ادخلوا مصر ان شاء الله لانه لا يصل الى الحضرة الاحدية الا بجذبة المشيئة آمنين من الانقطاع والانفصال وخروا له سجدا لما رأوه وعرفوه أنه عرش الحق تعالى والسجدة كانت في الحقيقة لرب العرش لا للعرش هذا تأويل رؤياي من قبل ان كنت نائما في نوم

قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا يعنى أيس الرسل من أن يتبعهم قومهم وظن قومهم أن الرسل قد كذبوا فينصر الله الرسل و يبعث العذاب حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا حتى اذا استيأس الرسل من قومهم أن يطيعوهم و يتبعوهم وظن قومهم أن رسلهم كذبوهم جاءهم نصرنا حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا محمد بن فضيل عن حصين عن عمران بن الحرث عن ابن عباس حتى اذا استيأس الرسل من قومهم وظنوا أنهم قد كذبوا قال فلما أبطأ عليهم الامن ظن أنهم قد كذبوا * قال ثنا آدم العسقلانى قال ثنا شعبة قال أخبرنا حصين بن عبد الرحمن عن عمران بن الحرث قال سمعت ابن عباس يقول وظنوا أنهم قد كذبوا خفيفة وقال ابن عباس ظن القوم أن الرسل قد كذبوهم خفيفة حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن عطاء عن سعيد بن جبير فى قوله حتى اذا استيأس الرسل من قومهم وظن قومهم أن الرسل قد كذبوهم * قال ثنا محمد بن فضيل عن خصيف قال سألت سعيد بن جبير عن قوله حتى اذا استيأس الرسل من قومهم وظن الكفار أنهم هم كذبوا حدثنى يعقوب والحسن بن محمد قالا ثنا اسمعيل بن علية قال ثنا كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير قوله حتى اذا استيأس الرسل من قومهم أن يؤمنوا وظن قومهم أن الرسل قد كذبتهم حدثنى المثنى قال ثنا عارم أبو النعمان قال ثنا حماد بن زيد قال ثنا شعيب قال ثنى ابراهيم بن أبى حمزة الجزرى قال سأل فتى من قريش سعيد بن جبير فقال له يا أبا عبد الله كيف تقرأ هذا الحرف فانى اذا أتيت عليه تمنيت أن لا أقرأ هذه السورة حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا قال نعم حتى اذا استيأس الرسل من قومهم أن يصدقوهم وظن المرسل اليهم أن الرسل كذبوا قال فقال الضحاك بن مزاحم ما رأيت كاليوم قط رجلا يدعى الى علم فيتلكأ لو رحلت فى هذه الى اليمن كان قليلا حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا ربيعة ابن كلثوم قال ثنى أبى أن مسلم بن يسار سأل سعيد بن جبير فقال يا أبا عبد الله آية بلغت منى كل مبلغ حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا فهذا الموت أن تظن الرسل أنهم قد كذبوا أو نظن أنهم قد كذبوا مخففة قال فقال سعيد بن جبير يا أبا عبد الرحمن حتى اذا استيأس الرسل من قومهم أن يستجيبوا لهم وظن قومهم أن الرسل كذبتهم جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين قال فقام مسلم الى سعيد فاعتنقه وقال فرج الله عنك كما فرجت عنى حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا يحيى بن عباد قال ثنا وهيب قال ثنا أبو المعلى العطار عن سعيد بن جبير عن ابن عباس حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا قال استيأس الرسل من ايمان قومهم وظن قومهم أن الرسل قد كذبوهم ما كانوا يخبرونهم و يبلغونهم * قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله حتى اذا استيأس الرسل أن يصدقهم قومهم وظن قومهم أن الرسل قد كذبوا جاء الرسل نصرنا حدثنى محمد بن

العدم اذ أخرجنى من السجن سجن الوجود ولم يقل من الجب لانه لا يخرج من جب البشرية ما دام فى الدنيا من البدو بدو الطبيعة آتيتنى من الملك ملك الوصال والوصول فاطر سموات عالم الارواح وأرض البشرية توفنى مسلما أخرجنى من قيد الوجود المجازى وأبقنى ببقائك مع الباقين بك بفضلك وكرمك ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك (٥٥) وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وما تسألهم عليه من أجر ان هو الا ذكر للعالمين وكأين من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون قل هذه سبيلى أدعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم من أهل القرى أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شئ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ القراآت سبيلى بفتح الياء أبو جعفر ونافع نوحى بالنون وكسر الحاء حفص الآخرون بالياء وفتح الحاء يعقلون على الغيبة أبو عمرو وحمزة وعلى وخلف وهشام وابن كثير والاعشى والبرجمى والباقون بتاء الخطاب كذبوا مخففا عاصم وحمزة وعلى وخلف و يزيد الباقون بالتشديد فنجى بضم النون وكسر الجيم المشددة وفتح الياء ابن عامر وعاصم وسهل و يعقوب فعلى هذا يكون فعلا ماضيا مبنيا للمفعول وعن الكسائى مثل هذا ولكن بسكون الياء وخطأه على بن عيسى بناء على أنه فعل مستقبل من الانجاء والنون لا يدغم فى الجيم أو من التنجية والنون المتحركة لا تدغم فى الساكن وأقول ان كان فعلا ماضيا من التنجية والنون المتحركة لا تدغم

كما فى القــراءة الاولى ولكن سكن الياء للتخفيف لم يلزم منــه خطأ الآخرون قرؤا بنونــين وتخفيف الجيم وسكون الياء فعلا مضارعا من الانجاء على حكاية الحال الماضية ﴿الوقوف﴾ اليك ج لابتــداء النفى مع واو العطف ءيمكرون ○ بمؤمنين ○ أجر ط للعالمين ○ معرضون ○ مشركون ○ لايشعرون ○ ومن اتبعن ط المشركين○ القرى ط من قبلهم ط اتقوا ط تعقلون ○ نصرنا ط لمــن قــــرأ فننجى بالتخفيف ولا وقف عــلى من نشاء ومن قرأ فنجى مشــددة وصله بما قبله و وقف على من نشاء المجرمين ○ الالبــاب ط يؤمنــون ○ ﴿التفسير﴾ (ذلك) الذى ذكر من نبا يوسف هــو من أخبــار الغيب وقدمر تفسير مثل هــذا فى آخر قصــة زكريا فى سورة آل عمران ومعنى اجماع الامر العزم عليه كما مر فى سورة يونس فى قصــة نوح وأراد عزمهم على القــاء يوسف فى البــئر وهو المكر بعينه وذلك مع سائر الغوائل من المجىء على قميصه بدم كذب ومن شراهــم اياه بثمن بخس قال أهــل النظم ان كفار قريش و جماعة من اليهود طلبوا هذه القصة من رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل التعنت فاعتقد رسول الله أنه اذا ذكرها فــربما آمنوا فلما ذكرهــا لهــم أصروا على كفرهم فنزل (وما أكثر الناس) أى أكــثر خلق الله المكلفين أو أكثر أهل مــــــكة قاله ابن عباس (ولو حرصت) جوابه مثل ما تقدم أى ولو حرصت فــاهم (بمؤمنين) والحرص طلب الشئ بأقصى ما يمكن من الاجتهاد ونظــير الآية قوله انك لاتهــدى من أحببت (وما تسألهم عليه) على ما تحدثهم به (من أجر) كما يسأل القاص (ان هو الا ذكر) عظة من الله (للعالمين) عامــة على لسان رسوله (وكأين من آية) الاكثرون على أنه لفظ مركب من كاف التشبيه وأى التى هى فى غاية الابهام الذى اذا قطعت عن الاضافة لكنه انمحى عن الجزأين معناهــما الافرادى وصار المجموع كاسم مفرد بمعنى كم الخــبرية والتمييز عن الكاف لا عن أى كما فى مثلك رجلا والاكثر ادخال من فى تمييزه وقدمر فى سورة البقرة فى تفسير قوله سبحانه ان فى خلق السموات والارض وفى مواضع أخر

عمــرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنى** المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير فى هذه الآية حتى اذا استيأس الرسل من قومهم وظن قومهم أن الرسل قد كذبت * قال ثنا حماد عن كلثوم ابن جــبر قال قال لى سعيد بن جبير سألنى سيد من سادا تكم عن هذه الآية فقلت استيأس الرسل من قومهــم وظن قومهم أن الرسل قد كذبت **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا قال استيأس الرسل أن يؤمن قومهم بهم وظن قومهم المشركون أن الرسل قد كذبوا ما وعدهم الله من نصره اياهم عليهم وأخلفوا وقرأ جاءهم نصرنا قال جاء الرسل النصر حينئذ قال وكان أبى يقرؤها كذبوا **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا عبد الوهاب بن عطاء عن سعيد عن أبى المتوكل عن أيوب بن أبى صفوان عن عبد الله ابن الحرث أنه قال حتى اذا استيأس الرسل من ايمان قومهم وظنوا أنهم قد كذبوا وظن القوم أنهم قد كذبوهم فيما جاؤهم به **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا عبد الوهاب عن جويبر عن الضحاك قال ظن قومهم أن رسلهم قد كذبوهم فيما وعدوهم به **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا محمد بن فضيل عن جحش بن زياد الضبى عن تميم بن حذلم قال سمعت عبد الله بن مسعود يقول فى هذه الآية حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا قال استيأس الرسل من ايمان قومهم أن يؤمنوا بهــم وظن قومهــم حــين أبطأ الأمر أنهــم قد كذبوا بالتخفيف **حدثنا** أبو المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى المعلى عن سعيد بن جبير فى قوله حتى اذا استيأس الرســل قال استيأس الرســل من نصر قومهم وظن قوم الرســل أن الرسل قد كذبوهم **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عمرو بن ثابت عن أبيــه عن سعيد بن جبــير حتى اذا استيأس الرسل أن يصدقوهم وظن قومهم أن الرسل قد كذبوهم * قال ثنــا أبو أحمد قال ثنــا اسرائيــل عن عطــاء بن السائب عن سعيد بن جبــير عن ابن عبــاس حــتى اذا استيأس الرسل أن يصدقهم قومهم وظن قومهم أن الرسل قد كذبوهم **حدثت** عن الحســين ابن الفــرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيــد بن سليمن قال سمعت الضحاك فى قوله حتى اذا استيأس الرســل يقول استيأســوا من قومهم أن يجيبوهم و يؤمنوا بهــم وظنوا يقول وظن قــوم الرسل أن الرسل قد كذبوهم الموعد والقراءة على هذا التأويل الذى ذكرنا فى قوله كذبوا بضم الكاف وتخفيف الذال وذلك أيضا قراءة بعض قراء أهل المدينة وعامة قراءة أهل الكوفة وانما اخترنا هذا التأويل وهــذه القراءة لان ذلك عقيب قوله وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهــم من أهــل القرى أفلم يســيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهــم فــكان ذلك دليلا على أن اياس الرسل كان من ايمان قومهم الذين أهلكوا وأن المضمر فى قوله وظنوا أنهم قد كذبوا انما هو من ذكر الذين من قبلهــم من الامم الهالكة وزاد ذلك وضوحا أيضا اتباع الله فى سياق الخبر عن الرسل وأممهم قوله فنجى من نشــاء اذ الذين أهلكواهــم الذين ظنوا أن الرســل قد كذبتهم فكذبوهم ظنا منهم أنهم قد كذبوهم وقد ذهب قوم ممن قرأ هذه القراءة الى غير التأويل

الذى اخترناو وجهوا معناه الى حتى اذا استيأس الرسل من ايمان قومهم وظنت الرسل أنهم قد كذبوا فيما وعدوا من النصر ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عثمن بن عمر قال ثنا ابن جريج عن ابن أبى مليكة قال قرأ ابن عباس حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا قال كانوا بشرا ضعفوا و يئسوا * قال ثنا حجاج بن محمد عن ابن جريج قال أخبرنى ابن أبى مليكة عن ابن عباس قرأ وظنوا أنهم قد كذبوا خفيفة قال ابن جريج أقول كما يقول أخلفوا قال عبد الله قال لى ابن عباس كانوا بشرا وتلا ابن عباس حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب قال ابن جريج قال ابن أبى مليكة ذهب بها الى أنهم ضعفوا فظنوا أنهم أخلفوا حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن الاعمش عن أبى الضحى عن مسروق عن عبد الله أنه قرأ حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا مخففة قال عبد الله هو الذى تكره * قال ثنا أبو عامر قال ثنا سفيان عن سليمن عن أبى الضحى عن مسروق أن رجلا سأل عبد الله بن مسعود حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا قال هو الذى تكره مخففة * قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير أنه قال فى هذه الآية حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا قلت كذبوا قال نعم ألم يكونوا بشرا حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا قال كانوا بشرا قد ظنوا وهذا تأويل وقول غيره من أهل التأويل أولى عندى بالصواب وخلافه من القول أشبه بصفات الانبياء والرسل ان جاز أن يرتابوا بوعد الله اياهم و يشكوا فى حقيقة خبره مع معاينتهم من حجج الله وأدلته ما لا يعاينه المرسل اليهم فيعذر وا فى ذلك ان المرسل اليهم لأولى فى ذلك منهم بالعذر وذلك قول ان قاله قائل لا يخفى أمره وقد ذكر هذا التأويل الذى ذكرناه أخيرا عن ابن عباس لعائشة فانكرته أشد النكرة فيما ذكر لنا ذكر الرواية بذلك عنها رضوان الله عليها حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عثمن بن عمر قال ثنا ابن جريج عن ابن أبى مليكة قال قرأ ابن عباس حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا فقال كانوا بشرا ضعفوا و يئسوا قال ابن أبى مليكة فذكرت ذلك لعروة فقال قالت عائشة معاذ الله ما حدث الله رسوله شيأ قط الا علم أنه سيكون قبل أن يموت ولكن لم يزل البلاء بالرسل حتى ظن الأنبياء أن من تبعهم قد كذبوهم فكانت تقرؤها قد كذبوا تثقلها * قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى ابن أبى مليكة أن ابن عباس قرأ وظنوا أنهم قد كذبوا خفيفة قال عبد الله ثم قال لى ابن عباس كانوا بشرا وتلا ابن عباس حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب قال ابن جريج قال ابن أبى مليكة يذهب بها الى أنهم ضعفوا فظنوا أنهم أخلفوا قال ابن جريج قال ابن أبى مليكة وأخبرنى عروة عن عائشة أنها خالفت ذلك وأبته وقالت ما وعد الله محمدا صلى الله عليه وسلم من شئ الا وقد علم أنه سيكون حتى مات ولكنه لم يزل البلاء بالرسل حتى ظنوا أن من معهم من المؤمنين قد كذبوهم قال ابن أبى مليكة فى حديث عروة كانت عائشة تقرؤها وظنوا أنهم قد كذبوا مثقلة للتكذيب . قال ثنا سليمن بن داود الهاشمى قال ثنا ابراهيم بن سعد قال ثنى صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن

تفصيل بعض الآيات السماوية والارضية الدالة على توحيد الصانع وصفات جلاله ومن جملة الآيات قصص الاولين وأحوال الاقدمين ومعنى (يمرون عليها) أشياء يشاهدونها (وهم عنها معرضون) لا يعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على الابتداء خبره يمرون والمراد ما يرون من آثار الامم الهالكة وغير ذلك من العبر والحاصل أن جملة العالم العلوى والعالم السفلى محتوية على الدلائل والبينات على وجود الصانع ونعوت كماله ولكن الغافل يتعامى عن ذلك (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) وذلك أنهم كانوا مقرين بالاله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لكنهم كانوا يثبتون له شريكا فى المعبودية هو الاصنام ويقولون هم الشفعاء وكان أهل مكة يقولون الملائكة بنات الله وعن الحسن هم أهل الكتاب يقولون عزير ابن الله والمسيح ابن الله وعن ابن عباس هم الذين يشبهون الله بخلقه احتجت الكرامية بالآية على أن الايمان عبارة عن مجرد الاقرار والجواب أن مجرد الاقرار لو كان كافيا لما اجتمع مع الشرك غاشية عقوبة تغشاهم وتغمرهم (قل) يا محمد لهم (هذه) السبيل التى هى الدعوة الى الايمان (سبيلى) وسيرتى وقوله (أدعو الى الله) تفسير لسبيلى و(على بصيرة) يتعلق بأدعو و(أنا) تأكيد للمستتر فى أدعو (ومن اتبعن) عطف عليه ويجوز أن يكون على بصيرة حالا من أدعو عاملة فى أنا ومن اتبعن ويجوز أن يكون أنا مبتدأ معطوفا عليه ومن اتبعن وعلى بصيرة خبرا مقدما فيكون ابتداء اخبار بأنه ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى وتشه (و) قل (سبحان الله) تنزيها له عما أشركوا (وما أنا من المشركين) لا شركا جليا ولا شركا خفيا قال (وما أرسلنا من قبلك) وفى الانبياء قبلك بغير من لان قبلا اسم للزمان السابق على ما أضيف اليه ومن تفيد استيعاب الطرفين وفى هذه السورة أريد الاستيعاب قوله (الا رجالا) رد على من زعم أن الرسول ينبغى أن يكون ملكا أو يمكن أن يكون امرأة مثل سجاح المتنبئة وقوله (من أهل القرى) خصهم بالاستنباء لما فى أهل البادية من الغلظ

والجفاء فبما رحمة من الله لنت لهم قال صلى الله عليه وسلم من بدا جفا ومن اتبع الصيد غفل (أفلم يسيروا في الارض فينظروا) الى مصارع الامم المكذبة انما قال أفلم يسيروا بالفاء بخلاف ما في الروم والملائكة لاتصاله بقوله وما أرسلنا من قبلك فكان الفاء أنسب من الواو (ولدار الآخرة) موصوفه محذوف أي ولدار الساعة والحال الآخرة لان للناس حالين حال الدنيا وحال الآخرة

عروة عن عائشة قال قلت لها قوله حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا قال قالت عائشة لقد استيقنوا أنهم قد كذبوا قلت كذبوا قالت معاذ الله لم تكن الرسل تظن بربها انما هم أتباع الرسل لما استأخر عنهم الوحي واشتد عليهم البلاء ظنت الرسل أن أتباعهم قد كذبوهم جاءهم نصرنا حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت حتى اذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم أن يصدقوهم وظنت الرسل أن من قد آمن من قومهم قد كذبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك فهذا ما روي في ذلك عن عائشة غير أنها كانت تقرأ كذبوا بالتشديد وضم الكاف بمعنى ما ذكرنا عنها من أن الرسل ظنت بأتباعها الذين قد آمنوا بهم أنهم قد كذبوهم فارتدوا عن دينهم استبطاء منهم للنصر وقد بينا أن الذي نختار من القراءة في ذلك والتأويل غيره في هذا الحرف خاصة * وقال آخرون ممن قرأ قوله كذبوا بضم الكاف وتشديد الذال معنى ذلك حتى اذا استيأس الرسل من قومهم أن يؤمنوا بهم و يصدقوهم وظنت الرسل بمعنى واستيقنت أنهم قد كذبهم أممهم جاءت الرسل نصرتنا وقالوا الظن في هذا بمعنى العلم من قول الشاعر

فظنوا بألفي فارس متلبب * سراتهم في الفارسي المسرد

ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن وهو قول قتادة حتى اذا استيأس الرسل من ايمان قومهم وظنوا أنهم قد كذبوا أي استيقنوا أنه لا خير عند قومهم ولا ايمان جاءهم نصرنا حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة حتى اذا استيأس الرسل قال من قومهم وظنوا أنهم قد كذبوا قال وعلموا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا و بهذه القراءة كانت تقرأ عامة قراء المدينة والبصرة والشام أعني بتشديد الذال من كذبوا وضم كافها وهذا التأويل الذي ذهب اليه الحسن وقتادة في ذلك اذا قرئ بتشديد الذال وضم الكاف خلاف لما ذكرنا من أقوال جميع من حكينا قوله من الصحابة لانه لم يوجه الظن في هذا الموضع منهم أحد الى معنى العلم واليقين مع أن الظن انما استعمله العرب في موضع العلم فيما كان من علم أدرك من جهة الخبر أو من غير وجه المشاهدة والمعاينة فأما ما كان من علم أدرك من وجه المشاهدة والمعاينة فانها لا تستعمل فيه الظن لا تكاد تقول أظنني حيا وأظنني انسانا بمعنى أعلمني انسانا أعلمني حيا والرسل الذين كذبتهم أممهم لاشك أنها كانت لأممها شاهدة ولتكذيبها اياها منها سامعة فيقال فيها ظنت بأممها أنها كذبتها وروي عن مجاهد في ذلك قول هو خلاف جميع ما ذكرنا من أقوال الماضين الذين سمينا أسماءهم وذكرنا أقوالهم وتأويل خلاف تأويلهم وقراءة غير قراءة جميعهم وهو أنه فيما ذكر عنه كان يقرأ وظنوا أنهم قد كذبوا بفتح الكاف والذال وتخفيف الذال ذكر الرواية عنه بذلك حدثني أحمد بن يوسف قال ثنا أبو عبيد قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد أنه قرأها كذبوا بفتح الكاف بالتخفيف وكان يتأوله كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد استيأس الرسل أن تعذب قومهم وظن قومهم أن الرسل قد كذبوا جاءهم نصرنا قال جاء الرسل نصرنا قال مجاهد قال في المؤمن فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم قال قولهم نحن أعلم منهم ولن نعذب وقوله

وحاق

وبيان الخيرية قدمر في الانعام وانما خصت ههنا بالحذف لتقدم ذكر الساعة قال في الكشاف حتى غاية لمحذوف دل عليه الكلام والتقدير فتراخى نصر أولئك الرجال حتى اذا استيأسوا عن النصر أو عن ايمان القوم (وظنوا أنهم قد كذبوا) فيه وجوه لقراءتي التخفيف والتشديد ولامكان عود الضمير في الفعلين الى الرسل أو الى المرسل اليهم الدال عليهم ذكر الرسل أو السابق ذكرهم في أفلم يسيروا وأما وجوه التخفيف فمنها وظن الرسل أنهم قد كذبوا أي كذبتهم أنفسهم حين حدثتهم بأنهم ينصرون أو كذب رجاؤهم لقولهم رجاء صادق وكاذب والمراد أن مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله قد تطاولت وتمادت حتى توهموا أن لا نصر لهم في الدنيا قال ابن عباس ظنوا حين ضعفوا وغلبوا أنهم قد أخلفوا ما وعدهم الله من النصر قال وكانوا بشرا ألا ترى الى قوله و زلزلوا والعلماء حملوا قول ابن عباس على ما يخطر بالبال شبه الوسواس وحديث النفس من عالم البشرية وأما الظن الذي هو ترجيح أحد الجانبين على الآخر فلا لأن الرسل أعرف الناس بالله و بأن ميعاده مبرأ عن وصمة الاخلاف ومنها وظن المرسل اليهم أن الرسل قد كذبوا فيما وعدوا من النصر والظفر ومنها وظن المرسل اليهم أنهم قد كذبوا من جهة الرسل أي كذبتهم الرسل في أنهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم فيه وأما قراءة التشديد فان كان الظن بمعنى اليقين فمعناه أيقن الرسل أن الامم كذبوهم تكذيبا لا يصدر عنهم الايمان بعد فحينئذ دعوا عليهم فهنالك نزل عذاب الاستئصال أو كذبوهم فيما وعدوهم من العذاب والنصرة عليهم وان كان بمعنى الحسبان فالمعنى توهم الرسل أن الذين آمنوا بهم كذبوهم

وهـذا تأويل عائشـة قالت ماوعـد الله محمداشيأ الاوعلم أنه سيوفيه ولكن البـلاء لم يزل بالانبياء حتى خافوا من أن يكذبهـم الذين كانوا قدآمنوا بهـم (لقد كان فى قصصـهم) قصص الرسـل اضافة للمصدر الى الفاعل و يحسن أن يقال الضمير لاخوة يوسف وله لاختصاص هذه السورة بهم والعبـرة نوع من الاعتبار وهى العبـور من الطرف المعلوم

الى الطرف المجهول ووجـه الاعتبار عـلى العموم أن يعـلم أنه لا خـير الا فى العـمل الصالح والتزود بزاد التقوى وان الملوك الذين عمروا البلاد وقهروا العباد ثم لم يراعوا حق الله فى شئ من ذلك ماتوا وانقـرضوا و بقى الوزر والو بال عليهم وعلى الخصوص أن الذى قدر على اعزاز يوسف بعد القائه فى الجب واعـلاء شأنه بعـد حبسه فى السجن واجتماعـه بأهله بعد طول البعاد قادر عـلى اظهار محمـد واعلاء كلمته والكل مشترك فى الدلالة على صدق محمد لان هـذا النوع من القصص الذى أعجز حملة الاحاديث ورواة الاخبار ممن لم يطالع الكتب ولم يخالط العلماء دليل ظاهر وبرهان باهر على أنه بطريق الوحى والتنزيل وانما يكون دليلا واعتبارا (لاولى الالباب) وأصحاب العقول الذين يتأملون و يتفكرون لا الذين يمرون و يعرضون على أن الدليـل دليل فى نفسه للعقلاء وان لم ينظر فيه مستدل قط كما أن الرئيس الحقيق من له أهلية الرياسة وان كان فى نهاية الخمول (ما كان) مدلول القصص وهو المقصوص أو القرآن (حـديثا يفترى) لظهور اعجازه (ولكن) كان (تصديق الذى بين يديه) من الكتب السماوية (وتفصيل كل شئ) يحتاج اليـه فى الدين لانه القانون الذى يستند اليه السنة والاجماع والقياس وقيل تفصيل كل شئ من واقعـة يوسف مع أبيه واخوته قال الواحدى وعلى التفسيرين فهـو ليس على عمومه لان المـراد به الاصول والقوانين ومايؤل اليها (وهدى) فى الدنيا (ورحمة) فى الآخرة (لقوم يؤمنون) لانهم هم المتفعون بذلك ﴿التأويل﴾ من أنباء الغيب لان هـذا الترتيب فى السلوك لا يعلمه الا الواجـدون ملكـوت السمـاء الغواصون فى بحر بطن القرآن وما كنت لديهم بالصورة ولكن كنت حاضرا بالمعنى وما أ كثر الناس وهم صفات الناسوتية وما تسألهم عليه من أجر لان اللاهوتية غير محتاجة

وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن قال حاق بهم ماجاءت به رسلهم من الحق وهذه القراءة لا أستجيز القراءة بها لاجماع الحجة من قراء الامصار على خلافها ولو جازت القراءة بذلك لاحتمـل وجها من التأويل وهو أحسن مما تأوله مجاهد وهو حتى اذا استيأس الرسل من عذاب الله قومها المكذبة بها وظنت الرسل أن قومها قد كذبوا وافتروا على الله بكفرهم بها و يكون الظن موجها حينئذ الى معنى العلم على ما تأوله الحسن وقتادة وأما قوله فنجى من نشاء فان القراء اختلفت فى قراءته فقرأه عامة قراء أهل المدينـة ومكة والعراق فننجى من نشاء بنونين بمعنى فننجى نحن من نشاء من رسلنا والمؤمنين بنا دون الكافرين الذين كذبوا رسلنا اذا جاء الرسل نصرنا واعتل الذين قرؤا ذلك كذلك أنه انما كتب فى المصحف بنون واحدة وحكمه أن يكون بنونين لان احدى النونين حرف من أصل الكلمة من أنجى ينجى والاخرى النون التى تأتى لمعنى الدلالة على الاستقبال من فعل جماعة مخبرة عن أنفسها لانهما حرفان أعنى النونين من جنس واحـد يخفى الثانى منهما عن الاظهار فى الكلام فحذفت من الخط واجتزئ بالمثبتة من المحذوفة كما يفعل ذلك فى الحرفين اللذين يدغم أحدهما فى صاحبه وقرأ ذلك بعض الكوفيين على هذا المعنى غير أنه ادغم النون الثانية وشدد الجيم وقرأه آخر منهم بتشديد الجيم ونصب الياء على معنى فعل ذلك به من نجيته أنجيه وقرأ ذلك بعض المكيين فنجا من نشاء بفتح النون والتخفيف من نجا من عذاب الله من نشاء ينجو والصواب من القراءة فى ذلك عنـدنا قراءة من قرأه فننجى من نشاء بنونين لان ذلك هو القراءة التى عليها القرأة فى الامصار وما خالفه ممن قرأ ذلك ببعض الوجوه التى ذكرناها فمنفرد بقراءته عما عليـه الحجة مجمعة من القراء وغير جائز خلاف ما كان مستفيضا بالقراءة فى قرأة الامصار وتأويل الكلام فننجى الرسل ومن نشاء من عبادنا المؤمنين اذا جاء نصرنا كما حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فنجى من نشاء فننجى الرسل ومن نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين وذلك أن الله تبارك وتعالى بعث الرسـل فدعوا قومهم وأخبروهم أنه من أطاع نجا ومن عصاه عـذب وغوى وقوله ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين يقول ولا تردعقوبتنا وبطشنا عن بطشنا به من أهل الكفر بنا وعن القوم الذين أجرموا فكفروا بالله وخالفوا رسله وما أتوهم به من عنده ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شئ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ يقول تعـالى ذكره لقد كان فى قصص يوسـف واخوته عبرة لاهل الحجا والعقول يعتبرون بها وموعظة يتعظون بها وذلك أن الله جل ثناؤه بعد أن ألقى يوسف فى الجب ليهلك ثم بيع بيع العبيد بالخسيس من الثمن و بعد الاسار والحبس الطويل ملكه مصر ومكن له فى الارض وأعلاه على من بغاه سوأ من اخوته و جمع بينه و بين والديه واخوته بقدرته بعد المدة الطويلة و جاء بهم اليه من الشقة النائية البعيدة فقال جل ثناؤه للمشركين من قريش من قوم نبيه محمد صـلى الله عليه وسلم لقد كان لكم أيها القوم فى قصصهم عبرة لو اعتبرتم به ان الذى فعل ذلك بيوسف واخوته لا يتعذر عليه أن يفعل مثله بمحمد صـلى الله عليه وسـلم فيخرجه من بين أظهركم ثم يظهـره عليكم و يمكن له فى البلاد و يؤيده بالجند والرجال من الاتباع والاصحاب وان مرت به شـدائد وأتت دونه الايام والليـالى والدهور والازمان

الى الناسوتية وان دعتها الى الاستكمال لانها كاملة فى ذاتها مكملة لغيرها وكأين من آية فى سموات القلوب وارض النفوس ثمر الاوصاف الانسانية عليها وهم عنها معرضون لاقبالها على الدنيا وشهواتها وما يؤمن أكثر الصفات الانسانية بطلب الله وتبدل صفاته الا وهم مشركون فى طلب الدنيا وشهواتها او طلب الآخرة ونعمها او وما يؤمن أكثر الخلق بالله وطلبه الا وهم مشركون برؤية الاعمال والطلب أنها منهم لا من الله فكل من يرى السبب فهو مشرك وكل من يرى المسبب فهو موحد كل شئ هالك فى نظر الموحد الا وجهه أو وما يؤمن أكثر الناس بالله وبقدرته وايجاده الا وهم مشركون فى طلب الحاجة من غير الله غاشية جذبة تقهر ارادتهم وتسلب اختيارهم كما قيل العشق عذاب الله أو تأتيهم الساعة ساعة الانجذاب الى الله هذه سبيلى لان طريق السير والسلوك مختص به وبأمته الا رجالا من أهل قرى الملكوت دون مدن الملك والاجساد والرجال من القرى ويشبه أن يعبر عن عالم الارواح بالقرى لبساطتها والقرى أقل أجزاء من المدن أفلم يسيروا فى أرض البشرية على قدمى الشريعة والطريقة ليصلوا الى فضاء عالم الحقيقة وظنوا أنهم قد كذبوا فى ابطاء النصر ابتلاء للرسل الله حسبى ونعم الوكيل

﴿سورة الرعد مكية وقيل مدنية سوى آية نزلت بجحفة قوله (٣٠ وهم يكفرون حروفها ٣٥٠٦ كلمها ٨٥٥ آياتها ٤٣﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿المر تلك آيات الكتاب والذى أنزل اليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم ما بلقاء ربكم توقنون وهو الذى مد الارض وجعل فيها رواسى وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون وفى الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد

وكان مجاهد يقول معنى ذلك لقد كان فى قصصهم عبرة ليوسف واخوته ذكر الرواية بذلك **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله لقد كان فى قصصهم عبرة ليوسف واخوته **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عبرة ليوسف واخوته **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الالباب قال يوسف واخوته وهذا القول الذى قاله مجاهد وان كان له وجه يحتمله التأويل فان الذى قلنا فى ذلك أولى به لان ذلك عقيب الخبر عن نبينا صلى الله عليه وسلم وعن قومه من المشركين وعقيب تهديدهم ووعيدهم على الكفر بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ومنقطع عن خبر يوسف واخوته ومع ذلك انه خبر عام عن جميع ذوى الالباب أن قصصهم لهم عبرة وغير مخصوص بعض به دون بعض فاذا كان الامر على ما وصفت فى ذلك فهو بأن يكون خبرا عن أنه عبرة لغيرهم أشبه والرواية التى ذكرناها (١) عن مجاهد رواية ابن جريج أشبه به أن تكون من قوله لان ذلك موافق القول الذى قلناه فى ذلك وقوله ما كان حديثا يفترى يقول تعالى ذكره ما كان هذا القول حديثا يختلق ويتكذب ويتخرص كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ما كان حديثا يفترى والفرية الكذب ولكن تصديق الذى بين يديه يقول ولكنه تصديق الذى بين يديه من كتب الله التى أنزلها قبله على أنبيائه كالتوراة والانجيل والزبور ويصدق ذلك كله ويشهد عليه أن جميعه حق من عند الله كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولكن تصديق الذى بين يديه والفرقان تصديق الكتب التى قبله ويشهد عليها وقوله وتفصيل كل شئ يقول تعالى ذكره وهو أيضا تفصيل كل ما بالعباد اليه حاجة من بيان أمر الله ونهيه وحلاله وحرامه وطاعته ومعصيته وقوله وهدى ورحمة لقوم يؤمنون يقول تعالى ذكره وهو بيان أمره ورشاد من جهل سبيل الحق فعمى عنه اذا اتبعه فاهتدى به من ضلالته ورحمة لمن آمن به وعمل بما فيه ينقذه من سخط الله وأليم عذابه ويورثه فى الآخرة جنانه والخلود فى النعيم المقيم لقوم يؤمنون يقول لقوم يصدقون بالقرآن وبما فيه من وعد الله ووعيده وأمره ونهيه فيعملون بما فيه من أمره وينتهون عما فيه من نهيه آخر تفسير سورة يوسف

﴿أول تفسير السورة التى يذكر فيها الرعد﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿المر تلك آيات الكتاب والذى أنزل اليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ قال أبو جعفر قد بينا القول فى تأويل قوله الر والمر ونظائرهما من حروف المعجم التى افتتح بها أوائل بعض سور القرآن فيما مضى بما فيه الكفاية من اعادتها غير أنا نذكر من الرواية ما جاء خاصا به كل سورة افتتح أولها بشئ منها فما جاء من الرواية فى ذلك فى هذه السورة عن ابن عباس من نقل أبى الضحى مسلم بن صبيح وسعيد بن جبير عنه التفريق بين معنى

(١) يتأمل فى هذا الموضع

مايبتدئ به أولها مع زيادة الميم التى فيها على سائر سور ذوات الراء ومعنى مايبتدئ به أخواتها مع نقصان ذلك منها عنها ذكر الرواية بذلك عنه **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا عبد الرحمن عن هشيم عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس المر قال أنا الله أرى **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن عطاء بن السائب عن أبى الضحى عن ابن عباس قوله المر قال أنا الله أرى **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين قال ثنا سفيان عن مجاهد المر فواتح يفتتح بها كلامه وقوله تلك آيات الكتاب يقول تعالى ذكره تلك التى قصصت عليك خبرها آيات الكتاب الذى أنزلته قبل هذا الكتاب الذى أنزلته اليك الى من أنزلته اليه من رسلى قبلك وقيل عنى بذلك التوراة والانجيل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله المر تلك آيات الكتاب الكتب التى كانت قبل القرآن **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن مجاهد تلك آيات الكتاب قال التوراة والانجيل وقوله والذى أنزل اليك من ربك الحق فاعمل بما فيه واعتصم به وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين قال ثنا سفيان عن مجاهد والذى أنزل اليك من ربك الحق قال القرآن **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والذى أنزل اليك من ربك الحق أى هذا القرآن وفى قوله والذى أنزل اليك وجهان من الاعراب أحدهما الرفع على أنه كلام مبتدأ فيكون مرفوعا بالحق والحق به وعلى هذا الوجه تأويل مجاهد وقتادة الذى ذكرنا قبل عنهما والآخر الخفض على العطف به على الكتاب فيكون معنى الكلام حينئذ تلك آيات التوراة والانجيل والقرآن ثم يبتدئ الحق بمعنى ذلك الحق فيكون رفعه بمضمر من الكلام قد استغنى بدلالة الظاهر عليه منه ولو قيل معنى ذلك تلك آيات الكتاب الذى أنزل اليك من ربك الحق وانما أدخلت الواو فى والذى وهو نعت للكتاب كما أدخلها الشاعر فى قوله

الى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة فى المزدحم

فعطف بالواو وذلك كله من صفة واحد كان مذهبا من التأويل ولكن ذلك اذا تؤول كذلك فالصواب من القراءة فى الحق الخفض على أنه نعت للذى وقوله ولكن أكثر الناس من مشركى قومك لا يصدقون بالحق الذى أنزل اليك من ربك ولا يقرون بهذا القرآن وما فيه من محكم آيه

﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون﴾ يقول تعالى ذكره الله يا محمد هو الذى رفع السموات السبع بغير عمد ترونها فجعلها للارض سقفا مسموكا والعمد جمع عمود وهى السوارى وما يعمد به البناء كما قال النابغة

وخيس الجن إنى قد أذنت لهم * يبنون تدمر بالصفاح والعمد

وجمع العمود عمد كما جمع الأديم أدم ولو جمع بالضم فقيل عمد جاز كما يجمع الرسول رسل والشكور شكر واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله رفع السموات بغير عمد ترونها فقال بعضهم تأويل

ونفضل بعضها على بعض فى الاكل ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون وان تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الاغلال فى أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه انما أنت منذر ولكل قوم هاد الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شئ عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم واذا أراد الله بقوم سوأ فلا مرد له وما لهم من دونه من وال﴾ القرآت وزرع ونخيل صنوان وغير بالرفع ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وحفص والمفضل الآخرون بالجر فيهن عطفا على أعناب يسقى بالياء المثناة من تحت على تقدير يسقى كله أو التغليب ابن عامر وعاصم ويزيد وروبس الباقون بتاء التأنيث لقوله جنات ويفضل على الغيبة حمزة وعلى وخلف الباقون بالنون على ونحن نفضل أئذا بهمزتين أئنا بهمزة واحدة على أينا بقلب الثانية ياء والباقى كما مر نافع غير قالون وسهل ويعقوب غير زيد آئذا آئنا بالمد والباقى مثله زيد وقالون اذا بهمزة واحدة أئنا بهمزتين ابن عامر هشام يدخل بينهما مدة اذا بهمزة واحدة آينا بهمزة ممدودة ثم ياء يزيد آينا أينا بهمزة ثم ياء فيهما ابن كثير مثله ولكن بالمد أبو عمرو وأئذا أئنا بهمزتين فيهما عاصم وحمزة وخلف هادى وافى والى باقى فى الوقف يعقوب وابن كثير غير ابن فليح وزمعة وروى ابن شنبوذ عن قنبل بالياء فى الوقف وعن البزى بغير ياء المتعالى فى الحالين ابن كثير ويعقوب وافق سهل وعباس فى الوصل

﴿ الوقوف المر كوفى آيات الكتاب ط لا يؤمنون ○ والقمر ط مسمى ط يوقنون ○ وأنهارا ط النهار ط يتفكرون ○

عماء واحد ز قف لمن قرأ ونفضل بالنون فى الاكل ط يعقلون ٥ جديد ط بربهم ط فى أعناقهم ج النار ج
خالدون ٥ المثلات ط على ظلمهم ج لتنافى الجلتين العقاب ٥ من ربه ط هاد ٥ وما تزداد ط بمقدار ٥ المتعال ٥ بالنهار ٥
من أمر الله ط ما بأنفسهم ط فلا مرد له ج لاختلاف الجلتين وال ٥ التفسير (تلك) الآيات التى فى هذه السورة

ذلك أنه الله الذى رفع السموات بعمد لا ترونها ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن هشام قال ثنا معاذ بن معاذ قال ثنا عمران بن حدير عن عكرمة قال قلت لابن عباس ان فلانا يقول انها على عمد يعنى السماء قال فقال اقرأها بغير عمد ترونها أى لا ترونها حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح قال ثنا معاذ بن معاذ عن عمران بن حدير عن عكرمة عن ابن عباس مثله حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عفان قال ثنا حماد قال ثنا حميد عن الحسن بن مسلم عن مجاهد فى قوله بغير عمد ترونها قال بعمد لا ترونها حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن حميد عن الحسن بن مسلم عن مجاهد فى قول الله بغير عمد ترونها قال هى لا ترونها حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بغير عمد(١) يقول عمد حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق عن معمر عن الحسن وقتادة قوله الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها قال قتادة قال ابن عباس بعمد ولكن لا ترونها حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قوله رفع السموات بغير عمد ترونها قال ما يدريك لعلها بعمد لا ترونها ومن تأول ذلك كذلك قصد مذهب تقديم العرب الجحد من آخر الكلام الى أوله كقول الشاعر

ولا أراها تزال ظالمة * تحدث لى نكبة وتنكارها

يريد أراها لا تزال ظالمة فقدم الجحد عن موضعه من تزال وكما قال الآخر

اذا أعجبتك الدهر حال من امرئ * فدعه وواكل حاله والليا ليا
يجئن على ما كان من صالح به * وان كان فيما لا يرى الناس آليا

يعنى وان كان فيما يرى الناس لا يألو * وقال آخرون بل هى مرفوعة بغير عمد ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن خلف العسقلانى قال أخبرنا آدم قال ثنا حماد بن سلمة عن اياس ابن معاوية فى قوله رفع السموات بغير عمد ترونها قال السماء مقببة على الارض مثل القبة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله بغير عمد ترونها قال رفعها بغير عمد * وأولى الاقوال فى ذلك بالصحة أن يقال كما قال الله تعالى الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها فهى مرفوعة بغير عمد نراها كما قال ربنا جل ثناؤه ولا خبر بغير ذلك ولا حجة يجب التسليم بها بقول سواه وأما قوله ثم استوى على العرش فانه يعنى علا عليه وقد بينا معنى الاستواء واختلاف المختلفين فيه والصحيح من القول فيما قالوا فيه بشواهده فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقوله وسخر الشمس والقمر يقول وأجرى الشمس والقمر فى السماء فسخرهما فيها لمصالح خلقه وذللهما لمنافعهم ليعلموا بجريهما فيها عدد السنين والحساب ويفصلوا به بين الليل والنهار وقوله كل يجرى لأجل مسمى يقول جل ثناؤه كل ذلك يجرى فى السماء لأجل مسمى أى لوقت معلوم وذلك الى فناء الدنيا وقيام القيامة التى عندها تكور الشمس ويخسف

(١) لعله يقول عمد لا ترونها وحرر

آيات السورة العجيبة الكاملة فى بابها (والذى أنزل اليك من ربك) أى القرآن كله هو (الحق) الذى لا محيد عنه والمراد أنه لا تنحصر الحقية فى هذه السورة وحدها ثم أخذ فى تفصيل الحق فبدأ بالدلالة على صحة المبدأ والمعاد فقال (الله) وهو مبتدأ خبره (الذى) أو الموصول صفة المبتدأ وقوله يدبر الامر يفصل الآيات خبر بعد خبر والعمد بفتحتين جمع عمود وهو ما يعمد به الشئ شبه الاسطوانة وقوله (ترونها) كلام مستأنف على سبيل الاستشهاد أى وأنتم ترونها مرفوعة بلا عماد وقال الحسن فى الاية تقديم وتأخير تقديره رفع السموات ترونها مرفوعة بغير عمد وفيه تكلف وقيل ترونها صفة للعمد ثم زعم من تمسك بالمفهوم ان للسموات عمدا لكنا لا نراها وما تلك العمد قال بعض الظاهريين هى جبل من زبرجد محيط بالدنيا يسمى جبل قاف ولا يخفى سقوط هذا القول لان كل جسم لو كان يلزم أن يكون معتمدا على شئ فذلك الجبل أيضا كان معتمدا على شئ وتسلسل وقال بعض من ترقى من حضيض الصورة الى ذروة عالم المعقول ان تلك العمد هى قدرة الله تعالى وحفظه الذى أوقفها فى الجو العالى ونحن لا نرى ذلك التدبير ولا نعرف كيفية ذلك الامساك أما قوله (كل يجرى لاجل مسمى) فعن ابن عباس ان للشمس مائة وثمانين منزلا فى مائة وثمانين يوما ثم انها تعود مرة أخرى الى واحد واحد منها فى أمثال تلك الايام ومجموع تلك الايام سنة تامة أقول ان صح هذا عنه فلعله أراد تصاعدها فى دائرة نصف النهار وتنازلها عنها فى أيام السنة أو أراد نزولها فى فلكها الخارج المركز من الاوج الى الحضيض ثم صعودها من الحضيض الى الاوج فان لها بحسب كل جزء من تلك

القمر

الاجزاء في كل يوم من أيام السنة تعديلا خاصا زائدا أو ناقصا كما برهن عليه أهل النجوم وأما القمر فسيره في منازله مشهور وقال سائر المفسرين المراد كونهما متحركين الى يوم القيامة وبعد ذلك تنقطع الحركات وتنتهي المسيرات كقوله وأجل مسمى عنده واللام للتاريخ كما تقول كتبت لثلاث خلون وانما قال في سورة لقمان الى أجل مسمى موافقة لقبيل

ذلك ومن يسلم وجهه الى الله والقياس لله كما في قوله أسلمت وجهي لله (يدبر الامر) اجمال بعد التفصيل أي أمر العالم العلوي والعالم السفلي من أعلى العرش الى ما تحت الثرى بحيث لا يشغله شأن عن شأن لان تدبيره لعالم الارواح كتدبيره لعالم الاشباح وتدبيره للكبير كتدبيره للصغير لا يختلف بالنسبة الى قدرته أحوال شيء من ذلك في الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وتبديل الصور والاعراض وتغيير الاشكال والاوضاع (يفصل الآيات) الدالة على وحدانيته وقدرته ويحتمل أن يراد بتدبير الامر تدبير عالم الملكوت ويكون معنى تفصيل الآيات انزال الكتب وبعث الرسل وتكليف العباد الذي هو أثر ذلك العالم في العالم السفلي ويجوز أن يكون تدبير الامر اشارة الى القضاء وتفصيل الآيات اشارة الى القدر وقوله (لعلكم بلقاء ربكم توقنون) على كل التفاسير اشارة الى اثبات المعاد لان المقر بتدبيره وتقديره على الأنهاج المذكورة لا بد أن يعترف باقتداره على الاعادة والجزاء ولما ذكر الدلائل السماوية أتبعها الدلائل الارضية فقال (وهو الذي مد الارض) قال الاصم أي بسطها الى ما لا يدرك منتهاه وهذا الامتداد الظاهر لحس البصر لا ينافي كريتها لتباعد أطرافها (وجعل فيها رواسي) أي جبالا ثوابت في أحيازها غير منتقلة عن أماكنها وكيفية تكون الجبال على بسيط الارض لا يعلم تفصيلها الا موجدها وزعمت الفلاسفة أنها من تأثير السموات في الاجزاء الارضية القابلة لذلك الاثر بعد امتزاجها بالاجزاء المائية وغيرها وقد يعين على ذلك نزول الامطار وهبوب الرياح وهذا ان صح فعلم اجمالي وزعم بعضهم أن البحار كانت في جانب الشمال مدة كون حضيض الشمس هنالك وحين انتقل الحضيض الى الجنوب انجذبت المياه الى ذلك الجانب لان الشمس تصير في الحضيض أقرب

القمر وتكدر النجوم وحذف ذلك من الكلام لفهم السامعين من أهل لسان من نزل بلسانه القرآن معناه وأن كل لابد لها من اضافة الى ما تحيط به * وبنحو الذي قلنا في قوله لاجل مسمى قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى قال الدنيا

وقوله يدبر الأمر يقول تعالى ذكره يقضي الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها أمور الدنيا والآخرة كلها ويدبر ذلك كله وحده بغير شريك ولا ظهير ولا معين سبحانه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يدبر الامر يقضيه وحده * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه وقوله يفصل الآيات يقول يفصل لكم ربكم آيات كتابه فيبينها لكم احتجاجا بها عليكم أيها الناس لعلكم بلقاء ربكم توقنون يقول لتوقنوا بلقاء الله والمعاد اليه فتصدقوا بوعده ووعيده وتنزجروا عن عبادة الآلهة والاوثان وتخلصوا له العبادة اذا تيقنتم ذلك * وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لعلكم بلقاء ربكم توقنون وان الله تبارك وتعالى انما أنزل كتابه وأرسل رسله لنؤمن بوعده ونستيقن بلقائه * القول في تأويل قوله تعالى (وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) يقول تعالى ذكره والله الذي مد الارض فبسطها طولا وعرضا وقوله وجعل فيها رواسي يقول جل ثناؤه وجعل في الارض جبالا ثابتة والرواسي جمع راسية وهي الثابتة يقال منه أرسيت الوتد في الارض اذا أثبته كما قال الشاعر

به خالدات ما يرمن وهامد * وأشعث أرسته الوليدة بالفهر

يعني أثبتته وقوله وأنهارا يقول وجعل في الارض أنهارا من ماء وقوله ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين فمن في قوله ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين من صلة جعل الثاني لا الاول ومعنى الكلام وجعل فيها زوجين اثنين من كل الثمرات وعنى بزوجين اثنين من كل ذكر اثنان ومن كل أنثى اثنان فذلك أربعة من الذكور اثنان ومن الاناث اثنان في قول بعضهم وقد بينا فيما مضى أن العرب تسمي الاثنين زوجين والواحد من الذكور زوجا لأنثاه وكذلك الانثى الواحدة زوج وجاوز وجه لذكرها بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع ويزيد ذلك ايضاحا قول الله عز وجل وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى فسمى الاثنين الذكر والانثى زوجين وانما عنى بقوله من كل زوجين اثنين نوعين وضربين وقوله يغشي الليل النهار يقول يجلل الليل النهار فيلبسه ظلمته والنهار الليل بضيائه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يغشي الليل النهار أي يلبس الليل النهار وقوله ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون يقول تعالى ذكره ان فيما وصفت وذكرت من عجائب خلق الله وعظيم قدرته التي خلق بها هذه الاشياء لدلالات وحججا وعظات لقوم يتفكرون فيها فيستدلون ويعتبرون بها فيعلمون أن العبادة لا تصلح

ولا تجوز الالمن خلقها وبرهادون غيره من الآلهة والاصنام التي لا تقدر على ضر ولا نفع ولا لشيء غيرها الالمن أنشأ ذلك فأحدثه من غير شيء تبارك وتعالى وان القدرة التي أبدع بها ذلك هي القدرة التي لا يتعذر عليه احياء من هلك من خلقه واعادة ما فني منه وابتداع ما شاء ابتداعه بها ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وفي الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ يقول تعالى ذكره وفي الارض قطع متجاورات وفي الارض قطع منها متقاربات متدانيات يقرب بعضها من بعض بالجوار وتختلف بالتفاضل مع تجاورها وقرب بعضها من بعض فمنها قطعة سبخة لا تنبت شيأ في جوار قطعة طيبة تنبت وتنفع * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن سفيان عن ليث عن مجاهد وفي الارض قطع متجاورات قال السبخة والعذبة والمالح والطيب حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد قوله وفي الارض قطع متجاورات قال سباخ وعذوبة حدثني المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد مثله حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا سعيد بن سليمن قال ثنا اسحق بن سليمن عن أبي سنان عن ابن عباس في قوله وفي الارض قطع متجاورات قال العذبة والسبخة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وفي الارض قطع متجاورات يعني الارض السبخة والارض العذبة يكونان جميعا متجاورات تفضل بعضها على بعض في الاكل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قطع متجاورات العذبة والسبخة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وفي الارض قطع متجاورات يعني الارض السبخة والارض العذبة يكونان جميعا متجاورات تفضل بعضها على بعض في الاكل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قطع متجاورات العذبة والسبخة متجاورات جميعا تنبت هذه وهذه الى جنبها لا تنبت حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله قطع متجاورات طيبها عذبها وخبيثها السباخ حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وفي الارض قطع متجاورات قرى قربت متجاورات بعضها من بعض حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وفي الارض قطع متجاورات قال قرى متجاورات حدثني المثنى قال ثنا عمرو قال ثنا هشيم عن أبي اسحق الكوفي عن الضحاك في قوله قطع متجاورات قال الارض السبخة بينها الارض العذبة حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول

ثنا

الى الارض فتوجب شدة السخونة الجاذبة للرطوبات فصار الطين اللزج حجرا وحدثت الجبال والاغوار بحسب المواضع المرتفعة والمنخفضة وباعانة من السموات والآثار العلوية وبالجملة فالاسباب تنتهي لا محالة الى مسبب لا سبب له وهو الله سبحانه ومن الدلائل الدالة على وجود الصانع ووحدانيته جريان الانهار العظيمة على وجه الارض الكائنة فيها من احتباس الابحرة وأكثر ذلك انما يتكون في الجبال فلذا قرن الجبال بالانهار في القرآن كثيرا كقوله وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماء فراتا وقد يحصل فيها معادن الفلزات ومواضع الجواهر ومكامن الاجسام المائعة من النفط والقير والكبريت وغيرها وكل ذلك دليل على وجود فاعل مختار ومدبر قهار ثم يحدث على الارض بتربية المياه وتغذيتها أنواع النبات فلذلك قال (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) وللمفسرين فيه قولان الاول أنه حين مد الارض خلق فيها من جميع أنواع الثمرات زوجين زوجين ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت فيكون كل زوجين بالنسبة الى ذلك النوع كآدم وحواء بالاضافة الى الانسان القول الثاني انه أراد بالزوجين الاسود والابيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما أشبه ذلك من الاختلاف الصنفي ووصفا لزوجين بالاثنين للتأكيد مثل نفخة واحدة أما قوله (يغشي الليل النهار) فقد مر تفسيره في الاعراف وانما ذكر هذا الانعام في أثناء الدلائل الارضية لان النور والظلمة انما يحدثان في الجو الذي يسميه الحكماء كرة النسيم وكرة البخار وليس فيما وراء ذلك ضياء ولا ظلام فتعاقب الليل والنهار من جملة الاحداث السفلية وان كان سببها طلوع الشمس وغروبها في الافق ويحتمل أن يقال ان هذا دليل سماوي وانه سبحانه عاد مرة أخرى الى الدليل السماوي ثم الى الدليل الارضي وذلك قوله (وفي الارض قطع متجاورات) أي بقاع مختلفة مع كونها متجاورة ومتلاصقة طيبة الى سبخة وصلبة الى رخوة وصالحة للزرع لا للشجر الى أخرى على خلافها ففي هذا دلالة ظاهرة على انها بجعل فاعل مختار موقع لافعاله على حسب ارادته وكذا الكروم والزروع والنخيل

ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وفى الارض قطع متجاورات يعنى الارض السبخة والارض العذبة متجاورات بعضها عند بعض حدثنا الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله وفى الارض قطع متجاورات قال الارض تنبت حلوا والارض تنبت حامضا وهى متجاورة تسقى بماء واحد حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وفى الارض قطع متجاورات قال يكون هذا حلوا وهذا حامضا وهو يسقى بماء واحد وهن متجاورات حدثنى عبد الجبار بن يحيى الرملى قال ثنا ضمرة بن ربيعة عن ابن شوذب فى قوله وفى الارض قطع متجاورات قال عذية ومالحة وقوله وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل يقول تعالى ذكره وفى الارض مع القطع المختلفات المعانى منها بالملوحة والعذوبة والخبيث والطيب مع تجاورها وتقارب بعضها من بعض بساتين من أعناب وزرع ونخيل أيضا متقاربة فى الخلقة مختلفة فى الطعوم والألوان مع اجتماع جميعها على شرب واحد فمن طيب طعمه منها حسن منظره طيبة رائحته ومن حامض طعمه ولا رائحة له وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير فى قوله وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان قال مجتمع وغير مجتمع تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل قال الارض الواحدة يكون فيها الخوخ والكمثرى والعنب الابيض والاسود وبعضها أكثر حملا من بعض وبعضه حلو وبعضه حامض وبعضه أفضل من بعض حدثنا الحسن ابن محمد قال ثنا شبابة عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وجنات قال وماء معها حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد .. قال المثنى و ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله .. واختلفت القراء فى قراءة قوله وزرع ونخيل فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والكوفة وزرع ونخيل بالخفض عطفا بذلك على الاعناب بمعنى وفى الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب ومن زرع ونخيل وقرأ ذلك بعض قراء أهل البصرة وزرع ونخيل بالرفع عطفا بذلك على الجنات بمعنى وفى الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وفيها أيضا زرع ونخيل والصواب من القول فى ذلك أن يقال انهما قراءتان متقاربتا المعنى وقرأ بكل واحدة منهما قراء مشهورون فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وذلك أن الزرع والنخل اذا كانا فى البساتين فهما فى الارض واذا كانا فى الارض فالارض التى هما فيها جنة فسواء وصفا بأنهما فى بستان أو فى أرض وأما قوله ونخيل صنوان وغير صنوان فان الصنوان جمع صنو وهى النخلات يجمعهن أصل واحد لا يفرق فيه بين جمعه واثنيه الا بالاعراب فى النون وذلك أن تكون نونه فى اثنيه مكسورة بكل حال وفى جمعه متصرفة فى وجوه الاعراب ونظيره القنوان واحدها قنو وبنحو الذى قلنا فى معنى الصنوان قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن سفيان عن أبى اسحق عن البراء صنوان قال المجتمع وغير صنوان المتفرق حدثنا ابن حميد قال ثنا

الكائنة فى هذه القطع مختلفة الطباع متخالفة الثمار فى اللون والطعم والشكل وهى تسقى بماء واحد فدل ذلك على أن هذه الاختلافات لا تستند الى الطبيعة فقط ولكنها بتقدير العزيز العليم وانما ذكر الزرع بين الاعناب والنخيل لانها كثيرا ما تكون كذلك فى الوجود كقوله جعلنا لاحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا والصنوان جمع صنو وهى النخلة لها رأسان وأصلهما واحد وعن ابن الاعرابى الصنو المثل ومنه قوله صلى الله عليه وسلم عم الرجل صنو أبيه فمعنى الآية على هذا أن أشجار النخيل قد تكون متماثلة وقد لا تكون والاكل الثمر الذى يؤكل قاله الزجاج وعن غيره أنه عام فى جميع المطعومات وانما ختم الآية السابقة بقوله ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون وهذه بقوله لقوم يعقلون لان المقام الاول يحتاج الى التفكر لان الفلاسفة يسندون الحوادث السفلية الى الآباء الاثيرية والامهات العنصرية لكن العاقل اذا تفكر فى اختصاص كل ممتزج بحيز معين وشكل معين وطبيعة وخاصية مخالفتين لغيره علم ان بل هذه الاختلافات لا تستند الى أشعة كواكب معدودة ولا الى طبائع عناصر محصورة كما أشير الى ذلك بقوله (وفى الارض قطع) الآية ولئن سلم أن الاتصالات الفلكية واختلافات الفواعل والقوابل قد ترتقى الى حد يظهر منها هذه الآثار فلا بد لكل سبب من الانتهاء الى مسبب لا سبب فوقه وليس ذلك الا الله وحده فهذا مقام لا يجحده الا عادم عقل بل فاقد حس والحاصل ان التفكر فى الآيات يوجب عقلية ما جعلت الآيات دليلا عليه فهو الاول المؤدى الى الثانى والله ولى التوفيق ثم عاد سبحانه الى ذكر المعاد فقال (وان تعجب) قال ابن عباس ان تعجب يا محمد من تكذيبهم اياك بعد ما كانوا حكموا أنك من الصادقين فهذا أعجب أو ان تعجب من عبادتهم الاصنام بعد الدلائل الدالة على التوحيد أو ان تعجب يا محمد فقد عجبت فى موضع العجب لانهم اعترفوا بأنه تعالى رفع السموات بغير عمد وسخر الشمس والقمر على وفق مصالح العباد وأظهر الغرائب والعجائب فى عالم الخلق ثم أنكروا

الاعادة التى هى أهون وأسهل قال المتكلمون موضع العجب هو الذى لا يعرف سببه وذلك فى حقه تعالى محال فالمراد وان تعجب (فعجب) عندك (قولهم) وان سلم أن المراد عجب عند الله كما قرئ فى الصافات بل عجبت بضم التاء فتأويله أنه محمول على النهاية لا على البداية أى منكر عند الله ما قالوه فان الانسان اذا تعجب من شئ أنكره قال فى الكشاف (أئذا كنا) الى آخر قولهم

يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن أبى اسحق عن البراء قال صنوان هى النخلة التى الى جنبها نخلات الى أصلها وغير صنوان النخلة وحدها حدثنا محمد بن بشار قال ثنا ابو عاصم قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن البراء بن عازب صنوان وغير صنوان قال الصنوان النخلتان أصلهما واحد وغير صنوان النخلة والنخلتان المتفرقتان حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى اسحق قال سمعت البراء يقول فى هذه الآية قال النخلة يكون لها النخلات وغير صنوان النخل المتفرق حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عمرو بن الهيثم أبو قطن ويحيى ابن عباد وعفان واللفظ لفظ أبى قطن قال ثنا شعبة عن أبى اسحق عن البراء فى قوله صنوان وغير صنوان قال الصنوان النخلة الى جنبها النخلات وغير صنوان المتفرق حدثنا الحسن قال ثنا شبابة قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن البراء فى قوله صنوان وغير صنوان قال الصنوان النخلات الثلاث والأربع والثنتان أصلهن واحد وغير صنوان المتفرق حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان وشريك عن أبى اسحق عن البراء فى قوله صنوان وغير صنوان قال النخلتان يكون أصلهما واحدا وغير صنوان المتفرق حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله صنوان يقول مجتمع حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ونخيل صنوان وغير صنوان يعنى بالصنوان النخلة يخرج من أصلها النخلات فيحمل بعضه ولا يحمل بعضه فيكون أصله واحدا ورؤسه متفرقة حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله صنوان وغير صنوان النخيل فى أصل واحد وغير صنوان النخيل المتفرق حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن سعيد بن جبير ونخيل صنوان وغير صنوان قال مجتمع وغير مجتمع حدثنى المثنى قال ثنا النفيلى قال ثنا زهير قال ثنا أبو اسحق عن البراء قال الصنوان ما كان أصله واحدا وهو متفرق وغير صنوان الذى نبت وحده حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله صنوان النخلتان وأكثر فى أصل واحد وغير صنوان وحدها حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد صنوان النخلتان أو أكثر فى أصل واحد وغير صنوان واحدة * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن سلمة بن نبيط عن الضحاك صنوان وغير صنوان قال الصنوان المجتمع أصله واحد وغير صنوان المتفرق أصله حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك فى قوله صنوان وغير صنوان قال الصنوان المجتمع الذى أصله واحد وغير صنوان المتفرق حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ونخيل صنوان وغير صنوان أما الصنوان فالنخلتان والثلاث أصولهن واحدة وفروعهن شتى وغير صنوان النخلة الواحدة حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة صنوان وغير صنوان قال صنوان النخلة التى يكون فى أصلها نخلتان وثلاث أصلهن واحد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن

وهب

يجوز أن يكون فى محل الرفع بدلا من قولهم وأن يكون منصوبا بالقول واذا نصب بما دل عليه قوله (أئنا لفى خلق جديد) وهو نبعث أو نحشر ثم حكم عليهم بأمور ثلاثة الاول (أولئك الذين كفروا بربهم) يعنى أولئك الكاملون المتمادون فى كفرهم وذلك أن انكار البعث لا يكون الا عن انكار القدرة أو عن انكار كمالها بأن يقال انه موجب بالذات لا فاعل بالاختيار فلا يمكنه ايجاد الحيوان الا بواسطة الأبوين وتأثير الطبائع والأفلاك أو انكار العلم بأن يقال انه غير عالم بالجزئيات فلا يمكنه تمييز المطيع عن العاصى أو تمييز أجزاء بدن زيد عن أجزاء بدن عمرو أو انكار الصدق كما اذا قيل انه أخبر عنه ولكنه لا يفعل لان الكذب جائز عليه كما يكذب أحدنا بناء على مصلحة عامة أو خاصة وكل واحدة من هذه العقائد كفر فضلا عن جميعها والثانى (وأولئك الاغلال فى أعناقهم) قال الاصم المراد بذلك كفرهم وذلتهم وانقيادهم للاصنام يقال للرجل هذا غل فى عنقك للعمل الردىء اذا كان لازما له وهو مصر على فعله وقال آخرون هو من جملة الوعيد ولا بد من تجوز على القولين أما على الاول فظاهر وأما على الثانى فلان المراد أنه سيحصل هذا المعنى والظاهر أنه حاصل فى الحال ويؤيد القول الثانى قوله اذ الاغلال فى أعناقهم والسلاسل والاول قوله انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا والثالث (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وربما يستدل الاشاعرة به أن الصيغة للحصر فيدل على ان أهل الكبائر لا يخلدون فى النار ويمكن أن يناقش فى افادتها الحصر ثم انه صلى الله عليه وسلم كان يهددهم تارة بعذاب الآخرة وكانوا ينكرون البعث لذلك كما تقدم ويخوفهم تارة أخرى بعذاب

الدنيا فيستعجلونه به زعما منهم أنه كلام لا أصل له والى هذا أشير بقوله (ويستعجلونك بالسيئة) بالعذاب والعقوبة التي تسوءهم (قبل) تمام (الحسنة) وهي العافية والاحسان اليهم بالاهمال والتأخير (وقد خلت من قبلهم المثلات) أي عقوبات أمثالهم من المكذبين فما لهم لا يعتبرون بها وأصل هذا الحرف من المثل الذي هو الشبه لان العقاب مماثل للمعاقب عليه ومنه المثلة بالضم والسكون لتقبيح الصورة بقطع الانف والاذن وسمل العين ونحو ذلك وذلك أنه ليس تغييرا كليا الا بما يماثل الصورة الاولى وانما ذلك تغيير تبقى الصورة معه قبيحة (وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) قالت الاشاعرة فيه دلالة على جواز العفو عن صاحب الكبيرة قبل التوبة لان قوله على ظلمهم حال منهم ومن المعلوم أن الانسان حال اشتغاله بالظلم لا يكون تائبا لكن الآية دلت على أنه تعالى يغفر الذنوب قبل الاشتغال بالتوبة ترك العمل بها في حق الكافر فيبقى معمولا بها في حق أهل الكبائر لا يقال ان المراد من هذه المغفرة تأخير العقاب الى الآخرة ليقع جوابا عن استعجالهم أو المراد غفران الصغائر لمجتنب الكبائر أو غفران الكبائر بشرط التوبة فان تاب والا فهو شديد العقاب لانا نقول تأخير العقاب الى الآخرة لا يسمى مغفرة والا كان غافر الكفار وأيضا انه تعالى مدح نفسه بهذا والتمدح انما يحصل بالتفضل لا بأداء الواجب وعندكم يجب غفران الصغائر لمن اجتنب الكبائر وجواب الباقي ما مر عن النبي صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ أحدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل أحد قال أهل النظم ان الكفار طعنوا في نبوته بسبب الطعن في الحشر والنشور ثم طعنوا في نبوته بسبب استبطاء نزول العذاب ثم طعنوا في نبوته بسبب عدم الاعتداد بمعجزاته وذلك قوله (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه) وقد تقدم مثل هذا في الانعام في تفسير قوله وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه ويجيء مثل هذه بعينها في هذه السورة قيل وليس بتكرار محض لان المراد بالاول آية مما اقترحوا نحو ما في قوله لن نؤمن لك حتى تفجر الآيات وبالثاني آية ما لانهم لم يهتدوا الى أن القرآن

وهب قال قال ابن زيد في قوله ونخيل صنوان وغير صنوان قال الصنوان النخلتان أو الثلاث يكن في أصل واحد فذلك يعده الناس صنوانا حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال حدثني رجل أنه كان بين عمر بن الخطاب وبين العباس قول فأسرع اليه العباس فجاء عمر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ألم تر عباسا فعل بي وفعل فأردت أن أجيبه فذكرت مكانه منك فكففت فقال يرحمك الله ان عم الرجل صنو أبيه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة صنوان النخلة التي يكون في أصلها نخلتان وثلاث أصلهن واحد قال فكان بين عمر بن الخطاب وبين العباس رضي الله عنهما قول فأسرع اليه العباس فجاء عمر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله ألم تر عباسا فعل بي وفعل فأردت أن أجيبه فذكرت مكانه منك فكففت عند ذلك فقال يرحمك الله ان عم الرجل صنو أبيه * قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن داود بن شابور عن مجاهد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تؤذوني في العباس فانه بقية آبائي وان عم الرجل صنو أبيه حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حجاج عن عطاء وابن أبي مليكة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر يا عمر أما علمت أن عم الرجل صنو أبيه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني القاسم بن أبي بزة عن مجاهد صنوان قال في أصل واحد ثلاث نخلات كمثل ثلاثة بني أم وأب يتفاضلون في العمل كما يتفاضل ثمر هذه النخلات الثلاث في أصل واحد قال ابن جريج قال مجاهد كمثل صالح بني آدم وخبيثهم أبوهم واحد حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا حجاج بن محمد عن ابن جريج قال أخبرني ابراهيم بن أبي بكر بن عبد الله عن مجاهد نحوه حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي بكر بن عبد الله عن الحسن قال هذا مثل ضربه الله لقلوب بني آدم كانت الارض في يد الرحمن طينة واحدة فسطحها وبطحها فصارت الارض قطعا متجاورات فينزل عليها الماء من السماء فتخرج هذه زهرتها وثمرها وشجرها وتخرج نباتها وتحيي مواتها وتخرج هذه سبخها وملحها وخبثها وكلتاهما تسقى بماء واحد فلو كان الماء مالحا قيل انما استسبخت هذه من قبل الماء كذلك الناس خلقوا من آدم فينزل عليهم من السماء تذكرة فترق قلوب فتخشع وتخضع وتقسو قلوب فتلهو وتسهو وتجفو قال الحسن والله ما جالس القرآن أحد الا قام من عنده بزيادة أو نقصان قال الله وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا وقوله تسقى بماء واحد اختلفت القراء في قوله تسقى فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والعراق من أهل الكوفة والبصرة تسقى بالتاء بمعنى تسقى الجنات والزرع والنخيل وقد كان بعضهم يقول انما قيل تسقى بالتاء لتأنيث الاعناب وقرأ ذلك بعض المكيين والكوفيين يسقى بالياء وقد اختلف أهل العربية في وجه تذكيره اذا قرئ كذلك وانما ذلك خبر عن الجنات والاعناب والنخل والزرع أنها تسقى بماء واحد فقال بعض نحويي البصرة اذا قرئ ذلك بالتاء فذلك على الاعناب كما ذكروا الانعام في قوله مما في بطونه وأنث بعد فقال وعليها وعلى الفلك تحملون فمن قال يسقى بالياء جعل الاعناب مما تذكر وتؤنث مثل الانعام وقال بعض نحويي الكوفة من قال تسقى ذهب الى تأنيث الزرع والجنات والنخيل ومن ذكر ذهب الى أن

آية فوق كل آية وأنكروا سائر آياته صلى الله عليه وسلم أولعلهم ذكروا هذا الكلام قبل مشاهدة سائر المعجزات فأجاب سبحانه تسلية لرسوله (انما أنت منذر) ما عليك الا الاتيان بما يصح به دعوى الانذار ورسالتك (ولكل قوم هاد) من الانبياء يدعوهم الى الله بوجه من الهداية والارشاد يليق بزمانه وبأمته ولم يجعل الانبياء شرعا في المعجزات فعلى هذا التقدير المنذر النبي والهادي نبي الا أن الاول محمد والثاني نبي كل زمان وقيل المنذر محمد والهادي هو الله تعالى قاله ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والضحاك والمعنى أنهم ان جحدوا كون القرآن معجزا فلا يضيقن قلبك بسببه فما عليك الا الانذار وأما الهداية فمن الله وقيل المنذر النبي والهادي هو علي روى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع يده على صدره فقال أنا المنذر وأومأ الى منكب علي فقال وأنت الهادي يا علي بك يهتدي المهتدون بعدي قاله في التفسير الكبير ثم أكد المعاني المذكورة في الآيات السابقة بقوله (الله يعلم) لانه اذا كان عالما بجميع المعلومات قدر على تميز أجزاء بدن كل مكلف من غيره فلا يستنكر منه البعث ويكون نزول العذاب مفوضا الى علمه فلا يجوز استعجاله به وكذا انزال الآيات يكون موكولا الى تدبيره فان علم أن المكلفين اقترحوها لاجل الاسترشاد ومزيد البيان أظهرها الله تعالى لهم والا فلا وفيه أن اعطاء كل منذر آيات خلاف آيات غيره أمر مدبر بالعلم النافذ مقدر بالحكمة الربانية وعلى القول الثاني فيه أن من هذه قدرته وهذا علمه هو القادر وحده على هدايتهم بأي طريق شاء وعلى هذا احتمل أن يكون الله خبر مبتدا محذوف والجملة مفسرة لهاد أي هو الله ثم ابتدأ فقيل يعلم (ما تحمل كل أنثى) قال في الكشاف لفظة ما في ما تحمل وما تغيض وما تزداد اما أن تكون مصدرية والمعنى يعلم حمل كل أنثى ويعلم غيض الارحام وازديادها أو غيوض ما فيها وزيادته على أن الفعلين غير متعديين فأسند الفعل الى الارحام وهو لما فيها والازدياد افتعال من زاد فأبدلت التاء دالا وانه يتعدى ولا يتعدى كثلاثيه أو موصولة والمراد يعلم ما تحمله من الولد ذكورته وأنوثته

ذلك كله يسقى بماء واحد وأكله مختلف حامض وحلو ففي هذا آية وأعجب القراءتين الي أن أقرأ بها قراءة من قرأ ذلك بالتاء تسقى بماء واحد على أن معناه تسقى الجنات والنخل والزرع بماء واحد لمجيء تسقى بعد ما قد جرى ذكرها وهي جماع من غير بني آدم وليس الوجه الآخر بممتنع على معنى يسقى ذلك بماء واحد أي جميع ذلك يسقى بماء واحد عذب دون المالح وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تسقى بماء واحد ماء السماء كمثل صالح بني آدم وخبيثهم أبوهم واحد حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن سفيان عن ليث عن مجاهد تسقى بماء واحد قال ماء السماء حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا عمرو قال أخبرنا هشيم عن أبي اسحق الصوفي عن الضحاك تسقى بماء واحد قال ماء المطر حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك قراءة ابن جريج عن مجاهد تسقى بماء واحد قال ماء السماء كمثل صالح بني آدم وخبيثهم أبوهم واحد * قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل و حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه حدثنا عبد الجبار بن يحيى الرملي قال ثنا ضمرة بن ربيعة عن ابن شوذب تسقى بماء واحد قال بماء السماء وقوله ونفضل بعضها على بعض في الاكل اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه عامة قراء المكيين والمدنيين والبصريين وبعض الكوفيين ونفضل بالنون بمعنى ونفضل نحن بعضها على بعض في الاكل وقرأته عامة قراء الكوفيين ويفضل بالياء ردا على قوله يغشي الليل النهار ويفضل بعضها على بعض وهما قراءتان مستفيضتان بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب غير أن الياء أعجبهما الي في القراءة لانه في سياق كلام ابتداؤه الله الذي رفع السموات فقراءته بالياء اذ كان كذلك أولى ومعنى الكلام أن الجنات من الاعناب والزرع والنخيل الصنوان وغير الصنوان تسقى بماء واحد عذب لا ملح ويخالف الله بين طعوم ذلك فيفضل بعضها على بعض في الطعم فهذا حلو وهذا حامض وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن سفيان عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ونفضل بعضها على بعض في الاكل قال الفارسي والدقل والحلو والحامض حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير ونفضل بعضها على بعض في الاكل قال الارض الواحدة يكون فيها الخوخ والكمثرى والعنب الابيض والاسود وبعضها أكثر حملا من بعض وبعضه حلو وبعضه حامض وبعضه أفضل من بعض حدثني المثنى قال ثنا عارم أبو النعمان قال ثنا حماد بن زيد عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير ونفضل بعضها على بعض في الاكل قال برني وكذا وكذا وهذا بعضه أفضل من بعض حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير في قوله ونفضل بعضها على بعض في الاكل قال هذا حامض وهذا حلو وهذا مز حدثني محمود بن خداش قال ثنا سيف بن محمد بن أخت سفيان الثوري قال ثنا الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال

وتخاطيط أعضائه وسائر أحواله من السعادة وضدها ومن العلم وضده الى غير ذلك ويعلم ما تغيضه الارحام أي تنقصه كقوله وغيض الماء وما تزداده من العدد فقد يكون واحدا واثنين أو أكثر ومن الخلقة فقد يكون تاما أو مخدجا ومن المدة فقد يكون أقل من تسعة أشهر أو أزيد الى سنتين عند أبي حنيفة والى أربع عند الشافعي والى خمس عند مالك ومن دم الحيض قال ابن عباس كلما سال الحيض

قال النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ونفضل بعضها على بعض في الاكل قال الدقل والفارسي والحلو والحامض **حدثنا** أحمد بن الحسن الترمذي قال ثنا سليمن بن عبد الله الرقي قال ثنا عبيد الله بن عمرو الرقي عن زيد بن أبي أنيسة عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ونفضل بعضها على بعض في الاكل قال الدقل والفارسي والحلو والحامض وقوله ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون يقول تعالى ذكره ان في مخالفة الله عز وجل بين هذه القطع الارض المتجاورات وثمار جناتها وزروعها على ما وصفنا وبينا لدليلا واضحا وعبرة لقوم يعقلون اختلاف ذلك أن الذي خالف بينه على هذا النحو الذي خالف بينه هو المخالف بين خلقه فيما قسم لهم من هداية وضلال وتوفيق وخذلان فوفق هذا وخذل هذا وهدى ذا وأضل ذا ولو شاء لسوى بين جميعهم كما لو شاء سوى بين جميع أكل ثمار الجنة التي تشرب شربا واحدا وتسقى سقيا وهي متفاضلة في الاكل

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وان تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ يقول تعالى ذكره وان تعجب يا محمد من هؤلاء المشركين المتخذين ما لا يضر ولا ينفع آلهة يعبدونها من دوني فعجب قولهم أئذا كنا ترابا وبلينا فعدمنا أئنا لفي خلق جديد انا لمجدد انشاؤنا واعادتنا خلقا جديدا كما كنا قبل وفاتنا تكذيبا منهم بقدرة الله وجحودا للثواب والعقاب والبعث بعد الممات كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وان تعجب فعجب ان عجبت يا محمد فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد عجب الرحمن تبارك وتعالى من تكذيبهم بالبعث بعد الموت **حدثني** يونس قال أخبرنا ابراهيم قال قال ابن زيد في قوله وان تعجب فعجب قولهم قال ان تعجب من تكذيبهم وهم قد رأوا من قدرة الله وأمره وما ضرب لهم من الامثال فأراهم من حياة الموتى في الارض الميتة ان تعجب من هذه فتعجب من قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد أولا يرون أنا خلقناهم من نطفة فالخلق من نطفة أشد أم الخلق من تراب وعظام واختلف في وجه تكرير الاستفهام في قوله أئنا لفي خلق جديد بعد الاستفهام الاول في قوله أئذا كنا ترابا أهل العربية فقال بعض نحويي البصرة الاول ظرف والآخر هو الذي وقع عليه الاستفهام كما تقول أيوم الجمعة زيد منطلق قال ومن أوقع استفهاما آخر على قوله أئذا متنا وكنا ترابا جعله ظرفا لشيء مذكور قبله كأنهم قيل لهم تبعثون فقالوا أئذا كنا ترابا ثم جعل هذا استفهاما آخر قال وهذا بعيد قال وان شئت لم تجعل في قولك أئذا استفهاما وجعلت الاستفهام في اللفظ على أئنا كأنك قلت أيوم الجمعة أعبد الله منطلق وأضمر نفيه فهذا موضع قد ابتدأت فيه أئذا وليس بكثير في الكلام لو قلت اليوم أإن عبد الله منطلق لم يحسن وهو جائز وقد قالت العرب ما علمت انه لصالح تريد انه لصالح ما علمت وقال غيره أئذا جزاء وليست بوقت وما بعدها جواب لها اذا لم يكن في الثاني استفهام والمعنى له لانه هو المطلوب وقال ألا ترى أنك تقول أن تقم يقوم زيد ويقم من جزم فلأنه وقع موقع جواب الجزاء ومن رفع فلان الاستفهام له واستشهد بقول الشاعر

حلفت له ان تدلج الليل لا يزل ... أمامك بيت من بيوتي سائر

فجزم جواب اليمين لانه وقع موقع جواب الجزاء والوجه الرفع قال فهكذا هذه الآية قال ومن أدخل

يوما زاد في مدة الحمل يوما ليحصل الجبر ويعتدل الامر ثم بين كمال علمه ونفاذ أمره بقوله (وكل شيء عنده بمقدار) واحد لا يجاوزه في طرفي التفريط والافراط والمراد بالعندية العلم كما يقال هذه المسألة عند الشافعي كذا وذلك أنه سبحانه خصص كل حادث بوقت معين وحالة معينة حسب مشيئته الازلية وارادته السرمدية وقال حكماء الاسلام وضع أسبابا كلية وأودع فيها قوى وخواص وحرك الاجرام بحيث يلزم من حركاتها المقدرة بالمقادير المخصوصة أحوال جزئية معينة ومناسبات معلومة مقدرة ومن جملتها أفعال العباد وأحوالهم وخواطرهم ولذلك ختم الآية بقوله (عالم الغيب والشهادة) أي هو عالم بما غاب عن الحس وبما حضر له أو بما غاب عن الخلق وبما شهدوه أو بالمعدومات وبالموجودات (الكبير) في ذاته لا بحسب الجثة بل بالرتبة والشرف لانه أجل الموجودات (المتعال) المنزه عن كل ما لا يجوز عليه في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله ثم زاد في التأكيد فقال (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به) أي مستو في علمه هذان لانه يعلم السر كما يعلم الجهر لا يتفاوت في علمه أحد الحالين (و) سواء عنده (من هو مستخف بالليل وسارب) على أن سارب معطوف على من لا على مستخف ليتناول معنى الاستواء شخصين أحدهما مستخف والآخر سارب والا فلم يتناول الا واحدا هو مستخف وسارب الا أن يكون من في معنى الاثنين حتى كأنه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب (بالنهار) وفي المستخفي والسارب قولان أحدهما أن المستخفي هو المستتر الطالب للخفاء في ظلمة الليل والسارب من يضطرب في الطرقات ظاهرا بالنهار يبصره كل أحد يقال سرب في الارض سروبا أي ذهب في سربه بالفتح والسكون وهو الطريق ويؤيده قول مجاهد معناه

سواء من يقدم على القبائح فى ظلمات الليالى ومن يأتى بها فى النهار الظاهر على سبيل التوالى وثانيهما نقل الواحدى عن الاخفش وقطرب المستخفى الظاهر من قولهم اختفيت الشئ أى استخرجته والسارب المتوارى اذا خل سربا بفتحتين ومنه انسرب الوحش اذا دخل فى كناسه وهذا وان صح من حيث اللغة

لكن قرينتى الليل والنهار انما تساعدان القول الاول ولهذا أطبق أكثر المفسرين عليه ثم ذكر ما يجرى فى الظاهر مجرى السبب لاستواء علمه بحال المسر والمعلن فقال (له) أى لمن أسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب (معقبات) جماعات من الملائكة تعقب فى حفظه وكلاءته والاصل معتقبات فأدغمت أو هو على أصله من عقبه بالتشديد اذا جاء على عقبه لان بعضهم يعقب بعضا أو لانهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه والتأنيث للمبالغة نحو نسابة وعلامة أو لانه جمع معقبة أى ملائكة معقبة أو جماعة معقبة وقوله (من أمر الله) ليس من صلة الحفظ لانه لا قدرة للملك ولا لأحد من الخلق على أن يحفظوا أحدا من قضاء الله وانما هو صفة أخرى كأنه قيل له معقبات من أمر الله يحفظونه أو له معقبات يحفظونه ثم بين سبب الحفظ فقال من أمر الله أى من أجل أن الله أمرهم بحفظه فمن بمعنى الباء وقرأ به علىّ وابن عباس وغيرهما ويجوز أن يكون صلة على معنى يحفظونه من بأس الله اذا أذنب بدعائهم له ومسألتهم ربهم أن يمهله رجاء أن يتوب قال ابن جريج هو مثل قوله تعالى عن اليمين وعن الشمال قعيد صاحب اليمين يكتب الحسنات والذى عن يساره يكتب السيئات وقال مجاهد ما من عبد الا وله ملك يحفظه من الجن والانس والهوام فى نومه ويقظته وقيل المراد يحفظونه من جميع المهالك من بين يديه ومن خلفه لان كلا من المستخفى والسارب اذا سعى فى مهماته فانما يحذر من الجهتين وما الفائدة فى تسلط هؤلاء على ابن آدم قال علماء الشريعة ان الشياطين يدعون الى المعاصى والشرور وهؤلاء الملائكة يدعون الى الخيرات والطاعات بالالهامات الحسنة والاخطارات الشريفة واذا علم ابن ادم أن معه ملائكة يحصون عليه أفعاله وأقواله استحيا منهم

الاستفهام ثانية فلانه المعتمد عليه وترك الجزاء الاول وقوله أولئك الذين كفروا بربهم يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين أنكروا البعث وجحدوا الثواب والعقاب وقالوا أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد هم الذين جحدوا قدرة ربهم وكذبوا رسوله وهم الذين فى أعناقهم الاغلال يوم القيامة فى نار جهنم فأولئك أصحاب النار يقول هم سكان النار يوم القيامة هم فيها خالدون يقول هم فيها ماكثون أبدا لا يموتون فيها ولا يخرجون منها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب﴾ يقول تعالى ذكره ويستعجلونك يا محمد مشركو قومك بالبلاء والعقوبة قبل الرخاء والعافية فيقولون اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم وهم يعلمون ما حل بمن خلا قبلهم من الامم التى عصت ربها وكذبت رسلها من عقوبات الله وعظيم بلائه فمن بين أمة مسخت قردة وأخرى خنازير ومن بين أمة أهلكت بالرجفة وأخرى بالخسف وذلك هو المثلات التى قال الله جل ثناؤه وقد خلت من قبلهم المثلات والمثلات العقوبات المنكلات والواحدة منها مثلة بفتح الميم وضم الثاء ثم تجمع مثلات كما واحدة الصدقات صدقة ثم تجمع صدقات وذكر أن تميما من بين العرب تضم الميم والثاء جميعا من المثلات فالواحدة على لغتهم منها مثلة ثم تجمع مثلات مثل غرفة وغرفات والفعل منه مثلت به أمثل مثلا بفتح الميم وتسكين الثاء واذا أردت أنك أقصصته من غيره قلت أمثلته من صاحبه أمثله امثالا وذلك اذا أقصصته منه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقد خلت من قبلهم المثلات وقائع الله فى الأمم فيمن خلا قبلكم وقوله ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وهم مشركو العرب استعجلوا بالشر قبل الخير وقالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة قال بالعقوبة قبل العافية وقد خلت من قبلهم المثلات قال العقوبات حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله المثلات قال الأمثال حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وحدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وقد خلت من قبلهم المثلات قال المثلات الذى مثل الله فى الأمم من العذاب الذى عذبهم تولت المثلات من العذاب قد خلت من قبلهم وعرفوا ذلك وانتهى اليهم ما مثل الله بهم حين عصوه وعصوا رسله حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سليم قال سمعت الشعبى يقول فى قوله وقد خلت من قبلهم المثلات قال القردة والخنازير هى المثلات وقوله وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم يقول تعالى ذكره وان ربك يا محمد لذو ستر على ذنوب من تاب من ذنوبه من الناس فتارك فضيحته بها فى موقف القيامة وصافح له عن عقابه عليها عاجلا وآجلا على ظلمهم يقول على فعلهم ما فعلوا من ذلك بغير اذن لهم بفعله وان ربك لشديد العقاب لمن هلك

وكان ذلك له رادعا قويا وقد مر في هذا الباب كلام في الانعام في قوله ويرسل عليكم حفظة فليتذكر وللآية تفسير آخر منقول عن ابن عباس واختاره أبو مسلم الاصفهاني قال المعقبات الحرس وأعوان الملوك والجملة وهي قوله له معقبات صفة للمستخفي والسارب أو حال منه لكونه نكرة موصوفة أي يستوي في علم الله السر والجهر والمستخفي بظلمة الليل

والسارب بالنهار مستظهرا بالمعاونين والانصار والمقصود بعث الامراء والسلاطين على أن يطلبوا الخلاص عن المكاره بعصمة الله لا بالحرس والاعوان ولذلك ختم الآية بقوله (واذا أراد الله بقوم سوأ فلا مرد له ومالهم من دونه من وال) ممن يلي أمرهم ويدفع عنهم قالت الاشاعرة في هذا الكلام دلالة على أن العبد غير مستقل في الفعل لانه اذا كفر العبد فلا شك أنه تعالى حكم بكونه مستحقا للذم في الدنيا والعقاب في الآخرة فلو كان العبد مستقلا لحصل الايمان وكان رادا لقضاء الله تعالى وقالت المعتزلة هذا معارض بما تقدم عليه من كلام الله وهو قوله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم لانه لو ابتدأ بالعبد أول ما يبلغ بالضلال والخذلان كان ذلك من أعظم العقاب مع أنه ما كان منه تغيير قالوا وفيه دليل على أنه لا يعاقب أطفال المشركين بذنوب آبائهم لانهم لم يغيروا ما بأنفسهم من نعمة فيغير الله ما بهم من النعمة الى العقاب أجابت الاشاعرة بأن هذا راجع الى قوله ويستعجلونك بين الله سبحانه بذلك أنه لا ينزل بهم عذاب الاستئصال الا والمعلوم منهم الاصرار على الكفر حتى قالوا اذا كان المعلوم أن فيهم من يؤمن أو في أعقابهم من يؤمن فانه لا يستأصلهم ورد بأن هذا خلاف الظاهر وقد صرح بذلك في سورة الانفال في قوله ذلك بأن الله لم يك مغيرا الآية والحق أن ترتب النقمة على تغيير النعمة لا ينافي استناد تغيير النعمة اليه فانه مبدأ المبادي وانتهاء الوسائط وسبب الاسباب ﴿التأويل﴾ المر الالف الله لا اله الا هو الحي القيوم اللام له مقاليد السموات والارض الميم مالك يوم الدين الراء رب العالمين من الازل الى الابد أقسم بهذه الامور أن الذي أنزل على عبده محمد هو الحق وأنه حبل الله الذي به يوصل المؤمن من

مصرا على معاصيه في القيامة ان لم يعجل له ذلك في الدنيا أو يجمعهما له في الدنيا والآخرة وهذا الكلام وان كان ظاهره ظاهر خبر فانه وعيد من الله وتهديد للمشركين من قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هم لم ينيبوا ويتوبوا من كفرهم قبل حلول نقمة الله بهم حدثني علي بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وان ربك لذو مغفرة للناس يقول ولكن ربك ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه انما أنت منذر ولكل قوم هاد) يقول تعالى ذكره ويقول الذين كفروا يا محمد من قومك لولا أنزل عليه آية من ربه هلا أنزل على محمد آية من ربه يعنون علامة وحجة له على نبوته وذلك قولهم لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك يقول الله له يا محمد انما أنت منذر لهم تنذرهم بأس الله أن يحل بهم على شركهم ولكل قوم هاد يقول ولكل قوم امام يأتمون به وهاد يتقدمهم فيهديهم اما الى خير واما الى شر وأصله من هادي الفرس وهو عنقه الذي يهدي سائر جسده وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم في المعني بالهادي في هذا الموضع فقال بعضهم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه هذا قول مشركي العرب قال الله انما أنت منذر ولكل قوم هاد لكل قوم داع يدعوهم الى الله حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن سفيان عن السدي عن عكرمة ومنصور عن أبي الضحى انما أنت منذر ولكل قوم هاد قالا محمد هو المنذر وهو الهاد حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن السدي عن عكرمة مثله حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن أبيه عن عكرمة مثله ❊ وقال آخرون عني بالهادي في هذا الموضع الله ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير انما أنت منذر ولكل قوم هاد قال محمد المنذر والله الهادي حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن عطاء ابن السائب عن سعيد بن جبير انما أنت منذر ولكل قوم هاد قال محمد المنذر والله الهادي حدثنا أبو كريب قال ثنا الاشجعي عن سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير انما أنت منذر قال أنت يا محمد منذر والله الهادي حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن عبد الملك عن قيس عن مجاهد في قوله انما أنت منذر ولكل قوم هاد قال المنذر النبي صلى الله عليه وسلم ولكل قوم هاد قال الله هادي كل قوم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله انما أنت منذر ولكل قوم هاد يقول أنت يا محمد منذر وأنا هادي كل قوم حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول انما أنت منذر ولكل قوم هاد المنذر محمد صلى الله عليه وسلم والهادي الله عز وجل ❊ وقال آخرون الهادي في هذا الموضع معناه نبي ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد قال المنذر محمد صلى الله عليه وسلم ولكل قوم هاد قال نبي حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد في

هبوط عالم الطبيعة الى ذروة عالم الحقيقة لانه الله الذي رفع السموات المحسوسة بغير عمد فكما أنه رفع السموات بقدرته فكذلك رفع الدرجات
برحمته أو كما أنه رفـع السموات المحسوسة بعمد القدرة كذلك يرفع سموات القلوب بجذبة العناية وسخر شمس الروح وقمر القلب أو النفس
لتـــدبير مصالح العالم الصـــغير وانما تظهر هـــذه الغرائب والعجائب لحصول كمال الايقان بالرجوع
الى الله والفناء فيه بل البقاء به ومن
حسن تدبيره أنه مد أرض البشرية
وجعل فيها رواسي من الاوصاف
الروحانية وأنهارا من منابع العناية
ومن كل الثمرات وهي الملكات
والاخلاق جعل فيها زوجين اثنين
ملكة روحانيـة حميدة وأخرى
نفسانيـة ذميمة فالاولى نورانيـة
كالنهار والاخرى ظلمانية كالليل
يغلب هذه تارة وتلك أخرى وهـذا
معنى قوله يغشي الليـل النهار وفي
أرض الانسانيـة قطع متجاورات
هي النفس والقلب والروح والسر
والخفي حيوانية وملكوتية روحانية
وجبروتية وعظموتية وجنات هي
هـذه الاعيان المستعدة لقبول
الفيض عند بلوغها من أعناب هي
ثمرة النفس من الصفات التي هي
أصل الاسكار كالغفلة والحمق والسهو
واللهو وزرع هو ثمـرة القلب فان
القلب كالارض الطيبـة التي منها
غـذاء الروح ونخيـل هو الروح
ذو الاخـلاق الحميـدة كالكرم
والجود والشجاعة والقناعة والحياء
والتواضع والشـفقة صنوان هـو
السر الجبروتي الكاشف عن أسرار
الجبروت بين الرب والعبـد فانه اذا
حكى السر للعبد كان المحكي مثالا
لمعلمه الوجود وغير صنوان هو الخفي
الواقف على اسرار العظمـوت التي
لا مثل لها ولا مثال ولا تحكى لعبده
كما قال فأوحى الى عبده ما أوحى وكما قال
* بين المحبين سر ليس يفشيه *
يسقى بماء واحـد هو ماء القـدرة والحكمة الله يعـلم ما تحمل كل أنثى أي ما في استعداد كل مستعد من فيها
الفضائل أو ما في كل ذرة من ذرات المكونات من الخواص والطبائع أو ما في كل منها من الآيات الدالة على موجدها سنريهم آياتنا في الآفاق
وفي أنفسهم وما تغيض الارحام وما تزداد أي ما يظهر من تلك الآيات الاستعدادات في جانبي التفريط والافراط والمراد ما ينقص

قوله انما أنت منذر ولكل قوم هاد قال نبي * قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد عن عبد الملك عن قيس عن مجاهد مثله حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا أسباط بن محمد عن عبد الملك عن قيس عن مجاهد في قوله انما أنت منذر ولكل قوم هاد قال لكل قوم نبي والمنذر محمد صلى الله عليه وسلم * قال ثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنى عبد الملك عن قيس عن مجاهـد في قول الله ولكل قوم هاد قال نبي * قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ولكل قوم هاد يعني لكل قوم نبي حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولكل قوم هاد قال نبي حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ولكل قـوم هاد قال نبي يدعوهم الى الله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولكل قوم هاد قال لكل قوم نبي الهادي النبي صلى الله عليه وسلم والمنذر أيضا النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ وان من أمة الا خلا فيها نذير وقال نذير من النذر الاولى قال نبي من الانبياء * وقال آخرون بل عني به ولكل قوم قائد ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح عن اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح انما أنت منذر ولكل قوم هاد قال انما أنت يا محمد منذر ولكل قوم قادة * قال ثنا الاشجعي قال ثنى اسمعيل أو سفيان عن اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح ولكل قوم هاد قال لكل قوم قادة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبـد الله بن أبي جعـفر عن أبيـه عن الربيع عن أبي العالية انما أنت منذر ولكل قـوم هاد قال الهادي القائد والقائد الامام والامام العمـل حدثني الحسن قال ثنا محمـد وهو ابن يزيد عن اسمعيـل عن يحيى بن رافع في قوله انما أنت منـذر ولكل قوم هاد قال قائد * وقال آخرون هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه ذكر من قال ذلك حدثنا أحمـد بن يحيى الصوفي قال ثنا الحسن بن الحسين الانصاري قال ثنا معاذ بن مسلم ثنا الهروي عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت انما أنت منـذر ولكل قـوم هاد وضع صلى الله عليه وسـلم يده على صدره فقال أنا المنذر ولكل قوم هاد وأومأ بيده الى منكب علي فقال أنت الهادي يا علي بك يهتدي المهتدون بعدي * وقال آخرون معناه لكل قوم داع ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبـد الله قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولكل قـوم هاد قال داع وقد بينت معنى الهـداية وأنه الامام المتبع الذي يقـدم القوم فاذا كان ذلك كذلك فجائز أن يكون ذلك هو الله الذي يهـدي خلقـه ويتبع خلقه هـداه ويأتمون بأمره ونهيه وجائز أن يكون نبي الله الذي تأتم به أمته وجائز أن يكون اماما من الائمة يؤتم به ويتبع منهاجـه وطريقته أصحابه وجائز أن يكون داعيا من الدعاة الى خـير أو شر واذا كان ذلك كذلك فلا قول أولى في ذلك بالصواب من أن يقال كما قال جل ثناؤه ان محمدا هو المنذر من أرسل اليه بالانذار وان لكل قوم هاديا يهديهم فيتبعونه ويأتمون به * القول في تأويل قوله تعالى ﴿ الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار ﴾ يقول تعالى ذكره وان تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد منكرين قدرة الله عـلى اعادتهم خلقا جديدا بعـد فنائهم وبلائهم ولا ينكرون قدرته على ابتدائهم وتصويرهم في الارحام وتدبيرهم وتصريفهم

فيها حالا بعد حال فابتدأ الخبر عن ذلك ابتداء والمعنى فيه ما وصف فقال جل ثناؤه الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الارحام وما تزداد يقول وما تنقص الارحام من حملها فى الاشهر التسعة بارسالها دم الحيض وما تزداد فى حملها على الاشهر التسعة لتمام ما نقص من الحمل فى الاشهر التسعة بارسالها دم الحيض وكل شئ عنده بمقدار لا يجاوز شئ من قدره عن تقديره ولا يقصر أمر أراده فدبره عن تدبيره كما لا يزداد حمل أنثى على ما قدر له من الحمل ولا يقصر عما حد له من القدر والمقدار مفعال من القدر وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ماهان قال ثنا القاسم بن مالك عن داود بن أبى هند عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الارحام قال ما رأت المرأة من يوم دما على حملها زاد فى الحمل يوما حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الارحام يعنى السقط وما تزداد يقول ما زادت الرحم فى الحمل على ما غاضت حتى ولدته تماما وذلك أن من النساء من تحمل عشرة أشهر ومنهن من تحمل تسعة أشهر ومنهن من تزيد فى الحمل ومنهن من تنقص فذلك الغيض والزيادة التى ذكر الله وكل ذلك بعلمه حدثنا سعيد بن يحيى الاموى قال ثنا عبد السلام قال ثنا خصيف عن مجاهد أو سعيد بن جبير فى قول الله وما تغيض الارحام قال غيضها دون التسعة والزيادة فوق التسعة حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن مجاهد أنه قال الغيض ما رأت الحامل من الدم فى حملها فهو نقصان من الولد والزيادة ما زاد على التسعة أشهر فهو تمام للنقصان وهو زيادة حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الصمد قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن مجاهد فى قوله وما تغيض الارحام وما تزداد قال ما ترى من الدم وما تزداد على تسعة أشهر حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن مجاهد أنه قال يعنى ما تغيض الارحام وما تزداد قال ما زاد على التسعة الاشهر وما تغيض الارحام قال الدم تراه المرأة فى حملها حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون والحجاج بن المنهال قالا ثنا هشيم عن أبى بشر عن مجاهد فى قوله وما تغيض الارحام وما تزداد قال الغيض الحامل ترى الدم فى حملها فهو الغيض وهو نقصان من الولد وما زاد على تسعة أشهر فهو تمام لذلك النقصان وهى الزيادة حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عبد السلام عن خصيف عن مجاهد وما تغيض الارحام وما تزداد قال اذا رأت دون التسعة زاد على التسعة مثل أيام الحيض حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وما تغيض الارحام قال خروج الدم وما تزداد قال استمساك الدم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وما تغيض الارحام اراقة المرأة حتى يخس الولد وما تزداد قال ان لم تهرق المرأة تم الولد وعظم حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا شعبة عن جعفر عن مجاهد فى قوله وما تغيض الارحام وما تزداد قال المرأة ترى الدم وتحمل أكثر من تسعة أشهر حدثنا الحسن قال ثنا محمد بن الصباح قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير فى قوله وما تغيض الارحام قال هى المرأة ترى الدم فى حملها * قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وما تغيض

من أرحام الموجودات أو المعدومات فهما أوجد شئ نقص من رحم العدم واحد وزاد فى رحم الوجود واحد وبالعكس فى جانب الاعدام مستخف بليل العدم وظاهر بنهار الوجود له أى لله معقبات من العلم والقدرة من بين يدى المعلوم ومن خلفه أى فى حالتى عدمه ووجوده من أزله الى أبده يحفظونه من أمر الله أى لاجل أمره حتى لا يخرج من قبضة تدبيره ان الله لا يغير ما بقوم من الوجود والعدم حتى يغيروا ما بأنفسهم من استدعاء الوجود أو العدم بلسان استحقاق الوجود أو العدم كما تقتضيه حكمته وتدبيره

هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا فى ضلال ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال قل من رب السموات والارض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوى الاعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شئ وهو الواحد القهار أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض كذلك يضرب الله الامثال للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما فى الارض

جميعا ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد أفمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى انما يتذكر أولوا الالباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرؤن

بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار جنات عـدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل
باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه و يقطعون ما أمر الله به أن يوصـل و يفسدون فى
الارض أولئـك لهم اللعنة ولهم سوء الدار الله يبسـط الرزق لمن يشاء و يقـدر وفرحوا بالحياة الدنيا وما
الحياة الدنيا فى الآخرة الامتاع
و يقول الذين كفروا لولا أنزل عليه
آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء
و يهدى اليه من أناب الذين آمنوا
وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر
الله تطمئن القلـوب الذين آمنوا
وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن
مآب ﴾ ۞ القرا آت كباسط مثل بسطة
وقدم فى البقرة أم هل يستوى بياء
تحتانية حمزة وعلى وخلف وعاصم
غير حفص والمفضل الآخرون بتاء
التأنيث يوقدون على الغيبة حمزة
وعلى وخلف وعاصم غير أبى بكر
وحماد الباقون على الخطاب اما
للكفرة فى قوله قل أفاتخذتم واما
للمكلفين على العموم كما فى القراءة
الاخرى والضمير يعود الى الناس
المعلوم من سياق الكلام ۞ الوقوف
الثقال ٥ ج لاختلاف الفاعل
مع اتفاق اللفظ من خيفته ج
لذلك فى الله ج لاحتمال الواو
الحال والاستئناف المحال ٥ ط
للآية وانقطاع النظم دعوة الحق
ط ببالغه ط ضلال ٥
والآصال ٥ والارض ط قل
الله ط ولاضرا ط والبصير
٥ ط للعطف والنور ج لاحتمال
أن يكون هذا الاستفهام بدلا عن
الاول عليهم ط القهار ٥ رابيا
ط مثله ط والباطل ط جفاء
ج لاتفاق الجملتين مع كون أما
للتفصيل فى الارض ط الامثال
٥ ط الحسنى ط لافتدوا به ط
الحساب ٥ لا جهنم ج المهاد ٥ هو أعمى ط الالباب ٥ لا الميثاق ط للعطف سوء الحساب ٥ ط أبن
الدار ٥ لا لان قوله جنات عـدن بدل من عقبى من كل باب ٥ ج لحق المحذوف أى قائلين عقبى الدار ط فى الارض لا
سوء الدار ٥ ويقدر ط الدنيا ط متاع ز من ربه ط أناب ٥ بذكر الله الاول ط القلوب ٥ مآب ٥ ۞ التفسير ا اخوف

الارحام وما تزداد اهراق الدم حتى يخس الولد وتزداد ان لم تهرق المرأة تم الولد وعظم * قال ثنا
الحكم بن موسى قال ثنا هقل عن عثمان بن الاسود قال قلت لمجاهد امرأتى رأت دما وأرجو أن
تكون حاملا „ قال أبو جعفر هكذا هو فى الكتاب „ فقال مجاهد ذاك غيض الارحام يعلم ما تغيض
الارحام وما تزداد وكل شئ عنده بمقدار الولد لا يزال يقع فى النقصان ما رأت الدم فاذا انقطع الدم
وقع فى الزيادة فلا يزال حتى يتم فذلك قوله وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شئ عنده بمقدار * قال
ثنا محمد بن الصباح قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن مجاهد فى قوله وما تغيض الارحام
وما تزداد قال الغيض الحامل ترى الدم فى حملها وهو الغيض وهو نقصان من الولد فما زادت على
التسعة الاشهر فهى الزيادة وهو تمام للولادة حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال
ثنا داود عن عكرمة فى هذه الآية الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الارحام قال كلما غاضت
بالدم زاد ذلك فى الحمل * قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن عكرمة نحوه حدثنا أحمد
ابن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عباد بن العوام عن عاصم عن عكرمة وما تغيض الارحام
قال غيض الرحم الدم على الحمل كلما غاض الرحم من الدم يوما زاد فى الحمل يوما حتى تستكمل
وهى طاهرة * قال ثنا عباد عن سعيد عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير مثله حدثنا الحسن
ابن محمد قال ثنا الوليد بن صالح قال ثنا أبو يزيد عن عاصم عن عكرمة فى هذه الآية وما
تغيض الارحام قال هو الحيض على الحمل وما تزداد قال فلها بكل يوم حاضت على حملها يوم تزداده
فى طهرها حتى تستكمل تسعة أشهر طاهرا * قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا عمران
ابن حدير عن عكرمة فى قوله وما تغيض الارحام وما تزداد قال ما رأت الدم فى حملها زاد فى حملها
حدثنا عبد الحميد بن بيان قال أخبرنا اسحق عن جويبر عن الضحاك فى قوله وما تغيض
الارحام وما تزداد ما تغيض أقل من تسعة وما تزداد أكثر من تسعة حدثنا أحمد بن اسحق
قال ثنا أبو أحمد قال ثنا ابن المبارك عن الحسن بن يحيى قال سمعت الضحاك يقول قد يولد
المولود لسنتين قد كان الضحاك ولد لسنتين والغيض ما دون التسعة وما تزداد فوق تسعة أشهر
* قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن جويبر عن الضحاك وما تغيض الارحام وما تزداد قال
دون التسعة وما تزداد قال فوق التسعة * قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن جويبر
عن الضحاك قال ولدت لسنتين حدثنى المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك
عن الحسن بن يحيى قال ثنا الضحاك أن أمه حملته سنتين قال وما تغيض الارحام قال ما تنقص
من التسعة وما تزداد قال ما فوق التسعة * قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر
عن الضحاك فى قوله الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الارحام قال كل أنثى من خلق الله * قال
ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك ومنصور عن الحسن قالا الغيض ما دون التسعة الاشهر * قال
ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن داود بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن جميلة بنت سعد عن
عائشة قالت لا يكون الحمل أكثر من سنتين قدر ما يتحول ظل مغزل حدثنا أحمد بن اسحق
قال ثنا أبو أحمد قال ثنا فضيل بن مرزوق عن عطية العوفى وما تغيض الارحام قال
هو الحمل لتسعة أشهر وما دون التسعة وما تزداد قال على التسعة * قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عمرو

عباده مازال مالامر دله أتبعه دلائل تشبه اللطف من بعض الوجوه والقهر من بعضها وهى أربعة البرق والسحاب والرعد والصاعقة وقد مر فى أول سورة البقرة تفسير هذه الالفاظ وقول الحكماء فى أسباب حدوثها وانتصاب (خوفا وطمعا) اما على الحال من البرق كأنه فى نفسه خوف وطمع والتقدير ذا خوف وطمع أو من المخاطبين أى خائفين وطامعين واما على أنه مفعول له على تقدير حذف المضاف أى ارادة خوف وطمع وانما وجب تقدير المضاف ليكون فعلا لفاعل الفعل المعلل كما هو شرط نصب المفعول له ومعنى الخوف والطمع الخوف من وقوع الصواعق والطمع فى نزول الغيث وقيل يخاف المطر من له فيه ضررا اما بحسب الزمان واما بحسب المكان فمن البلاد ما لا ينتفع أهله بالمطر كأهل مصر ويطمع فيه من له فيه نفع وعن ابن عباس أن اليهود سألت النبى عن الرعد فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب فعلى هذا الصوت المسموع هو صوت ذلك الملك الموكل المسمى بالرعد وعن الحسن خلق من خلق الله ليس بملك وعن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله ينشئ السحاب فينطق أحسن النطق ويضحك أحسن الضحك فنطقه الرعد وضحكه البرق وهذا غير مستبعد من قدرة الله وخصوصا عند من لا يجعل البنية شرطا فى الحياة وقيل المضاف محذوف أى يسبح سامعو الرعد من العباد الراجين للمطر حامدين له أو متلبسين بسبحان الله والحمد لله وعن على رضى الله عنه سبحان من سبحت له وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا اشتد الرعد اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وقيل معنى تسبيح الرعد أن هذا الصوت المخصوص لهوله ومهابته يدل على وجود اله قهار كقوله وان من شئ الا يسبح بحمده قال فى الكشاف ومن بدع المتصوفة الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات أفئدتهم والمطر بكاؤهم أما قوله (والملائكة من خيفته) أى ويسبح الملائكة من هيبته وجلاله فقد ذكر جمع من المفسرين أنه عنى بهؤلاء الملائكة أعوان الرعد فانه سبحانه جعل له أعوانا قال ابن عباس انهم خائفون من الله لا كخوف ابن آدم فان أحدهم لا يعرف من على

ابن ثابت عن أبيه عن سعيد بن جبير وما تغيض الارحام قال حيض المرأة على ولدها حدثنا محمد ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وما تغيض الارحام وما تزداد قال الغيض السقط وما تزداد فوق التسعة الاشهر حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن سعيد بن جبير اذا رأت المرأة الدم على الحمل فهو الغيض للولد يقول نقصان فى غذاء الولد وهو زيادة فى الحمل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الارحام وما تزداد قال كان الحسن يقول الغيضوضة أن تضع المرأة لستة أشهر أو لسبعة أشهر أو لما دون الحد قال قتادة وأما الزيادة فما زاد على تسعة أشهر حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا قيس عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير قال غيض الرحم أن ترى الدم على حملها فكل شئ رأت فيه الدم على حملها ازدادت على حملها مثل ذلك * قال ثنا عبد العزيز قال ثنا حماد بن سلمة عن قيس بن سعد عن مجاهد قال اذا رأت الحامل الدم كان أعظم للولد حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وما تغيض الارحام وما تزداد الغيض النقصان من الاجل والزيادة ما زاد على الاجل وذلك أن النساء لا يلدن لعدة واحدة يولد المولود لستة أشهر فيعيش ويولد لسنتين فيعيش وفيما بين ذلك قال وسمعت الضحاك يقول ولدت لسنتين وقد نبتت ثناياى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وما تغيض الارحام قال غيض الارحام الاهراقة التى تأخذ النساء على الحمل واذا جاءت تلك الاهراقة لم يعتد بها من الحمل ونقص ذلك حملها حتى يرتفع ذلك واذا ارتفع استقبلت عدة مستقبلة تسعة أشهر وأما ما دامت ترى الدم فان الارحام تغيض وتنقص والولد يرق فاذا ارتفع ذلك الدم ربا الولد واعتدت حين يرتفع عنها ذلك الدم عدة الحمل تسعة أشهر وما كان قبله فلا تعتد به هو هراقة يبطل ذلك أجمع أكتع وقوله وكل شئ عنده بمقدار حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وكل شئ عنده بمقدار إى والله لقد حفظ عليهم رزقهم وآجالهم وجعل لهم أجلا معلوما ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال﴾ يقول تعالى ذكره والله عالم ما غاب عنكم وعن أبصاركم فلم تروه وما شاهدتموه فعاينتم بأبصاركم لا يخفى عليه شئ لأنهم خلقه وتدبيره الكبير الذى كل شئ دونه المتعال المستعلى على كل شئ بقدرته وهو المتفاعل من العلو مثل المتقارب من القرب والمتدانى من الدنو ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار﴾ يقول تعالى ذكره معتدل عند الله منكم أيها الناس الذى أسر القول والذى جهر به والذى هو مستخف بالليل فى ظلمته بمعصية الله وسارب بالنهار يقول وظاهر بالنهار فى ضوئه لا يخفى عليه شئ من ذلك سواء عنده سر خلقه وعلانيتهم لانه لا يستسر عنده شئ ولا يخفى يقال منه سرب يسرب سروبا اذا ظهر كما قال قيس بن الخطيم

أنى سريت وكنت غير سروب ... وتقرب الاحلام غير قريب

يقول كيف سريت بالليل بعد هذا الطريق ولم تكونى تبرزين وتظهرين وكان بعضهم يقول هو

السالك فى سربه أى فى مذهبه ومكانه واختلف أهل العلم بكلام العرب فى السرب فقال بعضهم هو آمن فى سربه بفتح السين وقال بعضهم هو آمن فى سربه بكسر السين ونحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار يقول هو صاحب ريبة مستخف بالليل واذا خرج بالنهار أرى الناس أنه برئ من الاثم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس وسارب بالنهار ظاهر حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن عوف عن أبى رجاء فى قوله سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار قال ان الله أعلم بهم سواء من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا على بن عاصم عن عوف عن أبى رجاء سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار قال من هو مستخف فى بيته وسارب بالنهار ذاهب على وجهه علمه فيهم واحد حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد سواء منكم من أسر القول ومن جهر به يقول السر والجهر عنده سواء ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار أما المستخفى ففى بيته وأما السارب الخارج بالنهار حيثما كان المستخفى غيبه الذى يغيب فيه والخارج عنده سواء قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن خصيف فى قوله مستخف بالليل قال راكب رأسه فى المعاصى وسارب بالنهار قال ظاهر بالنهار حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله سواء منكم من أسر القول ومن جهر به كل ذلك عنده تبارك وتعالى سواء السر عنده علانية قوله ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار أى فى ظلمة الليل وسارب أى ظاهر بالنهار حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن خصيف عن مجاهد وعكرمة وسارب بالنهار قال ظاهر بالنهار ومن فى قوله من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل رفع الاولى منهن بقوله سواء والثانية معطوفة على الاولى والثالثة على الثانية ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم واذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه لله تعالى ذكره معقبات قالوا الهاء فى قوله له من ذكر اسم الله والمعقبات التى تتعقب على العبد وذلك أن ملائكة الليل اذا صعدت بالنهار أعقبتها ملائكة النهار فاذا انقضى النهار صعدت ملائكة النهار ثم أعقبتها ملائكة الليل وقالوا قيل معقبات والملائكة جمع ملك مذكر غير مؤنث وواحد الملائكة معقب وجماعتها معقبة ثم جمع جمعه أعنى جمع معقب بعد ما جمع معقبة وقيل معقبات كما قيل ابناوات سعد ورجالات بنى فلان جمع رجال وقوله من بين يديه ومن خلفه يعنى بقوله من بين يديه من قدام هذا المستخفى بالليل والسارب بالنهار ومن خلفه من وراء ظهره ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور يعنى ابن زاذان عن الحسن فى هذه الآية له معقبات من بين يديه ومن خلفه قال الملائكة حدثنى المثنى قال ثنا ابراهيم بن عبد السلام بن صالح القشيرى قال ثنا على بن جرير عن

عينه ومن على يساره ولم يشغله عن عبادة الله طعام ولا شراب ولا شئ وقالت الحكماء انما تتم الآثار العلوية بقوى روحانية فلكية فللسحاب روح معين من الارواح الفلكية يدبره وكذا القول فى الرياح وفى سائر الآثار فهذا هو المراد بالملائكة فى الآية قوله (ويرسل الصواعق) قد عرفت أنها نار تتولد من السحاب وتنزل بقوة شديدة فربما غاصت فى البحر وأحرقت الحيتان و وجه الاستدلال بها على الصانع أن النار حارة يابسة وطبيعة السحاب يغلب عليها الرطوبة والبرودة للاجزاء المائية فيه وحصول الضد من الضد لا يكون بالطبع وانما يكون بتدبير القادر المختار وتسخيره ولما بين دلائل كمال العلم فى قوله والله يعلم ودلائل كمال القدرة فى هذه الآية قال (وهم يجادلون فى الله) لان انكار المدلول بعد وضوح الدليل جدال بالباطل وعناد محض ويحتمل أن تكون الواو للحال أى فيصيب بها من يشاء فى حال جدالهم ويؤكده ما روى عن ابن عباس فى رواية أبى صالح وابن جريج وابن زيد أن عامر ابن الطفيل وأربد بن ربيعة أخا لبيد ابن ربيعة أقبلا يريدان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل من أصحابه يا رسول الله هذا عامر ابن الطفيل قد أقبل نحوك فقال دعه فان يرد الله به خيرا يهده فأقبل حتى قام عليه فقال يا محمد مالى ان أسلمت فقال لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم قال تجعل لى الامر بعدك قال لا ليس ذلك الى انما ذلك الى الله يجعله حيث يشاء قال فتجعلنى على الوبر وأنت على المدر قال لا قال فماذا تجعل لى قال أجعل لك أعنة الخيل تغزو عليها قال أوليس ذلك الى اليوم وكان أوصى الى أربد بن ربيعة اذا رأيتنى أكلمه فدر عليه من خلفه فاضربه بالسيف فجعل يخاصم رسول الله ويراجعه ويجادل فى الله يقول أخبرنى عن ربك أمن نحاس هو أم من حديد جماد فدار أربد خلف النبى صلى الله عليه وسلم ليضربه فاخترط من سيفه شبرا ثم حبسه الله فلم يقدر على سله وجعل عامر يومئ اليه فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى أربد وما يصنع بسيفه فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فأرسل الله على أربد صاعقة فى يوم صائف صاح فأحرقته وولى عامر هاربا وقال يا محمد دعوت ربك فقتل أربد

والله لأملأنها عليك خيلا جردا وفرسانا مردا فقال رسول الله يمنعك الله من ذلك وأبناء قيلة يريد الاوس والخزرج فنزل عامر بيت امرأة سلولية فلما أصبح ضم عليه سلاحه وخرج وهو يقول واللات لئن أصحر الى محمد وصاحبه يعني ملك الموت لأنفذنهما برمحي فأرسل الله اليه ملكا فلطمه بجناحه فأذراه في التراب وخرجت على ركبته غدة في الوقت

عظيمة فعاد الى بيت السلولية وهو يقول أغدة كغدة البعير وموت في بيت السلولية ثم مات على ظهر فرسه وأنزل الله الآية في هذه القصة قوله (وهو شديد المحال) معناه شديد المكر والكيد لاعدائه والمماحلة شدة المماكرة ومنه تمحل لكذا اذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان اذا كاده وسعى به الى السلطان ومنه الحديث اللهم اجعله أي القرآن لنا شافعا مشفعا ولا تجعله علينا ماحلا مصدقا ومنه سنة المحل لشدتها وصعوبة أمرها وأما عبارات المفسرين فقال مجاهد وقتادة شديد القوة أبو عبيدة شديد العقوبة الحسن شديد النقمة وقيل شديد الحقد ومعناه راجع الى ارادة ايصال الشر الى مستحقه مع اخفاء تلك الارادة عنه ثم أثنى على نفسه بالحقية وشهد على الاصنام بالبطلان فقال (له دعوة الحق) أضاف الدعوة الى الحق الذي هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة الى الحق والمراد أنه سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة اذا أراد فهو حقيق بان يوجه اليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا فائدة في دعائه وعن الحسن الحق هو الله والمعنى له دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجيب ولهذا أجاب النبي صلى الله عليه وسلم في الكافرين حين دعا عليهما وعن ابن عباس دعوة الحق قوله لا اله الا الله وقيل الدعوة العبادة فان عبادته هي الحق والصدق وقد سلف تحقيق الحق في أول هذا الكتاب في تفسير البسملة (والذين يدعون من دونه) أي الآلهة الذين يدعوهم أو يعبدهم الكفار من دون الله (لا يستجيبون لهم بشيء) الا استجابة كاستجابة الماء من بسط يديه اليه يطلب منه أن يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر به والحاصل أن الكفار وذلك الطالب كليهما مشترك في الخيبة لاشتراكهما في دعاء الجماد وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لآلهتهم بمن أراد أن يغرف الماء

حماد بن سلمة عن عبد الحميد بن جعفر عن كنانة العدوي قال دخل عثمان بن عفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أخبرني عن العبد كم معه من ملك قال ملك على يمينك على حسناتك وهو أمير على الذي على الشمال فاذا عملت حسنة كتبت عشرا واذا عملت سيئة قال الذي على الشمال للذي على اليمين اكتب قال لا لعله يستغفر الله ويتوب فاذا قال ثلاثا قال نعم اكتب أراحنا الله منه فبئس القرين ما أقل مراقبته لله وأقل استحياءه منا يقول الله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وملكان من بين يديك ومن خلفك يقول الله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله وملك قابض على ناصيتك فاذا تواضعت لله رفعك واذا تجبرت على الله قصمك وملكان على شفتيك ليس يحفظان عليك الا الصلاة على محمد وملك قائم على فيك لا يدع الحية تدخل في فيك وملكان على عينيك فهؤلاء عشرة أملاك على كل آدمي ينزلون ملائكة الليل على ملائكة النهار فهؤلاء عشرون ملكا على كل آدمي وابليس بالنهار وولده بالليل حدثنا الحسن ابن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه الملائكة يحفظونه من أمر الله حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله * قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن عبد الملك عن قيس عن مجاهد في قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه قال مع كل انسان حفظة يحفظونه من أمر الله * قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله فالمعقبات هن من أمر الله وهي الملائكة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس يحفظونه من أمر الله قال ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه فاذا جاء قدره خلوا عنه حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله فاذا جاء القدر خلوا عنه حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم في هذه الآية قال الحفظة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن منصور عن ابراهيم له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله قال ملائكة حدثنا أحمد بن حازم قال ثنا يعلى قال ثنا اسمعيل ابن أبي خالد عن أبي صالح في قوله له معقبات قال ملائكة الليل يعقبون ملائكة النهار حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه هذه ملائكة الليل يتعاقبون فيكم بالليل والنهار وذكر لنا أنهم يجتمعون عند صلاة العصر وصلاة الصبح وفي قراءة أبي بن كعب له معقبات من بين يديه ورقيب من خلفه يحفظونه من أمر الله حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قوله له معقبات من بين يديه قال ملائكة يتعاقبونه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس له معقبات من بين يديه ومن خلفه قال الملائكة قال ابن جريج معقبات قال الملائكة تعاقب الليل والنهار وبلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجتمعون فيكم عند

بيـــديه ليشربه فبسطهما ناشرا أصابعه فلا جرم لا يبلغ طلبتـــه ثم أكد خيبتهم بقـــوله (ومادعاء الكافرين الافى ضـــلال) فى ضياع وذهاب عن المنفعة لانهم ان دعوا الله لا يجيبهم لحقارة أمرهم عنده وان دعوا الآلهة لم تستطع اجابتهـــم ثم زاد فى الثناء فقال (ولله يسجـــد من فى السموات والارض) فان كان السجود بمعـــنى وضع الجبهة فذلك ظاهر فى المؤمنين لانهم يسجدون له (طوعا) أى بسهولة ونشاط (وكرها) أى عـــلى تعب واصطبار ومجاهـــدة وأما فى حق الكفار فمشكل ووجهه أن يقال المـــراد حـــق له أن يسجد لاجله جميع المكلفين من الملائكة والثقلين فعبر عن الوجوب بالوقوع وان كان بمعنى الانقياد والخضوع والاعـــتراف بالالهيـــة وترك الامتناع عن نفـــوذ مشيئته فيهم فلا اشكال نظيره قوله (وله أسلم من فى السموات والارض) وقد مر فى آل عمران أما قوله (وظلالهم) فقد قال جمع من المفسرين كمجاهد والزجاج وابن الانبارى لا يبعد أن يخلق الله للظلال أفهاما تسجد بها لله وتخضع له كما جعـــل للجبال أفهـــاما حـــتى اشتغلت بتســـبيحه فظل المـــؤمن يسجد لله طوعا وهو طائع وظـــل الكافر يسجد لغـــير الله كرهـــا ويسجد لله طـــــوعا وقال آخرون المـــراد من سجود الظـــلال تقلصها وامتدادها بحسب ارتفاع الشمس وانحطاطها فهى منقادة مستسلمة لما أتاح الله لهـــا فى الاحـــــوال وتخصيـــص الغـــدو والآصـــال بالذكر لغاية ظهورهـــا وازديادهـــا فى الوقتين ومعـــنى الغدو والآصـــال قدم فى آخر الاعراف * واعلم أنه سبحانه ذكر آية السجدة فى النحل بعبارة أخرى فقال ولله يسجـــد مافى السمـــوات ومافى الارض من دابة والمـــلائكة لانه تقـــدم ذكر ماخلق الله عـــلى العموم ولم يكن فيه ذكر الملائكة ولا الانس بالصريح فعمم ليشـــمل الانس وصرح بالمـــلائكة وقال فى الحج ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض بتـــكرير من لانه تقـــدم ذكر المؤمنـــين وسائر الاديان فقدم ذكر من فى السموات تعظـــيما لهـــم ولهـــا وذكر من فى الارض لانهـــم هم الذين تقـــدم ذكرهـــم وأما فى هذه السورة فقد تقدم ذكر العلويات من الرعـــد والبرق ثم ذكر المـــلائكة

صـــلاة العصر وصلاة الصبح وقوله يحفظونه من بين يديه ومن خلفـــه قال ابن جريج مثل قوله عن اليمين وعن الشمـــال قعيد قال الحسنات من بين يديه والسيئات من خلفه الذى عن يمينه يكتب الحسنات والذى عن شماله يكتب السيئات حدثنا سوار بن عبد الله قال ثنا المعتمر بن سليمن قال سمعت ليثا يحدث عن مجاهـــد أنه قال مامن عبد الا له ملك موكل يحفظه فى نومه ويقظته من الجن والانس والهوام فما منها شئ يأتيـــه يريده الا قال وراءك الا شئ يأذن الله فيه فيصيبه حدثنى محمـــد بن سـعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفـــه قال يعنى المـــلائكة * وقال آخرون بل عنى بالمعقبات فى هـــذا الموضع الحرس الذى يتعاقب على الامير ذكر من قال ذلك حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ثنا ابن يمان قال ثنا سفيان عن حبيب بن أبى ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس له معقبات من بين يديه ومن خلفه قال ذلك ملك من ملوك الدنيا له حرس من دونه حرس حدثنى محمـــد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يعنى ولى السلطان يكون عليه الحرس حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن شرقى أنه سمع عكرمة يقول فى هذه الآية له معقبات من بين يديه ومن خلفـــه قال هؤلاء الامراء حدثنى الحرث قال ثنا عبـــد العزيز قال ثنا عمر بن نافع قال سمعت عكرمة يقول له معقبات من بين يديه ومن خلفه قال المواكب من بين يديه ومن خلفه حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفـــه يحفظونه من أمر الله قال هو السلطان المحروس من أمر الله وهم أهـــل الشرك * وأولى التأويلـــين فى ذلك بالصواب قول من قال الهاء فى قوله له معقبات من ذكر من التى فى قوله ومن هو مستخف بالليل وأن المعقبات من بين يديه ومن خلفه هى حرســـه وجـــلاوزته كما قال ذلك من ذكرنا قوله وانما قلنا ذلك أولى التأويلـــين بالصواب لان قوله له معقبات أقرب الى قوله ومن هو مستخف بالليـــل منـــه الى عالم الغيب فهى لقربها منـــه أولى بأن تـــكون من ذكره وأن يكون المعنى بذلك هذا مع دلالة قـــول الله واذا أراد الله بقوم سوأ فلا مرد له على أنهم المعنيون بذلك وذلك أنه جل ثناؤه ذكر قوما أهل معصيـــة له وأهل ريبة يستخفون بالليل ويظهرون بالنهار ويمتنعون عنـــد أنفسهم بحرس يحرسهم ومنعـــة تمنعهم من أهل طاعته أن يحولوا بينهم وبين ما يأتون من معصيـــة الله ثم أخبر أن الله تعالى ذكره اذا أراد بهم سوأ لم ينفعهم حرســـهم ولا يدفع عنهم حفظهم وقوله يحفظونه من أمر الله اختلف أهـــل التأويل فى تأويل هـــذا الحرف على نحو اختلافهم فى تأويل قوله له معقبات فمن قال المعقبات هى المـــلائكة قال الذين يحفظونه من أمر الله هـــم أيضا الملائكة ومن قال المعقبات هى الحـــرس والجـــلاوزة من بنى آدم قال الذين يحفظونه من أمر الله هم أولئـــك الحرس واختلفوا أيضا فى معـــنى قوله من أمر الله فقال بعضهم حفظهم اياه من أمره وقال بعضهم يحفظونه من أمر الله بأمر الله ذكر من قال الذين يحفظونه هم الملائكة ووجه قوله بأمر الله الى معنى ان حفظها اياه من أمر الله حدثنى

المثنى

وتسبيحهم ثم انجر الكلام الى ذكر الاصنام والكفار فبدأ في آية السجدة بذكر من في السموات لذلك وذكر الارض تبعا ولم يذكر من فيها استخفافا بالكفرة وأصنافهم فتبين أنه أورد كل آية عالاق بمقامها والله تعالى أعلم بمراده ثم أخبر عن التسخير بسؤال التقرير ردا على عبدة الاصنام فقال (قل من رب السموات والارض قل الله) وهذه حكاية لاعترافهم لانهم كانوا يعترفون بأنه الاله الاعظم وهذا كما يقول المناظر لصاحبه أهذا قولك فاذا قال هذا قولي قال هذا قولك فيحكي اقراره استئنافا منه ثم يقول له فيلزمك على هذا القول كيت وكيت وذلك قوله (قل أفاتخذتم) ويجوز أن يكون تلقينا للسؤال أي سلوا منكرين له والهمزة في أفاتخذتم للانكار والمعنى أبعد أن علمتموه رب السموات والأرض اتخذتم (من دونه أولياء) جمادات عجزة عن تحصيل المنافع والمضار لانفسهم فضلا عن غيرهم وموضع الانكار انهم جعلوا ما كان يجب أن يكون سبب التوحيد من العلم والاقرار سبب الاشراك ثم جعلوا مع ذلك أخس الاشياء مكان أشرف الذوات وهذا أجهل لا مزيد عليه فلهذا شبههم بالاعمى وشبه جهالاتهم بالظلمات وأنكر أن يكون شئ منهما مساويا بالنقيض فقال (قل هل يستوي الاعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور) جمع الظلمات ووحد النور لان السبل المنحرفة غير محصورة والصراط المستقيم واحد ثم أكد الانكار المذكور بقوله (أم جعلوا) والمراد بل جعلوا (لله شركاء) خالقين مثل خلقه (فتشابه الخلق) أي خلق الله وخلقهم (عليهم) أي ليس لهذه الشركاء خلق مثل خلق الله حتى يشتبه الامر عليهم بل ليس لهم خلق أصلا بل كل ما سوى الله عاجز عن الخلق بدليل قوله (قل الله خالق كل شئ وهو الواحد القهار) المتوحد بالربوبية الذي لا يغالب وما عداه مربوب ومقهور قالت المعتزلة للعبد فعل وتأثير ولكنا لا نقول انه يخلق كخلق الله لان العبد يفعل لجلب منفعة أو دفع مضرة والله تعالى منزه عن ذلك وأجيب بأن المخالفة من بعض الوجوه لا تقدح في المماثلة من وجه آخر فلو كان فعل العبد كالتحريك مثلا واقعا بقدرته لكان مثلا للتحريك الواقع بقدرة الله تعالى

المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله يحفظونه من أمر الله يقول باذن الله فالمعقبات هي من أمر الله وهي الملائكة حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء ابن السائب عن سعيد بن جبير يحفظونه من أمر الله قال الملائكة الحفظة وحفظهم اياه من أمر الله حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا محمد بن عبيد قال ثني عبد الملك عن ابن عبيد الله عن مجاهد في قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله قال الحفظة هم من أمر الله * قال ثنا علي يعني ابن عبد الله بن جعفر قال ثنا سفيان عن عمرو عن ابن عباس له معقبات من بين يديه رقباء ومن خلفه من أمر الله يحفظونه * قال ثنا عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة عن الجارود عن ابن عباس له معقبات من بين يديه رقيب ومن خلفه حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن خصيف عن مجاهد له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله قال الملائكة من أمر الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس يحفظونه من أمر الله قال الملائكة من أمر الله حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله قال الحفظة ذكر من قال عني بذلك يحفظونه بأمر الله حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة يحفظونه من أمر الله أي بأمر الله حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يحفظونه من أمر الله وفي بعض القراآت بأمر الله حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن عبد الملك عن قيس عن مجاهد في قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه قال مع كل انسان حفظة يحفظونه من أمر الله ذكر من قال تحفظه الحرس من بني آدم من أمر الله حدثني محمد ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس يحفظونه من أمر الله يعني ولي السلطان يكون عليه الحرس يحفظونه من بين يديه ومن خلفه يقول الله عز وجل يحفظونه من أمري فاني اذا أردت بقوم سوأ فلا مرد له وما لهم من دونه من وال حدثني أبو هريرة الضبعي قال ثنا أبو قتيبة قال ثنا سعيد عن شرقي عن عكرمة يحفظونه من أمر الله قال الجلاوزة * وقال آخرون معنى ذلك يحفظونه من أمر الله وأمر الله الجن ومن يبغي أذاه ومكروهه قبل مجيء قضاء الله فاذا جاء قضاؤه خلوا بينه وبينه ذكر من قال ذلك حدثني أبو هريرة الضبعي قال ثنا أبو داود قال ثنا ورقاء عن منصور عن طلحة عن ابراهيم يحفظونه من أمر الله قال من الجن حدثنا سوار ابن عبد الله قال ثنا المعتمر قال سمعت ليثا يحدث عن مجاهد أنه قال ما من عبد الا له ملك موكل يحفظه في نومه ويقظته من الجن والانس والهوام فما منهم شئ يأتيه يريده الا قال وراءك الا شئ يأذن الله فيصيبه حدثنا الحسن بن عرفة قال ثنا اسمعيل بن عياش عن محمد بن زياد الالهاني عن يزيد بن شريح عن كعب الاحبار قال لو تجلى لابن آدم كل سهل وحزن لرأى على كل شئ من ذلك شياطين لولا أن الله وكل بكم ملائكة يذبون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم اذا لتخطفتم حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا عمارة بن أبي حفصة عن أبي مجلز قال جاء رجل من

وهذا الاشكال وارد أيضا على من يثبت للعبد كسبا ثم ضرب مثلا آخر للحق وذويه والباطل ومنتحليه فقال (أنزل من السماء ماء فسالت أودية) أى مياهها والوادى الفضاء المنخفض عن الجبال والتلال الذى يجرى فيه السيل وقيل الوادى اسم للماء من ودى اذا سال والمعنى سالت مياه قال الفارسى لانعلم فاعلا جمع على أفعلة الا هذا وكأنه حمل على فعيل فجمع على أفعلة كجريب وأجربة كما أن فعيلا حمل على فاعل فجمع على أفعال مثل يتيم وأيتام وشريف وأشراف كأصحاب وأنصار فى صاحب وناصر وقال غيره نظير واد وأودية ناد وأندية ومعنى التنكير فى أودية أن المطر لا يأتى الا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض أودية الارض دون بعض قال فى الكشاف معنى بقدرها بمقدارها الذى عرف الله أنه نافع للممطور عليهم بدليل قوله (وأما ماينفع الناس) وقال الواحدى معناه سالت مياه الاودية بقدر الأودية فان صغر الوادى قل الماء وان اتسع كثر الماء والزبد هو الابيض المرتفع المنتفخ على وجه السيل ونحوه ومعنى رابيا قال الزجاج طافيا فوق الماء وقال غيره زائدا بسبب انتفاخه من ربا يربو اذا زاد ثم قال سبحانه اظهارا للكبرياء كما هو دين الملوك (ومما يوقدون عليه) من لابتداء الغاية أى ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماء أو للتبعيض بمعنى بعضه زبد مثله أراد به الاجسام المتطرقة المتفرقة الذائبة والايقاد على الشئ قسمان أحدهما أن لايكون ذلك الشئ فى النار كالآجر فى قوله أوقد لى ياهامان على الطين والثانى أن يكون فى النار كأنواع الفلز ولهذا قال ههنا بزيادة لفظة (فى النار) قال فى الكشاف فائدة قوله ابتغاء حلية أو متاع مثل فائدة قوله بقدرها لانه جمع بين الماء والفلز فى النفع فى قوله وأما ماينفع الناس أى وأما ماينفعهم به من الماء والفلز فذكر وجه الانتفاع بالفلز وهو اتخاذ الحلى من الذهب والفضة واتخاذ سائر أثاث البيت وأمتعته من الحديد والنحاس والرصاص والاسرب ومايتركب منها والمتاع كل ماتمتع به (كذلك يضرب الله الحق والباطل) أى يضرب الامثال

مرادالى على رضى الله عنه وهو يصلى فقال احترس فان ناسا من مراد يريدون قتلك فقال ان مع كل رجل ملكين يحفظانه ممالم يقدر فاذا جاء القدر خليا بينه وبينه وان الاجل جنة حصينة حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عبدالوهاب عن الحسن بن ذكوان عن أبى غالب عن أبى أمامة قال مامن آدمى الا ومعه ملك موكل يذود عنه حتى يسلمه للذى قدر له * وقال آخرون معنى ذلك يحفظون عليه من الله ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج يحفظونه من أمر الله قال يحفظون عليه من الله « قال أبو جعفر » يعنى ابن جريج بقوله يحفظون عليه الملائكة الموكلة بابن آدم بحفظ حسناته وسيآته وهى المعقبات عندنا تحفظ على ابن آدم حسناته وسيآته من أمر الله وعلى هذا القول يجب أن يكون معنى قوله من أمر الله أن الحفظة من أمر الله أو تحفظ بأمر الله ويجب أن تكون الهاء التى فى قوله يحفظونه وحدت وذكرت وهى مراد بها الحسنات والسيآت لانها كناية عن ذكر من الذى هو مستخف بالليل وسارب بالنهار وأن يكون المستخفى بالليل أقيم ذكره مقام الخبر عن سيآته وحسناته كما قيل واسئل القرية التى كنافيها والعير التى أقبلنا فيها * وكان عبد الرحمن بن زيد يقول فى ذلك خلاف هذه الاقوال كلها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار قال أتى عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عامر ماتجعل لى ان أنا اتبعتك قال أنت فارس أعطيك أعنة الخيل قال لا قال فما تبغى قال لى الشرق ولك الغرب قال لا قال فلى الوبر ولك المدر قال لا قال لأملأنها عليك اذا خيلا ورجالا قال يمنعك الله ذاك وأبناء قيلة يريد الاوس والخزرج قال فخرجا فقال عامر لأربد ان كان الرجل لنا لممكنا لو قتلناه ما انتطحت فيه عنزان ولرضوا بأن نعقلهم وأحبوا السلم وكرهوا الحرب اذا رأوا أمرا قد وقع فقال الآخر ان شئت فتشاورا وقال ارجع وأنا أشغله عنك بالمجادلة وكن وراءه فاضربه بالسيف ضربة واحدة فكانا كذلك واحد وراء النبى صلى الله عليه وسلم والآخر قال اقصص علينا قصصك قال مايقول قرآنك فجعل يجادله ويستبطئه حتى قال مالك أحشمت قال وضعت يدى على قائم سيفى فيبست فما قدرت على أن أحلى ولا أمر ولا أحركها قال فخرجا فلما كانا بالحرة سمع بذلك سعد بن معاذ وأسيد بن حضير فخرجا اليهما على كل واحد منهما لأمته ورمحه بيده وهو متقلد سيفه فقالا لعامر بن الطفيل يا أعور ياخبيث ياأملخ أنت الذى تشترط على رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أنك فى أمان من رسول الله صلى الله عليه وسلم مارمت المنزل حتى ضربت عنقك ولكن لاتستبقين وكان أشد الرجلين عليه أسيد بن الحضير فقال لو كان أبوه حيا لم يفعل بى هذا ثم قال لاربد أخرج أنت يا اربد الى ناحية عذبة وأخرج أنا الى نجد فنجمع الرجال فنلتقى عليه فخرج أربد حتى اذا كان بالرقم بعث الله سحابة من الصيف فيها صاعقة فأحرقته قال وخرج عامر حتى اذا كان بواد يقال له الجرير أرسل الله عليه الطاعون فجعل يصيح يا آل عامر أغدة كغدة البكر تقتلنى يا آل عامر أغدة كغدة البكر تقتلنى وموت أيضا فى بيت سلولية وهى امرأة من قيس فذلك قول الله سواء منكم من أسر القول ومن جهر به فقرأ حتى بلغ يحفظونه تلك المعقبات من أمر الله هذا مقدم ومؤخر لرسول الله صلى الله عليه وسلم معقبات يحفظونه من بين

يديه

يديه ومن خلفه تلك المعقبات من أمر الله وقال لهذين ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فقرأ حتى بلغ ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء الآية فقرأ حتى بلغ وما دعاء الكافرين الا في ضلال قال وقال لبيد في أخيه أربد وهو يبكيه

أخشى على أربد الحتوف ولا * أرهب نوء السماك والأسد

فجعني الرعد والصواعق بالـ * ـفارس يوم الكريهة النجد

قال أبو جعفر وهذا القول الذي قاله ابن زيد في تأويل هذه الآية قول بعيد من تأويل الآية مع خلافه أقوال من ذكرنا قوله من أهل التأويل وذلك أنه جعل الهاء في قوله له معقبات من ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجر له في الآية التي قبلها ولا في التي قبل الأخرى ذكر الا أن يكون أراد أن يردها على قوله انما أنت منذر ولكل قوم هاد له معقبات فان كان أراد ذلك فذلك بعيد لما بينهما من الآيات بغير ذكر الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا كان ذلك كذلك فكونها عائدة على من التي في قوله ومن هو مستخف بالليل أقرب لأنه قبلها والخبر بعدها عنه فاذا كان ذلك كذلك فتأويل الكلام سواء منكم أيها الناس من أسر القول ومن جهر به عند ربكم ومن هو مستخف بفسقه وريبته في ظلمة الليل وسارب يذهب ويجيء في ضوء النهار ممتنعا بجنده وحرسه الذين يتعقبونه من أهل طاعة الله أن يحولوا بينه وبين ما يأتي من ذلك وأن يقيموا حد الله عليه وذلك قوله يحفظونه من أمر الله وقوله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم يقول تعالى ذكره ان الله لا يغير ما بقوم من عافية ونعمة فيزيل ذلك عنهم ويهلكهم حتى يغيروا ما بأنفسهم من ذلك بظلم بعضهم بعضا واعتداء بعضهم على بعض فتحل بهم حينئذ عقوبته وتغييره وقوله واذا أراد الله بقوم سوأ فلا مرد له يقول واذا أراد الله بهؤلاء الذين يستخفون بالليل ويسربون بالنهار لهم جند ومنعة من بين أيديهم ومن خلفهم يحفظونهم من أمر الله هلاكا وخزيا في عاجل الدنيا فلا مرد له يقول فلا يقدر على رد ذلك عنهم أحد غير الله يقول تعالى ذكره ومالهم من دونه من وال يقول وما لهؤلاء القوم والهاء والميم في لهم من ذكر القوم الذين في قوله واذا أراد الله بقوم سوأ من دون الله من وال يعني من وال يليهم ويلي أمرهم وعقوبتهم وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول السوء الهلكة ويقول كل جذام وبرص وعمى وبلاء عظيم فهو سوء مضموم الأول واذا فتح أوله فهو مصدر سؤت ومنه قولهم رجل سوء واختلف أهل العربية في معنى قوله ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار فقال بعض نحويي أهل البصرة معنى قوله ومن هو مستخف بالليل ومن هو ظاهر بالليل من قولهم أخفيت الشيء اذا أظهرته وكما قال امرؤ القيس

فان تكتموا الداء لا نخفه * وان تبعثوا الحرب لا نقعد

وقال وقد قرئ أكاد أخفيها بمعنى أظهرها وقال في قوله وسارب بالنهار السارب هو المتواري كأنه وجهه الى أنه صار في السرب بالنهار مستخفيا وقال بعض نحويي البصرة والكوفة انما معنى ذلك ومن هو مستخف أي مستتر بالليل من الاستخفاء وسارب بالنهار وذاهب بالنهار من قولهم سربت الابل الى الرعي وذلك ذهابها الى المراعي وخروجها اليها وقيل ان السروب بالعشي والسروح بالغداة واختلفوا أيضا في تأنيث معقبات وهي صفة لغير الاناث فقال بعض نحويي البصرة انما أنثت لكثرة

للحق والباطل ومثله في آخر الآية فاختصر الكلام بأن حذف الأمثال من الأول والحق والباطل من الثاني تأكيد المقصود مع رعاية الاختصار ثم شرع في تتميم المثل قائلا (فأما الزبد فيذهب جفاء) نصب على الحال وهو اسم لما ينفيه السيل يقال جفأ الوادي بالهمزة جفأ اذا رمى بالقذر والزبد وكذلك القدر اذا رمت بزبدها عند الغليان (وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) حاصل المثل أن الوادي اذا جرى طفا عليه زبد وذلك الزبد يبطل ويبقى الماء النافع في العيون والآبار والأنهار وكذا الأجساد المتطرقة اذا أذيبت لأجل اتخاذ الحلي أو سائر الأمتعة انفصل عنها خبث وزبد فيبطل ويتلاشى ويبقى ذلك الجوهر المنتفع به أزمنة متطاولة وتطبيق المثل على الحق والباطل أنه سبحانه أنزل من سماء الوحي ماء بيان القرآن فسالت أودية القلوب بقدرها فان كل قلب انما يحصل فيه من أنوار علم القرآن ما يليق بذلك القلب على قدر استعداده ثم انه يختلط بذلك البيان شكوك وشبهات ولكنها بالآخرة تضمحل ويبقى العلم واليقين فزبد السيل والفلز مثل الباطل في سرعة اضمحلاله وانسلاخه من المنفعة والماء والفلز الصافي مثل للحق في البقاء والانتفاع به ثم ذكر أحوال السعداء وتبعات الأشقياء فقال (للذين استجابوا لربهم) أي فيما دعاهم اليه من التوحيد والنبوة والتكاليف (الحسنى) أي المثوبة الحسنى وهي الجنة (والذين لم يستجيبوا له) مبتدأ خبره الجملة الشرطية بعده وقيل ان الكلام متصل بما قبله أي يضرب الله الأمثال للفريقين وقوله الحسنى صفة لمصدر استجابوا أي الاستجابة الحسنى وقوله (لو أن لهم) كلام مبتدأ في ذكر ما أعد لغير المستجيبين ومن ذلك قوله (أولئك لهم سوء الحساب) قال الزجاج لان كفرهم أحبط أعمالهم وقال غيره سوء الحساب المناقشة فيه وعن النخعي هو أن يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر منه شيء وقال الحكماء هو ظهور آثار الملكات الردية والهيئات الذميمة على النفس ولم يكن قبل ذلك له شعور بها لاشتغاله بعالم الحس (ومأواهم جهنم) لانهم أقبلوا على الدنيا وأعرضوا عن المولى فلا جرم اذا ماتوا فارقوا معشوقهم فأورثهم

ذلك منه اتحو نسابة وعلامة ثم ذكر لأن المعنى مذكر فقال يحفظونه وقال بعض نحويي الكوفة انما هي ملائكة معقبة ثم جمعت معقبات فهو جمع جمع ثم قيل يحفظونه لانه للملائكة وقد تقدم قولنا في معنى المستخفي بالليل والسارب بالنهار وأما الذي ذكرناه عن نحويي البصريين في ذلك فقول وان كان له في كلام العرب وجه خلاف لقول أهل التأويل وحسبه من الدلالة على فساده خروجه عن قول جميعهم وأما المعقبات فان التعقيب في كلام العرب العود بعد البدء والرجوع الى الشيء بعد الانصراف عنه من قول الله تعالى ولى مدبرا ولم يعقب أي لم يرجع وكما قال سلامة بن جندل

وكرّنا الخيل في آثارها رجعا ✲ كس السنابك من بدء وتعقيب

يعني في غزو ثان عقبوا وكما قال طرفة

ولقد كنت عليكم عاتبا ✲ فعقبتم بذنوب غير مر

يعني بقوله عقبتم رجعتم وأتاها التأنيث عندنا وهي من صفة الحرس الذين يحرسون المستخفي بالليل والسارب بالنهار لانه عني بها حرس معقبة ثم جمعت المعقبة فقيل معقبات فذلك جمع جمع المعقب والمعقب واحد المعقبة كما قال لبيد

حتى تهجر في الرواح وهاجه ✲ طلب المعقب حقه المظلوم

والمعقبات جمعها ثم قال يحفظونه فرد الخبر الى تذكير الحرس والجند وأما قوله يحفظونه من أمر الله فان أهل العربية اختلفوا في معناه فقال بعض نحويي الكوفة معناه له معقبات من أمر الله يحفظونه وليس (١) من أمره انما هو تقديم وتأخير قال ويكون يحفظونه ذلك الحفظ من أمر الله وباذنه كما تقول للرجل أجيتك من دعائك اياي وبدعائك اياي وقال بعض نحويي البصريين معنى ذلك يحفظونه عن أمر الله كما قالوا أطعمني من جوع وعن جوع وكساني عن عري ومن عري وقد دللنا فيما مضى على أن أولى القول بتأويل ذلك أن يكون قوله يحفظونه من أمر الله من صفة حرس هذا المستخفي بالليل وهي تحرسه ظنا منها أنها تدفع عنه أمر الله فأخبر تعالى ذكره أن حرسه ذلك لا يغني عنه شيأ اذا جاء أمره فقال واذا أراد الله بقوم سوأ فلا مرد له وما لهم من دونه من وال

القول في تأويل قوله تعالى ﴿هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال﴾ يقول تعالى ذكره هو الذي يريكم البرق يعني أن الرب هو الذي يري عباده البرق وقوله هو كناية اسمه جل ثناؤه وقد بينا معنى البرق فيما مضى وذكرنا اختلاف أهل التأويل فيه بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وقوله خوفا يقول خوفا للمسافر من أذاه وذلك أن البرق الماء في هذا الموضع كما حدثني المثنى قال ثنا حجاج قال ثنا حماد قال أخبرنا موسى بن سالم أبو جهضم مولى ابن عباس قال كتب ابن عباس الى أبي الجلد يسأله عن البرق فقال البرق الماء وقوله وطمعا يقول وطمعا للمقيم أن يمطر فينتفع كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا يقول خوفا للمسافر في أسفاره يخاف أذاه ومشقته وطمعا للمقيم يرجو بركته ومنفعته ويطمع في رزق الله حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة

(١) أي وليس يحفظونه من أمره فتنبه

الحرمان والخسران والاحتراق بنار الفراق ثم أنكر بعد هذه البيانات أن يسوى بين الناقد والبصير والجاهل الضرير فقال (أفمن يعلم أنما) أي ان الذي (أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى) القلب (انما يتذكر) أي لا ينتفع بالامثال الا (أولوا الالباب) الذين يعبرون من القشر الى اللباب ثم وصفهم بقوله (الذين يوفون بعهد الله) ويجوز أن يكون نصبا على المدح وأن يكون مبتدأ خبره أولئك أما عهد الله فعن ابن عباس هو المذكور في قوله واذ أخذ ربك من بني آدم وقيل هو كل ما قام عليه دليل عقلي أو سمعي من الافعال والتروك ولا عهد أوكد من الحجة بدليل أن من حلف على الشيء فانما يلزمه الوفاء به اذا ثبت بالدليل جوازه (ولا ينقضون الميثاق) تأكيد للوفاء بالعهد بعبارة أخرى تلزم الاولى كقولك لما وجب وجوده لزم أن يمتنع عدمه وقيل الوفاء بعهد الله اشارة الى ما كلف الله العبد به ابتداء وعدم نقض الميثاق أراد به ما التزمه العبد بالنذر وقيل الوفاء بالعهد عهد الربوبية والعبودية والميثاق أعم لشموله كل ما وثقوه على أنفسهم وقبلوه من الايمان بالله ومن سائر المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد والوفاء بالعهد أمر مستحسن في العقول والشرائع كلها قال صلى الله عليه وسلم من عاهد الله فغدر كانت فيه خصلة من النفاق (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) افراد لما بينه وبين العباد بالذكر فقيل المراد صلة الرحم وقيل هو موازرة النبي صلى الله عليه وسلم ومعاونته ونصرته في الجهاد وقيل رعاية جميع حقوق الناس بالشفقة عليهم والنصيحة لهم في كل حال وكل حين ومن ذلك عيادة المريض وشهود الجنائز ومراعاة الرفقاء والجيران والخدم ومن يطيف به حتى الهرة والدجاجة (ويخشون ربهم) خوفا وان أتوا بكل ما قدروا عليه في باب التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله خوفا من وعيده كله (ويخافون) خصوصا (سوء الحساب) ويلزم ذلك أن يحاسبوا أنفسهم قبل أن يحاسبوا وقيل الخشية نوعان خشية الجلال كالعبد اذا حضر بين يدي السلطان ومن

خوفا وطمعا خوفا للمسافر وطمعا للمقيم وقوله وينشئ السحاب الثقال ويثير السحاب الثقال بالمطر ويبدئه يقال منه أنشأ الله السحاب اذا أبدأه ونشأ السحاب اذا بدأ ينشأ نشأ والسحاب في هذا الموضع وان كان في لفظ واحد فانها جمع واحدتها سحابة ولذلك قال الثقال فنعتها بنعت الجمع ولو كان جاء السحاب الثقيل كان جائزا وكان توحيدا للفظ السحاب كما قيل جعل لكم من الشجر الاخضر نارا وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وينشئ السحاب الثقال قال الذي فيه الماء حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وينشئ السحاب الثقال قال الذي فيه الماء وقوله ويسبح الرعد بحمده قال أبو جعفر وقد بينا معنى الرعد فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا سمع صوت الرعد قال كما حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا كثير بن هشام قال ثنا جعفر قال بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا سمع صوت الرعد الشديد قال اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن أبيه عن رجل عن أبي هريرة رفع الحديث أنه كان اذا سمع الرعد قال سبحان من يسبح الرعد بحمده حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا مسعدة بن اليسع الباهلي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي رضي الله عنه كان اذا سمع صوت الرعد قال سبحان من سبحت له * قال ثنا اسمعيل بن علية عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس أنه كان اذا سمع الرعد قال سبحان الذي سبحت له حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا يعلى بن الحرث قال سمعت أبا صخرة يحدث عن الاسود بن يزيد أنه كان اذا سمع الرعد قال سبحان من سبحت له أو سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته * قال ثنا أبو أحمد قال ثنا ابن علية عن ابن طاوس عن أبيه وعبد الكريم عن طاوس أنه كان اذا سمع الرعد قال سبحان من سبحت له حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ميسرة عن الأوزاعي قال كان ابن أبي زكريا يقول من قال حين يسمع الرعد سبحان الله وبحمده لم تصبه صاعقة ومعنى قوله ويسبح الرعد بحمده ويعظم الله الرعد ويمجده فيثني عليه بصفاته وينزهه مما أضاف اليه أهل الشرك به ومما وصفوه به من اتخاذ الصاحبة والولد تعالى ربنا وتقدس وقوله من خيفته يقول وتسبح الملائكة من خيفة الله ورهبته وأما قوله ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء فقد بينا معنى الصاعقة فيما مضى بما أغنى عن اعادته بما فيه الكفاية من الشواهد وذكرنا ما فيها من الرواية وقد اختلف فيمن أنزلت هذه الآية فقال بعضهم نزلت في كافر من الكفار ذكر الله تعالى وتقدس بغير ما ينبغي ذكره به فأرسل عليه صاعقة أهلكته ذكر من قال ذلك حدثنا

ذلك خشية الملائكة يخافون ربهم من فوقهم والى هذا أشار بقوله ويخشون ربهم وخشية أن يقع في العبادة خلل او نقص يوجب فسادها أو نقصان ثوابها واليه الاشارة بقوله ويخافون سوء الحساب (والذين صبروا) عن المعاصي وعلى الطاعات وعلى المصائب (ابتغاء وجه ربهم) لا لأجل أن يقال ما أورعه وما أزهده وما أصبره وغير ذلك من الاغراض الفاسدة وانما يصبر على التكاليف لأنها أحكام المعبود الحق ويصبر على الرزايا لانها قسمة قسام متصرف في ملكه كيف يشاء أو لأنه مشغول بالمقدر والقاضي لا بالقدر والقضاء وقد يرضى العاشق بالضرب والايلام لالتذاذه بالنظر الى وجه معشوقه فهكذا العارف يصبر على البلايا والمحن لاستغراقه في بحر العرفان وفيضان أنوار المعروف عليه (وأقاموا الصلاة) ولا يمتنع دخول النوافل فيها لقوله مازال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى أحبته (وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) يتناول النفل لانه في السر أفضل والفرض لانه في الجهر أفضل كما مر في أواخر سورة البقرة (ويدرؤن بالحسنة السيئة) أي يدفعون بالتوبة وهي الخصلة الحسنة المعصية قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل اذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها وقيل لا يقابلون الشر بالشر وانما يقابلونه بالخير كما روي عن الحسن اذا حرموا أعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وعن ابن عباس يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيئ غيرهم يروى أن شقيق بن ابراهيم البلخي دخل على عبد الله بن المبارك متنكرا فقال من أين أتيت قال من بلخ فقال وهل تعرف شقيقا فقال نعم فقال كيف طريقة أصحابه فقال اذا منعوا صبروا واذا أعطوا شكروا فقال عبد الله هكذا طريقة كلابنا وانما الكاملون الذين اذا منعوا شكروا واذا أعطوا آثروا وقيل مراد الآية أنهم اذا رأوا منكرا أمروا بتغييره (أولئك لهم عقبى الدار) عاقبة الدنيا وهي الجنة التي أرادها الله تعالى أن تكون مرجع أهلها والعقبى مصدر كالعاقبة ومثله البشرى والقربى ويجوز أن يكون

مضافا الى الفاعل والمعنى أولئك لهم أن يعقب أعمالهم الدار التي هي الجنة ومعنى (جنات عدن) تقدم في سورة براءة (ومن صلح) معطوف على فاعل يدخلونها و يجوز أن يكون مفعولا معه قال ابن عباس يريد من صدق بما صدقوا به وان لم يعمل مثل أعمالهم وقال الزجاج بين أن الانساب لا تنفع اذا لم يحصل معها

أعمال صالحة قال الواحدي والأول أصح لأن الله تعالى جعل من ثواب المطيع سروره بحضور أهله معه في الجنة فلو دخلوها بأعمالهم الصالحة لم يكن في ذلك كرامة للمطيع و يمكن أن يوجه قول الزجاج بأن المقصود بشارة المؤمن بأن أهل الصلاح من أصوله وفصوله وأزواجه يجتمعون به في دار الثواب فقد يمكن أن يكونوا جميعا في الجنة ولا يجتمعون في موضع ولقائل أن يقول الدخول أعم من الاجتماع ولا دلالة للعام على الخاص فصح اعتراض الواحدي والآباء جمع أبوي كل واحد منهم فكأنه قيل من آبائهم وأمهاتهم وليس في الآية ما يدل على التمييز بين زوجة وزوجة ولعل الاولى من مات عنها أو ماتت عنه ويؤيده ما روي عن سودة أنه لما هم رسول الله صلى الله عليه وسلم بطلاقها قالت دعني يا رسول الله أحشر في زمرة نسائك قال ابن عباس لهم خيمة من درة مجوفة طولها فرسخ وعرضها فرسخ لها أبواب مصاريعها من ذهب يدخل عليهم الملائكة من كل باب يقولون لهم سلام عليكم بما صبرتم على أمر الله وقال أبو بكر الاصم من كل باب من أبواب البر كباب الصلاة وباب الزكاة وباب الصبر ويقولون نعم ما أعقبكم الله بعد الدار الاولى وهذا يناسب قول حكماء الاسلام ان لكل مرتبة من مراتب الكمالات جوهرا قدسيا وروحا عاليا يختص بتلك الصفة فبعد المفارقة يفيض على النفس الكاملة من ملك الصبر كمال مخصوص ومن ملك الشكر كذلك وعلى هذا القياس وقد يستدل بالآية على أن الملك أفضل من البشر والا فلم يكن دخولهم على المؤمنين موجبا لتعظيمهم واكرامهم ويمكن أن يجاب بأن وجه التكريم هو مجيئهم باذن الله ومن عنده لا بمجرد المجيء والباء في قوله بما صبرتم يتعلق بالسلام والمعنى انما حصلت لكم هذه السلامة بواسطة صبركم على الطاعات

الحسن بن محمد قال ثنا عفان قال ثنا أبان بن يزيد قال ثنا أبو عمران الجوني عن عبد الرحمن بن صحار العبدي أنه بلغه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم بعث الى جبار يدعوه فقال أرأيتم ربكم أذهب هو أم فضة هو أم لؤلؤ هو قال فبينما هو يجادلهم اذ بعث الله سحابة فرعدت فأرسل الله عليه صاعقة فذهبت بقحف رأسه فأنزل الله هذه الآية ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال حدثني المثنى قال ثنا اسحق بن سليمن عن أبي بكر بن عياش عن ليث عن مجاهد قال جاء يهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أخبرني عن ربك من أي شيء هو من لؤلؤ أو من ياقوت فجاءت صاعقة فأخذته فأنزل الله ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا أبو بكر بن عياش عن ليث عن مجاهد مثله * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن هاشم قال ثنا سيف عن أبي روق عن أبي أيوب عن علي قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد حدثني من هذا الذي تدعو اليه أياقوت هو أذهب هو أم ما هو قال فنزلت على السائل الصاعقة فأحرقته فأنزل الله ويرسل الصواعق الآية حدثنا محمد بن مرزوق قال ثنا عبد الله بن عبد الوهاب قال ثني علي بن أبي سارة الشيباني قال ثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم مرة رجلا الى رجل من فراعنة العرب أن ادعه لي فقال يا رسول الله انه أعتى من ذلك قال اذهب اليه فادعه قال فأتاه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فقال من رسول الله وما الله أمن ذهب هو أم من فضة أم من نحاس قال فأتى الرجل النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال ارجع اليه فادعه قال فأتاه فأعاد عليه ورد عليه مثل الجواب الاول فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال ارجع اليه فادعه قال فرجع اليه فبينما هما يتراجعان الكلام بينهما اذ بعث الله سحابة بحيال رأسه فرعدت فوقعت منها صاعقة فذهبت بقحف رأسه فأنزل الله ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال * وقال آخرون نزلت في رجل من الكفار أنكر القرآن وكذب النبي صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن رجلا أنكر القرآن وكذب النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل الله عليه صاعقة فأهلكته فأنزل الله عز وجل فيه وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال * وقال آخرون نزلت في أربد أخي لبيد بن ربيعة وكان هم بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وعامر ابن الطفيل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال نزلت يعني قوله ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء في أربد أخي لبيد بن ربيعة لأنه قدم أربد وعامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر على النبي صلى الله عليه وسلم فقال عامر يا محمد أأسلم وأكون الخليفة من بعدك قال لا قال فأكون على أهل الوبر وأنت على أهل المدر قال لا قال فما ذاك قال أعطيك أعنة الخيل تقاتل عليها فانك رجل فارس قال أوليست أعنة الخيل بيدي أما والله لأملأنها عليك خيلا ورجالا من بني عامر قال لأربد إما أن تكفينيه

وأضربه

وأضربه بالسيف وأما أنا أكفيكه وتضربه بالسيف قال أربد (١) أكفيكه واضربه فقال ابن الطفيل يا محمد إن لي إليك حاجة قال ادن فلم يزل يدنو ويقول النبي صلى الله عليه وسلم ادن حتى وضع يديه على ركبتيه وحنى عليه واستل أربد السيف فاستل منه قليلا فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم بريقه تعوذ بآية كان يتعوذ بها فيبست يد أربد على السيف فبعث الله عليه صاعقة فأحرقته فذلك قول أخيه

أخشى على أربد الحتوف ولا * أرهب نوء السماك والأسد
فجعني البرق والصواعق بالـ * فارس يوم الكريهة النجد

وقد ذكرت قبل خبر عبد الرحمن بن زيد بنحو هذه القصة وقوله وهم يجادلون في الله يقول وهؤلاء الذين أصابهم الله بالصواعق أصابهم بها في حال خصومتهم في الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم وقوله وهو شديد المحال يقول تعالى ذكره والله شديدة مماحلته في عقوبة من طغى عليه وعتى وتمادى في كفره والمحال مصدر من قول القائل ماحلت فلانا فأنا أماحله مماحلة ومحالا وفعلت منه محلت أمحل محلا إذا عرض رجل رجلا لما يهلكه ومنه قوله وماحل مصدق ومنه قول أعشى بني ثعلبة

فرع نبع يهتز في غصن المجـ * ـد غزير الندى شديد المحال

هكذا كان ينشده معمر بن المثنى فيما حدثت عن علي بن المغيرة عنه وأما الرواة بعد فإنهم ينشدونه

فرع فرع يهتز في غصن المجـ * ـد كثير الندى عظيم المحال

وفسر ذلك معمر بن المثنى وزعم أنه عنى به العقوبة والمكر والنكال ومنه قول الآخر

ولبس بين أقوام فكل .. أعد له الشغازب والمحالا

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا إسحق قال ثنا عبد الله بن هاشم قال ثنا سيف عن أبي روق عن أبي أيوب عن علي رضي الله عنه وهو شديد المحال قال شديد الأخذ حدثنا أحمد بن إسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا إسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد وهو شديد المحال قال شديد القوة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وهو شديد المحال أي القوة والحيلة حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن شديد المحال يعني الهلاك قال إذا محل فهو شديد وقال قتادة شديد الحيلة حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا رجل عن عكرمة وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال قال المحال جدال أربد وهو شديد المحال قال ما أصاب أربد من الصاعقة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج وهو شديد المحال قال قال ابن عباس شديد الحول حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وهو شديد المحال قال شديد القوة المحال القوة والقول الذي ذكرناه عن قتادة في تأويل المحال أنه الحيلة والقول الذي ذكره ابن جريج عن ابن عباس يدلان على أنهما كانا يقرآن وهو شديد المحال بفتح الميم لأن الحيلة لا يأتي مصدرها محالا بكسر الميم ولكن قد يأتي على

(١) لعله أكفيكه كما يدل عليه بقية القصة فتنبه كتبه مصححه

وعن المحرمات وقيل يتعلق بمحذوف أى هذا الثواب بسبب صبركم أو ببذل صبركم وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يأتي قبور الشهداء على رأس كل حول فيقول سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ثم أتبع أحوال السعداء أحوال الأشقياء وقد مر تفسيره في أول البقرة على أن الضد قد يعلم من الضد بسهولة وقد مر آنفا وقوله (سوء الدار) في مقابلة عقبى الدار كأن العاقبة لا تطلق إلا على العاقبة المحمودة كقوله والعاقبة للمتقين لأن غير المحمودة لا تستأهل لأن تكون عاقبة وقال في الكشاف المراد سوء عاقبة الدنيا ولا حاجة إلى هذا الإضمار بناء على ما قلنا قال ويجوز أن يراد بالدار جهنم وبسوءها عذابها ذكر أهل النظم أنه لما بين سوء حال الناقصين كان لقائل أن يقول فما بالهم قد فتح الله عليهم أبواب الرزق في الدنيا فأجاب بقوله (الله يبسط الرزق) والمراد أن الدنيا دار امتحان لا دار جزاء فقد يتفق أن يكون الجاهل الكافر رخى البال والعالم المؤمن ردى الحال ولا تعلق لهذا المعنى بالكفر والإيمان والتركيب للحصر أى هو وحده يوسع الرزق على من يشاء كأهل مكة (ويقدر) أى يضيق ومعناه أنه يعطيه بقدر الضرورة وسد الرمق لا يفضل منه شئ (وفرحوا) يعني أهل مكة وأضرابهم بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر وأشر لا فرح تحدث بنعمة الله وإظهار لفضله عليهم (وما الحياة الدنيا) ونعيمها في جنب نعيم الآخرة (إلا متاع) شئ نزر يتمتع به أياما قلائل ثم يعقب ذلك حسرات لا نهاية لها ومثل هذا لا يوجب الفرح بل لا يجوزه ثم حكى نوعا آخر من قبائح الكفرة فقال (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه) وقد مر مثله في هذه السورة وذكرنا أنه ليس بتكرار محض إلا أن قوله في جوابهم (قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب) أقبل على الحق وحقيقته دخل في نوبة الخير فيه غموض وأجيب بأنه يجرى مجرى التعجب كأنه قيل ما أعظم عنادكم بعد ما أنزلت من الآيات الباهرة أن الإضلال والهداية من الله أو المراد لا تشتغلوا بطلب الآيات ولكن تضرعوا إلى الله في طلب الهدايات فإن الذي أضله الله يرى الآية سحرا والذي هداه يراها معجزة وقال الجبائي المعنى أن الله يضل من يشاء عن

تقدير المفعلة منها فيكون محالة ومن ذلك قولهم المرء يعجز لا محالة والمحالة في هذا الموضع المفعلة من الحيلة فأما بكسر الميم فلا تكون الا مصدرا من ماحلت فلانا أماحله محالا والمماحلة بعيدة المعنى من الحيلة ولا أعلم أحدا قرأه بفتح الميم فاذا كان ذلك كذلك فالذي هو أولى بتأويل ذلك ما قلنا من القول ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال﴾ يقول تعالى ذكره لله من خلقه الدعوة الحق والدعوة هي الحق كما أضيفت الدار الى الآخرة في قوله ولدار الآخرة وقد بينا ذلك فيما مضى وانما عني بالدعوة الحق توحيد الله وشهادة أن لا اله الا الله وبنحو الذي قلنا تأوله أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس دعوة الحق قال لا اله الا الله حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله له دعوة الحق قال شهادة أن لا اله الا الله * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن هاشم قال ثنا سيف عن أبي روق عن أبي أيوب عن علي رضي الله عنه له دعوة الحق قال التوحيد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله له دعوة الحق قال لا اله الا الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس في قوله له دعوة الحق قال لا اله الا الله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله له دعوة الحق لا اله الا الله ليست تنبغي لأحد غيره لا ينبغي أن يقال فلان اله بني فلان وقوله والذين يدعون من دونه يقول تعالى ذكره والآلهة التي يدعونها المشركون أربابا وآلهة وقوله من دونه يقول من دون الله وانما عني بقوله من دونه الآلهة أنها مقصرة عنه وأنها لا تكون الها ولا يجوز أن يكون الها الا الله الواحد القهار ومنه قول الشاعر

أتوعدني وراء بني رياح * كذبت لتقصرن يداك دوني

يعني لتقصرن يداك عني وقوله لا يستجيبون لهم بشيء يقول لا تجيب هذه الآلهة التي يدعوها هؤلاء المشركون آلهة بشيء يريدونه من نفع أو دفع ضر الا كباسط كفيه الى الماء يقول لا ينفع داعي الآلهة دعاؤه اياها الا كما ينفع باسط كفيه الى الماء بسطه اياهما اليه من غير أن يرفعه اليه في اناء ولكن ليرتفع اليه بدعائه اياه واشارته اليه وقبضه عليه والعرب تضرب لمن سعى فيما لا يدركه مثلا بالقابض على الماء قال بعضهم

فاني واياكم وشوقا اليكم * كقابض ماء لم تسقه أنامله

يعني بذلك أنه ليس في يده من ذلك الا كما في يد القابض على الماء لأن القابض على الماء لا شيء في يده وقال آخر

فأصبحت مما كان بيني وبينها * من الود مثل القابض الماء باليد

* وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا سيف عن أبي روق عن أبي أيوب عن علي رضي الله عنه في قوله الا كباسط

طريق الصواب ويهدي اليه أقواما آخرين فلولا أنكم تستحقون العقاب لهداكم الى الصواب بانزال ما اقترحتموه وقيل المراد أنه تعالى أنزل آيات ظاهرة ولكن الاضلال والهداية من الله فلو شاء لهداكم فلا فائدة في تكثير المعجزات (الذين آمنوا) بدل ممن أناب (وتطمئن قلوبهم) عن ابن عباس يريد اذا سمعوا القرآن خشعت قلوبهم واطمأنت والاطمئنان بآيات الوعد لا ينافي الوجل من آيات الوعيد حيث قال اذا ذكر الله وجلت قلوبهم أو المراد أن علمهم بكون القرآن معجزا يوجب حصول الطمأنينة لهم بأنه سبحانه واحد لا شريك له صادق في وعده ووعيده وبأن محمدا نبي حق (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) التحقيق فيه أن الانسان متوسط الرتبة بين عالم الارواح وعالم الاجساد فاذا توجه الى عالم الجسد اشتاق الى التصرف فيه فيظهر له هنالك أمور ضرورية في التعيش أدونها ليس بأهون من خرط القتاد فيتوزع فكره وتضطرب أحواله أما اذا توجه الى عالم الروح فانه يزول الاضطراب ويتوحد المطلب ويحصل الاستغراق في بحر العرفان والاستنارة بنور الايقان ومن وقع في لجة البحر لا يبالي أين وقع شعر

* أنا الغريق فما خوفي من البلل *

وقيل ان الاكسير اذا وقعت منه ذرة على النحاس انقلب ذهبا صافيا باقيا على كر الدهور فاكسير جلال الله اذا وقع في القلب السليم كيف لا يقلبه جوهرا صافيا نورانيا آمنا من التغير والزوال (الذين آمنوا) مبتدأ خبره (طوبى لهم) وجوز في الكشاف أن يكون بدلا على حذف المضاف أي قلوب الذين آمنوا وطوبى مصدر من طاب يطيب كبشرى وواوه منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها واللام للبيان مثل سقيا لك والمعنى طيب لهم على الدعاء أو الخبر عن ابن عباس فرح وقرة عين الضحاك غبطة كنيه لهم قتادة حسنى لهم الاصم خير وكرامة الزجاج عيش طيب والكل متقارب والعبارة الجامعة ان أطيب الاشياء في كل الامور حاصل لهم وقيل طوبى شجرة في الجنة حكى الاصم أن أصلها في دار النبي صلى الله عليه وسلم وفي دار كل مؤمن منها غصن روى عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم أنه قال طوبى شجرة غرسها الله بيده تنبت الحلي والحلل وان أغصانها لترى من وراء سور الجنة وعن بعضهم أن طوبى هي الجنة بالحبشية والمآب المرجع ** التأويل بل هو الذي يريكم برق أنوار الجلال فيغلب عليكم خوف الانقطاع واليأس ويريكم برق أضواء الجمال فيغلب عليكم طمع الوصل ورجاء الاستئناس وينشئ

السحاب النوال والافضال الثقال

بكفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه قال كالرجل العطشان يمد يده الى البئر ليرتفع الماء اليه وما هو ببالغه حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله كباسط كفيه الى الماء يدعو الماء بلسانه ويشير اليه بيده ولا يأتيه أبدا * قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال أخبرني الاعرج عن مجاهد ليبلغ فاه يدعوه ليأتيه وما هو بآتيه كذلك لا يستجيب من هو دونه حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد كباسط كفيه الى الماء يدعو الماء بلسانه ويشير اليه بيده فلا يأتيه أبدا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد * قال و ثنا اسحق قال ثنا عبد الله قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثل حديث الحسن عن حجاج قال ابن جريج وقال الاعرج عن مجاهد ليبلغ فاه قال يدعوه لأن يأتيه وما هو بآتيه فكذلك لا يستجيب من هو دونه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وليس ببالغه حتى يتمزع عنقه ويهلك عطشا قال الله تعالى وما دعاء الكافرين الا في ضلال هذا مثل ضربه الله أي هذا الذي يدعو من دون الله هذا الوثن وهذا الحجر لا يستجيب له بشيء أبدا ولا يسوق اليه خيرا ولا يدفع عنه سوأ حتى يأتيه الموت كمثل هذا الذي بسط ذراعيه الى الماء ليبلغ فاه ولا يبلغ فاه ولا يصل اليه ذلك حتى يموت عطشا * وقال آخرون معنى ذلك والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليتناول خياله فيه وما هو ببالغ ذلك * ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه فقال هذا مثل المشرك مع الله غيره فمثله كمثل الرجل العطشان الذي ينظر الى خياله في الماء من بعيد فهو يريد أن يتناوله ولا يقدر عليه * وقال آخرون في ذلك ما حدثني به محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الى وما دعاء الكافرين الا في ضلال يقول مثل الأوثان الذين يعبدون من دون الله كمثل رجل قد بلغه العطش حتى كربه الموت وكفاه في الماء قد وضعهما لا يبلغان فاه يقول الله لا تستجيب الآلهة ولا تنفع الذين يعبدونها حتى يبلغ كفاه فاه وما هما ببالغتين فاه أبدا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه قال لا ينفعونهم بشيء الا كما ينفع هذا بكفيه يعني بسطهما الى ما لا يناله أبدا * وقال آخرون في ذلك ما حدثنا به محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وليس الماء ببالغ فاه ما قام باسطا كفيه لا يقبضهما وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال قال هذا مثل ضربه الله لمن اتخذ من دون الله الها أنه غير نافعه ولا يدفع عنه سوأ حتى يموت على ذلك وقوله وما دعاء الكافرين الا في ضلال يقول وما دعاء من كفر بالله ما يدعو من الأوثان والآلهة الا في ضلال يقول الا في غير استقامة ولا هدى لانه يشرك

بمطر القبول والاقبال ويسبح الرعد وهو الملك المخلوق من نور الهيبة والجلال فتقع الهيبة في قلوب الخلق كلهم حتى الملائكة فيسبحون من خيفته ويرسل صواعق القهر فيصيب بها من يشاء من أهل الخذلان فيحرق حسن استعدادهم في قبول الايمان ومن نتائج ذلك أنهم يجادلون في ذات الله وفي صفاته كالفلاسفة الذين لا يتابعون الانبياء والشرائع وبعض المتكلمين من أهل الاهواء والبدع له دعوة الحق أي دعوته حق لمن دعاه فيستجيبه كما قالت السموات والارض أتينا طائعين وأيضا له دعاة يدعون الخلق بالحق الى الحق والذين يدعون من دونه أي بغير الحق لا يستجيبون لهم بشيء اذ لا يؤثر في الخلق نصحهم كمن يبسط يده الى الماء اراءة الى الحق أنه يريد شربه وما هو ببالغه فلا يستجابون على الحقيقة وان استجيبوا في الظاهر لأنهم استجابوا لهم على الهوى كما دعوا الى الحق بالهوى يدل عليه قوله وما دعاء الكافرين الا في ضلال ولله يسجد من في السموات والارض من الملائكة وأرواح الانبياء والاولياء والصلحاء طوعا ومن أرواح الكافرين والمنافقين والشياطين كرها بالتذليل والتسخير تحت الاحكام والتقدير وظلالهم أي نفوسهم فان النفوس ظلال الارواح وليس السجود من شأنها لانها أمارة بالسوء الا ما رحم الرب فانها تسجد بتبعية الروح معنى آخر ولله يسجد من في سموات القلوب من صفات القلوب والارواح والعقول طوعا ومن في أرض النفوس من صفات النفس والقوى الحيوانية والسبعية والشيطانية كرها وظلالهم وهي آثارها ونتائجها * آخر ولله يسجد الارواح في الحقيقة وظلالهم وهي

أجسادهم بالتبعية وهذا السجود بمعنى وضع الجبهة وخص الوقتان بالذكر لان آثار القدرة فيهما أكثر وان أريد الانقياد والتسخير احتمل أن يراد بالوقتين وقتا الانتباه والنوم ففي الاول تطلع شمس الروح من أفق الجسد وفي الثاني تغرب فيه أنزل من سماء القلوب ماء المحبة فسالت أودية النفوس فاحتمل

السيل زبدا رابيا من الاخلاق الذميمة النفسانية والحيوانية أو أنزل

بالله القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال﴾ يقول تعالى ذكره فان امتنع هؤلاء الذين يدعون من دون الله الاوثان والاصنام لله شركاء من افراد الطاعة والاخلاص بالعبادة له فلله يسجد من في السموات من الملائكة الكرام ومن في الارض من المؤمنين به طوعا فأما الكافرون به فانهم يسجدون له كرها حين يكرهون على السجود كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها فأما المؤمن فيسجد طائعا وأما الكافر فيسجد كارها حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن سفيان قال كان ربيع بن خثيم اذا تلا هذه الآية ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها قال بلى يارباه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها قال من دخل طائعا هذا طوعا وكرها من لم يدخل الا بالسيف وقوله وظلالهم بالغدو والآصال يقول ويسجد أيضا ظلال كل من سجد لله طوعا وكرها بالغدوات والعشايا وذلك أن ظل كل شخص فانه يفيء بالعشي كما قال جل ثناؤه أولم يروا الى ما خلق الله من شئ يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وظلالهم بالغدو والآصال يعني حين يفيء ظل أحدهم عن يمينه أو شماله حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن سفيان قال في تفسير مجاهد ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال قال ظل المؤمن يسجد طوعا وهو طائع وظل الكافر يسجد(١) طوعا وهو كاره حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وظلالهم بالغدو والآصال قال ذكر أن ظلال الاشياء كلها تسجد له وقرأ سجدا لله وهم داخرون قال تلك الظلال تسجد لله والآصال جمع أصل والاصل جمع أصيل والاصيل هو العشي وهو ما بين العصر الى مغرب الشمس قال أبو ذؤيب

لعمري لأنت البيت أكرم أهله * وأقعد في أفيائه بالأصائل

القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل من رب السموات والارض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله من رب السموات والارض ومدبرها فانهم سيقولون الله وأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول الله فقال له قل يا محمد ربها الذي خلقها وأنشأها هو الذي لا تصلح العبادة الا له وهو الله ثم قال فاذا أجابوك بذلك فقل لهم أفاتخذتم من دون رب السموات والارض أولياء لا تملك لانفسها نفعا تجلبه الى نفسها ولا ضرا تدفعه عنها وهي اذ لم تملك ذلك لانفسها فمن ملكه لغيرها أبعد فعبدتموها وتركتم عبادة من بيده النفع والضر والحياة والموت وتدبير الاشياء كلها ثم ضرب لهم جل ثناؤه مثلا فقال قل هل يستوي الاعمى والبصير القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل هل يستوي الاعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه

(١) الذي في الدر المنثور عن مجاهد يسجد كرها وهو كاره فليحرر كتبه مصححه

من سماء الارواح ماء مشاهدة أنوار الجمال فسالت أودية القلوب فاحتمل السيل زبدا رابيا من الاوصاف البشرية أو أنزل من سماء الاسرار ماء كشوف الجمال فسالت أودية الارواح فاحتمل السيل زبدا رابيا من أنانية الروحانية أو أنزل من سماء الجبروت ماء تجلي صفات الالوهية فسالت أودية الاسرار بقدرها فاحتمل السيل زبد الوجود المجازي ومما توقدون عليه من البقاء في نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة فلا تبقي ولا تذر وهي التذكية بالفناء ابتغاء حلية وهي التحلية بالبقاء الحقيقي أو متاع وهو التمتع به زبد مثله مثل زبد البشرية وهو زبد المعرفة والتوحيد فأما الزبد في الاحوال كلها فيذهب جفاء بالفناء وأما ما ينفع الناس من البقاء بالله فيمكث في أرض الوحدة المستعدة لقبول الفيض الالهي للذين استجابوا لربهم الحسنى وهي العناية الازلية التي الاستجابة من نتائجها كقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى والذين لم يستجيبوا له حين دعاهم للوصول والوصال لو حصل لهم ما في أرض البشرية من أنواع اللذات والحظوظ وأضعافها لجعلوه فداء ألم عذاب القطيعة وأنفقوا مما رزقناهم أي انفصلوا عما سواه ليتصلوا به سرا بالانقطاع عما يشغل بواطنهم وعلانية بالانفصال عما يشغل ظواهرهم ويدرؤن بالاعمال والاحوال الحسنة في صدق الطلب الاحوال السيئة

الخلق

من الوقائع والفترات والملائكة يدخلون عليهم تبركا وتيمنا بهم تبعا لهم من كل باب دخلوه بالاستقلال على اقدام السير بالله الى الله سلام عليكم بما صبرتم عن غير الله وعلى صدق الطلب ألا بذكر الله تطمئن القلوب القلوب أربعة قلب قاس كقلوب الكفار والمنافقين فاطمئنانه

الخلق عليهم قل الله خالق كل شئ وهو الواحد القهار﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين عبدوا من دون الله الذى بيده نفعهم وضرهم ما لا ينفع ولا يضر هل يستوى الاعمى الذى لا يبصر شيأ ولا يهتدى لمحجة يسلكها الا بأن يهدى والبصير الذى يهدى الاعمى لمحجة الطريق الذى لا يبصر انهما لا شك لغير مستويين يقول فكذلك لا يستوى المؤمن الذى يبصر الحق فيتبعه ويعرف الهدى فيسلكه وأنتم أيها المشركون الذين لا تعرفون حقا ولا تبصرون رشدا وقوله أم هل تستوى الظلمات والنور يقول تعالى ذكره وهل تستوى الظلمات التى لا ترى فيها المحجة فتسلك ولا يرى فيها السبيل فيركب والنور الذى يبصر به الاشياء ويجلو ضوءه الظلام يقول ان هذين لا شك لغير مستويين فكذلك الكفر بالله انما صاحبه منه فى حيرة يضرب أبدا فى غمرة لا يرجع منه الى حقيقة والايمان بالله صاحبه منه فى ضياء يعمل على علم بربه ومعرفة منه بأن له مثيبا يثيبه على احسانه ومعاقبا يعاقبه على اساءته ورازقا يرزقه ونافعا ينفعه ﴿ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قل هل يستوى الأعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور أما الاعمى والبصير فالكافر والمؤمن وأما الظلمات والنور فالهدى والضلالة وقوله أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين أخلق أوثانكم التى اتخذتموها أولياء من دون الله خلقا كخلق الله فاشتبه عليكم أمرها فيما خلقت وخلق الله فجعلتموها له شركاء من أجل ذلك أم انما بكم الجهل والذهاب عن الصواب فانه لا يشكل على ذى عقل أن عبادة ما لا يضر ولا ينفع من فعل جهل وأن العبادة انما تصلح للذى يرجى نفعه ويخشى ضره كما أن ذلك غير مشكل خطؤه وجهل فاعله كذلك لا يشكل جهل من أشرك فى عبادة من يرزقه ويكفله ويمونه من لا يقدر له على ضر ولا نفع ﴿ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال بعض أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه حملهم ذلك على أن شكوا فى الاوثان حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم خلقوا كخلقه فحملهم ذلك على أن شكوا فى الاوثان حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله ﴿ قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال قال ابن كثير سمعت مجاهدا يقول أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم ضربت مثلا وقوله قل الله خالق كل شئ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء المشركين اذا أقروا لك أن أوثانهم التى أشركوها فى عبادة الله لا تخلق شيأ فالله خالقكم وخالق أوثانكم وخلق كل شئ فما وجه اشراككم ما لا يخلق ولا يضر وقوله وهو الواحد القهار يقول وهو الفرد الذى لا ثانى له القهار الذى يستحق الالوهة

بالدنيا وشهواتها رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها وقلب ناس وهو قلب المسلم المذنب كقوله فنسى ولم نجد له عزما فاطمئنانه بالتوبة فتاب عليه وهدى وقلب مشتاق وهو قلب المؤمن فاطمئنانه بذكر الله كما فى الآية وقلب وحدانى وهو قلب الانبياء وخواص الاولياء فاطمئنانه بالله وصفاته كقول الخليل صلى الله عليه وسلم ولكن ليطمئن قلبى أى بتجلى صفات الاحياء واذا صار القلب مطمئنا انعكس نور الاطمئنان من مرآة قلبه على نفسه فتصير مطمئنة أيضا فيستحق بجذبات العناية لخطاب ارجعى ثم أشار الى أن الاطمئنان ثمرة غرس شجرة الايمان والعمل الصالح فى أرض القلب فقال الذين آمنوا الآية وفى الاشارة بطوبى الى حقيقة شجرة لا اله الا الله ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة ولم يكن الا فى قلب النبى صلى الله عليه وسلم وبتبعيته فى قلوب المؤمنين ولهذا قال صلى الله عليه وسلم طوبى شجرة أصلها فى دارى وفرعها على أهل الجنة والله أعلم ﴿ كذلك أرسلناك فى أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذى أوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربى لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى بل لله الامر جميعا أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتى وعد الله ان الله لا يخلف الميعاد ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم تنبؤنه بما لا يعلم فى الارض أم بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد لهم عذاب فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من واق مثل الجنة التى وعد المتقون تجرى من تحتها الانهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك ومن الاحزاب من ينكر بعضه قل انما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به اليه أدعو واليه مآب وكذلك

أنزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت أهواءهم بعدما جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا واق ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا
وذرية وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وإما نرينك بعض الذي نعدهم
أو نتوفينك فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها والله يحكم
لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب
وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر
جميعا يعلم ما تكسب كل نفس
وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار
ويقول الذين كفروا لست مرسلا
قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن
عنده علم الكتاب ﴾ القراآت متابي
وعقابي ومآبي بالياء في الحالين
يعقوب والسرندبي عن قنبل وافق
سهل وعباس في الوصل بل زين
ونحوه بالادغام علي وهشام وصدوا
بضم الصاد وكذلك في حم المؤمن
عاصم وحمزة وعلي وخلف ويعقوب
الباقون بفتحها ويثبت مخففا من
الاثبات ابن كثير وأبو عمرو وسهل
ويعقوب وعاصم الآخرون بالتشديد
من التثبيت الكافر لمن على التوحيد
أبو عمرو وأبو جعفر ونافع وابن كثير
الباقون الكفار على الجمع ﴿
الوقوف بالرحمن ط الا هو ج
لانقطاع النظم مع اتحاد القائل
متاب ه الموتى ط لأن جواب
لو محذوف أي لكان هذا القرآن
جميعا ط في الموضعين وعد الله
ط الميعاد ه أخذتهم ج
للاستفهام مع الفاء عقاب ه بما
كسبت ج لحق الخبر المحذوف
التقدير كمن لا ينفع ولا يضر ولأن
قوله وجعلوا يصلح استئنافا أو حالا
بإضمار قد شركاء ط سموهم ط
لحق الاستفهام من القول ط عن
السبيل ه هاد ه أشق ج
لاتفاق الجملتين مع النفي في الثانية
واق ه المتقون ه ط لان التقدير فيما يتلى عليك مثل الجنة وللوصل وجه يذكر في التفسير الهدى
الانهار ط وظلها ط اتقوا ق قد قيل والوصل أجوز لان الجمع بين بيان الحالين أدل على الانتباه النار ه بعضه ط ولا أشرك به
ط مآب ه عربيا ط العلم لا لان ما بعده جواب واق ه وذرية ط بإذن الله ط كتاب ه ويثبت ج والوصل أجوز

والعبادة لا الاصنام والاوثان التي لا تضر ولا تنفع ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال ﴾ قال أبو جعفر وهذا مثل ضربه الله للحق والباطل والايمان به والكفر يقول تعالى ذكره مثل الحق في ثباته والباطل في اضمحلاله مثل ماء أنزله الله من السماء إلى الأرض فسالت أودية بقدرها يقول فاحتملته الاودية ملئها الكبير بكبره والصغير بصغره فاحتمل السيل زبدا رابيا يقول فاحتمل السيل الذي حدث عن ذلك الماء الذي أنزله الله من السماء زبدا عاليا فوق السيل فهذا أحد مثلي الحق والباطل فالحق هو الماء الباقي الذي أنزله الله من السماء والزبد الذي لا ينتفع به هو الباطل والمثل الآخر ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية يقول جل ثناؤه ومثل آخر للحق والباطل مثل فضة أو ذهب يوقد عليها الناس في النار طلب حلية يتخذونها أو متاع وذلك من النحاس والرصاص والحديد يوقد عليه ليتخذ منه متاع ينتفع به زبد مثله يقول تعالى ذكره ومما يوقدون عليه من هذه الأشياء زبد مثله يعني مثل زبد السيل لا ينتفع به ويذهب باطلا كما لا ينتفع بزبد السيل ويذهب باطلا ورفع الزبد بقوله ومما يوقدون عليه في النار ومعنى الكلام ومما يوقدون عليه في النار زبد مثل زبد السيل في بطول زبده وبقاء خالص الذهب والفضة يقول الله تعالى كذلك يضرب الله الحق والباطل يقول كما مثل الله الايمان والكفر في بطول الكفر وخيبة صاحبه عند مجازاة الله بالباقي النافع من ماء السيل وخالص الذهب والفضة كذلك يمثل الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء يقول فأما الزبد الذي علا السيل والذهب والفضة والنحاس والرصاص عند الوقود عليها فيذهب بدفع الرياح وقذف الماء به وتعلقه بالاشجار وجوانب الوادي وأما ما ينفع الناس من الماء والذهب والفضة والرصاص والنحاس فالماء يمكث في الارض فتشربه والذهب والفضة تمكث للناس كذلك يضرب الله الامثال يقول كما مثل هذا المثل للايمان والكفر كذلك يمثل الأمثال * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فهذا مثل ضربه الله احتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكها فأما الشك فلا ينفع معه العمل وأما اليقين فينفع الله به أهله وهو قوله فأما الزبد فيذهب جفاء وهو الشك وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض وهو اليقين كما يجعل الحلي في النار فيؤخذ خالصه ويترك خبثه في النار فكذلك يقبل الله اليقين ويترك الشك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا يقول احتمل السيل ما في الوادي من عود ودمنة ومما يوقدون عليه في النار فهو الذهب والفضة والحلية والمتاع والنحاس والحديد وللنحاس والحديد خبث فجعل الله مثل خبثه كزبد الماء فأما ما ينفع الناس فالذهب والفضة وأما ما ينفع الارض فما شربت من الماء فأنبتت فجعل ذلك مثل العمل الصالح يبقى لأهله والعمل السيئ يضمحل عن أهله كما يذهب هذا الزبد فكذلك

الهدى والحق جاء من عند الله فمن عمل بالحق كان له و بقى كما يبقى ما ينفع الناس فى الارض وكذلك الحديد لا يستطاع أن تجعل منه سكين ولا سيف حتى يدخل فى النار فتأكل خبثه فيخرج جيده فينتفع به فكذلك يضمحل الباطل اذا كان يوم القيامة وأقيم الناس وعرضت الاعمال فيزيغ الباطل و يهلك و ينتفع أهل الحق بالحق ثم قال ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء عن الحسن فى قوله أنزل من السماء ماء فسالت أودية الى أو متاع زبد مثله فقال ابتغاء حلية الذهب والفضة أو متاع الصفر والحديد قال كما أوقد على الذهب والفضة والصفر والحديد فخلص خالصه قال كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض كذلك بقاء الحق لاهله فانتفعوا به حدثنا الحسن بن محمد الزعفرانى قال ثنا حجاج بن محمد قال قال ابن جريج أخبرنى عبد الله ابن كثير أنه سمع مجاهدا يقول أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها قال ما أطاقت ملأها فاحتمل السيل زبدا رابيا قال انقضى الكلام ثم استقبل فقال ومما توقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله قال المتاع الحديد والنحاس والرصاص وأشباهه زبد مثله قال خبث ذلك مثل زبد السيل قال وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض وأما الزبد فيذهب جفاء قال فذلك مثل الحق والباطل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عبد الله ابن كثير عن مجاهد أنه سمعه يقول فذكر نحوه وزاد فيه قال قال ابن جريج قال مجاهد قوله فأما الزبد فيذهب جفاء قال جمودا فى الارض وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض يعنى الماء وهما مثلان مثل الحق والباطل حدثنا الحسن قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله زبدا رابيا السيل مثل خبث الحديد والحلية فيذهب جفاء جمودا فى الارض ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله الحديد والنحاس والرصاص وأشباهه وقوله وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض انما هما مثلان للحق والباطل حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال و ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يزيد أحدهما على صاحبه فى قوله فسالت أودية بقدرها قال علئها فاحتمل السيل زبدا رابيا قال الزبد السيل ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله قال خبث الحديد والحلية فأما الزبد فيذهب جفاء قال جمودا فى الارض وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض قال الماء وهما مثلان للحق والباطل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها الصغير بصغره والكبير بكبره فاحتمل السيل زبدا رابيا أى عاليا ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء والجفاء ما يتعلق بالشجر وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض هذه ثلاثة أمثال ضربها الله فى مثل واحد يقول كما اضمحل هذا الزبد فصار جفاء لا ينتفع به ولا ترجى بركته كذلك يضمحل الباطل عن أهله كما اضمحل هذا الزبد وكما مكث هذا الماء فى الارض فأمرعت هذه الارض وأخرجت نباتها كذلك يبقى الحق لاهله كما بقى هذا الماء

لتمام مقصود الكلام الكتاب ○ الحساب ○ أطرافها ط لحكمه ط الحساب ○ جميعا ط كل نفس ط الدار ○ مرسلا ط وبينكم ط للعطف الكتاب ○ ﴿التفسير﴾ عن ابن عباس والحسن (أرسلناك) كما أرسلنا الانبياء قبلك (فى أمة قد خلت من قبلها أمم) وقال آخرون معنى التشبيه كما أرسلنا الى أمم وآتيناهم كتبا تتلى عليهم كذلك آتيناك هذا الكتاب وأنت تتلوه عليهم فلم اقترحوا غيره وقال فى الكشاف معناه مثل ذلك الارسال أرسلناك يعنى أرسلناك ارسالا له شأن وفضل على سائر الارسالات ثم فسر كيف أرسله فقال فى أمة قد خلت من قبلها أمم كثيرة فهى آخر الامم وأنت خاتم الانبياء ثم ذكر مقصود الارسال فقال (لتتلو) أى لتقرأ (عليهم) الكتاب العظيم (الذى أوحينا اليك وهم يكفرون) وحال هؤلاء أنهم يكفرون (بالرحمن) للمفسرين خلاف فى تخصيص لفظ الرحمن بالمقام فقال جار الله المراد كفرهم بالبليغ الرحمة الذى وسعت رحمته كل شئ وما بهم من نعمة فمنه فكفروا بنعمته فى ارسال مثلك اليهم وانزال مثل هذا القرآن المعجز المصدق لسائر الكتب عليهم وعن ابن عباس فى رواية الضحاك نزلت فى كفار قريش حين قال لهم النبى صلى الله عليه وسلم اسجدوا للرحمن فقالوا وما الرحمن فقيل للنبى صلى الله عليه وسلم (قل) لهم ان الرحمن الذى أنكرتم معرفته (هو ربى لا اله الا هو) الواحد القهار المتعالى عن الشركاء (عليه توكلت) فى نصرتى عليكم (واليه متاب) رجوعى فيثيبنى على مصابرتكم وقيل نزلت فى صلح الحديبية حين أرادوا كتاب الصلح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى عليه السلام اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل ابن عمرو والمشركون ما نعرف الرحمن الا صاحب اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب اكتب باسمك اللهم وهكذا كان أهل الجاهلية يكتبون فأنزل الله الآية فعلى هاتين الروايتين كان الذم متوجها على كفرهم باطلاق هذا الاسم على غير الله تعالى لا على جحودهم أو اشراكهم روى أن أهل مكة قعدوا فى فناء الكعبة فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرض عليهم الاسلام فقال له رؤساؤهم كأبى جهل وعبد الله

ابن أمية المخزومي سير لنا جبال مكة حتى ينفسح المكان علينا واجعل لنا فيها أنهارا نزرع فيها وأحي لنا بعض أمواتنا لنسألهم أحق ما تقوله أم باطل فقد كان عيسى يحيي الموتى أو سخر لنا الريح حتى نركبها ونسير في البلاد فقد كانت الريح مسخرة لسليمان ولست بأهون على ربك منه فنزل قوله (ولو أن قرآنا سيرت

به الجبال) عن مقارها وأزيلت عن مراكزها (أو قطعت به الارض) أي وقع به السير في البلاد فوق المعتاد شبه طي الارض أو شققت فجعلت أنهارا وعيونا (أو كلم به الموتى) بعد احيائهم به لكان هذا القرآن قال الراوي لما سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذا الوحي قال والذي نفسي بيده لقد أعطاني ما سألتم ولو شئت لكان ولكنه خيرني بين أن تدخلوا باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم وبين أن يكلكم الى ما اخترتم لانفسكم ثم ان كفرتم يعذبكم عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين فاخترت باب الرحمة وقال الزجاج معناه ولو أن قرآنا وقع به تسيير الجبال وتقطيع الارض وتكليم الموتى أي تنبيههم لما آمنوا به كقوله ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة الآية وقال في الكشاف هذه الآية لبيان تعظيم شأن القرآن ومعنى تقطيع الارض تصدعها كقوله لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا ونقل في الكشاف عن الفراء أن الآية تتعلق بما قبلها والمعنى وهم يكفرون بالرحمن وعدلوا هذا الكلام وهو قوله ولو أن قرآنا سيرت به الجبال وما بينهما اعتراض ثم قال رداعليهم (بل لله الامر جميعا) قال أهل السنة يعني ان شاء فعل وان شاء لم يفعل ولا اعتراض لأحد عليه وقالت المعتزلة له القدرة على الآيات التي اقترحوها الا أن علمه بأن اظهارها مفسدة يصرفه أوله أن يلجئهم الى الايمان الا أنه بنى أمر التكاليف على الاختيار قالوا ويعضده قوله (أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله) مشيئة الالجاء (لهدى الناس جميعا) أو لو يشاء لهداهم الى الجنة أو المراد نفي العموم لا عموم النفي وذلك أنه ما شاء هداية الاطفال والمجانين أجاب أهل السنة بأن كل هذا خلاف الظاهر ومعنى أفلم ييأس أفلم يعلم وهذه لغة قوم من النخع وقال

تقول

في الارض فأخرج الله به ما أخرج من النبات قوله ومما توقدون عليه في النار الآية كما يبقى خالص الذهب والفضة حين أدخل النار وذهب خبثه كذلك يبقى الحق لاهله قوله أو متاع زبد مثله يقول هذا الحديد والصفر الذي ينتفع به فيه منافع يقول كما يبقى خالص هذا الحديد وهذا الصفر حين أدخل النار وذهب خبثه كذلك يبقى الحق لاهله كما بقي خالصهما حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فسالت أودية بقدرها الكبير بقدره والصغير بقدره زبدا رابيا قال ربا فوق الماء الزبد ومما توقدون عليه في النار قال هو الذهب اذا أدخل النار بقي صفوه ونفي ما كان من كدره وهذا مثل ضربه الله للحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء يتعلق بالشجر فلا يكون شيأ هذا مثل الباطل وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض وهذا يخرج النبات وهو مثل الحق أو متاع زبد مثله قال المتاع الصفر والحديد حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا هوذة بن خليفة قال ثنا عوف قال بلغني في قوله أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها قال انما هو مثل ضربه الله للحق والباطل فسالت أودية بقدرها الصغير على قدره والكبير على قدره وما بينهما على قدره فاحتمل السيل زبدا رابيا يقول عظيما وحيث استقر الماء يذهب الزبد جفاء فتطير به الريح فلا يكون شيأ ويبقى صريح الماء الذي ينفع الناس منه شرابهم ونباتهم ومنفعتهم أو متاع زبد مثله ومثل الزبد كل شئ يوقد عليه في النار الذهب والفضة والنحاس والحديد فيذهب خبثه ويبقى ما ينفع في أيديهم والخبث والزبد مثل الباطل والذي ينفع الناس مما تحصل في أيديهم مما ينفعهم المال الذي في أيديهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله قال هذا مثل ضربه الله للحق والباطل فقرأ أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا هذا الزبد لا ينفع أو متاع زبد مثله هذا لا ينفع أيضا قال وبقي الماء في الارض فنفع الناس وبقي الحلي الذي صلح من هذا فانتفع الناس به فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال وقال هذا مثل ضربه الله للحق والباطل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس أودية بقدرها قال الصغير بصغره والكبير بكبره حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا طلحة بن عمرو عن عطاء ضرب الله مثلا للحق والباطل فضرب مثل الحق كمثل السيل الذي يمكث في الارض وضرب مثل الباطل كمثل الزبد الذي لا ينفع الناس وعني بقوله رابيا عاليا منتفخا من قولهم ربا الشئ يربو ربوا فهو راب ومنه قيل للنشز من الارض كهيئة الاكمة رابية ومنه قول الله تعالى اهتزت وربت وقيل للنحاس والرصاص والحديد في هذا الموضع المتاع لانه يستمتع به وكل ما يتمتع به الناس فهو متاع كما قال الشاعر

تمتع يا مشعث ان شيأ * سبقت به الممات هو المتاع

وأما الجفاء فاني حدثت عن أبي عبيدة معمر بن المثنى قال قال أبو عمرو بن العلاء يقال قد أجفأت القدر وذلك اذا غلت فانصب زبدها أو سكنت فلا يبقى منه شئ وقد زعم بعض أهل العربية من أهل البصرة أن معنى قوله فيذهب جفاء تنشفه الارض وقال يقال جفا الوادي وأجفى (١) في معنى نشف وانجفى الوادي اذا جاء بذلك الغثاء وغثى الوادي فهو يغثى غثيا وغثيانا وذكر عن العرب أنها

(١) ليس هذا التصريف بهذا المعنى فيما بأيدينا من كتب اللغة حرر كتبه مصححه

الزجاج انه مجاز لان اليائس عن الشئ عالم بأنه لا يكون نظيره استعمال الرجاء في معنى الخوف والنسيان في معنى الترك لتضمنهما اياهما ويؤيده قراءة علي عليه السلام وابن عباس وجماعة أفلم يتبين وهو تفسير أفلم ييأس وقيل ان قراءتهم أصل والمشهورة تصحيف وقع من جهة أن الكاتب كتبه مستوى السنات وهذا القول سخيف جدا والظن بأولئك الثقات الحفظة غير ذلك ولهذا

يقول جفأت القدر أجفؤها اذا أخرجت جفاءها وهو الزبد الذي يعلوها وأجفأتها اجفاء لغة قال وقالوا جفأت الرجل جفأ صرعته وقيل فيذهب جفاء بمعنى جفأ لأنه مصدر من قول القائل جفأ الوادي غثاءه فخرج مخرج الاسم وهو مصدر كذلك تفعل العرب في مصدر كل ما كان من فعل شئ اجتمع بعضه الى بعض كالقماش والدقاق والحطام والغثاء تخرجه على مذهب الاسم كما فعلت ذلك في قولهم أعطيته عطاء بمعنى الاعطاء ولو أريد من القماش المصدر على الصحة لقيل قد قمشته قمشا

۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد ﴾ يقول تعالى ذكره أما الذين استجابوا لله فآمنوا به حين دعاهم الى الايمان به وأطاعوه فاتبعوا رسوله وصدقوه فيما جاءهم به من عند الله فان لهم الحسنى وهي الجنة كذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله للذين استجابوا لربهم الحسنى وهي الجنة وقوله والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به يقول تعالى ذكره وأما الذين لم يستجيبوا له حين دعاهم الى توحيده والاقرار بربوبيته ولم يطيعوه فيما أمرهم به ولم يتبعوا رسوله فيصدقوه فيما جاءهم به من عند ربهم فلو أن لهم ما في الارض جميعا من شئ ومثله معه ملكا لهم ثم قبل مثل ذلك وقبل ذلك منهم بدلا من العذاب الذي أعده الله لهم في نار جهنم وعوضا لافتدوا به أنفسهم منه يقول الله أولئك لهم سوء الحساب يقول هؤلاء الذين لم يستجيبوا لله لهم سوء الحساب يقول لهم عند الله أن يأخذهم بذنوبهم كلها فلا يغفر لهم منها شيأ ولكن يعذبهم على جميعها كما حدثني الحسن بن عرفة قال ثنا يونس بن محمد قال ثنا عون عن فرقد السبخي قال قال لنا شهر بن حوشب سوء الحساب أن لا يتجاوز لهم عن شئ حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنى الحجاج بن أبي عثمان قال ثنى فرقد السبخي قال قال ابراهيم النخعي يا فرقد أتدري ما سوء الحساب قلت لا قال هو أن يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر له منه شئ وقوله ومأواهم جهنم يقول ومسكنهم الذي يسكنونه يوم القيامة جهنم وبئس المهاد يقول وبئس الفراش والوطاء جهنم التي هي مأواهم يوم القيامة

۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ أفمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى انما يتذكر أولوا الالباب ﴾ يقول تعالى ذكره أهذا الذي يعلم أن الذي أنزله الله عليك يا محمد حق فيؤمن به ويصدق ويعمل بما فيه كالذي هو أعمى فلا يعرف موقع حجة الله عليه به ولا يعلم ما ألزمه الله من فرائضه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا اسحق قال ثنا هشام عن عمرو عن سعيد عن قتادة في قوله أفمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق قال هؤلاء قوم انتفعوا بما سمعوا من كتاب الله وعقلوه ووعوه قال الله كمن هو أعمى قال عن الخير فلا يبصره وقوله انما يتذكر أولوا الالباب يقول انما يتعظ بآيات الله ويعتبر بها ذوو العقول وهي الالباب واحدها لب

۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب ﴾ يقول تعالى ذكره انما يتعظ ويعتبر بآيات الله أولوا الالباب الذين يوفون بوصية الله التي أوصاهم بها ولا ينقضون الميثاق ولا يخالفون العهد

قال في الكشاف هذه والله فرية ما فيها مرية ويجوز أن يتعلق أن لو يشاء بآمنوا ومعناه أفلم يقنط من ايمان هؤلاء الكفرة الذين آمنوا بأن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ثم أوعد الكافرين بقوله (ولا يزال الذين كفروا) يعني عامة الكفار (تصيبهم بما صنعوا) من كفرهم وسوء أعمالهم (قارعة) داهية تقرعهم من السبي والقتل (أو تحل) القارعة (قريبا من دارهم) فيتطاير اليهم شررها (حتى يأتي وعد الله) وهو اسلامهم أو موتهم أو القيامة وقيل خاصة في أهل مكة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال يبعث السرايا حول مكة فتغير عليهم وتختطف منهم وعلى هذا احتمل أن يكون قوله أو تحل خطابا أي تحل أنت يا محمد قريبا من دارهم كما في يوم الحديبية حتى يأتي وعد الله وهو فتح مكة وكان قد وعده الله الفتح عموما وخصوصا وكان كما وعد وكان معجزا (ان الله لا يخلف الميعاد) قد مر البحث في أول سورة آل عمران ثم ازداد في الوعيد فقال (ولقد استهزئ) الآية والاملاء الامهال وقد مر في مثاله والاستفهام في قوله (فكيف كان عقاب) للتقرير والتهديد ثم أورد على المشركين ما يجري مجرى الحجاج والتوبيخ والتعجب من عقولهم فقال (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت)

ومعنى القائم الحفيظ والرقيب أي الله العالم بكل المعلومات القادر على كل الممكنات كمن ليس كذلك وجوز في الكشاف أن يقدر الخبر بحيث يمكن عطف وجعلوا عليه التقدير أفمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له شركاء فيكون قوله لله من وضع الظاهر مقام الضمير وذكر السيد صاحب حل العقد أنه يجوز أن يجعل الواو في قوله (وجعلوا لله) للحال ويضمر للمبتدأ خبر يكون المبتدأ معه جملة مقررة لانكار

الذي عاهدوا الله عليه الى خلافه فعملوا بغير ما أمرهم به وخالفوا الى ما نهى عنه وقد بينا معنى العهد والميثاق فيما مضى بشواهده فأغنى عن اعادته في هذا الموضع * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا هشام عن عمرو عن سعيد عن قتادة قال انما يتذكر أولو الالباب فبين من هم فقال الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق فعليكم بوفاء العهد ولا تنقضوا هذا الميثاق فان الله تعالى قد نهى وقدم فيه أشد التقدمة فذكره في بضع وعشرين موضعا نصيحة لكم وتقدمة اليكم وحجة عليكم وانما يعظم الامر بما عظمه الله به عند أهل الفهم والعقل فعظموا ما عظم الله قال قتادة وذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في خطبته لا ايمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له وقوله والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل يقول تعالى ذكره والذين يصلون الرحم التي أمرهم الله بوصلها فلا يقطعونها ويخشون ربهم يقول ويخافون الله في قطعها أن يقطعوها فيعاقبهم على قطعها وعلى خلافهم أمره فيها وقوله ويخافون سوء الحساب يقول ويحذرون مناقشة الله اياهم في الحساب ثم لا يصفح لهم عن ذنب فهم لرهبتهم ذلك جادون في طاعته محافظون على حدوده كما حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عفان قال ثنا جعفر بن سليمن عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء في قوله الذين يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب قال المناقشة بالاعمال * قال ثنا عفان قال ثنا حماد عن فرقد عن ابراهيم قال سوء الحساب أن يحاسب من لا يغفر له حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ويخافون سوء الحساب قال فقال وما سوء الحساب قال الذي لا جواز فيه حدثني ابن سنان القزاز قال ثنا أبو عاصم عن الحجاج عن فرقد قال قال لي ابراهيم تدري ما سوء الحساب قلت لا أدري قال يحاسب العبد بذنبه كله لا يغفر له منه شئ ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرؤن بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار ﴾ يقول تعالى ذكره والذين صبروا على الوفاء بعهد الله وترك نقض الميثاق وصلة الرحم ابتغاء وجه ربهم ويعني بقوله ابتغاء وجه ربهم طلب تعظيم الله وتنزيها له أن يخالف في أمره أو يأتي أمرا كره اتيانه فيعصيه به وأقاموا الصلاة يقول وأدوا الصلاة المفروضة بحدودها في أوقاتها وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يقول وأدوا من أموالهم زكاتها المفروضة وأنفقوا منها في السبل التي أمرهم الله بالنفقة فيها سرا في خفاء وعلانية في الظاهر كما حدثني المثنى قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وأقاموا الصلاة يعني الصلوات الخمس وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يقول الزكاة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الصبر الاقامة قال وقال الصبر في هاتين فصبر لله على ما أحب وان ثقل على الانفس والأبدان وصبر عما يكره وان نازعت اليه الاهواء فمن كان هكذا فهو من الصابرين وقرأ سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وقوله ويدرؤن بالحسنة السيئة يقول ويدفعون اساءة من أساء اليهم من الناس بالاحسان اليهم كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ويدرؤن بالحسنة

ما يقارنها من الحال والتقدير أفمن هو قائم على كل نفس موجود والحال أنهم جعلوا لله (شركاء) فأقيم الظاهر مقام المضمر كما قلنا تقريرا للالهية وتصريحا بها وانه هو الذي يستحق العبادة وحده وهذا كما تقول معطي الناس ومغنيهم موجود ويحرم مثلي ثم زاد في المحاجة فقال (قل سموهم) أي جعلتم له شركاء فسموهم له من هم وأنبئوه بأسمائهم وانما يقال ذلك في الشيء المستحقر الذي لا يستحق أن يلتفت اليه فيقال سمه ان شئت يعني أنه أخس من أن يسمى ويذكر ولكنك ان شئت أن تضع له اسما فافعل وقيل المراد سموهم بالآلهة على سبيل التهديد قال في الكشاف أم في قوله (أم تنبئونه) منقطعة كقولك للرجل قل لي من زيد أم هو أقل من أن يعرف أقول وذلك لانه لاشئ محض اذ لو كان الشريك موجودا وهو أرضي لتعلق به علم العالم بالذات المحيط بجميع السفليات ونحوه قل أتنبئون الله بما لا يعلم وقد مر في أول يونس ثم أكد هذا المعنى بقوله (أم بظاهر من القول) أي بل أتسمونهم شركاء بظاهر من الكلام من غير أن يكون له حقيقة كقوله ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها وهذا الاحتجاج من أعاجيب الاساليب التي اختص بها القرآن الكريم المعجز فلله در شأن التنزيل ثم بين سوء طريقتهم فقال (بل زين للذين كفروا مكرهم) قال الواحدي معنى بل ههنا كأنه يقال دع ذكر الدليل فانه لا فائدة فيه انه كذا وكذا والكلام في أن المزين هو الله تعالى أو غيره قد مر في أول سورة آل عمران وكذا البحث فيمن قرأ (وصدوا) بضم الصاد وأما من قرأ بالفتح فيحتمل أن يكون لازما أي أعرضوا عنه ويحتمل أن يكون متعديا أي صرفوا غيرهم والخلاف في قوله (ومن يضلل الله) تقدم في مواضع منها آخر الاعراف ثم عاد الى الايعاد فقال (لهم عذاب في الحياة الدنيا) من القتل والقتال واللعن والذم لا المصائب والامراض لانها قد تصيب المؤمنين أيضا ولانها مأمور بالصبر عليها والعقاب لا يكون كذلك (ولعذاب الآخرة أشق) لانه أشد وأدوم (وما لهم من الله) أي من عذابه (من واق) من حافظ أو ما لهم من جهة الله واق أي دافع ومانع من رحمته

بل انما يمنع رحمته منهم باختياره وحكمه ثم عقب الوعيد بالوعد فقال (مثل الجنة) وتقديره عند سيبويه فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقال غيره الخبر تجري كما تقول صفة زيد أسمر وقال الزجاج انه تمثيل للغائب بالشاهد ومعناه مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار وقيل ان فائدة الخبر ترجع الى قوله أكلها دائم كأنه قال مثل الجنة (التي وعد المتقون) تجري من تحتها الانهار) كما تعلمون من حال جناتكم الآن هذه (أكلها دائم) لقوله لا مقطوعة ولا ممنوعة (وظلها) دائم أيضا والمراد أنه لا حر هنالك ولا برد ولا شمس ولا قمر ولا ظلمة وقد مر هذا البحث في سورة النساء في قوله وندخلهم ظلا ظليلا قيل في الآية دلالة على أن حركات الجنة لا تنتهي الى سكون دائم كما يقوله أبو الهذيل وأتباعه قال القاضي وفيها دليل على أن الجنة لم تخلق بعد والا انقطع أكلها لقوله تعالى كل من عليها فان كل شيء هالك الا وجهه قال ولم ننكر أن تحصل الآن في السموات جنات تتمتع بها الملائكة ومن يعد حيا من الانبياء والشهداء وغيرهم الآن جنة الخلد خاصة انما تخلق بعد الاعادة وأجيب بأنا نخصص عموم كل شيء هالك بالدليل الدال على أن الجنة مخلوقة وهو قوله أعدت للمتقين ثم ذكر عقائد الفرق في شأن القرآن المتلو فقال (والذين آتيناهم الكتاب) قيل أراد بالكتاب القرآن يعني أن المسلمين (يفرحون بما أنزل اليك) من الشرائع والعلوم (ومن الاحزاب) الجماعات من اليهود والنصارى وغيرهم (من ينكر بعضه) لانهم كانوا لا ينكرون الأقاصيص وبعض الاحكام المطابقة لشرائعهم وعقائدهم وانما أنكروا ما اختص به الاسلام من نعت الرسول وغيره قاله الحسن وقتادة واعترض عليه بأن أهل الاسلام فرحهم بنزول القرآن معلوم فلا فائدة في ذكره ويمكن أن يقال المراد زيادة الفرح والاستبشار بما فيه من العلوم والفوائد وأنهم يتلقون نزول الوحي بالبشر والطلاقة لا بالتثاقل والجهالة وقيل الكتاب التوراة والانجيل والمراد من أسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب ومن أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا أربعون بنجران واثنان وثلاثون بأرض الحبشة وثمانية من أهل اليمن فرحوا بالقرآن لانهم آمنوا به وصدقوه والاحزاب بقية أهل الكتاب والمشركون

السيئة قال يدفعون الشر بالخير لا يكافئون الشر بالشر ولكن يدفعونه بالخير وقوله أولئك لهم عقبى الدار يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين وصفنا صفتهم هم الذين لهم عقبى الدار يقول هم الذين أعقبهم الله دار الجنان من دارهم التي لو لم يكونوا مؤمنين كانت لهم في النار فأعقبهم الله من تلك هذه وقد قيل معنى ذلك أولئك الذين لهم عقبى طاعتهم ربهم في الدنيا دار الجنان * القول في تأويل قوله تعالى (جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) يقول جنات عدن ترجمة عن عقبى الدار كما يقال نعم الرجل عبد الله فعبد الله هو الرجل المقول له نعم الرجل وتأويل الكلام أولئك لهم عقبى طاعتهم ربهم الدار التي هي جنات عدن وقد بينا معنى قوله عدن وأنه يعني الاقامة التي لا ظعن معها وقوله ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم يقول تعالى ذكره جنات عدن يدخلها هؤلاء الذين وصف صفتهم وهم الذين يوفون بعهد الله والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وفعلوا الأفعال التي ذكرها جل ثناؤه في هذه الآيات الثلاث ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وهي نساؤهم وأهلوهم وذرياتهم وصلاحهم ايمانهم بالله واتباعهم أمره وأمر رسوله عليه السلام كما حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ومن صلح من آبائهم قال من آمن في الدنيا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد * وثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ومن صلح من آبائهم قال من آمن من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم وقوله والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم يقول تعالى ذكره وتدخل الملائكة على هؤلاء الذين وصف جل ثناؤه صفتهم في هذه الآيات الثلاث في جنات عدن من كل باب منها يقولون لهم سلام عليكم بما صبرتم على طاعة ربكم في الدنيا فنعم عقبى الدار وذكر أن لجنات عدن خمسة آلاف باب حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا علي بن جرير قال ثنا حماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن نافع بن عاصم عن عبد الله بن عمرو قال ان في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والمروج فيه خمسة آلاف باب على كل باب خمسة آلاف حبرة لا يدخله الا نبي أو صديق أو شهيد * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن مغراء عن جويبر عن الضحاك في قوله جنات عدن قال مدينة الجنة فيها الرسل والانبياء والشهداء وأئمة الهدى والناس حولهم بعد الجنات حولها وحذف من قوله والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم يقولون اكتفاء بدلالة الكلام عليه كما حذف ذلك من قوله ولو ترى اذ المجرمون ناكسو رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن بقية بن الوليد قال ثني أرطاة بن المنذر قال سمعت رجلا من مشيخة الجند يقال له أبو الحجاج يقول جلست الى أبي أمامة فقال ان المؤمن ليكون متكئا على أريكته اذا دخل الجنة وعنده سماطان من خدم

وعند طرف السماطين سور فيقبل الملك يستأذن فيقول للذى يليه ملك يستأذن ويقول الذى يليه ملك يستأذن ويقول الذى يليه للذى يليه ملك يستأذن حتى يبلغ المؤمن فيقول ائذنوا فيقول أقربهم الى المؤمن ائذنوا ويقول الذى يليه للذى يليه ائذنوا فكذلك حتى يبلغ أقصاهم الذى عند الباب فيفتح له فيدخل فيسلم ثم ينصرف حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن ابراهيم بن محمد عن سهل بن أبى صالح عن محمد بن ابراهيم قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يأتى قبور الشهداء على رأس كل حول فيقول السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وأبو بكر وعمر وعثمان وأما قوله سلام عليكم بما صبرتم فان أهل التأويل قالوا فى ذلك نحو قولنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق عن جعفر بن سليمن عن أبى عمران الجونى أنه تلا هذه الآية سلام عليكم بما صبرتم قال على دينكم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله سلام عليكم بما صبرتم قال حين صبروا لله بما يحبه الله فقدموه وقرأ وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا حتى بلغ وكان سعيكم مشكورا وصبروا عما كره الله وحرم عليهم وصبروا على ما ثقل عليهم وأحبه الله فسلم عليهم بذلك وقرأ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وأما قوله فنعم عقبى الدار فان معناه ان شاء الله كما حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق عن جعفر عن أبى عمران الجونى فى قولهم فنعم عقبى الدار قال الجنة من النار ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الارض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾ يقول تعالى ذكره وأما الذين ينقضون عهد الله ونقضهم ذلك خلافهم أمر الله وعملهم بمعصيته من بعد ميثاقه يقول من بعد ما وثقوا على أنفسهم لله أن يعملوا بما عهد اليهم ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل يقول ويقطعون الرحم التى أمرهم الله بوصلها ويفسدون فى الارض فسادهم فيها عملهم فيها بمعاصى الله أولئك لهم اللعنة يقول فهؤلاء لهم اللعنة وهى البعد من رحمته والاقصاء من جنانه ولهم سوء الدار يقول ولهم ما يسوءهم فى الدار الآخرة حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال أكبر الكبائر الاشراك بالله لأن الله يقول ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير ونقض العهد وقطيعة الرحم لان الله تعالى يقول أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار يعنى سوء العاقبة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج فى قوله ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل قال بلغنا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا لم تمش الى ذى رحمك برجلك ولم تعطه من مالك فقد قطعته حدثنى محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن مصعب بن سعد قال سألت أبى عن هذه الآية قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا أهم الحرورية قال لا ولكن الحرورية الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الارض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار فكان سعد يسميهم الفاسقين حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن عمرو بن مرة قال سمعت مصعب بن سعد قال كنت أمسك على سعد المصحف فأتى على هذه الآية ثم ذكر نحو حديث محمد بن جعفر ۞ القول

في

قاله ابن عباس وقال مجاهد أراد أن اليهود والنصارى كلهم يفرحون بما أنزل اليك لانه مصدق لما معهم ومن سائر الكفرة من ينكر بعضه واعترض بأنهم كلهم لا يفرحون بكل ما أنزل الى رسولنا وقوله بما أنزل يفيد العموم وأجيب بالمنع من أن ما يفيد العموم لصحة الاستثناء ولصحة ادخال كل عليه ولا تكرير وادخال بعض ولا نقض ثم لما بين عقائد الفرق أمر نبيه بأن يصرح بطريقته فقال (قل انما أمرت أن أعبد الله) ما أمرت الا بعبادته وعدم الاشراك به ويندرج فيه جميع وظائف العبودية ثم ذكر أنه مع كماله مكمل فقال (اليه أدعو) خصه بالدعاء الى عبوديته دون غيره كائنا من كان ثم ختم بذكر المعاد فقال (واليه مآب) لا مرجع لى الا اليه ومن تأمل فى هذه الالفاظ عرف أنها مع قلتها مشتملة على حاصل علوم المبدا والوسط والمعاد ثم ذكر بعض فضائل القرآن وأوعد على الاعراض عن اتباعه فقال (وكذلك أنزلناه) الضمير يعود الى ما فى قوله بما أنزل اليك أو الى القرآن فى قوله ولو أن قرآنا ووجه التشبيه كما أنزلنا الكتب على الانبياء بلسانهم كذلك أنزلنا اليك هذا القرآن وقال فى الكشاف معناه ومثل ذلك الانزال أنزلناه مأمورا فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة اليه والى دينه والانذار بدار الجزاء (حكما عربيا) نصب على الحال أى حكمة مترجمة بلسان العرب وقيل سمى حكما لانه حكم على جميع المكلفين بقبوله والعمل به أو لانه اشتمل على أصول الاحكام والشرائع فجعل نفس الحكم للمبالغة روى أن الكفار كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أمور ليوافقهم فيها منها أن يصلى الى قبلتهم بعد ما حوله الله عنها فأوعد على ذلك وعن ابن عباس الخطاب له والمراد أمته وقد مر الوجوه فى مثله فى أوائل سورة البقرة قال الكلبى عيرت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت ماترى لهذا الرجل همة الا النساء والنكاح ولو كان نبيا كما زعم لشغله أمر النبوة عن النساء فأنزل الله تعالى (ولقد أرسلنا الآية وفيه أن الرسل كانوا من جنس البشر لا من جنس الملك وما كان لهم نقص من قبل الازواج والاولاد فقد كان لسليمن ثلثمائة امرأة منكوحة وسبعمائة

سرية ولداود مائة وذرارى يعقوب أكثر من أن تحصى وكانوا يقترحون الآيات فأجاب الله تعالى عنه بقوله (وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله) ولا بد لكل نبي من معجز واحد والزائد على ذلك بل أصل النبوة وتعيين المعجز الواحد مفوض إلى مشيئته سبحانه ولا حكم لأحد عليه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخوفهم بنزول العذاب وظهور نصرة الإسلام وذويه فكانوا يكذبونه

في تأويل قوله تعالى ﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع﴾ يقول تعالى ذكره الله يوسع على من يشاء من خلقه في رزقه فيبسط له منه لأن منهم من لا يصلحه إلا ذلك ويقدر يقول ويقتر على من يشاء منهم في رزقه وعيشه فيضيقه عليه لأنه لا يصلحه إلا الإقتار وفرحوا بالحياة الدنيا يقول تعالى ذكره وفرح هؤلاء الذين بسط لهم في الدنيا من الرزق على كفرهم بالله ومعصيتهم إياه بما بسط لهم فيها وجهلوا ما عند الله لأهل طاعته والإيمان به في الآخرة من الكرامة والنعيم ثم أخبر جل ثناؤه عن قدر ذلك في الدنيا فيما لأهل الإيمان به عنده في الآخرة وأعلم عباده قلته فقال وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع يقول وما جميع ما أعطي هؤلاء في الدنيا من السعة وبسط لهم فيها من الرزق ورغد العيش فيما عند الله لأهل طاعته في الآخرة إلا متاع قليل وشيء حقير ذاهب كما حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله إلا متاع قال قليل ذاهب حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد .. قال وثنا إسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع قال قليل ذاهب حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن الأعمش عن بكير بن الأخنس عن عبد الرحمن بن سابط في قوله وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع قال كزاد الراعي يزوده أهله الكف من التمر أو الشيء من الدقيق أو الشيء يشرب عليه اللبن ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب﴾ يقول تعالى ذكره ويقول لك يا محمد مشركو قومك هلا أنزل عليك آية من ربك إما ملك يكون معك نذيرا أو يلقى إليك كنز فقل إن الله يضل منكم من يشاء أيها القوم فيخذله عن تصديقي والإيمان بما جئته به من عند ربي ويهدي إليه من أناب فرجع إلى التوبة من كفره والإيمان به فيوفقه لاتباعي وتصديقي على ما جئته به من عند ربه وليس ضلال من يضل منكم بأن لم ينزل علي آية من ربي ولا هداية من يهتدي منكم بأنها أنزلت علي وإنما ذلك بيد الله يوفق من يشاء منكم للإيمان ويخذل من يشاء منكم فلا يؤمن وقد بينت معنى الإنابة في غير موضع من كتابنا هذا بشواهده بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويهدي إليه من أناب أي من تاب وأقبل ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب﴾ يقول تعالى ذكره ويهدي إليه من أناب بالتوبة الذين آمنوا والذين آمنوا في موضع نصب ردا على من لأن الذين آمنوا هم من أناب ترجم بها عنها وقوله وتطمئن قلوبهم بذكر الله يقول وتسكن قلوبهم وتستأنس بذكر الله كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وتطمئن قلوبهم بذكر الله يقول سكنت إلى ذكر الله واستأنست به وقوله ألا بذكر الله تطمئن القلوب يقول ألا بذكر الله تسكن وتستأنس قلوب المؤمنين وقيل إنه عنى بذلك قلوب المؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن

ويستبطؤن موعده فأجيبوا بقوله (لكل أجل كتاب) أي لكل وقت حكم مكتوب وحادث معين لا يتأخر ذلك الحكم والحادث عنه ولا يتقدم عليه وقيل هذا على القلب أي لكل مكتوب وقت معين والتحقيق أنه لا حاجة إلى ارتكاب القلب لأن المعية تقتضي التلازم وكانوا ينكرون النسخ في الشرائع وفي التكاليف فنزل (يمحو الله ما يشاء ويثبت) أي يثبته فاستغنى بالصريح عن الكناية والمحو ذهاب أثر الكتابة ونحوها وفي الآية قولان الأول أنها عامة وأنه سبحانه يمحو من الرزق ويزيد فيه وكذا القول في الأجل والسعادة والشقاوة والإيمان والكفر وهو مذهب عمر وابن مسعود وقد ورد جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والذاهبون إليه كانوا يدعون ويتضرعون إلى الله في أن يجعلهم سعداء إن كانوا أشقياء وهذا لا ينافي قوله جف القلم لأن المحو والإثبات أيضا من جملة ما قضى به الثاني أنها خاصة في بعض الأشياء فقيل أراد نسخ حكم وإثبات آخر مكانه وقد مر تمام البحث في النسخ في البقرة في قوله ما ننسخ من آية وقيل يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة لأنهم مأمورون بكتب كل قول وفعل ويثبت غيره واعترض الأصم عليه بأنه ينافي قوله تعالى مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وأجاب القاضي بأن المراد صغائر الذنوب وكبائرها ورد بأن هذا اصطلاح المتكلمين والمفهوم اللغوي أعم فيتناول المباحات أيضا وقيل يمحو بالتوبة ما يشاء من الكفر والمعاصي ويثبت بدلها الحسنة كقوله فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وقيل يثبت في أول السنة أحكام تلك السنة فإذا مضت السنة محيت

ويثبت كتاب آخر للمستقبل وقيل يمحو نور القمر ويثبت نور الشمس أو الآن يمحو الدنيا ويثبت الآخرة أما قوله (وعنده أم الكتاب) أى أصله فقيل هو اللوح المحفوظ عن النبى صلى الله عليه وسلم كان الله ولا شئ ثم خلق اللوح المحفوظ وأثبت فيه أحوال جميع الخلق الى يوم القيامة فعلى هذا عند الله كتابان أحدهما اللوح المحفوظ وانه لا يتغير وثانيهما الذى تكتبه الملائكة على الخلق وهو محل المحو والاثبات روى أبو الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه فى ثلاث ساعات بقين من الليل ينظر فى الكتاب الذى لا ينظر فيه أحد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء وقيل هو علم الله تعالى المتعلق بجميع الموجودات والمعلومات وانه لا يتغير ولا يتبدل بتغير المتزمنات وتبدلها وقد مر تحقيقه فى مواضع ولما بين كيفية انطباق الحوادث على أوقاتها قال (واما نرينك) يعنى كيفما دارت الحال أر يناك مصارعهم وما وعدناهم من العذاب أو توفيناك قبل ذلك فليس يجب عليك الا التبليغ وما حسابهم وما جزاؤهم الا علينا والبلاغ بمعنى التبليغ كالسلام والكلام ثم ذكر أن آثار حصول تلك المواعيد وأماراتها قد ظهرت وقربت وأن تباشير الظفر قد طلعت ولاحت فقال (أولم يروا أنا نأتى الارض) يعنى اتيان القهر والغلبة بدليل (ننقصها من أطرافها) والأرض أرض مكة كان المسلمون ينالون من أهاليها ونواحيها فى البعوث والسرايا والجيوش والآن صارت الارض أعم وأشمل ولله الحمد على اعلاء شأن المسلمين زاده الله علوا فلا يزال ينقص شئ من ديار الكفر ويزيد فى بلاد الاسلام ونقل عن ابن عباس أن المراد بنقص أطراف الارض موت أشرافها وكبرائها وعلمائها وصلحائها قال الواحدى الأليق بالمقام هو القول الاول وقد يوجه الثانى بأنه أراد أنهم اذا شاهدوا هذه التغيرات الحسن فما الذى يؤمنهم أن يقلب الله عليهم الامر فيجعلهم أذلة مغلوبين بعد أن كانوا أعزة غالبين ثم أكد هذا المعنى بقوله (والله يحكم) ومحل (لا معقب لحكمه) نصب على الحال والمعقب الذى يكر على الشئ فيبطله وذلك أنه يعقبه بالرد والابطال فكأنه قيل والله يحكم نافذا حكمه

مجاهد قوله الا بذكر الله تطمئن القلوب لمحمد وأصحابه حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل (١) وحدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ألا بذكر الله تطمئن القلوب قال لمحمد وأصحابه * قال ثنا اسحق قال ثنا أحمد بن يونس قال ثنا سفيان بن عيينة فى قوله وتطمئن قلوبهم بذكر الله قال هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقوله الذين آمنوا وعملوا الصالحات الصالحات من الاعمال وذلك العمل بما أمرهم ربهم طوبى لهم وطوبى فى موضع رفع بلهم وكان بعض أهل البصرة والكوفة يقول ذلك رفع كما يقال فى الكلام ويل لعمرو وانما أوثر الرفع فى طوبى لحسن الاضافة فيه بغير لام وذلك أنه يقال فيه طوباك كما يقال ويلك وويبك ولولا حسن الاضافة فيه بغير لام لكان النصب فيه أحسن وأفصح كما النصب فى قولهم تعسا لزيد وبعدا له وسحقا أحسن اذ كانت الاضافة فيها بغير لام لا تحسن وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله طوبى لهم فقال بعضهم معناه نعم مالهم ذكر من قال ذلك حدثنى جعفر بن محمد البزورى من أهل الكوفة قال ثنا أبو زكريا الكلبى عن عمرو بن نافع قال سئل عكرمة عن طوبى لهم قال نعم مالهم حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عمرو بن نافع عن عكرمة فى قوله طوبى لهم قال نعم مالهم حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنى عمرو بن نافع قال سمعت عكرمة فى قوله طوبى لهم قال نعم مالهم * وقال آخرون معناه غبطة لهم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو هشام قال ثنا أبو خالد الاحمر عن جويبر عن الضحاك طوبى لهم قال غبطة لهم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن مغراء عن جويبر عن الضحاك مثله * قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك مثله * وقال آخرون معناه فرح وقرة عين ذكر من قال ذلك حدثنى على بن داود والمثنى بن ابراهيم قالا ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله طوبى لهم يقول فرح وقرة عين * وقال آخرون معناه حسنى لهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله طوبى لهم يقول حسنى لهم وهى كلمة من كلام العرب حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة طوبى لهم هذه كلمة عربية يقول الرجل طوبى لك أى أصبت خيرا * وقال آخرون معناه خير لهم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو هشام قال ثنا ابن يمان قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم قال خير لهم حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم فى قوله طوبى لهم قال الخير والكرامة التى أعطاهم الله * وقال آخرون طوبى لهم اسم من أسماء الجنة ومعنى الكلام الجنة لهم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس طوبى لهم قال اسم الجنة بالحبشية حدثنا أبو هشام قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس طوبى لهم قال اسم أرض الجنة بالحبشية حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد بن مسجوح فى قوله طوبى لهم قال طوبى اسم الجنة بالهندية حدثنا

(١) كذا فى النسخ بهذا التكرار فانظره

الحسن بن محمد قال ثنا داود بن مهران قال ثنا يعقوب عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن مشجوع قال اسم الجنة بالهندية طوبى حدثنا أبو هشام قال ثنا ابن يمان قال ثنا سفيان عن السدي عن عكرمة طوبى لهم قال الجنة * قال ثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله طوبى لهم قال الجنة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب قال لما خلق الله الجنة وفرغ منها قال الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب وذلك حين أعجبته حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن ليث عن مجاهد طوبى لهم قال الجنة * وقال آخرون طوبى لهم شجرة في الجنة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا قرة بن خالد عن موسى بن سالم قال قال ابن عباس طوبى لهم شجرة في الجنة حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الأشعث بن عبد الله عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة طوبى لهم شجرة في الجنة يقول لها تفتقي لعبدي عما شاء فتتفتق له عن الخيل بسروجها ولجمها وعن الإبل بأزمتها وعما شاء من الكسوة حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن شهر بن حوشب قال طوبى شجرة في الجنة كل شجر الجنة منها أغصانها من وراء سور الجنة حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن معمر عن الأشعث بن عبد الله عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال في الجنة شجرة يقال لها طوبى يقول الله لها تفتقي فذكر نحو حديث ابن عبد الأعلى عن ابن ثور حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عبد الجبار قال ثنا مروان قال أخبرنا العلاء عن شمر بن عطية في قوله طوبى لهم قال هي شجرة في الجنة يقال لها طوبى حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن سفيان عن منصور عن حسان أبي الأشرس عن مغيث بن سمي قال طوبى شجرة في الجنة ليس في الجنة دار إلا فيها غصن منها فيجيء الطائر فيقع فيدعوه فيأكل من أحد جنبيه قديدا ومن الآخر شواء ثم يقول طر فيطير * قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن بعض أهل الشام قال إن ربك أخذ لؤلؤة فوضعها على راحتيه ثم دملجها بين كفيه ثم غرسها وسط أهل الجنة ثم قال لها امتدي حتى تبلغي مرضاتي ففعلت فلما استوت تفجرت من أصولها أنهار الجنة وهي طوبى حدثنا الفضل بن الصباح قال ثنا إسمعيل بن عبد الكريم الصنعاني قال ثني عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهبا يقول إن في الجنة شجرة يقال لها طوبى يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها زهرها رياط وورقها برود وقضبانها عنبر وبطحاؤها ياقوت وترابها كافور ووحلها مسك يخرج من أصلها أنهار الخمر واللبن والعسل وهي مجلس لأهل الجنة فبيناهم في مجلسهم إذ أتتهم ملائكة من ربهم يقودون نجبا مزمومة بسلاسل من ذهب وجوهها كالمصابيح من حسنها ووبرها كخز المرعزى من لينه عليها رحال ألواحها من ياقوت ودفوفها من ذهب وثيابها من سندس وإستبرق فينيخونها ويقولون إن ربنا أرسلنا إليكم لتزوروه وتسلموا عليه قال فيركبونها قال فهي أسرع من الطائر وأوطأ من الفراش نجبا من غير

(وهو سريع الحساب) عن ابن عباس هو سريع الانتقام فيعاقبهم في الدنيا ثم في الآخرة ثم سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله (وقد مكر الذين من قبلهم) برسلهم كنمرود بإبراهيم وفرعون بموسى واليهود بعيسى (فلله المكر جميعا) قال الواحدي لأن مكر جميع الماكرين بتخليقه وإرادته ولأنه لا يضر إلا بإذنه ولا يؤثر إلا بتقديره وقالت المعتزلة إنه جعل مكرهم كلا مكر بالإضافة إلى مكره وقيل أراد فلله جزاء مكر الماكرين قال الواحدي والقول الأول أظهر بدليل قوله (يعلم ما تكسب كل نفس) يريد أن أكسابها بأسرها معلومة لله تعالى وخلاف معلومه ممتنع الوقوع فلا يقدر العبد على خلاف معلومه وناقضت المعتزلة بأنه أثبت الكسب لكل نفس فدل على أنه مقدور العبد وأجيب بأن المقتضي للفعل عندنا هو مجموع القدرة والداعي وهذا معنى قولهم الكسب حاصل للعبد ثم ختم الآية بوعيد آخر إجمالي فقال (وسيعلم الكفار) من قرأ على الجمع فظاهر ومن قرأ على الوحدة فالمراد الجنس وعن ابن عباس أن المراد أبو جهل وعن عطاء أراد المستهزئين وهم خمسة والمقتسمين وهم ثمانية وعشرون ثم ذكر حاصل شبههم مع الجواب القاطع فقال (ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا) والمراد من هذه الشهادة أنه أظهر المعجزات على وفق دعواه ولا شهادة أعلى من هذه لأن الشهادة القولية مما لا تفيد إلا غلبة الظن وهذه تفيد القطع بصحة نبوته ثم عطف على اسم الله قوله (ومن عنده علم الكتاب) أي الذي حصل عنده علم القرآن وفهم معانيه واشتماله على دلائل الإعجاز من النظم الأنيق والأسلوب العجيب الفائت لقوى البشر فمن علم هذا الكتاب على هذا الوجه شهد بأنه معجز قاهر وأن الذي ظهر هذا المعجز عليه نبي حق ورسول صدق وعن الحسن وسعيد بن جبير والزجاج أن الكتاب هو اللوح المحفوظ والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم علم ما في اللوح المحفوظ إلا هو يعني الله جل وعلا شهيدا ويعضده قراءة من قرأ ومن عنده على من الجارة واعترض على هذا القول بأن عطف الصفة على الموصوف بعيد لا يقال شهد بهذا زيد والفقيه وإنما يقال زيد الفقيه وقيل المراد شهادة أهل

الكتاب من الذين آمنوا برسول الله كعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وتميم الداري لانهم يشهدون بنعته في كتبهم والاعتراض بان اثبات النبوة بقول الواحد والاثنين مع جواز الكذب على أمثالهما لكونهم غير معصومين لا يجوز وقال الزجاج الاشبه أن الله تعالى لا يستشهد على صحة حكمه بغيره وعن الحسن لا والله ما يعني الا الله وعن سعيد بن جبير أن السورة مكية وابن سلام

مهنة يسير الرجل الى جنب أخيه وهو يكلمه ويناجيه لا تصيب اذن راحلة منها اذن صاحبتها ولا برك راحلة برك صاحبتها حتى ان الشجرة لتتنحى عن طرقهم لئلا تفرق بين الرجل وأخيه قال فيأتون الى الرحمن الرحيم فيسفر لهم عن وجهه الكريم حتى ينظروا اليه فاذا رأوه قالوا اللهم أنت السلام ومنك السلام وحق لك الجلال والاكرام قال فيقول تبارك وتعالى عند ذلك أنا السلام ومني السلام وعليكم حقت رحمتي ومحبتي مرحبا بعبادي الذين خشوني بغيب وأطاعوا أمري قال فيقولون ربنا انا لم نعبدك حق عبادتك ولم نقدرك حق قدرك فأذن لنا بالسجود قدامك قال فيقول الله انها ليست بدار نصب ولا عبادة ولكنها دار ملك ونعيم واني قد رفعت عنكم نصب العبادة فسلوني ما شئتم فان لكل رجل منكم أمنيته فيسألونه حتى ان أقصرهم أمنية ليقول رب تنافس أهل الدنيا في دنياهم فتضايقوا فيها رب فآتني كل شئ كانوا فيه من يوم خلقتها الى أن انتهت الدنيا فيقول الله لقد قصرت بك اليوم أمنيتك ولقد سألت دون منزلتك هذا لك مني وسأتحفك بمنزلتي لانه ليس في عطائي نكد ولا قصر يد قال ثم يقول اعرضوا على عبادي ما لم تبلغ أمانيهم ولم يخطر لهم على بال قال فيعرضون عليهم حتى يقضوهم أمانيهم التي في أنفسهم فيكون فيما يعرضون عليهم براذين مقرنة على كل أربعة منها سرير من ياقوتة واحدة على كل سرير منها قبة من ذهب مفرغة في كل قبة منها فرش من فرش الجنة مظاهر في كل قبة منها جاريتان من الحور العين على كل جارية منهن ثوبان من ثياب الجنة ليس في الجنة لون الا وهو فيهما ولا ريح طيبة الا قد عبقتا به ينفذ ضوء وجوههما غلظ القبة حتى يظن من يراهما أنهما من دون القبة يرى مخهما من فوق سوقهما كالسلك الابيض من ياقوتة حمراء يريان له من الفضل على صحابته كفضل الشمس على الحجارة أو أفضل ويرى هو لهما مثل ذلك ثم يدخل اليهما فيحييانه ويقبلانه ويعانقانه ويقولان له والله ما ظننا أن الله يخلق مثلك ثم يأمر الله الملائكة فيسيرون بهم صفا في الجنة حتى ينتهي كل رجل منهم الى منزلته التي أعدت له حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا علي ابن جرير عن حماد قال شجرة في الجنة في دار كل مؤمن غصن منها حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن حسان بن أبي الاشرس عن مغيث بن سمي قال طوبى شجرة في الجنة لو أن رجلا ركب قلوصا جذعا أو جذعة ثم دار بها لم يبلغ المكان الذي ارتحل منه حتى تموت هرما وما من أهل الجنة منزل الا فيه غصن من أغصان تلك الشجرة متدل عليهم فاذا أرادوا أن يأكلوا من الثمرة تدلى اليهم فيأكلون منه ما شاؤا ويجئ الطير فيأكلون منه قديدا وشواء ما شاؤا ثم يطير وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر بنحو ما قال من قال هي شجرة ذكر الرواية بذلك حدثني سليمان بن داود القومسي قال ثنا أبو توبة الربيع بن نافع قال ثنا معاوية ابن سلام عن زيد أنه سمع أبا سلام قال ثنا عامر بن زيد البكالي أنه سمع عتبة بن عبد السلام يقول جاء أعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان في الجنة فاكهة قال نعم فيها شجرة تدعى طوبى هي تطابق الفردوس قال أي شجر أرضنا تشبه قال ليست تشبه شيأ من شجر أرضك ولكن أتيت الشام فقال لا يا رسول الله فقال فانها تشبه شجرة تدعى الجوزة تنبت على ساق واحدة ثم ينتشر أعلاها قال ما عظم أصلها قال لو ارتحلت جذعة من ابل أهلك ما أحاطت

بأصلها

وأصحابه آمنوا بالمدينة بعد الهجرة والله أعلم بمراده (ت) التأويل وهم يكفرون بالرحمن يعني أن الصفة الرحمانية اقتضت ايجاد جميع الموجودات وافاضة جميع النعم كما أن صفة القهارية كانت مقتضية للوحدة بأن لا يكون معه شئ ولا نعمة أجل من بعث الرسل ففيه صلاح حال الدارين لهم فاذا جحدوا الرسول فقد جحدوا الرحمن وهذا سبب تخصيص هذا الاسم بالمقام تقوله ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا ولذلك أمر بأن يقول في الجواب هو ربي الذي رباني لا اله الا هو لا يستحق العبادة الا هو ولا أفوض أمري الا اليه واليه مرجعي كما كان منه مبدئي سيرت به جبال النفوس أو قطعت به أرض البشرية أو كلم به القلوب الميتة بتلاوته عليهم تصيبهم بما صنعوا من كفرهم بالرحمن قارعة من الاحكام الازلية تقرعهم في أنواع المعاملات التي تصدر عنهم موجبة للشقاوة أو تحل قريبا من دارهم فالهم بأن تصدر تلك المعاملة ممن يحبهم

* عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه *

حتى يأتي وعد الله بدرك الشقاء الازلي ومن أمارات الشقاوة الاستهزاء بالانبياء والاولياء ثم أخذتهم أي أمسكتهم لئلا يرجعوا عن مقام الشقاوة لهم عذاب في الحياة الدنيا بالبعد والحجاب وعبودية النفس والهوى ولعذاب الآخرة بأنواع الحسرات والشعور بالهيئات والملكات الموجبة للدركات أكلها دائم هي مشاهدات الجمال ومكاشفات الجلال وظلها أي انهم في ظل معاملاتهم وأحوالهم التابعة لشمس وجودهم على الدوام والذين آتيناهم الكتاب هم السر والروح والقلب الذين فهموا أسرار القرآن ومن الاحزاب النفس والهوى والقوى من ينكر بعضه

لثقل التكليف عليهم وللجهل بفوائده ولئن اتبعت أهواء المخالفين بالشرك فى الطلب من بعد ما جاءك من العلم وهو طلب الوحدانية ببذل الانانية وجعلنا لهم أزواجا وذرية فيه أن الرسل جذبتهم العناية فى البداية فترقوا من حضيض الحيوانية الى أوج الروحانية ثم الى معارج النبوة والرسالة فى النهاية فلم يبق فيهم من دواعى البشرية ما يزعجهم الى طلب الازواج بالطبيعة والركون الى الاولاد بخصائص الحيوانية بل رغبهم الله سبحانه فى ذلك على وفق الشريعة بخصوصية الخلافة باظهار صفة الخالقية ومثله وما جعلناهم جسدا الا يأكلون الطعام يمحو الله ما يشاء لاهل السعادة من أفاعيل أهل الشقاوة و يثبت لهم من خصال أهل السعادة وبالعكس لاهل الشقاوة وعنده أم الكتاب الذى قدر فيه خاتمة كل من الفريقين واما نرينك بالكشف بعض مقاماتهم كما أخبر عن العشرة المبشرة بأنهم فى الجنة وعن غيرهم بانه فى النار أنا نأتى الارض أرض البشرية فننقصها بالازدياد فى الاوصاف الروحانية

بأصلها حتى تتكسر ترقوتاها هرما حدثنا الحسن بن شبيب قال ثنا محمد بن زياد الجريرى عن فرات بن أبى الفرات عن معاوية بن قرة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لهم وحسن مآب شجرة غرسها الله بيده ونفخ فيها من روحه بالحلى والحلل وان أغصانها لترى من وراء سور الجنة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عمرو بن الحرث ان دراجا حدثه ان أبا الهيثم حدثه عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلا قال له يارسول الله ما طوبى قال شجرة فى الجنة مسيرة مائة سنة ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها فعلى هذا التأويل الذى ذكرنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرواية به يجب أن يكون القول فى رفع قوله طوبى لهم خلاف القول الذى حكيناه عن أهل العربية فيه وذلك أن الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن طوبى اسم شجرة فى الجنة واذا كان كذلك فهو اسم لمعرفة كزيد وعمرو واذا كان كذلك لم يكن فى قوله وحسن مآب الا الرفع عطفا به على طوبى وأما قوله وحسن مآب فانه يقول وحسن منقلب كما حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك وحسن مآب قال حسن منقلب ❁ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿كذلك أرسلناك فى أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذى أوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربى لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب﴾ يقول تعالى ذكره هكذا أرسلناك يا محمد فى جماعة من الناس يعنى الى جماعة قد خلت من قبلها جماعات على مثل الذى هم عليه فمضت لتتلو عليهم الذى أوحينا اليك يقول لتبلغهم ما أرسلتك به اليهم من وحيى الذى أوحيته اليك وهم يكفرون بالرحمن يقول وهم يجحدون وحدانية الله ويكذبون بها قل هو ربى يقول ان كفر هؤلاء الذين أرسلتك اليهم يا محمد بالرحمن فقل أنت الله ربى لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب يقول واليه مرجعى وأوبتى وهو مصدر من قول القائل تبت متابا وتوبة ❁ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ❁ ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وهم يكفرون بالرحمن ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية حين صالح قريشا كتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله فقال مشركو قريش لئن كنت رسول الله ثم قاتلناك لقد ظلمناك ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دعنا يارسول الله نقاتلهم فقال لا ولكن اكتبوا كما يريدون انى محمد بن عبد الله فلما كتب الكاتب بسم الله الرحمن الرحيم قالت قريش أما الرحمن فلا نعرفه وكان أهل الجاهلية يكتبون باسمك اللهم فقال أصحابه يارسول الله دعنا نقاتلهم قال لا ولكن اكتبوا كما يريدون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال قوله كذلك أرسلناك فى أمة قد خلت الآية قال هذا لما كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فى الحديبية كتب بسم الله الرحمن الرحيم قالوا لا تكتب الرحمن وما ندرى ما الرحمن ولا تكتب الا باسمك اللهم قال الله وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربى لا اله الا هو الآية ❁ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى بل لله الامر

(سورة ابراهيم عليه السلام مكية غير آيتين نزلتا فى بدر ألم تر الى الذين بدلوا الآيتان حروفها ٣٤٣٤ كلمها ٨٥٥ آياتها اثنتان وخمسون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿الر كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض وويل للكافرين من عذاب شديد الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا أولئك فى ضلال بعيد وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء و يهدى من يشاء وهو العزيز الحكيم ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بأيام الله ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من

ربكم عظيم واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد وقال موسى ان تكفروا أنتم ومن في الارض جميعا فان الله
لغني حميد ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم
وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم
ليغفر لكم من ذنوبكم و يؤخركم
الى أجل مسمى قالوا ان أنتم الا بشر
مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان
يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين
قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر
مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء
من عباده وما كان لنا أن نأتيكم
بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل
المؤمنون وما لنا ألا نتوكل على الله وقد
هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا
وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال
الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم
من أرضنا أو لتعودن في ملتنا
فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين
ولنسكننكم الارض من بعدهم
ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد
واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد
من ورائه جهنم و يسقى من ماء
صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه
ويأتيه الموت من كل مكان وما هو
بميت ومن ورائه عذاب غليظ
۞ القراآت الله الذي بالرفع على
الابتداء في الحالين أبو جعفر ونافع
وابن عامر والمفضل وقرأ يعقوب
والخزاعي عن ابن فليح بالرفع اذا ابتدأ
و بالخفض اذا وصل الباقون بالجر
مطلقا وعيدي بالياء في الحالين
يعقوب وافق ورش وسهل وعباس
في الوصل ۞ الوقوف الرقف
كوفي الحميد ہ ط لمن قرأ الله بالرفع
وما في الارض ط شديد ہ لا بناء
على أن الذين صفة الكافرين عوجا
ط بناء على ما قلنا أو على أن الذين منصوب أو مرفوع على الذم أي أعني الذين أو هم الذين وان جعل الذين عليه
مبتدأ خبره أولئك في ضلال فلا وقف على عوجا ولك أن تقف على شديد للآية بعد ہ ليبين لهم ط لان قوله فيضل حكم مبتدأ
خارج عن تعليل الارسال ويهدي من يشاء ط الحكيم ہ بأيام الله ط شكور ہ ط نساءكم ط عظيم ہ لشديد ہ جميعا لا

جميعا) اختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم معناه وهم يكفرون بالرحمن ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أي يكفرون بالله ولو سير لهم الجبال بهذا القرآن وقالوا هو من المؤخر الذي معناه التقديم وجعلوا جواب لو مقدما قبلها وذلك أن الكلام على معنى قيلهم ولو أن هذا القرآن سيرت به الجبال أو قطعت به الارض لكفروا بالرحمن ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى قال هم المشركون من قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو وسعت لنا أودية مكة وسيرت جبالها فاحترثناها وأحييت من مات منا أو قطع به الارض أو كلم به الموتى فقال الله تعالى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى بل لله الامر جميعا **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى قول كفار قريش لمحمد سير جبالنا تتسع لنا أرضنا فانها ضيقة أو قرب لنا الشأم فانا نتجر اليها أو أخرج لنا آباءنا من القبور نكلمهم فقال الله تعالى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه .. قال ابن جريج وقال عبد الله بن كثير قالوا لو فسحت عنا الجبال أو أجريت لنا الانهار أو كلمت به الموتى فنزل ذلك قال ابن جريج وقال ابن عباس قالوا سير بالقرآن الجبال قطع بالقرآن الارض أخرج به موتانا **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال قال ابن كثير قالوا لو فسحت عنا الجبال أو أجريت لنا الانهار أو كلمت به الموتى فنزل أفلم ييأس الذين آمنوا .. وقال آخرون بل معناه ولو أن قرآنا سيرت به الجبال كلام مبتدأ منقطع عن قوله وهم يكفرون بالرحمن قال وجواب لو محذوف استغني بمعرفة السامعين المراد من الكلام عن ذكر جوابها قالوا والعرب تفعل ذلك كثيرا ومنه قول امرئ القيس

فلو أنها نفس تموت (1) سريحة ،، ولكنها نفس تقطع أنفسا

وهو آخر بيت في القصيدة فترك الجواب اكتفاء بمعرفة سامعه مراده وكما قال الآخر

فأقسم لو شيء أتانا رسوله ،، سواك ولكن لم نجد لك مدفعا

ذكر من قال نحو معنى ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى ذكر لنا أن قريشا قالوا ان سرك يا محمد اتباعك أو أن نتبعك فسير لنا جبال تهامة أو زد لنا في حرمنا حتى نتخذ قطائع نخترف فيها أو أحي لنا فلانا وفلانا ناسا ماتوا في الجاهلية فأنزل الله تعالى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى يقول لو فعل هذا بقرآن قبل قرآنكم لفعل بقرآنكم **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ان كفار قريش قالوا للنبي صلى الله

(1) المروي في الديوان جميعة وفي بعض الروايات سوية ولعل ما هنا تصحيف فحرر كتبه مصححه

لان مابعده جزاء حميد ٥ وثمود ط لمن لم يعطف وجعله مستأنفا ومن عطف فوقفه على من بعدهم ط الاالله ط مريب ٥ والارض ط فصلا بين الاستخبار والاخبار مسمى ط لتقدير همزة الاستفهام فى تريدون مبين ٥ من عباده ط باذن الله ط المؤمنون ٥ سبلنا ط آذيتمونا ط المتوكلون ٥ فى ملتنا ط من بعدهم ط (١٠ ؟) وعيد ٥ عنيد ٥ لا لأن مابعده

وصف صديد ٥ لا لذلك يميت ط غليظ ٥ ۞ التفسير كون السورة مكية أو مدنية انما يفيد فى الاحكام لتعرف المنسوخ من الناسخ وفى غير ذلك المكية والمدنية سيان قوله (الر كتاب) أى السورة المسماة بالر كتاب (أنزلناه اليك) الغرض كذا وان كان الرمذ كورا على جهة التعديد فقوله كتاب خبر مبتدا محذوف أى هذا القرآن أو هذه السورة كتاب والظلمات استعارة لطرق الضلال ومظانه والنور مستعار للحق واللام فى (لتخرج) للغرض عند المعتزلة والغاية عند الحكيم وان شئت فقل العاقبة واللام فى (الناس) للجنس المستغرق ظاهرا ففيه دليل على أن دعوته صلى الله عليه وسلم عامة ومعنى اخراج النبى صلى الله عليه وسلم اياهم (من الظلمات الى النور) أنه سبحانه جعل انزال الكتاب عليه ودعوته صلى الله عليه وسلم اياهم به الى الحق واسطة لهدايتهم لامطلقا ولكن (باذن ربهم) أى بتسهيله وتيسيره وكل ميسر لما خلق له والحاصل أن المراد من الاذن معنى يقتضى ترجيح جانب الوجود على جانب العدم ومتى حصل الرجحان فقد حصل الوجوب عند المحققين ولك أن تعبر عن ذلك المعنى بداعية الايمان احتج بالآية من قال ان معرفة الله تعالى لا تمكن الا بالتعليم الذى عبر عنه بالاخراج من الظلمة الى النور وأجيب بأن معنى الاخراج التنبيه وأما المعرفة فانما تحصل من الدليل وقوله الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل الجار وجوز فى الكشاف أن يكون على جهة الاستئناف كأنه قيل الى أى نور فقيل الى صراط العزيز الحميد وفى ذكر الوصفين تأكيد لحقية الصراط واستنارته لان العزيز هو القادر الغالب والحميد هو الكامل

عليه وسلم أذهب عنا جبال تهامة حتى نتخذها زرعا فتكون لنا أرضين أوأحى لنا فلانا وفلانا يخبر وننا حق ما تقول فقال الله ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أوقطعت به الارض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعا يقول لو كان فعل ذلك بشئ من الكتب فيما مضى كان ذلك حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ولو أن قرآنا سيرت به الجبال الآية قال قال كفار قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم سير لنا الجبال كما سخرت لداود أوقطع لنا الارض كما قطعت لسليمن فاغتدى بها شهرا وراح بها شهرا أو كلم لنا الموتى كما كان عيسى يكلمهم يقول لم أنزل بهذا كتابا ولكن كان شيأ أعطيته أنبيائى ورسلى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولو أن قرآنا سيرت به الجبال الآية قال قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا فسير عنا هذه الجبال واجعلها حروثا كهيئة أرض الشام ومصر والبلدان أوابعث موتانا فأخبرهم فانهم قد ماتوا على الذى نحن عليه فقال الله تعالى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أوقطعت به الارض أو كلم به الموتى لم يصنع ذلك بقرآن قط ولا كتاب فيصنع ذلك بهذا القرآن ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا) اختلف أهل المعرفة بكلام العرب فى معنى قوله أفلم ييأس فكان بعض أهل البصرة يزعم أن معناه ألم يعلم ويتبين ويستشهد لقيله ذلك ببيت سحيم بن وثيل الرياحى

أقول لهم بالشعب اذ ييسروننى ۞ ألم تيأسوا أنى ابن فارس زهدم

ويروى ياسروننى فمن رواه ييسروننى فانه أراد يقتسموننى من الميسر كما يقسم الجزور ومن رواه يأسروننى فانه أراد الأسر وقال عنى بقوله ألم تيأسوا ألم تعلموا وأنشدوا أيضا فى ذلك

ألم ييأس الاقوام أنى أنا ابنه ۞ وان كنت عن أرض العشيرة نائيا

وفسروا قوله ألم ييأس ألم يعلم ويتبين وذكر عن ابن الكلبى أن ذلك لغة لحى من النخع يقال لهم وهبيل تقول ألم تيأس كذا بمعنى ألم تعلمه وذكر عن القاسم بن معن أنها لغة هوازن وانهم يقولون يئست كذا علمت وأما بعض الكوفيين فكان ينكر ذلك ويزعم أنه لم يسمع أحدا من العرب يقول يئست بمعنى علمت ويقول هو فى المعنى وان لم يكن مسموعا يئست بمعنى علمت يتوجه الى ذلك ان الله قد أوقع الى المؤمنين أنه لو شاء لهدى الناس جميعا فقال أفلم ييأسوا علما يقول يؤيسهم العلم فكان فيه العلم مضمرا كما يقال قد يئست منك أن لا تفلح علما كأنه قيل علمته علما قال وقول الشاعر

حتى اذا يئس الرماة وأرسلوا ۞ غضفا دواجن قافلا أعصامها

معناه حتى اذا يئسوا من كل شئ مما يمكن الا الذى ظهر لهم أرسلوا فهو فى معنى حتى اذا علموا أن ليس وجه الا الذى رأوا وانتهى علمهم فكان ما سواه يأسا وأما أهل التأويل فانهم تأولوا ذلك بمعنى أفلم يعلم ويتبين ذكر من قال ذلك منهم حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم عن أبى اسحق

الكوفى عن مولى يخبر أن عليا رضى الله عنه كان يقول أفلم يتبين الذين آمنوا حدثنا الحسن ابن محمد قال ثنا عبد الوهاب عن هرون عن حنظلة عن شهر بن حوشب عن ابن عباس أفلم ييأس يقول أفلم يتبين حدثنا احمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا يزيد عن جرير ابن حازم عن الزبير بن الحرث أو يعلى بن حكيم عن عكرمة عن ابن عباس أنه كان يقرؤها أفلم يتبين الذين آمنوا قال كتب الكاتب الاخرى وهو ناعس حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا حجاج بن محمد عن ابن جريج قال فى القراءة الاولى زعم ابن كثير وغيره أفلم يتبين حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس أفلم ييأس الذين آمنوا يقول ألم يتبين حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على عن ابن عباس قوله أفلم ييأس الذين آمنوا يقول يعلم حدثنا عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث قال ثنا ليث عن مجاهد فى قوله أفلم ييأس الذين آمنوا قال أفلم يتبين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله أفلم ييأس الذين آمنوا قال ألم يتبين الذين آمنوا حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أفلم ييأس الذين آمنوا قال ألم يعلم الذين آمنوا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أفلم ييأس الذين آمنوا قال ألم يعلم الذين آمنوا والصواب من القول فى ذلك ما قاله أهل التأويل ان تأويل ذلك أفلم يتبين ويعلم لاجماع أهل التأويل على ذلك والابيات التى أنشدناها فيه فتأويل الكلام اذا ولو أن قرآنا سوى هذا القرآن كان سيرت به الجبال لسير بهذا القرآن أو قطعت به الارض لقطعت بهذا أو كلم به الموتى لكلم بهذا ولو يفعل بقرآن قبل هذا القرآن لفعل بهذا بل لله الامر جميعا يقول ذلك كله اليه وبيده يهدى من يشاء الى الايمان فيوفقه له ويضل من يشاء فيخذله أفلم يتبين الذين آمنوا بالله ورسوله اذ طمعوا فى اجابتى من سأل نبيهم من تسيير الجبال عنهم وتقريب أرض الشام عليهم واحياء موتاهم أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا الى الايمان به من غير ايجاد آية ولا احداث شئ مما سألوا احداثه يقول تعالى ذكره فما معنى محبتهم ذلك مع علمهم بأن الهداية والاهلاك الى وبيدى أنزلت آية أو لم أنزلها أهدى من أشاء بغير انزال آية وأضل من أردت مع انزالها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتى وعد الله ان الله لا يخلف الميعاد) يقول تعالى ذكره ولا يزال يا محمد الذين كفروا من قومك تصيبهم بما صنعوا من كفرهم بالله وتكذيبهم اياك واخراجهم لك من بين أظهرهم قارعة وهى ما يقرعهم من البلاء والعذاب والنقم بالقتل أحيانا وبالحروب أحيانا والقحط أحيانا أو تحل أنت يا محمد يقول أو تنزل أنت قريبا من دارهم بجيشك وأصحابك حتى يأتى وعد الله الذى وعدك فيهم وذلك ظهورك عليهم وفتحك أرضهم وقهرك اياهم بالسيف ان الله لا يخلف الميعاد يقول ان الله منجزك يا محمد ما وعدك من الظهور عليهم لانه لا يخلف وعده

۞ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو داود قال ثنا المسعودى عن قتادة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله ولا يزال الذين كفروا تصيبهم

فى خصائص الحمد من العلم والغنى وغير ذلك ولا ريب ان من هذه صفته كان سبيله الذى نهج لعباده مفضيا الى صلاح حالهم دينا ودنيا اذ لا حاجة به الى ارتكاب عبث أو قبيح قال بعض العلماء انما قدم ذكر العزيز لان الصحيح أن أول العلم بالله العلم بكونه قادرا غالبا وهو معنى العزيز ثم بعد ذلك العلم بكونه عالما والعلم بكونه غنيا عن الحاجات والنقائص وهذا معنى الحميد ثم أثنى على نفسه تحقيقا لحقية صراطه وبيانا لتنزهه عن العبث فقال (الله الذى) مبتدأ وخبر أو المبتدأ محذوف تقديره هو الله ومن قرأ بالجر فعلى أنه عطف بيان للوصفين بناء على أن لفظ الله جار مجرى اسم العلم وقد سبق هذا البحث مشبعا فى تفسير البسملة من سورة الفاتحة ثم ختم الآية بوعيد من لا يعترف بربوبيته ولا يقر بوحدانيته وذلك قوله (وويل للكافرين) وهو دعاء عليهم بالهلاك والثبور وكل سوء قال فى الكشاف وجه اتصال قوله (من عذاب شديد) بالويل أنهم يولولون من العذاب ويقولون ياويلاه (الذين يستحبون) أى يؤثرون ويختارون لان المؤثر للشئ على غيره كأنه يطلب من نفسه أن يكون ذلك الشئ عنده أحب من الآخر وذلك أن الانسان قد يحب الشئ ولكنه يكره كونه محباله أما اذا أحب الشئ وطلب كونه محباله وأحب تلك المحبة فتلك نهاية المحبة وهذا شأن محبة أهل الدنيا للدنيا ولكنها أدنى مراتب الضلال وقوله (ويصدون عن سبيل الله) اشارة الى الضلال وقوله (ويبغونها عوجا) أراد به الاضلال بالقاء الشكوك والشبهات واجتماع هذه الخصال نهاية الضلال فلهذا وصف ضلالهم بالبعد عن الحق لانه وقع عنه فى الطرف الآخر فبينهما غاية الخلاف ويمكن أن يكون اسنادا مجازيا باعتبار أن صاحبه بعيد عن طريق الحق ثم لما من على المكلفين بانزال الكتاب عما

وارسال الرسول ذكر أن من كمال تلك النعمة أن يكون ذلك الكتاب بلسان المرسل اليهم احتج أصحاب أبى هاشم بالآية على أن اللغات اصطلاحية وضعها البشر واحد وجماعة وحصل التعريف للباقين بالاشارة والقرائن كالاطفال قالوا ان كانت توقيفية

بما صنعوا قارعة قال سرية أو تحل قريبا من دارهم قال محمد حتى يأتي وعد الله قال فتح مكة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن المسعودي عن قتادة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس بنحوه غير أنه لم يذكر سرية حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا أبو قطن قال ثنا المسعودي عن قتادة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه تلا هذه الآية ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة قال القارعة السرية أو تحل قريبا من دارهم قال هو محمد صلى الله عليه وسلم حتى يأتي وعد الله قال فتح مكة حدثني المثنى قال ثنا أبو غسان قال ثنا زهير أن خصيفا حدثهم عن عكرمة في قوله ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم قال نزلت بالمدينة في سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو تحل أنت يا محمد قريبا من دارهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن النضر ابن عربي عن عكرمة ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة قال سرية أو تحل قريبا من دارهم قال أنت يا محمد حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة يقول عذاب من السماء ينزل عليهم أو تحل قريبا من دارهم يعني نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وقتاله اياهم حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله تصيبهم بما صنعوا قارعة تصاب منهم سرية أو تصاب منهم مصيبة أو يحل محمد قريبا من دارهم وقوله حتى يأتي وعد الله قال الفتح حدثني المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد بن زيد عن عبد الله بن أبي نجيح أو تحل قريبا من دارهم يعني النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحو حديث الحسن عن شبابة حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا قيس عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس قال قارعة قال السرايا * قال ثنا عبد العزيز قال ثنا عبد الغفار عن منصور عن مجاهد قارعة قال مصيبة من محمد أو تحل قريبا من دارهم قال أنت يا محمد حتى يأتي وعد الله قال الفتح * قال ثنا اسرائيل عن خصيف عن مجاهد قارعة قال كتيبة * قال ثنا عبد العزيز قال ثنا عمرو بن ثابت عن أبيه عن سعيد بن جبير تصيبهم بما صنعوا قارعة قال سرية أو تحل قريبا من دارهم قال أنت يا محمد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أي بأعمالهم أعمال السوء وقوله أو تحل قريبا من دارهم أنت يا محمد حتى يأتي وعد الله ووعد الله فتح مكة حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قارعة قال وقيعة أو تحل قريبا من دارهم قال يعني النبي صلى الله عليه وسلم يقول أو تحل أنت قريبا من دارهم حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا محمد بن طلحة عن طلحة عن مجاهد تصيبهم بما صنعوا قارعة قال سرية حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا

والتوقيف انما يدلون بالوحي والوحي موقوف على لغة سابقة لقوله وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه أي بلغتهم لزم الدور وأجيب بأن الآية تختص برسول له قوم ولا قوم لآدم فينتهي التوقيف اليه فيندفع الدور وتمسك طائفة من اليهود يقال لهم العيسوية بهذه الآية في أن محمدا رسول الله ولكن الى العرب لانهم قومه وهم الذين عرفوا فصاحة القرآن واعجازه فيكون القرآن حجة عليهم لا على غيرهم والجواب سلمنا أن قومه هم العرب ولكن قوم النبي أخص من أهل دعوته فقد يكون أهل دعوته الناس كافة بل الثقلين كما في حق نبينا صلى الله عليه وسلم لان التحدي وقع بالفريقين في قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن وانما يكون أولى الألسنة لسان قوم الرسول لانهم أقرب اليه فيرسل الرسول أولا اليهم ليبين لهم فيفقهوا عنه ما يدعوهم اليه ثم ينوب التراجم في كل أمة من أمم دعوته مقام الاصل ويكفى التطويل و يؤمن اللبس والتخليط و يوجب للمفسرين الثواب الجزيل في التعلم والتعليم والارشاد والاجتهاد وقالت المعتزلة ان مقدمة هذه الآيات وهي قوله لتخرج الناس ووسطها وهو قوله ليبين لهم فان فائدة التبيين انما تظهر اذا كان للمكلف قدرة واختيار وآخرها وهو قوله الحكيم فان الحكمة تنافي خلق الكفر والقبائح تدل على صحة مذهب الاعتزال وقالت الاشاعرة قوله باذن ربهم وقوله فيضل الله من يشاء وقوله العزيز فان العزة لا تجامع أن يكون لغيره قدرة وتصرف يؤيد مذهبنا أقول نحن قد حققنا مسألة الجبر مرارا فتذكر ومما يخص هذا الموضع قول الفراء اذا ذكر فعل و بعده فعل آخر فان لم يكن النسق مشاكلا للاول فالرفع على الاستئناف هو الوجه كقوله لنبين لكم ونقر بالرفع نظيره في الآية قوله فيضل بالرفع على الاستئناف كأنه قال وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليكون بيانه لهم تلك الشرائع بلغة ألفوها واعتادوها ومع ذلك فان المضل والهادي هو الله والبيان لا يوجب حصول الهداية الا اذا جعله الله واسطة وسببا لما بين أن المقصود من بعثة نبينا صلى

الله عليه وسلم هو اخراج الناس من الظلمات الى النور أراد أن يبين أن الغرض من ارسال جميع الانبياء لم يكن الا ذلك وذكر ذلك مثالا وخص موسى بالذكر لان أمته أكثر الامم سوى أمة محمد كما جاء في الحديث ولكثرة معجزاته الباهرة ومعنى (أن أخرج) أى أخرج لان الارسال فيه معنى القول ويجوز أن تكون أن ناصبة والتقدير بأن أخرج ومعنى التذكير بأيام الله الانذار بوقائعه التي وقعت على الامم قبلهم ويقال أيام العرب لحروبها وملاحمها وعن ابن عباس أيام الله نعماؤه من تظليل الغمام وانزال المن والسلوى وبلاؤه اهلاك القرون أو الايام التي كانوا فيها تحت تسخير فرعون أو المراد عظهم بالترغيب والترهيب (ان في ذلك) التذكير والتنبيه دلائل (لكل صبار) على الضراء (شكور) على السراء وذلك أن فائدة الآيات انما تعود عليهم حيث ينتفعون بها ولما أمر الله موسى بالتذكير حكى عنه أنه ذكرهم ولم يقل ههنا ياقوم كما ذكر في المائدة اقتصارا على ماذكره هنالك وقوله (عليكم) ان كان صلة للنعمة بمعنى الانعام فقوله (اذ أنجاكم) ظرف للانعام أيضا وان كان مستقرا بمعنى اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم جاز أن ينتصب اذ أنجاكم بعليكم وفي الوجهين جاز أن يكون اذ بدلا من النعمة أى اذكروا وقت انجائكم وهو بدل الاشتمال وباقي الآية قدمر في أول البقرة ومن جملة النعم قوله (واذ تأذن) أى واذكروا حين آذن (ربكم) ايذانا بليغا ينتفي عنده الشكوك وتنزاح معه الشبهات وقد تقدم في أواخر الاعراف أن فيه معنى القسم ولذلك دخلت اللام الموطئة في الشرط والنون المؤكدة في الجزاء وقد سلف منا في هذا الكتاب أن الشكر بالحقيقة عبارة عن صرف العبد جميع أقسام ما أنعم الله تعالى به عليه فيما أعطاه لاجله ولاشك أن المكلف اذا سلك هذا الطريق كان دائما في مطالعة أقسام نعم الله وفي ملاحظة دقائق لطفه وصنعه وفي اعمال الجوارح في الأعمال الصالحة الكاسبة لانوار الملكات الحميدة وشغل النفس بمطالعة النعم يوجب مزيد محبة المنعم وقد يترقى العبد من هذه الحالة الى أن يصير حبه للمنعم شاغلا له عن رؤية النعم ويصدر

سفيان عن ليث عن مجاهد تصيبهم بما صنعوا قارعة قال السرايا كان يبعثهم النبي صلى الله عليه وسلم أو تحل قريبا من دارهم أنت يا محمد حتى يأتي وعد الله قال فتح مكة * قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن بعض أصحابه عن مجاهد تصيبهم بما صنعوا قارعة قال كتيبة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة قال قارعة من العذاب * وقال آخرون معنى قوله أو تحل قريبا من دارهم تحل القارعة قريبا من دارهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال قال الحسن أو تحل قريبا من دارهم قال أو تحل القارعة قريبا من دارهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن قال أو تحل قريبا من دارهم قال أو تحل القارعة * وقال آخرون في قوله حتى يأتي وعد الله هو يوم القيامة ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا معلى بن أسد قال ثنا اسمعيل بن حكيم عن رجل قد سماه عن الحسن في قوله حتى يأتي وعد الله قال يوم القيامة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا محمد ان يستهزئ هؤلاء المشركون من قومك ويطلبوا منك الآيات تكذيبا منهم ما جئتهم به فاصبر على أذاهم لك وامض لأمر ربك في اعذارهم والاعذار اليهم فلقد استهزأت أمم من قبلك قد خلت فمضت برسل فأطلت لهم في المهل ومددت لهم في الاجل ثم أحللت بهم عذابي ونقمتي حين تمادوا في غيهم وضلالهم فانظر كيف كان عقابي اياهم حين عاقبتهم ألم أذقهم أليم العذاب وأجعلهم عبرة لأولي الالباب والاملاء في كلام العرب الاطالة يقال منه أمليت لفلان اذا أطلت له في المهل ومنه الملاوة من الدهر ومنه قولهم تمليت حينا ولذلك قيل لليل والنهار الملوان لطولهما كما قال ابن مقبل

ألا يا ديار الحي بالسبعان * أمل عليها بالبلى الملوان

وقيل للخرق الواسع من الارض ملا كما قال الشاعر

فاخضل منها كل بال وعين * وجف الروايا بالملا المتباطن

لطول ما بين طرفيه وامتداده ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم في الارض أم بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد﴾ يقول تعالى ذكره أفالرب الذي هو دائم لا يبيد ولا يهلك قائم بحفظ أرزاق جميع الخلق متضمن لها عالم بهم وبما يكسبونه من الاعمال رقيب عليهم لا يعزب عنه شئ أينما كانوا كمن هو هالك بائد لا يسمع ولا يبصر ولا يفهم شيأ ولا يدفع عن نفسه ولا عمن يعبده ضرا ولا يجلب اليهما نفعا كلاهما سواء وحذف الجواب في ذلك فلم يقل وقد قيل أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت كذا وكذا اكتفاء بعلم السامع بما ذكر عما ترك ذكره وذلك أنه لما قال جل ثناؤه وجعلوا لله شركاء علم أن معنى الكلام كشركائهم التي اتخذوها آلهة كما قال الشاعر

تخرى خبرت أم عال * بين قصير شره تنبال
أذاك أم منخرق السربال * ولا يزال آخر الليال
* متلف مال ومفيد مال *

ولم يقل وقد قال شره تنبال وبين كذا وكذا اكتفاء منه بقوله أذاك أم منخرق السربال ودلالة الخبر عن المنخرق السربال على مراده فى ذلك * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ذلكم ربكم تبارك وتعالى قائم على بنى آدم بأرزاقهم وآجالهم وحفظ عليهم والله أعمالهم حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت (١) حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت يعنى بذلك نفسه يقول هو معكم أينما كنتم فلا يعمل عامل الا وهو حاضر ويقال هم الملائكة الذين وكلوا ببنى آدم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وعلى رزقهم وعلى طعامهم فأنا على ذلك قائم وهم عبيدى ثم جعلوا لى شركاء حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت فهو الله قائم على كل نفس بر وفاجر يرزقهم ويكلؤهم ثم يشرك به منهم من أشرك * وقوله وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم تنبؤنه بما لا يعلم فى الارض أم بظاهر من القول يقول تعالى ذكره أنا القائم بأرزاق هؤلاء المشركين والمدبر أمورهم والحافظ عليهم أعمالهم وجعلوا لى شركاء من خلقى يعبدونها دونى قل لهم يا محمد سموا هؤلاء الذين أشركتموهم فى عبادة الله فانهم ان قالوا آلهة فقد كذبوا لانه لا اله الا الواحد القهار لاشريك له أم تنبؤنه بما لا يعلم فى الارض يقول أتخبرونه بأن فى الأرض إلها ولا اله غيره فى الأرض ولا فى السماء * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وجعلوا لله شركاء قل سموهم ولو سموهم آلهة لكذبوا وقالوا فى ذلك غير الحق لان الله واحد ليس له شريك قال الله أم تنبؤنه بما لا يعلم فى الارض أم بظاهر من قول يقول لا يعلم الله فى الارض الها غيره حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وجعلوا لله شركاء قل سموهم والله خلقهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وجعلوا لله شركاء قل سموهم ولو سموهم كذبوا وقالوا فى ذلك ما لا يعلم الله من اله غير الله فذلك قوله أم تنبؤنه بما لا يعلم فى الارض أم بظاهر من القول مسموع وهو فى الحقيقة باطل لاصحة له * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل غير أنهم قالوا أم بظاهر معناه أم بباطل فأتوا بالمعنى الذى تدل عليه الكلام دون البيان عن حقيقة تأويلها ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة

(١) أى الى آخر ما رواه عنه بشر

منه الاعمال الصالحة بطريق الاعتياد حتى يصير التطبع طباعا والتكلف خلقا وهذا معنى اقتضاء الشكر مزيد الانعام وقد يفيض عليه بحكم وعد الله الذى هو الحق والصدق سجال مواهبه الدينية والدنيوية لانه مهما صار مطيعا منقادا لواجب الوجود سبحانه تجلى فيه نور الوجود فلا غرو أى لاعجب أن ينقاد لذلك النور كثير من الممكنات ويتفتح عليه باب التصرف فى الخلق بالحق للحق وان كان حال المكلف بضد ما قلنا ظهر عليه أضداد تلك الآثار لامحالة وذلك قوله (ولئن كفرتم) يعنى كفران النعم (ان عذابى لشديد) ثم بين أن منافع الشكر ومضار الكفران لاتعود الا الى صاحبه أو عليه وانه تعالى غنى عن ذلك كله فقال (ان تكفروا أنتم) الآية وذلك أن واجب الوجود فى ذاته واجب الوجود فى جميع صفاته ولن يكون كذلك الا اذا كان غنيا عن الحاجات متصفا بكل الكمالات أهلا للحمد وان لم يكن حامد اقوله (ألم يأتكم) يحتمل أن يكون خطابا من موسى لقومه والغرض تخويفهم بمثل هلاك من تقدم من القرون فيكون داخلا تحت التذكير بأيام الله واحتمل أن يكون مخاطبة من الله على لسان موسى لقومه يذكرهم أمر القرون الاولى قاله أبو مسلم والاكثرون على أنه ابتداء مخاطبة لقوم الرسول صلى الله عليه وسلم تحذيرا لهم عن مخالفته وقوله (والذين من بعدهم لايعلمهم الاالله) ان كان جملة من مبتدأ وخبره فالمجموع اعتراض وان كان قوله والذين من بعدهم معطوفا على قوم نوح فقوله لايعلمهم الاالله وحده اعتراض ثم ان عدم العلم اما أن يكون راجعا الى صفاتهم بأن تكون أحوالهم وأخلاقهم ومدد أعمارهم غير معلومة واما أن يكون عائدا الى ذواتهم بأن يكون فيما بين القرون أقوام ما بلغنا أخبارهم كما روى عن ابن عباس بين عدنان واسمعيل ثلاثون أبا لايعرفون وكان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية قال كذب النسابون يعنى أنهم يدعون علم الانساب وقد نفى الله علمها عن العباد ونظير الآية قوله وقرونا بين ذلك كثيرا منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك قال القاضى وعلى هذا الوجه لايمكن القطع بمقدار السنين من لدن ادم عليه السلام الى

هذا الوقت لانه لو أمكن ذلك لم يبعد تحصيل العلم بالانساب الموصولة ثم انه تعالى حكى عن هؤلاء الاقوام أنهم لما (جاءتهم رسلهم بالبينات) أتوا بأمور أحدها (فردوا أيديهم في أفواههم) وفيه قولان أحدهما أن المراد باليد والفم الجارحتان وعلى هذا فيه احتمالان الاول أن الكفار ردوا أيديهم في أفواههم فعضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ

قاله ابن عباس وابن مسعود وهو الاظهر أو وضعوا الأيدي على الافواه ضحكا واستهزاء كمن غلبه الضحك أو وضعوا أيديهم على أفواههم مشيرين بذلك الى الانبياء أن كفوا عن هذا الكلام واسكتوا عن ذكر هذا الحديث قاله الكلبي أو أشاروا بأيديهم الى ألسنتهم والى ما تكلموا به من قولهم (انا كفرنا بما أرسلتم به) أي هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره اقناطا لهم من التصديق وهذا قول قوي لعطف قوله وقالوا على قوله فردوا * الاحتمال الثاني أن تكون الضمائر راجعة الى الرسل والمراد أن الرسل لما أيسوا منهم سكتوا ووضعوا أيدي أنفسهم على أفواه أنفسهم أرادوا أنهم لا يعودون الى ذلك الكلام البتة أو يكون الضميران الاخيران راجعين الى الرسل والمعنى أن الكفار أخذوا أيدي الرسل ووضعوها على أفواههم ليسكتوهم ويقطعوا كلامهم أو يكون الضمير الأخير فقط عائدا الى الرسل والمراد أن الكفار لما سمعوا وعظ الانبياء ونصائحهم أشاروا بأيديهم الى أفواه الرسل تكذيبا لهم وردا عليهم أو وضعوا أيديهم على أفواه الانبياء منعا لهم من الكلام فهذه جملة الاحتمالات على القول الاول * القول الثاني أن ذكر اليد والفم توسع ومجاز عن أبي مسلم أن المراد باليد ما نطقت به الرسل بأفواههم من الحجج لان دلائل الوحي من أجل النعم لانهم اذا كذبوا الآيات ولم يقبلوها فكأنهم ردوها الى حيث جاءت منه على طريق المثل ونقل محمد بن جرير عن بعضهم أنه يقال للرجل اذا أمسك عن الجواب رد يده في فيه فمعنى الآية أنهم سكتوا عن الجواب وزيف بأنهم قد أجابوا بالتكذيب وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به والمراد بما زعمتم أن الله أرسلكم به وكأنهم في أول الامر حاولوا

قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله بظاهر من القول بظن حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن قتادة قوله أم بظاهر من القول والظاهر من القول هو الباطل حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله أم بظاهر من القول يقول أم بباطل من القول وكذب ولو قالوا قالوا الباطل والكذب وقوله بل زين للذين كفروا مكرهم يقول تعالى ذكره ما لله من شريك في السموات ولا في الارض ولكن زين للمشركين الذين يدعون من دونه الها مكرهم وذلك افتراؤهم وكذبهم على الله وكان مجاهد يقول معنى المكر ههنا القول كأنه قال قولهم بالشرك بالله حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله بل زين للذين كفروا مكرهم قال قولهم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وأما قوله وصدوا عن السبيل فان القراء اختلفت في قراءته فقرأته عامة قراء الكوفيين وصدوا عن السبيل بضم الصاد بمعنى وصدهم الله عن سبيله لكفرهم به ثم جعلت الصاد مضمومة اذ لم يسم فاعله وأما عامة قراء الحجاز والبصرة فقرؤه بفتح الصاد على معنى أن المشركين هم الذين صدوا الناس عن سبيل الله والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال انهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القراء متقاربتا المعنى وذلك أن المشركين بالله كانوا مصدودين عن الايمان به وهم مع ذلك كانوا يصدون غيرهم كما وصفهم الله به بقوله ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله وقوله ومن يضلل الله فما له من هاد يقول تعالى ذكره ومن أضله الله عن اصابة الحق والهدى بخذلانه اياه فما له أحد يهديه لاصابتهما لان ذلك لا ينال الا بتوفيق الله ومعونته وذلك بيد الله واليه دون كل أحد سواه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (لهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من واق) يقول تعالى ذكره لهؤلاء الكفار الذين وصف صفتهم في هذه السورة عذاب في الحياة الدنيا بالقتل والاسار والآفات التي يصيبهم الله بها ولعذاب الآخرة أشق يقول ولتعذيب الله اياهم في الدار الآخرة أشد من تعذيبه اياهم في الدنيا وأشق انما هو أفعل من المشقة وقوله وما لهم من الله من واق يقول تعالى ذكره وما لهؤلاء الكفار من أحد يقيهم من عذاب الله اذا عذبهم لا حميم ولا ولي ولا نصير لانه جل جلاله لا يعاده أحد فيقهره فيخلصه من عذابه بالقهر ولا يشفع عنده أحد الا باذنه وليس يأذن لأحد في الشفاعة لمن كفر به فمات على كفره قبل التوبة منه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار) اختلف أهل العلم بكلام العرب في رافع المثل فقال بعض نحويي الكوفيين الرافع للمثل قوله تجري من تحتها الانهار في المعنى وقال هو كما تقول حلية فلان أسمر كذا وكذا فليس الاسمر بمرفوع بالحلية انما هو ابتداء أي هو أسمر هو كذا قال ولو دخل أن في مثل هذا كان صوابا قال ومثله في الكلام

مثلك

اسكات الانبياء وفي المرتبة الثانية صرحوا بتكذيبهم وفي الثالثة قالوا (وانا لفي شك) وقدمر مثله في سورة هود فان قلت كيف صرحوا بالكفر ثم بنوا أمرهم على الشك قلنا أرادوا انا كافرون برسالتكم وان نزلنا عن هذا المقام فلا أقل من أنا نشك في صحة نبوتكم ومع كمال الشك لا مطمع في الاعتراف بنبوتكم ثم انه سبحانه حكى جواب الرسل وذلك قولهم أفي الله شك فاطر السموات والارض)

أدخل همزة الانكار على الظرف لان الكلام ليس في الشك انما هو في المشكوك فيه وأن وجود الله لا يحتمل الشك (قال الضعيف المذنب المفتقر الى عفو ربه الكريم مؤلف الكتاب الحسن بن محمد المشتهر بنظام النيسابوري نظم الله أحواله في الدارين) انه كان من عقيدتي أن العلم بوجود الواجب في الخارج من جملة البديهيات وكان يستبعد ذلك كثير من أقراني وأصحابي لما رأوا أن الاقدمين ما زالوا يبرهنون على ذلك في الكتب الكلامية والحكمية فكنت قد كتبت لأجلهم رسالة في الالهيات مشتملة على دلائل تجري مجرى المنبهات على ذلك المعنى فان الضروريات قد ينبه عليها وان لم تحتج في الاقتناص الى البراهين والآن أرى أن أذكر بعض تلك المنبهات في هذا المقام لانها مقررة لقوله سبحانه أفي الله شك فأقول وبالله التوفيق المفهوم بالنظر الى ذاته والى الخارج اما أن يكون واجب الوجود فقط أو واجب العدم فقط أو ممكن الوجود والعدم معا أو واجب الوجود والعدم معا أو واجب الوجود وممكن الوجود والعدم معا أو واجب العدم وممكن الوجود والعدم معا أو واجب الوجود وواجب العدم وممكن الوجود والعدم جميعا فهذه أقسام سبعة والعقل الصريح لا يشك في استحالة خمسة أقسام منها في الخارج الاول واجب العدم لذاته فقط الثاني واجب الوجود لذاته و واجب العدم في ذاته معا الثالث واجب الوجود لذاته وممكن الوجود والعدم لذاته والرابع واجب العدم لذاته وممكن الوجود والعدم لذاته الخامس واجب الوجود لذاته وواجب العدم لذاته وممكن الوجود

مثلك أنك كذا وأنك كذا وقوله فلينظر الانسان الى طعامه أنا من وجه مثل الجنة التي وعد المتقون فيها ومن قال أنا صببنا الماء أظهر الاسم لانه مردود على الطعام بالخفض ومستأنف أي طعامه أنا صببنا ثم فعلنا وقال معنى قوله مثل الجنة صفات الجنة وقال بعض نحويي البصريين معنى ذلك صفة الجنة قال ومنه قول الله تعالى ولله المثل الأعلى معناه ولله الصفة العليا قال فمعنى الكلام في قوله مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الانهار أو فيها أنهار كأنه قال وصف الجنة صفة تجري من تحتها الانهار أو صفة فيها أنهار والله أعلم قال ووجه آخر كأنه اذا قيل مثل الجنة قيل الجنة التي وعد المتقون قال وكذلك قوله وانه بسم الله الرحمن الرحيم كأنه قال بالله الرحمن الرحيم والله أعلم قال وقوله على ما فرطت في جنب الله في ذات الله كأنه عندنا قيل في الله قال وكذلك قوله ليس كمثله شئ انما المعنى ليس كشئ وليس مثله شئ لانه لا مثل له قال وليس هذا كقولك للرجل ليس كمثلك أحد لانه يجوز أن يكون له مثل والله لا يجوز ذلك عليه قال ومثله قول لبيد

* الى الحول ثم اسم السلام عليكما *

قال وفسر لنا أنه أراد السلام عليكما قال أوس بن حجر

وقتلى كرام كمثل الجذوع * تغشاهم سيل منهمر

قال والمعنى عندنا كالجذوع لانه لم يرد أن يجعل للجذوع مثلا ثم يشبه القتلى به قال ومثله قول أمية

زحل وثور تحت رجل يمينه * والنسر للأخرى وليث مرصد

قال فقال تحت رجل يمينه كأنه قال تحت رجله أو تحت رجله اليمنى قال وقول لبيد

أضل صواره وتضيفته(١) * نطوف أمرها بيد الشمال

كأنه قال أمرها بالشمال والى الشمال وقول لبيد أيضا

* حتى اذا ألقت يدا في كافر *

فكأنه قال حتى وقعت في كافر وقال آخرون هو من المكفوف عن خبره قال والعرب تفعل ذلك قال وله معنى آخر للذين استجابوا لربهم الحسنى مثل الجنة موصول صفة لها على الكلام الاول قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال ذكر المثل فقال مثل الجنة والمراد الجنة ثم وصفت الجنة بصفتها وذلك أن مثلها انما هو صفتها وليست صفتها شيأ غيرها واذا كان ذلك كذلك ثم ذكر المثل فقيل مثل الجنة ومثلها صفتها وصفة الجنة فكان وصفها كوصف المثل وكان كأن الكلام جرى بذكر الجنة فقيل الجنة تجري من تحتها الانهار كما قال الشاعر

أرى مر السنين أخذن مني * كما أخذ السرار من الهلال

فذكر المر ورجع في الخبر الى السنين وقوله أكلها دائم وظلها يعني ما يؤكل فيها يقول هو دائم لأهلها لا ينقطع عنهم ولا يزول ولا يبيد ولكنه ثابت الى غير نهاية وظلها يقول وظلها أيضا دائم لانه لا شمس فيها تلك عقبى الذين اتقوا يقول هذه الجنة التي وصف جل ثناؤه عاقبة الذين اتقوا الله

(١) الذي في اللسان تبعا للازهري نطاف أي جمع نطفة والصوار قطيع البقر كتبه مصححه

والعدم في ذاته ثم نقول ان العقل كما لا يشك في استحالة الوجود الخارجي لهذه الاقسام الخمسة ينبغي أن لا يشك في وجود الواجب لذاته
فقط في الخارج لانه لو لم يكن موجودا في الخارج كان معدوما في الخارج فان كان عدمه لذاته كان من القسم الثاني من الممتنعات وان

كان لغيره كان من القسم الثالث منها وكلاهما محال اذ المفروض خلاف ذلك فثبت كونه موجودا
في الخارج بالضرورة وهو المطلوب فهذه طريقة عذراء تيسرت لنا من غير احتياج الى دور وتسلسل يرد عليها المنوع المشهورة * وجه ثان الموجود في الخارج اما واجب أو ممكن وهذه قضية اتفقوا على ضروريتها لانه ان كان مستغنيا عن المؤثر في وجوده الخارجي فواجب والا فممكن فنقول ان كانت القسمة قسمة تنويع حتى يكون المعنى أن الموجود في الخارج هذان النوعان فقد ثبت وجود الواجب في الخارج بالضرورة وهو المطلوب وان كانت القسمة قسمة انفصال ولا محالة تكون مانعة الخلو فقط أما كونها مانعة الخلو فلاستحالة العقل رفعهما معا في الخارج ضرورة ثبوت موجود ما في الخارج بالضرورة وأما انها ليست بمانعة الجمع فلأن الممكن موجود بالضرورة ولا منافاة بين وجود الواجب ووجود الممكن بالضرورة والا لم يستدل العقلاء من وجود الممكن على اثبات الواجب بل يستدلون منه على نفسه واذا كان الجمع بين الواجب والممكن ممكنا في الوجود والممكن موجود بالضرورة مع أنه مفتقر في وجوده الى مؤثر موجود فلأن يكون الواجب موجودا يكون أولى بالضرورة لاستغنائه عن المؤثر وكون ذاته كافية في ايجاب الوجود له وهذه مقدمة جلية مكشوفة لمن تأمل في مفهوم واجب الوجود اذ لا معنى لوجوب الوجود الا أنه وجود يوجد البتة من تلقاء نفسه ومع قطع النظر عما سواه ولهذا قال المحققون ان الوجود يقع على الواجب وعلى الممكن بالتشكيك بمعنى أنه في الواجب أولى وأولى منه في الممكن * وجه ثالث طبيعة الواجب وطبيعة الممكن من حيث ذاتاهما يشتركان في صحة وجودهما الخارجي

فاجتنبوا معاصيه وأدوا فرائضه وقوله وعقبى الكافرين النار يقول وعاقبة الكافرين بالله النار

القول في تأويل قوله تعالى {والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك ومن الاحزاب من ينكر بعضه قل انما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به اليه أدعو واليه مآب} يقول تعالى ذكره والذين أنزلنا اليهم الكتاب ممن آمن بك واتبعك يا محمد يفرحون بما أنزل اليك منه ومن الاحزاب من ينكر بعضه يقول ومن أهل الملل المتحزبين عليك وهم أهل أديان شتى من ينكر بعض ما أنزل اليك فقل لهم انما أمرت أيها القوم أن أعبد الله وحده دون ما سواه ولا أشرك به فأجعل له شريكا في عبادتي فأعبد معه الآلهة والاصنام بل أخلص له الدين حنيفا مسلما اليه أدعو يقول الى طاعته واخلاص العبادة له أدعو الناس واليه مآب يقول واليه مصيري وهو مفعل من قول القائل آب يؤب أوبا وآبا وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فرحوا بكتاب الله وبرسوله وصدقوا به قوله ومن الاحزاب من ينكر بعضه يعني اليهود والنصارى حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ومن الاحزاب من ينكر بعضه قال من أهل الكتاب حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه من أهل الكتاب والاحزاب أهل الكتب تفريقهم تحزبهم قوله وان يأت الاحزاب قال لتحزبهم على النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن جريج وقال عن مجاهد ينكر بعضه قال بعض القرآن حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة واليه مآب واليه مصير كل عبد حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك قال هذا من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب فيفرحون بذلك وقرأ ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وفي قوله ومن الاحزاب من ينكر بعضه قال الاحزاب الامم اليهود والنصارى والمجوس منهم من آمن به ومنهم من أنكره

القول في تأويل قوله تعالى {وكذلك أنزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا واق} يقول تعالى ذكره وكما أنزلنا عليك الكتاب يا محمد فأنكره بعض الاحزاب كذلك أيضا أنزلنا الحكم والدين حكما عربيا وجعل ذلك عربيا ووصفه به لانه أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهو عربي فنسب الدين اليه اذ كان عليه أنزل فكذب به الاحزاب ثم نهاه جل ثناؤه عن ترك ما أنزل اليه واتباع الاحزاب وتهدده على ذلك ان فعله فقال ولئن اتبعت يا محمد أهواءهم أهواء هؤلاء الأحزاب ورضاهم ومحبتهم وانتقلت من دينك الى دينهم مالك من يقيك عذاب الله ان عذبك على اتباعك أهواءهم ومالك من ناصر ينصرك فيستنقذك من الله ان هو عاقبك يقول فاحذر أن تتبع أهواءهم

القول في تأويل قوله تعالى {ولقد

﴿ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله لكل أجل كتاب﴾ يقول تعالى ذكره ولقد أرسلنا يا محمد رسلا من قبلك الى أمم قد خلت من قبل أمتك فجعلناهم بشرا أمثالك لهم أزواج ينكحون وذرية أنسلوهم ولم نجعلهم ملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون فنجعل الرسول الى قومك من الملائكة مثلهم ولكن أرسلنا اليهم بشرا مثلهم كما أرسلنا الى من قبلهم من سائر الامم بشرا مثلهم وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله يقول تعالى ذكره وما يقدر رسول أرسله الله الى خلقه أن يأتى أمته بآية وعلامة من تسيير الجبال ونقل بلدة من مكان الى مكان آخر واحياء الموتى ونحوها من الآيات الا باذن الله يقول الا بأمر الله الجبال بالسير والارض بالانتقال والميت بأن يحيا لكل أجل كتاب يقول لكل أجل أمر قضاه الله كتاب قد كتبه فهو عنده وقد قيل معناه لكل كتاب أنزله الله من السماء أجل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق بن يوسف عن جويبر عن الضحاك فى قوله لكل أجل كتاب يقول لكل كتاب ينزل من السماء أجل فيمحو الله من ذلك ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب «قال أبو جعفر» وهذا على هذا القول نظير قول الله وجاءت سكرة الموت بالحق وكان أبو بكر رضى الله عنه يقول وجاءت سكرة الحق بالموت وذلك أن سكرة الموت تأتى بالحق والحق يأتى بها فكذلك الاجل له كتاب وللكتاب أجل ❁ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم يمحو الله ما يشاء من أمور عباده فيغيره الا الشقاء والسعادة فانهما لا يغيران ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا محمد بن عيسى عن ابن أبى ليلى عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب قال يدبر الله أمر العباد فيمحو ما يشاء الا الشقاء والسعادة والموت حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبى ليلى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب قال كل شئ غير السعادة والشقاء فانهما قد فرغ منهما حدثنى على بن سهل قال ثنا يزيد وحدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد عن سفيان عن ابن أبى ليلى عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس يقول يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب قال الا الشقاء والسعادة والموت والحياة حدثنى المثنى قال ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين وقبيصة قالا ثنا سفيان عن ابن أبى ليلى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله حدثنا عمرو بن على قال ثنا وكيع قال ثنا ابن أبى ليلى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قوله يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب قال قال ابن عباس الا الحياة والموت والشقاء والسعادة حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن ابن أبى ليلى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب قال يقدر الله أمر السنة فى ليلة القدر الا الشقاء والسعادة والموت والحياة حدثنا عمرو بن على قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد فى قوله يمحو الله ما يشاء ويثبت قال الا الحياة والموت والسعادة والشقاوة فانهما لا يتغيران حدثنا عمرو قال

بالضرورة ويفترقان فى أن الواجب ذاته كافية فى ايجاب الوجود له والممكن لا يكفى فيه ذلك بل يحتاج فى ايجاب وجوده الخارجى الى الغير ولا ريب أن الاول أقرب الى طبيعة الوجود من الثانى لان الموقوف على مقدمات أكثر أعسر وجودا والثانى واقع بالضرورة فالاول أولى بكونه ضرورى الوقوع ❊ وجه رابع نسبة كل محمول الى موضوعه لا تخلو فى نفس الامر من أن تكون بالوجوب أو بالامكان أو بالامتناع فنسبة الوجود الخارجى الى الماهيات الخارجية من حيث ذواتها لا تخلو من أحد الامور الثلاثة لكن نسبته اليها بالامتناع ظاهرة الاستحالة فهى اما بالامكان أو بالوجوب ولا شك أن نسبة الوجود الى ذات الموجود أولى من نسبته الى غيره اذ الاصل عدم الغير فكل ما دل البرهان على أن وجوده من غيره لتغيره فيه أو نقص حكم عليه بأنه ممكن الوجود وما لم يدل البرهان فيه على ذلك بل دل على وجوب وجوده بجميع صفات الكمالية فهو واجب الوجود ومن شك فى وجود ما وجوده من تلقاء نفسه ويكون متصفا بجميع الكمالات بعد مشاهدة ما وجوده من غيره وهو عرضة للنقائص والرذائل كان أهلا لأن يهجر الحكمة ❊ وجه خامس نفس الامكان نقص لا نقص فوقه لاستتباعه العجز والافتقار وصحة العدم عليه الذى لا ضعف مثله والوجود المتصف به متحقق بالضرورة فالوجود الذى يجوزه العقل الصريح متصفا بصفة الوجوب كيف لا يكون متحققا ومن استبهم عليه مثل هذا الجلى فلا يلومن الا نفسه ❊ وجه سادس مقتضى ذات الشئ أقرب ايجابا له عند العقل من مقتضى كل ما يغايره لكن الوجود الذى مقتضاه الامكان ثابت فى الخارج مع أن ثبوته فى الخارج مقتضى الغير فالوجود الذى مقتضاه الوجوب ثابت بالطريق الاولى ❊ وجه سابع الوجود الممكن ثابت بالضرورة وليس ثبوت ذلك الوجود من تلقاء نفسه والا كان وجودا واجبا لانا لا نعنى بالوجود الواجب الا هذا فاما أن يكون من وجود واجب وهو المطلوب أو من وجود مثله وحينئذ ما لم يكن ثابتا فى نفسه لم يتصور منه افادة مثله واذن حصل لنا وجود ممكن موصوف الثبوت فى نفسه وموصوفا بكونه

مفيدا لوجود مثله فاذا صح هذان الوصفان للوجود الممكن المفتقر فكيف لا يصحان للوجود الواجب الغنى بل نسبتهما الى الثانى أولى من نسبتهما الى الاول بحكم الفهم الصحيح * وجه ثامن كون الشئ موجودا فى نفسه أقرب وأقبل عند العقل من كونه موجدا لغيره اذ ليس كل من له وجود فى نفسه يكون موجدا لغيره وكل موجد لغيره موجود فى نفسه واذا كان اتصاف الوجود الممكن مع ضعفه بأبعد الامرين عن القبول واقعا فكيف لا يكون اتصاف الوجود الواجب مع قوته بأقربهما من القبول واقعا * وجه تاسع انجذاب النفوس السليمة وغير السليمة من الانبياء والاولياء والحكماء وسائر العقلاء من اخوان الصفاء وأخدان الوفاء وأرباب البدع والاهواء الى وجود واجب متى رجعوا الى أنفسهم وطالعوا ملكوت السموات والارض وتأملوا فى الاحوال الواردة عليهم من كشف كرب أو هجوم نعمة أجلى دليل على وجود رب جليل منزه عن سمات النقص والأفول فى حيز الامكان مفيض للخيرات مدبر للممكنات ولهذا قال رب السموات والارضين عن الظلمة المعاندين ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ثم أخبر أنهم يعتذرون عن أصنامهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله اذ لم يكن جحدهم وعنادهم عن تحقيق وصدق وانما كانوا مكابرين فى الظاهر ابتلاء من الله وشقاء منهم فالحاصل أن المؤمن والمشرك والمقر والجاحد سيان فى أنه تشهد فطرته بوجود صانع للعالم واجب فى ذاته وصفاته ولا أدل من ذلك على أنه ضرورى الوجود * وجه عاشر وهو الاستدلال بالآفاق كل موجود سوى الواجب فله ظهور فى الخارج لكنه اذا اعتبر فى نفسه لم يكن له ذلك من تلقاء نفسه فكان فقيرا فى نفسه وذلك أفول له فى أفق الامكان واذا كان ما مقتضى ذاته الافول طالعا فما مقتضى ذاته الطلوع أولى بأن يكون طالعا * وجه حادى عشر وهو الاستدلال بالأنفس من تأمل فى ذاته وفرض شخصه فى هواء طلق لا يحس فيه بمتضاد وأغفل الحواس عن أفعالها وجد شيأ هو به هو وبذلك يصح

ثنا عبد الرحمن قال ثنا معاذ بن عقبة عن منصور عن مجاهد مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد مثله * قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن منصور قال قلت لمجاهد ان كنت كتبتنى سعيدا فأثبتنى وان كنت كتبتنى شقيا فامحنى قال الشقاء والسعادة قد فرغ منهما حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد * قال ثنا سعيد بن سليمان قال ثنا شريك عن منصور عن مجاهد يمحو الله ما يشاء ويثبت قال ينزل الله كل شئ فى السنة فى ليلة القدر فيمحو ما يشاء من الآجال والارزاق والمقادير الا الشقاء والسعادة فانهما ثابتان حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور قال سألت مجاهدا فقلت أرأيت دعاء أحدنا يقول اللهم ان كان اسمى فى السعداء فأثبته فيهم وان كان فى الاشقياء فامحه منهم واجعله فى السعداء فقال حسن ثم أتيته بعد ذلك بحول أو أكثر من ذلك فسألته عن ذلك فقال انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم قال يقضى فى ليلة القدر ما يكون فى السنة من رزق أو مصيبة ثم يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء فأما كتاب الشقاء والسعادة فهو ثابت لا يغير * وقال آخرون معنى ذلك أن الله يمحو ما يشاء ويثبت من كتاب سوى أم الكتاب الذى لا يغير منه شئ ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن سليمن التيمى عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال فى هذه الآية يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب قال كتابان كتاب يمحو منه ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب حدثنا عمرو بن على قال ثنا سهل بن يوسف قال ثنا سليمن التيمى عن عكرمة فى قوله يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب قال الكتاب كتابان كتاب يمحو الله منه ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب * قال ثنا أبو عامر قال ثنا حماد بن سلمة عن سليمن التيمى عن عكرمة عن ابن عباس بمثله حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمن عن أبيه عن عكرمة قال الكتاب كتابان يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب * وقال آخرون بل معنى ذلك أنه يمحو كل ما يشاء ويثبت كل ما أراد ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا عثام عن الاعمش عن شقيق أنه كان يقول اللهم ان كنت كتبتنا أشقياء فامحنا واكتبنا سعداء وان كنت كتبتنا سعداء فأثبتنا فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب حدثنا عمرو قال ثنا وكيع قال ثنا الاعمش عن أبى وائل قال كان مما يكثر أن يدعو بهؤلاء الكلمات اللهم ان كنت كتبتنا أشقياء فامحنا واكتبنا سعداء وان كنت كتبتنا سعداء فأثبتنا فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب * قال ثنا معاذ بن هشام قال ثنا أبى عن أبى حكيمة عن أبى عثمان النهدى أن عمر بن الخطاب قال وهو يطوف بالبيت ويبكى اللهم ان كنت كتبت على شقوة أو ذنبا فامحه فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب فاجعله سعادة ومغفرة * قال ثنا معتمر عن أبيه عن أبى حكيمة عن أبى عثمان قال وأحسبنى قد سمعته من أبى عثمان مثله * قال ثنا أبو عامر قال ثنا قرة بن خالد عن عصمة بن أبى حكيمة عن أبى عثمان النهدى عن عمر رضى الله عنه مثله حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد قال ثنا أبو حكيمة قال سمعت أبا عثمان النهدى قال

سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول وهو يطوف بالكعبة اللهم ان كنت كتبتنى فى أهل السعادة فأثبتنى فيها وان كنت كتبت علىّ الذنب والشقوة فامحنى وأثبتنى فى أهل السعادة فانك تمحو ماتشاء وتثبت وعندك أم الكتاب ٭ قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن خالد الحذاء عن أبى قلابة عن ابن مسعود أنه كان يقول اللهم ان كنت كتبتنى فى أهل الشقاء فامحنى وأثبتنى فى أهل السعادة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب يقول هو الرجل يعمل الزمان بطاعة الله ثم يعود لمعصية الله فيموت على ضلالة فهو الذى يمحو والذى يثبت الرجل يعمل بمعصية الله وقد كان سبق له خير حتى يموت وهو فى طاعة الله فهو الذى يثبت حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن هلال بن حميد عن عبد الله بن حكيم عن عبد الله أنه كان يقول اللهم ان كنت كتبتنى فى السعداء فأثبتنى فى السعداء فانك تمحو ماتشاء وتثبت وعندك أم الكتاب حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن أبى حمزة عن ابراهيم أن كعبا قال لعمر رضى الله عنه ياأمير المؤمنين لولا آية فى كتاب الله لانبأتك ماهو كائن الى يوم القيامة قال وماهى قال قول الله يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله لكل أجل كتاب الآية يقول يمحو الله مايشاء يقول أنسخ ماشئت وأصنع من الافعال ماشئت ان شئت زدت فيها وان شئت نقصت حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عفان قال ثنا همام قال ثنا الكلبى قال يمحو الله مايشاء ويثبت قال يمحى من الرزق ويزيد فيه ويمحى من الاجل ويزيد فيه قلت من حدثك قال أبو صالح عن جابر بن عبد الله بن رئاب الانصارى عن النبى صلى الله عليه وسلم فقدم الكلبى بعد فسئل عن هذه الآية يمحو الله مايشاء ويثبت قال يكتب القول كله حتى اذا كان يوم الخميس طرح منه كل شئ ليس فيه ثواب ولا عليه عقاب مثل قولك أكلت شربت دخلت خرجت ونحو ذلك من الكلام وهو صادق ويثبت ما كان فيه الثواب وعليه العقاب حدثنا الحسن قال ثنا عبد الوهاب قال سمعت الكلبى عن أبى صالح نحوه ولم يجاوز أباصالح ٭ وقال آخرون بل معنى ذلك أن الله ينسخ مايشاء من أحكام كتابه ويثبت مايشاء منها فلا ينسخه ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس يمحو الله مايشاء قال من القرآن يقول يبدل الله مايشاء فينسخه ويثبت مايشاء فلا يبدله وعنده أم الكتاب يقول وجملة ذلك عنده فى أم الكتاب الناسخ والمنسوخ وما يبدل ومايثبت كل ذلك فى كتاب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يمحو الله مايشاء ويثبت هى مثل قوله ماننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها وقوله وعنده أم الكتاب أى جملة الكتاب وأصله حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة يمحو الله مايشاء ويثبت مايشاء وهو الحكيم وعنده أم الكتاب وأصله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يمحو الله مايشاء مما ينزل على الانبياء ويثبت مايشاء مما

أنيته وهو نفسه الناطقة التى نسبتها الى بدنه نسبة الملك الى المدينة يتصرف فيها كيف يشاء ومهما انقطعت علاقته عن البدن مات صاحبه وانخرط فى سلك الجمادات فكما أن البدن لضعفه وخسته مفتقر فى قوامه وقيامه الى مدبر يدبره ويقيمه فجميع العالم الجسمانى بل الممكنات بأسرها لخستها وفقرها تستند لامحالة الى ماهو أشرف منها وذلك ماوجوده من تلقاء نفسه وهو الواجب الحق تعالى شأنه ولولاه لتبدد نظام العالم ولم يكن من الوجود عين ولا أثر ٭ وجه ثانى عشر وهو أنور الوجوه وأظهرها وهو الاستدلال بالنور على النور لاشك أنه نور ونعنى به ماهو ظاهر فى نفسه مظهر لغيره فنقول ان كان ظهوره فى نفسه بنفسه فهو المطلوب والافيحتاج الى مايظهره ومايظهره لايمكن أن لايكون ظاهرا فى نفسه لان مالا يكون له ظهور فى نفسه لايفيد ظهور الغيره فننقل الكلام الى ذلك الظاهر بأن نقول ان كان ظهوره فى نفسه بنفسه فذاك والا احتاج الى مايظهره ولابد أن ينتهى فى طرف الصعود الى مايكون ظهوره فى نفسه بنفسه والالم ينته الامر فى طرف النزول الى الظاهر المفروض أولا فنهاية مالانهاية له محال من أى جانب فرض ولا تنتهض العودة اليومية نقضا علينا بناء على أنها مسبوقة بعودات مالاتتناهى فان لاتناهيها فى جانب الازل محال عندنا وكنا قد كتبنا فى بعض كتبنا بيان استحالة ذلك وان نقلت الكلام الى فيض الواجب وقلت الفيض الواقع فى زمان الحال مسبوق بافاضات غير متناهية لامحالة قلنا لو سلمنا ذلك لكنه لايستحيل فى الواجب لان وجوده وأوصافه المعتبرة كلها مقتضيات ذاته ومقتضى ذات الشئ يدوم بدوام الشئ ويستحيل انفكاكه عنه فلا نهاية فيضانه تابعة للامسبوقية بغيره وكون وجوده من ذاته ولا يلزم من كون مطلق الفيض أزليا أن يكون الفيض المخصوص أزليا واذا ثبت وجوب انتهاء الظاهر المفروض الى ماهو ظاهر فى نفسه بنفسه ثبت المطلوب وهو وجود نور الانوار تعالى شأنه وبهر برهانه وهو نهاية الممكنات فى جانب الازل وبدايتها فى جانب

ينزل على الانبياء قال وعنده أم الكتاب لا يغير ولا يبدل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج يمحو الله ما يشاء قال ينسخ قال وعنده أم الكتاب قال الذكر * وقال آخرون معنى ذلك أنه يمحو من قد حان أجله و يثبت من لم يجئ أجله الى أجله ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا ابن أبي عدي عن عوف عن الحسن في قوله يمحو الله ما يشاء و يثبت وعنده أم الكتاب يقول يمحو من جاء أجله فذهب والمثبت الذي هو حي يجري الى أجله حدثنا عمرو بن علي قال ثنا يحيى قال ثنا عوف قال سمعت الحسن يقول يمحو الله ما يشاء قال من جاء أجله و يثبت قال من لم يجئ أجله الى أجله حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن نحو حديث ابن بشار * قال ثنا عبد الوهاب بن عطاء قال أخبرنا سعيد عن قتادة عن الحسن في قوله لكل أجل كتاب قال آجال بني آدم في كتاب يمحو الله ما يشاء من أجله و يثبت وعنده أم الكتاب * قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قول الله يمحو الله ما يشاء و يثبت قالت قريش حين أنزل وما كان لرسول أن يأتي بآية الا باذن الله ما نراك يا محمد تملك من شيء ولقد فرغ من الامر فأنزلت هذه الآية تخويفا ووعيدا لهم انا ان شئنا أحدثنا له من أمرنا ما شئنا ونحدث في كل رمضان فنمحو ونثبت ما نشاء من أرزاق الناس ومصائبهم وما نعطيهم وما نقسم لهم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه * وقال آخرون معنى ذلك و يغفر ما يشاء من ذنوب عباده و يترك ما يشاء فلا يغفره ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن سعيد في قوله يمحو الله ما يشاء و يثبت قال يثبت في البطن الشقاء والسعادة وكل شيء فيغفر منه ما يشاء و يؤخر ما يشاء * وأولى الاقوال التي ذكرت في ذلك بتأويل الآية وأشبهها بالصواب القول الذي ذكرناه عن الحسن ومجاهد وذلك أن الله تعالى ذكره توعد المشركين الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات بالعقوبة وتهددهم بها وقال لهم وما كان لرسول أن يأتي بآية الا باذن الله لكل أجل كتاب يعلمهم بذلك أن لقضائه فيهم أجلا مثبتا في كتاب هم مؤخرون الى وقت مجيء ذلك الاجل ثم قال لهم فاذا جاء ذلك الاجل يجيء الله بما شاء ممن قد دنا أجله وانقطع رزقه أو حان هلاكه أو اتضاعه من رفعة أو هلاك مال فيقضي ذلك في خلقه فذلك محوه و يثبت ما شاء ممن بقي أجله ورزقه وأكله فيتركه على ما هو عليه فلا يمحوه وبهذا المعنى جاء الاثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ما حدثني محمد بن سهل بن عسكر قال ثنا ابن أبي مريم قال ثنا الليث بن سعد عن زيادة بن محمد عن محمد بن كعب القرظي عن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يفتح الذكر في ثلاث ساعات يبقين من الليل في الساعة الاولى منهن ينظر في الكتاب الذي لا ينظر فيه أحد غيره فيمحو ما يشاء و يثبت ثم ذكر ما في الساعتين الآخرتين حدثنا موسى بن سهل الرملي قال ثنا آدم قال ثنا الليث قال ثنا زيادة بن محمد عن محمد ابن كعب القرظي عن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله

ينزل

الابد فهو قديم أزلي ولان وجوده مقتضى ذاته وما بالذات لا يزول فهو الباقي الدائم هذا ما سنح من المنبهات لهذا الضعيف أثبتها في هذا الكتاب الشريف ليبقى ان شاء الله على وجه الدهر و ينظر فيها من هو من أهلها في كل عصر والله المستعان قال بعض العقلاء من لطم على وجه صبي فتلك اللطمة تدل على وجود الصانع

المختار وعلى حصول التكليف وعلى ثبوت دار الجزاء وعلى ضرورة بعثة النبي أما الاول فلان الصبي يصيح و يقول من الذي ضربني وما ذاك الا بشهادة فطرته على أن هذه اللطمة لما حدثت بعد عدمها وجب أن يكون حدوثها لأجل فاعل مختار أدخلها في الوجود واذا كان حال هذا الحادث مع حقارته هكذا فما ظنك بجميع الحوادث الكائنة في العالم العلوي والعالم السفلي وأما دلالتها على وجوب التكليف فلأن ذلك الصبي ينادي و يصيح و يقول لم ضربني ذلك الضارب وفيه دلالة على أن الافعال الانسانية داخلة تحت التكليف وأن الانسان ما خلق حتى يفعل أي شيء اشتهى وأما دلالتها على الجزاء فلانه يطلب الجزاء على تلك اللطمة ولا يتركه ما أمكنه واذا كان الحال في هذا العمل القليل كذلك فكيف يكون الحال في جميع الاعمال وأما وجوب النبوة فلأنهم يحتاجون الى انسان يبين لهم أن العقوبة الواجبة على ذلك القدر من الجناية كم هي ولا فائدة في بعثة النبي الا تبيين الشرائع والاحكام ومما يدعو العاقل الى الاعتراف بالمبدا والمعاد أنه لو أقربهما ثم بان أن الامر على خلافه فلا ضرر فيه البتة أما اذا أنكر الصانع والتكليف والجزاء وكانت هذه الامور في الخارج ثابتة حقة ففي انكارها أعظم المضار فيلزم على العاقل أن يعترف بهذه الامور أخذا بالأحوط ثم ان الرسل بعد التنبيه على وجود الصانع ذكروا فائدة الدعوة وغايتها وذلك ثنتان الاولى قوله (يدعوكم) أي الى الايمان (ليغفر لكم من ذنوبكم) استدل بالآية من جوز زيادة من في الاثبات وذلك لقوله تعالى في موضع آخر ان الله يغفر الذنوب جميعا وأجيب بأنه لا يلزم من غفران جميع الذنوب لأمة محمد صلى الله عليه وسلم غفران جميع الذنوب لغيرهم فالوجه أن تكون من للتبعيض

ينزل في ثلاث ساعات يبقين من الليل يفتح الذكر في الساعة الأولى الذي لم يره أحد غيره يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء حدثني محمد بن سهل بن عسكر قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال إن لله لوحا محفوظا مسيرة خمسمائة عام من درة بيضاء لها دفتان من ياقوت والدفتان لوحان لله كل يوم ثلثمائة وستون لحظة يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا المعتمر بن سليمن عن أبيه قال ثني رجل عن أبيه عن قيس بن عباد أنه قال العاشر من رجب هو يوم يمحو الله فيه ما يشاء

القول في تأويل قوله تعالى (وعنده أم الكتاب) اختلف أهل التأويل في تأويل قوله وعنده أم الكتاب فقال بعضهم معناه وعنده الحلال والحرام ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا مسلم بن إبراهيم قال ثنا محمد بن عقبة قال ثنا مالك بن دينار قال سألت الحسن قلت أم الكتاب قال الحلال والحرام قال قلت له فما الحمد لله رب العالمين قال هذه أم القرآن * وقال آخرون معناه وعنده جملة الكتاب وأصله ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وعنده أم الكتاب قال جملة الكتاب وأصله حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مثله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله وعنده أم الكتاب قال كتاب عند رب العالمين حدثني المثنى قال ثنا إسحق بن يوسف عن جويبر عن الضحاك وعنده أم الكتاب قال جملة الكتاب وعلمه يعني بذلك ما ينسخ منه وما يثبت حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس وعنده أم الكتاب يقول وجملة ذلك عنده في أم الكتاب الناسخ والمنسوخ وما يبدل وما يثبت كل ذلك في كتاب * وقال آخرون في ذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا معتمر بن سليمن عن أبيه عن شيبان عن ابن عباس أنه سأل كعبا عن أم الكتاب قال علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون فقال لعلمه كن كتابا فكان كتابا * وقال آخرون هو الذكر ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج «قال أبو جعفر» لا أدري فيه ابن جريج أم لا قال قال ابن عباس وعنده أم الكتاب قال الذكر * وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال وعنده أصل الكتاب وجملته وذلك أنه تعالى ذكره أخبر أنه يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء ثم عقب ذلك بقوله وعنده أم الكتاب فكان بينا أن معناه وعنده أصل المثبت منه والمحو وجملته في كتاب لديه واختلفت القراء في قراءة قوله ويثبت فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة ويثبت بتشديد الباء بمعنى ويتركه ويقره على حاله فلا يمحوه وقرأه بعض المكيين وبعض البصريين وبعض الكوفيين ويثبت بالتخفيف بمعنى يكتب وقد بينا قبل أن معنى ذلك عندنا إقراره مكتوبا وترك محوه على ما قد بينا وإذا كان ذلك كذلك فالتثبيت به أولى والتشديد أصوب من التخفيف وإن كان التخفيف قد يحتمل توجيهه في المعنى إلى التشديد والتشديد إلى التخفيف لتقارب معنييهما وأما المحو فإن للعرب فيه لغتين فأما مضر فإنها تقول محوت الكتاب أمحوه محوا وبه التنزيل ومحوته أمحاه محوا وذكر عن بعض قبائل ربيعة أنها

تمييزا بين الفريقين ويؤيده ما ذكرنا استقراء الآيات فإنها ما جاءت في خطاب الكافرين إلا مقرونة بمن كما في هذه الآية وفي سورة نوح وسورة الأحقاف وقال في خطاب المؤمنين في سورة الصف يغفر لكم ذنوبكم بغير من وقيل أراد أنه يغفر لهم ما بينهم وبين الله بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم وقيل من للبدل أي لتكون المغفرة بدلا من الذنوب وضعف بأنه لم يوجد له في اللغة نظير وعن الأصم أنه أراد إذا تبتم يغفر لكم بعض الذنوب التي هي الكبائر فأما الصغائر فلا حاجة إلى غفرانها لأنها في أنفسها مغفورة وزيفه القاضي بأن الصغيرة إنما تكون مغفورة من الموحدين حيث يزيد ثوابهم على عقابهم فأما من لا ثواب له أصلا فلا يكون شيء من ذنوبه صغيرا ولا كبيرا مغفورا وقيل المراد أن الكافر قد ينسى بعض ذنوبه في حال توبته وإيمانه فلا يكون المغفور منها إلا ما ذكره وتاب منه وقال الإمام فخر الدين الرازي في الآية دلالة على أنه تعالى قد يغفر ذنب أهل الإيمان من غير توبة لأنه وعد بغفران بعض الذنوب مطلقا من غير اشتراط التوبة وذلك البعض ليس هو الكفر لانعقاد الإجماع على أنه تعالى لا يغفر الكفر إلا بالتوبة عنه والدخول في الإيمان فوجب أن يكون ذلك البعض هو ما عدا الكفر من الذنوب ولقائل أن يقول لا نسلم أنه لم يشترط التوبة في الآية لأن قوله يدعوكم أي إلى الإيمان معناه آمنوا ليغفر لكم فكأنه قيل إن الإيمان شرط غفران بعض الذنب فلم لا يجوز أن يكون ذلك البعض هو الكفر الغاية الثانية قوله (ويؤخركم إلى أجل مسمى) عن ابن عباس أي يمتعكم في الدنيا باللذات والطيبات إلى الموت الطبيعي ولا يعاجلكم بعذاب الاستئصال وقد مر تحقيق الأجل في أول الأنعام ثم شرع في حكاية شبه الكفار وأنها ثلاث الأولى قولهم (إن أنتم إلا بشر مثلنا) وذلك لاعتقادهم أن الأشخاص الإنسانية متساوية في تمام الماهية فيمتنع أن يبلغ التفاوت بينهم إلى هذا الحد مع اشتراك الكل في الضروريات البشرية من الحاجة إلى الأكل والشرب والوقاع وغير ذلك الثانية التمسك بطريقة التقليد وذلك قولهم (تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا) الثالثة إنكارهم دلالة

المعجزة على الصدق وعلى تقدير التسليم زعموا أنهم ما أتوا بحجة أصلا لاعتقادهم أن معجزاتهم من جنس الامور المعتادة فاقترحوا سلطانا مبينا أى برهانا باهرا وحجة قاهرة ثم ان الانبياء سلموا أنهم بشر مثلهم ولكنهم وصفوا أنفسهم بما عز به من عند الله بطريق المنة والعطية وبهذا استدل من جعل النبوة محض العطاء من الله أجاب المخالف بأنهم لم يذكروا فضائلهم النفسانية والجسمانية تواضعا منهم ولانه قد علم أنه لا يختصهم بتلك الكرامة الا وهم أهل لها لخصائص فيهم وأما الشبهة الثانية فانما لم يذكروا الجواب عنها لان صحة النبوة تهدم قاعدة التقليد وأما الشبهة الثالثة فجوابها (وما كان لنا) أى ما صح منا (أن نأتى بآية) اقترحتموها من تلقاء أنفسنا وانما ذلك أمر يتعلق بمشيئة الله والظاهر أن الانبياء لما أجابوا عن شبهاتهم بما أجابوا فالقوم أخذوا فى السفاهة والتخويف وعند ذلك قالت الانبياء (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) الى قوله (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) قال علماء المعانى الاول لاستحداث التوكل والثانى للسعى فى ابقائه وادامته وقيل معنى الاول أن الذين يطلبون المعجزات يجب عليهم أن يتوكلوا فى حصولها على الله لا علينا فان شاء أظهرها وان شاء لم يظهرها ومعنى الثانى ابداء التوكل على الله فى دفع شر الكفار وسفاهتهم وفى قولهم (وقد هدانا سبلنا) اشارة الى ما سهل الله عليهم من طريقة التكميل والارشاد وتحمل أعباء الرسالة والصبر على متاعبها فان تأثير نفوسهم فى عالم الارواح كتأثير الشمس فى عالم الاجسام بالاضاءة والانارة وقد عرفوا بالنفوس المشرقة والانوار الالهية أو بالوحى الصريح أنه تعالى يعصمهم من كيد الاعداء ومكر الحساد وفى قولهم (ولنصبرن على ما آذيتمونا) دليل على ان الصبر مفتاح الفرج ومطلع الخيرات ومثمر السعادات أما قال قول الكفار للرسل (أو لتعودن فى ملتنا) فقد مر البحث عليه فى سورة الاعراف فى قصة شعيب وقال صاحب الكشاف العود ههنا بمعنى الصيرورة حلفوا أن يخرجوهم البتة الا أن يصيروا كافرين مثلهم (فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين) أجرى الايحاء مجرى القول لانه ضرب

تقول محيت أمحى ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وإما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وإما نرينك يا محمد فى حياتك بعض الذى نعد هؤلاء المشركين بالله من العقاب على كفرهم أو نتوفينك قبل أن نريك ذلك فإنما عليك أن تنتهى الى طاعتى فيما أمرتك به من تبليغهم رسالتى لا طلب صلاحهم ولا فسادهم وعلينا محاسبتهم فمجازاتهم بأعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أولم يروا أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه أولم ير هؤلاء المشركون من أهل مكة الذين يسألون محمدا الآيات أنا نأتى الارض فنفتحها له أرضا بعد أرض حوالى أرضهم أفلا يخافون أن نفتح له أرضهم كما فتحنا له غيرها ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا محمد بن الصباح قال ثنا هشيم عن حصين عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها قال أولم يروا أنا نفتح لمحمد الارض بعد الارض حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أولم يروا أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها يعنى بذلك ما فتح الله على محمد يقول فذلك نقصانها حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سلمة بن نبيط عن الضحاك قال ما تغلبت عليه من أرض العدو حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال كان الحسن يقول فى قوله أولم يروا أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها فهو ظهور المسلمين على المشركين حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله أولم يروا أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها يعنى أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان ينتقص له ما حوله من الارضين ينظرون الى ذلك فلا يعتبرون قال الله فى سورة الانبياء نأتى الارض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون بل نبى الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه هم الغالبون * وقال آخرون بل معناه أولم يروا أنا نأتى الارض فنخربها أولا يخافون أن نفعل بهم وبأرضهم مثل ذلك فنهلكهم ونخرب أرضهم ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا على بن عاصم عن حصين بن عبد الرحمن عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها قال أولم يروا الى القرية تخرب حتى يكون العمران فى ناحية * قال ثنا حجاج بن محمد عن ابن جريج عن الاعرج أنه سمع مجاهدا يقول نأتى الارض ننقصها من أطرافها قال خرابها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن الاعرج عن مجاهد مثله قال وقال ابن جريج خرابها وهلاك الناس حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن أبى جعفر الفراء عن عكرمة قوله أولم يروا أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها قال تخرب من أطرافها * وقال آخرون بل معناه ننقص من بركتها وثمرتها وأهلها بالموت ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ننقصها من أطرافها يقول نقصان أهلها وبركتها حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد فى قوله ننقصها من أطرافها قال فى الانفس وفى الثمرات وفى خراب الارض حدثنا ابن وكيع

منه أو أضمر القول عن النبي صلى الله عليه وسلم من آذى جاره ورثه الله داره (ذلك) الذي قضى الله به من اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم حق (لمن خاف مقامي) يريد موقف الله الذي يقف به عباده يوم القيامة وهو موقف الحساب او المقام مصدر أي خاف قيامي عليه بالحفظ والمراقبة كقوله أفمن هو قائم على كل نفس أو قيامي بالعدل والصواب مثل قائما بالقسط أو

قال ثنا أبي عن طلحة القناد عمن سمع الشعبي قال لو كانت الارض تنقص لضاق عليك حشك ولكن تنقص الانفس والثمرات * وقال آخرون معناه أنا نأتي الارض ننقصها من أهلها فنتطرفهم بأخذهم بالموت ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ننقصها من أطرافها قال موت أهلها حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن منصور عن مجاهد أولم يروا أنا نأتي الارض ننقصها من أطرافها قال الموت حدثني المثنى قال ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثنا هرون النحوي قال ثنا الزبير بن الحرث عن عكرمة في قوله ننقصها من أطرافها قال هو الموت ثم قال لو كانت الارض تنقص لم نجد مكانا نجلس فيه حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أنا نأتي الارض ننقصها من أطرافها قال كان عكرمة يقول هو قبض الناس حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال سئل عكرمة عن نقص الارض قال قبض الناس حدثنا الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا جرير بن حازم عن يعلى بن حكيم عن عكرمة في قوله أولم يروا أنا نأتي الارض ننقصها من أطرافها قال لو كان كما يقولون لما وجد أحدكم جبا يخرأ فيه حدثنا الفضل بن الصباح قال ثنا اسمعيل بن علية عن أبي رجاء قال سئل عكرمة وأنا أسمع عن هذه الآية أولم يروا أنا نأتي الارض ننقصها من أطرافها قال الموت * وقال آخرون ننقصها من أطرافها بذهاب فقهائها وخيارها ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا طلحة بن عمرو عن عطاء عن ابن عباس قال ذهاب علمائها وفقهائها وخيار أهلها * قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عبد الوهاب عن مجاهد قال موت العلماء * وأولى الاقوال في تأويل ذلك بالصواب قول من قال أولم يروا أنا نأتي الارض ننقصها من أطرافها بظهور المسلمين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم عليها وقهرهم أهلها أفلا يعتبرون بذلك فيخافون ظهورهم على أرضهم وقهرهم اياهم وذلك أن الله توعد الذين سألوا رسوله الآيات من مشركي قومه بقوله واما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب ثم وبخهم تعالى ذكره بسوء اعتبارهم بما يعاينون من فعل الله بضربائهم من الكفار وهم مع ذلك يسألون الآيات فقال أولم يروا أنا نأتي الارض ننقصها من أطرافها بقهر أهلها والغلبة عليها من أطرافها وجوانبها وهم لا يعتبرون بما يرون من ذلك وأما قوله والله يحكم لا معقب لحكمه يقول والله هو الذي يحكم فينفذ حكمه ويقضي فيمضي قضاؤه واذا جاء هؤلاء المشركين بالله من أهل مكة حكم الله وقضاؤه لم يستطيعوا رده ويعني بقوله لا معقب لحكمه لا راد لحكمه والمعقب في كلام العرب هو الذي يكر على الشيء وقوله وهو سريع الحساب يقول والله سريع الحساب يحصي أعمال هؤلاء المشركين لا يخفى عليه شيء وهو من وراء جزائهم عليها ❊ القول في تأويل قوله تعالى (وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار) يقول تعالى ذكره قد مكر الذين من قبل هؤلاء المشركين من قريش من الامم التي سلفت بأنبياء الله ورسله فلله المكر جميعا يقول فلله أسباب المكر جميعا وبيده واليه لا يضره مكر من مكر منهم أحدا

المقام مقحم أي خافني مثل سلام الله على المجلس العالي (وخاف وعيد) قال الواحدي هو اسم من الايعاد وهو التهديد قال المحققون ان الخوف من الله مغاير للخوف من وعيد الله كما أن حب الله مغاير لحب ثواب الله وهذه فائدة عطف أحد الخوفين على الآخر قوله (واستفتحوا) الضمير اما للرسل والمعنى استنصروا الله على أعدائهم أو استحكموا الله وسألوه القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة واما للكفرة بناء على ظنهم أنهم على الحق والرسل على الباطل وعلى الاول يكون في الكلام اضمار التقدير فنصروا وفازوا بالمقصود (وخاب كل جبار عنيد) معاند وأصل العنود الميل من العند الناحية والجانب لأن كلا من المتعاندين في جانب آخر قيل الجبار وهو المتكبر اشارة الى أن فيه خلق الاستكبار والعنيد اشارة الى الأثر الصادر عن ذلك الخلق وهو كونه مجانبا للحق منحرفا عنه وأصل الكلام على الاول واستفتح الرسل وخاب الكفرة وعلى الثاني استفتحوا وخابوا فوضع الاعم موضع الاخص والظاهر مقام الضمير تنصيصا على الكفرة بان سبب خيبتهم عن السعادة الحقيقية تجبرهم وعنادهم (من ورائه) أي من بين يديه يقال الموت وراء كل أحد وذلك أن قدام وخلف كلاهما متوار عن الشخص فصح اطلاق لفظ وراء على كل واحد منهما وقال أبو عبيدة هو من الاضداد لان أحدهما ينقلب الى الآخر وهذا وصف حاله في الدنيا أو في الآخرة حين يبعث ويوقف قال جار الله قوله (ويسقى) معطوف على محذوف تقديره يلقى في جهنم ما يلقى (ويسقى من ماء صديد) أي من ماء بيانه أو صفته هذا والصديد ما يسيل من جلود أهل النار

واشتقاقه من الصد لانه يصد الناظر عن رؤيته أو تناوله وقيل يخلق الله في جهنم ما يشبه الصديد في النتن والغلظ والقذارة (يتجرعه) يتكلف جرعه (ولا يكاد يسيغه) أي لم يقارب الاساغة فضلا عن الاساغة قيل ليس المراد بالاساغة مجرد حصول المشروب في الجوف لان هذا المعنى حاصل لاهل النار بدليل قوله يصهر به ما في بطونهم وانما المراد جريان المشروب في الحلق في الاستطابة وقبول النفس لا بالكراهية والتأذي قلت يحتمل أن يراد بالاساغة مجرد الحصول والآية أعني قوله يصهر لا تدل على الحصول لقوله قبله يصب من فوق رؤسهم الحميم (ويأتيه الموت من كل مكان) من جسده حتى من ابهام رجله وقيل من أصل كل شعرة وقيل المراد أن موجبات الموت أحاطت به من جميع الجهات ومع ذلك فانه لا يموت فيها ولا يحيا أخبر والعياذ بالله أن العذاب في كل وقت يفرض من الاوقات المستقبلة يكون أشد وأنكى مما قبله فقال (ومن ورائه عذاب غليظ) عن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها في الاجساد قال في الكشاف يحتمل أن يكون أهل مكة استفتحوا أي استمطروا والفتح المطر في سني القحط التي سلطت عليهم بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يسقوا فذكر سبحانه ذلك وأنه خيب رجاء كل جبار عنيد وأنه يسقى في جهنم بدل سقياه ماء آخر وهو صديد أهل النار وعلى هذا التفسير يكون قوله واستفتحوا كلاما مستأنفا منقطعا عن حديث الرسل وأممهم ۞ التأويل بسم الله أي باسم الذات وهو الاسم الاعظم ابتدأت بخلق عالم الدنيا اظهار الصفات الرحمانية التي هي للمبالغة لاشتراك الحيوان والجماد والمؤمن والكافر في الرحمة وبخلق عالم الآخرة اظهار الصفة الرحيمية لاختصاصها بالمؤمنين خاصة قوله الرأي بآلائي وبلطفي ان القرآن أنزلناه اليك لتخرج الناس بدلالة نوره من ظلمات عالم الطبيعة والكثرة الى نور عالم الروح والوحدة باذن ربهم الذي يربيهم هو لا أنت وفي قوله الى صراط

مشركى

الامن أراد ضره به يقول فلم يضر الماكرون بمكرهم الا من شاء الله أن يضره ذلك وانما ضروا به أنفسهم لانهم أسخطوا ربهم بذلك على أنفسهم حتى أهلكهم ونجى رسله يقول فكذلك هؤلاء المشركون من قريش يمكرون بك يا محمد والله منجيك من مكرهم وملحق ضر مكرهم بهم دونك وقوله يعلم ما تكسب كل نفس يقول يعلم ربك يا محمد ما يعمل هؤلاء المشركون من قومك وما يسعون فيه من المكر بك ويعلم جميع أعمال الخلق كلهم لا يخفى عليه شئ منها وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار يقول وسيعلمون اذا قدموا على ربهم يوم القيامة لمن عاقبة الدار الآخرة حين يدخلون النار ويدخل المؤمنون بالله ورسوله الجنة واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته قراء المدينة وبعض أهل البصرة وسيعلم الكافر على التوحيد وأما قراء الكوفة فانهم قرؤه وسيعلم الكفار على الجمع والصواب من القراءة في ذلك القراءة على الجمع وسيعلم الكفار لان الخبر جرى قبل ذلك عن جماعتهم وأتبع بعده الخبر عنهم وذلك قوله واما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك وبعده قوله ويقول الذين كفروا لست مرسلا وقد ذكر أنها في قراءة ابن مسعود وسيعلم الكافرون وفي قراءة أبي وسيعلم الذين كفروا وذلك كله دليل على صحة ما اخترنا من القراءة في ذلك ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾ يقول تعالى ذكره ويقول الذين كفروا بالله من قومك يا محمد لست مرسلا تكذيبا منهم لك وجحودا لنبوتك فقل لهم اذا قالوا ذلك كفى بالله يقول قل حسبي الله شهيدا يعني شاهدا بيني وبينكم علي وعليكم بصدقي وكذبكم ومن عنده علم الكتاب فمن اذا قرئ كذلك في موضع خفض عطفا به على اسم الله وكذلك قرأته قراء الامصار بمعنى والذين عندهم علم الكتاب أي الكتب التي نزلت قبل القرآن كالتوراة والانجيل وعلى هذه القراءة فسر ذلك المفسرون ذكر الرواية بذلك حدثني علي بن سعيد الكندي قال ثنا أبو المحياة يحيى بن يعلى عن عبد الملك بن عمير عن ابن أخي عبد الله بن سلام قال قال عبد الله بن سلام نزلت في كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب حدثنا الحسين بن علي الصدائي قال ثنا أبو داود الطيالسي قال ثنا شعيب بن صفوان قال ثنا عبد الملك بن عمير أن محمد ابن يوسف بن عبد الله بن سلام قال قال عبد الله بن سلام أنزل في قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب فالذين عندهم علم الكتاب هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى حدثنا أبو كريب قال ثنا الاشجعي عن سفيان عن ليث عن مجاهد ومن عنده علم الكتاب قال هو عبد الله بن سلام حدثني يعقوب بن ابراهيم قال أخبرنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح في قوله ومن عنده علم الكتاب قال رجل من الانس ولم يسمه حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ومن عنده علم الكتاب هو عبد الله بن سلام * قال ثنا يحيى بن عباد قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد ومن عنده علم الكتاب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويقول الذين كفروا لست مرسلا قال قول

اشارة الى أن القرآن هو طريق الوصول الى من احتجب بحجب العزة والحمدة واستتر بأستار مظاهر القهر واللطف وفى الاختتام بقوله الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض اشارة الى أن من بقى فى أفعاله وهى المكونات لم يصل الى صفاته ومن بقى فى صفاته لم يصل الى ذاته ومن وصل الى ذاته بالخروج عن أنانيته الى هويته انتفع بصفاته وأفعاله وويل للكافرين من شدة ألم الانقطاع عن الله ثم أخبر أن الكافر الحقيقى هو الذى قنع بالايمان التقليدى فأقبل على الدنيا وأعرض عن المولى فضل وأضل الابلسان قومه أى يتكلم معهم بلسان عقولهم ولقد أرسلنا بواسطة جبريل الجذبة موسى القلب بآياتنا عصا الذكر واليد البيضاء من الصدق والاخلاص أن أخرج قومك وهم الروح والسر والخفى من ظلمات الوجود المجازى الى نور الوجود الحقيقى وذكرهم بأيام الله التى كان الله ولم يكن معه شئ وهو يحبهم بلا هم ان فى ذلك التذكير لآيات فى نفى الوجود لكل صبار بالله مع الله عن غير الله شكور لنعمة الوجود الحقيقى ببذل الوجود المجازى ولئن شكرتم بالطاعة لأزيدنكم فى تقربى اليكم لأزيدنكم فى محبتى لكم ولئن شكرتم فى محبتى لكم لأزيدنكم فى الخدمة ولئن شكرتم فى الخدمة لأزيدنكم فى الوصول ولئن شكرتم فى الوصول لأزيدنكم فى التجلى ولئن شكرتم فى التجلى لأزيدنكم فى الفناء عنكم ولئن شكرتم فى الفناء لأزيدنكم فى البقاء ولئن شكرتم فى البقاء لأزيدنكم فى الوحدة ولئن كفرتم نعمتى فى المعاملات كلها ان عذابى قطعتى لشديد وقال موسى القلب ان تكفروا أنتم أيها الروح والسر والخفى بالاعراض عن الحق والاقبال على الدنيا بتبعية النفس ومن فى أرض البشرية من النفس والهوى والطبيعة يدعوكم من المكونات الى الملكوت ليغفر لكم بصفة الغفارية من ذنوبكم التى أصابتكم من حجب عالم الخلق ويؤخركم فى التخلق بأخلاقه الى أجل مسمى هو وقت الفناء فى الذات وعلى الله فليتوكل المتوكلون للتوكل مقامات فتوكل المبتدى قطع النظر عن الاسباب فى طلب المرام ثقة بالمسبب وتوكل المتوسط

مشركى قريش قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب أناس من أهل الكتاب كانوا يشهدون بالحق ويقرون به ويعلمون أن محمدا رسول الله كما يحدث أن منهم عبدالله بن سلام **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن قتادة ومن عنده علم الكتاب قال كان منهم عبدالله بن سلام وسلمان الفارسى وتميم الدارى **حدثنا** الحسن قال ثنا عبدالوهاب عن سعيد عن قتادة ومن عنده علم الكتاب قال هو عبدالله بن سلام * وقد ذكر عن جماعة من المتقدمين أنهم كانوا يقرؤنه ومن عنده علم الكتاب بمعنى من عند الله علم الكتاب ذكر من ذكر ذلك عنه **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا عبدالوهاب بن عطاء عن هرون عن جعفر ابن أبى وحشية عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ومن عنده علم الكتاب يقول من عند الله علم الكتاب **حدثنى** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن الحكم عن مجاهد ومن عنده علم الكتاب قال من عند الله * قال ثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن الحكم عن مجاهد ومن عنده علم الكتاب قال من عند الله علم الكتاب وقد **حدثنا** هذا الحديث الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد ومن عنده علم الكتاب قال هو الله هكذا قرأ الحسن ومن عنده علم الكتاب * قال ثنا شعبة عن منصور بن زاذان عن الحسن مثله .. قال ثنا على يعنى ابن الجعد قال ثنا شعبة عن منصور بن زاذان عن الحسن ومن عنده علم الكتاب قال الله قال شعبة فذكرت ذلك للحكم فقال قال مجاهد مثله **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت منصور بن زاذان يحدث عن الحسن أنه قال فى هذه الآية ومن عنده علم الكتاب قال من عند الله * قال ثنا الحسن بن محمد قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن ومن عنده علم الكتاب قال من عند الله علم الكتاب **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن ومن عنده علم الكتاب قال من عند الله علم الكتاب هكذا قال ابن عبد الاعلى **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقرؤها قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب يقول من عند الله علم الكتاب وجملته هكذا حدثنا به بشر علم الكتاب وانا أحسبه وهم فيه وأنه ومن عنده علم الكتاب لان قوله وجملته اسم لا يعطف باسم على فعل ماض **حدثنا** الحسن قال ثنا عبدالوهاب عن هرون ومن عنده علم الكتاب يقول من عند الله علم الكتاب **حدثنى** المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا أبو عوانة عن أبى بشر قال قلت لسعيد ابن جبير ومن عنده علم الكتاب أهو عبدالله بن سلام قال هذه السورة مكية فكيف يكون عبدالله ابن سلام قال وكان يقرؤها ومن عنده علم الكتاب يقول من عند الله **حدثنا** الحسن قال ثنا سعيد بن منصور قال ثنا أبو عوانة عن أبى بشر قال سألت سعيد بن جبير عن قول الله ومن عنده علم الكتاب أهو عبدالله بن سلام قال فكيف وهذه السورة مكية وكان سعيد يقرؤها ومن عنده علم الكتاب **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى عباد عن عوف عن الحسن وجويبر عن الضحاك بن مزاحم قالا ومن عنده علم الكتاب قال من عند الله وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر بتصحيح هذه القراءة وهذا التأويل غير أن فى اسناده نظرا وذلك ما **حدثنى** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى عباد بن العوام عن هرون الاعور عن الزهرى

قطع تعلق الاسباب بالمسبب وتوكل المنتهى قطع تعلق ماسوى الله والاعتصام ببابه لمن خاف مقامى وهو مقام الوصول الى فان هذا مقام الأخص وأما خوف الخواص فعن مقام الجنة وخوف العوام عن مقام النار وخاف وعيد القطيعة واستنصر القلب والروح من أمر الله على النفس والهوى من ورائه أى قدام (١٢٠) النفس فى متابعة الهوى جهنم الصفات الذميمة ويسقى من ماء صديد هو ما يتولد من الصفات والاخلاق من الافعال الرذيلة يسقى منه صاحب النفس الامارة يتجرعه بالتكلف ولا يكاد يسيغه لانه ليس من شربه ويأتيه أسباب الموت من كل مكان من كل فعل مذموم ومن ورائه عذاب غليظ هو عذاب القطيعة والبعد والله أعلم بالصواب ﴿مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شئ ذلك هو الضلال البعيد ألم تر أن الله خلق السموات والارض بالحق ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شئ قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى انى كفرت بما أشركتمونى من قبل ان الظالمين لهم عذاب أليم وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار وجعلوا لله أندادا ليضلوا

عن سالم بن عبد الله عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قرأ ومن عنده علم الكتاب عند الله علم الكتاب وهذا خبر ليس له أصل عند الثقات من أصحاب الزهرى فاذا كان ذلك كذلك وكانت قراء الأمصار من أهل الحجاز والشام والعراق على القراءة الاخرى وهى ومن عنده علم الكتاب كان التأويل الذى على المعنى الذى عليه قراء الامصار أولى بالصواب ممن خالفه اذ كانت القراءة بما هم عليه مجمعون أحق بالصواب * آخر تفسير سورة الرعد والحمد لله صادق الوعد

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿تفسير سورة ابراهيم عليه السلام﴾

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿الر كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد﴾ قال أبو جعفر الطبرى قد تقدم منا البيان عن معنى قوله الر فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وأما قوله كتاب أنزلناه اليك فان معناه هذا كتاب أنزلناه اليك يا محمد يعنى القرآن لتخرج الناس من الظلمات الى النور يقول لتهديهم به من ظلمات الضلالة والكفر الى نور الايمان وضيائه وتبصر به أهل الجهل والعمى سبل الرشاد والهدى وقوله باذن ربهم يعنى بتوفيق ربهم لهم بذلك ولطفه بهم الى صراط العزيز الحميد يعنى الى طريق الله المستقيم وهو دينه الذى ارتضاه وشرعه لخلقه والحميد فعيل صرف من مفعول الى فعيل ومعناه المحمود بآلائه وأضاف تعالى ذكره اخراج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم لهم بذلك الى نبيه صلى الله عليه وسلم وهو الهادى خلقه والموفق من أحب منهم للايمان اذ كان منه دعاؤهم اليه وتعريفهم ما لهم فيه وعليهم فبين بذلك صحة قول أهل الاثبات الذين أضافوا أفعال العباد اليهم كسبا والى الله جل ثناؤه انشاء وتدبيرا وفساد قول أهل القدر الذين أنكروا أن يكون لله فى ذلك صنع وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله لتخرج الناس من الظلمات الى النور أى من الضلالة الى الهدى

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض وويل للكافرين من عذاب شديد﴾ اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والشام الله الذى له ما فى السموات برفع اسم الله على الابتداء وتصيير قوله الذى له ما فى السموات خبره وقرأته عامة قراء أهل العراق والكوفة والبصرة الله الذى بخفض اسم الله على اتباع ذلك العزيز الحميد وهما خفض وقد اختلف أهل العربية فى تأويله اذا قرئ كذلك فذكر عن أبى عمرو بن العلاء أنه كان يقرؤه بالخفض ويقول معناه باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد الذى له ما فى السموات ويقول هو من المؤخر الذى معناه التقديم ويمثله بقول القائل مررت بالظريف عبد الله والكلام الذى يوضع مكان الاسم النعت ثم يجعل الاسم مكان النعت فيتبع اعرابه اعراب النعت الذى وضع موضع الاسم كما قال بعض الشعراء

لو كنت ذا نبل وذا شزيب * ما خفت شدات الخبيث الذيب

وأما الكسائى فانه كان يقول فيما ذكر عنه من خفض أراد أن يجعله كلاما واحدا وأتبع الخفض الخفض

عن سبيله قل تمتعوا فان مصيركم الى النار قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة و ينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال الله الذى خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ماسألتموه

الخفض و بالخفض كان يقرأ والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القراء معناهما واحد فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقد يجوز أن يكون الذى قرأه بالرفع أراد معنى من خفض فى اتباع الكلام بعضه بعضا ولكنه رفع لانفصاله من الآية التى قبله كما قال جل ثناؤه ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم الى آخر الآية ثم قال التائبون العابدون ومعنى قوله الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض الله الذى يملك جميع ما فى السموات وما فى الارض يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أنزلنا اليك هذا الكتاب لتدعو عبادى الى عبادة من هذه صفته و يدعوا عبادة من لا يملك لهم ولا لنفسه ضرا ولا نفعا من الآلهة والاوثان ثم توعد جل ثناؤه من كفر به ولم يستجب لدعاء رسوله الى ما دعاه اليه من اخلاص التوحيد له فقال وويل للكافرين من عذاب شديد يقول الوادى الذى يسيل من صديد أهل جهنم لمن جحد وحدانيته وعبد معه غيره من عذاب الله الشديد ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة و يصدون عن سبيل الله و يبغونها عوجا أولئك فى ضلال بعيد﴾ يعنى جل ثناؤه بقوله الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة الذين يختارون الحياة الدنيا ومتاعها ومعاصى الله فيها على طاعة الله وما يقربهم الى رضاه من الاعمال النافعة فى الآخرة و يصدون عن سبيل الله يقول و يمنعون من أراد الايمان بالله واتباع رسوله على ما جاءه من عند الله من الايمان به واتباعه و يبغونها عوجا يقول و يلتمسون سبيل الله وهى دينه الذى ابتعث به رسوله عوجا تحريفا وتبديلا بالكذب والزور والعوج بكسر العين وفتح الواو فى الدين والارض وكل ما لم يكن قائما فأما فى كل ما كان قائما كالحائط والرمح والسن فانه يقال بفتح العين والواو جميعا عوج يقول الله عز ذكره أولئك فى ضلال بعيد يعنى هؤلاء الكافرين الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة يقول هم فى ذهاب عن الحق بعيد وأخذ على غير هدى وجور عن قصد السبيل وقد اختلف أهل العربية فى وجه دخول على فى قوله على الآخرة فكان بعض نحويى البصرة يقول أوصل الفعل بعلى كما قيل ضربوه فى السيف يريد بالسيف وذلك أن هذه الحروف يوصل بها كلها وتحذف نحو قول العرب نزلت زيدا ومررت زيدا يريدون مررت به ونزلت عليه وقال بعضهم انما أدخل ذلك لان الفعل يؤدى (١) عن معناه من الافعال ففى قوله يستحبون الحياة الدنيا معناه يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة ولذلك أدخلت على وقد بينت هذا ونظائره فى غير موضع من الكتاب بما أغنى عن الاعادة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء و يهدى من يشاء وهو العزيز الحكيم﴾ يقول تعالى ذكره وما أرسلنا الى أمة من الامم يا محمد من قبلك ومن قبل قومك رسولا الا بلسان الامة التى أرسلناه اليها ولغتهم ليبين لهم يقول ليفهمهم ما أرسله الله به اليهم من أمره ونهيه ليثبت حجة الله عليهم ثم التوفيق والخذلان بيد الله فيخذل عن قبول ما أتاه به رسوله من عنده من شاء منهم و يوفق لقبوله من شاء ولذلك رفع فيضل لانه أريد به الابتداء لا العطف على ما قبله كما قيل لنبين لكم ونقر فى الارحام ما نشاء وهو العزيز الذى لا يمتنع مما أراده من ضلال أو هداية من أراد ذلك به والحكيم فى توفيقه للايمان من وفقه له وهدايته له من هداه اليه وفى اضلاله من أضل عنه

---

(١) لعله يؤدى غير معناه الخ والأمر واضح كتبه مصححه

وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار ۞ القراآت الرياح على الجمع أبو جعفر ونافع الباقون على التوحيد خالق السموات والارض بلفظ اسم الفاعل حمزة وعلى وخلف الباقون بلفظ الفعل سبلنا باسكان الباء حيث كان أبو عمرو لى عليكم بفتح الياء حفص عصر فى بكسر الياء حمزة الآخرون بالفتح أشركتمونى بالياء فى الحالين سهل و يعقوب وابن شنبوذ عن قنبل ووافق أبو عمرو و يزيد وقتيبة واسمعيل فى الوصل البوار بمالة أبو عمرو وعلى ليضلوا بفتح الياء ابن كثير وأبو عمرو وسهل و يعقوب الباقون بضمها لعبادى الذين مرسلة الياء ابن عامر وحمزة وعلى و يعقوب والاعشى الباقون بالفتح من كل بالتنوين يزيد وعباس الباقون بالاضافة ۞ الوقوف عاصف ط بناء على أن ما بعده مستأنف كأن سائلا سأل هل يقدرون من أعمالهم على شىء ط البعيد ٥ بالحق ط جديد ٥ لا لأن ما بعده يتم معنى الكلام بعزيز ٥ من شىء ط لهدينا كم ط محيص ٥ فأخلفتكم ط واستجبتم لى ج لاختلاف الجملتين أنفسكم ط لابتداء النفى بمصرخى ط لحق ان من قال ان الابتداء بقوله انى كفرت فيسمح خبرا به ان الكفر بالاشراك واجب كالايمان من قبل ط أليم ٥ باذن ربهم ط سلام

٥ فى السماء ٥ لا ربها ط يتذكرون ٥ من قرار ط وفى الآخرة ج لتكرار اسم الله تعالى فى الفعلين مع أن كلاهما مستقل بخلاف قوله و يفعل الله لانه فى المعنى بيان قوله و يضل الله ما يشاء ٥ البوار لا جهنم ج لان ما بعده يصلح استئنافا أو حالا من فاعل أحلوا أو من مفعوله أو من كليهما يصلونها ط القرار ٥ عن سبيله ط الى النار ٥

ولا خلال ه رزقا لكم ط بأمره ج الانهار ج دائبين ج والنهار ج لحسن هذه الوقوف مع العطف لتفصيل النعم تنبيها على الشكر ـ سألتموه ط لابتداء الشرط مع تمام الكلام لا تحصوها ط كفار ه ۞ التفسير لما ذكر في الآيات المتقدمة أنواع عذاب الكفار أراد أن يبين غاية حسرتهم ونهاية خيبتهم

فقال (مثل الذين) وارتفاعه عند سيبويه على الابتداء والخبر محذوف أي فيما يتلى أو يقص عليكم مثلهم وقوله أعمالهم كرماد جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم وقال الفراء المضاف محذوف أي مثل أعمال الذين كفروا وانما جاز حذفه استغناء بذكره ثانيا وقيل المثل صفة فيها غرابة فأخبر عنها بالجملة المراد صفة الذين كفروا (أعمالهم كرماد) كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله غير مخزون ويجوز أن يكون أعمالهم بدلا والخبر كرماد وحده والمراد بأعمال الكفرة المكارم التي كانت لهم من صلة الارحام وعتق الرقاب وفداء الاسارى وعقر الابل للاضياف واغاثة الملهوفين واعانة المظلومين شبهها في حبوطها البنائها على غير أساس التوحيد والايمان برماد طيرته الريح في يوم عاصف قال الزجاج جعل العصف لليوم وهو لما فيه يعني الريح مجازا كقولك يوم ماطر قال الفراء وان شئت قلت في يوم ذي عصوف أو في يوم عاصف الريح فحذف لذكره مرة وقيل المراد من أعمالهم عباداتهم للاصنام ووجه حسرتهم أنهم أتعبوا أبدانهم فيها دهرا طويلا ثم لم ينتفعوا بذلك بل استضروا به وقوله (مما كسبوا على شئ) القياس عكسه كما في البقرة لان على من صلة القدرة ولأن مما كسبوا صفة لشئ ولكنه قدم في هذه السورة لان الكسب أعني العمل الذي ضرب له المثل هو المقصود بالذكر ولهذا أشار اليه بقوله (ذلك هو الضلال البعيد) أي عن الحق والثواب ثم كان لسائل أن يسأل كيف يليق بحكمته اضاعة أفعال المكلفين فقال (ألم تر أن الله خلق السموات والارض بالحق) مستتبعة للفوائد والحكم دالة على وجود الصانع القدير فحبوط الاعمال انما يلزم من كفر المكلفين وكونها غير مبنية على قاعدة الايمان والاخلاص

وفي غير ذلك من تدبيره وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما أرسلنا من رسول الابلسان قومه أي بلغة قومه ما كانت قال الله عز وجل ليبين لهم الذي أرسل اليهم ليتخذ بذلك الحجة قال الله عز وجل فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بأيام الله ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ يقول تعالى ذكره ولقد أرسلنا موسى بأدلتنا وحججنا من قبلك يا محمد كما أرسلناك الى قومك بمثلها من الادلة والحجج كما حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح ح وحدثني الحرث قال ثنا الحسن الأشيب قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ح وحدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ولقد أرسلنا موسى بآياتنا قال بالبينات حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولقد أرسلنا موسى بآياتنا قال التسع الآيات الطوفان وما معه حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد أرسلنا موسى بآياتنا قال التسع البينات حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله أن أخرج قومك من الظلمات الى النور كما أنزلنا اليك يا محمد هذا الكتاب لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم ويعني بقوله أن أخرج قومك من الظلمات الى النور أي ادعهم من الضلالة الى الهدى ومن الكفر الى الايمان كما حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات الى النور يقول من الضلالة الى الهدى حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا هشام عن عمرو عن سعيد عن قتادة مثله وقوله وذكرهم بأيام الله يقول عز وجل وعظهم بما سلف من نعمي عليهم في الايام التي خلت فاجتزئ بذكر الايام من ذكر النعم التي عناها لانها أيام كانت معلومة عندهم أنعم الله عليهم فيها نعما جليلة أنقذهم فيها من آل فرعون بعد ما كانوا فيما كانوا من العذاب المهين وغرق عدوهم فرعون وقومه وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم وكان بعض أهل العربية يقول معناه خوفهم بما نزل بعاد وثمود وأشباههم من العذاب وبالعفو عن الآخرين قال وهو في المعنى كقولك خذهم بالشدة واللين وقال آخرون منهم قد وجدنا تسمية النعم بالايام شاهدا في كلامهم ثم استشهد لذلك بقول عمرو بن كلثوم

وأيام لنا غر طوال * عصينا الملك فيها أن ندينا

وقال فقد يكون انما جعلها غرا طوالا لانعامهم على الناس فيها وقال فهذا شاهد لمن قال وذكرهم بأيام الله بنعم الله ثم قال وقد يكون تسميتها غرا لعلوهم على الملك وامتناعهم منه فأيامهم غر لهم وطوال على أعدائهم «قال أبو جعفر» وليس للذي قال هذا القول من أن في هذا البيت دليلا على أن

أن الايام معناها النعم وجه لأن عمرو بن كلثوم انما وصف ما وصف من الايام بأنها غر لعز عشيرته فيها وامتناعهم على الملك من الاذعان له بالطاعة وذلك كقول الناس ما كان لفلان قط يوم أبيض يعنون بذلك أنه لم يكن له يوم مذكور بخير وأما وصفه اياها بالطول فانها لا توصف بالطول الا في حال شدة كما قال النابغة

كليني لهم يا أميمة ناصب * وليل أقاسيه بطيء الكواكب

فانما وصفها عمرو بالطول لشدة مكروهها على أعداء قومه ولا وجه لذلك غير ما قلت وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي قال ثنا فضيل بن عياض عن ليث عن مجاهد وذكرهم بأيام الله قال بأنعم الله حدثني اسحق بن ابراهيم ابن حبيب بن الشهيد قال ثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن عبيد المكتب عن مجاهد وذكرهم بأيام الله قال بنعم الله حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن عبيد المكتب عن مجاهد مثله حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عبثر عن حصين عن مجاهد مثله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى ح وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بأيام الله قال بنعم الله حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وذكرهم بأيام الله قال بالنعم التي أنعم بها عليهم أنجاهم من آل فرعون وفلق لهم البحر وظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا حبيب بن حسان عن سعيد بن جبير وذكرهم بأيام الله قال بنعم الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وذكرهم بأيام الله يقول ذكرهم بنعم الله عليهم حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وذكرهم بأيام الله قال بنعم الله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله وذكرهم بأيام الله قال أيامه التي انتقم فيها من أهل معاصيه من الامم خوفهم بها وحذرهم اياها وذكرهم أن يصيبهم ما أصاب الذين من قبلهم حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا محمد بن أبان عن أبي اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكرهم بأيام الله قال نعم الله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن الثوري عن عبيد الله أو غيره عن مجاهد وذكرهم بأيام الله قال بنعم الله ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور يقول ان في الايام التي سلفت بنعمي عليهم يعني على قوم موسى لآيات يعني لعبرا ومواعظ لكل صبار شكور يقول لكل ذي صبر على طاعة الله وشكر له على ما أنعم عليه من نعمه حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا هشام عن عمرو عن سعيد عن قتادة في قول الله عز وجل ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور قال نعم العبد عبد اذا ابتلى صبر واذا أعطى شكر ۞ القول في تأويل قوله تعالى (واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله

لامن أنه سبحانه يمكن أن يوجد في أفعاله عبث أو خلل أو سهو ثم بين كمال قدرته واستغنائه عن الظلم والقبائح وعن عمل كل عامل فقال (ان يشأ يذهبكم) وقد مر مثله في سورة النساء (وما ذلك على الله بعزيز) بمتعذر لأنه قادر الذات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور فان قيل الغرض من الآية اظهار القدرة وزجر المكلفين عن المعصية وذلك انما يتم بقوله ان يشأ يذهبكم فما فائدة قوله ويأت بخلق جديد وهل فيه دليل على أن الفياض لا يوجد بدون الفيض قلنا على تقدير تسليمه لا ينحصر الفائدة فيه بل لعل الفائدة هي تأكيد التخويف فان التألم من تصور العدم المجرد ليس كالتألم من تصور عدمه مع اقامة غيره مقامه على أن الاذهاب لا يلزم منه الاعدام فيكون شبيها بعزل شخص ونصب غيره مقامه وللحكيم أن يستدل بقوله يذهبكم على أن مادة الجوهر لا تعدم وانما تنعدم الصور والأعراض والجواب أن الاذهاب ههنا بمعنى الاعدام ولو سلم فلا يلزم من عدم وقوع الاعدام ههنا امتناعه في جميع الصور وفيه أنه الحقيق بأن يخشى عقابه ويرجى ثوابه فلذلك أتبعه أحوال الآخرة فقال (وبرزوا) بلفظ الماضي تحقيقا للوقوع مثل وسيق ونادى والتركيب يدل على الظهور بعد الخفاء ومنه امرأة برزة اذا كانت تظهر للناس وبرز فلان على أقرانه اذا فاقهم ومعنى بروزهم لله وهو سبحانه لا يخفى عليه شيء أنهم كانوا يستترون عن العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون أن ذلك خاف على الله فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند أنفسهم وعلموا أن الله لا يخفى عليه خافية أو المضاف محذوف أي برزوا لحساب الله وحكمه قال أبو بكر الأصم قوله وبرزوا لله هو المراد من قوله ومن ورائه عذاب غليظ وعلى قواعد الحكماء النفس اذا فارقت الجسد زال الغطاء وكشف الوطاء وظهرت عليه آثار الملكات والهيآت التي كان يمنعها عن الشعور بها اشتغالها بعالم الحس فذلك هو البروز لله فان كانوا من السعداء برزوا لموقف الجمال بصفاتهم القدسية وهيآتهم النورية فما أجل تلك الاحوال ويا طوبى لاهل النوال وان كانوا من الاشقياء برزوا لموقف الجلال بأوصافهم

عليكم اذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر يا محمد اذ قال موسى بن عمران لقومه من بني اسرائيل اذكروا نعمة الله عليكم التي أنعم بها عليكم اذ أنجاكم من آل فرعون يقول حين أنجاكم من أهل دين فرعون وطاعته يسومونكم سوء العذاب أي يذيقونكم شديد العذاب ويذبحون أبناءكم وأدخلت الواو في هذا الموضع لانه أريد بقوله ويذبحون أبناءكم الخبر عن أن آل فرعون كانوا يعذبون بني اسرائيل بأنواع من العذاب غير التذبيح وبالتذبيح وأما في موضع آخر من القرآن فانه جاء بغير الواو يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم في موضع وفي موضع يقتلون أبناءكم ولم تدخل الواو في المواضع التي لم تدخل فيها لانه أريد بقوله يذبحون وبقوله يقتلون تبيينه صفات العذاب الذي كانوا يسومونهم وكذلك العمل في كل جملة أريد تفصيلها فبغير الواو وتفصيلها واذا أريد العطف عليها بغيرها وغير تفصيلها فبالواو حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة في قوله واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم أيادي الله عندكم وأيامه وقوله ويستحيون نساءكم يقول ويبقون نساءكم فيتركون قتلهن وذلك استحياؤهم كان اياهن وقد بينا ذلك فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع ومعناه يتركونهم والحياة هي الترك ومنه الخبر الذي روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اقتلوا شيوخ المشركين واستحيوا شرخهم بمعنى استبقوهم فلا تقتلوهم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم يقول تعالى وفيما يصنع بكم آل فرعون من أنواع العذاب بلاء لكم من ربكم عظيم أي ابتلاء واختبار لكم من ربكم عظيم وقد يكون البلاء في هذا الموضع نعماء وقد يكون معناه من البلاء الذي قد يصيب الناس في الشدائد وغيرها ⁂ القول في تأويل قوله تعالى ﴿واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد﴾ يقول جل ثناؤه واذكروا أيضا حين آذنكم ربكم وتأذن تفعل من آذن والعرب ربما وضعت تفعل موضع أفعل كما قالوا أوعدته وتوعدته بمعنى واحد وآذن أعلم كما قال الحرث بن حلزة

آذنتنا ببينها أسماء * رب ثاو يمل منه الثواء

يعني بقوله آذنتنا أعلمتنا وذكر عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقرأ واذ تأذن ربكم واذ قال ربكم حدثني بذلك الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن الاعمش عنه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واذ تأذن ربكم واذ قال ربكم ذلك التأذن وقوله لئن شكرتم لأزيدنكم يقول لئن شكرتم ربكم بطاعتكم اياه فيما أمركم ونهاكم لأزيدنكم في أياديه عندكم ونعمه عليكم على ما قد أعطاكم من النجاة من آل فرعون والخلاص من عذابهم وقيل في ذلك قول غيره وهو ما حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا الحسين بن الحسن قال أخبرنا ابن المبارك قال سمعت علي بن صالح يقول في قول الله عز وجل لئن شكرتم لأزيدنكم قال أي من طاعتي حدثني المثنى قال ثنا يزيد قال أخبرنا ابن المبارك قال سمعت علي بن صالح فذكر نحوه حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان لئن شكرتم

لأزيدنكم

الذميمة وهاتيهم المظلمة فيا أعظم تلك الفضيحة وما أشنع تلك المهانة كتب الضعفوا بواو قبل الهمزة على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو ومثله علماء بني اسرائيل والضعفاء العوام والاراذل والذين استكبروا سادتهم وأشرافهم الذين استنكفوا عن عبادته تعالى فضلوا وأضلوا قال الفراء أكثر أهل اللغة على أن التبع جمع تابع كخدم وخادم وحرس وحارس وجوز الزجاج أن يكون التبع مصدرا أي ذوي اتباع اما في الكفر أو في الامور الدنيوية (فهل أنتم مغنون) هل يمكنكم دفع عذاب الله (عنا) ومن في (من عذاب الله) للتبيين وفي (من شيء) للتبعيض والمعنى هل تدفعون عنا بعض الشيء الذي هو عذاب الله أو كلاهما للتبعيض بمعنى هل أنتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله (قالوا لو هدانا الله لهديناكم) عن ابن عباس لو أرشدنا الله لأرشدناكم قال الواحدي معناه أنهم انما دعوهم الى الضلال لان الله أضلهم ولو هداهم لدعوهم الى الهدى وقال في الكشاف لعلهم قالوا ذلك مع أنهم كذبوا فيه كقوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم واعترض عليه بأن هذا خلاف مذهبه لانهم لا يجوزون صدور الكذب عن أهل القيامة كما مر في أوائل الانعام في قوله والله ربنا ما كنا مشركين وجوز أيضا أن يكون المراد لو كنا من أهل اللطف فلطف بنا ربنا واهتدينا لهديناكم الى الايمان وزيف بأن كل ما في مقدور الله تعالى من الالطاف فقد فعله وقيل لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لأغنينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة ويؤكد هذا التفسير قوله (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) واعرابه كقوله سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم أرادوا اقنطاطهم من دفع العذاب بالكلية أو أرادوا أن عتاب الضعفاء لهم وتوبيخهم اياهم نوع من الجزع ولا فائدة فيه ولا في الصبر وجوز في الكشاف أن يكون قوله سواء علينا الخ من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعا نظيره في وصل كلام انسان بكلام انسان آخر قوله ذلك ليعلم أني لم أخنه والمحيص المنجى والمهرب مصدر كالمغيب والمحيض أو مكان كالمبيت والمضيف ولما ذكر مناظرة شياطين الانس

أتبعها مناظرة شيطان الجن ومعنى (قضي الامر) قطع وفرغ منه وذلك حين انقضاء المحاسبة والاكثرون على أنه بعد الحساب ودخول الاشقياء النار والسعداء الجنة وعند أهل السنة هو بعد خروج الفساق من النار فليس بعد ذلك الا الدوام في الجنة أو في النار يروى أن الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا في النار فيقول (ان الله وعدكم وعد الحق) وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الخلق وقضى بينهم يقول الكافرون قد وجد المسلمون من يشفع لهم فمن يشفع لنا ما هو الا ابليس هو الذي أضلنا فيأتونه ويسألونه فعند ذلك يقول هذا القول و وعد الحق من اضافة الموصوف الى صفته مثل مسجد الجامع أو تأويله وعد اليوم الحق أو الامر الحق وهو البعث والجزاء على الاعمال وفي الآية اضماران الاول وعدكم وعد الحق فوفى لكم وعدكم الثاني ووعدتكم خلاف ذلك فأخلفتكم الوعد ووجه الاضمار الاول دلالة الحال عليه لانهم كانوا يشاهدون وليس وراء العيان بيان ولان ذكر نقيضه وهو الاخلاف الوعد من الشيطان يغني عنه ووجه الثاني أن امثل ذلك ثم ذكر طريق وسوسته اعتذارا منهم فقال (وما كان لي عليكم من سلطان) من تسلط وقهر فأقسركم على الكفر والمعاصي (الا أن دعوتكم) قال النحويون هذا الاستثناء منقطع لان الدعاء ليس من جنس السلطان والمراد لكن دعائي اياكم الى الضلالة بوسوسة و يمكن أن يوجه الاستثناء بالاتصال لان قدرة الانسان على حمل الغير على عمل من الاعمال تارة تكون بالقسر وتارة بتقوية الداعية في قلبه بالقاء الوساوس اليه فهذا نوع من أنواع التسلط (فلا تلوموني ولوموا أنفسكم) لانكم ما سمعتم مني الا الدعاء والتزيين وكنتم سمعتم دلائل الله وشاهدتم مجيء أنبيائه فكان من الواجب عليكم أن لا تغتروا بقولي ولا تلتفتوا الي قالت المعتزلة في الآية دلالة على أن الانسان هو الذي يختار الشقاوة أو السعادة وليس من الله الا التمكين ولا من الشيطان الا التزيين ولو كان الامر كما زعم المجبرة لقال فلا تلوموني ولا أنفسكم فان الله قضى عليكم الكفر وأجبركم عليه وقول الشيطان وان لم يصلح للحجة الا أن عدم انكار الله تعالى عليه حجة هذا مع أن أول كلام اللعين مبني على

لأزيدنكم قال من طاعتي حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا مالك بن مغول عن أبان بن أبي عياش عن الحسن في قوله لئن شكرتم لأزيدنكم قال من طاعتي ولا وجه لهذا القول يفهم لانه لم يجر للطاعة في هذا الموضع ذكر فيقال ان شكرتموني عليها زدتكم منها وانما جرى ذكر الخبر عن انعام الله على قوم موسى بقوله واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم ثم أخبرهم أن الله أعلمهم ان شكروه على هذه النعمة زادهم فالواجب في المفهوم أن يكون معنى الكلام زادهم من نعمه لا مما لم يجر له ذكر من الطاعة الا أن يكون أريد به لئن شكرتم فأطعتموني بالشكر لأزيدنكم من أسباب الشكر ما يعينكم عليه فيكون ذلك وجها وقوله ولئن كفرتم ان عذابي لشديد يقول ولئن كفرتم أيها القوم نعمة الله فجحدتموها بترك شكره عليها وخلافه في أمره ونهيه وركوبكم معاصيه ان عذابي لشديد أعذبكم كما أعذب من كفر بي من خلقي وكان بعض البصريين يقول في معنى قوله واذ تأذن ربكم وتأذن ربكم و يقول اذ من حروف الزوائد وقد دللنا على فساد ذلك فيما مضى قبل ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وقال موسى ان تكفروا أنتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد) يقول تعالى ذكره وقال موسى لقومه ان تكفروا أيها القوم فتجحدوا نعمة الله التي أنعمها عليكم أنتم ويفعل في ذلك مثل فعلكم من في الارض جميعا فان الله لغني عنكم وعنهم من جميع خلقه لا حاجة به الى شكركم اياه على نعمه عند جميعكم حميد ذو حمد الى خلقه بما أنعم به عليهم كما حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن هاشم قال أخبرنا سيف عن أبي روق عن أبي أيوب عن علي فان الله لغني قال غني عن خلقه حميد قال مستحمد اليهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل موسى لقومه يا قوم ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم يقول خبر الذين من قبلكم من الامم التي مضت قبلكم قوم نوح وعاد وثمود (١) وقوم عاد فبين بهم عن الذين وعاد معطوف بها على قوم نوح والذين من بعدهم يعني من بعد قوم نوح وعاد وثمود لا يعلمهم الا الله يقول لا يحصي عددهم ولا يعلم مبلغهم الا الله كما حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن عمرو بن ميمون وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله قال كذب النسابون حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن مسعود بمثل ذلك حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال أخبرنا اسرائيل عن أبي اسحق عن عمرو بن ميمون قال ثنا ابن مسعود أنه كان يقرؤها وعادا وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله ثم يقول كذب النسابون حدثني ابن المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عيسى بن جعفر عن سفيان عن أبي اسحق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله مثله وقوله جاءتهم رسلهم بالبينات يقول جاءت هؤلاء الامم رسلهم الذين أرسلهم الله اليهم بدعائهم الى اخلاص العبادة له بالبينات يعني بالحجج الواضحات والدلالات البينات الظاهرات على حقيقة

(١) قوله وقوم عاد لعله زائد من قلم الناسخ تأمل كتبه مصححه

مادعوهم اليه معجزات وقوله فردوا أيديهم في أفواههم اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك فعضوا على أصابعهم تغيظا عليهم في دعائهم اياهم الى مادعوهم اليه ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله فردوا أيديهم في أفواههم قال عضوا عليها تغيظا حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله في قوله فردوا أيديهم في أفواههم قال غيظا هكذا وعض يده حدثني المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله فردوا أيديهم في أفواههم قال عضوها حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن رجاء البصري قال ثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله في قول الله عز وجل فردوا أيديهم في أفواههم قال عضوا على أصابعهم حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا شريك عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله فردوا أيديهم في أفواههم قال عضوا على أطراف أصابعهم حدثنا محمد ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي اسحق عن هبيرة عن عبد الله أنه قال في هذه الآية فردوا أيديهم في أفواههم قال أن يجعل اصبعه في فيه حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا أبو قطن قال ثنا شعبة عن أبي اسحق عن هبيرة عن عبد الله في قول الله عز وجل فردوا أيديهم في أفواههم ووضع شعبة أطراف أنامله اليسرى على فيه حدثنا الحسن قال ثنا يحيى بن عباد قال ثنا شعبة قال أخبرنا أبو اسحق عن هبيرة قال قال عبد الله فردوا أيديهم في أفواههم قال هكذا وأدخل أصابعه في فيه حدثنا الحسن قال ثنا عفان قال ثنا شعبة قال أبو اسحق أنبأنا عن هبيرة عن عبد الله أنه قال في هذه الآية فردوا أيديهم في أفواههم قال أبو علي وأرانا عفان وأدخل أطراف أصابع كفه مبسوطة في فيه وذكر أن شعبة أراه كذلك حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان واسرائيل عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله فردوا أيديهم في أفواههم قال عضوا على أناملهم وقال سفيان عضوا غيظا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فردوا أيديهم في أفواههم فقرأ عضوا عليكم الانامل من الغيظ قال ومعنى ردوا أيديهم في أفواههم قال أدخلوا أصابعهم في أفواههم وقال اذا اغتاظ الانسان عض يده * وقال آخرون بل معنى ذلك أنهم لما سمعوا كتاب الله عجبوا منه ووضعوا أيديهم على أفواههم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس فردوا أيديهم في أفواههم قال لما سمعوا كتاب الله عجبوا ورجعوا بأيديهم الى أفواههم * وقال آخرون بل معنى ذلك أنهم كذبوهم بأفواههم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ح وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله فردوا أيديهم في أفواههم قال ردوا عليهم قولهم وكذبوهم حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي

نجيح

الانصاف والصدق فكذا ينبغي أن يكون آخره قال المحققون الشيطان الاصلي هو النفس وذلك أن الانسان اذا أحس بشئ أو أدركه ترتب عليه شعوره بكونه ملائماله أو بكونه منافراله و يتبع هذا الشعور الميل الجازم الى الفعل أو الى الترك وكل هذه الاشياء من شأن النفس ولا مدخل للشيطان في شئ من هذه المقامات الا بأن يذكر شيأ مثل أن الانسان كان غافلا عن صورة امرأة فيلقي الشيطان حديثها في خاطره وكيف يعقل تمكن الشيطان من النفوذ في داخل أعضاء الانسان والقاء الوسوسة اليه جوابه أن الشيطان اذا كان جسما لطيفا والله سبحانه ركبه تركيبا عجيبا لا يقبل التفرق والتمزق مع لطافته فلا يستبعد نفوذه في الاجرام الكثيفة كالنار تسرى في الفحم وكالدهن في السمسم وان كان جوهرا نورانيا مجبولا على الشر والنفس الانسانية أيضا جوهر علوي مجرد فلا يبعد وصول أثر أحدهما الى الآخر وذهب بعض الحكماء الى أن كل روح من الارواح البشرية فانه ينتسب الى روح معين من الارواح السماوية وأنها تتولى ارشاد الارواح الانسانية الى مصالحها بالالهامات الحسنة في حالتي النوم واليقظة هذا اذا كانت خيرة واما ان كانت شريرة فانها توسوسها بالخواطر والاعمال القبيحة والقدماء كانوا يسمون كلا من تلك الارواح بالطباع التام وذكر بعض العلماء احتمالا آخر وهو أن النفوس البشرية اذا فارقت أبدانها قويت في تلك الصفات التي اكتسبتها في تلك الابدان وكملت فيها فاذا حدثت نفس أخرى مشاكلة لتلك النفس المفارقة في بدن مشاكل لبدن تلك النفس المفارقة حدث بين تلك النفس المفارقة و بين هذا البدن نوع تعلق فتصير تلك النفس المفارقة معاونة لهذه النفس المتعلقة بهذا البدن وتعضدها على أحوالها وأفعالها فاذا كان هذا المعنى في أبواب الخير كان الهاما وان كان في باب الشر كان وسوسة ثم حكى الله سبحانه عن الشيطان أنه قال (ما أنا بمصرخكم) قال ابن عباس بريد بمغيثكم ولا منقذكم قال ابن الاعرابي الصارخ المستغيث والمصرخ

المغيث صرخ فلان اذا استغاث وقال واغوثاه وأصرخته أى أغثته وعاب النحويون على حمزة أنه قرأ وما أنتم بمصرخيّ لان ياء الاضافة لا تكون الا مفتوحة حيث قبلها ألف فى نحو عصاى فما بالها وقبلها ياء وحاصل ما عابوا عليه أنه لم يوجد له نظير فى استعمال العرب لكن لك أن تعلم أن القرآن حجة على غيره قوله (انى كفرت بما أشركتمونى) ان كانت ما مصدرية فالمعنى انى كفرت أى أنا جاحد

نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم فى أفواههم يقول قومهم كذبوا رسلهم وردوا عليهم ما جاؤا به من البينات وردوا عليهم بأفواههم وقالوا انا لفى شك مما تدعوننا اليه مريب حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله فردوا أيديهم فى أفواههم قال ردوا على الرسل ما جاءت به وكأن مجاهدا وجه قوله فردوا أيديهم فى أفواههم الى معنى ردوا أيادى الله التى لو قبلوها كانت أيادى ونعما عندهم فلم يقبلوها ووجه قوله فى أفواههم الى معنى بأفواههم يعنى بألسنتهم التى فى أفواههم وقد ذكر عن بعض العرب سماعا أدخلك الله بالجنة يعنون فى الجنة وينشد هذا البيت

وأرغب فيها عن لقيط ورهطه * ولكننى عن سنبس لست أرغب

يريد وأرغب فيها يعنى أرغب بها عن لقيط ولا أرغب بها عن قبيلتى * وقال آخرون بل معنى ذلك أنهم كانوا يضعون أيديهم على أفواه الرسل ردا عليهم قولهم وتكذيبا لهم * وقال آخرون هذا مثل وانما أريد أنهم كفوا عما أمروا بقبوله من الحق ولم يؤمنوا به ولم يسلموا وقال يقال للرجل اذا أمسك عن الجواب فلم يجب رد يده فى فيه وذكر بعضهم أن العرب تقول كلمت فلانا فى حاجة فرد يده فى فيه اذا سكت عنه فلم يجب وهذا أيضا قول لا وجه له لان الله عز وجل ذكره قد أخبر عنهم أنهم قالوا انا كفرنا بما أرسلتم به فقد أجابوا بالتكذيب وأشبه هذه الاقوال عندى بالصواب فى تأويل هذه الآية القول الذى ذكرناه عن عبد الله بن مسعود أنهم ردوا أيديهم فى أفواههم فعضوا عليها غيظا على الرسل كما وصف الله عز وجل به اخوانهم من المنافقين فقال واذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ فهذا هو الكلام المعروف والمعنى المفهوم من رد اليد الى الفم وقوله وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به يقول عز وجل وقالوا لرسلهم انا كفرنا بما أرسلكم به من أرسلكم من الدعاء الى ترك عبادة الاوثان والاصنام وانا لفى شك من حقيقة ما تدعوننا اليه من توحيد الله مريب يقول يريبنا ذلك الشك أى يوجب لنا الريبة والتهمة فيه يقال منه أراب الرجل اذا أتى بريبة يريب ارابة

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالت رسلهم أفى الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى قالوا ان أنتم الا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين﴾ يقول تعالى ذكره قالت رسل الامم التى أتتها رسلها أفى الله أنه المستحق عليكم أيها الناس الالوهة والعبادة دون جميع خلقه شك وقوله فاطر السموات والارض يقول خالق السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم يقول يدعوكم الى توحيده وطاعته ليغفر لكم من ذنوبكم يقول فيستر عليكم بعض ذنوبكم بالعفو عنها فلا يعاقبكم عليها ويؤخركم يقول وينسئ فى آجالكم فلا يعاقبكم فى العاجل فيهلككم ولكن يؤخركم الى الوقت الذى كتب فى أم الكتاب أنه يقبضكم فيه وهو الاجل الذى سمى لكم فقالت الامم لهم ان أنتم أيها القوم الا بشر مثلنا فى الصورة والهيئة ولستم ملائكة وانما تريدون بقولكم هذا الذى تقولون لنا أن تصدونا

وما كان لى رضا بأمرا كم لى فى الدنيا مع الله فى الطاعة وفى أن لى تدبيرا وتصرفا فى هذا العالم وان كانت موصولة على ما قاله الفراء من أن ما فى معنى من كقوله سبحان ما سخركن لنا فالمراد انى كفرت من قبل حين أبيت السجود لآدم بالله الذى أشركتمونيه ووجه نظم الكلام على هذا التفسير أن ابليس كأنه يقول لا تأثير لوسوستى فى كفركم دليل انى كفرت بالله قبل أن كفرتم وما كان كفرى بسبب وسوسة أخرى والا لزم التسلسل فثبت بهذا أن سبب الوقوع فى الكفر شئ آخر سوى الوسوسة وهذا التقرير يناسب أصول الاشاعرة أما قوله (ان الظالمين لهم عذاب أليم) والأظهر أنه كلام الله ويشمل ابليس ومن تابعه من الثقلين وليس ببعيد أن يكون من بقية كلام ابليس قطعا لأطماع أولئك الكفار عن اعانته ثم شرع فى أحوال السعداء وقال (وأدخل) على لفظ الماضى تحقيقا للوقوع وقوله (باذن ربهم) متعلق بأدخل أى أدخلتهم الملائكة الجنة باذن الله وأمره وقرأ الحسن وأدخل على لفظ المتكلم قال فى الكشاف فعلى هذا يتعلق قوله باذن ربهم بما بعده يعنى أن الملائكة يحيونهم باذن ربهم وقد تقدم معنى قوله (تحيتهم فيها سلام) فى أول سورة يونس ثم لما بين أحوال السعداء وكان قد ذكر أحوال أضدادهم أراد أن يذكر لكل من الفريقين مثلا قال فى الكشاف (كلمة طيبة) نصب بمضمر أى جعل كلمة طيبة (كشجرة طيبة) وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا وضرب بمعنى جعل أى جعل الله كلمة طيبة مثلا ثم قال كشجرة طيبة أى هى كشجرة وقال صاحب حل العقد أظن أن الوجه أن يجعل قوله كلمة عطف بيان وقوله كشجرة مفعول ثان عن ابن عباس الكلمة الطيبة هى قول لا اله الا الله

عما كان يعبد آباؤنا يقول انما تريدون أن تصرفونا بقولكم عن عبادة ما كان يعبده من الاوثان آباؤنا فأتونا بسلطان مبين يقول فأتونا بحجة على ما تقولون تبين لنا حقيقته وصحته فنعلم أنكم فيما تقولون محقون ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره (١) قال الامم التي أتتهم الرسل لرسلهم ان نحن الا بشر مثلكم صدقتم في قولكم ان أنتم الا بشر مثلنا فما نحن الا بشر من بني آدم انس مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده يقول ولكن الله يتفضل على من يشاء من خلقه فيهديه ويوفقه للحق و يفضله على كثير من خلقه وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان يقول وما كان لنا أن نأتيكم بحجة وبرهان على ما تدعونكم اليه الا باذن الله يقول الا بأمر الله لنا بذلك وعلى الله فليتوكل المؤمنون يقول و بالله فليثق به من آمن به وأطاعه فانا به نثق وعليه نتوكل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله فأتونا بسلطان مبين قال السلطان المبين البرهان والبينة وقوله ما لم ينزل به سلطانا قال بينة وبرهانا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وما لنا أن لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الرسل لأممها وما لنا أن لا نتوكل على الله فنثق به و بكفايته ودفاعه ايا كم عنا وقد هدانا سبلنا يقول وقد بصرنا طريق النجاة من عذابه فبين لنا ولنصبرن على ما آذيتمونا في الله وعلى ما نلقى منكم من المكروه فيه بسبب دعائنا لكم الى ما ندعوكم اليه من البراءة من الاوثان والاصنام واخلاص العبادة له وعلى الله فليتوكل المتوكلون يقول وعلى الله فليتوكل من كان به واثقا من خلقه فأما من كان به كافرا فان وليه الشيطان ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد﴾ يقول عز ذكره وقال الذين كفروا بالله لرسلهم الذين أرسلوا اليهم حين دعوهم الى توحيد الله واخلاص العبادة له وفراق عبادة الآلهة والاوثان لنخرجنكم من أرضنا يعنون من بلادنا فنطردكم عنها أو لتعودن في ملتنا يعنون الا أن تعودوا في ديننا الذي نحن عليه من عبادة الاصنام وأدخلت في قوله لتعودن لام وهو في معنى شرط كأنه جواب لليمين وانما معنى الكلام لنخرجنكم من أرضنا أو تعودون في ملتنا ومعنى أو ههنا معنى الا أو معنى حتى كما يقال في الكلام لأضربنك أو تقر لي فمن العرب من يجعل ما بعد أو في مثل هذا الموضع عطفا على ما قبله ان كان ما قبله جزما جزموه وان كان نصبا نصبوه وان كان فيه لام جعلوا فيه لاما اذا كانت أو حرف نسق ومنهم من ينصب ما بعد أو بكل حال ليعلم بنصبه أنه عن الاول منقطع عما قبله كما قال امرؤ القيس

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه * وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك انما * نحاول ملكا أو نموت فنعذرا

فنصب نموت فنعذرا وقد رفع نحاول لانه أراد معنى الا أن نموت أو حتى نموت ومنه قول الآخر

لا أستطيع نزوعا عن مودتها * أو يصنع الحب بي غير الذي صنعا

(١) كذا في النسخ ولعل الأصل قالت الرسل لأممهم التي أرسلوا اليهم ان نحن الخ فتأمل. مصححه

محمد رسول الله والشجرة الطيبة شجرة في الجنة وعن ابن عمر هي النخلة وقيل الكلمة الطيبة كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة والشجرة كل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين والعنب والرمان وغير ذلك وقيل لا حاجة بنا الى تعيين تلك الشجرة والمراد أن الشجرة الموصوفة ينبغي لكل عاقل أن يسعى في تحصيلها وادخارها لنفسه سواء كان لها وجود في الدنيا أو لم يكن أما صفات الشجرة فالاولى كونها طيبة و يشمل طيب المنظر والشكل والرائحة وطيب الفاكهة المتولدة منها وطيب منافعها والثانية (أصلها ثابت) راسخ آمن من الانقطاع ولا شك أن الشئ الطيب انما يكمل الفرح بحصوله اذا أمن انقراضه وزواله والثالثة (وفرعها في السماء) أي في جهة العلو وهذا تأكيد لرسوخ أصله فان الاصل كلما كان أقوى وأرسخ كان الفرع أعلى وأشمخ ومن فوائد ارتفاع الاغصان بعدها عن عفونات الارض ونقاوتها عن القاذورات قال في الكشاف فرعها أعلاها ورأسها و يجوز أن يريد وفروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس الصفة الرابعة (تؤتى أكلها كل حين) أي تعطي ثمرها كل وقت وقته الله لاثمارها وعن ابن عباس الحين ستة أشهر لان من حملها الى صرامها ستة أشهر وقال مجاهد وابن زيد سنة لان الشجرة من العام الى العام تحمل الثمرة ولا سيما النخلة اذا تركوا عليها التمر يبقى من السنة الى السنة وقال الزجاج الحين الوقت طال أم قصر والمراد أنه ينتفع بها في كل وقت يفرض ليلا ونهارا صيفا وشتاء باذن ربها بتيسير خالقها وتكوينه قال المحققون معرفة الله تعالى والاستغراق في محبته وطاعته هي الشجرة الطيبة بل لا طيب ولا لذيذ الا هي لان المدركات المحسوسة انما تصير مدركة لملاقاة شئ من المحسوس شيأ من الحاس أما نور معرفة الله واشراقها فانما ينفذ ويسري في جميع جواهر النفس حتى انه يكاد يتحد به ثم ان سائر اللذات منقطعة متناهية ولذة المعرفة لا تكاد تنتهي الى حد وان عروق هذه الشجرة ثابتة راسخة في جوهر النفس الناطقة ولها شعب وأغصان صاعدة في هواء العالم الروحاني يجمعها التعظيم لامر الله

وقوله

وقوله فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين الذين ظلموا أنفسهم فأوجبوا لها عقاب الله بكفرهم وقد يجوز أن يكون قيل لهم الظالمون لعبادتهم من لا تجوز عبادته من الأوثان والآلهة فيكون بوضعهم العبادة في غير موضعها اذ كان ظلما سموا بذلك ظالمين وقوله ولنسكننكم الارض من بعدهم هذا وعد من الله من وعد من أنبيائه النصر على الكفرة به من قومه يقول لما تمادت أمم الرسل في الكفر وتوعدوا رسلهم بالوقوع بهم أوحى الله اليهم باهلاك من كفر بهم من أممهم ووعدهم النصر وكل ذلك كان من الله وعيدا وتهديدا لمشركي قوم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على كفرهم به وجراءتهم على نبيه وتثبيتا لمحمد صلى الله عليه وسلم وأمرا له بالصبر على مالقي من المكروه فيه من مشركي قومه كما صبر من كان قبله من أولي العزم من رسله ومعرفه أن عاقبة أمر من كفر به الهلاك وعاقبته النصر عليهم سنة الله في الذين خلوا من قبل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولنسكننكم الارض من بعدهم قال وعدهم النصر في الدنيا والجنة في الآخرة وقوله ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد يقول جل ثناؤه هكذا فعلي لمن خاف مقامه بين يدي وخاف وعيدي فاتقاني بطاعته وتجنب سخطي أنصره على من أراد به سوأ وبغاه مكروها من أعدائي أهلك عدوه وأخزيه وأورثه أرضه ودياره وقال لمن خاف مقامي ومعناه ماقلت من أنه لمن خاف مقامه بين يدي بحيث أقيمه هنالك للحساب كما قال وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون معناه وتجعلون رزقي اياكم أنكم تكذبون وذلك أن العرب تضيف أفعالها الى أنفسها والى ما أوقعت عليه فتقول قد سررت برؤيتك وبرؤيتي اياك فكذلك ذلك ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد﴾ يقول تعالى ذكره واستفتحت الرسل على قومها أي استنصرت الله عليها وخاب كل جبار عنيد يقول هلك كل متكبر جائر حائد عن الاقرار بتوحيد الله واخلاص العبادة له والعنيد والعاند والعنود بمعنى واحد ومن الجبار تقول هو جبار بين الجبرية والجبروتية والجبرة والجبروت * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد واستفتحوا قال الرسل كلها يقول استنصروا على أعدائهم ومعانديهم أي على من عاند عن اتباع الحق وتجنبه حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ح وحدثني الحرث قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله واستفتحوا قال الرسل كلها استنصروا وخاب كل جبار عنيد قال معاند للحق مجانبه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * وقال ابن جريج استفتحوا على قومهم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد قال كانت الرسل والمؤمنون يستضعفهم قومهم ويقهرونهم ويكذبونهم ويدعونهم الى أن يعودوا في ملتهم فأبى الله عز وجل لرسله وللمؤمنين أن يعودوا في ملة الكفر وأمرهم أن يتوكلوا على الله وأمرهم أن يستفتحوا على الجبابرة ووعدهم أن يسكنهم الارض من بعدهم فأنجز الله لهم ما وعدهم واستفتحوا كما أمرهم أن يستفتحوا وخاب كل جبار عنيد حدثني المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا أبو عوانة عن المغيرة عن ابراهيم في قوله وخاب كل جبار عنيد قال هو الناكب عن الحق أي الحائد

ومنشؤها القوة النظرية وغايتها الحكمة العملية بأقسامها وأصولها وفروعها وأغصان نابتة في فضاء العالم الجسماني ومنبتها القوة العملية وفائدتها الحكمة الخلقية التي يجمعها الشفقة على خلق الله عموما وخصوصا وأثر رسوخ شجرة المعرفة في القلب أن يكون نظره للاعتبار فاعتبروا يا أولي الابصار وسمعه للحكمة الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ونطقه بالصدق والصواب وقولوا قولا سديدا وكذا الكلام في سائر القوى والاعضاء وهنالك مراتب لا تكاد تنحصر بحسب مراتب الاستعدادات واذا صار جوهر النفس كاملا بحسب هذه الفضائل فقد يكون مكملا لغيره وذلك قوله تؤتي أكلها كل حين وفي قوله (باذن ربها) اشارة الى أن النظر في جميع هذه المراتب يجب أن يكون على المفيض لا على الفيض وعلى المنعم لا على النعمة

عن اتباع طريق الحق حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا مطرف عن بشر عن هشيم عن مغيرة عن سماك عن ابراهيم وخاب كل جبار عنيد قال الناكب عن الحق حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واستفتحوا يقول استنصرت الرسل على قومها قوله وخاب كل جبار عنيد والجبار العنيد الذي أبى أن يقول لا اله الا الله حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة واستفتحوا قال استنصرت الرسل على قومها وخاب كل جبار عنيد يقول بعيد عن الحق معرض عنه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله وزاد فيه معرض عنه أبى أن يقول لا اله الا الله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وخاب كل جبار عنيد قال العنيد عن الحق الذي يعند عن الطريق قال والعرب تقول شر الابل العنيد الذي يخرج عن الطريق حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد قال الجبار هو المتجبر وكان ابن زيد يقول في معنى قوله واستفتحوا خلاف قول هؤلاء ويقول انما استفتحت الامم فأجيبت حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واستفتحوا قال استفتاحهم بالبلاء قالوا اللهم ان كان هذا الذي أتى به محمد هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء كما أمطرتها على قوم لوط أو ائتنا بعذاب أليم قال كان استفتاحهم بالبلاء كما استفتح قوم هود ائتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال فالاستفتاح العذاب قال قيل لهم ان لهذا أجلا حين سألوا الله أن ينزل عليهم فقال بل نؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار فقالوا لا نريد أن نؤخر الى يوم القيامة ربنا عجل لنا قطنا عذابنا قبل يوم الحساب وقرأ ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب حتى بلغ ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ﴾ يقول عز ذكره من ورائه من أمام كل جبار جهنم يردونها ووراء في هذا الموضع يعني أمام كما يقال ان الموت من ورائك أي قدامك وكما قال الشاعر

أتوعدني وراء بني رياح ... كذبت لتقصرن يداك دوني

يعني وراء بني رياح قدام بني رياح وأمامهم وكان بعض نحويي أهل البصرة يقول انما يعني بقوله من ورائه أي من أمامه لانه وراء ما هو فيه كما يقول لك وكل هذا من ورائك أي سيأتي عليك وهو من وراء ما أنت فيه لان ما أنت فيه قد كان قبل ذلك وهو من ورائه وقال وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا من هذا المعنى أي كان وراء ما هم فيه أمامهم وكان بعض نحويي أهل الكوفة يقول أكثر ما يجوز هذا في الاوقات لان الوقت يمر عليك فيصير خلفك اذا جزته وكذلك كان وراءهم ملك لانهم يجوزونه فيصير وراءهم وكان بعضهم يقول هو من حروف الاضداد يعني وراء يكون قداما وخلفا وقوله ويسقى من ماء صديد يقول ويسقى من ماء ثم بين ذلك الماء جل ثناؤه وما هو فقال هو صديد ولذلك رد الصديد في اعرابه على الماء لانه بيان عنه والصديد هو القيح والدم وكذلك تأوله أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء ح وحدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله من ماء صديد قال قيح ودم حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح

(ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون) المبدأ وعرفانه والمعاد واتيانه فيختار الكمال على النقصان وأثر العرفان للمعروف لا للعرفان فيكون حينئذ جوهر النفس كلمة طيبة كما قال في حق عيسى كلمة من الله واذا عرفت الكلمة الطيبة والشجرة الطيبة سهل عليك معرفة ضدهما فالكلمة الخبيثة كلمة الشرك أو كل كلمة قبيحة أو كل نفس شريرة والشجرة الخبيثة الباطل أو كل شجرة لا يطيب ثمرها كشجرة الحنظل والثوم ونحو ذلك ومعنى اجتثت استؤصلت وحقيقة الاجتثاث أخذ الجثة كلها (ما لها من قرار) أي من استقرار مصدر كالثبات والنبات وعن قتادة أنه قيل لبعض العلماء ما تقول في كلمة خبيثة فقال ما أعلم لها في الارض مستقرا ولا في السماء مصعدا الا أن تلزم عنق صاحبها حتى يوافي بها القيامة قلت وذلك أن الباطل لا قائل به ولا يوافقه فيه من هو بصدد الاعتبار فهو مضمحل

عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويسقى من ماء صديد والصديد ما يسيل من دمه ولحمه وجلده حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ويسقى من ماء صديد قال ما يسيل من بين لحمه وجلده حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا هشام عمن ذكره عن الضحاك ويسقى من ماء صديد قال يعني بالصديد ما يخرج من جوف الكافر قد خالط القيح والدم وقوله يتجرعه يتحساه ولا يكاد يسيغه يقول ولا يكاد يزدرده من شدة كراهته وهو يسيغه من شدة العطش والعرب تجعل لا يكاد فيما قد فعل وفيما لم يفعل فأما ما قد فعل فمنه هذا لأن الله جل ثناؤه جعل لهم ذلك شرابا وأما ما لم يفعل وقد دخلت فيه كاد فقوله حتى اذا أخرج يده لم يكد يراها فهو لا يراها * وبنحو ما قلنا من أن معنى قوله ولا يكاد يسيغه وهو يسيغه جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الرواية بذلك حدثني محمد بن المثنى قال ثنا ابراهيم أبو اسحق الطالقاني قال ثنا ابن المبارك عن صفوان بن عمرو عن عبيد الله بن بسر عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ويسقى من ماء صديد يتجرعه فاذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره يقول الله عز وجل وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم ويقول وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب حدثنا ابن المثنى قال ثنا معمر عن ابن المبارك قال ثنا صفوان بن عمرو عن عبيد الله بن بسر عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ويسقى من ماء صديد فذكر مثله الا أنه قال سقوا ماء حميما حدثني محمد بن خلف العسقلاني قال ثنا حيوة بن شريح الحمصي قال ثنا بقية عن صفوان بن عمرو قال ثني عبيد الله بن بسر عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله سواء وقوله ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت فانه يقول ويأتيه الموت من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وشماله ومن كل موضع من أعضاء جسده وما هو بميت لانه لا تخرج نفسه فيموت فيستريح ولا يحيا لتعلق نفسه بالحناجر فلا ترجع الى مكانها كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قوله يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت قال تعلق نفسه عند حنجرته فلا تخرج من فيه فيموت ولا ترجع الى مكانها من جوفه فيجد لذلك راحة فتنفعه الحياة حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا يزيد بن هرون قال ثنا العوام ابن حوشب عن ابراهيم التيمي قوله ويأتيه الموت من كل مكان قال من تحت كل شعرة في جسده وقوله ومن ورائه عذاب غليظ يقول ومن وراء ما هو فيه من العذاب يعني أمامه وقدامه عذاب غليظ ⁂ القول في قوله تعالى ﴿ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد ﴾ اختلف أهل العربية في رافع مثل فقال بعض نحويي البصرة انما هو كأنه قال ومما نقص عليكم مثل الذين كفروا ثم أقبل يفسر كما قال مثل الجنة وهذا كثير وقال بعض نحويي الكوفيين انما المثل للاعمال ولكن العرب تقدم الاسماء لأنها أعرف ثم تأتي بالخبر الذي تخبر عنه مع صاحبه ومعنى الكلام مثل أعمال الذين كفروا بربهم كرماد كما قيل ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ومعنى الكلام ويوم القيامة ترى وجوه الذين كذبوا على الله مسودة قال ولو خفض الاعمال جاز كما قال يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه الآية وقوله مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الانهار قال فتجري هو في موضع الخبر كأنه قال أن تجري وأن يكون كذا وكذا فلو أدخل أن جاز قال ومنه قول الشاعر

زائل والحق نقيض ذلك بل الباطل لا يستقر صاحبه عليه ولا يحصل له منه برد اليقين وكذا النفس الخبيثة لا تكون لها طمأنينة ولا وقار تراها أبدا تسعى في الطرق المضلة والسبل المنحرفة كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران ولما شبه حال الفريقين عاد شبه بين مآل حالهما فقال (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) أي الذي ثبت بالحجة والبرهان وتمكن في قلب صاحبه بحيث لم يكن للتشكيك فيه مجال هذا في الحياة الدنيا فلا جرم اذا فتنوا في دينهم لم يزالوا كأصحاب الاخدود والذين نشروا بالمناشير ومشطت لحومهم بأمشاط الحديد وتثبيتهم في الآخرة أنهم اذا سئلوا في القبور لم يتلعثموا واذا وقفوا بين يدي الجبار لم يبهتوا عن ابن عباس من داوم على الشهادة في الحياة الدنيا يثبته الله عليها في قبره ويلقنها اياها وقد ورد في حديث سؤال القبر عن البراء بن عازب مثل ذلك والسبب العقلي فيه أن المواظبة

ذريني ان أمرك لن يطاعا * وما ألفيتني حلمي مضاعا

قال فالحلم منصوب بألفيت على التكرير قال ولو رفعه كان صوابا قال وهذا مثل ضربه الله لأعمال الكفار فقال مثل أعمال الذين كفروا يوم القيامة التي كانوا يعملونها في الدنيا يزعمون أنهم يريدون الله بها مثل رماد عصفت الريح عليه في يوم ريح عاصف فنسفته وذهبت به فكذلك أعمال أهل الكفر به يوم القيامة لا يجدون منها شيأ ينفعهم عند الله فينجيهم من عذابه لانهم لم يكونوا يعملونها لله خالصا بل كانوا يشركون فيها الاوثان والاصنام يقول الله عز وجل ذلك هو الضلال البعيد يعني أعمالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا التي يشركون فيها مع الله شركاء هي أعمال عملت على غير هدى واستقامة بل على جور عن الهدى بعيد وأخذ على غير استقامة شديد وقيل في يوم عاصف فوصف بالعصوف وهو من صفة الريح لأن الريح تكون فيه كما يقال يوم بارد ويوم حار لان البرد والحرارة يكونان فيه وكما قال الشاعر * يومين غيمين ويوما شمسا * فوصف اليومين بالغيمين وانما يكون الغيم فيهما وقد يجوز أن يكون أريد به في يوم عاصف الريح فحذفت الريح لانها قد ذكرت قبل ذلك فيكون ذلك نظير قول الشاعر

* اذا جاء يوم مظلم الشمس كاسف * يريد كاسف الشمس وقيل هو من نعت الريح خاصة غير أنه لما جاء بعد اليوم أتبع اعرابه وذلك أن العرب تتبع الخفض الخفض في النعوت كما قال الشاعر

تريك سنة وجه غير مقرفة * ملساء ليس بها خال ولا ندب

فخفض غير اتباعا لاعراب الوجه وانما هي من نعت السنة والمعنى سنة وجه غير مقرفة وكما قالوا هذا جحر ضب خرب * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج في قوله كرماد اشتدت به الريح قال حملته الريح في يوم عاصف حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف يقول الذين كفروا بربهم وعبدوا غيره فأعمالهم يوم القيامة كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون على شئ من أعمالهم ينفعهم كما لا يقدر على الرماد اذا أرسل عليه الريح في يوم عاصف وقوله ذلك هو الضلال البعيد أي الخطأ البين البعيد عن طريق الحق * القول في تأويل قوله تعالى (ألم تر أن الله خلق السموات والارض بالحق ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز) يقول عز ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ألم تر يا محمد بعين قلبك فتعلم أن الله أنشأ السموات والارض بالحق منفردا بانشائها بغير ظهير ولا معين ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد يقول ان الذي تفرد بخلق ذلك وانشائه من غير معين ولا شريك ان هو شاء أن يذهبكم فيفنيكم أذهبكم وأفناكم ويأت بخلق آخر سواكم مكانكم فيجدد خلقهم وما ذلك على الله بعزيز يقول وما اذهابكم وافناؤكم وانشاء خلق آخر سواكم مكانكم على الله بممتنع ولا متعذر لانه القادر على ما يشاء واختلفت القراء في قراءة قوله ألم تر أن الله خلق فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض الكوفيين خلق على فعل وقرأته عامة قراء أهل الكوفة خالق على فاعل وهما قراءتان مستفيضتان قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القراء متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب * القول في تأويل قوله تعالى (وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شئ قالوا لو هدانا

على الفعل توجب رسوخ الملكة بحيث لا تزول بتبدل الاحوال وتقلب الاطوار وانما فسرت الآخرة ههنا بالقبر لان الميت ينقطع بالموت عن أحكام الدنيا ويدخل في أحكام الآخرة فمعنى الآية يثبت الله الذين آمنوا بالله وبما يجب الايمان به على ما آمنوا به في الدارين أو يثبتهم الله فيهما بسبب القول الثابت على القول الثابت وقيل معنى الآية يثبتهم الله على الثواب والكرامة بسبب القول الثابت الذي كان يصدر عنهم حال ما كانوا في الحياة الدنيا ويصدر عنهم حال ما يكونون في الآخرة ويرد عليه أن الآخرة ليست دار عمل وان كان قوله في الحياة الدنيا متعلقا بقوله يثبت أي يثبتهم على الثواب في الدارين بسبب القول ويرد عليه أن الدنيا ليست دار ثواب ويمكن أن يناقش في هذا الايراد لقوله سبحانه من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة (ويضل الله الظالمين) الذين وضعوا الباطل

الله لهدينا كم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص ﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله وبرزوا لله جميعا وظهر هؤلاء الذين كفروا به يوم القيامة من قبورهم فصاروا بالبراز من الارض جميعا يعنى كلهم فقال الضعفاء للذين استكبروا يقول فقال التباع منهم للمتبوعين وهم الذين كانوا يستكبرون فى الدنيا عن اخلاص العبادة لله واتباع الرسل الذين أرسلوا اليهم انا كنا لكم تبعا فى الدنيا والتبع جمع تابع كما الغيب جمع غائب وانما عنوا بقولهم انا كنا لكم تبعا أنهم كانوا أتباعهم فى الدنيا يأتمرون لما يأمرونهم به من عبادة الأوثان والكفر بالله وينتهون عما نهوهم عنه من اتباع رسل الله فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شئ يعنون فهل أنتم دافعون عنا اليوم من عذاب الله من شئ وكان ابن جريج يقول نحو ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله وقال الضعفاء قال الاتباع للذين استكبروا قال للقادة وقوله لو هدانا الله لهديناكم يقول عز ذكره قالت القادة على الكفر بالله لتباعها لو هدانا الله يعنون لو بين الله لنا شيأ ندفع به عذابه عنا اليوم لهديناكم لبيناذلك لكم حتى تدفعوا العذاب عن أنفسكم ولكنا قد جزعنا من العذاب فلم ينفعنا جزعنا منه وصبرنا عليه سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص يعنون ما لهم من مراغ يزوغون عنه يقال منه حاص عن كذا اذا زاغ عنه يحيص حيصا وحيوصا وحيصانا حدثنى المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن الحكم عن عمرو بن أبى ليلى أحد بنى عامر قال سمعت محمد بن كعب القرظى يقول بلغنى أو ذكر لى أن أهل النار قال بعضهم لبعض يا هؤلاء انه قد نزل بكم من العذاب والبلاء ما قد ترون فهلم فلنصبر فلعل الصبر ينفعنا كما صبر أهل الدنيا على طاعة الله فنفعهم الصبر اذ صبروا قال فيجمعون رأيهم على الصبر قال فصبروا فطال صبرهم ثم جزعوا فنادوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص أى من منجى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص قال ان أهل النار قال بعضهم لبعض تعالوا فانما أدرك أهل الجنة الجنة ببكائهم وتضرعهم الى الله فتعالوا نبكى ونتضرع الى الله قال فبكوا فلما رأوا ذلك لا ينفعهم قالوا تعالوا فانما أدرك أهل الجنة الجنة الا بالصبر تعالوا نصبر فصبروا صبرا لم ير مثله فلم ينفعهم ذلك فعند ذلك قالوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى انى كفرت بما أشركتمون من قبل ان الظالمين لهم عذاب أليم ﴾ يقول تعالى ذكره وقال ابليس لما قضى الامر يعنى لما أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار واستقر بكل فريق منهم قرارهم ان الله وعدكم أيها الأتباع النار ووعدتكم النصرة فأخلفتكم وعدى ووفى الله لكم بوعده وما كان لى عليكم من سلطان يقول وما كان لى عليكم فيما وعدتكم من النصرة من حجة تثبت لى عليكم بصدق قولى الا أن دعوتكم وهذا من الاستثناء المنقطع عن الاول كما تقول ما ضربته الا أنه أحمق ومعناه ولكن دعوتكم فاستجبتم لى يقول الا أن دعوتكم الى طاعتى ومعصية الله فاستجبتم لدعائى فلا تلومونى على اجابتكم اياى ولوموا أنفسكم عليها ما أنا بمصرخكم يقول ما أنا بمغيثكم وما أنتم بمصرخى ولا أنتم بمغيثى من عذاب الله فمنجى منه انى كفرت بما أشركتمونى من قبل يقول انى جحدت أن أكون شريكا لله فيما أشركتمونى فيه من عبادتكم من قبل فى الدنيا ان الظالمين لهم عذاب أليم يقول ان الكافرين بالله لهم عذاب أليم من الله موجع يقال أصرخت الرجل اذا أغثته اصراخا وقد صرخ الصارخ يصرخ ويصرخ قليلة وهو الصريخ والصراخ ٭ وبنحو الذى قلنا

موضع الحق والشرك بدل التوحيد فى الدارين فلاجرم اذا سئلوا فى قبورهم قالوا لاندرى (ويفعل الله ما يشاء) من التثبيت والاضلال ولا اعتراض لاحد عليه أو من منح الالطاف ومنعها كما تقتضيه الحكمة ثم عجب من ظالمى مكة بقوله (ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله) أى شكر نعمته (كفرا) أى وضعوا مكان الشكر الكفر أو بدلوا نفس النعمة كفرا أى سلبوا النعمة فلم يبق معهم الا الكفر وذلك أنه تعالى أسكنهم حرمه ووسع عليهم معايشهم وأكرمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فلم يقوموا بشكر تلك النعم فضربهم بالقحط سبع سنين وقتلوا يوم بدر وبقى الكفر طوقا فى أعناقهم وأعناق من تابعهم وذلك قوله (وأحلوا قومهم دار البوار) أى الهلاك وقوله (جهنم) عطف بيان (وبئس القرار) أى المقر مصدر سمى به قوله (ليضلوا) من قرأ بضم الياء فاللام للغرض أو العاقبة ومن قرأ بفتحها

في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن عامر في هذه الآية ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي اني كفرت بما أشركتمون من قبل قال خطيبان يقومان يوم القيامة ابليس وعيسى بن مريم فأما ابليس فيقوم في حزبه فيقول هذا القول وأما عيسى عليه السلام فيقول ما قلت لهم الا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن داود عن الشعبي قال يقوم خطيبان يوم القيامة أحدهما عيسى والآخر ابليس فأما ابليس فيقوم في حزبه فيقول ان الله وعدكم وعد الحق فتلا داود حتى بلغ بما أشركتمون من قبل فلا أدرى أتم الآية أم لا وأما عيسى عليه السلام فيقال له أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله فتلا حتى بلغ انك أنت العزيز الحكيم حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا علي بن عاصم عن داود بن أبي هند عن عامر قال يقوم خطيبان يوم القيامة على رؤس الناس يقول الله عز وجل يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله الى قوله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم قال ويقوم ابليس فيقول وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي ما أنا بمغنيكم وما أنتم بمغنيّ حدثنا الحسن قال ثنا سعيد بن منصور قال ثني خالد عن داود عن الشعبي في قوله ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي قال خطيبان يقومان يوم القيامة فأما ابليس فيقول هذا وأما عيسى فيقول ما قلت لهم الا ما أمرتني به حدثنا المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن رشدين بن سعد قال أخبرني عبد الرحمن بن زياد عن دخين الحجري عن عقبة بن عامر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الحديث قال يقول عيسى ذلكم النبي الامي فيأتوني فيأذن الله لي أن أقوم فيثور من مجلسي من أطيب ريح شمها أحد حتى آتي ربي فيشفعني ويجعل لي نورا الى نور من شعر رأسي الى ظفر قدمي ثم يقول الكافرون قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فقم أنت فاشفع لنا فانك أنت أضللتنا فيقوم فيثور من مجلسه أنتن ريح شمها أحد ثم يعظم نحيبهم ويقول عند ذلك ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم الآية حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن رجل عن الحسن في قوله وما كان لي عليكم من سلطان قال اذا كان يوم القيامة قام ابليس خطيبا على منبر من نار فقال ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم الى قوله وما أنتم بمصرخي قال بناصري اني كفرت بما أشركتمون من قبل قال بطاعتكم اياي في الدنيا حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عمن ذكره قال سمعت محمد بن كعب القرظي قال في قوله وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق قال قام ابليس يخطبهم فقال ان الله وعدكم وعد الحق الى قوله ما أنا بمصرخكم يقول بمغن عنكم شيأ وما أنتم بمصرخي اني كفرت بما أشركتمون من قبل قال فلما سمعوا مقالته مقتوا أنفسهم قال فنودوا لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي ما أنا بمغنيكم وما أنتم بمغنيّ قوله اني كفرت بما أشركتمون من قبل يقول عصيت الله قبلكم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي اني كفرت بما أشركتمون من قبل قال هذا قول ابليس يوم القيامة يقول ما أنتم بنافعيّ وما أنا بنافعكم اني كفرت بما أشركتمون من قبل قال شركته عبادته حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال

ثنا

واللام للعاقبة لان العاقل لا يريد ضلال نفسه ولكنه قد يريد اضلال الغير لمصلحة دنيوية وانما حسن استعمال اللام لاجل العاقبة من حيث انها تشبه الغاية والغرض من قبل حصولها في آخر المراتب والمشابهة أحد الامور المصححة للمجاز (قل تمتعوا) أمر وعيد وتهديد قال جار الله فيه ايذان بأنهم لانغماسهم في التمتع بالحاضر مأمورون به قد أمرهم آمر مطاع هو آمر الشهوة والمعنى ان دمتم على ما أنتم عليه من الامتثال لامر الشهوة (فان مصيركم الى النار) وانما سمى عيش الكفار تمتعا لان امهالهم في الدنيا على أي وجه يفرض يكون أسهل مما أعد لهم في الآخرة من العقاب ومن الذي نزل فيهم روى عن عمر أنه قال هم الأفجران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية فأما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر وأما بنو أمية فمتعوا حتى حين وقيل هم متنصرة العرب جبلة بن الأيهم وأصحابه ولما

ثنا الحسين قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله بمصرخي قال
بمغيثي حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن
مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن
مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد
مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي جعفر الرازي عن
الربيع بن أنس قال ما أنا بمنجيكم وما أنتم بمنجي حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال
ابن زيد قال خطيب السوء ابليس الصادق أفرأيتم صادقا لم ينفعه صدقه ان الله وعدكم وعد الحق
ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان أقهركم به الا أن دعوتكم فاستجبتم لي قال
أطعتموني فلا تلوموني ولوموا أنفسكم حين أطعتموني ما أنا بمصرخكم ما أنا بناصركم ولا مغيثكم
وما أنتم بمصرخي وما أنتم بناصري ولا مغيثي لما بي اني كفرت بما أشركتموني من قبل ان الظالمين
لهم عذاب أليم حدثني المثنى قال ثنا سويد قال ثنا ابن المبارك عن الحكم عن
عمرو بن أبي ليلى أحد بني عامر قال سمعت محمد بن كعب القرظي يقول وقال الشيطان لما قضي
الامر قال قام ابليس عند ذلك يعني حين قال أهل جهنم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص
فخطبهم فقال ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم الى قوله ما أنا بمصرخكم يقول بمغن
عنكم شيئا وما أنتم بمصرخي اني كفرت بما أشركتموني من قبل قال فلما سمعوا مقالته مقتوا
أنفسهم قال فنودوا لمقت الله أكبر من مقتكم الآية ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وأدخل
الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام
ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها
كل حين باذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون﴾ يقول عز ذكره وأدخل الذين
صدقوا الله ورسوله فأقروا بوحدانية الله وبرسالة رسله وأن ما جاءت به من عند الله حق وعملوا
الصالحات يقول وعملوا بطاعة الله فانتهوا الى أمر الله ونهيه جنات تجري من تحتها الانهار بساتين
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم يقول أدخلوها بأمر الله لهم بالدخول تحيتهم فيها
سلام وذلك ان شاء الله كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قوله
تحيتهم فيها سلام قال الملائكة يسلمون عليهم في الجنة وقوله ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة
كشجرة طيبة يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ألم تر يا محمد بعين قلبك فتعلم كيف مثل
الله مثلا وشبه شبها كلمة طيبة ويعني بالطيبة الايمان به جل ثناؤه كشجرة طيبة الثمر وترك ذكر الثمرة
استغناء بمعرفة السامعين عن ذكرها بذكر الشجرة وقوله أصلها ثابت وفرعها في السماء يقول عز
ذكره أصل هذه الشجرة ثابت في الارض وفرعها وهو أعلاها في السماء يقول مرتفع علوا نحو
السماء وقوله تؤتي أكلها كل حين باذن ربها يقول تطعم ما يؤكل منها من ثمرها كل حين بأمر
ربها ويضرب الله الامثال للناس يقول ويمثل الله الامثال للناس ويشبه لهم الاشباه لعلهم
يتذكرون يقول ليتذكروا حجة الله عليهم فيعتبروا بها ويتعظوا فينزجروا عما هم عليه من
الكفر به الى الايمان وقد اختلف أهل التأويل في المعني بالكلمة الطيبة فقال بعضهم عني بها
ايمان المؤمن ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني
معاوية عن علي عن ابن عباس قوله كلمة طيبة شهادة أن لا اله الا الله كشجرة طيبة وهو المؤمن
أصلها ثابت يقول لا اله الا الله ثابت في قلب المؤمن وفرعها في السماء يقول يرفع بها عمل المؤمن

أمر الكافرين بالتمتع بنعيم الدنيا
تهديدا أمر نبيه صلى الله عليه
وسلم بحث المؤمنين على خلاف
ذلك وهو الاقبال على ما ينفعهم في
الآخرة فقال (قل لعبادي الذين)
المقول محذوف لان جواب قل يدل
عليه التقدير قل لهم أقيموا الصلاة
وأنفقوا يقيموا الصلاة وينفقوا
وجوز بعضهم أن يكون المذكور
هو المقول بناء على أنه أمر غائب
محذوف اللام وانما حسن الحذف
لان الامر الذي هو قل عوض منه
ولو قيل يقيموا الصلاة وينفقوا ابتداء
بحذف اللام لم يجز والخلال المخالة
أراد أنفقوا أموالكم في الدنيا حتى
تجدوا ثواب ذلك الانفاق في هذا
اليوم الذي لا انتفاع فيه بمبايعة
ولا بصداقة وانما ينتفع بالانفاق
لوجه الله ونفي المخالة في هذه الآية
وفي قوله في البقرة لا بيع فيه ولا خلة
لا ينافي اثباتها في قوله الأخلاء يومئذ
بعضهم لبعض عدو الا المتقين لان
المنفية هي التي سببها ميل الطبيعة

الى السماء حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس كلمة طيبة قال هذا مثل الايمان فالايمان الشجرة الطيبة وأصله الثابت الذى لا يزول الاخلاص لله وفرعه فى السماء فرعه خشية الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة قال كنخلة * قال ابن جريج وقال آخرون الكلمة الطيبة أصلها ثابت فى ذات أصل فى القلب وفرعها فى السماء تعرج فلا تحجب حتى تنتهى الى الله * وقال آخرون بل عنى بها المؤمن نفسه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين باذن ربها يعنى بالشجرة الطيبة المؤمن ويعنى بالاصل الثابت فى الارض وبالفرع فى السماء يكون المؤمن يعمل فى الارض ويتكلم فيبلغ عمله وقوله السماء وهو فى الارض حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا فضيل بن مرزوق عن عطية العوفى فى قوله ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة قال ذلك مثل المؤمن لا يزال يخرج منه كلام طيب وعمل صالح يصعد اليه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر عن الربيع بن أنس قال أصلها ثابت فى الارض وكذلك كان يقرؤها قال ذلك المؤمن ضرب مثله قال الاخلاص لله وحده وعبادته لا شريك له قال أصلها ثابت قال أصل عمله ثابت فى الارض وفرعها فى السماء قال ذكره فى السماء * واختلفوا فى هذه الشجرة التى جعلت للكلمة الطيبة مثلا فقال بعضهم هى النخلة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن معاوية بن قرة قال سمعت أنس بن مالك فى هذا الحرف كشجرة طيبة قال هى النخلة حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا أبو قطن قال ثنا شعبة عن معاوية بن قرة عن أنس مثله حدثنا الحسن قال ثنا شبابة قال ثنا شعبة عن معاوية بن قرة قال سمعت أنس بن مالك يقول كلمة طيبة كشجرة طيبة قال النخل حدثنى يعقوب والحسن بن محمد قالا ثنا ابن علية قال ثنا شعيب قال قال خرجت مع أبى العالية نريد أنس بن مالك قال فأتيناه فدعا لنا بقنو عليه رطب فقال كلوا من هذه الشجرة التى قال الله عز وجل ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء وقال الحسن فى حديثه بقناع حدثنا خلاد بن أسلم قال أخبرنا النضر بن شميل قال أخبرنا حماد بن سلمة قال أخبرنا شعيب بن الحبحاب عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بقناع بسر فقال مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة قال هى النخلة حدثنا سوار بن عبد الله قال ثنا أبى قال ثنا حماد بن سلمة عن شعيب بن الحبحاب عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بقناع فيه بسر فقال مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة قال هى النخلة قال شعيب فأخبرت بذلك أبا العالية فقال كذلك كانوا يقولون حدثنى المثنى قال ثنا حجاج قال ثنا حماد بن سلمة عن شعيب بن الحبحاب قال كنا عند أنس فأتينا بطبق أو قنع عليه رطب فقال كل يا أبا العالية فان هذا من الشجرة التى ذكر الله عز وجل فى كتابه ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا مهدى بن ميمون عن شعيب بن الحبحاب قال كان أبو العالية يأتينى فأتانى يوما فى منزلى بعد ما صليت الفجر فانطلقت معه الى أنس بن مالك فدخلنا معه الى أنس ابن مالك فجىء بطبق عليه رطب فقال أنس لابى العالية كل يا أبا العالية فان هذه من الشجرة التى

ورغبة النفس والمثبتة هى التى يوجبها الاشتراك فى الايمان والعمل الصالح ولما ختم أحوال المعاد عاد الى المبدا فقال (الله) وهو مبتدأ خبره (الذى خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم) وقد مر فى أول البقرة والمراد من السماء جهة العلو وقيل نفس السماء وزيف بأن الانسان ربما كان واقفا على قلة جبل عال ويرى الغيم أسفل منه واذا نزل من ذلك الجبل يرى الغيم ماطرا عليه (وسخر لكم الفلك) كقوله فى أواسط البقرة والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وقد مر ومعنى (بأمره) بتيسيره وتسييره لانه خلق موادها وألهم صنعتها وجعل الماء بحيث يسهل على وجهه جريها ولان الملك العظيم قلما يوصف بأنه فعل وانما يقال انه أمر بكذا ومنهم من حمل الأمر على الظاهر أى بقوله كن (وسخر لكم الانهار) وجه المنة فيها أن البحر قلما ينتفع به فى العمارة

قال الله في كتابه ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة ثابت أصلها قال هكذا قرأها يومئذ أنس حدثنا أبو كريب قال ثنا طلق قال ثنا شريك عن السدي عن مرة عن عبد الله مثله حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا عبد الغفار بن القاسم عن جامع ابن أبي راشد عن مرة بن شراحيل الهمداني عن مسروق كشجرة طيبة قال النخلة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى ح وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء ح وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن السدي عن مرة عن عبد الله مثله حدثني المثنى قال ثنا معلى بن أسد قال ثنا خالد قال أخبرنا حصين عن عكرمة في قوله كشجرة طيبة قال هي النخلة لا تزال فيها منفعة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن مغراء عن جويبر عن الضحاك في قوله كشجرة طيبة قال ضرب الله مثل المؤمن كمثل النخلة تؤتي أكلها كل حين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة كنا نحدث أنها النخلة حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة كشجرة طيبة قال يزعمون أنها النخلة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله تؤتي أكلها كل حين قال هي النخلة حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا محمد بن عبيد قال ثنا الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله وفرعها في السماء قال النخلة * قال ثنا الحسن قال ثنا سعيد بن منصور قال ثنا خالد عن الشيباني عن عكرمة تؤتي أكلها كل حين قال هي النخلة حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال شعيب بن الحبحاب عن أنس بن مالك الشجرة الطيبة النخلة * وقال آخرون بل هي شجرة في الجنة ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عفان قال ثنا أبو كدينة قال ثنا قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس في قول الله عز وجل ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين باذن ربها قال هي شجرة في الجنة * وأولى القولين بالصواب في ذلك قول من قال هي النخلة لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما حدثنا به الحسن بن محمد قال ثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال صحبت ابن عمر الى المدينة فلم أسمعه يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا حديثا واحدا قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فأتي بجمار فقال من الشجر شجرة مثلها مثل الرجل المسلم فأردت أن أقول هي النخلة فاذا أنا أصغر القوم فسكت حدثنا الحسن قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا سليمن عن يوسف بن سرح عن رجل عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هل تدرون ما الشجرة الطيبة قال ابن عمر فأردت أن أقول هي النخلة فمنعني مكان عمر فقالوا الله ورسوله أعلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي النخلة حدثنا الحسن قال ثنا يحيى بن حماد قال ثنا عبد العزيز قال ثنا عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما لأصحابه ان شجرة من الشجر لا يطرح ورقها مثل المؤمن قال فوقع الناس في شجر البدو ووقع في قلبي أنها النخلة فاستحييت حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي النخلة حدثنا الحسن قال ثنا عاصم بن علي قال ثنا عبد العزيز بن مسلم القسملي قال ثنا عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من

والزراعة نعمة والوحدة ففجر الله الانهار والعيون والآبار الصالحة للانتفاع بها كما لا يخفى (وسخر لكم الشمس والقمر) أي سيرهما تحت تصرفه وتسخيره بحيث يعود انتفاع ذلك عليكم من التسخين والترطيب والاضاءة والانارة لانهما مسخران للانس وقوله (دائبين) نصب على الحال والدؤب مرور الشيء في العمل على عادة مطردة أي يدأبان في سيرهما وانارتهما وسائر منافعهما وخواصهما وهكذا معنى التسخير في قوله (وسخر لكم الليل والنهار) أي قدر هذين العرضين المتعاقبين لراحة الانسان ولمعاشه ولما فصل طرفا من النعم أجمل الباقية منها بقوله (وآتاكم من كل ما سألتموه) أي بعض جميع ما سألتموه ومن قرأ بالتنوين فما نافية والجملة نصب على الحال أي آتاكم من جميع ذلك غير سائليه أو موصولة بمعنى وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه وطلبتموه بلسان الحال ثم بين أن نعم الله على

الشجر شجرة لا يسقط ورقها وهي مثل المؤمن فحدثوني ماهي فذكر نحوه حدثنا الحسن قال ثنا على قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا عبيدالله قال ثنى نافع عن عبدالله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبروني بشجرة كمثل الرجل المسلم تؤتى أكلها كل حين لا يتحات ورقها قال فوقع في نفسي أنها النخلة فكرهت أن أتكلم وثم أبو بكر وعمر فلما لم يتكلموا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي النخلة حدثنا الحسن قال ثنا محمد بن الصباح قال ثنا اسمعيل عن عبيدالله عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه * واختلف أهل التأويل في معنى الحين الذي ذكر الله عز وجل في هذا الموضع فقال تؤتى أكلها كل حين باذن ربها فقال بعضهم معناه تؤتى أكلها كل غداة وعشية ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا أبو معاوية قال ثنا الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس قال الحين قد يكون غدوة وعشية حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا محمد بن عبيد قال ثنا الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس في قوله تؤتى أكلها كل حين باذن ربها قال غدوة وعشية حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس مثله حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن أبي عدى عن شعبة عن سلمن عن أبي ظبيان عن ابن عباس مثله حدثنا أبو كريب قال ثنا طلق عن زائدة عن الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس مثله حدثنا الحسن قال ثنا على بن الجعد قال ثنا شعبة عن الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس في قوله تؤتى أكلها كل حين باذن ربها قال بكرة وعشيا حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس تؤتى أكلها كل حين باذن ربها قال بكرة وعشية حدثني محمد ابن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمى قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس تؤتى أكلها كل حين باذن ربها قال يذكر الله كل ساعة من الليل والنهار حدثنا الحسن قال ثنا عفان قال ثنا أبو كدينة قال ثنا قابوس عن أبيه عن ابن عباس تؤتى أكلها كل حين باذن ربها قال غدوة وعشية حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبدالرحمن بن مغراء عن جويبر عن الضحاك في قوله تؤتى أكلها كل حين باذن ربها قال المؤمن يطيع الله بالليل والنهار وفي كل حين حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبدالله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس تؤتى أكلها كل حين باذن ربها يصعد عمله أول النهار وآخره حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس تؤتى أكلها كل حين باذن ربها قال يصعد عمله غدوة وعشية حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سلمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله تؤتى أكلها كل حين باذن ربها قال تخرج ثمرتها كل حين وهذا مثل المؤمن يعمل كل حين كل ساعة من النهار وكل ساعة من الليل وبالشتاء والصيف بطاعة الله * وقال آخرون معنى ذلك تؤتى أكلها كل ستة أشهر من بين صرامها الى حملها ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن طارق بن عبد الرحمن عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الحين ستة أشهر حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا أيوب قال قال عكرمة سئلت عن رجل حلف أن لا يصنع كذا وكذا الى حين فقلت ان من الحين حينا يدرك ومن الحين حينا لا يدرك فالحين الذي لا يدرك قوله ولتعلمن نبأه بعد حين والحين الذي يدرك تؤتى أكلها كل حين باذن ربها قال وذلك من حين

عبيده غير متناهية فقال (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) أى لا تقدرون على تعدادها لكثرتها بل لعدم تناهيها قال الواحدى النعمة ههنا اسم أقيم مقام المصدر كالنفقة بمعنى الانفاق ولهذا لم تجمع ومن تأمل في تشريح الانسان وفي أعضاء الحيوان وأجزائها من العروق الدقاق والأوردة والشرايين وفي كل واحد من الاعضاء البسيطة والمركبة ووقف على منافعها عرف بعض دقائق نعم الله تعالى على عباده واذا جاوز النفس الى الآفاق وسير فكره في أحوال الاجسام السفلية والعلوية ووقف من بديع صنعتها وعظيم منفعتها على ما يقضى منه العجب واذا عبر الملك الى الملكوت تاه في أودية الحيرة والدهشة وتلاشى عقله عند أدنى سرادقات العزة والهيبة قال الحكيم اذا أخذت اللقمة الواحدة لتضعها في الفم فانظر الى ماقبلها والى مابعدها أما الذى قبلها فكالخبز والطحن والزرع وغير

تصرم النخلة الى حين تطلع وذلك ستة أشهر حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن سفيان عن ابن الاصبهانى عن عكرمة قال الحين ستة أشهر حدثنا الحسن قال ثنا سعيد بن منصور قال ثنا خالد عن الشيبانى عن عكرمة فى قوله تؤتى أكلها كل حين باذن ربها قال هى النخلة والحين ستة أشهر حدثنا أبو كريب قال ثنا كثير بن هشام قال ثنا جعفر قال ثنا عكرمة تؤتى أكلها كل حين باذن ربها قال هو ما بين حمل النخلة الى أن تحرز حدثنى المثنى قال ثنا قبيصة بن عقبة قال ثنا سفيان قال قال عكرمة الحين ستة أشهر حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا قيس عن طارق بن عبد الرحمن عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه سئل عن رجل حلف أن لا يكلم أخاه حينا قال الحين ستة أشهر ثم ذكر النخلة ما بين حملها الى صرامها ستة أشهر حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن سفيان عن طارق عن سعيد بن جبير تؤتى أكلها كل حين قال ستة أشهر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال تؤتى أكلها كل حين باذن ربها والحين ما بين السبعة والستة وهى تؤكل شتاء وصيفا حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال الحسن ما بين الستة الأشهر والسبعة يعنى الحين حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عبد الرحمن بن الاصبهانى عن عكرمة قال الحين ستة أشهر

وقال آخرون بل الحين ههنا سنة ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن أبى مكين عن عكرمة إن نذر أن يقطع يد غلامه أو يحبسه حينا قال فسألنى عمر بن عبد العزيز قال فقلت لا تقطع يده ويحبسه سنة والحين سنة ثم قرأ ليسجننه حتى حين وقرأ تؤتى أكلها كل حين باذن ربها حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع قال وزاد أبو بكر الهذلى عن عكرمة قال قال ابن عباس الحين حينان حين يعرف وحين لا يعرف فأما الحين الذى لا يعرف ولتعلمن نبأه بعد حين وأما الحين الذى يعرف فقوله تؤتى أكلها كل حين باذن ربها حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال سألت حمادا والحكم عن رجل حلف أن لا يكلم رجلا الى حين قالا الحين سنة حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى ح وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء ح وحدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنى ورقاء ح وحدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله كل حين قال كل سنة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله تؤتى أكلها كل حين قال كل سنة حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سلام عن عطاء بن السائب عن رجل منهم أنه سأل ابن عباس فقال حلفت أن لا أكلم رجلا حينا فقرأ ابن عباس تؤتى أكلها كل حين فالحين سنة حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا ابن عسيل عن عكرمة قال أرسل الى عمر بن عبد العزيز فقال يا مولى ابن عباس انى حلفت أن لا أفعل كذا وكذا حينا فما الحين الذى يعرف به قلت ان من الحين حينا لا يدرك ومن الحين حين يدرك فأما الحين الذى لا يدرك فقول الله هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا والله ما يدرى كم أتى له الى أن خلق وأما الذى يدرك فقوله تؤتى أكلها كل حين باذن ربها فهو ما بين العام الى العام المقبل فقال أصبت يا مولى ابن عباس ما أحسن ما قلت حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء قال أتى رجل ابن عباس فقال انى نذرت أن لا أكلم رجلا حينا فقال ابن عباس تؤتى أكلها كل حين فالحين سنة وقال آخرون

ذلك من الآلات المعينة والاسباب الفاعلية والقابلية حتى تنتهى الى الأفلاك والعناصر وأما الذى بعده فكالقوى المعينة على الجذب والامساك والهضم والدفع وكالاعضاء الحاملة لتلك القوى وسائر الامور النافعة فى ذلك الباب خارجة من البدن أو داخلة فيه فانها لا تكاد تنحصر واذا كانت نعم الله تعالى فى تناول لقمة واحدة تبلغ هذا المبلغ فكيف فيما جاوز ذلك هذا اذا كنت فى عالم الاجساد فاذا تخطيت الى عالم الارواح وأجلت طرف عقلك فى ميادين القدس وحظائر الانس وصادفت بعض ماهنالك من الكرامات واللذات فلعلك تعرف حق النعمة اذ تغرق فى لجة المنة أو تغرف من نهر المنحة والنعم هنالك على وفق الاستعداد وادراك النعم على مدار الفهم والرشاد فان كنت أعلى الملائكة والافلاك تم الانفس (ان الانسان)

بل الحين فى هذا الموضع شهران ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا محمد بن مسلم الطائفى عن ابراهيم بن ميسرة قال جاء رجل الى سعيد بن المسيب فقال انى حلفت أن لا أكلم فلانا حينا فقال قال الله تعالى تؤتى أكلها كل حين باذن ربها قال هى النخلة لا يكون منها أكلها الا شهرين فالحين شهران * وأولى الاقوال فى ذلك عندى بالصواب قول من قال عنى بالحين فى هذا الموضع غدوة وعشية وكل ساعة لان الله تعالى ذكره ضرب ما تؤتى هذه الشجرة كل حين من الاكل لعمل المؤمن وكلامه مثلا ولا شك أن المؤمن يرفع له الى الله فى كل يوم صالح من العمل والقول لا فى كل سنة أو فى كل ستة أشهر أو فى كل شهرين فاذا كان ذلك كذلك فلا شك أن المثل لا يكون خلافا للممثل به فى المعنى واذا كان ذلك كذلك كان بينا صحة ما قلنا فان قال قائل فأى نخلة تؤتى فى كل وقت أكلا صيفا وشتاء قيل أما فى الشتاء فان الطلع من أكلها وأما فى الصيف فالبلح والبسر والرطب والتمر وذلك كله من أكلها وقوله تؤتى أكلها فانه كما حدثنا به محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة تؤتى أكلها كل حين باذن ربها قال تؤكل ثمرها فى الشتاء والصيف حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة تؤتى أكلها كل حين قال هى تؤكل شتاء وصيفا حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس تؤتى أكلها كل حين باذن ربها يصعد عمله يعنى عمل المؤمن من أول النهار وآخره ❁ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار﴾ يقول تعالى ذكره ومثل الشرك بالله وهى الكلمة الخبيثة كشجرة خبيثة اختلف أهل التأويل فيها أى شجرة هى فقال أكثرهم هى الحنظل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن معاوية بن قرة قال سمعت أنس بن مالك قال فى هذا الحرف ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة قال الشريان فقلت ما الشريان قال رجل عنده الحنظل فأقر به معاوية حدثنا الحسن ابن محمد قال ثنا شبابة قال أخبرنا شعبة عن معاوية بن قرة قال سمعت أنس بن مالك يقول ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة قال الحنظل حدثنا الحسن قال ثنا عمرو بن الهيثم قال ثنا شعبة عن معاوية بن قرة عن أنس بن مالك قال الشريان يعنى الحنظل حدثنا أحمد ابن منصور قال ثنا نعيم بن حماد قال ثنا محمد بن ثور عن ابن جريج عن الاعمش عن حبان بن شعبة عن أنس بن مالك فى قوله كشجرة خبيثة قال الشريان قلت لأنس ما الشريان قال الحنظل حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا شعيب قال خرجت مع أبى العالية نريد أنس بن مالك فأتيناه فقال ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة تلكم الحنظل حدثنا الحسن قال ثنا اسمعيل بن ابراهيم عن شعيب بن الحبحاب عن أنس مثله حدثنى المثنى قال ثنا آدم العسقلانى قال ثنا شعبة قال ثنا أبو اياس عن أنس بن مالك قال الشجرة الخبيثة الشريان فقلت وما الشريان قال الحنظل حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن شعيب عن أنس قال تلكم الحنظل حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا مهدى بن ميمون عن شعيب قال قال أنس ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة الآية قال تلكم الحنظل ألم تروا الى الرياح كيف تصفقها يمينا وشمالا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد كشجرة خبيثة الحنظلة * وقال آخرون هذه الشجرة لم تخلق على الارض ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن محمد الزعفرانى

أى هذا الجنس (لظلوم) يظلم النعمة باغفال شكرها (كفار) شديد الكفران لها وذلك أنه مجبول على النسيان والملالة فلا بد أن يقع فى اغفال شكر النعمة ان نسيها أو فى كفران النعمة اذا ملها وقيل ظلوم فى الشدائد بالشكاية والجزع كفار فى السعة بجمع و يمنع واعلم أنه ختم الآية فى هذه السورة بما ختم وختمها فى النحل بقوله ان الله لغفور رحيم وكأنه قال ان كنت ظلوما فأنا غفور وان كنت كفارا فأنا رحيم فلا أقابل تقصيرك الا بالتوفير ولا أجازى جفاك الا بالوفاء تلك صفتك فى الاخذ وهذه صفتى فى الاعطاء ❁ التأويل و برزوا من القشور الفانية لله جميعا من القوى والضعف فقال الضعفاء وهم المقلدة للذين استكبروا من المبتدعين انى كفرت بما أشركتمونى آمن اللعين حين لا ينفع نفسا ايمانها وأدخل

قال ثنا عفان قال ثنا أبو كدينة قال ثنا قابوس عن أبيه عن ابن عباس ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار قال هذا مثل ضربه الله ولم تخلق هذه الشجرة على وجه الارض وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتصحيح قول من قال هى الحنظلة خبر فان صح فلا قول يجوز أن يقال غيره والا فانها شجرة بالصفة التى وصفها الله بها ذكر الخبر الذى ذكرناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا سوار بن عبد الله قال ثنا أبى قال ثنا حماد بن سلمة عن شعيب بن الحبحاب عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار قال هى الحنظلة قال شعيب وأخبرت بذلك أبا العالية فقال كذلك كانوا يقولون وقوله اجتثت من فوق الارض يقول استؤصلت يقال منه اجتثثت الشئ أجتثه اجتثاثا اذا استأصلته * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة اجتثت من فوق الارض قال استؤصلت من فوق الارض مالها من قرار يقول ما لهذه الشجرة من قرار ولا أصل فى الارض تنبت عليه وتقوم وانما ضربت هذه الشجرة التى وصفها الله بهذه الصفة لكفر الكافر وشركه به مثلا يقول ليس لكفر الكافر وعمله الذى هو معصية الله فى الارض ثبات ولا له فى السماء مصعد لانه لا يصعد الى الله منه شئ * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار ضرب الله مثل الشجرة الخبيثة كمثل الكافر يقول ان الشجرة الخبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار يقول الكافر لا يقبل عمله ولا يصعد الى الله فليس له أصل ثابت فى الارض ولا فرع فى السماء يقول ليس له عمل صالح فى الدنيا ولا فى الآخرة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار قال قتادة ان رجلا لقى رجلا من أهل العلم فقال ما تقول فى الكلمة الخبيثة فقال ما أعلم لها فى الارض مستقرا ولا فى السماء مصعدا الا أن تلزم عنق صاحبها حتى يوافى بها يوم القيامة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن أبى العالية أن رجلا خالجت الريح رداءه فلعنها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تلعنها فانها مأمورة وانه من لعن شيأ ليس له بأهل رجعت اللعنة على صاحبها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر عن الربيع بن أنس ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة قال هذا الكافر ليس له عمل فى الارض ولا ذكر فى السماء اجتثت من فوق الارض مالها من قرار قال لا يصعد عمله الى السماء ولا يقوم على الارض فقيل فأين تكون أعمالهم قال يحملون أوزارهم على ظهورهم حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا فضيل بن مرزوق عن عطية العوفى ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض قال مثل الكافر لا يصعد له قول طيب ولا عمل صالح حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال ومثل كلمة خبيثة وهى الشرك كشجرة خبيثة يعنى الكافر قال اجتثت من فوق الارض مالها من قرار يقول الشرك ليس له أصل يأخذ به الكافر ولا برهان ولا يقبل الله مع الشرك عملا حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى

فيه اشارة الى أن الانسان اذا خلى وطباعه لا يدخل الجنة لانه خلق ظلوما جهولا سفلى الطبع وانما يدخله الله بفضله وعنايته جنات القلوب تجرى من تحتها أنهار الحكمة خالدين فيها باذن ربهم أى بعنايته والا لم يبق فيها ساعة كما لم يبق آدم تحية أهل القلوب على أهل القلوب لسلامة قلوبهم وتحيتهم على أهل النفوس لمرض قلوبهم ليسلموا من شر نفوسهم واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ألم تر أى ألم تشاهد بنور النبوة كيف ضرب الله مثلا للاستعداد الانسانى القابل للفيض الالهى دون سائر مخلوقاته كلمة طيبة هى كلمة التوحيد كشجرة طيبة عن لوث الحدوث مثمرة ثمار شواهد أنوار القدم أصلها ثابت فى الحضرة الالهية وانها صفة قائمة بذاتها وفرعها فى سماء القلوب تؤتى أكلها من أنوار المشاهدات والمكاشفات

جعفر عن أبيه عن الربيع ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة قال مثل الشجرة الخبيثة مثل الكافر ليس لقوله ولا لعمله أصل ولا فرع ولا قوله ولا عمله يستقر على الارض ولا يصعد الى السماء حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول ضرب الله مثل الكافر كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار يقول ليس لها أصل ولا فرع وليست لها ثمرة وليست فيها منفعة كذلك الكافر ليس يعمل خيرا ولا يقوله ولم يجعل الله فيه بركة ولا منفعة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله يثبت الله الذين آمنوا يحقق الله أعمالهم وايمانهم بالقول الثابت يقول بالقول الحق وهو فيما قيل شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وأما قوله فى الحياة الدنيا فان أهل التأويل اختلفوا فيه فقال بعضهم عنى بذلك أن الله يثبتهم فى قبورهم قبل قيام الساعة ذكر من قال ذلك حدثنى أبو السائب سلم بن جنادة قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن سعد ابن عبيدة عن البراء بن عازب فى قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا قال التثبيت فى الحياة الدنيا اذا أتاه الملكان فى القبر فقالا له من ربك فقال ربى الله فقالا له ما دينك قال دينى الاسلام فقالا له من نبيك قال نبيى محمد صلى الله عليه وسلم فذلك التثبيت فى الحياة الدنيا حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح عن الأعمش عن سعد بن عبيدة عن البراء ابن عازب بنحوه منه فى المعنى حدثنى عبد الله بن اسحق الناقد الواسطى قال ثنا وهب ابن جرير قال ثنا شعبة عن علقمة بن مرثد عن سعد بن عبيدة عن البراء قال ذكر النبى صلى الله عليه وسلم المؤمن والكافر فقال ان المؤمن اذا سئل فى قبره قال ربى الله فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا هشام بن عبد الملك قال ثنا شعبة قال أخبرنى علقمة بن مرثد قال سمعت سعد بن عبيدة عن البراء بن عازب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المسلم اذا سئل فى القبر يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قال فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة حدثنى الحسن بن سلمة بن أبى كبشة ومحمد بن معمر البحرانى واللفظ لحديث ابن أبى كبشة قالا ثنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو قال ثنا عباد بن راشد عن داود بن أبى هند عن أبى نضرة عن أبى سعيد قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة فقال يا أيها الناس ان هذه الامة تبتلى فى قبورها فاذا الانسان دفن وتفرق عنه أصحابه جاءه ملك بيده مطراق فأقعده فقال ما تقول فى هذا الرجل فان كان مؤمنا قال أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله فيقول له صدقت فيفتح له باب الى النار فيقال هذا منزلك لو كفرت بربك فأما اذ آمنت به فان الله أبدلك به هذا ثم يفتح له باب الى الجنة فيريد أن ينهض له فيقال له أسكن ثم يفسح له فى قبره وأما الكافر أو المنافق فيقال له ما تقول فى هذا الرجل فيقول ما أدرى فيقال له لا دريت ولا تليت ولا اهتديت ثم يفتح له باب الى الجنة فيقال له هذا كان منزلك لو آمنت بربك فأما اذ كفرت فان الله أبدلك هذا ثم يفتح له باب الى النار ثم يقمعه الملك بالمطراق قمعة يسمعه خلق الله كلهم الا الثقلين قال بعض أصحابه يا رسول الله ما منا أحد يقوم على رأسه ملك بيده مطراق الا هيل عند ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء حدثنا أبو كريب قال ثنا

كل حين يتقرب العبد الى ربه يتقرب الرب تعالى اليه ويضرب الله الامثال للناس لمن نسى العهد الاول لعلهم يتذكرون الحالة الاولى فيسعون فى ادراكها ومثل كلمة تتولد من خباثة النفس اجتثت من فوق أرض البشرية مالها من قرار لانها من الاعمال الفانيات لا من الباقيات الصالحات يثبت الله الذين آمنوا بمكنهم فى مقام الايمان بملازمة كلمة لا اله الا الله والسير فى حقائقها فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لان سير أصحاب الاعمال ينقطع بالموت وسير أرباب الاحوال لا ينقطع أبدا وأحوالهم أرواحهم وقلوبهم ونفوسهم وأبدانهم أنزلوا أبدانهم جهنم البعد ونفوسهم الدركات وقلوبهم العمى والصمم والجهل وأرواحهم العلوية أسفل سافلين الطبيعة فبدلوا نعم الاخلاق الحميدة كفر الاوصاف الذميمة أنه

أبو بكر بن عياش عن الاعمش عن المنهال عن زاذان عن البراء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
وذكر قبض روح المؤمن فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه يعني في قبره فيقولان من
ربك فيقول ربي الله فيقولان ما دينك فيقول ديني الاسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث
فيكم فيقول هو رسول الله فيقولان له ما يدريك فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فينادي
مناد من السماء أن صدق عبدي قال فذلك قول الله عز وجل يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت
في الحياة الدنيا وفي الآخرة حدثني أبو السائب قال ثنا أبو معاوية قال ثنا الاعمش عن
المنهال عن زاذان عن البراء عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا
ثنا جرير عن الاعمش عن المنهال عن زاذان عن البراء عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنا
ابن وكيع قال ثنا ابن نمير قال ثنا الاعمش قال ثنا المنهال بن عمرو عن زاذان عن
البراء عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا
عمرو بن قيس عن يونس بن خباب عن المنهال عن زاذان عن البراء بن عازب عن النبي صلى الله
عليه وسلم بنحوه حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر وحدثنا الحسن
ابن محمد قال ثنا سعيد بن منصور قال ثنا مهدي بن ميمون جميعا عن يونس بن خباب
عن المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر قبض
روح المؤمن قال فيأتيه آت في قبره فيقول من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني
الاسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم فينتهره فيقول من ربك وما دينك فهي آخر فتنة تعرض على
المؤمن فذلك حين يقول الله عز وجل يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة
فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم فيقال له صدقت واللفظ لحديث ابن
عبد الاعلى حدثنا محمد بن خلف العسقلاني قال ثنا آدم قال ثنا حماد بن سلمة عن محمد
ابن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يثبت الله الذين آمنوا بالقول
الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة قال ذلك اذا قيل في القبر من ربك وما دينك فيقول ربي الله وديني
الاسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم جاء بالبينات من عند الله فآمنت به وصدقت فيقال له صدقت
على هذا عشت وعليه مت وعليه تبعث حدثنا مجاهد بن موسى والحسن بن محمد قالا ثنا
يزيد قال أخبرنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال ان الميت ليسمع خفق نعالهم
حين يولون عنه مدبرين فاذا كان مؤمنا كانت الصلاة عند رأسه والزكاة عن يمينه وكان الصيام
عن يساره وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والاحسان الى الناس عند رجليه فيؤتى
من عند رأسه فتقول الصلاة ما قبلي مدخل فيؤتى عن يمينه فتقول الزكاة ما قبلي مدخل فيؤتى
عن يساره فيقول الصيام ما قبلي مدخل فيؤتى من عند رجليه فيقول فعل الخيرات من الصدقة
والصلة والمعروف والاحسان الى الناس ما قبلي مدخل فيقال له اجلس فيجلس قد مثلت له الشمس
قد دنت للغروب فيقال له أخبرنا عما نسألك فيقول دعوني حتى أصلي فيقول انك ستفعل فأخبرنا
عما نسألك عنه فيقول وعم تسألون فيقال أرأيت هذا الرجل الذي كان فيكم ماذا تقول فيه وماذا
تشهد به عليه فيقول أمحمد فيقال له نعم فيقول أشهد أنه رسول الله وأنه جاء بالبينات من عند الله
فصدقناه فيقال له على ذلك حييت وعلى ذلك مت وعلى ذلك تبعث ان شاء الله ثم يفسح له في قبره
سبعون ذراعا وينور له فيه ثم يفتح له باب الى الجنة فيقال له انظر الى ما أعد الله لك فيها فيزداد غبطة
وسرورا ثم يفتح له باب الى النار فيقال له انظر ما صرف الله عنك لو عصيته فيزداد غبطة وسرورا ثم

الذي خلق سموات القلوب وأرض
النفوس وأنزل من سماء القلوب ماء
الحكمة فأخرج به ثمرات الطاعات
رزقا لارواحكم وسخر لكم فلك الشريعة
لتجري في بحر الطريقة بأمر الحق
لا بالهوى والطبع وسخر لأرباب
الطلب من سفن انكسرت بنكباء
الهوى وسخر لكم أنهار العلوم
الدينية وشمس الكشوف وقمر
المشاهدات وليل البشرية ونهار
الروحانية ومعنى التسخير في الكل
جعلها أسبابا لاستكمال النفس
الانسانية وآتاكم من كل ما سألتموه
من سائر الاسباب المعينة على ذلك
فجميع العالم بالحقيقة تبع لوجود
الانسان وسبب لكماليته وهو ثمرة
شجرة المكونات فلذلك قال وان
تعدوا نعمة الله لا تحصوها لان
مخلوقاته غير منحصرة وكلها مخلوق
لاستكماله ان الانسان لظلوم بافساد
استعداده كفار لا يعرف قدر نعمة

يجعل نسمه فى النسم الطيب وهى طير خضر تعلق بشجر الجنة ويعاد جسده الى مابدئ منه من التراب وذلك قول الله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا أبوقطن قال ثنا المسعودى عن عبدالله بن مخارق عن أبيه عن عبدالله قال ان المؤمن اذا مات أجلس فى قبره فيقال له من ربك ومادينك ومن نبيك فيثبته الله فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبيى محمد قال فقرأ عبدالله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة حدثنا الحسن قال ثنا أبوخالد القرشى عن سفيان عن أبيه وحدثنا أحمد قال ثنا أبوأحمد قال ثنا سفيان عن أبيه عن خيثمة عن البراء فى قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا قال عذاب القبر حدثنا الحسن قال ثنا عفان قال ثنا شعبة عن علقمة بن مرثد عن سعد بن عبيدة عن البراء عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قول الله تعالى يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة قال شعبة شيأ لم أحفظه قال فى القبر حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الى قوله ويضل الله الظالمين قال ان المؤمن اذا حضره الموت شهدته الملائكة فسلموا عليه وبشروه بالجنة فاذا مات مشوا فى جنازته ثم صلوا عليه مع الناس فاذا دفن أجلس فى قبره فيقال له من ربك فيقول ربى الله ويقال له من رسولك فيقول محمد فيقال له ماشهادتك فيقول أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فيوسع له فى قبره مد بصره حدثنا الحسن قال ثنا حجاج قال قال ابن جريج سمعت ابن طاوس يخبر عن أبيه قال لا أعلمه الا قال هى فى فتنة القبر فى قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن العلاء بن المسيب عن أبيه أنه كان يقول فى هذه الآية يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة هى فى صاحب القبر حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن العوام عن المسيب بن رافع يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة قال نزلت فى صاحب القبر حدثنا أحمد قال ثنا أبوأحمد قال ثنا عباد بن العوام عن العلاء ابن المسيب عن أبيه المسيب بن رافع نحوه حدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبدالرحمن ابن سعد قال أخبرنا أبوجعفر الرازى عن الربيع فى قول الله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة قال بلغنا أن هذه الامة تسئل فى قبورها فيثبت الله المؤمن فى قبره حين يسئل حدثنى المثنى قال ثنا أبوربيعة فهد قال ثنا أبوعوانة عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر قبض روح المؤمن قال فترجع روحه فى جسده ويبعث الله اليه ملكين شديدى الانتهار فيجلسانه وينتهرانه يقولان من ربك قال فيقول الله ومادينك قال الاسلام قال فيقولان له ماهذا الرجل أو النبى الذى بعث فيكم فيقول محمد رسول الله قال فيقولان له ومايدريك قال فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فذلك قول الله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة قال نزلت فى الميت الذى يسئل فى قبره عن النبى صلى الله عليه وسلم حدثنا محمد بن عبدالاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فى قول الله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة قال بلغنا أن هذه الامة تسئل فى قبورها فيثبت الله المؤمن حيث يسئل حدثنا أحمد قال ثنا أبوأحمد قال ثنا شريك عن ابراهيم بن مهاجر

الله فى حقه والله يقول الحق وهو يهدى السبيل قوله تعالى ﴿واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام رب انهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ربنا انك تعلم مانخفى ومانعلن وما يخفى على الله من شئ فى الارض ولا فى السماء الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق ان ربى لسميع الدعاء رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ولاتحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعى رؤسهم لايرتد اليهم طرفهم

عن

عن مجاهد يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا قال هذا فى القبر مخاطبته وفى الآخرة مثل ذلك * وقال آخرون معنى ذلك يثبت الله الذين آمنوا بالايمان فى الحياة الدنيا وهو القول الثابت وفى الآخرة المسألة فى القبر ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا قال لا اله الا الله وفى الآخرة المسألة فى القبر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا أما الحياة الدنيا فيثبتهم بالخير والعمل الصالح وقوله وفى الآخرة أى فى القبر * والصواب من القول فى ذلك ما ثبت به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك وهو أن معناه يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وذلك تثبيته اياهم فى الحياة الدنيا بالايمان بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وفى الآخرة بمثل الذى ثبتهم به فى الحياة الدنيا وذلك فى قبورهم حين يسئلون عن الذى هم عليه من التوحيد والايمان برسوله صلى الله عليه وسلم وأما قوله ويضل الله الظالمين فانه يعنى أن الله لا يوفق المنافق والكافر فى الحياة الدنيا وفى الآخرة عند المسألة فى القبر لما هدى له من الايمان المؤمن بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال أما الكافر فتنزل الملائكة اذا حضره الموت فيبسطون أيديهم والبسط هو الضرب يضربون وجوههم وأدبارهم عند الموت واذا أدخل قبره أقعد فقيل له من ربك فلم يرجع اليهم شيأ وأنساه الله ذكر ذلك واذا قيل له من الرسول الذى بعث اليك لم يهتد له ولم يرجع اليه شيأ يقول ويضل الله الظالمين حدثنى المثنى قال ثنا فهد بن عوف أبو ربيعة قال ثنا أبو عوانة عن الاعمش عن المنهال ابن عمرو عن زاذان عن البراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الكافر حين تقبض روحه قال فتعاد روحه فى جسده قال فيأتيه ملكان شديدا الانتهار فيجلسانه فينتهرانه فيقولان له من ربك فيقول لا أدرى قال فيقولان له ما دينك فيقول لا أدرى قال فيقال له ما هذا النبى الذى بعث فيكم قال فيقول سمعت الناس يقولون ذلك لا أدرى قال فيقولان لا دريت قال وذلك قول الله ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء وقوله ويفعل الله ما يشاء يعنى تعالى ذكره بذلك وبيد الله الهداية والاضلال فلا تنكروا أيها الناس قدرته ولا اهتداء من كان منكم ضالا ولا ضلال من كان منكم مهتديا فان بيده تصريف خلقه وتقليب قلوبهم يفعل فيهم ما يشاء ❁ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار﴾ يقول تعالى ذكره ألم تنظر يا محمد الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا يقول غيروا ما أنعم الله به عليهم من نعمه فجعلوها كفرا به وكان تبديلهم نعمة الله كفرا فى نبى الله محمد صلى الله عليه وسلم أنعم الله به على قريش فأخرجه منهم وابتعثه فيهم رسولا رحمة لهم ونعمة منه عليهم فكفروا به وكذبوه فبدلوا نعمة الله عليهم به كفرا وقوله وأحلوا قومهم دار البوار يقول وأنزلوا قومهم من مشركى قريش دار البوار وهى دار الهلاك يقال منه بار الشئ يبور بورا اذا هلك وبطل ومنه قول ابن الزبعرى وقد قيل انه لابى سفيان بن الحرث ابن عبد المطلب

يا رسول المليك ان لسانى * راتق ما فتقت اذ أنا بور

ثم ترجم عن دار البوار وما هى فقيل جهنم يصلونها وبئس القرار يقول وبئس المستقر هى جهنم

وأفئدتهم هواء وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ان الله عزيز ذو انتقام يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار وترى المجرمين يومئذ مقرنين فى الاصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ليجزى الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو اله واحد وليذكر أولوا الالباب﴾ ❁ القراآت ابراهام بالالف هشام والاخفش عن ابن ذكوان انى أسكنت بفتح الياء

لمن صلاها وقيل ان الذين بدلوا نعمة الله كفرا بنو أمية و بنو مخزوم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار وأحمد بن اسحق قالا ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن على بن زيد عن يوسف بن سعد عن عمر بن الخطاب فى قوله ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم قال هما الأفجران من قريش بنو المغيرة و بنو أمية فأما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر وأما بنو أمية فتعوا الى حين حدثنى المثنى قال ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين قال أخبرنا حمزة الزيات عن عمرو ابن مرة قال قال ابن عباس لعمر رضى الله عنهما يا أمير المؤمنين هذه الآية الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار قال هم الأفجران من قريش أخوالى وأعمامك فأما أخوالى فاستأصلهم الله يوم بدر وأما أعمامك فأملى الله لهم الى حين حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق (١) عن عمرو ذى مر عن على وأحلوا قومهم دار البوار قال الأفجران من قريش حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا شعبة عن أبى اسحق عن عمرو ذى مر عن على مثله حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان وشريك عن أبى اسحق عن عمرو ذى مر عن على قوله ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار قال بنو المغيرة و بنو أمية فأما بنو المغيرة فقطع الله دابرهم يوم بدر وأما بنو أمية فتعوا الى حين حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى اسحق قال سمعت عمرا ذا مر قال سمعت عليا يقول فى هذه الآية ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار قال الأفجران من بنى أسد و بنى مخزوم حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا شعبة عن القاسم بن أبى بزة عن أبى الطفيل عن على قال هم كفار قريش يعنى فى قوله وأحلوا قومهم دار البوار جهنم حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن القاسم بن أبى بزة عن أبى الطفيل أنه سمع على بن أبى طالب وسأله ابن الكواء عن هذه الآية ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار قال هم كفار قريش يوم بدر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو النضر هاشم بن القاسم عن شعبة عن القاسم بن أبى بزة قال سمعت أبا الطفيل قال سمعت عليا فذكر نحوه حدثنا أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن اسمعيل ابن سميع عن مسلم البطين عن أبى أرطاة عن على فى قوله ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا قال هم كفار قريش هكذا قال أبو السائب مسلم البطين عن أبى أرطاة حدثنا الحسن بن محمد الزعفرانى قال ثنا أبو معاوية الضرير قال ثنا اسمعيل بن سميع عن مسلم بن أرطاة عن على فى قوله تعالى الذين بدلوا نعمة الله كفرا قال كفار قريش حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا يعقوب بن اسحق قال ثنا شعبة عن القاسم بن أبى بزة عن أبى الطفيل عن على قال فى قول الله ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار قال هم كفار قريش حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا شعبة عن القاسم بن أبى بزة قال سمعت أبا الطفيل يحدث قال سمعت عليا يقول فى هذه الآية ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار قال كفار قريش يوم بدر حدثنا الحسن قال ثنا الفضل بن دكين قال ثنا بسام الصيرفى قال ثنا أبو الطفيل عامر بن واثلة ذكر أن عليا قام على المنبر فقال سلونى قبل أن لا تسألونى ولن تسألوا بعدى مثلى فقام ابن الكواء فقال من الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار قال منافقو قريش حدثنا الحسن قال ثنا محمد بن عبيد قال ثنا بسام عن رجل قد سماه الطنافسى قال جاء رجل الى على فقال يا أمير المؤمنين من الذين بدلوا نعمة الله

(١) لعله هو عمرو بن مرة كما فى ابن كثير فى هذا الأثر فتنبه كتبه مصححه

كفرا

أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ومن عمانى بالامالة على دعائى بالياء فى الحالين ابن كثير و يعقوب وقرأ أبو عمرو ويزيد وورش وحمزة وسهل والبرجمى والخزاز عن هبيرة وأحمد ابن فرح عن أبى عمرو عن اسمعيل بالياء فى الوصل والباقون والهاشمى عن ابن فليح بغير ياء فى الحالين نؤخرهم بالنون عباس والمفضل فى رواية أبى زيد الآخرون بالياء لتزول بفتح الاول ورفع الآخر على الباقون بكسر الاول ونصب الآخر القهار مثل البوار قطر بكسر القاف وسكون الطاء والراء مكسورة منونة آن على أنه اسم فاعل يزيد عن يعقوب والوقف على قراءته آنى بالياء

الوقوف الأصنام ط من الناس ج منى ج فصلا بين النقيضين مع اتحاد الكلام رحيم ه المحرم لا لأن قوله ليقيموا يتعلق بقوله أسكنت وكلمة ربنا تكرار يشكرون ه وما نعلن ط ولا فى السماء ه لا

كفرا وأحلوا قومهم دار البوار قال فى قريش حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا بسام الصيرفى عن أبى الطفيل عن على أنه سئل عن هذه الآية الذين بدلوا نعمة الله كفرا قال منافقو قريش حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عفان قال ثنا حماد قال ثنا عمرو ابن دينار أن ابن عباس قال فى قوله وأحلوا قومهم دار البوار قال هم المشركون من أهل بدر حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عبد الجبار قال ثنا سفيان عن عمرو قال سمعت عطاء يقول سمعت ابن عباس يقول هم والله أهل مكة الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا صالح بن عمر عن مطرف بن طريف عن أبى اسحق قال سمعت عمرا ذا مر يقول سمعت عليا يقول على المنبر وتلا هذه الآية ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار قال هما الأفجران من قريش فأما أحدهما فقطع الله دابرهم يوم بدر وأما الآخر فتمتعوا الى حين حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنا الحسن قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله بدلوا نعمة الله كفرا قال كفار قريش حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عبد الوهاب عن مجاهد قال كفار قريش حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بدلوا نعمة الله كفرا كفار قريش حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطاء قال سمعت ابن عباس يقول هم والله الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار قريش أو قال أهل مكة حدثنا ابن وكيع وابن بشار قالا ثنا غندر عن شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير فى هذه الآية الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار قال قتلى يوم بدر حدثنا ابن المثنى قال ثنى عبد الصمد قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار قال هم كفار قريش حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا ثنا عبد الرحمن قال ثنا هشيم عن حصين عن أبى مالك وسعيد بن جبير قالا هم قتلى بدر من المشركين حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن عطاء عن ابن عباس فى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار قال هم والله أهل مكة قال أبو كريب قال سفيان يعنى كفارهم حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن عمرو بن دينار عن ابن عباس فى قوله وأحلوا قومهم دار البوار قال هم المشركون من أهل بدر حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن اسمعيل ابن أبى خالد عن أبى اسحق عن بعض أصحاب على عن على فى قوله ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا قال هم الأفجران من قريش من بنى مخزوم وبنى أمية أما بنو مخزوم فان الله قطع دابرهم يوم بدر وأما بنو أمية فتمتعوا الى حين حدثنى المثنى قال ثنا معلى بن أسد قال أخبرنا خالد عن حصين عن أبى مالك فى قول الله ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا قال هم القادة من المشركين يوم بدر حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن حصين عن أبى مالك وسعيد ابن جبير قالا هم كفار قريش من قتل ببدر حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك قال هم كفار قريش من قتل ببدر حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ألم تر الى الذين بدلوا نعمة

واسحق ط الدعاء ० ومن ذريتى ز قد قيل والوصل أولى للعطف وربنا تكرار دعاء ० الحساب ط الظالمون ० ط الابصار ० لا لأن ما بعده حال طرفهم ج لاحتمال أن قوله وأفئدتهم يكون من صفات أهل الحشر وأن يكون من صفة الكفار فى الدنيا هواء ० ط قريب لا لأن قوله نجب جواب أخرنا الرسل ط زوال ० لا للعطف على أقسمتم الامثال ० وعند الله مكرهم ط الجبال ० رسله ط انتقام ० ط فان انتقامه لا يختص بوقت والتقدير اذكر يوم القهار ० فى الاصفاد ० ج للآية ولان الجملة بعد من صفات المجرمين النار ० لا لتعلق لام كى ما كسبت ط الحساب ० الالباب ० ن التفسيران قصة ابراهيم صلى الله عليه وسلم يحتمل أن تكون مثالا للكلمة الطيبة وأن تكون دعاء الى التوحيد وانكارا

الله كفرا الآية قال هم مشركو أهل مكة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة بن الفضل قال أخبرني محمد بن اسحق عن بعض أصحابه عن عطاء بن يسار قال نزلت هذه الآية في الذين قتلوا من قريش ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار الآية حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار كنا نحدث أنهم أهل مكة أبو جهل وأصحابه الذين قتلهم الله يوم بدر قال الله جهنم يصلونها وبئس القرار حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة في قوله وأحلوا قومهم دار البوار قال هم قادة المشركين يوم بدر أحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار قال هؤلاء المشركون من أهل بدر .. وقال آخرون في ذلك بما حدثني به محمد ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها فهو جبلة بن الايهم والذين اتبعوه من العرب فلحقوا بالروم وبنحو الذي قلنا في معنى قوله وأحلوا قومهم دار البوار قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك وأحلوا قومهم دار البوار قال أحلوا من أطاعهم من قومهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن ابن عباس دار البوار قال الهلاك قال ابن جريج قال مجاهد وأحلوا قومهم دار البوار قال أصحاب بدر حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله دار البوار النار قال وقد بين الله ذلك وأخبرك به فقال جهنم يصلونها وبئس القرار حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة دار البوار جهنم يصلونها هي دارهم في الآخرة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فان مصيركم الى النار ﴾ يقول تعالى ذكره وجعل هؤلاء الذين بدلوا نعمة الله كفرا لربهم أندادا وهي جماع ند وقد بينت معنى الند فيما مضى بشواهده بما أغنى عن اعادته وانما أراد أنهم جعلوا لله شركاء كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجعلوا لله أندادا والانداد الشركاء وقوله ليضلوا عن سبيله اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الكوفيين ليضلوا بمعنى كي يضلوا الناس عن سبيل الله بما فعلوا من ذلك وقرأته عامة قراء أهل البصرة ليضلوا بمعنى كي يضل جاعلوا الانداد لله عن سبيل الله وقوله قل تمتعوا يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهم تمتعوا في الحياة الدنيا وعيدا من الله لهم لا اباحة لهم التمتع بها ولا أمرا على وجه العبادة ولكن توبيخا وتهددا ووعيدا وقد بين ذلك بقوله فان مصيركم الى النار يقول استمتعوا في الحياة الدنيا فانها سريعة الزوال عنكم والى النار تصيرون عن قريب فتعلمون هنالك غب تمتعكم في الدنيا بمعاصي الله وكفركم فيها به ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لعبادي الذين آمنوا بك وصدقوا أن ما جئتهم به من عندي يقيموا الصلاة يقول قل لهم فليقيموا الصلوات الخمس المفروضة عليهم بحدودها ولينفقوا مما رزقناهم نخولناهم من فضلنا سرا وعلانية فليؤدوا ما أوجبت عليهم من الحقوق فيها سرا واعلانا من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه يقول لا يقبل فيه فدية وعوض من نفس وجب عليها عقاب الله بما كان منها من معصية ربها في الدنيا فيقبل منها الفدية وتترك فلا

لعبادة الاصنام وأن تكون تعديدا لبعض نعمه على عبيده فان وجود الصالحين ولاسيما الانبياء والمرسلين رحمة فيما بين العالمين كما قال لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا وذلك بدعاء ابراهيم ومن نسله صلى الله عليه وسلم نبينا صلى الله عليه وسلم حكى الله سبحانه عنه طلب أمور منها قوله (رب اجعل هذا البلد آمنا) وقد مر في البقرة الفرق بين هذه العبارة وبين ما هنالك ولا ريب أن في مكة مزيد أمن ببركة دعائه حتى ان الناس مع شدة العداوة بينهم كانوا يتلاقون بمكة فلا يخاف بعضهم بعضا وكان الخائف اذا التجأ بمكة أمن وللوحوش هنالك استئناس ليس في غيرها وانما قدم طلب الأمن على سائر المطالب لانه لولاه لم يفرغ الانسان لشيء آخر من مهمات الدين والدنيا ومن هنا جاز التلفظ بكلمة الكفر عند الاكراه وسئل بعض الحكماء أن الأمن أفضل أم الصحة

تعاقب فسمى الله جل ثناؤه الفدية عوضا اذ كان أخذ عوض من معتاض منه وقوله ولا خلال يقول وليس هنالك مخالة خليل فيصفح عمن استوجب العقوبة عن العقاب لمخالته بل هنالك العدل والقسط فالخلال مصدر من قول القائل خاللت فلانا فأنا أخاله مخالة وخلالا ومنه قول امرئ القيس

صرفت الهوى عنهن من خشية الردى * ولست بمقلي الخلال ولا قالي

وجزم قوله يقيموا الصلاة تأويل الجزاء ومعناه الامر يراد قل لهم ليقيموا الصلاة **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة يعني الصلوات الخمس وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يقول زكاة أموالهم **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا هشام عن عمرو عن سعيد عن قتادة في قوله من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال قال قتادة ان الله تبارك وتعالى قد علم أن في الدنيا بيوعا وخلالا يتخالون بها في الدنيا فينظر رجل من يخالل وعلام يصاحب فان كان لله فليداوم وان كان لغير الله فانها ستنقطع

القول في تأويل قوله تعالى ﴿الله الذي خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الانهار﴾ يقول تعالى ذكره الله الذي أنشأ السموات والارض من غير شئ أيها الناس وأنزل من السماء غيثا أحيا به الشجر والزرع فأثمرت رزقا لكم تأكلونه وسخر لكم الفلك وهي السفن لتجري في البحر بأمره لكم تركبونها وتحملون فيها أمتعتكم من بلد الى بلد وسخر لكم الانهار ماؤها شراب لكم يقول تعالى ذكره الذي يستحق عليكم العبادة واخلاص الطاعة له من هذه صفته لا من لا يقدر على ضر ولا نفع لنفسه ولا لغيره من أوثانكم أيها المشركون وآلهتكم **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء **وحدثنا** الحسن بن محمد يعني الزعفراني قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء **وحدثني** المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله **وحدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وسخر لكم الانهار قال بكل بلدة

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار﴾ يقول تعالى ذكره الله الذي خلق السموات والارض وفعل الافعال التي وصف وسخر لكم الشمس والقمر يتعاقبان عليكم أيها الناس بالليل والنهار لصلاح أنفسكم ومعاشكم دائبين في اختلافهما عليكم وقيل معناه أنهما دائبان في طاعة الله **حدثنا** خلف بن واصل عن رجل عن مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس في قوله وسخر لكم الشمس والقمر دائبين قال دؤوبهما في طاعة الله وقوله وسخر لكم الليل والنهار يختلفان عليكم باعتقاب اذا ذهب هذا جاء هذا بمنافعكم وصلاح أسبابكم فهذا لكم لتصرفكم فيه لمعاشكم وهذا لكم لتسكنون فيه ورحمة منه بكم

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وآتاكم من كل ما سألتموه﴾ يقول تعالى ذكره وأعطاكم مع انعامه عليكم بما أنعم به عليكم من تسخيره هذه الاشياء التي سخرها لكم والرزق الذي رزقكم من نبات الارض وغروسها من كل شئ سألتموه ورغبتم اليه شيأ وحذف الشئ الثاني اكتفاء بما التي أضيفت اليها كل وانما جاز حذفه لان من تبعض ما بعدها فكفت بدلالتها على التبعيض من المفعول فلذلك جاز حذفه ومثله قوله تعالى وأوتيت من كل شئ يعني به وأوتيت من كل شئ في زمانها شيأ وقد قيل ان ذلك انما قيل على التكثير نحو قول القائل فلان يعلم كل شئ وأتاه كل الناس وهو يعني بعضهم

فقال الأمن دليله أن شاة لو انكسرت رجلها فانها تصح بعد زمان ثم انها تقبل على الرعي والاكل وانها لو ربطت في موضع وربط بالقرب منها ذئب فانها تمسك عن العلف ولا تتناول شيأ الى أن تموت فدل ذلك على أن الضرر الحاصل من الخوف أشد من الألم الحاصل للجسد ومنها قوله (واجنبني وبني أن نعبد الاصنام) قال جار الله أهل الحجاز يقولون جنبني شره بالتشديد وأهل نجد جنبني وأجنبني وفائدة الطلب والاجتناب حاصل التثبت والادامة ولا أقل من هضم النفس واظهار الفقر والحاجة والتماس العصمة من الشرك الخفي أما قوله وبني فقيل أراد بنيه من صلبه وأنهم ما عبدوا صنما ببركة دعائه وقيل أولاده وأولاد أولاده ممن كانوا موجودين حال دعوته وقال مجاهد وابن عيينة لم يعبد أحد من ولد ابراهيم صنما وهو التمثال المصور وانما

وكذلك قوله فتحنا عليهم أبواب كل شئ وقيل أيضا انه ليس شئ الا وقد سأله بعض الناس فقيل وآتاكم من كل ماسألتموه أى قد آتى بعضكم منه شيأ وآتى آخر شيأ مما قد سأله وهذا قول بعض نحويى أهل البصرة وكان بعض نحويى أهل الكوفة يقول معناه وآتاكم من كل ماسألتموه لو سألتموه كأنه قيل وآتاكم من كل سؤلكم وقال ألا ترى أنك تقول للرجل لم يسألك شيأ والله لاعطينك سؤلك مابلغت مسألتك وان لم يسأل فأما أهل التأويل فانهم اختلفوا فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه وآتاكم من كل مارغبتم اليه فيه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد من كل ماسألتموه ورغبتم اليه فيه حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وحدثنى المثنى قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وحدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن وآتاكم من كل ماسألتموه قال من كل الذى سألتموه * وقال آخرون بل معنى ذلك وآتاكم من كل الذى سألتموه والذى لم تسألوه ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا خلف يعنى ابن هشام قال ثنا محبوب عن داود بن أبى هند عن ركانة بن هاشم من كل ماسألتموه قال ماسألتموه ومالم تسألوه وقرأ ذلك آخرون وآتاكم من كل ماسألتموه بتنوين كل وترك اضافتها الى ما بمعنى وآتاكم من كل شئ لم تسألوه ولم تطلبوه منه وذلك أن العباد لم يسألوه الشمس والقمر والليل والنهار وخلق ذلك لهم من غير أن يسألوه ذكر من قال ذلك حدثنى أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس قال ثنا بزيع عن الضحاك بن مزاحم فى هذه الآية وآتاكم من كل ماسألتموه قال مالم تسألوه حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبيد عن الضحاك أنه كان يقرأ من كل ماسألتموه ويفسره أعطاكم أشياء ماسألتموها ولم تلتمسوها ولكن أعطيتكم برحمتى وسعتى قال الضحاك فكم من شئ أعطانا الله ماسألناه ولا طلبناه حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سلمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وآتاكم من كل ماسألتموه يقول أعطاكم أشياء ماطلبتموها ولا سألتموها صدق الله كم من شئ أعطاناه الله ماسألناه اياه ولا خطر لنا على بال حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وآتاكم من كل ماسألتموه قال لم تسألوه من كل الذى آتاكم ؛ والصواب من القول فى ذلك عندنا القراءة التى عليها قراء الامصار وذلك اضافة كل الى ما بمعنى وآتاكم من سؤلكم شيئا على ماقد بينا قبل لاجماع الحجة من القراء عليها ورفضهم القراءة الاخرى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار ﴾ يقول تعالى ذكره وان تعدوا أيها الناس نعمة الله التى أنعمها عليكم لا تطيقوا احصاء عددها والقيام بشكرها الا بعون الله لكم عليها ان الانسان لظلوم كفار يقول ان الانسان الذى بدل نعمة الله كفرا لظلوم يقول لشاكر غير من أنعم عليه فهو بذلك من فعله واضع الشكر فى غير موضعه وذلك أن الله هو الذى أنعم عليه بما أنعم واستحق عليه اخلاص العبادة له فعبد غيره وجعل له أندادا ليضل عن سبيله وذلك هو ظلمه وقوله كفار يقول هو جحود نعمة الله التى أنعم بها عليه لصرفه العبادة الى غير من أنعم عليه وتركه طاعة من أنعم عليه حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا يزيد بن هرون قال ثنا مسعر عن سعد بن ابراهيم عن طلق بن

عبدت العرب الاوثان يعنى أحجارا مخصوصة كانت لكل قوم زعموا أن البيت حجر فحيثما نصبنا حجرا فهو بمنزلة البيت فكانوا يدورون بذلك الحجر ويسمونه الدوار ولذلك استحب أن يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت وضعف هذا الجواب بأنه اذا عبد غير الله فالوثن والصنم سيان على أنه سبحانه وصف آلهتهم بما ينبئ عن كونهم مصورين كقوله ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم الآيات الى قوله وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون وقيل ان هذا الدعاء مختص بالمؤمنين من أولاده بدليل قوله فمن تبعنى فانه منى أى من أهلى فانه يفهم منه أن من لم يتبعه فى دينه فانه ليس من أهله كقوله لابن نوح انه ليس من أهلك وقيل انه وان عمم الدعاء الا أنه أجيب فى البعض كقوله ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين قالت الاشاعرة لو لم يكن الايمان

حيث قال ان حق الله أثقل من أن تقوم به العباد وان نعم الله أكثر من أن تحصيها العباد ولكن أصبحوا توابين وأمسوا توابين

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام رب انهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ﴾ يقول تعالى ذكره واذكر يا محمد اذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا يعنى الحرم بلدا آمنا أهله وسكانه واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام يقال منه جنبته الشر فانا أجنبه جنبا وجنبته الشر فانا أجنبه تجنيبا وأجنبته ذلك فانا أجنبه اجنابا ومن جنبت قول الشاعر

وتنفض مهده شفقا عليه * وتجنبه قلايصنا الصعابا

ومعنى ذلك أبعدنى وبنى من عبادة الاصنام والاصنام جمع صنم والصنم هو التمثال المصور كما قال رؤبة بن العجاج فى صفة امرأة

وهنانة كالزون يجلى صنمه * تضحك عن أشنب عذب ملثمه

وكذلك كان مجاهد يقول حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام قال فاستجاب الله لابراهيم دعوته فى ولده قال فلم يعبد أحد من ولده صنما بعد دعوته والصنم التمثال المصور ما لم يكن صنما فهو وثن قال واستجاب الله له وجعل هذا البلد آمنا ورزق أهله من الثمرات وجعله اماما وجعل من ذريته من يقيم الصلاة وتقبل دعاءه فأراه مناسكه وتاب عليه حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة قال كان ابراهيم التيمى يقص ويقول فى قصصه من يأمن من البلاء بعد خليل الله ابراهيم حين يقول رب اجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام وقوله رب انهن أضللن كثيرا من الناس يقول يارب ان الاصنام أضللن يقول أزلن كثيرا من الناس عن طريق الهدى وسبيل الحق حتى عبدوهن وكفروا بك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انهن أضللن كثيرا من الناس يعنى الأوثان حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا هشام عن عمرو عن سعيد عن قتادة انهن أضللن كثيرا من الناس قال الاصنام وقوله فمن تبعنى فانه منى يقول فمن تبعنى على ما أنا عليه من الايمان بك واخلاص العبادة لك وفراق عبادة الاوثان فانه منى يقول فانه مستن بسنتى وعامل بمثل عملى ومن عصانى فانك غفور رحيم يقول ومن خالف أمرى فلم يقبل منى ما دعوته اليه وأشرك بك فانك غفور لذنوب المذنبين الخطائين بفضلك رحيم بعبادك تعفو عمن تشاء منهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم اسمعوا الى قول خليل الله ابراهيم لا والله ما كانوا طعانين ولا لعانين وكان يقال ان من أشر عباد الله كل طعان لعان قال نبى الله ابن مريم عليه السلام ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم حدثنى المثنى قال ثنا أصبغ بن الفرج قال أخبرنى ابن وهب قال ثنا عمرو بن الحرث أن بكر ابن سوادة حدثه عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول ابراهيم رب انهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم وقال عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم فرفع يديه ثم قال اللهم أمتى اللهم امتى وبكى فقال الله تعالى يا جبرئيل اذهب الى محمد وربك أعلم فاسأله ما يبكيه فأتاه جبرئيل فسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال قال فقال الله يا جبرئيل

والكفر بخلق الله تعالى لم يكن لالتماس التبعيد عن الكفر معنى وحمله المعتزلة على منح الالطاف أما قوله (رب انهن أضللن كثيرا) فاتفقوا على أن نسبة الاضلال اليهن مجاز لانهن جمادات فهو كقولهم فتنتهم الدنيا وغرتهم أى صارت سببا للفتنة والاغترار بها (فمن تبعنى) بقى على الملة الحنيفية (فانه منى) أى هو بعضى لفرط اختصاصه بى (ومن عصانى فانك غفور رحيم) قال السدى معناه ومن عصانى ثم تاب وقيل ان هذا الدعاء كان قبل أن يعلم أن الله لا يغفر الشرك وقيل المراد أنك قادر على أن تغفر له وترحمه بأن تنقله من الكفر الى الاسلام وقيل أراد أن تمهلهم حتى يتوبوا وقيل ومن عصانى فيما دون الشرك فاستدل الاشاعرة باطلاقه من غير اشتراط التوبة على أنه شفاعة فى اسقاط العقاب عن أهل الكبائر واذا ثبت هذا فى حق ابراهيم صلى الله عليه

اذهب الى محمد وقل له انا سنرضيك فى أمتك ولا نسوءك ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ (ربنا
انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من
الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) وقال ابراهيم خليل الرحمن هذا القول
حين أسكن اسمعيل وأمه هاجر فيما ذكر مكة كما حدثني يعقوب بن ابراهيم والحسن بن محمد
قالا ثنا اسمعيل بن ابراهيم عن أيوب قال نبئت عن سعيد بن جبير أنه حدث عن ابن عباس قال
ان أول من سعى بين الصفا والمروة لأم اسمعيل وان أول ما أحدث نساء العرب جر الذيول لمن أم
اسمعيل قال لما فرت من سارة أرخت من ذيلها لتعفى أثرها فجاء بها ابراهيم ومعها اسمعيل حتى
انتهى بهما الى موضع البيت فوضعهما ثم رجع فاتبعته فقالت الى أى شئ تكلنا الى طعام تكلنا
الى شراب تكلنا فجعل لا يرد عليها شيأ فقالت آلله أمرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا قال
فرجعت ومضى حتى اذا استوى على ثنية كداء أقبل على الوادى فدعا فقال رب انى أسكنت من
ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى
اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون قال ومع الانسانة شنة فيها ماء فنفد الماء فعطشت
وانقطع لبنها فعطش الصبى فنظرت أى الجبال أدنى من الارض فصعدت بالصفا فتسمعت هل
تسمع صوتا أو ترى أنيسا فلم تسمع فانحدرت فلما أتت على الوادى سعت وما تريد السعى كالانسان
المجهود الذى يسعى وما تريد السعى فنظرت أى الجبال أدنى من الارض فصعدت المروة فتسمعت
هل تسمع صوتا أو ترى أنيسا فسمعت صوتا فقالت كالانسان الذى يكذب سمعه صه حتى استيقنت
فقالت قد أسمعتنى صوتك فأغثنى فقد هلكت وهلك من معى فجاء الملك فجاء بها حتى انتهى بها الى
موضع زمزم فضرب بقدمه ففارت عينا فعجلت الانسانة فجعلت فى شنتها فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم رحم الله أم اسمعيل لولا أنها عجلت لكانت زمزم عينا معينا وقال لها الملك لا تخافى الظمأ
على أهل هذا البلد فانما هى عين لشرب ضيفان الله وقال ان أبا هذا الغلام سيجئ فيبنيان لله بيتا هذا
موضعه قال ومرت رفقة من جرهم تريد الشام فرأوا الطير على الجبل فقالوا ان هذا الطير لعائف على
ماء فهل علمتم بهذا الوادى من ماء فقالوا لا فأشرفوا فاذا هم بالانسانة فأتوها فطلبوا اليها أن ينزلوا
معها فأذنت لهم قال وأتى عليها ما يأتى على هؤلاء الناس من الموت فماتت وتزوج اسمعيل امرأة
منهم فجاء ابراهيم فسأل عن منزل اسمعيل حتى دل عليه فلم يجده ووجد امرأته فظة غليظة فقال لها
اذا جاء زوجك فقولى له جاء ههنا شيخ من صفته كذا وكذا وانه يقول لك انى لا أرضى لك عتبة بابك
فحولها وانطلق فلما جاء اسمعيل أخبرته فقال ذاك أبى وأنت عتبة بابى فطلقها وتزوج امرأة أخرى
منهم وجاء ابراهيم حتى انتهى الى منزل اسمعيل فلم يجده ووجد امرأته سهلة طليقة فقال لها أين
انطلق زوجك فقالت انطلق الى الصيد قال فما طعامكم قالت اللحم والماء قال اللهم بارك لهم فى لحمهم
ومائهم اللهم بارك لهم فى لحمهم ومائهم ثلاثا وقال لها اذا جاء زوجك فأخبريه قولى جاء ههنا شيخ
من صفته كذا وكذا وانه يقول لك قد رضيت لك عتبة بابك فأثبتها فلما جاء اسمعيل أخبرته
قال ثم جاء الثالثة فرفعا القواعد من البيت حدثنا الحسن بن محمد قال ثنى يحيى بن عباد قال
ثنا حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال جاء نبى الله ابراهيم
باسمعيل وهاجر فوضعهما بمكة فى موضع زمزم فلما مضى نادته هاجر يا ابراهيم انما أسألك ثلاث
مرات من أمرك أن تضعنى بأرض ليس فيها ضرع ولا زرع ولا أنيس ولا زاد ولا ماء قال ربى أمرنى
قالت فانه لن يضيعنا قال فلما قفا ابراهيم قال ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن يعنى من الحزن وما

وسلم ثبت فى حق نبينا بالطريق
الاولى ثم أراد أن يعطف الله بدعائه
قلوب الناس كلهم أو جلهم على
اسمعيل ومن ولد منه بمكة وأن
يرزقهم من الثمرات فمهد لذلك
مقدمة فقال (ربنا انى أسكنت من
ذريتى) أى بعضهم (بواد غير ذى
زرع) أى لم يكن فيه شئ من زرع
قط كقوله قرآنا عربيا غير ذى
عوج أى لا اعوجاج فيه أصلا ولم
يوجد ذلك فيه فى زمن من الازمان
وقد سبق فى سورة البقرة قصة مجئ
ابراهيم صلى الله عليه وسلم باسمعيل
وأمه هاجر الى هنالك وفى قوله (عند
بيتك المحرم) دليل على أنه دعا هذه
الدعوة بعد بناء البيت لا فى حين
مجيئه بهما ومعنى كون البيت محرما
أن الله حرم التعرض له والتهاون به
وجعل ما حوله حرما لاجل حرمته
وأنه لم يزل ممتنعا عزيزا يهابه كل
جبار كالشئ المحرم الذى حقه أن
يجتنب وقيل سمى محرما لانه حرم

يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء فلما ظمئ اسمعيل جعل يدحض الارض بعقبه فذهبت هاجر حتى علت الصفا والوادي يومئذ لاخ يعني عميق فصعدت الصفا فأشرفت لتنظر هل ترى شيأ فلم ترشيأ فانحدرت فبلغت الوادي فسعت فيه حتى خرجت منه فأتت المروة فصعدت فاستشرفت هل ترى شيأ فلم ترشيأ ففعلت ذلك سبع مرات ثم جاءت من المروة الى اسمعيل وهو يدحض الارض بعقبه وقد نبعت العين وهي زمزم فجعلت تفحص الارض بيدها عن الماء فكلما اجتمع ماء أخذته بقدحها وأفرغته في سقائها قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم يرحمها الله لو تركتها لكانت عينا سائحة تجري الى يوم القيامة قال وكانت جرهم يومئذ بواد قريب من مكة قال ولزمت الطير الوادي حين رأت الماء فلما رأت جرهم الطير لزمت الوادي قالوا ما لزمته الا وفيه ماء فجاؤا الى هاجر فقالوا ان شئت كنا معك وآنسناك والماء ماؤك قالت نعم فكانوا معها حتى شب اسمعيل وماتت هاجر فتزوج اسمعيل امرأة منهم قال فاستأذن ابراهيم سارة أن يأتي هاجر فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل فقدم ابراهيم وقد ماتت هاجر فذهب الى بيت اسمعيل فقال لامرأته أين صاحبك قالت ليس ههنا ذهب يتصيد وكان اسمعيل يخرج من الحرم فيتصيد ثم يرجع فقال ابراهيم هل عندك ضيافة هل عندك طعام أو شراب قالت ليس عندي وما عندي أحد فقال ابراهيم اذا جاء زوجك فأقرئيه السلام وقولي له فليغير عتبة بابه وذهب ابراهيم وجاء اسمعيل فوجد ريح أبيه فقال لامرأته هل جاءك أحد فقالت جاءني شيخ كذا وكذا كالمستخفة بشأنه قال فما قال لك قالت قال لي أقرئي زوجك السلام وقولي له فليغير عتبة بابه فطلقها وتزوج أخرى فلبث ابراهيم ما شاء الله أن يلبث ثم استأذن سارة أن يزور اسمعيل فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل فجاء ابراهيم حتى انتهى الى باب اسمعيل فقال لامرأته أين صاحبك قالت ذهب يصيد وهو يجيء الآن ان شاء الله فانزل يرحمك الله قال لها هل عندك ضيافة قالت نعم قال هل عندك خبز أو بر أو تمر أو شعير قالت لا فجاءت باللبن واللحم فدعا لهما بالبركة فلو جاءت يومئذ بخبز أو بر أو شعير أو تمر لكانت أكثر أرض الله برا وشعيرا وتمرا فقالت له انزل حتى أغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بالمقام فوضعته عن شقه الايمن فوضع قدمه عليه فبقي أثر قدمه عليه فغسلت شق رأسه الأيمن ثم حولت المقام الى شقه الايسر فغسلت شقه الأيسر فقال لها اذا جاء زوجك فأقرئيه السلام وقولي له قد استقامت عتبة بابك فلما جاء اسمعيل وجد ريح أبيه فقال لامرأته هل جاءك أحد فقالت نعم شيخ أحسن الناس وجها وأطيبه ريحا فقال لي كذا وكذا وقلت له كذا وكذا وغسلت رأسه وهذا موضع قدمه على المقام قال وما قال لك قالت قال لي اذا جاء زوجك فأقرئيه السلام وقولي له قد استقامت عتبة بابك قال ذاك ابراهيم فلبث ما شاء الله أن يلبث وأمره الله ببناء البيت فبناه هو واسمعيل فلما بناه قيل أذن في الناس بالحج فجعل لا يمر بقوم الا قال أيها الناس انه قد بني لكم بيت فحجوه فجعل لا يسمعه أحد صخرة ولا شجرة ولا شيء الا قال لبيك اللهم لبيك قال وكان بين قوله ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم وبين قوله الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق كذا وكذا عاما لم يحفظ عطاء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم وانه بيت طهره الله من السوء وجعله قبلة وجعله حرمه اختاره نبي الله ابراهيم لولده حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة غير ذي زرع قال مكة لم يكن بها زرع يومئذ حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني ابن كثير قال القاسم في حديثه قال أخبرني عمرو بن كثير

على الطوفان أي منع منه كما سمي عتيقا لانه أعتق منه فلم يستول عليه أو حرم على المكلفين أن يقربوه بالدماء والاقذار أو لانه أمر الصائرون اليه أن يحرموا على أنفسهم أشياء كانت تحل لهم من قبل (ربنا ليقيموا الصلاة) أي ما أسكنتهم بهذا الوادي القفر الا لاقامة الصلاة عند البيت وعمارته بالذكر والطواف (فاجعل أفئدة من الناس) من للتبعيض أي أفئدة من أفئدة الناس قال مجاهد لو قال أفئدة الناس لزحمتكم عليه فارس والروم والترك والهند وعن سعيد بن جبير لو قال أفئدة الناس لحجه اليهود والنصارى والمجوس ولكنه أراد أفئدة المسلمين وجوز في الكشاف أن يكون من للابتداء كقولك القلب مني سقيم وعلى هذا فانما يحصل التبعيض من تنكير أفئدة فكأنه قيل أفئدة ناس ومعنى (تهوي) تسرع (اليهم) وتطير نحوهم شوقا ونزاعا وقيل تنحط وتنحدر

«قال أبو جعفر» فغيرته أنا فجعلته قال أخبرني ابن كثير وأسقطت عمرا لاني لا أعرف انسانا يقال له عمرو بن كثير حدث عنه ابن جريج وقد حدث به معمر عن كثير بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة وأخشى أن يكون حديث ابن جريج أيضا عن كثير بن كثير قال كنت أنا وعثمان بن أبي سليمن في أناس مع سعيد بن جبير ليلا فقال سعيد بن جبير للقوم سلوني قبل أن لا تسألوني فسأله القوم فأكثروا وكان فيما سئل عنه أن قيل له أحق ما سمعنا في المقام فقال سعيد ماذا سمعتم قالوا سمعنا أن ابراهيم رسول الله حين جاء من الشام كان حلف لامرأته أن لا ينزل مكة حتى يرجع فقرب له المقام فنزل عليه فقال سعيد ليس كذاك حدثنا ابن عباس ولكنه حدثنا حين كان بين أم اسمعيل وسارة ما كان أقبل باسمعيل ثم ذكر مثل حديث أيوب غير أنه زاد في حديثه قال قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم ولذلك طاف الناس بين الصفا والمروة ثم حدث وقال قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم طلبوا النزول معها وقد أحبت أم اسمعيل الانس فنزلوا وبعثوا الى أهلهم فقدموا وطعامهم الصيد يخرجون من الحرم ويخرج اسمعيل معهم يتصيد فلما بلغ أنكحوه وقد توفيت أمه قبل ذلك قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا لهما أن يبارك لهم في اللحم والماء قال لها هل من حب أو غيره من الطعام قالت لا ولو وجد يومئذ لها حبا لدعا لها بالبركة فيه قال ابن عباس ثم لبث ما شاء الله أن يلبث ثم جاء فوجد اسمعيل قاعدا تحت دوحة الى ناحية البئر يبري نبلا له فسلم عليه ونزل اليه فقعد معه وقال يا اسمعيل ان الله قد أمرني بأمر قال اسمعيل فأطع ربك فيما أمرك قال ابراهيم أمرني أن أبني له بيتا قال اسمعيل ابن قال ابن عباس فأشار له ابراهيم الى أكمة بين يديه مرتفعة على ما حولها يأتيها السيل من نواحيها ولا يركبها قال فقاما يحفران عن القواعد يرفعانها ويقولان ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ربنا تقبل منا انك سميع الدعاء واسمعيل يحمل الحجارة على رقبته والشيخ ابراهيم يبني فلما ارتفع البنيان وشق على الشيخ تناوله قرب اسمعيل هذا الحجر فجعل يقوم عليه ويبني ويحوله في نواحي البيت حتى انتهى يقول ابن عباس فذلك مقام ابراهيم وقيامه عليه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن شريك عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع قال أسكن اسمعيل وأمه مكة حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع قال حين وضع اسمعيل «قال أبو جعفر» فتأويل الكلام اذا ربنا اني أسكنت بعض ولدي بواد غير ذي زرع وفي قوله صلى الله عليه وسلم دليل على أنه لم يكن هنالك يومئذ ماء لانه لو كان هنالك ماء لم يصفه بأنه غير ذي زرع عند بيتك الذي حرمته على جميع خلقك أن يستحلوه وكان تحريمه اياه فيما ذكر كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن عمر بن الخطاب قال في خطبته ان هذا البيت أول من وليه أناس من طسم فعصوا ربهم واستحلوا حرمته واستخفوا بحقه فأهلكهم الله ثم وليه أناس من جرهم فعصوا ربهم واستحلوا حرمته واستخفوا بحقه فأهلكهم الله ثم وليتموه معاشر قريش فلا تعصوا ربه ولا تستحلوا حرمته ولا تستخفوا بحقه فوالله لصلاة فيه أحب الي من مائة صلاة بغيره واعلموا أن المعاصي فيه على نحو من ذلك وقال اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع ولم يأت بما وقع عليه الفعل وذلك أن حظ الكلام أن يقال اني أسكنت من ذريتي جماعة أو رجلا أو قوما (١) وذلك غير جائز مع من لدلالتها على المراد من الكلام والعرب تفعل ذلك معها كثيرا فتقول قتلنا من بني فلان وطعمنا من الكلا وشربنا من الماء ومنه قول الله تعالى أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله فان قال قائل وكيف قال ابراهيم حين أسكن ابنه مكة اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم وقد رويت في الاخبار التي ذكرتها أن

(١) لعله وذلك جائز باسقاط لفظ غير تأمل كتبه مصححه

الاصمعي هوى يهوى هويا بالفتح الهاء اذا سقط من علو الى سفل وفي هذا الدعاء فائدتان احداهما ميل الناس الى تلك البلدة للنسك والطاعة والاخرى نقل الاقمشة اليهم للتجارة وفي ضمن ذلك تتسع معايشهم وتكثر أرزاقهم ومع ذلك قد صرح بها فقال (وارزقهم من الثمرات) فلا جرم أجاب الله دعاءه فجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ وقيل أراد أن يحصل حوالها القرى والمزارع والبساتين ثم ختم الآية بقوله (لعلهم يشكرون) ليعلم أن المقصود الاصلي من منافع الدنيا وسعة الرزق هو التفرغ لاداء العبادات واقامة الوظائف الشرعية ثم أثنى على الله سبحانه تمهيد الدعوة أخرى وتعريضا بقضاء الحاجات فقال (ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن) على الاطلاق لان الغيب والشهادة بالاضافة الى العالم بالذات سيان وقيل ما نخفي من الوجد بسبب

ابراهيم بنى البيت بعد ذلك بعدة قيل قد قيل فى ذلك أقوال قد ذكرتها فى سورة البقرة منها أن معناه عند بيتك المحرم الذى كان قبل أن ترفعه من الارض حين رفعته أيام الطوفان ومنها عند بيتك المحرم الذى قد مضى فى سابق علمك أنه يحدث فى هذا البلد وقوله المحرم على ما قاله قتادة معناه المحرم من استحلال حرمات الله فيه والاستخفاف بحقه وقوله ربنا ليقيموا الصلاة يقول فعلت ذلك يا ربنا كى تؤدى فرائضك من الصلاة التى أوجبتها عليهم فى بيتك المحرم وقوله فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم يخبر بذلك تعالى ذكره عن خليله ابراهيم أنه سأله فى دعائه أن يجعل قلوب بعض خلقه تنزع الى مساكن ذريته الذين أسكنهم بواد غير ذى زرع عند بيته المحرم وذلك منه دعاء لهم بأن يرزقهم حج بيته الحرام كما حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام بن سلم عن عمرو بن أبى قيس عن عطاء عن سعيد بن جبير أفئدة من الناس تهوى اليهم ولو قال أفئدة الناس تهوى اليهم لحجت اليهود والنصارى والمجوس ولكنه قال أفئدة من الناس تهوى اليهم فهم المسلمون حدثنا محمد ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم قال لو كانت أفئدة الناس لازدحمت عليه فارس والروم ولكنه أفئدة من الناس حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا ثنا جرير عن منصور عن مجاهد فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم قال لو قال أفئدة الناس تهوى اليهم لازدحمت عليه فارس والروم حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا على يعنى ابن الجعد قال أخبرنا جرير عن منصور عن مجاهد مثله حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم قال سألت عكرمة عن هذه الآية فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم فقال قلوبهم تهوى الى البيت حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن شعبة عن الحكم عن عكرمة وعطاء وطاوس فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم البيت تهوى اليه قلوبهم يأتونه حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا يحيى بن عباد قال ثنا سعيد عن الحكم قال سألت عطاء وطاوسا وعكرمة عن قوله فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم قالوا الحج حدثنا الحسن قال ثنا شبابة وعلى بن الجعد قالا أخبرنا سعيد عن الحكم عن عطاء وطاوس وعكرمة فى قوله فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم قال هواهم الى مكة أن يحجوا حدثنى المثنى قال ثنا آدم قال ثنا شعبة عن الحكم قال سألت طاوسا وعكرمة وعطاء بن أبى رباح عن قوله فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم فقالوا اجعل هواهم الحج حدثنا الحسن قال ثنا يحيى بن عباد قال ثنا حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لو كان ابراهيم قال فاجعل أفئدة الناس تهوى اليهم لحجه اليهود والنصارى والناس كلهم ولكنه قال أفئدة من الناس تهوى اليهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم قال تنزع اليهم حدثنا الحسن قال ثنا عبد الوهاب بن عطاء عن سعيد عن قتادة مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله .. وقال آخرون انما دعا لهم أن يهووا السكنى بمكة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم قال ان ابراهيم خليل الرحمن سأل الله أن يجعل أناسا من الناس يهوون سكنى أو سكن مكة وقوله وارزقهم من الثمرات يقول تعالى ذكره وارزقهم من ثمرات النبات والاشجار ما رزقت سكان الارياف والقرى التى هى ذوات المياه والانهار وان كنت أسكنتهم واديا غير ذى زرع ولا ماء فرزقهم جل ثناؤه ذلك كما حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا هشام قال قرأت على محمد بن مسلم الطائفى أن ابراهيم لما

الفرقة بينى وبين اسمعيل وما نعلن من البكاء والدعاء أو أراد ما جرى بينه وبين هاجر حين قالت له عند الوداع الى من تكلنا قال الى الله أكلكم قال المفسرون (وما يخفى على الله من شئ فى الارض ولا فى السماء) من كلام الله عز وجل تصديقا لابراهيم ويحتمل أن يكون من كلام ابراهيم ومن للاستغراق أى لا يخفى على الذى يستحق العبادة لذاته شئ ما فى أى مكان يفرض (الحمد لله الذى وهب لى على الكبر) أى مع كبر السن وفى حال الشيخوخة (اسمعيل واسحق) ذكر أولا كونه تعالى عالما بالضمائر والسرائر ثم حمده على هذه الموهبة لان المنة بهذا الولد فى حال وقوع اليأس من الولادة أعظم لانها تنتهى الى حد الخوارق فكأنه رمز الى أنه يطلب من الله سبحانه أن يتمهما بعد دعائه لهم الآية بقوله (ان ربى لسميع الدعاء) وهو من اضافة

دعا للحرم وارزق أهله من الثمرات نقل الله الطائف من فلسطين وقوله لعلهم يشكرون يقول ليشكروك على ما رزقتهم وتنعمه عليهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن وما يخفى على الله من شئ فى الارض ولا فى السماء﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن استشهاد خليله ابراهيم اياه على ما نوى وقصد بدعائه وقيله رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام الآية وأنه انما قصد بذلك رضا الله عنه فى محبته أن يكون ولده من اهل الطاعة لله واخلاص العبادة له على مثل الذى هو له فقال ربنا انك تعلم ما نخفى قلوبنا عند مسألتنا ما نسألك وفى غير ذلك من أحوالنا وما نعلن من دعائنا فنجهر به وغير ذلك من أعمالنا وما يخفى عليك يا ربنا من شئ يكون فى الارض ولا فى السماء لأن ذلك كله ظاهر لك متجل باد لانك مدبره وخالقه فكيف يخفى عليك ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق ان ربى لسميع الدعاء﴾ يقول الحمد لله الذى رزقنى على كبر من السن ولدا اسمعيل واسحق ان ربى لسميع الدعاء يقول ان ربى لسميع دعائى الذى أدعوه به وقولى اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام وغير ذلك من دعائى ودعاء غيرى وجميع ما نطق به ناطق لا يخفى عليه منه شئ حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن ضرار بن مرة قال سمعت شيخا يحدث سعيد بن جبير قال بشر ابراهيم بعد سبع عشرة ومائة سنة ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء﴾ يقول رب اجعلنى مؤديا ما ألزمتنى من فريضتك التى فرضتها على من الصلاة ومن ذريتى يقول واجعل أيضا من ذريتى مقيمى الصلاة لك ربنا وتقبل دعاء يقول ربنا وتقبل عملى الذى أعمله لك وعبادتى اياك وهذا نظير الخبر الذى روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الدعاء هو العبادة ثم قرأ وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾ وهذا دعاء من ابراهيم صلوات الله عليه لوالديه بالمغفرة واستغفار منه لهما وقد أخبر الله عز ذكره أنه لم يكن استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لأواه حليم وقد بينا وقت تبرئه منه فيما مضى بما أغنى عن اعادته وقوله وللمؤمنين يقول وللمؤمنين بك ممن تبعنى على الدين الذى أنا عليه فأطاعك فى أمرك ونهيك وقوله يوم يقوم الحساب يعنى يقوم الناس للحساب فاكتفى بذكر الحساب من ذكر الناس اذ كان مفهوما معناه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا تحسبن الله يا محمد غافلا ساهيا عما يعمل هؤلاء المشركون من قومك بل هو عالم بهم وبأعمالهم محصيها عليهم ليجزيهم جزاءهم فى الحين الذى قد سبق فى علمه أنه يجزيهم فيه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا على بن ثابت عن جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران فى قوله ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون قال هى وعيد للظالم وتعزية للمظلوم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعى رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم وأفئدتهم هواء﴾ يقول تعالى ذكره انما يؤخر ربك يا محمد هؤلاء الظالمين الذين يكذبونك ويجحدون نبوتك ليوم تشخص فيه الابصار يقول انما يؤخر عقابهم وانزال العذاب بهم الى يوم تشخص فيه أبصار الخلق وذلك يوم القيامة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ليوم تشخص فيه الابصار شخصت فيه والله أبصارهم فلا ترتد اليهم وأما قوله مهطعين فان أهل التأويل اختلفوا فى معناه فقال بعضهم معناه مسرعين ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا هاشم بن القاسم عن أبى سعيد المؤدب عن

الصفة الى مفعولها أى مجيب الدعاء أو الى فاعلها بأن يجعل دعاء الله سميعا على الاسناد المجازى والمراد سماع الله تعالى ويحتمل أن يكون قوله ان ربى لسميع الدعاء رمزا الى ما كان قد دعا ربه وسأله الولد بقوله رب هب لى من الصالحين روى أن اسمعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة وثنتى عشرة سنة وقيل اسمعيل لاربع وستين واسحق لتسعين وعن سعيد بن جبير لم يولد لابراهيم الا بعد مائة وسبع عشرة سنة ثم ختم الأدعية بقوله (رب اجعلنى مقيم الصلاة) أى مديمها (ومن ذريتى) أى واجعل بعض ذريتى كذلك لم يدع للكل لانه علم باعلام الله تعالى أنه يكون فى ذريته كفار وذلك قوله سبحانه لا ينال عهدى الظالمين (ربنا وتقبل دعائى) عن ابن عباس أى عبادتى وحمله على تقبله الأدعية السابقة فى الآية غير بعيد (ربنا

سالم عن سعيد بن جبير مهطعين قال النسلان وهو الخبب أوما دون الخبب شك أبو سعيد يخبون وهم ينظرون حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مهطعين قال مسرعين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مهطعين يقول منطلقين عامدين الى الداعي * وقال آخرون معنى ذلك مديمي النظر ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله مهطعين يعني بالاهطاع النظر من غير أن يطرف حدثنا ابن وكيع قال ثنى أبي عن أبيه عن سعيد بن مسروق عن أبي الضحى مهطعين قال الاهطاع التحميج الدائم الذي لا يطرف حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن مغيرة عن أبي الخير بن تميم بن حذلم عن أبيه في قوله مهطعين قال الاهطاع التحميج حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربي عن جويبر عن الضحاك مهطعين قال شدة النظر الذي لا يطرف حدثني المثنى قال أخبرنا عمرو قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك في قوله مهطعين قال شدة النظر في غير طرف حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله مهطعين الاهطاع شدة النظر في غير طرف حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مهطعين قال مديمي النظر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * وقال آخرون معنى ذلك لا يرفع رأسه ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله مهطعين قال المهطع الذي لا يرفع رأسه والاهطاع في كلام العرب بمعنى الاسراع أشهر منه بمعنى ادامة النظر ومن الاهطاع بمعنى الاسراع قول الشاعر

وبمهطع سرح كأن زمامه ... في رأس جذع من أراك مشذب

وقول الآخر

بمستهطع رسل كأن جديله ... بقيدوم رعن من صوام ممنع

وقوله مقنعي رؤسهم يعني رافعي رؤسهم واقناع الرأس رفعه ومنه قول الشماخ

يباكرن العضاه بمقنعات * نواجذهن كالحدإ الوقيع

يعني أنهن يباكرن العضاه برؤسهن مرفوعات اليها لتتناول منها ومنه أيضا قول الراجز

أنغض نحوي رأسه وأقنعا * كأنما أبصر شيأ أطمعا

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله مقنعي رؤسهم قال الاقناع رفع رؤسهم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا (٢) ورقاء وقال الحسن قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله مقنعي رؤسهم قال رافعيها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر عن أبي سعد قال قال الحسن وجوه الناس يوم القيامة الى السماء لا ينظر أحد الى أحد حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن عثمان بن الاسود أنه سمع مجاهدا يقول

اغفر لي) طلب المغفرة لا يوجب سابقة الذنب لان مثل هذا انما يصدر عن الانبياء والاولياء في مقام الخوف والدهشة على أن ترك الاولى لا يمتنع منهم وحسنات الابرار سيئات المقربين أما قوله (ولوالدي) فاعترض عليه بأنه كيف استغفر لابويه وهما كافران وأجيب بأنه قال ذلك بشرط الاسلام وزيف بأن قوله تعالى الا قول ابراهيم لأبيه لأستغفرن لك مستثنى من الاشياء التي يؤتسى فيها بابراهيم ولو كان استغفاره مشروطا باسلام أبيه لكان استغفارا صحيحا فلم يحتج الى الاستثناء وقيل أراد بوالديه آدم وحواء والصحيح في الجواب أنه استغفر له بناء على الجواز العقلي والمنع التوقيفي بعد ذلك لا ينافيه (يوم يقوم الحساب) أي يثبت مستعار من قيام القائم على الرجل ومثله قولهم قامت الحرب على ساقها أو أسند الى الحساب قيام

في قوله مهطعين مقنعي رؤسهم قال رافع رأسه هكذا الا يرتد اليهم طرفهم حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك في قوله مقنعي رؤسهم قال رافعي رؤسهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مقنعي رؤسهم قال الاقناع رفع رؤسهم حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مقنعي رؤسهم قال المقنع الذي يرفع رأسه شاخصا بصره لا يطرف حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله مقنعي رؤسهم قال رافعيها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله مقنعي رؤسهم قال المقنع الذي يرفع رأسه حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربي عن جويبر عن الضحاك مقنعي رؤسهم قال رافعي رؤسهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا هاشم بن القاسم عن أبي سعيد عن سالم عن سعيد مقنعي رؤسهم قال رافعي رؤسهم وقوله لا يرتد اليهم طرفهم يقول لا ترجع اليهم لشدة النظر أبصارهم كما حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله لا يرتد اليهم طرفهم وأفئدتهم هواء قال شاخصة أبصارهم وقوله وأفئدتهم هواء اختلف أهل التأويل في تأويله فقال بعضهم معناه متخرقة لا تعي من الخير شيأ ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن مرة في قوله وأفئدتهم هواء قال متخرقة لا تعي شيأ حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا مالك بن مغول عن أبي اسحق عن مرة بمثل ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن مرة مثله حدثنا محمد بن عمارة قال ثنا سهل بن عامر قال ثنا مالك واسرائيل عن أبي اسحق عن مرة مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن أبي اسحق عن مرة وأفئدتهم هواء قال متخرقة لا تعي شيأ من الخير حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا يحيى بن عباد قال ثنا مالك يعني ابن مغول قال سمعت أبا اسحق عن مرة الا أنه قال لا تعي شيأ ولم يقل من الخير حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال أخبرنا اسرائيل عن أبي اسحق عن مرة مثله حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا مالك بن مغول واسرائيل عن أبي اسحق عن مرة وأفئدتهم هواء قال أحدهما خربة وقال الآخر متخرقة لا تعي شيأ حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وأفئدتهم هواء قال ليس فيها شيء من الخير فهي كالخربة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال ليس من الخير شيء في أفئدتهم كقولك للبيت الذي ليس فيه شيء انما هو هواء حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأفئدتهم هواء قال الافئدة القلوب هواء كما قال الله ليس فيها عقل ولا منفعة حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن أبي بكرة عن أبي صالح وأفئدتهم هواء قال ليس فيها شيء من الخير * وقال آخرون انها لا تستقر في مكان تردد في أجوافهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع وأحمد بن اسحق قالا ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد وأفئدتهم هواء قال تمور في أجوافهم ليس لها مكان تستقر فيه حدثنا ابن وكيع قال ثنا هاشم بن القاسم عن أبي سعيد عن سالم عن سعيد بنحوه * وقال آخرون معنى ذلك أنها خرجت من أماكنها فنشبت بالحلوق ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع وأحمد بن اسحق قالا ثنا أبو أحمد الزبيري عن اسرائيل عن سعيد عن مسروق عن أبي الضحى وأفئدتهم هواء قال قد بلغت حناجرهم حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة في قوله وأفئدتهم هواء قال هواء ليس فيها شيء خرجت من

صدورهم

أهله اسنادا مجازيا أو المضاف محذوف مثل واسأل القرية ثم عاد الى بيان الجزاء والمعاد لأن دعاء ابراهيم صلى الله عليه وسلم قد انجر الى ذكر الحساب فقال (ولا تحسبن الله غافلا) ان كان الخطاب لكل مكلف أو للنبي والمراد أمته فلا اشكال وان كان النبي صلى الله عليه وسلم فمعناه التثبت على ما كان عليه من أنه لا يحسب الله الا عالما بجميع المعلومات أو المراد ولا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل عما يقولون ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير والقطمير وعن ابن عيينة تسلية للمظلوم وتهديد للظالم قلت لانه لو لم ينتقم للمظلوم من الظالم لزم أن يكون غافلا عن الظلم أو عاجزا عن الانتقام أو راضيا بالظلم وكل ذلك مناف لوجوب الوجود المستلزم لجميع الكمالات (انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار) أي أبصارهم كقوله واشتعل الرأس شيبا تشخص

صدورهم فنشبت فى حلوقهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأفئدتهم هواء انتزعت حتى صارت فى حناجرهم لاتخرج من أفواههم ولا تعود الى أمكنتها وأولى هذه الاقوال عندى بالصواب فى تأويل ذلك قول من قال معناه انها خالية ليس فيها شئ من الخير ولا تعقل شيأ وذلك أن العرب تسمى كل أجوف خاو هواء . ومنه قول حسان بن ثابت

ألا أبلغ أبا سفيان عنى * فأنت مجوف نخب هواء

ومنه قول الآخر

ولا تك من أخدان كل يراعة * هواء كسقب البان جوف مكاسره

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل﴾ يقول تعالى ذكره وأنذر يا محمد الناس الذين أرسلتك اليهم داعيا الى الاسلام ما هو نازل بهم يوم يأتيهم عذاب الله فى القيامة فيقول الذين ظلموا يقول فيقول الذين كفروا بربهم فظلموا بذلك أنفسهم ربنا أخرنا أى أخر عنا عذابك وأمهلنا الى أجل قريب نجب دعوتك الحق فنؤمن بك ولا نشرك بك شيأ ونتبع الرسل يقولون ونصدق رسلك فنتبعهم على ما دعوتنا اليه من طاعتك واتباع أمرك وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب قال يوم القيامة فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا الى أجل قريب قال مدة يعملون فيها من الدنيا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب يقول أنذرهم فى الدنيا قبل أن يأتيهم العذاب وقوله فيقول الذين ظلموا رفع عطفا على قوله يأتيهم فى قوله يوم يأتيهم العذاب وليس بجواب للامر ولو كان جوابا لقوله وأنذر الناس جاز فيه الرفع والنصب أما النصب فكما قال الشاعر

يا ناق سيرى عنقا فسيحا * الى سليمان فنستريحا

والرفع على الاستئناف وذكر عن العلاء بن سيابة أنه كان ينكر النصب فى جواب الامر بالفاء قال الفراء وكان العلاء هو الذى علم معاذا وأصحابه القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال﴾ وهذا تقريع من الله تعالى ذكره للمشركين من قريش بعد أن دخلوا النار بانكارهم فى الدنيا البعث بعد الموت يقول لهم اذ سألوه رفع العذاب عنهم وتأخيرهم لينيبوا ويتوبوا أولم تكونوا فى الدنيا أقسمتم من قبل مالكم من زوال يقول مالكم من انتقال من الدنيا الى الآخرة وأنكم انما تموتون ثم لا تبعثون كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد أولم تكونوا أقسمتم من قبل كقوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى ثم قال مالكم من زوال قال الانتقال من الدنيا الى الآخرة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله مالكم من زوال قال لا تموتون لقريش حدثنى القاسم قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن الحكم عن عمرو بن أبى ليلى أحد بنى عامر قال سمعت محمد بن كعب القرظى يقول بلغنى أو ذكر لى أن أهل النار ينادون ربنا أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل فرد عليهم أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم

بصر الرجل اذا بقيت عينه مفتوحة لا تطرف وذلك انما يكون عند غاية الحيرة وسقوط القوة (مهطعين) مسرعين قاله أبو عبيدة والغالب من حال من يبقى بصره شاخصا من شدة الخوف أن يبقى واقفا فبين الله تعالى أن حالهم بخلاف هذا المعتاد لأنهم مع شخوص أبصارهم يكونون مسرعين نحو ذلك البلاء وقال أحمد بن يحيى المهطع الذى ينظر فى ذل وخضوع وقيل هو الساكت (مقنعى رؤسهم) رافعيها وهذا أيضا بخلاف المعتاد لان الغالب ممن يشاهد البلاء أنه يطرق رأسه لكيلا يراه (لا يرتد اليهم طرفهم) الطرف تحريك الاجفان على الوجه الذى خلق وجبل عليه وسمى العين بالطرف تسمية بفعلها أى لا يرجع اليهم أن يطرفوا بعيونهم والمراد دوام الشخوص المذكور وقيل أى لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى أنفسهم (وأفئدتهم

الى قوله لتزول منه الجبال ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال﴾ يقول تعالى ذكره وسكنتم فى الدنيا فى مساكن الذين كفروا بالله فظلموا بذلك أنفسهم من الامم التى كانت قبلكم وتبين لكم كيف فعلنا بهم يقول وعلمتم كيف أهلكناهم حين عتوا على ربهم وتمادوا فى طغيانهم وكفرهم وضربنا لكم الامثال يقول ومثلنا لكم فيما كنتم عليه من الشرك بالله مقيمين الأشباه فلم تنيبوا ولم تتوبوا من كفركم فالآن تسألون التأخير للتوبة حين نزل بكم ماقد نزل بكم من العذاب ان ذلك لغير كائن * وبنحو ماقلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم يقول سكن الناس فى مساكن قوم نوح وعاد وثمود وقرون بين ذلك كثيرة ممن هلك من الامم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال قد والله بعث رسله وأنزل كتبه ضرب لكم الامثال فلا يصم فيها الا أصم ولا يخيب فيها الا الخائب فاعقلوا عن الله أمره حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لهم كيف فعلنا بهم قال سكنوا فى قراهم مدين والحجر والقرى التى عذب الله أهلها وتبين لكم كيف فعل الله بهم وضرب لهم الامثال حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله الامثال قال الاشباه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال﴾ يقول تعالى ذكره قد مكر هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم فسكنتم من بعدهم فى مساكنهم مكرهم وكان مكرهم الذى مكروا ما حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان قال ثنا أبو اسحق عن عبد الرحمن بن أبان قال سمعت عليا يقرأ وان كان مكرهم لتزول منه الجبال قال كان ملك فره أخذ فروخ النسور فعلفها اللحم حتى شبت واستعلجت واستغلظت فقعد هو وصاحبه فى التابوت وربطوا التابوت بأرجل النسور وعلقوا اللحم فوق التابوت فكانت كلما نظرت الى اللحم صعدت وصعدت فقال لصاحبه ماترى قال أرى الجبال مثل الدخان قال ماترى قال ما أرى شيأ قال ويحك صوّب صوّب قال فذلك قوله وان كان مكرهم لتزول منه الجبال حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى اسحق عن عبد الرحمن بن واصل عن على بن أبى طالب مثل حديث يحيى بن سعيد وزاد فيه وكان عبد الله ابن مسعود يقرؤها وان كان مكرهم لتزول منه الجبال حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا محمد ابن أبى عدى عن شعبة عن أبى اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن واصل أن عليا قال فى هذه الآية وان كان مكرهم لتزول منه الجبال قال أخذ ذلك الذى حاج ابراهيم فى ربه نسرين صغيرين فرباهما ثم استغلظا واستعلجا وشبا قال فأوثق رجل كل واحد منهما بوتد الى تابوت وجوعهما وقعد هو ورجل آخر فى التابوت قال ورفع فى التابوت عصا على رأسه اللحم قال فطارا وجعل يقول لصاحبه انظر ماذا ترى قال أرى كذا وكذا حتى قال أرى الدنيا كأنها ذباب فقال صوب العصا فصوبها فهبطا قال فهو قول الله تعالى وان كاد مكرهم لتزول منه الجبال قال أبو اسحق وكذلك هى فى قراءة عبد الله وان كاد مكرهم لتزول منه الجبال حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وان كان مكرهم لتزول منه الجبال مكر فارس وزعم أن بختنصر خرج بنسور وجعل له تابوتا يدخله وجعل رماحا فى أطرافها واللحم فوقها أراه قال فعلت تذهب نحو

هواء) والهواء الخلاء الذى يشغله الاجرام وصف قلب الجبان به لأنه لاقوة فيه ويقال للاحمق أيضا قلبه هواء والمعنى أن قلوب الكفار خالية يوم القيامة عن جميع الخواطر والافكار لعظم مانالهم وعن كل رجاء وأمل لما تحققوه من العذاب والاظهر أن هذه الحالة لهم عند المحاسبة لتقدم قوله يوم يقوم الحساب وقيل هى عند ما يتميز السعداء من الاشقياء وقيل عند اجابة الداعى والقيام من القبور وعن ابن جريج أراد أن أفئدة الكفار فى الدنيا صفر من الخير خاوية منه قال أبو عبيدة جوف لاعقول لهم (وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب) مفعول ثان لانذر واليوم يوم القيامة واللام فى العذاب للمعهود السابق من شخوص الابصار وغيره أو للمعلوم وهو عذاب النار ومعنى (أخرنا) أمهلنا (الى) أمد وحد من الزمان (قريب) أو يوم هلاكهم بالعذاب العاجل أو يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى (أولم تكونوا) على اضمار القول أى فيقال لهم ذلك واقسامهم إما بلسان الحال حيث بنوا شديدا وأملوا بعيدا وإما بلسان المقال اشرا وبطرا وجهلا وسفها و (مالكم من زوال) جواب القسم ولو قيل مالنا من زوال على حكاية لفظ المقسمين لجاز من حيث العربية والمعنى أقسمتم أنكم باقون فى الدنيا لاتزالون بالموت والفناء أو لاتنتقلون الى دار أخرى هى دار الجزاء كقوله

اللحم حتى انقطع بصره من الارض وأهلها فنودى أيها الطاغية أين تريد ففرق ثم سمع الصوت فوقه فصوب الرماح فتصوبت النسور ففزعت الجبال من هدتها وكادت الجبال أن تزول منه من حس ذلك فذلك قوله وان كان مكرهم لتزول منه الجبال حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال مجاهد وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كاد مكرهم كذا قرأها مجاهد كاد مكرهم لتزول منه الجبال وقال ان بعض من مضى جوع نسورا ثم جعل عليها تابوتا فدخله ثم جعل رماحا فى أطرافها لحم فجعلت ترى اللحم فتذهب حتى انتهى بصره فنودى أيها الطاغية أين تريد فصوب الرماح فتصوبت النسور ففزعت الجبال وظنت أن الساعة قد قامت فكادت أن تزول فذلك قوله تعالى وان كان مكرهم لتزول منه الجبال قال ابن جريج أخبرنى عمرو ابن دينار عن عكرمة عن عمر بن الخطاب أنه كان يقرأ وان كاد مكرهم لتزول منه الجبال حدثنى هذا الحديث أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم بن سلام قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد أنه كان يقرأ على نحو لتزول بفتح اللام الأولى ورفع الثانية حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن أبى اسحق عن عبد الرحمن (١) بن دانيل قال سمعت عليا يقول وان كان مكرهم لتزول منه الجبال حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن أبى اسحق عن عبد الرحمن بن دانيل قال سمعت عليا يقول وان كان مكرهم لتزول منه الجبال قال ثم أنشأ على يحدث فقال نزلت فى جبار من الجبابرة قال لا أنتهى حتى أعلم ما فى السماء ثم اتخذ نسورا فجعل يطعمها اللحم حتى غلظت واستعلجت واشتدت وذكر مثل حديث شعبة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو داود الحضرمى عن يعقوب عن حفص بن حميد أو جعفر عن سعيد بن جبير وان كان مكرهم لتزول منه الجبال قال نمرود صاحب النسور أمر بتابوت فجعل وجعل معه رجلا ثم أمر بالنسور فاحتمل فلما صعد قال لصاحبه أى شئ ترى قال أرى الماء وجزيرة يعنى الدنيا ثم صعد فقال لصاحبه أى شئ ترى قال ما نزداد من السماء الا بعدا قال اهبط وقال غيره نودى أيها الطاغية أين تريد قال فسمعت الجبال حفيف النسور فكانت ترى أنها أمر من السماء فكادت تزول فهو قوله وان كان مكرهم لتزول منه الجبال حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبى جعفر عن الربيع بن أنس أن أنسا كان يقرأ وان كاد مكرهم لتزول منه الجبال ＊ وقال آخرون كان مكرهم شركهم بالله وافتراءهم عليه ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس وان كان مكرهم لتزول منه الجبال يقول شركهم كقوله تكاد السموات يتفطرن منه حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك وان كان مكرهم لتزول منه الجبال قال هو كقوله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيأ إدا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك فى قوله وان كان مكرهم ثم ذكر مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أن الحسن كان يقول كان أهون على الله وأصغر من أن تزول منه الجبال يصفهم بذلك قال قتادة وفى مصحف عبد الله بن مسعود وان كاد مكرهم لتزول منه الجبال وكان قتادة يقول عند ذلك تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا أى لكلامهم ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله وان كان مكرهم لتزول منه الجبال قال ذلك حين دعوا لله ولدا وقال فى آية أخرى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا حدثت عن

وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت ثم زادهم توبيخا بقوله (وسكنتم) استقررتم (فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم) بالكفر والمعاصى وهم قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم (وتبين لكم) بالاخبار والمشاهدة والبيان والعيان (كيف فعلنا بهم) من أصناف العقوبات (وضربنا لكم الامثال) قال جار الله أراد صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهى فى الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم وقال غيره المراد ما أورد فى القرآن من دلائل القدرة على الاعادة والابداء وعلى العذاب المعجل والمؤجل ثم حكى مكر أولئك الظلمة فقال (وقد مكروا مكرهم) أى مكرهم العظيم الذى استفرغوا فيه جهدهم وقيل الضمير عائد الى قوم محمد صلى الله عليه وسلم كما قال واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك وقيل أراد ما نقل أن نمرود حاول الصعود الى السماء فاتخذ لنفسه تابوتا وربط قوائمه الاربع بأربع نسور وكان قد جوعها ورفع من الجوانب الاربعة على التابوت عصيا أربعا وعلق على كل واحدة منها قطعة من اللحم ثم انه جلس مع صاحبه فى ذلك التابوت فلما أبصرت النسور ذلك اللحم تصاعدت فى جو الهواء ثلاثة أيام وغابت الارض عن عين نمرود ورأى السماء بحالها فعكس تلك العصى التى عليها اللحوم فهبطت النسور الى الارض وضعفت هذه الرواية لانه لا يكاد يقدم عاقل

(١) تقدم مرة ابن أبان ومرة ابن واصل وفى هذا الموضع ابن دانيل ولم نعثر على الأخيرين فى أسماء الرواة فحرر كتبه مصححه

الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله وان كان مكرهم لتزول منه الجبال في حرف ابن مسعود وان كاد مكرهم لتزول منه الجبال هو مثل قوله تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدًا واختلفت القراء في قراءة قوله لتزول منه الجبال فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والمدينة والعراق ما خلا الكسائي وان كان مكرهم لتزول منه الجبال بكسر اللام الاولى وفتح الثانية بمعنى وما كان مكرهم لتزول منه الجبال وقرأه الكسائي وان كان مكرهم لتزول منه الجبال بفتح اللام الاولى ورفع الثانية على تأويل قراءة من قرأ ذلك وان كاد مكرهم لتزول منه الجبال من المتقدمين الذين ذكرت أقوالهم بمعنى اشتد مكرهم حتى زالت منه الجبال أو كادت تزول منه وكان الكسائي يحدث عن حمزة عن شبل عن مجاهد أنه كان يقرأ ذلك على مثل قراءته وان كان مكرهم لتزول منه الجبال برفع تزول حدثني بذلك الحرث عن القاسم عنه * والصواب من القراءة عندنا قراءة من قرأه وان كان مكرهم لتزول منه الجبال بكسر اللام الأولى وفتح الثانية بمعنى وما كان مكرهم لتزول منه الجبال وانما قلنا ذلك هو الصواب لان اللام الاولى اذا فتحت فمعنى الكلام وقد كان مكرهم تزول منه الجبال ولو كانت زالت لم تكن ثابتة وفي ثبوتها على حالتها ما يبين عن أنها لم تزل وأخرى اجماع الحجة من القراء على ذلك وفي ذلك كفاية عن الاستشهاد على صحتها وفساد غيرها بغيره فان ظن ظان أن ذلك ليس باجماع من الحجة اذ كان من الصحابة والتابعين من قرأ ذلك كذلك فان الامر بخلاف ما ظن في ذلك وذلك أن الذين قرؤا ذلك بفتح اللام الاولى ورفع الثانية قرؤا وان كاد مكرهم بالدال وهي اذا قرئت كذلك فالصحيح من القراءة مع وان كاد فتح اللام الاولى ورفع الثانية على ما قرؤا وغير جائز عندنا القراءة كذلك لان مصاحفنا بخلاف ذلك وانما خط مصاحفنا وان كان بالنون لا بالدال واذ كانت كذلك فغير جائز لاحد تغيير رسم مصاحف المسلمين واذا لم يجز ذلك لم يكن الصحاح من القراءة الا ما عليه قراء الامصار دون من شذ بقراءته عنهم * وبنحو ما قلنا في معنى وان كان مكرهم قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال يقول ما كان مكرهم لتزول منه الجبال حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال الحسن في قوله وان كان مكرهم لتزول منه الجبال ما كان مكرهم لتزول منه الجبال حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن عوف عن الحسن قال ما كان مكرهم لتزول منه الجبال حدثني الحرث قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن هرون عن يونس وعمرو عن الحسن وان كان مكرهم لتزول منه الجبال قالا وكان الحسن يقول وان كان مكرهم لأوهن وأضعف من أن تزول منه الجبال * قال قال هرون وأخبرني يونس عن الحسن قال أربع في القرآن وان كان مكرهم لتزول منه الجبال ما كان مكرهم لتزول منه الجبال وقوله لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين ما كنا فاعلين وقوله ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين ما كان للرحمن ولد وقوله ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه * قال هرون وحدثني بهن عمرو بن أسباط عن الحسن وزاد فيهن واحدة فان كنت في شك ما كنت في شك مما أنزلنا اليك

فالاولى من القول بالصواب في تأويل الآية اذ كانت القراءة التي ذكرت هي الصواب لما بينا من الدلالة في قوله وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وقد أشرك

الذين

على مثل هذا الخطر (وعند الله مكرهم) ان كان مضافا الى الفاعل فالمعنى ومكتوب عند الله مكرهم فيجازيهم عليه بأعظم من ذلك وان كان مضافا الى المفعول فمعناه وعنده مكرهم الذي يمكرهم به وهو عذابهم الذي يستحقونه فيأتيهم به من حيث لا يشعرون أما قوله (وان كان مكرهم لتزول) من قرأ بكسر اللام الاولى ونصب الثانية فوجهان أحدهما أن تكون ان مخففة من الثقيلة فزوال الجبال مثل لعظم مكرهم وشدته أي وان الشأن كان مكرهم معدا لذلك وثانيهما أن تكون ان نافية واللام المكسورة لتأكيد النفي كقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم والمعنى ومحال أن تزول الجبال بمكرهم على أن الجبال مثل لآيات الله وشرائعه الثابتة على حالها أبد الدهر ومن قرأ بفتح اللام الاولى ورفع الثانية فان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة والمعنى كما مر ثم انه سبحانه أكد كونه مجازيا لاهل المكر على مكرهم بقوله (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) قال جار الله قدم المفعول الثاني وهو الوعد على المفعول الاول ليعلم أنه غير مخلف الوعد على الاطلاق ثم قال رسله تنبيها على أنه اذا لم يكن من شأنه اخلاف الوعد فكيف يخلفه رسله الذين هم صفوته والمراد بالوعد قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ونحوهما من الآيات قوله (ان الله عزيز ذو انتقام) قد مر في أول آل عمران (يوم تبدل الارض) قال الزجاج انتصاب يوم على البدل من يوم يأتيهم أو على الظرف للانتقام

الذين ظلموا أنفسهم بربهم وافتروا عليه فريتهم عليه وعند الله علم شركهم به وافترائهم عليه وهو معاقبهم على ذلك عقوبتهم التى هم أهلها وما كان شركهم وفريتهم على الله لتزول منه الجبال بل ما ضر وا بذلك الا أنفسهم ولا عادت بغية مكره هم الا عليهم حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا وكيع بن الجراح قال ثنا الأعمش عن شمر عن على قال الغدر مكر والمكر كفر ❊ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ان الله عزيز ذو انتقام ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فلا تحسبن الله مخلف وعده الذى وعدهم من كذبهم وجحد ما أتوهم به من عنده وانما قاله تعالى ذكره لنبيه تثبيتا وتشديدا لعزيمته ومعرفه أنه منزل من سخطه بمن كذبه وجحد نبوته ورد عليه ما أتاه به من عند الله مثال ما أنزل بمن سلكوا سبيلهم من الامم الذين كانوا قبلهم على مثل منهاجهم من تكذيب رسلهم وجحود نبوتهم ورد ما جاؤهم به من عند الله عليهم وقوله ان الله عزيز ذو انتقام يعنى بقوله ان الله عزيز لا يمتنع منه شئ أراد عقوبته قادر على كل من طلبه لا يفوته بالهرب منه ذو انتقام ممن كفر برسله وكذبهم وجحد نبوتهم وأشرك به واتخذ معه الهاغيره وأضيف قوله مخلف الى الوعد وهو مصدر لانه وقع موقع لاسم ونصب قوله رسله بالمعنى وذلك أن المعنى فلا تحسبن الله مخلف رسله وعده فالوعد وان كان مخفوضا باضافة مخلف اليه ففى معنى النصب وذلك أن الاخلاف يقع على منصوبين مختلفين كقول القائل كسوت عبد الله ثوبا وأدخلته دارا واذا كان الفعل كذلك يقع على منصوبين مختلفين جاز تقديم أيهما قدم وخفض ماولى الفعل الذى هو فى صورة الأسماء ونصب الثانى فيقال أنا مدخل عبد الله الدار وأنا مدخل الدار عبد الله ان قدمت الدار الى المدخل وأخرت عبد الله خفضت الدار اذ أضيف مدخل اليها ونصب عبد الله وان قدم عبد الله اليه وأخرت الدار خفض عبد الله باضافة مدخل اليه ونصب الدار وانما فعل ذلك كذلك لان الفعل أعنى مدخل يعمل فى كل واحد منهما نصبا نحو عمله فى الآخر ومنه قول الشاعر

ترى الثور فيها مدخل الظل رأسه ❊ وسائره باد الى الشمس أجمع

أضاف مدخل الى الظل ونصب الرأس وانما معنى الكلام مدخل رأسه الظل ومنه قول الآخر

فرشنى بخير لا أكون ومدحتى ❊ كناحت يوم صخرة بعسيل

والعسيل الريشة جمع بها الطيب وانما معنى الكلام كناحت صخرة يوما بعسيل وكذلك قول الآخر

رب ابن عم لسليمى مشمعل ❊ طباخ ساعات الكرى زاد الكسل

وانما معنى الكلام طباخ زاد الكسل ساعات الكرى فأما من قرأ ذلك فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله فقد بينا وجه بعده من الصحة فى كلام العرب فى سورة الانعام عند قوله وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع ❊ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار ﴾ يقول تعالى ذكره ان الله ذو انتقام يوم تبدل الارض غير الارض والسموات من مشركى قومك يا محمد من قريش وسائر من كفر بالله وجحد نبوتك ونبوة رسله من قبلك فيوم من صلة الانتقام واختلف فى معنى قوله يوم تبدل الارض غير الارض فقال بعضهم معنى ذلك يوم تبدل الارض التى عليها الناس اليوم فى دار الدنيا غير هذه الارض فتصير أرضا بيضاء كالفضة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى اسحق قال سمعت عمرو بن ميمون يحدث عن عبد الله

والأظهر انتصابه باذكر كما مر فى الوقوف ومعنى قوله (والسموات) أى وتبدل السموات قال أهل اللغة التبديل التغيير وقد يكون فى الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير وفى الأوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا أذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل الى شكل وتفسير ابن عباس يناسب الوجه الثانى قال هى تلك الارض وانما تغير فتسير عنها جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا ترى فيها عوج ولا أمت وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها أبوابا وعن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يبدل الله الارض غير الارض فيبسطها ويمدها مد الاديم العكاظى فلا ترى فيها عوجا ولا أمتا وهذا القول يناسب مذهب الحكماء فى أن الذوات لا يتطرق اليها العدم وانما تعدم صفاتها وأحوالها نعم جوزوا انعدام الصور مع أنها جواهر عندهم وتفسير ابن مسعود يناسب الوجه الأول قال يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطئ عليها أحد خطيئة وعن على كرم الله وجهه تبدل أرضا من فضة وسموات من ذهب وعن الضحاك أرضا من فضة بيضاء كالصحائف وقيل لا يبعد أن يجعل الله الارض جهنم والسموات الجنة (وبرزوا لله) قد ذكرناه فى أول السورة وتخصيص (الواحد القهار) بالموضع تعظيم وتهويل وأنه لا مستغاث وقتئذ الى غيره ولا حكم

أنه قال فى هذه الآية يوم تبدل الارض غير الارض والسموات قال أرض كالفضة نقية لم يسل فيها دم ولم يعمل فيها خطيئة يسمعهم الداعى و ينفذهم البصر حفاة عراة قياما أحسب قال كما خلقوا حتى يلجمهم العرق قياما وحده * قال شعبة ثم سمعته يقول سمعت عمرو بن ميمون ولم يذكر عبد الله ثم عاودته فيه قال حدثنيه هبيرة عن عبد الله حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا يحيى بن عباد قال أخبرنا شعبة قال أخبرنا أبو اسحق قال سمعت عمرو بن ميمون وربما قال قال عبد الله وربما لم يقل فقلت له عن عبد الله قال سمعت عمرو بن ميمون يقول يوم تبدل الارض غير الارض قال أرض كالفضة بيضاء نقية لم يسل فيها دم ولم يعمل فيها خطيئة فينفذهم البصر و يسمعهم الداعى حفاة عراة كما خلقوا قال أراه قال قياما حتى يلجمهم العرق حدثنا الحسن قال ثنا شبابة قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود فى قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات قال تبدل أرضا بيضاء نقية كأنها فضة لم يسفك فيها دم حرام ولم يعمل فيها خطيئة حدثنى المثنى قال ثنا مسلم بن ابراهيم قال أخبرنا شعبة عن أبى اسحق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله فى قوله يوم تبدل الارض غير الارض قال أرض الجنة بيضاء نقية لم يعمل فيها خطيئة يسمعهم الداعى و ينفذهم البصر حفاة عراة قياما يلجمهم العرق حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن عمرو بن ميمون يوم تبدل الارض غير الارض قال أرض بيضاء كالفضة لم يسفك فيها دم حرام ولم يعمل فيها خطيئة حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا يحيى بن عباد قال ثنا حماد بن زيد قال أخبرنا عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود أنه تلا هذه الآية يوم تبدل الارض غير الارض والسموات و برزوا لله الواحد القهار قال يجاء بأرض بيضاء كأنها سبيكة فضة لم يسفك فيها دم ولم يعمل عليها خطيئة قال فأول ما يحكم بين الناس فيه فى الدماء حدثنا أبو كريب قال ثنا معاوية بن هشام عن سنان عن جابر الجعفى عن أبى جبيرة عن زيد قال أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليهود فقال هل تدرون لم أرسلت اليهم قالوا الله ورسوله أعلم قال فانى أرسلت اليهم أسألهم عن قول الله يوم تبدل الارض غير الارض انها تكون يومئذ بيضاء مثل الفضة فلما جاؤا سألهم فقالوا تكون بيضاء مثل النقى حدثنا أبو اسمعيل الترمذى قال ثنا أبو صالح قال ثنى ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن سنان بن سعد عن أنس بن مالك أنه تلا هذه الآية يوم تبدل الارض غير الارض قال يبدلها الله يوم القيامة بأرض من فضة لم يعمل عليها الخطايا ينزل عليها الجبار تبارك وتعالى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله يوم تبدل الارض غير الارض قال أرض كأنها الفضة زاد الحسن فى حديثه عن شبابة والسموات كذلك أيضا كأنها الفضة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد يوم تبدل الارض غير الارض قال أرض كأنها الفضة والسموات كذلك أيضا حدثنا ابن البرقى قال ثنا ابن أبى مريم قال أخبرنا محمد بن جعفر قال ثنى أبو حازم قال سمعت سهل بن سعد يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقى قال سهل أو غيره ليس فيها معلم لغيره * وقال آخرون تبدل نارا ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن فضيل عن الاعمش عن المنهال بن عمرو عن قيس بن السكن قال قال عبد الله الارض

يومئذ لأحد الا له يتفرد فى حكمه و يقهر ما سواه ومن نتائج قهره قوله (وترى المجرمين يومئذ مقرنين) قرن بعضهم مع بعض لان الجنسية علة الضم أو مع الشياطين الذين أضلوهم قالت الحكماء هى الملكات الذميمة والعقائد الفاسدة التى اكتسبوها فى تعلق الابدان وقوله (فى الاصفاد) أى القيود اما أن يتعلق بمقرنين واما أن يكون وصفا مستقلا أى مقرنين مصفدين وقيل الاصفاد الاغلال والمعنى قرنت أيديهم وأرجلهم الى رقابهم بالاغلال وحظ العقل فيه أن الملكات الحاصلة فى جوهر النفس انما تحصل بتكرير الافعال الصادرة من الجوارح والاعضاء (سرابيلهم) جمع سربال وهو القميص (من قطران) هو ما يتحلب أى يسيل من شجر يسمى الابهل فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحره وحدته وقد تبلغ حرارته الجوف ومن شأنه أن يسرع فيه اشتعال النار وقد يستسرج به وهو أسود اللون منتن الريح فيطلى به جلود أهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل فيجمع عليهم اللذع والحرقة والاشتعال والسواد والنتن على أن التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين والوجه العقلى فيه أن البدن بمنزلة القميص للنفس وكل ما يحصل للنفس من الآلام والغموم فانما

كلها نار يوم القيامة والجنة من ورائها ترى أكوابها وكواعبها والذى نفس عبدالله بيده ان الرجل ليفيض عرقا حتى يرشح فى الارض قدمه ثم يرتفع حتى يبلغ أنفه وما مسه الحساب فقالوا مم ذاك يا ابا عبد الرحمن قال مما يرى الناس ويلقون حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا أبو سفيان عن الاعمش عن خيثمة قال قال عبدالله الارض كلها يوم القيامة نار والجنة من ورائها ترى كواعبها وأكوابها ويلجم الناس العرق أو يبلغ منهم العرق ولم يبلغوا الحساب * وقال آخرون بل تبدل الارض أرضا من فضة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت المغيرة بن مالك يحدث عن المجاشع أو المجاشعى شك أبو موسى عمن سمع عليا يقول فى هذه الآية يوم تبدل الارض غير الارض قال الارض من فضة والجنة من ذهب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن شعبة عن المغيرة بن مالك قال ثنى رجل من بنى مجاشع يقال له عبد الكريم أو ابن عبد الكريم قال ثنى هذا الرجل أراه بسمرقند أنه سمع على بن أبى طالب قرأ هذه الآية يوم تبدل الارض غير الارض قال الارض من فضة والجنة من ذهب حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن شعبة عن مغيرة بن مالك عن رجل من بنى مجاشع يقال له عبد الكريم أو يكنى أبا عبد الكريم قال أقامنى على رجل بخراسان فقال حدثنى هذا أنه سمع على بن أبى طالب فذكر نحوه حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يوم تبدل الارض غير الارض الآية فزعم أنها تكون فضة حدثنا محمد بن اسمعيل قال ثنا أبو صالح قال ثنى ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن سنان بن سعد عن أنس بن مالك قال يبدلها الله يوم القيامة بأرض من فضة . وقال آخرون يبدلها خبزة ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو سعد سعيد بن دل من صغانيان قال ثنا الجارود بن معاذ الترمذى قال ثنا وكيع بن الجراح عن عمر بن بشر الهمدانى عن سعيد بن جبير فى قوله يوم تبدل الارض غير الارض قال تبدل خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا وكيع عن أبى معشر عن محمد بن كعب القرظى أو عن محمد بن قيس يوم تبدل الارض غير الارض قال خبزة يأكل منها المؤمنون من تحت أقدامهم * وقال آخرون تبدل الارض غير الارض ذكر من قال ذلك حدثنا على بن سهل قال ثنا حجاج بن محمد قال ثنا أبو جعفر عن الربيع بن أنس عن كعب فى قوله يوم تبدل الارض غير الأرض والسموات قال تصير السموات جنانا ويصير مكان البحر النار قال وتبدل الارض غيرها حدثنا أبو كريب قال ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربى عن اسمعيل بن رافع المدنى عن يزيد عن رجل من الانصار عن محمد ابن كعب القرظى عن رجل من الانصار عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يبدل الله الارض غير الارض والسموات فيبسطها ويسطحها ويمدها مد الاديم العكاظى لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ثم يزجر الله الخلق زجرة فاذا هم فى هذه المبدلة فى مثل مواضعهم من الاولى ما كان فى بطنها فى بطنها وما كان على ظهرها كان على ظهرها وذلك حين يطوى السموات كطى السجل للكتاب ثم يدحو بهما ثم تبدل الارض غير الارض والسموات حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو بن قيس عن أبى اسحق عن عمرو بن ميمون الاودى قال يجمع الناس يوم القيامة فى أرض بيضاء لم يعمل فيها خطيئة مقدار أربعين سنة يلجمهم العرق . وقالت عائشة فى ذلك ما حدثنا ابن أبى الشوارب وحميد بن مسعدة وابن بزيع قالوا ثنا يزيد بن

يحصل بسبب هذا البدن فلهذا البدن لذع وحرقة فى جوهر النفس بنفوذ الشهوة والحرص والغضب وسائر آثار الملكات الردية فيه ومن قرأ من قطر آن فالقطر النحاس والصفر المذاب والآنى المتناهى حره قال ابن الانبارى وتلك النار لا تبطل ذلك السربال ولا تفنيه كما لا تهلك النار أجسادهم والاغلال التى كانت عليهم (وتغشى وجوههم النار) خص الوجه بالذكر لانه أعز موضع فى ظاهر البدن وأشرفه فعبر به عن الكل قوله (ليجزى) اللام متعلقة بتغشى أو بجميع ما ذكر كأنه قيل يفعل بالمجرمين ما يفعل ليجزى (الله كل نفس ما كسبت) قال الواحدى أراد نفوس الكفار لأن ما سبق لا يليق الا بهم ويحتمل أن يراد كل نفس مجرمة ومطيعة لانه تعالى اذا عاقب المجرمين لاجرامهم علم أنه يثيب المطيعين لطاعتهم ثم أشار الى القرآن أو الى ما فى السورة أو الى ما مر من قوله ولا تحسبن الله غافلا الى ههنا فقال (هذا بلاغ) كفاية (للناس) فى التذكير والموعظة لينصحوا (ولينذروا به) بهذا البلاغ ثم رمز الى استكمال القوة النظرية بقوله (وليعلموا أنما هو اله واحد) والى استكمال القوة العملية بقوله (وليذكر أولو الالباب) لانهم اذا خافوا ما أنذروا به دعتهم المخافة الى استكمال النفس بحسب القوتين والله ولى التوفيق

زريع عن داود عن عامر عن عائشة قالت قلت يارسول الله اذا بدلت الارض غير الارض وبرزوا لله الواحد القهار أين الناس يومئذ قال على الصراط حدثنا حميد بن مسعدة وابن بزيع قالا ثنا بشر بن المفضل قال ثنا داود عن عامر عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثني اسحق بن شاهين قال ثنا خالد عن داود عن عامر عن مسروق قال قلت لعائشة ياأم المؤمنين أرأيت قول الله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار أين الناس يومئذ فقالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال على الصراط حدثنا ابن المثنى قال ثنا الحسن بن عنبسة الوراق قال ثنا عبد الرحيم يعني ابن سليمن الرازى عن داود بن أبي هند عن عامر عن مسروق عن عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله يوم تبدل الارض غير الارض قلت يارسول الله اذا بدلت الارض غير الارض أين يكون الناس قال على الصراط حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عاصم بن على قال ثنا اسمعيل بن زكريا عن داود عن عامر عن مسروق عن عائشة بنحوه حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن عامر عن عائشة أم المؤمنين قالت أنا أول الناس سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية ثم ذكر نحوه حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا ربعي بن ابراهيم الاسدى أخو اسمعيل ابن ابراهيم عن داود بن أبي هند عن عامر قال قالت عائشة يارسول الله أرأيت اذا بدلت الارض غير الارض أين الناس يومئذ قال على الصراط حدثنا الحسن قال ثنا على بن الجعد قال أخبرني القاسم قال سمعت الحسن قال قالت عائشة يارسول الله يوم تبدل الارض غير الارض فأين الناس يومئذ قال ان هذا الشئ ماسألني عنه أحد قال على الصراط ياعائشة حدثنا الحسن قال ثنا عبد الرحمن بن ابراهيم قال ثنى الوليد عن سعيد عن قتادة عن حسان بن بلال المزنى عن عائشة انها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله يوم تبدل الارض غير الأرض والسموات قال قالت يارسول الله فأين الناس يومئذ قال لقد سألتني عن شئ ماسألني عنه أحد من أمتي ذلك اذا الناس على جسر جهنم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يوم تبدل الارض غير الارض والسموات ذكر لنا أن عائشة قالت يارسول الله فأين الناس يومئذ فقال لقد سألت عن شئ ماسألني عنه أحد من أمتي قبلك قال هم يومئذ على جسر جهنم حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أن عائشة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه الا أنه قال على الصراط حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن يحيى بن أبي كثير عن أسماء عن ثوبان قال سأل حبر من اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أين الناس يوم تبدل الارض غير الارض قال هم في الظلمة دون الجسر حدثني محمد بن عون قال ثنا أبو المغيرة قال ثنا ابن أبي مريم قال ثنا سعيد بن ثوبان الكلاعي عن أبي أيوب الانصارى قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم حبر من اليهود وقال أرأيت اذ يقول الله في كتابه يوم تبدل الارض غير الارض والسموات فأين الخلق عند ذلك قال أضياف الله فلن يعجزهم مالديه وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال معناه يوم تبدل الارض التي نحن عليها اليوم يوم القيامة غيرها وكذلك السموات اليوم تبدل غيرها كما قال جل ثناؤه وجائز أن تكون المبدلة أرضا أخرى من فضة وجائز أن تكون نارا وجائز أن تكون خبزا وجائز أن تكون غير ذلك ولا خبر في ذلك عندنا من الوجه الذي يجب التسليم له أي ذلك يكون فلا قول في ذلك يصح الا ما دل عليه ظاهر التنزيل

(التأويل) واذ قال ابراهيم الروح رب اجعل بلد القلب آمنا من وسوسة الشيطان وهواجس النفس وآفات الهوى واجنبني وبني هم الفؤاد والسر والخفي أن نعبد الاصنام وهو كل ماسوى الله فصنم النفس الدنيا وصنم القلب العقبى وصنم الروح الدرجات العلى وصنم السر العرفان والقربات وصنم الخفي الركون الى المكاشفات والمشاهدات وأنواع الكرامات ومن عصاني فانك غفور فيه نكتتان احداهما لم يقل ومن عصاك اشارة الى أن عصيان الله لايستحق المغفرة والرحمة والثانية لم يقل فأنا أغفره وأرحم عليه لأن عالم الطبيعة البشرية يقتضي المكافأة وانما المغفرة والرحمة من شأن الغني المطلق أسكنت من ذريتي هم صفات الروح والعقل والسر والخفي بواد غير ذي زرع وهو وادى النفس عند بيتك المحرم على ما سواك وهو كعبة القلب حرام أن يكون بيتا لغير الله لايسعني أرضي ولاسمائي وانما يسعني قلب عبدي المؤمن وفيه أنه توسل في اجابة الدعاء بمحمد صلى الله عليه وسلم وكأنه قال ان ضيعت هاجر واسمعيل فقد ضيعت محمدا وفي قوله ليقيموا الصلاة اشارة الى أنه لولا تعلق الروح بالجسد وحواوله

* و بنحو ما قلنا فى معنى قوله والسموات قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد يوم تبدل الارض غير الارض قال أرضا كأنها الفضة والسموات كذلك أيضا وقوله وبرزوا لله الواحد القهار يقول وظهروا لله المنفرد بالربوبية الذى يقهر كل شئ فيغلبه و يصرفه لما يشاء كيف يشاء فيحيى خلقه اذا شاء ويميتهم اذا شاء لا يغلبه شئ ولا يقهره من قبورهم أحياء لموقف القيامة ∴ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وترى المجرمين يومئذ مقرنين فى الاصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ليجزى الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب﴾ يقول تعالى ذكره وتعاين الذين كفروا بالله فاجترموا فى الدنيا الشرك يومئذ يعنى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات مقرنين فى الاصفاد يقول مقرنة أيديهم وأرجلهم الى رقابهم بالاصفاد وهى الوثاق من غل وسلسلة واحدها صفد يقال منه صفدته فى الصفد صفدا وصفادا والصفاد القيد ومنه قول عمرو بن كلثوم

فآبوا بالنهاب وبالسبايا ... وأبنا بالملوك مصفدينا

ومن جعل الواحد من ذلك صفادا جمعه صفدا لا أصفادا وأما من العطاء فانه يقال منه أصفدته اصفادا كما قال الاعشى

تضيفته يوما فأكرم مجلسى * وأصفدنى عند الزمانة قائدا

وقد قيل فى العطاء أيضا صفدنى صفدا كما قال النابغة الذبيانى

هذا الثناء فان تسمع لقائله ... فما عرضت أبيت اللعن بالصفد

و بنحو الذى قلنا فى معنى قوله مقرنين فى الاصفاد قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنى عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله مقرنين فى الاصفاد يقول فى وثاق حدثنى محمد بن عيسى الدامغانى قال ثنا ابن المبارك عن جويبر عن الضحاك قال الاصفاد السلاسل حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مقرنين فى الاصفاد قال مقرنين فى القيود والاغلال حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا على بن هاشم بن البريد قال سمعت الاعمش يقول الصفد القيد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله مقرنين فى الاصفاد قال صفدت فيها أيديهم وأرجلهم ورقابهم والأصفاد الاغلال وقوله سرابيلهم من قطران يقول قمصهم التى يلبسونها واحدها سربال كما قال امرؤ القيس

* لعرب تلبسنى اذا قت سربالى *

حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله سرابيلهم من قطران قال السرابيل القمص وقوله من قطران يقول من القطران الذى يهنأ به الابل وفيه لغات ثلاث يقال قطران وقطران بفتح القاف وتسكين الطاء منه وقيل ان عيسى بن عمر كان يقرأ من قطران بكسر القاف وتسكين الطاء ومنه قول أبى النجم

جون كأن العرق المنتوحا ... لبسه القطران والمسوحا

بكسر القاف وقال أيضا

كأن قطرانا اذا تلاها ... ترمى به الريح الى مجراها

بالكسر * و بنحو ما قلنا فى ذلك يقول من قرأ ذلك كذلك ذكر من قال ذلك حدثنا

بأرض القالب لم يمكن استكمال الروح بالأعمال البدنية وأنه لولا غرض هذا الاستكمال لم يحصل ذلك التعلق فاجعل أفئدة الصفات الناسوتية تهوى الى الصفات الروحانية وارزقهم من ثمرات الصفات اللاهوتية لعلهم يشكرون هذه النعمة الجسيمة التى ليس ينالها الملائكة المقربون وفى هذا سر عظيم لا يمكن افشاؤه ربنا انك تعلم ما نخفى من حقائق الدعاء وما نعلن من ظاهر القصة وما يخفى على الله من شئ فى أرض المعاملات الصورية ولا فى سماء القلوب من الغيوب على الكبر أى بعد تعلق الروح بالقالب اسمعيل السر واسحق الخفى مقيم الصلاة دائم العروج فان الصلاة معراج المؤمن ربنا اغفر لى استرنى وامحنى بصفة معرفتك ولوالدى من الآباء العلوية والامهات السفلية لئلا يحجبونى عن رؤيتك يوم يقوم حسابك بكالية كل نفس ونقصانها لأكون فى حساب الكاملين لا فى حساب الناقصين ولا تحسبن أى لم يكن الله غافلا فى الازل بل الكل بقضائه وقدره وانما يؤخرهم

الحسن بن محمد قال ثنا عبدالوهاب عن سعيد عن قتادة عن الحسن من قطران يعنى
الخضخاض هناء الابل حدثنا محمد بن عبدالاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن
من قطران قال قطران الابل * وقال بعضهم القطران النحاس ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم
قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال قطران نحاس قال ابن
جريج قال ابن عباس من قطران نحاس حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا
أبو سفيان عن معمر عن قتادة من قطران قال هى نحاس وبهذه القراءة أعنى بفتح القاف وكسر
الطاء وتصيير ذلك كله كلمة واحدة قرأ ذلك جميع قراء الامصار وبها نقرأ لاجماع الحجة من
القراء عليه وقد روى عن بعض المتقدمين أنه كان يقرأ ذلك من قطرآن بفتح القاف وتسكين
الطاء وتنوين الراء وتصيير آن من نعته وتوجيه معنى القطر الى أنه النحاس ومعنى الآن الى أنه
الذى قد انتهى حره فى الشدة وممن كان يقرأ ذلك كذلك فيما ذكر لنا عكرمة مولى ابن عباس
حدثنى بذلك أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين
عنه * ذكر من تأول ذلك على هذه القراءة التأويل الذى ذكرت فيه حدثنا ابن حميد قال
ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد فى قوله سرابيلهم من قطرآن قال قطر والآن الذى قد انتهى
حره حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا داود بن مهران عن يعقوب عن جعفر عن سعيد
ابن جبير بنحوه حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا هشام قال ثنا يعقوب
القمى عن جعفر عن سعيد بنحوه حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبدالرحمن
ابن أبى حماد قال ثنا يعقوب القمى عن جعفر عن سعيد بن جبير أنه كان يقرأ سرابيلهم
من قطرآن حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عفان قال ثنا المبارك بن فضالة قال
سمعت الحسن يقول كانت العرب تقول للشئ اذا انتهى حره قد أنى حره هذا قد أوقدت عليه جهنم
منذ خلقت فأنى حرها حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبدالرحمن بن سعد
قال ثنا أبو جعفر عن الربيع بن أنس فى قوله سرابيلهم من قطرآن قال القطر النحاس والآن
يقول قد أنى حره وذلك أنه يقول حميم آن حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عفان بن مسلم
قال ثنا ثابت بن يزيد قال ثنا هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس فى هذه الآية
سرابيلهم من قطرآن قال من نحاس قال آن أنى لهم أن يعذبوا به حدثنى المثنى قال ثنا عمرو
ابن عون قال أخبرنا هشيم عن حصين عن عكرمة فى قوله من قطرآن قال الآنى الذى قد انتهى
حره حدثنى المثنى قال ثنا عبدالله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس
قوله من قطرآن قال هو النحاس المذاب حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عبدالوهاب بن
عطاء عن سعيد عن قتادة من قطرآن يعنى الصفر المذاب حدثنا محمد بن عبدالأعلى قال
ثنا محمد بن ثور عن قتادة سرابيلهم من قطرآن قال من نحاس حدثنى المثنى قال ثنا
اسحق قال ثنا هشام قال ثنا أبو حفص عن هرون عن قتادة أنه كان يقرأ من قطرآن قال
من صفر قد انتهى حره وكان الحسن يقرؤها من قطران وقوله وتغشى وجوههم النار يقول وتلفح
وجوههم النار فتحرقها ليجزى الله كل نفس ما كسبت يقول فعل الله ذلك بهم جزاء لهم بما كسبوا
من الآثام فى الدنيا كيما يثيب كل نفس بما كسبت من خير وشر فيجزى المحسن باحسانه
والمسئ باساءته ان الله سريع الحساب يقول ان الله عالم بعمل كل عامل فلا يحتاج فى احصاء
أعمالهم الى عقد كف ولا معاناة وهو سريع حسابه لأعمالهم قد أحاط بها علما لا يعزب عنه منها
شئ وهو مجازيهم على جميع ذلك صغيره وكبيره ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ هذا بلاغ

ليبلغوا الى ما قدر لهم من الاعمال
فانها مودعة فى الاعمار وبذلك
يصل كل من أهل السعادة
والشقاوة الى منازلهم ما لكم من
زوال فيه من ابطال مذهب
التناسخية زعموا أن نفوسهم لا تزال
تتعلق بالابدان وسكنتم فى
مساكن الذين ظلموا تعلقتم بأبدان
مثل أبدانهم منهمكين فى ظلمات
الاخلاق الذميمة وعندالله مقدار
مكرهم وان كان مكرهم بحيث
يؤثر فى ازالة الجبال عن أماكنها
ولكنه لا تحرك شعرة الا باذن الله
بقضائه يوم تبدل أرض البشرية
بأرض القلوب فتضمحل ظلماتها
بأنوار القلوب وتبدل سموات الاسرار
بسموات الارواح فان شموس
الارواح اذا تجلت لكواكب
الاسرار انمحت أنوار كواكبها
بسطوة أشعة شموسها بل تبدل
أرض الوجود المجازى عند اشراق
تجلى أنوار هويته بحقائق أنوار
الوجود الحقيقى كما قال وأشرقت
الارض بنور ربها وحينئذ برزوا

الناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو اله واحد وليذكر أولوا الالباب﴾ يقول تعالى ذكره هذا القرآن بلاغ للناس أبلغ الله به اليهم فى الحجة عليهم وأعذر اليهم بما أنزل فيه من مواعظه وعبره ولينذروا به يقول ولينذروا عقاب الله ويحذروا به نقماته أنزله الى نبيه صلى الله عليه وسلم وليعلموا أنما هو اله واحد يقول وليعلموا بما احتج به عليهم من الحجج فيه أنما هو اله واحد لا آلهة شتى كما يقوله المشركون بالله وأن لا اله الا هو الذى له ما فى السموات وما فى الارض الذى سخر لهم الشمس والقمر والليل والنهار وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لهم وسخر لهم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لهم الانهار وليذكر أولو الالباب يقول وليتذكر فيتعظ بما احتج الله به عليه من حججه التى فى هذا القرآن فينزجر عن أن يجعل معه الها غيره ويشرك فى عبادته شيأ سواه أهل الحجى والعقول فانهم أهل الاعتبار والادكار دون الذين لا عقول لهم ولا أفهام فانهم كالأنعام بل هم أضل سبيلا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله هذا بلاغ للناس قال القرآن ولينذروا به قال بالقرآن وليعلموا أنما هو اله واحد وليذكر أولو الالباب ۞ آخر تفسير سورة ابراهيم صلى الله عليه وآله وسلم والحمد لله رب العالمين

۞ (تم الجزء الثالث عشر من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ويليه الجزء الرابع عشر أوله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين﴾)

لله الواحد القهار فان شموس الارواح تصير مقهورة فى تجلى نور الالوهية وترى المجرمين يوم التجلى مقرنين فى قيود الصفات الذميمة لا يستطيعون البروز لله سرابيلهم من قطران المعاصى وظلمات النفوس فهم محجوبون بهما عن الله وتغشى وجوههم نار الحسرة والقطيعة هذا بلاغ للناس الذين نسوا عالم الوحدة ولينذروا به قبل المفارقة فان الانتباه بالموت لا ينفع وليعلموا أنما هو اله واحد فيعبدوه ولا يتخذوا الها غيره من الدنيا والهوى والشيطان وليذكر أولو الالباب عالم الشهود فيخرجوا من قشر الوجود والله أعلم

(فهرست الجزء الثالث عشر من تفسير الامام ابن جرير الطبري)

(تم فهرست الجزء الثالث عشر من تفسير ابن جرير الطبري)

(فهرست الجزء الثالث عشر من تفسير النيسابوري الموضوع بهامش الجزء الثالث عشر من تفسير ابن جرير)

(تم فهرست الجزء الثالث عشر من تفسير النيسابوري)

الجـــزء الرابع عشر

من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن تأليف
الامام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت
الأئمة على تقدمه في التفسير أبي جعفر
محمد بن جرير الطبري المتوفى
سنة ٣١٠ هجرية رحمه
الله وأثابه رضاه
آمـــين

﴿ وبهامشه تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين
الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري قدست أسراره ﴾

« في كشف الظنون » قال الامام جلال الدين السيوطي في الاتقان وكتابه
« أي الطبري » أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على
بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفاسير الأقدمين .. وقال النووي
أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري . وعن أبي حامد الاسفرايني أنه
قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اه

﴿ تنبيـــه ﴾

طبعت هذه النسخة بعد تصحيحها على الاصول الموجودة في خزانة الكتبخانة
الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبي الشهير بمصر ونجله
حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا وإياهما لما يحبه ويرضاه

﴿ الطبعـــة الاولى ﴾

بالمطبعة الكبرى الأميريه ببولاق مصر المحميه

ســـنة ١٣٢٨ هجريه

﴿ تفسير سورة الحجر ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ﴾ أما قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه الر فقد تقدم بيانها فيما مضى قبل وأما قوله تلك آيات الكتاب فانه يعنى هذه الآيات آيات الكتب التى كانت قبل القرآن كالتوراة والانجيل وقرآن يقول وآيات قرآن مبين يقول يبين من تأمله وتدبره رشده وهداه كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقرآن مبين قال تبين والله هداه ورشده وخيره حدثنا المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن مجاهد الر فواتح يفتتح بها كلامه تلك آيات الكتاب قال التوراة والانجيل حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا هشام عن عمرو عن سعيد عن قتادة فى قوله الر تلك آيات الكتاب قال الكتب التى كانت قبل القرآن القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله ربما فقرأت ذلك عامة قراء أهل المدينة وبعض الكوفيين ربما بتخفيف الباء وقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة بتشديدها * والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال انهما قراءتان مشهورتان ولغتان معروفتان بمعنى واحد قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب واختلف أهل العربية فى معنى ما التى مع رب فقال بعض نحويى البصرة أدخل مع رب ما ليتكلم بالفعل بعدها وان شئت جعلت ما بمنزلة شئ فكأنك قلت رب شئ يود أى رب ود يوده الذين كفروا وقد أنكر ذلك من قوله بعض نحويى الكوفة وقال المصدر لا يحتاج الى عائد والود قد

﴿ سورة الحجر مكية بالاجماع وحروفها ألف وسبعمائة وواحد وسبعون وكلماتها ستمائة وأربعة وخمسون وآياتها تسع وتسعون ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون لوما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ولقد أرسلنا من قبلك فى شيع الاولين وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين والارض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شئ موزون وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين

وقع على لو ربما يودون لو كانوا أن يكونوا قال واذا أضمر الهاء في لو ليس بمفعول وهو موضع المفعول ولا ينبغي أن يترجم المصدر بشئ وقد ترجمه بشئ ثم جعله ودا ثم أعاد عليه عائدا فكان الكسائي والفراء يقولان لا تكاد العرب توقع رب على مستقبل وانما يوقعونها على الماضي من الفعل كقولهم ربما فعلت كذا وربما جاءني أخوك قالا وجاء في القرآن مع المستقبل ربما يود وانما جاز ذلك لان ما كان في القرآن من وعد ووعيد وما فيه فهو حق كأنه عيان فجرى الكلام فيما لم يكن بعد منه مجراه فيما كان كما قيل ولو ترى اذ المجرمون ناكسو رؤسهم عند ربهم وقوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت كأنه ماض وهو منتظر لصدقه في المعنى وأنه لا مكذب له وأن القائل لقول اذا نهى أو أمر فعصاه المأمور يقول أما والله لرب ندامة لك تذكر قولي فيها لعلمه بأنه سيندم والله ووعده أصدق من قول المخلوقين وقد يجوز أن يصحب ربما الدائم وان كان في لفظ يفعل يقال ربما يموت الرجل فلا يوجد له كفن وان أوليت الاسماء كان معها ضمير كان كما قال أبو دواد

ربما الجامل المؤبل فيهم * وعناجيج بينهن المهار

فتأويل الكلام ربما يود الذين كفروا بالله فجحدوا وحدانيته لو كانوا في دار الدنيا مسلمين كما حدثنا علي بن سعيد بن مسروق الكندي قال ثنا خالد بن نافع الاشعري عن سعيد بن أبي بردة عن أبي بردة عن أبي موسى قال بلغنا أنه اذا كان يوم القيامة واجتمع أهل النار في النار ومعهم من شاء الله من أهل القبلة قال الكفار لمن في النار من أهل القبلة ألستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما أغنى عنكم اسلامكم وقد صرتم معنا في النار قالوا كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فسمع الله ما قالوا فأمر بكل من كان من أهل القبلة في النار فأخرجوا فقال من في النار من الكفار يا ليتنا كنا مسلمين ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عمرو بن الهيثم أبو قطن القطعي وروح القيسي وعفان بن مسلم واللفظ لابي قطن قالوا ثنا القاسم بن الفضل بن عبد الله بن أبي جروة قال كان ابن عباس وأنس بن مالك يتأولان هذه الآية ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قالا ذلك يوم يجمع الله أهل الخطايا من المسلمين والمشركين في النار وقال عفان حين يحبس أهل الخطايا من المسلمين والمشركين فيقول المشركون ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون زاد أبو قطن قد جمعنا وإياكم وقال أبو قطن وعفان فيغضب الله لهم بفضل رحمته ولم يقله روح بن عبادة وقالوا جميعا فيخرجهم الله وذلك حين يقول الله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حدثنا الحسن قال ثنا عفان قال ثنا أبو عوانة قال ثنا عطاء بن السائب عن مجاهد عن ابن عباس في قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال يدخل الجنة ويرحم حتى يقول في آخر ذلك من كان مسلما فليدخل الجنة قال فذلك قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذلك يوم القيامة يتمنى الذين كفروا لو كانوا موحدين حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء عن عبد الله في قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال هذا في الجهنميين اذا رأوهم يخرجون من النار حدثني المثنى قال أخبرنا مسلم بن ابراهيم قال ثنا القاسم قال ثنا ابن أبي فروة العبدي أن ابن عباس وأنس بن مالك كانا يتأولان هذه الآية ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين يتأولانها يوم

وانا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حما مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حما مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين قال يا ابليس ما لك ألا تكون مع الساجدين قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين قال رب فأنظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الارض ولأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال هذا صراط علي مستقيم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين وان جهنم لموعدهم أجمعين لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم ان المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الاليم

(ق) القراآت ربما بفتح الباء مخففة أبو جعفر ونافع وعاصم غير الشموني وربما بضم الباء خفيفة الشموني الباقون بالفتح والتشديد ما ننزل بالنون الملائكة بالنصب حمزة وعلي وخلف وعاصم غير أبي بكر وحماد ما تنزل بضم التاء وفتح الزاي

يحبس الله أهل الخطايا من المسلمين مع المشركين فى النار قال فيقول لهم المشركون ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون فى الدنيا قال فيغضب الله لهم بفضل رحمته فيخرجهم فذلك حين يقول ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء بن السائب عن مجاهد عن ابن عباس قال ما يزال الله يدخل الجنة ويرحم ويشفع حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فذلك قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن هشام الدستوائى قال ثنا حماد قال سألت ابراهيم عن هذه الآية ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال حدثت أن المشركين قالوا لمن دخل النار من المسلمين ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون قال فيغضب الله لهم فيقول للملائكة والنبيين اشفعوا فيشفعون فيخرجون من النار حتى ان ابليس ليتطاول رجاء أن يخرج معهم قال فعند ذلك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حدثني المثنى قال ثنا حجاج قال ثنا حماد عن ابراهيم أنه قال فى قول الله عز وجل ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال يقول من فى النار من المشركين للمسلمين ما أغنت عنكم لا اله الا الله قال فيغضب الله لهم فيقول من كان مسلما فليخرج من النار قال فعند ذلك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن حماد عن ابراهيم فى قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال ان أهل النار يقولون كنا أهل شرك وكفر فما شأن هؤلاء الموحدين ما أغنى عنهم عبادتهم اياه قال فيخرج من النار من كان فيها من المسلمين قال فعند ذلك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن حماد عن ابراهيم عن خصيف عن مجاهد قال يقول أهل النار للموحدين ما أغنى عنكم ايمانكم قال فاذا قالوا ذلك قال أخرجوا من كان فى قلبه مثقال ذرة فعند ذلك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حدثني المثنى قال ثنا مسلم قال ثنا هشام عن حماد قال سألت ابراهيم عن قول الله عز وجل ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال الكفار يعيرون أهل التوحيد ما أغنى عنكم لا اله الا الله فيغضب الله لهم فيأمر النبيين والملائكة فيشفعون فيخرج أهل التوحيد حتى ان ابليس ليتطاول رجاء أن يخرج فذلك قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عبد السلام عن خصيف عن مجاهد قال هذا فى الجهنميين اذا رأوهم يخرجون من النار يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حدثني المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن عطاء بن السائب عن مجاهد قال اذا فرغ الله من القضاء بين خلقه قال من كان مسلما فليدخل الجنة فعند ذلك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثني الحسن قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال يوم القيامة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عبد الوهاب بن عطاء عن جويبر

المشددة الملائكة بالرفع أبو بكر وحماد الباقون مثله ولكن بفتح التاء ما تنزل بالادغام البزى وابن فليح سكرت خفيفة ابن كثير فتحنا بالتشديد يزيد الريح على التوحيد حمزة وخلف صراط علىّ بكسر اللام ورفع الياء على النعت يعقوب الآخرون على جارا ومجرورا وعيون بكسر العين حمزة وعلى وابن كثير وابن ذكوان والاعشى ويحيى وحماد الباقون بضمها نبئ عبادى مثل نبئنا عبادى أى بالفتح فيهما أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو والآخرون بالاسكان ﴿الوقوف﴾ الر قف نوقى مبين ○ مسلمين ○ يعلمون ○ معلوم ○ وما يستأخرون ○ لمجنون ○ ط لأن التحضيض له صدر الكلام الصادقين ○ منظرين ○ لحافظون ○ الاولين ○ يستهزؤن ○ المجرمين ○ الاولين ○ يعرجون ○ مسحورون ○ للناظرين لا رجيم لا ○ مبين ○ موزون ○ برازقين ○ خزائنه ز لاتفاق الجملتين مع الفصل بين معنى الجمع فى التقدير والتفريق فى التنزيل فأسقيناكموه ج لاحتمال ما بعده الاستئناف أو الحال بخازنين ○ الوارثون ○ المستأخرين ○ يحشرهم ط عليم ○ مسنون ○ ج لاتفاق الجملتين مع تقدم المفعول فى الثانية السموم ○ مسنون ○ ساجدين ○ أجمعون ○ لا الا ابليس ط الساجدين ○ مسنون ○ رجيم ○ الدين ○ يبعثون ○ من المنظرين لا ○ المعلوم ○ أجمعين لا ○ المخلصين ○ مستقيم ○ الغاوين ○ أجمعين ○ أبواب ط مقسوم ○ وعيون ○ لارادة القول بعده آمنين ○ متقابلين ○ بمخرجين ○ الرحيم لا الاليم ○ ﴿التفسير﴾ قال جار الله (تلك) اشارة الى ما تضمنته السورة من الآى والكتاب والقرآن المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم وقال آخرون الكتاب والقرآن المبين هو الكتاب الذى وعد الله محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى تلك الآيات آيات ذلك الكتاب الكامل فى كونه كتابا وفى كونه قرآنا مفيدا للبيان عن ... قوله (ربما يود) فذكر السكاكى أن فيه سبع لغات أخر بعد المشهورة رب بالراء مضمومة والباء مخففة مفتوحة أو مضمومة أو مسكنة ورب بالراء مفتوحة والباء كذلك مشددة وربة بالتاء مفتوحة والباء كذلك أى مفتوحة مخففة أو

عن الضحاك فى قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال فيها وجهان اثنان يقولون اذا حضر الكافر الموت ودّ لو كان مسلما ويقول آخرون بل يعذب الله ناسا من أهل التوحيد فى النار بذنوبهم فيعرفهم المشركون فيقولون ما أغنت عنكم عبادة ربكم وقد ألقاكم فى النار فيغضب لهم فيخرجهم فيقول ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية فى قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال نزلت فى الذين يخرجون من النار حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وذلك والله يوم القيامة ودّوا لو كانوا فى الدنيا مسلمين حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين (١) حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن مجاهد عن ابن عباس قال ما يزال الله يدخل الجنة ويشفع حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فذلك حين يقول ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ❊ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ذر يا محمد هؤلاء المشركين يأكلوا فى هذه الدنيا ما هم آكلوه ويتمتعوا من لذاتها وشهواتهم فيها الى أجلهم الذى أجلت لهم ويلههم الأمل عن الأخذ بحظهم من طاعة الله فيها وتزوّدهم لمعادهم منها بما يقربهم من ربهم فسوف يعلمون غدا اذا وردوا عليه وقد هلكوا على كفرهم بالله وشركهم حين يعاينون عذاب الله أنهم كانوا من تمتعهم بما كانوا يتمتعون فيها من اللذات والشهوات كانوا فى خسار وتباب ❊ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم﴾ يقول تعالى ذكره وما أهلكنا يا محمد من أهل قرية من أهل القرى التى أهلكنا أهلها فيما مضى الا ولها كتاب معلوم يقول الا ولها أجل مؤقت ومدة معروفة لا نهلكهم حتى يبلغوها فاذا بلغوها أهلكناهم عند ذلك فيقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فكذلك أهل قريتك التى أنت منها وهى مكة لا نهلك مشركى أهلها الا بعد بلوغ كتابهم أجله لأن من قضائى أن لا أهلك أهل قرية الا بعد بلوغ كتابهم أجله ❊ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون﴾ يقول تعالى ذكره ما يتقدم هلاك أمة قبل أجلها الذى جعله الله أجلا لهلاكها ولا يستأخر هلاكها عن الأجل الذى جعل لها أجلا كما حدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى فى قوله ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون قال نرى أنه اذا حضر أجله فانه لا يؤخر ساعة ولا يتقدم وأما ما لم يحضر أجله فان الله يؤخر ما شاء ويقدم ما شاء ❊ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون لو ما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين﴾ يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء المشركون لك من قومك يا محمد يا أيها الذى نزل عليه الذكر وهو القرآن الذى ذكر الله فيه مواعظ خلقه انك لمجنون فى دعائك ايانا الى أن نتبعك ونذر آلهتنا لو ما تأتينا بالملائكة قالوا هلا تأتينا بالملائكة شاهدة لك على صدق ما تقول ان كنت من الصادقين يعنى ان كنت صادقا فى أن الله تعالى بعثك الينا رسولا وأنزل عليك كتابا فان الرب الذى

(١) أى بمثل حديث بشر قبله فتنبه كتبه مصححه

مشددة وانما دخل على المضارع مع أنه مختص بالماضى لان المترقب فى أخبار الله بمنزلة الماضى المقطوع به فى تحققه فكأنه قيل ربما ود وماهذه كافة أى تكف رب عن العمل فتهيأ بذلك للدخول على الفعل وقيل ان ما بمعنى شئ أى رب شئ يوده الذين كفروا ورب للتقليل فأورد عليه أن تمنيهم يكثر ويتواصل فما معنى التقليل وأجيب بانه على عادة العرب اذا أرادوا التكثير ذكروا لفظا وضع لأجل التقليل كما اذا أرادوا اليقين ذكروا لفظا وضع للشك والمقصود اظهار الترفع والاستغناء عن التصريح بالتعريض فيقولون ربما ندمت على ما فعلت ولعلك تندم على فعلك وان كان العلم حاصلا بكثرة الندم ووجوده بغير شك أرادوا لو كان الندم قليلا أو مشكوكا فيه لحق عليك أن لا تفعل هذا الفعل لان العقلاء يتحرزون من الغم القليل كما يحذرون من الكثير ومن الغم المظنون كما من المتيقن فمعنى الآية لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة كان جديرا بالمسارعة اليه فكيف وهم يودونه فى كل ساعة وقوله (لو كانوا مسلمين) اخبار عن ودادتهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل لو كنا مسلمين جاز من حيث العربية كقولك حلف بالله لا فعلن ومتى تكون هذه الودادة قال الزجاج ان الكافر كلما رأى حالا من أحوال العذاب أو رأى حالا من أحوال المسلم ود لو كان مسلما وعلى هذا فقد قيل فى وجه التقليل ان العذاب يشغلهم عن تمنى ذلك الا فى القليل وقال الضحاك هى عند الموت اذا شاهد أمارات العذاب وقيل اذا اسودت وجوههم وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة اجتمع أهل النار ومعهم من شاء الله من أهل القبلة فقال الكفار لهم ألستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما أغنى عنكم اسلامكم وقد صرتم معنا فى النار فيغضب الله لهم فيأمر بكل من كان من أهل القبلة بالخروج فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية وروى مجاهد عن ابن عباس أنه قال ما يزال الله يرحم المؤمنين ويخرجهم من النار ويدخلهم الجنة بشفاعة الملائكة والانبياء حتى انه تعالى فى آخر الامر يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فهنالك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين (ذرهم)

فعل ما تقول بك لا يتعذر عليه ارسال ملك من ملائكته معك حجة لك علينا وآية لك على نبوتك وصدق مقالتك والعرب تضع موضع لوما لولا وموضع لولا لوما من ذلك قول ابن مقبل

لوما الحياء ولوما الدين عبتكما * ببعض ما فيكما اذ عبتما عورى

يريد لولا الحياء وبنحو الذى قلنا فى معنى الذكر قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك نزل عليه الذكر قال القرآن

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله ما ننزل الملائكة فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة ما تنزل الملائكة بالتاء من تنزل وفتحها ورفع الملائكة بمعنى ما تنزل الملائكة على أن الفعل للملائكة وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة ما ننزل الملائكة بالنون فى ننزل وتشديد الزاى ونصب الملائكة بمعنى ما ننزلها نحن والملائكة حينئذ منصوب بوقوع ننزل عليها وقرأه بعض قراء أهل الكوفة ما تنزل الملائكة برفع الملائكة والتاء فى تنزل وضمها على وجه ما لم يسم فاعله قال أبو جعفر وكل هذه القراآت الثلاث متقاربات المعانى وذلك أن الملائكة اذا نزلها الله على رسول من رسله تنزلت اليه واذا تنزلت اليه فانما تنزل بانزال الله اياها اليه فبأى هذه القراآت الثلاث قرأ ذلك القارئ فمصيب الصواب فى ذلك وان كنت أحب لقارئه أن لا يعدو فى قراءته احدى القراءتين اللتين ذكرت من قراءة أهل المدينة والاخرى التى عليها جمهور قراء الكوفيين لان ذلك هو القراءة المعروفة فى العامة والاخرى أعنى قراءة من قرأ ذلك ما تنزل بضم التاء من تنزل ورفع الملائكة شاذة قليل من قرأ بها فتأويل الكلام ما ننزل ملائكتنا الا بالحق يعنى بالرسالة الى رسلنا أو بالعذاب لمن أردنا تعذيبه ولو أرسلنا الى هؤلاء المشركين على ما يسألون ارسالهم معك آية فكفروا لم ينظروا فيؤخروا بالعذاب بل عوجلوا به كما فعلنا ذلك بمن قبلهم من الامم حين سألوا الآيات فكفروا حين أتتهم الآيات فعاجلناهم بالعقوبة وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله ما ننزل الملائكة الا بالحق قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ما ننزل الملائكة الا بالحق قال بالرسالة والعذاب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون﴾ يقول تعالى ذكره انا نحن نزلنا الذكر وهو القرآن وانا له لحافظون قال وانا للقرآن لحافظون من أن يزاد فيه باطل ما ليس منه أو ينقص منه ما هو منه من أحكامه وحدوده وفرائضه والهاء فى قوله له من ذكر الذكر وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى الحسن قال ثنا

شبابة

ظاهره أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه يخليهم وشأنهم فاحتجت الاشاعرة به على أنه سبحانه وتعالى قد يصد عن الايمان و يفعل بالمكلف ما يكون مفسدة فى الدين وقالت المعتزلة ليس هذا اذنا وتجويزا وانما هو تهديد ووعيد وقطع طمع النبى عن ارعوائهم وفيه أنهم من أهل الخذلان ولا يجىء منهم الا ما هم فيه ولا زاجر لهم ولا واعظ الا معاينة ما ينذرون به حين لا ينفعهم الوعظ وفى الآية تنبيه على أن ايثار التلذذ والتنعم وما يؤدى اليه طول الامل ليس من أخلاق المؤمنين (و) معنى (يلههم الامل) يشغلهم الرجاء عن الايمان والطاعة لهيت عن الشئ بالكسر ألهى لهيا اذا سلوت عنه وتركت ذكره وأضربت عنه وألهانى غيره عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم خط خطا وقال هذا الانسان وخط آخر الى جنبه وقال هذا أجله وخط آخر بعيدا منه فقال هذا الامل فبينما هو كذلك اذ جاءه الاقرب (فسوف يعلمون) سوء صنيعهم مزيد تأكيد للتهديد ثم ذكر ما هو نهاية فى الزجر والتحذير فقال (وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب) أى مكتوب (معلوم) وهو أجلها الذى كتب فى اللوح قال جار الله قوله ولها كتاب جملة واقعة صفة لقرية والواو لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف وذكر السكاكى فى المفتاح أن هذا سهو لان الفصل بين الموصوف والصفة لا يجوز ولكن الجملة حال من قرية ومثل هذا جائز ولو كان ذو الحال نكرة محضة كقولك جاءنى رجل وعلى كتفه سيف لعدم التباس الحال بالوصف لمكان الفاصلة بالواو وكيف وقد زادت الفاصلة فى الآية بكلمة الا وذو الحال قريب من المعرفة اذ التقدير وما أهلكنا قرية من القرى من قبل افادة من الاستغراق قال قوم المراد بهذا الهلاك عذاب الاستئصال الذى كان ينزله الله بالمكذبين المعاندين من الامم السالفة وقال آخرون أراد الموت والاول أقرب لانه فى الزجر أبلغ وكأنه قيل ان هذا الامهال لا ينبغى أن يغتر به العاقل فان لكل أمة وقتا معينا فى نزول العذاب لا يتقدم ولا يتأخر وقيل أراد مجموع الامرين قال صاحب النظم اذا كان السبق واقعا على شخص فمعناه جاز وخلف كقولك سبق زيد عمرا أى جازه وخلفه وأنه قصر عنه وما بلغه واذا كان واقعا على زمان فعلى العكس كقولك سبق فلان عام كذا

معناه مضى قبل اتيانه ولم يبلغه فعنى الآية أنه لا يحصل أجل أمة قبل وقته ولا بعده كما في كل حادث وقد مر بحث الأجل في أول سورة الانعام وأنث الامة أولا ثم ذكرها آخرا في قوله (وما يستأخرون) حملا على اللفظ والمعنى وحذف متعلق يستأخرون وهو عنه للعلم به ولما بالغ في تهديد الكفار شرع في تعديد بعض شبههم ومطاعنهم في النبي فالأولى أنهم كانوا يحكون عليه بالجنون لانهم كانوا يسمعون

شبابة قال ثنا ورقاء حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وانا له لحافظون قال عندنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون قال في آية أخرى لا يأتيه الباطل والباطل ابليس من بين يديه ولا من خلفه فأنزله الله ثم حفظه فلا يستطيع ابليس أن يزيد فيه باطلا ولا ينتقص منه حقا حفظه الله من ذلك حدثني محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وانا له لحافظون قال حفظه الله من أن يزيد فيه الشيطان باطلا أو ينقص منه حقا وقيل الهاء في قوله وانا له لحافظون من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم بمعنى وانا لمحمد حافظون ممن أراده بسوء من أعدائه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الاولين وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولقد أرسلنا يا محمد من قبلك في الامم الاولين رسلا وترك ذكر الرسل اكتفاء بدلالة قوله ولقد أرسلنا من قبلك عليه وعنى بشيع الاولين أمم الاولين واحدتها شيعة ويقال أيضا لاولياء الرجل شيعته وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الاولين يقول أمم الاولين حدثني المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا هشام عن عمرو عن سعيد عن قتادة في قوله ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الاولين قال في الامم وقوله وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن يقول وما يأتي شيع الاولين من رسول من الله يرسله اليهم بالدعاء الى توحيده والاذعان بطاعته الا كانوا به يستهزؤن يقول الا كانوا يسخرون بالرسول الذي يرسله الله اليهم عتوا منهم وتمردا على ربهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنة الاولين﴾ يقول تعالى ذكره كما سلكنا الكفر في قلوب شيع الاولين بالاستهزاء بالرسل كذلك نفعل ذلك في قلوب مشركي قومك الذين أجرموا بالكفر بالله لا يؤمنون به يقول لا يصدقون بالذكر الذي أنزل اليك والهاء في قوله نسلكه من ذكر الاستهزاء بالرسل والتكذيب بهم كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج كذلك نسلكه في قلوب المجرمين قال التكذيب حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به قال اذا كذبوا سلك الله في قلوبهم أن لا يؤمنوا به حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن حميد عن الحسن في قوله كذلك نسلكه في قلوب المجرمين قال الشرك حدثني المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد بن سلمة عن حميد قال قرأت القرآن كله على الحسن في بيت أبي خليفة ففسره أجمع على الاثبات فسألته عن قوله كذلك نسلكه في قلوب المجرمين قال أعمال سيعملونها لم يعملوها حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن حماد بن سلمة عن حميد الطويل قال قرأت القرآن كله على

منه صلى الله عليه وسلم ما لا يوافق آراءهم ولا يطابق أهواءهم وانما نادوه بيا أيها الذي نزل عليه الذكر مع أنهم كانوا لا يقرون بنزول الوحي عليه تعكيسا للكلام استهزاء وتهكما أو أرادوا يا أيها الذي نزل عليه الوحي في زعمه واعتقاده وعند أصحابه وأتباعه الثانية (لوما تأتينا بالملائكة) لوما حرف تحضيض مركب من لو المفيدة للتمني ومن ما المزيدة فأفاد المجموع الحث على الفعل الداخل هو عليه والمعنى هلا تأتينا بالملائكة ليشهدوا على صدقك ويعضدوك على انذارك والمراد هلا تأتينا بالملائكة للعذاب ان كنت صادقا في أن تكذيبك يقتضي التعذيب العاجل فأجاب الله سبحانه عن شبههم بقوله (ما ننزل الملائكة الا بالحق) قالت المعتزلة أي تنزيلا متلبسا بالحكمة والمصلحة والغاية الصحيحة ولا حكمة في أن تأتيكم عيانا فان أمر التكليف حينئذ يؤل الى الاضطرار والالجاء ولا فائدة تعود عليكم لانه تعالى يعلم اصراركم على الكفر فيصير انزالهم عبثا أو لا حكمة في انزالهم لانهم لو نزلوا ثم لم يؤمنوا وجب عذاب الاستئصال وذلك قوله (وما كانوا اذا منظرين) فان التكليف يزول عند نزول الملائكة وقد علم الله من المصلحة أن لا يهلك هذه الأمة ويمهلهم لما علم من ايمان بعضهم أو ايمان أولادهم وقالت الاشاعرة الا بالحق أي الا بالوحي أو العذاب قال صاحب النظم لفظ اذن مركبة من اذ بمعنى حين ومن أن الدالة على مجيء فعل بعده خففت الهمزة بحذفها بعد نقل حركتها وكأنه قيل وما كانوا منظرين اذ أن كان ما طلبوا وقال غيره اذن جواب وجزاء تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما أخر عذابهم ثم أنكر على الكفار استهزاءهم في قولهم يا أيها الذي نزل عليه الذكر فقال على سبيل التوكيد (انا نحن نزلنا الذكر) ثم دل على كونه آية منزلة من

عنده فقال (وانا له لحافظون) لانه لو كان من قول البشر أو لم يكن آية لم يبق محفوظا من التغيير والاختلاف وقيل الضمير في له لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله والله يعصمك من الناس والقول الاول أوضح ووجه حفظ القرآن قيل هو جعله معجزا مباينا لكلام البشر حتى لو زادوا فيه شيأ أظهر ذلك للعقلاء ولم يخف

فلذلك بقي مصونا عن التحريف وقيل حفظ بالدرس والبحث ولم يزل طائفة يحفظونه ويدرسونه ويكتبونه في القراطيس باحتياط بليغ وجد كامل حتى ان الشيخ المهيب لو اتفق له لحن في حرف من كتاب الله لقال له بعض الصبيان أخطأت ومن جملة اعجاز القرآن وصدقه أنه سبحانه أخبر عن بقائه محفوظا عن التغيير والتحريف وكان كما أخبر بعد تسعمائة سنة فلم يبق للموحد شك في اعجازه وههنا نكتة هي أنه سبحانه تولى حفظ القرآن ولم يكله الى غيره فبقي محفوظا على مر الدهور بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها وانما استحفظها الربانيين والأحبار فاختلفوا فيما بينهم ووقع التحريف ثم ذكر أن عادة هؤلاء الجهال مع جميع الانبياء كذلك والغرض تسلية النبي صلى الله عليه وسلم وفي الكلام اضمار والتقدير (ولقد أرسلنا من قبلك) رسلا الا أنه حذف ذكر الرسل لدلالة الارسال عليه ومعنى (في شيع الاولين) في أممهم وأتباعهم وقد مر معنى الشيعة في آخر الانعام قال جار الله معنى أرسلنا فيهم جعلناهم رسلا فيما بينهم قال الفراء اضافة الشيع الى الاولين من اضافة الموصوف الى الصفة كقوله حق اليقين وبجانب الغربي وقوله (وما يأتيهم) حكاية حال ماضية وانما كان الاستهزاء بالرسل عادة الجهلة في كل قرن لان الفطام عن المألوف شديد وكون الانسان مسخرا لأمر من هو مثله أو أقل حالا منه في المال والجاه والقبول أشد على أن السبب الكلي فيه هو الخذلان وعدم التوفيق من الله سبحانه ووقوعهم عن مظاهر القهر في الازل قوله (كذلك نسلكه) السلك ادخال الشيء في الشيء كالخيط في المخيط وقالت الاشاعرة الضمير في نسلكه يجب عوده الى أقرب المذكورات وهو الاستهزاء الدال عليه يستهزؤن وأما الضمير في قوله (لا يؤمنون به) فيعود الى الذكر لانه لو عاد الى الاستهزاء

الحسن فما كان يفسره الا على الاثبات قال وقفته على نسلكه قال الشرك قال ابن المبارك سمعت سفيان يقول في قوله نسلكه قال نجعله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به قال هم كما قال الله هو أضلهم ومنعهم الايمان يقال منه سلكه يسلكه سلكا وسلوكا وأسلكه يسلكه اسلاكا ومن السلوك قول عدي بن زيد

وكنت لزاز خصمك (١) لم أعرد ... وقد سلكوك في يوم عصيب

ومن الاسلاك قول الآخر

حتى اذا أسلكوهم في قتائدة ... شلا كما تطرد الجمالة الشردا

وقوله وقد خلت سنة الاولين يقول تعالى ذكره لا يؤمن بهذا القرآن قومك الذين سلكت في قلوبهم التكذيب حتى يروا العذاب الاليم أخذا منهم سنة أسلافهم من المشركين قبلهم من قوم عاد وثمود وضربائهم من الامم التي كذبت رسلها فلم تؤمن بما جاءها من عند الله حتى حل بها سخط الله فهلكت وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنة الاولين وقائع الله فيمن خلا قبلكم من الامم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون) اختلف أهل التأويل في المعنيين بقوله فظلوا فيه يعرجون فقال بعضهم معنى الكلام ولو فتحنا على هؤلاء القائلين لك يا محمد لوما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين بابا من السماء فظلت الملائكة تعرج فيه وهم يرونهم عيانا لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ذكر من قال ذلك حدثني محمد ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون يقول لو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلت الملائكة تعرج فيه لقال أهل الشرك انما أخذ أبصارنا وشبه علينا وانما سحرنا فذلك قولهم لوما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن ابن عباس فظلوا فيه يعرجون فظلت الملائكة يعرجون فيه يراهم بنو آدم عيانا لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون لوما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين قال ما بين ذلك الى قوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون قال رجع الى قوله لوما تأتينا بالملائكة ما بين ذلك قال ابن جريج قال ابن عباس فظلت الملائكة تعرج فنظروا اليهم لقالوا انما سكرت أبصارنا قال قريش تقوله حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون قال قال ابن عباس لو فتح الله عليهم من السماء بابا فظلت الملائكة تعرج فيه يقول يختلفون فيه جائين وذاهبين لقالوا انما سكرت أبصارنا حدثت

(١) التعريد سرعة الذهاب في الهزيمة وسبق في سورة هود لم أعدد بالدال وهو تصحيف فتنبه . مصححه

عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون يعني الملائكة يقول لو فتحت على المشركين بابا من السماء فنظروا الى الملائكة تعرج بين السماء والارض لقال المشركون نحن قوم مسحورون سحرنا وليس هذا بالحق ألا ترى أنهم قالوا قبل هذه الآية لوما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا هشام عن عمرو عن نصر عن الضحاك في قوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون قال لو أني فتحت بابا من السماء تعرج فيه الملائكة بين السماء والارض لقال المشركون بل نحن قوم مسحورون ألا ترى أنهم قالوا لوما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين * وقال آخرون انما عني بذلك بنو آدم ومعنى الكلام عندهم ولو فتحنا على هؤلاء المشركين من قومك يا محمد بابا من السماء فظلوا هم فيه يعرجون لقالوا انما سكرت أبصارنا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون قال قتادة كان الحسن يقول لو فعل هذا ببني آدم فظلوا فيه يعرجون أي يختلفون لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون وأما قوله يعرجون فان معناه يرقون فيه ويصعدون يقال منه عرج يعرج عروجا اذا رقي وصعد وواحدة المعارج معرج ومعراج ومنه قول كثير

الى حسب عود بنا المرء قبله * أبوه له فيه معارج سلم

وقد حكي عرج يعرج بكسر الراء في الاستقبال وقوله لقالوا انما سكرت أبصارنا يقول لقال هؤلاء المشركون الذين وصفت جل ثناؤه صفتهم ما هذا بحق انما سكرت أبصارنا واختلفت القراء في قراءة قوله سكرت فقرأ أهل المدينة والعراق سكرت بتشديد الكاف بمعنى غشيت وغطيت هكذا كان يقول أبو عمرو بن العلاء فيما ذكر لي عنه وذكر عن مجاهد أنه كان يقرأ لقالوا انما سكرت حدثني بذلك الحرث قال ثنا القاسم قال سمعت الكسائي يحدث عن حمزة عن شبل عن مجاهد أنه قرأها سكرت أبصارنا خفيفة وذهب مجاهد في قراءته ذلك كذلك الى حبست أبصارنا عن الرؤية والنظر من سكور الريح وذلك سكونها وركودها يقال منه سكرت الريح اذا سكنت وركدت وقد حكي عن أبي عمرو بن العلاء أنه كان يقول هو مأخوذ من سكر الشراب وأن معناه قد غشي أبصارنا السكر وأما أهل التأويل فانهم اختلفوا في تأويله فقال بعضهم معنى سكرت سدت ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا ورقاء وحدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثني المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله سكرت أبصارنا قال سدت حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا حجاج يعني ابن محمد عن ابن جريج قال أخبرني ابن كثير قال سدت حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله سكرت أبصارنا يعني سدت فكأن مجاهدا ذهب في قوله وتأويله ذلك بمعنى

وعدم الايمان بالاستهزاء حق وصواب لم يتوجه اللوم على الكفار ولا يلزم من تعاقب الضمائر عودها على شيء واحد وان كان الأحسن ذلك والحاصل أن مقتضى الدليل عود الضمير الى الاقرب الا اذا منع مانع من اعتباره وقال بعض الادباء منهم قوله لا يؤمنون به تفسير للكناية في قوله نسلكه أي نجعل في قلوبهم أن لا يؤمنوا به فثبتت دلالة الآية على أن الكفر والضلال والاستهزاء ونحوها من الافعال كلها بخلق الله وايجاده وقالت المعتزلة الضميران يعودان الى الذكر لانه شبه هذا السلك بعمل آخر قبله وليس الا تنزيل الذكر والمعنى مثل ذلك الفعل نسلك الذكر في قلوب المجرمين ومحل لا يؤمنون به نصب على الحال أي غير مؤمن به أو هو بيان لقوله كذلك نسلكه والحاصل أنا نلقيه في قلوبهم مكذبا مستهزأ به غير مقبول نظيره ما اذا أنزلت بلئيم حاجة فلم يجبك اليها فقلت كذلك أنزلها باللئام تعني مثل هذا الانزال أنزلها بهم مردودة غير مقضية واعترض بأن النون انما يستعمله الواحد المتكلم اظهارا للعظمة والجلال ومثل هذا التعظيم انما يحسن ذكره اذا فعل فعلا يظهر له أثر قوي كامل أما اذا فعل بحيث يكون منازعه ومدافعه غالبا عليه فانه يستقبح ذكره على سبيل التعظيم والأمر ههنا كذلك لانه تعالى سلك اسماع القرآن وتحفظه وتعليمه في قلب الكافر لاجل أن يؤمن به ثم انه لم يلتفت اليه ولم يؤمن به فصار فعل الله كالهدر الضائع وصار الشيطان كالغالب المدافع فكيف يحسن ذكر النون المشعر بالتعظيم في هذا المقام أما قوله (وقد خلت سنة الاولين) فقيل أي طريقتهم التي بينها الله في اهلاكهم حين كذبوا رسلهم وبالذكر المنزل عليهم وهذا يناسب تفسير المعتزلة وفيه وعيد لأهل مكة على تكذيبهم وقيل قد مضت سنة الله في الاولين بأن يسلك الكفر والضلال في قلوبهم وهذا قول الزجاج ويناسب تفسير الاشاعرة ثم حكى اصرارهم على الجهل والتكذيب بقوله (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا) أي هؤلاء الكفار (فيه يعرجون) يتصاعدون (لقالوا انما سكرت أبصارنا) هو من سكر الشراب أو من سكر السد الشق يقال

سدت الى أنه بمعنى منعت النظر كما يسكر الماء فيمنع من الجرى بحبسه فى مكان بالسكر الذى يسكر به * وقال آخرون معنى سكرت أخذت ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة عن ابن عباس لقالوا انما سكرت أبصارنا يقول أخذت أبصارنا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس انما أخذ أبصارنا وشبه علينا وانما سحرنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة لقالوا انما سكرت أبصارنا يقول سحرت أبصارنا يقول أخذت أبصارنا حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن أبى حماد قال ثنا شيبان عن قتادة قال من قرأ سكرت مشددة يعنى سدت ومن قرأ سكرت مخففة فانه يعنى سحرت وكأن هؤلاء وجهوا معنى قوله سكرت الى أن أبصارهم سحرت فشبه عليهم ما يبصرون فلا يميزون بين الصحيح مما يرون وغيره من قول العرب سكر على فلان رأيه اذا اختلط عليه رأيه فيما يريد فلم يدر الصواب فيه من غيره فاذا عزم على الرأى قالوا ذهب عنه التسكير * وقال آخرون هو مأخوذ من السكر ومعناه غشى على أبصارنا فلا نبصر كما يفعل السكر بصاحبه فذلك اذا دير به وغشى بصره كالسمادير فلم يبصر ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انما سكرت أبصارنا قال سكرت السكران الذى لا يعقل * وقال آخرون معنى ذلك عميت ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عبد الوهاب بن عطاء عن الكلبى سكرت قال عميت * وأولى هذه الاقوال بالصواب عندى قول من قال معنى ذلك أخذت أبصارنا وسحرت فلا تبصر الشئ على ماهو به وذهب حد ابصارها وانطفأ نوره كما يقال للشئ الحار اذا ذهبت فورته وسكن حد حره قد سكر يسكر قال المثنى بن جندل الطهوى

جاء الشتاء واجثأل القبر * واستخفت الأفعى وكانت تظهر
* وجعلت عين الحرور تسكر *

أى تسكن وتذهب وتنطفئ وقال ذو الرمة

قبل انصداع الفجر والتهجر * وخوضهن الليل حين يسكر

يعنى حين تسكن فورته وذكر عن قيس أنها تقول سكرت الريح تسكر سكورا بمعنى سكنت وان كان ذلك عنها صحيحا فان معنى سكرت وسكرت بالتخفيف والتشديد متقاربان غير أن القراءة التى لا أستجيز غيرها فى القرآن سكرت بالتشديد لاجماع الحجة من القراء عليها وغير جائز خلافها فيما جاءت به مجمعة عليه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين) يقول تعالى ذكره ولقد جعلنا فى السماء الدنيا منازل للشمس والقمر وهى كواكب ينزلها الشمس والقمر وزيناها للناظرين يقول وزينا السماء بالكواكب لمن نظر اليها وأبصرها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال أخبرنا أبو

سكر النهر اذا سده وحبسه من الجرى والتركيب يدل على قطع الشئ من سننه الجارى عليه ومنه السكر فى الشراب لانه ينقطع عما كان عليه من المضاء فى حال الصحو فمعنى الآية حيرت أبصارنا ووقع بها من فساد النظر ما يقع بالرجل السكران أو حبست عن أفعالها بحيث لا ينفذ نورها ولا تدرك الاشياء على حقائقها عن ابن عباس المراد لو ظل المشركون يصعدون فى تلك المعارج وينظرون الى ملكوت الله تعالى وقدرته وسلطانه والى عبادة الملائكة الذين هم من خشية ربهم مشفقون لتشككوا فى تلك الرؤية وبقوا مصرين على كفرهم وجهلهم كما جحدوا سائر المعجزات من انشقاق القمر وما خص به النبى صلى الله عليه وسلم من القرآن المعجز الذى لا يستطيع الجن والانس أن يأتوا بمثله قال فى الكشاف ذكر الظلول ليعنى أنه قال فظلوا ولم يقل فباتوا ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقال انما سكرت ليدل على أنهم يبتون القول بأن ذلك ليس إلا تسكيرا للابصار وقيل الضمير فى فظلوا للملائكة أى لو أريناهم الملائكة يصعدون فى السماء عيانا لقالوا ان السحرة سحرونا وجعلونا بحيث نشاهد هذه الاباطيل التى لا حقيقة لها وههنا سؤال وهو أنه كيف جاز من جم غفير أن يصيروا شاكين فيما يشاهدونه بالعين السليمة فى النهار الواضح وأجيب بأنهم قوم مخصوصون لم يبلغوا مبلغ التواتر وكانوا رؤساء قليلى العدد فجاز تواطؤهم على المكابرة والعناد لاسيما اذا جمعهم غرض معتبر كدفع حجة أو غلبة خصم ولما أجاب عن شبه منكرى النبوة عما أجاب وكان القول بالنبوة مفرعا على القول بالصانع أتبعه دلائل ذلك فقال (ولقد جعلنا فى السماء بروجا) وهى اثنا عشر عند أهل النجوم وذلك أنهم قسموا نطاق الفلك الثامن عندهم باثنى عشر قسما متساوية ثم أجيز بمنتهى كل قسم وبأوله مبتدأة من أول الحمل نصف دائرة عظيمة مارة بقطبى الفلك فصار الفلك أيضا منقسما باثنى عشرة قطعة كل منها تشبه ضلعا من أضلاع البطيخ تسمى بروجا ولا شك أن هذه البروج مختلفة الطباع كل ثلاثة منها على طبيعة عنصر من العناصر الاربعة فلذلك يسمى الحمل والاسد والقوس

أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ولقد جعلنا في السماء بروجا قال كواكب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد جعلنا في السماء بروجا وبروجها نجومها حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة بروجا قال الكواكب ✽ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين﴾ يقول تعالى ذكره وحفظنا السماء الدنيا من كل شيطان لعين قد رجمه الله ولعنه الا من استرق السمع يقول لكن قد يسترق من الشياطين السمع مما يحدث في السماء بعضها فيتبعه شهاب من النار مبين يبين أثره فيه اما باخباله وافساده أو باحراقه وكان بعض نحويي أهل البصرة يقول في قوله الا من استرق السمع هو استثناء خارج كما قال ما أشتكي الا خيرا يريد أذكر خيرا وكان ينكر ذلك من قيله بعضهم ويقول اذا كانت الا بمعنى لكن عملت عمل لكن ولا يحتاج الى اضمار اذكر ويقول لو احتاج والامر كذلك الى اضمار اذكر احتاج قول القائل قام زيد لا عمرو الى اضمار اذكر ✽ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عفان بن مسلم قال ثنا عبد الواحد بن زياد قال ثنا الاعمش عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال تصعد الشياطين أفواجا تسترق السمع قال فينفرد المارد منها فيعلو فيرمى بالشهاب فيصيب جبهته أو جنبه أو حيث شاء الله منه فيلتهب فيأتي أصحابه وهو يلتهب فيقول انه كان من الامر كذا وكذا قال فيذهب أولئك الى اخوانهم من الكهنة فيزيدون عليه أضعافه من الكذب فيخبرونهم به فاذا رأوا شيئا مما قالوا قد كان صدقوهم بما جاؤهم به من الكذب حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع قال أراد أن يخطف السمع وهو كقوله الا من خطف الخطفة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الا من استرق السمع وهو نحو قوله الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله الا من استرق السمع قال خطف الخطفة حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله الا من استرق السمع هو كقوله الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب كان ابن عباس يقول ان الشهب لا تقتل ولكن تحرق وتخبل وتجرح من غير أن تقتل حدثني الحرث قال ثنا القاسم قال ثني حجاج عن ابن جريج من كل شيطان رجيم قال الرجيم الملعون قال وقال القاسم عن الكسائي أنه قال الرجم في جميع القرآن الشتم ✽ القول في تأويل قوله تعالى ﴿والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون﴾ يعني تعالى ذكره بقوله والارض مددناها والارض دحوناها فبسطناها وألقينا فيها رواسي يقول وألقينا في ظهورها رواسي يعني جبالا ثابتة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والأرض مددناها وقال في آية أخرى والارض بعد ذلك دحاها وذكر لنا أن أم القرى مكة منها دحيت الارض قوله وألقينا فيها رواسي رواسيها جبالها وقد بينا معنى الرسو فيما مضى بشواهده المغنية عن اعادته وقوله وأنبتنا فيها من كل شيء

مثلثة نارية والثور والسنبلة والجدى مثلثة أرضية والجوزاء والميزان والدلو مثلثة هوائية والسرطان والعقرب والحوت مثلثة مائية ثم ان كانت أجزاء الفلك مختلفة في الماهية على ما يجوزه المتكلمون أو كانت متساوية في تمام الماهية مختلفة في التأثير كما يقول به الحكيم فعلى التقديرين يكون اختصاص كل جزء بطبيعة معينة أو بتأثير معين مع تساوي الكل

في حقيقة الجسمية دالا على صانع حكيم ومدبر قدير الدليل الآخر قوله (وزيناها) أى بالشمس والقمر والنجوم (للناظرين) بنظر الاعتبار والاستبصار وقال المنجمون ان الكواكب الثابتة كلها على الفلك الثامن وهذا ينافي الآية على ما يمكن أن يسبق الى الوهم لانها سواء كن في سماء الدنيا أو في سموات أخر فوقها فلا بد أن يكون ظهورها في السماء الدنيا فتكون السماء الدنيا مزينة بها والآية لا تدل الا على هذا القدر ونظير هذه الآية قوله تعالى في حم السجدة وزينا السماء الدنيا بمصابيح ومثله في سورة الملك الدليل الثالث قوله (وحفظناها) أى البروج أو السماء (من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع) نصب على الاستثناء المنقطع أى لكن من استرق وجائز أن يكون مخفوضا أى الا من استرق وعن ابن عباس يريد الخطفة اليسيرة (فأتبعه) أى أدركه ولحقه (شهاب مبين) ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطع وقد يسمى الكوكب شهابا لاجل لمعانه وبريقه قال ابن عباس كانت الشياطين لا يحجبون من السموات وكانوا يدخلونها ويسمعون أخبار الغيوب من الملائكة فيلقونها على الكهنة فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها وهذا هو المراد بحفظ السموات كما يحفظ أحدنا منزله ممن يتجسس ويخشى منه الفساد والاستراق السمعي في استماع الكلام مستخفيا قال الحكماء ان الارض اذا سخنت بالشمس ارتفع منها بخار يابس فاذا بلغ النار التي دون الفلك احترق بها واشتعل لدهنيته فيحدث منها أنواع النيران من جملتها الشهب فلا ريب أنها كانت موجودة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم الا أنها لم تكن مسلطة على الشياطين وانما قيض كونها رجوما للشياطين في زمن عيسى عليه السلام ثم في زمن

محمد صلى الله عليه وسلم * أسئلة كيف يجوز أن يشاهد هؤلاء الجن واحدا كان أو أكثر من جنسهم يسترقون السمع فيحرقون ثم انهم مع ذلك يعودون لمثل صنيعهم والجواب اذا جاء القضاء عمي البصر فاذا قيض الله طائفة منهم الحرق لطغيانها قدر له من الدواعي المطمعة في درك المقصود ما عندها يقدم على العمل المفضي (١٢) الى الهلاك والبوار * آخر قد ورد في الاخبار أن ما بين كل سماء مسيرة خمسمائة عام فهؤلاء الجن ان قدروا على خرق السماء ناقض قوله سبحانه هل ترى من فطور وان لم يقدروا فكيف يمكنهم استماع أسرار الملائكة من ذلك البعد البعيد ولم لا يسمعون كلام الملائكة حال كونهم في الارض وأجيب بأنا سلمنا أن بعد ما بين كل سماء ذلك القدر الا أن ثخن الفلك لعله قدر قليل وقد روى الزهري عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من أصحابه اذ رمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في الجاهلية اذا حدث مثل هذا قالوا كنا نقول يولد عظيم أو يموت عظيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يرمى لموت أحد ولا لحياته ولكن ربنا تعالى اذا قضى الامر في السماء سبحت حملة العرش ثم سبح أهل السماء وسبح أهل كل سماء حتى ينتهي التسبيح الى هذه السماء ويستخبر أهل السماء حملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ولا يزال ينتهي ذلك الخبر من سماء الى سماء الى أن ينتهي الخبر الى هذه السماء ويتخطف الجن فيرمون فما جاؤا به على وجهه فهو حق ولكنهم يزيدون * آخر الشياطين مخلوقون من نار فكيف تحرق النار النار والجواب أن الاقوى قد يبطل الاضعف وان كان من جنسه * آخر إن هذا الرجم لو كان من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم فكيف بقي بعد وفاته الجواب هذا من المعجزات الباقية والغرض منه ابطال الكهانة * آخر إن الشهب قد تحدث بالقرب من الارض والا لم يمكن الاحساس بها فكيف تمنع الشياطين من الوصول الى الفلك حين الاستراق وأجيب بأن البعد عندنا غير مانع من السماع فلعله تعالى أجرى عادته بأنهم اذا وقعوا في تلك المواضع سمعوا كلام الملائكة * آخر لو كان يمكنهم نقل أخبار الملائكة الى الكهنة فكيف لم يقدروا على

موزون يقول وأنبتنا في الارض من كل شيء يقول من كل شيء بقدر مقدر وبحد معلوم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وأنبتنا فيها من كل شيء موزون يقول معلوم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وأنبتنا فيها من كل شيء موزون يقول معلوم حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح أو عن أبي مالك في قوله من كل شيء موزون قال بقدر حدثنا المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن اسمعيل ابن أبي خالد عن أبي صالح أو عن أبي مالك مثله حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا شريك عن خصيف عن عكرمة من كل شيء موزون قال بقدر حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا علي يعني ابن الجعد قال أخبرنا شريك عن خصيف عن عكرمة من كل شيء موزون قال بقدر حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن خصيف عن عكرمة قال بقدر حدثنا أحمد قال ثنا سفيان عن حصين عن سعيد بن جبير من كل شيء موزون قال معلوم حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد قال أخبرنا عبد الله بن يونس قال سمعت الحكم بن عتيبة وسأله أبو مخزوم عن قوله من كل شيء موزون قال من كل شيء مقدور حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا عبد الله بن يونس قال سمعت الحكم وسأله أبو عروة عن قول الله عز وجل من كل شيء موزون قال من كل شيء مقدور هكذا قال الحسن وسأله أبو عروة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثني المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله من كل شيء موزون قال مقدور بقدر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد من كل شيء موزون قال مقدور بقدر حدثني المثنى قال ثنا علي بن الهيثم قال ثنا يحيى بن زكريا عن ابن جريج عن مجاهد قال مقدور بقدر حدثنا المثنى قال ثنا علي بن الهيثم قال ثنا يحيى بن زكريا عن اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح من كل شيء موزون قال بقدر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأنبتنا فيها من كل شيء موزون يقول معلوم حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مثله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله من كل شيء موزون يقول معلوم * وكان بعضهم يقول معنى ذلك وأنبتنا في الجبال من كل شيء موزون يعني من الذهب والفضة والنحاس والرصاص ونحو ذلك من الاشياء التي توزن ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأنبتنا فيها من كل شيء موزون قال الاشياء التي توزن * وأولى القولين عندنا

عندنا الصواب القول الاول لاجماع الحجة من أهل التأويل عليه ⁂ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين ﴾ يقول تعالى ذكره وجعلنا لكم أيها الناس في الارض معايش وهي جمع معيشة ومن لستم له برازقين * اختلف أهل التأويل في المعنيّ في قوله ومن لستم له برازقين فقال بعضهم عني به الدواب والانعام ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح وحدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله جميعا عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ومن لستم له برازقين الدواب والانعام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * وقال آخرون عني بذلك الوحش خاصة ذكر من قال ذلك حدثني محمد ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور في هذه الآية ومن لستم له برازقين قال الوحش فتأويل من في ومن لستم له برازقين على هذا التأويل بمعنى ما وذلك قليل في كلام العرب * وأولى ذلك بالصواب وأحسن أن يقال عني بقوله ومن لستم له برازقين من العبيد والاماء والدواب والانعام فمعنى ذلك وجعلنا لكم فيها معايش والعبيد والاماء والدواب والانعام واذا كان ذلك كذلك حسن أن توضع حينئذ مكان العبيد والاماء والدواب من وذلك أن العرب تفعل ذلك اذا أرادت الخبر عن البهائم معها بنو آدم وهذا التأويل على ما قلناه وصرفنا اليه معنى الكلام اذا كانت من في موضع نصب عطفا به على معايش بمعنى جعلنا لكم فيها معايش وجعلنا لكم فيها من لستم له برازقين وقيل ان من في موضع خفض عطفا به على الكاف والميم في قوله وجعلنا لكم بمعنى وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين وأحسب أن منصورا في قوله هو الوحش قصد هذا المعنى واياه أراد وذلك وان كان له وجه في كلام العرب فبعيد قليل لأنها لا تكاد تظاهر على معنى في حال الخفض وربما جاء في شعر بعضهم في حال الضرورة كما قال بعضهم

هلا سألت بذي الجماجم عنهم * وأبي نعيم ذي اللواء المخرق

فرد أبا نعيم على الهاء والميم في عنهم وقد بينت قبح ذلك في كلامهم ⁂ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم ﴾ يقول تعالى ذكره وما من شيء من الامطار الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر لكل أرض معلوم عندنا حده ومبلغه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا يزيد بن أبي زياد عن رجل عن عبد الله قال ما من أرض أمطر من أرض ولكن الله يقدره في الارض ثم قرأ وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن يزيد بن أبي زياد عن أبي جحيفة عن عبد الله قال ما من عام بأمطر من عام ولكن الله يصرفه عمن يشاء ثم قرأ وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم

نقل أسرار المؤمنين الى الكفار وأجيب بأنه تعالى أقدرهم على شيء وأعجزهم عن شيء ولا يسئل عما يفعل وأقول لعل السبب فيه أن نسبتهم الى الروحانيات أكثر .. آخر اذا جوزتم في الجملة اطلاع الجن على بعض المغيبات فقد ارتفع الوثوق عن إخبار النبي صلى الله عليه وسلم عن بعض الغيوب فلا يكون دليلا على صدقه لا يقال انه تعالى أخبر أنهم عجزوا عن ذلك (١٣) بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم لانا نقول صدق هذا الكلام مبني على صحة نبوته فلو أثبتنا صحة نبوته به لزم الدور والجواب أنا نعرف صحة نبوته بدلائل أخر حتى لا يدور ولكن لا ريب أن إخباره عن بعض المغيبات مؤكد لنبوته وان لم يكن مثبتا لها الدليل الرابع قوله (والارض مددناها وألقينا فيها رواسي) وقد مر تفسير مثله في أول سورة الرعد الدليل الخامس قوله (وأنبتنا فيها) أي في الارض أو في الجبال الرواسي (من كل شيء موزون) بميزان الحكمة ومقدر بمقدار الحاجة وذلك أن الوزن سبب معرفة المقدار فأطلق اسم السبب على المسبب وقيل أي له وزن وقدر في أبواب النعمة والمنفعة وقيل أراد أن مقاديرها من العناصر معلومة وكذا مقدار تأثير الشمس والكواكب فيها وقيل أي مناسب أي محكوم عليه عند العقول السليمة بالحسن واللطافة يقال كلام موزون أي مناسب وفلان موزون الحركات وقيل أراد ما يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس وغيرها من الموزونات كأكثر الفواكه والنبات (وجعلنا لكم فيها) أي في الارض أو في تلك الموزونات (معايش) ما يتوصل به الى المعيشة وقد مر في أول الأعراف (ومن) عطف على معايش أي جعلنا لكم من (لستم له برازقين) أو عطف على محل لكم لا على المجرور فقط فانه لا يجوز في الاكثر الا باعادة الجار والتقدير وجعلنا لكم معايش ولمن لستم له برازقين وأراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين رازقهم في الحقيقة هو الله تعالى وحده لا الآباء والسادات والمخادم ويدخل فيه بحكم التغليب غير ذوي العقول من الانعام والدواب والوحش والطير كقوله وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وقد يذكر غير من يعقل بصفة من يعقل بوجه ما من الشبه كقوله يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم والدواب تشبه ذوي العقول من

جهة أنها طالبة لارزاقها عند الحاجة يحكى أنه قلت مياه الاودية فى بعض السنين واشتد عطش الوحوش فرفعت رأسها الى السماء فانزل الله المطر ثم بين غاية قدرته ونهاية حكمته فقال (وان من شئ الا عندنا خزائنه) قال جمع من المفسرين أراد بالشئ ههنا المطر الذى هو سبب لأرزاق بنى آدم وغيرهم من الطير والوحش وذلك أنه لما ذكر معايشهم بين أن خزائن المطر الذى هو سبب المعايش عنده أى فى أمره وحكمه وتدبيره قوله (وماننزله الا بقدر معلوم) عن ابن عباس يريد قدر الكفاية وقال الحكم مامن عام بأكثر مطرا من عام آخر ولكنه يمطر قوم ويحرم آخرون وربما كان فى البحر واعلم أن لفظ الآية لايدل على هذين القولين فلو ساعدهما نقل صحيح أمكن أن يقبلهما العقل والا كان شبه تحكم والظاهر عموم الحكم وان ذكر الخزائن تمثيل لاقتداره على كل مقدور والمعنى ان جميع الممكنات مقدورة ومملوكة له يخرجها من العدم الى الوجود كيف شاء وهى وان كانت غير متناهية بالقوة لان كلا منها يمكن أن يقع فى أوقات غير محصورة على سبيل البدل وكذا الكلام فى الاحياز وسائر الاعراض والاوصاف فاختصاص ذلك الخارج الى الوجود بمقدار معين وشكل معين وحيز ووقت معين الى غير ذلك من الصفات المعينة دون اضدادها لابد أن يكون بتخصيص مخصص وتقدير مقدر وهو المراد من قوله وماننزله الا بقدر معلوم وقد يتمسك بالآية بعض المعتزلة فى أن المعدوم شئ قيل المراد أن تلك الذوات والماهيات كانت مستقرة عند الله بمعنى أنها كانت ثابتة من حيث انها حقائق وماهيات ثم انه تعالى نزل أى أخرج بعضها من العدم الى الوجود * الدليل السادس قوله (وأرسلنا الرياح) ومن قرأ الريح فاللام للجنس (لواقح) قال ابن عباس معناه ملاقح جمع ملقحة لانها تلقح السحاب بمعنى أنها تحمل الماء وتمجه فى السحاب أولانها تلقح الشجر أى تقويها وتنميها الى أن يخرج ثمرها قاله الحسن وقتادة والضحاك وقد جاء فى كلام العرب فاعل بمعنى مفعل قال * ومختبط مما تطيح الطوائح * يريد المطاوح جمع مطيحة وقال ابن الانبارى تقول العرب أبقل النبت فهو باقل أى مبقل وقال الزجاج معناه ذوات لقحة لانها تعصر السحاب

حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا ابراهيم بن مهدى المصيصى قال ثنى على بن مسهر عن يزيد بن أبى زياد عن أبى جحيفة عن عبدالله بن مسعود مامن عام بأمطر من عام ولكن الله يقسمه حيث شاء عاما ههنا وعاما ههنا ثم قرأ وان من شئ الا عندنا خزائنه وماننزله الا بقدر معلوم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج وان من شئ الا عندنا خزائنه قال المطر خاصة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل ابن سالم عن الحكم بن عتيبة فى قوله وماننزله الا بقدر معلوم قال مامن عام بأكثر مطرا من عام ولا أقل ولكنه يمطر قوم ويحرم آخرون وربما كان فى البحر قال وبلغنا أنه ينزل مع المطر من الملائكة أكثر من عدد ولد ابليس وولد آدم يحصون كل قطرة حيث تقع وما تنبت ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين﴾ اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة القراء وأرسلنا الرياح لواقح وقرأه بعض قراء أهل الكوفة وأرسلنا الريح لواقح فوحد الريح وهى موصوفة بالجمع أعنى بقوله لواقح وينبغى أن يكون معنى ذلك أن الريح وان كان لفظها واحدا فمعناها الجمع لانه يقال جاءت الريح من كل وجه وهبت من كل مكان فقيل لواقح لذلك فيكون معنى جمعهم نعتها وهى فى اللفظ واحدة معنى قولهم أرض سباسب وأرض أغفال وثوب أخلاق كما قال الشاعر

جاء الشتاء وقميصى أخلاق * شراذم يضحك منى التواق

وكذلك تفعل العرب فى كل شئ اتسع * واختلف أهل العربية فى وجه وصف الرياح باللقح وانما هى ملقحة لالاقحة وذلك أنها تلقح السحاب والشجر وانما توصف باللقح الملقوحة لا الملقح كما يقال ناقة لاقح وكان بعض نحويى البصرة يقول قيل الرياح لواقح فجعلها على لاقح كأن الرياح لقحت لان فيها خيرا فقد لقحت بخير قال وقال بعضهم الرياح تلقح السحاب فهذا يدل على ذلك المعنى لانها اذا أنشأته وفيها خير وصل ذلك اليه وكان بعض نحويى الكوفة يقول فى ذلك معنيان أحدهما أن يجعل الريح هى التى تلقح بمرورها على التراب والماء فيكون فيها اللقاح فيقال ريح لاقح كما يقال ناقة لاقح قال ويشهد على ذلك أنه وصف ريح العذاب فقال عليهم الريح العقيم فجعلها عقيما اذا لم تلقح قال والوجه الآخر أن يكون وصفها باللقح وان كانت تلقح كما قيل ليل نائم والنوم فيه وسر كاتم وكما قيل المبروز والمختوم فجعل مبروزا ولم يقل مبرزا بناه على غير فعله أى ان ذلك من صفاته فجاز مفعول لمفعل كما جاز فاعل لمفعول اذا لم يرد البناء على الفعل كما قيل ماء دافق . والصواب من القول فى ذلك عندى أن الرياح لواقح كما وصفها به جل ثناؤه من صفتها وان كانت قد تلقح السحاب والأشجار فهى لاقحة ملقحة ولقحها حملها الماء والقاحها السحاب والشجر عملها فيه وذلك كما قال عبدالله بن مسعود حدثنا أبو كريب قال ثنا المحاربى عن الاعمش عن المنهال بن عمرو عن قيس بن سكن عن عبدالله بن مسعود فى قوله وأرسلنا الرياح لواقح قال يرسل الله الرياح فتحمل الماء فتجرى السحاب فتدر كما تدر اللقحة ثم تمطر حدثنى أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المنهال عن قيس بن

سكن

ويدره كما تدر اللقحة كما يقال رامح أى ذو رمح ولابن وتامر أى ذو لبن وذو تمر وقيل ان الريح فى نفسها لاقح أى حاملة للسحاب أو للماء من قوله تعالى حتى اذا أقلت سحابا ثقالا أو حاملة للخير والرزق كما قيل لضدها الريح العقيم (فأسقيناكموه) أى جعلناه لكم سقيا قال أبو علي يقال سقيته الماء اذا أعطاه قدر ما يروى وأسقيته نهرا أى جعلته شربا له والذى يؤكد هذا (١٥) اختلاف القراء فى قوله نسقيكم مما بطونه ولم يختلفوا فى قوله وسقاهم ربهم شرابا طهورا ويقال سقيته لشفته وأسقيته لماشيته وأرضه (وما أنتم له بخازنين) نفى عنهم ما أثبته لنفسه فى قوله وان من شئ الا عندنا خزائنه أى نحن الخازنون للماء لا أنتم أراد عظيم قدرته وعجز من سواه * الدليل السابع قوله (وانا لنحن نحيى ونميت) والغرض الاستدلال بانحصار الاحياء والاماتة فيه على أنه واحد فى ملكه وملكه قال أكثر المفسرين انه وصف النبات فيما قبل فهذا الاحياء مختص بالحيوان ومنهم من يحمله على القدر المشترك بين احياء النبات وبين احياء الحيوان (ونحن الوارثون) مجاز عن بقائه بعد هلاك ما عداه كما مر فى آخر آل عمران فى قوله ولله ميراث السموات والارض قوله (ولقد علمنا) عن ابن عباس فى رواية عطاء (المستقدمين) يريد أهل طاعة الله والمستأخرين يريد المتخلفين عن طاعته ويروى أنه صلى الله عليه وسلم رغب الناس فى الصف الاول فى الجماعة فازدحم الناس عليه فأنزل الله الآية والمعنى انا نجزيهم على قدر نياتهم وقال الضحاك ومقاتل يعنى فى صف القتال وقال ابن عباس فى رواية أبى الجوزاء كانت امرأة حسناء تصلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قوم يتقدمون الى الصف الاول لئلا يروها وآخرون يتخلفون ويتأخرون ليروها وكان قوم اذا ركعوا جافوا أيديهم لينظروا من تحت آباطهم فنزلت وقيل المستقدمون هم الاموات والمستأخرون هم الاحياء وهذا القول شديد المناسبة لما قبل الآية ولما بعدها وقيل المستقدمون هم الامم السالفة والمستأخرون هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقال عكرمة المستقدمون من خلق والمستأخرون من لم يخلق بعد والظاهر العموم وأن علمه تعالى شامل لجميع الذوات والاحوال الماضية والمستقبلة

سكن عن عبد الله وأرسلنا الرياح لواقح قال يبعث الله الريح فتلقح السحاب ثم تمر به فتدر كما تدر اللقحة ثم تمطر حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا أسباط بن محمد عن الأعمش عن المنهال ابن عمرو عن قيس بن السكن عن عبد الله بن مسعود فى قوله وأرسلنا الرياح لواقح قال يرسل الرياح فتحمل الماء من السماء ثم تمرى السحاب فتدر كما تدر اللقحة فقد بين عبد الله بقوله يرسل الرياح فتحمل الماء أنها هى اللاقحة بحملها الماء وان كانت ملقحة بالقاحها السحاب والشجر * وأما جماعة أخر من أهل التأويل فانهم وجهوا وصف الله تعالى ذكره اياها بأنها لواقح الى أنه بمعنى ملقحة وأن اللواقح وضعت موضع ملاقح كما قال نهشل بن حرى

ليبك يزيد (١) بائس لضراعة * وأشعث ممن طوحته الطوائح

يريد المطاوح وكما قال النابغة

كلينى لهم يا أميمة ناصب * وليل أقاسيه بطىء الكواكب

بمعنى منصب ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا سفيان عن الأعمش عن ابراهيم فى قوله وأرسلنا الرياح لواقح قال تلقح السحاب حدثنى المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن الأعمش عن ابراهيم مثله حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن الأعمش عن ابراهيم مثله حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء عن الحسن قوله وأرسلنا الرياح لواقح قال لواقح للشجر قلت أو للسحاب قال وللسحاب تمريه حتى يمطر حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا اسحق بن سليمن عن أبى سنان عن حبيب بن أبى ثابت عن عبيد بن عمير قال يبعث الله المبشرة فتقم الارض قما ثم يبعث الله المثيرة فتثير السحاب ثم يبعث الله المؤلفة فتؤلف السحاب ثم يبعث الله اللواقح فتلقح الشجر ثم تلا عبيد وأرسلنا الرياح لواقح حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأرسلنا الرياح لواقح يقول لواقح للسحاب وان من الريح عذابا وان منها رحمة حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة لواقح قال تلقح الماء فى السحاب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن ابن عباس لواقح قال تلقح الشجر وتمرى السحاب حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وأرسلنا الرياح لواقح الرياح يبعثها الله على السحاب فتلقحه فيمتلئ ماء حدثنا أبو كريب قال ثنا أحمد بن يونس قال ثنا عبيس بن ميمون قال ثنا أبو المهزم عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الريح الجنوب من الجنة وهى الريح اللواقح وهى التى ذكر الله تعالى فى كتابه وفيها منافع للناس حدثنى أبو الجماهر الحمصى أو الحضرمى محمد بن عبد الرحمن قال ثنا عبد العزيز بن موسى قال ثنا عبيس بن ميمون أبو عبيدة عن أبى المهزم عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر مثله سواء وقوله فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه يقول تعالى ذكره فأنزلنا من السماء مطرا فأسقيناكم ذلك المطر لشرب أرضكم ومواشيكم ولو كان معناه أنزلناه لتشربوه

(١) الذى فى التفسير الكبير بائس ذو ضراعة وأشعث مما الخ ولعل ما هنا رواية كتبه مصححه

فلا ينبغي أن تخص الآية بحالة دون أخرى ثم نبه على أن الحشر والنشر أمر واجب ولا يقدر على ذلك أحد الا هو فقال (وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم) فلحكمته بنى أمر العباد على التكليف والجزاء ولعلمه قدر على توفية مقادير الجزاء * الدليل الثامن الاستدلال على خلق الانسان خاصة وذلك أنه لا بد من انتهاء الناس الى انسان (١٦) أول ضرورة امتناع القول بوجود حوادث لا أول لها وقد أجمع المفسرون على أنه آدم عليه السلام ورأيت في كتب الشيعة عن محمد بن علي الباقر رضي الله عنه أنه قد انقضى قبل آدم الذي هو أبونا ألف ألف آدم أو أكثر وكيف كان فلا بد من انسان هو أول الناس والأقرب أنه تعالى خلق آدم من تراب ثم من طين ثم من حما مسنون ثم من صلصال كالفخار وقد كان قادرا على خلقه من أي جنس من الاجسام كان بل كان قادرا على خلقه ابتداء وانما خلقه على هذا الترتيب لمحض المشيئة أو لما كان فيه من زلة الملائكة والجن أو لغير ذلك من المصالح ولا شك أن خلق الانسان من هذه الامور أعجب من خلق الشيء من شكله وجنسه والصلصال الطين اليابس الذي يصلصل أي يصوت وهو غير مطبوخ فاذا طبخ فهو فخار وقيل هو تضعيف صل اذا أنتن والحمأ الاسود المتغير من الطين وكذلك الحمأة بالتسكين والمسنون المصور من سنة الوجه أي صورته قاله سيبويه وقال أبو عبيدة المسنون المصبوب المفرغ أي أفرغ صورة انسان كما تفرغ الصورة من الجواهر المذابة وقال ابن السكيت سمعت أبا عمرو يقول معناه متغير منتن وكأنه من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فالذي يسيل منهما سنين ولا يكون الا منتنا قال في الكشاف قوله من حما صفة صلصال أي خلقه من صلصال كائن من حما قلت ولا يبعد أن يكون بدلا أي خلقه من حما قال وحق مسنون بمعنى مصور أن يكون صفة لصلصال كأنه أفرغ الحمأ فصور منها تمثال انسان أجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غيره بعد ذلك الى جوهر آخر قوله (والجان) قال الحسن ومقاتل وقتادة وهو رواية عطاء عن ابن عباس يريد ابليس وعن ابن عباس في رواية أخرى هو أبو الجن كما آدم أبو الناس وهو

لقيل فسقيناكموه وذلك أن العرب تقول اذا سقت الرجل ماء شرب به أو لبنا أو غيره سقيته بغير ألف اذا كان لسقيه واذا جعلوا له ماء لشرب أرضه أو ماشيته قالوا أسقيته وأسقيت أرضه وماشيته وكذلك اذا استسقت له قالوا أسقيته واستسقيته كما قال ذو الرمة

وقفت على رسم لمية ناقتي * فما زلت أبكي عنده وأخاطبه

وأسقيه حتى كاد مما أبثه * تكلمني أحجاره وملاعبه

وكذلك اذا وهبت لرجل اهابا ليجعله سقاء قلت أسقيته اياه وقوله وما أنتم له بخازنين يقول ولستم بخازني الماء الذي أنزلنا من السماء فأسقيناكموه فتمنعوه من أسقيه لان ذلك بيدي والي أسقيه من أشاء وأمنعه من أشاء كما حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال سفيان وما أنتم له بخازنين قال بمانعين * القول في تأويل قوله تعالى (وانا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) يقول تعالى ذكره وانا لنحن نحيي من كان ميتا اذا أردنا ونميت من كان حيا اذا شئنا ونحن الوارثون يقول ونحن نرث الارض ومن عليها بأن نميت جميعهم فلا يبقى حي سوانا اذا جاء ذلك الأجل وقوله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك ولقد علمنا من مضى من الأمم فتقدم هلاكهم ومن قد خلق وهو حي ومن لم يخلق بعد ممن سيخلق ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن أبيه عن عكرمة ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين قال المستقدمون من قد خلق ومن خلا من الامم والمستأخرون من لم يخلق حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم قال ثنا عمرو بن قيس عن سعيد بن مسروق عن عكرمة في قوله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين قال هم خلق الله كلهم قد علم من خلق منهم الى اليوم وقد علم من هو خالقه بعد اليوم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن التيمي عن أبيه عن عكرمة قال ان الله خلق الخلق ففرغ منهم فالمستقدمون من خرج من الخلق والمستأخرون من بقي في أصلاب الرجال لم يخرج حدثني محمد بن أبي معشر قال أخبرني أبو معشر قال سمعت عون ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود يذاكر محمد بن كعب في قول الله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين فقال عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود خير صفوف الرجال المقدم وشر صفوف الرجال المؤخر وخير صفوف النساء المؤخر وشر صفوف النساء المقدم فقال محمد بن كعب ليس هكذا ولقد علمنا المستقدمين منكم الميت والمقتول والمستأخرين من يلحق بهم من بعد وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم فقال عون بن عبد الله وفقك الله وجزاك خيرا حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه قال قال قتادة المستقدمين من مضى والمستأخرين من بقي في أصلاب الرجال حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا سعيد بن منصور قال ثنا أبو الاحوص قال ثنا سعيد بن مسروق عن عكرمة وخصيف عن مجاهد في قوله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين قالا من مات ومن بقي حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله

ولقد

قول الا كثرين والتركيب يدل على السبق والتواري عن الاعين وقدمر فيما سلف ولا سيما في تفسير الاستعاذة في أول الكتاب (خلقناه من قبل) قال ابن عباس أي من قبل خلق آدم و (السموم) الريح الحارة النافذة في المسام تكون في النهار وقد تكون بالليل ومسام البدن الخروق الخفية التي يبرز منها العرق وبخار الباطن ولا شك أن تلك الريح فيها نار ولها لفح على ما ورد في الخبر أنه لفح جهنم قال ابن مسعود هذه السموم جزء من سبعين جزأ من سموم النار التي خلق الله منها الجان ولا استبعاد في خلق الله الحيوان من النار فانا نشاهد السمندل قد يتولد فيها وعلى قاعدة الحكيم كل ممتزج من العناصر فانه يمكن أن يغلب عليه أحدها وحينئذ يكون مكانه مكان الجزء الغالب والحرارة مقوية للروح لا مضادة لها ثم انه لما استدل بحدوث الانسان الاول على كونه قادرا مختارا ذكر بعده واقعته والمراد بكونه بشرا أنه يكون جسما كثيفا يباشر ويلاقي والملائكة والجن لا يباشرون للطافة أجسامهم والبشرة ظاهر الجلد من كل حيوان (فاذا سويته) عدلت خلقته وأكملتها أو سويت أجزاء بدنه بتعديل الاركان والاخلاط والمزاج التابع لذلك اعتدالا نوعيا أو شخصيا (ونفخت فيه من روحي) النفخ اجراء الريح في تجاويف جسم آخر فمن زعم أن الروح جسم لطيف كالهواء سار في البدن فمعناه ظاهر ومن قال انه جوهر مجرد غير متحيز ولا حال في متحيز فمعنى النفخ عنده تهيئة البدن لاجل تعلق النفس الناطقة به قال جار الله ليس ثم نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لتحصيل ما يحيا به فيه وتمام الكلام في الروح سوف يجيء ان شاء الله في قوله ويسئلونك عن الروح ولا خلاف في أن الاضافة في قوله روحي للتشريف والتكريم مثل ناقة الله وبيت الله والفاء في قوله (فقعوا) تدل على أن وقوعهم في السجود كان واجبا عليهم عقيب التسوية والنفخ من غير تراخ قال المبرد قوله (كلهم) أزال احتمال أن بعض الملائكة لم يسجدوا وقوله (أجمعون) أزال احتمال أنهم سجدوا متفرقين وقال سيبويه والخليل أجمعون توكيد بعد توكيد ورجح الزجاج هذا القول لان أجمع معرفة فلا

ولقد علمنا المستقدمين منكم قال كان ابن عباس يقول آدم صلى الله عليه وسلم ومن مضى من ذريته ولقد علمنا المستأخرين من بقي في أصلاب الرجال حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين قال المستقدمون آدم ومن بعده حتى نزلت هذه الآية والمستأخرون قال كل من كان من ذريته «قال أبو جعفر» أظنه أنا قال مالم يخلق وما هو مخلوق حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن أبيه عن عكرمة قال المستقدمون ماخرج من أصلاب الرجال والمستأخرون مالم يخرج ثم قرأ وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم * وقال آخرون عنى بالمستقدمين الذين قد هلكوا والمستأخرين الاحياء الذين لم يهلكوا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين يعني بالمستقدمين من مات ويعني بالمستأخرين من هو حي لم يمت حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ولقد علمنا المستقدمين منكم يعني الاموات منكم ولقد علمنا المستأخرين بقيتهم وهم الاحياء يقول علمنا من مات ومن بقي حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين قال المستقدمون منكم الذين مضوا في أول الامم والمستأخرون الباقون * وقال آخرون بل معناه ولقد علمنا المستقدمين في أول الخلق والمستأخرين في آخرهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن عامر في هذه الآية ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين قال أول الخلق وآخره حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن داود عن الشعبي في قول الله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين قال ما استقدم في أول الخلق وما استأخر في آخر الخلق حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا علي بن عاصم عن داود بن أبي هند عن عامر في قوله ولقد علمنا المستقدمين منكم قال في العصر والمستأخرين منكم في أصلاب الرجال وأرحام النساء * وقال آخرون بل معنى ذلك ولقد علمنا المستقدمين من الامم والمستأخرين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال أخبرنا ورقاء وحدثني المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد المستقدمين منكم قال القرون الاول والمستأخرين أمة محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا محمد بن عبيد قال ثني عبد الملك عن قيس عن مجاهد في قوله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين قال المستقدمون ما مضى من الامم والمستأخرون أمة محمد صلى الله عليه وسلم حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن عبد الملك عن قيس عن مجاهد بنحوه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري

يقع حالا ولو صح أن يكون حالا وكان منتصبا لأفادنا المعنى الذى ذكره المبرد ثم استثنى ابليس من الملائكة وقد سلف وجه الاستثناء فى أول سورة البقرة ثم استأنف على تقدير سؤال سائل هل سجد فقال (أبى أن يكون مع الساجدين) يعنى اباءه استكبار ثم قال سبحانه وتعالى خطاب تقريع وتعنيف لا تعظيم وتشريف يا ابليس (١٨) مالك ألا تكون مع الساجدين) وقال بعض المتكلمين خاطبه على لسان بعض رسله لان تكليم الله بلا واسطة منصب شريف فكيف يناله اللعين قال جار الله حرف الجر مع أن محذوف ومعناه أى غرض لك فى الامتناع من السجود (قال لم أكن لأسجد) اللام لتأكيد النفى أى لا يصح منى و ينافى حالى أن أسجد (لبشر) وحاصل شبهة اللعين أنه روحانى لطيف وآدم جسمانى كثيف وأصله نورانى شريف وأصل آدم ظلمانى خسيس فعارض النص بالقياس فلا جرم أجيب بقوله (فاخرج منها) أى من الجنة أو من السماء أو من جملة الملائكة وضرب يوم الدين أى يوم الجزاء حدا اللعنة جريا على عادة العرب فى التأبيد كما فى قوله مادامت السموات والارض أو أراد اللعن المجرد من غير تعذيب حتى اذا جاء ذلك اليوم عذب بما ينسى اللعن معه قال صاحب الكشاف وأقول هذا ان أريد باللعن مجرد الطرد عن الحضرة أما ان أريد به الابعاد عن كل خير فيتعين الوجه الاول الا عند من أثبت لابليس رجاء العفو وانما ذكر اللعنة ههنا بلام الجنس لانه ذكر آدم بلفظ الجنس حيث قال انى خالق بشرا ولما خصص آدم بالاضافة الى نفسه فى سورة ص حيث قال لما خلقت بيدى خصص اللعنة أيضا بالاضافة فقال وان عليك لعنتى فافهم (قال رب فأنظرنى) قد مر مثله فى أول الأعراف ومعنى (الوقت المعلوم) أن ابليس لما عينه وأشار اليه بعينه صار كالمعلوم والمراد منه الوقت القريب من البعث الذى يموت فيه الخلائق كلهم وعمل ليشمل الموت اللعين أيضا وقيل لم يجب الى ذلك وأنظر الى يوم لا يعلمه الا الله (قال رب بما أغويتنى) قد مر مباحثه فى الاعراف ومفعول (لأزينن) محذوف أى أزين لهم المعاصى فى الارض أى فى الدنيا التى هى دار الغرور أو أراد أنه اذا قدر على الاحتيال لآدم وهو فى السماء فهو

عن عبد الملك عن مجاهد بنحوه ولم يذكر قدسا * وقال آخرون بل معناه ولقد علمنا المستقدمين منكم فى الخير والمستأخرين عنه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين قال كان الحسن يقول المستقدمون فى طاعة الله والمستأخرون فى معصية الله حدثنى المثنى قال ثنا عمرو ابن عون قال أخبرنا هشيم عن عباد بن راشد عن الحسن قال المستقدمين فى الخير والمستأخرين يقول المبطئين عنه * وقال آخرون بل معنى ذلك ولقد علمنا المستقدمين منكم فى الصفوف فى الصلاة والمستأخرين فيها بسبب النساء ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر بن سليمن عن أبيه عن رجل أخبرنا عن مروان بن الحكم أنه قال كان أناس يستأخرون فى الصفوف من أجل النساء قال فأنزل الله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا جعفر بن سليمن قال أخبرنى عمرو بن مالك قال سمعت أبا الجوزاء يقول فى قول الله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين قال المستقدمين منكم فى الصفوف فى الصلاة والمستأخرين حدثنى محمد بن موسى الحرسى قال ثنا نوح بن قيس قال ثنا عمرو بن مالك عن أبى الجوزاء عن ابن عباس قال كانت تصلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة قال ابن عباس لا والله ما ان رأيت مثلها قط فكان بعض المسلمين اذا صلوا استقدموا و بعض يستأخرون فاذا سجدوا نظروا اليها من تحت أيديهم فأنزل الله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين حدثنا أبو كريب قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا نوح بن قيس وحدثنا أبو كريب قال ثنا مالك بن اسمعيل قال ثنا نوح بن قيس عن عمرو بن مالك عن أبى الجوزاء عن ابن عباس قال كانت تصلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة حسناء من أحسن الناس فكان بعض الناس يستقدم فى الصف الاول لئلا يراها و يستأخر بعضهم حتى يكون فى الصف المؤخر فاذا ركع نظر من تحت ابطيه فى الصف فأنزل الله فى شأنها ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين * قال أبو جعفر وأولى الاقوال عندى فى ذلك بالصحة قول من قال معنى ذلك ولقد علمنا الاموات منكم يا بنى آدم فتقدم موته ولقد علمنا المستأخرين الذين استأخر موتهم ممن هو حى ومن هو حادث منكم ممن لم يحدث بعد لدلالة ما قبله من الكلام وهو قوله وانا لنحن نحيى ونميت ونحن الوارثون وما بعده وهو قوله وان ربك هو يحشرهم على أن ذلك كذلك اذ كان بين هذين الخبرين ولم يجر قبل ذلك من الكلام ما يدل على خلافه ولا جاء بعد وجائز أن تكون نزلت فى شأن المستقدمين فى الصف لشأن النساء والمستأخرين فيه لذلك ثم يكون الله عز وجل عم بالمعنى المراد منه جميع الخلق فقال جل ثناؤه لهم قد علمنا ما مضى من الخلق وأحصيناهم وما كانوا يعملون ومن هو حى منكم ومن هو حادث بعدكم أيها الناس وأعمال جميعكم خيرها وشرها وأحصينا جميع ذلك ونحن نحشر جميعهم فنجازى كلا بأعماله ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا فيكون ذلك تهديدا و وعيدا للمستأخرين فى الصفوف لشأن النساء ولكل من تعدى حد الله

وعمل بغيرما أذن له به و وعد المن تقدم فى الصفوف لسبب النساء وسارع الى محبة الله ورضوانه فى أفعاله كلها وقوله وان ربك هو يحشرهم يعنى بذلك جل ثناؤه وان ربك يا محمد هو يجمع جميع الاولين والآخرين عنده يوم القيامة أهل الطاعة منهم والمعصية وكل أحد من خلقه المستقدمين منهم والمستأخرين وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان ربك هو يحشرهم قال أى الاول والآخر حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا أبو خالد القرشى قال ثنا سفيان عن أبيه عن عكرمة فى قوله وان ربك هو يحشرهم قال هذا من هاهنا وهذا من هاهنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس وان ربك هو يحشرهم قال وكلهم ميت ثم يحشرهم ربهم حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا على بن عاصم عن داود بن أبى هند عن عامر وان ربك هو يحشرهم قال يجمعهم الله يوم القيامة جميعا قال الحسن قال على قال داود سمعت عامرا يفسر قوله انه حكيم عليم يقول ان ربك حكيم فى تدبيره خلقه فى احيائهم اذا أحياهم وفى اماتتهم اذا أماتهم عليم بعددهم وأعمالهم وبالحى منهم والميت والمستقدم منهم والمستأخر كما حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال كل أولئك قد علمهم الله يعنى المستقدمين والمستأخرين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمإ مسنون﴾ يقول تعالى ذكره ولقد خلقنا آدم وهو الانسان من صلصال واختلف أهل التأويل فى معنى الصلصال فقال بعضهم هو الطين اليابس لم تصبه نار فاذا نقرته صل فسمعت له صلصلة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدى قالا ثنا سفيان عن الاعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خلق آدم من صلصال من حمإ ومن طين لازب وأما اللازب فالجيد وأما الحمأ فالحمأة وأما الصلصال فالتراب المرقق واعا سمى انسانا لانه عهد اليه فنسى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد خلقنا الانسان من صلصال قال والصلصال التراب اليابس الذى يسمع له صلصلة حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة من صلصال من حمإ مسنون قال الصلصال الطين اليابس يسمع له صلصلة حدثنا ابن وكيع قال ثنا حميد بن عبد الرحمن عن الحسن بن صالح عن مسلم عن مجاهد عن ابن عباس من صلصال قال الصلصال الماء يقع على الارض الطيبة ثم يحسر عنها فتشقق ثم تصير مثل الخزف الرقاق حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن سعيد عن سفيان عن الاعمش عن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خلق الانسان من ثلاثة من طين لازب وصلصال وحمإ مسنون والطين اللازب اللازق الجيد والصلصال المرقق الذى يصنع منه الفخار والمسنون الطين فيه الحمأة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمإ مسنون قال هو التراب اليابس الذى يبل بعد يبسه حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن مسلم عن مجاهد قال

على التزيين لأولاده وهم فى الارض أقدر أو أراد لأجعلن مكان التزيين عندهم الارض بأن أزين الارض فى أعينهم وأحدثهم أن الزينة هى فى الارض وحدها كقوله وان يعتذر بالمحل من ذى ضروعها * من الضيف يجرح فى عراقيبها نصلى أراد يجرح عراقيبها نصلى ثم استثنى اللعين عباد الله المخلصين لانه علم أن كيده لا يؤثر فيهم قال بعض الحذاق احترز ابليس بهذا الاستثناء من الكذب فيعلم منه أن الكذب فى غاية السماجة والاخلاص فعل الشئ خالصا لله من غير شائبة الغير لا أقل من أن يكون حق الله فيه راجحا أو مساويا ولما ذكر ابليس من الاستثناء ماذكر (قال) الله سبحانه (هذا) يعنى الاخلاص طريق مستقيم علىّ أن أراعيه أو علىّ مروره أى على رضوانى وكرامتى وقيل لما ذكر اللعين أنه يغوى بنى آدم الا من عصمه الله بتوفيقه تضمن هذا الكلام تفويض الامور الى مشيئته تعالى فاشير اليه بقوله هذا أى تفويض الامور الى ارادتى ومشيئتى (صراط علىّ) تقريره وتأكيده ومن قرأ علىٌّ بالتنوين فهو من علو الشرف أى الاخلاص أو طريق التفويض الى الله والايمان بقضائه طريق رفيع (مستقيم) لا عوج له وقال جار الله هذا اشارة الى ما بعده وهو قوله ان عبادى ليس لك عليهم سلطان قال الكلبى المذكورون فى هذه الآية هم الذين استثناهم ابليس وذلك أنه لما ذكر الاعادك بين به أنه لا يقدر على اغواء المخلصين فصدقه الله تعالى فى الاستثناء قائلا (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك) أى ولكن من اتبعك من الغواة فلك تسلط عليهم وهذا يناسب أصول الاشاعرة وقال آخرون هذا تكذيب لابليس وذلك أنه أوهم بما ذكر أن له سلطانا على عباد الله الذين لا يكونون من المخلصين فبين تعالى أنه ليس له على أحد منهم سلطان ولا قدرة أصلا الا الاغواء لا بسبب الجبر والقسر بل من جهة الوسوسة والتزيين نظيره قوله وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم وهذا يناسب أصول الاعتزال (وان جهنم لموعدهم أجمعين) قال ابن عباس يريد ابليس ومن تبعه من الغاوين (لها سبعة أبواب) أى سبع طبقات بعضها فوق بعض أعلاها للموحدين والثانى لليهود والثالث للنصارى والرابع

للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وعن ابن عباس في رواية ابن جريج ان جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين وقيل ان قرار جهنم مقسوم بسبعة أقسام لكل قسم باب معين لكل (٣٠) باب جزء من أتباع ابليس مقسوم في قسمة الله سبحانه والسبب فيه أن مراتب الكفر مختلفة بالغلظ والخفة فلاجرم صارت مراتب العقاب أيضا متفاوتة بحسبها ثم عقب الوعيد بالوعد فقال (ان المتقين في جنات وعيون) فزعم جمهور المعتزلة أنهم الذين اتقوا جميع المعاصي والاثم يفد المدح وقال جمهور الصحابة والتابعين هم الذين اتقوا الشرك بالله واحتجوا عليه بأنه اذا اتقى مرة واحدة صدق عليه أنه اتقى وكذا الكلام في الضارب والكاتب فليس من شرط صدق الوصف كونه آتيا بجميع أصنافه وأفراده الا أن الامة أجمعوا على أن التقوى عن الشرك شرط في حصول هذا الحكم والآية أيضا وردت عقيب قوله الا عبادك منهم المخلصين ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فلزمه اعتبار الايمان في هذا الحكم والظاهر أن لا يراد شرط آخر لان التخصيص خلاف الظاهر فكلما كان أقل كان أوفق لمقتضى الاصل فثبت أن المتقين يتناول جميع القائلين بكلمة الاسلام وهي لا اله الا الله محمد رسول الله قولا واعتقادا سواء كان من أهل الطاعة أو من أهل المعصية ثم ان الجنات أقلها أربع لقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قال ومن دونهما جنتان وأما العيون فاما أن يراد بها الانهار المذكورة في قوله فيها أنهار من ماء غير آسن الآية واما أن يراد بها منابع غير ذلك ثم ان كل واحد من المتقين يحتمل أن يختص بعين وينتفع بها كل من في خدمته من الحور والولدان ويكون ذلك على قدر حاجتهم وعلى حسب شهوتهم ويحتمل أن يجري من بعضهم الى بعض لانهم مطهرون من كل حقد وحسد فان قيل اذا كانوا في جنات فكيف يعقل أن يقول لهم الله تعالى أو بعض الملائكة (ادخلوها) فالجواب لعل المراد أنهم لما ملكوا الجنات فكلما أرادوا أن ينتقلوا من جنة الى أخرى قيل لهم ذلك ومعنى

الصلصال الذي يصلصل مثل الخزف من الطين الطيب حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول الصلصال طين صلب يخالطه الكثيب حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد من صلصال قال التراب اليابس * وقال آخرون الصلصال المنتن وكأنهم وجهوا ذلك الى أنه من قولهم صل اللحم وأصل اذا أنتن يقال ذلك باللغتين كلتيهما بفعل وأفعل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنا الحسن قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد من صلصال الصلصال المنتن * والذي هو أولى بتأويل الآية أن يكون الصلصال في هذا الموضع الذي له صوت من الصلصلة وذلك أن الله تعالى وصفه في موضع آخر فقال خلق الانسان من صلصال كالفخار فشبهه تعالى ذكره بأنه كان كالفخار في يبسه ولو كان معناه في ذلك المنتن لم يشبهه بالفخار لان الفخار ليس بمنتن فيشبه به في النتن غيره وأما قوله من حمإ مسنون فان الحمأ جمع حمأة وهو الطين المتغير الى السواد وقوله مسنون يعني المتغير * واختلف أهل العلم بكلام العرب في معنى قوله مسنون فكان بعض نحويي البصريين يقول عني به حمأ مصور تام وذكر عن العرب أنهم قالوا اسن على مثال سنة الوجه أي صورته قال وكأن سنة الشيء من ذلك أي مثاله الذي وضع عليه قال وليس من الآسن المتغير لانه من سنن مضاعف * وقال آخر منهم هو الحمأ المصبوب قال والمصبوب المسنون وهو من قولهم سننت الماء على الوجه وغيره اذا صببته وكان بعض أهل الكوفة يقول هو المتغير قال كأنه أخذ من سننت الحجر على الحجر وذلك أن يحك أحدهما بالآخر يقال منه سننته أسنه سنا فهو مسنون قال ويقال للذي يخرج من بينهما سنين ويكون ذلك منتنا وقال منه سمي المسن لان الحديد يسن عليه وأما أهل التأويل فانهم قالوا في ذلك نحو ما قلنا ذكر من قال ذلك حدثنا عبيد الله بن يوسف الجبيري قال ثنا محمد بن كثير قال ثنا مسلم عن مجاهد عن ابن عباس في قوله من حمإ مسنون قال الحمأ المنتنة حدثني يحيى بن ابراهيم المسعودي قال ثنا أبي عن أبيه عن جده عن الاعمش عن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس من حمإ مسنون قال الذي قد أنتن حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس من حمإ مسنون قال منتن حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله من حمإ مسنون قال هو التراب المبتل المنتن فجعل صلصالا كالفخار حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنا الحسن قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء وحدثنا ابن وكيع قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد من حمإ مسنون قال منتن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة من حمإ مسنون والحمأ المسنون الذي قد تغير وأنتن حدثنا محمد بن عبد الاعلى

قال

قال ثنا محمد بن ثور عن معمر من حمأ مسنون قال قد أنتن قال منتنة حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك في قوله من حمأ مسنون قال من طين لازب وهو اللازق من الكثيب وهو الرمل حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله من حمأ مسنون قال الحمأ المنتن * وقال آخرون منهم في ذلك هو الطين الرطب ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله من حمأ مسنون يقول من طين رطب ۞ القول في تأويل قوله تعالى (والجان خلقناه من قبل من نار السموم) يقول تعالى ذكره والجان وقد بينا فيما مضى معنى الجان ولم قيل له جان وعنى بالجان ههنا ابليس أبا الجن يقول تعالى ذكره وابليس خلقناه من قبل الانسان من نار السموم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والجان خلقناه من قبل وهو ابليس خلق قبل آدم وانما خلق آدم آخر الخلق فحسده عدو الله ابليس على ما أعطاه الله من الكرامة فقال أنا ناري وهذا طيني فكانت السجدة لآدم والطاعة لله تعالى ذكره فقال اخرج منها فانك رجيم واختلف أهل التأويل في معنى نار السموم فقال بعضهم هي السموم الحارة التي تقتل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن أبي اسحق عن التميمي عن ابن عباس في قوله والجان خلقناه من قبل من نار السموم قال السموم الحارة التي تقتل حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا شريك عن أبي اسحق عن التميمي عن ابن عباس والجان خلقناه من قبل من نار السموم قال هي السموم التي تقتل فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت قال هي السموم التي تقتل * وقال آخرون يعني بذلك من لهب النار ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن مغراء عن جويبر عن الضحاك في قوله والجان خلقناه من قبل من نار السموم قال من لهب من نار السموم حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان عن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال كان ابليس من حي من أحياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة قال وخلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن أبي اسحق قال دخلت على عمرو بن الأصم أعوده فقال ألا أحدثك حديثا سمعته من عبد الله سمعت عبد الله يقول هذه السموم جزء من سبعين جزأ من السموم التي خرج منها الجان قال وتلا والجان خلقناه من قبل من نار السموم وكان بعض أهل العربية يقول السموم بالليل والنهار وقال بعضهم الحرور بالنهار والسموم بالليل يقال سم يومنا يسم سموما حدثني المثنى قال ثنا محمد بن سهل بن عسكر قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثني عبد الصمد ابن معقل قال سمعت وهب بن منبه وسئل عن الجن ما هم وهل يأكلون أو يشربون أو يموتون أو يتناكحون قال هم أجناس فأما خالص الجن فهم ريح لا يأكلون ولا يشربون ولا يموتون ولا يتوالدون ومنهم أجناس يأكلون ويشربون ويتناكحون ويموتون وهي هذه التي منها السعالي والغول وأشباه ذلك ۞ القول في تأويل قوله تعالى (واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا

(بسلام) أي مع السلامة من آفات النقص والانقطاع فقوله (ونزعنا ما في صدورهم من غل) قد مر تفسيره في الأعراف (اخوانا) نصب على الحال وكذلك (على سرر متقابلين) والمراد بالاخوة اخوة الدين والتعاطف والسرر جمع سرير قيل هو المجلس الرفيع المهيأ للسرور وقال الليث سرير العيش مستقره الذي يطمئن عليه حال سروره وفرحه والتركيب (٢١) يدور على العزة والنفاسة ومنه قولهم سر الوادي لأفضل موضع منه ومنه السر الذي يكتم عن ابن عباس يريد على سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت وعن مجاهد تدور بهم الاسرة حيثما داروا فيكونون في جميع أحوالهم متقابلين والتقابل التواجه نقيض التدابر وتقابل الاخوان يوجب اللذة والسرور لكون كل منهم مقبلا على الآخر بالكلية وتقابل الاعداء يكون تقابل التضاد والتمانع فيكون موجبا للتباغض والتخالف واعلم أن الثواب منفعة مقرونة بالتعظيم خالصة عن الآفات آمنة من الزوال فقوله ان المتقين اشارة الى المنفعة وقوله ادخلوها رمز الى أنها مقرونة بالتعظيم وقوله ونزعنا الى قوله (لا يمسهم فيها نصب) أي تعب تلويح الى كونها سالمة من المنغصات الآن قوله ونزعنا ما في صدورهم اشارة الى نفي المضار الروحانية وقوله لا يمسهم اشارة الى نفي المضار الجسدانية وقوله (وما هم منها بمخرجين) مفيد لمعنى الخلود ثم لما ذكر الوعد والوعيد زاده تقريرا وتمكينا في النفوس فقال (نبيء عبادي) وفيه من التوكيدات ما لا يخفى منها اشهاد رسوله واعلامه ومنها تشريفهم باطلاق لفظ العباد عليهم ثم باضافتهم الى نفسه ومنها التوكيد بأن وبالفصل وبصيغتي الغفور والرحيم مع نوع تكرر وكل ذلك يدل على أن جانب الرحمة أغلب كما قال سبقت رحمتي غضبي ۞ التأويل ربما يود الذين كفروا أي النفوس الكافرة لو كانوا مستسلمين لأوامر الله ونواهيه وذلك انما يكون عند استيلاء سلطان الذكر على القلب والروح وتنور صفاتها بنور الذكر فيغلب النور على ظلمة النفس وصفاتها وتبدلت أحوالها من الامارية الى الاطمئنان فتمنت حين ذاقت حلاوة الاسلام وطعم الايمان لو كانت من بدء الخلق مسلمة مؤمنة كالقلب والروح ثم هذه النفس التي ذاقت حلاوة الاسلام ثم عادت المشؤوم

من صلصال من حمامسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر يا محمد اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمامسنون فاذا سويته يقول فاذا صورته فعدلت صورته ونفخت فيه من روحى فصار بشرا حيا فقعوا له ساجدين سجود تحية وتكرمة لا سجود عبادة وقد حدثنى جعفر بن مكرم قال ثنا أبو عاصم قال ثنا شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس قال لما خلق الله الملائكة قال انى خالق بشرا من طين فاذا أنا خلقته فاسجدوا له فقالوا لا نفعل فأرسل عليهم نارا فأحرقتهم وخلق ملائكة أخرى فقال انى خالق بشرا من طين فاذا أنا خلقته فاسجدوا له فأبوا قال فأرسل عليهم نارا فأحرقتهم ثم خلق ملائكة أخرى فقال انى خالق بشرا من طين فاذا أنا خلقته فاسجدوا له فأبوا فأرسل عليهم نارا فأحرقتهم ثم خلق ملائكة فقال انى خالق بشرا من طين فاذا أنا خلقته فاسجدوا له فقالوا سمعنا وأطعنا الا ابليس كان من الكافرين الاولين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين قال يا ابليس مالك ألا تكون مع الساجدين ﴾ يقول تعالى ذكره فلما خلق الله ذلك البشر ونفخ فيه الروح بعد أن سواه سجد الملائكة كلهم جميعا الا ابليس فانه أبى أن يكون مع الساجدين فى سجودهم لآدم حين سجدوا فلم يسجد له معهم تكبرا وحسدا وبغيا فقال الله تعالى ذكره يا ابليس مالك ألا تكون مع الساجدين يقول ما منعك من أن تكون مع الساجدين فأن فى قول بعض نحويى الكوفة خفض وفى قول بعض أهل البصرة نصب بفقد الخافض ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمامسنون قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين ﴾ يقول تعالى ذكره قال ابليس لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمامسنون وهو من طين وأنا من نار والنار تأكل الطين وقوله فاخرج منها يقول قال الله تعالى ذكره لابليس فاخرج منها فانك رجيم والرجيم المرجوم صرف من مفعول الى فعيل وهو المشتوم كذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فانك رجيم والرجيم الملعون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله فاخرج منها فانك رجيم قال ملعون والرجم فى القرآن الشتم وقوله وان عليك اللعنة الى يوم الدين يقول وان غضب الله عليك باخراجه اياك من السموات وطردك عنها الى يوم المجازاة وذلك يوم القيامة وقد بينا معنى اللعنة فى غير موضع بما أغنى عن اعادته ههنا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قال رب فأنظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم ﴾ يقول تعالى ذكره قال ابليس رب فاذ أخرجتنى من السموات ولعنتنى فأخرنى الى يوم تبعث خلقك من قبورهم فتحشرهم لموقف القيامة قال الله له فانك ممن أخر هلاكه الى يوم الوقت المعلوم لهلاك جميع خلق وذلك حين لا يبقى على الارض من بنى آدم ديار ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قال رب بما أغويتنى لأزينن لهم فى الارض ولأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين ﴾ يقول تعالى ذكره قال ابليس رب بما أغويتنى باغوائك لأزينن لهم فى الارض

الى طبعها واستحلت المشارب الدنيوية بقوله ذرهم يأكلوا وما أهلكنا من قرية من القرى البدنية بافساد استعدادها الا ولها كتاب مكتوب فى علم الله من سوء أعماله وأحواله ما تسبق من أمة أجلها متى يظهر منها ما هو سبب هلاكها وما يستأخرون لحظة بعد استيفاء أسباب هلاكها وقالوا يعنى النفوس المتمردة مخاطبا (٢٢) للقلب الذاكر لوما تأتينا بصفات الملائكة المنقادين وفيه اشارة الى أن النفس الامارة لا تؤمن بما أنزل الله الى القلوب من أنوار الالهية حتى تصير مطمئنة مستعدة لهذه الصفات ولو أنزلت قبل أوانها وكمال استعداد القلوب ما كانوا اذا منظرين مؤخرين من الهلاك لضيق نطاق طاقتهم انا نحن نزلنا كلمة لا اله الا الله فى قلوب المؤمنين كتب فى قلوبهم الايمان والمنافق يقول ذلك ولكن لم ينزل فى قلبه ولم يحفظ ولو فتحنا على من أسلكنا الكفر فى قلوبهم بابا من سماء القلب لأنكر وافتح الباب ولقد جعلنا فى سماء القلب بروج الاطوار فكما أن البروج منازل السيارات فكذلك الاطوار منازل شموس المشاهدات وأقمار المكاشفات وسيارات اللوامع والطوالع وزيناها لاهل النظر السائرين الى الله وحفظناها من وساوس الشيطان وهواجس النفس الأمارة ولكن من استرق السمع من النفس والشيطان فأدركه شعلة من أنوار تلك الشواهد فيضمحل الباطل ويتبين الحق والارض مددناها فيه أن أرض البشرية تميل كنفس الحيوانات الى أن أرساها الله بجبال العقل وصفات القلب وجعلنا لكم فيها معايش هى أسباب الوصول والوصال ومن لستم له برازقين وهو جوهر المحبة وان غذاءه من مواهب الحق وتجلى جماله فقط ولكل شئ خزانة فلصورة الاجسام خزانة ولاسمها خزانة ولمعناها خزانة وكذا للونها ولطعمها ولخواصها من المنافع والمضار وكذا لظلمتها ونورها ولملكها وملكوتها وما من شئ الا وفيه لطف الله وقهره مخزون وقلوب العباد خزائن صفات الله تعالى بأجمعها وأرسلنا رياح العناية لواقح لاشجار القلوب بأنهار الكشوف وبأثمار الشواهد كما قال بعضهم اذا هبت رياح الكرم على أسرار العارفين أعتقهم من هواجس أنفسهم ورعونات طبائعهم

وكان

وكأن قوله بما أغويتني خرج مخرج القسم كما يقال بالله أو بعزة الله لأغوينهم وعنى بقوله لأزينن لهم في الارض لأحسنن لهم معاصيك ولأحببنها اليهم في الارض ولأغوينهم أجمعين يقول ولأضلنهم عن سبيل الرشاد الا عبادك منهم المخلصين يقول الا من أخلصته بتوفيقك فهديته فان ذلك ممن لا سلطان لي عليه ولا طاقة لي به وقد قرئ الا عبادك منهم المخلصين فمن قرأ ذلك كذلك فانه يعني به الا من أخلص طاعتك فانه لا سبيل لي عليه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك الا عبادك منهم المخلصين يعني المؤمنين حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا هشام قال ثنا عمرو عن سعيد عن قتادة الا عبادك منهم المخلصين قال قتادة هذه ثنية الله تعالى ذكره ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال هذا صراط عليّ مستقيم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين﴾ اختلفت القراء في قراءة قوله قال هذا صراط عليّ مستقيم فقرأه عامة قراء الحجاز والمدينة والكوفة والبصرة هذا صراط عليّ مستقيم بمعنى هذا طريق اليّ مستقيم فكان معنى الكلام هذا طريق مرجعه الي فأجازي كلا بأعمالهم كما قال الله تعالى ذكره ان ربك لبالمرصاد وذلك نظير قول القائل لمن يتوعده ويتهدده طريقك علي وأنا على طريقك فكذلك قوله هذا صراط معناه هذا طريق علي وهذا طريق اليّ وكذلك تأول من قرأ ذلك كذلك ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثني الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله هذا صراط عليّ مستقيم قال الحق يرجع الى الله وعليه طريقه لا يعرج على شئ حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه حدثنا أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا مروان بن شجاع عن خصيف عن زياد بن أبي مريم وعبد الله بن كثير أنهما قرآها هذا صراط عليّ مستقيم وقالا على هي الي وبمنزلتها حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عبد الوهاب بن عطاء عن اسمعيل بن مسلم عن الحسن وسعيد عن قتادة عن الحسن هذا صراط عليّ مستقيم يقول اليّ مستقيم وقرأ ذلك قيس بن عباد وابن سيرين وقتادة فيما ذكر عنهم هذا صراط عليٌّ مستقيم برفع عليّ على أنه نعت للصراط بمعنى رفيع ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي حماد قال ثنى جعفر البصري عن ابن سيرين أنه كان يقرأ هذا صراط علي مستقيم يعني رفيع حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هذا صراط عليّ مستقيم أي رفيع مستقيم قال بشر قال يزيد قال سعيد هكذا نقرؤها نحن وقتادة حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عبد الوهاب عن هرون عن أبي العوام عن قتادة عن قيس بن عباد هذا صراط علي مستقيم يقول رفيع * والصواب من القراءة في ذلك عندنا قراءة من قرأ هذا صراط عليّ مستقيم على التأويل الذي ذكرناه

وظهر في القلوب نتائج ذلك وهي الاعتصام بالله والاعتماد عليه فأنزلنا من سماء الهداية ماء الحكمة وما أنتم له بخازنين في أصل الخلقة فان المخلوق لا يوصف بالحكمة الا مجازا وانا لنحن نحيي قلوب أوليائنا بأنوار جمالنا ونميت نفوسهم بسطوة جلالنا ونحن الوارثون بعد افناء وجودهم ليبقوا ببقائنا وان ربك هو يحشر المستقدمين الى حظائر قدسه والمستأخرين الى أسفل سافلين الطبيعة خاطب ابليس النفس بقوله وان عليك اللعنة الى يوم الدين أي الى أن تطلع شمس شواهدنا من مشرق الروح وتصير أرض النفس مشرقة وتتبدل صفاتها الذميمة المظلمة بالاخلاق الروحانية الحميدة الى يوم يبعثون أي يبعث الارواح في قيامة العشق وهو الوقت المعلوم الذي يتجلى الرب فيه لارواح العشاق فينعكس نور التجلي من الارواح الى النفوس فتجعلها مطمئنة بما أغويتني أضللتني من طريق الامارية لأزينن للارواح في أرض البشرية من الاعمال الصالحات التي تورث الاخلاق الحميدة وبها تربية الارواح وترقيها ولأغوينهم أجمعين عما كانوا عليه من الاعمال الروحانية الملكية التي لا تتأتى الا لعبادك الذين خلصوا من حبس الوجود بجذبات الالطاف هذا صراط أي هو طريق أهل الاستقامة في السير في الله المنقطعين عن غيره ان عبادي ليس لك عليهم سلطان حجة تتعلق بتلك الحجة لهدايتهم واغوائهم فانهم بلاهم وان من خصوصية العبودية المضافة الى الحضرة الحرية عما سواها لها سبعة أبواب من الحرص والشره والحقد والحسد والغضب والشهوة والكبر أو الابواب السبعة اشارة الى الحواس الخمس الظاهرة والى الوهم والخيال فانهما أصلا الحواس الباطنة لان الاول يدرك المعاني والثاني يدرك الصور والباقية أعني المفكرة والحافظة والذاكرة من أعوانهما وأكثر ما يستعمل الانسان هذه المشاعر انما يستعملها في الاحوال الدنيوية المفضية الى الهلاك فلا جرم صارت أبواب الجهنم فاذا استعملها في تحصيل السعادات الباقية بحسب تصرف العقل الغريزي صرن مع العقل أبوابا بل أسبابا لحصول الجنة ادخلوها بسلام والسلام من الله الجذبات آمنين من موانع الخروج والدخول بعد الوصول فان السير في الله لا يمكن الا بالله وجذباته ولهذا قال جبرئيل ليلة

المعراج لودنوت أنملة لاحترقت ونزعنا فيه أن نزع الغل من الصدور لا يكون الا بنزع الله وأن الارواح القدسية مطهرات عن علائق القوى الشهوانية والغضبية مبرآت من حوادث الوهم والخيال ومعنى تقابلهم أن النفوس المصفاة عن كدورات عالم الاجسام ونوازع الخيال والاوهام اذا وقع عليها أنوار جمال الله أو جلاله انعكست منها الى من في مثل درجاتها كما تتعاكس المرايا الصافية المتحاذية فيزداد كل منها في نفسها بخفاء صفاتها وفي قوله نبيء عبادي اشارة الى أن سلوك السالكين وطير الطائرين يجب أن يكون على قدمي الرجاء والخوف وجناحي الانس والجن والله الموفق للصواب

﴿ ونبئهم عن ضيف ابراهيم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال انا منكم وجلون قالوا لا توجل انا نبشرك بغلام عليم قال أبشرتموني على أن مسني الكبر فبم تبشرون قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين الا آل لوط انا لمنجوهم أجمعين الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون وأتيناك بالحق وانا لصادقون فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون وقضينا اليه ذلك الامر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وجاء أهل المدينة يستبشرون قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون قالوا أولم ننهك عن العالمين قال هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون فأخذتهم الصيحة مشرقين فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ان في ذلك لآيات للمتوسمين وانها لبسبيل مقيم ان في ذلك لآية للمؤمنين وان كان أصحاب الأيكة لظالمين فانتقمنا منهم وانهما لبامام مبين ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين فأخذتهم الصيحة مصبحين فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل ان ربك هو الخلاق

عن مجاهد والحسن البصري ومن وافقهما عليه لاجماع الحجة من القراء عليها وشذوذ ما خالفها وقوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين يقول تعالى ذكره ان عبادي ليس لك عليهم حجة الا من اتبعك على ما دعوته اليه من الضلالة ممن غوى وهلك حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن عبيد الله بن موهب قال ثنا يزيد بن قسيط قال كانت الانبياء لهم مساجد خارجة من قراهم فاذا أراد النبي أن يستنبئ ربه عن شئ خرج الى مسجده فصلى ما كتب الله له ثم سأل ما بدا له فبينما نبي في مسجده اذ جاء عدو الله حتى جلس بينه وبين القبلة فقال النبي صلى الله عليه وسلم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقال عدو الله أرأيت الذي تعوذ منه فهو هو فقال النبي صلى الله عليه وسلم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فردد ذلك ثلاث مرات فقال عدو الله أخبرني بأي شئ تنجو مني فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل أخبرني بأي شئ تغلب ابن آدم مرتين فأخذ كل واحد منهما على صاحبه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ذكره يقول ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين قال عدو الله قد سمعت هذا قبل أن تولد قال النبي صلى الله عليه وسلم ويقول الله تعالى ذكره واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم واني والله ما أحسست بك قط الا استعذت بالله منك فقال عدو الله صدقت بهذا تنجو مني فقال النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرني بأي شئ تغلب ابن آدم قال آخذه عند الغضب وعند الهوى

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وان جهنم لموعدهم أجمعين لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم ﴾ يقول تعالى ذكره لابليس وان جهنم لموعد من تبعك أجمعين لها سبعة أبواب يقول لجهنم سبعة أطباق لكل طبق منهم يعني من أتباع ابليس جزء يعني قسما ونصيبا مقسوما وذكر أن أبواب جهنم طبقات بعضها فوق بعض ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد ابن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت أبا هرون الغنوي قال سمعت حطان قال سمعت عليا وهو يخطب قال ان أبواب جهنم هكذا ووضع شعبة احدى يديه على الاخرى حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبي هرون الغنوي عن حطان بن عبد الله قال قال علي تدرون كيف أبواب النار قلنا نعم كنحو هذه الابواب فقال لا ولكنها هكذا فوصف أبو هرون أطباقا بعضها فوق بعض وفعل ذلك أبو بشر حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا اسمعيل بن ابراهيم عن أبي هرون الغنوي عن حطان بن عبد الله عن علي قال هل تدرون كيف أبواب النار قالوا كنحو هذه الابواب قال لا ولكن هكذا ووصف بعضها فوق بعض حدثنا هرون بن اسحق قال ثنا مصعب بن المقدام قال أخبرنا اسرائيل قال ثنا أبو اسحق عن هبيرة عن علي قال أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض فيمتلئ الاول ثم الثاني ثم الثالث ثم تمتلئ كلها حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن هبيرة عن علي قال أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض وأشار بأصابعه على الاول ثم الثاني ثم الثالث حتى تملأ كلها حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا يونس بن أبي اسحق عن أبيه عن هبيرة بن مريم قال سمعت عليا يقول ان أبواب جهنم بعضها فوق بعض فيملأ الاول ثم الذي يليه الى آخرها حدثنا الحسن ابن

العليم ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين وقل انى أنا النذير المبين كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف (٢٥) يعلمون ولقد نعلم أنك يضيق صدرك

ابن محمد قال ثنا علي قال أخبرنا محمد بن يزيد الواسطي عن جهضم قال سمعت عكرمة يقول في قوله لها سبعة أبواب قال لها سبعة أطباق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله لها سبعة أبواب قال أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية والجحيم فيها أبو جهل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم وهي والله منازل بأعمالهم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ إن المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين ﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين اتقوا الله بطاعته وخافوه فتجنبوا معاصيه في جنات وعيون يقال لهم ادخلوها بسلام آمنين من عقاب الله أو أن تسلبوا نعمة أنعمها الله عليكم وكرامة أكرمكم بها قوله ونزعنا ما في صدورهم من غل يقول وأخرجنا ما في صدور هؤلاء المتقين الذين وصف صفتهم من حقد وضغينة بعضهم لبعض . واختلف أهل التأويل في الحال التي ينزع الله ذلك من صدورهم فقال بعضهم ينزع ذلك بعد دخولهم الجنة ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو غسان قال ثنا اسرائيل عن بشر البصري عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة قال يدخل أهل الجنة الجنة على ما في صدورهم في الدنيا من الشحناء والضغائن حتى اذا توافوا وتقابلوا نزع الله ما في صدورهم في الدنيا من غل ثم قرأ ونزعنا ما في صدورهم من غل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو فضالة عن لقمان عن أبي أمامة قال لا يدخل مؤمن الجنة حتى ينزع الله ما في صدورهم من غل ثم ينزع منه مثل السبع الضاري حدثني المثنى قال ثنا الحجاج ابن المنهال قال ثنا سفيان بن عيينة عن اسرائيل عن أبي موسى سمع الحسن البصري يقول قال علي فينا والله أهل بدر نزلت الآية ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة ونزعنا ما في صدورهم من غل قال من عداوة حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن يزيد الواسطي عن جويبر عن الضحاك ونزعنا ما في صدورهم من غل قال العداوة حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن عطاء بن السائب عن رجل عن علي ونزعنا ما في صدورهم من غل قال العداوة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن منصور عن ابراهيم قال جاء ابن جرموز قاتل الزبير يستأذن على علي فحجبه طويلا ثم أذن له فقال له أما أهل البلاء فتجفوهم قال علي بفيك التراب اني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير ممن قال الله ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن جعفر عن علي بنحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبان بن عبد الله البجلي عن نعيم بن أبي هند عن ربعي بن حراش بنحوه وزاد فيه قال فقام الى علي رجل من همدان فقال الله أعدل من ذلك يا أمير المؤمنين قال فصاح علي صيحة ظننت أن القصر تدهده لها ثم قال اذا لم نكن نحن فمن هم حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا أبو معاوية الضرير قال ثنا أبو مالك الأشجعي عن أبي حبيبة مولى لطلحة قال دخل عمران بن طلحة على علي بعد ما فرغ من أصحاب الجمل فرحب به وقال اني لأرجو أن يجعلني الله وأباك من الذين قال الله

بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴿ القراآت ﴾ ادخلوا وبابه مدغما أبو عمرو وحمزة وعلي وخلف غير هشام انا نبشرك بسكون الباء وضم الشين حمزة الآخرون بالتشديد تبشرون بالتشديد وكسر النون المخففة نافع مثله ولكن مشددة النون ابن كثير الباقون بفتح النون على أنها علامة رفع يقنط بكسر النون أبو عمرو وسهل ويعقوب وعلي وخلف وكذلك بابه الآخرون بالفتح آل لوط مدغما حيث كان شجاع لمنجوهم بالتخفيف يعقوب وحمزة وعلي وخلف الباقون بالتشديد قدرنا بالتخفيف حيث كان أبو بكر وحماد بناتي إن بفتح الياء أبو جعفر ونافع انى أنا بفتح ياء المتكلم جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ﴿ الوقوف ﴾ ابراهيم ٥ ج لئلا يصير إذ دخلوا ظرفا لنبئهم فانه محال سلاما ط وجلون ٥ عليم ٥ تبشرون ٥ القانطين ٥ الضالون ٥ المرسلون ٥ مجرمين ٥ لا للاستثناء آل لوط ط أجمعين ٥ لا قدرنا لا لأن الجملة بعده مفعول والكسر لدخول اللام في الخبر الغابرين ٥ المرسلون ٥ لا لأن ما بعده جواب لما منكرون ٥ يمترون ٥ لصادقون ٥ تؤمرون ٥ مصبحين ٥ يستبشرون ٥ فلا تفضحون ٥ لا للعطف ولا تخزون ٥ العالمين ٥ فاعلين ٥ ط لابتداء القسم

يعمهون ٥ مشرقين ٥ لا لاتصال انقلابها بالصيحة من سجيل ٥ ط للمتوسمين ٥ مقيم ٥ ط للمؤمنين ٥ ط لتمام القصة لظالمين ٥ لا لاتصال الانتقام بظلمهم منهم ٥ ط لأن الواو للابتداء فلو وصل لشابه الحال وهو محال مبين ٥ ط لتمام قصتهم المرسلين ٥ لا لأن الواو بعده للحال أي وقد آتيناهم معرضين ٥ لا للعطف آمنين ٥ ط مصبحين ٥ ط للاتصال

معنى يكسبون ٥ م لتمام القصص الابالحق ط الجميل ٥ العليم ٥ العظيم ٥ للمؤمنين ٥ المبين ٥ ج لجواز تعلق الكاف بقوله فاخذتهم أو بقوله فانتقمنا ولجواز تعلقها بمحذوف أي أنزلنا عليهم العذاب كما أنزلنا وتمام البحث سيجيء في التفسير المقتسمين ٥ لا عضين ٥ أجمعين ٥ لا يعملون ٥ المشركين ٥ المستهزئين (٣٦) ٥ لا آخر ج لابتداء التهديد مع الفاء يعلمون ٥ يقولون ٥ لا لاتصال الامر بالتسبيح تسلية الساجدين ٥ لا العطف اليقين ٥

التفسير إنه سبحانه عطف (ونبئهم) على نبئ عبادي ليكون سماع هذه القصص مرغبا في الطاعة الموجبة للفوز بدرجات الاولياء ومحذرا من المعصية المستتبعة لدركات الاشقياء ولما في قصة لوط من ذكر انجاء المؤمنين واهلاك الظالمين وكل ذلك يقوي ما ذكر من أنه غفور رحيم للمؤمنين وأن عذابه عذاب أليم للكافرين وعند المعتزلة غفور للتائبين معذب لغيرهم وقدمر تفسير أكثر هذه القصة في سورة هود فنذكر الآن ما هو مختص بالمقام فقوله (وجلون) معناه خائفون خافهم لامتناعهم من الاكل أو لدخولهم بغير اذن وفي غير وقت (انا نبشرك) استئناف في معنى تعليل النهي عن الوجل بشروه بالولد الذكر وبكونه عليما فقيل أرادوا بعلمه نبوته وقيل العلم مطلقا وقوله (على أن مسني) في موضع الحال أي مع هذه الحالة استفهم منكرا للولادة في حالة الهرم لانها أمر عجيب عادة لالأنه شك في قدرة الله تعالى ولذلك قال (فبم تبشرون) ما استفهامية دخلها معنى التعجب كأنه قال فبأي أعجوبة تبشروني أوانكم لاتبشروني بشيء في الحقيقة لان ذلك أمر غير متصور في العادة وأحسن ما قيل فيه أن لا يكون قوله عائدا للتبشير بل يكون سؤالا عن الوجه والطريقة يعني اذا كان الطريق المعتاد ممتنعا فبأي طريق تبشروني بالولد فلذلك قالوا في جوابه (بشرناك بالحق) أي باليقين الذي لالبس فيه أو بشرناك بالولد بطريق هو حق وذلك قول الله تعالى ووعده وانه قادر على خلق الولد من غير أبوين فضلا من شيخ فان وعجوز عاقر قال أبو حاتم حذف نافع ياء المتكلم مع النون واسقاط الحرفين لايجوز وأجيب بأنه لم يحذف الا الياء اكتفاء بالكسرة ونون

اخوانا على سرر متقابلين ورجلان جالسان على ناحية البساط فقالا الله أعدل من ذلك تقتلهم بالامس وتكونون اخوانا فقال علي قوما أبعد أرض وأسحقها فمن هم اذا ان لم أكن أنا وطلحة وذكر لنا أبو معاوية الحديث بطوله حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عفان قال ثنا عبد الواحد قال ثنا أبو مالك قال ثنا أبو حبيبة قال قال علي لابن طلحة اني لأرجو أن يجعلني الله وأباك من الذين نزع ما في صدورهم من غل ويجعلنا اخوانا على سرر متقابلين حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا حماد بن خالد الخياط عن أبي الحويرية قال ثنا معاوية بن اسحق عن عمران بن طلحة قال لما نظر الي علي قال مرحبا بابن أخي فذكر نحوه حدثنا الحسن قال ثنا يزيد ابن هرون قال أخبرنا هشام عن محمد قال استأذن الاشتر على علي وعنده ابن لطلحة فحبسه ثم أذن له فلما دخل قال اني لأراك انما حبستني لهذا قال أجل قال اني لأراه لو كان عندك ابن لعثمان لحبستني قال أجل اني لأرجو أن أكون أنا وعثمان ممن قال الله ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين حدثنا الحسن قال ثنا اسحق الازرق قال أخبرنا عوف عن ابن سيرين بنحوه حدثنا الحسن قال ثنا يعقوب بن اسحق الحضرمي قال ثنا السكن ابن المغيرة قال ثنا معاوية بن راشد قال قال علي اني لارجو أن أكون أنا وعثمان ممن قال الله ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ثنا ابن المتوكل الناجي أن أبا سعيد الخدري حدثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة قال فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله الذي كان في الدنيا وقال بعضهم ما يشبه بهم الا أهل جمعة انصرفوا من جمعتهم حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عفان بن مسلم قال ثنا يزيد ابن زريع قال ثنا سعيد بن أبي عروبة في هذه الآية ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين قال ثنا قتادة أن أبا المتوكل الناجي حدثهم أن أبا سعيد الخدري حدثهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه الى قوله وأذن لهم في دخول الجنة ثم جعل سائر الكلام عن قتادة قال وقال قتادة فوالذي نفسي بيده لأحدهم أهدى بمنزله ثم ذكر باقي الحديث نحو حديث بشر غير أن الكلام الى آخره عن قتادة سوى أنه قال في حديثه قال قتادة وقال بعضهم ما يشبه بهم الا أهل الجمعة اذا انصرفوا من الجمعة حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي قال ثنا عمر بن زرعة عن محمد بن اسمعيل الزبيدي عن كثير النواء قال سمعته يقول دخلت على أبي جعفر محمد ابن علي فقلت وليي وليكم وسلمي سلمكم وعدوي عدوكم وحربي حربكم اني أسألك بالله أتبرأ من أبي بكر وعمر فقال قد ضللت اذا وما أنا من المهتدين تولهما يا كثير فما أدركك فهو في رقبتي ثم تلا هذه الآية اخوانا على سرر متقابلين يقول اخوانا يقابل بعضهم وجه بعض لا يستدبره فينظر في قفاه وكذلك تأوله أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان قال ثنا حصين عن مجاهد في قوله على سرر متقابلين قال لا ينظر أحدهم في قفا صاحبه حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى وعبد الرحمن ومؤمل قالوا ثنا سفيان عن ابن

الوقاية لم يوردها كما أوردت في قراءة التشديد وانما كسر نون الجمع لاجل الياء وكلتا اللغتين فصيحة قيل عظم فرحه بتلك البشارة فدهش عن الجواب المنتظم فتكلم بالكلام المضطرب وقيل طلب مزيد الطمأنينة كقوله ولكن ليطمئن قلبي عن ابن عباس يريد بالحق ما قضى الله أن يخرج من صلب ابراهيم اسحق ومن صلب اسحق أكثر الانبياء وقوله (فلا تكن من القانطين) لا يدل على أنه كان قانطا

ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله والسرر وجمع سرير كما الجدد جمع جديد وجمع سرر وأظهر التضعيف فيها والراآن متحركتان لخفة الاسماء ولا تفعل ذلك في الافعال لثقل الافعال ولكنهم يدغمون في الفعل ليسكن أحد الحرفين فيخفف فاذا دخل على الفعل ما يسكن الثاني أظهروا حينئذ التضعيف ۞ القول في تأويل قوله تعالى (لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الاليم) يقول تعالى ذكره لا يمس هؤلاء المتقين الذين وصف صفتهم في الجنات نصب يعني تعب وما هم منها بمخرجين يقول وما هم من الجنة ونعيمها وما أعطاهم الله فيها بمخرجين بل ذلك دائم أبدا وقوله نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أخبر عبادي يا محمد أني أنا الذي أستر على ذنوبهم اذا تابوا منها وأنابوا بترك فضيحتهم بها وعقوبتهم عليها الرحيم بهم أن أعذبهم بعد توبتهم منها عليها وأن عذابي هو العذاب الاليم يقول وأخبرهم أيضا أن عذابي لمن أصر على معاصي وأقام عليها ولم يتب منها هو العذاب الموجع الذي لا يشبهه عذاب هذا من الله تحذير لخلقه التقدم على معاصيه وأمر منه لهم بالانابة والتوبة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الاليم قال بلغنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع من حرام ولو يعلم قدر عذابه لبخع نفسه حدثني المثنى قال أخبرنا اسحق قال أخبرنا ابن المكي قال أخبرنا ابن المبارك قال أخبرنا مصعب بن ثابت قال ثنا عاصم بن عبيد الله عن ابن أبي رباح عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال طلع النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم من الباب الذي يدخل منه بنو شيبة فقال ألا أراكم تضحكون ثم أدبر حتى اذا كان عند الحجر رجع الينا القهقرى فقال اني لما خرجت جاء جبرئيل صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله يقول لم تقنط عبادي نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الاليم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ونبئهم عن ضيف ابراهيم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال انا منكم وجلون قالوا لا توجل انا نبشرك بغلام عليم) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأخبر عبادي يا محمد عن ضيف ابراهيم يعني الملائكة الذين دخلوا على ابراهيم خليل الرحمن حين أرسلهم ربهم الى قوم لوط ليهلكوهم فقالوا سلاما يقول فقال الضيف لابراهيم سلاما قال انا منكم وجلون يقول قال ابراهيم انا منكم خائفون وقد بينا وجه النصب في قوله سلاما وسبب وجل ابراهيم من ضيفه واختلاف المختلفين ودللنا على الصحيح من القول فيه فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وأما قوله قالوا سلاما وهو يعني به الضيف فجمع الخبر عنهم وهم في لفظ واحد فان الضيف اسم للواحد والاثنين والجمع مثل الوزن والقطر والعدل فلذلك جمع خبره وهو في لفظ واحد وقوله قالوا لا توجل يقول قال الضيف لابراهيم لا توجل لا تخف انا نبشرك بغلام عليم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قال أبشرتموني على أن مسني الكبر فبم تبشرون) يقول تعالى ذكره قال ابراهيم للملائكة الذين بشروه بغلام عليم أبشرتموني على أن مسني الكبر فبم تبشرون يقول فبأي شيء تبشرون وكان مجاهد يقول في ذلك ما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنا الحسن بن

فقد ينهى عن الشيء ابتداء كقوله ولا تطع الكافرين ولذلك أنكر ابراهيم نهيهم بقوله (ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون) أي المخطئون طريق الصواب أو الكافرون نظيره انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وفيه أنه لم يستنكر ذلك قنوطا من رحمته ولكن استبعادا له في العادة التي أجراها الله وهما لغتان قنط يقنط مثل ضرب يضرب وقنط يقنط مثل علم يعلم وزعم الفارسي أن الاولى أعلى اللغتين ثم سأل عما لاجله أرسلهم الله حيث قال (فما خطبكم) والخطب الشأن العظيم فسئل انهم لما بشروه بالولد الذكر العليم فما وجه السؤال عن مجيئهم وأجاب الأصم بأن المراد ما الامر الذي وجهتم فيه سوى البشرى وقال القاضي انه علم أن المقصود لو كان التبشير فقط لكان الملك الواحد كافيا وقيل علم أنه لو كان تمام الغرض البشارة لذكروها أول ما دخلوا قبل أن يوجس ابراهيم منهم خيفة قلت لعله استصغر أمر التبشير اما لاجل التواضع واما لأنه واقعة خاصة فسألهم عن الامر الذي هو أعظم من ذلك وأهم تعظيما لشأنهم (قالوا انا أرسلنا) زعم صاحب الكشاف أن الارسال ههنا في معنى التعذيب والاهلاك كارسال الحجر أو السهم الى المرمى وأقول كأنه لا حاجة الى هذا التجوز لقوله في سورة الذاريات انا أرسلنا

الى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين فالتقدير انا أرسلنا اليهم لنهلكهم (الا آل لوط) وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا لاختلاف الجنسين فان القوم موصوفون بالاجرام دون آل لوط ويكون قوله (انا لمنجوهم) جاريا مجرى خبر لكن كأنه قيل لكن قوم لوط منجون ويكون قوله الا امرأته استثناء من الاستثناء أي أرسلنا اليهم لنهلكهم الا آل لوط (الا امرأته) كقول المقر لفلان على عشرة الا ثلاثة الا واحدا وجوز

فى الكشاف أن يكون قوله الا آل لوط مستثنى من الضمير فى مجرمين حتى يكون الاستثناء متصلا أى الى قوم قد أجرموا كلهم الا آل لوط وحدهم ولم يجوز الاستثناء من الاستثناء بناء على أن آل لوط مستثنى من معمول أرسلنا أو مجرمين والامرأته من معمول منجوهم وقد عرفت ما فيه على أنه اذا جعل الارسال بمعنى (٢٨) الاهلاك كما قرره هو آل الامر الى ما ذكرنا فلا أدرى لم استبعده مع وفور فضله قال أهل اللغة قدرت الشئ وقدرته بالتخفيف والتثقيل جعلت الشئ على مقدار غيره ومنه قدر الله الاقوات أى جعلها على مقدار الكفاية وقدر الامور أى جعلها على مقدار ما يكفى فى أبواب الخير والشر وقيل فى معنى قدرنا كتبنا وقال الزجاج دبرنا وقيل قضينا والكل متقارب والمشدد فى هذا المعنى أكثر استعمالا وانه جواب سؤال كأنه قيل ما بالها استثنيت من الناجين فقيل (قدرنا انها لمن الغابرين) أى الباقين فى الهوالك ويقال للماضى أيضا غابر وهو من الاضداد قال فى الكشاف علق فعل التقدير مع أن التعليق من خصائص أفعال القلوب لانه فى معنى العلم وانما أسندوا الفعل الى أنفسهم مع أن التقدير لله عزوجل بيانا لاختصاصهم به تعالى كما يقول خاصة الملك دبرنا كذا أو أمرنا بكذا ولعل المدبر والآمر هو الملك وحده ثم ان الملائكة لما بشروا ابراهيم عليه السلام بالولد وأخبروه بأنهم مرسلون الى قوم مجرمين ذهبوا بعد ذلك الى لوط وذلك قوله (فلما جاء آل لوط المرسلون قال) أى لوط (انكم قوم منكرون) تنكركم نفسى وتنفر منكم وذلك أنهم هجموا عليه فلم يعرفهم وخاف أن يطرقوه بشر فلذلك (قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) أى ما جئناك بما توهمت بل جئناك بما فيه فرحك وتشفيك من عدوك وهو العذاب الذى كنت تخوفهم به وهم يشكون فى وقوعه (وأتيناك بالحق) باليقين الثابت وقال الكلبى قال بالعذاب الذى لا شك فيه (وانا لصادقون) فيما أخبرناك به (فأسر بأهلك بقطع من الليل) أى فى آخره وقدم فى سورة هود وزاد ههنا قوله (واتبع أدبارهم) لانه اذا ساقهم وكان من ورائهم علم بنجاتهم ولا يخفى حالهم ففى الآية زيادة بيان لكيفية الاسراء ثم زاد فى البيان فقال (ولا يلتفت

محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله قال أبشرتمونى على أن مسنى الكبر فبم تبشرون قال عجب من كبره وكبر امرأته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقال على أن مسنى الكبر ومعناه لأن مسنى الكبر وبأن مسنى الكبر وهو نحو قوله حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق بمعنى بأن لا أقول وبمثله فى الكلام أتيتك أنك تعطى فلم أجدك تعطى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون) يقول تعالى ذكره قال ضيف ابراهيم له بشرناك بحق يقين وعلم منا بأن الله قد وهب لك غلاما عليما فلا تكن من الذين يقنطون من فضل الله فييأسون منه ولكن أبشر بما بشرناك به واقبل البشرى واختلفت القراء فى قراءة قوله من القانطين فقرأته عامة قراء الامصار من القانطين بالألف وذكر عن يحيى بن وثاب أنه كان يقرأ ذلك القنطين * والصواب من القراءة فى ذلك ما عليه قراء الامصار لاجماع الحجة على ذلك وشذوذ ما خالفه وقوله قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون يقول تعالى ذكره قال ابراهيم للضيف ومن ييأس من رحمة الله الا القوم الذين قد أخطؤا سبيل الصواب وتركوا قصد السبيل فى تركهم رجاء الله ولا يخيب من رجاه فضلوا بذلك عن دين الله واختلفت القراء فى قراءة قوله ومن يقنط فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة ومن يقنط بفتح النون الا الاعمش والكسائى فانهما كسرا النون من يقنط فأما الذين فتحوا النون منه ممن ذكرنا فانهم قرؤا من بعد ما قنطوا بفتح القاف والنون وأما الاعمش فكان يقرأ ذلك من بعد ما قنطوا بكسر النون وكان الكسائى يقرؤه بفتح النون وكان أبو عمرو بن العلاء يقرأ الحرفين جميعا على النحو الذى ذكرنا من قراءة الكسائى * وأولى القراآت فى ذلك بالصواب قراءة من قرأ من بعد ما قنطوا بفتح النون ومن يقنط بكسر النون لاجماع الحجة من القراء على فتحها فى قوله من بعد ما قنطوا فكسرها فى ومن يقنط أولى اذ كان مجمعا على فتحها فى قنط لان فعل اذا كانت عين الفعل منها مفتوحة ولم تكن من الحروف الستة التى هى حروف الحلق فانها تكون فى يفعل مكسورة أو مضمومة فأما الفتح فلا يعرف ذلك فى كلام العرب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين الا آل لوط انا لمنجوهم أجمعين الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين) يقول تعالى ذكره قال ابراهيم للملائكة فما شأنكم ما أمركم أيها المرسلون قالت الملائكة له انا أرسلنا الى قوم مجرمين يقول الى قوم قد اكتسبوا الكفر بالله الا آل لوط يقول الا اتباع لوط على ما هو عليه من الدين فانا لن نهلكهم بل ننجيهم من العذاب الذى أمرنا أن نعذب به قوم لوط سوى امرأة لوط قدرنا انها لمن الغابرين يقول قضى الله فيها انها لمن الباقين ثم هى مهلكة بعد وقد بينا معنى الغابر فيما مضى بشواهده ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) يقول تعالى ذكره فلما أتى رسل الله آل لوط أنكرهم لوط فلم يعرفهم وقال لهم انكم قوم منكرون أى ننكركم لا نعرفكم فقالت له الرسل بل نحن رسل الله جئناك بما كان فيه قومك يشكون أنه نازل بهم من عذاب الله على كفرهم به حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث

قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثني الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله قال انكم قوم منكرون قال أنكرهم لوط وقوله بما كانوا فيه يمترون قال بعذاب قوم لوط حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وأتيناك بالحق وانا لصادقون فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون) يقول تعالى ذكره قالت الرسل للوط وجئناك بالحق اليقين من عند الله وذلك الحق هو العذاب الذي عذب الله به قوم لوط وقد ذكرت خبرهم وقصصهم في سورة هود وغيرها حين بعث الله رسله ليعذبهم به وقولهم وانا لصادقون يقولون انا لصادقون فيما أخبرناك به يا لوط من أن الله مهلك قومك فأسر بأهلك بقطع من الليل يقول تعالى ذكره مخبرا عن رسله أنهم قالوا للوط فأسر بأهلك ببقية من الليل واتبع يا لوط أدبار أهلك الذين تسري بهم وكن من ورائهم وسر خلفهم وهم أمامك ولا يلتفت منكم وراءه أحد وامضوا حيث يأمركم الله وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا يلتفت منكم أحد لا يلتفت وراءه أحد ولا يعرج حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ولا يلتفت منكم أحد لا ينظر وراءه أحد حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة واتبع أدبارهم قال أمر أن يكون خلف أهله يتبع أدبارهم في آخرهم اذا مشوا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فأسر بأهلك بقطع من الليل قال بعض الليل واتبع أدبارهم أدبار أهله ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وقضينا اليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وجاء أهل المدينة يستبشرون) يقول تعالى ذكره وفرغنا الى لوط من ذلك الامر وأوحينا أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين يقول أن آخر قومك وأولهم مجذوذ مستأصل صباح ليلتهم وأن من قوله أن دابر في موضع نصب ردا على الامر بوقوع القضاء عليها وقد يجوز أن تكون في موضع نصب بفقد الخافض ويكون معناه وقضينا اليه ذلك الامر بأن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله وقلنا ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وعنى بقوله مصبحين اذا أصبحوا أو حين يصبحون وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين يعني استئصال هلاكهم مصبحين حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال

منكم أحد) ولم يستثن امرأته اكتفاء بما مر في السورة من قوله الا آل لوط انا لمنجوهم أجمعين الا امرأته قال جار الله انما أمر باتباع أدبارهم ونهى عن الالتفات ليكون فارغ البال من حالهم فيخلص قلبه لشكر الله ولئلا يتخلف منهم أحد لغرض له فيصيبه العذاب ولئلا يشاهدوا عذاب قومهم فيرقوا لهم مع أنهم ليسوا من أهل الرقة عليهم وليوطنوا نفوسهم على المهاجرة ولا يتحسروا على ما خلفوا وجوز أن يكون النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني لأن من يلتفت لا بد أن يقع له أدنى وقفة (وامضوا حيث تؤمرون) قال الجوهري مضى الشيء مضيا ذهب ومضى في الامر مضيا أنفذه وقال في الكشاف عدى وامضوا الى حيث تعديته الى الظرف المبهم لان حيث مبهم في الامكنة وكذلك الضمير في تؤمرون قلت حاصل الكلام يرجع الى قوله اذهبوا الى المكان الذي تؤمرون بالذهاب اليه أو أنفذوا أمر الذهاب الى هنالك عن ابن عباس انه الشام وقيل مصر وقال المفضل حيث يقول لكم جبرئيل وكانت قرية معينة ما عمل أهلها عمل قوم لوط ثم أخبر عن حالهم مجملا فقال (وقضينا) ضمن معنى أوحينا ولذلك عدى بالى كأنه قيل وأوحينا (اليه ذلك الامر) مقضيا مبتوتا ثم فسر ذلك الامر بقوله (أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين) أي يستأصلون عن آخرهم حال ظهور الصبح ودخولهم فيه وفي هذا الاجمال والتفسير تفخيم لشأن الامر وتعظيم له ثم حكى ما أبدى قوم لوط من الفعال بعد نزول الملائكة فقال (وجاء أهل المدينة) أي أهل سذوم التي ضرب بقاضيها المثل فقيل أجور من قاضي سذوم (يستبشرون) بظهور السرور لمجيء الملائكة لانهم رأوهم مردا حسان الوجوه قال (لوط لما قصدوا أضيافه (ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون) بفضيحة ضيفي لان الضيف يجب اكرامه فاذا أسيء اليه في دار المضيف كان ذلك اهانة وفضيحة للمضيف يقال فضحه يفضحه فضحا وفضيحة اذا أظهر من أمره ما يلزمه العار (واتقوا الله ولا تخزون) مر في هود (قالوا) في جواب لوط (أولم ننهك عن العالمين) أي ألسنا نهيناك عن أن تكلمنا في شأن أحد من الناس اذا قصدناه بالفاحشة وكانوا يتعرضون لكل أحد وكان لوط عليه السلام ينهاهم عن ذلك فأوعدوه

ابن زيد فى قوله وقضينا اليه ذلك الامر قال أوحينا اليه وقوله وجاء أهل المدينة يستبشرون يقول وجاء أهل مدينة سدوم وهم قوم لوط لما سمعوا أن ضيفا قد ضاف لوطا مستبشرين بنزولهم مدينتهم طمعا منهم فى ركوب الفاحشة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجاء أهل المدينة يستبشرون استبشروا بأضياف نبى الله صلى الله عليه وسلم لوط حين نزلوا لما أرادوا أن يأتوا اليهم من المنكر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قال ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون قالوا أولم ننهك عن العالمين) يقول تعالى ذكره قال لوط لقومه ان هؤلاء الذين جئتموهم تريدون منهم الفاحشة ضيفى وحق على الرجل اكرام ضيفه فلا تفضحون أيها القوم فى ضيفى وأكرمونى فى ترككم التعرض لهم بالمكروه وقوله واتقوا الله يقول وخافوا الله فىّ وفى أنفسكم أن يحل بكم عقابه ولا تخزون يقول ولا تذلونى ولا تهينونى فيهم بالتعرض لهم بالمكروه قالوا أولم ننهك عن العالمين يقول تعالى ذكره قال للوط قومه أولم ننهك أن تضيف أحدا من العالمين كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أولم ننهك عن العالمين قال ألم ننهك أن تضيف أحدا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قال هؤلاء بناتى ان كنتم فاعلين لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون فأخذتهم الصيحة مشرقين) يقول تعالى ذكره قال لوط لقومه تزوجوا النساء فأتوهم ولا تفعلوا ما قد حرم الله عليكم من اتيان الرجال ان كنتم فاعلين ما آمركم به ومنتهين الى أمرى كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال هؤلاء بناتى ان كنتم فاعلين أمرهم نبى الله لوط أن يتزوجوا النساء وأراد أن يقى أضيافه ببناته وقوله لعمرك يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وحياتك يا محمد ان قومك من قريش لفى سكرتهم يعمهون يقول لفى ضلالتهم وجهلهم يترددون وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثنا سعيد بن زيد قال ثنا عمرو بن مالك عن أبى الجوزاء عن ابن عباس قال ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا أكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره قال الله تعالى ذكره لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا يعقوب بن اسحق الحضرمى قال ثنا الحسن بن أبى جعفر قال ثنا عمرو بن مالك عن أبى الجوزاء عن ابن عباس فى قول الله لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون قال ما حلف الله تعالى بحياة أحد الا بحياة محمد صلى الله عليه وسلم قال وحياتك يا محمد وعمرك وبقائك فى الدنيا انهم لفى سكرتهم يعمهون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون وهى كلمة من كلام العرب لفى سكرتهم أى فى ضلالتهم يعمهون أى يلعبون حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان قال سألت الاعمش عن قوله لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون قال لفى غفلتهم يترددون حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فى سكرتهم قال فى ضلالتهم يعمهون قال يلعبون حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال مجاهد يعمهون قال يترددون حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله لعمرك يقول لعيشك انهم لفى سكرتهم يعمهون قال يتمادون

حدثنى

والعمر والعمر بالفتح والضم واحد الا أنهم خصوا القسم بالمفتوح اتباعا للاخف فان الحلف كثير الدور على ألسنتهم (انهم لفى سكرتهم) غوايتهم التى أذهبت عقولهم حتى لم يميزوا بين خطئهم وصوابك (يعمهون) يتحيرون فكيف يقبلون قولك الذى تأمرهم به من ترك البنين الى البنات وقيل انه سبحانه خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقسم بحياته صلى الله عليه وسلم كرامة له صلى الله عليه وسلم وما أقسم بحياة أحد قط وذلك يدل على أنه أكرم الخلق على الله (فأخذتهم الصيحة مشرقين) داخلين فى الشروق وهو بزوغ الشمس كان ابتداء العذاب من أول الصبح لقوله مصبحين أليس الصبح بقريب وغلبته كانت عند طلوع الشمس قال المفسرون هى صيحة جبرئيل قلت ويحتمل أن تكون صيحة قلب المدائن وارسال الحجارة عليهم قال بعض المفسرين انما قال (وأمطرنا عليهم) وفى سورة هود وأمطرنا عليها لانه أراد ههنا من شذ من القرية منهم وقيل سبب تخصيص هذه السورة بجمع المذكر هو بناء القصة على قوله انا أرسلنا الى قوم مجرمين (ان فى ذلك لآيات للمتوسمين) للمتفرسين وحقيقة التوسم التثبت فى النظر حتى يعرف حقيقة سمة الشئ فعبر به عن التأمل والتفكر (وانها) يعنى تلك القرى وآثارها (لبسبيل مقيم)

ثابت يسلكه الناس المارة من الحجاز الى الشام يشاهدون آثار قهر الله وغضبه هنالك قال بعضهم انما جمع الآيات فى قوله ان فى ذلك لآيات للمتوسمين لانه أشار الى ما تقدم من ضيف ابراهيم وقصة لوط وقلب المدينة وامطار الحجارة عليها وعلى من غاب منهم وقال فى الثانية وانها أى القرية لبسبيل وهذه واحدة من تلك الآيات فلذلك قال (ان فى ذلك لآية للمؤمنين) وقيل ما جاء من

حدثني أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن ابراهيم قال كانوا يكرهون أن يقول الرجل لعمري يرونه كقوله وحياتك وقوله فأخذتهم الصيحة مشرقين يقول تعالى ذكره فأخذتهم صاعقة العذاب وهي الصيحة مشرقين يقول اذا أشرقوا ومعناه اذا أشرقت الشمس ونصب مشرقين ومصبحين على الحال بمعنى اذا أصبحوا واذا أشرقوا يقال منه صيح بهم اذا أهلكوا وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فأخذتهم الصيحة مشرقين قال حين أشرقت الشمس ذلك مشرقين * القول في تأويل قوله تعالى ﴿فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ان في ذلك لآيات للمتوسمين﴾ يقول تعالى ذكره فجعلنا عالي أرضهم سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل (١) كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن عكرمة وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل أي من طين وقوله ان في ذلك لآيات للمتوسمين يقول ان في الذي فعلنا بقوم لوط من اهلاكهم وأحللنا بهم من العذاب لعلامات ودلالات للمتفرسين المعتبرين بعلامات الله وعبره على عواقب أمور أهل معاصيه والكفر به وانما يعني تعالى ذكره بذلك قوم نبي الله صلى الله عليه وسلم من قريش يقول فلقومك يا محمد في قوم لوط وما حل بهم من عذاب الله حين كذبوا رسولهم وتمادوا في غيهم وضلالهم معتبر وبنحو الذي قلنا في معنى قوله للمتوسمين قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك

حدثني عبد الأعلى بن واصل قال ثنا يعلى بن عبيد قال ثنا عبد الملك بن أبي سليمن عن قيس عن مجاهد في قوله ان في ذلك لآيات للمتوسمين قال المتفرسين حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن عبد الملك وحدثنا الحسن الزعفراني قال ثنى محمد بن عبيد قال ثنى عبد الملك عن قيس عن مجاهد ان في ذلك لآيات للمتوسمين قال للمتفرسين حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال المتوسمين المتفرسين قال * توسمت فيك الخير نافلة * حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن عبد الملك ابن أبي سليمن عن قيس عن مجاهد ان في ذلك لآيات للمتوسمين قال المتفرسين حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس ان في ذلك لآيات للمتوسمين يقول للناظرين حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن يزيد عن جويبر عن الضحاك للمتوسمين قال للناظرين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان في ذلك لآيات للمتوسمين أي المعتبرين حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قوله للمتوسمين قال للمعتبرين حدثني محمد بن عمارة قال ثنى حسن بن مالك قال ثنا محمد بن كثير عن عمرو بن قيس عن عطية عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة

(١) لعل الأصل من سجيل أي من طين كما يظهر بالتأمل فتنبه كتبه مصححه

القرآن من الآيات فلجمع الدلائل وما جاء من الآية فلوحدانية المدلول عليه فلما ذكر عقيبه المؤمنين وهم مقرون بوحدانيته وحد الآية نظيره في العنكبوت خلق الله السموات والارض بالحق ان في ذلك لآية للمؤمنين ثم أجمل قصة قوم شعيب فقال (وان كان أصحاب الأيكة لظالمين) إن مخففة من الثقيلة ولذلك دخلت اللام الفارقة في خبرها كانوا أصحاب غياض ومواضع ذات شجر فنسبوا اليها والايكة الشجر الملتف والضمير في قوله (وانهما) يعود الى قرى قوم لوط والى الايكة وقيل بل الى الايكة ومدين لان شعيبا كان مبعوثا اليهما فدل بذكر أحد الموضعين ههنا وهو الايكة على الآخر (لبامام مبين) لبطريق واضح قال الفراء والزجاج سمى الطريق اماما لانه يؤم ويتبع وقال ابن قتيبة لان المسافر يأتم به حتى يصير الى الموضع الذي يريده ثم ختم القصص بقصة ثمود فقال (ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين) وهو واد بين الشام والمدينة وجمع المرسلين لان تكذيب نبي واحد وهو صالح كتكذيب جميع الانبياء أو لأن القوم كانوا براهمة منكرين لكل الرسل أو أراد صالحا ومن معه من المؤمنين (وآتيناهم) أي أعطينا رسولهم آياتنا) أراد الناقة وكانت فيها آيات خروجها من الصخرة وعظم خلقها وكثرة لبنها الى غير ذلك كما حكيناه في الاعراف (فكانوا عنها) أي عن النظر فيها والاعتبار بها (معرضين) وفيه أن التقليد مذموم والاستدلال واجب (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين) من أن تنهدم ويتداعى بنيانها أو يقع سقفها عليهم أو آمنين من عذاب الله أو من حوادث الدهر (فما أغنى عنهم) لم يدفع عنهم شيأ من عذاب الله ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة ومن جمع الاموال والعدد ولما فرغ من القصص قال (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) أي متلبسة بالفوائد والغايات والحكم الصحيحة منها اشتغال المكلفين بالعبادة والطاعة حتى لو تركوها وأعرضوا عنها وجب في الحكمة اهلاكهم وتطهير الارض منهم وهذا النظم يناسب أصول الاعتزال قال الجبائي فيه بطلان مذهب الجبرية الذين يزعمون أن أكثر ما خلق الله بين السموات والارض من الكفر والمعاصي باطل

وأجيب بأن أفعال العباد من جملة ما بين السموات والارض فوجب أن يكون الله خالقها ويمكن أن يقال فى وجه النظم ان هذا ابتداء شروع فى تسلية النبى صلى الله عليه وسلم وتصبيره على أذيات قومه بعد اقتصاص أحوال الامم السالفة ومعاملاتهم مع أنبيائهم ويؤيد هذا النظم قوله (وان الساعة لآتية) معناه ان الله

سينتقم لك فيهما من أعدائك ويجازيك واياهم على حسناتك وسيآتهم فانه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا بالحق والعدل فكيف يليق بحكمته وفضله اهمال أمرك ولما صبره على أذى قومه رغبه فى الصفح فقال (فاصفح الصفح الجميل) أى فأعرض عنهم اعراضا جميلا بحلم واغضاء ان كان اللام للجنس فالمراد هذا النوع من الصفح لا الذى يشتمل على حقد واحتمال ومكر وان كان للعهد فلعل المراد ما أمر به فى نحو قوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقيل هذا منسوخ بآية السيف والاظهر أن حسن المعاشرة والمخالقة مأمور به ما أمكن فلا حاجة الى ارتكاب النسخ (ان ربك هو الخلاق) كثير الخلق (العليم) الكامل العلم يعلم ما يجرى بين الخلائق من الاحوال والاخلاق وان كثروا وكثرت فيجازيهم يوم القيامة على حسب ذلك وقيل أراد انه الذى خلقكم وعلم ما هو الأصلح لكم فاليوم الصفح أصلح فاصفحوا الى أن يكون السيف أصلح ثم حثه على الصفح والتجاوز بذكر النعم العظام التى خصه بها فقال (ولقد آتيناك سبعا من المثانى) أكثر المفسرين على أن المراد بها فاتحة الكتاب وهو قول عمر وعلى رضى الله عنهم وابن مسعود وأبى هريرة والحسن وأبى العالية ومجاهد والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وذلك أنها سبع آيات والمثانى جمع مثناة من التثنية أو جمع مثنية لانها تثنى فى كل صلاة وقال الزجاج تثنى بما يقرأ بعدها معها وأيضا قسمت بنصفين قسم ثناء وقسم دعاء وقد ورد الحديث فى هذا المعنى قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين وقد مر فى أول الكتاب وأيضا كلماتها مثناة مثل الرحمن الرحيم اياك واياك الصراط صراط عليهم عليهم واشتمالها على ثناء الله تعالى وتحميده مقرر ومما يتفرع على هذا القول ما نقل القاضى عن أبى بكر الأصم أنه

رأوه

المؤمن فانه ينظر بنور الله ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم ان فى ذلك لآيات للمتوسمين حدثنا أحمد بن محمد الطوسى قال ثنا محمد بن كثير مولى بنى هاشم قال ثنا عمرو بن قيس الملائى عن عطية عن أبى سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثله حدثنى أحمد بن محمد الطوسى قال ثنا الحسن بن محمد قال ثنا الفرات بن السائب قال ثنا ميمون بن مهران عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فان المؤمن ينظر بنور الله حدثنا عبد الأعلى بن واصل قال ثنى سعيد بن محمد الجرمى قال ثنا عبد الواحد بن واصل قال ثنا أبو بشر المزلق عن ثابت البنانى عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا يعرفون الناس بالتوسم حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان فى ذلك لآيات للمتوسمين قال المتفكرون والمعتبرون الذين يتوسمون الاشياء ويتفكرون فيها ويعتبرون حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله للمتوسمين يقول للناظرين حدثنى أبو شرحبيل الحمصى قال ثنا سليمن بن سلمة قال ثنا المؤمل بن سعيد بن يوسف الرحبى قال ثنا أبو المعلى أسد بن وداعة الطائى قال ثنا وهب بن منبه عن طاوس بن كيسان عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احذروا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وينطق بتوفيق الله ﷺ القول فى تأويل قوله تعالى (وانها لبسبيل مقيم ان فى ذلك لآية للمؤمنين) يقول تعالى ذكره وان هذه المدينة مدينة سدوم لبطريق واضح مقيم يراها المجتاز بها لاخفاء بها ولا يبرح مكانها فيجهل ذو لب أمرها وغب معصية الله والكفر به * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء وحدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء وحدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وانها لبسبيل مقيم قال لبطريق معلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وانها لبسبيل مقيم يقول بطريق واضح حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وانها لبسبيل مقيم قال طريق السبيل الطريق حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله لبسبيل مقيم يقول بطريق معلم وقوله ان فى ذلك لآية للمؤمنين يقول تعالى ذكره ان فى صنيعنا بقوم لوط ما صنعنا بهم لعلامة ودلالة بينة لمن آمن بالله على انتقامه من أهل الكفر به وانقاذه من عذابه اذا نزل بقوم أهل الايمان به منهم كما حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن سماك عن سعيد بن جبير فى قوله ان فى ذلك لآية قال هو كالرجل يقول لاهله علامة ما بينى وبينكم أن أرسل اليكم خاتمى أو آية كذا وكذا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن سفيان عن سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان فى ذلك لآية قال أما ترى الرجل يرسل بخاتمه الى أهله فيقول هاتوا كذا هاتوا كذا فاذا

رأوه علموا أنه حق ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وان كان أصحاب الأيكة لظالمين فانتقمنا منهم وانهما لبامام مبين﴾ يقول تعالى ذكره وقد كان أصحاب الغيضة ظالمين يقول كانوا بالله كافرين والأيكة الشجر الملتف المجتمع كما قال أمية

كبكا الحمام على فرو * ع الايك في الغصن الجوانح

* وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا اسحق بن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد قال ثنا عتاب بن بشير عن خصيف قال في قوله أصحاب الايكة قال الشجر وكانوا يأكلون في الصيف الفاكهة الرطبة وفي الشتاء اليابسة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وان كان أصحاب الايكة لظالمين ذكر لنا أنهم كانوا أهل غيضة وكان عامة شجرهم هذا الدوم وكان رسولهم فيما بلغنا شعيب صلى الله عليه وسلم أرسل اليهم والى أهل مدين أرسل الى أمتين من الناس وعذبتا بعذابين شتى أما أهل مدين فأخذتهم الصيحة وأما أصحاب الأيكة فكانوا أهل شجر متكاوس ذكر لنا أنه سلط عليهم الحر سبعة أيام لا يظلهم منه ظل ولا يمنعهم منه شيء فبعث الله عليهم سحابة فحلوا تحتها يلتمسون الروح فيها فجعلها الله عليهم عذابا بعث عليهم نارا فاضطرمت عليهم فأكلتهم فذلك عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن أبي حماد قال ثنا عمرو بن ثابت عن أبيه عن سعيد بن جبير قال أصحاب الأيكة أصحاب غيضة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قوله وان كان أصحاب الايكة لظالمين قال قوم شعيب قال ابن عباس الايكة ذات آجام وشجر كانوا فيها حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله أصحاب الأيكة قال هم قوم شعيب والايكة الغيضة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا عمرو بن الحرث عن سعيد بن أبي هلال عن عمرو بن عبد الله عن قتادة أنه قال ان أصحاب الايكة والايكة الشجر الملتف وقوله فانتقمنا منهم وانهما لبامام مبين يقول تعالى ذكره فانتقمنا من ظلمة أصحاب الايكة وقوله وانهما لبامام مبين يقول وان مدينة أصحاب الايكة ومدينة قوم لوط والهاء والميم في قوله وانهما من ذكر المدينتين لبامام يقول لبطريق يأتمون به في سفرهم ويهتدون به مبين يقول يبين لمن ائتم به استقامته وانما جعل الطريق اماما لانه يؤم ويتبع ﴿ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله وانهما لبامام مبين يقول على الطريق حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فانتقمنا منهم وانهما لبامام مبين يقول طريق ظاهر حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وانهما لبامام مبين قال بطريق معلم حدثنا محمد ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وانهما لبامام مبين قال طريق واضح حدثت

قال كان ابن مسعود لا يكتب في مصحفه فاتحة الكتاب فقيل كأنه رأى أنه تعالى عطف عليه قوله والقرآن العظيم والعطف يوجب المغايرة فوجب أن تكون السبع المثاني غير القرآن والجواب أنه قد يكون بعطف الجزء على الكل كقوله وملائكته وجبريل أو بالعكس كما في الآية والمقصود في الوصفين تمييز البعض عن الكل تنبيها على مزية ذلك البعض وشرفه فان قلت ليس لعطف الكل على البعض نظير والاستدلال بالآية استدلال بصورة النزاع من غير دليل قلنا يكفي بقوله ولقد آتيناك دليلا على أنه من القرآن وعن ابن عمر وسعيد بن جبير في رواية أن السبع المثاني هي السبع الطوال سميت بذلك لما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك أو لانها تثني على الله بأفعاله العظمى وصفاته الحسنى وأنكر الربيع هذا القول لان هذه السورة مكية وأكثر تلك السور مدنية وأجيب بأن المراد من الايتاء انزالها الى السماء الدنيا والمكية والمدنية في ذلك سيان وضعف بأن اطلاق لفظ الايتاء على ما لم يصل بعد اليه خلاف الظاهر وقال قوم السبع المثاني هي التي دون الطوال والمئين وفوق المفصل واحتجوا عليه بما روى ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله أعطاني السبع الطوال مكان التوراة وأعطاني المئين مكان الانجيل وأعطاني المثاني مكان الزبور وفضلني ربي بالمفصل قال الواحدي والقول في تسمية هذه السور مثاني كالقول في تسمية الطول مثاني وروى عن ابن عباس واليه ذهب طاوس أنها هي القرآن لقوله سبحانه كتابا متشابها مثاني وأنها سبعة أسباع كرر فيها دلائل التوحيد والنبوة والتكاليف ومعنى العطف على هذا القول الجمعية كقوله * الى الملك القرم وابن الهمام . وكأنه قيل آتيناك ما هو الجامع لكونه سبعا مثاني ولكونه قرآنا عظيما قال الزجاج ووافقه صاحب الكشاف ومن في من المثاني للبيان أو للتبعيض اذا أردت بالسبع الفاتحة أو الطول وللبيان اذا أردت الأسباع ولما عرف رسوله نعمه الدينية ورغبه فيها نفره من اللذات العاجلة الزائلة لان كل

نعمة وان عظمت فانها بالنسبة الى نعمة القرآن ضئيلة حقيرة ومنه الحديث من لم يتغن بالقرآن أى لم يستغن به فليس منا وقول أبى بكر من أوتى القرآن فرأى أن أحدا أوتى من الدنيا أفضل مما أوتى فقد صغر عظيما وعظم صغيرا فمن حق قارئ القرآن الواقف على معانيه أن لا يشغل سره بالالتفات الى الدنيا وزهرتها قال (٣٤) الواحدى انما يكون مادا عينيه الى الشئ اذا أدام النظر نحوه وادامة النظر

عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله لبامام مبين بطريق مستبين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين) يقول تعالى ذكره ولقد كذب سكان الحجر وجعلوا لسكناهم فيها ومقامهم بها أصحابها كما قال تعالى ذكره ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فجعلهم أصحابها لسكناهم فيها ومقامهم بها والحجر مدينة ثمود وكان قتادة يقول فى معنى الحجر ما حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أصحاب الحجر قال أصحاب الوادى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى يونس عن ابن شهاب وهو يذكر الحجر مساكن ثمود قال قال سالم بن عبد الله ان عبد الله بن عمر قال مررنا مع النبى صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم الا أن تكونوا باكين حذرا أن يصيبكم مثل ما أصابهم ثم زجر فأسرع حتى خلفها حدثنا زكريا بن يحيى بن أبان المصرى قال ثنا أبو يوسف يعقوب بن اسحق بن أبى عباد المكى قال ثنا داود بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن ابن سابط عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو بالحجر هؤلاء قوم صالح أهلكهم الله الا رجلا كان فى حرم الله منعه حرم الله من عذاب الله قيل يا رسول الله من هو قال أبو رغال وقوله وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين يقول وأريناهم أدلتنا وحججنا على حقيقة ما بعثنا به اليهم رسولنا صالحا فكانوا عن آياتنا التى آتيناهموها معرضين لا يعتبرون بها ولا يتعظون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين فأخذتهم الصيحة مصبحين فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) يقول تعالى ذكره وكان أصحاب الحجر وهم ثمود قوم صالح ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من عذاب الله وقيل آمنين من الخراب أن تخرب بيوتهم التى نحتوها من الجبال وقيل آمنين من الموت وقوله فأخذتهم الصيحة مصبحين يقول فأخذتهم صيحة الهلاك حين أصبحوا من اليوم الرابع من اليوم الذى وعدوا العذاب وقيل لهم تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام وقوله فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون يقول فما دفع عنهم عذاب الله ما كانوا يجترحون من الاعمال الخبيثة قبل ذلك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل ان ربك هو الخلاق العليم) يقول تعالى ذكره وما خلقنا الخلائق كلها سماءها وأرضها ما فيهما وما بينهما يعنى بقوله وما بينهما مما فى أطباق ذلك الا بالحق يقول الا بالعدل والانصاف لا بالظلم والجور وانما يعنى تعالى ذكره بذلك أنه لم يظلم أحدا من الامم التى اقتص قصصها فى هذه السورة وقصص اهلاكه اياها بما فعل به من تعجيل النقمة له على كفره به فيعذبه و يهلكه بغير استحقاق لانه لم يخلق السموات والارض وما بينهما بالظلم والجور ولكنه خلق ذلك بالحق والعدل وقوله وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان الساعة وهى الساعة التى تقوم فيها القيامة لجائية فارض بها المشركى قومك الذين كذبوك وردوا عليك ما جئتهم به من الحق فاصفح الصفح الجميل يقول فأعرض عنهم اعراضا جميلا واعف عنهم عفوا حسنا

اليه تدل على استحسانه وتمنيه وقال فى الكشاف معنى (لا تمدن) لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له (الى ما متعنا به أزواجا منهم) أى أصنافا من الكفار قاله ابن قتيبة وقال الجوهرى الأزواج القرناء وقال بعضهم لا تمدن عينيك أى لا تحسدن أحدا على ما أوتى من الدنيا وضعف بأن الحسد منهى عنه مطلقا فكيف يحسن تخصيص الرسول به و يمكن أن يجاب بأن المراد منه نهى التكوين كقوله ولا تكونن من المشركين أو المراد الغبطة فهى محظورة عليه صلى الله عليه وسلم لجلالة منصبه وان كانت جائزة لأمته ويروى أنه وافت من بلاد الشام سبع قوافل ليهود بنى قريظة والنضير فيها أنواع البز والطيب والجوهر فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولأنفقناها فى سبيل الله فقال لهم الله عز وجل لقد أعطيتكم سبع آيات هى خير من هذه القوافل السبع وانما قال فى هذه السورة لا تمدن بغير واو العطف لانه لم يسبقه طلب بخلاف ما فى سورة طه ثم لما نهاه عن الالتفات الى أموالهم وأمتعتهم نهاه عن الالتفات اليهم أنفسهم وان لم يحصل لهم فى قلبه قدر ووزن فقال (ولا تحزن عليهم) أى على أنهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم الاسلام و ينتعش بهم المؤمنون وكما أمره بالتكبر على الاغنياء والترفع عنهم اذا كانوا كفارا أمره بالتواضع للفقراء اذا كانوا مؤمنين فقال (واخفض جناحك للمؤمنين) الخفض نقيض الرفع وجناحا الانسان يداه وخفضهما كناية عن اللين والرفق وانما قال فى سورة الشعراء بزيادة لمن اتبعك لانه قال قبله وأنذر عشيرتك الاقربين فلو لم يذكر هذه الزيادة لكان الظاهر أن اللام للعهد فصار الامر بخفض الجناح مختصا بالأقربين من

عشيرته فزيدلمن اتبعك ليعلم أن هذا التشريف شامل لجميع متبعيه من الأمة ولما بعثه على الرفق بأهل الايمان أمره بالانذار لكل المكلفين فقال (وقل انى أنا النذير المبين) ويدخل تحت كونه نذيرا كونه مبلغا لجميع التكاليف لان كل ما كان واجبا ترتب على تركه عذاب وكل ما كان حراما ترتب على فعله عقاب ويدخل فى كونه مبينا كونه شارحا لجميع مراتب (٣٥) أهل التكاليف من الجنة والنار فالانذار بالنار والاحذار بالجنة هو الاخبار عن موجب الحرمان عنها وفى متعلق قوله (كما أنزلنا) وجهان بعد ما مر به فى الوقوف أحدهما أن يتعلق بقوله ولقد آتيناك أى أنزلنا عليك مثل ما أنزلنا (على المقتسمين) ومن هم قبل أهل الكتاب (الذين جعلوا القرآن عضين) أى أجزاء جمع عضة وأصلها عضوة فعلة من عضى الشاة اذا جعلها أجزاء واعضاء أو فعلة من عضهته اذا بهته فالمحذوف منها الهاء لا الواو وعن عكرمة العضه السحر بلسان قريش يقولون للساحرة عاضهة ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة فنقصانها الهاء أيضا وجمعت العضة بالمعانى جمع العقلاء لما لحقها من الحذف فجعلوا الجمع بالواو والنون عوضا عما لحقها من الحذف كسنين فعنى الآية أن اليهود اقتسموا القرآن الى حق و باطل و جزؤه فقالوا بعضه حق موافق للتوراة والانجيل و بعضه باطل مخالف لهما و يجوز أن يراد بالقرآن ما يقرؤنه من كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم وتكذيبهم والاقرار بالبعض والتكذيب بالبعض كقوله أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض وفى هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيب قومه وعداوتهم ولهذا وسط بين المتعلق بقوله لا تمدن الآية لانه مدد للتسلية لما فيه من النهى عن الالتفات الى دنياهم والتأسف على كفرهم ومن الاقبال بالكلية على المؤمنين الوجه الثانى أن يتعلق بقوله النذير المبين وعلى هذا لا يكون بد من التزام اضمار أو زيادة أما الاضمار فأن يكون التقدير أنا النذير عذابا كما أنزلنا كقولك رأيت كالقمر فى الحسن أى وجها كالقمر وأما الزيادة فأن تكون الكاف زائدة كقوله ليس كمثله شئ ويمكن أن يقال الكاف بمعنى مثل ولا حاجة الى الالتزام والتقدير أنذر

حسنا وقوله ان ربك هو الخلاق العليم يقول تعالى ذكره ان ربك هو الذى خلقهم وخلق كل شئ وهو عالم بهم و بتدبيرهم وما يأتون من الافعال وكان جماعة من أهل التأويل تقول هذه الآية منسوخة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاصفح الصفح الجميل ثم نسخ ذلك بعد فأمره الله تعالى ذكره بقتالهم حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله لا يقبل منهم غيره حدثنى المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن جويبر عن الضحاك فى قوله فاصفح الصفح الجميل فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون وأعرض عن المشركين وقل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله وهذا النحو كله فى القرآن أمر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم أن يكون ذلك منه حتى أمره بالقتال فنسخ ذلك كله فقال خذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن جابر عن مجاهد فاصفح الصفح الجميل قال هذا قبل القتال حدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن سفيان بن عيينة فى قوله فاصفح الصفح الجميل وقوله وأعرض عن المشركين قال كان هذا قبل أن ينزل الجهاد فلما أمر بالجهاد قاتلهم فقال أنا نبى الرحمة ونبى الملحمة و بعثت بالحصاد ولم أبعث بالزراعة ❊ القول فى تأويل قوله تعالى (ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم) اختلف أهل التأويل فى معنى السبع الذى آتى الله نبيه صلى الله عليه وسلم من المثانى فقال بعضهم عنى بالسبع السبع السور من أول القرآن اللواتى يعرفن بالطول وقائلو هذه المقالة مختلفون فى المثانى فكان بعضهم يقول المثانى هذه السبع وانما سمين بذلك لانهن تثنى فيهن الامثال والخبر والعبر ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن يونس عن ابن سيرين عن ابن مسعود فى قوله ولقد آتيناك سبعا من المثانى قال السبع الطول حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن سعيد الجريرى عن رجل عن ابن عمر قال السبع الطول حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن منصور عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله ولقد آتيناك سبعا من المثانى قال السبع الطول حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور عن مجاهد عن ابن عباس مثله حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن الحجاج عن الوليد ابن العيزار عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال هن السبع الطول ولم يعطهن أحد الا النبى صلى الله عليه وسلم وأعطى موسى منهن اثنتين حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا ثنا جرير عن الاعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أوتى النبى صلى الله عليه وسلم سبعا من المثانى الطول وأوتى موسى ستا فلما ألقى الالواح رفعت اثنتان و بقيت أربع حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا على بن عبد الله بن جعفر قال ثنا جرير عن الاعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن اسرائيل عن أبى اسحق عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله سبعا من المثانى قال البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف قال اسرائيل وذكر السابعة فنسيتها حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن أبى بشر عن سعيد بن جبير فى قوله ولقد آتيناك سبعا من المثانى قال هى

السبع الطول البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف ويونس حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في هذه الآية ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم قال البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس فيهن الفرائض والحدود حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير بنحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن ابن أبي خالد عن خوات عن سعيد بن جبير قال السبع الطول حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أبو بشر أخبرنا عن سعيد بن جبير قال هن السبع الطول قال وقال مجاهد هن السبع الطول قال ويقال هن القرآن العظيم حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا سعيد عن جعفر عن سعيد في قوله سبعا من المثانى قال البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف ويونس تثنى فيها الأحكام والفرائض حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح قال ثنا هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال هن السبع الطول حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا سعيد بن منصور قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد ابن جبير في قوله سبعا من المثانى قال البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس قال قلت ما المثانى قال يثنى فيهن القضاء والقصص حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم قال البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والأعراف ويونس حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال السبع الطول حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا أبو خالد القرشي قال ثنا سفيان عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا أبو خالد عن سفيان عن أبي اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا سفيان عن الاعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت ليثا عن مجاهد قال هي السبع الطول حدثنا الحسن بن محمد بن عبيد الله قال ثنا عبد الملك عن قيس عن مجاهد في قوله ولقد آتيناك سبعا من المثانى قال هي السبع الطول حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم قال من القرآن السبع الطول السبع الاول حدثنا الحسن ابن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل وابن نمير عن عبد الملك عن قيس عن مجاهد قال هن السبع الطول حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال السبع الطول حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن نمير عن سفيان عن عبد الله

قريشا مثل ما أنزلنا على المقتسمين وهم اما اليهود ويراد بالعذاب ما جرى على قريظة والنضير فيكون قد جعل المتوقع بمنزلة الواقع وهو من الاعجاز لانه اخبار عما سيكون وقد كان واما غيرهم من أهل مكة أو من قوم صالح قال ابن عباس هم الذين اقتسموا طرق مكة ومداخلها أيام الموسم فقعدوا في كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الايمان بالله ورسوله يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الآخر كذاب والآخر شاعر فأهلكهم الله يوم بدر وقبله بآفات وكانوا قريبا من أربعين منهم الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد المطلب وقال عكرمة اقتسموا القرآن استهزاء وكان يقول بعضهم سورة البقرة لي ويقول الآخر سورة آل عمران لي وقال مقاتل اقتسموه قال بعضهم سحر وبعضهم شعر وبعضهم كذب وبعضهم أساطير الاولين وقال ابن زيد المقتسمون هم الذين تقاسموا بالله لنبيتن صالحا كما سيجيء في سورة النمل فرمتهم الملائكة بالحجارة وقتلوهم وعلى هذا يكون قوله الذين جعلوا منصوبا بالنذير أي أنذر المعضين الذين يجزؤن القرآن الى سحر وشعر وأساطير مثل ما أنزلنا على المقتسمين ثم أقسم على سبيل الوعيد فقال (فوربك لنسألنهم) الآية وقد مر تفسير مثله في أول الأعراف وذلك قوله فلنسألن الذين أرسل اليهم والاظهر أن الضمير عائد الى جميع المكلفين المنذرين وأن السؤال يكون عن جميع الأعمال وقد يخص الضمير بالمقتسمين والسؤال بالاقتسام ثم شجع نبيه قائلا (فاصدع) أي اجهر (بما تؤمر) وأظهره وفرق بين الحق والباطل وأصل الصدع الشق والفصل ومنه سمي الصبح صديعا كما سمي فلقا وصدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا قال النحويون الجار محذوف والمعنى بالذي تؤمر به من الشرائع مثل أمرتك الخير ويجوز أن تكون ما مصدرية أي بأمرك وشأنك مصدر من المبني للمفعول وقالوا وما زال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت هذه الآية ثم قال (وأعرض عن المشركين) أي لا تبال بهم ولا تلتفت الى لومهم اياك على اظهار الدعوة وهذا لا ينافي آية القتال حتى يلزم النسخ على ما ظن بل يؤكدها ثم

ابن

أ كذا النهي عن الا كتراث بهم وقوى قلبه فقال (انا كفيناك المستهزئين) ولا ريب أنهم طبقة ذو شوكة قدروا على الاستهزاء بالرسول مع جلالة قدره والآية لا تفيد الا هذا القدر لكن المفسرين ذكروا عددهم وأسماءهم مع اختلاف بينهم والأشهر على ما رواه عروة بن الزبير أنهم خمسة نفر من الأشراف الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب والحرث بن الطلاطلة وعن ابن عباس ماتوا كلهم قبل يوم بدر وقال جبرئيل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أكفيكهم فأومأ الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لأخذه فأصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات وأومأ الى أخمص العاص بن وائل فدخلت فيها شوكة فقال لدغت لدغت فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات وأشار الى عيني الاسود بن المطلب فعمي وأشار الى أنف الحرث فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في أصل شجرة فجعل ينطح رأسه بالشجر ويضرب وجهه بالشوك حتى مات ثم زاد في تسلية نبيه صلى الله عليه وسلم فقال (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون) من المطاعن فيك وفي القرآن لان الجبلة البشرية والمزاج الانساني يقتضي ذلك ثم أمره لكشف ما نابه بأربعة أشياء بالتسبيح والتحميد والسجود والعبادة الى اتيان اليقين عن ابن عباس هو الموت سمي بذلك لانه أمر متيقن ولا يجب الاخلال بالعبادة مادام المكلف حيا وهذا كما قيل في تحديد مدة طلب العلم انه من المهد الى اللحد وكيف يصير الاقبال على الطاعات سببا لزوال ضيق القلب قال المحققون لانه ينكشف له أضواء عالم الربوبية فيهون في نظره المصالح الدنيوية فلا يستوحش من فقدانها ولا يستأنس بوجدانها وقال أهل السنة اذا نزل بالعبد بعض المكاره فعليه أن يفزع الى الله بالذكر الدائم والسجود وسائر أنواع العبادة فكأنه يقول وجب علي عبادتك سواء أعطيتني الخيرات أو ألقيتني في المكاره وقالت المعتزلة من اعتقد تنزيه الله عن القبائح سهل عليه تحمل المشاق لانه يعلم أنه تعالى عدل منزه عما لا فائدة فيه ولا غرض فيطيب قلبه ۞ التأويل في بشارة ابراهيم اشارة الى أن الطالب

ابن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال هي الامثال والخبر والعبر حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن اسمعيل عن خوات عن سعيد بن جبير قال هي السبع الطول أعطي موسى ستا وأعطي محمد صلى الله عليه وسلم سبعا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله سبعا من المثاني يعني السبع الطول

* وقال آخرون عني بذلك سبع آيات وقالوا هن آيات فاتحة الكتاب لانهن سبع آيات وهم أيضا مختلفون في معنى المثاني فقال بعضهم انما سمين مثاني لانهن يثنين في كل ركعة من الصلاة ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال أخبرنا ابن علية عن سعيد الجريري عن أبي نضرة قال قال رجل منا يقال له جابر أو جويبر طلبت الى عمر حاجة في خلافته فقدمت المدينة ليلا فمثلت بين أن أتخذ منزلا وبين المسجد فاخترت المسجد منزلا فأرقت نشوا من آخر الليل فاذا الى جنبي رجل يصلي يقرأ بأم الكتاب ثم يسبح قدر السورة ثم يركع ولا يقرأ فلم أعرفه حتى جهر فاذا هو عمر فكانت في نفسي فغدوت عليه فقلت يا أمير المؤمنين حاجة مع حاجة قال هات حاجتك قلت اني قدمت ليلا فمثلت بين أن أتخذ منزلا وبين المسجد فاخترت المسجد فأرقت نشوا من آخر الليل فاذا الى جنبي رجل يقرأ بأم الكتاب ثم يسبح قدر السورة ثم يركع ولا يقرأ فلم أعرفه حتى جهر فاذا هو أنت وليس كذلك نفعل قبلنا قال وكيف تفعلون قال يقرأ أحدنا أم الكتاب ثم يفتتح السورة فيقرؤها قال مالهم يعلمون ولا يعملون مالهم يعلمون ولا يعملون مالهم يعلمون ولا يعملون وما تبغي عن السبع المثاني وعن التسبيح صلاة الخلق حدثني طليق بن محمد الواسطي قال أخبرنا يزيد عن الجريري عن أبي نضرة عن جابر أو جويبر عن عمر بنحوه الا أنه قال فقال يقرأ القرآن ما تيسر أحيانا ويسبح أحيانا ما لهم رغبة عن فاتحة الكتاب وما يبتغي بعد المثاني وصلاة الخلق التسبيح حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن السدي عن عبد خير عن علي قال السبع المثاني فاتحة الكتاب حدثنا نصر بن عبد الرحمن قال ثنا حفص بن عمر عن الحسن ابن صالح وسفيان عن السدي عن عبد خير عن علي مثله حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن السدي عن عبد خير عن علي مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي وحدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد جميعا عن سفيان عن السدي عن عبد خير عن علي مثله حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا ابن ادريس قال ثنا هشام عن ابن سيرين قال سئل ابن مسعود عن سبع من المثاني قال فاتحة الكتاب حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا يونس عن الحسن في قوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني قال فاتحة الكتاب قال وقال ابن سيرين عن ابن مسعود هي فاتحة الكتاب حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن يونس عن ابن سيرين عن ابن مسعود سبعا من المثاني قال فاتحة الكتاب حدثني سعيد بن يحيى الاموي قال ثني أبي قال ثنا ابن جريج قال أخبرنا أبي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال في قول الله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني قال هي فاتحة الكتاب فقرأها على ستا ثم قال بسم الله الرحمن الرحيم الآية السابعة قال

صادق وان كان مسنا ضعيف القوى كما قيل الصوفى بعد الاربعين بارد فانه ينبغى أن لا يقنط من رحمة الله و يتقرب اليه بالاعمال القلبية ليتقرب اليه ربه بأصناف الالطاف وجذبات الاعطاف فيخرج من صلب روحه ورحم قلبه غلاما عليما بالعلوم اللدنية وهو واعظ الله الذى فى قلب المؤمن ان فى ذلك لآيات لاصحاب القلوب المتوسمين بشواهد أحكام الغيب وما خلقنا سموات الارواح وأرض الاشباح وما بينهما من النفوس والقلوب والأسرار والخفيات الا بالحق أى الا لمظهر الحق ومظهره هو الانسان المخصوص بذلك من بين سائر المخلوقات وان الساعة يعنى قيامة العشق لآتية لنفوس الطالبين الصادقين من أصحاب الرياضات لان أنفسهم تموت بالرياضة ومن مات فقد قامت قيامته فاصفح أيها الطالب الصادق عن النفس المرتاضة بأن تداويها وتواسيها فان فى قيامة العشق يحصل من تزكية النفس فى لحظة واحدة ما لا يحصل بالمجاهدة فى سنين كثيرة ومن هنا قيل جذبة من جذبات الرحمن توازى عمل الثقلين ان ربك هو الخلاق لصور المخلوقات ولمعانيها ولحقائقها العليم عن خلقه مستعدا لمظهرية ذاته وصفاته ومظهر يتهما وليس ذلك فى السموات والارض وما بينهما الا الانسان الكامل وغيره مختص بمظهرية الصفات دون الذات وان كان ملكا فلهذا قال ولقد آتيناك سبعا أى سبع صفات ذاتية لله تبارك وتعالى السمع والبصر والكلام والحياة والعلم والارادة والقدرة من المثانى أى من خصوصية المظهرية والمظهرية للذات والصفات والقرآن العظيم ولهذا صار خلقه عظيما لانه كان خلقه القرآن لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا من أهل الدنيا والآخرة واخفض جناحك للمؤمنين بهذا المقام ليصلوا بجناح همتك اليه على المقتسمين الذين قسموا قهر الله على أنفسهم فصاروا مظاهر القهر الذين جعلوا القرآن عضين أى جزؤه فى الاستعمال فقوم قرؤه ليقال لهم القراء وبه يأكلون وقوم حفظوه ليقال لهم الحفاظ وبه يجرون الرزق وقوم حصلوا تفسيره وتأويله لاظهار الفضل وطلبا للشهرة وقوم استنبطوا معانيه وفقهه على وفق آرائهم ومذاهبهم فكفروا اذ فسروا القرآن برأيهم

سعيد وقرأها ابن عباس على كما قرأها عليك ثم قال الآية السابعة بسم الله الرحمن الرحيم فقال ابن عباس قد أخرجها الله لكم وما أخرجها لأحد قبلكم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى ابن جريج أن أباه حدثه عن سعيد بن جبير قال قال لى ابن عباس فاستفتح بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ فاتحة الكتاب ثم قال تدرى ما هذا ولقد آتيناك سبعا من المثانى حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولقد آتيناك سبعا من المثانى يقول السبع الحمد لله رب العالمين والقرآن العظيم ويقال هن السبع الطول وهن المثون حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن ابن جريج عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال فاتحة الكتاب حدثنى عمران بن موسى القزاز قال ثنا عبد الوارث قال ثنا اسحق بن سويد عن يحيى بن يعمر وعن أبى فاختة فى هذه الآية ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم قالا هى أم الكتاب حدثنى المثنى قال ثنا وهب بن جرير قال ثنا شعبة عن السدى عمن سمع عليا يقول الحمد لله رب العالمين هى السبع المثانى حدثنا أبو المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت العلاء بن عبد الرحمن يحدث عن أبيه عن أبى بن كعب أنه قال السبع المثانى الحمد لله رب العالمين حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أبى جعفر الرازى عن الربيع عن أبى العالية فى قول الله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى قال فاتحة الكتاب سبع آيات قلت للربيع انهم يقولون السبع الطول فقال لقد أنزلت هذه وما أنزل من الطول شئ حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية قال فاتحة الكتاب قال وانما سميت المثانى لانه يثنى بها كلما قرأ القرآن قرأها فقيل لابى العالية ان الضحاك بن مزاحم يقول هى السبع الطول فقال لقد نزلت هذه السورة سبعا من المثانى وما أنزل شئ من الطول حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان قال ثنا سفيان عن أبيه عن سعيد بن جبير قال فاتحة الكتاب حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى جميعا عن سفيان عن الحسن ابن عبيد الله عن ابراهيم قال فاتحة الكتاب حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن الحسن بن عبيد الله عن ابراهيم مثله حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى وحدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد جميعا عن هرون بن أبى ابراهيم البربرى عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال السبع من المثانى فاتحة الكتاب حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن ابن جريج عن أبى مليكة ولقد آتيناك سبعا من المثانى قال فاتحة الكتاب قال وذكر فاتحة الكتاب لنبيكم صلى الله عليه وسلم لم تذكر لنبى قبله حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن ليث عن شهر بن حوشب فى قوله ولقد آتيناك سبعا من المثانى قال فاتحة الكتاب حدثنى محمد بن أبى خداش قال ثنا محمد بن عبيد قال ثنا هرون البربرى عن عبد الله ابن عبيد بن عمير الليثى فى قول الله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى قال هى الحمد لله رب العالمين حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء قال سألت الحسن عن قوله تعالى ولقد آتيناك

سبعا من المثانى والقرآن العظيم قال هى فاتحة الكتاب ثم سئل عنها وأنا أسمع فقرأها الحمد لله رب العالمين حتى أتى على آخرها فقال تثنى فى كل قراءة حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال فاتحة الكتاب حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن ليث عن مجاهد قال فاتحة الكتاب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم ذكر لنا أنهن فاتحة الكتاب وأنهن يثنين فى كل قراءة حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة سبعا من المثانى قال فاتحة الكتاب تثنى فى كل ركعة مكتوبة وتطوع حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حماد بن زيد وحجاج عن ابن جريج قال أخبرنى أبى عن سعيد بن جبير أنه أخبره أنه سئل ابن عباس عن السبع المثانى فقال أم القرآن قال سعيد ثم قرأها وقرأ منها بسم الله الرحمن الرحيم قال أبى قرأها سعيد كما قرأها ابن عباس وقرأ فيها بسم الله الرحمن الرحيم قال سعيد قلت لابن عباس فما المثانى قال هى أم القرآن استثناها الله لمحمد صلى الله عليه وسلم فرفعها فى أم الكتاب فذخرها لهم حتى أخرجها لهم ولم يعطها لاحد قبله قال قلت لابى أخبرك سعيد أن ابن عباس قال له بسم الله الرحمن الرحيم آية من القرآن قال نعم قال ابن جريج قال عطاء فاتحة الكتاب وهى سبع بسم الله الرحمن الرحيم والمثانى القرآن حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن عطاء أنه قال السبع المثانى أم القرآن حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى ابن واضح قال ثنا عبد الله العتكى عن خالد الحنفى قاضى مرو فى قوله ولقد آتيناك سبعا من المثانى قال فاتحة الكتاب * وقال آخرون عنى بالسبع من المثانى معانى القرآن ذكر من قال ذلك حدثنى اسحق بن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد الشهيدى قال ثنا عتاب بن بشير عن خصيف عن زياد بن أبى مريم فى قوله سبعا من المثانى قال أعطيتك سبعة أجزاء مر وانه وبشر وأنذر واضرب الأمثال واعدد النعم وآتيتك نبأ القرآن * وقال آخرون من الذين قالوا عنى بالسبع من المثانى فاتحة الكتاب المثانى هو القرآن العظيم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمران ابن عيينة عن حصين عن أبى مالك قال القرآن كله مثانى حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن حصين عن أبى مالك قال القرآن كله مثانى حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عبيد أبو زيد عن حصين عن أبى مالك قال القرآن مثانى وعد البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف وبراءة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن جريج عن مجاهد وعن ابن طاوس عن أبيه قال القرآن كله يثنى حدثنى محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال المثانى ما ثنى من القرآن ألم تسمع لقول الله تعالى ذكره الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول المثانى القرآن يذكر الله القصة الواحدة مرارا وهو قوله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال عنى بالسبع المثانى السبع اللواتى هن آيات أم الكتاب لصحة الخبر بذلك

انا كفيناك المستهزئين الذين يستعملون الشريعة بالطبيعة استهزاء بدين الله الذين يجعلون مع الله الها آخر من الهوى والدنيا فسبح بحمد ربك لأنك لست منهم وكن من الساجدين سجدة الشكر واعبد ربك بالاخلاص حتى يأتيك اليقين أى الى الابد لان كل مقام يحصل فيه اليقين بالعيان بعد العرفان فانه يحصل فوقه مقام آخر مشكوك فيه الى أن يحصل برد اليقين فيه أيضا فهنالك مراتب لا تتناهى فاليقين يكون اشارة الى الأبد والله أعلم

(سورة النحل مكية غير ثلاث آيات وان عاقبتم الخ حروفها سبعة آلاف وسبعمائة وسبعة كلمها ألف وثمانمائة وأحد وأربعون آياتها مائة وثمان وعشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا اله الا أنا فاتقون خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون وما ذرأ لكم فى الارض مختلفا ألوانه ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون وعلامات وبالنجم هم يهتدون أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم والله يعلم ما تسرون وما تعلنون والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيأ وهم

يخلقون أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا يحب المستكبرين ﴿ ۞ القراآت تشركون وما بعده بتاء الخطاب حمزة وعلي وخلف والآخرون على الغيبة تنزل بالفتحات الثلاث الملائكة بالرفع (٤٠) سهل وروح وزيد وأبو زيد مثله لكن بضم التاء الفوقانية جبلة ينزل من الانزال الملائكة بالنصب ابن كثير وأبو عمرو ورويس والباقون بالتشديد من التنزيل بشق الانفس بفتح الشين يزيد الباقون بكسرها ننبت بالنون يحيى وحماد الآخرون بياء الغيبة والشمس والقمر والنجوم مسخرات كلها مرفوعات ابن عامر وافق حفص والمفضل في النجوم مسخرات الباقون بنصب الجميع على أن مسخرات حال يسرون ويعلنون بالياء التحتانية فيهما الخزاز عن هبيرة الآخرون بتاء الخطاب يدعون على الغيبة سهل ويعقوب وعاصم غير الاعشى الباقون على الخطاب ۞ الوقوف فلا تستعجلوه ط يشركون ٥ فاتقون ٥ بالحق ط يشركون ٥ مبين ٥ ج خلقها ج لاحتمال تمام الكلام واحتمال أن يكون لكم متعلقا به والوقف حينئذ على لكم تأكلون ٥ ص للعطف تسرحون ٥ ص لذلك الأنفس ط رحيم ٥ لا لأن الخيل مفعول خلق وزينة ط ما لا تعلمون ٥ جائر ط أجمعين ٥ تسيمون ٥ الثمرات ط يتفكرون ٥ والنهار ط لمن قرأ والشمس وما بعده بالرفع ومن نصب الشمس والقمر ورفع النجوم وقف على القمر ومن نصب الكل وقف على بأمره ط يعقلون ٥ لا لان ما بعده مفعول سخر ألوانه ط يذكرون ٥ تلبسونها ج لان قوله وترى فعل مستأنف مع اتصال المعنى تشكرون ٥ لا تهتدون ٥ لا لان قوله وعلامات عطف على سبلا وعلامات ط يهتدون ٥ لا يخلق ط تذكرون ٥ لا تحصوها ط رحيم ٥ وما تعلنون ٥ وهم يخلقون ٥ ط لان التقدير هم أموات غير أحياء ج لاختلاف الجملتين وما يشعرون ٥ لا لان ما بعده مفعول يبعثون ٥ واحد ط لان ما بعده مبتدأ مع الفاء مستكبرون ٥ وما يعلنون ٥ المستكبرين ٥

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي حدثنيه يزيد بن مخلد بن خداش الواسطي قال ثنا خالد ابن عبد الله عن عبد الرحمن بن اسحق عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أم القرآن السبع المثاني التي أعطيتها **حدثني** أحمد بن المقدام العجلي قال ثنا يزيد ابن زريع قال ثنا روح بن القاسم عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي اني أحب أن أعلمك سورة لم ينزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها قال نعم يا رسول الله قال اني لأرجو أن لا تخرج من هذا الباب حتى تعلمها ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي يحدثني فجعلت أتباطأ مخافة أن يبلغ الباب قبل أن ينقضي الحديث فلما دنوت قلت يا رسول الله ما السورة التي وعدتني قال ما تقرأ في الصلاة فقرأت عليه أم القرآن فقال والذي نفسي بيده ما أنزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها انها السبع من المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيته **حدثنا** أبو كريب قال ثنا زيد بن حباب العكلي قال ثنا مالك بن أنس قال أخبرني العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب مولى لعروة عن أبي سعيد مولى عامر بن فلان أو ابن فلان عن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اذا افتتحت الصلاة بم تفتتح قال الحمد لله رب العالمين حتى ختمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيت **حدثنا** أبو كريب قال ثنا أبو أسامة عن عبد الحميد بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن أبيه عن أبي هريرة عن أبي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أعلمك سورة ما أنزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها قلت بلى قال اني لأرجو أن لا تخرج من ذلك الباب حتى تعلمها فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقمت معه فجعل يحدثني ويده في يدي فجعلت أتباطأ كراهية أن يخرج قبل أن يخبرني بها فلما قرب من الباب قلت يا رسول الله السورة التي وعدتني قال كيف تقرأ اذا افتتحت الصلاة قال فقرأ فاتحة الكتاب قال هي هي وهي السبع المثاني التي قال الله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيت **حدثنا** أبو كريب قال ثنا المحاربي عن ابراهيم بن الفضل المدني عن سعيد المقبري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الركعتان اللتان لا يقرأ فيهما كالخداج لم يتما قال رجل أرأيت ان لم يكن معي الا أم القرآن قال هي حسبك هي أم القرآن هي السبع المثاني **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن نمير عن ابراهيم بن الفضل عن المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الركعة التي لا يقرأ فيها كالخداج قلت لأبي هريرة فان لم يكن معي الا أم القرآن قال هي حسبك هي أم الكتاب وأم القرآن والسبع المثاني **حدثنا** أبو كريب قال ثنا خالد بن مخلد عن محمد ابن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما أنزل الله في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها يعني أم القرآن وانها لهي السبع المثاني التي آتاني الله تعالى **حدثني** يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن رسول الله

﴿التفسير﴾ هذه السورة تسمى سورة النعم أيضا وحكى الاصم عن بعضهم أن كلها مدنية * وقال الآخرون من أولها الى قوله كن فيكون مدنية وماسواه مكي وعن قتادة بالعكس منه قال أهل النظم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بعذاب الدنيا تارة وهو القتل والاستيلاء عليهم كما حصل في يوم بدر وتارة بعذاب القيامة ثم ان القوم لما لم يشاهدوا شيأ من ذلك أقبلوا على تكذيبه وكانوا يستعجلون ماوعدوا به استهزاء وروى أنه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم أن القيامة قد اقتربت فأمسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ماهو كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيأ فنزلت اقترب للناس حسابهم فأشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيأ مما تخوفنا به فنزلت (أتى أمر الله) فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزلت (فلا تستعجلوه) فاطمأنوا والحاصل أن قوله أتى أمر الله جواب عن شبهتهم اجراء للمحقق وقوعه مجرى الواقع كما يقال لمن طلب الاغاثة وقرب حصولها جاءك الغوث فلا تجزع أو المراد أن أمر الله بذلك وحكمه قد وقع وأتى فأما المحكوم به فانه لم يقع لانه تعالى حكم بوقوعه في وقت معين فقبل مجيء ذلك الوقت لا يخرج الى الوجود فلا تستعجلوه ولا تطلبوا حصوله قبل حضور ذلك الوقت ثم ان المشركين كأنهم قالوا هب يا محمد أنا سلمنا صحة ما تقول من أنه تعالى حكم بانزال العذاب علينا اما في الدنيا واما في الآخرة الا أنا نعبد هذه الاصنام لانها شفعاؤنا عند الله فكيف نستحق العذاب بسبب هذه العبادة فأجاب الله عن هذه الشبهة بقوله (سبحانه وتعالى عما يشركون) كما مر في أول سورة يونس والمراد تنزيه نفسه عن الاضداد والانداد وأن يكون لأحد من الارواح والاجساد أن يشفع عنده الا باذنه أو يستعجل في حكم من أحكامه أو قضية قبل أوانه ثم انهم كأنهم قالوا سلمنا أنه تعالى يقضي على طائفة باللطف وعلى الآخرين بالقهر ولكن كيف صرت واقفا على أسرار الله تعالى في ملكه وملكوته دوننا ومن أين حصل لك هذا الفضل علينا فأزال الله سبحانه شبهتهم بقوله (ينزل الملائكة) الآية والمراد أن له بحكم

صلى الله عليه وسلم قال هي أم القرآن وهي فاتحة الكتاب وهي السبع المثاني **حدثنا** الحسن ابن محمد قال ثنا يزيد بن هرون وشبابة قالا أخبرنا ابن أبي ذئب عن المقبري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في فاتحة الكتاب قال هي فاتحة الكتاب وهي السبع المثاني والقرآن العظيم **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا عفان قال ثنا عبد الرحمن بن ابراهيم قال ثنا العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بن كعب فقال أتحب أن أعلمك سورة لم ينزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها قلت نعم يا رسول الله قال فكيف تقرأ في الصلاة فقرأت عليه أم الكتاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما أنزلت سورة في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها وانها السبع المثاني والقرآن العظيم **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا وهب بن جرير قال ثنا سعيد بن حبيب عن حفص بن عاصم عن أبي سعيد بن المعلى أن النبي صلى الله عليه وسلم دعاه وهو يصلي فصلى ثم أتاه فقال ما منعك أن تجيبني قال اني كنت أصلي قال ألم يقل الله يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم قال ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأعلمنك أعظم سورة في القرآن فكأنه بينها أو نسي فقلت يا رسول الله الذي قلت قال الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته فاذ كان الصحيح من التأويل في ذلك ما قلنا للذي به استشهدنا فالواجب أن تكون المثاني مرادا بها القرآن كله فيكون معنى الكلام ولقد آتيناك سبع آيات مما يثني بعض آية بعضا واذا كان ذلك كذلك كانت المثاني جمع مثناة وتكون آي القرآن موصوفة بذلك لان بعضها يثني بعضا وبعضها يتلو بعضا بفصول تفصل بينها فيعرف انقضاء الآية وابتداء التي تليها كما وصفها به تعالى ذكره فقال الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم وقد يجوز أن يكون معناها كما قال ابن عباس والضحاك ومن قال ذلك أن القرآن انما قيل له مثاني لان القصص والاخبار كررت فيه مرة بعد أخرى وقد ذكرنا قول الحسن البصري أنها انما سميت مثاني لانها تثنى في كل قراءة وقول ابن عباس انها انما سميت مثاني لان الله تعالى ذكره استثناها لمحمد صلى الله عليه وسلم دون سائر الانبياء غيره فادخرها له وكان بعض أهل العربية يزعم أنها سميت مثاني لان فيها الرحمن الرحيم مرتين وأنها تثنى في كل سورة يعني بسم الله الرحمن الرحيم وأما القول الذي اخترنا في تأويل ذلك فهو أحد أقوال ابن عباس وهو قول طاوس ومجاهد وأبي مالك وقد ذكرنا ذلك قبل وأما قوله والقرآن العظيم فان القرآن معطوف على السبع بمعنى ولقد آتيناك سبع آيات من القرآن وغير ذلك من سائر القرآن كما **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله والقرآن العظيم قال سائره يعني سائر القرآن مع السبع من المثاني **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله والقرآن العظيم يعني الكتاب كله ❁ القول في تأويل قوله تعالى ﴿لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا

الملكية أن يختص بعض عبيده بانزال الوحي عليه ويأمره بأن يكلف سائر العباد بمعرفة توحيد الله وبعبادته فظهر بهذا البيان أن هذه الآيات منتظمة على أحسن الوجوه قال الواحدي روى عطاء عن ابن عباس أنه أراد بالملائكة ههنا جبرئيل وحده وتسمية الواحد بالجمع اذا كان رئيسا مطاعا جائزة وعلى هذا التفسير (٤٢) فالمراد بالروح كلام الله تعالى كقوله وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا قال المحققون الروح الأصلي هو القرآن الذي فيه بيان المبدإ والوسط والمعاد فيه يحصل اشراق العقل وبالعقل يكمل ضياء جوهر الروح وبالروح يكمل حال الجسد فهو الاصل والباقي فرع عليه وبهذه المناسبة يسمى جبرئيل روحا وعيسى روحا وعن أبي عبيدة أن الروح ههنا جبرئيل والباء بمعنى مع أي تنزل الملائكة مع جبرئيل وذلك أنه في أكثر الاحوال كان ينزل ومعه أقوام من الملائكة كما في يوم بدر وحنين وكان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ملك الجبال وملك البحار وخزان الجنة وغيرهم قال في الكشاف (بالروح من أمره) أي بما يحيي القلوب الميتة بالجهل من وحيه أو بما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وقال غيره من أمره معناه أن ذلك التنزيل والنزول لا يكون الا بامر الله كقوله وما نتنزل الا بأمر ربك قال الزجاج (أن أنذروا) بدل من الروح أي ينزلهم بأن أنذروا وأن اما مفسرة لان تنزيل الوحي فيه معنى القول واما مخففة من الثقيلة وضمير الشأن مقدر أي بأن الشأن أقول لكم أنذروا أي أعلموا الناس قولي (لا اله الا أنا) وهو اشارة الى استكمال القوة النظرية وقوله (فاتقون) رمز الى استكمال القوة العملية ومنه يعلم أن النفس متى كملت من هاتين الجهتين حصل لها روح حقيقي وحياة أبدية وسعادة سرمدية قال الامام فخر الدين الرازي انا لا نعلم كون جبريل صادقا ولا معصوما من الكذب والتلبيس الا بالدلائل السمعية وصحة الدلائل السمعية موقوفة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم وصدقه يتوقف على أن هذا القرآن معجز من قبل الله لا من قبل شيطان خبيث والعلم بذلك يتوقف على العلم بأن جبرئيل صادق مبرأ عن التلبيس وأفعال الشياطين وحينئذ يلزم الدور وهذا مقام صعب أقول قد ذكرنا مرارا أن

منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لا تتمنين يا محمد ما جعلنا من زينة هذه الدنيا متاعا للاغنياء من قومك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر يتمتعون فيها فان من ورائهم عذابا غليظا ولا تحزن عليهم يقول ولا تحزن على ما متعوا به فعجل لهم فان لك في الآخرة ما هو خير منه مع الذي قد عجلنا لك في الدنيا من الكرامة باعطائنا السبع المثاني والقرآن العظيم يقال منه مد فلان عينه الى مال فلان اذا اشتهاه وتمناه وأراده وذكر عن ابن عيينة أنه كان يتأول هذه الآية قول النبي صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن أي من لم يستغن به ويقول ألا تراه يقول ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم فأمره بالاستغناء بالقرآن عن المال قال ومنه قول الآخر من أوتي القرآن فرأى أن أحدا أعطي أفضل مما أعطي فقد عظم صغيرا وصغر عظيما * وبنحو الذي قلنا في قوله أزواجا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم الاغنياء الامثال الاشباه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم قال نهى الرجل أن يتمنى مال صاحبه وقوله واخفض جناحك للمؤمنين يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وألن لمن آمن بك واتبعك واتبع كلامك وقربهم منك ولا تجف بهم ولا تغلظ عليهم يأمره تعالى ذكره بالرفق بالمؤمنين والجناحان من بني آدم جنباه والجناحان الناحيتان ومنه قول الله تعالى ذكره واضمم يدك الى جناحك قيل معناه الى ناحيتك وجنبك ✿ القول في تأويل قوله تعالى (وقل اني أنا النذير المبين كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقل يا محمد للمشركين اني أنا النذير الذي قد أبان انذاره لكم من البلاء والعقاب أن ينزل بكم من الله على تماديكم في غيكم كما أنزلنا على المقتسمين يقول مثل الذي أنزل الله تعالى من البلاء والعقاب على الذين اقتسموا القرآن فجعلوه عضين ثم اختلف أهل التأويل في الذين عنوا بقوله المقتسمين فقال بعضهم عني به اليهود والنصارى وقال كان اقتسامهم أنهم اقتسموا القرآن وعضوه فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه ذكر من قال ذلك حدثني عيسى بن عثمن الرملي قال ثنا يحيى بن عيسى عن الاعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس في قول الله كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين قال هم اليهود والنصارى آمنوا ببعض وكفروا ببعض حدثنا أبو كريب ويعقوب بن ابراهيم قالا ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين قال هم أهل الكتاب جزؤه فجعلوه أعضاء أعضاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن الاعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس في قوله كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين قال الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض حدثنا ابن

المثنى

الفرق بين المعجز والسحر هو أن صاحب المعجز يدعو الى الخير وصاحب السحر يدعو الى الشر والفرق بين الملك والشيطان هو أن الملك يلهم بالخير والشيطان يوسوس بضده واذا كان الامر كذلك فكيف تشتبه المعجزة بالسحر وجبرئيل بابليس ومن أين يلزم الدور ولما بين الله سبحانه أن روح الارواح وروح الاجساد هو أن يعرف الحق لذاته والخير

لاجل أن يعمل به أتبعه دلائل التوحيد مبتدئا من الاشرف وهو السماويات الى الأدون وهو الارضيات فقال (خلق السموات والارض بالحق) وقدم تفسير مثله مرارا وقوله (تعالى عما يشركون) تنزيه لذاته عمن يشاركه فى الازلية والقدم والتدبير والتأثير والصنع والابداع فالفائدة المطلوبة من هذا الكلام غير الفائدة المطلوبة من مثله فى أول السورة كما ذكرنا فلا تكرار ثم ان أشرف الاجسام بعد الفلكيات بدن الانسان فلهذا عقب المذكور بقوله (خلق الانسان من نطفة) قالت الاطباء ان الغذاء اذا وصل الى المعدة حصل له هنالك هضم واذا وصل الى الكبد حصل له فيها هضم ثان وفى العروق له هضم ثالث وفى جواهر الاعضاء هضم رابع وحينئذ يصير جزأ من العضو المغتذى شبيها به ثم عند استيلاء الحرارة على البدن وقت هيجان الشهوة يحصل ذوبان لجملة الاعضاء وتجتمع منه النطفة فى أوعيتها وعلى هذا تكون النطفة جسما مختلفة الاجزاء والطبائع وان كانت تخيل فى الحس أنها متشابهة الاجزاء وكيفما كان فالمقتضى لتولد البدن منها ليس هى الطبيعة الحاصلة لجوهر النطفة ودم الطمث لان الطبيعة تأثيرها بالذات والايجاب لا بالتدبير والاختيار والقوة الطبيعية اذا عملت فى مادة متشابهة الاجزاء وجب أن يكون فعلها هو الكرة وعلى هذا الحرف عول الحكماء فى قولهم البسائط يجب أن تكون أشكالها الطبيعية فى الكرة واذا عملت فى مادة مختلفة الاجزاء وكل مركب فانه ينحل الى بسائط فانه يلزم أن يكون الحيوان على شكل كرات مضموم بعضها الى بعض وكلا الامرين غير مطابق للواقع فعلمنا أن حدوث هذه الاعضاء على هذا الترتيب الخاص ليس بالطبيعة وانما هو بتدبير الفاعل المختار وهو الله سبحانه وكيف لا والنطفة رطوبة سريعة

المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن سليمن عن أبى ظبيان عن ابن عباس قال المقتسمين أهل الكتاب الذين جعلوا القرآن عضين قال يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض **حدثنى** مطر ابن محمد الضبى قال ثنا أبو عاصم قال ثنا شعبة قال ثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير أنه قال فى قوله كما أنزلنا على المقتسمين قال هم أهل الكتاب **حدثنا** ابن بشار قال ثنا محمد ابن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير أنه قال فى هذه الآية كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين قال هم أهل الكتاب آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه **حدثنى** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله الذين جعلوا القرآن عضين قال هم أهل الكتاب جزؤه فجعلوه أعضاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه **حدثنى** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال جزؤه فجعلوه أعضاء كأعضاء الجزور **حدثنى** المثنى قال ثنا عمرو ابن عون قال أخبرنا هشيم عن منصور عن الحسن قال هم أهل الكتاب **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله كما أنزلنا على المقتسمين قال هم اليهود والنصارى من أهل الكتاب قسموا الكتاب فجعلوه أعضاء يقول أحزابا فآمنوا ببعض وكفروا ببعض **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس المقتسمين آمنوا ببعض وكفروا ببعض وفرقوا الكتاب * وقال آخرون المقتسمون أهل الكتاب ولكنهم سموا المقتسمين لان بعضهم قال استهزاء بالقرآن هذه السورة لى وقال بعضهم هذه لى ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك عن عكرمة أنه قال فى هذه الآية الذين جعلوا القرآن عضين قال كانوا يستهزؤن يقول هذا لى سورة البقرة ويقول هذا لى سورة آل عمران * وقال آخرون هم أهل الكتاب ولكنهم قيل لهم المقتسمون لاقتسامهم كتبهم وتفريقهم ذلك بايمان بعضهم ببعضها وكفره ببعض وكفر آخرين بما آمن به غيرهم وايمانهم بما كفر به الآخرون ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن عبد الملك عن قيس عن مجاهد كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين قال هم اليهود والنصارى قسموا كتابهم ففرقوه وجعلوه أعضاء **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنى الحسن قال ثنا ورقاء **وحدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد كما أنزلنا على المقتسمين قال أهل الكتاب فرقوه وبدلوه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد كما أنزلنا على المقتسمين قال أهل الكتاب * وقال آخرون عنى بذلك رهط من كفار قريش بأعيانهم ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين رهط خمسة من قريش عضهوا كتاب الله * وقال آخرون عنى بذلك رهط من قوم صالح الذين تقاسموا على تبييت صالح وأهله ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن

الاستحالة فالاجزاء الموجودة فيها لا تحفظ الوضع والنسبة فالجزء الذى هو مادة الدماغ يمكن حصوله فى الاسفل والجزء الذى هو مادة القلب قد يحصل فى الفوق فلا يكون حدوث أعضاء الحيوان على هذا الترتيب الخاص دائما ولا أكثريا وحيث كان كذلك علمنا أن حدوثها باحداث مدبر مختار ثم ان نزلنا عن جميع هذه المراتب (٤٤) فلا خلاف بين الحكيم و بين المتكلم ان الطبيعة خرقاء وأنها ليست واجبة الوجود لذاتها فلا بد من الانتهاء الى الصانع الحكيم الخبير أما قوله (فاذا هو خصيم مبين) فقد ذكروا فيه وجهين الاول فاذا هو منطيق مجادل عن نفسه مبين للحجة بعد أن كان نطفة لا حس به ولا حراك وتقرير ذلك أن النفوس الانسانية فى أول الفطرة أقل فهما وذكاء من نفوس سائر الحيوانات ألا ترى أن ولد الدجاجة كما يخرج من البيضة يعرف الصديق من العدو فيهرب من الهرة و يلتجئ الى الام ويميز بين الغذاء الذى يوافقه والذى لا يوافقه وحال الطفل بخلاف ذلك فانتقاله من تلك الحالة الخسيسة الى أن يقوى على معرفة الالهيات والفلكيات والعنصريات وعلى ايراد الشكوك والشبهات على النتائج والمقدمات انما يكون بتدبير اله مختار قدير ينقل الارواح من النقصان الى الكمال ومن الجهالة الى المعرفة * الوجه الثانى أن المراد فاذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائل من يحيي العظام وهى رميم فعلى الوجه الاول جوز أن يكون الخصيم فعيلا بمعنى مفاعل كالاكيل والشريب وأن يكون بمعنى مختصم وعلى الوجه الثانى تعين كونه بمعنى مفاعل والترجيح من الوجهين للاول بناء على أن هذه الآيات مسوقة لتقرير الدلائل على وجود الصانع الحكيم وقدرته لا لأجل وصف الانسان بالتمادى فى القحة والكفران

وهب قال قال ابن زيد فى قوله كما أنزلنا على المقتسمين قال الذين تقاسموا بصالح وقرأ قول الله تعالى وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الارض ولا يصلحون قالوا تقاسموا بالله حتى بلغ الآية * وقال بعضهم هم قوم اقتسموا طرق مكة أيام قدوم الحاج عليهم كان أهلها بعثوهم فى عقابها وتقدموا الى بعضهم أن يشيع فى الناحية التى توجه انها لمن سأله عن نبى الله صلى الله عليه وسلم من القادمين عليهم أن يقول هو مجنون والى آخر انه شاعر والى بعضهم انه ساحر * والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال ان الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعلم قومه الذين عضوا القرآن ففرقوه أنه نذير لهم من سخط الله تعالى وعقوبته أن يحل بهم على كفرهم ربهم وتكذيبهم نبيهم ما حل بالمقتسمين من قبلهم ومنهم وجائز أن يكون عنى بالمقتسمين أهل الكتابين التوراة والانجيل لانهم اقتسموا كتاب الله فأقرت اليهود ببعض التوراة وكذبت ببعضها وكذبت بالانجيل والفرقان وأقرت النصارى ببعض الانجيل وكذبت ببعضه و بالفرقان وجائز أن يكون عنى بذلك المشركون من قريش لانهم اقتسموا القرآن فسماه بعضهم شعرا و بعض كهانة و بعض أساطير الاولين وجائز أن يكون عنى به الفريقان ويمكن أن يكون عنى به المقتسمون على صالح من قومه فاذ لم يكن فى التنزيل دلالة على أنه عنى به أحد الفرق الثلاثة دون الآخرين ولا فى خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا فى فطرة عقل وكان ظاهر الآية محتملا ما وصفت وجب أن يكون مقتضيا بأن كل من اقتسم كتابا لله بتكذيب بعض وتصديق بعض واقتسم على معصية لله ممن حل به عاجل نقمة الله فى الدار الدنيا قبل نزول هذه الآية فداخل فى ذلك لانهم لأشكالهم من أهل الكفر بالله كانوا عبرة وللمتعظين بهم منهم عظة * واختلف أهل التأويل فى معنى قوله الذين جعلوا القرآن عضين فقال بعضهم معناه الذين جعلوا القرآن فرقا مفترقة ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله الذين جعلوا القرآن عضين قال فرقا حدثنا أبو كريب و يعقوب بن ابراهيم قالا ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال جزؤه فجعلوه أعضاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال جزؤه فجعلوه أعضاء كأعضاء الجزور حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا طلحة عن عطاء الذين جعلوا القرآن عضين قال المشركون من قريش عضوا القرآن فجعلوه أجزاء فقال بعضهم ساحر وقال بعضهم شاعر وقال بعضهم مجنون فذلك العضون حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله جعلوا القرآن عضين جعلوا كتابهم أعضاء كأعضاء الجزور وذلك أنهم تقطعوه زبرا كل حزب بما لديهم فرحون وهو قوله فرقوا دينهم وكانوا شيعا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الذين جعلوا القرآن عضين عضهوا كتاب الله زعم بعضهم أنه سحر وزعم بعضهم أنه شعر وزعم بعضهم أنه كاهن «قال أبو جعفر» هكذا قال كاهن وانما هو كهانة وزعم بعضهم أنه أساطير الاولين حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن الاعمش عن

وقد يرجح الثانى بما روى أن أبى بن خلف الجمحى جاء بعظم رميم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم فنزلت ثم أردف تكوين الانسان بتكوين الحيوانات التى ينتفع بها الانسان فى ضروراته من الاكل والركوب وجر الاثقال وفى غير الضروريات من الاغراض الصحيحة كالتزين والجمال فقال (والانعام خلقها) هى الازواج الثمانية المذكورة فى سورة الانعام

وهي الضأن والمعز والابل والبقر وان شئت قلت الابل والبقر والغنم قال في الكشاف وأكثر ما يقع هذا اللفظ على الابل قلت ويمكن أن يستدل على ذلك بقوله بعد ذلك وتحمل أثقالكم لان هذا الوصف لا يليق الا بالابل وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر ويجوز أن يكون معطوفا على الانسان أي خلق الانسان والانعام ثم قال (خلقها لكم) أي ما خلقها الا لكم (٤٥) ولما الحكم بجنس الانسان قال صاحب النظم وأحسن الوجهين أن يكون الوقف عند قوله خلقها بدليل أنه عطف عليه قوله ولكم فيها جمال والدفء اسم ما يدفأ به كالملء اسم ما يملأ به وهو الدفاء من لباس معمول من صوف أو وبر أو شعر قال الجوهري الدفء نتاج الابل وألبانها وما ينتفع به منها والدفء أيضا السخونة وقوله (ومنافع) قالوا المراد نسلها ودرها والمنافع بالحقيقة أعم من ذلك فقد ينتفع بها في البيع والشراء بالنقود والاثواب وسائر الحاجات أما قوله (ومنها تأكلون) بتقديم الظرف المؤذن بالاختصاص فلان الاكل منها هو الاصل الذي يعتمده الناس في مآكلهم عادة وأما الاكل من غيرها كالدجاج وصيد البر والبحر فكغير المعتد به الجاري مجرى التفكه ويحتمل أن يراد أن غالب أطعمتكم انما يحصل منها لانكم تحرثون بالبقر وتكتسبون بكراء الابل وتشترون بنتاجها وألبانها وجلودها جميع ما تشتهون من الاطعمة قوله (حين تريحون) الاراحة رد الابل الى مراحها حيث تأوى اليه ليلا ويقال سرح القوم ابلهم سرحا اذا أخرجوها بالغداة الى المرعى وقدم الاراحة لان الجمال فيها أظهر حين تقبل ملأى البطون حافلة الضروع ثم تأوى الى الحظائر حاضرة لاهلها قوله (بشق الانفس) من قرأ بفتح الشين فمعناه المشقة فيكون مصدر شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذي هو الصدع ومن قرأ بالكسر فمعناه النصف كأنه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد قال جار الله معنى المضي في قوله لم تكونوا راجع الى الفرض والتقدير أي لو لم نخلق الابل لم تكونوا الا كذلك وانما لم يقل لم تكونوا حاملها الى ذلك البلد ليطابق قوله وتحمل أثقالكم لاجل المبالغة كأنه قيل قد علمتم أنكم لا تبلغونه بأنفسكم الا بجهد ومشقة وذهاب قوة فضلا أن تحملوا على ظهوركم أثقالكم

عن أبي ظبيان عن ابن عباس الذين جعلوا القرآن عضين قال آمنوا ببعض وكفروا ببعض حدثني يونس قال أخبرني ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله الذين جعلوا القرآن عضين قال جعلوه أعضاء كما تعضى الشاة قال بعضهم كهانة وقال بعضهم هو سحر وقال بعضهم شعر وقال بعضهم أساطير الاولين اكتتبها الآية جعلوه أعضاء كما تعضى الشاة فوجه قائلو هذه المقالة قوله عضين الى أن واحدها عضو وأن عضين جمعه وأنه مأخوذ من قولهم عضيت الشئ تعضية اذا فرقته كما قال رؤبة * وليس دين الله بالمعضى * يعني بالمفرق وكما قال الآخر

وعضاة بني عوف فأما عدوهم ... فأرضى وأما العز منهم فغيرا

يعني بقوله وعضاه ساهم وقطعاهم بألسنتهما * وقال آخرون بل هي جمع عضة جمعت عضين كما جمعت البرة برين والعزة عزين فاذا وجه ذلك الى هذا التأويل كان أصل الكلام عضهة ذهبت هاؤها الاصلية كما نقصوا الهاء من الشفة وأصلها شفهة ومن الشاة وأصلها شاهة يدل على أن ذلك الاصل تصغيرهم الشفة شفيهة والشاة شويهة فيردون الهاء التي تسقط في غير حال التصغير اليها في حال التصغير يقال منه عضهت الرجل أعضهه عضها اذا بهته وقذفته ببهتان وكأن تأويل من تأول ذلك كذلك الذين عضهوا القرآن فقالوا هو سحر أو هو شعر نحو القول الذي ذكرناه عن قتادة وقد قال جماعة من أهل التأويل انه انما عني بالعضة في هذا الموضع نسبتهم اياه الى أنه سحر خاصة دون غيره من معاني الذم كما قال الشاعر * للماء من عضاتهن زمزمه * يعني من سحرهن ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة الذين جعلوا القرآن عضين قال سحرا حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة عضين قال عضهوه وبهتوه حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال كان عكرمة يقول العضه السحر بلسان قريش تقول للساحرة انها العاضهة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله جعلوا القرآن عضين قال سحرا أعضاء الكتب كلها وقريش فرقوا القرآن قالوا هو سحر * والصواب من القول في ذلك أن يقال ان الله تعالى ذكره أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعلم قوما عضهوا القرآن أنه لهم نذير من عقوبة تنزل بهم بعضهم اياه مثل ما أنزل بالمقتسمين وكان عضهم اياه قذفهموه بالباطل وقيلهم انه شعر وسحر وما أشبه ذلك وانما قلنا ان ذلك أولى التأويلات به لدلالة ما قبله من ابتداء السورة وما بعده وذلك قوله انا كفيناك المستهزئين على صحة ما قلنا وانه انما عني بقوله الذين جعلوا القرآن عضين مشركي قومه واذ كان ذلك كذلك فمعلوم أنه لم يكن في مشركي قومه من يؤمن ببعض القرآن ويكفر ببعض بل انما كان قومه في أمره على أحد معنيين اما مؤمن بجميعه واما كافر بجميعه واذ كان ذلك كذلك فالصحيح من القول في معنى قوله الذين جعلوا القرآن عضين قول الذين زعموا أنهم عضهوه فقال بعضهم هو سحر وقال بعضهم هو شعر وقال بعضهم هو كهانة وما أشبه ذلك

و يجوز أن يكون العائد الى الاثقال محذوفا أى لم تكونوا بالغيها الا بالشق أو المراد بالاثقال الاجساد عن ابن عباس أنه فسر البلد بمكة الى اليمن والى الشام والى مصر قال الواحدى هذا قوله والمراد كل بلد لو تكلفتم بلوغه على غير ابل شق عليكم وخص ابن عباس هذه البلاد لانها أكثر متاجر أهل مكة (ان ربكم لرؤف رحيم) (٤٦) والا لم يخلق هذه الحوامل لأجل تيسير هذه المصالح احتج منكر والكرامات بالآية على امتناع طى الارض كما ينقل عن بعض الاولياء والجواب أن الامتناع العادى لا ينافى الامكان الذاتى (والخيل والبغال والحمير) معطوفات على الانعام أى وخلق هؤلاء للركوب والزينة فانتصب على أنه مفعول له معطوف على محل (لتركبوها) وانما لم يقل ولتتزينوا بها ليكون المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد لان الركوب فعل المخاطبين وأما الزينة ففعل الزائن وهو الخالق والتحقيق فيه أن الركوب أحد الامور المعتبرة فى المقصود بخلاف التزين بالشئ فانه قلما يلتفت اليه أرباب الهمم العالية لانه يورث العجب والتيه غالبا وكأنه قال خلقتها لتركبوها فتدفعوا عن أنفسكم بواسطتها ضرر الاعياء والمشقة وأما التزين بها فهو حاصل فى نفس الامر ولكنه غير مقصود بالذات احتجت المعتزلة القائلون بأن أفعال الله معللة بالمصالح بأن قوله لتركبوها يقتضى أن هذه الحيوانات مخلوقة لهذه المصلحة والجواب أن استتباع الغاية والفائدة مسلم ولكن التعليل ممنوع واحتج الحنفية بالآية على تحريم لحوم الخيل من وجوه أحدها افراد هذه الانواع الثلاثة بالذكر فيجب اشتراك الكل فى الحكم لكن البغال والحمير محرمان فكذا الخيل وثانيها أن منفعة الاكل أعظم منه من الركوب والتزين فلو كان أكل لحم الخيل جائزا لكان هذا المعنى أولى بالذكر وثالثها أن قوله فيما قبل ومنها تأكلون يقتضى الحصر فيجب أن لا يجوز أكل ما عدا الانعام الا بدليل منفصل والاصل عدمه ورابعها أن قوله لتركبوها يقتضى أن تمام المقصود من خلق هذه الاشياء الثلاثة هو الركوب والزينة فلو كان حل أكلها مقصودا لزم أن يكون ما فرض تمام المقصود بعض المقصود هذا محال والجواب أن تحريم

من القول أو عضوه ففرقوه بنحو ذلك من القول واذا كان ذلك معناه احتمل قوله عضين أن يكون جمع عضة واحتمل أن يكون جمع عضو لان معنى التعضية التفريق كما يعضى الجزور والشاة فتفرق أعضاء والعضه البهت ورميه بالباطل من القول فهما متقاربان فى المعنى ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فوربك يا محمد لنسألن هؤلاء الذين جعلوا القرآن فى الدنيا عضين فى الآخرة عما كانوا يعملون فى الدنيا فيما أمرناهم به وفيما بعثناك به اليهم من آى كتابى الذى أنزلته اليهم وفيما دعوناهم اليه من الاقرار به ومن توحيدى والبراءة من الانداد والاوثان وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس قال سمعت ليثا عن بشير عن أنس فى قوله فوربك لنسألنهم أجمعين قال عن شهادة أن لا اله الا الله حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن ليث عن بشير بن نهيك عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم فوربك لنسألنهم أجمعين قال عن لا اله الا الله حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن ليث عن بشير عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن ليث عن مجاهد فى قوله فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون قال عن لا اله الا الله حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن هلال عن عبد الله بن عكيم قال قال عبد الله والذى لا اله غيره ما منكم من أحد الا سيخلو الله به يوم القيامة كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر فيقول ابن آدم ماذا غرك منى بى ابن آدم ماذا عملت فيما علمت ابن آدم ماذا أجبت المرسلين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون قال يسأل العباد كلهم عن خلتين يوم القيامة عما كانوا يعبدون وعما أجابوا المرسلين حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا الحسين الجعفى عن فضيل بن مرزوق عن عطية العوفى عن ابن عمر لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون قال عن لا اله الا الله حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ثم قال فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان قال لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا لانه أعلم بذلك منهم ولكن يقول لهم لم عملتم كذا وكذا حدثنا ابن وكيع قال ثنا يونس بن بكير عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال أنزل الله تعالى ذكره فاصدع بما تؤمر فانه أمر من الله تعالى ذكره نبيه صلى الله عليه وسلم بتبليغ رسالته قومه وجميع من أرسل اليه ويعنى بقوله فاصدع بما تؤمر فامض وافرق كما قال أبو ذؤيب

وكأنهن ربابة وكأنه * يسر يفيض على القداح ويصدع

يعنى بقوله يصدع يفرق بالقداح وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فاصدع

عما

بما تؤمر يقول فامضه حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فاصدع بما تؤمر يقول افعل ما تؤمر حدثني الحسين بن يزيد الطحان قال ثنا ابن ادريس عن ليث عن مجاهد في قوله فاصدع بما تؤمر قال بالقرآن حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي قال ثنا يحيى بن ابراهيم عن سفيان عن ليث عن مجاهد فاصدع بما تؤمر قال هو القرآن حدثني أبو السائب قال ثنا ابن فضيل عن ليث عن مجاهد في قوله فاصدع بما تؤمر قال بالقرآن حدثني أبو السائب قال ثنا ابن فضيل عن ليث عن مجاهد في قوله فاصدع بما تؤمر قال الجهر بالقرآن في الصلاة حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن ليث عن مجاهد فاصدع بما تؤمر قال بالقرآن في الصلاة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فاصدع بما تؤمر قال اجهر بالقرآن في الصلاة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو أسامة قال ثنا موسى بن عبيدة عن أخيه عبد الله بن عبيدة قال مازال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين فخرج هو وأصحابه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فاصدع بما تؤمر قال بالقرآن الذي يوحى اليه أن يبلغهم اياه وقال تعالى ذكره فاصدع بما تؤمر ولم يقل بما تؤمر به والامر يقتضي الباء لان معنى الكلام فاصدع بأمرنا فقد أمرناك أن تدعو الى ما بعثناك به من الدين خلقي وأذناك في اظهاره ومعنى ما التي في قوله بما تؤمر معنى المصدر كما قال تعالى ذكره يا أبت افعل ما تؤمر معناه افعل الامر الذي تؤمر به وكان بعض نحويي أهل الكوفة يقول في ذلك حذفت الباء التي يوصل بها تؤمر من قوله فاصدع بما تؤمر على لغة الذين يقولون أمرتك أمرا وكان يقول للعرب في ذلك لغتان احداهما أمرتك أمرا والاخرى أمرتك بأمر فكان يقول ادخال الباء في ذلك واسقاطها سواء واستشهد لقوله ذلك بقول حصين بن المنذر الرقاشي ليزيد بن المهلب

أمرتك أمرا جازما فعصيتني * فأصبحت مسلوب الامارة نادما

فقال أمرتك أمرا ولم يقل أمرتك بأمر وذلك كما قال تعالى ذكره ألا ان عادا كفروا ربهم ولم يقل بربهم وكما قالوا مددت الزمام ومددت بالزمام وما أشبه ذلك من الكلام وأما قوله وأعرض عن المشركين يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم بلغ قومك ما أرسلت به واكفف عن حرب المشركين بالله وقتالهم وذلك قبل أن يفرض عليه جهادهم ثم نسخ ذلك بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم كما حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وأعرض عن المشركين وهو من المنسوخ حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن جويبر عن الضحاك في قوله وأعرض عن المشركين وقل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله وهذا النحو كله في القرآن أمر الله تعالى ذكره نبيه صلى الله

كون معظم المنة في الاكل بالنسبة الى هذه الانواع ممنوع بل الركوب والزينة هما أعظم المنافع فيها ولهذا جعلا تمام المقصود منها فكأنما أعطى الاكثر والمعظم حكم الكل واقتضاء الحصر في قوله ومنها تأكلون ممنوع بل لعل الظرف قدم لرعاية الفاصلة ثم ان أنواع الغرائب والعجائب المخلوقة في هذا العالم لا حد لها ولا حصر فلهذا أشار الى ما بقي منها على سبيل الاجمال فقال (ويخلق ما لا تعلمون) أي كنهه وتفاصيله بل نوعه وجنسه فان مركبات العالم السفلي وغرائب العالم العلوي لا يعلمها الا موجدها روى عطاء ومقاتل والضحاك عن ابن عباس أنه قال ان عن يمين العرش نهرا من نور مثل السموات السبع والارضين السبع والبحار السبعة يدخل فيه جبرئيل عليه السلام كل سحر ويغتسل فيزداد نورا الى نوره وجمالا الى جماله ثم ينتفض فيخلق الله تعالى من كل نقطة تقع من رأسه كذا وكذا ألف ملك يدخل منهم كل يوم سبعون ألف ملك البيت المعمور وفي الكعبة أيضا سبعون ألفا ثم لا يعودون اليه الى يوم القيامة وقيل المراد ما خلق في الجنة والنار مما لم يبلغه فهم أحد ولا وهمه ولما ذكر بعض دلائل التوحيد بين أنه انما ذكرها لازاحة العذر وازالة الشبهة ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة فقال (وعلى الله قصد

السبيل) ذكر صاحب الكشاف أن السبيل للجنس والقصد مصدر بمعنى الفاعل يقال سبيل قصد وقاصد أي مستقيم كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه والجور الميل عن الاستقامة احتجت المعتزلة بالآية على مسألتين من أصولهم احداهما أنه يجب على الله تعالى الارشاد والهداية لان كلمة على للوجوب والمضاف محذوف أي وعلى الله بيان قصد السبيل فالمعنى أن هداية الطريق الموصل الى الحق واجبة

عليه وسلم أن يكون ذلك منه ثم أمره بالقتال فنسخ ذلك كله فقال خذوهم واقتلوهم الآية

القول في تأويل قوله تعالى (إنا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انا كفيناك المستهزئين يا محمد الذين يستهزؤن بك ويسخرون منك فاصدع بأمر الله ولا تخف شيأ سوى الله فان الله كافيك من ناصبك وآذاك كما كفاك المستهزئين وكان رؤساء المستهزئين قوما من قريش معروفين ذكر أسمائهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني محمد قال كان عظماء المستهزئين كما حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير خمسة نفر من قومه وكانوا ذوي أسنان وشرف في قومهم من بني أسد بن عبد العزى بن قصي الاسود بن المطلب أبو زمعة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني قد دعا عليه لما كان يبلغه من أذاه واستهزائه فقال اللهم أعم بصره وأثكله ولده ومن بني زهرة الاسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة ومن بني مخزوم الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي العاص بن وائل ابن هشام بن سعيد بن سعد بن سهم ومن خزاعة الحرث بن الطلاطلة بن عمرو بن الحرث بن عمرو بن ملكان فلما تمادوا في الشر وأكثروا برسول الله صلى الله عليه وسلم الاستهزاء أنزل الله تعالى ذكره فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين الى قوله فسوف يعلمون قال محمد بن اسحق فحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير أو غيره من العلماء أن جبرئيل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يطوفون بالبيت فقام وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه فمر به الاسود بن المطلب فرمى في وجهه بورقة خضراء فعمي ومر به الاسود بن عبد يغوث فأشار الى بطنه فاستسقى بطنه فمات منه حبنا ومر به الوليد بن المغيرة فأشار الى أثر جرح بأسفل كعب رجله كان أصابه قبل ذلك بسنتين وهو يجر سبله يعني ازاره وذلك أنه مر برجل من خزاعة يريش نبلا له فتعلق سهم من نبله بازاره فخدش رجله ذلك الخدش وليس بشئ فانتقض به فقتله ومر به العاص بن وائل السهمي فأشار الى أخمص رجله فخرج على حمار له يريد الطائف فوقص على شبرقة فدخل في أخمص رجله منها شوكة فقتلته «قال أبو جعفر» الشبرقة المعروف بالحسك منه حبنا والحبن الماء الاصفر ومر به الحرث بن الطلاطلة فأشار الى رأسه فامتخط قيحا فقتله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد القرشي عن رجل عن ابن عباس قال كان رأسهم الوليد بن المغيرة وهو الذي جمعهم حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن زياد عن سعيد بن جبير في قوله انا كفيناك المستهزئين قال كان المستهزئين الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأبو زمعة والاسود بن عبد يغوث والحرث بن عيطلة فأتاه جبرئيل فأومأ بأصبعه الى رأس الوليد فقال ما صنعت شيأ قال كفيت وأومأ بيده الى أخمص العاص فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما صنعت شيأ فقال كفيت وأومأ بيده الى عين أبي زمعة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما صنعت شيأ قال كفيت وأومأ بأصبعه الى رأس الاسود فقال النبي صلى الله عليه وسلم دع لي خالي فقال كفيت وأومأ بأصبعه الى بطن الحرث فقال النبي صلى الله

عليه

عليه والثانية أنه لا يضل أحدا ولا يغويه والا قيل وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها أو وعليها الجائر فلما غير أسلوب الكلام قائلا (ومنها جائر) دل على أنه أراد أن يبين ما يجوز اضافته اليه من السبيلين وما لا يجوز والجواب عن الاول بعد تسليم افادة كلمة على الوجوب أنه وجوب بحسب الفضل والكرم لا بمعنى استحقاق الذم على الترك (٤٨) وعن الثاني أن دلالة قوله ومنها جائر على ما ذكرتم ليست دلالة المطابقة ولا التضمن ولا الالتزام لان قول القائل من السبيل سبيل منحرفة لا يفيد الا الاخبار بوجود الانحراف في بعض السبل فأما أن فاعل تلك السبيل من هو فلا دلالة للكلام عليه أصلا على أن قوله (ولو شاء لهداكم أجمعين) يناقض ما ادعيتم وتفسير المشيئة بمشيئة الالجاء والقسر أو بالهداية الى الجنة خلاف الظاهر كما مر مرارا ولما استدل على وجود الصانع الحكيم بعجائب أحوال الحيوانات أراد أن يذكر الاستدلال على المطلوب بغرائب أحوال النبات فقال (هو الذي أنزل من السماء ماء) وقوله (لكم) متعلق بأنزل أو بشراب خبر اله والشراب ما يشرب كالطعام لما يطعم والمراد أن الماء النازل من السماء قسمان بعضه يبقى لاجل الشرب كما هو ويحتمل أن يكون الماء المحتبس في الآبار والعيون منه كقوله فأسكناه في الارض وبعضه يحصل منه شجر برعاه المواشي قال الزجاج كل ما ينبت من الارض فهو شجر لأن التركيب يدل على الاختلاط ومنه تشاجر القوم اذا اختلط أصوات بعضهم بالبعض ومعنى الاختلاط حاصل في العشب والكلا وفيما له ساق وقال ابن قتيبة المراد بالشجر في الآية الكلأ وفي حديث عكرمة لا تأكلوا ثمن الشجر فانه سحت أراد الكلأ وقيل الشجر كل ماله ساق كقوله والنجم والشجر يسجدان والعطف يقتضي التغاير فلما كان النجم ما لا ساق له وجب أن أن يكون الشجر ماله ساق وأجيب بأن عطف الجنس على النوع جائز و بأن قوله (فيه تسيمون) من سامت الماشية اذا رعت وأسامها صاحبها وهو من السومة العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض يقتضي أن يكون الشجر هو العشب ليمكن الرعي و رد بأن الابل قد تقدر على رعي الاشجار الكبار وحين ذكر مرعى الحيوان أتبعه ذكر غذاء الانسان فقال

(ينبت لكم به الزرع) الذى هو الغذاء الاصلى (والزيتون) الذى هو فاكهة من وجه وغذاء من وجه لكثرة ما فيه من الدهن (والنخيل والاعناب) التين هما أشرف الفواكه ثم أشار الى سائر الثمرات بقوله (ومن كل الثمرات) كما أجمل الحيوانات التى لم يذكرها بقوله و يخلق ما لا تعلمون قال فى الكشاف انما لم يقل وكل الثمرات بل زاد من التبعيضية لان كلها لا يكون الا فى الجنة واعلم أنه قدم الغذاء الحيوانى على الغذاء

عليه وسلم ما صنعت شيأ فقال كفيت قال فمر الوليد على قين لخزاعة وهو يجر ثيابه فتعلقت بثوبه بروة أو شرة و بين يديه نساء فجعل يستحيى أن يطامن ينتزعها وجعلت تضرب ساقه فخدشته فلم يزل مريضا حتى مات وركب العاص بن وائل بغلة له بيضاء الى حاجة له بأسفل مكة فذهب ينزل فوضع أخمص قدمه على شبرقة فحكت رجله فلم يزل يحكها حتى مات وعمى أبو زمعة وأخذ الاكلة فى رأس الاسود وأخذ الحرث الماء فى بطنه **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم عن أبى بشر عن سعيد بن جبير فى قوله انا كفيناك المستهزئين قال هم خمسة رهط من قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأبو زمعة والحرث بن عيطلة والاسود بن قيس **حدثنى** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن أبى بشر عن سعيد بن جبير فى قوله انا كفيناك المستهزئين قال الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السهمى والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب والحرث ابن عيطلة **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة فى قوله انا كفيناك المستهزئين قال هم خمسة كلهم هلك قبل بدر العاص بن وائل والوليد بن المغيرة وأبو زمعة بن عبد الأسود والحرث بن قيس والاسود بن عبد يغوث **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة انا كفيناك المستهزئين قال الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد يغوث والحرث بن عيطلة **حدثنا** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن أبى بكر الهذلى قال قلت للزهرى ان سعيد بن جبير وعكرمة اختلفا فى رجل من المستهزئين فقال سعيد هو الحرث بن عيطلة وقال عكرمة هو الحرث بن قيس فقال صدقا كانت أمه تسمى عيطلة وأبوه قيس **حدثنى** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن حصين عن الشعبى قال المستهزئين سبعة وسمى منهم أربعة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن جابر عن عامر انا كفيناك المستهزئين قال كانوا من قريش خمسة نفر العاص بن وائل السهمى كفى بصداع أخذه فى رأسه فسال دماغه حتى كان يتكلم من أنفه والوليد بن المغيرة المخزومى كفى برجل من خزاعة أصلح سهما له فندرت منه شظية فوطئ عليها فمات وهبار بن الاسود وعبد يغوث بن وهب والحرث بن عيطلة **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن جابر عن عامر انا كفيناك المستهزئين قال كلهم من قريش العاص بن وائل فكفى بأنه أصابه صداع فى رأسه فسال دماغه حتى لا يتكلم الا من تحت أنفه والحرث بن عيطلة بصفر فى بطنه وابن الاسود فكفى بالجدرى والوليد بأن رجلا ذهب ليصلح سهما له فوقعت شظية فوطئ عليها وعبد يغوث فكفى بالعمى ذهب بصره **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وعن مقسم انا كفيناك المستهزئين قال هم الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدى بن قيس والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب مروا رجلا رجلا على النبى صلى الله عليه وسلم ومعه جبرئيل فاذا مر به رجل منهم قال جبرئيل كيف تجد هذا فيقول بئس عبد الله فيقول جبرئيل كفاكه فأما الوليد بن المغيرة فتردى فتعلق سهم بردائه فذهب يجلس فقطع أكحله فنزف فمات وأما

النباتى لان النعمة فيه أعظم لانه أسرع تشبها ببدن الانسان وفى ذكر الغذاء النباتى قدم غذاء الحيوان وهو الشجر على غذاء الانسان وهو الزرع وغيره بناء على مكارم الاخلاق وهو أن يكون اهتمام الانسان بحال من تحت يده أكمل من اهتمامه بحال نفسه وانما عكس الترتيب فى قوله كلوا وارعوا أنعامكم بناء على ما هو الواجب فى نفس الامر كقوله صلى الله عليه وسلم ابدأ بنفسك ثم بمن تعول قوله (وسخر لكم الليل والنهار) معنى تسخيرهما للناس تصييرهما نافعين لهم بحسب مصالحهم على سنن واحد يتعاقبان دائما كالعبد المطواع وكذا الكلام فى تسخير الشمس والقمر والنجوم كما مر فى الاعراف وفى سورة ابراهيم وهذا حسم لمادة شبهة من يزعم أن حركات الافلاك هى المقتضية لتعاقب الليل والنهار ومسيرات الكواكب هى المستدعية للحوادث السفليات فانه ان سلم لهم ذلك فلا بد لتلك الحركات والمسيرات من الانتهاء الى صانع قديم منزه عن التغير والامكان مبرأ عن الحدوث والنقصان وهو الله سبحانه (ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) قال جار الله جمع الآية وذكر العقل لان آثار العلو أظهر دلالة على القدرة الباهرة وأبين شهادة للكبرياء والعظمة وقال غيره انما جمع الآيات لتطابق قوله مسخرات ومثله فى هذه السورة فى موضع آخر مسخرات فى جو السماء ما يمسكهن الا الله ان فى ذلك لآيات وأقول انما جمع لان كلا من تسخير الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم آية فى نفسها لتباين الليل والنهار وتخالف مسيرات الكواكب كما هو مقرر فى علم الهيئة بخلاف قوله ينبت لكم فان مطلق الانبات آية واحدة وكذا قوله (وما ذرأ لكم فى الارض) أى خلق لكم فيهما من حيوان وشجر وثمر وغير

ذلك (مختلفاً ألوانه) فان ذرء هذه الاشياء على حالة اختلاف الالوان والاشكال مع تساوى الكل فى الطبيعة الجسمية وفى تأثير الفلكيات فيها آية واحدة على وجود الصانع تعالى شأنه ولست أدعى الا امكان هذه الاعتبارات والا ففى كل شئ له آية * تدل على أنه واحد وانما خص المقام الاول بالتفكر لامكان ايراد الشبهة المذكورة وخص المقام الثانى بالعقل لذكره بعد اماطة الشبهة وازاحة العلة فمن لم يعترف بعدها بالوحدانية فلا عقل له وخص المقام الثالث بالتذكر لمزيد الدلالة فمن شك بعد ذلك فلا حس له ومن جملة الآيات التى هى فى الحقيقة انعامات على الانسان تسخير البحر بالركوب عليه والانتفاع به أكلا ولبساً والمراد باللحم الطرى السمك قال ابن الاعرابى لحم طرى غير مهموز ومصدره طراوة يقال شئ طرى أى غض بين الطراوة وقال قطرب طرو اللحم وطرى طراوة والمراد فى الآية السمك وما فى معناه قال فى الكشاف وصفه بالطراوة لأن الفساد يسرع اليه فيسارع الى أكله خيفة الفساد عليه وقال المتكلمون انه لما خرج من البحر المالح الزعاق الحيوان الذى لحمه فى غاية العذوبة علم أنه لم يحدث بحسب الطبع بل حدث بقدرة الله تعالى وحكمته بحيث أظهر الضد من الضد قال أكثر الفقهاء ومنهم أبو حنيفة والشافعى من حلف أن لا يأكل لحماً فأكل سمكا لم يحنث لان اللحم لا يتناوله عرفا ومبنى الايمان على العرف والعادة ولهذا لو قال لغلامه اشتر لحماً فجاء بالسمك كان حقيقا بالانكار عليه ورد عليهم الامام فخر الدين الرازى بأنه اذا قال لغلامه اشتر لحما فجاء بلحم العصفور كان حقيقا بالانكار مع أنكم تقولون انه يحنث بأكل لحم العصفور فثبت أن العرف مضطرب والرجوع الى نص القرآن متعين فليس فوق بيان الله بيان ولقائل أن يقول لعل الانكار فى هذه الصورة بعد تسليمه انما جاء من قبل ندرة شراء العصفور أو شراء لحمه فانه انما يشترى كله ولم يجئ من اطلاق اللحم على لحمه ومن منافع البحر استخراج الحلية منه قالوا أراد بالحلية اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم لانهن من جملتهم ولان تزينهن لاجلهم ولقائل أن يقول لا مانع من تزيين الرجال باللآلى ونحوها

الاسود بن عبد يغوث فأتى بغصن فيه شوك فضرب به وجهه فسالت حدقتاه على وجهه فكان يقول دعوت على محمد دعوة ودعا علىّ دعوة فاستجيب لى واستجيب له دعا علىّ أن أعمى فعميت ودعوت عليه أن يكون وحيدا فريدا فى أهل يثرب فكان كذلك وأما العاص بن وائل فوطئ على شوكة فتساقط لحمه عن عظامه حتى هلك وأما الاسود بن المطلب وعدى بن قيس فان أحدهما قام من الليل وهو ظمآن فشرب ماء من جرة فلم يزل يشرب حتى انفتق بطنه فمات وأما الآخر فلدغته حية فمات حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وعثمان عن مقسم مولى ابن عباس فى قوله انا كفيناك المستهزئين ثم ذكر نحو حديث ابن عبد الاعلى عن ابن ثور حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين هم رهط خمسة من قريش عضهوا القرآن زعم بعضهم أنه سحر وزعم بعضهم أنه شعر وزعم بعضهم أنه أساطير الاولين أما أحدهم فالاسود بن عبد يغوث أتى على نبى الله صلى الله عليه وسلم وهو عند البيت فقال له الملك كيف تجد هذا قال بئس عبد الله على أنه خالى قال كفيناك ثم أتى عليه الوليد بن المغيرة فقال له الملك كيف تجد هذا قال بئس عبد الله قال كفيناك ثم أتى عليه عدى بن قيس أخو بنى سهم فقال الملك كيف تجد هذا قال بئس عبد الله قال كفيناك ثم أتى عليه الاسود بن المطلب فقال له الملك كيف تجد هذا قال بئس عبد الله قال كفيناك ثم أتى عليه العاص بن وائل فقال له الملك كيف تجد هذا قال بئس عبد الله قال كفيناك فأما الاسود بن عبد يغوث فأتى بغصن من شوك فضرب به وجهه حتى سالت حدقتاه على وجهه فكان بعد ذلك يقول دعا علىّ محمد بدعوة ودعوت عليه بأخرى فاستجاب الله له فىّ واستجاب الله لى فيه دعا علىّ أن أثكل وأن أعمى فكان كذلك ودعوت عليه أن يصير شريدا طريدا فطردناه مع يهود يثرب وسراق الحجيج وكان كذلك وأما الوليد بن المغيرة فذهب يرتدى فتعلق بردائه سهم غرب فأصاب أكحله أو أبجله فأتى فى كل ذلك فمات وأما العاص بن وائل فوطئ على شوكة فأتى فى ذلك جعل يتساقط لحمه عضوا عضوا فمات وهو كذلك وأما الاسود بن المطلب وعدى بن قيس فلا أدرى ما أصابهما ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر نهى أصحابه عن قتل أبى البخترى وقال خذوه أخذا فانه قد كان له بلاء فقال له أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يا أبا البخترى انا قد نهينا عن قتلك فهلم الى الأمنة والامان فقال أبو البخترى وابن أخى معى فقالوا لم نؤمر الا بك فراودوه ثلاث مرات فأبى الا وابن أخيه معه قال فأغلظ للنبى صلى الله عليه وسلم الكلام فحمل عليه رجل من القوم فطعنه فقتله فجاء قاتله وكأنما على ظهره جبل أو ثقل مخافة أن يلومه النبى صلى الله عليه وسلم فلما أخبر بقوله قال النبى صلى الله عليه وسلم أبعده الله وأسحقه وهم المستهزئون الذين قال الله انا كفيناك المستهزئين وهم الخمسة الذين قيل فيهم انا كفيناك المستهزئين استهزؤا بكتاب الله ونبيه صلى الله عليه وسلم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد انا كفيناك المستهزئين هم من قريش حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وزعم ابن أبى بزة أنهم العاص بن وائل السهمى

السهمي والوليد بن المغيرة الوحيد والحرث بن عدي بن سهم بن العيطلة والاسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهو أبو زمعة والاسود بن عبد يغوث وهو ابن خال رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرني عمرو بن دينار عن ابن عباس نحو حديث محمد بن عبد الاعلى عن محمد بن ثور غير أنه قال كانوا ثمانية ثم عدهم وقال كلهم مات قبل بدر وقوله الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون وعيد من الله تعالى ذكره وتهديد للمستهزئين الذين أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم أنه قد كفاه أمرهم بقوله تعالى ذكره انا كفيناك يا محمد الساخرين منك الجاعلين مع الله شريكا في عبادته فسوف يعلمون ما يلقون من عذاب الله عند مصيرهم اليه في القيامة وما يحل بهم من البلاء

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولقد نعلم يا محمد أنك يضيق صدرك بما يقول هؤلاء المشركون من قومك من تكذيبهم اياك واستهزائهم بك وبما جئتهم به وأن ذلك يحرجك فسبح بحمد ربك يقول فافزع فيما نابك من أمر تكرهه منهم الى الشكر لله والثناء عليه والصلاة يكفك الله من ذلك ما أهمك وهذا نحو الخبر الذي روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة

القول في تأويل قوله تعالى ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم واعبد ربك حتى يأتيك الموت الذي هو موقن به وقيل يقين وهو موقن به كما قيل خمر عتيق وهي معتقة وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد عن سفيان قال ثنى طارق بن عبد الرحمن عن سالم بن عبد الله واعبد ربك حتى يأتيك اليقين قال الموت حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني عباس بن محمد قال ثنا حجاج قال قال ابن جريج أخبرني ابن كثير أنه سمع مجاهدا يقول حتى يأتيك اليقين قال الموت حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واعبد ربك حتى يأتيك اليقين قال يعني الموت حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة حتى يأتيك اليقين قال اليقين الموت حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن مبارك بن فضالة عن الحسن في قوله حتى يأتيك اليقين قال الموت حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن طارق عن سالم مثله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واعبد ربك حتى يأتيك اليقين قال الموت اذا جاءه الموت جاءه تصديق ما قال الله له وحدثه من أمر الآخرة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس بن يزيد عن

مرعا فلا حاجة الى هذا التكلف (١) استدل الامام فخر الدين بالآية في ابطال قول الشافعية انه لا زكاة في الحلي قال لان اللام فيما روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لا زكاة في الحلي تنصرف الى المعهود السابق ولا معهود الا ما في الآية من الحلية فصار معنى الحديث لا زكاة في اللآلئ وهذا باطل بالاتفاق ولقائل أن يقول لم لا يجوز أن تكون اللام للجنس فتشمل المصوغ من الذهب والفضة أيضا فيكون الحديث مخصصا بالآية ان ثبت صحته ومن عجائب البحر ومنافعه قوله سبحانه (وترى الفلك مواخر فيه) قال أهل اللغة مخر السفينة شقها الماء بصدرها وعن الفراء أنه صوت دوي الفلك بالرياح وقال ابن عباس مواخر أي جواري وانما حسن هذا التفسير لانها لا تشق الماء الا اذا كانت جارية وقوله (لتبتغوا من فضله) أي تتجروا فيه فتطلبوا الربح من فضل الله واذا وجدتم فضله واحسانه فلعلكم تقدمون على شكره واعلم أن قوله مواخر فيه جاء على القياس لان موضع الظرف المتعلق بمواخر بعد مضي مفعولي ترى وأما في سورة الملائكة فقدم الظرف ليكون موافقا لقوله ومن كل تأكلون ولتقدم الجار في قوله ومن كل تأكلون حذف لفظة منه هنالك والواو في ولتبتغوا في هذه السورة للعطف على لام العلة في لتأكلوا وقوله وترى الفلك مواخر فيه اعتراض في السورتين يجري مجرى المثل ولهذا وحد الخطاب في قوله وترى وقبله وبعده جمع أي لو حضرت أيها المخاطب لرأيته بهذه الصفة ويمكن أن يقال انما قال في الملائكة فيه مواخر بتقديم الظرف لئلا يفصل بين لام العلة وبين متعلقها وهو مواخر وليكتنف المتعلق المتعلقان وانما بنينا الكلام على أن قوله فيه متعلق بمواخر لا بترى لقرب هذا وبعد ذلك والله أعلم قوله (أن تميد بكم) أي كراهة أن تميد الارض بكم والباء للتعدية أو للمصاحبة والميد الحركة والاضطراب يمينا وشمالا يروى أنه تعالى خلق الارض فجعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر أحد على ظهرها فأصبحت وقد أرسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت قال جمهور المفسرين ان السفينة اذا ألقيت على وجه الماء فانها تميل من جانب الى جانب وتضطرب فاذا وضعت الاجرام الثقيلة في تلك السفينة استقرت على وجه الماء فهكذا

---

(١) قوله واستدل الى قوله بالاتفاق بمراجعة عبارة الفخر تعلم ما فيه اه كتبه مصححه

الارض تستقر على الماء بسبب ثقل الجبال واعترض عليه بأن السفينة انما تضطرب على الماء لتخلخلها وخفتها بسبب الهواء الداخل فى تجاويف الخشب ومسامها أما الارض فجسم كثيف ثقيل من شأنها الرسوب فى الماء على ما هو مشاهد من حال أجزائها المنفصلة عنها فان كان طبيعة الكل كذلك فكيف يعقل طفوها (٥٢) حتى توجب الجبال ارساءها وثباتها وان لم تكن طبيعة الكل كذلك حتى تكون طافية مائدة وقد أرساها الله تعالى بالجبال فالرسو والرسوخ انما يتصور على جسم واقف وليس الا الماء فينقل الكلام الى وقوف الماء فى حيزه المعين فان كان بحسب الطبيعة فهذا خلاف التقدير لانا نفينا القول بالطبائع الموجبة لهذه الاحوال وان لم يكن بالطبع بل كان واقفا بتخليق الفاعل المختار وتسكينه فى حيزه المخصوص فلم لا نقول مثله فى تسكين الارض هذا تلخيص ما قاله الامام فخر الدين الرازى ونسب المقام الى الصعوبة والاشكال واستخرج لحله وجها مبنيا على قوانين الحكمة وهو أن الارض جسم كرى والكرة اذا كانت صحيحة الاستدارة فانها تتحرك بأدنى سبب فلما أحدث الله سبحانه على وجه الكرة هذه الخشونات الجارية مجرى الاوتاد منعتها عن السلاسة والحركة قلت فى هذا الحل خلل أما أولا فلكونه مبنيا على غير قواعد أهل التفسير وأما ثانيا فلما ثبت فى الحكمة أن نسبة أعظم جبل فى الارض وهو ما ارتفاعه فرسخان وثلث فرسخ الى جميع الارض كنسبة خمس سبع عرض شعيرة الى كرة قطرها ذراع ولا ريب أن ذلك القدر من الشعيرة لا يخرج الكرة المذكورة عن صحة الاستدارة بحيث يمنعها عن سلاسة الحركة فكذا ينبغى أن يكون حال الجبال بالنسبة الى كرة الارض والجواب الصحيح على قاعدة أهل الشرع أن يقال لا نسلم أن الارض بكليتها لها طبيعة موجبة لحالة من الاحوال وعلى تقدير أهل التسليم فلا نسلم أن لها طبيعة الرسوب بل لعل طبيعتها الطفو فلهذا احتاجت الى الرواسى وأما قوله لم أوقف الله الماء فى حيزه ولم يوقف الارض من غير ارساء فلا يخفى سقوطه مع القول بالفاعل المختار فللوسائط والاسباب مدخل فى الامور العادية وان لم نقل بتأثيرها هذا وان حركة

ابن شهاب أن خارجة بن زيد بن ثابت أخبره عن أم العلاء امرأة من الانصار قد بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرته أنهم اقتسموا المهاجرين قرعة قالت وطار لنا عثمان بن مظعون فأنزلناه فى أبياتنا فوجع وجعه الذى مات فيه فلما توفى وغسل وكفن فى أثوابه دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا عثمان بن مظعون رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتى عليك لقد أكرمك الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك أن الله أكرمه قالت يا رسول الله فمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هو فقد جاءه اليقين والله انى لأرجو له الخير حدثنا أبو كريب قال ثنا مالك بن اسمعيل قال ثنا اسمعيل قال ثنا ابراهيم بن سعد قال ثنا ابن شهاب عن خارجة بن زيد عن أم العلاء امرأة من نسائهم عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقى قال ثنا جعفر بن عون قال أخبرنا ابراهيم بن اسمعيل عن محمد بن شهاب أن خارجة بن زيد حدثه عن أم العلاء امرأة منهم عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه الا أنه قال فى حديثه فقال النبى صلى الله عليه وسلم أما هو فقد عاين اليقين

(تفسير سورة النحل)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

القول فى تأويل قوله تعالى (أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون) يقول تعالى ذكره أتى أمر الله فقرب منكم أيها الناس ودنا فلا تستعجلوا وقوعه ثم اختلف أهل التأويل فى الامر الذى أعلم الله عباده مجيئه وقربه منهم ما هو وأى شئ هو فقال بعضهم هو فرائضه وأحكامه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن المبارك عن جويبر عن الضحاك فى قوله أتى أمر الله فلا تستعجلوه قال الاحكام والحدود والفرائض * وقال آخرون بل ذلك وعيد من الله لأهل الشرك به أخبرهم أن الساعة قد قربت وأن عذابهم قد حضر أجله فدنا ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال لما نزلت هذه الآية يعنى أتى أمر الله فلا تستعجلوه قال رجال من المنافقين بعضهم لبعض ان هذا يزعم أن أمر الله أتى فأمسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى تنظروا ما هو كائن فلما رأوا أنه لا ينزل شئ قالوا ما نراه نزل شئ فنزلت اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون فقالوا ان هذا يزعم مثلها أيضا فلما رأوا أنه لا ينزل شئ قالوا ما نراه نزل شئ فنزلت ولئن أخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة ليقولن ما يحبسه ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ثنا يحيى بن يمان قال ثنا سفيان عن اسمعيل عن أبى بكر بن حفص قال لما نزلت أتى أمر الله رفعوا رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا أبو بكر بن شعيب قال سمعت أبا صادق يقرأ يا عبادى أتى أمر الله فلا تستعجلوه * وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب قول من قال هو تهديد من الله

الارض عند الزلازل لا تنافى حكم الله بعدم اضطرابها الا ان اثبات الحركة لجزء الشئ لا ينافى نفيها عن كله وشبهوا الزلزلة وهى حركة قطعة من الارض لاحتقان البخارات فى داخلها وطلبها المنفذ باختلاج يحصل فى جزء معين من بدن الحيوان قوله سبحانه (وأنهارا) معطوف على رواسى أى وجعل فيها رواسى وأنهارا لأن الالقاء ههنا بمعنى الجعل والخلق كقوله وألقيت عليك (٥٣) محبة منى وكذا قوله (وسبلا) أى أظهرها وبينها لاجل أن تهتدوا بها فى أسفاركم ولما ذكر أنه أظهر فى الارض سبلا معينة ذكر أنه أظهر فى تلك السبل علامات مخصوصة وهى كل ما يستدل به السابلة من جبل وسهل وغير ذلك يحكى أن جماعة يشمون التراب فيعرفون به الطرقات قال الاخفش تم الكلام عند قوله (وعلامات) وقوله (وبالنجم هم يهتدون) كلام منفصل عن الاول والمراد النجم الجنس كما يقال كثر الدرهم فى أيدى الناس وعن السدى هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدى قال بعض المفسرين أراد بقوله هم يهتدون أهل البحر لتقدم ذكر البحر ومنافعه وقيل أراد أعم من ذلك فأهل البر أيضا قد يحصل لهم الاهتداء بالنجوم فى الطرق والمسالك وفى معرفة القبلة وانما جىء بالضمير الغائب لعوده الى السائرين الدال عليهم ذكر السبل وقال فى الكشاف كأنه أراد قريشا فقد كان لهم اهتداء بالنجوم فى مسايرهم وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر أوجب عليهم والاعتبار ألزم لهم فخصصوا بتقديم النجم واقحام لفظ هم كأنه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء يهتدون ثم لما عدد الآيات الدالة على الصانع ووحدانيته واتصافه بجميع صفات الكمال أراد أن يوبخ أهل الشرك والعناد فقال (أفمن يخلق كمن لا يخلق) أى كالاصنام التى لا تخلق شيأ الا أنه أجراها مجرى أولى العلم فاطلق عليها لفظ من التى هى لأولى العقل بناء على زعمهم أنها آلهة أو لاجل المشاكلة بينه وبين من يخلق أو أراد أن من يخلق ليس كمن لا يخلق من أولى العلم فكيف بما لا علم عنده أو أراد كل ما عبد من دون الله مغلبا فيه أولو العلم منهم واعلم أن أهل البيان يقولون ان المشبه به يجب أن يكون أقوى وأتم فى وجه الشبه من المشبه ليلتحق الاضعف

أهل الكفر به وبرسوله واعلام منه لهم قرب العذاب منهم والهلاك وذلك أنه عقب ذلك بقوله سبحانه وتعالى عما يشركون فدل بذلك على تقريعه المشركين به ووعيده لهم وبعد فانه لم يبلغنا أن أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم استعجل فرائض قبل أن تفرض عليهم فيقال لهم من أجل ذلك قد جاءتكم فرائض الله فلا تستعجلوها وأما مستعجلو العذاب من المشركين فقد كانوا كثيرا وقوله سبحانه وتعالى عما يشركون يقول تعالى ذكره تنزيها لله وعلوا له عن الشرك الذى كانت قريش ومن كان من العرب على مثل ما هم عليه يدين به واختلفت القراء فى قراءة قوله وتعالى عما يشركون فقرأ ذلك أهل المدينة وبعض البصريين والكوفيين عما يشركون بالياء على الخبر عن أهل الكفر بالله وتوجيه للخطاب بالاستعجال الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك قرؤا الثانية بالياء وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة بالتاء على توجيه الخطاب بقوله فلا تستعجلوه الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقوله وتعالى عما تشركون الى المشركين والقراءة بالتاء فى الحرفين جميعا على وجه الخطاب للمشركين أولى بالصواب لما بينت من التأويل أن ذلك انما هو وعيد من الله للمشركين ابتدأ أول الآية بتهديدهم وختم آخرها بنكير فعلهم واستعظام كفرهم على وجه الخطاب لهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا اله الا أنا فاتقون ﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله ينزل الملائكة فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة ينزل الملائكة بالياء وتشديد الزاى ونصب الملائكة بمعنى ينزل الله الملائكة بالروح وقرأ ذلك بعض البصريين وبعض المكيين ينزل الملائكة بالياء وتخفيف الزاى ونصب الملائكة وحكى عن بعض الكوفيين أنه كان يقرؤه تنزل الملائكة بالتاء وتشديد الزاى والملائكة بالرفع على اختلاف عنه فى ذلك وقد روى عنه موافقة سائر قراء بلده * وأولى القرا آت بالصواب فى ذلك عندى قراءة من قرأ ينزل الملائكة بمعنى ينزل الله ملائكته وانما اخترت ذلك لان الله هو المنزل ملائكته بوحيه الى رسله واضافة فعل ذلك اليه أولى وأحق واخترت ينزل بالتشديد على التخفيف لانه تعالى ذكره كان ينزل من الوحى على من نزله شيأ بعد شئ والتشديد به اذ كان ذلك معناه أولى من التخفيف فتأويل الكلام ينزل الله ملائكته بما يحيا به الحق ويضمحل به الباطل من أمره على من يشاء من عباده يعنى على من يشاء من رسله أن أنذروا فأن الاولى فى موضع خفض ردا على الروح والثانية فى موضع نصب بأنذروا ومعنى الكلام ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده بأن أنذروا عبادى سطوتى على كفرهم بى واشراكهم فى اتخاذهم معى الآلهة والاوثان فانه لا اله الا أنا يقول لا تنبغى الالوهة الا لى ولا يصلح أن يعبد شئ سواى فاتقون يقول فاحذرونى بأداء فرائضى وافراد العبادة واخلاص الربوبية لى فان ذلك نجاتكم من الهلكة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ينزل الملائكة بالروح يقول بالوحى حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده

بالاقوى في وجه الشبه كقولك وجهه كالقمر ولا ريب أن الخالق أقوى من غير الخالق فكان حق النظم في الظاهر أن يقال أفمن لا يخلق كمن يخلق والقرآن ورد على العكس ووجهه عند العلماء زيادة التوبيخ ليكون كأنهم جعلوا غير الخالق أقوى حالا وأعرف من الخالق قال في الكشاف انهم جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبهوه بها حين جعلوا غيره مثله في التسمية والعبادة فأنكر عليهم ذلك

ولوضوح كون هذا الامر منكرا عند من له أدنى عقل بل حس قال (أفلا تذكرون) وفيه مزيد توبيخ وتجهيل لانه لجلائه كالحاصل الذي يحصل عند العقل بأدنى تذكر ومع ذلك هم عنه غافلون قال بعض الاشاعرة في الآية دلالة على أن العبد غير خالق لافعال نفسه لان الآية سيقت لبيان امتيازه بصفة الخالقية أجابت المعتزلة بأن المراد أفمن يخلق ما تقدم ذكره من السموات والارض والانسان والحيوان والنبات والبحار والجبال والنجوم أو نقول معنى الآية ان كل ما كان خالقا يكون أفضل ممن لا يكون خالقا وهذا القدر لا يدل على أن كل من كان خالقا فانه يجب أن يكون الها نظيره قوله ألهم أرجل يمشون بها أراد به أن الانسان أفضل من الصنم والافضل لا يليق به عبادة الاخس فكذا ههنا وقال الكعبي في تفسيره نحن لا نطلق لفظ الخالق على العبد ومن أطلق ذلك فقد أخطأ الا في مواضع ذكرها الله تعالى كقوله واذ تخلق من الطين فعلى هذا لا يتوجه عليهم السؤال الا أن أصحاب أبي هاشم يطلقون لفظ الخالق على العبد حتى ان أبا عبد الله البصري قال اطلاق لفظ الخالق على العبد حقيقة وعلى الله مجاز لان الخلق عبارة عن التقدير وهو الظن والحسبان ثم لما فرغ من تعديد الآيات التي هي بالنسبة الى المكلفين نعم قال (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) وقد مر تفسيره في سورة ابراهيم قال العقلاء ان كل جزء من أجزاء البدن الانساني لو ظهر فيه أدنى خلل لنغص العمر على الانسان وتمنى أن ينفق الدنيا لو كانت في ملكه حتى يزول عنه ذلك الخلل ثم انه سبحانه يدبر أحوال بدن الانسان على الوجه الملائم له غالبا مع أن الانسان لا علم له بوجود ذلك الجزء ولا بمصالحه ومفاسده فليكن هذا المثال

يقول ينزل الملائكة(١) حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله بالروح من أمره انه لا ينزل ملك الا ومعه روح حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال مجاهد قوله ينزل الملائكة بالروح من أمره قال لا ينزل ملك الا معه روح ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده قال بالنبوة قال ابن جريج وسمعت أن الروح خلق من الملائكة نزل به الروح ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن أبيه عن الربيع بن أنس في قوله ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا اله الا أنا فاتقون قال كل كلم تكلم به ربنا فهو روح منه وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا الى قوله ألا الى الله تصير الامور حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ينزل الملائكة بالروح من أمره يقول ينزل بالرحمة والوحي من أمره على من يشاء من عباده فيصطفي منهم رسلا حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده قال بالوحي والرحمة وأما قوله أن أنذروا أنه لا اله الا أنا فاتقون فقد بينا معناه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أن أنذروا أنه لا اله الا أنا فاتقون انما بعث الله المرسلين أن يوحد الله وحده ويطاع أمره ويجتنب سخطه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون) يقول تعالى ذكره معرفا خلقه حجته عليهم في توحيده وأنه لا تصلح الالوهة الا له خلق ربكم أيها الناس السموات والارض بالعدل وهو الحق منفردا بخلقها لم يشركه في انشائها واحداثها شريك ولم يعنه عليه معين فأنى يكون له شريك تعالى عما يشركون يقول جل ثناؤه علا ربكم أيها القوم عن شرككم ودعواكم الها دونه فارتفع عن أن يكون له مثل أو شريك أو ظهير لأنه لا يكون الها الا من يخلق وينشئ بقدرته مثل السموات والارض ويبتدع الاجسام فيحدثها من غير شيء وليس ذلك في قدرة أحد سوى الله الواحد القهار الذي لا تنبغي العبادة الا له ولا تصلح الالوهة لشيء سواه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين) يقول تعالى ذكره ومن حججه عليكم أيضا أيها الناس أنه خلق الانسان من نطفة فأحدث من ماء مهين خلقا عجيبا قلبه تارات خلقا بعد خلق في ظلمات ثلاث ثم أخرجه الى ضياء الدنيا بعد ما تم خلقه ونفخ فيه الروح فغذاه ورزقه القوت ونماه حتى اذا استوى على سوقه كفر بنعمة ربه وجحد مدبره وعبد من لا يضر ولا ينفع وخاصم الهه فقال من يحيي العظام وهي رميم ونسي الذي خلقه فسواه خلقا سويا من ماء مهين ويعني بالمبين أنه يبين عن خصومته بمنطقه ويجادل بلسانه فذلك ابانته وعني بالانسان جميع الناس أخرج بلفظ الواحد وهو في معنى الجميع ۞ القول في تأويل قوله تعالى (والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون) يقول تعالى ذكره ومن

(١) أي بنحو ما قبله في حديث المثنى عن ابن عباس تأمل كتبه مصححه

حججه عليكم أيها الناس ما خلق لكم من الانعام فسخرها لكم وجعل لكم من أصوافها وأوبارها وأشعارها ملابس تدفؤن بها ومنافع من ألبانها وظهورها تركبونها ومنها تأكلون يقول ومن الانعام ما تأكلون لحمه كالابل والبقر والغنم وسائر ما يؤكل لحمه وحذفت ما من الكلام لدلالة من عليها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى وعلى بن داود قال المثنى أخبرنا وقال ابن داود ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله والانعام خلقها لكم فيها دفء يقول الثياب حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون يعنى بالدفء الثياب والمنافع ما ينتفعون به من الاطعمة والأشربة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى لكم فيها دفء قال لباس ينسج ومنها مركب ولبن ولحم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد لكم فيها دفء لباس ينسج ومنافع مركب ولحم ولبن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قوله لكم فيها دفء ومنافع قال نسل كل دابة حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل باسناده عن ابن عباس مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع يقول لكم فيها لباس ومنفعة وبلغة حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور قال قال ابن عباس والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون قال هو منافع ومأكل حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع قال دفء اللحف التى جعلها الله منها حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج قال بلغنى عن مجاهد والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع قال نتاجها وركوبها وألبانها ولحومها

القول فى تأويل قوله تعالى (ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم) يقول تعالى ذكره ولكم فى هذه الانعام والمواشى التى خلقها الله لكم جمال حين تريحون يعنى تردونها بالعشى من مسارحها الى مراحها ومنازلها التى تأوى اليها ولذلك سمى المكان المراح لانها تراح اليه عشيا فتأوى اليه يقال منه أراح فلان ماشيته فهو يريحها اراحة وقوله وحين تسرحون يقول وفى وقت اخراجكموها غدوة من مراحها الى مسارحها يقال منه سرح فلان ماشيته يسرحها تسريحا اذا أخرجها للرعى غدوة وسرحت الماشية اذا خرجت للمرعى تسرح سرحا وسروحا فالسرح بالغداة والاراحة بالعشى ومنه قول الشاعر

كأن بقايا الاتن فوق متونه * مدب الدبى فوق النقا وهو سارح

* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا

حاضرا فى ذهنك وقس عليه سائر نعم الله تعالى حتى تعرف تقصيرك وقصورك عن شكر أدنى نعمة فضلا عن جميعها ولهذا ختم الآية بقوله (ان الله لغفور رحيم) يغفر التقصير الصادر عنكم فى أداء شكر النعمة ويرحمكم حيث لا يقطعها عنكم بالتفريط ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها كانوا مع اشتغالهم بعبادة غير الله يسرون ضروبا من الكفر والمكايد فى حق الرسول صلى الله عليه وسلم فأوعدهم بقوله (والله يعلم ما تسرون وما تعلنون) وفيه أيضا تعريض وتوبيخ بسبب أن الاله يجب أن يكون عالما بالسر والعلانية والاصنام التى عبدوها جمادات لا شعور لها أصلا فكيف يحسن عبادتها ثم زاد فى التوبيخ فقال (والذين يدعون) أى الآلهة الذين يدعونهم الكفار (من دون الله لا يخلقون شيأ) وقد ذكر هذا المعنى فى قوله كمن لا يخلق وزاد ههنا قوله (وهم يخلقون) أى يخلقهم الله أو بالنحت والتصوير وهم لا يقدرون على نحو ذلك فهم أعجز من عبدتهم ففى هذه الآية زيادة بيان لانه نفى عنهم صفة الكمال وأثبت صفة النقصان وكذلك قوله أموات غير احياء يستلزم ذمهم مرتين لان الاموات ما يعقب موته حياة كالنطفة والجسد الانسانى الذى فارقه الروح وأما الحجارة فأمواتا لا تقبل الحياة أصلا وفيه أن الحق يجب أن يكون حيا لا يعقبه موت وحال هذه الاصنام بالعكس وفيه أن هؤلاء الكفار فى غاية الغباوة وقد يقرر المعنى الواحد مع الجاهل بعبارتين مختلفتين تنبيها على بلادته (وما يشعرون) الضمير للآلهة أما الضمير فى (أيان يبعثون) فاما للآلهة أيضا ويؤيده ما روى عن ابن عباس أن الله تعالى يبعث الاصنام لها أرواح ومعها شياطينها فيؤمر بالكل الى النار واما للكفار أى لا يشعر الآلهة متى يبعث عبدتهم فيكون فيه تهكم بالمشركين من حيث ان آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم لا بد من البعث وأنه من لوازم التكليف واما للاحياء أى لا يعلم هؤلاء الآلهة متى تبعث الاحياء تهكما بحالها لان شعور الجماد محال فكيف بشعور ما لا يعلمه حى الا الحى القيوم سبحانه وجوز فى الكشاف أن يراد بالذين يدعوهم الكفار الملائكة فان ناسا منهم كانوا يعبد

ومعنى أنهم (أموات) أى لا بد لهم من الموت (غير أحياء) أى غير باقية حياتهم ولا علم لهم بوقت بعثهم ولما زيف طريقة عبدة الاصنام صرح بما هو الحق فى نفس الامر فقال (الهكم اله واحد) ثم ذكر ما لاجله أصر الكفار على شركهم فقال (فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة) للوحدانية أو لكل كلام يخالف هواهم (وهم مستكبرون) عن قبول الحق وذلك أن المؤمن بالبعث والجزاء يؤثر فيه الترغيب (٥٦)

والترهيب فينقاد للحق أسرع وأما الجاحد للمعاد فلا يقبل الا ما يوافق رأيه و يلائم طبعه فيبقى فى ظلمة الانكار (لاجرم) أى حقا (أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) فيجازيهم على ما أسروا من الاستكبار وأعلنوا من العناد (انه لا يحب المستكبرين) عن التوحيد فيختص بالمشركين أو كل مستكبر فيدخل هؤلاء دخولا أوليا لان الكلام فيهم ﴿التأويل﴾ الناس طبقات ثلاث الغافلون والخطاب معهم بالعتاب اذا كانوا مشتاقين الى الدنيا وزخارفها وهم أصحاب النفوس والعاقلون والخطاب معهم بوعد الثواب لرغبتهم فى الطاعات والاعمال الصالحات وهم أرباب العقول والعاشقون والخطاب معهم بوصل رب الارباب لاشتياقهم الى جمال ذى الجلال فحين قال فى الازل أتى أمر الله استعجل أرواح كل طبقة منهم للخروج من العدم الى الوجود لنيل المقصود وطلب المفقود فخاطبهم بقوله فلا تستعجلوه فانه سيصيب كل طبقة منكم ما كتب له فى القسمة الازلية والله سبحانه منزه عن أن يشاركه فى الحكم أحد فلا مبدل لكلماته بالروح من أمره أى بما يحيى القلوب من المواهب الربانية من أمره انوارد على الجوارح بالتكاليف الشرعية وعلى النفوس بآداب الطريقة وعلى القلوب بالاشارات وعلى الارواح بملازمة الحضرة للمكاشفات وعلى الاسرار بالمراقبات للمشاهدات وعلى الخفيات بتجلى الصفات لافناء الذوات وخلق

على من يشاء من عباده من الانبياء والاولياء أن أنذروا أعلموا أوصاف وجودكم ببذلها فى أنانيتى أنه لا اله الا أنا فاتقون عن أنانيتكم بأنانيتى خلق سموات الارواح وأرض الاشباح وجعلها مظهرا لا فاعليه فهو الفاعل لما يظهر على الارواح والاشباح تعالى عما يشركون

يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وذلك أعجب ما يكون اذا راحت عظاما ضروعها طوالا أسنمتها وحين تسرحون اذا سرحت لرعيها حدثنا محمد ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون قال اذا راحت كأعظم ما تكون أسنمة وأحسن ما تكون ضروعا وقوله وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس يقول وتحمل هذه الانعام أثقالكم الى بلد آخر لم تكونوا بالغيه الا بجهد من أنفسكم شديد ومشقة عظيمة كما حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن جابر عن عكرمة وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس قال لو تكلفونه لم تبلغوه الا بجهد شديد حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن سماك عن عكرمة الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس قال لو كلفتموه لم تبلغوه الا بشق الانفس حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن سماك عن عكرمة الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس قال البلد مكة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله الا بشق الانفس قال مشقة عليكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس يقول بجهد الانفس حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة بنحوه * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار بكسر الشين الا بشق الانفس سوى أبى جعفر القارئ فان المثنى حدثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن أبى حماد قال ثنى أبو سعيد الرازى عن أبى جعفر قارئ المدينة أنه كان يقرأ لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس بفتح الشين وكان يقول انما الشق شق النفس وقال ابن أبى حماد وكان معاذ الهراء يقول هى لغة تقول العرب بشق وبشق وبرق وبرق والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ما عليه قراء الامصار وهى كسر الشين لاجماع الحجة من القراء عليه وشذوذ ما خالفه وقد ينشد هذا البيت بكسر الشين وفتحها وذلك قول الشاعر

وذى ابل يسعى ويحسبها له * أخى نصب من شقها ودؤوب

ومن شقها أيضا بالكسر والفتح وكذلك قول العجاج * أصبح مسحول يوازى شقا * وشقا بالفتح والكسر ويعنى بقوله يوازى شقا يقاسى مشقة وكان بعض أهل العربية يذهب بالفتح الى المصدر من شققت عليه أشق شقا وبالكسر الى الاسم وقد يجوز أن يكون الذين قرؤا بالكسر أرادوا الا بنقص من القوة وذهاب شئ منها حتى لا يبلغه الا بعد نقصها فيكون معناه عند ذلك لم تكونوا بالغيه الا بشق قوى أنفسكم وذهاب شقها الآخر ويحكى عن العرب خذ هذا الشق لشقة الشاة بالكسر فأما فى شققت عليك شقا فلم يحك فيه الا النصب وقوله ان ربكم لرؤف رحيم يقول تعالى ذكره ان ربكم أيها الناس ذو رأفة بكم ورحمة ومن رحمته بكم خلق لكم الانعام لمنافعكم ومصالحكم

الارواح والاشباح في احالة أفاعيله الى غيره خلق الانسان من نطفة لاعلم لها ولا فعل فاذا هو خصيم مبين يدعى الشركة معه في الوجود والافاعيل والانعام أي الصفات الحيوانية خلقها لكم فيها دفء لانها المودعة في جبلتكم ومنافع ومنها تأكلون باستفادة بدل ما يتحلل ولكم فيها جمال في أوقات الفترات وأزمنة الاستراحات وتحمل أثقال أرواحكم وهي أعباء الامانة الى (٥٧) بلد عالم الجبروت ان ربكم لرؤف رحيم

وخلق السموات والارض أدلة لكم على وحدانية ربكم ومعرفة الهكم لتشكروه على نعمه عليكم فيزيدكم من فضله ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون﴾ يقول تعالى ذكره وخلق الخيل والبغال والحمير لكم أيضا لتركبوها وزينة يقول وجعلها لكم زينة تتزينون بها مع المنافع التي فيها لكم للركوب وغير ذلك ونصب الخيل والبغال عطفا على الهاء والالف في قوله خلقها ونصب الزينة بفعل مضمر على ما بينت ولو لم يكن معها واو وكان الكلام لتركبوها زينة كانت منصوبة بالفعل الذي قبلها الذي هي به متصلة ولكن دخول الواو آذنت بأن معها ضمير فعل وبانقطاعها عن الفعل الذي قبلها * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة لتركبوها وزينة قال جعلها لتركبوها وجعلها زينة لكم وكان بعض أهل العلم يرى أن في هذه الآية دلالة على تحريم أكل لحوم الخيل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى ابن واضح قال ثنا أبو حمزة عن أبي اسحق عن رجل عن ابن عباس قوله والخيل والبغال والحمير لتركبوها قال هذه للركوب والانعام خلقها لكم فيها دفء قال هذه للاكل حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا هشام الدستوائي قال ثنا يحيى بن أبي كثير عن مولى نافع بن علقمة أن ابن عباس كان يكره لحوم الخيل والبغال والحمير وكان يقول قال الله والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون فهذه للاكل والخيل والبغال والحمير لتركبوها فهذه للركوب حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن ابن أبي ليلى عن المنهال عن سعيد عن ابن عباس أنه سئل عن لحوم الخيل فكرهها وتلا هذه الآية والخيل والبغال والحمير لتركبوها الآية حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا قيس بن الربيع عن ابن أبي ليلى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه سئل عن لحوم الخيل فقال اقرأ التي قبلها والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة فجعل هذه للاكل وهذه للركوب حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن عبد الملك بن أبي غنية عن أبيه عن الحكم والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون فجعل منه الاكل ثم قرأ حتى بلغ والخيل والبغال والحمير لتركبوها قال لم يجعل لكم فيها أكلا قال وكان الحكم يقول الخيل والبغال والحمير حرام في كتاب الله حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا ابن أبي غنية عن الحكم قال لحوم الخيل حرام في كتاب الله ثم قرأ والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع الى قوله لتركبوها وكان جماعة غيرهم من أهل العلم يخالفونهم في هذا التأويل ويرون أن ذلك غير دال على تحريم شيء وأن الله جل ثناؤه انما عرف عباده بهذه الآية وسائر ما في أوائل هذه السورة نعمه عليهم ونبههم به على حججه عليهم وأدلته على وحدانيته وخطا فعل من يشرك به من أهل الشرك ذكر بعض من كان لا يرى بأسا بأكل لحم الفرس حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن شعبة عن مغيرة عن ابراهيم عن الاسود أنه أكل لحم الفرس حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن شعبة عن الحكم عن ابراهيم عن الاسود بنحوه حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم قال نحر أصحابنا فرسا في النخع وأكلوا منه ولم يروا به بأسا * والصواب من القول في ذلك عندنا ما قاله أهل القول الثاني وذلك أنه لو كان في قوله

اذا أفنيتم أنفسكم في جبروته يبقيكم ببقاء عظموته والخيل والبغال والحمير أي صفاتها خلقت فيكم لانها مراكب الروح عند السير الى عالم الجبروت وزينة عند رجوعه بالجذبة الى مستقره الذي أهبط منه ويخلق فيكم حينئذ ما لا تعلمون وهو قبول فيض الله بلا واسطة وعلى الله قصد السبيل بجذبة ارجعي ومنها جائر يعني نفوسكم تحيد عن الفناء وبذل الوجود هو الذي أنزل من سماء الكرم ماء الفيض منه شراب المحبة لقلوبكم ومنه شجر القوى البشرية ودواعيها فيه ترعون مواشي نفوسكم ينبت لكم زرع الطاعات وزيتون الصدق ونخيل الاخلاق الجيدة وأعناب الواردات الربانية ومن كل ثمرات المعقولات والمشاهدات والمكاشفات وسخر لكم ليل البشرية ونهار الروحانية وشمس الروح وقمر القلب ونجوم الحواس والقوى وتسخيرها استعمالها على وفق الشريعة وقانون الطريقة وما ذرأ لكم في أرض جبلتكم من الاستعدادات يتلون في كل عالم بلونه من عوالم الملكية والشيطانية والحيوانية وسخر لكم بحر العلوم لتأكلوا منه الفوائد الغيبية السنية الطرية وتستخرجوا منه جواهر المعاني فتلبس بها أرواحكم النور والبهاء وترى فلك الشرائع والمذاهب جواري في بحر العلوم لتبتغوا الأسرار الخفية عن الملائكة وألقى في أرض البشرية جبال الوقار والسكينة لئلا تميد بكم صفات البشرية عن جادة الشريعة والطريقة وأنهارا من ماء الحكمة وسبلا الى الهداية والعناية وعلامات من الشواهد والكشوف وبنجم الجذبة الالهية هم يهتدون فيخرجون من ظلمات الوجود المجازي الى نور الوجود الحقيقي أفمن يخلق الله فيه هذه الكمالات كمن لا يخلقها فيه

من الملائكة وغيرهم وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وهي قسمان نعمة الاعطاف وهي ما يتعلق بوجود النعمة ظاهرة وباطنة ونعمة الالطاف
وهي ما يتعلق بوجود المنعم من الذوات والصفات والله يعلم ما تسرون من أداء شكر نعمه بالقلوب وما تعلنون من أداء الشكر بالاجساد والذين
يدعون من دون الله من الهوى والدنيا لا يخلقون شيأ من المنافع وهم يخلقون بتعب الطلب في تحصيلها ولهذا

تعالى ذكره لتركبوها دلالة على أنها لا تصلح اذ كانت للركوب للأكل لكان في قوله فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون دلالة على أنها لا تصلح اذ كانت للأكل والدفء للركوب وفي اجماع الجميع على أن ركوب ما قال تعالى ذكره ومنها تأكلون جائز حلال غير حرام دليل واضح على أن أكل ما قال لتركبوها جائز حلال غير حرام الا بما نص على تحريمه أو وضع على تحريمه دلالة من كتاب أو وحي الى رسوله صلى الله عليه وسلم فأما بهذه الآية فلا يحرم أكل شيء وقد وضع الدلالة على تحريم لحوم الحمر الاهلية بوحيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى البغال بما قد بينا في كتابنا كتاب الاطعمة بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع اذ لم يكن هذا الموضع من مواضع البيان عن تحريم ذلك وانما ذكرنا ما ذكرنا ليدل على أن لا وجه لقول من استدل بهذه الآية على تحريم لحم الفرس **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن عبد الكريم عن عطاء عن جابر قال كنا نأكل لحم الخيل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت فالبغال قال أما البغال فلا وقوله ويخلق ما لا تعلمون يقول تعالى ذكره ويخلق ربكم مع خلقه هذه الاشياء التي ذكرها لكم ما لا تعلمون مما أعد في الجنة لأهلها وفي النار لأهلها مما لم تره عين ولا سمعته أذن ولا خطر على قلب بشر ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين﴾ يقول تعالى ذكره وعلى الله أيها الناس بيان طريق الحق لكم فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها والسبيل هي الطريق والقصد من الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه كما قال الراجز

* فصد عن نهج الطريق القاصد *

وقوله ومنها جائر يعني تعالى ذكره ومن السبيل جائر عن الاستقامة معوج فالقاصد من السبل الاسلام والجائر منها اليهودية والنصرانية وغير ذلك من ملل الكفر كلها جائر عن سواء السبيل وقصدها سوى الحنيفية المسلمة وقيل ومنها جائر لان السبيل يؤنث ويذكر فأنثت في هذا الموضع وقد كان بعضهم يقول وانما قيل ومنها لان السبيل وان كان لفظه لفظ واحد فمعناها الجمع * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال أخبرنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وعلى الله قصد السبيل يقول البيان **حدثنا** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وعلى الله قصد السبيل يقول على الله البيان أن يبين الهدى والضلالة **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء **وحدثني** المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل **وحدثني** المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وعلى الله قصد السبيل قال طريق الحق على الله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وعلى الله قصد السبيل يقول على الله البيان بيان حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وعلى الله قصد السبيل قال السبيل طريق الهدى **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن جويبر عن الضحاك وعلى الله قصد السبيل

قال أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون هادواعي البشرية فالذين لا يؤمنون بالآخرة بما في عالم الغيب قلوبهم منكرة لاهل الحق لانهم لا يتجاوزون عالم الحس يعلم ما يسرون من الانكار وما يعلنون من الاستكبار الله حسبي ﴿واذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الاولين ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين أوتوا العلم ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن كذلك يجزي الله المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر

ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون فأصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم قال
ما كانوا به يستهزؤن وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من
قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه

الضلالة فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدى من يضل وما لهم من ناصرين وأقسموا
بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ليبين لهم الذى يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا
أنهم كانوا كاذبين انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون والذين هاجروا (٥٩) فى الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم فى الدنيا

قال انارتها حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وعلى الله قصد السبيل يقول على الله البيان بين الهدى من الضلالة و بين السبيل التى تفرقت عن سبله ومنها جائر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومنها جائر أى من السبل سبل الشيطان وفى قراءة عبد الله بن مسعود ومنكم جائر ولو شاء الله لهداكم أجمعين حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ومنها جائر قال فى حرف ابن مسعود ومنكم جائر حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله ومنها جائر يعنى السبل المتفرقة حدثنى على بن داود قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله ومنها جائر يقول الاهواء المختلفة حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ومنها جائر يعنى السبل التى تفرقت عن سبيله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ومنها جائر السبل المتفرقة عن سبيله حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومنها جائر قال من السبل جائر عن الحق قال وقال الله ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وقوله ولو شاء لهداكم أجمعين يقول ولو شاء الله للطف بجميعكم أيها الناس بتوفيقه فكنتم تهتدون وتلزمون قصد السبيل ولا تجورون عنه فتتفرقون فى سبل عن الحق جائرة كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولو شاء لهداكم أجمعين قال لو شاء لهداكم أجمعين لقصد السبيل الذى هو الحق وقرأ ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا الآية وقرأ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها الآية ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون﴾ يقول تعالى ذكره والذى أنعم عليكم هذه النعم وخلق لكم الانعام والخيل وسائر البهائم لمنافعكم ومصالحكم هو الرب الذى أنزل من السماء ماء يعنى مطرا لكم من ذلك الماء شراب تشربونه ومنه شراب أشجاركم وحياة غروسكم ونباتها فيه تسيمون يقول فى الشجر الذى ينبت من الماء الذى أنزل من السماء تسيمون يعنى ترعون يقال منه أسام فلان ابله يسيمها اسامة اذا أرعاها وسومها أيضا يسومها وسامت هى اذا رعت فهى تسوم وهى ابل سائمة ومن ذلك قيل للمواشى المطلقة فى الفلاة وغيرها للرعى سائمة وقد وجه بعضهم معنى السوم فى البيع الى أنه من هذا وأنه ذهاب كل واحد من المتبايعين فيما ينبغى له من زيادة ثمن ونقصانه كما تذهب سوائم المواشى حيث شاءت من مراعيها ومنه قول الاعشى

ومشى القوم بالعماد الى المر * عى وأعيا المسيم أين المساق

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن النضر بن عربى عن عكرمة ومنه شجر فيه تسيمون قال ترعون حدثنا أحمد بن سهل الواسطى قال ثنا قرة بن عيسى عن النضر بن عربى عن عكرمة فى قوله فيه تسيمون قال ترعون حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس قال ترعون حدثنى على بن داود قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس مثله حدثنى

حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) ۞ القراآت شركاى مثل هداى زمعة عن ابن كثير والخزاعى عن البزى وقرأ الخزاز عن هبيرة شركائى الذين مرسلة الياء الباقون بفتح الياء وكذلك فى الكهف والقصص تشاقون بكسر النون نافع الآخرون بفتحها تتوفاهم وما بعده بالامالة حمزة وخلف لا يهدى بفتح الياء وكسر الدال عاصم وحمزة وعلى وخلف الباقون بضم الياء وفتح الدال كن فيكون بالنصب ابن عامر وعلى الباقون بالرفع ۞ الوقوف ربكم لا لأن ما بعده جواب اذا الأولين ه لا لتعلق اللام يوم القيامة لا لأن قوله ومن أوزار مفعول ليحملوا بغير علم ط ما يزرون ه لا يشعرون ه فيهم ط الكافرين ه لا بناء على أن ما بعده صفة أنفسهم ص لطول الكلام من سوء ط تعملون ه خالدين فيها ط المتكبرين ه أنزل ربكم ط خيرا ط حسنة ط خير ط المتقين ه لا لأن ما بعده بدل يشاؤن ط المتقين ه طيبين ه لا لان ما بعده حال آخر سلام عليكم لا لأن قوله ادخلوا مفعول يقولون تعملون ه أمر ربك ط من قبلهم ط يظلمون ه يستهزؤن ه من شئ الثانى ط من قبلهم ج للاستفهام مع الفاء المبين ه الطاغوت ج

لانقطاع النظم مع اتصال المعنى الضلالة ط المكذبين ه ناصرين ه أيمانهم لا لأن ما بعده جواب القسم يموت ط لا يعلمون ه لا لتعلق لام كى كاذبين ه فيكون ه حسنة ط أكبر م لان جواب لو محذوف أى لو كانوا يعلمون لما اختاروا الدنيا على الآخرة ولو وصل لصار قوله ولأجر الآخرة متعلقا بشرط أن لو كانوا يعلمون وهو محال يعلمون ه لا بناء على أن الذين صبروا بدل الذين هاجروا

يتوكلون ٥ ﴿ التفسير لما بالغ في تقرير دلائل التوحيد أراد أن يذكر شبهات منكري النبوة مع أجوبتها فالشبهة الاولى أنهم طعنوا في القرآن وعدوه من قبيل الاساطير قال النحويون ماذا منصوب بأنزل بمعنى أي شيء أنزله ربكم أو ما مبتدأ وذا موصولة والجملة صلتها والمجموع خبر المبتدأ وعلى التقديرين فقوله أساطير (٦٠) الاولين بالرفع ليس بجواب الكفار والا لكان المعنى الذي أنزله ربنا أساطير الاولين الكفار لا يقرون بالانزال فهو اذن كلام مستأنف أي ليس ماتدعون انزاله منزلا بل هو أساطير الاولين وقال في الكشاف معناه المنزل أساطير الاولين وذكر في دفع التناقض أنه على السخرية كقوله ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون وجوز كونه منصوبا ولم يقرأ به واختلفوا في السائل فقيل هو كلام بعضهم لبعض وقيل هو قول المسلمين لهم وقيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سألهم وفود الحاج عما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا أحاديث الأولين وأباطيلهم ليس فيه شيء من العلوم والفصاحة والحقائق والدقائق ثم انه تعالى اقتصر في جواب شبههم على محض الوعيد لانه قد ثبت بالتحدي كما ذكر مرارا أن القرآن معجز تحدوا بالقرآن جملة ثم بعشر سور ثم بسورة فعجزوا عن المعارضة فكان طعنهم فيه بعد ذلك مجرد المكابرة والعناد فلم يستحقوا في الجواب الا التهديد والوعيد واللام في قوله (ليحملوا) ليس لام الغرض لانهم لم يصفوا القرآن بكونه أساطير لغرض حمل الأوزار ولكن لما كانت عاقبتهم ذلك حسن التعليل به فكان لام العاقبة وقوله (كاملة) معناه انه تعالى لا يخفف من عقابهم شيأ وفيه دليل على أنه تعالى قد يسقط بعض العقاب عن المؤمنين لان هذا المعنى لو كان حاصلا في حق الكل لم يكن لتخصيص هؤلاء الكفار بهذا التكميل فائدة قال الواحدي لفظة من في قوله (ومن أوزار الذين) ليست للتبعيض لانه لا يخفف عن الاتباع بعض أوزارهم لقوله صلى الله عليه وسلم أيما داع دعا الى الضلال فاتبع كان عليه وزر من اتبعه لا ينقص من آثامهم شيء ولكنها للابتداء أي ليحملوا ما قد نشأ من أوزار الاتباع أو للبيان

محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ومنه شجر فيه تسيمون يقول شجر يرعون فيه أنعامهم وشاءهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس فيه تسيمون قال ترعون حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية وأبو خالد عن جويبر عن الضحاك فيه ترعون حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد عن الضحاك في قوله تسيمون يقول ترعون أنعامكم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن طلحة بن أبي طلحة القناد قال سمعت عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى قال فيه ترعون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله شجر فيه تسيمون يقول ترعون حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال ترعون حدثنا محمد ابن سنان قال ثنا سليمن قال ثنا أبو هلال عن قتادة في قول الله شجر فيه تسيمون قال ترعون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومنه شجر فيه تسيمون قال ترعون قال الاسامة الرعية وقال الشاعر

مثل ابن بزعة أو كآخر مثله * أولى لك ابن مسيمة الاجمال

قال يا ابن راعية الاجمال ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾ يقول تعالى ذكره ينبت لكم ربكم بالماء الذي أنزل لكم من السماء زرعكم وزيتونكم ونخيلكم وأعنابكم ومن كل الثمرات يعني من كل الفواكه غير ذلك أرزاقا لكم وأقواتا وادامًا وفاكهة نعمة منه عليكم بذلك وتفضلا وحجة على من كفر به منكم ان في ذلك لآية يقول جل ثناؤه ان في اخراج الله بما ينزل من السماء من ماء ما وصف لكم لآية يقول لدلالة واضحة وعلامة بينة لقوم يتفكرون يقول لقوم يعتبرون مواعظ الله ويتفكرون في حججه فيتذكرون وينيبون ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ يقول تعالى ذكره ومن نعمه عليكم أيها الناس مع التي ذكرها قبل أن سخر لكم الليل والنهار يتعاقبان عليكم هذا لتصرفكم في معاشكم وهذا لسكنكم فيه والشمس والقمر لمعرفة أوقات أزمنتكم وشهوركم وسنينكم وصلاح معايشكم والنجوم مسخرات لكم بأمر الله تجري في فلكها لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون يقول تعالى ذكره ان في تسخير الله ذلك على ما سخره لدلالات واضحات لقوم يعقلون حجج الله ويفهمون عنه تنبيهه اياهم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وما ذرأ لكم في الارض مختلفا ألوانه ان في ذلك لآية لقوم يذكرون﴾ يعني جل ثناؤه بقوله وما ذرأ لكم وسخر لكم ما ذرأ لكم أي ما خلق لكم في الارض مختلفا ألوانه من الدواب والثمار كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما ذرأ لكم في الارض يقول وما خلق لكم مختلفا ألوانه من الدواب ومن الشجر والثمار نعم من الله متظاهرة فاشكروها لله حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال من الدواب والاشجار والثمار ونصب قوله مختلفا لان قوله وما في موضع نصب بالمعنى الذي وصفت واذ كان ذلك كذلك وجب أن يكون مختلفا

مختلفا ألوانه حالا من ما والخبر دونه تام ولو لم تكن ما فى موضع نصب وكان الكلام مبتدأ من قوله وما ذرأ لكم لم يكن فى مختلف الا الرفع لأنه كان يصير مرافع ما حينئذ ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ يقول تعالى ذكره والذى فعل هذه الافعال بكم وأنعم عليكم أيها الناس هذه النعم الذى سخر لكم البحر وهو كل نهر ملحا كان ماؤه أو عذبا لتأكلوا منه لحما طريا وهو السمك الذى يصطاد منه وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وهو اللؤلؤ والمرجان كما حدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال أخبرنا هشام عن عمرو عن سعيد عن قتادة فى قوله وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا قال منهما جميعا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها قال هذا اللؤلؤ حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لتأكلوا منه لحما طريا يعنى حيتان البحر حدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا حماد عن يحيى قال ثنا اسمعيل بن عبد الملك قال جاء رجل الى أبى جعفر فقال هل فى حلى النساء صدقة قال لا هى كما قال الله تعالى حلية تلبسونها وترى الفلك يعنى السفن مواخر فيه وهى جمع ماخرة * وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله مواخر فقال بعضهم المواخر المواقر ذكر من قال ذلك حدثنا عمرو بن موسى القزاز قال ثنا عبد الوارث قال ثنا يونس عن الحسن فى قوله وترى الفلك مواخر فيه قال المواقر * وقال آخرون فى ذلك ما حدثنا به عبد الرحمن بن الاسود قال ثنا محمد بن ربيعة عن أبى بكر الاصم عن عكرمة فى قوله وترى الفلك مواخر فيه قال ما أخذ عن يمين السفينة وعن يسارها من الماء فهو المواخر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبى مكين عن عكرمة فى قوله وترى الفلك مواخر فيه قال هى السفينة تقول بالماء هكذا يعنى تشقه * وقال آخرون فيه ما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن اسمعيل عن أبى صالح وترى الفلك مواخر فيه قال تجرى فيه متعرضة * وقال آخرون فيه ما حدثنى به محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وترى الفلك مواخر فيه قال تمخر السفينة الرياح ولا تمخر الريح من السفن الا الفلك العظام حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه غير أن الحرث قال فى حديثه ولا تمخر الرياح من السفن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله مواخر قال تمخر الريح * وقال آخرون فيه ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وترى الفلك مواخر فيه تجرى بريح واحدة مقبلة ومدبرة حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال تجرى مقبلة ومدبرة بريح واحدة حدثنا المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا يحيى بن سعيد عن يزيد بن ابراهيم قال سمعت الحسن وترى الفلك مواخر فيه قال مقبلة ومدبرة بريح واحدة والمخر فى كلام العرب صوت هبوب الريح اذا اشتد هبوبها وهو فى هذا

أى ليصلوا ماهو من جنس أوزار تبعهم ومعنى (بغير علم) أن هؤلاء الرؤساء انما يقدمون على هذا الاضلال جهلا منهم بما يستحقونه من العذاب الشديد على ذلك الاضلال وقال فى الكشاف بغير علم حال من المفعول أى يضلون من لا يعلم أنهم ضلال وانما وصف بالضلال واحتمال الوزر من أضلوه وان لم يعلم لانه كان عليه أن يبحث و ينظر بعقله حتى يميز بين المحق والمبطل ثم أوعدهم بما هو النهاية فى التهديد فقال (ألا ساء ما يزرون) وزرهم ثم حكى حال أضرابهم من المتقدمين فقال (قد مكر الذين من قبلهم) ذهب أكثر المفسرين الى أن المراد به نمروذ بن كنعان بنى صرحا عظيما ببابل طوله خمسة آلاف ذراع وقيل فرسخان ورام الصعود الى السماء ليقاتل أهلها فأهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا وألقت رأس الصرح فى البحر فأحدث نمرود وتبلبلت يومئذ ألسن الناس من الفزع فتكلموا بثلاثة وتسعين لسانا ولذلك سميت ببابل وكان لسان الناس قبل ذلك بالسريانية وابتلاه الله ببعوضة دخلت دماغه والحكاية مشهورة والأصح أن الآية عامة فى جميع المبطلين الذين يحاولون الحاق الضرر بالمحقين وعلى القول الاول معنى قوله (فأتى الله) أى أمره وحكمه (بنيانهم من القواعد) وهى أساطين البناء التى تعمده أو الأساس أنه أسقط السقف عليهم بعد هدم القواعد وفائدة زيادة قوله (من فوقهم) التنصيص على أن الابنية تهدمت وهم ماتوا تحتها وعلى الثانى يكون الكلام محض التمثيل والمراد أنهم سووا منصوبات وحيلا ليمكروا بها رسل الله فجعل الله هلاكهم فى تلك الحيل كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فأتى البنيان من الاساطين بأن ضعفت فسقط عليهم السقف فهلكوا ونحوه من حفر بئرا لأخيه فقد وقع فيه وبعبارة أخرى من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا ثم بين أن عذابهم غير مقصور على عذاب الدنيا بل الله تعالى يخزيهم يوم القيامة بادخالهم النار انك من تدخل النار فقد أخزيته (ويقول) مع ذلك لاجل الاهانة والتوبيخ (أين شركائى) الاضافة لأدنى الملابسة أوهى حكاية لاضافتهم استهزاء وتوبيخا (الذين كنتم تشاقون) تخاصمون المؤمنين فى شأنهم ومن قرأ بكسر النون فعلى حذف ياء المتكلم لان مشاقة المؤمنين

مشاقة الله ثم ذكر على سبيل الاستئناف (قال الذين أوتوا العلم) عن ابن عباس هم الملائكة وقال الآخرون هم الانبياء والعلماء من اممهم الذين كانوا يعظونهم ولا يلتفتون اليهم فيقولون ذلك يوم القيامة شماتة بهم قالت المرجئة قولهم (ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين) يدل على أن ماهية الخزى والسوء مختصة بالكافرين فينتفى عن غيرهم أما قوله (فألقوا السلم) فعن ابن عباس المراد انهم أسلموا وأقروا بالعبودية عند الموت وقيل انه في يوم القيامة وقولهم (ما كنا نعمل من سوء) أرادوا الشرك قالوه على وجه الكذب والجحود ومن لم يجوز الكذب على أهل القيامة قال أرادوا في اعتقادهم وظنونهم فرد عليهم أولو العلم أو الملائكة بقولهم (بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون) في الدنيا فلا ينفعكم هذا الكذب وانه يجازيكم على الكفر الذي علمه منكم قال في الكشاف وهذا أيضا من الشماتة وكذلك (فادخلوا أبواب جهنم) وفي ذكر الابواب اشارة الى تفاوت منازلهم في دركات جهنم ثم قال (فلبئس مثوى المتكبرين) عن قبول التوحيد وسائر ما أتت به الانبياء والفاء للعطف على فاء التعقيب في فادخلوا واللام للتأكيد يجرى مجرى القسم موافقة لقوله بعد ذلك ولنعم دار المتقين ولا نظير لهما في كل القرآن ثم أتبع أوصاف الاشقياء أحوال السعداء فقال (وقيل للذين اتقوا) الآية وانما ذكر الجواب ههنا بالنصب ليكون الجواب مطابقا مكشوفا بينا من غير تلعثم أي أنزل خيرا أو (قالوا خيرا) لا شرا كما قاله الكفار أو قالوا قولا خيرا ولو رفعوا لأوهم أنه كلام مستأنف كما في جواب الكفار وليس بمنزل روى أن أحياء العرب كانوا يبعثون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون وأمروه بالانصراف كما مر فكان الوافد يقول كيف أرجع الى قومي دون أن أستطلع أمر محمد وأراه فيلقى لكم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم و يخبرونه بصدقه وأنه نبي مبعوث فهم الذين قالوا خيرا وجوز في الكشاف أن يكون (للذين أحسنوا) وما بعده بدلا من خيرا كأنه فسر الخير بهذا القول وجوز أن يكون كلاما مبتدأ على سبيل الوعد فيكون قولهم الخير من جملة احسانهم

الموضع صوت جرى السفينة بالريح اذا عصفت وشقها الماء حينئذ بصدرها يقال منه مخرت السفينة تمخر مخرا ومخورا وهي ماخرة و يقال امتخرت الريح وتمخرتها اذا نظرت من أين هبوبها وتسمعت صوت هبوبها ومنه قول واصل مولى ابن عيينة كان يقال اذا أراد أحدكم البول فليتمخر الريح يريد بذلك لينظر من أين مجراها وهبوبها ليستدبرها فلا ترجع عليه البول وترده عليه وقوله ولتبتغوا من فضله يقول تعالى ذكره ولتتصرفوا في طلب معايشكم بالتجارة سخر لكم كما حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولتبتغوا من فضله قال تجارة البر والبحر وقوله ولعلكم تشكرون يقول ولتشكروا ربكم على ما أنعم به عليكم من ذلك سخر لكم ما سخر من هذه الاشياء التي عددها في هذه الآيات ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون ﴾ يقول تعالى ذكره ومن نعمه عليكم أيها الناس أيضا أن ألقى في الارض رواسي وهي جمع راسية وهي الثوابت في الارض من الجبال وقوله أن تميد بكم يعني أن لا تميد بكم وذلك كقوله يبين الله لكم أن تضلوا والمعنى أن لا تضلوا وذلك أنه جل ثناؤه أرسى الارض بالجبال لئلا يميد خلقه الذي على ظهرها وقد كانت مائدة قبل أن ترسى بها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن عن قيس بن عباد ان الله تبارك وتعالى لما خلق الارض جعلت تمور قالت الملائكة ما هذه بمقرة على ظهرها أحدا فأصبحت صبحا وفيها رواسيها حدثني المثنى قال ثنا الحجاج ابن المنهال قال ثنا حماد عن عطاء بن السائب عن عبد الله بن حبيب عن علي بن أبي طالب قال لما خلق الله الارض قمصت وقالت أي رب أتجعل على بني آدم يعملون على الخطايا ويجعلون على الخبث قال فأرسى الله عليها من الجبال ما ترون وما لا ترون فكان اقرارها كاللحم يترجرج والميد هو الاضطراب والتكفؤ يقال مادت السفينة تميد ميدا اذا تكفأت بأهلها ومالت ومنه الميد الذي يعترى راكب البحر وهو الدوار ۞ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أن تميد بكم أن تكفأ بكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة عن الحسن في قوله وألقى في الارض رواسي أن تميد بكم قال الجبال أن تميد بكم قال قتادة سمعت الحسن يقول لما خلقت الارض كادت تميد فقالوا ما هذه بمقرة على ظهرها أحدا فأصبحوا وقد خلقت الجبال فلم تدر الملائكة مم خلقت الجبال وقوله وأنهارا يقول وجعل فيها أنهارا فعطف بالانهار على الرواسي وأعمل فيها ما أعمل في الرواسي اذ كان مفهوما معنى الكلام والمراد منه وذلك نظير قول الراجز

تسمع في أجوافهن صورا * وفي اليدين حشة وبورا

والحشة اليبس فعطف بالحشة على الصوت والحشة لا تسمع اذ كان مفهوما المراد منه وأن معناه وترى في اليدين حشة وقوله وسبلا وهي جمع سبيل كما الطرق جمع طريق ومعنى الكلام جعل

أما قوله (في هذه الدنيا) فاما أن يتعلق بما قبله فالمعنى الذين جاؤا بالاحسان في هذه الدنيا لهم في الآخرة (حسنة) هي الثواب العظيم أو المضاعف الى سبعمائة أو أكثر واما أن يتعلق بما بعده والتقدير الذين أحسنوا لهم الحسنة في الدنيا باستحقاق المدح والثناء أو بالظفر على أعداء الدين باللسان والسنان وفتح البلاد أو بفتح أبواب المكاشفات والمشاهدات (٦٣) والحاصل أن لهم في الدنيا مكافأة باحسانهم (ولدار الآخرة خير) منها ثم بين الخيرية بقوله (ولنعم دار المتقين) دار الآخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره ثم قال (جنات عدن) أي هي هذه فيكون المبتدأ محذوفا أو الجنات مبتدأ وما بعدها خبر أو جنات عدن هي المخصوص بالمدح فالجنات يدل على القصور والبساتين والعدن على الدوام والاقامة وقوله (تجري من تحتها الانهار) على أنه حصل هناك أبنية مرتفعة هم عليها والانهار تجري من تحتهم وقوله لهم فيها ما يشاؤن) أبلغ من قوله في موضع آخر فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وفي تقديم الظرف دلالة على أن الانسان لا يجد كل ما يريده الا في الجنة وقوله (الذين تتوفاهم الملائكة) أكثر المفسرين على أن هذا التوفي هو قبض الارواح وقوله (طيبين) أي طاهرين عن دنس الكفر والمعاصي أو دنس الكفر وحده وهذه كلمة جامعة تشمل أنواع البراءة عن العلائق الجسمانية فلا يكون لصاحب هذه الحالة تألم بالموت دليله قوله (يقولون سلام عليكم) يروى أنه اذا أشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك فيقول السلام عليك يا ولي الله الله يقرأ عليك السلام وبشره بالجنة فذلك قوله (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) وعن الحسن أن المراد بهذا التوفي هو وفاة الحشر لانه لا يقال عند قبض الروح في الدنيا ادخلوا الجنة والاولون قالوا البشارة بالجنة بمنزلة الدخول فيها قوله سبحانه (هل ينظرون) قيل انه جواب شبهة أخرى لمنكري النبوة فانهم طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم ملكا من السماء يشهد على صدقه في ادعاء النبوة فقال تعالى هل ينظرون في تصديق نبوتك (الا أن تأتيهم الملائكة) شاهدين بذلك ويحتمل أن يقال انهم لما طعنوا في القرآن بأنه أساطير الاولين أوعدهم الله تعالى بما أوعد ثم وصف القرآن

لكم أيها الناس في الارض سبلا وفجاجا تسلكونها وتسيرون فيها في حوائجكم وطلب معايشكم رحمة بكم ونعمة منه بذلك عليكم ولو عماها عليكم لهلكتم ضلالا وحيرة * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وسبلا أي طرقا حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة سبلا قال طرقا وقوله لعلكم تهتدون يقول لكي تهتدوا بهذه السبل التي جعلها لكم في الارض الى الأماكن التي تقصدون والمواضع التي تريدون فلا تضلوا وتتحيروا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وعلامات وبالنجم هم يهتدون) اختلف أهل التأويل في المعنى بالعلامات فقال بعضهم عني بها معالم الطرق بالنهار ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وعلامات وبالنجم هم يهتدون يعني بالعلامات معالم الطرق بالنهار وبالنجم هم يهتدون بالليل * وقال آخرون عني بها النجوم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن منصور عن ابراهيم وعلامات وبالنجم هم يهتدون قال منها ما يكون علامات ومنها ما يهتدون به حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن منصور عن مجاهد وعلامات وبالنجم هم يهتدون قال منها ما يكون علامة ومنها ما يهتدى به حدثني المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا قبيصة عن سفيان عن منصور عن ابراهيم مثله * قال المثنى قال اسحق خالف قبيصة وكيعا في الاسناد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وعلامات وبالنجم هم يهتدون والعلامات النجوم وان الله تبارك وتعالى انما خلق هذه النجوم لثلاث خصلات جعلها زينة للسماء وجعلها يهتدى بها وجعلها رجوما للشياطين فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد رأيه وأخطأ حظه وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به حدثنا محمد ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وعلامات قال النجوم * وقال آخرون عني بها الجبال ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الكلبي وعلامات قال الجبال * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره عدد على عباده من نعمه انعامه عليهم بما جعل لهم من العلامات التي يهتدون بها في مسالكهم وطرقهم التي يسيرونها ولم يخصص بذلك بعض العلامات دون بعض فكل علامة استدل بها الناس على طرقهم وفجاج سبلهم فداخل في قوله وعلامات والطرق المسبولة الموطوءة علامة للناحية المقصودة والجبال علامات يهتدى بهن الى قصد السبيل وكذلك النجوم بالليل غير أن الذي هو أولى بتأويل الآية أن تكون العلامات من أدلة النهار اذ كان الله قد فصل منها أدلة الليل بقوله وبالنجم هم يهتدون واذ كان ذلك أشبه وأولى بتأويل الآية فالواجب أن يكون القول في ذلك ما قاله ابن عباس في الخبر الذي رويناه عن عطية عنه وهو أن العلامات معالم الطرق وأماراتها التي يهتدى بها الى المستقيم منها نهارا وأن يكون النجم الذي يهتدى به ليلا هو الجدي

بكونه حقا وصدقا وذكر جزاء المتقين ثم ذكر أن أولئك الكفار لا ينزجرون عن كفرهم بسبب البيانات التي ذكرناها الا اذا جاءتهم الملائكة بالتهديد أو لقبض الارواح أو أتاهم أمر ربك وهو العذاب المستأصل أو القيامة (كذلك فعل الذين من قبلهم) فأصابهم الهلاك المعجل (وما ظلمهم الله) بتدميرهم فانه أنزل بهم ما استحقوه بكفرهم (فأصابهم سيئات ما عملوا) أي جزاء سيئات أعمالهم أو هو من باب الطباق والمشاكلة كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها (وحاق بهم) أي نزل بهم على وجه الاحاطة عقاب استهزائهم الشبهة الثالثة لمنكري النبوة انهم تشبثوا بمسألة الجبر فقالوا (لو شاء الله ما عبدنا) الآية وقد مر في تفسير مثلها في آخر سورة الانعام وذكرنا أسرار المتشابه هنالك وكذا استدلال المعتزلة بها وجواب الاشاعرة عنها وزاد بعض الاشاعرة فقالوا ان المشركين ذكروا هذا الكلام على جهة الاستهزاء كما قال قوم شعيب انك لأنت الحليم الرشيد ولو قالوا ذلك معتقدين كانوا مؤمنين وقال آخرون انه سبحانه أجاب عن شبهتهم وهي أنه لما كان الكل من الله كان بعثة الانبياء عبثا بقوله (كذلك فعل الذين من قبلهم) يعني أنهم اعترضوا على أحكام الله وطلبوا لها العلة فعل من تقدمهم من الكفرة (فهل على الرسل الا البلاغ المبين) أي ما عليهم الا التبليغ فأما تحصيل الايمان فليس اليهم ثم انه أكد هذا المعنى بقوله (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا) الى قوله (ومنهم من حقت عليه الضلالة) وفيه دلالة على أن أمر الله قد لا يوافق ارادته فانه يأمر الكل بالايمان ولا يريد الهداية الا للبعض اذ لو أرادها للكل لم يكفر أحد ولم ينزل العذاب على قوم لكنه كفر ونزل لقوله فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ثم خصص الخطاب قائلا لرسوله (ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من يضل) لا يرشد أحدا أضله قال ابن عباس وقال خبرا الفراء لا يهدي معناه لا يهتدي ومن قرأ على البناء للمفعول فمعناه لا تقدر أنت ولا أحد على هداية من أضله الله فلن يكون مهديا منصورا ولا يخفى أن أول الآية ظاهره يوافق مذهب المعتزلة أما قوله كذلك فعل الذين من قبلهم الى آخر الآيات فانهم قد صاروا فيه الى التأويل

والفرقدان لان بها اهتداء السفر دون غيرها من النجوم فتأويل الكلام اذا وجعل لكم أيها الناس علامات تستدلون بها نهارا على طرقكم في أسفاركم ونجوما تهتدون بها ليلا في سبلكم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم) يقول تعالى ذكره لعبدة الأوثان والأصنام أفمن يخلق هذه الخلائق العجيبة التي عددناها عليكم وينعم عليكم هذه النعم العظيمة كمن لا يخلق شيأ ولا ينعم عليكم نعمة صغيرة ولا كبيرة يقول أتشركون هذا في عبادة هذا يعرفهم بذلك عظم جهلهم وسوء نظرهم لانفسهم وقلة شكرهم لمن أنعم عليهم بالنعم التي عددها عليهم التي لا يحصيها أحد غيره قال لهم جل ثناؤه موبخهم أفلا تذكرون أيها الناس يقول أفلا تذكرون نعم الله عليكم وعظيم سلطانه وقدرته على ما شاء وعجز أوثانكم وضعفها ومهانتها وأنها لا تجلب الى نفسها نفعا ولا تدفع عنها ضرا فتعرفوا بذلك خطأ ما أنتم عليه مقيمون من عبادتكموها واقراركم لها بالالوهة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون والله هو الخالق الرازق وهذه الاوثان التي تعبد من دون الله تخلق ولا تخلق شيأ ولا تملك لاهلها ضرا ولا نفعا قال الله أفلا تذكرون وقيل كمن لا يخلق هو الوثن والصنم ومن لذوي التمييز خاصة فجعل في هذا الموضع لغيرهم للتمييز اذ وقع تفصيلا بين من يخلق ومن لا يخلق ويحكى عن العرب اشتبه على الراكب وجمله فما أدري من ذا ومن ذا حيث جمعا وأحدهما انسان حسنت من فيهما جميعا ومنه قول الله عز وجل فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع وقوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تطيقوا أداء شكرها ان الله لغفور رحيم يقول جل ثناؤه ان الله لغفور لما كان منكم من تقصير في شكر بعض ذلك اذا تبتم وأنبتم الى طاعته واتباع مرضاته رحيم بكم أن يعذبكم عليه بعد الانابة اليه والتوبة ۞ القول في تأويل قوله تعالى (والله يعلم ما تسرون وما تعلنون والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيأ وهم يخلقون) يقول تعالى ذكره والله الذي هو الهكم أيها الناس يعلم ما تسرون في أنفسكم من ضمائركم فتخفونه عن غيركم فما تبدونه بألسنتكم وجوارحكم وما تعلنونه بألسنتكم وجوارحكم وأفعالكم وهو محص ذلك كله عليكم حتى يجازيكم به يوم القيامة المحسن منكم باحسانه والمسيء منكم باساءته ومسائلكم عما كان منكم من الشكر في الدنيا على نعمه التي أنعمها عليكم فيها التي أحصيتم والتي لم تحصوا وقوله والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيأ وهم يخلقون يقول تعالى ذكره وأوثانكم الذين تدعون من دون الله أيها الناس آلهة لا تخلق شيأ وهي تخلق فكيف يكون الها ما كان مصنوعا مدبرا لا تملك لانفسها نفعا ولا ضرا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون) يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين من قريش والذين تدعون من دون الله أيها الناس أموات غير أحياء وجعلها جل ثناؤه أمواتا غير أحياء اذ كانت لا أرواح فيها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون وهي هذه الاوثان التي تعبد من دون الله أموات لا أرواح فيها ولا تملك لاهلها ضرا ولا نفعا وفي رفع الاموات وجهان أحدهما أن يكون

فقالوا معناه أن متقدميهم أشركوا وحرموا حلال الله فلما نبهوا على قبح فعلهم أسندوه الى الله (فهل على الرسل الا) أن يبلغوا الحق وان الله بريء من الظلم وخلق القبائح والمنكرات ومامن أمة الا وقد بعث الله فيهم رسولا يأمرهم بالخير الذي هو عبادة الله و ينهاهم عن الشر الذي هو طاعة الطاغوت (فنهم من هدى الله) لانه من أهل اللطف ومنهم من ثبت عليه الخذلان لانه عرفه مصمما على الكفر أو المراد منهم من حكم الله عليه بالاهتداء ومنهم من صار محكوما عليه بالضلال لظهور ضلاله أو منهم من هداه الله الى الجنة ومنهم من أضله عنها (فسيروا في الارض فانظروا) مافعلت بالمكذبين حتى لا يبقى لكم شبهة في أني لا أقدر الشر ولا أشاؤه ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ايمانهم وعرفه أنهم من قسم من حقت عليه الضلالة وأنه لا يلطف عن يخذل لانه عبث والله تعالى متعال عن العبث فهذا تفسير الفريقين لاشتمال آيات مسئلة الجبر والقدر على الجهتين وعليك الاختيار بعقلك دون هواك الشبهة الرابعة قدحهم في الحشر والنشر ليلزم ابطال النبوة وذلك أنهم (أقسموا بالله جهد أيمانهم) أي اغلاظ الايمان كما مر في المائدة كأنهم ادعوا علما ضروريا بأن الشيء اذا فني وصار عدما محضا فانه لا يعود بعينه بل العائد يكون شيأ آخر فأكدوا ادعاءهم بالقسم الغليظ فأجاب الله عن شبهتهم بقوله (بلى) وهو اثبات لما بعد النفي أي بلى يبعثهم وقوله (وعدا) مصدر مؤكد لما دل عليه بلى لأن يبعث موعد من الله تعالى أي وعد البعث (وعدا عليه حقا) لا خلاف فيه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أنهم يبعثون أو أن وعد الله حق ثم ذكر لمية حقية البعث فقال (ليبين) أي يبعث كل من يموت من المؤمنين والكافرين

خبر الذين والآخر على الاستئناف وقوله ومايشعرون يقول وماتدري أصنامكم التي تدعون من دون الله متى تبعث وقيل انما عنى بذلك الكفار أنهم لا يدرون متى يبعثون ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿الهكم اله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون﴾ يقول تعالى ذكره معبودكم الذي يستحق عليكم العبادة وافراد الطاعة له دون سائر الاشياء معبود واحد لانه لا تصلح العبادة الا له فأفردوا له الطاعة وأخلصوا له العبادة ولا تجعلوا معه شريكا سواه فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة يقول تعالى ذكره فالذين لا يصدقون بوعد الله ووعيده ولا يقرون بالمعاد اليه بعد الممات قلوبهم منكرة يقول تعالى ذكره مستنكرة لما نقص عليهم من قدرة الله وعظمته وجميل نعمه عليهم وأن العبادة لا تصلح الا له والألوهة ليست لشيء غيره وهم مستكبرون يقول وهم مستكبرون عن افراد الله بالالوهة والاقرار له بالوحدانية اتباعا منهم لما مضى عليه من الشرك بالله أسلافهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة لهذا الحديث الذي مضى وهم مستكبرون عنه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿لا جرم أن الله يعلم مايسرون ومايعلنون انه لا يحب المستكبرين﴾ يعني تعالى ذكره بقوله لا جرم حقا أن الله يعلم مايسر هؤلاء المشركون من انكارهم ماذكرنا من الانباء في هذه السورة واعتقادهم نكير قولنا لهم الهكم اله واحد واستكبارهم على الله ومايعلنون من كفرهم بالله وفريتهم عليه انه لا يحب المستكبرين يقول ان الله لا يحب المستكبرين عليه أن يوحدوه ويخلعوا مادونه من الآلهة والانداد كما حدثنا محمد بن عمرو بن علي قال ثنا جعفر بن عون قال ثنا مسعر عن رجل أن الحسن بن علي كان يجلس الى المساكين ثم يقول انه لا يحب المستكبرين ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿واذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الاولين﴾ يقول تعالى ذكره واذا قيل لهؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة من المشركين ماذا أنزل ربكم أي شيء أنزل ربكم قالوا الذي أنزل ماسطره الاولون من قبلنا من الاباطيل وكان ذلك كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الاولين يقول أحاديث الاولين و باطلهم قال ذلك قوم من مشركي العرب كانوا يقعدون بطريق من أتى نبي الله صلى الله عليه وسلم فاذا مر بهم أحد من المؤمنين يريد نبي الله صلى الله عليه وسلم قالوا لهم أساطير الاولين يريدون أحاديث الاولين وباطلهم حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أساطير الاولين يقول أحاديث الاولين ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء مايزرون﴾ يقول تعالى ذكره يقول هؤلاء المشركون لمن سألهم ماذا أنزل ربكم الذي أنزل ربنا فيما يزعم محمد عليه أساطير الاولين لتكون لهم ذنوبهم التي هم عليها مقيمون من تكذيبهم بالله وكفرهم بما أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم ومن ذنوب الذين يصدونهم عن الايمان بالله يضلون يفتنون منهم بغير علم وقوله ألا ساء مايزرون يقول ألا ساء الاثم الذي يأثمون والثقل الذي يتحملون * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل

ليبين (لهم) الحق الذي اختلفوا فيه بيانا عيانيا لا يشتبه فيه المطيع بالعاصي والمحق بالمبطل والمظلوم بالظالم والصادق بالكاذب وجوز بعضهم أن يكون قوله ليبين متعلقا بقوله ولقد بعثنا أي بعثنا ليبين لهم مااختلفوا فيه وأنهم كانوا على الضلالة قبله مفترين على الله الكذب في ادعاء الشريك له وفي قولهم بمجرد هواهم هذا حلال الله وهذا

ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار من أضلوا احتمالهم ذنوب أنفسهم وذنوب من أطاعهم ولا يخفف ذلك عمن أطاعهم من العذاب شيأ حدثنا الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه الا أنه قال ومن أوزار الذين يضلونهم حملهم ذنوب أنفسهم وسائر الحديث مثله حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وحدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم قال حملهم ذنوب أنفسهم وذنوب من أطاعهم ولا يخفف ذلك عمن أطاعهم من العذاب شيأ حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة أى ذنوبهم وذنوب الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم يقول يحملون ذنوبهم وذلك مثل قوله وأثقالا مع أثقالهم يقول يحملون مع ذنوبهم ذنوب الذين يضلونهم بغير علم حدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون قال قال النبى صلى الله عليه وسلم أيما داع دعا الى ضلالة فاتبع فان عليه مثل أوزار من اتبعه من غير أن ينقص من أوزارهم شئ وأيما داع دعا الى هدى فاتبع فله مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شئ حدثنى المثنى قال أخبرنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن رجل قال قال زيد بن أسلم انه بلغه أنه يتمثل للكافر عمله فى صورة أقبح ما خلق الله وجها وأنتنه ريحا فيجلس الى جنبه كلما أفزعه شئ زاده فزعا وكلما تخوف شيأ زاده خوفا فيقول بئس الصاحب أنت ومن أنت فيقول وما تعرفنى فيقول لا فيقول أنا عملك كان قبيحا فلذلك ترانى قبيحا وكان منتنا فلذلك ترانى منتنا طأطئ الى أركبك فطالما ركبتنى فى الدنيا فيركبه وهو قوله ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ يقول تعالى ذكره قد مكر الذين من قبل هؤلاء المشركين الذين يصدون عن سبيل الله من أراد اتباع دين الله فراموا مغالبة الله ببناء بنوه يريدون بزعمهم الارتفاع الى السماء لحرب من فيها وكان الذى رام ذلك فيما ذكر لنا جبارا من جبابرة النبط فقال بعضهم هو نمرود بن كنعان وقال بعضهم هو بختنصر وقد ذكرت بعض أخبارهما فى سورة ابراهيم وقيل ان الذى ذكر فى هذا الموضع هو الذى ذكره الله فى سورة ابراهيم ذكر من قال ذلك حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال أمر الذى حاج ابراهيم فى ربه بابراهيم فأخرج يعنى من مدينته قال فلقى لوطا على باب

حرام ثم برهن على امكان البعث بقوله (انما قولنا) وهو مبتدأ خبره أن نقول وقد فسرنا مثل هذه الآية فى سورة البقرة وذكرنا فيه مباحث عميقة لفظية ومعنوية فلا حاجة الى الاعادة والغرض أنه سبحانه لا مانع له من الايجاد والاعدام ولا تتوقف آثار قدرته الا على مجرد الارادة والمشيئة فكيف يمتنع عليه البعث الذى (٦٦) هو أهون من الابداء قال فى الكشاف قرئ فيكون بالنصب عطفا على نقول قلت ولا مانع من كونه منصوبا باضمار أن لوقوعه فى جواب الامر بعد الفاء وقد مر فى البقرة احتج بعض الاشاعرة بالآية على قدم القرآن قال انه لو كان حادثا لافتقر الى أن يقال له كن ثم الكلام فى هذا اللفظ كالكلام فى الاول وتسلسل والجواب بعد تسليم أن هذا ليس مثلا وأن ثم قولا أن اذا لا تفيد التكرار فلا يلزم فى كل ما يحدثه الله تعالى أن يقول له كن وكيف يتصور أن تكون لفظة كن قديمة والكاف مقدم على النون بزمان محصور ولو سلم فلا يجوز من قدم لفظة كن قدم القرآن على أن قوله انما قولنا لشئ اذا أردناه يقتضى كون القول واقعا بالارادة وما كان كذلك فهو محدث وأنه علق القول بكلمة اذا ولا شك أنها للاستقبال وكذا قوله (أن نقول) ثم ان كلمة (كن) متقدمة على المكون بزمان واحد والمتقدم على المحدث بزمان يكون محدثا فتلخص من هذه الدلائل أن الكلام المسموع لا بد أن يكون محدثا هذا تلخيص ما قاله الامام فخر الدين الرازى ولعل لنا فيه نظرا ولما حكى الله سبحانه عن الكفار ما حكى من انكار البعث والجزاء لم يبعد منهم والحالة هذه ايذاء المسلمين وانزال الضرر والهوان بهم وحينئذ يلزمهم أن يهاجروا تلك الديار فذكر ثواب المهاجرين قائلا (والذين هاجروا فى الله) أى فى حقه وسبيله (من بعد ما ظلموا لنبوئنهم فى الدنيا) مثوبة (حسنة) أو مباءة حسنة هى المدينة أواهم أهلها ونصروهم قاله الحسن والشعبى وقتادة المدينة وقيل لننزلنهم منزلة حسنة هى الغلبة على أهل مكة الذين ظلموهم بل على العرب قاطبة بل على أهل المشرق والمغرب قال ابن عباس نزلت الآية فى جماعة منهم صهيب وبلال وعمار وخباب جعل المشركون يعذبونهم ليردوهم عن الاسلام فقال صهيب أنا رجل كبير ان كنت معكم لم أنفعكم

وان كنت عليكم لم أضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما رآه أبو بكر قال له ربح البيع يا صهيب وقال له عمر نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه أما الضمير فى قوله (لو كانوا يعلمون) فاما أن يرجع الى الكفار أى لو علموا أن الله يجمع لهؤلاء المستضعفين خير الدارين لرغبوا فى دينهم واما أن يعود الى المهاجرين أى لو علموا أن أجر الآخرة أكبر لزادوا فى اجتهادهم وصبرهم (٦٧) ثم مدحهم بقوله (الذين صبروا) على هم الذين أو أعنى الذين والمراد صبرهم على العذاب وعلى مفارقة الوطن الذى هو حرم الله وعلى المجاهدة فى سبيل الله بالنفوس والاموال قال المحققون الصبر حبس النفس على خلاف ما تشتهيه من اللذات العاجلة وهو مبدأ السلوك والتوكل هو الانقطاع بالكلية عما سوى الحق وهو آخر الطريق والله ولى التوفيق فان العارفين بالصبر ساروا وبالتوكل طاروا ثم فى الله حاروا وحسبى الله ونعم الوكيل ﴿ وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الارض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون أو يأخذهم فى تقلبهم فما هم بمعجزين أو يأخذهم على تخوف فان ربكم لرؤف رحيم أولم يروا الى ما خلق الله من شئ يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياى فارهبون وله ما فى السموات والارض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسئلن عما كنتم تفترون ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى وهو

المدينة وهو ابن أخيه فدعاه فآمن به وقال انى مهاجر الى ربى وحلف نمرود أن يطلب اله ابراهيم فأخذ أربعة أفراخ من فراخ النسور فرباهن باللحم والخبز حتى كبرن وغلظن واستعلجن فربطهن فى تابوت وقعد فى ذلك التابوت ثم رفع لهن رجلا من لحم فطرن حتى اذا ذهبن فى السماء أشرف ينظر الى الأرض فرأى الجبال تدب كدبيب النمل ثم رفع لهن اللحم ثم نظر فرأى الارض محيطا بها بحر كأنها فلكة فى ماء ثم رفع طويلا فوقع فى ظلمة فلم ير ما فوقه وما تحته ففزع فألقى اللحم فاتبعته منقضات فلما نظرت الجبال اليهن وقد أقبلن منقضات وسمعت حفيفهن فزعت الجبال وكادت أن تزول من أمكنتها ولم يفعلن وذلك قول الله تعالى وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وهى فى قراءة ابن مسعود وان كاد مكرهم فكان طيرورتهن به من بيت المقدس ووقوعهن به فى جبل الدخان فلما رأى أنه لا يطيق شيأ أخذ فى بنيان الصرح فبنى حتى اذا أسنده الى السماء ارتقى فوقه ينظر يزعم الى اله ابراهيم فأحدث ولم يكن يحدث وأخذ الله بنيانه من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون يقول من مأمنهم وأخذهم من أساس الصرح فتنقض بهم فسقط فتبلبلت ألسن الناس يومئذ من الفزع فتكلموا بثلاثة وسبعين لسانا فلذلك سميت بابل وانما كان لسان الناس قبل ذلك بالسريانية حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد قال هو نمرود حين بنى الصرح حدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق عن معمر عن زيد ابن أسلم أن أول جبار كان فى الأرض نمرود فبعث الله عليه بعوضة فدخلت فى منخره فمكث أربعمائة سنة يضرب رأسه بالمطارق أرحم الناس به من جمع يديه فضرب بهما رأسه وكان جبارا أربعمائة سنة فعذبه الله أربعمائة سنة كملكه ثم أماته الله وهو الذى كان بنى صرحا الى السماء وهو الذى قال الله فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأما قوله فأتى الله بنيانهم من القواعد فان معناه هدم الله بنيانهم من أصله والقواعد جمع قاعدة وهى الاساس وكان بعضهم يقول هذا مثل للاستئصال وانما معناه ان الله استأصلهم وقال العرب تقول ذلك اذا استؤصل الشئ وقوله فخر عليهم السقف من فوقهم اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك فقال بعضهم معناه فخر عليهم السقف من فوقهم أعالى بيوتهم من فوقهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد إى والله لأتاها أمر الله من أصلها فخر عليهم السقف من فوقهم والسقف أعالى البيوت فائتفكت بهم بيوتهم فأهلكهم الله ودمرهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فخر عليهم السقف من فوقهم قال أتى الله بنيانهم من أصوله فخر عليهم السقف حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال أخبرنا

أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثني المثنى قال أخبرنا إسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فأتى الله بنيانهم من القواعد قال مكر نمرود بن كنعان الذي حاج إبراهيم في ربه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله ﴿ وقال آخرون عنى بقوله فخر عليهم السقف من فوقهم أن العذاب أتاهم من السماء ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فخر عليهم السقف من فوقهم يقول عذاب من السماء لما رأوه استسلموا وذلوا ﴿ وأولى القولين بتأويل الآية قول من قال معنى ذلك تساقطت عليهم سقوف بيوتهم إذ أتى أصولها وقواعدها أمر الله فائتفكت بهم منازلهم لان ذلك هو الكلام المعروف من قواعد البنيان وخر السقف وتوجيه معاني كلام الله الى الأشهر الأعرف منها أولى من توجيهها الى غير ذلك ما وجد اليه سبيل وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون يقول تعالى ذكره وأتى هؤلاء الذين مكروا من قبل مشركي قريش عذاب الله من حيث لا يدرون أنه أتاهم منه ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين أوتوا العلم ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين﴾ يقول تعالى ذكره فعل الله بهؤلاء الذين مكروا الذين وصف الله جل ثناؤه أمرهم ما فعل بهم في الدنيا من تعجيل العذاب لهم والانتقام بكفرهم وجحودهم وحدانيته ثم هو مع ذلك يوم القيامة مخزيهم فمذلهم بعذاب أليم وقائل لهم عند ورودهم عليه أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم أصله من شاققت فلانا فهو يشاقني وذلك إذا فعل كل واحد منهما بصاحبه ما يشق عليه يقول تعالى ذكره يوم القيامة تقريعا للمشركين بعبادتهم الاصنام أين شركائي يقول أين الذين كنتم تزعمون في الدنيا أنهم شركائي اليوم ما لهم لا يحضرونكم فيدفعوا عنكم ما أنا محل بكم من العذاب فقد كنتم تعبدونهم في الدنيا وتتولونهم والولي ينصر وليه وكانت مشاقتهم الله في أوثانهم مخالفتهم إياه في عبادتهم كما حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم يقول تخالفوني وقوله قال الذين أوتوا العلم ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين يعني الذلة والهوان والسوء يعني عذاب الله على الكافرين ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون﴾ يقول تعالى ذكره قال الذين أوتوا العلم ان الخزي اليوم والسوء على من كفر بالله فجحد وحدانيته الذين تتوفاهم الملائكة يقول الذين تقبض أرواحهم الملائكة ظالمي أنفسهم يعني وهم على كفرهم وشركهم بالله وقيل انه عنى بذلك من قتل من قريش ببدر وقد أخرج اليها كرها حدثني المثنى قال أخبرنا إسحق قال ثنا يعقوب بن محمد الزهري قال ثني سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة قال كان ناس بمكة أقروا بالاسلام ولم يهاجروا فأخرج بهم كرها الى بدر فقتل بعضهم فأنزل الله فيهم الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم وقوله فألقوا السلم يقول فاستسلموا لأمره

وانقادوا

العزيز الحكيم ﴿ القراآت نوحي بالنون حفص غير الخراز الباقون بالياء مجهولا أولم تروا بتاء الخطاب حمزة وعلي وخلف تتفيؤ بتاء التأنيث أبو عمرو وسهل ويعقوب الآخرون على الغيبة ﴿ الوقوف لا تعلمون ○ لا لتعلق الباء والزبر ط يتفكرون ○ لا يشعرون ○ لا للعطف بمعجزين ○ لا كذلك على تخوف ط للفصل (٦٨) بين الاستخبار والاخبار رحيم ○ داخرون ○ لا يستكبرون ○ ما يؤمرون ○ اثنين ج للابتداء بإنما مع اتحاد القائل واحد ج للعدول مع الفاء فارهبون ○ واصبا ط تتقون ○ تجأرون ○ ج لأن ثم لترتيب الاخبار مع شدة اتصال المعنى يشركون ○ لا لتعلق لام كي آتيناهم ط للعدول والفاء للاستئناف تعلمون ○ رزقناهم ط تفترون ○ سبحانه لا لان ما بعده من جملة مفعول يجعلون وسبحانه معترض للتنزيه يشتهون ○ كظيم ○ ج لاحتمال أن ما بعده وصف لكظيم أو استئناف ما بشر به ط لان التقدير يتفكر في نفسه المسألة في التراب ط ما يحكمون ○ السوء ج لتضاد الجملتين معنى مع العطف لفظا الأعلى ط الحكيم ○ ﴿ التفسير الشبهة الخامسة أن قريشا كانوا يقولون الله أعلى وأجل من أن يكون رسوله بشرا فأجاب سبحانه بقوله (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا) والمراد أن هذه عادة مستمرة من أول زمان الخلق والتكليف وزعم أبو علي الجبائي أنه لم يبعث الى الانبياء الا من هو بصورة الرجال من الملائكة قال القاضي ولعله أراد الملك الذي يرسل الى الانبياء بحضرة أممهم كما روي أن جبرئيل عليه السلام كان يأتي في صورة دحية وفي صورة سراقة وإنما قيدنا بحضرة الامم لان الملائكة قد يبعثون على صورتهم الاصلية عند ابلاغ الرسالة من الله الى نبيه كما روي أنه صلى الله عليه وسلم رأى جبرئيل على صورته التي هو عليها مرتين وعليه تأولوا قوله ولقد رآه نزلة أخرى ثم انهم كانوا مقرين بأن اليهود والنصارى أصحاب العلوم والكتب فأمرهم الله أعني قريشا بأن يرجعوا اليهم في هذه المسألة ليبينوا لهم ضعف هذه الشبهة وسقوطها وذلك قوله (فاسألوا أهل الذكر) قال بعض الأصوليين فيه دليل على أنه يجوز للمجتهد تقليد مجتهد آخر فيما يشتبه عليه واحتج نفاة

القياس بالآية قالوا لو كان حجة لما وجب على المكلف السؤال بل كان عليه أن يستنبط ذلك الحكم بواسطة القياس وأجيب بأنه قد ثبت العمل بالقياس لاجماع الصحابة والاجماع أقوى من ظاهر النص أما قوله (بالبينات) ففي متعلقه وجوه منها أن يتعلق بأرسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء مع رجالا وأنكر الفراء ذلك قال ان صلة ما قبل الا لا تتأخر الى ما بعد الا لان المستثنى منه هو مجموع ما قبل الا مع

وانقادوا له حين عاينوا الموت قد نزل بهم ما كنا نعمل من سوء وفي الكلام محذوف استغنى بفهم سامعيه بما دل عليه الكلام عن ذكره وهو قالوا ما كنا نعمل من سوء يخبر عنهم بذلك أنهم كذبوا وقالوا ما كنا نعصى الله اعتصاما منهم بالباطل رجاء أن ينجوا بذلك فكذبهم الله فقال بل كنتم تعملون السوء وتصدون عن سبيل الله ان الله عليم بما كنتم تعملون يقول ان الله ذو علم بما كنتم تعملون في الدنيا من معاصيه وتأتون فيها ما يسخطه ✽ القول في تأويل قوله تعالى (فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين) يقول تعالى ذكره يقال لهؤلاء الظلمة أنفسهم حين يقولون لربهم ما كنا نعمل من سوء ادخلوا أبواب جهنم يعني طبقات جهنم خالدين فيها يعني ماكثين فيها فلبئس مثوى المتكبرين يقول فلبئس منزل من تكبر على الله ولم يقر بربوبيته ويصدق بوحدانيته جهنم ✽ القول في تأويل قوله تعالى (وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين) يقول تعالى ذكره وقيل للفريق الآخر الذين هم أهل ايمان وتقوى لله ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا يقول قالوا أنزل خيرا وكان بعض أهل العربية من الكوفيين يقول انما اختلف الاعراب في قوله قالوا أساطير الاولين وقوله خيرا والمسئلة قبل الجوابين كلاهما واحدة وهي قوله ماذا أنزل ربكم لأن الكفار جحدوا التنزيل فقالوا حين سمعوه أساطير الاولين أي هذا الذي جئت به أساطير الاولين ولم ينزل الله منه شيأ وأما المؤمنون فصدقوا التنزيل فقالوا خيرا بمعنى أنه أنزل خيرا فانتصب بوقوع الفعل من الله على الخير فلهذا افترقا ثم ابتدأ الخبر فقال للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وقد بينا القول في ذلك فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته وقوله للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة يقول تعالى ذكره للذين آمنوا بالله في هذه الدنيا ورسوله وأطاعوه فيها ودعوا عباد الله الى الايمان والعمل بما أمر الله به حسنة يقول كرامة من الله ولدار الآخرة خير يقول ولدار الآخرة خير لهم من دار الدنيا وكرامة الله التي أعدها لهم فيها أعظم من كرامته التي عجلها لهم في الدنيا ولنعم دار المتقين يقول ولنعم دار الذين خافوا الله في الدنيا فاتقوا عقابه بأداء فرائضه وتجنب معاصيه دار الآخرة ✽ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وهؤلاء مؤمنون فيقال لهم ماذا أنزل ربكم فيقولون خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة أي آمنوا بالله وأمروا بطاعة الله وحثوا أهل طاعة الله على الخير ودعوهم اليه ✽ القول في تأويل قوله تعالى (جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن كذلك يجزي الله المتقين) يعني تعالى ذكره بقوله جنات عدن بساتين للمقام وقد بينا اختلاف أهل التأويل في معنى عدن فيما مضى بما أغنى عن اعادته يدخلونها يقول يدخلون جنات عدن وفي رفع جنات أوجه ثلاثة أحدها أن يكون مرفوعا على الابتداء والآخر بالعائد من الذكر في قوله يدخلونها والثالث على أن يكون خبر النعم فيكون المعنى اذا جعلت خبر النعم ولنعم دار المتقين جنات عدن ويكون يدخلونها في موضع حال كما يقال نعم الدار دار تسكنها أنت وقد يجوز أن يكون

صلته كما لو قيل ما أرسلنا بالبينات الا رجالا ولما لم يصر هذا المجموع مذكورا بتمامه امتنع ادخال الاستثناء عليه ومنها أن يتعلق برجالا صفة له أي رجالا متلبسين بالبينات ومنها أن يتعلق بأرسلنا مضمرا نظيره بأي شئ أخولك ثم تقول مر بزيد قاله الفراء ومنها أن يتعلق بيوحي أي يوحي اليهم بالبينات ومنها أن يتعلق بالذكر بناء على أنه بمعنى العلم ومنها أن يتعلق بلا تعلمون أي ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر فاسألوا وقال في الكشاف الشرط ههنا في معنى التبكيت والالزام كقول الاجير ان كنت عملت لك فأعطني حقي قلت أراد أن عدم علمهم مقرر كما أن عمل الاجير ثابت وسلم جار الله أن مثل قوله فاسألوا جواب الشرط على هذا الوجه وأما على الوجوه المتقدمة فجزم أنه اعتراض بناء على أن جواب الشرط هو ما دل عليه قوله وما أرسلنا الخ وعندي أن هذا الجزم ليس بحتم ويجوز على كل الوجوه أن يكون مثل فاسألوا جوابا والله أعلم وأهل الذكر أهل التوراة كقوله ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر يعني التوراة وقال الزجاج سلوا كل من يذكر بعلم وتحقيق وقوله بالبينات والزبر لفظ جامع لكل ما تتكامل به الرسالة لان مدارها على المعجزات الدالة على صدق من يدعي الرسالة وهي البينات وعلى التكاليف التي

تعتبر في باب العبادة وهي الزبر ثم قال (وأنزلنا اليك الذكر) أي القرآن الذي هو موعظة وتنبيه وتذكير لاهل الغفلة والنسيان وبين الغاية المترتبة على الانزال وهي تبيين الاحكام والشرائع بالنسبة الى الرسول وارادة التأمل والتفكر في المبدإ والمعاد بالاضافة الى المكلفين وفي ظاهر هذا النص دلالة على أن القرآن كله مجمل ومن ههنا ذهب بعضهم الى أنه متى وقع التعارض بين القرآن والخبر وجب تقديم الخبر لأن

القرآن مجمل والخبر مبين له وأجيب بمنع الكلية فمن القرآن ما هو محكم وقوله لتبين محمول على المتشابهات المجملات قال بعض من نفى القياس لو كان القياس حجة لما وجب على الرسول أن يبين للمكلفين ما أنزل الله عليه من الاحكام بل كان له أن يفوض بعضها الى رأى القائس وأجيب بأنه لما بين أن القياس من جملة الحجج (٧٠) فالقياس أيضا راجع الى بيان الرسول ثم لما ذكر شبهات المنكرين مع أجوبتها شرع فى التهديد والوعيد والانذار والتنبيه فقال (أفأمن الذين مكروا السيئات) أى المكرات السيئات أراد أهل مكة ومن حول المدينة قال الكلبى عنى بهذا المكر اشتغالهم بعبادة غير الله والأقرب أن المراد سعيهم فى ايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم وايذاء أصحابه على سبيل الخفية (أن يخسف الله بهم الارض) كما خسف بقارون (أو يأتيهم العذاب) أو ملائكة العذاب من السماء (من حيث لا يشعرون) كما فعل بقوم لوط (أو يأخذهم فى تقلبهم فما هم بمعجزين) فائتين الله وذكر المفسرون فى هذا التقلب وجوها منها أنه تعالى يأخذهم فى أسفارهم ومتاجرهم فانه قادر على أن يهلكهم فى السفر كما أنه قادر على أن يهلكهم فى الحضر وهم لا يفوتون الله بسبب ضربهم فى البلاد البعيدة ومنها أنه يأخذهم بالليل والنهار فى أحوال اقبالهم وادبارهم وذهابهم ومجيئهم وحقيقته فى حال تصرفهم فى الامور التى يتصرف فيها أمثالهم ومنها أنه أراد فى حال ما يتقلبون فى قضاء أوطارهم بوجوه الحيل فيحول الله بينهم وبين مقاصدهم وحيلهم والتقلب بالمعنى الاول مأخوذ من قوله لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد وبالمعنى الثالث من قوله وقلبوا لك الامور (أو يأخذهم على تخوف) على حالة تخوفهم وتوقعهم للبلاء بأن يكون قد أهلك قوما قبلهم فكان أثر الخوف باقيا فيهم ظاهرا عليهم فهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون وقيل التخوف التنقص والمعنى أنه يأخذهم بطريق التنقص شيأ بعد شئ فى ديارهم وأموالهم وأنفسهم حتى يأتى الفناء على الكل عن عمر أنه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال فهل تعرف العرب ذلك فى أشعارها قال نعم

اذا كان الكلام بهذا التأويل يدخلونها من صلة جنات عدن وقوله تجرى من تحتها الانهار يقول تجرى من تحت أشجارها الانهار لهم فيها ما يشاؤن يقول للذين أحسنوا فى هذه الدنيا فى جنات عدن ما يشاؤن مما تشتهى أنفسهم وتلذ أعينهم كذلك يجزى الله المتقين يقول كما يجزى الله هؤلاء الذين أحسنوا فى هذه الدنيا بما وصف لكم أيها الناس أنه جزاهم به فى الدنيا والآخرة كذلك يجزى الذين اتقوه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾ يقول تعالى ذكره كذلك يجزى الله المتقين الذين تقبض أرواحهم ملائكة الله وهم طيبون بتطييب الله اياهم بنظافة الايمان وطهر الاسلام فى حال حياتهم وحال مماتهم كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله الذين تتوفاهم الملائكة طيبين قال أحياء وأمواتا قدر الله ذلك لهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله يقولون سلام عليكم يعنى جل ثناؤه أن الملائكة تقبض أرواح هؤلاء المتقين وهى تقول لهم سلام عليكم صيروا الى الجنة بشارة من الله تبشرهم بها الملائكة كما حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى أبو صخر أنه سمع محمد بن كعب القرظى يقول اذا استنقعت نفس العبد المؤمن جاءه ملك فقال السلام عليك ولى الله الله يقرأ عليك السلام ثم نزع بهذه الآية الذين تتوفاهم الملائكة طيبين الى آخر الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قوله فسلام لك من أصحاب اليمين قال الملائكة يأتونه بالسلام من قبل الله وتخبره أنه من أصحاب اليمين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا الاشيب أبو على عن أبى رجاء عن محمد بن مالك عن البراء قال قوله سلام قولا من رب رحيم قال يسلم عليه عند الموت وقوله بما كنتم تعملون يقول بما كنتم تصيبون فى الدنيا أيام حياتكم فيها طاعة الله وطلب مرضاته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى أمر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ يقول تعالى ذكره هل ينتظر هؤلاء المشركون الا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم أو يأتى أمر ربك بحشرهم لموقف القيامة كذلك فعل الذين من قبلهم يقول جل ثناؤه كما يفعل هؤلاء من انتظارهم ملائكة الله لقبض أرواحهم أو اتيان أمر الله فعل أسلافهم من الكفرة بالله لان ذلك فى كل مشرك بالله وما ظلمهم الله يقول جل ثناؤه وما ظلمهم الله باحلال سخطه بهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بمعصيتهم ربهم وكفرهم به حتى استحقوا عقابه فعجل لهم . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة قال بالموت وقال فى آية أخرى ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا

الملائكة

قال شاعرنا زهير تخوّف الرحل منها تامكا قردا * كما تخوف عود النبعة السفن قوله تامكا قردا أي سناما مرتفعا متراكما والسفن ما ينحت به الشئ ومنه السفينة لانها تسفن وجه الماء بالمرقى البحر فقال عمر أيها الناس عليكم بديوانكم قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ثم ختم الآية بقوله (فان ربكم لرؤف رحيم) فذهب المفسرون الى أن معناه أنه يمهل في أكثر الامر لانه رؤف رحيم

الملائكة وهو ملك الموت وله رسل قال الله تعالى أو يأتي أمر ربك وذا كم يوم القيامة حدثني المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة يقول عند الموت حين تتوفاهم أو يأتي أمر ربك ذلك يوم القيامة ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فأصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) يقول تعالى ذكره فاصاب هؤلاء الذين فعلوا من الامم الماضية فعل هؤلاء المشركين من قريش سيئات ما عملوا يعني عقوبات ذنوبهم ونقم معاصيه التي اكتسبوها وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن يقول وحل بهم من عذاب الله ما كانوا يستهزؤن منه ويسخرون عند انذارهم ذلك رسل الله ونزل ذلك بهم دون غيرهم من أهل الايمان بالله ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شئ كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين) يقول تعالى ذكره وقال الذين أشركوا بالله فعبدوا الأوثان والأصنام من دون الله ما نعبد هذه الاصنام الا أن الله قد رضي عبادتنا هؤلاء ولا نحرم ما حرمنا من البحائر والسوائب الا أن الله شاء منا ومن آبائنا تحريمناها ورضيه لولا ذلك لقد غير ذلك ببعض عقوباته أو بهدايته ايانا الى غيره من الافعال يقول تعالى ذكره كذلك فعل الذين من قبلهم من الامم المشركة الذين استن هؤلاء سنتهم فقالوا مثل قولهم وسلكوا سبيلهم في تكذيب رسل الله واتباع أفعال آبائهم الضلال وقوله فهل على الرسل الا البلاغ المبين يقول جل ثناؤه فهل أيها القائلون لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا على رسلنا الذين نرسلهم بانذاركم عقوبتنا على كفركم الا البلاغ المبين يقول الا أن تبلغكم ما أرسلنا اليكم من الرسالة ويعني بقوله المبين الذي يبين عن معناه لمن أبلغه ويفهمه من أرسل اليه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) يقول تعالى ذكره ولقد بعثنا أيها الناس في كل أمة سلفت قبلكم رسولا كما بعثنا فيكم بأن اعبدوا الله وحده لا شريك له وأفردوا له الطاعة وأخلصوا له العبادة واجتنبوا الطاغوت يقول وابعدوا من الشيطان واحذروا أن يغويكم ويصدكم عن سبيل الله فتضلوا فمنهم من هدى الله يقول فمن بعثنا فيهم رسلنا من هدى الله فوفقه لتصديق رسله والقبول منها والايمان بالله والعمل بطاعته ففاز وأفلح ونجا من عذاب الله ومنهم من حقت عليه الضلالة يقول وممن بعثنا رسلنا اليه من الامم آخرون حقت عليهم الضلالة فجاروا عن قصد السبيل فكفروا بالله وكذبوا رسله واتبعوا الطاغوت فأهلكهم الله بعقابه وأنزل عليهم بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين يقول تعالى ذكره لمشركي قريش ان كنتم أيها الناس غير مصدقي رسولنا فيما يخبركم به عن هؤلاء الأمم الذين حل بهم ما حل من بأسنا بكفرهم بالله وتكذيبهم رسوله فسيروا في الارض التي كانوا يسكنونها والبلاد التي كانوا يعمرونها فانظروا الى آثار الله فيهم وآثار سخطه النازل بهم كيف أعقبهم تكذيبهم رسل الله ما أعقبهم فانكم ترون حقيقة ذلك وتعلمون به صحة الخبر الذي يخبركم به محمد صلى الله عليه وسلم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله

فلا يعجل بالعذاب وأقول يحتمل أن يكون قوله فان تعليلا لقوله أفأمن كقوله ما غرك بربك الكريم ولما خوف الماكرين بما خوف أتبعه ذكر ما يدل على كمال قدرته في تدبير أحوال العالم العلوي والسفلي وسكانهما فقال (أولم يروا الى ما خلق الله) قال جار الله ما مبهمة بيانه (من شئ) وقال أهل المعاني قوله (يتفيؤ ظلاله) اخبار عن شئ وليس بوصف له ويتفيأ يتفعل من الفيء وأصله الرجوع ومنه فيئة المولى وقال الازهري تفيؤ الظلال رجوعها بعد انتصاف النهار فالتفيؤ لا يكون الا بالعشي وما انصرف عنه الشمس والقمر والذي يكون بالغداة ظل وقال ثعلب أخبرت عن أبي عبيدة أن رؤبة قال كل ما كانت عليه الشمس فزالت عنه فهو فيء وظل وما لم يكن عليه الشمس فهو ظل وقوله ظلاله أضاف الظلال الى مفرد ومعناه الاضافة الى ذوي الظلال ووجه حسنه كون المرجوع اليه واحدا في اللفظ وان كان كثيرا في المعنى وهو قوله الى ما خلق نظيره لتستووا على ظهوره أضاف الظهور وهو جمع الى ضمير مفرد لانه يعود الى واحد أريد به الكثرة وهو ما تركبون قال الجوهري تفيأت الظلال أي تقلبت وقوله (عن اليمين والشمائل) قال أهل التفسير ومنهم الفراء انه وحد اليمين لانه أراد واحدا من ذوات الأظلال وجمع الشمائل لانه أراد كلها الان قوله ما خلق الله لفظ مفرد ومعناه جمع وقيل ان العرب اذا ذكرت صيغتي جمع عبرت عن احداهما بلفظ الواحد كقوله وجعل الظلمات والنور ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وقيل المراد باليمين النقطة التي هي مشرق الشمس وانها واحدة والشمائل عبارة عن الانحراف الواقع في تلك الاظلال بعد وقوعها على الارض وهي كثيرة وانما عبر عن المشرق باليمين لان أقوى جانبي الانسان يمينه ومنه

تظهر الحركة القوية وكذا جانب الشرق أقوى جوانب الفلك ومنه تظهر الحركة اليومية التي هي أسرع الحركات وأقواها ويمكن أن يقال ان الانسان اذا توجه الى الشرق الذي هو أولى الجوانب بالاعتبار لشرفه كان الجنوب يمينه والشمال شماله ولا ريب أن وصول الشمس الى فلك نصف النهار يختلف بحسب البلاد (٧٣) وقد يتفق انتقالها من الجنوب الى الشمال وبالعكس في بلد واحد اذا كان عرضه ناقصا عن الميل الكلي ومن المعلوم أن الشمس حين وصولها الى نصف النهار ان كانت في جنوب سمت الرأس وقع ظلها الى جانب الشمال وان كانت في شماله وقع ظلها الى الجنوب فيحتمل أن يراد بتفيؤ الاظلال تقلبها في هاتين الجهتين والله أعلم أما قوله (سجدا لله) فانه حال من الظلال ومعنى سجودها انقيادها لأمر الله منتقلة من جانب الى جانب حسب تحرك النير على نسب مخصوصة ومقادير معلومة ذكرنا بعضها في كتبنا النجومية وقد بنى المتأخرون على الاظلال مسائل كثيرة منها الشكل الموسوم بالظلي مع فروعه وذكر بعضهم في تفسير هذا السجود أن هذه الاظلال واقعة على الارض ملصقة بها على هيئة الساجد وقوله (وهم داخرون) حال أخرى من الظلال وانما جمع بالواو والنون لانهم أشبهوا العقلاء من حيث طاعتها لله سبحانه وقال جار الله اليمين والشمائل استعارة عن يمين الانسان وشماله بجانبي الشئ أي ترجع الظلال من جانب الى جانب منقادة لله غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والأجرام في أنفسها داخرة أيضا صاغرة منقادة لأفعال الله فيها لا تمتنع (ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة) قال الاخفش أي من الدواب وأخبر بالواحد كما تقول ما أتاني من رجل مثله وما أتاني من الرجال مثله وقال ابن عباس يريد كل ما دب على الارض والوجه في تخصيص الدابة والملائكة بالذكر أنه علم من آية الظلال أن الجمادات بأسرها منقادة له فبين في هذه الآية أن الحيوانات بأسرها أيضا كذلك ثم عطف عليها الملائكة اما لشرفها واما لأنها ليست مما يدب ولكنها تطير بالجناحين وبين النوعين مغايرة لقوله وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه وعلى قاعدة الحكماء وجه المغايرة أنها أرواح مجردة

عليه وسلم ان تحرص يا محمد على هدى هؤلاء المشركين الى الايمان بالله واتباع الحق فان الله لا يهدي من يضل ❊ اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الكوفيين فان الله لا يهدي من يضل بفتح الياء من يهدي وضمها من يضل وقد اختلف في معنى ذلك قارؤه كذلك فكان بعض نحويي الكوفة يزعم أن معناه فان الله من أضله لا يهتدي وقال العرب تقول قد هدى الرجل يريدون قد اهتدى وهدى واهتدى بمعنى واحد وكان آخرون منهم يزعمون أن معناه فان الله لا يهدي من أضله بمعنى أن من أضله الله فان الله لا يهديه وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والشام والبصرة فان الله لا يهدى بضم الياء من يهدى ومن يضل وفتح الدال من يهدى بمعنى من أضله الله فلا هادي له وهذه القراءة أولى القراءتين عندي بالصواب لان يهدي بمعنى يهتدي قليل في كلام العرب غير مستفيض وأنه لا فائدة في قول قائل من أضله الله فلا يهديه لأن ذلك مما لا يجهله أحد واذ كان ذلك كذلك فالقراءة بما كان مستفيضا في كلام العرب من اللغة بما فيه الفائدة العظيمة أولى وأحرى فتأويل الكلام لو كان الامر على ما وصفنا ان تحرص يا محمد على هداهم فان من أضله الله منهم فلا هادي له فلا تجهد نفسك في أمره وبلغه ما أرسلت به لتتم عليه الحجة وما لهم من ناصرين يقول وما لهم ناصر ينصرهم من الله اذا أراد عقوبتهم فيحول بين الله وبين ما أراد من عقوبتهم وفي قوله ان تحرص لغتان فمن العرب من يقول حرص يحرص بفتح الراء في فعل وكسرها في يفعل وحرص يحرص بكسر الراء في فعل وفتحها في يفعل والقراءة على الفتح في الماضي والكسر في المستقبل وهي لغة أهل الحجاز ❊ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره وحلف هؤلاء المشركون من قريش بالله جهد أيمانهم حلفهم لا يبعث الله من يموت بعد مماته وكذبوا وأبطلوا في أيمانهم التي حلفوا بها كذلك بل سيبعثه الله بعد مماته وعدا عليه أن يبعثهم وعد عباده والله لا يخلف الميعاد ولكن أكثر الناس لا يعلمون يقول ولكن أكثر قريش لا يعلمون وعد الله عباده أنه باعثهم يوم القيامة بعد مماتهم أحياء وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت تكذيبا بأمر الله أو بأمرنا فان الناس صاروا في البعث فرقتين مكذب ومصدق ذكر لنا أن رجلا قال لابن عباس ان ناسا بهذا العراق يزعمون أن عليا مبعوث قبل يوم القيامة ويتأولون هذه الآية فقال ابن عباس كذب أولئك انما هذه الآية للناس عامة ولعمري لو كان علي مبعوثا قبل يوم القيامة ما أنكحنا نساءه ولا قسمنا ميراثه حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال قال ابن عباس ان رجالا يقولون ان عليا مبعوث قبل يوم القيامة ويتأولون وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون قال لو كنا نعلم أن عليا مبعوث ما تزوجنا نساءه ولا قسمنا ميراثه ولكن هذه للناس عامة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن أبيه عن الربيع في قوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله

ليست من شأنها الحركة والدب قال جار الله من دابة يجوز أن يكون بيانا لما في السموات وما في الارض جميعا على أن في السموات خلقا لله يدبون فيها كما يدب الاناسي في الارض وأن يكون بيانا لما في الارض وحده ويراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح وأن يكون بيانا لما في الارض وحده ويراد بما في السموات الملائكة وكرر ذكرهم على معنى والملائكة خصوصا من بين الساجدين لانهم أطوع الخلق وأعدلهم ويجوز أن يراد بما في السموات ملائكتهن وبقوله والملائكة ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم انتهى كلامه ثم شرع سبحانه في صفة الملائكة وذكر عصمتهم فقال (وهم لا يستكبرون يخافون) على أنه حال منهم أو بيان لنفي استكبارهم لان الخوف أثر عدم الاستكبار وقوله (من فوقهم) اما أن يتعلق بيخافون والمعنى يخافون ربهم أن يرسل عليهم عذابا من فوقهم واما أن يكون حالا من الرب أي يخافونه غالبا قاهرا او بحث الفوقية قد تقدم في الانعام في قوله وهو القاهر فوق عباده زعم بعض الطاعنين في عصمة الملائكة أنه تعالى وصفهم بالخوف وحصول الخوف نتيجة تجويز الاقدام على الذنوب وهب أنهم فعلوا كل ما أمروا به فمن أين علم أنهم تركوا كل ما نهوا عنه والجواب عن الاول أنهم انما يخافون من العذاب لقوله تعالى ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم فمن هذا الخوف يتركون الذنب وعن ابن عباس أن هذا الخوف خوف الاجلال كقوله انما يخشى الله من عباده العلماء ولا ريب أنه كلما كانت معرفة جلال الله أتم كانت الهيبة والحيرة أعظم وعن الثاني أن النهي عن الشئ أمر بتركه وفي الآية دلالة على أن ابليس لم يكن من الملائكة لانه أبى واستكبر وانهم لا يستكبرون وقد يستدل بها على أن الملك أفضل من البشر بل من كل المخلوقات والا لما خصهم بالذكر من بينها ولخلو بواطنهم وظواهرهم عن الاخلاق الذميمة وانغماس البشر في الدواعي الشهوية والغضبية ولهذا ورد في حقه قتل الانسان ما أكفره وقال صلى الله عليه وسلم ما منا الا من قد عصى أو هم بمعصية غير يحيى بن زكريا وقال

من يموت قال حلف رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عند رجل من المكذبين فقال والذي يرسل الروح من بعد الموت فقال وانك لتزعم أنك مبعوث من بعد الموت وأقسم بالله جهد يمينه لا يبعث الله من يموت حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية قال كان لرجل من المسلمين على رجل من المشركين دين فأتاه يتقاضاه فكان فيما تكلم به والذي أرجوه بعد الموت انه لكذا فقال المشرك انك تزعم أنك تبعث بعد الموت فأقسم بالله جهد يمينه لا يبعث الله من يموت فأنزل الله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن عطاء بن أبي رباح أنه أخبره أنه سمع أبا هريرة يقول قال الله سبني ابن آدم ولم يكن ينبغي له أن يسبني وكذبني ولم يكن ينبغي له أن يكذبني فأما تكذيبه اياي فقال وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت قال قلت بلى وعدا عليه حقا وأما سبه اياي فقال ان الله ثالث ثلاثة وقلت قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين) يقول تعالى ذكره بل ليبعثن الله من يموت وعدا عليه حقا ليبين لهؤلاء الذين يزعمون أن الله لا يبعث من يموت ولغيرهم الذي يختلفون فيه من احياء الله خلقه بعد فنائهم وليعلم الذين جحدوا صحة ذلك وأنكروا حقيقته أنهم كانوا كاذبين في قيلهم لا يبعث الله من يموت كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ليبين لهم الذي يختلفون فيه قال للناس عامة ۞ القول في تأويل قوله تعالى (انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) يقول تعالى ذكره انا اذا أردنا أن نبعث من يموت فلا تعب علينا ولا نصب في احيائناهم ولا في غير ذلك مما نخلق ونكون ونحدث لانا اذا أردنا خلقه وانشاءه فانما نقول له كن فيكون لا معاناة فيه ولا كلفة علينا واختلفت القراء في قراءة قوله يكون فقرأه أكثر قراء الحجاز والعراق على الابتداء وعلى أن قوله انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن كلام تام مكتف بنفسه عما بعده ثم يبتدأ فيقال فيكون كما قال الشاعر * يريد أن يعربه فيعجمه * وقرأ ذلك بعض قراء أهل الشام وبعض المتأخرين من قراء الكوفيين فيكون نصبا عطفا على قوله أن نقول له وكأن معنى الكلام على مذهبهم ما قولنا لشئ اذا أردناه الا أن نقول له كن فيكون وقد حكي عن العرب سماعا أريد أن آتيك فيمنعني المطر عطفا بيمنعني على آتيك وقوله والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة يقول تعالى ذكره والذين فارقوا قومهم ودورهم وأوطانهم عداوة لهم في الله على كفرهم الى آخرين غيرهم من بعد ما ظلموا يقول من بعد ما نيل منهم في أنفسهم بالمكاره في ذات الله لنبوئنهم في الدنيا حسنة يقول لنسكننهم في الدنيا مسكنا يرضونه صالحا وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم قال هؤلاء أصحاب محمد ظلمهم أهل مكة فأخرجوهم من ديارهم حتى لحق طوائف منهم

أيضا صلى الله عليه وسلم الشيخ فى قومه كالنبى فى أمته فضل الشيخ على الشاب لتقادم عهده وطول مدته ولا شك أن الملائكة خلقوا قبل البشر بسنين متطاولة وقرون متمادية وأنهم سنوا الطاعة والعبودية ومن سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها وتمام البحث فى هذه المسئلة مذكور فى أول سورة البقرة وفى قوله (٧٤) (ما يؤمرون) دلالة على أن الملائكة مكلفون بالامر والنهى والوعد والوعيد راجين خائفين ولما بين أن كل ما سواه فى عالمى الارواح والاجسام فانه منقاد خاضع لجلاله وكبريائه أتبعه النهى عن الشرك قائلا (وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد) فسئل ان التثنية والواحد حيث كانا يدلان على العدد الخاص فما الفائدة فى وصف الهين باثنين ووصف اله بواحد وأجيب بوجوه منها قول صاحب النظم ان فيه تقديما وتأخيرا أى لا تتخذوا اثنين الهين ومنها أنه كررت العبارة لاجل المبالغة فى التنفير عن اتخاذ الشريك ومنها قول لاهل المعانى ان فائدة الوصف والبيان هى أن يعلم أن النهى راجع الى التعدد لا الى الجنسية ولهذا لو قلت انما هو اله ولم تؤكده بواحد سبق الى الوهم أنك تثبت الالهية لا الوحدانية وكيف لا يحتاج المقام الى التوكيد والاثنينية منافية للالهية لاستلزام تعدد الواجب كون كل منهما مركبا من جزأين ما به الاشتراك فى الوجوب الذاتى وما به الامتياز ولكن التركب يوجب الافتقار الى البسائط والافتقار ينافى الوجوب ودليل التمانع أيضا يعين على المطلوب كما لو أراد أحدهما تحريك جسم معين وأراد الآخر تسكينه أو قوى أحدهما على مخالفة الآخر أولا يقوى أو قدر أحدهما على أن يستر ملكه عن الآخر أو لا يقدر ثم نقل الكلام عن الغيبة الى التكلم على طريقة الالتفات قائلا (فاياى فارهبون) وقد مر مثله فى أول البقرة ثم لما قرر وحدته وأنه يجب أن يخص بالرهبة منه والرغبة اليه ذكر أن الكل ملكه فقال (وله ما فى السموات والارض) فقالت الاشاعرة ليس المراد من كونها لله أنها مفعولة لأجله ولغرض طاعته لأن فيها المباحات والمحظورات التى يؤتى بها لغرض الشهوة واللذة لا لغرض الطاعة فالمراد أن كلها

بالحبشة ثم بوأهم الله المدينة بعد ذلك فجعلها لهم دار هجرة وجعل لهم أنصارا من المؤمنين حدثت عن القاسم بن سلام قال ثنا هشيم عن داود بن أبى هند عن الشعبى لنبوئنهم فى الدنيا حسنة قال المدينة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم فى الدنيا حسنة قال هم قوم هاجروا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل مكة بعد ظلمهم وظلمهم المشركون * وقال آخرون عنى بقوله لنبوئنهم فى الدنيا حسنة لنرزقنهم فى الدنيا رزقا حسنا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد لنبوئنهم لنرزقنهم فى الدنيا رزقا حسنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنى الحرث قال ثنا القاسم قال ثنا هشيم عن العوام عمن حدثه أن عمر بن الخطاب كان اذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاءه يقول خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله فى الدنيا وما ذخر لك فى الآخرة أفضل ثم تلا هذه الآية لنبوئنهم فى الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون * وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال معنى لنبوئنهم لنحلنهم ولنسكننهم لان التبوأ فى كلام العرب الحلول بالمكان والنزول به ومنه قول الله تعالى ولقد بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق وقيل ان هذه الآية نزلت فى أبى جندل بن سهيل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق قال ثنا جعفر بن سليمن عن داود بن أبى هند قال نزلت والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا الى قوله وعلى ربهم يتوكلون فى أبى جندل بن سهيل وقوله ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون يقول ولثواب الله اياهم على هجرتهم فيه فى الآخرة أكبر لأن ثوابه اياهم هنالك الجنة التى يدوم نعيمها ولا يبيد وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قال الله ولأجر الآخرة أكبر اى والله لما يثيبهم الله عليه من جنته أكبر لو كانوا يعلمون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون﴾ يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين وصفنا صفتهم وآتيناهم الثواب الذى ذكرناه الذين صبروا فى الله على ما نابهم فى الدنيا وعلى ربهم يتوكلون يقول وبالله يثقون فى أمورهم واليه يستندون فى نوائب الامور التى تنوبهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وما أرسلنا من قبلك يا محمد الى أمة من الامم للدعاء الى توحيدنا والانتهاء الى أمرنا ونهينا الا رجالا من بنى آدم نوحى اليهم وحينا لا ملائكة يقول فلم نرسل الى قومك الا مثل الذى كنا نرسل الى من قبلهم من الامم من جنسهم وعلى منهاجهم فاسئلوا أهل الذكر يقول لمشركى قريش وان كنتم لا تعلمون أن الذين كنا نرسل الى من قبلكم من الامم رجال من بنى آدم مثل محمد صلى الله عليه وسلم وقلتم هم ملائكة أى ظننتم أن الله كلمهم قبلا فاسئلوا أهل الذكر

بتخليقه وتكوينه ومن جملة ذلك أفعال العباد ثم قال (وله الدين واصبا) فالدين الطاعة والواصب الدائم ومفازة واصبة بعيدة لاغاية لها ويقال للمريض وصب لكون ذلك المرض لازماله وانتصابه على الحال والعامل فيه ما في الظرف من معنى الفعل قال ابن قتيبة ليس من أحد يدان له ويطاع الا انقطع ذلك بسبب في حال الحياة أو الموت الا الحق سبحانه فان طاعته واجبة أبدا ويحتمل أن يكون الدين بمعنى

الذكر وهم الذين قد قرؤا الكتب من قبلهم التوراة والانجيل وغير ذلك من كتب الله التي أنزلها على عباده وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربي عن ليث عن مجاهد فاسئلوا أهل الذكر قال أهل التوراة حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربي عن سفيان قال سألت الاعمش عن قوله فاسئلوا أهل الذكر قال سمعنا أنه من أسلم من أهل التوراة والانجيل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون قال هم أهل الكتاب حدثنا أبو كريب قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد عن ابن عباس فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون قال قال المشركي قريش ان محمدا في التوراة والانجيل حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال لما بعث الله محمدا رسولا أنكرت العرب ذلك أو من أنكر منهم وقالوا الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا مثل محمد قال فأنزل الله أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم وقال وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر فاسئلوا أهل الذكر يعني أهل الكتب الماضية أبشرا كانت الرسل التي أتتكم أم ملائكة فان كانوا ملائكة أنكرتم وان كانوا بشرا فلا تنكروا أن يكون محمد رسولا قال ثم قال وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من أهل القرى أي ليسوا من أهل السماء كما قلتم وقال آخرون في ذلك ما حدثنا به ابن وكيع قال ثنا ابن يمان عن اسرائيل عن جابر عن أبي جعفر فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون قال نحن أهل الذكر حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون قال الذكر القرآن وقرأ انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقرأ ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم الآية

القول في تأويل قوله تعالى ﴿بالبينات والزبر وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون﴾ يقول تعالى ذكره أرسلنا بالبينات والزبر رجالا نوحي اليهم فان قال قائل وكيف قيل بالبينات والزبر وما الجالب لهذه الباء في قوله بالبينات فان قلت جالبها قوله أرسلنا وهي من صلته فهل يجوز أن تكون صلة ما قبل الا بعدها وان قلت جالبها غير ذلك فما هو وأين الفعل الذي جلبها قيل قد اختلف أهل العربية في ذلك فقال بعضهم الباء التي في قوله بالبينات من صلة أرسلنا وقال الا في هذا الموضع ومع الجحد والاستفهام في كل موضع بمعنى غير وقال معنى الكلام وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر غير رجال نوحي اليهم ويقول على ذلك ما ضرب الا أخوك زيدا وهل كلم الا أخوك عمرا بمعنى ما ضرب زيدا غير أخيك وهل كلم عمرا الا أخوك ويحتج في ذلك بقول أوس بن حجر

أبني لبيني لستم بيد ... الا يدا ليست لها عضد

ويقول لو كانت الا بغير معنى غير لفسد الكلام لان الذي خفض الباء قبل الا لا يقدر على اعادته بعد الا لخفض اليد الثانية ولكن معنى الا معنى غير ويستشهد أيضا بقول الله عز وجل لو كان

الملة أي وله الدين ذا كلفة ومشقة ولذلك سمي تكليفا أو وله الجزاء سرمد الازول يعني الثواب والعقاب وقال بعض المتكلمين المحققين قوله وله ما في السموات والارض اشارة الى احتياج الكل اليه في حال حدوثه وقوله وله الدين أي الانقياد واصبا اشارة الى أن جميع الممكنات مفتقرة الى فيضه وجوده في حال وجوده لان الصحيح أن الممكن حال بقائه لا يستغني عن المرجح ثم أنكر أن يكون الممكن مع شدة افتقاره اليه يخشى غيره فقال (أفغير الله تتقون) ثم من عليهم بقوله (وما بكم من نعمة فمن الله) ما بمعنى الذي وبكم صلته ومن نعمة حال من الضمير في الجار أو بيان لما وقوله فمن الله الخبر وقيل ما شرطية وفعل الشرط محذوف أي ما يكن وقال جار الله معناه أي شئ حل بكم أو اتصل بكم من نعمة فهو من الله قال الاشاعرة أفضل النعم نعمة الايمان والآية تفيد العموم فهو من نعم الله والنعمة اما دينية وهي معرفة الحق لذاته ومعرفة الخير لاجل العمل به واما دنيوية نفسانية أو بدنية أو خارجية كالسعادات المالية وغيرها وكل واحدة من هذه جنس تحتها أنواع لا حصر لها والكل من الله فعلى العاقل أن لا يشكر الا اياه ثم بين تلون حال الانسان بعد استغراقه في بحار نعم الله قائلا (ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون) ما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة (ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون) قال جار الله يجوز أن يكون الخطاب في قوله وما بكم عاما ويريد بالفريق فريق الكفرة وأن الخطاب للمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض كأنه قال واذا فريق كافر وهم أنتم ويجوز أن يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد أقول وأظهر الوجهين الأول والمعنى أن فريقا

منكم يبقى على مثل ما كان عليه عند الضر فى أن لا يفزع الا الى الله وفريقا يتغير عن حاله فيشرك بالله ولعل هذه صفة لازمة لجوهر الانسان ولهذا قال (ليكفروا) كأنهم جعلوا غرضهم فى الشرك كفران النعمة ويجوز أن تكون لام العاقبة يعنى عاقبة تلك التضرعات ما كانت الا هذا الكفران والمراد بقوله (بما آتيناهم) كشف (٧٦) الضر وازالة المكروه أو القرآن والشرائع أو جميع النعم الظاهرة والباطنة التى أنعم الله

فيهما آلهة الا الله ويقول الا بمعنى غير فى هذا الموضع وكان غيره يقول انما هذا على كلامين يريد وما أرسلنا من قبلك الا رجالا أرسلناهم بالبينات والزبر قال وكذلك قول القائل ما ضرب الا أخوك زيدا معناه ما ضرب الا أخوك ثم يبتدئ ضرب زيدا وكذلك ما مرّ الا أخوك بزيد ما مرّ الا أخوك ثم يقول مر بزيد ويستشهد على ذلك ببيت الاعشى

وليس مجيرا ان أتى الحى خائف * ولا قائلا الا هو المتعيبا

ويقول لو كان ذلك على كلمة لكان خطأ لان المتعيبا من صلة القائل ولكن جاز ذلك على كلامين وكذلك قول الآخر

نبئتهم عذبوا بالنار جارهم * وهل يعذب الا الله بالنار

فتأويل الكلام اذا وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم أرسلناهم بالبينات والزبر وأنزلنا اليك الذكر والبينات هى الادلة والحجج التى أعطاها الله رسله أدلة على نبوتهم شاهدة لهم على حقيقة ما أتوا به اليهم من عند الله والزبر هى الكتب وهى جمع زبور من زبرت الكتاب وذبرته اذا كتبته وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس بالبينات والزبر قال الزبر الكتب حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بالبينات والزبر قال الآيات والزبر الكتب حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال الزبر الكتب حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وبالزبر يعنى بالكتب وقوله وأنزلنا اليك الذكر يقول وأنزلنا اليك يا محمد هذا القرآن تذكيرا للناس وعظة لهم لتبين للناس يقول لتعرفهم ما أنزل اليهم من ذلك ولعلهم يتفكرون يقول وليتذكروا فيه ويعتبروا به أى بما أنزلنا اليك وقد حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق قال ثنا الثورى قال قال مجاهد ولعلهم يتفكرون قال يطيعون ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴾ يقول تعالى ذكره أفأمن الذين ظلموا المؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فراموا أن يفتنوهم عن دينهم من مشركى قريش الذين قالوا اذ قيل لهم ماذا أنزل ربكم أساطير الاولين صدا منهم لمن أراد الايمان بالله عن قصد السبيل أن يخسف الله بهم الارض على كفرهم وشركهم أو يأتيهم عذاب الله من مكان لا يشعر به ولا يدرى من أين يأتيه وكان مجاهد يقول عنى بذلك عرود بن كنعان حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الارض الى قوله أو يأخذهم على تخوف قال هو نمرود بن كنعان وقومه حدثنا القاسم

بها على الانسان ثم قال على سبيل التهديد وبطريقة الالتفات نظرا الى أول الكلام (فتمتعوا فسوف تعلمون) عاقبة كفركم ومثله فى الروم كما سيجىء وأما فى العنكبوت فانه قال ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا بالعطف على القياس ثم حكى نوعا آخر من قبائح أعمال بنى ادم فقال (ويجعلون لما لا يعلمون) الضمير الاول للمشركين والثانى قيل لهم وقيل للاصنام التى لا توصف بالعلم والشعور ورجح الاول بأن نفى العلم عن الحى حقيقة وعن الجماد مجاز وبأن جمع السلامة بالعقلاء أليق وقد رجح الثانى بأن الاول يفتقر الى الاضمار كما لو قيل ويجعلون لما لا يعلمون فى طاعته نفعا ولا فى الاعراض عنه ضرا وقال مجاهد يعلمون أن الله خلقهم ويضرهم وينفعهم ثم يجعلون لما لا يعلمون أنه يضرهم نصيبا أو ويجعلون لما لا يعلمون الاهيتها أو السبب فى صيرورتها معبودة والمراد بجعل النصيب ما مر فى الانعام فى قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا وقيل البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى عن الحسن وقيل هم المنجمون الذين يوزعون موجودات هذا العالم على الكواكب السبعة فيقولون لزحل كذا وكذا من المعادن والنبات والحيوان وللمشترى كذا الى آخر الكواكب ثم أوعدهم الله بقوله (تالله لتسئلن عما كنتم تفترون) على الله من أن له شريكا وأن الأصنام أهل للتقرب قال البهائم أنه لا شعور لها بشئ أصلا أو المراد بالافتراء قولهم هذا حلال وهذا حرام من غير اذن شرعى أو قولهم ان لغير الله تأثيرا فى هذا العالم ومتى يكون هذا السؤال قيل عند القرب من الموت ومعاينة ملائكة العذاب وقيل فى القبر والأقرب أنه فى الآخرة وهذا فى هؤلاء

الاقوام خاصة كقوله فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون في الامم عامة قوله (و يجعلون لله البنات) نوع آخر من القبائح وكانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله قال الامام فخر الدين الرازي أظن أن ذلك لان الملائكة يستترون عن العيون كالنساء ومنها اطلاق التأنيث على الشمس لاستتارها عن أن تدرك بالابصار لضوئها الباهر ونورها القاهر (سبحانه) تنزيه لذاته عن نسبة الولد اليه أو تعجب من قولهم ومحل ما في قوله (ولهم ما يشتهون) اما الرفع على الابتداء أو النصب أي وجعلوا لهم ما يشتهون يعني البنين وأبى الزجاج جواز النصب وقال لان العرب لا تقول جعل له كذا وهو يعني نفسه وانما تقول جعل لنفسه كذا فلو كان منصوبا لقيل ولانفسهم ما يشتهون ثم ذكر غاية كراهتهم للاناث التي جعلوها لله تعالى فقال واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه) أي صار (مسودا) ويحتمل أن يكون استعمل ظل لان وضع الحمل يتفق بالليل غالبا فيظل نهاره مسود الوجه (وهو كظيم) ممتلىء غما وحزنا وغيظا على المرأة قال أهل المعاني جعل اسوداد الوجه كناية عن الغم والكآبة لان الانسان اذا قوي فرحه انبسط الروح من قلبه ووصل الى الأطراف ولاسيما الى الوجه لما بين القلب والدماغ من التعلق الشديد فاستنار الوجه وأشرق واذا قوي غمه انحصر الروح في داخل القلب ولم يبق منه أثر قوي على الوجه فيتربد الوجه لذلك و يصفر أو يسود (يتوارى) يستخفي (من القوم من سوء ما بشر به) من أجل سوء المبشر به ولم يظهر أياما يحدث نفسه ويدبر فيما ماذا يصنع بها وذلك قوله (أيمسكه) أي يحبسه (على هون) ذل وهوان والظاهر أن هذا صفة المولود أي يمسكها على هوان منه لها وقال عطاء عن ابن عباس انه صفة الاب أي يمسكها مع الرضا بهوان نفسه (أم يدسه في التراب) أي بيده والدس اخفاء الشيء في الشيء وانما ذكر الضمير في يمسكه ويدسه باعتبار ما بشر به كانوا مختلفين في قتل البنات فمنهم من يحفر الحفيرة ويدفنها الى أن تموت ومنهم من يرميها من شاهق جبل ومنهم من يغرقها ومنهم من يذبحها وكانوا يفعلون ذلك تارة للغيرة والحمية وأخرى خوفا من الفقر والفاقة ولزوم النفقة روي أن رجلا قال يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما أجد حلاوة الاسلام

قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وانما اخترنا القول الذي قلناه في تأويل ذلك لأن ذلك تهديد من الله أهل الشرك به وهو عقيب قوله وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون فكان تهديد من لم يقر بحجة الله الذي جرى الكلام بخطابه قبل ذلك أحرى من الخبر عمن انقطع ذكره عنه وكان قتادة يقول في معنى السيئات في هذا الموضع ما حدثنا به بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أفأمن الذين مكروا السيئات أي الشرك ✽ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين أو يأخذهم على تخوف فان ربكم لرؤف رحيم﴾ يعني تعالى ذكره بقوله أو يأخذهم في تقلبهم أو يهلكهم في تصرفهم في البلاد وترددهم في أسفارهم فما هم بمعجزين يقول جل ثناؤه فانهم لا يعجزون الله من ذلك ان أراد أخذهم كذلك و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى وعلي بن داود قالا ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أو يأخذهم في تقلبهم يقول في اختلافهم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين قال ان شئت أخذته في سفره حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أو يأخذهم في تقلبهم في أسفارهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مثله ✽ وقال ابن جريج في ذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج أو يأخذهم في تقلبهم قال التقلب أن يأخذهم بالليل والنهار وأما قوله أو يأخذهم على تخوف فانه يعني أو يهلكهم بتخوف وذلك بنقص من أطرافهم ونواحيهم الشيء بعد الشيء حتى يهلك جميعهم يقال منه تخوف مال فلان الانفاق اذا انتقصه ونحو تخوفه من التخوف بمعنى التنقص قول الشاعر

تخوف السير منها تامكا قردا ✽ كما تخوف عود النبعة السفن

يعني بقوله تخوف السير تنقص سنامها وقد ذكرنا عن الهيثم بن عدي أنه كان يقول هي لغة لأزد شنوءة معروفة لهم ومنه قول الآخر

تخوف عدوهم مالي وأهدى ✽ سلاسل في الحلوق لها صليل

وكان الفراء يقول العرب تقول تخوفته أي تنقصته تخوفا أي أخذته من حافاته وأطرافه قال فهذا الذي سمعته وقد أتى التفسير بالحاء وهما بمعنى قال ومثله ما قرئ بوجهين قوله ان لك في النهار سبحا وسبخا و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن المسعودي عن ابراهيم بن عامر بن مسعود عن رجل عن عمر أنه سألهم عن هذه الآية أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين أو يأخذهم على تخوف فقالوا ما نرى الا أنه عند تنقص ما يردده من الآيات فقال عمر ما أرى الا أنه على ما تنتقصون من معاصي الله قال فخرج رجل ممن كان عند عمر فلقي أعرابيا فقال يا فلان ما فعل ربك قال قد تخيفته يعني تنقصته قال فرجع الى عمر فأخبره فقال قدر الله ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي

عن أبيه عن ابن عباس أو يأخذهم على تخوف يقول ان شئت أخذته على أثر موت صاحبه وتخوف بذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس على تخوف قال التنقص والتفزيع حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أو يأخذهم على تخوف على تنقص حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد على تخوف قال تنقص حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أو يأخذهم على تخوف فيعاقب أو يتجاوز حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أو يأخذهم على تخوف قال كان يقال التخوف التنقص ينتقصهم من البلدان من الاطراف حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله أو يأخذهم على تخوف يعني يأخذ العذاب طائفة ويترك أخرى يعذب القرية ويهلكها ويترك أخرى الى جنبها وقوله فان ربكم لرؤف رحيم يقول فان ربكم ان لم يأخذ هؤلاء الذين مكروا السيئات بعذاب معجل لهم وأخذهم بموت وتنقص بعضهم في أثر بعض لرؤف بخلقه رحيم بهم ومن رأفته ورحمته بهم لم يخسف بهم الارض ولم يعجل لهم العذاب ولكن يخوفهم وينقصهم بموت ۞ القول في تأويل قوله تعالى (أولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والمدينة والبصرة أولم يروا بالياء على الخبر عن الذين مكروا السيئات وقرأ ذلك بعض قراء الكوفيين أولم تروا بالتاء على الخطاب ۞ وأولى القراءتين عندي بالصواب قراءة من قرأ بالياء على وجه الخبر عن الذين مكروا السيئات لان ذلك في سياق قصصهم والخبر عنهم ثم عقب ذلك الخبر عن ذهابهم عن حجة الله عليهم وتركهم النظر في أدلته والاعتبار بها فتأويل الكلام اذا أولم ير هؤلاء الذين مكروا السيئات الى ما خلق الله من جسم قائم شجر أو جبل أو غير ذلك يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل يقول يرجع من موضع الى موضع فهو في أول النهار على حال ثم يتقلص ثم يعود الى حال أخرى في آخر النهار وكان جماعة من أهل التأويل يقولون في اليمين والشمائل ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله أما اليمين فأول النهار وأما الشمال فآخر النهار حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة بنحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل قال الغدو والآصال اذا فاءت الظلال ظلال كل شيء بالغدو سجدت لله واذا فاءت بالعشي سجدت لله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل يعني بالغدو والآصال تسجد الظلال لله غدوة الى أن يفيء الظل ثم تسجد لله الى الليل يعني ظل كل شيء وكان ابن عباس يقول في قوله يتفيأ ظلاله ما حدثنا المثنى قال

وقد كانت لي في الجاهلية ابنة وأمرت امرأتي أن تزينها وأخرجتها فلما انتهيت الى واد بعيد القعر ألقيتها فقالت يا أبت قتلتني فكلما ذكرت قولها لم ينفعني شيء فقال صلى الله عليه وسلم ما في الجاهلية فقد هدمه الاسلام وما في الاسلام يهدمه الاستغفار ولا ريب أن الانثى التي هذا محلها عندهم كانت في غاية الكراهية والتنفير ومع ذلك (٧٨) أثبتوها الله المتعالي عن الصاحبة والولد فلذلك قال (ألا ساء ما يحكمون للذين لا يؤمنون بالآخرة) ولهذا يقدمون على القتل والابتداء (مثل السوء) وصفة السوء وهي الحاجة الى الاولاد الذكور وكراهة الاناث وأدهن خشية الاملاق والتزام الشح البالغ (ولله المثل الأعلى) وهو اضداد صفات المخلوقين من الغنى الكامل والجود الشامل (وهو العزيز) الذي لا يغالب فلا يستضر بأن ينسب اليه ما لا يليق به (الحكيم) في خلق الذكور والاناث أو في الوعيد على قتل البنات قال القاضي ان هؤلاء المشركين استحقوا الذم باضافة البنات الى الله وانه أسهل من اضافة الفواحش والقبائح كلها اليه وهذا شأن المجبرة وأجابت الاشاعرة بأنه ليس كل ما قبح منا في العرف فانه يقبح من الله ألا ترى أن رجلا لو زين اماءه وعبيده وبالغ في تحسين صورهن وتقوية الشهوة فيهم وفيهن ثم جمع بين الكل وأزال الحائل والمانع فان هذا بالاتفاق حسن من الله تعالى وقبيح من كل الخلق فعلمنا أن التعويل على هذه الوجوه المبنية على العرف انما يحسن اذا كانت مسبوقة بالدلائل القطعية اليقينية وقد ثبت بالبراهين القطعية امتناع الولد على الله تعالى فلا جرم حسنت تقويتها بهذه الوجوه الاقناعية أما أفعال العباد فقد ثبت بالدلائل اليقينية أن خالقها هو الله تعالى فكيف يمكن الحاق احدى الصورتين بالاخرى والله أعلم ۞ التأويل أن يخسف الله بهم أرض البشرية ودركات السفل أو يأتيهم العذاب بالمكر والاستدراج من حيث لا يشعرون أنه من أين أتاهم من قبل الاعمال الدنيوية أو من قبل الاعمال الاخروية أو يأخذهم في تقلبهم من أعمال الدنيا الى أعمال الآخرة بالرياء ومن أعمال الآخرة الى أعمال الدنيا بالهوى أو يأخذهم على تخوف تنقص من مقاماتهم ودرجاتهم بلا شعورهم فان ربكم لرؤف بالعباد

أخبرنا

اذ أعطاهم حسن الاستعداد رحيم حين لا يأخذهم بعد افساد الاستعداد في الحال لعلهم يتوبون في المآل فيقبل توبتهم بالفضل والنوال ما خلق الله من شيء وهو عالم الاجسام فان عالم الارواح خلق من لا شيء يتفيأ ظلاله فان الاجسام ظلال الارواح فتارة تميل بعمل أهل السعادة الى أصحاب اليمين وأخرى تميل بعمل أهل الشقاء الى أصحاب الشمال سجدا لله (٧٩) منقادين لأمره مسخرين لما خلقوا لاجله وانما

أخبرنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس قوله يتفيأ ظلاله يقول تتميل واختلف في معنى قوله سجدا لله فقال بعضهم ظل كل شيء سجوده ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة يتفيأ ظلاله قال ظل كل شيء سجوده حدثنا ابن وكيع قال ثنا اسحق الرازي عن أبي سنان عن ثابت عن الضحاك يتفيأ ظلاله قال سجد ظل المؤمن طوعا وظل الكافر كرها * وقال آخرون بل عنى بقوله يتفيأ ظلاله كلا عن اليمين والشمائل في حال سجودها قالوا وسجود الاشياء غير ظلالها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد وحدثني نصر بن عبد الرحمن الاودي قالا ثنا حكام عن أبي سنان عن ثابت عن الضحاك في قول الله أولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله قال اذا فاء الفيء توجه كل شيء ساجدا قبل القبلة من نبت أو شجر قال فكانوا يستحبون الصلاة عند ذلك حدثني المثنى قال أخبرنا الحماني قال ثنا يحيى بن يمان قال ثنا شريك عن منصور عن مجاهد في قول الله يتفيأ ظلاله قال اذا زالت الشمس سجد كل شيء لله عز وجل * وقال آخرون بل الذي وصف الله بالسجود في هذه الآية ظلال الاشياء فانما يسجد ظلالها دون التي لها الظلال ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله أولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله قال هو سجود الظلال ظلال كل شيء ما في السموات وما في الارض من دابة قال سجود ظلال الدواب وظلال كل شيء حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله ما خلق من كل شيء عن يمينه وشمائله فلفظ ما لفظ عن اليمين والشمائل قال ألم تر أنك اذا صليت الفجر كان ما بين مطلع الشمس الى مغربها ظلا ثم بعث الله عليه الشمس دليلا وقبض الله الظل * وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله أخبر في هذه الآية أن ظلال الاشياء هي التي تسجد وسجودها ميلانها ودورانها من جانب الى جانب وناحية الى ناحية كما قال ابن عباس يقال من ذلك سجدت النخلة اذا مالت وسجد البعير وأسجد اذا أميل للركوب وقد بينا معنى السجود في غير هذا الموضع بما أغنى عن اعادته وقوله وهم داخرون يعني وهم صاغرون يقال منه دخر فلان لله يدخر دخرا ودخورا اذا ذل له وخضع ومنه قول ذي الرمة

فلم يبق الا داخر في مخيس * ومنجحر في غير أرضك في جحر

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وهم داخرون صاغرون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وهم داخرون أي صاغرون حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مثله وأما توحيد اليمين في قوله عن اليمين والشمائل فجمعها فان ذلك انما جاء كذلك لان معنى الكلام أولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلال ما خلق

وحد اليمين وجمع الشمال لكثرة أصحاب الشمال وسجود كل موجود يناسب حاله كما أن تسبيح كل منهم يلائم لسانه وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين أراد بالاله الآخر الهوى لقوله صلى الله عليه وسلم ما عبد اله أبغض على الله من الهوى ويجعلون يعني أصحاب النفوس والأهواء لما لا يعلمون لمن لا علم لهم بأحوالهم نصيبا بالرياء مما رزقناهم من الطاعات تالله لتسئلن عما كنتم تفترون والسؤال عن المعاملات انما هو بتبديل الصفات وتغيير الاحوال من سمة السعادة الى سمة الشقاوة وبالعكس ويجعلون لله البنات أظن أن البنات اشارة الى صفات فيها نوع نقص كالتجسيم والتشبيه والحلول والاتحاد ونسبته الى الظلم والجور والتعطيل وعدم الاستقلال بالتأثير وغير ذلك مما لا يليق بغاية جلاله ونهاية كماله فلهذا قال سبحانه ولهم ما يشتهون يعني أن كل أحد يحب أن يوصف بغاية الكمال ويتغير وجهه اذا نسب الى عيب فيه ولا يعلم أن مطلق الكمال لا يليق الا بالواجب بالذات ونفس الامكان نقصان يستلزم جميع النقصانات والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

(ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الارض بعد موتها ان في ذلك لآية لقوم يسمعون وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين

ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون والله خلقكم ثم يتوفاكم (٨٠) ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيأ ان الله عليم قدير ﴾

من شئ عن يمينه أى ما خلق وشمائله فلفظ ما لفظ واحد ومعناه معنى الجمع فقال عن اليمين يعنى عن يمين ما خلق ثم رجع الى معناه فى الشمائل وكان بعض أهل العربية يقول انما تفعل العرب ذلك لان أكثر الكلام مواجهة الواحد الواحد فيقال للرجل خذ عن يمينك قال فكأنه اذا وحد ذهب الى واحد من القوم واذا جمع فهو الذى لا مساءلة فيه واستشهد لفعل العرب ذلك بقول الشاعر

بفى الشامتين الصخر ان كان هدنى * (١) ودبه شبلى مخدر فى الضراغم

فقال بفى الشامتين ولم يقل بأفواه وقول الآخر

الواردون وهم فى ذرى سبا * قد عض أعناقهم جلد الجواميس

ولم يقل جلود ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون﴾ يقول تعالى ذكره ولله يخضع ويستسلم لأمره ما فى السموات وما فى الارض من دابة يدب عليها والملائكة التى فى السموات وهم لا يستكبرون عن التذلل له بالطاعة والذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وظلالهم تتفيأ عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون وكان بعض نحويى البصرة يقول اجتزئ بذكر الواحد من الدواب عن ذكر الجميع وانما معنى الكلام ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض من الدواب والملائكة كما يقال ما أتانى من رجل بمعنى ما أتانى من الرجال وكان بعض نحويى الكوفة يقول انما قيل من دابة لان ما وان كانت قد تكون على مذهب الذى فانها غير مؤقتة فاذا أبهمت غير مؤقتة أشبهت الجزاء والجزاء يدخل من فيما جاء من اسم بعده من النكرة فيقال من ضربه من رجل فاضربوه ولا تسقط من من هذا الموضع كراهية أن تشبه أن تكون حالا لمن وما فجعلوه بمن ليدل على أنه تفسير لما ومن لانهما غير مؤقتتين فكان دخول من فيما بعدهما تفسيرا لمعناهما وكان دخول من أدل على ما لم يؤقت من من وما فلذلك لم تلغيا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ يقول تعالى ذكره يخاف هؤلاء الملائكة التى فى السموات وما فى الارض من دابة ربهم من فوقهم أن يعذبهم ان عصوا أمره ويفعلون ما يؤمرون يقول ويفعلون ما أمرهم الله به فيؤدون حقوقه ويجتنبون سخطه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياى فارهبون﴾ يقول تعالى ذكره وقال الله لعباده لا تتخذوا لى شريكا أيها الناس ولا تعبدوا معبودين فانكم اذا عبدتم معى غيرى جعلتم لى شريكا ولا شريك لى انما هو اله واحد ومعبود واحد وأنا ذلك فاياى فارهبون يقول فاياى فاتقوا وخافوا عقابى بمعصيتكم اياى ان عصيتمونى وعبدتم غيرى أو أشركتم فى عبادتكم لى شريكا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وله ما فى السموات والارض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون﴾ يقول تعالى ذكره ولله ملك ما فى السموات والارض من شئ لا شريك له فى شئ من ذلك هو الذى خلقهم وهو الذى يرزقهم وبيده حياتهم وموتهم وقوله وله الدين واصبا يقول جل ثناؤه وله الطاعة والاخلاص دائما ثابتا واجبا يقال منه وصب

(١) لم نقف على هذا البيت ولا الذى بعده ولا يخلوان من التحريف فحرر كتبه مصححه

۞ القراآت لا جرم فى المدمثل لا ريب فيه مفرطون بكسر الراء المشددة يزيد مفرطون بكسر الراء المخففة نافع وقتيبة الباقون بفتحها مخففة نسقيكم بفتح النون نافع وابن عامر وسهل ويعقوب وأبو بكر وحماد الآخرون بضمها ۞ الوقوف مسمى ج للظرف مع الفاء ولا يستقدمون ○ الحسنى ط وقيل على لا ثم يبدأ بجرم وهو تكلف مفرطون ○ أليم ○ فيه لا للعطف على موضع لتبين تقديره الا تبيانا وهدى يؤمنون ○ موتها ط يسمعون ○ لعبرة ط لانه لو وصل اشتبه ما بعده بالوصف للشاربين ○ حسنا ط يعقلون ○ يعرشون ○ ج للعطف ذللا ط للعدول للناس ط يتفكرون ○ شيأ ط قدير ○ ۞ التفسير لما حكى عن القوم عظيم كفرهم وقطيع قولهم بين غاية كرمه وسعة رحمته حيث انه لا يعاجلهم بالعقوبة فقال (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم) الآية فزعم بعض الطاعنين فى عصمة الانبياء أنه أضاف الظلم الى ضمير الناس والانبياء من جملة الناس فوجب أن يكونوا ظالمين عاصين ويؤكد هذا قوله (ما ترك عليها من دابة) فانه لو لم يصدر من الانبياء ذنب لم يكن لافنائهم وجه وحينئذ لم يصدق أنه لم يبق على الارض واحد والجواب لا نسلم عموم الناس فى الآية لقوله سبحانه فى موضع آخر فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ولا ريب أن المقتصدين والسابقين ليسوا ظالمين فاذن المراد بالناس اما كل العصاة الذين استحقوا العقاب أو الذين تقدم ذكرهم من المشركين وأما قوله من دابة فعن ابن عباس أنه أراد من مشرك يدب عليها نظيره قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا ولو سلم أن المراد بها كل من يدب عليها فلعل الهلاك فى حق الظلمة يكون عذابا وفى غيرهم امتحانا فقد وقعت هذه

الواقعة في زمان نوح عليه السلام وأيضا من المعلوم أنه لا أحد الا وفي آبائه من يستحق العذاب فلو أهلكوا لبطل نسلهم ولأدى الى افناء الناس بل الدواب كلها لان الدواب مخلوقة لمنافع العباد ومصالحهم عن أبي هريرة أنه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود كاد الجعل يهلك (٨١) في جحره بذنب ابن آدم وقيل لو يؤاخذهم لانقطع القطر وفي انقطاعه انقطاع النبت وفي انقطاع النبت فناء الدواب قالت المعتزلة في الآية دلالة على أن الظلم والمعاصي ليست من أفعال الله تعالى والا لم يؤاخذهم بها فرضا ولم يضف الظلم اليهم ولم يذمهم على ذلك وفي قوله بظلمهم دليل على أن الظلم هو المؤثر في العقاب فان الباء للعلية وجواب الاشاعرة معلوم وهو أنه لا يسئل عما يفعل وأيضا المعارضة بالعلم والدواعي ووجوب انتهاء الكل اليه قال بعض الاصوليين الاصل في المضار الحرمة لان الضرر لا يجوز أن يكون مشروعا ابتداء بالاجماع ولقوله تعالى ما جعل عليكم في الدين من حرج يريد الله بكم اليسر ولقوله صلى الله عليه وسلم لا ضرر ولا ضرار في الاسلام ملعون من ضر مسلما ولا أن يكون مشروعا على وجه يكون جزاء عن جرم سابق بهذه الآية لان كلمة لو وضعت لانتفاء الشيء لانتفاء غيره فالآية تقتضي أنه تعالى ما آخذ الناس بظلمهم وأنه ترك على ظهرها دابة كما هو المشاهد اذا ثبت هذا الاصل فنقول اذا وقعت حادثة مشتملة على المضار فان وجدنا نصا على كونها مشروعة قضينا به تقديما للخاص على العام والا قضينا عليها بالحرمة بناء على هذا الاصل ولقائل أن يقول لم لا يجوز أن يكون الضرر مشروعا على وجه يقع جزاء عن جرم سابق والآية لا تنافي ذلك لانها لا تدل الا على أنه سبحانه لا يؤاخذ بكل ظلم أما على أنه لا يؤاخذ ببعض أنواع الظلم فلا دليله قوله وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ومنهم من قال بناء على القاعدة المذكورة ان كل ما يريده الانسان وجب أن يكون مشروعا في حقه لان المنع منه ضرر والضرر غير مشروع وكل ما يكرهه الانسان لزم أن يكون محرما لان وجوده

الدين يصب وصوبا ووصبا كما قال الديلي

لا أبتغي الحمد القليل بقاؤه * يوما بذم الدهر أجمع واصبا

ومنه قول الله ولهم عذاب واصب وقول حسان

غيرته الريح تسفي به * وهزيم رعده واصب

فأما من الالم فانما يقال وصب الرجل يوصب وصبا وذلك اذا أعيا وملّ ومنه قول الشاعر

لا يغمز الساق من أين ولا وصب * ولا يعض على شرسوفه الصفر

* وقد اختلف أهل التأويل في تأويل الواصب فقال بعضهم معناه ما قلنا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن قيس عن الأغر بن الصباح عن خليفة بن حصين عن أبي نضرة عن ابن عباس وله الدين واصبا قال دائما حدثني اسمعيل بن موسى قال أخبرنا شريك عن أبي حصين عن عكرمة في قوله وله الدين واصبا قال دائما حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن قيس عن يعلى بن النعمان عن عكرمة قال دائما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء وحدثني المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وله الدين واصبا قال دائما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وله الدين واصبا قال دائما حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبدة وأبو معاوية عن جويبر عن الضحاك وله الدين واصبا قال دائما حدثني المثنى قال أخبرنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وله الدين واصبا أي دائما فان الله تبارك وتعالى لم يدع شيأ من خلقه الا عبده طائعا أو كارها حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة واصبا قال دائما ألا ترى أنه يقول عذاب واصب أي دائم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وله الدين واصبا قال دائما والواصب الدائم * وقال آخرون الواصب في هذا الموضع الواجب ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية عن قيس عن يعلى بن النعمان عن عكرمة عن ابن عباس في قوله وله الدين واصبا قال واجبا وكان مجاهد يقول معنى الدين في هذا الموضع الاخلاص وقد ذكرنا معنى الدين في غير هذا الموضع بما أغنى عن اعادته حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثني المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وله الدين واصبا قال الاخلاص حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال الدين الاخلاص وقوله أفغير الله تتقون يقول تعالى

ضرر وانه غير مشروع فالذي يتمسك به في اثبات الاحكام من القياس اما أن يكون على وفق هذه القاعدة أو على خلافها والاول باطل لان
هذا الاصل يغني عنه وكذا الثاني لان النص راجح على القياس ولقائل أن يقول توارد الأدلة على المدلول الواحد غير ممتنع أما قوله (ولكن
يؤخرهم الى أجل مسمى) فعن ابن عباس في رواية عطاء أنه يريد أجل القيامة لان معظم العذاب يوافيهم يومئذ وقيل أراد
منتهى العمر لان المشركين يؤاخذون بالذنوب اذا خرجوا من الدنيا وباقي الآية قد مر تفسيرها في أوائل سورة الاعراف واعلم أنه سبحانه قال في هذه السورة ما ترك عليها من دابة وفي سورة الملائكة ما ترك على ظهرها فالهاء كناية عن الارض ولم يتقدم ذكرها ههنا والعرب تجوز ذلك في كلمات لحصولها بين يدي كل متكلم وسامع منها الارض والسماء فلان أفضل من عليها وأكرم من تحتها ومنها الغداة انها اليوم لباردة ومنها الاصابع يقول والذي شقهن خمسا من واحدة يعني الاصابع من اليد واعلم ان ذكر الظهر في هذه السورة لئلا يلتبس بظهر الدابة فكثيرا ما يستعمل الظهر بمعنى الدابة بخلاف سورة الملائكة فانه قد تقدم ذكر الارض في قوله أولم يسيروا في الارض وفي قوله ولا في الارض فلم يكن ملتبسا ويمكن أن يقال لما قال ههنا بظلمهم لم يقل على ظهرها وحين قال هنالك بما كسبوا قال على ظهرها احترازا عن الجمع بين الظاءين لانها تقل في الكلام وليست لأمة من الامم سوى العرب فلم يجمع بينهما في شرطية واحدة ثم عاد الى حكاية كلماتهم الحمقاء فقال (ويجعلون لله ما يكرهون) لانفسهم من البنات ولا يبعد أن يندرج فيه سائر ما يكرهون من الشركاء في الرياسة ومن الاستخفاف
والتهاون برسلهم ورسالتهم وأنهم يجعلون أرذل أموالهم لله وأكرمها للاصنام عن بعضهم أنه قال لرجل من - ليكفروا
ذوي اليسار كيف تكون يوم القيامة اذا قال الله تعالى هاتوا ما دفع الى السلاطين وأعوانهم فيؤتى بالدواب والثياب وأنواع الاموال الفاخرة
واذا قال هاتوا ما دفع الى فيؤتى بالكسر والخرق وما لا يؤبه له أما تستحي من ذلك الموقف ثم قال (وتصف ألسنتهم الكذب) قال الفراء

ذكره أفغير الله أيها الناس تتقون أي ترهبون وتحذرون أن يسلبكم نعمة الله عليكم باخلاصكم العبادة لربكم وافرادكم الطاعة له وما لكم نافع سواه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون﴾ اختلف أهل العربية في وجه دخول الفاء في قوله فمن الله فقال بعض البصريين دخلت الفاء لان ما بمنزلة من فجعل الخبر بالفاء * وقال بعض الكوفيين ما في معنى جزاء ولها فعل مضمر كأنك قلت ما يكن بكم من نعمة فمن الله لان الجزاء لابد له من فعل مجزوم ان ظهر فهو جزم وان لم يظهر فهو مضمر كما قال الشاعر

ان العقل في أموالنا لا نضق به * ذراعا وان صبرا فنعرف للصبر

وقال أراد ان يكن العقل فأضمره قال وان جعلت ما بكم في معنى الذي جاز وجعلت صلته بكم وما في موضع رفع بقوله فمن الله وأدخل الفاء كما قال ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم وكل اسم وصل مثل من وما والذي فقد يجوز دخول الفاء في خبره لأنه مضارع للجزاء والجزاء قد يجاب بالفاء ولا يجوز أخوك فهو قائم لأنه اسم غير موصول وكذلك تقول مالك لي فان قلت مالك جاز أن تقول مالك فهو لي وان ألقيت الفاء فصواب وتأويل الكلام ما يكن بكم في أبدانكم أيها الناس من عافية وصحة وسلامة وفي أموالكم من نماء فالله المنعم عليكم بذلك لا غيره لان ذلك اليه وبيده ثم اذا مسكم الضر يقول اذا أصابكم في أبدانكم سقم ومرض وعلة عارضة وشدة من عيش فاليه تجأرون يقول فالى الله تصرخون بالدعاء وتستغيثون به ليكشف ذلك عنكم وأصله من جؤار الثور يقال منه جأر الثور يجأر جؤارا وذلك اذا رفع صوتا شديدا من جوع أو غيره ومنه قول الأعشى

وما أيبلي على هيكل * بناه وصلب فيه وصارا
يراوح من صلوات المليك * طورا سجودا وطورا جؤارا

يعني بالجؤار الصياح اما بالدعاء واما بالقراءة * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثني المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله فاليه تجأرون قال تضرعون دعاء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال أخبرنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال الضر السقم

۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون﴾ يقول تعالى ذكره ثم اذا وهب لكم ربكم العافية ورفع عنكم ما أصابكم من المرض في أبدانكم ومن الشدة في معاشكم وفرج البلاء عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون يقول اذا جماعة منكم يجعلون لله شريكا في عبادتهم فيعبدون الأوثان ويذبحون لها الذبائح شكرا لغير من أنعم عليهم بالفرج مما كانوا فيه من الضر

والزجاج أبدل منه قوله (أن لهم الحسنى) عن مجاهد أن الحسنى البنون كانت قريش يقولون لله البنات ولنا البنون وقال غيره هي الجنة أي انهم مع جعلهم لله ما يكرهون حكموا لانفسهم بالجنة والثواب من الله وأنهم يفوزون برضوان الله بسبب هذا القول زعما منهم أنهم على الدين الحق والمذهب الحسن وكيف يحكمون بذلك وكانوا منكرين للقيامة (٨٣) الجواب أنه كان فيهم من يقر بالبعث ولذلك كانوا يربطون البعير على قبر الميت ويتركونه الى أن يموت ظنا منهم أن الميت اذا حشر فانه يحشر معه مركوبه وبتقدير أنهم كانوا منكرين فلعلهم قالوا ان كان محمد صلى الله عليه وسلم صادقا في دعوى الحشر والقيامة فانه يحصل لنا الجنة والثواب بسبب هذا الدين الحق الذي نحن عليه نظيره ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى ومن الناس من رجح هذا القول لانه تعالى رد عليهم بعد ذلك بقوله (لا جرم أن لهم النار) قال الزجاج لا رد لقولهم أي ليس الامر كما وصفوا جرم أي كسب ذلك القول أن لهم النار فأن مع ما بعده في محل النصب لوقوع الكسب عليه وقال قطرب أن في موضع رفع والمعنى حق أن لهم النار (وأنهم مفرطون) من قرأ بكسر الراء المخففة فهو من الافراط في المعاصي وفي الافتراء على الله وجوز أبو علي الفارسي أن يكون من أفرط أي صار ذا فرط مثل أجرب أي صار ذا جرب ومن قرأ بفتحها مخففة فهو من أفرطت فلانا خلفي اذا خلفته ونسيته والمعنى انهم متروكون في النار منسيون ومن قرأ بكسر الراء المشددة فهو من التفريط في الطاعات وقرئ بفتح الراء المشددة من فرطته في طلب الماء اذا قدمته وجاء أفرطته بمعناه أيضا فالمراد أنهم مقدمون الى النار معجلون اليها ثم بين سبحانه أن مثل صنيع قريش قد صدر عن سائر الامم فقال (تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك أي رسلا (فزين لهم الشيطان أعمالهم) قالت المعتزلة لو كان خالق الاعمال هو الله تعالى فامعنى تزيين الشيطان ومن أي وجه توجه عليه الذم وأن خالق ذلك العمل أجدر بأن يكون وليا لهم من الداعي اليه وأجيب بأن الوسائط معتبرة وانتهاء الكل اليه ضروري قال جار الله (فهو وليهم اليوم) حكاية الحال الماضية التي كان يزين لهم الشيطان أعمالهم فيها والمراد فهو وليهم

ليكفروا بما آتيناهم يقول ليجحدوا الله نعمته فيما آتاهم من كشف الضر عنهم فتمتعوا فسوف تعلمون وهذا من الله وعيد لهؤلاء الذين وصف صفتهم في هذه الآيات وتهديد لهم يقول لهم جل ثناؤه تمتعوا في هذه الحياة الدنيا الى أن توافيكم آجالكم وتبلغوا الميقات الذي وقته لحياتكم وتمتعكم فيها فانكم من ذلك ستصيرون الى ربكم فتعلمون بلقائه وبال ما كسبت أيديكم وتعرفون سوء مغبة أمركم وتندمون حين لا ينفعكم الندم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسئلن عما كنتم تفترون﴾ يقول تعالى ذكره ويجعل هؤلاء المشركون من عبدة الاوثان لما لا يعلمون منه ضرا ولا نفعا نصيبا يقول حظا وجزاء مما رزقناهم من الاموال اشراكا منهم له بالذي يعلمون أنه خلقهم وهو الذي ينفعهم ويضرهم دون غيره كالذي **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم قال يعلمون أن الله خلقهم ويضرهم وينفعهم ثم يجعلون لما لا يعلمون أنه يضرهم ولا ينفعهم نصيبا مما رزقناهم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم وهم مشركو العرب جعلوا لأوثانهم نصيبا مما رزقناهم وجزأ من أموالهم يجعلونه لأوثانهم **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم قال جعلوا لآلهتهم التي ليس لها نصيب ولا شئ جعلوا لها نصيبا مما قال الله من الحرث والانعام يسمون عليها أسماءها ويذبحون لها وقوله تالله لتسئلن عما كنتم تفترون يقول تعالى ذكره والله أيها المشركون الجاعلون للآلهة والانداد نصيبا فيما رزقناكم شركا بالله وكفرا ليسألنكم الله يوم القيامة عما كنتم في الدنيا تفترون يعني تختلقون من الباطل والافك على الله بدعواكم له شريكا وتصييركم لأوثانكم فيما رزقكم نصيبا ثم ليعاقبنكم عقوبة تكون جزاء لكفرانكم نعمه وافترائكم عليه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم﴾ يقول تعالى ذكره ومن جهل هؤلاء المشركين وخبث فعلهم وقبح فريتهم على ربهم أنهم يجعلون لمن خلقهم ودبرهم وأنعم عليهم فاستوجب بنعمه عليهم الشكر واستحق عليهم الحمد البنات ولا ينبغي أن يكون لله ولد ذكر ولا أنثى سبحانه نزه جل جلاله بذلك نفسه عما أضافوا اليه ونسبوه من البنات فلم يرضوا بجهلهم اذ أضافوا اليه ما لا ينبغي اضافته اليه ولا ينبغي أن يكون له من الولد أن يضيفوا اليه ما يشتهونه لأنفسهم ويحبونه لها ولكنهم أضافوا اليه ما يكرهونه لانفسهم ولا يرضونه لها من البنات (١) ما يقتلونها اذا كانت لهم وفي ما التي في قوله ولهم ما يشتهون وجهان من العربية النصب عطفا لها على البنات فيكون معنى الكلام اذا أريد ذلك ويجعلون لله البنات ولهم البنين الذين يشتهون فيكون ما للبنين والرفع على أن الكلام مبتدأ من قوله ولهم ما يشتهون فيكون معنى الكلام ويجعلون لله البنات ولهم البنون وقوله واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا يقول واذا بشر أحد هؤلاء الذين جعلوا لله البنات بولادة ما يضيفه اليه من ذلك له ظل وجهه مسودا

(١) لعله ويقتلونها بالواو فتأمل

أي قرينهم في الدنيا فجعل اليوم عبارة عن زمان الدنيا أو اليوم عبارة عن يوم الآخرة الذي يعذبون فيه في النار فهو حكاية الحال الآتية والولي الناصر أي هو ناصرهم يوم القيامة فقط والمراد نفي الناصر عنهم على أبلغ الوجوه لان الشيطان لا يتصور منه النصرة أصلا واذا كان الناصر منحصرا فيه لزم أن لا نصرة بالضرورة قال ويجوز أن يرجع الضمير في وليهم الى مشركي قريش وأنه زين للكفار قبلهم أعمالهم فهو ولي هؤلاء لانهم منهم ويجوز أن يكون على حذف المضاف أي فهو ولي أمثالهم اليوم ثم ذكر سبحانه أنه ماهلك من هلك الابعد اقامة الحجة وازاحة العلة فقال (وما أنزلنا عليك الكتاب الالتبين لهم الذي اختلفوا فيه) كالشرك والتوحيد والجبر والقدر والاقرار بالبعث والانكار له وكتحريم الاشياء المحللة كالبحيرة والسائبة وتحليل الاشياء المحرمة كالميتة والدم (وهدى ورحمة) انتصابا على أنهما مفعول لهما ولا حاجة الى اللام لانهما فعلا فاعل الفعل المعلل بخلاف التبيين فانه فعل المخاطب لا فعل المنزل ولهذا دخل عليه اللام قال الكعبي وصف القرآن بكونه هدى ورحمة (لقوم يؤمنون) لا ينافي كونه كذلك في حق الكل وخص المؤمنون بالذكر من حيث انهم قبلوه وانتفعوا به ولما امتد الكلام في وعيد الكفار عاد الى تقرير الالهيات فقال (والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الارض بعد موتها) وفي العنكبوت من بعد موتها لان هنالك سؤال تقرير والتقرير يحتاج الى التحقيق فقيد الظرف بمن للاستيعاب وأيضا حذف من في هذه السورة موافقة لقوله عما قريب لكيلا يعلم بعد علم شيأ وانما حذف من هنا بخلاف ما في الحج لانه أجمل الكلام في هذه السورة فقال والله خلقكم ثم يتوفاكم وأطنب في الحج فقال خلقكم من تراب ثم من نطفة الآية فاقتضى الايجاز الحذف والاطناب والاطيب الاثبات (ان في ذلك لآية لقوم يسمعون) سماع تأمل وتدبر فمن لم يسمع متدبرا فكأنه أصم ثم استدل بعجائب أحوال الحيوانات قائلا (وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه) وفي سورة المؤمنين مما في بطونها فذكر النحويون أن الانعام من جملة الكلمات التي لفظها مفرد ومعناها

من كراهته له وهو كظيم يقول قد كظم الحزن وامتلأ غما بولادته له فهو لا يظهر ذلك وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ثم قال واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم الى آخر الآية يقول يجعلون لله البنات ترضونهن لي ولا ترضونهن لانفسكم وذلك أنهم كانوا في الجاهلية اذا ولد للرجل منهم جارية أمسكها على هون أو دسها في التراب وهي حية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم وهذا صنيع مشركي العرب أخبرهم الله تعالى ذكره بخبث صنيعهم فأما المؤمن فهو حقيق أن يرضى بما قسم الله له وقضاء الله خير من قضاء المرء لنفسه ولعمري ما يدري أنه خير لرب جارية خير لاهلها من غلام وانما أخبركم الله بصنيعهم لتجتنبوه وتنتهوا عنه وكان أحدهم يغذو كلبه ويئد ابنته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس وهو كظيم قال حزين حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك في قوله وهو كظيم قال الكظيم الكميد وقد بينا ذلك بشواهده في غير هذا الموضع ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون﴾ يقول تعالى ذكره يتوارى هذا المبشر بولادة الانثى من الولد له من القوم فيغيب عن أبصارهم من سوء ما بشر به يعني من مساءته اياه مميلا بين أن يمسكه على هون أي على هوان وكذلك ذلك في لغة قريش فيما ذكر لي يقولون للهوان الهون ومنه قول الحطيئة

فلما خشيت الهون والعير ممسك * على رغمه ما أثبت الحبل حافره

وبعض بني تميم جعل الهون مصدرا للشيء الهين ذكر الكسائي أنه سمعهم يقولون ان كنت لقليل هون المؤنة منذ اليوم قال وسمعت الهوان في مثل هذا المعنى سمعت منهم قائلا يقول لبعير له ما به بأس غير هوانه يعني خفيف الثمن فاذا قالوا هو يمشي على هونه لم يقولوه الا بفتح الهاء كما قال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا أم يدسه في التراب يقول يدفنه حيا في التراب فيئده كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج أيمسكه على هون أم يدسه في التراب يئد ابنته وقوله ألا ساء ما يحكمون يقول ألا ساء الحكم الذي يحكم هؤلاء المشركون وذلك أن جعلوا لله ما لا يرضون لأنفسهم وجعلوا لما لا ينفعهم ولا يضرهم شركا فيما رزقهم الله وعبدوا غير من خلقهم وأنعم عليهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم﴾ وهذا خبر من الله جل ثناؤه أن قوله واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم والآية التي بعدها مثل ضربه الله لهؤلاء المشركين الذين جعلوا لله البنات فبين بقوله للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء أنه مثل وعنى بقوله جل ثناؤه للذين لا يؤمنون بالآخرة الذين لا يصدقون بالمعاد والثواب والعقاب من المشركين مثل السوء وهو القبيح من المثل وما يسوء من ضرب له ذلك المثل ولله المثل الاعلى يقول ولله المثل الاعلى وهو الافضل

والأطيب والأحسن والأجمل وذلك التوحيد والاذعان له بأنه لا اله غيره * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ولله المثل الأعلى قال شهادة أن لا اله الا الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى الاخلاص والتوحيد وقوله وهو العزيز الحكيم يقول تعالى ذكره والله ذو العزة التي لا يمتنع عليه معها عقوبة هؤلاء المشركين الذين وصف وصفتهم في هذه الآيات ولا عقوبة من أراد عقوبته على معصيته اياه ولا يتعذر عليه شيء أراده وشاءه لأن الخلق خلقه والامر أمره الحكيم في تدبيره فلا يدخل تدبيره خلل ولا خطأ ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ يقول تعالى ذكره ولو يؤاخذ الله عصاة بني آدم بمعاصيهم ما ترك عليها يعني على الارض من دابة تدب عليها ولكن يؤخرهم يقول ولكن بحلمه يؤخر هؤلاء الظلمة فلا يعاجلهم بالعقوبة الى أجل مسمى يقول الى وقتهم الذي وقت لهم فاذا جاء أجلهم يقول فاذا جاء الوقت الذي وقت لهلاكهم لا يستأخرون عن الهلاك ساعة فيمهلون ولا يستقدمون قبله حتى يستوفوا آجالهم .. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن أبي الاحوص قال كاد الجعل أن يعذب بذنب بني آدم وقرأ ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا اسمعيل بن حكيم الخزاعي قال ثنا محمد بن جابر الجعفي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة قال سمع أبو هريرة رجلا وهو يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه قال فالتفت اليه فقال بلى والله ان الحبارى لتموت في وكرها هزالا بظلم الظالم حدثني يعقوب قال ثنا أبو عبيدة الحداد قال ثنا قرة بن خالد السدوسي عن الزبير بن عدي قال قال ابن مسعود خطيئة ابن آدم قتلت الجعل حدثنا أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي اسحق عن أبي عبيدة قال قال عبد الله كاد الجعل أن يهلك في جحره بخطيئة ابن آدم حدثني المثنى قال أخبرنا اسحق قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال الله فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون قال نرى أنه اذا حضر أجله فلا يؤخر ساعة ولا يقدم وما لم يحضر أجله فان الله يؤخر ما شاء ويقدم ما شاء ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون﴾ يقول تعالى ذكره ويجعل هؤلاء المشركون لله ما يكرهونه لأنفسهم وتصف ألسنتهم الكذب يقول وتقول ألسنتهم الكذب وتفتريه أن لهم الحسنى فأن في موضع نصب لانها ترجمة عن الكذب وتأويل الكلام ويجعلون لله ما يكرهونه لانفسهم ويزعمون أن لهم الحسنى الذي يكرهونه لانفسهم البنات يجعلونهن لله تعالى وزعموا أن الملائكة بنات الله وأما الحسنى التي جعلوها لانفسهم فالذكور من الأولاد وذلك أنهم كانوا يئدون الاناث من أولادهم ويستبقون الذكور منهم ويقولون لنا الذكور ولله البنات وهو نحو قوله

جمع كالرهط والقوم والنعم فجاز تذكيره حملا على اللفظ وتأنيثه حملا على المعنى قال المبرد هذا شائع في القرآن قال تعالى فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي بمعنى هذا الشيء الطالع وقال ان هذه تذكرة فمن شاء ذكره أي ذكر هذا الشيء وعند سيبويه الانعام من الاسماء المفردة الواردة على أفعال وجوز في الكشاف أن يكون تأنيثه على أنه تكسير نعم وقيل ان الانعام بمعنى النعم لان الالف واللام تلحق الآحاد بالجمع والجمع بالآحاد قلت ما ذكره الائمة حسن الا أنه لا يقع جوابا عن التخصيص ولعل السر فيه أن الضمير في هذه السورة يعود الى البعض وهو الاناث لان اللبن لا يكون للكل فالتقدير وان لكم في بعض الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه وأما في المؤمنين فانه لما عطف عليه ما يعود على الكل ولا يقتصر على البعض وهو قوله ولكم فيها منافع ومنها تأكلون وعليها لم يحتمل أن يكون المراد به البعض فأنث ليكون نصا على أن المراد بها الكل روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس انه قال اذا استقر العلف في الكرش صار أسفله فرثا وأعلاه دما وأوسطه لبنا خالصا فيجري الدم في العروق واللبن في الضروع ويبقى الفرث كما هو فذلك هو قوله تعالى (من بين فرث ودم لبنا خالصا) لا يشوبه الدم ولا الفرث وأنكر الاطباء هذا القول لانه على خلاف الحس والتجربة أما الحس فلان الانعام تذبح ذبحا متواليا ولا يرى في كرشها دم ولا لبن وأما التجربة فلان الدم لو كان في أعلى المعدة والكرش كان يجب اذا قاء أن يقيء الدم وليس كذلك بل الحق أن الحيوان اذا تناول العلف حصل له في معدته أو كرشه هضم أول فما كان منه صافيا انجذب الى الكبد وما كان كثيفا نزل الى الامعاء ثم الذي يحصل في الكبد ينطبخ فيها ويصير دما وذلك هو الهضم الثاني ويكون مخلوطا بالصفراء والسوداء وزيادة المائية أما الصفراء فتذهب الى المرارة والسوداء الى الطحال والماء الى الكلية ومنها الى المثانة وأما الدم فانه يدخل في الأوردة وهي العروق النابتة من الكبد وهنالك يحصل الهضم الثالث وبين الكبد والضرع عروق كثيرة فينصب الدم في تلك العروق الى الضرع وهو لحم غددي رخو أبيض فيقلب الله

الدم هنالك الى صورة اللبن وانما اختص هذا المعنى بالحيوان الانثى لان الحكمة الالهية اقتضت تدبير كل شئ على الوجه اللائق به والذكر من كل حيوان أسخن وأجف والانثى أبرد وأرطب لان بدن الانثى يحتاج الى مزيد رطوبة لتصير مادة لتولد الولد ويتسع بدنها له ثم ان تلك الرطوبات التى كانت تصير مادة لازدياد (٨٦) بدن الجنين حين كان فى الرحم تنصب بعد انفصال الجنين الى الثدى لتصير مادة لغذاء

ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى قال قول قريش لنا البنون ولله البنات حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله الا أنه قال قول كفار قريش حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أى يتكلمون بأن لهم الحسنى أى الغلمان حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أن لهم الحسنى قال الغلمان وقوله لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون يقول تعالى ذكره حقا واجبا أن لهؤلاء القائلين لله البنات الجاعلين له ما يكرهونه لانفسهم ولانفسهم الحسنى عند الله يوم القيامة النار وقد بينا تأويل قول الله لا جرم فى غير موضع من كتابنا هذا بشواهده بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وروى عن ابن عباس فى ذلك ما حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله لا جرم يقول بلى وقوله لا جرم كان بعض أهل العربية يقول لم تنصب جرم بلا كما نصبت الميم من قوله لا غلام لك قال ولكنها نصبت لأنها فعل ماض مثل قول القائل قعد فلان وجلس والكلام لا رد لكلامهم أى ليس الأمر هكذا جرم كسب مثل قوله لا أقسم ونحو ذلك وكان بعضهم يقول نصب جرم بلا وانما هو بمعنى لابد ولا محالة ولكنها كثرت فى الكلام حتى صارت بمنزلة حقا وقوله وأنهم مفرطون يقول تعالى ذكره وأنهم مخلفون متروكون فى النار منسيون فيها واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال أكثرهم بنحو ما قلنا فى ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار وابن وكيع قالا ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير فى هذه الآية لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون قال منسيون مضيعون حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقى قال ثنا زيد بن حباب قال أخبرنا سعيد عن أبى بشر عن سعيد بن جبير مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا بهز بن أسد عن شعبة قال أخبرنى أبو بشر عن سعيد بن جبير مثله حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير فى قوله لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون قال متروكون فى النار منسيون فيها حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال حصين أخبرنا عن سعيد بن جبير بمثله حدثنى المثنى قال أخبرنا الحجاج بن المنهال قال ثنا هشيم عن حصين عن سعيد ابن جبير بمثله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وأنهم مفرطون قال منسيون حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله

الطفل واعلم أنه تعالى خلق فى أسفل المعدة منفذا يخرج منه ثفل الغذاء فاذا تناول الانسان غذاء أو شربة رقيقة انطبق ذلك المنفذ انطباقا كليا الى أن يكمل انهضامه فى المعدة وينجذب ما صفا منه الى الكبد ويبقى الثفل هنالك فحينئذ ينفتح ذلك المنفذ وينزل منه ذلك الثفل فهذا الانطباق والانفتاح بحسب الحاجة وبقدر المنفعة مما لا يتأتى الا بتقدير الفاعل الحكيم وأيضا انه أودع فى الكبد قوة جاذبة للاجزاء اللطيفة التى فى ذلك المأكول والمشروب طابخة لها حتى تنقلب دما دون الاجزاء الكثيفة وفى المعدة بالعكس وأودع فى المرارة قوة جاذبة للصفراء وفى الكلية قوة جاذبة لزيادة المائية وتخصيص كل واحد من هذه الاعضاء بفعله الخاص به لا يمكن الا بتدبير العليم الخبير وكذا الكلام فى انصباب مادة اللبن الى الثدى فى وقت يحتاج الطفل الى الغذاء وتوزعها على جميع البدن فى غير ذلك الوقت ثم انه تعالى أحدث فى حلمة الثدى ثقوبا صغيرة يخرج اللبن الخالص منها وقت المص أو الحلب فهى بمنزلة المصفاة اللبن يخرج اللطيف منها ويبقى الكثيف فبهذا الطريق يصير خالصا سائغا للشاربين أى سهل المرور فى الحلق حتى قيل انه لم يغص أحد باللبن قط ومن عجائب حال اللبن اجتماعه من أجسام مختلفة الطبائع مع أنها واحدة فى الحس فمنها الدهن وهو حار رطب ومنها الاجزاء المائية وهى باردة رطبة ومنها الجبن وهو بارد يابس وكلها حاصلة من عشب واحد ثم انه تعالى ألهم الطفل الصغير مص الثدى عند انفصاله من الام وكل ذلك دليل على عناية كاملة ورحمة شاملة وعلم تام وقدرة باهرة قال المحققون فى تقليب العشب فى هذه الاطوار الى أن يصير لبنا خالصا سائغا دليل على أنه

حدثنا

حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبدة وأبو معاوية وأبو خالد عن جويبر عن الضحاك وأنهم مفرطون قال متروكون في النار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن القاسم عن مجاهد مفرطون قال منسيون حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد قال ثنى أبي عن الحسين عن قتادة وأنهم مفرطون يقول مضاعون حدثنا ابن المثنى قال ثنا بدل قال ثنا عباد بن راشد قال سمعت داود بن أبي هند في قول الله وأنهم مفرطون قال منسيون في النار * وقال آخرون معنى ذلك أنهم معجلون الى النار مقدمون اليها وذهبوا في ذلك الى قول العرب أفرطنا فلانا في طلب الماء اذا قدموه لاصلاح الدلاء والأرشية وتسوية ما يحتاجون اليه عند ورودهم عليه فهو مفرط فأما المتقدم نفسه فهو فارط يقال قد فرط فلان أصحابه يفرطهم فرطا وفروطا اذا تقدمهم وجمع فارط فراط ومنه قول القطامي

واستعجلونا وكانوا من صحابتنا * كما تعجل فراط لوراد

ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم أنا فرطكم على الحوض أي متقدمكم اليه وسابقكم حتى تردوه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأنهم مفرطون يقول معجلون الى النار حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وأنهم مفرطون قال قد فرطوا في النار أي معجلون * وقال آخرون معنى ذلك مبعدون في النار ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أشعث السمان عن الربيع عن أبي بشر عن سعيد وأنهم مفرطون قال مخسؤون مبعدون .. وأولى الاقوال في ذلك بالصواب القول الذي اخترناه وذلك أن الافراط الذي هو بمعنى التقديم انما يقال فيمن قدم مقدما لاصلاح ما يقدم اليه الى وقت ورود من قدمه عليه وليس بمقدم من قدم الى النار من أهلها لاصلاح شئ فيها لوارد يرد عليها فيوافقه مصلحا وانما تقدم من قدم اليها العذاب يعجل له فاذا كان ذلك معنى الافراط الذي هو تأويل التعجيل ففسد أن يكون له وجه في الصحة صح المعنى الآخر وهو الافراط الذي بمعنى التخليف والترك وذلك أنه يحكى عن العرب ما أفرطت ورائي أحدا أي ما خلفته وما فرطته أي لم أخلفه واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المصرين الكوفة والبصرة وأنهم مفرطون بتخفيف الراء وفتحها على معنى ما لم يسم فاعله من أفرط فهو مفرط وقد بينت اختلاف قراءة ذلك كذلك في التأويل وقرأه أبو جعفر القارئ وأنهم مفرطون بكسر الراء وتشديدها بتأويل أنهم مفرطون في اداء الواجب كان لله عليهم في الدنيا من طاعته وحقوقه مضيعو ذلك من قول الله تعالى يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وقرأه نافع بن أبي نعيم وأنهم مفرطون بكسر الراء وتخفيفها حدثني بذلك يونس عن ورش عنه بتأويل أنهم مفرطون في الذنوب والمعاصي مسرفون على أنفسهم مكثرون منها من قولهم أفرط فلان في القول اذا تجاوز حده وأسرف فيه والذي هو أولى القراآت في ذلك بالصواب قراءة الذين ذكرنا قراءتهم من أهل العراق لموافقتها تأويل أهل التأويل الذي ذكرنا قبل وخروج القراآت الأخر عن تأويلهم

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم

تعالى قادر على تقليب الانسان في أطواره الى أن يصير مستعد البقاء الابدي واللقاء السرمدي قال جار الله ومن في مما في بطونه للتبعيض ومن في قوله من بين فرث لابتداء الغاية فهو صلة لنسقيكم كقولك سقيته من الحوض وجوز أن يكون حالا من قوله لبنا مقدما عليه فيتعلق بمحذوف أي كائنا من بين كذا وكذا وانما قدم لانه موضع العبرة فهو جدير بالتقديم قالت الشافعية ليس بمستنكر أن يسلك المني مسلك البول وهو طاهر كما أنه يخرج اللبن من بين الفرث والدم طاهرا وأما قوله (ومن ثمرات النخيل والاعناب) فاما أن يتعلق بمحذوف أي ونسقيكم من ثمرات النخيل ومن الاعناب اذا عصرت وحذف لدلالة ما تقدم عليه فيكون قوله تتخذون منه بيانا وكشفا عن كنه حقيقة الاسقاء واما أن يتعلق بتتخذون فيكون قوله منه تكريرا للظرف لاجل التأكيد نظيره قولك زيد في الدار فيها وانما ذكر الضمير في منه لانه يعود الى المذكور أو الى المضاف المحذوف الذي هو العصير كأنه قيل ومن عصير ثمرات النخيل ومن عصير الاعناب تتخذون منه واحتمل أن يكون تتخذون صفة موصوف محذوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم أي وما منا الا ملك فالتقدير ومن ثمرات النخيل ومن الاعناب ثمر تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا لانهم يأكلون بعضها ويتخذون من بعضها السكر وهو الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا وعلى هذا التفسير ففي الآية قولان أحدهما وروى عن الشعبي والنخعي أنها منسوخة فان السورة مكية وتحريم الخمر نزل في المائدة وهي مدنية وثانيهما أنها جامعة بين العتاب والمنة وذكر المنفعة لا ينافي الحرمة على أن في الآية تنبيها على الحرمة أيضا لانه ميز بينها وبين الرزق الحسن في الذكر فوجب في السكر أن لا يكون رزقا حسنا الا بحسب الشهوة بل بحسب الشريعة هذا ما عليه الاكثرون وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند أبي حنيفة الى حد السكر واحتج بان الآية دلت على أن السكر حلال لانه تعالى ذكره في معرض الانعام والمنة ودل الحديث على أن الخمر حرام لعينها وهذا يقتضي أن يكون السكر شيئا غير الخمر وكل

من أثبت هذه المغايرة قال انه النبيذ المطبوخ ويحكى عن أبي علي الجبائي أنه صنف كتابا في تحليل النبيذ فلما أخذت منه السن العالية قيل له لو شربت منه ما تتقوى به فأبى فقيل له فقد صنفت في تحليله فقال تناولته أيدي الشيطان فقبح عند ذوي المروآت والاقدار وقيل السكر الطعم قاله أبو عبيدة وقيل السكر والرزق الحسن واحد كأنه قيل تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن ومن أعجب أحوال الحيوان حال النحل المناسب عسلها اللبن في موافقة اللذة وفي الخروج من البطن فلذلك أفردها بالذكر عقيب ذلك قائلا (وأوحى ربك) يا محمد أو يا انسان الى النحل أي ألهمها وعلمها على وجه هو أعلم به ولقد حق لغريب أمرها وعجيب صنعتها أن يطلق عليه لفظ الايحاء وذلك أنها تبني البيوت المسدسة من الاضلاع المتساويات التي لا يمكن للعقلاء تركيب أمثالها الا بالمساطر والفرجارات وقد علم من الهندسة أن تلك البيوت لو كانت مشكلة بما سوى المسدسات فانه يبقى بالضرورة فيما بينها فرج خالية ضائعة فاهتداء ذلك الحيوان الضعيف الى هذه الحكمة الدقيقة من الاعاجيب ومن غرائب أمرها أن لها رئيسا هو أعظم جثة من الباقين وهم يخدمونه و يتبعون نهيه وأمره ومنها أنها اذا نفرت عن وكرها ذهبت مع الجمعية الى موضع آخر فاذا أرادوا عودها الى وكرها ضربوا الطبول والملاهي وآلات الموسيقى وبواسطة تلك الالحان يقدرون على ردها الى أوكارها وبالجملة فان غرائب هذا الحيوان أكثر من أن تحصى وأشهر من أن تخفى والغرض أن امتياز هذا الحيوان بهذه الخواص العجيبة الدالة على الذكاء والكياسة حالة شبيهة بالوحي بمعنى الالهام قال الزجاج يجوز أن يقال سميت نحلا لانه تعالى نحل الناس العسل بواسطتها وهي مؤنثة في لغة أهل الحجاز ولذلك قال تعالى (أن اتخذي) وهي أن المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول ومعنى من في قوله (من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون) أي يبنون ويرفعون البعضية لانها لا تبني بيوتا في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولكنها تبني في مساكن توافقها وتليق بها وكثيرا ما يتعهدها الناس وتصلح أحوالها (ثم كلي من كل الثمرات) أي بعضا من كل

سقى

فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم﴾ يقول تعالى ذكره مقسما بنفسه عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم والله يا محمد لقد أرسلنا رسلا من قبلك الى أممها بمثل ما أرسلناك الى أمتك من الدعاء الى التوحيد لله واخلاص العبادة له والاذعان له بالطاعة وخلع الانداد والآلهة فزين لهم الشيطان أعمالهم يقول فحسن لهم الشيطان ما كانوا عليه من الكفر بالله وعبادة الاوثان مقيمين حتى كذبوا رسلهم وردوا عليهم ما جاؤهم به من عند ربهم فهو وليهم اليوم يقول فالشيطان ناصرهم اليوم في الدنيا وبئس الناصر ولهم عذاب أليم في الآخرة عند ورودهم على ربهم فلا ينفعهم حينئذ ولاية الشيطان ولا هي نفعتهم في الدنيا بل ضرتهم فيها وهي لهم في الآخرة أضر ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وما أنزلنا يا محمد عليك كتابنا وبعثناك رسولا الى خلقنا الا لتبين لهم ما اختلفوا فيه من دين الله فتعرفهم الصواب منه والحق من الباطل وتقيم عليهم بالصواب منه حجة الله الذي بعثك بها وقوله وهدى ورحمة لقوم يؤمنون يقول وهدى بيانا من الضلالة يعني بذلك الكتاب ورحمة لقوم يؤمنون به فيصدقون بما فيه ويقرون بما تضمن من أمر الله ونهيه ويعملون به وعطف بالهدى على موضع ليبين لان موضعها نصب وانما معنى الكلام وما أنزلنا عليك الكتاب الا بيانا للناس فيما اختلفوا فيه وهدى ورحمة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الارض بعد موتها ان في ذلك لآية لقوم يسمعون﴾ يقول تعالى ذكره منبه خلقه على حججه عليهم في توحيده وأنه لا تنبغي الالوهة إلا له ولا تصلح العبادة لشئ سواه أيها الناس معبودكم الذي له العبادة دون كل شئ أنزل من السماء ماء يعني مطرا يقول فأنبت بما أنزل من ذلك الماء من السماء الارض الميتة التي لا زرع بها ولا عشب ولا نبت بعد موتها بعد ما هي ميتة لا شئ فيها ان في ذلك لآية يقول تعالى ذكره ان في احيائنا الارض بعد موتها بما أنزلنا من السماء من ماء لدليلا واضحا وحجة قاطعة عذر من فكر فيه لقوم يسمعون يقول لقوم يسمعون هذا القول فيتدبرونه ويعقلونه ويطيعون الله بما دلهم عليه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين﴾ يقول تعالى ذكره وان لكم أيها الناس لعظة في الانعام التي نسقيكم مما في بطونه واختلفت القراء في قراءة قوله نسقيكم فقرأته عامة أهل مكة والعراق والكوفة والبصرة سوى عاصم ومن أهل المدينة أبو جعفر نسقيكم بضم النون بمعنى أنه أسقاهم شرابا دائما وكان الكسائي يقول العرب تقول أسقيناهم نهرا وأسقيناهم لبنا اذا جعلته شربا دائما فاذا أرادوا أنهم أعطوه شربة قالوا سقيناهم فنحن نسقيهم بغير ألف وقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة سوى أبي جعفر ومن أهل العراق عاصم نسقيكم بفتح النون من سقاه الله فهو يسقيه والعرب قد تدخل الالف فيما كان من السقي غير دائم وتنزعها فيما كان دائما وان كان أشهر الكلامين عندها ما قال الكسائي يدل على ما قلنا من ذلك قول لبيد في صفة سحاب

ثمرة تشتهينها فاذا أكلتها (فاسلكي سبل ربك) أي الطرق التي ألهمك وفهمك في عمل العسل (ذللا) جمع ذلول وهي حال من السبل لان الله ذللها وسهلها عليها أو من الضمير في فاسلكي أي وأنت ذلك منقادة لما أمرت به غير ممتنعة أو المراد فاسلكي ما أكلت في سبل ربك المذللة أي في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا وهي أجوافك ومنافذ ما أكلت أو أراد أنك اذا أكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تضلين فيها فقد يحكى أنها ربما أجدب عليها ما حولها فتسافر الى البلد البعيد في طلب النجعة ويجوز أن يريد بقوله ثم كلي اقصدي أكل الثمرات فاسلكي في طلبها في مظانها سبل ربك واعلم أن ظاهر قوله أن اتخذي ثم كلي فاسلكي أمر فمن الناس من قال لا يبعد أن يكون لهذه الحيوانات عقول يتوجه بها عليها من الله أمر ونهي ومنهم من أنكر ذلك وقال المراد أنه سبحانه خلق فيها غرائز وطبائع توجب هذه الاحوال وتمام الكلام فيه سيجيء في سورة النمل أما حدوث العسل من النحل فالأصح عند الاطباء أن الله تعالى دبر هذا العالم على وجه يحدث في الهواء طل لطيف في الليالي ويقع على أوراق الأشجار فقد يكون كثيرا يجتمع منه أجزاء محسوسة وهي الترنجبين ونحوه وقد يكون قليلا متفرقا على الاوراق والأزهار وهو الذي ألهم الله تعالى هذا النحل فتلتقط تلك الذرات بأفواهها وتأكلها وتغتذي بها فاذا شبعت التقطت مرة أخرى وذهبت بها ووضعتها في بيوتها ادخارا لنفسها فاذا اجتمع في بيوتها شيء محسوس من تلك الأجزاء الطلية فذلك هو العسل ولا يبعد أن يحصل لتلك الأجزاء في افواهها نوع هضم وتغير ونضج لخاصية فيها فلذلك قال يخرج من بطونها أي من أفواهها ومن الناس من زعم أن النحل تأكل من الازهار الطيبة والاوراق العطرية ما شاءت ثم انه تعالى يقلب تلك الاجسام في داخل بدنه عسلا ثم انه يقيء مرة أخرى فذلك هو العسل قال العقلاء والقول الاول أقرب الى التجربة والقياس فان طبيعة الترنجبين قريبة من العسل في الطعم والشكل ولا شك أنه طل يحدث في

سقى قومي بني مجد وأسقى ... نميرا والقبائل من هلال

فجمع اللغتين كلتيهما في معنى واحد فاذا كان ذلك كذلك فبأية القراءتين قرأ القارئ فمصيب غير أن أعجب القراءتين الي قراءة ضم النون لما ذكرت من أن أكثر الكلام عند العرب فيما كان دائما من السقي أسقى بالالف فهو يسقي وما أسقى الله عباده من بطون الانعام فدائم لهم غير منقطع عنهم وأما قوله مما في بطونه وقد ذكر الانعام قبل ذلك وهي جمع والهاء في البطون موحدة فان لأهل العربية في ذلك أقوالا فكان بعض نحويي الكوفة يقول النعم والانعام شيء واحد لانهما جميعا جمعان فرد الكلام في قوله مما في بطونه الى التذكير مرادا به معنى النعم اذ كان يؤدي عن الانعام ويستشهد لقوله ذلك برجز بعض الاعراب

اذا رأيت أنجما من الاسد ... جبهته أو الخراة والكتد

بال سهيل في الفضيخ ففسد ... وطاب ألبان اللقاح فبرد

ويقول رجع بقوله فبرد الى معنى اللبن لان اللبن والالبان تكون في معنى واحد وفي تذكير النعم قول الآخر

أكل عام نعم تحوونه ... يلقحه قوم وتنتجونه

فذكر النعم وكان غيره منهم يقول انما قال مما في بطونه لانه أراد مما في بطون ما ذكرنا وينشد في ذلك رجزا لبعضهم

مثل الفراخ نتفت حواصله ... وقول الاسود بن يعفر

ان المنية والحتوف كلاهما ... يوفي المخارم يرقبان سوادي

فقال كلاهما ولم يقل كلتاهما وقول الصلتان العبدي

ان السماحة والمروءة ضمنا ... قبرا بمرو على الطريق الواضح

وقول الآخر

وعفراء أدنى الناس مني مودة ... وعفراء عني المعرض المتواني

ولم يقل المعرضة المتوانية وقول الآخر

اذا الناس ناس والبلاد بغبطة ... واذ أم عمار صديق مساعف

ويقول كل ذلك على معنى هذا الشيء وهذا الشخص والسواد وما أشبه ذلك ويقول من ذلك قول الله تعالى ذكره فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي بمعنى هذا الشيء الطالع وقوله ان هذه تذكرة فمن شاء ذكره ولم يقل ذكرها لان معناه فمن شاء ذكر هذا الشيء وقوله واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون فلما جاء سليمان ولم يقل جاءت وكان بعض البصريين يقول قيل مما في بطونه لان المعنى نسقيكم من أي الانعام كان في بطونه ويقول فيه اللبن مضمر يعني أنه يسقي من أيها كان ذا لبن وذلك أنه ليس لكلها لبن وانما يسقى من ذوات اللبن والقولان الاولان أصح مخرجا على كلام العرب من هذا القول الثالث وقوله من بين فرث ودم لبنا خالصا يقول نسقيكم لبنا نخرجه لكم من بين فرث ودم خالصا يقول خلص من مخالطة الدم والفرث فلم يختلطا به سائغا للشاربين يقول يسوغ لمن شربه فلا يغص به كما يغص الغاص ببعض ما يأكله من الاطعمة وقيل انه لم يغص أحد باللبن قط * القول في تأويل قوله تعالى (ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون) يقول تعالى ذكره ولكم أيضا أيها الناس عبرة فيما

الهواء و يقع على أطراف الاشجار والازهار فكذا العسل وأيضا النحل انما تغتذي بالعسل ولهذا يترك منه بقية في بيوتها بعد الاشتيار ولكن قوله تعالى (يخرج من بطونها شراب) أي ما يشرب يعضد القول الثاني وقوله (مختلف ألوانه) أي منه أبيض وأصفر وأحمر وأسود بحسب اختلاف الاماكن وأمزجة النحل واختلاف (٩٠) الازهار والاعشاب التي ترعى فيها وصفه بقوله (فيه شفاء للناس) لانه من جملة الأشفية والأدوية المشهورة النافعة ولذا يقع في أكثر المعاجين وتنكير شفاء لتعظيم الشفاء الذي فيه أو لأن فيه بعض الشفاء فإن كل دواء كذلك وعن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا جاء اليه فقال ان أخي يشتكي بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب فاسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فشفاه الله فبرأ كأنما نشط من عقال قال أهل المعاني انه صلى الله عليه وسلم كان عالما بأنه سيظهر نفعه فلهذا قال كذب بطن أخيك حين لم يظهر النفع في الحال وعن عبد الله بن مسعود العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفاءين القرآن والعسل واعلم أنه سبحانه ختم الآية الاولى بقوله لقوم يسمعون لان انزال الماء من السماء واحياء الارض بسببه أمر مشاهد محسوس فنكر ذلك فاقد الحس وانما خص بالذكر حس السمع لان لفظ القرآن المنبه على هذه الآية مسموع وختم الآية الثانية بالعقل لانه يحتاج الى نوع تدبر فالمعرض عنه فاقد العقل دون الحس وختم الثالثة بالتفكر لان أمر النحل وقصتها العجيبة من انقيادها لأميرها واتخاذها البيوت على أشكال يعجز عنها الحاذق منا ثم تتبعها الزهر والطل ثم خروج ذلك من بطونها لعابا أو قيئا يقتضي فكرة بليغة ولما ذكر بعض عجائب أحوال الحيوان أتبعه عجيب خلق الانسان فقال الحسن (والله خلقكم) ولم تكونوا شيئا (ثم يتوفاكم) عند انقضاء آجالكم (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) الى أخسه وأحقره عن علي رضي الله عنه هو خمس وسبعون سنة وعن قتادة تسعون سنة وقال السدي هو حالة الخرف دليله قوله (لكيلا يعلم بعد علم شيئا) أي ليصير الى حالة شبيهة بحال

نسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب ما تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا مع ما نسقيكم من بطون الانعام من اللبن الخارج من بين الفرث والدم وحذف من قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب الاسم والمعنى ما وصفت وهو ومن ثمرات النخيل والاعناب ما تتخذون منه لدلالة من عليه لان من تدخل في الكلام مبعضة فاستغنى بدلالتها ومعرفة السامعين بما يقتضي من ذكر الاسم معها وكان بعض نحويي البصرة يقول في معنى الكلام ومن ثمرات النخيل والاعناب شيء تتخذون منه سكرا ويقول انما ذكرت الهاء في قوله تتخذون منه لانه أريد بها الشيء وهو عندنا عائد على المتروك وهو ما وقوله تتخذون من صفة ما المتروكة واختلف أهل التأويل في معنى قوله تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا فقال بعضهم عنى بالسكر الخمر وبالرزق الحسن التمر والزبيب وقال انما نزلت هذه الآية قبل تحريم الخمر ثم حرمت بعد ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عبيد المحاربي قال ثنا أيوب بن جابر السحيمي عن الاسود عن عمرو بن سفيان عن ابن عباس قوله تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال السكر ما حرم من شرابه والرزق الحسن ما أحل من ثمرته حدثنا ابن وكيع وسعيد بن الربيع الرازي قالا ثنا ابن عيينة عن الاسود بن قيس عن عمرو بن سفيان عن ابن عباس تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال الرزق الحسن ما أحل من ثمرتها والسكر ما حرم من ثمرتها حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن الاسود عن عمرو بن سفيان عن ابن عباس مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن الاسود بن قيس عن عمرو بن سفيان عن ابن عباس بنحوه حدثني المثنى قال ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين قال ثنا سفيان عن الاسود بن قيس عن عمرو بن سفيان عن ابن عباس بنحوه حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الاسود بن قيس قال سمعت رجلا يحدث عن ابن عباس في هذه الآية تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال السكر ما حرم من ثمرتيهما والرزق الحسن ما أحل من ثمرتيهما حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا الحسن ابن صالح عن الاسود بن قيس عن عمرو بن سفيان عن ابن عباس بنحوه حدثني المثنى قال ثنا أبو غسان قال ثنا زهير بن معاوية قال ثنا الاسود بن قيس قال ثني عمرو بن سفيان قال سمعت ابن عباس يقول وذكرت عنده هذه الآية ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال السكر ما حرم منهما والرزق الحسن ما أحل منهما حدثني يونس قال أخبرنا سفيان عن الاسود بن قيس عن عمرو بن سفيان البصري قال قال ابن عباس في قوله تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال فأما الرزق الحسن فما أحل من ثمرتيهما وأما السكر فما حرم من ثمرتيهما حدثني المثنى قال أخبرنا الحماني قال ثنا شريك عن الاسود عن عمرو بن سفيان البصري عن ابن عباس تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال السكر حرامه والرزق الحسن حلاله حدثني المثنى قال أخبرنا العباس بن أبي طالب قال ثنا أبو عوانة عن الاسود عن عمرو بن سفيان عن ابن عباس قال السكر ما حرم من ثمرتيهما والرزق الحسن ما حل من ثمرتيهما حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن أبي حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الرزق

الطفل فى النسيان وعدم التذكر وقيل لئلا يعقل بعد عقله الاول شيأ أى لا يعلم زيادة علم على علمه وقيل ان الرد الى أرذل العمر ليس فى المسلمين والمسلم لا يزداد بسبب العمر الا كرامة على الله تعالى ونظير الآية قوله ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات واعلم أن العقلاء ضبطوا مراتب عمر الانسان فى أربع أولها سن النشو وثانيها سن الوقوف وهو سن الشباب وثالثها سن الانحطاط الخفى اليسير وهو سن الكهولة ورابعها سن الانحطاط الظاهر وهو سن الشيخوخة وذكر الاطباء وأصحاب الطبيعى أن بدن الانسان مخلوق من المنى ومن دم الطمث وهما جوهران حاران رطبان والحرارة اذا عملت فى الجسم الرطب قلت رطوبته فلا يزال ما فى هذين الجوهرين من قوة الحرارة يقلل ما فى العضو من الرطوبة حتى يتصلب ويظهر العظم والغضروف والعصب والوتر والرباط وسائر الاعضاء واذا تم تكون البدن وكمل فعند ذلك ينفصل الجنين من رحم الام وتكون رطوبة البدن بعد زائدة على حرارته فتكون الاعضاء قابلة للتمدد والازدياد والنماء وهو سن النشو وغايته الى ثلاثين أو الى خمس وثلاثين سنة ثم تصير رطوبات البدن أقل وتكون وافية بحفظ الحرارة الغريزية الاصلية الا أنها لا تكون زائدة على هذا القدر وهو سن الوقوف والشباب وغايته خمس سنين وبها يتم الاربعون ثم تقل الرطوبات بحيث لا تكون وافية بحفظ الحرارة الغريزية وحينئذ يظهر النقصان قليلا الى ستين سنة وهى سن الكهولة ثم يظهر جدا الى تمام مائة وعشرين سنة قال المتكلمون هذا التعليل ضعيف لان رطوبات البدن فى حال كونه منيا ودما كانت كثيرة ولذلك كانت الحرارة الغريزية مغمورة ثم انها مع ذلك كانت قوية على تحليل أكثر الرطوبات حتى نقلتها من حد الدموية والمنوية الى أن صارت عظما وغضروفا وعصبا وأوتارا وعند ما تولدت الاعضاء وكمل البدن وقلت الرطوبات وجب أن تقوى الحرارة الغريزية قوة أزيد مما كانت قبل ذلك فوجب أن يكون تحليل الرطوبات بعد تولد البدن وكماله أكثر من تحليلها قبل تولد البدن وليس الامر كذلك لانه قبل تولد البدن انتقل جسم الدم والمنى الى أن صار عظما وعصبا وأما بعد تولد البدن

الحسن الحلال والسكر الحرام حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى حصين عن سعيد بن جبير تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال ما حرم من ثمرتيهما وما أحل من ثمرتيهما حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن أبى حصين عن سعيد بن جبير قال السكر خمر والرزق الحسن الحلال حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن مسعر وسفيان عن أبى حصين عن سعيد بن جبير قال الرزق الحسن الحلال والسكر الحرام حدثنى المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن أبى حصين عن سعيد بن جبير بنحوه حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير فى هذه الآية تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال السكر الحرام والرزق الحسن الحلال حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن أبى رزين تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال نزل هذا وهم يشربون الخمر فكان هذا قبل أن ينزل تحريم الخمر حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا شعبة عن المغيرة عن ابراهيم والشعبى وأبى رزين قالوا هى منسوخة فى هذه الآية تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا حدثنا الحسن بن عرفة قال ثنا أبو قطن عن سعيد عن المغيرة عن ابراهيم والشعبى وأبى رزين بمثله حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم فى قوله تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال هى منسوخة نسخها تحريم الخمر حدثنا محمد بن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن فى قوله تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال ذكر الله نعمته فى السكر قبل تحريم الخمر حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن منصور وعوف عن الحسن قال السكر ما حرم الله منه والرزق ما أحل الله منه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبى جعفر عن الربيع عن الحسن قال الرزق الحسن الحلال والسكر الحرام حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سلمة عن الضحاك قال الرزق الحسن الحلال والسكر الحرام حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن أبى كدينة يحيى بن المهلب عن ليث عن مجاهد قال السكر الخمر والرزق الحسن الرطب والأعناب حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن ليث عن مجاهد تتخذون منه سكرا قال هى الخمر قبل أن تحرم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد تتخذون منه سكرا قال الخمر قبل تحريمها ورزقا حسنا قال طعاما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا أما السكر فخمور هذه الاعاجم وأما الرزق الحسن فما تنتبذون وما تخللون وما تأكلون ونزلت هذه الآية ولم تحرم الخمر يومئذ وانما جاء تحريمها بعد ذلك فى سورة المائدة حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبدة بن سليمن قال قرأت على ابن أبى عذرة قال هكذا سمعت قتادة تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ثم ذكر نحو حديث بشر حدثنا محمد بن

فلم يحصل مثل هذا الانتقال ولا عشر عشيره فعلمنا أن البدن انما يتولد بتدبير قادر حكيم لا لاجل ما قالوه * وبوجه آخر الحرارة الحاصلة في بدن الانسان الكامل الغريزية اما أن تكون هي عين ما كان حاصلا في جوهر النطفة أو صارت أزيد مما كانت والاول باطل لان الحار الغريزي الحاصل في جوهر النطفة كان بمقدار جرم (٩٣) النطفة فاذا كبر البدن وجب أن لا يظهر منه في هذا البدن تأثير أصلا * وأما الثاني ففيه تسليم أن الحرارة تتزايد بحسب تزايد الجثة ولا ريب أن تزايدها يوجب تزايد القوة والصحة ساعة فساعة فيلزم أن لا ينهدم البدن الحيواني أبدا وليس كذلك * وبوجه ثالث هب أن الرطوبة الغريزية صارت معادلة للحرارة الغريزية فلم قلتم ان الحرارة الغريزية يجب أن تصير أقل مما كانت حتى ينتقل الانسان من سن الشباب الى سن النقصان قالوا السبب فيه أنه اذا حصل هذا الاستواء فالحرارة الغريزية بعد ذلك تؤثر في تجفيف الرطوبة الغريزية فتقل الرطوبات الغريزية حتى صارت بحيث لا تفي بحفظ الحرارة الغريزية واذا حصلت هذه الحال ضعفت الحرارة الغريزية أيضا لان الرطوبات الغريزية كالغذاء للحرارة الغريزية فاذا قل الغذاء ضعف المغتذي فينتهي الامر الى أن لا يبقى من الرطوبة شيء لان الحرارة الغريزية توجب قلة الرطوبة الغريزية وقلتها توجب ضعف الحرارة الغريزية فيلزم من ضعف احداهما ضعف الاخرى فتنطفئ الحرارة أيضا ويحصل الموت وأورد عليهم أن الحرارة اذا أثرت في تجفيف الرطوبة وقلتها فلم لا يجوز أن تورد القوة الغاذية بدلها فأجابوا بأن القوة الغاذية لا تفي بايراد البدل قال الامام فخر الدين الرازي أورد عليهم ان القوة الغاذية انما تعجز عن هذا الايراد اذا كانت الحرارة الغريزية ضعيفة وذلك ممنوع وانما تكون الحرارة الغريزية ضعيفة أن لو قلت الرطوبة الغريزية وانما يحصل هذه القلة اذا عجزت الغاذية عن ايراد البدل وهذا دور محال فثبت أن اسناد هذه الاحوال الى الطبائع والقوى غير ممكن فيتعين اسنادها الى القادر المختار الحكيم ولهذا ختم الآية بقوله ان الله عليم قدير يعلم مقادير المصالح والمفاسد ويقدر على تحصيلها كما يريد وأما

عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة سكرا قال هي خمور الاعاجم ونسخت في سورة المائدة والرزق الحسن قال ما تنتبذون وتخللون وتأكلون **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا وذلك أن الناس كانوا يسمون الخمر سكرا وكانوا يشربونها (١) قال ابن عباس مر رجال بوادي السكران الذي كانت قريش تجتمع فيه اذا تلقوا مسافريهم اذا جاؤا من الشام وانطلقوا معهم يشيعونهم حتى يبلغوا وادي السكران ثم يرجعوا منه ثم سماها الله بعد ذلك الخمر حين حرمت وقد كان ابن عباس يزعم أنها الخمر وكان يزعم أن الحبشة يسمون الخل السكر قوله ورزقا حسنا يعني بذلك الحلال التمر والزبيب وما كان حلالا لا يسكر * وقال آخرون السكر بمنزلة الخمر في التحريم وليس بخمر وقالوا هو نقيع التمر والزبيب اذا اشتد وصار يسكر شاربه ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو في قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال ابن عباس كان هذا قبل أن ينزل تحريم الخمر والسكر حرام مثل الخمر وأما الحلال منه فالزبيب والتمر والخل ونحوه **حدثني** المثنى وعلي بن داود قالا ثنا عبد الله ابن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله تتخذون منه سكرا فحرم الله بعد ذلك يعني بعد ما أنزل في سورة البقرة من ذكر الخمر الميسر والانصاب والازلام والسكر مع تحريم الخمر لانه منه قال ورزقا حسنا فهو الحلال من الخل والنبيذ وأشباه ذلك فأقره الله وجعله حلالا للمسلمين **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن موسى قال سألت مرة عن السكر فقال قال عبد الله هو خمر **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن أبي فروة عن أبي عبد الرحمن بن أبي ليلى قال السكر خمر **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن أبي الهيثم عن ابراهيم قال السكر خمر **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا حسن بن صالح عن مغيرة عن ابراهيم وأبي رزين قالا السكر خمر **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله تتخذون منه سكرا يعني ما أسكر من العنب والتمر ورزقا حسنا يعني ثمرتها **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال الحلال ما كان على وجه الحلال حتى غيروها فجعلوا منها سكرا * وقال آخرون السكر هو كل ما كان حلالا شربه كالنبيذ الحلال والخل والرطب والرزق الحسن التمر والزبيب ذكر من قال ذلك **حدثني** داود الواسطي قال ثنا أبو أسامة قال أبو روق ثني قال قلت للشعبي أرأيت قوله تعالى تتخذون منه سكرا أهو هذا السكر الذي تصنعه النبط قال لا هذا خمر انما السكر الذي قال الله تعالى ذكره النبيذ والخل والرزق الحسن التمر والزبيب **حدثني** يحيى بن داود قال ثنا أبو أسامة قال وذكر مجالد عن عامر نحوه **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا مندل عن ليث عن مجاهد تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال ما كانوا يتخذون من النخل النبيذ والرزق الحسن ما كانوا يصنعون من الزبيب والتمر **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا مندل عن أبي روق عن الشعبي قال قلت له ما تتخذون منه سكرا قال كانوا يصنعون من

(١) قوله قال ابن عباس الى يرجعوا منه كذا في النسخ وأورده في الدر عن ابن عباس واسقط منه هذه الجملة وهو أنسب

النبيذ

الطبيعة فاعلة عاجزة قلت لا شك أن نسبة هذه الامور الى مجرد الطبيعة كفر وجهل لانها ليست واجبة الوجود بالاتفاق ولكن انكار القوى والطبائع أيضا بعيد عن الانصاف والحق أنها وسائط وآلات لما فوقها من المبادئ والعلل الى أن ينتهي الامر الى مسبب الاسباب ومبدا الكل وقد ثبت عند الحكيم أن كل قوة جسمانية فانها متناهية الاثر فلا محالة تعجز القوة الغاذية آخر الامر عن ايراد

النبيذ والخل قلت والرزق الحسن قال كانوا يصنعون من التمر والزبيب حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة وأحمد بن بشير عن مجالد عن الشعبي قال السكر النبيذ والرزق الحسن التمر الذي كان يؤكل وعلى هذا التأويل الآية غير منسوخة بل حكمها ثابت وهذا التأويل عندي هو أولى الاقوال بتأويل هذه الآية وذلك أن السكر في كلام العرب على أحد أوجه أربعة أحدها ما أسكر من الشراب والثاني ما طعم من الطعام كما قال الشاعر * جعلت عيب الأكرمين سكرا * أي طعما والثالث السكون من قول الشاعر * وجعلت عين الحرور تسكر * وقد بينا ذلك فيما مضى والرابع المصدر من قولهم سكر فلان يسكر سكرا وسكرا وسكرا فاذا كان ذلك كذلك وكان ما يسكر من الشراب حراما بما قد دللنا عليه في كتابنا المسمى لطيف القول في أحكام شرائع الاسلام وكان غير جائز لنا أن نقول هو منسوخ اذ كان المنسوخ هو ما نفى حكمه الناسخ وما لا يجوز اجتماع الحكم به وناسخه ولم يكن في حكم الله تعالى ذكره بتحريم الخمر دليل على أن السكر الذي هو غير الخمر وغير ما يسكر من الشراب حرام اذ كان السكر أحد معانيه عند العرب ومن نزل بلسانه القرآن هو كل ما طعم ولم يكن مع ذلك اذ لم يكن في نفس التنزيل دليل على أنه منسوخ أو ورد بأنه منسوخ خبر من الرسول ولا أجمعت عليه الامة فوجب القول بما قلنا من أن معنى السكر في هذا الموضع هو كل ما حل شربه مما يتخذ من ثمر النخل والكرم وفسد أن يكون معناه الخمر أو ما يسكر من الشراب وخرج من أن يكون معناه السكر نفسه اذ كان السكر ليس مما يتخذ من النخل والكرم ومن أن يكون بمعنى السكون وقوله ان في ذلك لآية لقوم يعقلون يقول ان فيما وصفنا لكم من نعمنا التي آتيناكم أيها الناس من الانعام والنخل والكرم لدلالة واضحة وآية بينة لقوم يعقلون عن الله حججه ويفهمون عنه مواعظه فيتعظون بها * القول في تأويل قوله تعالى (وأوحى ربك الى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون) يقول تعالى ذكره وألهم ربك يا محمد النحل ايحاء اليها أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون يعني مما يبنون من السقوف فرفعوها بالبناء * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا مروان عن اسحق التميمي وهو ابن أبي الصباح عن رجل عن مجاهد وأوحى ربك الى النحل قال ألهمها الهاما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال بلغني في قوله وأوحى ربك الى النحل قال قذف في أنفسها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني أبو سفيان عن معمر عن أصحابه قوله وأوحى ربك الى النحل قال قذف في أنفسها أن اتخذي من الجبال بيوتا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وأوحى ربك الى النحل الآية قال أمرها أن تأكل من الثمرات وأمرها أن تتبع سبل ربها ذللا وقد بينا معنى الايحاء واختلاف المختلفين فيه فيما مضى بشواهده بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وكذلك معنى قوله يعرشون وكان ابن زيد يقول في معنى يعرشون ما حدثني به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يعرشون قال الكرم * القول في تأويل قوله تعالى (ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب

بدل ما يتحلل فيحل الاجل بتقدير العليم القدير * التأويل ولو يؤاخذ الله النفوس الناسية بما ظلمت على القلوب والارواح ما ترك على أرض البشرية صفة من صفات الحيوانية ولكن يؤخر أهل السعادة الى أجلهم وهو افناء صفات النفس بصفات القلب والروح في حينه وأوانه ويؤخر أهل الشقاء الى أوان العكس من ذلك ويجعلون لله ما يكرهون أي يعاملون الله باعمال يكرهون أن يعاملهم بها غيرهم وتصف ألسنتهم أن تلك المعاملة حسنة والله أنزل من سماء العزة ماء بيان القرآن فأحيا به أرض قلوب الامم بعد موتها باختلافهم على أنبيائهم ان في ذلك لآية لقوم يسمعون كلام الله من الله وان لكم في الانعام النفوس لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث الخاطر الشيطاني ودم الخاطر النفساني لبنا خالصا من الالهام الرباني سائغا للشاربين جائز لأهل هذا الشرب ومن ثمرات نخيل الطاعات وأعناب المجاهدات تتخذون منه سكرا هو ما يجعل منها شرب النفس فتسكر النفس فتارة تميل عن الحق والصراط المستقيم ميلان السكران وتارة تظهر رعوناتها بالافعال والاحوال رياء وسمعة وشهوة والرزق الحسن ما يكون منه شرب القلب والروح فيزداد منه الشوق والمحبة والصدق والطلب شعر

شربت الحب كأسا بعد كأس * فما نفد الشراب وما رويت * وأوحى ربك الى النحل اشارة الى حال السالك السائر أن اتخذي من الجبال بيوتا أراد الاعتزال عن الخلق والتبتل الى الله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحنث في غار حراء أسبوعا وأسبوعين وشهرا ولا بد أن يتنظف كما أن النحل يحترز عن التلوث وفيه أن نحل الارواح اتخذت من جبال النفوس بيوتا ومن شجر القلوب ومما يعرشون من الاسرار ثم

مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾ يقول تعالى ذكره ثم كلى أيتها النحل من الثمرات فاسلكى سبل ربك يقول فاسلكى طرق ربك ذللا يقول مذللة لك والذلل جمع ذلول * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء و حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى فاسلكى سبل ربك ذللا قال لا يتوعر عليها مكان سلكته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فاسلكى سبل ربك ذللا قال طرقا ذللا قال لا يتوعر عليها مكان سلكته وعلى هذا التأويل الذى تأوله مجاهد الذلل من نعت السبل والتأويل على قوله فاسلكى سبل ربك ذللا الذلل لك لا يتوعر عليك سبيل سلكتيه ثم أسقطت الالف واللام فنصب على الحال * وقال آخرون فى ذلك بما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاسلكى سبل ربك ذللا أى مطيعة حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ذللا قال مطيعة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فاسلكى سبل ربك ذللا قال الذلول الذى يقاد ويذهب به حيث أراد صاحبه قال فهم يخرجون بالنحل ينتجعون بها ويذهبون وهى تتبعهم وقرأ أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم الآية فعلى هذا القول الذلل من نعت النحل وكلا القولين غير بعيد من الصواب فى الصحة وجهان مخرجان غير أنا اخترنا أن يكون نعتا للسبل لانها اليها أقرب وقوله يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه يقول تعالى ذكره يخرج من بطون النحل شراب وهو العسل مختلف ألوانه لان فيه أبيض وأحمر وأسحر وغير ذلك من الالوان « قال أبو جعفر » أسحر ألوان مختلفة مثل أبيض يضرب الى الحمرة وقوله فيه شفاء للناس اختلف أهل التأويل فيما عادت عليه الهاء التى فى قوله فيه فقال بعضهم عادت على القرآن وهو المراد بها ذكر من قال ذلك حدثنا نصر بن عبد الرحمن قال ثنا المحاربى عن ليث عن مجاهد فيه شفاء للناس قال فى القرآن شفاء * وقال آخرون بل أريد بها العسل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ففيه شفاء كما قال الله تعالى من الادواء وقد كان ينهى عن تفريق النحل وعن قتلها حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر أن أخاه اشتكى بطنه فقال النبى صلى الله عليه وسلم اذهب فاسق أخاك عسلا ثم جاءه فقال ما زاده الا شدة فقال النبى صلى الله عليه وسلم اذهب فاسق أخاك عسلا فقد صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فكأنما نشط من عقال حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن أبى اسحق عن أبى الاحوص عن عبد الله قال شفاآن العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما فى الصدور حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فيه شفاء للناس العسل وهذا

كلى من الثمرات فاسلكى سبل ربك نظير قوله كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فثمرات البدن الاعمال الصالحات وثمرات النفوس الرياضات ومخالفات الهوى وثمرات القلوب ترك الدنيا والتوجه الى المولى وثمرات الاسرار شواهد الحق والتطلع على الغيوب والتقرب الى الله وهذه كلها أغذية نحل الارواح فانها بقوة هذه الاغذية تسلك السبل الى أن تصل الى المقعد الصدق عند مليكها فيكون غذاؤها مكاشفات الحق ومشاهداته فتبيت عند ربها يطعمها ويسقيها فحينئذ يخرج من بطونها شراب الحكم والمواعظ مختلف الالوان من المعانى والاسرار والدقائق والحقائق فيه شفاء للقلوب الناسية القاسية عن ذكر الله والله خلقكم أخرجكم من العدم الى الوجود ثم يتوفاكم عن الوجود المجازى ومنكم من يرد الى أرذل العمر وهو مقام الفناء فى الله لكيلا يعلم بعد فناء علمه شيأ يعلمه بل يعلم بربه الاشياء كما هى والله أعلم بالصواب ﴿والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيأ ولا يستطيعون فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شئ وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ولله غيب السموات والارض وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب ان الله على كل شئ قدير والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيأ وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون ألم يروا الى الطير مسخرات فى جو السماء ما يمسكهن الا الله [illegible] يؤمنون والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن

القول

أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا الى حين والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون ﴿﴾ القراآت تجحدون بتاء الخطاب أبو بكر وحماد الآخرون على الغيبة من بطون امهاتكم ونحوها بكسر الهمزة وفتح الميم على إمهاتكم بكسرهما حمزة الباقون بضم الهمزة وفتح الميم ألم تروا على الخطاب ابن عامر وحمزة وخلف وسهل ويعقوب ظعنكم بسكون العين عاصم وحمزة وعلى وخلف وابن عامر الباقون بفتحها ﴿﴾ الوقوف في الرزق ج لاختلاف الجملتين مع الفاء سواء ط يجحدون ٥ من الطيبات ط يكفرون ٥ لا للعطف ولا يستطيعون ٥ ج لابتداء النهى مع فاء التعقيب الأمثال ط لا تعلمون ٥ وجهرا ط هل يستوون ط الحمد لله ط لان بل للاعراض عن الاول لا يعلمون ٥ مولاه لا لأن الجملة بعد صفة أحدهما بخير ط ثم لا وقف الى مستقيم لاتحاد الكلام والارض ط أقرب ط قدير ٥ شيأ لا للعطف والافئدة لا لتعلق لعلكم تشكرون ٥ السماء ط للفصل بين الاستخبار والاخبار الا الله ط يؤمنون ٥ اقامتكم لا لوقوع جعل على أثاثا الى حين ٥ بأسكم ط تسلمون ٥ المبين ٥ الكافرون ٥ ﴿﴾ التفسير لما بين خلق الانسان وتقلبه في أطوار مراتب العمر أراد أن يذكر طرفا من سائر أحواله لعله يتذكر فقال (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) ولا ريب أن ذلك أمر مقسوم من قبل القسام والالم يكن الغافل رخى البال والعاقل ردى الحال وليس هذا التفاوت مختصا بالمال وانما هو حاصل فى الحسن والقبح والصحة والسقم وغير ذلك فرب ملك تقاد الجنائب بين يديه ولا يمكنه ركوب واحد منها وربما أحضرت الاطعمة الشهية والفواكه العطرة عنده ولا يقدر على تناول شئ منها وربما ترى انسانا كامل القوة صحيح المزاج شديد البطش ولا يجد مل ء بطنه طعاما وللمفسرين فى الآية قولان أحدهما أن المراد تقرير كون السعادة والنحوسة والغنى والفقر بقسمة الله تعالى وأنه

القول أعنى قول قتادة أولى بتأويل الآية لان قوله فيه فى سياق الخبر عن العسل فأن تكون الهاء من ذكر العسل اذ كانت فى سياق الخبر عنه أولى من غيره وقوله ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون يقول تعالى ذكره ان فى اخراج الله من بطون هذه النحل الشراب المختلف الذى هو شفاء للناس لدلالة وحجة واضحة على من سخر النحل وهداها لأكل الثمرات التى تأكل واتخاذها البيوت التى تنحت من الجبال والشجر والعروش وأخرج من بطونها ما أخرج من الشفاء للناس أنه الواحد الذى ليس كمثله شئ وأنه لا ينبغى أن يكون له شريك ولا تصح الالوهة الا له ﴿﴾ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكى لا يعلم بعد علم شيأ ان الله عليم قدير﴾ يقول تعالى ذكره والله خلقكم أيها الناس وأوجدكم ولم تكونوا شيأ لا الآلهة التى تعبدون من دونه فاعبدوا الذى خلقكم دون غيره ثم يتوفاكم يقول ثم يقبضكم ومنكم من يرد الى أرذل العمر يقول ومنكم من يهرم فيصير الى أرذل العمر وهو أردؤه يقال منه رذل الرجل وفسل يرذل رذالة ورذولة ورذلته أنا وقيل انه يصير كذلك فى خمس وسبعين سنة حدثنى محمد بن اسمعيل الفزارى قال أخبرنا محمد بن سوار قال ثنا أسد بن حمران عن سعد بن طريف عن الاصبغ ابن نباتة عن على فى قوله ومنكم من يرد الى أرذل العمر قال خمس وسبعون سنة وقوله لكى لا يعلم بعد علم شيأ يقول انما نرده الى أرذل العمر ليعود جاهلا كما كان فى حال طفولته وصباه بعد علم شيأ يقول لئلا يعلم شيأ بعد علم كان يعلمه فى شبابه فذهب ذلك بالكبر ونسى فلا يعلم منه شيأ وانسلخ من عقله فصار من بعد عقل كان له لا يعقل شيأ ان الله عليم قدير يقول ان الله لا ينسى ولا يتغير علمه عليم بكل ما كان ويكون قدير على ما شاء لا يجهل شيأ ولا يعجزه شئ أراده ﴿﴾ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون﴾ يقول تعالى ذكره والله أيها الناس فضل بعضكم على بعض فى الرزق الذى رزقكم فى الدنيا فما الذين فضلهم الله على غيرهم بما رزقهم برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم يقول بمشركى مماليكهم فيما رزقهم من الاموال والازواج فهم فيه سواء يقول حتى يستووا هم فى ذلك وعبيدهم يقول تعالى ذكره فهم لا يرضون بأن يكونوا هم ومماليكهم فيما رزقتهم سواء وقد جعلوا عبيدى شركائى فى ملكى وسلطانى وهذا مثل ضربه الله تعالى ذكره للمشركين بالله وقيل انما عنى بذلك الذين قالوا ان المسيح ابن الله من النصارى وقوله أفبنعمة الله يجحدون يقول تعالى ذكره أفبنعمة الله التى أنعمها على هؤلاء المشركين من الرزق الذى رزقهم فى الدنيا يجحدون باشراكهم غير الله من خلقه فى سلطانه وملكه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم يقول لم يكونوا يشركون عبيدهم فى أموالهم ونسائهم فكيف يشركون عبيدى معى فى سلطانى فذلك قوله أفبنعمة الله يجحدون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس هذه الآية فى شأن عيسى بن مريم يعنى بذلك نفسه انما

جعل بعض الناس موالي و بعضهم مماليك وليس المالك رازقا للعبد وانما الرازق للعبد والمولى هو الله فلا تحسبن الموالي المفضلين أنهم يرزقون مماليكهم من عندهم شيأ من الرزق وانما ذلك رزقي لهم أجريته لهم على أيديهم وثانيهما أن المراد الرد على من أثبت لله شريكا كالصنم أو كعيسى فضرب له مثلا فقال أنتم لا تسوون بينكم و بين عبيدكم فيما أنعمت به عليكم ولا تردون رزقكم عليهم حتى

عيسى عبده فقول الله والله ما تشركون عبيدكم في الذي لكم فتكونوا أنتم وهم سواء فكيف ترضون لي بما لا ترضون لانفسكم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم قال مثل آلهة الباطل مع الله تعالى ذكره حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون وهذا مثل ضربه الله فهل منكم من أحد شارك مملوكه في زوجته وفي فراشه فتعدلون بالله خلقه وعباده فان لم ترض لنفسك هذا فالله أحق أن ينزه منه من نفسك ولا تعدل بالله أحدا من عباده وخلقه حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد ابن ثور عن معمر عن قتادة فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم قال هذا الذي فضل في المال والولد لا يشرك عبده في ماله وزوجته يقول قد رضيت بذلك لله ولم ترض به لنفسك فجعلت لله شريكا في ملكه وخلقه ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون ﴾ يقول تعالى ذكره والله الذي جعل لكم أيها الناس من أنفسكم أزواجا يعني أنه خلق من آدم زوجته حواء وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا أي والله خلق آدم ثم خلق زوجته منه ثم جعل لكم بنين وحفدة * واختلف أهل التأويل في المعنيين بالحفدة فقال بعضهم هم الأختان أختان الرجل على بناته ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا أبو معاوية قال ثنا أبان بن تغلب عن المنهال بن عمرو عن ابن حبيش عن عبد الله بنين وحفدة قال الاختان حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر عن عاصم عن ورقاء سألت عبد الله ما تقول في الحفدة هم حشم الرجل يا أبا عبد الرحمن قال لا ولكنهم الأختان حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن وحدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قالا جميعا ثنا سفيان عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن عبد الله قال الحفدة الاختان حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان باسناده عن عبد الله مثله حدثنا ابن بشار وأحمد بن الوليد القرشي وابن وكيع وسوار بن عبد الله العنبري ومحمد بن خلف بن خراش والحسن بن خلف الواسطي قالوا ثنا يحيى بن سعيد القطان عن الاعمش عن أبي الضحى قال الحفدة الاختان حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا هشيم عن المغيرة عن ابراهيم قال الحفدة الاختان حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير بنين وحفدة قال الحفدة الأختان حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم قال الحفدة الختن حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عاصم عن زر عن عبد الله قال الاختان حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص عن أشعث عن عكرمة عن ابن عباس قال الأختان وحدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي

تتساووا في المطعم والملبس والفاء في قوله فهم فيه سواء للتعليل ولك أن تقول بمعنى حتى أي حتى يكون عبيدهم معهم سواء في الرزق فكيف رضيتم أن تجعلوا عبيدي لي شركاء عن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في العبيد انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون وأطعموهم مما تطعمون فما رؤى عبده بعد ذلك الا ورداؤه رداؤه وازاره ازاره من غير تفاوت (أفبنعمة الله) وهي أنه جعلهم موالي مفضلين لا عبيدا مفضولين (يجحدون) أو جعل عدم التسوية بينهم و بين عبيدهم من جملة جحود النعمة أو جعل اعتقاد أهلية العبادة لغير الله كفرا بنعمة الله والجحود في معنى الكفران فلذلك عداه بالباء قال أبو عبيدة وأبو حاتم قراءة الغيبة وهي الكبرى أولى لقرب الخبر عنه ولانه لو كان خطابا كان ظاهره للمسلمين وانهم لا يخاطبون بجحد نعمة البتة الحالة الاخرى من أحوال الانسان قوله عم طوله (والله جعل لكم من أنفسكم) أي من جنسكم (أزواجا) ليكون الانس به أتم ولا ريب أن تخليق الذكور والاناث مستند الى قدرة الله وتكوينه والطبيعيون قد يذكرون له وجها قالوا ان المني اذا انصب من الخصية اليمنى الى الذكر ثم انصب منه الى الجانب الايمن من الرحم كان الولد ذكرا تاما في الذكورة بناء على أن الذكر أسخن مزاجا وكذا الجانب الايمن وان انصب من الخصية اليسرى الى الجانب الايسر من الرحم كان الولد تاما في الانوثية واذا انصب من اليمنى الى الايسر كان ذكرا في طبيعة الاناث وان كان بالعكس كان بالعكس قال الامام فخر الدين الرازي هذه العلة ضعيفة فقد رأينا في النساء من كان مزاجه في غاية السخونة وفي الرجال من كان مزاجه في غاية البرودة ولقائل أن يقول الكلام

عن

فى المزاج الصنفى لافى المزاج الشخصى وهذا الامام لم يفرق بينهما فاعترض بأحدهما على الآخر (وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة) أصل الحفد الاسراع فى الخدمة والفاعل حافد والجمع حفدة فقيل أراد بها فى الآية الاختان على البنات وقيل أولاد الاولاد وقيل أولاد المرأة من الزوج الاول وقيل الخدم والاعوان وقيل البنون أنفسهم لانهم الجامعون بين الامرين البنوة والخدمة وقيل الاولى دخول

عن ابن عباس قوله وحفدة قال الاصهار **حدثنى** المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن عاصم عن زر عن ابن مسعود قال الحفدة الاختان **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عاصم بن أبى النجود عن زر بن حبيش قال قال لى عبد الله بن مسعود ما الحفدة يازر قال قلت هم أحفاد الرجل من ولده وولد ولده قال لا هم الاصهار وقال آخرون هم أعوان الرجل وخدمه ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن خالد بن خداش قال ثنى سلم بن قتيبة عن وهب بن حبيب الاسدى عن أبى حمزة عن ابن عباس سئل عن قوله بنين وحفدة قال من أعانك فقد حفدك أما سمعت قول الشاعر

حفد الولائد حولهن وأسلمت * بأكفهن أزمة الأجمال

حدثنا هناد قال ثنا أبو الاحوص عن سماك عن عكرمة فى قوله بنين وحفدة قال الحفدة الخدام **حدثنى** محمد بن خالد بن خداش قال ثنى سلم بن قتيبة عن حازم بن ابراهيم البجلى عن سماك عن عكرمة قال قال الحفدة الخدام **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عمران بن عيينة عن حصين عن عكرمة قال هم الذين يعينون الرجل من ولده وخدمه **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة وحفدة قال الحفدة من خدمك من ولدك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن سلام بن سليم وقيس عن سماك عن عكرمة قال هم الخدم **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سلام أبو الاحوص عن سماك عن عكرمة مثله **حدثنى** محمد بن خالد قال ثنى سلمة عن أبى هلال عن الحسن فى قوله بنين وحفدة قال البنين وبنى البنين من أعانك من أهل وخادم فقد حفدك **حدثنى** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن منصور عن الحسن قال هم الخدم **حدثنى** محمد بن خالد وابن وكيع ويعقوب بن ابراهيم قالوا ثنا اسمعيل بن علية عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال الحفدة الخدم **حدثنا** أحمد ابن اسحق قال ثنا أبو أحمد **وحدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى **وحدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن جميعا عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنين وحفدة قال ابنه وخادمه **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء **وحدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى بنين وحفدة قال أنصارا وأعوانا وخداما **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا زمعة عن ابن طاوس عن أبيه قال الحفدة الخدم **حدثنا** ابن بشار مرة أخرى قال ابنه وخادمه **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة مهنة يمهنونك ويخدمونك من ولدك كرامة أكرمكم الله بها **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عبد الله عن اسرائيل عن السدى عن أبى مالك الحفدة قال الأعوان **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن حصين عن عكرمة قال الذين يعينونه **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحكم بن أبان

الكل فيه ثم ذكر انعامه عليهم بالمطعومات الطيبة لان لذة المنكوح لاتهنأ الا بعد الفراغ من لذة المطعوم أو بعد الفراغ من تحصيل أسبابها وأورد من التبعيضية لأن لذة كل الطيبات لاتكون الا فى الجنة ثم ختم الآية بقوله (أفبالباطل يؤمنون) فقيل الباطل هو ما اعتقدوه من منفعة الأصنام وبركتها وشفاعتها ونعمة الله ما عدده فى الآيات السابقة وقيل الباطل ما زين لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما أحل لهم وانما قال ههنا (وبنعمة الله هم يكفرون) وفى آخر العنكبوت وبنعمة الله يكفرون لأن تلك الآيات استمرت على الغيبة فلم يحتج الى زيادة ضمير الغائب وأما فى الآية فقد سبق مخاطبات كثيرة فلم يكن بد من ضمير الغائب المؤكد لئلا يلتبس بالخطاب ولما عدد بعض الآيات الدالة على الاقرار بالتوحيد أنكر صنيع أهل الشرك عليهم قائلا (ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا) قال جار الله ان كان بمعنى المصدر نصبت به شيأ أى لا يملك أن يرزق شيأ وان أردت المرزوق كان شيأ بدلا منه بمعنى قليلا أو يكون تأكيدا للا يملك أى لا يملك شيأ من الملك و (من السموات والارض) صلة للرزق ان كان مصدرا بمعنى لا يرزق من السموات مطرا ولا من الارض نباتا

وصفة ان كان اسما لما يرزق أما الضمير فى (ولا يستطيعون) فعائد الى ما بعد أن قيل لا يملك على اللفظ المفرد وجمع بالواو والنون بناء على زعمهم أن الأصنام آلهة والفائدة فى نفى الاستطاعة عنهم أن من لا يملك شيأ فقد يكون موصوفا باستطاعة أن يتملك بطريق من الطرق فبين تعالى أنها لا تملك ولا تستطيع تحصيل الملك وجوز فى الكشاف أن يكون الضمير

للكفار أي لا يستطيع هؤلاء مع أنهم أحياء متصرفون فكيف بالجماد الذي لا حس له (فلا تضربوا لله الأمثال) أي لا تشبهوه بخلقه فإن ضارب المثل مشبه حالاً بحال وقصة بقصة وقال الزجاج لا تجعلوا لله مثلاً لأنه واحد لا مثل له وكانوا يقولون إن إله العالم أجل من أن يعبده الواحد منا فكانوا يتوسلون إلى الأصنام والكواكب (٩٨) كما أن أصاغر الناس يخدمون أكابر حضرة الملك وأولئك الأكابر يخدمون الملك فنهوا عن غير الحنيفية والإخلاص وعلل النهي بقوله (إن الله يعلم) ما عليكم من العقاب (وأنتم لا تعلمون) ما في عبادتها من العذاب وفيه أن القياس الذي توهموه ليس بصحيح والنص يجب تقديمه على ذلك وقيل إن الله يعلم كيف يضرب الأمثال وأنتم لا تعلمون ثم علمهم كيف تضرب فقال (ضرب الله مثلاً) ثم أبدل من المثل قوله (عبداً مملوكاً) لا حراً فإن جميع الناس عبيد الله فلا يلزم من كونه عبداً كونه مملوكاً وقوله (لا يقدر على شيء) ليخرج العبد المأذون والمكاتب فإنهما يقدران على التصرف احتج الفقهاء بالآية على أن العبد لا يملك شيئاً وإن ملكه السيد لأن قوله لا يقدر حكم مذكور عقيب الوصف المناسب فدل على أن العبدية أينما وجدت فهي علة الذل والمقهورية وعدم القدرة فثبت العموم وهو أن كل عبد فهو لا يقدر على التصرف وأيضاً قوله (ومن رزقناه منا رزقاً حسناً) يقتضي أن لا يحصل للقسم الأول هذا الوصف فلو ملك العبد شيئاً ما صدق عليه أن الله قد آتاه الرزق الحسن فلم يثبت الامتياز والأكثرون على أن عدم اقتدار العبد مخصوص بما له تعلق بالمال وعن ابن عباس أنه لا يملك الطلاق أيضاً قال جار الله الظاهر أن من في قوله ومن رزقناه موصوفة كأنه قيل وحراً رزقناه ليطابق عبداً ولا يمتنع أن تكون موصولة وجمع قوله (هل يستوون) لأنه أراد الأحرار والعبيد وللمفسرين في مضرب المثل أقوال فالأكثرون على أنه أراد أنا لو فرضنا عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء وفرضنا حراً كريماً غنياً كثير الإنفاق سراً وجهراً فصريح العقل يشهد بأنه لا يجوز التسوية بينهما مع استوائهما في الخلقة والصورة فكيف يجوز للعاقل أن يسوي بين الله القادر على الرزق والإفضال وبين الأصنام التي لا تملك ولا تقدر البتة

عن عكرمة في قوله بنين وحفدة قال الحفدة من خدمك من ولدك وولد ولدك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن التيمي عن أبيه عن الحسن قال الحفدة الخدم حدثني المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن حصين عن عكرمة بنين وحفدة قال ولده الذين يعينونه * وقال آخرون هم ولد الرجل وولد ولده ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الصمد قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وحفدة قال هم الولد وولد الولد حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس في هذه الآية بنين وحفدة قال الحفدة البنون حدثنا ابن وكيع قال ثنا غندر عن شعبة عن أبي بشر عن مجاهد عن ابن عباس مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي بكر عن عكرمة عن ابن عباس قال بنوك حين يحفدونك ويرفدونك ويعينونك ويخدمونك قال جميل

حفد الولائد حولهن وأسلمت * بأكفهن أزمة الأجمال

حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة قال الحفدة الخدم من ولد الرجل هم ولده وهم يخدمونه قال وليس تكون العبيد من الأزواج كيف يكون من زوجي عبد إنما الحفدة ولد الرجل وخدمه حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله بنين وحفدة يعني ولد الرجل يحفدونه ويخدمونه وكانت العرب إنما تخدمهم أولادهم الذكور * وقال آخرون هم بنو امرأة الرجل من غيره ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة يقول بنو امرأة الرجل ليسوا منه ويقال الحفدة الرجل يعمل بين يدي الرجل يقول فلان يحفد لنا ويزعم رجال أن الحفدة أختان الرجل والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال إن الله تعالى أخبر عباده معرفهم نعمه عليهم فيما جعل لهم من الأزواج والبنين فقال تعالى والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة فأعلمهم أنه جعل لهم من أزواجهم بنين وحفدة والحفدة في كلام العرب جمع حافد كالكذبة جمع كاذب والفسقة جمع فاسق والحافد في كلامهم هو المتخفف في الخدمة والعمل والحفد خفة العمل يقال مر البعير يحفد حفداناً إذا مر يسرع في سيره ومنه قولهم إليك نسعى ونحفد أي نسرع إلى العمل بطاعتك يقال منه حفد له يحفد حفداً وحفوداً وحفداناً ومنه قول الراعي

كلفت مجهولها نوقاً يمانية * إذا الحداة على أكسائها حفدوا

وإذ كان معنى الحفدة ما ذكرنا من أنهم المسرعون في خدمة الرجل المتخففون فيها وكان الله تعالى ذكره أخبرنا أن مما أنعم به علينا أن جعل لنا حفدة تحفد لنا وكان أولادنا وأزواجنا الذين يصلحون للخدمة منا ومن غيرنا وأختاننا الذين هم أزواج بناتنا من أزواجنا وخدمنا من مماليكنا إذا كانوا يحفدوننا فيستحقون اسم حفدة ولم يكن الله تعالى دل بظاهر تنزيله ولا على لسان رسوله

صلى

وقيل العبد المملوك هو الكافر المحروم عن طاعة الله وعبوديته والآخر هو المؤمن المشتغل بالتعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله والغرض أنهما لا يستويان في الرتبة والشرف والقرب من رضوان الله وقيل العبد هو الصنم لقوله ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا والثاني عابد الصنم والمراد أنهما لا يستويان في القدرة والتصرف

لان الاول جماد وهذا انسان فكيف يجوز

صلى الله عليه وسلم ولا بحجة عقل على أنه عنى بذلك نوعا من الحفدة دون نوع منهم وكان قد أنعم بكل ذلك علينا لم يكن لنا أن نوجه ذلك الى خاص من الحفدة دون عام الا ما اجتمعت الامة عليه أنه غير داخل فيهم واذا كان ذلك كذلك فلكل الاقوال التي ذكرنا عمن ذكرنا وجه في الصحة ومخرج في التأويل وان كان أولى بالصواب من القول ما اخترنا لما بينا من الدليل وقوله ورزقكم من الطيبات يقول ورزقكم من حلال المعاش والارزاق والاقوات أفبالباطل يؤمنون يقول تعالى ذكره يحرم عليهم أولياء الشيطان من البحائر والسوائب والوصائل فيصدق هؤلاء المشركون بالله وبنعمة الله هم يكفرون يقول وبما أحل الله لهم من ذلك وأنعم عليهم باحلاله يكفرون يقول ينكرون تحليله ويجحدون أن يكون الله أحله ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيأ ولا يستطيعون فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون) يقول تعالى ذكره ويعبد هؤلاء المشركون بالله من دونه أوثانا لا تملك لهم رزقا من السموات لانها لا تقدر على انزال قطر منها لاحياء موتان الارضين والارض يقول ولا تملك لهم أيضا رزقا من الارض لانها لا تقدر على اخراج شئ من نباتها وثمارها لهم ولا شيأ مما عدد تعالى في هذه الآية أنه أنعم بها عليهم ولا يستطيعون يقول ولا تملك أوثانهم شيأ من السموات والارض بل هي وجميع ما في السموات والارض لله ملك ولا يستطيعون يقول ولا تقدر على شئ وقوله فلا تضربوا لله الامثال يقول فلا تمثلوا لله الامثال ولا تشبهوا له الاشباه فانه لا مثل له ولا شبه ۞ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الامثال الاشباه وحدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فلا تضربوا لله الامثال يعني اتخاذهم الاصنام يقول لا تجعلوا معي الها غيري فانه لا اله غيري حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيأ ولا يستطيعون قال هذه الاوثان التي تعبد من دون الله لا تملك لمن يعبدها رزقا ولا ضرا ولا نفعا ولا حياة ولا نشورا وقوله فلا تضربوا لله الامثال فانه أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون يقول والله أيها الناس يعلم خطأ ما تمثلون وتضربون من الأمثال وصوابه وغير ذلك من سائر الاشياء وأنتم لا تعلمون صواب ذلك من خطئه واختلف أهل العربية في الناصب قوله شيأ فقال بعض البصريين هو منصوب على البدل من الرزق وهو في معنى لا يملكون رزقا قليلا ولا كثيرا وقال بعض الكوفيين نصب شيأ بوقوع الرزق عليه كما قال تعالى ذكره ألم نجعل الارض كفاتا أحياء وأمواتا أي تكفت الاحياء والاموات ومثله قوله تعالى ذكره أو اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة قال ولو كان الرزق مع الشئ لجاز خفضه لا يملك لكم رزق شئ من السموات ومثله لجزاء مثل ما قتل من النعم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) يقول تعالى ذكره وشبه الله لكم شبها أيها الناس للكافر من عبيده والمؤمن به منهم فأما مثل الكافر فانه

الحكم بأن الاول مساو لرب العالمين (الحمد لله) قال ابن عباس أراد الحمد لله على ما فعل بأوليائه وأنعم عليهم بالتوحيد وقيل معناه كل الحمد لله وليس شئ من الحمد للاصنام لأنه لا نعمة لها على أحد (بل أكثرهم لا يعلمون) أن كل الحمد لي وقيل أراد قل الحمد لله والخطاب اما للرسول صلى الله عليه وسلم واما لمن رزقه الله رزقا حسنا وميزه بالقدرة والاختيار والتصرف من العبد الذليل الضعيف وقيل لما ذكر مثلا مطابقا للغرض كاشفا عن المقصود قال الحمد لله أي على قوة هذه الحجة وظهور هذه البينة بل أكثرهم لا يعلمون قوتها وظهورها ثم ضرب مثلا ثانيا لنفسه ولما يفيض على عباده من النعم الدينية والدنيوية وللاصنام التي هي أموات لا تضر ولا تنفع بل يصل منها الى من يعبدها أعظم المضار أما تفسير الالفاظ فالابكم العي المفحم وقد بكم بكما وبكامة وقيل هو الأقطع اللسان الذي لا يحسن الكلام وروى ثعلب عن ابن الأعرابي أنه الذي لا يسمع ولا يبصر وقوله (وهو كل على مولاه) أصله من الغلظ الذي هو نقيض الحدة يقال كل السكين اذا غلظت شفرته وكل اللسان اذا غلظ فلم يقدر على الكلام وكل فلان عن الكلام اذا ثقل عليه ولم ينبعث فيه وفلان كل على مولاه أي ثقيل وعيال على من يلي أمره وقوله (أينما يوجهه) حيثما يرسله (لا يأت بخير) لم ينجح في مطلبه والتوجيه أن ترسل صاحبك في وجه معين من الطريق (هل يستوي هو) أي الموصوف بهذه الصفات المذكورة (ومن يأمر) الناس (بالعدل وهو) في نفسه (على صراط مستقيم) على سيرة صالحة ودين قويم غير منحرف الى طرفي الافراط والتفريط ولا شك أن الآمر بالعدل يجب أن يكون عالما حتى يمكنه التمييز بين العدل والجور قادرا حتى يتأتى منه الاتيان بالخير والامر به وكلا الوصفين يناقض

كونه أبكم لا يقدر قال مجاهد هذا مثل لاله الخلق وما يدعى من دونه أما الابكم فمثل الصنم لانه لا ينطق البتة ولا يقدر على شئ وهو كل على عابديه لانه لا ينفق عليهم وهم ينفقون عليه والى أى مهم يوجه الصنم لا يأتى بخير وأما الذى يأمر بالعدل فهو الله سبحانه وروى الواحدى باسناده عن عكرمة عن ابن عباس قال نزلت الآية المتقدمة فى هشام بن عمرو وهو الذى ينفق ماله سرا وجهرا ومولاه أبو الحوار الذى كان ينهاه عنه وهذه الآية نزلت فى سعيد بن أبى العيص وفى عثمن ابن عفان مولاه والأصح أن المقصود من الآية الاولى كل عبد موصوف بالصفات الذميمة وكل حر موصوف بالخصال الحميدة ومن الآية الثانية كل رجل جاهل عاجز وكل من هو بضد ذلك من كونه شامل العلم كامل القدرة وليس الا الله سبحانه فلذلك مدح نفسه بقوله (ولله غيب السموات والارض) أى يختص به علم ما غاب عن العباد فيهما أو أراد بغيبهما يوم القيامة لان علمه غائب عن غير الله ويؤيد هذا التفسير قوله (وما أمر الساعة الا كلمح البصر) اللمح النظر بسرعة ولا بد فيه من زمان تتقلب فيه الحدقة نحو المرئى وكل زمان قابل للتجزئة فلذلك قال (أو هو أقرب) وليس هذا من قبيل المبالغة وانما هو كلام فى غاية الصدق لان مدة ما بين الخطاب وقيام الساعة متناهية ومنها الى الابد غير متناه ولا نسبة للمتناهى الى غير المتناهى وقيل معنى أمر الساعة أن اماتة الاحياء واحياء الاموات كلهم يكون فى أقرب وقت وأقله ثم أكده بقوله (ان الله على كل شئ قدير) ثم زاد فى التأكيد بذكر حالة أخرى للانسان دالة على غاية قدرته ونهاية رأفته فقال (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيأ) قال جار الله هو فى موضع الحال أى غير عالمين شيأ من حق المنعم الذى خلقكم فى البطون وسوّاكم وصوّركم ثم أخرجكم من الضيق الى السعة وقوله (وجعل لكم) معناه وما ركب فيكم هذه الاشياء الآلات لازالة الجهل الذى ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقى الى ما يسعدكم (والافئدة) فى فؤاد كالاغربة فى غراب وهو من جموع القلة التى تستعمل فى مقام الكثرة أيضا كالعدم وورود غيرها واعلم أن جمهور الحكماء

لا يعمل بطاعة الله ولا يأتى خيرا ولا ينفق فى شئ من سبيل الله ماله لغلبة خذلان الله عليه كالعبد المملوك الذى لا يقدر على شئ فينفقه وأما المؤمن بالله فانه يعمل بطاعة الله وينفق فى سبيله ماله كالحر الذى آتاه الله مالا فهو ينفق منه سرا وجهرا يقول بعلم من الناس وغير علم هل يستوون يقول هل يستوى العبد الذى لا يملك شيأ ولا يقدر عليه وهذا الحر الذى قد رزقه الله رزقا حسنا فهو ينفق كما وصف فكذلك لا يستوى الكافر العامل بمعاصى الله المخالف أمره والمؤمن العامل بطاعته وبنحو ما قلنا فى ذلك كان بعض أهل العلم يقول ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ هذا مثل ضربه الله للكافر رزقه مالا فلم يقدم فيه خيرا ولم يعمل فيه بطاعة الله قال الله تعالى ذكره ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهذا المؤمن أعطاه الله مالا فعمل فيه بطاعة الله وأخذ بالشكر ومعرفة حق الله فأثابه الله على ما رزقه الرزق المقيم الدائم لاهله فى الجنة قال الله تعالى ذكره هل يستويان مثلا والله ما يستويان الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة عبدا مملوكا لا يقدر على شئ قال هو الكافر لا يعمل بطاعة الله ولا ينفق خيرا ومن رزقناه منا رزقا حسنا قال المؤمن يطيع الله فى نفسه وماله حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ يعنى الكافر أنه لا يستطيع أن ينفق نفقة فى سبيل الله ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا يعنى المؤمن وهذا المثل فى النفقة وقوله الحمد لله يقول الحمد الكامل لله خالصا دون ما تدعون أيها القوم من دونه من الاوثان فاياه فاحمدوا دونها وقوله بل أكثرهم لا يعلمون يقول ما الامر كما تفعلون ولا القول كما تقولون ما للاوثان عندهم من يد ولا معروف فتحمد عليه انما الحمد لله ولكن أكثر هؤلاء الكفرة الذين يعبدونها لا يعلمون أن ذلك كذلك فهم بجهلهم بما يأتون ويذرون يجعلونها لله شركاء فى العبادة والحمد وكان مجاهد يقول ضرب الله هذا المثل والمثل الآخر بعده لنفسه وللآلهة التى تعبد من دونه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شئ وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم) ﴾ وهذا مثل ضربه الله تعالى لنفسه والآلهة التى تعبد من دونه فقال تعالى ذكره وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شئ يعنى بذلك الصنم أنه لا يسمع شيأ ولا ينطق لانه اما خشب منحوت واما نحاس مصنوع لا يقدر على نفع لمن خدمه ولا دفع ضر عنه وهو كل على مولاه يقول وهو عيال على ابن عمه وحلفائه وأهل ولايته فكذلك الصنم كل على من يعبده يحتاج أن يحمله ويضعه ويخدمه كالأبكم من الناس الذى لا يقدر على شئ فهو كل على أوليائه من بنى أعمامه وغيرهم أينما يوجهه لا يأت بخير يقول حيثما يوجهه لا يأت بخير لانه لا يفهم ما يقال له ولا يقدر أن يعبر عن نفسه ما يريد فهو لا يفهم ولا يفهم عنه فكذلك الصنم لا يعقل ما يقال له فيأتمر لأمر من أمره ولا ينطق فيأمر وينهى يقول الله تعالى هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل يعنى هل يستوى هذا الأبكم الكل على مولاه الذى لا يأتى بخير حيث توجه ومن هو ناطق متكلم يأمر بالحق ويدعو اليه وهو الله الواحد القهار

الذى

الذى يدعو عباده الى توحيده وطاعته يقول لا يستوى هو تعالى ذكره والصنم الذى صفته ما وصف وقوله وهو على صراط مستقيم يقول وهو مع أمره بالعدل على طريق من الحق فى دعائه الى العدل وأمره به مستقيم لا يعوج عن الحق ولا يزول عنه * وقد اختلف أهل التأويل فى المضروب له هذا المثل فقال بعضهم فى ذلك بنحو الذى قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة لا يقدر على شئ قال هو الوثن هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل قال الله يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم وكذلك كان مجاهد يقول الا أنه كان يقول المثل الاول أيضا ضربه الله لنفسه وللوثن حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى ذكره عبدا مملوكا لا يقدر على شئ ومن رزقناه منا رزقا حسنا ورجلين أحدهما أبكم ومن يأمر بالعدل قال كل هذا مثل اله الحق وما يدعى من دونه من الباطل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن جويبر عن الضحاك وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم قال انما هذا مثل ضربه الله * وقال آخرون بل كلا المثلين للمؤمن والكافر وذلك قول يروى عن ابن عباس وقد ذكرنا الرواية عنه فى المثل الاول فى موضعه وأما فى المثل الآخر فحدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شئ وهو كل على مولاه الى آخر الآية يعنى بالابكم الذى هو كل على مولاه الكافر وبقوله ومن يأمر بالعدل المؤمن وهذا المثل فى الاعمال حدثنا الحسن بن الصباح البزار قال ثنا يحيى ابن اسحق السيلحينى قال ثنا حماد عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن ابراهيم عن عكرمة عن يعلى بن أمية عن ابن عباس فى قوله ضرب الله مثلا عبدا مملوكا قال نزلت فى رجل من قريش وعبده وفى قوله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شئ الى قوله وهو على صراط مستقيم قال هو عثمان بن عفان قال والابكم الذى أينما يوجهه لا يأت بخير ذاك مولى عثمان بن عفان كان عثمان ينفق عليه ويكفله ويكفيه المؤنة وكان الآخر يكره الاسلام ويأباه وينهاه عن الصدقة والمعروف فنزلت فيهما وانما اخترنا القول الذى اخترناه فى المثل الاول لانه تعالى ذكره مثل مثل الكافر بالعبد الذى وصف صفته ومثل مثل المؤمن بالذى رزقه رزقا حسنا فهو ينفق مما رزقه سرا وجهرا فلم يجز أن يكون ذلك لله مثلا اذ كان الله انما مثل الكافر الذى لا يقدر على شئ بأنه لم يرزقه رزقا ينفق منه سرا ومثل المؤمن الذى وفقه الله لطاعته فهداه لرشده فهو يعمل بما يرضاه الله كالحر الذى بسط له فى الرزق فهو ينفق منه سرا وجهرا والله تعالى ذكره هو الرازق غير المرزوق فغير جائز أن يمثل افضاله وجوده بانفاق المرزوق الرزق الحسن وأما المثل الثانى فانه تمثيل منه تعالى ذكره من مثله الابكم الذى لا يقدر على شئ والكفار لا شك أن منهم من له الاموال الكثيرة ومن يضر أحيانا الضر العظيم بفساده فغير كائن ما لا يقدر على شئ كما قال تعالى ذكره مثلا لمن يقدر على أشياء كثيرة فاذا كان ذلك كذلك كان أولى المعانى به تمثيل ما لا يقدر على شئ كما قال تعالى ذكره

زعموا أن الانسان فى مبدإ فطرته خال عن المعارف والعلوم الا أنه تعالى خلق السمع والبصر والفؤاد وسائر القوى المدركة حتى ارتسم فى خياله بسبب كثرة ورود المحسوسات عليه حقائق تلك الماهيات وحضرت صورها فى ذهنه ثم ان مجرد حضور تلك الحقائق ان كان كافيا فى جزم الذهن بثبوت بعضها لبعض أو انتفاء بعضها عن بعض فتلك الاحكام علوم بديهية وان لم تكن كذلك بل كانت متوقفة على علوم سابقة عليها ولا محالة تنتهى الى البديهيات قطعا للدور أو التسلسل فهى علوم كسبية وظهر أن السبب الاول لحدوث هذه المعارف فى النفوس الانسانية هو أن الله تعالى أعطى الحواس والقوى الدراكة للصور الجزئية وعندى أن النفس قبل البدن موجودة عالمة بعلوم جمة وهى التى ينبغى أن تسمى بالبديهيات وانما لا يظهر آثارها عليها عند انفصال الجنين من الام لضعف البدن واشتغالها بتدبيره حتى اذا قوى وترقى ظهرت آثارها شيأ فشيأ وقد برهنا على هذه المعانى فى كتبنا الحكمية فالمراد بقوله (لا تعلمون شيأ) أنه لا يظهر أثر العلم عليكم ثم انه بتوسط الحواس الظاهرة والباطنة يكتسب العلوم المتوقفة على التعلق ومعنى (لعلكم تشكرون) ارادة أن تصرفوا كل آلة فيما خلقت لاجله وليس الواو للترتيب حتى يلزم من عطف جعل على أخرج أن يكون جعل السمع والبصر متأخرا عن الاخراج من البطن وقد مر فى أول البقرة فى تفسير قوله ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم أنه لم وحد السمع وجمع غيره ثم ذكر دليلا آخر على كمال قدرته فقال (ألم يروا الى الطير مسخرات) مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة وسائر الاسباب المواتية لذلك كرقة قوام الهواء والهامهن بسط الجناح وقبضه فيه عمل السابح فى الماء وفى (جو السماء) أى فى الهواء المتباعد من الارض فى سمت العلو وهو مضاعف عينه ولامه واو (ما يمسكهن الا الله) بقدرته أو باعطاء الآلات التى لاجلها يتسهل عليها الطيران ومن جملة أحوال الانسان قوله (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا) هو ما يسكن اليه من بيت أو إلف (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا) هى القباب والأبنية من الادم والانطاع (تستخفونها) أى تعدونها خفيفة المحمل فى

عبده مالا يقدر على شئ وذلك الوثن الذى لا يقدر على شئ بالابكم الكل على مولاه الذى لا يقدر على شئ كما قال ووصف ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولله غيب السموات والارض وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب ان الله على كل شئ قدير﴾ يقول تعالى ذكره ولله أيها الناس ملك ما غاب عن أبصاركم فى السموات والارض دون آلهتكم التى تدعون من دونه ودون كل ما سواه لا يملك ذلك أحد سواه وما أمر الساعة الا كلمح البصر يقول وما أمر قيام القيامة والساعة التى تنشر فيها الخلق للوقوف فى موقف القيامة الا كنظرة من البصر لان ذلك انما هو أن يقال له كن فيكون كما حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة الا كلمح البصر أو هو أقرب والساعة كلمح البصر أو أقرب حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وما أمر الساعة الا كلمح البصر قال هو أن يقول كن فهو كلمح البصر فأمر الساعة كلمح البصر أو أقرب يعنى يقول أو هو أقرب من لمح البصر وقوله ان الله على كل شئ قدير يقول ان الله على اقامة الساعة فى أقرب من لمح البصر قادر وعلى ما يشاء من الاشياء كلها لا يمتنع عليه شئ أراده ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيأ وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون﴾ يقول تعالى ذكره والله تعالى أعلمكم ما لم تكونوا تعلمون من بعد ما أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعقلون شيأ ولا تعلمون فرزقكم عقولا تفقهون بها وتميزون بها الخير من الشر وبصركم بها ما لم تكونوا تبصرون وجعل لكم السمع الذى تسمعون به الاصوات فيفقه بعضكم عن بعض ما تتحاورون به بينكم والابصار التى تبصرون بها الاشخاص فتتعارفون بها وتميزون بها بعضا من بعض والافئدة يقول والقلوب التى تعرفون بها الاشياء فتحفظونها وتفكرون فتفقهون بها لعلكم تشكرون يقول فعلنا ذلك بكم فاشكروا الله على ما أنعم به عليكم من ذلك دون الآلهة والانداد فجعلتم له شركاء فى الشكر ولم يكن له فيما أنعم به عليكم من نعمه شريك وقوله والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيأ كلام متناه ثم ابتدئ الخبر فقيل وجعل الله لكم السمع والابصار والافئدة وانما قلنا ذلك كذلك لان الله تعالى ذكره جعل لعباده السمع والابصار والافئدة قبل أن يخرجهم من بطون أمهاتهم وانما أعطاهم العلم والعقل بعد ما أخرجهم من بطون أمهاتهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ألم يروا الى الطير مسخرات فى جو السماء ما يمسكهن الا الله ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين ألم تروا أيها المشركون بالله الى الطير مسخرات فى جو السماء يعنى فى هواء السماء بينها وبين الارض كما قال ابراهيم بن عمران الانصارى

ويل أمها من هواء الجو طالبة * ولا كهذا الذى فى الارض مطلوب

يعنى فى هواء السماء ما يمسكهن الا الله يقول ما طيرانها فى الجو الا بالله وبتسخيره اياها بذلك ولو سلبها ما أعطاها من الطيران لم تقدر على النهوض ارتفاعا وقوله ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون يقول ان فى تسخير الله الطير وتمكينه لها الطيران فى جو السماء لعلامات ودلالات على أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأنه لا حظ للاصنام والاوثان فى الألوهة لقوم يؤمنون يعنى لقوم يقرون بوجدان ما تعاينه أبصارهم وتحسه حواسهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من

الضرب والنقض والنقل (يوم ظعنكم) أى فى وقت ارتحالكم والظعن بفتح العين وسكونها سير أهل البادية لنجعة ثم استعمل فى كل شخوص لسفر (ويوم اقامتكم) لا يثقل عليكم حفظها ونقلها من مكان الى مكان ويمكن أن يكون اليوم على حقيقته أى يوم ترجعون خف عليكم حملها ونقلها ويوم تنزلون وتقيمون فى مكان لم يثقل (٢٠١) عليكم ضربها (ومن أصوافها) وهى للضأن (وأوبارها) وهى للابل (وأشعارها) وهى للمعز (أثاثا) وهو متاع البيت قال الفراء لا واحد له وقال أبو زيد الاثاث المال أجمع الابل والغنم والعبيد والمتاع الواحدة أثاثة قال ابن عباس أراد طنافس وبسطا وثيابا وكسوة وقال الخليل أصله من أث النبات والشعر يئث اذا كثر قيل انه تعالى عطف قوله ومتاعا على أثاثا فوجب أن يتغايرا فما الفرق وأجيب بأن الاثاث ما يكتسى به المرء ويستعمله من الغطاء والوطاء والمتاع ما يفرش فى المنازل ويتزين به قلت لا يبعد أن يراد بالاثاث والمتاع ما هو الجامع بين الوصفين كونه أثاثا وكونه مما يتمتع به (الى حين) أى الى أن تقضوا أوطاركم منه أو الى أن تبلى وتفنى أو الى الموت أو الى القيامة ثم ان المسافر قد لا يكون له خيام وأبنية يستظل بها لفقر أو لعارض آخر فيحتاج الى أن يستظل بشجر أو جدار أو غمام ونحوها فلذلك قال (والله جعل لكم مما خلق ظلالا) وقد يحتاج المسافر الى حصن يأوى اليه فى نزوله والى ما يدفع به عن نفسه آفات الحر والبرد وسائر المكاره وكذا المقيم فلذلك من بقوله (وجعل لكم من الجبال أكنانا) هى جمع كن وهو ما يستكن به ويتوقى بسببه الامطار كالبيوت المنحوتة فى الجبال وكالغيران والكهوف (وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر) وهى القمصان والثياب من الصوف والقطن والكتان وغيرها وانما لم يذكر البرد لان الوقاية من الحر أهم عندهم لغلبة الحرارة فى بلادهم على أن ذكر أحد الضدين يغنى فى الاغلب قال عن ذكر الآخر لتلازمهما فى الخطور بالبال غالبا بشهادة الوجدان قال الزجاج كل ما لبسته فهو سربال فعلى هذا يشمل الرقيق والكثيف والساذج والمحشو من الثياب (وسرابيل تقيكم بأسكم) كالدروع والجواشن (كذلك يتم نعمته) أى مثل ما خلق هذه الاشياء لكم وأنعم بها عليكم

فانه يتم نعم الدين والدنيا (لعلكم تسلمون) قال ابن عباس لعلكم يا أهل مكة تخلصون لله الربوبية وتعلمون أنه لا يقدر على هذه الانعامات سواه وعنه أنه قرأ بفتح التاء واللام من السلامة أى تسلم قلوبكم من الشرك أو تشكرون فتسلمون من العذاب وقيل تسلمون من الجرح بلبس الدروع (فان تولوا) فقد تمهد عذرك (فانما عليك البلاغ المبين) وليس اليك الهداية (١٠٣) ثم ذمهم بأنهم (يعرفون نعمة الله) التى عددناها حيث يعترفون بها وبأنها من عند الله (ثم ينكرونها) بعبادة غير من أنعم بها وبقولهم هى من الله ولكنها بشفاعة آلهتنا ومعنى ثم تبعيد رتبة الانكار عن العرفان وقيل انكارها قولهم ورثناها من آبائنا أو وصل الينا بتربية فلان أو أنهم لا يستعملونها فى طلب رضوان الله وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونه ثم ينكرون نبوته عنادا وانما قال (وأكثرهم الكافرون) لانه استعمل الاكثر مقام الكل أو أراد البالغين العقلاء منهم دون الاطفال والمجانين أو أراد كفر الجحود ولم يكن كفر كلهم كذلك بل كان فيهم من كفر للجهل بصدق الرسول أو لأنه لم تقم الحجة عليه بعد هذا ما قاله المفسرون قلت ويحتمل أن يراد بالكافرين المصرين الثابتين على كفرهم وقد علم الله أن فى مطلق الكفرة من يؤمن فلهذا استثناهم والله تعالى أعلم ✽ التأويل فضل الارواح على القلوب فى رزق المكاشفات والمشاهدات بعد الفناء والرد الى البقاء وفضل القلوب على النفوس فى رزق الزهد والورع والتقوى والصدق واليقين والايمان والتوكل والتسليم والرضا وفضل النفوس على الابدان فى رزق التزكية والتحلية والتخلية وفضل أبدان المؤمنين على أبدان الكافرين بحمل أعباء الشريعة فالارواح برادى رزقهم على القلوب ولا القلوب على النفوس ولا النفوس على الابدان أفبنعمة الله التى أنعم بها على أوليائه تجحدون بانكارى هذا الحديث والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا يعنى ازدواج الارواح والاشباح وجعل لكم من أزواجكم بنين هم القلوب وحفدة وهى النفوس أفبالباطل وهو الزخارف والوساوس يؤمنون وبنعمة الله التى أنعم بها على أرباب القلوب يكفرون ويعبدون من دون الله كالدنيا والهوى ما لا يملك لهم رزقا من

قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله مسخرات فى جو السماء أى فى كبد السماء ✽ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا الى حين ﴾ يقول تعالى ذكره والله جعل لكم أيها الناس من بيوتكم التى هى من الحجر والمدر سكنا تسكنون أيام مقامكم فى دوركم وبلادكم وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا وهى البيوت من الانطاع والفساطيط من الشعر والصوف والوبر تستخفونها يقول تستخفون حملها ونقلها يوم ظعنكم من بلادكم وأمصاركم لأسفاركم ويوم اقامتكم فى بلادكم وأمصاركم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا وبنحو الذى قلنا فى معنى السكن قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى من بيوتكم سكنا قال تسكنون فيه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله واما الأشعار فجمع شعر تثقل عينه وتخفف وواحد الشعر شعرة وأما الأثاث فانه متاع البيت لم يسمع له بواحد وهو فى أنه لا واحد له مثل المتاع وقد حكى عن بعض النحويين أنه كان يقول واحد الأثاث أثاثة ولم أر أهل العلم بكلام العرب يعرفون ذلك ومن الدليل على أن الأثاث هو المتاع قول الشاعر

أهاجتك الظعائن يوم بانوا ✽ بذى الرى الجميل من الاثاث

ويروى بذى الزى وأنا أرى أصل الاثاث اجتماع بعض المتاع الى بعض حتى يكثر كالشعر الاثيث وهو الكثير الملتف يقال منه أث شعر فلان يئث أثا اذا كثر والتف واجتمع وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أثاثا قال يعنى بالاثاث المال حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى أثاثا قال متاعا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة أثاثا قال هو المال حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن حرب الرازى قال أخبرنا سلمة عن محمد بن اسحق عن حميد بن عبد الرحمن فى قوله أثاثا قال الثياب وقوله ومتاعا الى حين فانه يعنى أنه جعل ذلك لهم بلاغا يتبلغون ويكتفون به الى حين آجالهم للموت كما حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ومتاعا الى حين فانه يعنى زينة يقول ينتفعون به الى حين حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ومتاعا الى حين قال الى الموت حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة

سموات القلوب وأرض النفوس شيأ من الكمالات التي أودع الله فيهن ولا يستخرج منها الا بعبادة الله ولا يستطيعون استخراجها بعبادة غير الله فلا تضربوا لله الامثال بأن تريدوا أن تصلوا الى المقاصد بغير طريق الله ضرب الله مثلا عبدا مملوكا كالهوى وللدنيا ومن رزقناه ولاية كاملة يتصرف بها في بواطن المستعدين وظواهرهم بل أكثرهم لا يعلمون أولياء الله لانهم تحت قباب الله لا يعرفهم غيره

أحدهما أبكم هو النفس الحيوانية التي لا تقدر على شئ من العلم والعقل والايمان وهو ثقل على مولى الروح المسمى بالنفس الناطقة لا يأت بخير لانها أمارة بالسوء ولله غيب سموات الارواح وأرض النفوس لا يقف على خاصيتهما غيره ولو وكل كلا منهما الى طبعها لم ترجع الى ربها ورجوعها يكون بالاماتة والاحياء وتميتها عن أوصافها وتحييها بصفاته وهو المراد بأمر الساعة لان الاماتة بتجلي صفات الجلال والاحياء بتجلي صفات الجمال واذا تجلى الله لعبد لم يبق له زمان ولا مكان فلذلك قال أو هو أقرب وحينئذ يكون فانيا عن وجوده باقيا ببقائه والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيأ من أمور الدنيا والآخرة ولاسيما كانت أرواحكم تعلم في عالم الارواح ولاسيما كانت تعلم ذراتكم من فهم خطاب ألست بربكم وجواب بلى وجعل لاجسادكم السمع والابصار والافئدة كما للحيوانات ولارواحكم كما للملائكة ولاسراركم سمعا يسمع به من الله وبصرا يبصر به الله وفؤادا يعرف به الله وبوجه آخر والله أخرجكم من العدم وهو الام الحقيقي لا تعلمون شيأ قبل أن يعلمكم الله سبحانه أسماء كل شئ فتجلى لكم بربوبيته فبنور سمعه أعطاكم سمعا تسمعون به خطاب ألست بربكم وبنور بصره أعطاكم بصرا تبصرون به جماله وبنور علمه أعطاكم فؤادا تعرفون به كماله وبنور كلامه أعطاكم لسانا تجيبونه بقولكم بلى لعلكم قال تشكرون فلا تسمعون بهذا السمع الا كلامه ولا تبصرون بهذا البصر الا جماله ولا تحبون بهذا الفؤاد الا ذاته ولا تكلمون بهذا الكلام الا معه ألم يروا الى طير الارواح مسخرات في جو سماء القلوب ما يمسكهن في سفل الاجساد الا الله بحكمته فلذلك قال والله جعل لكم أيها

ومتاعا الى حين الى أجل وبلغة القول في تأويل قوله تعالى ﴿ والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون ﴾ يقول تعالى ذكره ومن نعمة الله عليكم أيها الناس أن جعل لكم مما خلق من الاشجار وغيرها ظلالا تستظلون بها من شدة الحر وهي جمع ظل وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو عن قتادة في قوله مما خلق ظلالا قال الشجر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والله جعل لكم مما خلق ظلالا إي والله من الشجر ومن غيرها وقوله وجعل لكم من الجبال أكنانا يقول وجعل لكم من الجبال مواضع تسكنون فيها وهي جمع كن كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجعل لكم من الجبال أكنانا يقول غيرانا من الجبال يسكن فيها وقوله وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر يعني ثياب القطن والكتان والصوف وقمصها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر من القطن والكتان والصوف حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة سرابيل تقيكم الحر قال القطن والكتان وقوله وسرابيل تقيكم بأسكم يقول ودروعا تقيكم بأسكم والبأس هو الحرب والمعنى تقيكم في بأسكم السلاح أن يصل اليكم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وسرابيل تقيكم بأسكم من هذا الحديد حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وسرابيل تقيكم بأسكم قال هي سرابيل من حديد وقوله كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون يقول تعالى ذكره كما أعطاكم ربكم هذه الاشياء التي وصفها في هذه الآيات نعمة منه بذلك عليكم فكذا يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون يقول لتخضعوا لله بالطاعة وتذل منكم بتوحيده النفوس وتخلصوا له العبادة وقد روي عن ابن عباس أنه كان يقرأ لعلكم تسلمون بفتح التاء حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن أبي حماد قال ثنا ابن المبارك عن حنظلة عن شهر بن حوشب قال كان ابن عباس يقول لعلكم تسلمون قال يعني من الجراح حدثنا أحمد ابن يوسف قال ثنا القاسم بن سلام قال ثنا عباد بن العوام عن حنظلة السدوسي عن شهر ابن حوشب عن ابن عباس أنه قرأها لعلكم تسلمون من الجراحات قال أحمد بن يوسف قال أبو عبيد يعني بفتح التاء واللام فتأويل الكلام على قراءة ابن عباس هذه كذلك يتم نعمته عليكم بما جعل لكم من السرابيل التي تقيكم بأسكم لتسلموا من السلاح في حروبكم والقراءة التي لا أستجيز القراءة بخلافها بضم التاء من قوله لعلكم تسلمون وكسر اللام من أسلمت تسلم يا هذا لاجماع الحجة من قراء الامصار عليها فان قال لنا قائل وكيف قيل وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر فخص بالذكر الحر دون البرد وهي تقي الحر والبرد أم كيف قيل وجعل لكم من الجبال أكنانا وترك ذكر ما جعل لهم من السهل قيل له قد اختلف في السبب الذي من أجله جاء التنزيل كذلك وسنذكر ما قيل في ذلك ثم ندل على أولى الاقوال في ذلك بالصواب فروي عن عطاء الخراساني في ذلك ما حدثني الحرث قال ثنا القاسم قال ثنا محمد بن كثير عن عثمان بن عطاء عن أبيه

الأرواح من بيوتكم وهي الاجساد سكنا وجعل لكم من جلود الانعام التي هي أجساد اشتركت فيها سائر الحيوانات بيوتا تستخف أرواحكم اياها وهي النفوس الحيوانية وقواها وقت السير الى الله والوقفة للاستراحة والتربية ومن أصوافها هي الصفات الحيوانية والحواس والقوى أثاثا آلات للسير ومتاعا ينتفع بها الى حين الوصول والوصال والله جعل لكم مما خلق ظلالا أى جعل عالم الخلق ظل عالم الأمر تستظل بها الارواح به عند طلوع شمس التجلي والالأحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره وجعل لكم من جبال القلوب ما يكن به الارواح وجعل لارواحكم سرابيل من الصفات البشرية تقيكم حر نار المحبة وسرابيل من الصفات الروحانية تقيكم من سهام الوساوس والهواجس كذلك يحفظكم من الآفات ويربيكم بالكرامات حتى يتم نعمة الوصول عليكم وتسلموا من قطع الطريق يعرفون نعمة الله بتعريفك وأكثرهم الكافرون بك وبنعمة الله اظهارا للقهر والله أعلم

قال انما نزل القرآن على قدر معرفتهم ألا ترى الى قول الله تعالى ذكره والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وما جعل لهم من السهول أعظم وأكثر ولكنهم كانوا أصحاب جبال ألا ترى الى قوله ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا الى حين وما جعل لهم من غير ذلك أعظم منه وأكثر ولكنهم كانوا أصحاب وبر وشعر ألا ترى الى قوله وينزل من السماء من جبال فيها من برد يعجبهم من ذلك وما أنزل من الثلج أعظم وأكثر ولكنهم كانوا لا يعرفون به ألا ترى الى قوله سرابيل تقيكم الحر وما تقي من البرد أكثر وأعظم ولكنهم كانوا أصحاب حر فالسبب الذى من أجله خص الله تعالى ذكره السرابيل بأنها تقي الحر دون البرد على هذا القول هو أن المخاطبين بذلك كانوا أصحاب حر فذكر الله تعالى ذكره نعمته عليهم بما يقيهم مكروه ما به عرفوا مكروهه دون ما لم يعرفوا مبلغ مكروهه وكذلك ذلك في سائر الاحرف الاخر * وقال آخرون ذكر ذلك خاصة اكتفاء بذكر أحدهما من ذكر الآخر اذ كان معلوما عند المخاطبين به معناه وأن السرابيل التى تقي الحر تقي أيضا البرد وقالوا ذلك موجود في كلام العرب مستعمل واستشهدوا لقولهم بقول الشاعر

وما أدرى اذا يممت وجها * أريد الخير أيهما يلينى

فقال أيهما يلينى يريد الخير أو الشر وانما ذكر الخير لانه اذا أراد الخير فهو يتقي الشر وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال ان القوم خوطبوا على قدر معرفتهم وان كان في ذكر بعض ذلك دلالة على ما ترك ذكره لمن عرف المذكور والمتروك وذلك أن الله تعالى ذكره انما عدد نعمه التى أنعمها على الذين قصدوا بالذكر في هذه السورة دون غيرهم فذكر أياديه عندهم ⁂ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فان أدبر هؤلاء المشركون يا محمد عما أرسلتك به اليهم من الحق فلم يستجيبوا لك وأعرضوا عنه فما عليك من لوم ولا عذل لانك قد أديت ما عليك في ذلك انه ليس عليك الا بلاغهم ما أرسلت به ويعني بقوله المبين الذى يبين لمن سمعه حتى يفهمه وأما قوله يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها فان أهل التأويل اختلفوا في المعنى بالنعمة التى أخبر الله تعالى ذكره عن هؤلاء المشركين أنهم ينكرونها مع معرفتهم بها فقال بعضهم هو النبى صلى الله عليه وسلم عرفوا نبوته ثم جحدوها وكذبوه ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن السدى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها قال محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن السدى مثله . وقال آخرون بل معنى ذلك أنهم يعرفون أن ما عدد الله تعالى ذكره في هذه السورة من النعم من عند الله وأن الله هو المنعم بذلك عليهم ولكنهم ينكرون ذلك فيزعمون أنهم ورثوه عن آبائهم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنا المثنى قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها قال هي المساكن والانعام وما يرزقون منها والسرابيل

﴿ويوم نبعث من كل أمة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون وإذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فألقوا اليهم القول انكم لكاذبون وألقوا الى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون وأوفوا بعهد الله اذا

عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة انما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء ولتسئلن عما كنتم تعملون ولا تتخذوا

أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا انما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة (١٠٦) ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون ﴾

القراآت ولنجزين بالنون ابن كثير وعاصم ويزيد وعباس والنقاش عن ابن ذكوان الآخرون بالياء قرأت القرآن مثل أنشأنا

الوقوف يستعتبون ○ ولاهم ينظرون ○ من دونك ج لاختلاف الجملتين مع الفاء لكاذبون ○ ج للعطف مع أنه رأس آية يفترون ○ يفسدون ○ على هؤلاء ط لواو الاستئناف للمسلمين ○ والبغي ج لاحتمال ما بعده الحال والاستئناف تذكرون ○ ط كفيلا ○ ط تفعلون ○ أنكاثا ط بناء على أن التقدير أتتخذون من أمة ط به ط تختلفون ○ ويهدي من يشاء ط تعملون ○ عن سبيل الله ج لانقطاع النظم مع اتصال المعنى عظيم ○ قليلا ط تعلمون ○ باق ط يعملون ○ طيبة ج للعدول عن الواحدان الى الجمع مع أنهما ضميرا من يعملون ○ الرجيم ○ يتوكلون ○ مشركون ○

التفسير لما بين من حال القوم أنهم عرفوا نعمة الله ثم أنكروها وأن أكثرهم كافرون أتبعه أصناف وعيد يوم القيامة والتقدير (و) اذكر (يوم نبعث من كل أمة شهيدا) أو يوم وقعوا فيما وقعوا فيه وشهيد كل أمة نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والتصديق والكفر والتكذيب (ثم لا يؤذن للذين كفروا) أي في الاعتذار اذ لا حجة لهم ولا عذر أو في كثرة الكلام أو في الرجوع الى دار الدنيا أو الى التكليف ليظهر لهم كونهم آيسين من رحمة الله تعالى أو المراد أن يسكت أهل الجمع كلهم حتى يشهد الشهود (ولاهم يستعتبون) لان العتاب انما يطلب لاجل العود الى الرضا فاذا كان على عزم السخط فلا فائدة في العتاب فلهذا قيل

من الحديد والثياب تعرف هذا كفار قريش ثم تنكره بأن تقول هذا كان لآبائنا فروّحونا اياه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه الا أنه قال فورّثونا اياها وزاد في الحديث عن ابن جريج قال ابن جريج قال عبد الله بن كثير يعلمون أن الله خلقهم وأعطاهم ما أعطاهم فهو معرفتهم نعمته ثم انكارهم اياها كفرهم بعد * وقال آخرون في ذلك ما حدثنا ابن وكيع قال ثنا معاوية عن عمرو عن أبي اسحق الفزاري عن ليث عن عون بن عبد الله بن عتبة يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها قال انكارهم اياها أن يقول الرجل لولا فلان ما كان كذا وكذا ولولا فلان ما أصبت كذا وكذا * وقال آخرون معنى ذلك أن الكفار اذا قيل لهم من رزقكم أقروا بأن الله هو الذي رزقهم ثم ينكرون ذلك بقولهم رزقنا ذلك بشفاعة آلهتنا * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب وأشبهها بتأويل الآية قول من قال عنى بالنعمة التي ذكرها الله في قوله يعرفون نعمة الله النعمة عليهم بارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم داعيا الى ما بعثه بدعائهم اليه وذلك أن هذه الآية بين آيتين كلتاهما خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعما بعث به فأولى ما بينهما أن يكون في معنى ما قبله وما بعده اذ لم يكن معنى يدل على انصرافه عما قبله وعما بعده فالذي قبل هذه الآية قوله فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وما بعده ويوم نبعث من كل أمة شهيدا وهو رسولها فاذا كان ذلك كذلك فمعنى الآية يعرف هؤلاء المشركون بالله نعمة الله عليهم يا محمد بك ثم ينكرونك ويجحدون نبوتك وأكثرهم الكافرون يقول وأكثر قومك الجاحدون نبوتك لا المقرون بها

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ويوم نبعث من كل أمة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولاهم يستعتبون ﴾ يقول تعالى ذكره يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها اليوم ويستنكرون يوم نبعث من كل أمة شهيدا وهو الشاهد عليها بما أجابت داعي الله وهو رسولهم الذي أرسل اليهم ثم لا يؤذن للذين كفروا يقول ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار فيعتذروا بما كانوا بالله وبرسوله يكفرون ولاهم يستعتبون فيتركوا والرجوع الى الدنيا فينيبوا ويتوبوا وذلك كما قال تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويوم نبعث من كل أمة شهيدا وشاهدها نبيها على أنه قد بلغ رسالات ربه قال الله تعالى وجئنا بك شهيدا على هؤلاء

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ واذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولاهم ينظرون ﴾ يقول تعالى ذكره واذا عاين الذين كذبوك يا محمد وجحدوا نبوتك والامم الذين كانوا على منهاج مشركي قومك عذاب الله فلا ينجيهم من عذاب الله شيء لانهم لا يؤذن لهم فيعتذرون فيخفف عنهم العذاب بالعذر الذي يدعونه ولاهم ينظرون يقول ولا يرجئون بالعقاب لان وقت التوبة والانابة قد فات فليس ذلك وقتا لهما وانما هو وقت للجزاء على الاعمال فلا ينظر بالعتاب ليعتب بالتوبة

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ واذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك فألقوا اليهم القول انكم لكاذبون ﴾ يقول تعالى ذكره واذا رأى المشركون بالله يوم القيامة ما كانوا يعبدون من دون الله من الآلهة والاوثان

اذا ذهب العتاب فليس ود * ويبقى الود ما بقى العتاب

وقال في الكشاف أي لا يقال لهم أرضوا ربكم لأن الآخرة ليست بدار عمل ومعنى ثم أن المنع من الكلام أصعب من شهادة الانبياء عليهم

(واذا رأى الذين ظلموا) وهم المشركون (العذاب) بعينهم وثقل عليهم (فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون) ليتوبوا فان

والاوثان وغير ذلك قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا في الكفر بك والشركاء الذين كنا ندعوهم آلهة من دونك قال الله تعالى ذكره فألقوا يعني شركاءهم الذين كانوا يعبدونهم من دون الله القول يقول قالوا لهم انكم لكاذبون أيها المشركون ما كنا ندعوكم الى عبادتنا * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فألقوا اليهم القول قال حدثوهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وألقوا الى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ يقول تعالى ذكره وألقى المشركون الى الله يومئذ السلم يقول استسلموا يومئذ وذلوا لحكمه فيهم ولم تغن عنهم آلهتهم التي كانوا يدعون في الدنيا من دون الله وتبرأت منهم ولا قومهم ولا عشائرهم الذين كانوا في الدنيا يدافعون عنهم والعرب تقول ألقيت اليه كذا تعني بذلك قلت له وقوله وضل عنهم ما كانوا يفترون يقول وأخطأهم من آلهتهم ما كانوا يأملون من الشفاعة عند الله بالنجاة * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وألقوا الى الله يومئذ السلم يقول ذلوا واستسلموا يومئذ وضل عنهم ما كانوا يفترون * القول في تأويل قوله تعالى ﴿ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون ﴾ يقول تعالى ذكره الذين جحدوا يا محمد نبوتك وكذبوك فيما جئتهم به من عند ربك وصدوا عن الايمان بالله وبرسوله من أراده زدناهم عذابا يوم القيامة في جهنم فوق العذاب الذي هم فيه قبل أن يزادوه وقيل تلك الزيادة التي وعدهم الله أن يزيدهموها عقارب وحيات ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله زدناهم عذابا فوق العذاب قال عقارب لها أنياب كالنخل حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية وابن عيينة عن الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله زدناهم عذابا فوق العذاب قال زيدوا عقارب لها أنياب كالنخل الطوال حدثنا ابراهيم بن يعقوب الجوزجاني قال ثنا جعفر بن عون قال أخبرنا الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله مثله حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن سعيد عن سليمن عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله نحوه حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن السدي عن مرة عن عبد الله قال زدناهم عذابا فوق العذاب قال أفاعي حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الله عن اسرائيل عن السدي عن مرة عن عبد الله قال أفاعي في النار حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن رجل عن مرة عن عبد الله مثله حدثنا مجاهد بن موسى والفضل بن

التوبة هنالك غير موجودة أو غير مقبولة وفيه أن عذابهم خالص عن النفع دائم كما يقوله المتكلمون (واذا رأى الذين أشركوا شركاءهم) وهي الاصنام أو الشياطين الذين دعوا الكفار الى الكفر وكانوا قرناءهم في الغي قاله الحسن (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا) أي نعبدهم من دونك قال أبو مسلم الاصبهاني مقصود المشركين احالة هذا الذنب على تلك الاصنام ظنا منهم أن ذلك ينجيهم من عذاب الله أو ينقص منه وزيفه القاضي بأن الكفار يعلمون في الآخرة علما ضروريا أن العذاب ينزل بهم ولا نصرة ولا شفاعة فما الفائدة في هذا القول والانصاف أن الغريق يتعلق بكل شئ والمبهوت قد يقول ما لا فائدة فيه على أن العلم الضروري الذي ادعاه القاضي ممنوع وقيل ان المشركين يقولون هذا الكلام تعجبا من حضور تلك الأصنام مع أنه لا ذنب لها واعترافا بأنهم كانوا خاطئين في عبادتها (فألقوا اليهم القول) أي قال الاصنام أو الشياطين للكفار (انكم لكاذبون) وان قيل ان المشركين أشاروا الى الاصنام أن هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوهم من دونك وقد كانوا صادقين في ذلك فكيف كذبتهم الاصنام فالجواب أن المراد من قولهم هؤلاء شركاؤنا هؤلاء شركاء الله في المعبودية فكذبتهم الاصنام في اثبات هذه الشركة وفي قولهم انها تستحق العبادة قال جار الله ان أراد بالشركاء الشياطين جاز أن يكونوا كاذبين في قوله انكم لكاذبون كما يقول الشيطان اني كفرت بما أشركتمون من قبل (وألقوا الى الله يومئذ السلم) عن الكلبي استسلم العابد والمعبود وأقروا لله بالربوبية وبالبراءة من الشركاء والانداد وقال آخرون الضمير للذين ظلموا والقاء السلم الاستسلام لامر الله

الصباح قالا ثنا جعفر بن عون قال أخبرنا الأعمش عن مجاهد عن عبيد بن عمير قال ان لجهنم جباباً فيها حيات أمثال البخت وعقارب أمثال البغال الدهم يستغيث أهل النار الى تلك الجباب أو الساحل فتثب اليهم فتأخذ بشفاههم وشفارهم الى أقدامهم فيستغيثون منها الى النار فيقولون النار النار فتتبعهم حتى تجد حرها فترجع قال وهي في أسراب حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني حيي بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو قال ان لجهنم سواحل فيها حيات وعقارب أعناقها كأعناق البخت وقوله بما كانوا يفسدون يقول زدناهم ذلك العذاب على ما بهم من العذاب بما كانوا يفسدون بما كانوا في الدنيا يعصون الله ويأمرون عباده بمعصيته فذلك كان افسادهم اللهم انا نسألك العافية يا مالك الدنيا والآخرة الباقية

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ يقول تعالى ذكره ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم يقول نسأل نبيهم الذي بعثناه اليهم للدعاء الى طاعتنا وقال من أنفسهم لانه تعالى ذكره كان يبعث الى أمم أنبياءها منها ماذا أجابوكم وماردوا عليكم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وجئنا بك يا محمد شاهداً على قومك وأمتك الذين أرسلتك اليهم بما أجابوك وماذا عملوا فيما أرسلتك به اليهم وقوله ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شئ يقول نزل عليك يا محمد هذا القرآن بياناً لكل ما بالناس اليه الحاجة من معرفة الحلال والحرام والثواب والعقاب وهدى من الضلالة ورحمة لمن صدق به وعمل بما فيه من حدود الله وأمره ونهيه فأحل حلاله وحرم حرامه وبشرى للمسلمين يقول وبشارة لمن أطاع الله وخضع له بالتوحيد وأذعن له بالطاعة يبشره بجزيل ثوابه في الآخرة وعظيم كرامته وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة قال ثنا أبان بن تغلب عن الحكم عن مجاهد تبياناً لكل شئ قال مما أحل وحرم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن ابن عيينة عن أبان بن تغلب عن مجاهد في قوله تبياناً لكل شئ مما أحل لهم وحرم عليهم حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن الاعمش عن مجاهد في قوله تبياناً لكل شئ قال ما أمر به وما نهى عنه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شئ قال ما أمروا به ونهوا عنه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا محمد بن فضيل عن أشعث عن رجل قال قال ابن مسعود أنزل في هذا القرآن كل علم وكل شئ قد بين لنا في القرآن ثم تلا هذه الآية

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ يقول تعالى ذكره ان الله يأمر في هذا الكتاب الذي أنزله اليك يا محمد بالعدل وهو الانصاف ومن الانصاف الاقرار عن أنعم علينا بنعمته والشكر له على افضاله وتولى الحمد أهله واذا كان ذلك هو العدل ولم يكن للاوثان والاصنام عندنا يد تستحق الحمد عليها كان جهلاً بنا حمدها وعبادتها وهي لا تنعم فتشكر ولا تنفع فتعبد فلزمنا أن نشهد

بعد الاباء في الدنيا (وضل) أي غاب (عنهم ما كانوا يفترون) من أن لله شريكاً أو أن آلهتهم تشفع لهم حين كذبوهم وتبرؤا منهم (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) قيل معناه الصد عن المسجد الحرام والأصح العموم (زدناهم عذاباً) لاجل الاضلال (فوق العذاب) الذي استحقوه للضلال وأيضاً عذاب الاستنان من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها ومن المفسرين من فصل تلك الزيادة فعن ابن عباس هي خمسة أنهار من نار تسيل من تحت العرش يعذبون بها ثلاثة على مقدار الليل واثنان على مقدار النهار وقيل حيات أمثال البخت وعقارب أشباه البغال أنيابها كالنخل الطوال تلسع احداهن اللسعة فيجد صاحبها حمتها أربعين خريفاً وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة برده الى النار ثم علل زيادة عذابهم بكونهم مفسدين أمور الناس بالصد والاضلال فيعلم منه أن من دعا الى الدين القويم باليد واللسان فانه يزيده الله تعالى أجراً على أجره ثم أعاد حكاية بعث الشهداء لما نيط بها من زيادة فائدتين احداهما كون الشهداء من أنفسهم لان كل نبي فهو من جنس أمته والأخرى أن الشهيد يكون وقتئذ في الامة لا مفارقاً اياهم وفسر الأصم الشهيد في هذه الآية بأنه تعالى ينطق عشرة من أعضاء الانسان حتى تشهد عليه وهي الاذنان والعينان والرجلان واليدان والجلد واللسان ولهذا ذكر لفظة في ووصف الشهيد بكونه من أنفسهم ثم شرف نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله (وجئنا بك شهيداً على هؤلاء) أي على أمتك ولا ريب أن في تخصيصه بعد التعميم دلالة على فضله نظيره قوله في سورة النساء فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً قال الامام فخر الدين الرازي الامة عبارة عن القرن والجماعة فيعلم من الآية أن أنه لا بد في كل عصر من أقوام تقوم الحجة بقولهم ويكونون شهداء على غيرهم وهم أهل الحل والعقد فيكون اجماعهم حجة ولقائل أن يقول الامة في الآية هي الجماعة الذين بعث النبي اليهم والى من سيوجد منهم الى آخر زمان دينه فيكون نبي تلك الامة وحده شهيداً

أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ولذلك قال من قال العدل في هذا الموضع شهادة أن لا اله الا الله ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى وعلي بن داود قالا ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان قال شهادة أن لا اله الا الله وقوله والاحسان فان الاحسان الذي أمر به تعالى ذكره مع العدل الذي وصفنا صفته الصبر لله على طاعته فيما أمر ونهى في الشدة والرخاء والمكره والمنشط وذلك هو أداء فرائضه كما **حدثني** المثنى وعلي بن داود قالا ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس والاحسان يقول أداء الفرائض وقوله وايتاء ذي القربى يقول واعطاء ذي القربى الحق الذي أوجبه الله عليك بسبب القرابة والرحم كما **حدثني** المثنى وعلي قالا ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس وايتاء ذي القربى يقول الارحام وقوله وينهى عن الفحشاء قال الفحشاء في هذا الموضع الزنا ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى وعلي بن داود قالا ثنا عبد الله بن صالح عن علي عن ابن عباس وينهى عن الفحشاء يقول الزنا وقد بينا معنى الفحشاء بشواهده فيما مضى قبل وقوله والبغي قيل عني بالبغي في هذا الموضع الكبر والظلم ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى وعلي بن داود قالا ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس والبغي يقول الكبر والظلم وأصل البغي التعدي ومجاوزة القدر والحد من كل شئ وقد بينا ذلك فيما مضى قبل وقوله يعظكم لعلكم تذكرون يقول يذكركم أيها الناس ربكم لتذكروا فتنيبوا الى أمره ونهيه وتعرفوا الحق لاهله كما **حدثني** المثنى وعلي بن داود قالا ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس يعظكم يقول يوصيكم لعلكم تذكرون وقد ذكر عن ابن عيينة أنه كان يقول في تأويل ذلك ان معنى العدل في هذا الموضع استواء السريرة والعلانية من كل عامل لله عملا وان معنى الاحسان أن تكون سريرته أحسن من علانيته وان الفحشاء والمنكر أن تكون علانيته أحسن من سريرته وذكر عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقول في هذه الآية ما **حدثني** المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا معتمر بن سليمن قال سمعت منصور بن النعمان عن عامر عن شتير بن شكل قال سمعت عبد الله يقول ان أجمع آية في القرآن في سورة النحل ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى الى آخر الآية **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن الشعبي عن شتير بن شكل قال سمعت عبد الله يقول ان أجمع آية في القرآن لخير أو لشر آية في سورة النحل ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى الآية انه ليس من خلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به ويستحسنونه الا أمر الله به وليس من خلق سيئ كانوا يتعايرونه بينهم الا نهى الله عنه وقدم فيه وانما نهى عن سفاسف الأخلاق ومذامها ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون ﴾ يقول تعالى ذكره وأوفوا بميثاق الله اذا واثقتموه وعقده اذا عاقدتموه فأوجبتم به على

عليهم ولا دلالة للآية الا على هذا القدر فمن أين حصل لك أن اجماع أهل الحل والعقد في كل عصر حجة ثم بين أنه أزاح عللهم فيما كلفوا فيه فلا حجة لهم ولا معذرة فقال (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ) أي بيانا بالغا والتاء للمبالغة ونظيره من المصادر التلقاء ولم يأت غيرهما وقد مر في الاعراف قال الفقهاء انما كان القرآن بيانا لجميع الاحكام لان الاحكام المستنبطة من السنة والاجماع والقياس والاجتهاد كلها تستند الى الكتاب حيث أمر فيه باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعته وورد فيه ومن يتبع غير سبيل المؤمنين وجاء فاعتبروا . وقال آخرون ان علم أصول الدين كلها في القرآن وأما علم الفروع فالاصل براءة الذمة الا ما ورد به نص القرآن فاذن القرآن واف ببيان جميع الاحكام والقياس ضائع ولعل التبيان انما هو للعلماء خاصة والهدى لجميع الخلق في أول أحوالهم والرحمة في وسطها وهو مدة العمر بعد الاسلام والبشرى في أوان الاجل كما قال سبحانه ان الذين قالوا ربنا الله الى قوله وأبشروا والله أعلم بمراده ولما ذكر أن في القرآن تبيان كل شئ ذكر عقيبه آية جامعة لاصول التكاليف كلها تصديقا لذلك فقال (ان الله يأمر) الآية عن ابن عباس أن عثمن بن مظعون الجمحي قال ما أسلمت أولا الا حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتقرر الاسلام في قلبي فحضرته ذات يوم فبينا هو يحدثني اذ رأيت بصره شخص الى السماء ثم خفضه عن يمينه ثم عاد لمثل ذلك فسألته فقال بينا أنا أحدثك اذا جبرئيل عليه السلام نزل عن يميني فقال يا محمد ان الله يأمر بالعدل الآية قال عثمن فمن وقته استقر الايمان في قلبي وأحببت محمدا صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود هي أجمع آية في القرآن وعن قتادة ليس من خلق حسن كان في الجاهلية يعمل ويستحسن الا أمر الله تعالى به في هذه الآية وليس من خلق سيئ الا وقد نهى الله تعالى عنه فيها قال المفسرون العدل هو أداء الفرائض وعن ابن عباس هو قول لا اله الا الله (والاحسان) هو الاتيان بالمندوبات والمستحسنات شرعا وعرفا وأقربها صلة الرحم بالمال فلذلك أفردها بالذكر بقوله (وايتاء

أنفسكم حقا لمن عاقدتموه به وواثقتموه عليه ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها يقول ولا تخالفوا الأمر الذي تعاقدتم فيه الأيمان يعني بعد ما شددتم الايمان على أنفسكم فتحنثوا في أيمانكم وتكذبوا وافيها وتنقضوها بعد ابرامها يقال منه وكد فلان يمينه يوكدها توكيدا اذا شددها وهي لغة أهل الحجاز وأما أهل نجد فانهم يقولون أكدتها أؤكدها تأكيدا وقوله وقد جعلتم الله عليكم كفيلا يقول وقد جعلتم الله بالوفاء بما تعاقدتم عليه على أنفسكم راعيا يرعى الموفي منكم بعهد الله الذي عاهد على الوفاء به والناقض * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف بينهم فيمن عني بهذه الآية وفيما أنزلت فقال بعضهم عني بها الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام وفيهم أنزلت ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمارة الأسدي قال ثنا عبد الله بن موسى قال أخبرنا أبو ليلى عن بريدة قوله وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم قال أنزلت هذه الآية في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم كان من أسلم بايع على الاسلام فقال وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم هذه البيعة التي بايعتم على الاسلام ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها البيعة فلا يحملكم قلة محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكثرة المشركين أن تنقضوا البيعة التي بايعتم على الاسلام وان كان فيهم قلة والمشركين فيهم كثرة .. وقال آخرون نزلت في الحلف الذي كان أهل الشرك تحالفوا في الجاهلية فأمرهم الله عز وجل في الاسلام أن يوفوا به ولا ينقضوه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها قال تغليظها في الحلف حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها يقول بعد تشديدها وتغليظها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد هؤلاء قوم كانوا حلفاء لقوم تحالفوا وأعطى بعضهم العهد فجاءهم قوم فقالوا نحن أكثر وأعز وأمنع فانقضوا عهد هؤلاء وارجعوا الينا ففعلوا فذلك قول الله تعالى ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا أن تكون أمة هي أربى من أمة هي أربى أكثر من أجل أن كان هؤلاء أكثر من أولئك نقضتم العهد فيما بينكم وبين هؤلاء فكان هذا في هذا حدثني ابن البرقي قال ثنا ابن أبي مريم قال أخبرنا نافع ابن يزيد قال سألت يحيى بن سعيد عن قول الله ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها قال العهود * والصواب من القول في ذلك أن يقال ان الله تعالى أمر في هذه الآية عباده بالوفاء بعهوده التي يجعلونها على أنفسهم ونهاهم عن نقض الأيمان بعد توكيدها على أنفسهم لآخرين بعقود تكون بينهم بحق مما لا يكرهه الله وجائز أن تكون نزلت في الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نهاهم عن نقض بيعتهم حذرا من قلة عدد المسلمين وكثرة عدد المشركين وأن تكون نزلت في الذين أرادوا الانتقال بحلفهم عن حلفائهم لقلة عددهم في آخرين لكثرة عددهم وجائز أن

تكون

ذي القربى) والفحشاء هي الامور المتزايدة في القبح فلذلك أفردها بالذكر وهي الكبائر وقد يخص بالزنا أو بالبخل والمنكر ما تنكره العقول ولا يعرف في شريعة ولا سنة والبغي هو الاستطالة قال جار الله حين أسقطت من الخطب لعنة الملاعين على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وعلى نبينا الصلاة والسلام أقيمت هذه الآية مقامها واعلم أن العدل عبارة عن الامر المتوسط بين طرفي الافراط والتفريط وأنه واجب الرعاية في جميع الاشياء ولنذكر له أمثلة أما في الاعتقادات فالقول بنفي الاله تعطيل محض واثبات أكثر من اله واحد تشريك وتجيز والعدل هو قول لا اله الا الله كما نقل عن ابن عباس هذا ما اتفق عليه أرباب المذاهب ثم ان الاشعري يقول القول بنفي الصفات عنه سبحانه تعطيل والقول باثبات المكان والاعضاء تشبيه والعدل اثبات صفات الكمال من الحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام ونفي غيرها وبوجه آخر نفي الصفات تعطيل واثبات الصفات الحادثة تشبيه والعدل اثبات صفات أزلية قديمة غير متغيرة وأيضا القول بأن العبد لا قدرة له أصلا جبر محض والقول بأنه مستقل في التصرف قدر محض وتفويض والعدل أمر بين الامرين وهو أن العبد يفعل الافعال ولكن بواسطة قدرة وداعية يخلقها الله تعالى فيه وأيضا القول بأن الله لا يؤاخذ عبده بشيء من الذنوب مساهلة عظيمة والقول بأنه يخلد في النار عبده العارف به بالمعصية الواحدة تشديد عظيم والعدل انه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من الايمان والمعتزلي يقول العدل في هذه الاصول بنوع آخر وقد مر مرارا وأما رعاية العدل فيما يتعلق بافعال الجوارح فان قوما من نفاة التكليف يقولون لا يجب على العبد الاشتغال بشيء من الطاعات ولا الاحتراز عن شيء من المعاصي وقال قوم من الهند وطائفة من المانوية يجب على الانسان أن يجتنب عن أكل الطيبات ويبالغ في تعذيب نفسه وأن يحترز عن كل ما يميل

الطبع اليه حتى التزوج والاولى بالمرء أن يختصى فهذان الطريقان مذمومان والوسط هو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم لان التشديد غالب في دين موسى فليس في شرعه على القاتل الا القصاص ويحرم مخالطة الحائض والتساهل في دين عيسى غالب فلا قصاص على القاتل ولا يحرم وطء الحائض والعدل ما حكم به شرعنا من جواز العفو وأخذ الدية وحرمة وطء

الحائض دون مخالطتها ولذلك قال وكذلك جعلناكم أمة وسطا وقال والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ولما بالغ رسول الله صلى الله عليه وسلم في العبادات قيل له طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ولما أخذ قوم في المساهلة نزل أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا والمراد رعاية الوسط في كل الامور وقد ورد في شرعنا الختان فقال بعض العقلاء الحكمة فيه أن رأس ذلك العضو جسم شديد الحس فاذا قطعت تلك الجلدة بقي رأسه عاريا فيصلب بكثرة ملاقاة الثياب وغيرها فيضعف حسه ويقل شعوره فتقل لذة الوقاع فتقل الرغبة فيه فالاختصاء وقطع الآلات كما ذهب اليه المانوية مذموم وابقاء تلك الجلدة مبالغة في تقوية تلك اللذة مذموم والوسط العدل هو الختان هذا ما قيل وعندي أن الحكمة في الختان بعد التعبد هو التنظيف وسهولة غسل الحشفة والا فلعل اللذة بعد الختان أكثر لملاقاة الحاس المحسوس بلا حائل ومن الكلمات المشهورة قولهم بالعدل قامت السموات والارضون ومعناه أن مقادير العناصر لو لم تكن معادلة مكافئة بحسب الكمية والكيفية لاستولى الغالب على المغلوب وتنقلب الطبائع كلها الى طبيعة الجرم الغالب ولو كان بعد الشمس من الارض أقل مما هو الآن لاحترق كل ما في هذا العالم وان كان أكثر استولى البرد والجمود وكذا القول في مقادير حركات الكواكب ومراتب سرعتها وابطائها فان كلا منها مقدر على ما يليق بنظام العالم وقوامه وقيامه فهذه اشارة مختصرة الى تحقيق العدل وأما الاحسان فهو المبالغة في أداء الطاعات بحسب الكمية وبحسب الكيفية ومن هنا قال الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فكأن المبالغ المخلص في أداء الطاعات يوصل الفعل الحسن الى نفسه

تكون في غير ذلك ولا خبر تثبت به الحجة أنها نزلت في شيء من ذلك دون شيء ولا دلالة في كتاب ولا حجة عقل أي ذلك عني بها ولا قول في ذلك أولى بالحق مما قلنا لدلالة ظاهره عليه وان الآية كانت قد نزلت لسبب من الاسباب ويكون الحكم بها عاما في كل ما كان بمعنى السبب الذي نزلت فيه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وقد جعلتم الله عليكم كفيلا قال وكيلا وقوله ان الله يعلم ما تفعلون يقول تعالى ذكره ان الله أيها الناس يعلم ما تفعلون في العهود الذي تعاهدون الله من الوفاء بها والأحلاف والايمان التي تؤكدونها على أنفسكم أتبرون فيها أم تنقضونها وغير ذلك من أفعالكم محص ذلك كله عليكم وهو مسائلكم عنها وعما عملتم فيها يقول فاحذروا الله أن تلقوه وقد خالفتم فيها أمره ونهيه فتستوجبوا بذلك منه ما لا قبل لكم به من أليم عقابه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة انما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون﴾ يقول تعالى ذكره ناهيا عباده عن نقض الأيمان بعد توكيدها وآمرا بوفاء العهود وممثلا ناقض ذلك بناقضة غزلها من بعد ابرامه وناكثته من بعد احكامه ولا تكونوا أيها الناس في نقضكم أيمانكم بعد توكيدها واعطائكم الله بالوفاء بذلك العهود والمواثيق كالتي نقضت غزلها من بعد قوة يعني من بعد ابرام وكان بعض أهل العربية يقول القوة ما غزل على طاقة واحدة ولم يثن وقيل ان التي كانت تفعل ذلك امرأة حمقاء معروفة بمكة ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني عبد الله بن كثير كالتي نقضت غزلها من بعد قوة قال خرقاء كانت بمكة تنقضه بعد ما تبرمه حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة عن صدقة عن السدي ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم قال هي خرقاء بمكة كانت اذا أبرمت غزلها نقضته .. وقال آخرون انما هذا مثل ضربه الله لمن نقض العهد فشبهه بامرأة تفعل هذا الفعل وقالوا في معنى نقضت غزلها من بعد قوة نحوا مما قلنا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا فلو سمعتم بامرأة نقضت غزلها من بعد ابرامه لقلتم ما أحمق هذه وهذا مثل ضربه الله لمن نكث عهده حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة قال غزلها حبلها تنقضه بعد ابرامها اياه ولا تنتفع به بعد حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد كالتي نقضت غزلها من بعد قوة قال نقضت حبلها من بعد ابرام قوة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من

وبالحقيقة يدخل في الاحسان أنواع التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله واشرف أنواع الاشفاق صلة الرحم بالمال فلا جرم أفرد بالذكر كما مر ثم انه تعالى أودع في النفس البشرية قوى أربعا الشهوية البهيمية والغضبية السبعية والوهمية الشيطانية والعقلية الملكية وهذه الاخيرة لاتحتاج الى التهذيب لانها من نتائج الارواح القدسية وأما الثلاث الاول فتحتاج الى التأديب والتهذيب

بمقتضى الشريعة وقانون العقل والطريقة والنهي عن الفحشاء عبارة عن المنع من تحصيل اللذات الشهوية الخارجة عن اذن الشريعة والنهي عن المنكر عبارة عن الافراط الحاصل في آثار القوة الغضبية من ايذاء الناس وايصال الشر اليهم من غير ما استحقاق والنهي عن البغي اشارة الى المنع من افراط القوة الوهمية كالاستعلاء على الناس والترفع وحب الرياسة والتقدم ممن ليس أهلا لذلك وأخس هذه المراتب عند العقلاء القوة الشهوانية وأوسطها الغضبية وأعلاها الوهمية فلهذا بدأ سبحانه بالفحشاء ثم بالمنكر ثم بالبغي ولان أصول الاخلاق والتكاليف كلها مذكورة في الآية لاجرم ختمها بقوله (يعظكم لعلكم تذكرون) لانها كافية في باب العظة والتذكر والارتقاء من حضيض عالم البشرية الى ذروة عالم الارواح المقدسة قال الكعبي في الآية دلالة على أنه تعالى لايخلق الجور والفحشاء والا فكيف ينهاهم عما يخلقها فيهم وعورض بالعلم والداعي كما مر مرارا واعلم أنه لايلزم من ارادة الله تذكر العبد والتذكر من فعل الله بالاتفاق لامن فعل العبد ان يطلب الله منه التذكر فان طلب ماليس في وسعه محال فعنى لعلكم تذكرون ارادة أن تكونوا على حالة التذكر لا ارادة أن تحصلوا التذكر ثم خص من جملة المأمورات الوفاء بالعهد فقال (وأوفوا بعهد الله) خصصه جار الله بالبيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقال الاصم المراد منه الجهاد وما فرض الله في الاموال من حق الشرائع وقيل هو اليمين والأصح العموم وهو كل عهد يلتزمه الانسان باختياره بدليل قوله اذا عاهدتم

بعد قوة أنكاثا قال هذا مثل ضربه الله لمن نقض العهد الذي يعطيه ضرب الله هذا له مثلا بمثل التي غزلت ثم نقضت غزلها فقد أعطاهم ثم رجع فنكث العهد الذي أعطاهم وقوله أنكاثا يعني أنقاضا وكل شئ نقض بعد الفتل فهو أنكاث واحدها نكث حبلا كان ذلك أو غزلا يقال منه نكث فلان هذا الحبل فهو ينكثه نكثا والحبل منتكث اذا انتقضت قواه وانما عني به في هذا الموضع نكث العهد والعقد وقوله تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة يقول تعالى ذكره تجعلون أيمانكم التي تحلفون بها على أنكم موفون بالعهد لمن عاقدتموه دخلا بينكم يقول خديعة وغرورا ليطمئنوا اليكم وأنتم مضمرون لهم الغدر وترك الوفاء بالعهد والنقلة عنهم الى غيرهم من أجل أن غيرهم أكثر عددا منهم والدخل في كلام العرب كل أمر لم يكن صحيحا يقال منه أنا أعلم دخل فلان ودخله ودخلله وداخلة أمره ودخلته ودخيلته وأما قوله أن تكون أمة هي أربى من أمة فان قوله أربى أفعل من الربا يقال هذا أربى من هذا وأربا منه اذا كان أكثر منه ومنه قول الشاعر

وأسمر خطي كأن كعوبه * نوى القسب قد أربى ذراعا على العشر

وانما يقال أربى فلان من هذا وذلك للزيادة التي يزيدها على غريمه على رأس ماله * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى وعلي بن داود قالا ثنا عبدالله ابن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أن تكون أمة هي أربى من أمة يقول أكثر حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أن تكون أمة هي أربى من أمة يقول ناس أكثر من ناس حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله أن تكون أمة هي أربى من أمة قال كانوا يحالفون الحلفاء فيجدون أكثر منهم وأعز فينقضون حلف هؤلاء ويحالفون هؤلاء الذين هم أعز منهم فنهوا عن ذلك حدثنا ابن المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبدالله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد (١) وحدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله تتخذون أيمانكم دخلا بينكم يقول خيانة وغدرا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة أن يكون قوم أعز وأكثر من قوم حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا أبو ثور عن معمر عن قتادة دخلا بينكم قال خيانة بينكم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله تتخذون أيمانكم دخلا بينكم يغر بها يعطيه العهد يؤمنه وينزله من مأمنه فتزل قدمه وهو في مأمن ثم يعود يريد الغدر قال فأول بدو هو قوم كانوا حلفاء لقوم تحالفوا وأعطى بعضهم بعضا العهد فجاءهم قوم قالوا نحن أكثر وأعز وأمنع فانقضوا عهد هؤلاء وارجعوا الينا ففعلوا وذلك قول الله تعالى ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا أن تكون أمة هي

(١) أي بمثله وكثيرا ما يأتي بالسند ويترك المتن اذا تقدم ولا يأتي بلفظ نحوه أو مثله فتنبه

أربى

أربى من أمة هي أربى أكثر من أجل أن كانوا هؤلاء أكثر من أولئك نقضتم العهد فيما بينكم وبين هؤلاء فكان هذا في هذا وكان الامر الآخر في الذي يعاهده فينزله من حصنه ثم ينكث عليه الآية الاولى في هؤلاء القوم وهي مبدؤه والاخرى في هذا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله أن تكون أمة هي أربى من أمة يقول أكثر يقول فعليكم بوفاء العهد وقوله انما يبلوكم الله به يقول تعالى ذكره انما يختبركم الله بأمره اياكم بالوفاء بعهد الله اذا عاهدتم ليتبين المطيع منكم المنتهي الى أمره ونهيه من العاصي المخالف أمره ونهيه وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون يقول تعالى ذكره وليبين لكم أيها الناس ربكم يوم القيامة اذا وردتم عليه بمجازاة كل فريق منكم على عمله في الدنيا المحسن منكم باحسانه والمسيء باساءته ما كنتم فيه تختلفون والذي كانوا فيه يختلفون في الدنيا أن المؤمن بالله كان يقر بوحدانية الله ونبوة نبيه ويصدق بما ابتعث به أنبياءه وكان يكذب بذلك كله الكافر فذلك كان اختلافهم في الدنيا الذي وعد الله تعالى ذكره عباده أن يبينه لهم عند ورودهم عليه بما وصفنا من البيان

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسئلن عما كنتم تعملون﴾ يقول تعالى ذكره ولو شاء ربكم أيها الناس للطف بكم بتوفيق من عنده فصرتم جميعا جماعة واحدة وأهل ملة واحدة لا تختلفون ولا تفترقون ولكنه تعالى ذكره خالف بينكم فجعلكم أهل ملل شتى بأن وفق هؤلاء للايمان به والعمل بطاعته فكانوا مؤمنين وخذل هؤلاء فحرمهم توفيقه فكانوا كافرين وليسألنكم الله جميعا يوم القيامة عما كنتم تعملون في الدنيا فيما أمركم ونهاكم ثم ليجازينكم جزاءكم المطيع منكم بطاعته والعاصي له بمعصيته

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم﴾ يقول تعالى ذكره ولا تتخذوا أيمانكم بينكم دخلا وخديعة بينكم تغرون بها الناس فتزل قدم بعد ثبوتها يقول فتهلكوا بعد أن كنتم من الهلاك آمنين وانما هذا مثل لكل مبتلى بعد عافية أو ساقط في ورطة بعد سلامة وما أشبه ذلك زلت قدمه كما قال الشاعر

سيمنع منك السبق ان كنت سابقا * وتلطع ان زلت بك النعلان

وقوله وتذوقوا السوء يقول وتذوقوا أنتم السوء وذلك السوء هو عذاب الله الذي يعذب به أهل معاصيه في الدنيا وذلك بعض ما عذب به أهل الكفر به بما صددتم عن سبيل الله يقول بما فتنتم من أراد الايمان بالله ورسوله عن الايمان ولكم عذاب عظيم في الآخرة وذلك نار جهنم وهذه الآية تدل على أن تأويل بريدة الذي ذكرنا عنه في قوله وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم والآيات التي بعدها أنه عنى بذلك الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام (١) عن مفارقة الاسلام لقلة أهله وكثرة أهل الشرك هو الصواب دون الذي قال مجاهد انهم عنوا به لانه ليس في انتقال قوم تحالفوا عن حلفائهم الى آخرين غيرهم صد عن سبيل الله ولا ضلال عن الهدى وقد وصف تعالى ذكره في هذه الآية فاعلي ذلك أنهم باتخاذهم الأيمان دخلا بينهم ونقضهم الأيمان بعد توكيدها صادون عن سبيل الله وأنهم أهل ضلال في التي قبلها وهذه صفة أهل الكفر بالله لا صفة أهل النقلة بالحلف عن

وقول من قال العهد هو اليمين يلزم منه أن يكون قوله سبحانه ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها أي بعد توثيقها باسم الله تكرارا وأكد ووكد لغتان فصيحتان قال الزجاج الاصل الواو والهمزة بدل وفي الآية دلالة على الفرق بين الأيمان المؤكدة وبين لغو اليمين كقولهم لا والله وبلى والله وأيضا الآية من العمومات التي دخلها التخصيص لما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليأت بالذي هو خير ثم ليكفر وقد مر بحث الأيمان في البقرة وفي المائدة في قوله لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم الآية (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) أي شاهدا ورقيبا لأن الكفيل مراع لحال المكفول به (إن الله يعلم ما تفعلون) فيجازيكم بحسب ذلك خيرا أو شرا وفيه ترغيب وترهيب ثم أكد وجوب الوفاء وتحريم النقض بقوله (ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة) أي من بعد قوة الغزل بامراره وفتله قال الزجاج انتصب (أنكاثا) على المصدر لأن معنى نقضت نكثت وزيف بأن أنكاثا ليس مصدرا وانما هو جمع نكث بكسر النون وهو ما ينكث فتله وقال الواحدي هو مفعول ثان كما تقول كسره أقطاعا وفرقه أجزاء أي جعله أقطاعا وأجزاء فكذا ههنا أي جعلت غزلها أنكاثا قلت ويحتمل أن يكون حالا مؤكدة قال ابن قتيبة هذه الآية متصلة بما قبلها والتقدير وأوفوا بعهد الله ولا تنقضوا الأيمان فانكم ان فعلتم ذلك كنتم مثل امرأة غزلت غزلا وأحكمته ثم جعلته أنكاثا فعلى هذا المشبه به امرأة غير معينة ولا حاجة في التشبيه الى أن يكون للمشبه به وجود في الخارج وقيل المراد امرأة معينة من قريش ريطة بنت سعد ابن تيم وكانت خرقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وهي الحديدة في رأس المغزل وفلكة عظيمة على قدرها وكانت تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن قال جار الله تتخذون حال ودخلا مفعول ثان لتتخذ أي لا تنقضوا أيمانكم متخذيها دخلا بينكم أي مفسدة ودغلا وقال الواحدي أي غشا وخيانة وقال الجوهري أي مكرا وخديعة

(١) لعله نهوا عن مفارقة الخ فتأمل كتبه مصححه

قوم الى قوم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا انما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ يقول تعالى ذكره ولا تنقضوا عهودكم أيها الناس وعقودكم التى عاقدتموها من عاقدتم مؤكديها بأيمانكم تطلبون بنقضكم ذلك عرضا من الدنيا قليلا ولكن أوفوا بعهد الله الذى أمركم بالوفاء به يثبكم الله على الوفاء به فان ما عند الله من الثواب لكم على الوفاء بذلك هو خير لكم ان كنتم تعلمون فضل ما بين العوضين اللذين أحدهما الثمن القليل الذى تشترون بنقض عهد الله فى الدنيا والآخر الثواب الجزيل فى الآخرة على الوفاء به ثم بين تعالى ذكره فرق ما بين العوضين وفضل ما بين الثوابين فقال ما عندكم أيها الناس مما تملكونه فى الدنيا وان كثر فنافد فان وما عند الله لمن أوفى بعهده وأطاعه من الخيرات باق غير فان فلما عنده فاعملوا وعلى الباقى الذى لا يفنى فاحرصوا وقوله ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون يقول تعالى ذكره وليثيبن الله الذين صبروا على طاعتهم اياه فى السراء والضراء ثوابهم يوم القيامة على صبرهم عليها ومسارعتهم فى رضاه بأحسن ما كانوا يعملون من الأعمال دون أسوئها وليغفرن لهم سيئها بفضله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ يقول تعالى ذكره من عمل بطاعة الله وأوفى بعهود الله اذا عاهد من ذكر أو أنثى من بنى آدم وهو مؤمن يقول وهو مصدق بثواب الله الذى وعد أهل طاعته على الطاعة وبوعيد أهل معصيته على المعصية فلنحيينه حياة طيبة واختلف أهل التأويل فى الذى عنى الله بالحياة الطيبة التى وعد هؤلاء القوم أن يحييهموها فقال بعضهم عنى أنه يحييهم فى الدنيا ما عاشوا فيها بالرزق الحلال ذكر من قال ذلك حدثنى أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن اسمعيل بن سميع عن أبى مالك عن ابن عباس فلنحيينه حياة طيبة قال الحياة الطيبة الرزق الحلال فى الدنيا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن اسمعيل بن سميع عن أبى مالك وأبى الربيع عن ابن عباس بنحوه حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن اسمعيل بن سميع عن أبى الربيع عن ابن عباس فى قوله من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة قال الرزق الحسن فى الدنيا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن اسمعيل بن سميع عن أبى الربيع عن ابن عباس فلنحيينه حياة طيبة قال الرزق الطيب فى الدنيا حدثنى المثنى قال ثنا الفضل بن دكين قال ثنا سفيان عن اسمعيل بن سميع عن أبى الربيع عن ابن عباس فلنحيينه حياة طيبة قال الرزق الطيب فى الدنيا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة يعنى فى الدنيا حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن مطرف عن الضحاك فلنحيينه حياة طيبة قال الرزق الطيب الحلال حدثنى عبد الأعلى بن واصل قال ثنا عون بن سلام القرشى قال أخبرنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك فى قوله فلنحيينه حياة طيبة قال يأكل حلالا ويلبس حلالا وقال آخرون فلنحيينه حياة طيبة بأن نرزقه القناعة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع

قال

وقال غيره الدخل ما أدخل فى الشئ على فساد وقوله (أن تكون) أى لأن تكون (أمة) يعنى جماعة قريش هى أربى أى أزيد وأوفر عددا ومالا (من أمة) هى جماعة المؤمنين قال مجاهد كانوا يحالفون الحلفاء ثم يجدون من كان أعز منهم وأشرف فينقضون حلف الاولين ويحالفون الذين هم أعز وأمنع (انما يبلوكم الله به) أى بما يأمركم وينهاكم وقد تقدم ذكر الأمر والنهى وقال جار الله الضمير لقوله أن تكون لانه فى معنى المصدر أى يختبركم بكونهم أربى لينظر أتتمسكون بحبل الوفاء مع قلة المؤمنين وفقرهم أم تغترون بكثرة قريش وثروتهم ثم حذرهم من مخالفة ملة الاسلام وأنذرهم بقوله (وليبينن لكم يوم القيامة) باظهار الدرجات والكرامات للاولياء وتعيين الدركات والبليات للاشقياء (ما كنتم فيه تختلفون) حيث تدعون أنكم على الحق والمؤمنون على الباطل فتنقضون عهودهم ثم بين أنه سبحانه قادر على أن يجمع المؤمنين والكافرين على الوفاء وسائر أبواب الايمان ولكنه بحكم الالهية (يضل من يشاء ويهدى من يشاء) والمعتزلة حملوا المشيئة على مشيئة الالجاء بدليل قوله (ولتسئلن عما كنتم تعملون) ولو كانت أعمال العباد بخلق الله تعالى لكان سؤالهم عبثا أجابت الاشاعرة بأنه لا يسئل عما يفعل روى الواحدى أن عزيرا قال يارب خلقت الخلق فتضل من تشاء وتهدى من تشاء فقال يا عزير أعرض عن هذا فاعاده ثانيا فقال أعرض عن هذا والا محوت اسمك من النبوة قال المفسرون لما نهاهم عن نقض مطلق الأيمان أراد أن ينهاهم عن نقض أيمان مخصوصة أقدموا عليها وهو نقض بيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والدليل على هذا التخصيص قوله (فتزل قدم بعد ثبوتها) لان هذا الوعيد لا يليق بنقض عهد قبله وانما يليق بنقض عهد النبى صلى الله عليه وسلم قال جار الله وحدت القدم ونكرت لاستعظام أن تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد أن ثبتت عليه فكيف بأقدام كثيرة وهذا مثل يضرب لمن وقع فى بلاء بعد عافية ولا ريب أن من نقض عهد الاسلام وزلت قدمه عن محجة الدين القويم فقد سقط من الدرجات العالية الى

الدركات الهاوية بيانه قوله (وتذوقوا السوء) فى الدنيا (بما صددتم) بصدودكم أو بصدكم غيركم (عن سبيل الله) لان المرتد قد يقتدى به غيره (ولكم عذاب عظيم) فى الآخرة ويحتمل أن يراد ان ذلك السوء الذى تذوقونه هو عذاب عظيم قال جار الله كان قوم أسلموا بمكة ثم زين لهم الشيطان نقض البيعة لكونهم مستضعفين هنالك فأوعدهم الله على ذلك ثم نهاهم عن الميل الى ما كان يعدهم قريش من عرض الدنيا ان رجعوا عن الاسلام فقال (ولا تشتروا) الآية ثم ذكر دليلا قاطعا على أن ما عند الله خير فقال (ما عندكم ينفد وما عند الله) من خزائن رحمته (باق) وفيه دليل على أن نعيم الجنة باق لأهلها لا ينقطع وقال جهم بن صفوان انه منقطع والآية حجة عليه (ولنجزين الذين صبروا) على ما التزموه من شرائع الاسلام (أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) أى بالواجبات والمندوبات لا بالمباحات فانه لا ثواب على فعلها ولا عقاب أو نجزيهم بجزاء أشرف وأوفر من عملهم كقوله من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ثم عمم الوعد على أى عمل صالح كان فقال (من عمل صالحا) ولا كلام فى عمومه الا أنه زاد قوله (من ذكر أو أنثى) تأكيدا وازالة لوهم التخصيص والمبالغة فى تقرير الوعد من أعظم دلائل الكرم ثم جعل الايمان شرطا فى كون العمل الصالح منتجا للثواب حيث قال (وهو مؤمن) واستدل به على أن الايمان مغاير للعمل الصالح فان شرط الشىء مغاير لذلك الشىء واختلف فى الحياة الطيبة فقيل هى فى الجنة عن الحسن وسعيد بن جبير وقتادة لان الانسان فى الدنيا لا يخلو من مشقة وأذية ومكروه لقوله تعالى يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه بين أن هذا الكدح وهو التعب فى العمل باق الى أن يصل الى ربه وأما بعد ذلك فحياة بلا موت وغنى بلا فقر وصحة بلا مرض وملك بلا زوال وسعادة بلا انتقال وقال السدى ان هذه الحياة فى القبر والأكثرون على أنها فى الدنيا لقوله بعد ذلك (ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) وعلى هذا فما سبب طيب الحياة قيل هو الرزق الحلال وقيل عبادة الله مع أكل الحلال وقيل القناعة أو رزق يوم كان النبى صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم اجعل رزق آل محمد كفافا

قال ثنا يحيى بن يمان عن المنهال بن خليفة عن أبى خزيمة سليمن التمار عمن ذكره عن على فلنحيينه حياة طيبة قال القنوع حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو عصام عن أبى سعيد عن الحسن البصرى قال الحياة الطيبة القناعة * وقال آخرون بل يعنى بالحياة الطيبة الحياة مؤمنا بالله عاملا بطاعته ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سلمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فلنحيينه حياة طيبة يقول من عمل عملا صالحا وهو مؤمن فى فاقة أو ميسرة فحياته طيبة ومن أعرض عن ذكر الله فلم يؤمن ولم يعمل صالحا فعيشته ضنكة لا خير فيها * وقال آخرون الحياة الطيبة السعادة ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى وعلى بن داود قالا ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فلنحيينه حياة طيبة قال السعادة * وقال آخرون بل معنى ذلك الحياة فى الجنة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة عن عوف عن الحسن فلنحيينه حياة طيبة قال لا تطيب لأحد حياة دون الجنة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن عوف عن الحسن فلنحيينه حياة طيبة قال ما تطيب الحياة لأحد الا فى الجنة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة فان الله لا يشاء عملا الا فى اخلاص ويوجب من عمل ذلك فى ايمان قال الله تعالى فلنحيينه حياة طيبة وهى الجنة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فلنحيينه حياة طيبة قال الآخرة يحييهم حياة طيبة فى الآخرة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة قال الحياة الطيبة فى الآخرة هى الجنة تلك الحياة الطيبة قال ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون وقال ألا تراه يقول يا ليتنى قدمت لحياتى قال هذه آخرته وقرأ أيضا وان الدار الآخرة لهى الحيوان قال الآخرة دار حياة لاهل النار وأهل الجنة ليس فيها موت لاحد من الفريقين حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن قال الايمان الاخلاص لله وحده فبين أنه لا يقبل عملا الا بالاخلاص له * وأولى الاقوال بالصواب قول من قال تأويل ذلك فلنحيينه حياة طيبة بالقناعة وذلك أن من قنعه الله بما قسم له من رزق لم يكثر للدنيا تعبه ولم يعظم فيها نصبه ولم يتكدر فيها عيشه باتباعه بغية ما فاته منها وحرصه على ما لعله لا يدركه فيها وانما قلت ذلك أولى التأويلات فى ذلك بالآية لان الله تعالى ذكره أوعد قوما قبلها على معصيتهم اياه ان عصوه أذاقهم السوء فى الدنيا والعذاب العظيم فى الآخرة فقال تعالى ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله فهذا لهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم فهذا لهم فى الآخرة ثم أتبع ذلك ما لمن أوفى بعهد الله وأطاعه فقال تعالى ما عندكم فى الدنيا ينفد وما عند الله باق فالذى (٢) هذه السيئة بحكمته أن يعقب ذلك الوعد لاهل طاعته بالاحسان فى الدنيا والغفران فى الآخرة وكذلك فعل تعالى ذكره وأما القول الذى روى عن ابن عباس أنه الرزق الحلال فهو محتمل أن يكون معناه الذى قلنا فى ذلك من أنه تعالى يقنعه فى الدنيا

قال المحققون وهذا هو المختار لان المؤمن الذى صلح عمله ان كان موسرا فذاك وان كان معسرا فمعه من القنوع والعفة والرضا بالقضاء ما يطيب عيشه وأما الكافر والفاجر فان الحرص لا يدعه أن يتهنأ بعيشه أبدا و يعظم أسفه على ما يفوته لانه عانق الدنيا معانقة العاشق لمعشوقه بخلاف المؤمن المنشرح قلبه بنور المعرفة والجمال فانه قلما ينزع لحب الدنيا مالها وجاهها و يستوى عنده وجودها وفقدها وخيرها وشرها ونفعها وضرها وبركة الصلاح والقنوع مما لا ينكرها عاقل اللهم اجعلنا من أهلها ثم ان ظاهر الآية يقتضى أن العمل الصالح انما يفيد الاثر المخصوص بشرط الايمان وظاهر قوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره يدل على أن العمل الخير مطلقا يفيد أثرا مطلقا فلا منافاة بينهما ثم ذكر الاستعاذة التى هى من جملة الاعمال الصالحة وبها تخلص الاعمال عن الوساوس فقال (واذا قرأت القرآن) أى أردت قراءته اطلاقا لاسم المسبب على السبب وقد مر بحث الاستعاذة مستوفى فى أول هذا الكتاب (انه ليس له سلطان) تسلط وولاية (على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) وهذا معنى الاستعاذة فان معناها بالحقيقة راجع الى التبرى عما سوى الله والتوجه بالكلية اليه والاعتماد فى جميع الامور عليه (انما سلطانه على الذين يتولونه) عن ابن عباس أى يطيعونه يقال توليته أى أطعته وتوليت عنه أى أعرضت عنه أما الضمير الواحد فى قوله (والذين هم به مشركون) فقيل راجع الى الرب وقيل الى الشيطان أى بسببه ۞ التأويل و يوم نبعث فيه اشارة الى أن لارواح الانبياء اشرافا على أممهم فى حال حياتهم و بعد وفاتهم وفيه أن الدنيا مزرعة الآخرة فلا يقبل فى القيامة اعتذار واذا رأى الذين ظلموا أى وضعوا الكفر وأعمال الطبيعة موضع الايمان وأعمال الشريعة فلا يخفف عن أرواحهم أثقالهم الاخلاق الذميمة ولا هم ينظرون لتبديل مذمومها بمحمودها واذا رأى الذين أشركوا وهم عبدة الدنيا والهوى انكم لكاذبون فى أنا دعوناكم الى عبادتنا فانا كنا مشغولين بتسبيح الله سبحانه وطاعته وصدوا عن سبيل الله منعوا الارواح والقلوب عن طلب الله زدناهم عذاب

بالذى يرزقه من الحلال وان قل فلا تدعوه نفسه الى الكثير منه من غير حله لأنه يرزقه الكثير من الحلال وذلك أن أكثر العاملين لله تعالى بما يرضاه من الاعمال لم نرهم رزقوا الرزق الكثير من الحلال فى الدنيا ووجدنا ضيق العيش عليهم أغلب من السعة وقوله ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون فذلك لاشك أنه فى الآخرة وكذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن اسمعيل بن سميع عن أبى مالك عن ابن عباس ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون قال اذا صاروا الى الله جزاهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن اسمعيل بن سميع عن أبى مالك وأبى الربيع عن ابن عباس مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن اسمعيل بن سميع عن أبى الربيع عن ابن عباس ولنجزينهم أجرهم قال فى الآخرة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن اسمعيل بن سميع عن أبى الربيع عن ابن عباس مثله حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون يقول يجزيهم أجرهم فى الآخرة بأحسن ما كانوا يعملون وقيل ان هذه الآية نزلت بسبب قوم من أهل ملل شتى تفاخروا فقال أهل كل ملة منها نحن أفضل فبين الله لهم أفضل أهل الملل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا يعلى بن عبيد عن اسمعيل عن أبى صالح قال جلس ناس من أهل الاوثان وأهل التوراة وأهل الانجيل فقال هؤلاء نحن أفضل وقال هؤلاء نحن أفضل فأنزل الله تعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذا كنت يا محمد قارئا القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وكان بعض أهل العربية يزعم أنه من المؤخر الذى معناه التقديم وكأن معنى الكلام عنده واذا استعذت بالله من الشيطان الرجيم فاقرأ القرآن ولا وجه لما قال من ذلك لان ذلك لو كان كذلك لكان متى استعاذ مستعيذ من الشيطان الرجيم لزمه أن يقرأ القرآن ولكن معناه ما وصفنا وليس قوله فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم بالامر اللازم وانما هو اعلام وندب وذلك أنه لا خلاف بين الجميع أن من قرأ القرآن ولم يستعذ بالله من الشيطان الرجيم قبل قراءته أو بعدها أنه لم يضيع فرضا واجبا وكان ابن زيد يقول فى ذلك نحو الذى قلنا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم قال فهذا دليل من الله تعالى دل عباده عليه وأما قوله انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون فانه يعنى بذلك ان الشيطان ليست له حجة على الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا بما أمر الله به وانتهوا عما نهاهم الله عنه وعلى ربهم يتوكلون يقول وعلى ربهم يتوكلون فيما نابهم من مهمات أمورهم انما سلطانه على الذين يتولونه يقول انما حجته على الذين يعبدونه والذين هم به مشركون يقول والذين

الحرمان عن الكمال فوق خسران النسيان بافساد الاستعداد الفطري وجنابك شهيد الان روحه شاهد على جميع الارواح والقلوب والنفوس لقوله أول ماخلق الله روحي تبيانا لكل شئ يحتاج اليه السالك في أثناء سلوكه ان الله يأمر بالعدل وهو وضع الآلات وأسباب تحصيل الكمال في مواضعها بحيث يؤدي الى مقام الوصال والكمال

والاحسان وهو أن تحسن الى الخلق بما أعطاك الله كقوله وأحسن كما أحسن الله اليك وفي قوله وايتاء ذي القربى اشارة الى أن من جملة العدالة رعاية حال الاقرب فالاقرب فيبدأ بتكميل نفسه ثم بما هو أقرب اليه فقربا بالمعنى بالاصور باو ينهى عن الفحشاء وهو صرف ما آتاه الله في غير مصرفها والمنكر وهو ضد المعروف وهو أن لا يحسن الى غيره والبغي وهو أن لا يراعى الترتيب المذكور في باب الارشاد والتكميل وأوفوا بعهد الله يوم الميثاق وقد جعلتم الله عليكم كفيلا بجزاء وفائكم ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها فيه اشارة الى حال المريد المرتد أن تكون أمة هي أهل الدنيا في الدنيا أعلى حالا من أمتهم أهل الآخرة ولا تتخذوا أيمانكم عهودكم مع المشايخ شبكة تصطادون بها الدنيا وقبول الخلق فتزل أقدامكم عن صراط الطلب من ذكر أو أنثى هما القلب والنفس والعمل الصالح من النفس استعمال الشريعة والطريقة ومن القلب التوجه الى الله بالكلية والحياة الطيبة للنفس أن تصير مطمئنة مستعدة لقبول فيض ارجعي الى ربك وللقلب أن يصير فانيا عن أنانيته باقيا بشهود الحق وجماله وحينئذ يطيب عن دنس الاثنينية ولوث الحدوث فاستعذ بالله الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله ظاهرا وبالحقيقة هو لأمته لان

هم بالله مشركون * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسين قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد انما سلطانه قال حجته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله انما سلطانه على الذين يتولونه قال يطيعونه * واختلف أهل التأويل في المعنى الذي من أجله لم يسلط فيه الشيطان على المؤمن فقال بعضهم بما حدثت عن واقد ابن سليمن عن سفيان في قوله انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون قال ليس له سلطان على أن يحملهم على ذنب لا يغفر * وقال آخرون هو الاستعاذة فانه اذا استعاذ بالله منع منه ولم يسلط عليه واستشهد لصحة قوله ذلك بقول الله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم وقد ذكرنا الرواية بذلك في سورة الحجر * وقال آخرون في ذلك بما حدثني به المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون الى قوله والذين هم به مشركون يقال ان عدو الله ابليس قال لاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين فهؤلاء الذين لم يجعل للشيطان عليهم سبيل وانما سلطانه على قوم اتخذوه وليا وأشركوه في أعمالهم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون يقول السلطان على من تولى الشيطان وعمل بمعصية الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انما سلطانه على الذين يتولونه يقول الذين يطيعونه ويعبدونه * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال معناه انه ليس له سلطان على الذين آمنوا فاستعاذوا بالله منه بما ندب الله تعالى ذكره من الاستعاذة وعلى ربهم يتوكلون على ما عرض لهم من خطراته ووساوسه وانما قلنا ذلك أولى التأويلات بالآية لان الله تعالى ذكره أتبع هذا القول فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وقال في موضع آخر واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم فكان بينا بذلك أنه انما ندب عباده الى الاستعاذة منه في هذه الاحوال ليعيذهم من سلطانه وأما قوله والذين هم به مشركون فان أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم فيه بما قلنا ان معناه والذين هم بالله مشركون ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله والذين هم به مشركون قال يعدلون برب العالمين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد والذين هم به مشركون قال يعدلون بالله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله والذين هم به مشركون عدلوا ابليس بربهم فانهم بالله مشركون * وقال آخرون معنى ذلك والذين هم به

شيطانه أسلم على يده فلم يحتج الى الاستعاذة من شيطانه بل هو وخواص أمته كقوله انه ليس له سلطان على الذين امنوا وفيه أن الشيطان ليس له تسلط على أولياء الله الا بالوسوسة وفيها صلاح المؤمن فان ابريز اخلاص قلبه لا يتخلص عن غش صفات نفسه الا بنار الوسوسة لان المؤمن يطلع على بقايا صفات نفسه بما تكون الوسوسة من جنسه فيزيد في الرياضة وملازمة الذكر حتى تنمحي تلك البقايا والله تعالى

أعلم بالصواب (واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق
ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين
ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله

وأولئك هم الكاذبون من كفر
بالله من بعد ايمانه الا من أكره
وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من
شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب
من الله ولهم عذاب عظيم ذلك
بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على
الآخرة وأن الله لا يهدى القوم
الكافرين أولئك الذين طبع الله
على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم
وأولئك هم الغافلون لا جرم أنهم
في الآخرة هم الخاسرون ثم ان ربك
للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم
جاهدوا وصبروا ان ربك من
بعدها لغفور رحيم يوم تأتي كل
نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل
نفس ما عملت وهم لا يظلمون
وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة
مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل
مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها
الله لباس الجوع والخوف بما كانوا
يصنعون ولقد جاءهم رسول منهم
فكذبوه فأخذهم العذاب وهم
ظالمون فكلوا مما رزقكم الله حلالا
طيبا واشكروا نعمة الله ان كنتم
اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة
والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله
به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان
الله غفور رحيم ولا تقولوا لما
تصف ألسنتكم الكذب هذا
حلال وهذا حرام لتفتروا على الله
الكذب ان الذين يفترون على الله
الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم
عذاب أليم وعلى الذين هادوا حرمنا
ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ثم ان ربك للذين عملوا
السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا
لأنعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا حسنة وانه في الآخرة لمن الصالحين ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم

مشركون أشركوا الشيطان في أعمالهم ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع والذين هم به مشركون أشركوه في أعمالهم والقول الاول أعني قول مجاهد أولى القولين في ذلك بالصواب وذلك أن الذين يتولون الشيطان انما يشركونه بالله في عباداتهم وذبائحهم ومطاعمهم ومشاربهم لا أنهم يشركون بالشيطان ولو كان معنى الكلام ما قاله الربيع لكان التنزيل الذين هم مشركون ولم يكن في الكلام به فكان يكون لو كان التنزيل كذلك والذين هم مشركوه في أعمالهم الا أن يوجه موجه معنى الكلام الى أن القوم كانوا يدينون بألوهة الشيطان ويشركون الله به في عبادتهم اياه فيصح حينئذ معنى الكلام ويخرج مما جاء التنزيل به في سائر القرآن وذلك أن الله تعالى وصف المشركين في سائر سور القرآن أنهم أشركوا بالله ما لم ينزل به عليهم سلطانا وقال في كل موضع تقدم اليهم بالزجر عن ذلك لا تشركوا بالله شيأ ولم نجد في شيء من التنزيل لا تشركوا الله بشيء ولا في شيء من القرآن خبرا من الله عنهم أنهم أشركوا الله بشيء فيجوز لنا توجيه معنى قوله والذين هم به مشركون الى والذين هم بالشيطان مشركو الله فبين اذ كان ذلك كذلك أن الهاء في قوله والذين هم به عائدة على الرب في قوله وعلى ربهم يتوكلون ۞ القول في تأويل قوله تعالى (واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون) يقول تعالى ذكره واذا نسخنا حكم آية فأبدلنا مكانه حكم أخرى والله أعلم بما ينزل يقول والله أعلم بالذي هو أصلح لخلقه فيما يبدل ويغير من أحكامه قالوا انما أنت مفتر يقول قال المشركون بالله المكذبو رسوله لرسوله انما أنت يا محمد مفتر أي مكذب تخرص بتقول الباطل على الله يقول الله تعالى بل أكثر هؤلاء القائلين لك يا محمد انما أنت مفتر جهال بأن الذي تأتيهم به من عند الله ناسخه ومنسوخه لا يعلمون حقيقة صحته . وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله واذا بدلنا آية مكان آية قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثني المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله واذا بدلنا آية مكان آية رفعناها فأنزلنا غيرها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد واذا بدلنا آية مكان آية قال نسخناها بدلناها رفعناها وأثبتنا غيرها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذا بدلنا آية مكان آية هو كقوله ما ننسخ من آية أو ننسها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واذا بدلنا آية مكان آية قالوا انما أنت مفتر تأتي بشيء وتنقضه فتأتي بغيره قال وهذا التبديل ناسخ ولا نبدل آية مكان آية الا بنسخ ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للقائلين لك انما أنت مفتر فيما تتلوه عليهم من آي كتابنا أنزله روح القدس يقول قل جاء به جبرئيل من عند ربي بالحق وقد بينت في غير هذا الموضع معنى روح القدس بما أغنى عن اعادته . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من

قال

حنيفا وما كان من المشركين انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) ❁ القراآت بما ينزل من الانزال ابن كثير وأبو عمرو يلحدون بفتح الياء والحاء حمزة وعلى وخلف فتنوا مبينا للفاعل ابن عامر والخوف بالنصب عباس اراهام هشام وما بعده والاخفش عن ابن ذكوان فى ضيق بالكسر ابن كثير وكذلك فى النمل الآخرون بالفتح ❁ الوقوف مكان آية لا لان جواب اذا هو قالوا وقوله والله أعلم بما ينزل جملة معترضة مفتر ط لا يعلمون ○ للمسلمين ○ بشر ط مبين ○ بآيات الله لا لان ما بعده خبر ان أليم ○ بآيات الله ج لاختلاف الجملتين مع العطف الكاذبون ○ غضب من الله ج لانقطاع النظم مع اتصال المعنى عظيم ○ على الآخرة لا للعطف الكافرين ○ وأبصارهم ط لاختلاف الجملتين الغافلون ○ الخاسرون ○ وصبروا الا ان الثانية تكرار الاولى لطول الكلام بصلته وخبرهما واحد رحيم ○ لا يظلمون ○ يصنعون ○ ظالمون ○ طيبا ص لعطف المتفقتين تعبدون ○ لغير الله به ج رحيم ○ على الله الكذب ط لا يفلحون ط ○ قليل ص لعطف المتفقتين ولا سيما اذا قدر لهم متاع أليم ○ من قبل ج لابتداء النفى مع العطف يظلمون ○ وأصلحوا لا لما مر رحيم ○ حنيفا ط من المشركين ○ لا لان شاكرا وصف آخر أو بدل من حنيفا لانعمه ط مستقيم ○ حسنة ط الصالحين ط ○ لان ثم لترتيب الاخبار حنيفا ط ○ المشركين ط ○ اختلفوا فيه ط يختلفون ○ أحسن ط بالمهتدين ○ عوقبتم به ط للصابرين ○ يمكرون ○ محسنون ○ ❁ التفسير هذا شروع فى حكاية شبهات منكرى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس كان اذا أنزلت آية فيها شدة

قال ذلك حدثنى عبد الاعلى بن واصل قال ثنا جعفر بن عون العمرى عن موسى بن عبيدة الربذى عن محمد بن كعب قال روح القدس جبرئيل وقوله ليثبت الذين آمنوا يقول تعالى ذكره قل نزل هذا القرآن ناسخه ومنسوخه روح القدس على من ربى تثبيتا للمؤمنين وتقوية لايمانهم ليزدادوا بتصديقهم لناسخه ومنسوخه ايمانا الى ايمانهم وهدى لهم من الضلالة وبشرى للمسلمين الذين استسلموا لأمر الله وانقادوا لأمره ونهيه وما أنزله فى آى كتابه فأقروا بكل ذلك وصدقوا به قولا وعملا ❁ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين﴾ يقول تعالى ذكره ولقد نعلم أن هؤلاء المشركين يقولون جهلا منهم انما يعلم محمدا هذا الذى يتلوه بشر من بنى آدم وما هو من عند الله يقول الله تعالى ذكره مكذبهم فى قيلهم ذلك ألا تعلمون كذب ما تقولون ان لسان الذى تلحدون اليه يقول تميلون اليه بأنه يعلم محمدا أعجمى وذلك أنهم فيما ذكر كانوا يزعمون أن الذى يعلم محمدا هذا القرآن عبد رومى فلذلك قال تعالى لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين يقول وهذا القرآن لسان عربى مبين * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم فى اسم الذى كان المشركون يزعمون أنه يعلم محمدا صلى الله عليه وسلم هذا القرآن من البشر فقال بعضهم كان اسمه بلعام وكان قينا بمكة نصرانيا ذكر من قال ذلك حدثنى أحمد بن محمد الطوسى قال ثنا أبو عاصم قال ثنا ابراهيم بن طهمان عن مسلم بن عبد الله الملائى عن مجاهد عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم قينا بمكة وكان أعجمى اللسان وكان اسمه بلعام فكان المشركون يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يدخل عليه وحين يخرج من عنده فقالوا انما يعلمه بلعام فأنزل الله تعالى ذكره ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين وقال آخرون اسمه يعيش ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن حميد عن عكرمة قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يقرئ غلاما لبنى المغيرة أعجميا قال سفيان أراه يقال له يعيش قال فذلك قوله لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر وقد قالت قريش انما يعلمه بشر عبد لبنى الحضرمى يقال له يعيش قال الله تعالى لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين وكان يعيش يقرأ الكتب وقال آخرون بل كان اسمه جبر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى كثيرا ما يجلس عند المروة الى غلام نصرانى يقال له جبر عبد لبنى بياضة الحضرمى فكانوا يقولون والله ما يعلم محمدا كثيرا مما يأتى به الا جبر النصرانى غلام الحضرمى فأنزل الله تعالى فى قولهم ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال عبد الله بن كثير كانوا يقولون انما يعلمه نصرانى على المروة ويعلم محمدا رومى يقولون اسمه جبر وكان صاحب كتب عبد لابن الحضرمى قال الله تعالى لسان الذى يلحدون اليه أعجمى قال وهذا قول

ثم نزلت آية ألين منها قالت كفار قريش ان محمدا يسخر من أصحابه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غدا وانه لا يقول هذه الاشياء الا من عند نفسه فنزل (واذا بدلنا) ومعنى التبديل رفع الشئ مع وضع غيره مكانه وتبديل الآية رفعها بآية أخرى غيرها وهو نسخها بآية سواها (والله أعلم بما ينزل) شيأ فشيأ على حسب المصالح مغلظا ثم مخففا أو بالعكس (بل أكثرهم لا يعلمون) فوائد النسخ والتبديل

قال أبو مسلم أراد تبديل آية مكان آية في الكتب المتقدمة مثل آية تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة وسائر العلماء أطبقوا على أن المراد بهذا التبديل النسخ ونقل عن الشافعي أن القرآن لا ينسخ بالسنة لانه تعالى أخبر بتبديل الآية مكان الآية وضعف بأنه لا يلزم من وجود التبديل بالآية نفي التبديل بغيرها كالسنة المتواترة اذ لا دلالة في الآية على الحصر وقد مر مباحث النسخ مفصلة مستوفاة في سورة البقرة (قل نزله) أى القرآن (روح القدس) هو جبرئيل والاضافة للمبالغة مثل حاتم الجود والمراد الروح المقدس المطهر عن دنس المآثم (من ربك) صلة نزله أى ابتداء تنزيله من عنده وقوله (بالحق) حال أى متلبسا بالحكمة والصواب (ليثبت الذين آمنوا) كقوله واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا فيقول كل من الناسخ والمنسوخ من عند ربنا وكل منهما في وقته خير وصلاح لان الذى نزله حكيم لا يفعل الا ما هو خير في أوانه وصواب بالنسبة الى المكلف حين ما يكلف به (وهدى وبشرى) معطوفان على محل ليثبت أى تثبيتا لهم وارشادا وبشارة وفيه تعريض بحصول أضداد هذه الخصال لغيرهم ثم حكى شبهة أخرى عنهم كانوا يقولون ان محمدا يستفيد القصص والاخبار من انسان آخر ويتعلمها منه واختلف في ذلك البشر فقيل كان غلاما لحويطب بن عبد العزى قد أسلم وحسن اسلامه اسمه عائش أو يعيش وكان صاحب كتب وقيل هو جبر غلام رومى كان لعامر بن الحضرمى وقيل عبدان جبر ويسار كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر وقف عليهما يسمع ما يقرآن فقالوا يعلمانه وقيل هو سلمان الفارسى

قريش انما يعلمه بشر قال الله تعالى لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين * وقال آخرون بل كانا غلامين اسم أحدهما يسار والآخر جبر ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن حصين عن عبد الله بن مسلم الحضرمى أنه كان لهم عبدان من أهل عير اليمن وكانا طفلين وكان يقال لاحدهما يسار والآخر جبر فكانا يقرآن التوراة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما جلس اليهما فقال كفار قريش انما يجلس اليهما يتعلم منهما فأنزل الله تعالى لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين حدثني المثنى قال ثنا معلى بن أسد قال ثنا خالد بن عبد الله عن حصين عن عبد الله بن مسلم الحضرمى نحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن حصين عن عبد الله بن مسلم قال كان لنا غلامان فكانا يقرآن كتابا لهما بلسانهما فكان النبى صلى الله عليه وسلم يمر عليهما فيقوم يستمع منهما فقال المشركون يتعلم منهما فأنزل الله تعالى ما كذبهم به فقال لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين * وقال آخرون بل كان ذلك سلمان الفارسى ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله لسان الذى يلحدون اليه أعجمى كانوا يقولون انما يعلمه سلمان الفارسى حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثني المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر قال قول كفار قريش انما يعلم محمدا عبد ابن الحضرمى وهو صاحب كتاب يقول الله لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين وقيل ان الذى قال ذلك رجل كاتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارتد عن الاسلام ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى يونس عن ابن شهاب قال أخبرنى سعيد بن المسيب أن الذى ذكر الله انما يعلمه بشر انما افتتن انه كان يكتب الوحى فكان يملى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم سميع عليم أو عزيز حكيم وغير ذلك من خواتم الآى ثم يشتغل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على الوحى فيستفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول أعزيز حكيم أو سميع عليم أو عزيز عليم فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أى ذلك كتبت فهو كذلك ففتنه ذلك فقال ان محمدا يكل ذلك الى فأكتب ما شئت وهو الذى ذكر لى سعيد بن المسيب من الحروف السبعة واختلف القراء في قراءة قوله يلحدون فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة لسان الذى يلحدون اليه بضم الياء من ألحد يلحد الحادا بمعنى يعترضون ويعدلون اليه ويعرجون اليه من قول الشاعر

قدنى من نصر الخبيبين قدى * ليس أميرى بالشحيح الملحد

وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة لسان الذى يلحدون اليه بفتح الياء يعنى يميلون اليه من لحد فلان الى هذا الامر يلحد لحدا ولحودا وهما عندى لغتان بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب فيهما الصواب وقيل وهذا لسان عربى مبين يعنى القرآن كما تقول العرب لقصيدة من الشعر يعرضها

الشاعر

الشاعر هذا لسان فلان تريد قصيدته كما قال الشاعر

لسان السوء تهديها الينا * وحنت وما حسبتك أن تحينا

يعنى باللسان القصيدة والكلمة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون ﴾ يقول تعالى ان الذين لا يؤمنون بحجج الله وأدلته فيصدقون بما دلت عليه لا يهديهم الله يقول لا يوفقهم الله لاصابة الحق ولا يهديهم لسبيل الرشد فى الدنيا ولهم فى الآخرة وعند الله اذا وردوا عليه يوم القيامة عذاب مؤلم موجع ثم أخبر تعالى ذكره المشركين الذين قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم انما أنت مفتر أنهم هم أهل الفرية والكذب لا نبى الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون به وبرأ من ذلك نبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال انما يتخرص الكذب ويتقول الباطل الذين لا يصدقون بحجج الله وأعلامه لانهم لا يرجون على الصدق ثوابا ولا يخافون على الكذب عقابا فهم أهل الافك وافتراء الكذب لا من كان راجيا من الله على الصدق الثواب الجزيل وخائفا على الكذب العقاب الاليم وقوله وأولئك هم الكاذبون يقول والذين لا يؤمنون بآيات الله هم أهل الكذب لا المؤمنون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ﴾ اختلف أهل العربية فى العامل فى من من قوله من كفر بالله ومن قوله ولكن من شرح بالكفر صدرا فقال بعض نحويى البصرة صار قوله فعليهم خبرا لقوله ولكن من شرح بالكفر صدرا وقوله من كفر بالله من بعد ايمانه فأخبر لهم بخبر واحد وكان ذلك يدل على المعنى * وقال بعض نحويى الكوفة انما هذان جزاآن اجتمعا أحدهما منعقد بالآخر فجوابهما واحد كقول القائل من يأتنا فمن يحسن نكرمه بمعنى من يحسن ممن يأتنا نكرمه قال وكذلك كل جزاءين اجتمعا الثانى منعقد بالاول فالجواب لهما واحد * وقال آخر من أهل البصرة بل قوله من كفر بالله مرفوع بالرد على الذين فى قوله انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله ومعنى الكلام عنده انما يفترى الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره من هؤلاء وقلبه مطمئن بالايمان وهذا قول لا وجه له وذلك أن معنى الكلام لو كان كما قال قائل هذا القول لكان الله تعالى ذكره قد أخرج ممن افترى الكذب فى هذه الآية الذين ولدوا على الكفر وأقاموا عليه ولم يؤمنوا قط وخص به الذين قد كانوا آمنوا فى حال ثم راجعوا الكفر بعد الايمان والتنزيل يدل على أنه لم يخصص بذلك هؤلاء دون سائر المشركين الذين كانوا على الشرك مقيمين وذلك أنه تعالى أخبر خبر قوم منهم أضافوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم افتراء الكذب فقال واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون وكذب جميع المشركين بافترائهم على الله وأخبر أنهم أحق بهذه الصفة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون ولو كان الذين عنوا بهذه الآية هم الذين كفروا بالله من بعد ايمانهم وجب أن يكون القائلون لرسول الله صلى الله عليه وسلم انما أنت مفتر حين بدل الله آية مكان آية كانوا هم الذين كفروا بالله بعد الايمان خاصة دون غيرهم من سائر

ثم أجاب عن شبهتهم فقال مستانفا (لسان الذى) واللسان اللغة والمعنى لسان الرجل الذى (يلحدون) يميلون قولهم عن الاستقامة (اليه) لسان (أعجمى) غير بين (وهذا) القرآن (لسان عربى مبين) ذو بيان وفصاحة وقدمر فى آخر الاعراف أن تركيب الالحاد يدل على الامالة ومنه الملحد لانه أمال مذهبه عن الاديان كلها قال أبو الفتح الموصلى تركيب ع ج م يدل على الابهام والخفاء ضد البيان والافصاح ومنه عجم الزبيب لاستتاره وخفائه والعجماء البهيمة وصلاة الظهر والعصر عجماوان لان القراءة فيهما سرية وأعجمت الكتاب أى أزلت عجمته ثم ان العرب تسمى كل من لا يعرف لسانهم ولا يتكلم بلغتهم أعجميا وقالوا زياد الأعجم لانه كان فى لسانه عجمة مع أنه كان عربيا وحاصل الجواب هبوا أن محمدا يتعلم المعانى من ذلك الرجل الا أنه لا يقدح فى المقصود لان القرآن بفصاحته اللفظية أيضا معجز ولما ذكر جوابهم وبخهم وهددهم بقوله (ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله) يعنى أن سبب عدم ايمانهم هو أن الله لا يهديهم كقوله ختم الله على قلوبهم وفسره الامام فخر الدين بأن الله لا يهديهم الى طريق الجنة بل يسوقهم الى النار وهذا التفسير يناسب أصول المعتزلة فلا أدرى كيف مال اليه ثم لما بين أنهم ليسوا مظاهر اللطف وكان قد بنى الامر فى جوابهم على تسليم ما ادعى الخصم من أنه يتعلم من ذلك البشر أراد أن يبين أن الذى قالوا غير صحيح ولا صادق فى نفس الامر فقال (انما يفترى الكذب) وفيه أيضا رد لقولهم انما أنت مفتر يعنى انما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لانه لا يترقب عقابا على الافتراء (وأولئك) اشارة الى قريش أو الى الذين لا يؤمنون أى هم الذين لا يؤمنون فهم الكاذبون أى هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون فى الكذب لان تكذيب آيات الله أعظم الكذب أو هم الذين من شأنهم الكذب وذلك هجيراهم لا يحجبهم عنه مروءة ولا دين أو أولئك هم الكاذبون فى قولهم انما أنت مفتر ومما يدل على كذبهم عقلا أنهم أعداء له وكلام العدا ضرب من الهذيان ولا شهادة لمتهم وأيضا

ان أمر التعليم والتعلم لا يتم في مجلس واحد ولكنه يحتاج الى أزمنة متمادية ولو كان كذلك لاشتهر وانتشر وأيضا ان العلوم الموجودة في القرآن كثيرة والمعلم يجب أن يكون أعلى حالا من المتعلم فلو كان مثل هذا العالم الذي يتعلم منه مثل النبي صلى الله عليه وسلم موجودا في ذلك العصر لم يخف حاله ومال الناس اليه دون النبي قال بعض علماء المعاني عطف الجملة الاسمية التي هي قوله وأولئك هم الكاذبون على ما قبلها وهي فعلية دالة على أن من أقدم على الكذب فانه دخل في الكفر تنبيها على أن صفة الكفر فيهم ثابتة راسخة كما تقول كذبت وأنت كاذب زيادة في الوصف بالكذب على سبيل الاستمرار والاعتياد ولا افتراء أعظم من انكار الالهية والنبوة روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قيل له هل يكذب المؤمن قال لا وقرأ هذه الآية ثم انه سبحانه من كمال عنايته أراد أن يفرق بين الكفر اللساني وحده وبين اللساني المنضم اليه القلبي فقال (من كفر بالله) اختلف العلماء في اعرابه فالاكثرون على أنه بدل اما من الذين لا يؤمنون بآيات الله وما بينهما اعتراض والمعنى انما يفترى الكذب من كفر واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء ثم قال (ولكن من شرح بالكفر صدرا) أى طاب منه نفسا واعتقده (فعليهم غضب) واما من المبتدا الذي هو أولئك أو من الخبر الذي هو الكاذبون وقيل منصوب على الذم أى أخص وأعني من كفر وجوز بعضهم أن تكون من شرطية والجواب محذوف لان جواب من شرح دال عليه كأنه قيل من كفر بالله فعليه غضب الا من أكره ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب وانما صح استثناء المكره من الكافر مع أنه ليس بكافر لانه ظهر منه بعد الايمان ما مثله يظهر من الكافر طوعا فلهذه المشاكلة صح الاستثناء قال ابن عباس نزلت في عمار بن ياسر وذلك أن المشركين بمكة أخذوه وأباه ياسرا وأمه سمية وصهيبا وبلالا وخبابا وسالما فعذبوهم فأما سمية فانها ربطت بين بعيرين ووجئ قبلها بحربة وقيل لها انك أسلمت من أجل الرجال وقتلت وقتل زوجها ياسر وهما أول قتيلين في الاسلام وأما عمار فانه أعطاهم

المشركين لان هذه في سياق الخبر عنهم وذلك قول ان قاله قائل فبين فساده مع خروجه عن تأويل جميع أهل العلم بالتأويل والصواب من القول في ذلك عندي أن الرافع لمن الاولى والثانية قوله فعليهم غضب من الله والعرب تفعل ذلك في حروف الجزاء اذا استأنفت أحدهما على الآخر وذكر أن هذه الآية نزلت في عمار بن ياسر وقوم كانوا أسلموا ففتنهم المشركون عن دينهم فثبت على الاسلام بعضهم وافتتن بعض ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان الى آخر الآية وذلك أن المشركين أصابوا عمار بن ياسر فعذبوه ثم تركوه فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه بالذي لقي من قريش والذي قال فأنزل الله تعالى ذكره عذره من كفر بالله من بعد ايمانه الى قوله ولهم عذاب عظيم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان قال ذكر لنا أنها نزلت في عمار بن ياسر أخذه بنو المغيرة فغطوه في بئر ميمون وقالوا اكفر بمحمد فتابعهم على ذلك وقلبه كاره فأنزل الله تعالى ذكره الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا أى من أتى الكفر على اختيار واستحباب فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن عبد الكريم الجزري عن أبي عبيدة ابن محمد بن عمار بن ياسر قال أخذ المشركون عمار بن ياسر فعذبوه حتى باراهم في بعض ما أرادوا فشكا ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيف تجد قلبك قال مطمئنا بالايمان قال النبي صلى الله عليه وسلم فان عادوا فعد حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن حصين عن أبي مالك في قوله الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان قال نزلت في عمار ابن ياسر حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن الشعبي قال لما عذب الأعبد أعطوهم ما سألوا الا خباب بن الارت كانوا يضجعونه على الرضف فلم يستقلوا منه شيأ فتأويل الكلام اذا من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره على الكفر فنطق بكلمة الكفر بلسانه وقلبه مطمئن بالايمان موقن بحقيقته صحيح عليه عزمه غير مفسوح الصدر بالكفر لكن من شرح بالكفر صدرا فاختاره وآثره على الايمان وباح به طائعا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم • وبنحو الذي قلنا في ذلك ورد الخبر عن ابن عباس حدثني علي بن داود قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس قوله الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان فأخبر الله سبحانه أنه من كفر من بعد ايمانه فعليه غضب من الله وله عذاب عظيم فأما من أكره فتكلم به لسانه وخالفه قلبه بالايمان لينجو بذلك من عدوه فلا حرج عليه لان الله سبحانه انما يأخذ العباد بما عقدت عليه قلوبهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين) يقول تعالى ذكره حل بهؤلاء المشركين غضب الله ووجب لهم العذاب العظيم من أجل أنهم اختاروا زينة الحياة الدنيا على نعيم الآخرة ولان الله لا يوفق القوم الذين يجحدون آياته مع اصرارهم على جحودها ۞ القول في تأويل

قوله

قوله تعالى ﴿أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون﴾ يقول تعالى ذكره هؤلاء المشركون الذين وصفت لكم صفتهم في هذه الآيات أيها الناس هم القوم الذين طبع الله على قلوبهم فختم عليها بطابعه فلا يؤمنون ولا يهتدون وأصم أسماعهم فلا يسمعون داعي الله الى الهدى وأعمى أبصارهم فلا يبصرون بها حجج الله ابصار معتبر ومتعظ وأولئك هم الغافلون يقول وهؤلاء الذين جعل الله فيهم هذه الافعال هم الساهون عما أعد الله لامثالهم من أهل الكفر وعما يراد بهم وقوله لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون الهالكون الذين غبنوا أنفسهم حظوظها من كرامة الله تعالى ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم﴾ يقول تعالى ذكره ثم ان ربك يا محمد للذين هاجروا ديارهم ومساكنهم وعشائرهم من المشركين وانتقلوا عنهم الى ديار أهل الاسلام ومساكنهم وأهل ولايتهم من بعد ما فتنهم المشركون الذين كانوا بين أظهرهم قبل هجرتهم عن دينهم ثم جاهدوا المشركين بعد ذلك بأيديهم بالسيف وبألسنتهم بالبراءة منهم ومما يعبدون من دون الله وصبروا على جهادهم ان ربك من بعدها لغفور رحيم يقول ان ربك من بعد فعلتهم هذه لهم لغفور يقول لذو ستر على ما كان منهم من اعطاء المشركين ما أرادوا منهم من كلمة الكفر بألسنتهم وهم لغيرها مضمرون وللايمان معتقدون رحيم بهم أن يعاقبهم عليها مع انابتهم الى الله وتوبتهم وذكر عن بعض أهل التأويل أن هذه الآية نزلت في قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا تخلفوا بمكة بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم فاشتد المشركون عليهم حتى فتنوهم عن دينهم فأيسوا من التوبة فأنزل الله فيهم هذه الآية فهاجروا ولحقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان قال ناس من أهل مكة آمنوا فكتب اليهم بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة أن هاجروا فانا لا نراكم منا حتى تهاجروا الينا فخرجوا يريدون المدينة فأدركتهم قريش بالطريق ففتنوهم وكفروا مكرهين ففيهم نزلت هذه الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه قال ابن جريج قال الله تعالى ذكره من كفر بالله من بعد ايمانه ثم نسخ واستثنى فقال ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ذكر لنا أنه لما أنزل الله ان أهل مكة لا يقبل منهم اسلام حتى يهاجروا كتب بها أهل المدينة الى أصحابهم من أهل مكة فلما جاءهم ذلك تبايعوا بينهم على أن يخرجوا فان لحق بهم المشركون من أهل مكة قاتلوهم حتى ينجوا أو يلحقوا بالله فخرجوا فأدركهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا فأنزل الله تعالى ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا الآية حدثنا أحمد بن منصور قال ثنا أبو أحمد الزبيري قال

ما أرادوا بلسانه مكرها فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال صلى الله عليه وسلم ان عادوا لك فعد لهم بما قلت فمن هنا حكم العلماء بأن الاكراه يجوز التلفظ بكلمة الكفر وحد الاكراه أن يعذبه بعذاب لا طاقة له به كالتخويف بالقتل والضرب الشديد وسائر الايلامات القوية وأجمعوا على أن قلبه عند ذلك يجب أن يكون متبرئا عن الرضا بالكفر وأن يقتصر على التعريض ما أمكن مثل أن يقول ان محمدا كذاب يعني عند الكفار أو يعني به محمدا آخر أو يذكره على نية الاستفهام بمعنى الانكار واذا أعجله من أكرهه عن احضار هذه النية أو لأنه لما عظم خوفه زال عن قلبه ذكر هذه النية كان ملوما وعفو الله متوقع ولو ضيق المكره عليه حتى صرح بالكفر من غير تورية وطلب منه أن يقول لا أريد بقلبي سوى ما أذكره بلساني فههنا يتعين اما الكذب واما توريط النفس للعذاب فمن الناس من قال يباح له الكذب حينئذ ومنهم من قال ليس له ذلك واختاره القاضي لان الكذب انما يقبح لكونه كذبا فوجب أن يقبح على كل حال ولو خرج الكذب عن القبح لرعاية بعض المصالح لم يمتنع أن يفعل الله الكذب لمصلحة ما فلا يبقى وثوق بوعده ووعيده وللاكراه مراتب منها أن يجب الفعل المكره عليه كما لو أكرهه على شرب الخمر وأكل الميتة لما فيه من صون النفس مع عدم اضرار بالغير ولا اهانة لحق الله ومنها أن يصير الفعل مباحا لا واجبا كما لو أكره على التلفظ بكلمة الكفر لما روي أن بلالا صبر على العذاب وكان يقول أحد أحد حتى ملوه وتركوه ولم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم بئسما فعلت بل عظمه ولان في ترك التقية والصبر على القتل أو التعذيب اعزازا للاسلام ومنها أنه لا يجب ولا يباح بل يحرم كما اذا أكره على قتل انسان أو على قطع عضو من أعضائه فههنا يبقى الفعل على الحرمة الأصلية وحينئذ لو قتل فللعلماء قولان أحدهما لا يلزم القصاص وبه قال أبو حنيفة والشافعي في أحد قوليه

لانه قتله دفعا عن نفسه فأشبه قتل الصائل ولانه كالآلة للمكره ولذلك وجب القصاص على المكره وثانيهما و به قال أحمد والشافعي في أصح قوليه ان عليه القصاص لانه قتله عدوانا لاستبقاء نفسه فصار كالو قتل المضطر انسانا فأكله ومن الافعال مالا يمكن الاكراه عليه وهو الزنا لان الاكراه يوجب الخوف الشديد وذلك يمنع من انتشار الآلة فلو دخل الزنا في الوجود علم أنه وقع بالاختيار لا بالاكراه

ثنا محمد بن شريك عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال كان قوم من أهل مكة أسلموا وكانوا يستخفون بالاسلام فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم فأصيب بعضهم وقتل بعض فقال المسلمون كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرهوا فاستغفروا لهم فنزلت ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم الى آخر الآية قال وكتب الى من بقي بمكة من المسلمين هذه الآية لاعذر لهم قال فخرجوا فلحقهم المشركون فأعطوهم الفتنة فنزلت هذه الآية ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله الى آخر الآية فكتب المسلمون اليهم بذلك فخرجوا وأيسوا من كل خير ثم نزلت فيهم ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم فكتبوا اليهم بذلك ان الله قد جعل لكم مخرجا فخرجوا فأدركهم المشركون فقاتلوهم ثم نجا من نجا وقتل من قتل **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال نزلت هذه الآية في عمار بن ياسر وعياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا * وقال آخرون بل نزلت هذه الآية في شأن ابن أبي سرح ذكر من قال ذلك **حدثني** ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح عن الحسين عن يزيد عن عكرمة والحسن البصري قالا في سورة النحل من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ثم نسخ واستثنى من ذلك فقال ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم وهو عبد الله بن أبي سرح الذي كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأزله الشيطان فلحق بالكفار فأمر به النبي صلى الله عليه وسلم أن يقتل يوم فتح مكة فاستجار له أبو عمرو فأجاره النبي صلى الله عليه وسلم * القول في تأويل قوله تعالى (يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون) يقول تعالى ذكره ان ربك من بعدها لغفور رحيم يوم تأتي كل نفس تخاصم عن نفسها وتحتج عنها بما أسلفت في الدنيا من خير أو شر أو ايمان أو كفر وتوفى كل نفس ما عملت في الدنيا من طاعة ومعصية وهم لا يظلمون يقول وهم لا يفعل بهم الا ما يستحقونه ويستوجبونه بما قدموه من خير أو شر فلا يجزى المحسن الا بالاحسان ولا المسيء الا بالذي أسلف من الاساءة لا يعاقب محسن ولا يبخس جزاء احسانه ولا يثاب مسيء الا ثواب عمله واختلف أهل العربية في السبب الذي من أجله قيل تجادل فأنث الكل فقال بعض نحويي البصرة قيل ذلك لان معنى كل نفس كل انسان وأنث لان النفس تذكر وتؤنث يقال ماجاءني نفس واحد وواحدة وكان بعض أهل العربية يرى هذا القول من قائله غلطا ويقول كل اذا أضيفت الى نكرة واحدة خرج الفعل على قدر النكرة كل امرأة قائمة وكل رجل قائم وكل امرأتين قائمتان وكل رجلين قائمان وكل نساء قائمات وكل رجال قائمون فيخرج على عدد النكرة وتأنيثها وتذكيرها ولا حاجة به الى تأنيث النفس وتذكيرها * القول في تأويل قوله تعالى (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) يقول الله تعالى ذكره ومثل الله مثلا لمكة التي سكانها أهل الشرك بالله هي القرية التي كانت آمنة مطمئنة وكان أمنها أن العرب كانت تتعادى ويقتل بعضها بعضا ويسبي بعضها بعضا وأهل مكة لا يغار عليهم

والاصح أن الاكراه فيه متصور وان الحد يسقط حينئذ وعن أبي حنيفة أنه ان أكرهه السلطان لم يجب الحد وان أكرهه بعض الرعية وجب قال بعض الاصوليين في قوله وقلبه مطمئن بالايمان دلالة على أن محل الايمان هو القلب فهو اما الاعتقاد ان كان الايمان معرفة واما كلام النفس ان كان تصديقا وانتصاب صدرا على التميز وأصله ولكن من شرح بالكفر صدره فعدل الى النصب للمبالغة ولبناء الكلام على الابهام ثم التفسير قوله (ذلك بأنهم) أي ذلك الارتداد بسبب أنهم رجحوا (الدنيا على الآخرة) ولاجل أنه تعالى ماهداهم الى الايمان ولم يعصمهم عن الكفر وقال جار الله ذلك الوعيد والغضب والعذاب بسبب استحقاقهم خذلان الله بكفرهم وهذا البحث وكذا بحث الطبع والختم والخلاف في تفسيره بين الاشاعرة والمعتزلة قد مر في أول سورة البقرة وفي غيرها فلاحاجة الى الاعادة (وأولئك هم الغافلون) أي الكاملون في الغفلة اذ غفلوا عن تدبر العواقب (لاجرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون) وقال في أوائل سورة هود هم الأخسرون لان أولئك صدوا عن سبيل الله وصدوا غيرهم فضلوا وأضلوا ولذلك ضوعف لهم العذاب فهم الأخسرون وهؤلاء صدوا بأنفسهم فهم الخاسرون ويمكن أن يقال ان ما قبل الفواصل في تلك السورة لم يعتمد على ألف قبلها مثل يبصرون يفترون ولا وفي هذه السورة اعتمدت على الالف مثل الكافرين الكاذبون فجاء في كل سورة على ما يناسبها ولما ذكر حال من أكره أتبعه حال من هاجر من بعد ما فتن قال جار الله معنى (ثم ان ربك) تباعد حال هؤلاء من حال عمار وأصحابه ومعنى ان ربك لهم أنه لهم لا عليهم فينصرهم

ولا يحاربون في بلدهم فذلك كان أمنها وقوله مطمئنة يعني قارة بأهلها لا يحتاج أهلها الى النجع كما كان سكان البوادي يحتاجون اليها يأتيها رزقها رغدا يقول يأتي أهلها معايشهم واسعة كثيرة وقوله من كل مكان يعني من كل فج من فجاج هذه القرية ومن كل ناحية فيها وبنحو الذي قلنا في أن القرية التي ذكرت في هذا الموضع أريد بها مكة قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان يعني مكة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قرية كانت آمنة مطمئنة قال مكة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة قال ذكر لنا أنها مكة حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قرية كانت آمنة قال هي مكة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة الى آخر الآية قال هذه مكة * وقال آخرون بل القرية التي ذكر الله في هذا الموضع مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثني ابن عبد الرحيم البرقي قال ثنا ابن أبي مريم قال أخبرنا نافع بن يزيد قال ثني عبد الرحمن بن شريح أن عبد الكريم بن الحرث الحضرمي حدثه أنه سمع مشرح بن عاهان يقول سمعت سليم بن نمير يقول صدرنا من الحج مع حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وعثمان محصور بالمدينة فكانت تسأل عنه ما فعل حتى رأت راكبين فأرسلت اليهما تسألهما فقالا قتل فقالت حفصة والذي نفسي بيده انها القرية تعني المدينة التي قال الله تعالى وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله قرأها قال أبو شريح وأخبرني عبيد الله بن المغيرة عمن حدثه أنه كان يقول انها المدينة وقوله فكفرت بأنعم الله يقول فكفر أهل هذه القرية بأنعم الله التي أنعم عليها واختلف أهل العربية في واحد الأنعم فقال بعض نحويي البصرة جمع النعمة على أنعم كما قال الله حتى اذا بلغ أشده فزعم أنه جمع الشدة وقال آخر منهم الواحد نعم وقال يقال أيام طعم ونعم أي نعيم قال فيجوز أن يكون معناها فكفرت بنعيم الله لها واستشهد على ذلك بقول الشاعر

وعندي قروض الخير والشر كله * فبؤس لذي بؤس ونعم بأنعم

وكان بعض أهل الكوفة يقول أنعم جمع نعماء مثل بأساء وأبؤس وضراء وأضر فأما الاشد فانه زعم أنه جمع شد وقوله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف يقول تعالى ذكره فأذاق الله أهل هذه القرية لباس الجوع وذلك جوع خالط أذاه أجسامهم فجعل الله تعالى ذكره ذلك لمخالطته أجسامهم بمنزلة اللباس لها وذلك أنهم سلط عليهم الجوع سنين متوالية بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أكلوا العلهز والجيف قال أبو جعفر والعلهز الوبر يعجن بالدم والقراد يأكلونه وأما الخوف فان ذلك كان خوفهم من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم التي كانت تطيف بهم وقوله بما كانوا يصنعون

ولا يخذلهم ويحتمل أن يكون الجار متعلقا بالخبر على نية التأخير وتكرير إن لطول الكلام من قرأ من بعد ما فتنوا بفتح الفاء مبنيا للفاعل فوجهه أن فتن وافتتن بمعنى واحد والمراد أن أولئك الضعفاء لما ذكروا كلمة الكفر على سبيل التقية فكأنهم فتنوا أنفسهم لأن الرخصة في اظهار كلمة الكفر ما نزلت بعد أو أراد أن أكابر المشركين الذين آذوا فقراء المسلمين لو تابوا وهاجروا وصبروا فان الله يقبل توبتهم ومعنى ثم على هذا التفسير ظاهر ومن قرأ بضم الفاء مبنيا للمفعول فالمراد أن المستضعفين المعذبين الذين حملهم أقوياء المشركين على الردة والرجوع عن الايمان ان هاجروا وجاهدوا وصبروا فان الله يغفر لهم تكلمهم بكلمة الكفر وقال الحسن هؤلاء الذين هاجروا من المؤمنين كانوا بمكة فعرضت لهم فتنة فارتدوا وشكوا في الرسول ثم أسلموا وهاجروا فنزلت الآية فيهم فمعنى ثم تبعيد حالة الغفران والرحمة عن حالة الارتداد والشك في أمر الرسول الا أنه سبحانه بكرمه يغفر لهم اذا تابوا وقيل نزلت في عبد الله ابن أبي سرح ارتد فلما كان يوم الفتح أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله فاستجار له عثمان فأجاره رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انه أسلم وحسن اسلامه وهذه الرواية انما تصح لو جعلنا الآية مدنية ومثله ما روي عن قتادة أنه لما أنزل الله ان أهل مكة لا يقبل منهم اسلام حتى يهاجروا كتب بها أهل المدينة الى أصحابهم من أهل مكة فلما جاءهم ذلك خرجوا فلحقهم المشركون فردوهم فنزلت ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون فكتبوا بها اليهم فتبايعوا بينهم على أن يخرجوا فان لحق بهم المشركون من أهل مكة قاتلوهم حتى ينجوا أو يلحقوا بالله فأدركهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا فأنزلت هذه الآية والضمير في قوله (من بعدها) يرجع الى الافعال المذكورة من الهجرة والجهاد والصبر فالحاصل أن الآية اما نازلة فيمن عذب فلم يرتد ومع ذلك هاجر وجاهد واما نازلة فيمن أظهر الكفر تقية فبين تعالى أن حاله اذا هاجر وجاهد وصبر كحال من لم يكن كذلك واما نازلة فيمن ارتد ثم تاب وقام بما يجب القيام به فوعده الله المغفرة

يقول عما كانوا يصنعون من الكفر بأنعم الله و يجحدون آياته و يكذبون رسوله وقال عما كانوا يصنعون وقد جرى الكلام من ابتداء الآية الى هذا الموضع على وجه الخبر عن القرية لان الخبر وان كان جرى فى الكلام عن القرية استغناء بذكرها عن ذكر أهلها لمعرفة السامعين بالمراد منها فان المراد أهلها فلذلك قيل بما كانوا يصنعون فرد الخبر الى أهل القرية وذلك نظير قوله فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون ولم يقل قائلة وقد قال قبله فجاءها بأسنا لانه رجع بالخبر الى الاخبار عن أهل القرية ونظائر ذلك فى القرآن كثيرة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون) يقول تعالى ذكره ولقد جاء أهل هذه القرية التى وصف الله صفتها فى هذه الآية التى قبل هذه الآية رسول منهم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم يقول من أنفسهم يعرفونه و يعرفون نسبه وصدق لهجته يدعوهم الى الحق والى طريق مستقيم فكذبوه ولم يقبلوا منه ما جاءهم به من عند الله فأخذهم العذاب وذلك لباس الجوع والخوف مكان الأمن والطمأنينة والرزق الواسع الذى كان قبل ذلك يرزقونه وقتل بالسيف وهم ظالمون يقول وهم مشركون وذلك أنه قتل عظماؤهم يوم بدر بالسيف على الشرك و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولقد جاءهم رسول منهم إى والله يعرفون نسبه وأمره فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون فأخذهم الله بالجوع والخوف والقتل ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون) يقول تعالى ذكره فكلوا أيها الناس مما رزقكم الله من بهائم الانعام التى أحلها لكم حلالا طيبا مذكاة غير محرمة عليكم واشكروا نعمة الله يقول واشكروا الله على نعمه التى أنعم بها عليكم فى تحليله ما أحل لكم من ذلك وعلى غير ذلك من نعمه ان كنتم اياه تعبدون يقول ان كنتم تعبدون الله فتطيعونه فيما يأمركم وينهاكم وكان بعضهم يقول انما عنى بقوله فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا طعاما كان بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين من قومه فى سنى الجدب والقحط رقة عليهم فقال الله تعالى للمشركين فكلوا مما رزقكم الله من هذا الذى بعث به اليكم حلالا طيبا وذلك تأويل بعيد مما يدل عليه ظاهر التنزيل وذلك أن الله تعالى قد أتبع ذلك بقوله انما حرم عليكم الميتة والدم الآية والتى بعدها فبين بذلك أن قوله فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اعلام من الله عباده أن ما كان المشركون يحرمونه من البحائر والسوائب والوصائل وغير ذلك مما قد بينا قبل فيما مضى لا معنى له اذ كان ذلك من خطوات الشيطان فان كل ذلك حلال لم يحرم الله منه شيأ ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم) يقول تعالى ذكره مكذبا المشركين الذين كانوا يحرمون ما ذكرنا من البحائر وغير ذلك ما حرم الله عليكم أيها الناس الا الميتة والدم ولحم الخنزير وما ذبح للانصاب فسمى عليه غير الله لان ذلك من ذبائح من لا يحل أكل ذبيحته فمن اضطر الى ذلك أو الى شئ منه لمجاعة حلت فأكله غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم يقول ذو ستر عليه أن يؤاخذه بأكله ذلك فى حال الضرورة رحيم به أن يعاقبه عليه وقد بينا اختلاف المختلفين فى قوله غير باغ ولا عاد والصواب

والرحمة قال الزجاج (يوم تأتى) منصوب بقوله رحيم أو باضمار اذكر أو ذكرهم وأنذرهم ومعنى الآية ظاهر الا أن فى قوله (عن نفسها) اشكالا من حيث اضافته النفس الى ضمير النفس وأجيب بأن المراد بالنفس الاولى جملة بدن الحى و بالنفس الثانية الذات فكأنه قيل يوم يأتى كل انسان يجادل عن ذاته لا يهمه شأن غيره ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم هؤلاء أضلونا ما كنا مشركين ونحو ذلك عن بعضهم تزفر جهنم زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبى مرسل الا جثا لركبتيه يقول يارب نفسى حتى ان ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك ثم أوعد الكفار بآفات الدنيا أيضا فقال (وضرب الله مثلا قرية) يحتمل أن تكون مقدرة وأن تكون معينة موجودة اما مكة أو غيرها وذهب كثير من المفسرين الى أنها مكة والأقرب أنها غيرها لأن مثل مكة يكون غير مكة فضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها قال العقلاء ثلاثة ليس لها نهاية الامن والصحة والكفاية فوصف الله تعالى تلك القرية بالامن ثم بالاطمئنان اشارة الى أن هواء ذلك البلد لاعتداله ملائم لامزجة أهله حتى اطمأنوا واستقروا ولم يحوجوا الى الانتقال طلبا للصحة ثم قال (يأتيها رزقها رغدا من كل مكان) دلالة على حصول الكفاف لهم بأيسر وجه قال فى الكشاف الأنعم جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وأدرع أو جمع نعم كبؤس وأبؤس قلت لعله حمله على ذلك طلب الضبط والا فلا حاجة الى هذا التكلف وكذا أطلق الاكثرون أن جمع فعلة يجيء على أفعل قيل انما ذكر جمع القلة تنبيها بالادنى على الاعلى يعني أن كفران النعمة القليلة يوجب العذاب فكيف بكفران النعم الكثيرة العظيمة وهذا مثل لأهل مكة كانوا فى الامن والطمأنينة والخصب ثم أنعم الله عليهم بالنعمة العظيمة وهو محمد صلى الله عليه وسلم فكفروا بها وبالغوا فى ايذائه فسلط الله عليهم البلاء عذبهم بالجوع سبع سنين حتى أكلوا الجيف والعظام والعلهز والقد وكان النبى صلى الله عليه وسلم يبعث اليهم السرايا فيغيرون

والصواب عندنا من القول فى ذلك بشواهده فيما مضى بما أغنى عن اعادته حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انما حرم عليكم الميتة والدم الآية قال وان الاسلام دين مطهر طهره الله من كل سوء وجعل لك فيه يا ابن آدم سعة اذا اضطررت الى شئ من ذلك قوله فمن اضطر غير باغ ولا عاد غير باغ فى أكله ولا عاد أن يتعدى حلالا الى حرام وهو يجد عنه مندوحة ❊ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب أليم﴾ اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب فتكون تصف الكذب بمعنى ولا تقولوا الوصف ألسنتكم الكذب فتكون ما بمعنى المصدر وذكر عن الحسن البصرى أنه قرأ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا بخفض الكذب بمعنى ولا تقولوا للكذب الذى تصفه ألسنتكم هذا حلال وهذا حرام فيجعل الكذب ترجمة عن ما التى فى لما فتخفضه بما تخفض به ما وقد حكى عن بعضهم لما تصف ألسنتكم الكذب برفع الكذب فيجعل الكذب من صفة الالسنة ويخرج على فعل على أنه جمع كذوب وكذب مثل شكور وشكر ❊ والصواب عندى من القراءة فى ذلك نصب الكذب لاجماع الحجة من القراء عليه فتأويل الكلام اذ كان ذلك كذلك لما ذكرنا ولا تقولوا الوصف ألسنتكم الكذب فيما رزق الله عباده من المطاعم هذا حلال وهذا حرام كى تفتروا على الله بقيلكم ذلك الكذب فان الله لم يحرم من ذلك ما تحرمون ولا أحل كثيرا مما تحلون ثم تقدم اليهم بالوعيد على كذبهم عليه فقال ان الذين يفترون على الله الكذب يقول ان الذين يتخرصون على الله الكذب ويختلقونه لا يخلدون فى الدنيا ولا يبقون فيها انما يتمتعون فيها قليلا وقال متاع قليل فرفع لان المعنى الذى هم فيه من هذه الدنيا متاع قليل أولهم متاع قليل فى الدنيا وقوله ولهم عذاب أليم يقول ثم الينا مرجعهم ومعادهم ولهم على كذبهم وافترائهم على الله بما كانوا يفترون عذاب عند مصيرهم اليه أليم ❊ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام فى البحيرة والسائبة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال البحائر والسوائب ❊ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ يقول تعالى ذكره وحرمنا من قبلك يا محمد على اليهود ما أنبأناك به من قبل فى سورة الانعام وذلك كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم وما ظلمناهم بتحريمنا ذلك عليهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون فجزيناهم ذلك ببغيهم على ربهم وظلمهم أنفسهم بمعصية الله فأورثهم ذلك عقوبة الله ❊ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء عن الحسن فى قوله وعلى الذين

عليهم نقل أن ابن الراوندى قال لابن الاعرابى الاديب هل يذاق اللباس قال ابن الاعرابى لا بأس أيها النسناس هب أن محمدا صلى الله عليه وسلم ما كان نبيا أما كان عربيا كأنه طعن فى الآية ان المناسب هو أن لو قيل فكساها الله لباس الجوع أو فأذاقها الله طعم الجوع فرد عليه ابن الاعرابى والذى أجاب به علماء البيان أن هذا من تجريد الاستعارة وذلك أنه استعار اللباس لما غشى الانسان من بعض الحوادث كالجوع والخوف لاشتماله عليه اشتمال اللباس على اللابس ثم ذكر الوصف ملائما للمستعار له وهو الجوع والخوف لان اطلاق الذوق على ادراك الجوع والخوف جرى عندهم مجرى الحقيقة فيقولون ذاق فلان البؤس والضر وأذاقه غيره فكانت الاستعارة مجردة ولو قال فكساها كانت مرشحة وقد سلف منا تقرير هذا الاصطلاح فى المقدمة التاسعة من مقدمات الكتاب وترشيح الاستعارة وان كان مستحسنا من جهة المبالغة الا أن للتجريد ترجيحا من حيث انه روعى جانب المستعار له فازداد الكلام وضوحا وقيل ان أصل الذوق بالفم ثم قد يستعار فيوضع موضع التعرف والاختبار فتقول أناظر فلانا فأذوق ما عنده

شعر

ومن يذق الدنيا فانى طعمتها
وسيق الينا عذبها وعذابها

فمعنى ذقت لباس الجوع والخوف على فلان تعرفت ما ظهر عليه من الضمور وشحوبة اللون وتغير الحال وكسوف البال ففحوى الآية عرفها الله أثر لباس الجوع وقيل حمل اللباس على المماسة والتقدير فأذاقها الله مساس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون قال ابن عباس يريد بفعلهم بالنبى صلى الله عليه وسلم من التكذيب والهم بقتله والاخراج من مكة قال الفراء كل الصفات أجريت على القرية الا قوله يصنعون تنبيها على أن المراد فى الحقيقة أهلها ولما ذكر المثل ذكر الممثل فقال (ولقد جاءهم) يعنى أهل مكة (رسول منهم) من أنفسهم يعرفونه بأصله ونسبه (فكذبوه فأخذهم العذاب وهم) متلبسون بالظلم قال ابن عباس يعنى بالعذاب الجوع الذى كان بمكة وقيل القتل يوم بدر وقيل ان قول ابن عباس أولى والمراد أن ذلك الجوع بسبب كفركم

هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل قال في سورة الانعام حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن أيوب عن عكرمة في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل قال في سورة الانعام حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل قال ما قص الله تعالى في سورة الانعام حيث يقول وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم) يقول تعالى ذكره ان ربك للذين عصوا الله فجهلوا بركوبهم ما ركبوا من معصية الله وسفهوا بذلك ثم راجعوا طاعة الله والندم عليها والاستغفار والتوبة منها من بعد ما سلف منهم من ركوب المعصية وأصلح فعمل بما يحب الله ويرضاه ان ربك من بعدها يقول ان ربك يا محمد من بعد توبتهم له لغفور رحيم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم) يقول تعالى ذكره ان ابراهيم خليل الله كان معلم خير يأتم به أهل الهدى قانتا يقول مطيعا لله حنيفا يقول مستقيما على دين الاسلام ولم يك من المشركين يقول ولم يك يشرك بالله شيئا فيكون من أولياء أهل الشرك به وهذا اعلام من الله تعالى أهل الشرك به من قريش أن ابراهيم منهم بريء وأنهم منه براء شاكرا لأنعمه يقول كان يخلص الشكر لله فيما أنعم عليه ولا يجعل معه في شكره في نعمه عليه شريكا من الآلهة والانداد وغير ذلك كما يفعل مشركو قريش اجتباه يقول اصطفاه واختاره لخلته وهداه الى صراط مستقيم يقول وأرشده الى الطريق المستقيم وذلك دين الاسلام لا اليهودية ولا النصرانية وبنحو الذي قلنا في معنى أمة قانتا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني زكريا بن يحيى قال ثنا ابن ادريس عن الاعمش عن الحكم عن يحيى بن الجزار عن أبي العبيدين أنه جاء الى عبد الله فقال من نسأل اذا لم نسألك فكأن ابن مسعود رق له فقال أخبرني عن الأمة قال الذي يعلم الناس الخير حدثنا محمد ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن مسلم البطين عن أبي العبيدين أنه سأل عبد الله بن مسعود عن الامة القانت قال الامة معلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن منصور يعني ابن عبد الرحمن عن الشعبي قال ثني فروة بن نوفل الاشجعي قال قال ابن مسعود ان معاذا كان أمة قانتا لله حنيفا فقلت في نفسي غلط أبو عبد الرحمن انما قال الله تعالى ان ابراهيم كان أمة قانتا لله فقال تدري ما الامة وما القانت قلت الله أعلم قال الأمة الذي يعلم الخير والقانت المطيع لله ولرسوله وكذلك كان معاذ بن جبل كان يعلم الخير وكان مطيعا لله ولرسوله حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت فراسا يحدث عن الشعبي عن مسروق عن عبد الله بن مسعود أنه قال ان معاذا كان أمة قانتا لله قال فقال رجل من أشجع يقال له فروة بن نوفل نسي انما ذاك ابراهيم قال فقال عبد الله من نسي انما كنا نشبهه بابراهيم قال وسئل عبد الله عن الامة فقال معلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن فراس عن الشعبي

فاتركوا الكفر (فكلوا مما رزقكم الله) من الغنائم فأكل الغنائم مسبب عن ترك الكفر فلذلك وصله بالفاء وقال الكلبي ان رؤساء مكة كلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جهدوا وقالوا عاديت الرجال فما بال النساء والصبيان وكانت الميرة قد قطعت عنهم باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن في الحمل فحمل الطعام اليهم فذلك قوله فكلوا ورجح قول ابن عباس بأنه تعالى قال بعد ذلك انما حرم عليكم الميتة والمراد أنكم لما آمنتم وتركتم الكفر فكلوا الحلال الطيب وهو الغنيمة واتركوا الخبائث وهو الميتة والدم أو أنه سبحانه أعاد تحريم هذه الاشياء في البقرة وفي المائدة والانعام وفي هذه السورة قطعا للاعذار وازالة للشبهة ثم زيف طريقة الكفار في الزيادة على هذه المحرمات كالبحيرة والسائبة وفي النقصان عنها كتحليل الميتة والدم فقال (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب) قال الكسائي والزجاج ما مصدرية وانتصاب الكذب بلا تقولوا أي ولا تقولوا الكذب لاجل وصف ألسنتكم وقوله (هذا حلال وهذا حرام) بدل من الكذب ولك أن تنصب الكذب بتصف وتجعل ما مصدرية أيضا أي ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف ألسنتكم الكذب ومعناه لا تحرموا ولا تحللوا لاجل قول تنطق به ألسنتكم من غير حجة ودليل ويجوز أن تكون ما موصولة أي ولا تقولوا للذي تصف ألسنتكم الكذب فيه هذا حلال وهذا حرام فحذف لفظ فيه لكونه معلوما وقوله تصف ألسنتكم الكذب من فصيح الكلام وبليغه كأن ماهية الكذب مجهولة وكلامهم يكشف عن حقيقته نظيره قولهم وجهه يصف الجمال وعينه تصف السحر واللام في قوله (لتفتروا) لام العاقبة لا الغرض والمقصود من ذكره بيان أنه كذب على الله فان قوله لما تصف ألسنتكم الكذب لم يكن فيه هذا البيان ثم أوعد المفترين بقوله (ان الذين يفترون) الآية وقوله (متاع) قال الزجاج أي متاعهم وعن ابن عباس أراد أن متاع كل الدنيا قليل والمعنى أن منفعتهم فيما هم عليه من أفعال الجاهلية أو أن نعيم الدنيا كلها زائل عنهم عما قريب ويبقى العقاب

عن

الدائم الاليم ثم خص محرمات اليهود بالذكر فقال (وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) يعني في سورة الانعام عند قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ثم قال (وما ظلمناهم) كقوله هنالك ذلك جزيناهم ببغيهم ثم بين أن الافتراء على الله ومخالفة أمره لا يمنعهم من التوبة وحصول المغفرة والرحمة وقوله (بجهالة) في موضع الحال أي عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه أو غير متأملين في وخامة عاقبته لغلبة الشهوة عليهم (ان ربك من بعدها) من بعد تلك السيئة أو التوبة أو الجهالة ولما بالغ في ابطال

عن مسروق قال قرأت عند عبد الله هذه الآية ان ابراهيم كان أمة قانتا لله فقال كان معاذ أمة قانتا قال هل تدري ما الامة الامة الذي يعلم الناس الخير والقانت الذي يطيع الله ورسوله حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ثنا ابن فضيل قال ثنا بيان بن بشر البجلي عن الشعبي قال قال عبد الله ان معاذا كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين فقال له رجل نسيت قال لا ولكنه شبيه ابراهيم والامة معلم الخير والقانت المطيع حدثني علي بن سعيد الكندي قال ثنا عبد الله بن المبارك عن ابن عون عن الشعبي في قوله ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا قال مطيعا حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر قال قال عبد الله ان معاذا كان أمة قانتا معلم الخير وذكر في الامة أشياء مختلف فيها قال وادكر بعد أمة يعني بعد حين وأمة وسطا حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن سعيد بن سابق عن ليث عن شهر بن حوشب قال لم تبق الارض الا وفيها أربعة عشر يدفع الله بهم عن أهل الارض وتخرج بركتها الا زمن ابراهيم فانه كان وحده حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال أخبرنا هشيم قال أخبرنا سيار عن الشعبي * قال وأخبرنا زكريا ومجالد عن الشعبي عن مسروق عن ابن مسعود نحو حديث يعقوب عن ابن علية وزاد فيه الامة الذي يعلم الخير ويؤتم به ويقتدى به والقانت المطيع لله وللرسول قال له أبو فروة الكندي انك وهمت حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ان ابراهيم كان أمة على حدة قانتا لله قال مطيعا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله الا أنه قال مطيعا لله في الدنيا * قال ابن جريج وأخبرني عوعز عن سعيد بن جبير أنه قال قانتا مطيعا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان ابراهيم كان أمة قانتا لله قال كان امام هدى مطيعا تتبع سنته وملته حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أن ابن مسعود قال ان معاذ بن جبل كان أمة قانتا قال غير قتادة قال ابن مسعود هل تدرون ما الأمة الذي يعلم الخير حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن فراس عن الشعبي عن مسروق قال قرأت عند عبد الله بن مسعود ان ابراهيم كان أمة قانتا فقال ان معاذا كان أمة قانتا قال فأعادوا فأعاد عليهم ثم قال أتدرون ما الامة الذي يعلم الناس الخير والقانت الذي يطيع الله وقد بينا معنى الامة ووجوهها ومعنى القانت باختلاف المختلفين فيه في غير هذا الموضع من كتابنا بشواهده فأغنى بذلك عن اعادته في هذا الموضع

القول في تأويل قوله تعالى (وآتيناه في الدنيا حسنة وانه في الآخرة لمن الصالحين) يقول تعالى ذكره وآتينا ابراهيم على قنوته لله وشكره له على نعمه واخلاصه العبادة له في هذه الدنيا ذكرا حسنا وثناء جميلا باقيا على الايام وانه في الآخرة لمن الصالحين يقول وانه في الدار الآخرة يوم القيامة لمن صلح أمره وشأنه عند الله وحسنت فيها منزلته وكرامته وبنحو الذي قلنا في ذلك

مذاهب المشركين وفي الجواب عن شبههم ومطاعنهم وكان ابراهيم صلى الله عليه وسلم رئيس الموحدين وقدوة أكابر النبيين ذكره الله تعالى في آخر هذه السورة قائلا (ان ابراهيم كان أمة) أي هو وحده أمة من الامم لكماله في جميع صفات الخير

ليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد

وعن مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار فلهذا قيل انه أمة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في زيد بن عمرو بن نفيل يبعثه الله أمة وحده وعن شهر بن حوشب لم يكن زمن الا وفيه أربعة عشر يدفع الله بهم عن أهل الارض الا زمن ابراهيم فانه وحده وقيل أمة بمعنى مأموم أي يؤمه الناس ليأخذوا منه أفعال الخير أو بمعنى مؤتم به كقوله اني جاعلك للناس اماما وقيل انه من باب اطلاق المسبب على السبب لانه حصل لأمته الامتياز عمن سواهم (قانتا لله) قائما بأمر الله وعن ابن عباس مطيعا لله (حنيفا) مائلا الى ملة الاسلام ميلا لا يزول عنه وقال ابن عباس المراد أنه أول من اختتن وأقام مناسك الحج وضحى (ولم يك من المشركين) قط لا في الصغر ولا في الكبر (شاكرا لأنعمه) وان كانت قليلة فضلا عن النعم الكثيرة روي أنه كان لا يتغدى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فأخر غداءه فاذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا له أن بهم جذاما فقال الآن وجبت مؤاكلتكم شكرا لله على أنه عافاني وابتلاكم (اجتباه) اختصه واصطفاه للنبوة (وهداه الى صراط مستقيم) الى ملة الاسلام (وآتيناه في الدنيا حسنة) عن قتادة هي أن الله تعالى حببه الى أهل الاديان كلها وقيل الاموال والاولاد وقيل قول المصلي منا كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم (وانه في الآخرة لمن الصالحين) في أعلى مقاماتهم

من الجنة تحقيقا لدعائه وألحقني بالصالحين قال في الكشاف معنى ثم في قوله (ثم أوحينا اليك) تبعيد هذا النعت من بين سائر النعوت التي أثنى الله بها على ابراهيم ليعلم أن أجل ما أوتي خليل الله اتباع نبينا ملته في الاصول من التوحيد والمعاد وغيرهما كاختيار يوم الجمعة للفراغ وترك العمل قال أهل النظم كان لسائل أن يسأل لم اختار اليهود السبت مع أن ابراهيم كان اختار الجمعة فأجاب الله سبحانه بقوله (انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) فاختاره بعضهم للفراغ واختار بعضهم الجمعة روى الكلبي عن أبي صالح عن

ابن عباس أنه قال أمرهم موسى بالجمعة وقال تفرغوا في كل سبعة أيام يوما واحدا فأبوا أن يقبلوا ذلك وقالوا لا نريد الا اليوم الذي فرغ الله فيه من الخلق وهو يوم السبت فجعل عليهم السبت وشدد عليهم ثم جاءهم عيسى بالجمعة أيضا فقالت النصارى لا نريد أن يكون عيدهم بعد عيدنا فاتخذوا الاحد وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله كتب يوم الجمعة على من كان قبلنا فاختلفوا فيه وهدانا الله له فالناس لنا تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد وقال صاحب الكشاف السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها والمعنى انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه واختلافهم فيه أنهم أحلوا الصيد فيه تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم أن يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة وضعف القول الاول بأن اليهود متفقون على تعيين يوم السبت للفراغة ويمكن أن يقال لعل فيهم من اختار الجمعة في قديم الدهر ثم وقع الاختلاف * سؤال النصارى يقولون ان يوم الاحد مبتدأ الخلق والتكوين على ما اتفق عليه أهل الملل أنه تعالى خلق العالم في ستة أيام أولها الاحد فجعله عيدا معقول واليهود قالت ان يوم السبت هو اليوم الذي قد فرغ الله فيه من الاعمال فنحن نوافق ربنا فما وجه جعل الجمعة عيدا والجواب بعد التعبد هو أن ذكره يوم الجمعة يوم التمام والكمال وذلك يوجب الفرح والسرور فجعله عيدا أولى ثم أوعد اليهود بقوله (وان ربك ليحكم) الخ ولما أمر محمدا باتباع ابراهيم صلى الله عليه وسلم بين وجه المتابعة فقال (ادع الى سبيل ربك) الآية وفيه أن طريقة ابراهيم صلى الله عليه وسلم في الدعوة كانت هكذا وتقرير ذلك أن الداعي الى مذهب ونحلة لا بد أن يكون قوله مبنيا على حجة وهي اما أن تكون يقينية قطعية مبرأة من شائبة

قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وآتيناه في الدنيا حسنة قال لسان صدق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وآتيناه في الدنيا حسنة فليس من أهل دين الا يتولاه ويرضاه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم أوحينا اليك يا محمد وقلنا لك اتبع ملة ابراهيم الحنيفية المسلمة حنيفا يقول مسلما على الدين الذي كان عليه ابراهيم بريأ من الاوثان والانداد التي يعبدها قومك كما كان ابراهيم تبرأ منها وقوله انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه يقول تعالى ذكره ما فرض الله أيها الناس تعظيم يوم السبت الا على الذين اختلفوا فيه فقال بعضهم هو أعظم الايام لان الله تعالى فرغ من خلق الاشياء يوم الجمعة ثم سبت يوم السبت * وقال آخرون بل أعظم الايام يوم الأحد لانه اليوم الذي ابتدأ فيه في خلق الاشياء فاختاروه وتركوا تعظيم يوم الجمعة الذي فرض الله عليهم تعظيمه واستحلوه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه اتبعوه وتركوا الجمعة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة انما جعل السبت قال أرادوا الجمعة فأخطؤا فأخذوا السبت مكانه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه استحله بعضهم وحرمه بعضهم حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان قال ثنا سفيان عن السدي عن أبي مالك وسعيد بن جبير انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه قال باستحلالهم يوم السبت حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه قال كانوا يطلبون يوم الجمعة فأخطؤه وأخذوا يوم السبت فجعله عليهم وقوله وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون يقول تعالى ذكره ان ربك يا محمد ليحكم بين هؤلاء المختلفين بينهم في استحلال السبت وتحريمه عند مصيرهم اليه يوم القيامة فيقضي بينهم في ذلك وفي غيره مما كانوا فيه يختلفون في الدنيا بالحق ويفصل بالعدل بمجازاة المصيب فيه جزاءه والمخطئ فيه منهم ما هو أهله ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) يقول تعالى

احتمال النقيض وإما أن تكون مفيدة للظن القوي والإقناع التام والا لم يكن ملتفتا اليها في العلوم وقد يكون الجدال والخصام غالبا على المدعو فيحتاج حينئذ الى الزامه وافحامه بدليل مركب من مقدمات مشهورة مسلمة عند الجمهور أو مقدمات مسلمة عند الخصم فقوله (بالحكمة) اشارة الى استعمال الحجج القطعية المفيدة لليقين والمكالمة بهذا الطريق انما تكون مع الطالبين البالغين في الاستعداد الى درجة الكمال وقوله (والموعظة الحسنة) اشارة الى استعمال الدلائل الاقناعية الموقعة للتصديق بمقدمات مقبولة وأهل هذه المكالمة أقوام انحطت درجتهم عن درجة الطائفة الاولى الا أنهم باقون على الفطرة الاصلية طاهرون عن دنس الشغب وكدورات الجدال وهم عامة الخلق وليس للدعوة الا هذان الطريقان ولكن الداعي قد يضطر مع الخصم الألد الى استعمال الحجج الملزمة المفحمة كما قلنا فلهذا السبب عطف على الدعوة قوله (وجادلهم بالتي) أي بالطريقة التي هي أحسن فكان طريق الجدال لم يكن سلوكه مقصودا بالذات وانما اضطر الداعي اليه لاجل كون الخصم مشاغبا وانما استحسن هذا الطريق لكون الداعي محقا وغرضه صحيحا فان كان مبطلا وأراد تغليط السامع لم يكن جداله حسنا ويسمى دليله مغالطة هكذا ينبغي أن يتصور تفسير هذه الآية فان كلام المفسرين الظاهريين فيه غير مضبوط وجوز في الكشاف أن يريد القرآن أي ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة وجادلهم بأحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف ولما حث على الدعوة بالطرق المذكورة بين أن الهداية والرشد ليس الى النبي وانما ذلك الى الله تعالى فقال (ان ربك هو أعلم) الآية أي هو العالم بضلال النفوس واهتدائها وكدورتها وصفائها أو عن جعل الدعوة سببا لسعادتها أو واسطة لشقائها ثم ان الدعوة تتضمن تكليف المدعوين بالرجوع عن الدين المألوف والفطام منه شديد وربما تنجر المقاولة الى المقاتلة فحينئذ أمر الداعي وأتباعه برعاية العدل والانصاف في حال القتال قائلا (وان عاقبتم) أي ان رغبتم في استيفاء القصاص ان وقع قتل فاقنعوا بالمثل ولا تزيدوا عليه والآية عامة وقد يخصصها رواة أسباب النزول بقصة حمزة قالوا ان المشركين مثلوا بالمسلمين يوم أحد بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم ما تركوا أحدا غير ممثول به الا حنظلة

ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ادع يا محمد من أرسلك اليه ربك بالدعاء الى طاعته الى سبيل ربك يقول الى شرعه التي شرعها لخلقه وهو الاسلام بالحكمة يقول بوحي الله الذي يوحيه اليك وكتابه الذي ينزله عليك والموعظة الحسنة يقول وبالعبر الجميلة التي جعلها الله حجة عليهم في كتابه وذكرهم بها في تنزيله كالتي عدد عليهم في هذه السورة من حججه وذكرهم فيها ما ذكرهم من آلائه وجادلهم بالتي هي أحسن يقول وخاصمهم بالخصومة التي هي أحسن من غيرها أن تصفح عما نالوا به عرضك من الاذى ولا تعصه في القيام بالواجب عليك من تبليغهم رسالة ربك * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله وجادلهم بالتي هي أحسن أعرض عن أذاهم اياك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان ربك يا محمد هو أعلم بمن جار عن قصد السبيل من المختلفين في السبت وغيره من خلقه وحاد الله وهو أعلم بمن كان منهم سالكا قصد السبيل ومحجة الحق وهو مجاز جميعهم جزاءهم عند ورودهم عليه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين وان عاقبتم أيها المؤمنون من ظلمكم واعتدى عليكم فعاقبوه بمثل الذي نالكم به ظالمكم من العقوبة ولئن صبرتم عن عقوبته واحتسبتم عند الله ما نالكم به من الظلم ووكلتم أمره اليه حتى يكون هو المتولي عقوبته لهو خير للصابرين يقول للصبر عن عقوبته بذلك خير لاهل الصبر احتسابا وابتغاء ثواب الله لان الله يعوضه من الذي أراد أن يناله بانتقامه من ظالمه على ظلمه اياه من لذة الانتصار وهو من قوله لهو كناية عن الصبر وحسن ذلك وان لم يكن ذكر قبل ذلك الصبر لدلالة قوله ولئن صبرتم عليه ، وقد اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله نزلت هذه الآية وقيل هي منسوخة أو محكمة فقال بعضهم نزلت من أجل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أقسموا حين فعل المشركون يوم أحد ما فعلوا بقتلى المسلمين من التمثيل بهم أن يجاوزوا فعلهم في المثلة بهم ان رزقوا الظفر عليهم يوما فنهاهم الله عن ذلك بهذه الآية وأمرهم أن يقتصروا في التمثيل بهم ان هم ظفروا على مثل الذي كان منهم ثم أمرهم بعد ذلك بترك التمثيل وايثار الصبر عنه بقوله واصبر وما صبرك الا بالله فنسخ بذلك عندهم ما كان أذن لهم فيه من المثلة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر قال سمعت داود عن عامر أن المسلمين قالوا لما فعل المشركون بقتلاهم يوم أحد لئن ظهرنا عليهم لنفعلن ولنفعلن فأنزل الله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين قالوا بل نصبر حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن عامر قال لما رأى المسلمون ما فعل

المشركون بقتلاهم يوم أحد من تبقير البطون وقطع المذاكير والمثلة السيئة قالوا لئن أظفرنا الله بهم لنفعلن ولنفعلن فأنزل الله فيهم ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك الا بالله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن بعض أصحابه عن عطاء بن يسار قال نزلت سورة النحل كلها بمكة وهي مكية الا ثلاث آيات في آخرها نزلت في المدينة بعد أحد حيث قتل حمزة ومثل به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن ظهرنا عليهم لنمثلن بثلاثين رجلا منهم فلما سمع المسلمون بذلك قالوا والله لئن ظهرنا عليهم لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب بأحد قط فأنزل الله وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين الى آخر السورة حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به قال المسلمون يوم أحد (١) فقال وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به الى قوله لهو خير للصابرين ثم قال بعد واصبر وما صبرك الا بالله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال لما أصيب في أهل أحد المثل فقال المسلمون لئن أصبناهم لنمثلن بهم فقال الله وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ثم عزم وأخبر فلا يمثل فنهى عن المثل قال مثل الكفار بقتلى أحد الا حنظلة بن الراهب كان الراهب أبو عامر مع أبي سفيان فتركوا حنظلة لذلك * وقال آخرون نسخ ذلك بقوله في براءة اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم قالوا وانما قال وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به خبرا من الله للمؤمنين أن لا يبدؤهم بقتال حتى يبدؤهم به فقال وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به قال هذا خبر من الله نبيه أن يقاتل من قاتله قال ثم نزلت براءة وانسلاخ الاشهر الحرم قال فهذا من المنسوخ * وقال آخرون بل عنى الله تعالى بقوله واصبر وما صبرك الا بالله نبي الله خاصة دون سائر أصحابه فكان الامر بالصبر له عزيمة من الله دونهم ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به قال أمرهم الله أن يعفوا عن المشركين فأسلم رجال لهم منعة فقالوا يا رسول الله لو أذن الله لنا لانتصرنا من هؤلاء الكلاب فنزل القرآن وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر أنت يا محمد ولا تكن في ضيق ممن ينتصر وما صبرك الا بالله ثم نسخ هذا وأمره بجهادهم فهذا كله منسوخ * وقال آخرون لم يعن بهاتين الآيتين شيء مما ذكر هؤلاء وانما عنى بهما أن من ظلم بظلامة فلا يحل له أن ينال ممن ظلمه أكثر مما نال الظالم منه وقالوا الآية محكمة غير منسوخة ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن خالد عن ابن سيرين وان عاقبتم فعاقبوا بمثل

ماعوقبتم

(١) أي مقالهم السابق لئن ظهرنا الخ فتنبه كتبه مصححه

ابن الراهب فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة وقد مثل به وروى فرآه مبقور البطن فقال أما والذي أحلف به ان أظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما أراده قاله ابن عباس في رواية عطاء وأبي بن كعب ومن هذا ذهبوا الى أن خواتيم سورة النحل مدنية ولا خلاف في تحريم المثلة وقد وردت الاخبار بالنهي عنها حتى بالكلب العقور وقيل نزلت حين كان المسلمون قد أمروا بالقتال مع من يقاتلهم ولا يبدؤا بالقتال فهو كقوله وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم أمر الله تعالى أن يعاقبوا بمثل ما يصيبهم من العقوبة ولا يزيدوا وقال مجاهد والنخعي وابن سيرين انه نهى المظلوم عن استيفاء الزيادة من الظالم وفي قوله وان عاقبتم رمز الى أن الاولى له أن لا يفعل كقول الطبيب للمريض ان كنت تأكل الفاكهة فكل التفاح ثم انتقل من التعريض الى بعض التصريح قائلا (ولئن صبرتم لهو خير) أي صبركم خير لكم فوضع المظهر موضع المضمر ثناء من الله عليهم أو وصفا لهم بالصفة التي تحصل لهم أو جنس الصبر خير (للصابرين) من جنسهم ثم صرح كل التصريح فقال (واصبر) ثم ذكر ما يفيد سهولة الصبر على النفس فقال (وما صبرك الا بالله) أي بتوفيقه وتثبيته وربطه على قلبه وهذا سبب كلي مفيد للصبر وأما السبب الجزئي القريب فذلك قوله (ولا تحزن عليهم ولا تك) وذلك أن اقدام الانسان على الانتقام لا يكون الا عند هيجان الغضب وانه لا يهيج الا عند فوات نفع وأشار اليه بقوله ولا تحزن عليهم قيل أي على قتلى أحد وقيل على الكافرين كقوله فلا تأس على القوم الكافرين والا حين توقع مكروه في المستقبل وأشار الى ذلك بقوله (ولا تك في ضيق) من قرأ بكسر الضاد فظاهر وهو من الكلام المقلوب الذي يشجع عليه أمن الالباس لان الضيق وصف فهو يكون في الانسان ولا يكون الانسان فيه وفيه لطيفة أخرى وهي أن الضيق اذا عظم وقوي صار كالشيء المحيط به من جميع الجوانب ومن قرأ بفتحها فاما على أنه مصدر أيضا وعلى أنه مخفف ضيق فمعناه في أمر ضيق وانما لم يقل ولا تكن بالنون كما في آخر النمل موافقة لما قبله ولم يلد من المشركين ولان الحزن ههنا أكثر بناء على أنها وردت في قتل حمزة فبولغ بالحذف في النهي عن الحزن ثم ختم السورة بآية جامعة لجميع المأمورات والمنهيات فقال

(ان الله مع الذين اتقوا) المعاصي كلها (والذين هم محسنون) في الطاعات بأن يعبدوا الله مخلصين عن شوائب الرياء وقيل ان الله مع الذين اتقوا استيفاء الزيادة والذين هم محسنون في ترك أصل الانتقام فان أردت أن أكون معك بالنصر والتأييد فكن من المتقين ومن المحسنين وفيه أن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب أن يكون بالرفق واللين مرتبة مرتبة وقيل الذين اتقوا اشارة الى التعظيم لامر الله والذين هم محسنون اشارة الى الشفقة على خلق الله ومنه قال بعض المشايخ كمال الطريق صدق مع الحق وخلق مع الخلق واحتضر هرم بن حيان فقيل له أوص فقال انما الوصية من المال ولا مال لي أوصيكم بخواتيم سورة النحل ﴿في التأويل﴾ واذا بدلنا آية انه تعالى يعالج بدواء القرآن أمراض القلوب في كل وقت بنوع آخر على حسب ما يعلمه من المصالح فلذلك قال والله أعلم بما ينزل وبشرى للمسلمين الذين استسلموا للطبيب ومعالجته حتى صارت قلوبهم سليمة انما يعلمه بشر ففيه انكار أن طب القلوب وعلاجها من شأن البشر بنظر العقل لانه مبني على معرفة الامراض وكميتها وكيفيتها ومعرفة الأدوية وخواصها وكيفية استعمالها ومعرفة الأمزجة واختلاف أحوالها وأن القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء فيضيق عن معالجتها نطاق عقول البشر ولهذا قال ابراهيم صلى الله عليه وسلم واذا مرضت فهو يشفين اللهم الا اذا علم بتعليم الله كقوله وعلمك ما لم تكن تعلم ومع هذا كان يقول نحن نحكم بالظاهر يلحدون اليه أعجمي هو الذي لا يفهم من كلام الله أسراره وحقائقه والعربي ضده كما قال فانما يسرناه بلسانك انما يفتري الكذب لان الافتراء من شأن النفس الامارة الكافرة التي لا تؤمن بآيات الله وأولئك هم الكاذبون أي هم الذين استمروا على الكذب لان المؤمن قد يكذب في بعض الاحوال الا أنه لا يصر على ذلك وهكذا في جميع المعاصي ولهذا لا يخرج من الايمان بالكلية ولكن ينقص الكذب ايمانه ويرجع بالتوبة الى أصله قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا من كفر بالله من بعد ايمانه اشارة الى المريد المرتد بتيسير وأتى نفحات الحق بشمام قلبه عند هبوبه واصطكت أهوية عوالم الباطن وانخراق سحب حجب البشرية فلمع له برق أضاءت به آفاق سماء القلب وأشرقت أرض النفس فآمن بحقيقة الطلب واحتمال التعب

ما عوقبتم به يقول ان أخذ منك رجل شيأ فخذ منه مثله حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن منصور عن ابراهيم قال ان أخذ منك شيأ فخذ منه مثله قال الحسن قال عبد الرزاق قال سفيان ويقولون ان أخذ منك دينارا فلا تأخذ منه الا دينارا وان أخذ منك شيأ فلا تأخذ منه الا مثل ذلك الشيء حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به لا تعتدوا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله ، والصواب من القول في ذلك أن يقال ان الله تعالى ذكره أمر من عوقب من المؤمنين بعقوبة أن يعاقب من عاقبه بمثل الذي عوقب به ان اختار عقوبته وأعلمه أن الصبر على ترك عقوبته على ما كان منه اليه خير وعزم على نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصبر وذلك أن ذلك هو ظاهر التنزيل والتأويلات التي ذكرناها عمن ذكرناها عنه محتملها الآية كلها فاذا كان ذلك كذلك ولم يكن في الآية دلالة على أي ذلك عني بها من خبر ولا عقل(١) كان الواجب علينا الحكم بها الى ناطق لا دلالة عليه وأن يقال هي آية محكمة أمر الله تعالى ذكره عباده أن لا يتجاوزوا فيما وجب لهم قبل غيرهم من حق من مال أو نفس الحق الذي جعله الله لهم الى غيره وأنها غير منسوخة اذ كان لا دلالة على نسخها وأن القول بأنها محكمة وجها صحيحا مفهوما ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴾ ﴿واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واصبر يا محمد على ما أصابك من أذى في الله وما صبرك الا بالله يقول وما صبرك ان صبرت الا بعونة الله وتوفيقه اياك لذلك ولا تحزن عليهم يقول ولا تحزن على هؤلاء المشركين الذين يكذبونك وينكرون ما جئتهم به في آن ولوا عنك وأعرضوا عما أتيتهم به من النصيحة ولا تك في ضيق مما يمكرون يقول ولا يضيق صدرك بما يقولون من الجهل ونسبتهم ما جئتهم به الى أنه سحر أو شعر أو كهانة مما يمكرون مما يحتالون بالخدع في الصد عن سبيل الله من أراد الايمان بك والتصديق بما أنزل الله اليك واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء العراق ولا تك في ضيق بفتح الضاد من الضيق على المعنى الذي وصفت من تأويله وقرأه بعض قراء أهل المدينة ولا تك في ضيق بكسر الضاد ، وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندنا قراءة من قرأه في ضيق بفتح الضاد لان الله تعالى انما نهى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يضيق صدره مما يلقى من أذى المشركين على تبليغه اياهم وحي الله وتنزيله فقال له فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وقال فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك انما أنت نذير واذ كان ذلك هو الذي نهاه تعالى ذكره ففتح الضاد هو الكلام المعروف من كلام العرب في ذلك المعنى تقول العرب في صدري من هذا الأمر ضيق وانما تكسر الضاد في الشيء الذي يتسع أحيانا ويضيق من قلة المعاش وضيق المسكن ونحو ذلك فان وقع الضيق بفتح الضاد في موضع

(١) لعله كان الواجب علينا تعميم الحكم بها لا تأويلها الى خاص لا دلالة الخ تأمل كتبه مصححه

الضيق بالكسر كان على أحد وجهين اما على جمع الضيقة كما قال أعشى بنى ثعلبة

فلئن ربك من رحمته * كشف الضيقة عنا وفسح

والآخر على تخفيف الشئ الضيق كما يخفف الهين اللين فيقال هو هين لين ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ يقول تعالى ذكره ان الله يا محمد مع الذين اتقوا الله فى محارمه فاجتنبوها وخافوا عقابه عليها فأحجموا عن التقدم عليها والذين هم محسنون يقول وهو مع الذين يحسنون رعاية فرائضه والقيام بحقوقه ولزوم طاعته فيما أمرهم به ونهاهم عنه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن سفيان عن رجل عن الحسن ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون قال اتقوا الله فيما حرم عليهم وأحسنوا فيما افترض عليهم حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن رجل عن الحسن مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن هرم بن حيان العبدى لما حضره الموت قيل له أوص قال ما أدرى ما أوصى ولكن بيعوا درعى فاقضوا عنى دينى فان لم تف فبيعوا فرسى فان لم يف فبيعوا غلامى وأوصيكم بخواتيم سورة النحل ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين

ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية قال بل نصبر

آخر تفسير سورة النحل

* (تم الجزء الرابع عشر من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ويليه الجزء الخامس عشر أوله ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (سبحان الذى أسرى) *

واستوقد نار الشوق والمحبة فلما أضاءت ما حوله وبذل فى الاجتهاد جده وجوله هبت نكباء النكبات فصدئت مرآة قلبه وذهب الله بنوره وانخمدت نار الطلب وآل المشؤم الى طبعه الامن أكره على مباشرة فعل أو قول يخالف الطريقة من معاملات أهل الطبيعة فيوافقهم فيها فى الظاهر ويخالفهم بالباطن حتى يخلص من شؤم صحبتهم استحبوا اختاروا محبة الدنيا وشهواتها على محبة الله وان الله لا يهدى الى حضرته القوم الكافرين بنعمته وأولئك هم الغافلون عما أعد الله لعباده الصالحين هم الخاسرون لان الاغضاء عن العبودية يورث خسران القلوب عن مواهب الربوبية ثم ان ربك للذين هاجروا نفوسهم وهواهم من بعد ما فتنوا بمخالفة أوامر الحق ونواهيه ثم جاهدوا النفوس بسيوف الرياضات وصبروا على تزكيتها وتحليتها متمسكين بذيل ارادة الشيخ يوم تأتى أرباب النفوس تجادل عن نفسها على قدر بقاء وجودها دفعا لمضارها وجذبا لمنافعها حتى (١٣٤) ان كل نبى يقول نفسى نفسى الا محمدا صلى الله عليه وسلم فانه فان بالكلية عن نفسه باق ببقاء ربه فيقول أمتى أمتى لانه مغفور ذنب وجوده المتقدم فى الدنيا والمتأخر فى الآخرة بما فتح الله له ليلة المعراج اذ واجهه بخطاب سلام عليك أيها النبى ففنى عن وجوده بالسلام وبقى بوجوده بالرحمة فكان رحمة مهداة ببركاته الى الناس كافة ولكن رفع الذلة من تلك الضيافة وجب لمتابعيه فلهذا قال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين يعنى الذين صلحوا لبذل الوجود فى طلب المقصود قرية هى قرية شخص الانسان كانت آمنة أى أهله وهو الروح الانسانى مطمئنة بذكر الله يأتيها رزقها من المواهب من كل مكان روحانى وجسمانى فكفرت النفس الامارة فأذاقها الله لباس الجوع هو انقطاع مواد التوفيق فأكلوا من جيفة الدنيا وميتة المستلذات والخوف وهو خوف الانقطاع عن الله ولقد جاءهم رسول الوارد الربانى فما تخلقوا بأخلاقه وكلوا مما رزقكم الله من أنوار الشريعة وأسرار الطريقة هذا حلال وهذا حرام على عادة أهل الاباحة وعلى الذين هادوا أى تابوا حرمنا من موانع الوصول ما قصصنا عليك فى بدو نبوتك حتى كنت محترزا عن صحبة خديجة وتتحنث الى حراء أسبوعا أو أسبوعين وما ظلمناهم بتحريم ذلك عليهم بل أنعمنا به عليهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بالاعراض عنا بعد الاقبال علينا ولم يك من المشركين ممن له شركة مع الله فى الوجود اتبع ملة ابراهيم فى الظاهر حتى يتبعك هو فى الباطن ولهذا ذهب الى ربه ماشيا انى ذاهب الى ربى وأسرى بمحمد راكبا سبحان الذى أسرى بعبده فهو خليل وأنت حبيب اتبعت الخليل فى الدنيا فيتبعك الخليل فى الآخرة الناس محتاجون الى شفاعتى يوم القيامة حتى ابراهيم عليه السلام وان عاقبتم النفس الامارة فعاقبوا أى بالعوافى عقابها بالفطام عن مألوفاتها بمثل ما عوقبتم به من الانقطاع عن مواد التوفيق والمواهب ولئن صبرتم على معاقبتها لهو خير لان عقاب الحبيب على قدر عقاب العدو وأعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك واصبر على معاقبة النفس ومخالفة الهوى وما صبرك الا بالله لان الصبر من صفات الله ولا يقدر أحد أن يتصف بصفاته الا به بأن يتجلى بتلك الصفة له ولا تحزن على النفس وجنودها عند المعاقبة فان فيها صلاح حالهم ومآلهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون فان مكرهم يندفع بمعونة الله عند الفرار اليه والله أعلم

(فهرست الجزء الرابع عشر من تفسير الامام ابن جرير الطبري)

صحيفة

صحيفة

(تم فهرست الجزء الرابع عشر من تفسير ابن جرير)

﴿ فهرست الجزء الرابع عشر من تفسير النيسابورى الذى بهامش الجزء الرابع عشر من تفسير ابن جرير ﴾

﴿ تم فهرست الجزء الرابع عشر من النيسابورى ﴾


Bibliotheca Alexadrina
0235916